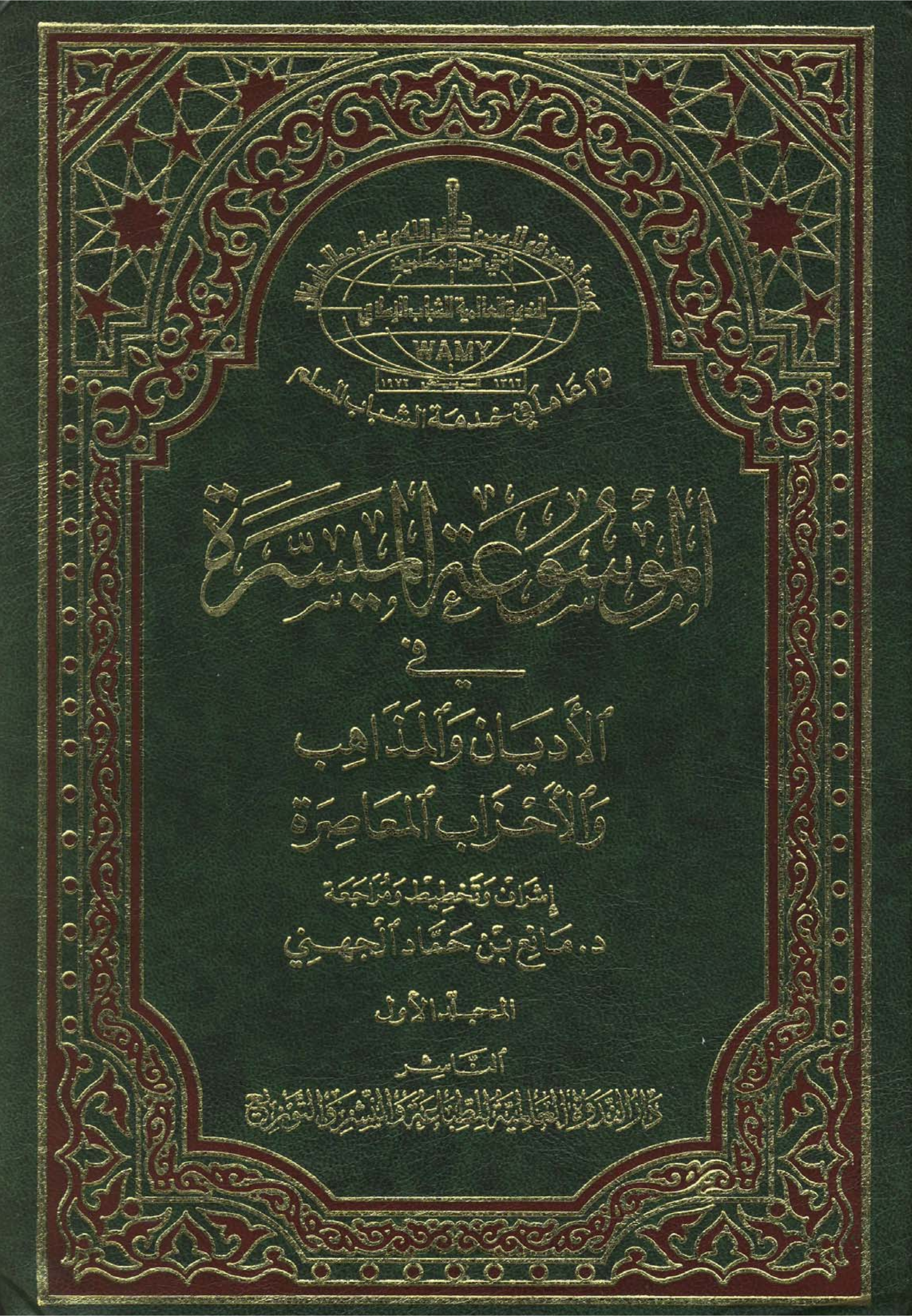

الندوة العالمية للشباب الإسلامي
WAMY
٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم
الموسوعة الميسرة
في
الأديان والمذاهب
والأحزاب المعاصرة
إشراف وتخطيط ومراجعة
د. مانع بن حماد الجهني
المجلد الأول
الناشر
دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

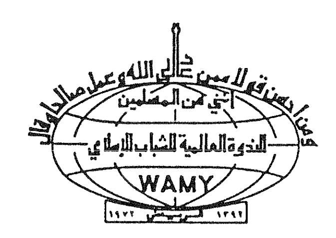
الندوة العالمية للشباب الإسلامي
٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

الطبعـة الرابعـة ١٤٢٠هـ



الناشر
دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب : ١٠٨٤٥ الرياض : ١١٤٤٣
ت : ٤٦٤١٦٦٩(٠١) فاكس: ٤٦٤١٧١٠

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ ط ٣ - الرياض .

.... ص سم .

ردمك : ٧-٠٣-٦١٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٠٤-٦١٦-٩٩٦٠ (ج ٢)

١- الديانات ـ موسوعات ٢- المذاهب - موسوعات ١- العنـــوان

ديوي ٢٠٠٣ ١٨/٠١٩٠

رقم الإيداع : ١٨/٠١٩٠

ردمك: ٧-٠٣-٦١٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٠٤-٦١٦-٩٩٦٠ (ج ٢)

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

إشراف وتخطيط ومراجعة

د. مانع بن حمّاد الجهني

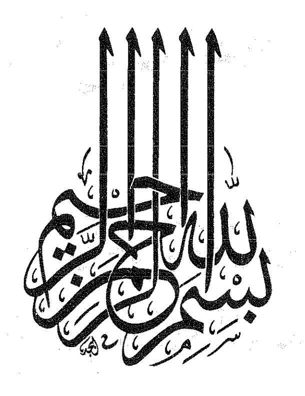
المجلد الأول

الطبعة الرابعة

منقحة وموسعة

الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع



شكر وعرفان

من الأمور المسلم بها، أن الأعمال الموسوعية وشبه الموسوعية، لا تكون إلا أعمالاً جماعية، وذاك كان شأن هذه الموسوعة، فقد كانت ثمرة جهد وفكر إسلامي جماعي مؤتلف ومتعاون من أجل إعلاء كلمة الله وإعطاء الثقة للمسلم أنه على دين اليقين الذي لا ينبغي أن يتطرق إليه شك، والحق الذي لا يمكن أن يداخله باطل، وعمل هذا شأنه لا يمكن الحديث فيه عن جهد فردي، لذلك فلابد من ذكر أسماء بعض من أسهم في إخراج هذه الموسوعة بصفة عامة وهذه الطبعة بصفة خاصة. لذا فإنني أشكر الإخوان الأعزاء الذين بذلوا جهوداً غير عادية، أرجو الله أن يكتبها لهم في ميزان حسناتهم، ومنهم: الدكتور إبراهيم بن حمد القعيد، والدكتور توفيق بن أحمد القصير، والدكتور محمد سعد أبو شتا، والأستاذ حمدي عبيد وجميع منسوبي الندوة وكل من أسهم بشكل أو بآخر في إنجاز هذا العمل.

كما يسرنا أن نعبر عن شكرنا وتقديرنا لكل من قرأ هذه الموسوعة ووجد فيها ضالته، خصوصاً من كتبوا إلينا مصححين وناصحين ليسهموا في تحسين هذا العمل الجماعي ليحقق الكمال المنشود. وقد كتب إلينا الكثير، ولكن نكتفي بمن كان لتعليقاتهم أطيب الأثر في تجويد هذا العمل، منهم فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد، والأستاذ محمد جابر اليماني، والشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبداللطيف، والأستاذ عمر باذيب، والأستاذ محمد عبد الحكيم، والدكتور شريف الخطيب.

والله أسأل أن يجعل ما قاموا به من جهد في هذا السبيل في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يكون من العلم النافع الذي يستفاد منه ليكون جزءاً من الصدقة الجارية التي أخبر عنها الرسول ﷺ.

د. مانع بن حماد الجهني

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين . . وبعد:

يطيب لنا أن نضع بين أيدي القراء الكرام هذا الكتاب الموسوعي الذي نرجو أن يكون إضافة جديدة في بابه، تقدم جملة من الحقائق الموضوعية عن مجموعة من التيارات الفكرية والسياسية والأحزاب والأديان والمذاهب والفرق.

لقد شهد هذا العصر ثورة في الاتصال والعلاقات، وقفزة لم تشهدها البشرية من قبل في نقل الأفكار والمعلومات واختصار الزمان والمكان بحيث أصبح العالم وكأنه (قرية صغيرة)، كما شهد ما يمكن تسميته (بانفجار المعلومات) التي صارت تنمو وتتكاثر وتتراكم بطريقة هائلة.

وقد أدى هذا إلى عدد من النتائج والمشكلات التي لم تكن تواجه الأجيال السابقة، منها أن (العزلة) أصبحت أمراً لا يقدر عليه أحد، لا الأفراد ولا الدول، ومنها أن (إنسان العصر) صار يجد نفسه أمام طوفان من المعلومات المشوشة المتناقضة، حول أحزاب وتيارات فكرية وسياسية وفرق وأديان وفلسفات، لا يكاد يبصر فيها وجه الحقيقة الموضوعية.

من هنا بدا لنا أن ننهض بإعداد موسوعة علمية مركزة تتناول ذلك كله، بحيث نستطيع أن نقدم للقارىء دراسة جادة نزيهة تضع الحقائق في إطار موضوعي دقيق مركز، تتحاشى الإسهاب، وتتجنب السطحية، وتلتزم الصدق والأمانة، وتبتعد عن التهجم والتجريح، وتعتمد على المصادر المتوافرة. وبذلك نرجو أن نكون قد قدمنا الحقيقة العلمية للقارىء الكريم، أو ما استطعنا أن نصل إليه منها.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن ننوه بأننا قد توخينا تتبع الحركات والمذاهب الحية التي لها وجود واقعي ملموس في عالم اليوم متجنبين تلك الحركات والتيارات التي اندثرت وعفى عليها الزمن وتجاوزتها ذاكرة التاريخ.

وإننا لم نغفل الحركات التاريخية المندثرة تقليلاً من شأنها، ولم نعرض المذاهب المعاصرة إعلاء من قيمتها، بل فعلنا ذلك لرغبتنا في تقديم زاد فكري ثقافي موثوق لأبناء الجيل المعاصر حتى يعرفوا توجهات هذا العصر، وليكونوا على بينة من ذلك كله فيكون بوسعهم اتخاذ الموقف المناسب منها رفضاً أو قبولاً.

وقد رتبنا مواد هذه الموسوعة بطريقة معجمية؛ لأن ذلك يحقق لنا فائدتين أساسيتين:

الأولى: سهولة استعمالها، **والثانية**: سهولة إضافة أية مادة جديدة في المستقبل في طبعة قادمة، إذ تقع موقعها المقرر من الترتيب المعجمي.

أما المنهج الذي سارت عليه الدراسة عن كل فرقة أو حزب أو دين أو تيار فهو على النحو التالي:

١ ـ **التعريف**: وهو مقدمة للدراسة ومدخل لها، وهو عبارة عن تعريف وجيز مركز يكاد يلخص الموضوع كله.

٢ ـ **التأسيس وأبرز الشخصيات**: وهنا يأتي الحديث عن البدايات الأولى التي شهدت مولد الفكرة وتفكير قادتها وظروف نشأتها، كما يتم التعريف بالزعماء البارزين الذين تركوا آثاراً واضحة على الحركة، وكان لهم دور مهم في مسيرتها.

٣ ـ **الأفكار والمعتقدات**: وهنا يكون الحديث عن العقائد والأفكار وأهم الخصائص التي تتصف بها الحركة، وعقلية وسلوك أبنائها، وتبيان طريقتهم ومنهجهم في التفكير، وفيه ذكر لمبادئهم ولكل ما يتعلق بهم، وهو أهم وأوسع مادة في كل حركة أو مذهب.

٤ ـ **الجذور الفكرية والعقائدية**: وفيه عرض للمنابع التي استقت منها هذه الحركة أو تلك مبادئها ومعتقداتها.

٥ ـ **الانتشار ومواقع النفوذ**: وتحت هذا العنوان يجري الحديث عن المناطق التي سادت فيها أفكار الحركة ومبادئها، وبيان مقدار نفوذها ومصادر دعمها وقوتها.

٦ ـ **مراجع للتوسع**: إذ يتم ذكر أهم المراجع المتوافرة لإتاحة الفرصة لمن أراد التوسع في البحث والمزيد من الاطلاع.

وبعد: فإنه من المناسب أن نقدم بين يدي الكتاب اعتذاراً للقارىء الكريم عما قد يجده فيه من نقص أو ضعف؛ ذلك أن صعوبة الموضوع وتنوع أبحاثه وتشعب مذاهبه فضلاً عن الغموض وقلة المراجع لبعض الحركات، كل ذلك كان يشكل عقبات حقيقية تحول دون بلوغ ما نصبو إليه، لكن عزاءنا في هذا العمل أنه يؤدي الهدف المرجو منه في إعطاء مجموعة من المعلومات الموثقة المركزة وبشكل متسلسل.

إننا نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا العمل الموسوعي، وأصبنا فيه حظًّا من النجاح، كما نرجو أن نوفق في المستقبل إلى المزيد من خدمة هذا الكتاب، بإضافة مواد جديدة إليه، ومراجعة المواد السابقة، ومن هنا فنحن بحاجة إلى آراء وملاحظات الإخوة القراء، وخاصة منهم من يعمل في البحث العلمي، ويعنى بجانب أو أكثر من الجوانب التي عرضت لها الموسوعة. وسوف تكون الآراء والملاحظات الواردة محل العناية التامة بإذن الله.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

وحدة الدراسات والبحوث

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين. وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية من الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، وقد نفدت الطبعة الأولى خلال أيام معدودة، ولم نستطع أن نستجيب للطلبات المتلاحقة التي وصلت إلينا في الندوة العالمية للشباب الإسلامي يطلب فيها أصحابها أن نزودهم بالموسوعة، ورأينا من الأفضل ألا ننتظر طويلاً لمراجعة المعلومات الواردة فيها مراجعة متأنية وإضافة ما نريد إضافته من مذاهب واتجاهات أخرى وعمل فهارس واسعة تسهل الوصول إلى المعلومة المطلوبة بأيسر طريق.

ونعتذر إلى القارىء الذي سيجد أن الموسوعة بقيت كما كانت في طبعتها الأولى، إذ اكتفينا بتصحيح بعض المعلومات عن الشخصيات البارزة التي تغيرت مواقعها، وقمنا بتصحيح الأخطاء المطبعية التي وردت في الطبعة الأولى، ومع هذا فما زلنا على وعدنا وعزمنا على إضافة معلومات أخرى توافرت لدينا عن مذاهب ومنظمات لها وجودها في الساحة، ومن المفيد أن تتضمنها الطبعات القادمة.

وفي هذه المناسبة نعبّر عن شكرنا وتقديرنا للذين قرؤوا الموسوعة ووجدوا فيها ضالتهم، وأعربوا عن شكرهم للندوة في إتاحة هذه المعلومات بسهولة ويسر. كما نشكر الذين وافونا بملاحظاتهم وأفكارهم تعقيباً وتعليقاً أو نقداً، ونعد إن شاء الله أن تكون موضع الاهتمام، ولهم منا خالص التقدير والدعاء بالمثوبة والأجر من الله.

والله من وراء القصد. وهو الهادي إلى سواء السبيل

الأمين العام

للندوة العالمية للشباب الإسلامي

د. مانع بن حماد الجهني

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فهذه هي الطبعة الثالثة، من «**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**»[١]، وهي الموسوعة التي وصفها الباحثون والدارسون، بأنها كانت خطوة بناءة، في مجال التأصيل العلمي المحايد، للدراسات الإسلامية المقارنة، وضرورة علمية لبلورة كثير من الحقائق الموضوعية، بشأن الأديان السماوية، والتصورات الوضعية، والمذاهب، والفرق، والحركات والتيارات الفكرية والسياسية، فسدَّت بذلك ثغرة كبيرة في المكتبة الإسلامية، ووضعت معالم موضوعية على طريق استلهام الهداية الإلهية. ولذا تلقتها العقول بالقبول، وعكفت على ترجمتها إلى عدد من اللغات الحية، جهات وجماعات علمية إسلامية.

ونحن إذ نصدرها في ثوبها الجديد ومحتواها المضاعف نأمل أن تُعمِّق أهدافها المرسومة وتتجاوز ما كان بها من تقصير، من خلال منهج ميسر، وعرض مبسط، ومناقشة تخلو من كل تزايد أو تعقيد.

ونود أن نشير في مقدمة هذه الطبعة إلى مجموعة من الحقائق المترابطة والمتكاملة التي واكبت هذا الإصدار وهي:

١- إن هذه الطبعة، هي في الحقيقة مراجعة شاملة ومتكاملة ومضاعفة للطبعة السابقة، إذ تمت مراجعة كل موادِّها مادة مادة، من النواحي الموضوعيَّة والشكلية واللغوية والمنهجية، وسيلمح القارىء ذلك في مجالات التعريف والتأسيس وأبرز الشخصيات والأفكار والمعتقدات والجذور الفكرية والعقائد والانتشار ومواقع النفوذ، وما شفعنا به كل ذلك من محصلة نهائية لتأصيل ما دار من عرض أو تحليل وتفصيل، تأكيداً لما احتاج إلى بيان، وتحديداً لما كان يستلزم الضبط، وتنبيها لما ينبغي أن يظل عالقاً بالأذهان من حقائق دون أن يؤثر ذلك على منهج العرض الموضوعي لها، وأتبعنا كل ذلك بالمراجع الثابتة والمستجدة.

٢- تحتوي هذه الطبعة على مذاهب ومداخل جديدة، رأينا إضافتها إليها، لتغني القارىء عن البحث عنها في مصادر أخرى، فقد كانت الطبعة السابقة تنطوي على ثمان وخمسين مادة، أما هذه الطبعة فتشتمل على مائة وعشرين مادة ونيفٍ، اتسمت بدورها بنزاهة العرض، وتحاشي الإسهاب والتزام الأمانة العلمية، والنأي عن أي تهجم أو تجريح، وبذا

---

(١) هذا عنوان الطبعات السابقة.

ستظل الموسوعة كُلاًّ متجانساً، بحيث يستطيع القارىء أن يلمس الحق بيسر وسهولة فيقترب منه بفطرته السليمة وروحه السوية المستقيمة.

٣- كما تحتوي هذه الطبعة ملحقاً بمعاني أبرز المفردات التي وردت بالمتن، مما قد يشكل على القارىء العادي فهمه، وقد أعد هذا المعجم خارج الموسوعة ليجنب القارىء مؤنة البحث عن معاني تلك المفردات. وقد روعي في إعداده الجمع بين بساطة المعنى ووضوحه وشموله دونما تبسيط ممل أو اختصار مخل بما يناسب نهج الموسوعة في التأصيل العلمي الموضوعي. وقد وضعنا تعميماً للفائدة علامة (*) بجانب مفردات المعجم عند ورودها في المتن. كما تم تبويب المعجم أبجديًّا تيسيراً على القارىء عند البحث.

ومما تحسن الإشارة إليه هنا: أن بعض مداخل الموسوعة، وكذلك المعجم، يغلب عليها الاختصار تارة، أو التفصيل النسبي تارة أخرى خلافاً لمنهج الموسوعة. والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين:

(أ) أهمية الموضوع المعالج وصلته بالعصر الحديث.

(ب) الأهمية التي توليها الندوة للموضوعات التي عولجت بتوسع، إما تشجيعاً أو تحذيراً.

٤- وتأكيداً على أن الإسلام هو الإطار الذي يحدد معالم هذه الموسوعة، والمنظار الذي ترى منه موادها كافة، فقد كان من الضروري إفراده بمادة مستقلة، لإعطاء نبذة سريعة وميسرة عن هذا الدين الكامل الذي شاء الله تعالى أن يكون ناسخاً لكل الأديان، وأن يتخذ صفة العالمية والدوام للناس حتى تقوم الساعة، أما باقي المواد المضافة فقد كانت في مجال المذاهب الأدبية والفقهية وبعض الأحزاب والحركات والتيارات السياسية. ويلاحظ في هذا الصدد أننا لم نضف كل ما كنا نود إضافته، ولكن الإلحاح في طلب الموسوعة من الجهات والبلدان والأصقاع كافة جعلنا نكتفي بما أعددناه، آملين أن نضيف إليها مستقبلاً بعض المواد الأخرى التي ما زالت قيد البحث والدراسة والتمحيص.

٥- أما من الناحية المنهجية، فإن مواد الموسوعة كانت قد رُتبت في الطبعات السابقة ترتيباً أبجديًّا، وكان لذلك محاسنه، من حيث اتفاقه مع منهج الموسوعات العلمية في العرض، وما يستتبع ذلك من سرعة الوصول إلى الموضوع المطلوب دون نظر إلى موقعه من بقية الموسوعة. وقد حافظنا على هذه الميزة فأضفنا فهرساً أبجديًّا يسهل الرجوع السريع إلى مداخل الموسوعة المتعددة. أما هذه الطبعة، فقد تم ترتيب موادها، ترتيباً أكثر عمقاً وأبلغ أثراً في نفس القارىء، وهو ترتيب يعتمد على الموضوعات وصلة بعض موادها ببعض.

* فبدأنا بالإسلام باعتباره دين عقيدة التوحيد الناسخ لما عداه من الأديان السماوية، والذي أوحى الله تعالى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، وكلفه بتبليغه للناس كافة، ثم عرضنا

لبعض ما تفرع عنه ونشأ في كنفه من مذاهب فقهية وحركات سلفية وإصلاحية سنية، وفرق وجماعات منحرفة، أملاً في تأكيد ضرورة العودة الدائمة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، فهما وحدهما معيار الاتِّباع وسلامة العقيدة.

* ثم أتْبعنا ذلك باليهودية وما تفرع عنها من فرق ومذاهب وحركات.

* ثم عرضنا للنصرانية وما نشأ في كنفها من مذاهب وفرق وجماعات.

* ثم تناولنا الأديان الشرقية وما دار في فلكها من مذاهب وفلسفات.

* ثم أتبعنا ذلك كله بدراسة المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية ثم بعض النظريات والفلسفات السياسية والاقتصادية التي سيطرت على الفكر الإنساني مدة من الزمن ثم انطفأ بريقها وتهاوت أعلامها أو كادت.

وحتى تؤتي هذه الطريقة في العرض ثمرتها المرجوة فقد بدأنا كل موضوع من الموضوعات الرئيسة بمقدمة قصيرة تمهد له وتساعد على فهمه. وحاولنا جاهدين ألا يُخلَّ ذلك بالتسلسل العام لكل المواد، ولم نعط أي مقدمة رقماً في سجل مواد الموضوع على الرغم من أهمية ما ورد فيها من مادة علمية.

ولقد حرصنا كل الحرص على الإفادة من الآراء جميعاً، سواء أكانت مادحة أم قادحة، إيجابية أم سلبية. ومع ذلك فقد صعب علينا في بعض الأحيان، التوفيق بين هذه الآراء لتناقض بعضها مع البعض الآخر، فأتباع المذاهب والأحزاب يحرصون على إظهار الإيجابيات فقط، بل تضخيمها في أحيان كثيرة؛ بينما يود المخالفون إبراز السلبيات وإغفال الإيجابيات أو على الأقل تحجيمها. ولا شك أن الحق يقع بين الفريقين، وهذا ما جعلنا نتخذ الموقف الذي نعتقد أنه أقرب إلى الصواب. ومع ذلك فإننا لا ندّعي الكمال لهذا العمل، ولكنه غاية ما استطعنا الوصول إليه في هذه المرحلة، ولذا فإننا نقتبس بشأنه ما قاله العماد الأصفهاني تأكيداً على عدم خلو أيِّ عملٍ إنسانيٍّ من النقص، أو الهنات، ونقول إنه: «لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر». فاللهم ما كان من نقص في هذا العمل فاغفر لنا تقصيرنا فيه، وألهم من يكتب لنا عنه الصواب وألهمنا أن نستجيب له، باعتباره الحق، والحق أحق أن يتبع. واللهم ما كان من خير في هذا العمل، فاجعل لنا كفلاً منه ليشد من أزرنا، ويساعدنا على بذل أقصى طاقاتنا لخدمة الإسلام والمسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. مانع بن حماد الجهني
الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان. وأعطاه القلم ليسطر به المعلومات فتحفظ على مر الزمان والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فبالرغم من حداثة الطبعة الثالثة التي خرجت إلى الناس قبل أشهر معدودة فقد نفدت هذه الطبعة من **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** بأسرع مما توقعنا، وكان الإقبال عليها مشجعاً ودافعاً إلى المزيد من الجهد. وقد لاقت الموسوعة هذا القبول الحسن لأنها سهلة الاستعمال، موثقة المعلومات، تحقق رغبات الدارسين، وتلبي طلبات المراجعين بأيسر طريقة، وأسلس عبارة، وأصح معلومة وأدقها، مسترشدة بالمبادىء والقيم التي رضيها الله للناس، وكملها لهم وأتمها عليهم، متحلية بالنزاهة والتجرد في كل ما تعرضه من أديان ومذاهب وآراء، غير مشوهة لها ولا متحاملة عليها، ملتزمة في العدالة والإنصاف بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

ومع شعورنا بالتقصير واعترافنا بالنقص فإننا نحرص في الموسوعة على الكمال ونسعى إليه، ونعمل بدأب واستمرار للاقتراب منه.

وها نحن نقدم للقراء هذه الموسوعة في طبعتها الرابعة، بعد أن غلبنا الإلحاح، وألحف علينا في الطلب، فاستجبنا، وقدمناها بشكلها العام الذي صدرت فيه في طبعتها الثالثة، مع إدخال بعض التعديلات الضرورية والتصحيحات الملحة والزيادات التي اقتضتها الدقة العلمية والمستجدات في الساحة العالمية، استجابة لمن كتب إلينا، أو أمدنا بمعلومات جديدة. وقد أعدنا كتابة فصل اليهودية ووسعنا النورسية وصححنا بعض الأمور عن الشيعة الاثني عشرية والزيدية وراجعنا الديوبندية وغيرها من المداخل.

وكنا نؤثر أن نتأنى في إصدار هذه الطبعة حتى تتوافر لدينا التنقيحات والزيادات التي نراها أو تصل إلينا، ولكن الطلب المتواصل لها بعد نفاد نسخها، دفعنا إلى التعجيل في هذه الطبعة، مزودة بما تيسر من زيادات وتقويمات. وما زلنا نتقدم بها إلى قرائنا الأعزاء آملين أن يجدوا فيها ما يصبون إليه ويبحثون عنه، وما هم بحاجة إليه، كما نطلب ممن يطلع منهم على نقص يستوجب زيادة، أو ثغرة جديرة بأن تسد، أو سهو يستدعي التنبيه إليه، أو فكرة تحتاج إلى إعادة نظر.. نطلب منهم ألاّ يبخلوا علينا بالكتابة، إلينا، فالصدر رحب، وفي الطبعات التالية متسع، والغاية دائماً هي الحق والصواب والأمانة.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل للإخوة الذين كتبوا إلينا ناقدين فقد استفدنا من ملاحظاتهم واستعنا بأفكارهم فجزاهم الله خيراً. ونسأل الله تعالى أن يمكننا من خدمة الحق، وأن يوفقنا إلى الصواب، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله في ميزان حسناتنا، إنه سميع مجيب.

د. مانع بن حماد الجهني

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

القسم الأول

الإسلام

الفرق العقائدية والمذاهب الفقهية والحركات التي نشأت في كنفه

الفصل الأول

مقدمة عامة

الإسلام هو استسلام وطاعة. استسلام إراديٌّ للمنهج(*) الذي ارتضاه الله، وطاعة الرسول ﷺ في كل ما بلَّغ عن ربه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ونقطة البداية في هذا الدين(*) أنه لا اجتهاد(*) في أصول الإسلام، فأداء الشهادتين هو المدخل إلى الإسلام، ومنهما ينطلق الإنسان في إتيان أركان الإسلام والإيمان والإحسان، دون أن يكون له حق تغيير طبيعة أيٍّ من هذه الأركان، فالإسلام يتنافى مع القول بوجود أكثر من إله(*)، ولا يقبل القول بتغيير طبيعة الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج، أو نفي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أما ما عدا الثوابت مما يعد من الفروع فالاجتهاد(*) فيها حق لكل مسلم توافرت له أدوات الاجتهاد في نطاق الكتاب والسُّنة.

وهذه المسألة هي المعيار الذي يستطيع من خلاله كل قارىء لهذه الموسوعة بوجه عام، ولموضوع الإسلام بوجه خاص، أن يفرق بين الحق والباطل.

ومن هذا المنطلق جاء تقسيمنا للموضوعات التي عرضنا لها في رحاب الإسلام. فقد عرضنا أولاً للإسلام، فأعطينا القارىء فكرة عامة عنه، تعريفاً وتبليغاً، وتكويناً للدولة الإسلامية وبياناً لمعالم الحضارة الإسلامية وغير ذلك من الأمور التي تثبت للمسلم أنه يعتنق الدين الحق، وتبين لغير المسلم طريق الهداية إن أراد الاستقامة والدخول في دين الله.

ثم تناولنا، موضوع المذاهب(*) الفكرية والعقائدية والفقهية، وبدأناها بمذهب أهل السنة والجماعة(*) فهو الميزان الضابط، والحكم العدل على ما عداه من فرق ومذاهب؛ لأنه يمثل الأصل فيما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته.

وإذا كانت عقيدة أهل السنة والجماعة تتمثل في الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، من غير تحريف(*) ولا تعطيل(*) ولا تكييف(*) ولا تمثيل(*)، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خلق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، والعبد فاعل حقيقي، وأنهم لا يكفِّرون أحداً من أهل القبلة بالذنوب ما لم يستحلها، ولا يحكمون بخلود أحد من أهل الإيمان في النار، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، هم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في

الخلافة(*)، وأن من قدَّم عليًا على عثمان فقد قال بغير علم وضل عن الحق في ذلك؛ فإن مذاهب أهل السنة الأربعة في الأصل تتمسك بهذه العقيدة.

وقد أتْبَعْنَا ذلك بعرض المذاهب لغير أهل السنة، واقتصرنا منها في هذا الإصدار على مذاهب الإباضية والشيعة الإمامية والزيدية والمعتزلة، ثم أتبعنا ذلك بأشهر الفرق الكلامية والمنتسبة لأهل السنة والجماعة(*) بالمعنى العام: الأشاعرة والماتريدية حتى يقارن القارىء، ويقف على الحقيقة المجردة بنفسه، ويعلم أن الحق مع أهل السنة والجماعة، ومن خالفهم فقد خالف الحق.

ونشير إلى أن الإباضية يخالفون أهل السنة والجماعة في مسائل أساسية منها قولهم بأن القرآن مخلوق، وأن مرتكب الكبيرة كافر ـ كفر نعمة ـ وإنكارهم الرؤية، أما الزيدية فهم أقرب الفرق الشيعية إلى منهج(*) أهل السنة والجماعة ولكنهم على الرغم من إقرارهم بصحة خلافة عثمان، إلا أنهم يؤاخذونه على بعض الأمور. وعلى العكس من ذلك تماماً تتمسك الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بحق علي رضي الله عنه في الخلافة(*) دون أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وقالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب. ويقررون له الرجعة(*) وللأئمة العصمة ويبيحون التقية(*) والمتعة ويسبون كبار الصحابة ويغلون في شخص علي رضي الله عنه غلواً(*) كبيراً.

ثم عالجنا المدارس الفقهية الأربع المعروفة بمذاهب أهل السنة، وانتقينا من المذاهب الفقهية غير السنية مذهب(*) الجعفرية. وهذه المذاهب هي في حقيقتها مدارس فقهية، ولذا عرضنا لها ليستطيع القارىء صدَّ هجمات أعداء الإسلام التي تزعم زوراً وبهتاناً أن الإسلام منقسم إلى مذاهب تشبه المذاهب التي انقسمت إليها النصرانية، مثلاً؛ فالمدارس الفقهية في الإسلام هي اجتهادات خاصة في مسائل فرعية لا تتجاوزها بحالٍ إلى حقيقة التوحيد أو طبيعة أركان الإسلام والإيمان والإحسان، بعكس المذاهب التي انقسم إليها دين النصارى، مثلاً، وهي الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، فهي مذاهب تختلف في جوهر الدين وفي تصور طبيعة المسيح عليه السلام، ولذا فإن القارىء عندما يستوعب حقيقة مدارس أهل السنة الأربع الباقية حتى الآن، وهي المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية، يعلم يقيناً أنها تتفق في أصول الإسلام، وما هي إلا مجرد اجتهادات في الفروع، لذا عالجنا هذه المذاهب الفقهية التي لم تغلق الباب أمام الاجتهاد(*)، بل قدمت آراءً فقهية يمكن الأخذ بها ويمكن الاجتهاد دونها، ثم أتبعنا ذلك ببيان دعوتين لهما دعاتهما وأثرهما في العالم الإسلامي، الأولى هي دعوة الاجتهاد لمن تتوافر له أدواته ونبذ التقليد(*) والتعصب المذهبي، والثانية على العكس

من ذلك إذ تدعو إلى غلق باب الاجتهاد(*) ووجوب التزام المذاهب، وتتميز بالتعصب لها. وقد سبق أن أتبعنا ذلك المذهب(*) الجعفري كما تقدم.

● وإزاء ما تطرق إلى عقيدة التوحيد من بدع وشركيات فقد ظهرت دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب السلفية في العصر الحديث امتداداً وتجديداً للدعوة السلفية(*). وقد تناولنا هذه الدعوة بشيء من التفصيل. ولا شك أنها حركة(*) سلفية إصلاحية، بل هي رائدة حركات الإصلاح في العصر الحديث؛ وذلك لأن الحركات الإصلاحية الأخرى كافة أفادت من هذه الحركة السلفية، وتأثرت بها بقدر متفاوت، ولقد اتسمت هذه الدعوة السلفية بسمات ثابتة أهمها: أنها حركة تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية، كليَّةً، إلى أصولها الصافية، فما كان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو الحق المبين الذي لا يجوز تجاوزه قيد أنملة، كذلك تدعو هذه الحركة، بل تلحُّ، على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك، مع إحياء فريضة الجهاد(*) والقضاء على البدع(*) والخرافات، ونبذ التوسل المبتدع، والتصدي لشطحات الطرق الصوفية، ومنع بناء القبور وكسوتها وإسراجها، مع إيقاظ الأمة فكرياً لتبني حضارة الإسلام الحقيقية بعد أن ران عليها ركام التخلف والخمول والتقليد(*). وتمتاز هذه الدعوة بأن التوحيد كان صلب مؤلفات صاحبها ومؤسسها، وتلك خصائص لم تجتمع في واحدة من سائر الحركات.

- ثم عرضنا لبعض الحركات السلفية مثل: أهل الحديث في شبه القارة الهندية التي ظهرت تجديداً لدور أهل الحديث في شبه القارة الهندية، والذي ازدهر في الفترة من القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري وبخاصة في عهد السلطان محمود الغزنوي (ت٤٢١هـ).

وقد بدأت مسيرةَ الجهاد(*) ضد الاستعمار(*) الإنجليزي بقيادة الشاه محمد إسماعيل الدهلوي، كما اهتمت بالدعوة إلى الإسلام الصحيح وتنقية مفهوم التوحيد من أدران الشرك والوثنية، والقضاء على البدع(*) والخرافات ونبذ التعصب المذهبي. ولأهل الحديث آثار علمية مشهودة في مجالات خدمة الحديث والكتابة والتأليف وبناء المدارس والجامعات.

وجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر والسودان وغيرهما، والتي قامت على أسس المنهج(*) السلفي(*) في العقيدة والاتباع، إذ دعت إلى التوحيد الخالص واتباع السنة الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات، وتصدت لغلاة المتصوفة والحركات الباطنية والعلمانية والتغريب، مما كان لها الأثر الإيجابي في حسر تيار التصوف وبيان عواره وانتشار الدعوة إلى الكتاب والسنة على نهج السلف الصالح.

● ولما كان مصدرا العقيدة والشريعة الأساسيان هما الكتاب والسنة، وكانت غالب الدول الإسلامية التي سقطت في قبضة الاستعمار الفرنسي والإنجليزي قد خلعت رداء شرع الله، وطبقت الأنظمة والقوانين الوضعية(*)، وانحرفت عن هذين المصدرين الأساسيين، لذلك فقد قامت حركات إصلاحية تستهدف ـ أساساً ـ العمل بالشريعة الإسلامية(*) في شتى مناحي الحياة.

ومن هنا عالجنا تلك الحركات الإصلاحية الحديثة ممثلة في حركة(*) الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية بشبه القارة الهندية وحركة الاتجاه الإسلامي بتونس وحزب(*) السلامة الوطني بتركيا والحزب الإسلامي الكردستاني والجبهة(*) الإسلامية القومية بالسودان وحركة حماس أي (حركة المقاومة الإسلامية) في فلسطين والجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر.

ويلاحظ في هذا الصدد أمور منها:

ـ أن حركة(*) الإخوان المسلمين هي من الحركات الإسلامية المعاصرة التي تنادي بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسُّنة مع وجوب العمل بالشريعة الإسلامية(*) في واقع الحياة والتصدي للحركة العلمانية من خلال منهج متكامل.

ـ أن الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية والتي أسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي، تأثرت تأثراً كبيراً بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وتأثرت كذلك ببعض مناهج(*) حركة الإخوان المسلمين، من حيث النظر إلى أن العمل بالشريعة الإسلامية(*) هو أول الأولويات بعد الإيمان، إلا أنها لم تركز كثيراً على العقيدة والتوحيد كما ركزت عليهما الدعوة السلفية(*).

ـ أن حركة الاتجاه الإسلامي (حزب النهضة) بتونس تتبنى الكثير من المفاهيم الفكرية للإخوان المسلمين، بالإضافة إلى تأثرها الواضح بمنهج المدرسة العقلية في التاريخ الإسلامي.

ـ أن حزب السلامة (الرفاه) الوطني بتركيا حزب(*) إسلامي يهدف إلى إعادة بناء الحياة على أساس مبادىء الإسلام، إلا أنه يحول دون نشاطه الديني الحقيقي وقوف التيار العلماني أمامه؛ إذ إن أنظمة تركيا العلمانية لا تسمح بالترخيص لأي حزب(*) أو جماعة دينية، ولذا اختار هذا الحزب الطريق السياسي وسيلة لتحقيق أفكاره على أرض الواقع.

ـ كما أن الحزب الإسلامي الكردستاني تأثر بحركة الإخوان المسلمين، وله وجود خارج البلاد العربية.

ـ أن الجبهة(*) الإسلامية القومية في السودان تأسست جبهة واحدة ضد كل الأحزاب

الأخرى غير الإسلامية، وعلى الرغم من أنها منبثقة عن حركة الإخوان المسلمين إلا أنها استقلت عنها وقدمت اجتهادات كان بعضها محل انتقاد الإخوان المسلمين والسلفيين على حد سواء.

ـ كذلك فإن حركة حماس حركة جهادية فلسطينية خرجت من محاضن الإخوان المسلمين بفلسطين، ترفض الحلول السلمية للقضية الفلسطينية وتراها مضيعة للوقت، كما ترى أن أرض فلسطين وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التنازل عنها، أو التفريط بأي جزء منها.

ـ أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر نادت بالعودة إلى الإسلام باعتباره الحل الوحيد للإصلاح والقادر على إنقاذ الجزائر مما تعانيه من أزمات اجتماعية واقتصادية وغيرها. ومن هنا فإنها حركة(*) سلفية(*) في الجملة قد تأثرت بحركة الإخوان المسلمين في بعض تصورها.

ـ أن هذه الحركات لا تخلو من مآخذ منهجية ولكن ذلك لا يلغي ما لها من حسنات وإيجابيات.

● ولما كان يتبين مما تقدم أن الإسلام هو دين صفاء العقيدة وسمو الشريعة، وأنه في جوهره دين(*) بلا فرق ولا طرق، فإنه كان لا بد من تأكيد هذه الحقيقة وذلك بعرض موضوعات يتعين على المسلم أن يعي أبعادها. ولهذا فقد عرضنا للصوفية وبعض ما تفرع عنها من الطرق مثل: الشاذلية والتيجانية والسنوسية والختمية والبريلوية. والتصوف في بدايته كان دعوة لتربية النفس والسمو بها، وكان بذلك رد فعل للترف الحضاري، شأنه شأن الزهد، وإن كان الزهد أبسط وأيسر ولا علاقة له، من حيث الأصل، بالتصوف، الذي تطور بعد ذلك ونحا بالدين منحىً غير مقبول، إذ قسَّم الصوفيةُ الدين إلى شريعة وحقيقة، وقالوا إن الشريعة هي الظاهر من الدين، وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، أما الحقيقة فهي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار، وغير ذلك من أمور يمكن الوقوف عليها من قراءة الموضوع.

ـ أما السنوسية فهي، وإن كانت قد تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، إلا أنها نحت نحو الصوفية شبه الصحيحة الخالية من البدع والخرافات كالتوسل بالأموات والصالحين، ولها في هذا الصدد منهج(*) متكامل، ولكن السنوسي أخذ من الصوفية أساليب البيعة(*) ودرجات التزكية الروحية مثل درجة المنتسب ثم درجة الإخوان ثم درجة الخواص، وهي بلاشك أساليب ووسائل مبتدعة.

ـ وأما الشاذلية فهي طريقة صوفية بحتة، وتشترك مع كل الطرق الصوفية في كثير من أفكارها ومعتقداتها، شأنها في ذلك شأن التيجانية، وإن كانت التيجانية تذهب إلى إمكان

مقابلة النبي(*) ﷺ مقابلة مادية في الحياة الدنيا. وكذلك شأن الختمية التي غلت في شخص الرسول(*) ﷺ غلوًّا كبيراً.

- أما البريلوية التي نشأت في شبه القارة الهندية إبان الاستعمار الإنجليزي، فقد زاد غلوهم في الأنبياء والأولياء، وبخاصة في شخص النبي محمد ﷺ.

- ثم عرضنا لبعض جماعات الدعوة المتأثرة بالصوفية كالديوبندية والمهدية في السودان وجماعة التبليغ في الهند والنورسية في تركيا بفكرتها المتقدمة.

● ثم عالجنا، من الجماعات الغالية: جماعة المسلمين كما تطلق على نفسها أو التكفير والهجرة حسب التسمية الإعلامية، وهي جماعة نشأت ردًّا على الاضطهاد والتعذيب داخل السجون المصرية، ثم كثر أتباعها في صعيد مصر وبين طلبة الجامعات. وهذه الجماعة تُكفِّر كل من ارتكب معصية وأصر عليها ولم يتب منها، كما تُكفِّر(*) الحكام؛ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، وتُكفِّر المحكومين؛ لأنهم رضوا بهؤلاء الحكام، وتكفِّر علماء الدين؛ لأنهم لم يكفِّروا الحكام والمحكومين وهكذا.

● ثم تناولنا، بعض الجماعات التي تدعو لإحياء الخلافة(*) الإسلامية وهي الجماعة الإسلامية بمصر وحزب التحرير الإسلامي. فالجماعة الإسلامية نشأت في جمهورية مصر العربية لتدعو إلى الجهاد(*) إذ تعده الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين اليوم، وذلك من أجل إقامة الدولة الإسلامية ثم الخلافة الإسلامية.

كما يدعو حزب التحرير، أيضاً، إلى إقامة الخلافة الإسلامية، ولكن صدرت عن هذا الحزب الذي تأسس في فلسطين اجتهادات شرعية عديدة كانت محل انتقاد جمهور علماء المسلمين.

● ثم عرضنا أمة الإسلام في الغرب، كمثال للجماعات العنصرية، وهي حركة ظهرت بين السود في أمريكا وتبنت الإسلام بمفاهيم خاصة غلبت عليها الروح العنصرية، وقد بدأت هذه الحركة(*) تصحح من معتقداتها مؤخراً.

● ثم تناولنا، أهمَّ الحركات الباطنية(*) والمناوئة للإسلام: اليزيدية والقرامطة والإسماعلية والأنصار والبابية والبهائية والبريلْوية والحزب الجمهوري والحشاشين والدروز والقاديانية وأمل والنصيرية، والخمينية، وكلها تشترك في الكيد للإسلام الصحيح والرغبة في القضاء عليه.

● ثم تناولنا، بعض المذاهب(*) السياسية غير الدينية وهي أحزاب(*) موجودة في بلاد المسلمين، ويشفع لنا بوضعها ضمن هذا الباب أن غالبية المنتمين إليها مسلمون، وأن رياح

الصحوة بدأت تهب على بعض قطاعاتها خصوصاً بعد سقوط الشيوعية، وفيما يلي عرض لأهم هذه الأحزاب:

ـ القومية العربية: وهي حركة(*) سياسية متعصبة تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موحدة لهم تقيم روابط الدم والقرابة واللغة والتاريخ مقام رابطة الدين(*).

ـ حزب الوفد المصري: وهو حزب شعبي مصري ليس له توجه ديني معين. وكان يمثل حزب الأغلبية قبل ثورة ١٩٥٢م وهو الآن حزب معارض يتخذ اسم الوفد الجديد، وقد كان مؤسسوه الأوائل، لا سيما سعد زغلول، علمانيِّي النزعة، ومن أنصار تحرير المرأة بالمعنى المعروف في الغرب، ولم يقدم الحزب أي تصورٍ عقديٍّ له.

ـ حركة تحرير المرأة: وهي حركة علمانية نشأت في مصر وانتشرت في كثير من البلاد الإسلامية داعية إلى تحرير المرأة من الآداب الإسلامية، وسفورها والتمرد على الأحكام الشرعية، ومن ثم المطالبة بتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات والمساواة في الميراث ومجاراة المرأة الغربية في كل شيء. ويشاء الله سبحانه وتعالى أن تفرض العقيدة الإسلامية نفسها، فتنمو الفضيلة من خلالها، وتعود المرأة في كل معاقل تلك الحركة إلى الإسلام، وتحدث المفاجأة وهي أن بعض الأقلام تتصدى لهذه العودة إلى الحق وتصفها بالرجعية، ويبقى للقارىء أن يحكم على تلك الأقلام بعد أن يطالع أبعاد هذه الحركة المنهارة.

ـ الحزب الديمقراطي الكردستاني: وهو على العكس من حزب السلامة الوطني التركي، يعد حزباً علمانياً اشتراكياً، ويهدف إلى تحقيق الحرية والحكم الذاتي للشعب الكرديِّ ضمن الدولة الإيرانية.

ـ الحزب القومي السوري: وهو حزب(*) يدعو إلى القومية السورية واعتبارها مستقلة عن القومية العربية، ويحارب رجالاتُ هذا الحزب الدين بكل قواهم.

ـ البانتشاسيلا: وهي مبادىء خمسة أعلنها الرئيس الإندونيسي السابق سوكارنو غداة الاستقلال سنة ١٩٤٥م ووضعت في دستور دولة إندونيسيا ليسير على هديها الشعب الإندونيسي المسلم بدلاً من العقيدة الإسلامية.

ـ حزب البعث العربي الاشتراكي: هو حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجُّه الاشتراكي بمنأى عن كل فكر إسلامي.

ـ الناصرية: وهي حركة قومية عربية، نشأت في ظل حكم جمال عبد الناصر واشتقت اسمها من اسمه وتبنت أفكاره وهي الحرية(*) والاشتراكية والوحدة وهي نفس أفكار الأحزاب اليسارية العربية الأخرى.

الفصل الثاني

الإســـلام

● الإســـلام ● عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة

١ـ الإســـلام

التعريف:

● الإسلام لغة هو الاستسلام والانقياد والخضوع.

● أما في الاصطلاح فهو الدين(*) السماوي الخاتم الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء، وبعث به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ لهداية الثقلين: الإنس والجن، وتوحيده سبحانه وتعالى توحيداً خالصاً في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإذعان لمشيئته عن رضا واختيار، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده، من خلال إخلاص العقيدة، والتمسك بمكارم الأخلاق(*)، ومراقبة الله في العبادات، وذلك إقامةً لأركان الإسلام الخمسة، وإعمالاً لأركان الإيمان الستة وتمسكاً بجوهر الإحسان.

أبرز الشخصيات:

أساسيات

ـ الإسلام هو الدين السماوي الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسله، ومن أجل عبادته سبحانه خلق الثقلين: الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: ٥٦].

ولبيان ذلك للناس أرسل الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]. ولما ضل الناس وحرفوا كتبهم وغلوا في أنبيائهم، وأشركوا بالله، بعث الله محمداً، ﷺ، بهذا الدين المتين، الذي ارتضاه الله تعالى لكل البشرية إلى يوم الدين، وجعله الدين الحق عنده ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾. [آل عمران: ١٩]. والناسخ لما سواه، فلا دين سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

المُبلِّغْ:

ـ ومحمد بن عبد الله ﷺ: هو الذي بلغ بأمانةٍ، رسالة الإسلام في صورتها الخاتمة، ونشر عقيدة التوحيد، وطبق شريعة الإسلام، فنقل الناس من الظلمات إلى النور وأخرجهم من الضلالة إلى الهدى، وأنقذ البشرية من براثن الشرك والوثنية(*)، وطهَّر المجتمع من أدران التحلل والفساد، ونشر الأمن وقمع الفوضى والاضطراب.

ـ والإسلام بمعناه العام هو دين(*) أنبياء الله تعالى ورسله كافة، فقد دعوا الخلق إلى عبادة الله الواحد القهار، وبلغوا رسالات الله، وكان هدفهم هداية الناس إلى الصراط المستقيم، وذكروهم بالنشأة والمصير، وحوَّلوا اهتمامهم من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، حتى جاء محمد ﷺ بالمنهج(*) الشامل والكامل لهداية الناس إلى يوم القيامة.

ـ والمسلم لا يكون مسلماً حقاً إلا إذا آمن بجميع أنبياء الله وملائكته وكتبه ورسله، وبأن الأديان السماوية كلها دعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وأن الأنبياء جميعاً أول العابدين لله، فهذا كان هدفهم ومحور دعوتهم، من لدن نوح عليه السلام إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾. [الشورى: ١٣]. وأتى محمد ﷺ ليكون نبراساً ينير للأمة طريقها، ومشعلاً ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. [المائدة: ١٦]. وهو صراط الفلاح والصلاح والنجاة، ولذا فإن الإسلام يستلزم بناء سياستنا وأحكامنا وأخلاقنا وآدابنا على هدي الكتاب والسنة بلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾. [الأنعام: ١٥٣].

● نبذة عن بعض جوانب العظمة في شخصية النبي(*) محمد ﷺ

لا يتسع المجال هنا للحديث عن سيرة النبي محمد ﷺ، ولكنا نشير إلى بعض المعالم التي تلقي الضوء على بعض جوانب العظمة في حياته ﷺ.

ـ فقد وُلِد ﷺ عام ٥٧١م، والمشهور أن أبا الرسول(*) ﷺ تُوفِّي وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ في بطن أمه، وأن أمه توفيت ولم يناهز السادسة من عمره، وقد أرضعته حليمة بنت الحارث السعدية، وبذا فقد رعاه الله تعالى، وهيأه لأن يكون ـ على الرغم من أميته ـ من أفصح

الخلق، وأخرج من صدره العلقة السوداء، وهي حظ الشيطان منه ليكون عبداً رسولاً ربانيا خالصاً لله سبحانه.

ـ وقد كان ﷺ يرعى الغنم في طفولته في بادية بني سعد، وقد عصمه الله مما كان يعمله أهل الجاهلية من عبادة الأوثان وسماع الغناء وغيره. وقد حضر حرب الفجار وكان ينبل لأعمامه، وشهد حلف الفضول، وخرج للتجارة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها، فربحت تجارتها معه ضعف ما كانت تربح، وقضى بين قريش عندما اختلفوا في بناء الكعبة، فوضع الحجر الأسود في ثوب وطلب من كل قبيلة أن تأخذ بناحية منه ثم رفع الحجر الأسود بيده وبنى عليه.

ـ وظاهرة بشارة أهل الكتاب برسول الله ﷺ بلغت حد التواتر، ولذا فإن تحريف التوراة(*) والإنجيل(*) لإخفاء نبوته كان تأكيدا لرغبة أتباع هاتين الديانتين في عدم ظهور عقيدة التوحيد مرة أخرى، وكان انتصار الإسلام وعقيدة التوحيد تأكيدا لصدق رسالته ﷺ. ومع ذلك فإن القراءة المدققة تكشف عن جوانب من هذه البشارة في التوراة والإنجيل الموجودين اليوم.

ـ وتتمثل بعض جوانب العظمة في حياة النبي محمد ﷺ فيما يلي:

١ ـ حفظ الله تعالى له ﷺ منذ طفولته وعصمته إياه، إذ كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأكثرهم أمانة، وأبعدهم من الفحش؛ لذلك سُمِّي في قومه: «الأمين»، وهكذا لم يكن يُتْمُه مدعاةً لخروجه عن سواء السبيل، ولا شبابه دون أب يرعاه سبباً في انقياده لرغبة أو هوى أو شهوة، بل رعاه الله فتزوج في الخامسة والعشرين من سيدة فاضلة هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

٢ ـ محافظته بعد بعثته وهو في الأربعين من عمره على كل ما يلزم الاقتداء به فيه من حيث اعتقاداته وأفعاله وأقواله وأخلاقه. وعندما أُمر بتبليغ ما أنزل إليه بعد ثلاث سنوات من نبوته قام يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وعندما أُوذي صبر على الأذى حتى أذن الله له بالهجرة(*) إلى المدينة المنورة، فجعلها ـ بعد هجرته مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ مركز دعوته، إذ بدأ نشر الإسلام في ربوع العالم.

٣ ـ إجراء الله على يديه ﷺ معجزات ذكرها القرآن وكتب الحديث والسيرة منها: معجزة(*) الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتآكل صحيفة قريش، ورد عين قتادة، وغوص قوائم فرس سراقة بن مالك في الرمال، وتحطيم صخرة الخندق، وحديث الشاة

المسمومة، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، والبعير الشاكي، وتكثير الطعام، والبلاغة والفصاحة المتناهية على الرغم من أميته. وأما معجزته الخالدة فهي القرآن الكريم الذي لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. وقد ضمن الله حفظه من كل تغيير أو تحريف حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. [الحجر: ٩].

٤ ـ تربيته ﷺ أتباعه من المهاجرين والأنصار على الإخلاص لدين الله والتفاني في نصرته والجهاد في سبيله، فخاضوا معه غزوات أهمها: غزوة بدر وأُحُد وبني النضير وخيبر وبني المصطلق والأحزاب والخندق وفتح مكة.. الخ، وكلها كانت حروباً عادلة، فقد كانت إمَّا ردًّا على عدوان أو دعوة إلى التوحيد ولم يحدث فيها أيُّ اعتداء على كرامة أيِّ إنسان.

وقد توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ هـ وله من العمر ٦٣ عاماً.

وقد اعترف بعظمته ﷺ كثيرٌ من الباحثين من غير المسلمين والمستشرقين المنصفين وأدلوا بشهادات لا تحصى ولا تعد سجلها التاريخ، وكلها تؤكد أن الإنسانية لم تر له مثيلا. ولعل من أحدث ما كتب في هذا المضمار ما سجله عالِم الذرة الأمريكي مايكل هارث في كتابه «الخالدون مائة»، إذ وضع محمداً ﷺ في هذه المجموعة كأعظم رجل عرفته البشرية في تاريخها، قائداً دينياً ودنيوياً لا نظير له، إذ يقول: «فلا عيسى ولا ماركس وإنما هو محمد الذي تبوأ سيرة أعظم رجل في التاريخ الإنساني».

● الخلفاء الراشدون

ـ الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة والمؤسسون الأولون للدولة الإسلامية ومنفذو هدي رسول الله ﷺ وهم:

١ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (١١ ـ ١٣ هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤م)

خلف رسول الله ﷺ بعد أن بايعه المسلمون في سقيفة بنى ساعدة. ومن أهم أعماله: محاربة المرتدين، وجمع القرآن الكريم، وإنفاذ حملة أسامة بن زيد وتوجيه الجيوش لفتح بلاد العراق وبلاد الشام، ولكن المنية عاجلته إذ لم يستمر في الخلافة(*) سوى سنتين وثلاثة أشهر.

٢ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (١٣ ـ ٢٣ هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤م)

أوصى أبو بكر الصديق له بالخلافة من بعده وتم في عهده: الانتصار على الفرس بقيادة سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، وفتح فلسطين ومصر على يدي عمرو بن العاص.

وقد أنشأ عمر رضي الله عنه نظام الخراج ورتب الدواوين ووضع التاريخ الهجري وأنشأ المدن ونظَّم الولايات، وعين القضاة وأنشأ نظام الحسبة والبريد.

وقد طعنه أبو لؤلؤة المجوسي بخنجر في المسجد وهو يصلي بالناس صلاة الفجر. وكانت وفاته رضي الله عنه في ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ الموافق ٣ نوفمبر سنة ٦٤٤م.

٣ ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه: (٢٣ ـ ٣٥ هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦م)

تولى الخلافة(*) بعد عمر بن الخطاب وفي عهده تم القضاء على الثورات(*) المعادية للإسلام، واستمر التوسع في الفتوحات الإسلامية، إذ غزا عبد الله بن أبي السرح والي مصر شمال إفريقيا وتخطت جيوش المسلمين نهر جيحون ودخلت بلاد ما وراء النهر على يد عبد الله بن أبي عامر.

وفي عهده تأسس أسطولٌ إسلامي فتح به المسلمون قبرص ورودس وهزموا البيزنطيين في معركة ذات الصواري سنة ٣١هـ (٦٥٢م).

عهد إلى زيد بن ثابت بكتابة المصحف فجمع المسلمين على وجه واحد في قراءة القرآن الكريم.

قُتل على يد بعض الخارجين من البصرة والكوفة ومصر بتحريض من اليهودي عبد الله ابن سبأ في ذي الحجة سنة ٣٥هـ الموافق (يونيو ٦٥٦م).

٤ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (٣٥ ـ ٤٠هـ/ ٦٥٦ ـ ٦٦١م).

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان وبدأ بعزل الولاة الذين كانوا مثار الفتنة، كما رد القطائع والهبات إلى بيت المال، فعارضه معاوية بن أبي سفيان فحدثت فتنة وخرج عليه من يعرفون بالخوارج وجرت معارك أهمها موقعة صفين والنهروان، وقد قتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ. بعد أن أمضى أربع سنوات وتسعة أشهر في الخلافة(*) ودفن بالكوفة.

بعض قادة الفتح الإسلامي

● ومن أشهر القادة المسلمين:

ـ **خالد بن الوليد**: الذي تجلت عبقريته في غزوة مؤتة ولقبه الرسول(*) ﷺ بسيف الله، وقد حارب المرتدين وانتصر عليهم، ثم وجهه أبو بكر للقتال في العراق فصالح أهل الحيرة وفتح السواد، ثم خلَّف على العراق المثَّنى بن حارثة. وسار إلى الشام وانتصر على البيزنطيين

في معركة اليرموك وتوفي في حمص.

- **أبو عبيدة بن الجراح**: أخضع دمشق وحمص وأنطاكية وحلب.
- **سعد بن أبي وقاص**: فتح فارس واختط مدينة الكوفة.
- **عقبة بن نافع الفهري**: بنى القيروان ووصلت فتوحاته للمحيط الأطلسي.
- **موسى بن نصير**: أتم فتح الشمال الأفريقي وأرسل طارق بن زياد لفتح الأندلس ولحق به، وقد بلغ جبال البرينيه.
- **قتيبة بن مسلم الباهلي**: وقد وصل في فتوحاته شرقاً إلى حدود الصين.
- **محمد بن القاسم الثقفي**: هدى الله على يديه بلاد السند.
- **صلاح الدين الأيوبي**: هزم الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) وحرر بيت المقدس.
- **الظاهر بيبرس البندقداري**: قاد الحملة التي سيرها السلطان المملوكي قطز ضد التتار وانتصر عليهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م).
- **محمد الفاتح**: فتح القسطنطينية سنة ٨٥٨هـ - ١٤٥٣م.

من أهم الشخصيات الإسلامية

- الإسلام دين(*) علم وحضارة، ومن أهم الشخصيات ذات الدور البارز في هذا الصدد:

١ - **في الفقه**: الإمام أبو حنيفة، وتوفي سنة ١٥٠هـ، والإمام مالك، وتوفي سنة ١٧٩هـ، والإمام الشافعي، وتوفي سنة ٢٠٤هـ والإمام أحمد بن حنبل، وتوفي سنة ٢٤١هـ، وهم مؤسسو مذاهب(*) أهل السنة(*) الأربعة التي بقيت بعد اندثار عشرات من مذاهب أهل السنة الأخرى.

ومن الشخصيات الإسلامية الأخرى في هذا المجال ابن حزم، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتليمذه ابن القيم، وغيرهم. وقد أسهموا جميعاً في إثراء الفقه الإسلامي استنباطاً من الكتاب والسنة، وفقاً لمفاهيمهم وترجيحاتهم. ومن أهم فقهاء الحركات الإصلاحية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الذي عاد إلى الأصلَيْن الأساسيَّيْن وهما الكتاب والسنة في كل ما ذهب إليه من فكر لإصلاح شأن المسلمين، وقمع الشركيات وحارب البدع(*) وأعاد الدين إلى صفاء عقيدة التوحيد.

٢ - **في التفسير**: في صدر الإسلام علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن

عمر وعبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت، وفي عهد التابعين سعيد بن جبير بن هشام الكوفي وجابر بن يزيد الجعفي ومجاهد بن جبر المكي وعطاء بن أبي رباح وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني، ثم سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وإسحاق بن راهويه وغيرهم من رجال الحديث.

ومن أشهر التفاسير تفسير محمد بن جرير الطبري المعروف بـ (التفسير الكبير) ثم تفسير ابن ماجه وتفسير النيسابوري وتفسير القرآن العظيم لابن كثير وغير ذلك.

٣ ـ **في الحديث والسنن**: كان أكثر من روى عن رسول(*) الله ﷺ أحاديثه، أبو هريرة رضي الله عنه، والسيدة عائشة رضي الله عنها، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ثم أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ومن أشهر كتب الحديث **(الجامع الصحيح)** للإمام البخاري و(**صحيح الإمام مسلم**) **وموطأ الإمام مالك بن أنس ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه وسنن الترمذي** وغير ذلك.

٤ ـ **في اللغة العربية**: أبرز واضعي علم النحو أبو الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد وسيبويه.

وفي الأدب: يُعد حسان بن ثابت من أشهر شعراء المسلمين في عصر الرسول ﷺ، وفي العهد الأموي نبغ جرير والفرزدق والأخطل، وفي العصر العباسي نبغ أبو تمام والبحتري وأبو العلاء المعري وابن الرومي والمتنبي، وفي النثر نبغ كثيرون مثل: عبد الحميد بن يحيى وعبد الله بن المقفع والجاحظ.

٥ ـ **في العلوم الاجتماعية**: تناول محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٢٠هـ **سيرة الرسول**، وتناول البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ **فتوح البلدان**، وتناول الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ **تاريخ الأمم والملوك**، وكتب أبو الفداء المتوفى سنة ٣٢٠هـ كتابه **المختصر في تاريخ البشر**، وكتب المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ كتاب **مروج الذهب**، وكتب ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ كتابه **الكامل في التاريخ**، وكتب ابن خلدون **مقدمته** الشهيرة لكتابه **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**.

وألَّف في علم الجغرافيا ياقوت الحموي صاحب كتاب **معجم البلدان**، والإدريسي صاحب **نزهة المشتاق**، والخوارزمي صاحب كتاب **صورة الأرض**. ويعد المسلمون أول من وضعوا فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

٦ ـ **في العلوم الطبيعية**: نبغ جابر بن حيان في الكيمياء، وموسى بن شاكر والبيروني وعباس بن فرناس في علم الميكانيكا، والكندي والحسن بن الهيثم والبيروني في علم الفيزياء.

٧ ـ **في الرياضيات**: نبغ الخوارزمي في علم الجبر، والحسن بن الهيثم ومحمد البغدادي في الهندسة. ونصير الدين الطوسي في حساب المثلثات.

٨ ـ **في علم الفلك**: نبغ فيه محمد بن إبراهيم الفزاري وأبو الريحان البيروني وعمر الخيام.

٩ ـ **في علم الطب والصيدلة**: اشتهر مجموعة من العلماء على رأسهم: ابن سينا والرازي وغيرهما، كما برز علماء في فن العمارة والزخرفة وصناعة الخزف والقيشاني والزجاج والتطعيم بالصدف أو العاج.

ـ وهكذا نرى أن الحضارة الإسلامية أينعت وازدهرت وآتت أكلها على مر التاريخ، وكان للمسلمين إسهامهم البارز في تقدم الحضارة البشرية، وكان لمبادىء الحضارة الإسلامية أثر كبير في حركات الإصلاح الفكرية التي قامت في أوربا منذ القرن السابع حتى عصر النهضة(*) الحديثة، وفي تفتح أذهان الشعوب في الغرب على مبادىء الإسلام الخالدة. وكانت الجامعات الأوربية تعتمد على كتب العلماء المسلمين التي ترجمت إلى اللاتينية. وقام العلماء المسلمون بتدريس العلوم والفلسفة في مساجد إشبيلية وقرطبة وغرناطة. وغدت كتب العلماء المسلمين تدرس في جامعات أوربا. وهكذا الشأن بالنسبة لكثير من العلوم والآداب التي انتقلت للغرب عن طريق الأندلس، ولذا فإن الإسلام، وبحق، كان دين(*) الحضارة والمدنية العاقلة المستنيرة بنور الله.

أهم الأفكار والمعتقدات:

● الدين الإسلامي هو دين التوحيد الخالص، وحول عقيدة التوحيد تدور الأفكار والمعتقدات كافة وتتجلى أهم الأفكار والمعتقدات الإسلامية فيما يلي:

ـ أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان:

١ ـ أركان الإسلام:

بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

(أ) **فالشهادتان**: تستهدفان توحيد الله بإخلاص العبادة له والبراءة من عبادة كل ما سواه والإقرار للنبي(*) محمد ﷺ بالرسالة. والنطق بالشهادتين هو المفتاح الذي يدخل به الإنسان في الإسلام وتجري عليه أحكامه، والشهادة بوحدانية الله تتضمن كمال العقيدة في الله من جهة الربوبية والألوهية، أو العبادة والأسماء والصفات.

(ب) **والصلاة**: عبادة بدنية فرضها الله تعالى على المسلم في اليوم والليلة خمس

مرات، وصلة بين العبد وربه لتهذيب النفس ووقايتها من الفحشاء والمنكر وتطهيرها من غرائز الشر، والنأي بها عن الغيِّ والضلال والخلود في النار. وفي الصلاة يخلص المؤمن من دنياه ويتفرغ لربه بالتكبير والمناجاة وطلب المعونة والهداية. والأصل في تطبيقها على الوجه الصحيح قوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**». والصلاة سبيل لتعارف المسلمين ووحدتهم، إذا امتثل المسلمون لأوامر الدين ولم يفرطوا في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين وغير ذلك.

(جـ) والزكاة: عبادة مالية، يمد فيها الغني يده للفقير، بما يسد حاجته. وهي فرض على الغني فيما زاد من ماله على حاجته وحاجة من ينفق عليهم إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول، وذلك من ماله النقدي ومواشيه وثماره وزروعه، وقيم أعيانه التجارية بنسب محددة تفي بحاجة الفقير ولا ترهق الغني. وزكاة النقود والتجارة تؤدى في كل عام مرة، بينما تؤدى زكاة الزرع في كل زرعة، وهذه الفريضة تقي الأغنياء شر الطغيان المالي المفسد وتشفي صدور الفقراء من كل حقد وحسد.

(د) وصوم رمضان: هو الركن الرابع من أركان الإسلام، له مظهر مادي هو حرمان الإنسان نفسه من الطعام والشراب والجماع، من الفجر وحتى غروب الشمس طيلة شهر رمضان طاعة لله عز وجل واتباعاً لرسوله(*) ﷺ. وله مظهر معنوي هو غرس خلق المراقبة في الذات وتثبيت الصبر في الصدور، فتصدق النية وتقوى العزيمة، ويزكو القلب وتصفو النفس وتتهذب الروح ويصبح الإنسان منبعاً فياضاً للخير.

(هـ) وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً: هو الركن الخامس من أركان الإسلام الذي ينتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله، ويقوم به المستطيع من المسلمين في زمن معلوم إلى أمكنة معلومة، امتثالا لأمر الله، وابتغاء مرضاته مع التجرد من الثياب المخيطة ومن صنوف الزينة والترف وغرائز البدن، وعدم التعدي بالأذى على الإنسان وحتى الحيوان والنبات. والأصل في القيام بأركانه وواجباته وغير ذلك قوله ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**». والحج مؤتمر إسلامي كريم فيه يتشاور المسلمون ويتعارفون ويتعاونون.

٢ ـ الإيمان:

وهو درجة أعلى في سلم هذا الدين المتين يرقاها المسلم كلما تعمق الإسلام في قلبه، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء من شعب الإيمان، وللإيمان أصول محددة وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر(*) خيره وشره. وخير دليل على الإيمان هو ما يقوم به العبد من أعمال

صالحة ولهذا يجمع الله عز وجل في كثير من الآيات القرآنية بين الإيمان والعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧].

٣ ـ والإحسان:

وهو أعلى المراتب في هذا الدين المتين إذ يراقب العبد تصرفاته وعبادته بنفسه كما لو كان يرى الله سبحانه وتعالى، فإن لم يكن الإنسان يستطيع أن يستشعر ذلك، فلا أقل من أن يدرك أن الله تعالى مطلع على كل أعماله وتصرفاته واعتقاده، فالإحسان هو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ـ العقيدة والشريعة(*):

وقد ضبط الإسلام الأحكام الاعتقادية ضبطاً يبلور عقيدة التوحيد، وأفسح مجالاً رحباً للأحكام الخلقية التي هي أساس صلاح نفوس العبيد، وصاغ الأحكام العملية صياغة تستجيب لها فطرة كل من كان له قلب واع مبصر، وكل ذلك في ظل استبعاد الشركيات بنور التوحيد وسد كل ذريعة أمامها، وتأكيد الوسطية، ونفي الوساطة وفتح الباب أمام الاتصال المباشر بالله، وتكريم الإنسان بالعقل، ودفعه إلى سبيل الجهاد(*) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعمال الشورى. وفي ظل أسس مهمة: كنفْي الحرج ويسر التكاليف والتدرج في الأحكام ومسايرة مصالح الأنام وتحقيق العدالة، وكل ذلك إنقاذاً للبشرية مما لحق الكتب السماوية السابقة من تحريف، والأديان(*) السابقة من الغلو(*) أو التفريط الذي فتح الباب أمام تيار زعم تعدد الآلهة(*)، وما ترتب على ذلك من تجاهل لقيمة العقل(*) والنقل والحكمة من خلق الجن والإنس.

ـ القرآن والسنة:

القرآن والسنة هما المصدران الرئيسان للتشريع لا يجوز الحيدة عنهما إلى القوانين الوضعية(*) بحال من الأحوال وكل شخص يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ.

ومن الثابت أنه لا يجوز مخالفة ما أجمع عليه علماء الأمة إذ لا تجتمع أمة محمد على ضلالة. كما أن الاجتهاد(*) في ظل الكتاب والسنة والإجماع(*) من أصول الحكم في الإسلام على ما يفيده حديث معاذ بن جبل الصحيح عندما أرسله ﷺ قاضياً إلى اليمن.

ـ من سمات الإسلام وأسسه:

١ ـ **ومن سمات الإسلام**: أنه دين(*) إلهي سماوي، يتسم بالشمولية والواقعية والإيجابية وتحقيق التوازن في كل شيء. وهو دين الاتصال المباشر بالله فلا كهنوت في الإسلام الصحيح ولا توسل، وهو دين تحقيق المصالح المتجددة، وتأكيد الأخوة الإنسانية،

والمساواة والنهي عن التواكل، وإرساء قواعد الحق والعدل والمساواة والإخاء والتعاون والشورى وتأمين حقوق الإنسان وتأكيد العمل والأمن لكل فرد. وهو دين احترام كرامة الإنسان والنهوض بآدمية المرأة والدعوة إلى مكارم الأخلاق والأمر بالوفاء بالعهود والعقود، واحترام حقوق غير المسلمين. وهو دين العلم ونبذ الخرافة والجهل ودعوة المسلمين إلى التمسك الأبدي بعقيدتهم وعدم نقضها بأي ناقضة من نواقض الإسلام.

٢ ـ ومن أسس التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة:

(أ) أن كُنه الذات الإلهية في الإسلام يحددها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] والله ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣] فلا يشاركه أحد في وجوده. والله هو الباقي فلا يشاركه أحد في بقائه، والله ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فلا يشاركه أحد في سلطانه، و﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢]. فلا يشاركه أحد في رزقه ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦]. فلا يشاركه أحد في علمه، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] فلا يماثله أحد في مقامه، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾؟ [الشورى: ٢١] فلا يشاركه أحد في التشريع للناس... وهكذا في كل خاصية من خصائص الألوهية.

(ب) والإنسان عبد لله مخلوق في هذا الوجود، مسير في بعض شؤونه ومخير في بعضها. عبد لا يشارك الله في حقيقة ولا خاصية.. وليس كما تقول الكنيسة(*) عن المسيح(*) ـ عليه السلام ـ أن له طبيعة لاهوتية(*) صافية، أو لاهوتية ناسوتية(*)، على اختلاف المذاهب(*) والتصورات.

(جـ) والحاكمية في المنهج الإسلامي لله... وليست لحزب(*) ولا لشعب وما لها إلا أن يكونا منفذين لمنهج الله.

(د) والمنهج الإسلامي منهج(*) شامل متكامل، بمعنى أن الإسلام ليس تصوراً عقديًّا فحسب ولا دينا روحيًّا وكفى... ولا نظاماً اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا فقط، ولكنه منهج حياة يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة ويمتد إلى كل جانب من جوانبها.

(هـ) ولقد جعل الإسلام الوجود الإنساني في الكون لهدف سام وغاية كريمة هي العبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. [الذاريات: ٥٦].

(و) والناس جميعاً من أصل واحد مبدأ ومنتهى ومن ثم فهم ـ من هذه الناحية ـ متساوون، والقيمة الواحدة التي يتفاضلون بها هي التقوى والعمل الصالح ولا اعتبار لأية قيمة أخرى من نسب أو مال أو مركز أو طبقة أو جنس... أو غيرها من القيم الأرضية.

(ز) والإسلام يكرس الثوابت، ويعترف بالمتغيرات في حياة الإنسان: فالعقيدة والأخلاق(*) المنبثقة منها هي الثوابت التي لا يعتريها التغيير، أما المعاملات المالية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فقد تتغير تبعاً لتغير الزمان والمكان، وقد أوكل رسول الإسلام ﷺ حلها إلى الناس (أنتم أدرى بأمور دنياكم) ضمن إطار الشرع الحنيف ومقاصد الإسلام.

(ح) وتتمثل الواقعية الإسلامية في تقدير ظروف الإنسان وعدم تحديد شكل معين لنظام الحكم، والاكتفاء بالإلزام بالشورى وفتح باب الاجتهاد(*) في غير الأحكام القطعية.

(ط) كل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله ولم يسنه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع(*).

(ي) الدنيا دار ابتلاء وعمل، والآخرة دار جزاء، وأن مرد الأمور كلها إلى الله، والحياة في هذه الأرض مرحلة محدودة وما يقع للإنسان ليس نهاية المطاف وإنما هناك يوم آخر يجزى فيه على الحسنة وعلى السيئة.

(ك) طريق المسلم واضح محدد مستقيم، وهو أن ينهض بالتكاليف الواضحة ـ ما استطاع ـ وأن يجتنب النواهي المحددة كما نُهي، وأن يشتغل بمعرفة ما أمر الله به وما نهى الله عنه، ولا يبحث في شيء وراءهما من أمر الغيب المحجوب عن إدراكه المحدود. وبهذا يقطع الإسلام التعطيل(*) والإرجاء(*) والسلبية، أو الإحالة على مشيئة الله في المعصية.

(ل) والإنسان له تركيبه الخاص من لحم ودم وأعصاب وعقل ونفس وروح، ولديه نوازع ورغائب وضرورات، وهو عرضة للوقوع في المعصية وارتكاب الآثام والذنوب. ولكن باب التوبة مفتوح أمامه إلى أن يغرغر.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● شع نور الإسلام من غار حراء بمكة المكرمة في قلب الجزيرة العربية في ليلة من ليالي رمضان، ولم يمض سوى ربع قرن على بدء الرسالة العظيمة حتى تكونت الدولة الإسلامية الأولى على أيدي الصحابة الأبرار الذين لم يشهد التاريخ لهم مثيلاً في رسوخ العقيدة والحماس للدعوة والجهاد(*) في سبيلها والعمل على تبليغها للناس كافة.

● وبدأ الرسول(*) ﷺ، يفكر في فتح آفاق جديدة لنشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، فأرسل رسلاً من قِبَله إلى هرقل إمبراطور الروم وكسرى الثاني ملك الفرس والنجاشي ملك الحبشة والحارث بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة وشرحبيل الغساني حاكم البلقاء . . . ودعاهم جميعاً إلى اعتناق الإسلام.

● وفي عهد الخلفاء الراشدين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بفتح العراق وبلاد فارس وخراسان وسجستان شرقاً، وبلاد الشام شمالاً، ومصر وليبيا وتونس ومراكش غرباً، وبلاد النوبة والسودان جنوباً.

● وفي عهد الدولة الأموية تم فتح الأندلس وجنوب فرنسا غرباً، وبلاد السند وما وراء النهر وأطراف الصين شرقاً.

● وفي عهد الدولة العباسية تم اختراق آسيا الصغرى والتوغل فيها واقتطاع أجزاء كبيرة من الدولة البيزنطية، وفتحت قبرص وواصل المسلمون الزحف حتى دخلوا البر الإيطالي والتقوا بالروم وانتصروا عليهم.

● وفي عهد العثمانيين تم فتح القسطنطينية وأجزاء من بلاد البلقان وألبانيا وجزيرتي رودس وكريت وبلاد المجر.

● وعن طريق الدعاة والتجار انتشر الإسلام في كثير من أصقاع الأرض.

وهكذا نرى أن الإسلام شق طريقه إلى معظم أقطار المعمورة حتى أصبح الدين الثاني بعد النصرانية(*) من حيث عدد معتنقيه، وبلغ تعداد المسلمين ١,٢ بليون نسمة وفقاً لإحصائيات الأمم المتحدة(*)، يعيش منهم نحو تسعمائة مليون في أكثر من ثمانين دولة، وقرابة الثلاثمائة مليون مسلم يتوزعون أقليات في مختلف دول العالم.

مراجع للتوسع:

- **الأموال**، أبو عبيد القاسم بن سلام.
- **الخراج**، لأبي يوسف محمد بن الحسن الشيباني.
- **الكامل في التاريخ**، علي بن محمد عز الدين بن الأثير الجزري.
- **مقدمة ابن خلدون**، ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون.
- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
- **السياسة الشرعية بين الراعي والرعية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.
- **البداية والنهاية**، عماد الدين ابن كثير.
- **الأحكام السلطانية**، للماوردي.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي.
- **غياث الأمم في التياث الظلم**، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.
- **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل.
- **الزهد**، للإمام عبد الله بن المبارك.

- **المدخل إلى علم الأفلاك**، ابن سينا .
- **الكليات في الطب**، ابن سينا .
- **تذكرة داود**، داود الأنطاكي .
- **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**، يوحنا الغرناطي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى .
- **مقالة في الجدري والحصبة**، فخر الدين الرازي .
- **وصف أفريقيا**، الحسن بن محمد الوزان الزياتي .
- **الإسلام وأثره في نهضة الشعوب**، محمود عبد الوهاب فايد .
- **الإسلام وأثره في الحضارة الإنسانية**، أبو الحسن الندوي .
- **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي .
- **كتاب التوحيد**، محمد بن عبد الوهاب .
- **مجموعة الرسائل النجدية** .
- **تعريف عام بدين الإسلام**، علي الطنطاوي .
- **محاسن الدين الإسلامي**، محمد الأمين الشنقيطي .
- **مقومات التصور الإسلامي**، سيد قطب .
- **أصول التشريع الإسلامي**، علي حسب الله .
- **من روائع حضارتنا**، د. مصطفي السباعي .
- **دعوة الإسلام**، سيد سابق .
- **هذا ديننا**، محمد الغزالي .
- **لماذا أنا مسلم؟**، د. عبد الرحمن العيسوي .
- **الخصائص العامة للإسلام**، د. يوسف القرضاوي .
- **شبهات حول الإسلام**، محمد قطب .
- **موسوعة التاريخ الإسلامي**، أحمد شبلي .
- **شمس العرب تسطع على الغرب**، زغريد هونكة .

٢ـ عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة

التعريف:

تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة(*) عقيدة أهل الإيمان الجازم بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أم عملية.

التأسيس:

الرسول ﷺ هو المؤسس لهذه العقيدة الناسخة لما سواها، وقد سميت هذه العقيدة بعقيدة أهل السنة لاستمساك أصحابها واتباعهم لسنة النبي(*) ﷺ، وسميت بعقيدة الجماعة؛ لأنها عقيدة جماعة الإسلام الذين اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج(*) أئمة الحق ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة وهم أهل الأثر أو أهل الحديث أو الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية.

أصول عقيدة أهل السنة والجماعة:

● هي أصول الإسلام الذي هو عقيدة بلا فِرَق ولا طرق، ولذلك فإن قواعد وأصول أهل السنة والجماعة في مجال التلقي والاستدلال تتمثل في الآتي:

ـ مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع(*) السلف الصالح.

ـ كل ما ورد في القرآن الكريم هو شرع للمسلمين، وكل ما صَحَّ من سنة رسول(*) الله ﷺ وجب قبوله وإن كان أحاديث آحاد(*).

ـ المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها، وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم.

ـ أصول الدين كلها قد بينها النبي، ﷺ، فليس لأحد تحت أي ستار، أن يحدث شيئاً في الدين(*) زاعماً أنه منه.

ـ التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهراً وباطناً فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشفٍ(*) مزعوم ولا قول شيخ موهوم ولا إمام ولا غير ذلك.

ـ العقل(*) الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيًّا بينهما وعند توهم

التعارض يقدم النقل على العقل.

ـ يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة وتجنب الألفاظ البدعية.

ـ العصمة ثابتة لرسول(*) الله ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، أما آحادها فلا عصمة لأحد منهم، والمرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطىء من مجتهدي الأمة.

ـ الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة(*)، والفراسة الصادقة حق وهي كرامات(*) ومبشرات ـ بشرط موافقتها للشرع ـ غير أنها ليست مصدراً للعقيدة ولا للتشريع.

ـ المراء في الدين(*) مذموم والمجادلة بالحسنى مشروعة، ولا يجوز الخوض فيما صح النهي عن الخوض فيه.

ـ يجب الالتزام بمنهج(*) الوحي في الرد ولا ترد البدعة(*) ببدعة ولا يقابل الغلو(*) بالتفريط ولا العكس.

ـ كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

● التوحيد العلمي الاعتقادي:

ـ الأصل في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تمثيل(*)؛ ولا تكييف(*)؛ ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف(*) ولا تعطيل(*)، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص، وما دلّت عليه.

ـ الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً، وأما تفصيلاً، فبما صحّ به الدّليل، من أسمائهم وصفاتهم، وأعمالهم بحسب علم المكلف.

ـ الإيمان بالكتب المنزلة جميعها، وأن القرآن الكريم أفضلها، وناسخها، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه.

ـ الإيمان بأنبياء الله، ورسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر، ومن زعم غير ذلك فقد كفر(*).

ـ الإيمان بانقطاع الوحي(*) بعد محمد، ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن اعتقد خلاف ذلك كَفَر.

ـ الإيمان باليوم الآخر، وكل ما صحّ فيه من الأخبار، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط.

ـ الإيمان بالقدر، خيره وشره من الله تعالى، وذلك: بالإيمان بأن الله تعالى علم ما

يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون إلا ما يشاء، والله تعالى على كل شيء قدير، وهو خالق كل شيء، فعال لما يريد.

ـ الإيمان بما صحّ الدليل عليه من الغيبيات، كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل (*) شيء من ذلك.

ـ الإيمان بشفاعة النبي (*)، ﷺ، وشفاعة الأنبياء والملائكة، والصالحين، وغيرهم يوم القيامة. كما جاء تفصيله وبالأدلة الصحيحة.

ـ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة وفي المحشر حقّ، ومن أنكرها أو أوّلها فهو زائغ ضال، وهي لن تقع لأحد في الدنيا.

ـ كرامات (*) الأولياء (*) والصالحين حقّ، وليس كلّ أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجاً. وقد يكون من تأثير الشياطين والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة، أو عدمها.

ـ المؤمنون كلّهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه.

● **التوحيد الإرادي الطلبي (توحيد الألوهية).**

ـ الله تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته وهو رب العالمين، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة.

ـ صرف شيء من أنواع العبادة كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء، والحبّ، ونحوها لغير الله تعالى شرك، أيًّا كان المقصود بذلك، ملكاً مُقرّباً، أو نبيًّا مرسلاً، أو عبداً صالحاً، أو غيرهم.

ـ من أصول العبادة أن الله تعالى يُعبد بالحبّ والخوف والرجاء جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال.

ـ التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ولرسوله، ﷺ، والإيمان بالله تعالى حَكَماً، من الإيمان به ربًّا وإلهاً، فلا شريك له في حكمه وأمره، وتشريع ما لم يأذن به الله، والتحاكم إلى الطاغوت (*)، واتباع غير شريعة محمد، ﷺ، وتبديل شيء منها كفر (*)، ومن زعم أن أحداً يسعه الخروج عنها فقد كفر.

ـ الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر، وقد يكون كفراً دون كفر.

فالأول التزام شرع غير شرع الله، أو تجويز الحكم به.

والثاني العدول عن شرع الله، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع الله.

ـ تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، وفصل

السياسة أو غيرها عن الدين(*) باطل؛ بل كل ما خالف الشريعة(*) من حقيقة أو سياسة أو غيرها، فهو إما كفر(*)، وإما ضلال، بحسب درجته.

ـ لا يعلم الغيب إلا الله وحده، واعتقاد أنّ أحداً غير الله يعلم الغيب كُفر، مع الإيمان بأن الله يُطْلع بعض رسله على شيء من الغيب.

ـ اعتقاد صدق المنجمين(*) والكهان(*) كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة(*).

ـ الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يُقرّب إلى الله تعالى من الطاعات المشروعة.

ـ والتوسل ثلاثة أنواع:

١ ـ مشروع: وهو التوسل إلى الله تعالى، بأسمائه وصفاته، أو بعمل صالح من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.

٢ ـ بدعي: وهو التوسل إلى الله تعالى بما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذوات الأنبياء، والصالحين، أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

٣ ـ شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك.

ـ البركة من الله تعالى، يَخْتَصُّ بعض خلقه بما يشاء منها، فلا تثبت في شيء إلا بدليل. وهي تعني كثرة الخير وزيادته، أو ثبوته ولزومه.

والتبرك من الأمور التوقيفية، فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل.

ـ أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع:

١ ـ مشروع: وهو زيارة القبور؛ لتذكّر الآخرة؛ وللسلام على أهلها، والدعاء لهم.

٢ ـ بدعي يُنافي كمال التوحيد، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها، أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتجصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشدّ الرّحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع.

٣ ـ شركيّ ينافي التوحيد، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر، كدعائه من دون الله، والاستعانة والاستغاثة به، والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك.

ـ الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدّها، فإن كل محدثة في الدين بدعة(*). وكل بدعة ضلالة.

● الإيمان:

- الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره. وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة.

وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

- مرتكب الكبيرة(*) لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذِّب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

- لا يجوز القطع لمعيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

- الكفر(*) من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحياناً بالكفر العملي.

- التكفير(*) من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعيَّن إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع. والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

● القرآن والكلام:

القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه)، مُنزل غير مخلوق؛ منه بدأ؛ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به ﷺ. ومحفوظ إلى يوم القيامة.

● القدر:

من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر(*) خيره وشره، من الله تعالى، ويشمل:

- الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق)، وأنه تعالى لا رادّ لقضائه، ولا مُعقّب لحكمه.

- هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلاً، ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلاً.

- العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالقٌ لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.

- إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى.

● الجماعة والإمامة:

ـ الجماعة هم أصحاب النبي(*) ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية.

ـ وكل من التزم بمنهجهم(*) فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات.

ـ لا يجوز التفرّق في الدين(*)، ولا الفتنة بين المسلمين، ويجب ردّ ما اختلف فيه المسلمون إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح.

ـ من خرج عن الجماعة وجب نصحه، ودعوته، ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعاً.

ـ إنما يجب حمل الناس على الجُمَل الثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع(*)، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمور الدقيقة، والمعاني العميقة.

ـ الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد، حتى يظهر خلاف ذلك، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلّف التأويلات له.

ـ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلّب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه إلا إذا ظهر منه كفر(*) بواح فيه من الله برهان.

ـ الصلاة والحج والجهاد(*) واجبة مع أئمة المسلمين وإن جاروا.

ـ يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا، أو الحمية الجاهلية(*)؛ وهو من أكبر الكبائر(*)، وإنما يجوز قتال أهل البدعة(*) والبغي، وأشباههم، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك، وقد يجب بحسب المصلحة والحال.

ـ الصحابة الكرام كلهم عدول، وهم أفضل هذه الأمة، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومحبّتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، مع الكفّ عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم.

وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون. وتثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم.

ـ ومن الدين محبة آل بيت رسول(*) الله، ﷺ، وتولّيهم، وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين، ومعرفة فضلهن، ومحبة أئمة السلف، وعلماء السنة والتابعين لهم بإحسان ومجانبة أهل البدع والأهواء.

ـ الجهاد(*) في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة.
ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام، وأسباب حفظ جماعته، وهما يجبان بحسب الطاقة، والمصلحة معتبرة في ذلك.

أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة

● أهل السنة والجماعة(*) هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وكما أن لهم منهجاً(*) اعتقاديًّا فإن لهم، أيضاً، منهجهم وطريقهم الشامل الذي ينتظم فيه كل أمر يحتاجه كل مسلم؛ لأن منهجهم هو الإسلام الشامل الذي أنزله الله تعالى على النبي(*) ﷺ، وهم على تفاوت فيما بينهم، لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم منها:
ـ الاهتمام بكتاب الله: حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، والاهتمام بالحديث: معرفة وفهماً وتمييزاً لصحيحه من سقيمه، (لأنهما مصدرا التلقي)، مع إتباع العلم بالعمل.
ـ الدخول في الدّين(*) كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه، ويجمعون بين الإيمان بقدر الله، وإثبات إرادة العبد، ومشيئته، وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القُوّة والرحمة، وبين العمل مع الأخذ بالأسباب وبين الزهد.
ـ الاتباع، وترك الابتداع، والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.
ـ الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة من الصحابة ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم.
ـ التوسط: فَهُمْ في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو(*) وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفرطين والمفرّطين.
ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحقّ وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم.
ـ ومن هنا لا يتميزون عن الأمة في أصول الدين باسمٍ سوى السنة والجماعة، ولا يوالون(*)، ولا يعادون، على رابطةٍ سوى الإسلام والسنة.
ـ يقومون بالدعوة إلى الله الشاملة لكل شيء في العقائد والعبادات وفي السلوك والأخلاق(*) وفي كل أمور الحياة وبيان ما يحتاجه كل مسلم، كما أنهم يحذرون من النظرة

التجزيئية للدين فينصرون الواجبات والسنن كما ينصرون أمور العقائد والأمور الفرعية ويعلمون أن وسائل الدعوة متجددة فيستفيدون من كل ما جد وظهر مادام مشروعاً. والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر بما يوجبه الشرع، والجهاد(*)، وإحياء السنة، والعمل لتجديد الدين(*)، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة ويحذرون من التحاكم إلى الطاغوت(*) أو إلى غير ما أنزل الله.

ـ الإنصاف والعدل: فهم يراعون حق الله ـ تعالى ـ لا حقّ النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغلون في مُوالٍ، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًّا كان، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال على أنهم معصومون وقاعدتهم في ذلك: كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ، وأنه لا عصمة إلا للوحي(*) ثم إجماع(*)السلف.

ـ أنهم يقبلون فيما بينهم تعدد الاجتهادات في بعض المسائل التي نقل عن السلف الصالح النزاع فيها دون أن يُضلل المخالف في هذه المسائل، فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم جلّ وعلا ونبيهم ﷺ.

ـ أنهم يعتنون بالمصالح والمفاسد ويراعونها ويعلمون أن الشريعة(*) جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد وتقليلها، إذ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ـ أن لهم موقفاً من الفتن عامة: ففي الابتلاء يقومون بما أوجب الله تعالى تجاه هذا الابتلاء.

ـ وفي فتنة الكفر يحاربون الكفر(*) ووسائله الموصلة إليه بالحجة والبيان والسيف والسنان بحسب الحاجة والاستطاعة.

ـ وفي الفتنة يرون أن السلامة لا يعدلها شيء والقعود أسلم إلا إذا تبين لهم الحق وظهر بالأدلة الشرعية فإنهم ينصرونه ويعينونه بما استطاعوا.

ـ ويرون أن أصحاب البدع(*) متفاوتون قرباً وبعداً عن السنة، فيعامل كل بما يستحق. ومن هنا انقسمت البدع إلى: بدع لا خلاف في عدم تكفير أصحابها مثل المرجئة(*) والشيعة(*) المفضلة، وبدع هناك خلاف في تكفير أو عدم تكفير أصحابها مثل الخوارج(*) والروافض(*)، وبدع لا خلاف في تكفير أصحابها بإطلاق مثل الجهمية(*) المحضة.

ـ ويفرقون بين الحكم المطلق على أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر(*) وبين الحكم على المعين حتى يبين له مجانبة قوله للسنة، وذلك بإقامة الحجة وإزالة الشبهة.

ـ ولا يجوزون تكفير أو تفسيق أو حتى تأثيم علماء المسلمين لاجتهاد(*) خاطىء أو تأويل بعيد خاصة في المسائل المختلف فيها.

ـ ويفرقون في المعاملة بين المستتر ببدعته والمظهر لها والداعي إليها.

ـ ويفرقون بين المبتدعة من أهل القبلة مهما كان حجم بدعتهم وبين من عُلم كفره بالاضطرار من دين الإسلام كالمشركين وأهل الكتاب، وهذا في الحكم الظاهر على العموم مع علمهم أن كثيراً من أهل البدع منافقون وزنادقة(*) في الباطن.

ـ ويقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتحذير منهم وإظهار السنة، وتعريف المسلمين بها، وقمع البدع(*) بما يوجبه الشرع من ضوابط.

ـ ويصلون الجمع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال ما لم يظهر منه بدعة(*) أو فجور فلا يردون بدعة ببدعة.

ـ ولا يُجوزون الصلاة خلف من يظهر البدعة أو الفجور مع إمكانها خلف غيره، وإن وقعت صحت، ويُؤَثِّمون فاعلها إلا إذا قُصد دفع مفسدة أعظم، فإن لم يوجد إلا مثله، أو شرّ منه جازت خلفه، ولا يجوز تركها. ومن حُكِمَ بكفره فلا تصح الصلاة خلفه.

ـ وفِرقُ أهل القبلة الخارجة عن السنة متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلا من كان منهم كافراً في الباطن.

ـ والفرق الخارجة عن الإسلام كُفّار في الجملة، وحكمهم حكم المرتدين.

ـ ولا يمنعهم ذلك كله من الدعاء لأهل البدع بالهداية وطلب الرحمة والاستغفار ما لم يعلم نفاقهم وكفرهم باطناً.

● ولأهل السنة والجماعة(*)، أيضاً، منهج(*) شامل في تزكية النفوس وتهذيبها، وإصلاح القلوب وتطهيرها؛ لأن القلب عليه مدار إصلاح الجسد كله وذلك بأمور منها:

ـ إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن الشرك والبدعة مما ينقص الإيمان أو ينقضه من أصله.

ـ التعرف على الله جل وعلا بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلى ومدارستها وتفهم معانيها والعمل بمقتضياتها؛ لأنها تورث النفس الحب والخضوع والتعظيم والخشية والإنابة والإجلال لله تعالى.

ـ طاعة الله ورسوله بأداء الفرائض والنوافل كاملة مع العناية بالذكر وتلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي ﷺ والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج والعمرة وغير ذلك مما شرع الله تعالى.

ـ اجتناب المحرمات والشبهات مع البعد عن المكروهات.

ـ البعد عن رهبانية النصرانية والبعد عن تحريم الطيبات والبعد عن سماع المعازف

والغناء وغير ذلك .

- السير إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء وعبادته تعالى بالحب والخوف والرجاء .

● ومن أهم سماتهم : التوافق في الأفهام، والتشابه في المواقف، على الرغم من تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي .

- الإحسان والرّحمة وحسن الخُلق مع الناس كافةً، فهم يأتمون بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم .

- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

- الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكفّ الأذى عنهم .

- موالاة المؤمن لإيمانه بقدر ما عنده من إيمان ومعاداة الكافر لكفره ولو كان أقرب قريب .

● لا يعد من اجتهد في بيان نوع من أصول أهل السنة مبتدعاً ولا مفرطاً مادام لا يخالف شيئاً من أصول أهل السنة والجماعة(*) .

● كل من يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة ويعمل على هديها فهو من أهل السنة ولو وقع في بعض الأخطاء التي يُبدّع من خالف فيها .

مراجع للتوسع:

- **الإيمان** - لأبي عبيد القاسم بن سلاّم .
- **الإيمان** - لابن منده .
- **الإبانة** - لابن بطة .
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** - أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي .
- **عقيدة أصحاب الحديث** - الإمام أبو عثمان الصابوني .
- **الإبانة** - لأبي الحسن الأشعري .
- **التوحيد وصفات الرب** - لابن خزيمة .
- **شرح العقيدة الطحاوية** - لابن أبي العز الحنفي .
- **منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية** - ابن تيمية .
- **درء تعارض العقل والنقل** - ابن تيمية .

- **طريق الهجرتين** - ابن قيم الجوزية .
- **مجموع الفتاوى** - لابن تيمية .
- **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد** - محمد بن عبد الوهاب .
- **معارج القبول شرح سلم الوصول** - حافظ أحمد الحكمي .
- **مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة** - د . ناصر بن عبد الكريم العقل .
- **منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة** - عثمان علي حسن .
- **أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى** - محمد عبد الهادي المصري .
- **نواقض الإيمان القولية والعملية** - د . عبد العزيز العبد اللطيف .
- **منهج أهل السنة في تقويم الرجال** - أحمد الصويان .
- **مفهوم أهل السنة عند أهل السنة** - د . ناصر بن عبد الكريم العقل .
- **الأصول العلمية للدعوة السلفية** - عبد الرحمن عبد الخالق .
- **الزهاد الأوائل** - د . مصطفي حلمي .
- **معالم السلوك في تزكية النفوس عند أهل السنة والجماعة** - د . عبد العزيز العبد اللطيف .
- **قواعد المنهج السلفي** - د . مصطفي حلمي .
- **السلفية بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية** - د . مصطفي حلمي .

الفصل الثالث

من الفرق العقائدية في الإسلام

- مقدمة عامة ● الشيعة الإمامية
- الإباضيـة ● المعتزلـة ● الزيدية
- الأشاعرة ● الماتريدية

مقدمة عامة

لقد كان ظهور الفرق العقدية والفكرية في الأمة الإسلامية خاضعاً لأسباب داخلية عاشها المسلمون في مراحل نشأة هذه الفرق.

ولعل أول أسباب ظهور هذه الفرق يتمثل فيما عاشه بعض المسلمين من انحراف عن المنهج (*) الإسلامي الصحيح والمحجة البيضاء، فلقد تضمن الكتاب والسنة كل ما يهدي المسلمين إلى طريق الحق، ولذا فهما معيار الاستقامة وعدم الانقسام على النفس، ولكن بعض المسلمين تركوا المنهج الواضح الذي رسمه الشارع الأعظم وحادوا عن منهج أهل السنة والجماعة(*) من سلف الأمة الصالح، وركنوا إلى بعض التصورات العقلية بمنأى عن الهداية العقدية الواردة فيهما فضلوا وأضلوا. وسنرى مثالاً لذلك بعض الفرق التي نشأت في أواخر عهد الخلفاء الراشدين والدولتين الأموية والعباسية.

وكذلك فإن من أسباب ظهور هذه الفرق إتاحة بعض المسلمين الفرصة للتأثير الأجنبي فيهم من خلال الثقافات الوافدة التي استطاعت أن تنفذ إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي الهامة فتأثرت وأثرت. وساعد على ذلك دخول بعض الحاقدين ساحة التأثير في المنهج(*) الإسلامي، فبدأ نوع من الاستقطاب لقطاع من المسلمين فانحرفوا بعقيدتهم، وبدؤوا يضعون بعض المبادىء الهدامة التي واكبت مسيرتهم. لذا فقد كان لإعطاء الفرصة للتأثير الأجنبي من خلال الثقافات الوافدة أو من خلال الحاقدين أثر هام في تكون هذه الفرق.

وإذا كان العاملان السابقان قد أوجدا ـ مع غيرهما ـ مناخ التفرق وساعدا على وجوده وتغلغله في المجتمع إلا أن هناك عاملاً ثالثاً ساعد على استمرار هذا التفرق ويتمثل هذا العامل في ركون بعض المسلمين إلى السلبية وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم يسعوا سعياً حثيثاً لرأب الصدع واستشعار المعنى العميق للوحدة الإيمانية

وما تستلزمه من محبة وأخوة.

ومع أن الأصل هو استفادة الأمة من دروس الماضي إلا أن العصر الحاضر يشهد بدوره ـ وبكل أسف ـ تفرقاً جديداً، وظهور فرق فكرية جديدة، ولعل مرجع ذلك هو عدم استفادة الأمة من دروس الماضي، ومن ثم عدم تجدد التزامها بالإسلام وعدم الوقوف صفًّا واحداً على كلمة واحدة هي منهج الله سبحانه، منهج أهل السنة والجماعة(*)، وتفويت الفرصة على أعداء الإسلام. وهكذا يعيد التاريخ نفسه، للأسف الشديد، بين كثير من قطاعات المسلمين.

وإذا عدنا أدراجنا إلى البدايات الأولى لظهور الفرق في الإسلام فإنه يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أواخر عصر الخلافة(*) الراشدة، فلقد نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتبلورت أفكارها في العصور التالية، ثم تعمق وجود هذه الفوارق لأسباب لاحقة.

● أما في عهد الرسالة وبداية عهد الخلفاء الراشدين فقد كان المسلمون يشكلون وحدة حقيقية، عقيدة وفكراً وجماعة. وإذا ظهر خلاف ما في الرأي، فسرعان ما ينتهي إلى وفاق، بسبب الاحتكام المباشر إلى الكتاب والسنة.

● وبدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. . . حيث جأر البعض بالشكوى من ولاة عثمان، ثم بدأت الشكوى من عثمان ذاته بمقولة أنه يولي العمال من ذوي رحمه.

ـ ثم تحولت الشكوى إلى الطعن في دينه على يد بعض المارقين.

ـ ثم قتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً بيد فئة ظالمة غرر بها. . ففتح بذلك باب القتل والقتال بين المسلمين.

● وبعد تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، اتهمه البعض بأنه مالأ قتلة عثمان، ولم يقتص منهم.

ـ فوقع القتال بين علي وبين الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً.

ـ ثم وقع القتال بين علي ومعاوية. . وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة.

ـ وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج(*) والشيعة(*).

ـ وكانت الأولى الخوارج(*): قال شيخ الاسلام ابن تيمية «كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون».

ـ وقال: «وهم أول من كفَّر(*) أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك». وسموا بالناصبة أيضاً لمناصبة علي رضي الله عنه وآله

العداء، وصرّحوا ببغضهم. وظهروا في ١٠ من شهر شوال عام ٣٧هـ ببيعتهم «عبد الله بن وهب الراسبي»

ـ الثانية: الشيعة(*): أي من ادعوا أنهم شيعة عليّ وأبنائه، وقد افترقوا على فرق عدة أقلها غلّواً من قال منهم بأن عليًّا أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر مثل الزيدية.

ظهر بجانب مسألة التكفير مسألة القدر التي قال بها معبد الجهني في آخر القرن الأول، وكثر الكلام حولهما في آخر عهد علي بن أبي طالب.

● ثم ظهرت المرجئة(*) في آخر القرن الأول كذلك.

● ثم ظهر التعطيل(*) على يد الجعد بن درهم والجهم بن صفوان في أول القرن الثاني الهجري.

ـ ثم نادى جهم بن صفوان في أوائل القرن الثاني الهجري بالجبر(*) وهو الذي قال: لا إرادة للإنسان بجوار إرادة الله.

● وظهرت المعتزلة التي تنادي بالإرادة الإنسانية المطلقة، لأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان حرًّاً مختاراً، وهذه الحرية هي أساس التكليف وعليها يترتب الحساب والعقاب.

ـ ثم أثيرت مسألة صفات الله وكلامه، ومسألة خلق القرآن، أهو مخلوق أم قديم؟ أثار ذلك الجهم بن صفوان والجعد بن درهم في العصر الأموي، ثم اشتد الأمر في العصر العباسي، فكان امتحان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

ـ وتعددت الفرق وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة(*) اليونانية والهندية التي ترجمت إلى العربية. فأصبحت الفرق فرقاً متعددة، وهكذا انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة.. منها: الواصلية ورائدها واصل بن عطاء، والهذلية ورائدها أبو الهذيل العلاف.

وانقسمت الشيعة إلى فرق أقل غلواً وفرق غالية انحرفت كلياً عن طريق الإسلام مثل الإسماعلية والنصيرية والدروز وغيرهم.

ـ ثم ظهرت الأشاعرة والماتريدية للتصدي للفلاسفة والباطنية(*) والرافضة(*) ولكسر سورة المعتزلة الجهمية(*)، فكان لهم جهادهم المشكور إلا أنه كان لاستخدامهم مناهج(*) الفلاسفة والمتكلمين ومحاولة التوفيق بينهم وبين أهل السنة والجماعة(*) أثره البالغ في تأثرهم ببعض أفكارهم وعقائدهم على ما سيأتي بيانه.

ـ وإن اهتمامنا في هذه الموسوعة(*) بهذه الفرق ودراستها بشكل منهجي متقن، ليس لإحياء فكرها بعد أن مات بعضها واندثر، ولا من باب الترف الفكري، وإنما لأسباب نجملها فيما يلي:

١ ـ أن ذكر الفرق تاريخياً له أصوله في القرآن الكريم والسنة المطهرة. فقد توسع القرآن في ذكر قصص الأمم البائدة صالحها وسيئها، وذكر أقوال رؤسائهم وقادتهم، وما عملوه تجاه رسل الله، وكذلك قص علينا الرسول الكريم ﷺ من قصص الأمم السالفة والدروس المستفادة من ذلك...

٢ ـ أن تبيان أفكار هذه الفرق صحيحها وفاسدها، مستقيمها ومنحرفها ضرورة حتى يكون المسلم على بينة من عقائدها، وحتى لا يخدع بكلامهم وفعالهم إن ذكرت في كتب المتأثرين بهذه الفرق أو كتب أتباعها المعاصرين..

٣ ـ كثير من أفكار هذه الفرق تتجدد وتلبس ثياباً أخرى غير التي كانت تلبسها سابقاً، أو تتسمى بأسماء براقة تغري الذي يشاهدها أو يسمع بها، والمسلم الحصيف هو الذي يعرف أوجه التشابه بين الأفكار القديمة والأفكار الحديثة.

٤ ـ والهدف من معالجة هذه الفرق هو أن يكون عند المسلم المثقف مرجع تاريخي مركز ومختصر يرجع إليه عندما يحتاج إلى الاطلاع على هذه الفرق وعقائدها وأفكارها وأماكن انتشارها..

هذا مع العلم أن كثيراً من هذه الفرق لا زالت تعيش، وبعضها يتوسع على حساب الإسلام مثل فرقة الشيعة(*) والروافض(*) التي صار لها دولة تدعو إلى أفكارها بكل الوسائل العلمية والثقافية ـ وغزت بمدارسها ودعاتها قارة أفريقيا والشرق الأقصى..

وبعد:

فهذه نقاط هامة لا بد من أن نذكرها في مقدمة سرد الفرق الإسلامية في هذه الموسوعة.. داعين المولى تعالى أن يوفق المسلمين إلى طريق الإسلام القويم، وإلى توحيد أفكارهم وعقائدهم على طريق الكتاب والسنة، حتى يعيدوا ماضيهم التليد الذي كانوا فيه أعزاء، أقوياء، في مركب الأمة الواحدة.

٣ ـ الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية)

التعريف:

الشيعة(*) الإمامية الاثنا عشرية هم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًّا هو الأحق في وراثة الخلافة(*) دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. وقد أطلق عليهم الإمامية؛ لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثني عشرية؛ لأنهم قالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● الاثنا عشر إماماً الذين يتخذهم الشيعة الإمامية أئمة لهم يتسلسلون على النحو التالي:

ـ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الذي يلقبونه بالمرتضى ـ رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله ﷺ، وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ.

ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما، ويلقبونه بالمجتبى (٣ ـ ٥٠هـ).

ـ الحسين بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالشهيد (٤ ـ ٦١هـ).

ـ علي زين العابدين بن الحسين (٣٨ ـ ٩٥هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

ـ محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧ ـ ١١٤هـ) ويلقبونه بالباقر.

ـ جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣ ـ ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصادق.

ـ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ ـ ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكاظم.

ـ علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ ـ ٢٠٣هـ) ويلقبونه بالرضى.

ـ محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥ ـ ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالتقي.

ـ علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢ ـ ٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقي.
ـ الحسن العسكري بن علي الهادي (٢٣٢ ـ ٢٦٠هـ) ويلقبونه بالزكي.
ـ محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦هـ ـ...) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سرداباً في دار أبيه بِسُرَّ مَنْ رأى ولم يعد، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراعات الشيعة(*) ويطلقون عليه لقب (المعدوم أو الموهوم).

● من شخصياتهم البارزة تاريخيًّا عبد الله بن سبأ[1]، وهو يهودي من اليمن، أظهر الإسلام، ونقل ما وجده في الفكر اليهودي إلى التشيع كالقول بالرجعة(*)، وعدم الموت، وملك الأرض، والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق، والعلم بما لا يعلمه أحد، وإثبات البداء(*) والنسيان على الله عزّ وجلّ ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً. وقد كان يقول في يهوديته بأن يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، فقال في الإسلام بأن عليًّا وصي محمد ﷺ. تنقل من المدينة إلى مصر والكوفة والفسطاط والبصرة وقال لعلي: «أنت أنت» أي أنت الله مما دفع عليًّا إلى أن يهم بقتله، لكن عبد الله بن عباس نصحه بألا يفعل، فنفاه إلى المدائن.

---

(١) ورد للندوة بعد صدور الطبعة الأولى من هذه الموسوعة عدد من الرسائل من القراء الشيعة الذين يستنكرون نسبة ابن سبأ إلى مؤسسي الشيعة.

ونحن عندما نذكر ابن سبأ هنا إنما نذكر ما أثبتته المصادر الإسلامية من سنية وشيعية التي تذكر أن ابن سبأ كان أول من نادى بالأفكار المنسوبة إليهم والتي يتفق كثير منها مع عقائد الشيعة، بل تنسب إليه فرقة من غلاة الشيعة اسمها السبئية ذكرها بالإضافة إلى علماء السنة الناشيء الأكبر من الشيعة في **مسائل الإمام** ص٢٢ وغيره.

أما عبد الله بن سبأ وغلوه وأفكاره فتكاد تكون متواترة وذكرها كثير من العلماء من السنة والشيعة فقد أورد بعض أخباره مثبتا لها من الشيعة القمي (٣٠١هـ) في **المقالات والفرق** ص٢٠ والنوبختي (٣١٠) في **فرق الشيعة** ص٢٣، كما أورد **الكشي الشيعي في رجاله** عدداً من الأخبار عن ابن سبأ (ص٩٨ ـ ١٠٠)، وغيرهم. أما التشكيك في وجود ابن سبأ والدور الذي قام به فهو حديث بدأه المستشرقون وتبعهم بعض كتاب الشيعة المعاصرون.

(لمزيد، من المعلومات حول هذا الموضوع ننصح بمراجعة كتاب الدكتور سليمان بن فهد العودة: **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام**، وأصله رسالة جامعية أثبت فيها المؤلف صحة الأخبار الواردة في ابن سبأ وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٠٢هـ).

● منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي المتوفي سنة ٥٨٨هـ صاحب كتاب **الاحتجاج** طبع في إيران سنة ١٣٠٢هـ.

● الكُلَيني صاحب كتاب **الكافي** المطبوع في إيران سنة ١٢٧٨هـ وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة(*) ويزعمون بأن فيه ١٦١٩٩ حديثاً.

● الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ والمدفون في المشهد المرتضوي بالنجف، وهو صاحب كتاب **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رَبِّ الأرباب** يزعم فيه أن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. ومن ذلك ادعاؤهم في سورة الانشراح نقص عبارة ﴿**وجعلنا علياً صهرك**﴾، معاذ الله أن يكون ادعاؤهم هذا صحيحاً. وقد طبع هذا الكتاب في إيران سنة ١٢٨٩هـ.

● آية الله المامقاني صاحب كتاب **تنقيح المقال في أحوال الرجال** وهو لديهم إمام الجرح والتعديل، وفيه يطلق على أبي بكر وعمر لقب الجبت والطاغوت، انظر ١/٢٠٧ ـ طبع ١٣٥٢هـ بالمطبعة المرتضوية بالنجف.

● أبو جعفر الطوسي صاحب كتاب **تهذيب الأحكام**، ومحمد بن مرتضى المدعو ملا محسن الكاشي صاحب كتاب **الوافي**، ومحمد بن الحسن الحر العاملي صاحب كتاب **وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة**، ومحمد باقر بن الشيخ محمد تقي المعروف بالمجلسي صاحب كتاب **بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الأطهار**، وفتح الله الكاشاني صاحب كتاب **منهج الصادقين**، وابن أبي الحديد صاحب **شرح نهج البلاغة**.

● آية الله الخميني: من رجالات الشيعة(*) المعاصرين، قاد ثورة شيعية في إيران تسلمت زمام الحكم، وله كتاب **كشف الأسرار** وكتاب **الحكومة الإسلامية**، وقد قال بفكرة ولاية الفقيه. وبالرغم من أنه رفع شعارات إسلامية عامة في بداية الثورة(*)، إلا أنه ما لبث أن كشف عن نزعة شيعية متعصبة ضيقة ورغبة في تصدير ثورته إلى بقية العالم الإسلامي، فقد اتخذ إجراءات أدى بعضها مع أسباب أخرى إلى قيام حرب استمرت ثماني سنوات مع العراق.

الأفكار والمعتقدات:

● **الإمامة**: وتكون بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور المهمة التي لا يجوز أن يفارق النبي ﷺ الأمة ويتركها هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه.

ـ يستدلون على ذلك بأن النبي(*) ﷺ قد نص على إمامة علي من بعده نصًّا ظاهراً يوم غدير خم، وهي حادثة لا يثبتها محدثو أهل السنة(*) ولا مؤرخوهم.

ـ ويزعمون أن عليًّا قد نص على ولديه الحسن والحسين. . وهكذا. . فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه. ويسمونهم الأوصياء.

ـ **العصمة**: أئمة أهل البيت الاثنا عشر معصومون في زعمهم عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

● **العلم اللدني**: كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول(*) ﷺ، بما يكمل الشريعة، وهو يملك علماً لدنيًّا، ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق سوى أنه لا يوحى إليه، وقد استودعهم رسول الله ﷺ أسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم.

● **خوارق العادات**: يجوز أن تجري هذه الخوارق على يد الإمام، ويسمون ذلك معجزة(*)، وإذا لم يكن هناك نص على إمام من الإمام السابق عليه وجب أن يكون إثبات الإمامة في هذه الحالة بالخارقة.

● **الغيبة**: يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، وهذا من أساطيرهم.

● **الرجعة**(*): يعتقدون أن محمد بن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وكان بعضهم يقفون بعد صلاة المغرب بباب السرداب، وقد قدموا مركباً، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية. ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وسيقتص من خصوم الشيعة(*) على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات.

● **التقية**(*): وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨] وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله: «**التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له**». وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير.

● **المتعة**: يرون بأن متعة النساء خير العادات وأفضل القربات، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء: ٢٤]. وقد حرم الإسلام هذا الزواج الذي تشترط فيه مدة محدودة، بينما يشترط معظم أهل السنة وجوب استحضار نية التأبيد، ولزواج المتعة آثار سلبية كثيرة على المجتمع تبرر تحريمه.

●يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة[١]: ويروي الكُليني في كتابه **الكافي** في صفحة ٥٧ طبعة ١٢٧٨هـ عن جعفر الصادق: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم».

● **البراءة**: إنهم يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات؛ لأنهم ـ كما يزعمون ـ اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

● **المغالاة**: بعضهم غالى في شخصية علي رضي الله عنه، والمغالون من الشيعة[*] رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية[*]، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد ﷺ، بدلاً من أن ينزل على علي؛ لأن عليًّا يشبه النبي[*] كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سموا بالغرابية.

● **عيد غدير خم**: وهو عيد لهم يصادف اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويفضلونه على عيدي الأضحى والفطر ويسمونه بالعيد الأكبر، وصيام هذا اليوم عندهم سنة مؤكدة، وهو اليوم الذي يدَّعون فيه بأن النبي قد أوصى فيه بالخلافة[*] لعلي من بعده.

● يعظمون عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، وبعضهم يقول: غُسل يوم النيروز سُنة.

● لهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول، وهو عيد أبيهم (بابا شجاع الدين) وهو لقب لَقَّبوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) الذي أقدم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

● يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في العاشر من شهر المحرم معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله تعالى، وأن ذلك يكفر سيئاتهم وذنوبهم، ومن يزرهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف وقم.. فسيرَى من ذلك العجب العجاب.

---

(١) ينكر بعض الشيعة المعاصرون مصحف فاطمة والبراءة من الخلفاء وبعض الأمور الأخرى التي وردت في هذا التعريف. لكن هذه موجودة في كتبهم ولم يتبرأ منها علماؤهم على رؤوس الأشهاد وبين الشيعة أنفسهم، مما يوحي أن هذا الإنكار هو من باب التقية التي يطبقونها مع الفرق الإسلامية الأخرى مثل التظاهر بأداء بعض العبادات علانية ومخالفتها سرًّا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● انعكست في التشيع معتقدات الفرس الذين يدينون لهم بالملك والوراثة، وقد ساهم الفرس فيه لينتقموا من الإسلام ـ الذي كسر شوكتهم ـ باسم الإسلام ذاته.

● اختلط الفكر الشيعي بالفكر الوافد من العقائد الآسيوية كالبوذية والمانوية(*) والبرهمية(*)، وقالوا بالتناسخ(*) وبالحلول(*).

● استمد التشيع أفكاره من اليهودية التي تحمل بصمات وثنية(*) آشورية وبابلية.

● أقوالهم في علي بن أبي طالب وفي الأئمة من آل البيت تلتقي مع أقوال النصارى في عيسى عليه السلام، ولقد شابهوهم في كثرة الأعياد وكثرة الصور واختلاق خوارق العادات وإسنادها إلى الأئمة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر فرقة **الاثني عشرية** من الإمامية الشيعية الآن في إيران وتتركز فيها، ومنهم عدد كبير في العراق، ويمتد وجودهم إلى الباكستان كما أن لهم طائفة في لبنان، أما في سوريا فهناك طائفة قليلة منهم لكنهم على صلة وثيقة بالنُّصيْرية الذين هم من غلاة الشيعة.

ويتضح مما سبق:

أن التشيع الأول بدأ كحزب(*) يرى أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة، ثم تطوَّر حتى أصبح فرقة عقائدية وسياسية انضوى تحت لوائها كل من أراد الكيد للإسلام والدولة المسلمة، حتى أن المتتبع للتاريخ الإسلامي لا يكاد يرى ثورة(*) أو انفصالاً عن الدولة الأم أو مشكلة عقائدية إلا وكان الشيعة بفرقها المتعددة وراءها، أو لهم ضلعٌ فيها. ولهذا اصطبغ التاريخ الإسلامي بكثير من الثورات والتمزق، ونظراً لوجود عناصر مندسَّةً بين المسلمين يهمها استمرار هذا الخلاف فإن المشكلة لم تنته، بل استمر الخلاف وكاد التشيع يكون ديناً(*) مختلفاً عن الإسلام تماما، وقد استغلت الدوائر الغربية والمستشرقون هذا الخلاف لتصوير المسلمين شيعاً وأحزاباً متناحرة. بل يقارنونه بالمسيحية(*) التي بلغت فرقها المئات.

مراجع للتوسع:

ـ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة.

ـ مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري ـ ط١ ـ ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٩م.

- **الشافعي**، محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - مصر .
- **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، د. عبد الله فياض - مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٠م .
- **دراسات في الفِرَق**، د. صابر طعيمة - مكتبة المعارف بالرياض - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- **مختصر التحفة الاثنا عشرية**، تحقيق محب الدين الخطيب - القاهرة - المطبعة السلفية - ١٣٧٣هـ .
- **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني - دار المعرفة - بيروت - ط٢ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
- **الشيعة والسنة**، إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - لاهور - الباكستان - ط٥ - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .
- **الشيعة والتشيع**، **إحسان إلهي ظهير** - إدارة ترجمان السنة. لاهور - ط١ - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- **الشيعة وأهل البيت**، إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - ط٣ - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم - جدة - طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- **الخطوط العريضة**، محب الدين الخطيب - ط٥ - القاهرة - المطبعة السلفية - ١٣٨٨هـ .
- **الصراع بين الشيعة والتشيع**، العلّامة الدكتور موسى الموسوي ١٤٠٨هـ .
- **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في الإسلام**، د. سليمان بن فهد العودة - ط٢ - الرياض - دار طيبة .
- **التقريب بين السنة والشيعة**. د. ناصر بن عبد الله القفاري ط٤ - الرياض - دار طيبة ١٤١٦هـ .

٤ ـ الإباضية

التعريف:

الإباضية إحدى فرق الخوارج(*)، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات، والقول بخلق القرآن، وتجويز الخروج على أئمة الجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسسها الأول عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، يرجع نسبه إلى إباض، وهي قرية العارض باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبدالملك ابن مروان.

● يذكر الإباضية أن أبرز شخصياتهم جابر بن زيد (٢٢ ـ ٩٣هـ) الذي يعد من أوائل المشتغلين بتدوين الحديث آخذاً العلم عن عبد الله بن عباس وعائشة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة، مع أن جابراً قد تبرأ منهم: (انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨).

● أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة: من أشهر تلاميذ جابر بن زيد، وقد أصبح مرجع الإباضية بعده مشتهراً بلقب القفاف توفي في ولاية أبي جعفر المنصور ١٥٨هـ.

● الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة، وينسبون له مسنداً خاصاً به **مسند الربيع بن حبيب** وهو مطبوع ومتداول.

● من أئمتهم في الشمال الأفريقي أيام الدولة العباسية: الإمام الحارث بن تليد، ثم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم أبو حاتم يعقوب بن حبيب ثم حاتم الملزوزي.

● ومنهم الأئمة الذين تعاقبوا على الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب: عبد الرحمن، عبد الوهاب، أفلح، أبو بكر، أبو اليقظان، أبو حاتم.

● من علمائهم:

ـ سلمة بن سعد: قام بنشر مذهبهم في أفريقيا في أوائل القرن الثاني.

ـ ابن مقطير الجناوني: تلقى علومه في البصرة، وعاد إلى موطنه في جبل نفوسة بليبيا ليسهم في نشر المذهب(*) الإباضي.

ـ عبد الجبار بن قيس المرادي: كان قاضياً أيام إمامهم الحارث بن تليد.

ـ السمح أبو طالب: من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، كان وزيراً للإمام عبد الوهاب بن رستم ثم عاملاً له على جبل نفوسة ونواحيه بليبيا.

ـ أبو ذر أبان بن وسيم: من علمائهم في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، وكان عاملاً للإمام أفلح بن عبد الوهاب على حيز طرابلس.

الأفكار والمعتقدات:

● يظهر من خلال كتبهم تعطيل(*) الصفات الإلهية، وهم يلتقون إلى حد بعيد مع المعتزلة في تأويل(*) الصفات، ولكنهم يدعون أنهم ينطلقون في ذلك من منطلق عقدي، إذ يذهبون إلى تأويل الصفة تأويلاً مجازياً بما يفيد المعنى دون أن يؤدي ذلك إلى التشبيه(*)، ولكن كلمة الحق في هذا الصدد تبقى دائماً مع أهل السنة والجماعة(*) المتبعين للدليل، من حيث إثبات الأسماء والصفات العليا لله تعالى كما أثبتها لنفسه، بلا تعطيل ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تمثيل(*).

● ينكرون رؤية الله تعالى في الآخرة.

● يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلاً مجازيًا كالميزان والصراط.

● أفعال الإنسان خلق من الله، واكتساب من الإنسان، وهم بذلك يقفون موقفاً وسطاً بين القدريّة(*) والجبرية(*).

● صفات الله ليست زائدة على ذات الله، ولكنها هي عين ذاته.

● القرآن لديهم مخلوق، وقد وافقوا الخوارج(*) في ذلك، يقول الأشعري «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن»، **مقالات الإسلاميين** ١/ ٢٠٣ ط٢ ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

● مرتكب الكبيرة(*) ـ عندهم ـ كافر كفر نعمة أو كفر نفاق.

● الناس في نظرهم ثلاثة أصناف:

ـ مؤمنون أوفياء بإيمانهم.

ـ مشركون واضحون في شركهم.

ـ قوم أعلنوا كلمة التوحيد وأقروا بالإسلام لكنهم لم يلتزموا به سلوكاً وعبادة، فهم

ليسوا مشركين، لأنهم يقرون بالتوحيد، وهم كذلك ليسوا بمؤمنين، لأنهم لا يلتزمون بما يقتضيه الإيمان، فهم إذن مع المسلمين في أحكام الدنيا لإقرارهم بالتوحيد، وهم مع المشركين في أحكام الآخرة لعدم وفائهم بإيمانهم ولمخالفتهم ما يستلزمه التوحيد من عمل أو ترك.

● للدار وحكمها عند محدثي الإباضية صور متعددة، ولكن محدثيهم يتفقون مع القدامى في أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام هي دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي.

● يعتقدون بأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والخيل، وكل ما فيه من قوة الحرب حلال وما سواه حرام!

● مرتكب الكبيرة كافر[*]، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها، فإن الله لا يغفر الكبائر[*] لمرتكبيها إلا إذا تابوا منها قبل الموت.

ـ الذي يرتكب كبيرة من الكبائر يطلقون عليه لفظة «كافر» زاعمين بأن هذا كفر نعمة أو كفر نفاق لا كفر ملة، بينما يطلق عليه أهل السنة والجماعة[*] كلمة العصيان أو الفسوق، ومن مات على ذلك ـ في نظر أهل السنة ـ فهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له بكرمه وإن شاء عذبه بعدله حتى يطهر من عصيانه ثم ينتقل إلى الجنة، أما الإباضية فيقولون بأن العاصي مخلد في النار، وهي بذلك تتفق مع بقية الخوارج[*] والمعتزلة في تخليد العصاة في جهنم.

● ينكرون الشفاعة لعصاة الموحدين؛ لأن العصاة ـ عندهم ـ مخلدون في النار فلا شفاعة لهم حتى يخرجوا من النار.

● ينفون شرط القرشية في الإمام إذ إن كل مسلم صالح لها، إذا ما توافرت فيه الشروط، والإمام الذي ينحرف ينبغي خلعه وتولية غيره.

● يتهجم بعضهم على أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم.

ـ الإمامة بالوصية باطلة في مذهبهم، ولا يكون اختيار الإمام إلا عن طريق البيعة[*]، كما يجوز تعدد الأئمة في أكثر من مكان.

ـ لا يوجبون الخروج على الإمام الجائر ولا يمنعونه، وإنما يجيزونه، فإذا كانت الظروف مواتية والمضار فيه قليلة فإن هذا الجواز يميل إلى الوجوب، وإذا كانت الظروف غير مواتية والمضار المتوقعة كثيرة والنتائج غير مؤكدة فإن هذا الجواز يميل إلى المنع. ومع كل هذا فإن الخروج لا يمنع في أي حال، والشراء[*] (أي الكتمان) مرغوب فيه على جميع الأحوال ما دام الحاكم ظالماً.

● يرون أن الجد للأب أولى بالحضانة من الجدة للأم خلافاً لأكثر المذاهب.

- يرون أن الجد يمنع الإخوة من الميراث، بينما ترى بعض المذاهب الأخرى أن يقتسموا معه.

● لا يجوز لديهم أن يدعو شخص لآخر بخير الجنة وما يتعلق بها إلا إذا كان مسلماً موفّياً بدينه مستحقًّا الولاية بسبب طاعته، أما الدعاء بخير الدنيا وبما يحول الإنسان من أهل الدنيا إلى أهل الآخرة فهو جائز لكل أحد من المسلمين تقاة وعصاة.

● لديهم نظام اسمه (حلقة العزابة)، وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً وتقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، كما تمثل مجلس الشورى في زمن الظهور والدفاع، أما في زمن الشراء والكتمان فإنها تقوم بعمل الإمام وتمثله في مهامه.

- لديهم منظمة اسمها (إيروان) تمثل المجلس الاستشاري المساعد للعزابة، وهي القوة الثانية في البلد بعدها.

- يشكلون من بينهم لجاناً تقوم على جمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء، كما تمنع منعاً باتًّا طلب الزكاة أو الاستجداء وما إلى ذلك من صور انتظار العطاء.

- انشق عن الإباضية عدد من الفرق التي اندثرت وهي:

- الحفصية: أصحاب حفص بن أبي المقدام.

- الحارثية: أصحاب الحارث الإباضي.

- اليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة. الذي زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، ومن ثم ترك شريعة محمد ﷺ.

وقد تبرأ سائر الإباضية من أفكارهم وكفروهم لشططهم وابتعادهم عن الخط الإباضي الأصلي، الذي لا يزال إلى يومنا هذا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الإباضيون يعتمدون على القرآن والسنة - **مسند الربيع بن حبيب** - والرأي والإجماع(*).

● ولقد تأثروا بمذهب أهل الظاهر، إذ إنهم يقفون عند بعض النصوص الدينية موقفاً حرفيًّا ويفسرونها تفسيراً ظاهريًّا.

● وتأثروا كذلك بالمعتزلة في قولهم بخلق القرآن.

● ولكن منهم من استند في كتاباته الفقهية إلى آراء الحنفية والمالكية والشافعية

والحنابلة دون تحامل.

● ويُعد كتاب **النيل وشفاء العليل** ـ الذي شرحه الشيخ محمد بن يوسف إطْفَيِّش المتوفى سنة ١٣٣٢هـ ـ من أشهر مراجعهم. جمع فيه فقه المذهب الإباضي وعقائده.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● كانت لهم صولة وجولة في جنوبي الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما في الشمال الأفريقي فقد انتشر مذهبهم بين البربر وكانت لهم دولة عرفت باسم الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت.

● حكموا الشمال الأفريقي حكماً متصلا مستقلا زهاء مائة وثلاثين سنة حتى أزالهم الفاطميون (العبيديون).

● قامت للإباضية دولة مستقلة في عُمان وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون.

● من حواضرهم التاريخية جبل نفوسة بليبيا، إذ كان معقلاً لهم ينشرون منه المذهب الإباضي، ومنه يديرون شؤون الفرقة الإباضية.

● لا يزال لهم وجود إلى وقتنا الحاضر في كل من عمان بنسبة مرتفعة وليبيا وتونس والجزائر وفي واحات الصحراء الغربية وفي زنجبار التي ضمت إلى تانجانيقا تحت اسم تنزانيا.

ويتضح مما تقدم:

أن الإباضية إحدى فرق الخوارج(*)، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عنهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل(*) الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور.

مراجع للتوسع:

- **الإباضية في موكب التاريخ**، علي يحيى معمر (إباضي معاصر) ـ مكتبة وهبة ط١ ـ القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- **المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة ـ المطبعة النموذجية.
- **الفرق الإسلامية**، (ذيل كتاب شرح المواقف ـ للكرماني) تحقيق سليمة عبد الرسول ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٧٣م.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفي الشكعة ـ الدار المصرية للطباعة والنشر ـ بيروت.

- **الملل والنحل**، للشهرستاني ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت.
- **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، علي يحيى معمر (إباضي) ـ مكتبة وهبة ط١ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ـ القاهرة.
- **الفرق بين الفرق**، عبد القادر البغدادي.
- **مقالات الإسلاميين**، أبو الحسن الأشعري.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد بن حزم.
- **المذاهب والفرق والأديان المعاصرة**، عبد القادر شيبة الحمد.
- **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي**، ألفرد بل ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي.
- **تاريخ فلسفة الإسلام**، د. يحيى هويدي.
- **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة**، عبد الله الأمين.
- **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، بكير بن سعيد أعوشت.
- **الإباضية: دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم**، علي يحيى معمر.
- **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية**، اللواء حسن صادق، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- **الإباضية**، صابر طعيمة.
- **الإباضية**، عبد العزيز العبد اللطيف.
- **دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين** د. أحمد محمد أحمد جلي ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.
- **الخوارج في العصر الأموي** لنايف عواد معروف.
- **الخوارج في العصر الأموي** لسليمان السويكت، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٩٩هـ ـ غير مطبوعة.
- **الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم** لناصر بن عبد الله السعدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، العقيدة، ١٤٠٤هـ، غير مطبوعة.
- **الخوارج تاريخهم وآراؤهم**، لغالب العواجي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٣٩٩ هـ غير مطبوعة.
- **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** لمحمود إسماعيل.
- **الإباضية عقيدة وفكراً** لعبد الرحمن المصلح، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٢هـ.
- **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام** ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض.

٥ ـ المعتزلة

التعريف:

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية(*) والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● اختلفت رؤية العلماء في ظهور الاعتزال، واتجهت هذه الرؤية إلى وجهتين:

ـ الوجهة الأولى: أن الاعتزال حصل نتيجة النقاش في مسائل عقدية دينية كالحكم على مرتكب الكبيرة(*)، والحديث في القدر، بمعنى هل يقدر العبد على فعله أو لا يقدر، ومن رأي أصحاب هذا الاتجاه أن اسم المعتزلة أطلق عليهم لعدة أسباب:

١ ـ أنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

٢ ـ أنهم عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري وشكل جلقة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين فقال الحسن: «اعتزلنا واصل».

٣ ـ أو أنهم قالوا بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته.

ـ والوجهة الثانية: أن الاعتزال نشأ بسبب سياسي، إذ إن المعتزلة من شيعة علي رضي الله عنه اعتزلوا الحسن عندما تنازل لمعاوية، أو أنهم وقفوا موقف الحياد بين شيعة علي ومعاوية فاعتزلوا الفريقين.

● أما القاضي عبد الجبار الهمذاني ـ مؤرخ المعتزلة ـ فيزعم أن الاعتزال ليس مذهباً جديداً أو فرقة طارئة أو طائفة جديدة أو أمراً مستحدثاً، وإنما هو استمرار لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته، وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم: ٤٨] ولقول الرسول ﷺ: «**من اعتزل الشر سقط في الخير**».

● والواقع أن نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادىء فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية كما سنرى في فقرة (الجذور الفكرية والعقائدية).

● قبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء، كان هناك جدل[*] ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، وهذه المقولات نوجزها مع أصحابها فيما يلي:

- مقولة إن الإنسان حر مختار بشكل مطلق، وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه قالها: معبد الجهني، الذي خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن الأشعث.. وقد قتله الحجاج عام ٨٠هـ بعد فشل الحركة.

- وكذلك قالها غيلان الدمشقي في عهد عمر بن عبد العزيز وقتله هشام بن عبد الملك.

- ومقولة خلق القرآن ونفي الصفات، قالها الجهم بن صفوان، وقد قتله سالم بن أحوز في مرو عام ١٢٨هـ.

- وممن قال بنفي الصفات، أيضاً: الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة.

● ثم برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الغزال (٨٠هـ - ١٣١هـ) الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة[*] في منزلة بين المنزلتين (أي ليس مؤمناً ولا كافراً)، وأنه مخلد في النار إذا لم يتب قبل موته، وقد عاش في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، والفرقة المعتزلية التي تنسب إليه تسمى: **الواصلية**.

● ولاعتماد المعتزلة على العقل في فهم العقائد وتقصيهم لمسائل جزئية فقد انقسموا إلى طوائف مع اتفاقهم على المبادىء الرئيسية الخمسة - التي سنذكرها لاحقاً - وكل طائفة من هذه الطوائف جاءت ببدع جديدة تميزها عن الطائفة الأخرى.. وسمت نفسها باسم صاحبها الذي أخذت عنه.

● وفي العهد العباسي برز المعتزلة في عهد المأمون، إذ اعتنق الاعتزال عن طريق بشر المريسي وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد، وهو أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره، ورأس فتنة خلق القرآن، وكان قاضياً للقضاة في عهد المعتصم.

- في فتنة خلق القرآن امتحن الإمام أحمد بن حنبل الذي رفض الرضوخ لأوامر المأمون والإقرار بهذه البدعة، فسجن وعذب وضرب بالسياط في عهد المعتصم بعد وفاة المأمون وبقي في السجن لمدة عامين ونصف، ثم أعيد إلى منزله وبقي فيه طيلة خلافة المعتصم ثم ابنه الواثق.

- لما تولى المتوكل الخلافة عام ٢٣٢هـ انتصر لأهل السنة[*]، وأكرم الإمام أحمد،

وأنهى عهد سيطرة المعتزلة على الحكم ومحاولة فرض عقائدهم بالقوة خلال أربعة عشر عاماً.

● في عهد دولة بني بويه عام ٣٣٤هـ في بلاد فارس ـ وكانت دولة شيعية ـ توطدت العلاقة بين الشيعة(*) والمعتزلة، وارتفع شأن الاعتزال أكثر في ظل هذه الدولة، فعين القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة في عصره قاضياً لقضاء الري عام ٣٦٠هـ بأمر من الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي، وهو من الروافض(*) المعتزلة، يقول فيه الذهبي: «وكان شيعيًّا معتزليًّا مبتدعاً» ويقول المقريزي: «إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر». وممن برز في هذا العهد: الشريف المرتضى الذي قال عنه الذهبي: «وكان من الأذكياء والأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر لكنه إمامي جلد».

● بعد ذلك كاد الاعتزال ينتهي كفكر مستقل إلا ما تبنته منه بعض الفرق كالشيعة وغيرهم.

● عاد الفكر الاعتزالي من جديد في الوقت الحاضر، على يد بعض الكتاب والمفكرين، الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة، وهذا ما سنبسطه عند الحديث عن فكر الاعتزال الحديث.

● ومن أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء وحتى اندثارها وتحللها في المذاهب الأخرى كالشيعة والأشعرية والماتريدية الآتي ذكره:

ـ أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف (١٣٥ ـ ٢٢٦هـ) مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة والمناظر عنها. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، فقد تأثر بأرسطو وأنبادقليس من فلاسفة اليونان، وقال بأن «الله عالم بعلم وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته. . .». انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٧٦. وتسمى طائفته الهذيلية.

ـ إبراهيم بن يسار بن هانىء النظام (توفي سنة ٢٣١هـ)، وكان في الأصل على دين البراهمة(*) وقد تأثر، أيضاً، بالفلسفة(*) اليونانية مثل بقية المعتزلة. . وقال بأن المتولدات من أفعال الله تعالى، وتسمى طائفته النظامية.

ـ بشر بن المعتمر (توفي سنة ٢٢٦هـ)، وهو من علماء المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه. فقال: إن كل المتولدات من فعل الإنسان فهو يصح أن يفعل الألوان والطعوم والرؤية والروائح وتسمى طائفته البشرية.

ـ معمر بن عباد السلمي (توفي سنة ٢٢٠هـ) وهو من أعظم القدرية(*) فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر(*) خيره وشره من الله تعالى، وتسمى طائفته: المعمرية.

- عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار (توفي سنة ٢٢٦هـ)، وكان يقال له: راهب المعتزلة، وقد عرف عنه التوسع في التكفير(*) حتى كفر الأمة بأسرها بما فيها المعتزلة، وتسمى طائفته المردارية.

- ثمامة بن أشرس النميري (توفي سنة ٢١٣هـ)، كان جامعاً بين قلة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين، وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق. وقيل إنه هو الذي أغرى المأمون ودعاه إلى الاعتزال، وتسمى طائفته الثمامية.

- عمرو بن بحر: أبو عثمان الجاحظ (توفي سنة ٢٥٦هـ)، وهو من كبار كتاب المعتزلة، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، ونظراً لبلاغته في الكتابة الأدبية استطاع أن يدس أفكاره المعتزلية في كتاباته كما يدس السم في الدسم مثل، **البيان والتبيين**، وتسمى فرقته الجاحظية.

- أبو الحسين بن أبي عمر الخياط (توفي سنة ٣٠٠هـ)، من معتزلة بغداد، وبدعته التي تفرد بها قوله بأن المعدوم جسم، والشيء المعدوم قبل وجوده جسم، وهو تصريح بقدم العالم، وهو بهذا يخالف جميع المعتزلة وتسمى فرقته الخياطية.

- القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (المتوفى سنة ٤١٤هـ)، فهو من متأخري المعتزلة، قاضي قضاة الري وأعمالها، وأعظم شيوخ المعتزلة في عصره، وقد أرخ للمعتزلة وقنن مبادئهم وأصولهم الفكرية والعقدية.

المبادىء والأفكار:

● جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين:

- الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه، ولذلك كان التكليف، ومن أبرز من قال ذلك غيلان الدمشقي، الذي أخذ يدعو إلى مقولته هذه في عهد عمر بن عبد العزيز. حتى عهد هشام بن عبد الملك، فكانت نهايته أن قتله هشام بسبب ذلك.

- الثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة(*) ليس مؤمناً ولا كافراً، ولكنه فاسق. فهو بمنزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا. أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة؛ لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام، وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً.

● ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول:

١ ـ التوحيد.
٢ ـ العدل.
٣ ـ الوعد والوعيد.
٤ ـ المنزلة بين المنزلتين.
٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ ـ **التوحيد**: وخلاصته في رأيهم، أن الله تعالى منزه عن الشبيه والمماثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ولا ينازعه أحد في سلطانه ولا يجري عليه شيء مما يجري على الناس. وهذا حق، ولكنهم بنوا عليه نتائج باطلة منها: استحالة رؤية الله تعالى لاقتضاء ذلك نفي الصفات، وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات، وإلا تعدد القدماء في نظرهم، لذلك يعدون من نفاة الصفات، وبنوا على ذلك، أيضاً، أن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى لنفيهم عنه سبحانه صفة الكلام.

٢ ـ **العدل**: ومعناه في رأيهم أن الله لا يخلق أفعال العباد، ولا يحب الفساد، بل إن العباد يفعلون ما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولي كل حسنة أمر بها، بريء من كل سيئة نهى عنها، لم يكلفهم ما لا يطيقون ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه. وذلك لخلطهم بين إرادة الله تعالى الكونية(*) وإرادته الشرعية(*).

٣ ـ **الوعد والوعيد**: ويعني أن يجازي الله المحسن إحساناً، ويجازي المسيء سوءاً، ولا يغفر لمرتكب الكبيرة(*) إلا أن يتوب.

٤ ـ **المنزلة بين المنزلتين**: وتعني أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر فليس بمؤمن ولا كافر. وقد قرر هذا واصل بن عطاء شيخ المعتزلة.

٥ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فقد قرروا وجوب ذلك على المؤمنين نشراً لدعوة الإسلام وهداية للضالين وإرشاداً للغاوين كل بما يستطيع: فذو البيان ببيانه، والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه، وهكذا. ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق.

● ومن مبادىء المعتزلة الاعتماد على العقل(*) كليًا في الاستدلال لعقائدهم، وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً، فقالوا كما جاء في **الملل والنحل** للشهرستاني: «المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبح(*) صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح».

ـ ولاعتمادهم على العقل، أيضاً، أوّلوا الصفات بما يلائم عقولهم الكليلة، كصفات الاستواء واليد والعين، وكذلك صفات المحبة والرضى والغضب والسخط ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات لا أكثرها.

ـ ولاعتمادهم على العقل، أيضاً، طعن كبراؤهم في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، فقد زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، إما طائفة علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر والحسن والحسين وأبي أيوب الأنصاري وإما طائفة عائشة والزبير، وردوا شهادة هؤلاء الصحابة فقالوا: لا تقبل شهادتهم.

ـ وسبب اختلاف المعتزلة فيما بينهم وتعدد طوائفهم هو اعتمادهم على العقل فقط ـ كما نوهنا ـ وإعراضهم عن النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، ورفضهم الاتباع بدون بحث واستقصاء، وقاعدتهم التي يستندون إليها في ذلك:

«كل مكلف مطالب بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين»، فيكفي وفق مذهبهم أن يختلف التلميذ مع شيخه في مسألة ليكون هذا التلميذ صاحب فرقة قائمة، وما هذه الفرق التي عددناها آنفاً إلا نتيجة اختلاف تلاميذ مع شيوخهم، فأبو الهذيل العلاف له فرقة، خالفه تلميذه النظام فكانت له فرقة، فخالفه تلميذه الجاحظ فكانت له فرقة، والجبائي له فرقة، فخالفه ابنه أبو هاشم عبد السلام فكانت له فرقة، أيضاً، وهكذا.

ـ وهكذا نجد أن المعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة(*) اليونانية عامة وبالمنطق(*) الصوري الأرسطي خاصة.

● وقد فند علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، فمنهم أبو الحسن الأشعري الذي كان منهم، ثم خرج من فرقتهم ورد عليهم متبعاً أسلوبهم في الجدال(*) والحوار.. ثم جاء الإمام أحمد بن حنبل الذي اكتوى بنار فتنتهم المتعلقة بخلق القرآن ووقف في وجه هذه الفتنة بحزم وشجاعة نادرتين.

ـ ومن الردود قوية الحجة، بارعة الأسلوب، رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عليهم في كتابه القيم: **درء تعارض العقل والنقل** فقد تتبع آراءهم وأفكارهم واحدة واحدة ورد عليها ردًّا مفحماً.. وبين أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل.

● وقد ذكر في هذا البحث أكثر من مرة أن المعتزلة اعتمدوا **على العقل**(*) في تعاملهم مع نصوص الوحي(*)، وقد يتوهم أحد أن الإسلام ضد العقل ويسعى للحجر عليه، ولكن هذا الفهم يرده دعوة الإسلام إلى التفكر في خلق السماوات والأرض والتركيز على استعمال العقل في اكتشاف الخير والشر وغير ذلك مما هو معروف ومشهور، مما دعا العقاد ـ رحمه

الله ـ إلى أن يؤلف كتاباً بعنوان: «**التفكير فريضة إسلامية**، ولهذا فإن من انحرافات المعتزلة استعمالهم العقل في غير مجاله: في أمور غيبية تقع خارج الحس ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، كما أنهم بنوا عدداً من القضايا على مقدمات معينة فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها، وهو أمر لا يسلّم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي: مثل نفيهم الصفات عن الله اعتماداً على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وكان الصحيح ألا تنفى عنه الصفات التي أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى، ولكن تفهم الآية على أن صفاته سبحانه وتعالى لا تماثل صفات المخلوقين.

وقد حدد العلماء مجال استعمال العقل بعدد من الضوابط منها:

ـ ألا يتعارض مع النصوص الصحيحة.

ـ ألا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعد الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.

ـ أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها «وهي ما يعرف بالأمور التوقيفية».

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور. ومن المعروف أن مصدر المعرفة في الفكر الإسلامي يتكون من:

١ ـ الحواس وما يقع في مجالها من الأمور الملموسة من الموجودات.

٢ ـ العقل(*) وما يستطيع أن يصل إليه من خلال ما تسعفه به الحواس والمعلومات التي يمكن مشاهدتها واختبارها وما يلحق ذلك من عمليات عقلية تعتمد في جملتها على ثقافة الفرد ومجتمعه وغير ذلك من المؤثرات.

٣ ـ الوحي(*) من كتاب وسنة، إذ هو المصدر الوحيد والصحيح للأمور الغيبية، وما لا تستطيع أن تدركه الحواس، وما أعده الله في الدار الآخرة، وما أرسل من الرسل إلخ...

وهكذا يظهر أنه لا بد من تكامل العقل والنقل في التعامل مع النصوص الشرعية كل فيما يخصه وبالشروط التي حددها العلماء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي.

وقيل: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية ـ وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ(*) ـ قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات.

● إن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد مورداً من موارد الفكر الاعتزالي، إذ إنه كان يقول بالأصلح ونفي الصفات الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية.

ـ ونفي القدر عند المعتزلة الذي ظهر على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، قيل إنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبو يونس سنسويه، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني.

ـ تأثر المعتزلة بفلاسفة(*) اليونان في موضوع الذات والصفات، فمن ذلك قول أنبادقليس الفيلسوف اليوناني: «إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضة وهو الجود والعزة، والقدرة والعدل والخير والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو، وهو هذه كلها» انظر الملل والنحل ج٢/ ص٥٨.

وكذلك قول أرسطوطاليس في بعض كتبه: «إن الباري علم كله، قدرة كله، حياة كله، بصر كله».

فأخذ العلاف وهو من شيوخ المعتزلة هذه الأفكار وقال: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته.

ـ وأخذ النظام من ملاحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة، أي أن الجسم يمكن أن يكون في مكان (أ) ثم يصبح في مكان (ج) دون أن يمر في (ب).

وهذا من عجائبه حتى قيل: إن من عجائب الدنيا: «طفرة النظام وكسب الأشعري».

ـ وإن أحمد بن خابط والفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام قد طالعا كتب الفلاسفة ومزجا الفكر الفلسفي مع الفكر النصراني مع الفكر الهندي وقالا بما يلي:

١ ـ إن المسيح(*) هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة.

٢ ـ إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة.

٣ ـ القول بالتناسخ(*).

٤ ـ وحملا كل ما ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبتدع، وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات.

● يؤكد العلماء تأثير الفلسفة(*) اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم، فقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وتمذهب بمذهبهم ـ حتى إنه خلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة.

ـ ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق ـ حيث نشأ المعتزلة ـ الذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة. فبعضهم ينتهي إلى الكلدان، وبعضهم إلى الفرس، وبعضهم نصارى، وبعضهم يهود، وبعضهم مجوس(*). وقد دخل هؤلاء في الإسلام. وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية.

الفكر الاعتزالي الحديث:

● يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد.. فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل... العقلانية أو التنوير أو التجديد(*) أو التحرر الفكري أو التطور أو المعاصرة أو التيار الديني المستنير أو اليسار الإسلامي..

ـ وقد قوّى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل(*) الإنساني.. فلجؤوا إلى التأويل(*) كما لجأت المعتزلة من قبل ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات(*) المادية.. وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل.. إلا من هذا القبيل.

● وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجدد هو ذاك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر.

● وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي.. محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة.. مثل عقوبة المرتد، وفرضية الجهاد(*)، والحدود، وغير ذلك.. فضلاً عن موضوع الحجاب وتعدد الزوجات، والطلاق والإرث.. إلخ.. وطلب أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله.. وتحكيم العقل في هذه الموضوعات. ومن الواضح أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر.

● ومن دعاة الفكر الاعتزالي الحديث سعد زغلول الذي نادى بنزع الحجاب عن المرأة المصرية، وقاسم أمين مؤلف كتاب **تحرير المرأة** و **المرأة الجديدة**، ولطفي السيد الذي أطلقوا عليه: «أستاذ الجيل» وطه حسين الذي أسموه «عميد الأدب العربي» وهؤلاء كلهم أفضوا إلى ما قدموا. هذا في البلاد العربية.

أما في القارة الهندية فظهر السير أحمد خان، الذي منح لقب سير من قبل الاستعمار(*) البريطاني. وهو يرى أن القرآن الكريم لا السنة النبوية هو أساس التشريع، وأحلّ الربا البسيط في المعاملات التجارية، ورفض عقوبة الرجم والحرابة، ونفى شرعية الجهاد لنشر الدين(*)، وهذا الأخير قال به لإرضاء الإنجليز؛ لأنهم عانوا كثيراً من جهاد المسلمين الهنود لهم.

ـ وجاء تلميذه سيد أمير علي الذي أحلّ زواج المسلمة بالكتابي، وأحل الاختلاط بين الرجل والمرأة.

ـ ومن هؤلاء، أيضاً، مفكرون علمانيون، لم يعرف عنهم الالتزام بالإسلام.. مثل زكي نجيب محمود صاحب نظرية (الوضعية المنطقية) وهي فرع من الفلسفة(*) الوضعية الحديثة التي تنكر كل أمر غيبي.. فهو يزعم أن الاعتزال جزء من التراث، ويجب أن نحييه، وعلى أبناء العصر أن يقفوا موقف المعتزلة من المشكلات القائمة (انظر كتاب **تجديد الفكر العربي** ص١٢٣).

ـ ومن هؤلاء أحمد أمين صاحب المؤلفات التاريخية والأدبية مثل **فجر الإسلام** و **ضحى الإسلام** و **ظهر الإسلام**، فهو يتباكى على موت المعتزلة في التاريخ القديم وكأن من مصلحة الإسلام بقاءَهم، ويقول في كتابه: **ضحى الإسلام**: «في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة» (ج٣ ص٢٠٧).

ـ ومن المعاصرين الأحياء الذين يسيرون في ركب الدعوة الإسلامية من ينادي بالمنهج(*) العقلي الاعتزالي في تطوير العقيدة والشريعة مثل الدكتور محمد فتحي عثمان في كتابه **الفكر الإسلامي والتطور**.. والدكتور حسن الترابي في دعوته إلى تجديد أصول الفقه، إذ يقول: «إن إقامة أحكام الإسلام في عصرنا تحتاج إلى اجتهاد(*) عقلي كبير، وللعقل(*) سبيل إلى ذلك لا يسع عاقلاً إنكاره، والاجتهاد الذي نحتاج إليه ليس اجتهاداً في الفروع وحدها وإنما هو اجتهاد في الأصول، أيضاً». (انظر كتاب **المعتزلة بين القديم والحديث** ص١٣٨).

ـ وهناك كتاب كثيرون معاصرون، ومفكرون إسلاميون يسيرون على المنهج نفسه

ويدعون إلى أن يكون للعقل دور كبير في الاجتهاد(*) وتطويره، وتقويم الأحكام الشرعية، حتى الحوادث التاريخية.. ومن هؤلاء فهمي هويدي ومحمد عمارة ـ صاحب النصيب الأكبر في إحياء تراث المعتزلة والدفاع عنه ـ وخالد محمد خالد ومحمد سليم العوا، وغيرهم. ولا شك في أهمية الاجتهاد وتحكيم العقل في التعامل مع الشريعة الإسلامية(*) ولكن ينبغي أن يكون ذلك في إطار نصوصها الثابتة وبدوافع ذاتية وليس نتيجة ضغوط أجنبية وتأثيرات خارجية لا تقف عند حد، وإذا انجرف المسلمون في هذا الاتجاه ـ اتجاه ترويض الإسلام بمستجدات الحياة والتأثير الأجنبي بدلاً من ترويض كل ذلك لمنهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ فستصبح النتيجة ألا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من الشريعة إلا رسمها، ويحصل للإسلام ما حصل للرسالات السابقة التي حرفت بسبب اتباع الأهواء والآراء حتى أصبحت لا تمت إلى أصولها بأي صلة.

ويتضح مما سبق:

أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون. وكانت هذه الحركة نوعاً من ردة الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقولاته العقائدية والفكرية بالأفكار والمناهج الوافدة نفسها، وذلك دفاعاً عن الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه. ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيهاً لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين.

ومن الواضح، أيضاً، أن أتباع المعتزلة الجدد وقعوا فيما وقع فيه أسلافهم، وذلك أن ما يعرضونه الآن من اجتهادات إنما الهدف منه أن يظهر الإسلام بالمظهر المقبول عند أتباع الحضارة الغربية والدفاع عن نظامه العام قولاً بأنه إنْ لم يكن أحسن من معطيات الحضارة الغربية فهو ليس بأقل منها.

ولذا فلا بد أن يتعلم الخلف من أخطاء سلفهم، ويعلموا أن عزة الإسلام وظهوره على الدين كله هما في تميز منهجه وتفرد شريعته، واعتباره المرجع الذي تقاس عليه الفلسفات والحضارات في الإطار الذي يمثله الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، في شمولهما وكمالهما.

مراجع للتوسع:

ـ الملل والنحل للشهرستاني.

ـ الفرق بين الفرق للبغدادي.

- **مقالات الإسلاميين** للأشعري.
- **القاضي عبد الجبار الهمداني** للدكتور عبد الكريم عثمان.
- **ابن تيمية** للشيخ محمد أبي زهرة.
- **درء تعارض العقل والنقل** لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- **البداية والنهاية** لابن كثير.
- **المعتزلة بين القديم والحديث** لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم.
- **ضحى الإسلام** لأحمد أمين.
- **تجديد الفكر العربي** لزكي نجيب محمود.
- **دراسات في الفرق والعقائد** لعرفات عبد الحميد.
- **الدعوة إلى التجديد في منهج النقد**، عصام البشير (بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير).
- **عقائد السلف** لعلي سامي النشار.
- **محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة**. سليمان بن صالح الخراشي.
- **حوار هادىء مع الشيخ الغزالي**. سلمان بن فهد العودة.
- **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** ـ د. فهد الرومي.
- **العصريون معتزلة اليوم** ـ يوسف كمال.
- **العصرانية في حياتنا الاجتماعية**. د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي.
- **العصرانيون**. محمد حامد الناصر.
- **دراسات في السيرة**. محمد سرور زين العابدين.
- **تنبيه الأنام لمخالفة شلتوت الإسلام**. الشيخ عبد الله بن ياسين.
- **مفهوم تجديد الدين**. بسطامي محمد سعيد.
- **تجديد أصول الفقه**. د. حسن الترابي.
- **غزو من الداخل**. جمال سلطان.
- **مجلة كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**:
- «المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة» د. ناصر العقل. العدد الثالث سنة ١٤٠٠هـ.

٦ ـ الزيدية

التعريف:

إحدى فرق العدلية القدرية التي تقول بالعدل، إذ تنفي خلق الله تعالى لأفعال العباد بزعم نفي الجبر، كما تعطل نصوص الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى تحت دعوى التوحيد.

تعد الزيدية (الهادوية) أقرب فرق الشيعة(*) إلى أهل السنة والجماعة(*)، إذ يتصف مذهبهم بالابتعاد عن غلو(*) الاثني عشرية وباقي فرق الشيعة، كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية متميزة في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة. ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، إلا أن فرق الزيدية انحرفت، ماعدا الهادوية، عن مبادىء زيد هذه ورفضوا خلافة الشيخين وتبرؤوا من عثمان وقالوا بالرجعة وعصمة الأئمة موافقة للرافضة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ترجع الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما (٨٠ ـ ١٢٢هـ/ ٦٩٨ ـ ٧٤٠م)، قاد ثورة شيعية في العراق ضد الأمويين أيام هشام بن عبد الملك، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى ٥٠٠ فارس، وأصيب بسهم في جبهته أدى إلى وفاته عام ١٢٢هـ.

ـ تنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولاً، وعن حق أهل البيت في الإمامة ثانياً، فقد كان تقيًّا ورعاً عالماً فاضلاً مخلصاً شجاعاً وسيماً مهيباً مُلمًّا بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ.

ـ تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية.

ـ اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التتلمذ، وهناك من يؤكد وقوع

ـ تتلمذ عليه أبو حنيفة النعمان، وأخذ عنه العلم.

ـ بصرف النظر عن رأي يشكِّك، فإن من مؤلفاته كتاب **المجموع في الحديث**، وكتاب **المجموع في الفقه**، وهما في كتاب واحد اسمه **المجموع الكبير**، رواهما عنه تلميذه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي الهاشمي الذي مات في الربع الثالث من القرن الثاني للهجرة.

● أما ابنه يحيى بن زيد فقد خاض المعارك مع والده، لكنه تمكن من الفرار إلى خراسان، ولاحقته سيوف الأمويين فقتل هناك سنة ١٢٥هـ.

● فُوِّض الأمر بعد يحيى إلى محمد وإبراهيم.

ـ خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي (المعروف بالنفس الزكية) بالمدينة فقتله عاملها عيسى بن ماهان.

ـ وخرج من بعده أخوه إبراهيم بالبصرة فكان مقتله فيها بأمر من المنصور.

● أحمد بن عيسى بن زيد ـ حفيد مؤسس الزيدية ـ أقام بالعراق، وأخذ عن تلاميذ أبي حنيفة فكان ممن أثرى هذا المذهب(*) وعمل على تطويره.

● من علماء الزيدية القاسم الملقب بالرسي بن إبراهيم الملقب بطباطبا ابن إسماعيل الملقب بالديباج الأصفر ابن إبراهيم الملقب بالشبه ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (١٧٠ ـ ٢٤٢هـ) تشكلت له طائفة زيدية عرفت باسم **القاسمية**.

● جاء من بعده حفيده الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (٢٤٥ ـ ٢٩٨هـ) الذي عقدت له الإمامة باليمن فكان ممن حارب القرامطة فيها، كما تشكلت له فرقة زيدية عرفت باسم **الهادوية** منتشرة في اليمن والحجاز وما والاها.

● ظهر للزيدية في بلاد الديلم وجيلان إمام حسيني هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي رضي الله عنهما والملقب بالناصر الكبير (٢٣٠ ـ ٣٠٤هـ)، وعرف باسم الأطروش، فقد هاجر هذا الإمام إلى هناك داعياً إلى الإسلام على مقتضى المذهب الزيدي، فدخل فيه خلق كثير صاروا زيديين ابتداء.

● ومنهم الداعي الآخر صاحب طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهما، والذي تكونت له دولة زيدية جنوب بحر الخزر سنة ٢٥٠هـ.

● وقد عرف من أئمتهم محمد بن إبراهيم بن طباطبا، الذي بعث بدعاته إلى الحجاز ومصر واليمن والبصرة. ومن شخصياتهم البارزة كذلك مقاتل بن سليمان، ومحمد بن نصر. ومنهم أبو الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وبعض أمراء بني بويه.

● استطاع الزيدية في اليمن استرداد السلطة من الأتراك، إذ قاد الإمام يحيى بن منصور بن حميد الدين ثورة ضد الأتراك عام ١٣٢٢هـ، وأسس دولة زيدية استمرت حتى سبتمبر عام ١٩٦٢م، إذ قامت الثورة اليمنية وانتهى بذلك حكم الزيود ولكن ما زال اليمن معقل الزيود ومركز ثقلهم.

● خرجت عن الزيدية أربع فرق رئيسة طعن بعضها في الشيخين، كما مال بعضها عن القول بإمامة المفضول، وهذه الفرق هي:

- **الجارودية**: أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وهي أشهر هذه الفرق.
- **السليمانية**: نسبة إلى سليمان بن جرير، وتسمى بالجريرية أيضاً.
- **البترية**: أصحاب كثير النوي الأبتر، وتدعى الصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حي الهمداني.
- **اليعقوبية**: أصحاب يعقوب بن عدي.
- الفرقتان الصالحية والبترية متفقتان ومتماثلتان في الآراء.
- هذه الفرق بجملتها لم يعد لها مكانة بارزة عند الزيدية المعاصرة.

الأفكار والمعتقدات:

● يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله، والاختيار في الأعمال. ومرتكب الكبيرة[*] يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة.

● يُجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين - رضي الله عنهما.

- الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة[*]، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.

- يجوز لديهم وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين.

- تقول الزيدية بالإمام المفضول مع وجود الأفضل، إذ لا يُشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها.

● معظم الزيدية[١] المعاصرين يُقرُّون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل

(١) الذين بايعوا زيد بن علي كانوا - حسب رواية الفرق بين الفرق - خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، فلما طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من أبي بكر وعمر ولم يقبل خرجوا عليه وتفرقوا عنه، =

فرق الشيعة(*)، بل يترضون عنهما، ويقرون بصحة خلافة عثمان مع مؤاخذته على بعض الأمور.

● يرفضون التصوف رفضاً قاطعاً.

● يخالفون الشيعة في زواج المتعة ويستنكرونه.

● يتفقون مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر.

● هم متفقون مع أهل السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع مثل:

- قولهم «حي على خير العمل» في الأذان على الطريقة الشيعية.
- صلاة الجنازة لديهم خمس تكبيرات.
- يرسلون أيديهم في الصلاة.
- صلاة العيد تصح فرادى وجماعة.
- يعدون صلاة التراويح جماعة بدعة.
- يرفضون الصلاة خلف الفاجر.
- فروض الوضوء عشرة بدلاً من أربعة عند أهل السنة(*).

● باب الاجتهاد(*) مفتوح لكل من يريد الاجتهاد، ومن عجز عن ذلك قلد، وتقليد أهل البيت أولى من تقليد غيرهم.

● يقولون بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته.

● لا يقولون بعصمة الأئمة عن الخطأ، كما لا يغالون في رفع أئمتهم على غرار ما تفعله معظم فرق الشيعة(*) الأخرى.

- لكن بعض المنتسبين للزيدية قرروا العصمة لأربعة فقط من أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم جميعاً.

● لا يوجد عندهم مهدي منتظر.

● يستنكرون نظرية البداء(*) التي قال بها المختار الثقفي، إذ إن الزيدية تقرر أن علم الله أزلي قديم غير متغير، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ.

● قالوا بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر(*) مع اعتبار الإنسان حرًّا مختاراً في طاعة الله أو عصيانه، ففصلوا بذلك بين الإرادة وبين المحبة أو الرضا، وهو رأي أهل البيت من الأئمة.

=وقالوا بقول الرافضة - تكفير أبي بكر وعمر - ولم يبق مع زيد من أتباعه إلا مائتا رجل. وفي كتاب **ضحى الإسلام** لأحمد أمين أن أتباع زيد كانوا أربعين ألفاً، تفرقوا عنه ولم يبق معه إلا ثلثمائة أو أقل.

● مصادر الاستدلال عندهم كتاب الله، ثم سنة رسول الله، ثم القياس(*) ومنه الاستحسان(*) والمصالح المرسلة(*)، ثم يجيء بعد ذلك العقل(*)، فما يقر العقل صحته وحسنه يكون مطلوباً وما يقر قبحه يكون منهياً عنه.

وقد ظهر من بينهم علماء فطاحل، أصبحوا من أهل السنة(*)، سلَفِيّي المنهج(*) والعقيدة أمثال: ابن الوزير وابن الأمير والشوكاني.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يتمسكون بالعديد من القضايا التي يتمسك بها الشيعة كأحقية أهل البيت في الخلافة(*) وتفضيل الأحاديث الواردة عنهم على غيرها، وتقليدهم، وزكاة الخمس، فالملامح الشيعية واضحة في مذهبهم على الرغم من اعتدالهم عن بقية فرق الشيعة.

● تأثر الزيدية بالمعتزلة فانعكست اعتزالية واصل بن عطاء عليهم، وظهر هذا جليًا في تقديرهم للعقل(*) وإعطائه أهمية كبرى في الاستدلال، إذ يجعلون له نصيباً وافراً في فهم العقائد وفي تطبيق أحكام الشريعة وفي الحكم بحسن الأشياء وقبحها(*) فضلاً عن تحليلاتهم للجبر(*) والاختيار ومرتكب الكبيرة(*) والخلود في النار.

● أخذ أبو حنيفة عن زيد، كما أن حفيداً لزيد وهو أحمد بن عيسى بن زيد قد أخذ عن تلاميذ أبي حنيفة في العراق، وقد تلاقى المذهبان الحنفي السُّني والزيدي الشيعي في العراق أولاً، وفي بلاد ما وراء النهر ثانياً مما جعل التأثر والتأثير متبادلاً بين الطرفين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● قامت دولة للزيدية أسسها الحسن بن زيد سنة ٢٥٠هـ في أرض الديلم وطبرستان.

● كما أن الهادي إلى الحق أقام دولة ثانية لها في اليمن في القرن الثالث الهجري.

● انتشرت الزيدية في سواحل بلاد الخزر وبلاد الديلم وطبرستان وجيلان شرقاً، وامتدت إلى الحجاز ومصر غرباً، وتركزت في أرض اليمن.

ويتضح مما سبق:

أن الزيدية من أكثر فرق الشيعة(*) اعتدالاً بالنسبة لغيرهم من فرق الشيعة، ولصلاتهم القديمة بالمعتزلة تأثروا بكثير من أفكارهم ومعتقداتهم، إلا أن المذهب(*) الزيدي في الفروع لا يخرج عن إطار مدارس الفقه(*) الإسلامي ومذاهبه، ومواطن الاختلاف بين الزيدية والسنة في مسائل الفروع لا تكاد تذكر.

مراجع للتوسع:

(أ) مراجع المذاهب :

- **المعالم الدينية في العقائد الإلهية** - يحيى بن حمزة (الإمام المؤيد) - تحقيق سيد مختار أحمد حشاد - دار المعاصر.
- **توضيح المسائل العقلية والمذاهب الفقية في أصول العدلية ومسالك الزيدية** - يحيى بن محمد بن حميد. مخطوط.
- **رسائل العدل والتوحيد** - يحيى بن الحسين القاسم الرسي (الإمام الهادي) - تحقيق الدكتور محمد عمارة. منشورات دار الشروق.
- **أخبار الزيدية (طبقات الزيدية)، الجزء الرابع** - مسلم بن محمد اللحجي - مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
- **سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين** - علي بن محمد العلوي - تحقيق د. سهيل زكار - دار الفكر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- **مقاتل الطالبين** - علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المعروف بالأصبهاني - المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٥٣هـ.
- **تاريخ الفرقة الزيدية بين القرن الثاني والثالث للهجرة عبد رب الأمير الشامي** - مطبعة الآداب - النجف ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **طبقات المعتزلة** - أحمد بن يحيى المرتضى (الإمام المهدي) - تحقيق سوسنة ديلفدفلزر - بيروت ١٩٦١م.
- **نصرة مذاهب الزيدية** - إسماعيل بن عباد (الصاحب بن عباد) - تحقيق د. ناجي حسن - الدار المتحدة للنشر.

(ب) مراجع غير المذهب :

- **الفَرْق بين الفِرق**، عبدالقادر بن طاهر البغدادي.
- **الفصَل في الأهواء والملل والنحل**، ابن حزم.
- **الملل والنحل**، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني.
- **تلخيص الشافي**، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- **الكامل في التاريخ**، عز الدين أبو الحسن الملقب بابن الأثير.
- **الإمام زيد**، محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة.

- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة - الدار المصرية للطباعة والنشر - بيروت.
- **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري**، د. أيمن فؤاد سيد - الدار المصرية اللبنانية - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الزيدية**، أحمد محمد صبحي - الزهراء للإعلام العربي القاهرة.
- **المذهب الزيدي**، د. أحمد محمد صبحي - منشأة المعارف - الإسكندرية.

٧ ـ الأشاعرة

التعريف:

الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين(*) والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **أبو الحسن الأشعري**: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠هـ ومرت حياته الفكرية بثلاث مراحل:

ـ **المرحلة الأولى**: عاش فيها في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته. ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

ـ **المرحلة الثانية**: ثار فيها على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال وخط لنفسه منهجاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل(*)، وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل، وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

ـ **المرحلة الثالثة**: إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف(*) ولا تشبيه(*) ولا تعطيل(*) ولا تحريف(*) ولا تبديل ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب كتاب **الإبانة عن أصول الديانة** الذي عبّر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم، الذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل. ولم يقتصر على ذلك بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدّر بثمانية وستين مؤلفاً، توفي سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته: «اليوم مات ناصر السنة».

● بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، وعلى يد أئمة المذهب(*) وواضعي أصوله

وأركانه، أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده، وما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية على منهج مؤصل، واضحة أصوله الاعتقادية، ولا كيفية التعامل مع النصوص الشرعية، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة مذهب السلف والرد على المعتزلة واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة. ومن أبرز مظاهر ذلك التطور:

- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
- الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.
- الدخول في الفلسفة(*) وجعلها جزءًا من المذهب.

● **من أبرز أئمة المذهب:**

- **القاضي أبو بكر الباقلاني:** (٣٢٨ ـ ٤٠٣هـ) (٩٥٠ ـ ١٠١٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالىٰ فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤوّلة وذلك في كتابه: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**.

ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه: **إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية**.

- **أبو إسحاق الشيرازي** (٣٩٣ ـ ٤٧٦هـ) (١٠٠٣ ـ ١٠٨٣م). وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (٤١٥هـ). وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام(*)، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل(*) والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على شاطىء دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.

عاش فقيراً صابراً، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً، مناظراً، ينظم الشعر، مات ببغداد وصلى عليه المقتدي العباسي.

من مصنفاته: **التنبيه، والمهذَّب** في الفقه، **والتبصرة** في أصول الشافعية، **وطبقات الفقهاء، واللمع** في أصول الفقه وشرحه، **والملخص، والمعونة** في الجدل.

● **أبو إسحاق الإسفراييني**: (٤١٨هـ) (١٠٢٧م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي. ألَّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه **الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين**. قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني ـ يرحمه الله تعالى ـ في يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

● **إمام الحرمين أبو المعالي الجويني**: (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ) (١٠٢٨ ـ ١٠٨٥م). وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلدة جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف. وقد قال في رسالته **النظامية**: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. . . . ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه **غياث الأمم في التياث الظلم**، فبالرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي فقد قال فيه: «والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات. . .».

ـ نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به». توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذٍ أربعمائة. ومن مصنفاته. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، **البرهان في أصول الفقه**، ونهاية **المطلب في دراية المذهب** في فقه الشافعية، و**الشامل في أصول الدين**.

● **أبو حامد الغزالي**: (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) (١٠٥٨ ـ ١١١١م) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام. . . ولد في الطابران، قصبة طوس بخراسان وتُوفِّي فيها. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته.

لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما

يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام وبيّن أن أدلته لا تفيد اليقين كما في كتبه **المنقذ من الضلال**، وكتاب **التفرقة بين الإيمان والزندقة**(*)، وحرم الخوض فيه فقال: «لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام». اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة.. وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.

● **الإمام الفخر الرازي (٥٤٤هـ ـ ١١٥٠م) (٦٠٦هـ ـ ١٢١٠م)**: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، قال عنه صاحب **وفيات الأعيان** «إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام(*)، والمعقولات» اهـ. وهو المعبر عن المذهب(*) الأشعري في مرحلته الأخيرة، حيث خلط الكلام بالفلسفة(*)، بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية. قال فيه الحافظ ابن حجر في **لسان الميزان**: (٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩): «كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن» إلا أنه أدرك عجز العقل(*) فأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده، فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج(*) السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرق علم الكلام(*) فقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، ثم قال في حسرة وندامة: «ومن جرب تجربتي عرف معرفتي» اهـ. (**الحموية الكبرى** لابن تيمية).

ومن أشهر كتبه في علم الكلام: **أساس التقديس في علم الكلام**، **شرح قسم للإلهيات من إشارات ابن سينا**، **واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات**، **البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال**، **كافية العقول**.

الأفكار والمعتقدات:

● مصدر التلقي عند الأشاعرة: الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في **أساس التقديس** والآمدي وابن فورك وغيرهم.

ـ عدم الأخذ بأحاديث الآحاد(*) في العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقيني ولا مانع من

الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي. والمتواتر(*) منها يجب تأويله، ولا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ومن سار على نهجهم، إذ كان النبي ﷺ يرسل الرسل فرادى لتبليغ الإسلام، كما أرسل معاذاً إلى أهل اليمن، ولقوله ﷺ: «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها...**» الحديث، وحديث تحويل القبلة وغير ذلك من الأدلة.

ـ مذهب طائفة منهم، وهم صوفيتهم كالغزالي والجامي، في مصدر التلقي، تقديم الكشف(*) والذوق على النص، وتأويل النص ليوافقه. ويسمون هذا «العلم اللدني» جرياً على قاعدة الصوفية «حدثني قلبي عن ربي». وكما وضح ذلك في الرسالة اللدنية ١/ ١١٤ ـ ١١٨ من مجموعة **القصور العوالي**، **كبرى اليقينيات** لمحمد سعيد رمضان البوطي، الإهداء ـ ٣٢ ـ ٣٥. ولا يخفى ما في هذا من البطلان والمخالفة لمنهج(*) أهل السنة والجماعة(*)، وإلا فما الفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب؟

● يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام:

ـ قسم مصدره العقل(*) وحده وهو معظم الأبواب ومنه باب الصفات ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل «عقلية» وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي(*) عندهم، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسنة فإنهم يؤولونها.

ـ قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية ـ على خلاف بينهم فيها.

ـ قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان، وهو مما لا يحكم العقل باستحالته، فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكماً، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً، وفي الرؤية جعلوه مساوياً. أما في مذهب أهل السنة والجماعة فلا منافاة بين العقل والنقل أصلاً، ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب آخر، وإنما يُبدأ بتقديم النقل على العقل.

● خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث، وعدم حلوله فيها، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسمٍ ولا في جهة ولا في مكان. وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل: إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء، بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة

السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

● التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة، أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة. وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له. ولذلك فسروا الإله(*) بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين؛ لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم. وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة(*) من سلف الأمة ومن تبعهم، وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته وتأويل بعض صفاته.

وهكذا خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد، إذ يعتقد أهل السنة والجماعة أن التوحيد الذي هو أول واجب على العبيد إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على نحو ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تحريف(*) أو تعطيل(*) أو تكييف أو تمثيل.

ـ إن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر أو القصد إلى النظر ثم الإيمان، ولا تكفي المعرفة الفطرية، ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره.

بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وتوحيده توحيد الألوهية بدليل الكتاب والسنة والإجماع(*)، وأن معرفة الله تعالى أمر فطري مركوز في النفوس.

ـ يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع، وكذلك صفتا العلو والاستواء. وقد ذهب المتأخرون منهم إلى تفويض معانيها إلى الله تعالى على أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه، ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات بل توسعوا في باب التأويل(*) ، فشمل أكثر نصوص الإيمان، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء. أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معنى النص - بمعنى تحريفه - أو تفويضه(*)، سواءً أكان في نصوص الصفات أم في غيرها.

● الأشاعرة في الإيمان بين: المرجئة(*) التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية(*) التي تقول يكفي التصديق القلبي. ورجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناجٍ عند الله وإن لم ينطق بالشهادتين، **(تبسيط**

العقائد الإسلامية ٢٩ ـ ٣٢). ومال إليه البوطي في (**كبرى اليقينيات** ١٩٦). وفي هذا مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومخالفة لنصوص القرآن الكريم الكثيرة، منها: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. وعليه يكون إبليس من الناجين من النار؛ لأنه من المصدقين بقلوبهم، وكذلك أبو طالب عم النبي ﷺ، ولم يكن هناك داع لحرص النبي ﷺ على قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله وغير ذلك كثير.

● الأشاعرة مضطربون في قضية التكفير(*). فتارة يقولون لا نكفر أحداً، وتارة يقولون لا نكفر إلا من كفرنا، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع، فمثلاً يكفرون من يثبت علو الله الذاتي أو من يأخذ بظواهر النصوص، إذ يقولون: إن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر.

أما أهل السنة والجماعة(*) فيرون أن التكفير حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعاً، ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع.

● قولهم بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة. يقول صاحب **الجوهرة**: «يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم» وذلك في محاولة لم يحالفها النجاح للتوفيق بين أهل السنة والجماعة(*) والمعتزلة. أما مذهب أهل السنة والجماعة فهو: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى ـ عليه السلام ـ ويسمعه الخلائق يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

● والإيمان والطاعة بتوفيق الله، والكفر(*) والمعصية بخذلانه، والتوفيق عند الأشعري، خلق القدرة على الطاعة، والخذلان عنده خلق القدرة على المعصية، وعند بعض أصحاب الأشعري، تيسير أسباب الخير هو التوفيق وضده الخذلان.

● كل موجود يصح أن يرى، والله موجود يصح أن يُرى، وقد ورد في القرآن أن المؤمنين يرونه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. ولكن يرى الأشاعرة أنه لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع فإن كل ذلك مستحيل. وفي ذلك نفي لعلو الله تعالى والجهة، بل ونفي للرؤية نفسها. ويقترب الرازي كثيراً من قول المعتزلة في تفسيره للرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي.

● حصر الأشاعرة دلائل النبوة(*) بالمعجزات(*) التي هي الخوارق، موافقة للمعتزلة

وإن اختلفوا معهم في كيفية دلالتها على صدق النبي، بينما يرى جمهور أهل السنة أن دلائل ثبوت النبوة(*) للأنبياء كثيرة ومنها المعجزات.

● صاحب الكبيرة(*) إذا خرج من الدنيا بغير توبة حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي ﷺ(*)، موافقة لمذهب(*) أهل السنة والجماعة(*).

● يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها، ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته. ولقد عدَّ المحققون «الكسب» هذا من محالات الكلام وضربوا له المثل في الخفاء والغموض، فقالوا: «أخفى من كسب الأشعري»، وقد خرج إمام الحرمين وهو من تلاميذ الأشعري عن هذا الرأي، وقال بقول أهل السنة والجماعة بل الأشعري نفسه، في كتاب **الإبانة**، رجع عن هذا الرأي.

● قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقاً، ولكنهم قالوا إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل إثبات صدق النبي، فتناقضوا في ذلك بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض وبين إثبات الله للرسول(*) المعجزة تفريقاً بينه وبين المتنبيء.

● وافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ، وأمور الآخرة من: الحشر والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة والجنة والنار؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية.

● كما وافقوهم في القول في الصحابة على ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأً وعن اجتهاد منهم، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم؛ لأن الطعن فيهم إما كفر، أو بدعة، أو فسق، كما يرون الخلافة في قريش، وتجوز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، ولا يجوز الخروج على أئمة الجور، بالإضافة إلى موافقة أهل السنة في أمور العبادات والمعاملات.

● فضلاً عن تصدي الأشعري للمعتزلة ومحاجتهم بنفس أسلوبهم الكلامي ليقطع شبهاتهم ويرد حجتهم عليهم، تصدى، أيضاً، للرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية(*)، والروافض(*) وغيرهم من أهل الأهواء الفاسدة والنحل الباطلة.

● والأشعري في كتاب **الإبانة عن أصول الديانة** الذي هو آخر ما ألَّف من الكتب على أصح الأقوال[1]، رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الإثبات وعدم

(١) كما بين ذلك الحافظ ابن عساكر في تبيين **كذب المفتري** ص ١٣٦، والحافظ البيهقي في كتاب **الاعتقاد** ص ٩٦، ١٠٩، وكذلك ظهرت دراسات جادة قام بها بعض الباحثين أثبت ذلك مثل: **المذاهب الإسلامية** للبروي ص ٥١٨، ومقدمة **الإبانة** لفوقية محمد ص ٢٧.

التأويل. . يقول رحمه الله: «وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به ضلال الشاكِّين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم وجليل معظَّم وكبير مفخَّم».

● إن مدرسة الأشعري الفكرية لا تزال مهيمنة على الحياة الدينية في العالم الإسلامي، ولكنها كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «فقدت حيويتها ونشاطها الفكري، وضعف إنتاجها في الزمن الأخير ضعفاً شديداً، وبدت فيها آثار الهرم والإعياء». لماذا؟

ـ لأن التقليد طغى على تلاميذ هذه المدرسة، وأصبح علم الكلام(*) لديهم علماً متناقلاً بدون تجديد في الأسلوب.

ـ لإدخال مصطلحات الفلسفة(*) وأسلوبها في الاستدلال في علم الكلام. . فكان لهذا أثر سيىء في الفكر الإسلامي، لأن هذا الأسلوب لا يفيد العلم القطعي. . . ولهذا لم يتمثل الأشاعرة بعد ذلك مذهب أهل السنة والجماعة(*) ومسلك السلف، تمثُّلاً صحيحاً، لتأثرهم بالفلاسفة وإن هم أنكروا ذلك. . حتى الغزالي نفسه الذي حارب الفلاسفة في كتابه **تهافت الفلاسفة** يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي: «شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر».

ـ تصدى الإمام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة ـ ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرة منهم ـ في كتابه القيم: **درء تعارض العقل والنقل**، وفنَّد آراءهم الكلامية، وبيَّن أخطاءهم وأكَّد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كما رأينا في آراء أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية أن العقيدة الإسلامية، كما هي في الكتاب والسنة، على منهج(*) ابن كلاب هي الأساس في آرائه الكلامية وفق ما يتفق مع أحكام العقل(*).

● تأثر أئمة المذهب بعد أبي الحسن الأشعري ببعض أفكار ومعتقدات الجهمية(*) من الإرجاء(*) والتعطيل(*)، وكذلك بالمعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية، كما تأثروا بالجبرية(*) في مسألة القدر(*).

● لا ينفي ذلك تأثرهم بعقيدة أهل السنة والجماعة(*) فيما وافقوهم فيها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشر المذهب(*) الأشعري في عهد وزارة نظام الملك الذي كان أشعريَّ العقيدة، وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية، وكذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة.

وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية، ومدرسة نيسابور النظامية، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها، كما تبنى المذهب وعمل على نشره المهدي بن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين. ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله، وما زال المذهب الأشعري سائداً في أكثر البلاد الإسلامية وله جامعاته ومعاهده المتعددة.

يتضح مما سبق:

أن الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة ودعا فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، على طريقة ابن كلاب، وهي تثبت بالعقل(*) الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى، (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام). واختلفوا في صفة البقاء، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها، بينما يؤولون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها. ويؤمن متأخرو الأشاعرة ببعض الأفكار المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة(*) التي تصدى لها ولغيرها شيخ الإسلام ابن تيمية، في مجال العقيدة خاصة، إذ أكد أن أسلوب القرآن والسنة بفهم السلف الصالح هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة والدين. وعموماً فإن عقيدة الأشاعرة تنسب إلى عقيدة أهل السنة والجماعة بالمعنى العام في مقابل الخوارج والشيعة(*) والمعتزلة، وأن الأشاعرة، وبخاصة أشاعرة العراق الأوائل أمثال أبي الحسن الأشعري، والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني وغيرهم، أقرب إلى السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، بل من أشاعرة خراسان كأبي بكر بن فورك وغيره، وإنهم لَيُحمدون على مواقفهم في الدفاع عن السنة والحق في وجه الباطنية(*) والرافضة(*) والفلاسفة، فكان لهم

جهدهم المحمود في هتك أستار الباطنية وكشف أسرارهم، بل كان لهم جهادهم المشكور في كسر سورة المعتزلة والجهمية(*). وعلى ذلك فإن حسناتهم على نوعين كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية: «إما موافقة السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم». ويقول، أيضاً: «ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع(*) والباطل، وخير الأمور أوسطها». **درء التعارض** ٢/ ١٠٢، ١٠٣. ويقول في كتاب **النبوات**: «حيث إن خطأهم بعد اجتهادهم مغفور» ٢٢٠. وأخيراً يقول في **درء التعارض**: «.. فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول. فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح... وما من أحد من هؤلاء ولا من هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع» ٨/ ٢٧٥.

مراجع للتوسع:

(ا) مراجع المذهب:

- أساس التقديس ـ فخر الدين الرازي.
- الشامل ـ لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.
- الرسالة اللدنية من مجموعة القصور العوالي ـ أبو حامد الغزالي.
- الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ للقاضي أبي محمد بن الطيب الباقلاني.
- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني.
- شرح الباجوري على الجوهرة ـ للباجوري.
- تبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب.
- الله جل جلاله ـ سعيد حوى.
- أركان الإيمان وهبي سليمان غاوجي.
- كبرى اليقينيات ـ محمد سعيد رمضان البوطي.

(ب) مراجع وكتب غير المذهب

- الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي.

- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.
- العقيدة التدمرية لابن تيمية.
- العقيدة الأصفهانية لابن تيمية.
- العقيدة الواسطية لابن تيمية.
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية د. محمد أمان بن علي الجامي.
- منهج الأشاعرة في العقيدة لسفر الحوالي.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة - د. عبد الرحمن صالح المحمود.
- منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج الأشاعرة - خالد بن عبداللطيف بن محمد نور.

٨ـ الماتريدية

التعريف:

الماتريدية: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها، من المعتزلة والجهمية(*) وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مرت الماتريدية كفرقة كلامية بعدة مراحل، ولم تُعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها، كما لم تعرف الأشعرية وتنتشر إلا بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، ولذلك فإنه يمكن إجمالها في أربع مراحل رئيسة كالتالي:

● **مرحلة التأسيس**: [٠٠٠ ـ ٣٣٣ هـ] التي اتسمت بشدة المناظرات مع المعتزلة وصاحب هذه المرحلة:

ـ **أبو منصور الماتريدي**: [٠٠٠ ـ ٣٣٣ هـ]: هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، نسبة إلى (ماتريد) وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر، ولد بها، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، بل لم يذكر من ترجم له كثيراً عن حياته، أو كيف نشأ وتعلم، أو بمن تأثر. ولم يذكروا من شيوخه إلا العدد القليل مثل نصير بن يحيىٰ البلخي، وقيل نصر وتلقىٰ عنه علوم الفقه الحنفي وعلوم الكلام(*).

ـ أطلق عليه الماتريدية، ومن وافقهم عدة ألقاب تدل علىٰ قدره وعلو منزلته عندهم مثل: «إمام الهدىٰ»، «إمام المتكلمين».

قال عبد الله المراغي في كتابه **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**: «كان أبو منصور قوي الحجة، فحما في الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين..» (١/ ١٩٣، ١٩٤). وقال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه **رجال الفكر والدعوة** «جهبذ من جهابذة الفكر الإنساني، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة» (ص ١٣٩). بل كان يرجِّحه علىٰ أبي الحسن الأشعري في كتابه **تاريخ الدعوة والعزيمة** (١/ ١١٤، ١١٥).

ـ عاصر أبا الحسن الأشعري، وعاش الملحمة بين أهل الحديث وأهل الكلام من

المعتزلة وغيرهم، فكانت له جولاته ضد المعتزلة وغيرهم، ولكن بمنهاج(*) غير منهاج الأشعري، وإن التقيا في كثير من النتائج غير أن المصادر التاريخية لا تثبت لهما لقاء أو مراسلات بينهما، أو اطلاعاً على كتب بعضهما.

ـ توفي رحمه الله تعالىٰ عام ٣٣٣هـ، ودفن بسمرقند، وله مؤلفات كثيرة: في أصول الفقه، والتفسير. ومن أشهرها: **تأويلات أهل السنة أو تأويلات القرآن**. وفيه تناول نصوص القرآن الكريم، ولا سيما آيات الصفات، فأوّلها تأويلات جهمية(*). ومن أشهر كتبه في علم الكلام **كتاب التوحيد**. وفيه قرر نظرياته الكلامية، وبيّن معتقده في أهم المسائل الاعتقادية، ويقصد بالتوحيد: توحيد الخالقية والربوبية، وشيئاً من توحيد الأسماء والصفات، ولكن علىٰ طريقة الجهمية(*) بتعطيل كثير من الصفات بحجة التنزيه(*) ونفي التشبيه(*)؛ مخالفاً طريقة السلف الصالح. كما ينسب إليه شرح كتاب **الفقه الأكبر**[1] للإمام أبي حنيفة، وله في الردود علىٰ المعتزلة **رد الأصول الخمسة**، وأيضاً، في الرد علىٰ الروافض(*) **رد كتاب الإمامة لبعض الروافض**، وفي الرد علىٰ القرامطة **الرد على فروع مذهب القرامطة**.

● **مرحلة التكوين**: [٣٣٣ هـ ـ ٥٠٠ هـ]: وهي مرحلة تلامذة الماتريدي ومن تأثر به من بعده، وفيها أصبحت فرقة كلامية ظهرت أولاً في سمرقند، وعمل التلامذة على نشر أفكار شيخهم وإمامهم، ودافعوا عنها، وصنفوا التصانيف متبعين مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع (الأحكام)، فراجت العقيدة الماتريدية في تلك البلاد أكثر من غيرها. ومن أشهر أصحاب هذه المرحلة: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندي (٣٤٢هـ)، عرف بأبي القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه، وأبو محمد عبد الكريم بن موسىٰ بن عيسىٰ البزدوي (٣٩٠ هـ).

● ثم تلا ذلك مرحلة أخرى تُعد امتداداً للمرحلة السابقة. ومن أهم وأبرز شخصياتها:

ـ أبو اليسر البزدوي [٤٢١ـ٤٩٣هـ]: هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم، والبزدوي نسبة إلىٰ بزدوة. ويقال بزدة، ولقب بالقاضي الصدر، وهو شيخ الحنفية بعد أخيه

---

(١) نسبة الكتاب إلىٰ الماتريدي فيها نظر؛ لأن المصادر التي ترجمت للماتريدي أو التي تهتم بكتب المؤلفين لم تشر إليه، وقد نفىٰ نسبة هذا الكتاب إليه العديد من المستشرقين والعلماء، منهم «وينسنك» في كتابه «عقيدة المسلمين» ص ١٢٢، ١٣، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه **تاريخ المذاهب الإسلامية** ص ١٧٥، ١٧٦، وذكر الكوثري الماتريدي في مقدمة كتابه **العالم والمتعلم** أن عدة نسخ للكتاب مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية فيها التصريح بنسبته إلىٰ أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد الفقيه السمرقندي. ويدل علىٰ ذلك ما ورد في ص ٢٥ من الكتاب نفسه. يقول المؤلف قال الفقيه أبوالليث [يرحمه الله].

الكبير علي البزدودي، ولد عام (٤٢١هـ).

- تلقىٰ العلم علىٰ يد أبيه، الذي أخذه عن جده عبدالكريم تلميذ أبي منصور الماتريدي، قرأ كتب الفلاسفة أمثال الكندي، وغيره، وكذلك كتب المعتزلة أمثال الجبائي، والكعبي، والنّظام، وغيرهم، وقال فيها: «لا يجوز إمساك تلك الكتب والنظر فيها؛ لكي لا تحدث الشكوك، وتوهن الاعتقاد»، ولا يرى نسبة الممسك إلىٰ البدعة(*). كما اطلع على كتب الأشعري، وتعمق فيها، وقال بجواز النظر فيها بعد معرفة أوجه الخطأ فيها، كما اطلع علىٰ كتابي **التأويلات، والتوحيد** للماتريدي فوجد في كتاب **التوحيد** قليل انغلاق وتطويل، وفي ترتيبه نوع تعسير، فعمد إلىٰ إعادة ترتيبه وتبسيطه مع ذكر بعض الإضافات عليه في كتابه **أصول الدين**.

- أخذ عن الشيخ أبي اليسر البزدوي جمٌّ غفير من التلاميذ؛ من أشهرهم: ولده القاضي أبو المعالي أحمد، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية، وغيرهما.

- توفي يرحمه الله تعالىٰ في بخارىٰ في التاسع من رجب سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

● **مرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة الماتريدية: [٥٠٠ - ٧٠٠ هـ]:** وامتازت بكثرة التأليف وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية؛ ولذا فهي أكبر الأدوار السابقة في تأسيس العقيدة، ومن أهم أعيان هذه المرحلة:

- **أبو المعين النسفي [٤٣٨ - ٥٠٨ هـ]:** هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد النسفي المكحولي، والنسفي نسبة إلىٰ نسف وهي مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، والمكحولي نسبة إلىٰ جده الأكبر، ولكن نسبته إلىٰ بلده غلبت نسبته إلىٰ جده، وله ألقاب عدة من أشهرها: سيف الحق والدين.

- ويعد من أشهر علماء الماتريدية، إلا أن من ترجم له لم يذكر أحداً من شيوخه، أو كيفية تلقيه العلم، يقول الدكتور فتح الله خليف: «ويعتبر الإمام أبو المعين النسفي من أكبر من قام بنصرة مذهب الماتريدي، وهو بين الماتريدية كالباقلاني والغزالي بين الأشاعرة، ومن أهم كتبه **تبصرة الأدلة**، ويعد من أهم المراجع في معرفة عقيدة الماتريدية بعد كتاب **التوحيد** للماتريدي، بل هو أوسع مرجع في عقيدة الماتريدية على الإطلاق، وقد اختصره في كتابه **التمهيد**، وله، أيضاً، كتاب **بحر الكلام**، وهو من الكتب المختصرة التي تناول فيها أهم القضايا الكلامية».

- توفي يرحمه الله تعالىٰ في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمانٍ وخمسمائة، وله سبعون سنة.

ـ **نجم الدين عمر النسفي [٤٦٢ ـ ٥٣٧ هـ]**: هو أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد ابن أحمد بن إسماعيل... بن لقمان الحنفي النسفي السمرقندي، وله ألقاب عدة أشهرها: نجم الدين، ولد في نسف سنة إحدىٰ أو اثنتين وستين وأربعمائة.

ـ كان من المكثرين من الشيوخ، فقد بلغ عدد شيوخه خمسمائة رجل ومن أشهرهم أبو اليسر البزدوي، وعبد الله بن علي بن عيسىٰ النسفي. وأخذ عنه خلقٌ كثير، وله مؤلفات بلغت المائة منها **مجمع العلوم، التيسير في تفسير القرآن، النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح** في شرح البخاري وكتاب العقائد المشهور **بالعقائد النسفية**، والذي يعد من أهم المتون في العقيدة الماتريدية وهو عبارة عن مختصر لتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي قال فيه السمعاني في ترجمته له: «كان إماماً فاضلاً متقناً، صنَّف في كل نوع من التفسير والحديث... فلما وافيت سمرقند استعرت عدة كتب من تصانيفه، فرأيت فيها أوهاماً كثيرة خارجة عن الحد، فعرفت أنه كان ممن أحب الحديث، ولم يرزق فهمه».

ـ توفي يرحمه الله تعالىٰ بسمرقند ليلة الخميس ثاني عشر من جمادى الأولىٰ سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

● **مرحلة التوسع والانتشار**: [٧٠٠ ـ ١٣٠٠ هـ]: وتعد من أهم مراحل الماتريدية، إذ بلغت أوجَ توسعها وانتشارها في هذه المرحلة؛ وما ذلك إلا لمناصرة سلاطين الدولة العثمانية، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية، فانتشرت في: شرق الأرض، وغربها، وبلاد العرب، والعجم، والهند، والترك، وفارس، والروم.

وبرز فيها أمثال: الكمال بن الهمام صاحب **المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، والذي ما زال يدرَّس في بعض الجامعات الإسلامية. وفي هذا الدور كثر تأليف الكتب الكلامية من: المتون، والشروح، والشروح علىٰ الشروح، والحواشي علىٰ الشروح.

وهناك مدارس ما زالت تتبنى الدعوة للماتريدية في شبه القارة الهندية، وتتمثل في:

ـ **مدرسة ديوبند والندوية [١٢٨٣هـ ـ ...]** وفيها كثر الاهتمام بالتأليف في علم الحديث وشروحه، فالديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية؛ إلا أنهم متصوفة محضة، وعند كثير منهم بدعٌ قبورية، كما يشهد عليهم كتابهم **المهنَّد علىٰ المفنَّد** للشيخ خليل أحمد السهارنفوري أحد أئمتهم، وهو من أهم كتب الديوبندية في العقيدة، ولا تختلف عنها المدرسة الندوية في كونها ماتريدية العقيدة.

ـ **مدرسة البريلوي [١٢٧٢ هـ ـ ...]** نسبة إلىٰ زعيمهم أحمد رضا خان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي الملقب بعبد المصطفىٰ [١٣٤٠ هـ] وفي هذا الدور يظهر الإشراك

الصريح، والدعوة إلىٰ عبادة القبور، وشدة العداوة للديوبندية، وتكفيرهم فضلاً عن تكفير(*) أهل السنة(*).

- **مدرسة الكوثري [١٢٩٦ هـ - ...]** وتنسب إلىٰ الشيخ محمد زاهد الكوثري الجركسي الحنفي الماتريدي (١٣٧١ هـ)، ويظهر فيها شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، وجعل كتب السلف ككتب: **التوحيد، والإبانة، والشريعة، والصفات، والعلو**، وغيرها من كتب أئمة السنة، كتب وثنيةٍ(*) وتجسيم وتشبيهٍ(*)، كما يظهر فيها، أيضاً، شدة الدعوة إلىٰ البدع(*) الشركية وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل. انظر تعليقات الكوثري علىٰ كتاب **الأسماء والصفات** للبيهقي، وكتاب **مقالات الكوثري**.

أهم الأفكار والمعتقدات:

● من حيث مصدر التلقي: قسّم الماتريدية أصول الدين حسب مصدر التلقي إلىٰ:

- **الإلٰهيات** [العقليات]: وهي ما يستقل العقل(*) بإثباتها والنقل تابع له، وتشمل أبواب التوحيد والصفات.

- **الشرعيات** [السمعيات]: وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتاً ونفياً، ولا طريق للعقل إليها مثل: النبوات، وعذاب القبر، وأمور الآخرة، علماً بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات.

ولا يخفىٰ ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة(*)، إذ إن القرآن والسنة وإجماع(*) الصحابة هي مصادر التلقي عندهم، فضلاً عن مخالفتهم في بدعة تقسيم أصول الدين إلىٰ: عقليات وسمعيات، والتي قامت علىٰ فكرة باطلة أصّلها الفلاسفة من أن نصوص الدين(*) متعارضة مع العقل، فعملوا علىٰ التوسط بين العقل والنقل، مما اضطرهم إلىٰ إقحام العقل في غير مجالات بحثه؛ فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلىٰ التأويل(*) والتفويض(*)، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل السليم الصريح والنقل الصحيح.

● بناءً علىٰ التقسيم السابق فإن موقفهم من الأدلة النقلية في مسائل الإلٰهيات [العقليات] كالتالي:

- إن كان من نصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة(*) مما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة عندهم، أي مقبولاً عقلاً، خالياً من التعارض مع عقولهم؛ فإنهم يحتجون به في تقرير العقيدة. وأما إن كان قطعي الثبوت ظني الدلالة عندهم أي: مخالفاً لعقولهم، فإنه لا يفيد

اليقين، ولذلك تُؤوَّل الأدلة النقلية بما يوافق الأدلة العقلية، أو تفوض معانيها إلىٰ الله عز وجل. وهم في ذلك مضطربون، فليست عندهم قاعدة مستقيمة في التأويل(*) والتفويض(*)؛ فمنهم من رجّح التأويل علىٰ التفويض، ومنهم من رجّح التفويض، ومنهم من أجاز الأمرين، وبعضهم رأىٰ أن التأويل لأهل النظر والاستدلال، والتفويض أليق للعوام.

والملاحظ أن القول بالتأويل(*) لم يكن علىٰ عهد النبي ﷺ، ولا أصحاب القرون المفضلة، وإنما هي بدعة دخلت علىٰ الجهمية(*) والمعتزلة من اليهود والنصارىٰ، وإلى التأويل يرجع جميع ما أُحدث في الإسلام من بدع فرّقت شمل الأمة، وهو شر من التعطيل؛ إذ يستلزم التشبيه(*)، والتعطيل، واتهاماً للرسول ﷺ بالجهل، أو كتمان بيان ما أنزل الله.

وأما القول بالتفويض(*) فهو من شر أقوال أهل البدع لمناقضته ومعارضته نصوص التدبر للقرآن، واستلزام تجهيل الأنبياء والمرسلين برب العالمين.

ـ وإن كانت الأدلة من أحاديث الآحاد(*) فإنها عندهم تفيد الظن، ولا تفيد العلم اليقيني، ولا يُعمل بها في الأحكام الشرعية مطلقاً، بل وفق قواعدهم وأصولهم التي قرروها، وأما في العقائد فإنه لا يحتج بها، ولا تثبت بها عقيدة، وإن اشتملت علىٰ جميع الشروط المذكورة في أصول الفقه(*)، وإن وردت مخالفة للعقل(*) ولا تحتمل التأويل رُدَّت بافتراء ناقلها أو سهوه أو غلطه، وإن كانت ظاهرة فظاهرها غير مراد، وهذا موقف الماتريدية قديماً وحديثاً؛ حتىٰ أن الكوثري ومن وافقه من الديوبندية طعنوا في كتب السنة بما فيها الصحيحان، وفي عقيدة أئمة السنة مثل: حماد بن سلمة راوي أحاديث الصفات، والإمام الدارمي عثمان بن سعيد صاحب السنن. وهذا قول مبتدع محدث ابتدعته القدرية(*) (١) والمعتزلة(*)، لأن الأحاديث حجة عليهم، وهو مخالف لفعل النبي ﷺ، إذ كان يبعث الرسل إلىٰ الملوك والرؤساء فُرادىٰ يدعونهم إلىٰ الإسلام. وكذلك فإن تقسيم ما ورد عن النبي ﷺ إلىٰ متواتر(*) وآحاد(*) لم يكن معروفاً في عصر الصحابة والتابعين.

ـ كما رتبوا علىٰ ذلك وجوب معرفة الله تعالىٰ بالعقل(*) قبل ورود السمع، واعتبروه أول واجب علىٰ المكلف، ولا يعذر بتركه ذلك، بل يعاقب عليه ولو قبل بعثة الأنبياء والرسل. وبهذا وافقوا قول المعتزلة: وهو قول ظاهر البطلان، تعارضه الأدلة من الكتاب والسنة، والتي تبين أن معرفة الله تعالىٰ يوجبها العقل، ويذم من يتركها، لكن العقاب علىٰ الترك لا يكون إلا بعد ورود الشرع، يقول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

(١) أول من قال بهذا القول هو: إسماعيل ابن علية (ت ٢١٨هـ) قال عنه الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال: «جهمي هالك كان يناظر في خلق القرآن». (١/ ٢٠) ناظره الإمام الشافعي، وقال فيه: «هو ضال».

[الإسراء: ١٥] وأن أول واجب على المكلف، وبه يكون مسلماً: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والبراءة من كل دين(*) يخالف دين الإسلام على الإجمال، ولهذا لما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن لم يأمره بغير ذلك. وكذلك الأنبياء لم يدعوا أقوامهم إلا بقول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ـ وقالوا، أيضاً، بالتحسين والتقبيح العقليين(*)، إذ يدرك العقل حسن الأشياء وقبحها، إلا أنهم اختلفوا في حكم الله تعالى بمجرد إدراك العقل للحسن والقبح. فمنهم من قال: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسول؛ كما سبق، ومنهم من قال بعكس ذلك.

ـ وذهبت كذلك الماتريدية كغيرها من الفرق الكلامية إلى أن المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث؛ ويقصدون بالمجاز أنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، وهو قسيم الحقيقة عندهم. ولذلك اعتمدوا عليه في تأويل النصوص دفعاً ـ في ظنهم ـ لشبه التجسيم والتشبيه(*). وهو بهذا المعنى قول مبتدع، محدث، لا أصل له في اللغة ولا في الشرع. ولم يتكلم فيه أئمة اللغة كالخليل بن أحمد، وسيبويه فضلاً عن أئمة الفقهاء والأصوليين المتقدمين.

ـ مفهوم التوحيد عند الماتريدية هو: إثبات أن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسيم له، ولا جزء له، واحد في صفاته، لا شبيه له، واحد في أفعاله، لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات، ولذلك بذلوا غاية جهدهم في إثبات هذا النوع من التوحيد باعتبار أن الإله(*) عندهم هو: القادر على الاختراع. مستخدمين في ذلك الأدلة والمقاييس العقلية والفلسفية التي أحدثها المعتزلة والجهمية(*)، مثل دليل حدوث الجواهر والأعراض، وهي أدلة طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم وأساطين الكلام والفلسفة(*) وبينوا أن الطرق التي دل عليها القرآن أصح. بيّن ذلك أبو الحسن الأشعري في **رسالته إلى أهل الثغر**، وابن رشد الحفيد في **مناهج(*) الأدلة**. وشيخ الإسلام ابن تيمية في **درء تعارض العقل والنقل**. وأيضاً، خالفوا أهل السنة والجماعة(*) بتسويتهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالإله عند أهل السنة المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له. وما أرسلت الرسل إلا لتقرير ذلك الأمر، ودعوة البشرية إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

ـ أثبتوا لله تعالى أسماءه الحسنى، وقالوا: لا يسمّى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، وجاء به الشرع. وفي ذلك وافقوا أهل السنة والجماعة في القول بالتوقيف في أسمائه تعالى إلا أنهم خالفوهم فيما أدخلوه في أسمائه تعالى: كالصانع، القديم، الذات... إذ لم

يفرقوا بين باب الإخبار عن الله تعالىٰ وباب التسمية.

ـ وقالوا بإثبات ثماني صفاتٍ لله تعالىٰ فقط، علىٰ خلاف بينهم، وهي: الحياة، القدرة، العلم، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، التكوين. وعلىٰ أن جميع الأفعال المتعدية ترجع إلىٰ التكوين، أما ما عدا ذلك من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة [الصفات الخبرية] من صفات ذاتية، أو صفات فعلية، فإنها لا تدخل في نطاق العقل(*)، ولذلك قالوا بنفيها جميعاً. أما أهل السنة والجماعة(*) فهم كما يعتقدون في الأسماء يعتقدون في الصفات وأنها جميعاً توقيفية، ويؤمنون بها «بإثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل»، مع تفويض الكيفية وإثبات المعنىٰ اللائق بالله ـ تعالىٰ ـ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ـ قولهم بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، وإنما هو كلام الله تعالىٰ النفسي، لا يسمع، وإنما يسمع ما هو عبارة عنه، ولذلك فإن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة؛ وهو قول مبتدع محدث لم يدل عليه الكتاب ولا السنة، ولم يرد عن سلف الأمة. وأول من ابتدعه ابن كلاب. فالله تعالىٰ يتكلم إذا شاء متىٰ شاء بما شاء، ولا يزال يتكلم كما كلم موسىٰ، ويكلم عباده يوم القيامة، والقرآن كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، غير مخلوق. وكذلك التوراة والإنجيل والزبور. وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح ومن تبعهم بإحسان.

ـ تقول الماتريدية في الإيمان إنه التصديق بالقلب فقط، وأضاف بعضهم الإقرار باللسان، ومنعوا زيادته ونقصانه، وقالوا بتحريم الاستثناء فيه، وأن الإسلام والإيمان مترادفان، لا فرق بينهما، فوافقوا المرجئة(*) في ذلك، وخالفوا أهل السنة والجماعة(*)، إذ إن الإيمان عندهم: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان. يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. ويجوز الاستثناء فيه [والمقصود عدم تزكية النفس] والإيمان والإسلام متلازمان، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

● وافقت الماتريدية أهلَ السنة والجماعة في الإيمان بالسمعيات مثل: أحوال البرزخ، وأمور الآخرة من: الحشر، والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار؛ لأنهم جعلوا مصدر التلقي فيها السمع؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة.

ـ وبالتالي فإنهم أثبتوا رؤية الله تعالى في الآخرة؛ ولكن مع نفي الجهة والمقابلة. وهذا قول متناقض، إذ أثبتوا ما لا يمكن رؤيته، ولا يخفىٰ مخالفته لما عليه أهل السنة والجماعة.

● كما وافقت الماتريدية أهل السنة والجماعة في القول في الصحابة علىٰ ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأً عن اجتهاد منهم؛ ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم؛ لأن الطعن فيهم إما كفر(*)، أو بدعة(*)، أو فسق. كما يرون أن الخلافة(*) في قريش، وتجوز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجرٍ، ولا يجوز الخروج علىٰ الإمام الجائر.

● وأيضاً، وافقوا أهل السنة والجماعة في القول: بالقدر(*)، والقدرة، والاستطاعة، علىٰ أن كل ما يقع في الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته، وأن أفعال العباد من خير وشر من خلق الله تعالىٰ وأن للعباد أفعالاً اختيارية، يثابون عليها، أو يعاقبون عليها، وأن العبد مختار في الأفعال التكليفية غير مجبور علىٰ فعلها.

قالت الماتريدية بعدم جواز التكليف بما لا يُطاق موافقة المعتزلة في ذلك، والذي عليه أهل السنة والجماعة(*) هو: التفصيل، وعدم إطلاق القول بالجواز أو بالمنع.

الجذور الفكرية والعقائدية:

يتبين للباحث أن عقيدة الماتريدية فيها حق وباطل؛ فالحق قد أخذوه عن أهل السنة من الحنفية السلفية(*)، وغيرهم؛ لأن المستقرىء للتاريخ يجد أن الحنفية بعد الإمام أبي حنيفة رحمه الله تفرقوا فرقاً شتى[1] في وقت مبكر، ولم يَسِر علىٰ سيرة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه إلا من وفقه الله عز وجل. وقد كانت الغلبة في ذلك للأحناف المنتسبين للفرق المبتدعة من: جهمية(*)، ومعتزلة(*). ولأن المصادر التاريخية لم تُشِر إلىٰ كيفية تلقي أبي منصور الماتريدي العلم أو من تأثر بهم من العلماء، نستطيع ترجيح الآتي:

- تأثُّر أبي منصور الماتريدي مباشرة أو بواسطة شيوخه بعقائد الجهمية(*) من الإرجاء(*) والتعطيل(*)؛ وكذلك المعتزلة(*) والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف

---

(١) فعلى سبيل المثال نجد أن الإمام أبا جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي إمام الحنفية في وقته (٢٢٩ أو ٢٣٩ - ٣٢١هـ) صاحب العقيدة الطحاوية عقيدته سنية سلفية في الجملة.

- بينما راوي كتاب «الفقه الأكبر» عن أبي حنيفة أبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي جهمي مرجىء (١٩٩هـ) ولا يخفى تأثيره على الحنفية بسبب روايته للكتاب.

- القاضي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة من رؤوس فتنة القول بخلق القرآن ودعاتها، وكان ينسب هذا القول إلى أبيه وجده الإمام أبي حنيفة كذباً وزوراً.

- بشر بن غياث المريسي الحنفي جهمي مرجىء (٢٢٨هـ) إمام المريسية من فرق المرجئة ورافع لواء الجهمية بعد الجهم بن صفوان، وكان أبوه يهوديًا وكفَّره عدد من أئمة السنة.

- القاضي أحمد بن أبي دؤاد الحنفي معتزلي (٢٤٠هـ) رأس فتنة خلق القرآن وتلميذ بشر المريسي.

نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية ظنًا منه أنها عقيدة أهل السنة.

- تأثُّره بابن كلاب (٢٤٠ هـ) أول من ابتدع القول بالكلام النفسي لله عز وجل في بدعته هذه، وإن لم يثبت لهما لقاء، إذ توفي ابن كلاب قبل مولده، بل صرح شيخ الإسلام ابن تيمية أن أبا منصور الماتريدي تابع ابن كلاب في عدة مسائل: الصفات، وما يتعلق بها، كمسألة القرآن هل سبحانه يتكلمه بمشيئته وقدرته؟ ومسألة الاستثناء في الإيمان. **(مجموع الفتاوي ٧/ ٤٣٣، منهاج السنة ٢/ ٣٦٢)**.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت الماتريدية، وكثر أتباعها في بلاد الهند وما جاورها من البلاد الشرقية: كالصين، وبنجلاديش، وباكستان، وأفغانستان. كما انتشرت في بلاد تركيا، والروم، وفارس، وبلاد ما وراء النهر، والمغرب حسب انتشار الحنفية وسلطانهم، وما زال لهم وجود قوي في هذه البلاد، وذلك لأسباب كثيرة منها:

١ - المناصرة والتأييد من الملوك والسلاطين لعلماء المذهب، وبخاصة سلاطين الدولة العثمانية.

٢ - للمدارس الماتريدية دورٌ كبير في نشر العقيدة الماتريدية، وأوضح مثال علىٰ ذلك: المدارس الديوبندية بالهند وباكستان وغيرها؛ إذ ما زال يدرَّس فيها كتب الماتريدية في العقيدة علىٰ أنها عقيدة أهل السنة والجماعة(*).

٣ - النشاط البالغ في ميدان التصنيف في علم الكلام(*)، وردهم علىٰ الفرق المبتدعة الأخرىٰ، مثل الجهمية(*) الأولىٰ، والمعتزلة، والروافض(*).

٤ - انتسابهم للإمام أبي حنيفة ومذهبه في الفروع.

يتضح مما سبق:

أن الماتريدية فرقة كلامية نشأت بسمرقند في القرن الرابع الهجري، وتنسب إلىٰ أبي منصور الماتريدي، مستخدمة الأدلة والبراهين العقلية والفلسفية في مواجهة خصومها من المعتزلة، والجهمية وغيرهما من الفرق الباطنية(*)، في محاولة لم يحالفها التوفيق للتوسط بين مذهب أهل السنة والجماعة(*) في الاعتقاد ومذاهب المعتزلة والجهمية وأهل الكلام، فأعْلَوا شأن العقل(*) مقابل النقل، وقالوا ببدعة تقسيم أصول الدين إلىٰ عقليات وسمعيات مما اضطرهم إلىٰ القول بالتأويل(*) والتفويض(*)، وكذا القول بالمجاز في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد(*)، والقول بخلق الكتب. ومنها: القرآن

الكريم؛ وبأن القرآن الكريم كلام الله تعالى النفسي، مما قرّبهم إلىٰ المعتزلة والجهمية(*) في هذا الباب، وإلىٰ المرجئة(*) في أبواب الإيمان، وأهل السنة والجماعة في مسائل: القدر(*)، وأمور الآخرة وأحوال البرزخ، وفي القول في الإمامة، والصحابة رضي الله عنهم. ولما كان مفهومهم للتوحيد أنه يقتصر علىٰ توحيد الخالقية، والربوبية، تمكن التصوف الفلسفي من التغلغل في أوساطهم، فغلب علىٰ كبار منتسبيهم وقوي بقوة نفوذ وانتشار المذهب(*)؛ لوجود أكثر من دولة تحميه وتؤيده مثل الدولة العثمانية؛ فضلاً عن وجود جامعات ومدارس مشهورة تعمل علىٰ نشره، وكان لانتسابهم لمذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع أثره البالغ في انتشار المذهب الماتريدي إلى اليوم. ومع هذا فإن للماتريدية خدمات جليلة في الرد علىٰ المعتزلة والباطنية والفلاسفة الملحدين والروافض(*)، ولهم جهود مشكورة في خدمة كتب الحديث.

مراجع للتوسع:

(أ) كتب المذهب:

- **كتاب التوحيد**، أبو منصور الماتريدي.
- **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور الماتريدي.
- **تبصرة الأدلة**، أبو المعين النسفي.
- **بحر الكلام في علم التوحيد**، أبو المعين النسفي.
- **شرح العقائد النسفية**، لنجم الدين عمر النسفي/ التفتازاني.
- **المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، ابن الهمام مع شرحه المسامرة لابن أبي شريف، شرح قاسم بن قطلوبغا.
- **رسالة التوحيد**، الشيخ محمد عبده.
- **رسالة في الخلافات بين الأشعرية والماتريدية والمعتزلة**، مستحي زاده عبد الله بن عثمان.
- **مقالات الكوثري** ومعها مقدمة البنوري الديوبندي، لأحمد خيري.
- **تاريخ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية**، د. محيي الدين الألوائي.
- **العلماء العُزاب**، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.
- **الأجوبة الفاضلة**، للكنوي، تعليقات الشيخ عبد الفتاح أبي غدة. .
- **عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي**، د. أبو الخير محمد أيوب البنجلاديشي.
- **الفتاوى الرشيدية**، للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الديوبندي.

(ب) كتب ومراجع لغير المذهب:

- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي.
- **الأسماء والصفات**، البيهقي.
- **الإيمان**، [مجموع الفتاوى: ٧/ ٤ ـ ٤٢١] شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **الإكليل في المتشابه والتأويل** [مجموع الفتاوي: ١٣/ ٢٧٠ ـ ٣١٤] ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **درء تعارض العقل والنقل**، شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق د. رشاد محمد سالم.
- **اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية**، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. عبدالله المعتق.
- **ذم التأويل**، ابن قدامة المقدسي.
- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، عبدالرحمٰن بن يحيىٰ اليماني المعلمي.
- **البريلوية** عقائد وتاريخ، إحسان إلٰهي ظهير.
- **الماتريدية**، رسالة ماجستير، أحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي.
- **الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات**، رسالة ماجستير، للشمس الأفغاني السلفي.
- **منهج الماتريدية في العقيدة**، د. محمد بن عبدالرحمٰن الخميس.
- **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ابن رشد الحفيد [أبو الوليد الأصغر محمد بن أحمد الفلسفي].
- **براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة**، د. أبو زيد بكر بن عبدالله أبو زيد.
- **مقدمة شرح العقيدة الطحاوية** لابن أبي العز الحنفي ـ محمد ناصر الدين الألباني.
- **الاستقامة**، شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه** ـ محمد آمان بن علي الجامي.

الفصل الرابع

من المذاهب الفقهية في الإسلام

● مقدمة عامة ● المذهب الحنفي ● المذهب المالكي ● المذهب الشافعي ● المذهب الحنبلي ● المذهب الجعفري ● الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي ● المذهبية أو وجوب اتباع مذهب بعينه.

مقدمة عامة

المذاهب(*) الفقهية هي مذاهب اجتهادية في مسائل الشريعة الإسلامية(*) الفرعية، وهي جميعاً لا تختلف حول أصول الشريعة ولو في جزئية واحدة. والأصل أنه لا مذهبية، ولكن الضرورة دعت إلى تتبع اجتهادات فقهاء المدارس الفقهية من أجل التمكن من حل المشكلات العملية بيسر وسهولة. ولقد نشأت هذه المذاهب كمدارس فقهية لتلبية حاجة المسلمين الماسة إلى معرفة أحكام دينهم وإنزال هذه الأحكام على الوقائع الجديدة. وهذه الحاجة إلى الفقه قائمة في كل زمان لتنظيم علاقات الناس الاجتماعية، من خلال معرفة حقوق كل إنسان وواجباته وتبيان المصالح المتجددة ودرء المفاسد المتأصلة والطارئة. وهي مذاهب اجتهادية أعوزت إليها الوقائع اللامتناهية، والتي لا يمكن أن تضبطها النصوص المتناهية، فقامت لإيجاد حل شرعي لكل حدث مستجد.

ولقد نشأت المدرسة الفقهية الأولى في المدينة المنورة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر من نقلت الأحكام عنهم سبعة هم: عمر وعلي وابن مسعود وعائشة وزيد بن ثابت وابن عمر وابن عباس.

ثم نشأت المدارس الفقهية في الأمصار، إذ أسست علمها على فقه هؤلاء السبعة رضي الله عنهم.. فكان علم أهل المدينة عن ابن عمر وزيد وأصحابهما، وأكثر علم أهل مكة عن ابن عباس، ومعظم علم العراق عن عبدالله بن مسعود، الذي أرسله عمر إلى العراق معلماً.. فكان من تلاميذه، علقمة بن مسعود وإبراهيم النخعي شيخ حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة.

وهكذا فقد انتهى علم ابن مسعود إلى أبي حنيفة، كما انتهى إلى مالك علم الصحابة الذين لبثوا في المدينة، أما الشافعي فقد أخذ أولاً عن مالك، إذ سمع منه الموطأ ثم لازم محمد بن الحسن حيناً، وهو تلميذ أبي حنيفة، واطلع على كتبه. وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد أخذ عن الشافعي الحديث والفقه، ثم رحل إلى اليمن والكوفة والبصرة والجزيرة ومكة والمدينة والشام وروى عن الأئمة الأعلام في هذه البلاد.

ومنذ أول القرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الرابع، وهو العصر الذهبي للاجتهاد، لمع في أفق العالم الإسلامي ثلاثة عشر مجتهداً، دونت مذاهبهم، وقلدت آراؤهم وهم: سفيان بن عيينة بمكة، ومالك بن أنس بالمدينة، والحسن البصري بالبصرة، وأبو حنيفة وسفيان الثوري بالكوفة، والأوزاعي بالشام، والشافعي والليث بن سعد بمصر، وداود الظاهري وابن جرير الطبري وأبو ثور وأحمد ببغداد، وإسحاق بن راهويه بنيسابور...، إلا أن أكثر هذه المذاهب(*) لم يبق إلا في بطون الكتب لانقراض أتباعه، وغيرهم من العلماء الذين بلغ مجموع مذاهبهم أكثر من عشرين مذهباً فقهياً، فضلاً عن أن تلاميذ هؤلاء الفقهاء لم يدونوا فقه أئمتهم ولم يقوموا به، وإن كان هؤلاء لا يقلون منزلة عن الفقهاء الأربعة المشهورين. قال الإمام الشافعي مبيناً علو منزلة الليث بن سعد: «إن الليث أفقه من مالك، ولكن أصحابه لم يقوموا به».

وبقيت المذاهب الأربعة المشهورة إلى يومنا هذا لأهل السنة، والمذهب الجعفري للشيعة.

وقد يثور سؤال: لماذا تختلف هذه المذاهب بعضها عن بعض؟ وقد بينَّ العلماء أسباب اختلاف الفقهاء، وأشهر من كتب في هذا المجال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله في كتابه: **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** الذي قال فيه: «وبعد فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن الكريم، وخصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء(*)... وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول(*) الله ﷺ في شيء من سننه في دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد من عذر في قوله».

ثم يبين يرحمه الله أن الأئمة الفقهاء مجتهدون مخلصون لا مبتدعون، والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

وهكذا نجد أن الاختلاف في الأمور الفرعية أمر مقبول ولا اعتراض عليه والصحابة أنفسهم كانوا يختلفون، لأن الأمور منها ما ورد فيه نص قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، لا يحتمل الاختلاف في فهمه.. ومنها ما ورد فيه دليل يحتمل اختلاف الأفهام..

والمسلمون لا يتبعون واحداً من الأئمة الأربعة لذاته، وإذا جاء بشيء ليس عليه دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لم يؤخذ به لأنه ليس بمعصوم، والدليل إنما يكون قول الله وقول الرسول ﷺ.

والعمل بالحديث الصحيح قاله العلماء حتى في أشد العصور تمسكاً بالتقليد(*)، ففي أول **حاشية ابن عابدين** التي هي عمدة الفتوى في المذهب(*) الحنفي نص على أن الحنفي الذي يقع له الحديث الصحيح مخالفاً لمذهبه يعمل بالحديث؛ لأنه هو الأصل.

ونحن اليوم بين إفراط وتفريط، فهناك من يوجب على كل مسلم أن يتمسك بمذهب من المذاهب الأربعة ولا يخرج عنه، وهذا إيجاب بلا دليل، وهناك من يكاد يطلب من كل مسلم، عالماً كان أم جاهلاً، مطلعاً أم غير مطلع، أن يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة، وهذا المسلك، وإن كان هو الأصل، إلا أنه ليس كل إنسان قادراً عليه؛ لأن الاجتهاد(*) له شروطه العديدة التي لا تتيسر للعامة.

وإن التمسك بمذهب من المذاهب الأربعة وعدم الخروج عنه مهما كانت النصوص الصحيحة معارضة لما في هذا المذهب لهو التعصب بعينه. ومما يؤسف له أن التعصب المذهبي أدى في بعض العصور الإسلامية إلى الفرقة والشتات والنزاع بين أصحاب بعض المذاهب. وقد خفت حدته في العصر الحديث - ولله الحمد -. إلا أنه ما زالت بعض مظاهره السيئة، خصوصاً في الدول غير العربية، واضحة وتعمل عملها في توسيع دائرة الخلاف بين المسلمين. ومن المؤكد أن سبب ذلك هو الجهل بروح الدين الإسلامي ومقاصد الشريعة(*) وبالسنة الصحيحة، واللغة العربية التي تزيد العلماء والمسلمين عامة اطلاعاً ووعياً، كما أن التعصب المذهبي هو أحد مظاهر التخلف الحضاري التي تهيمن على قطاع كبير من المسلمين في العصر الحاضر.

والأمل الذي يشاركنا فيه المسلمون جميعاً هو أن تتوحد كلمة المسلمين أولاً على العقيدة الصحيحة، السليمة من كل زيغ أو بدعة(*)، وأن تتوحد سلوكيات المسلمين على هدي السنة الصحيحة، وألا تكون المذاهب(*) الفقهية سبباً في تفريقهم.. وأن يستفيدوا من هذا الكنز العظيم، والثروة الفقهية الكبيرة التي تجمعت خلال القرون الطويلة في تقنين أنظمتهم ودساتيرهم وتشريعاتهم على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ونحن في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وإن كنا نعرض المذاهب الفقهية في هذه الموسوعة(*) من باب وصف الواقع التاريخي في ماضيه وحاضره، إلا أننا نرجو أن يقوم خيرة علماء المسلمين ويضعوا أفضل ما في المذاهب الفقهية، مما يناسب المسلم المعاصر، ويستجيب لحاجاته، ويحقق الالتزم الإسلامي الصحيح، في منهج واحد شامل كامل يتبعه المسلمون جميعاً لتتحقق للأمة الإسلامية وحدتها العقائدية والفكرية والفقهية والسلوكية، ولتكون حقيقة خير أمة أخرجت للناس، ويختفي من حسٍّ كثير من المسلمين كل ما يمت إلى الفرقة والخلاف ويضعف كيان أمة الإسلام.

ونحن نعرض هذه المذاهب الفقهية الأربعة حسب ترتيبها التاريخي مردفين إياها بمذهب غير سني هو المذهب الجعفري، ثم نختم هذه المذاهب باتجاهين لهما أثرهما البالغ في العالم الإسلامي وهما الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي، والاتجاه الآخر المذهبية ووجوب اتباع مذهب بعينه.

٩ـ المذهب الحنفي

التعريف:

المذهب(*) الحنفي أحد المذاهب الفقهية السنية المنتشرة في العالم الإسلامي، وسمي بالمذهب الحنفي نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان يرحمه الله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

صاحب المذهب: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي. وُلِد في الكوفة سنة ٨٠هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠هـ، وهو فارسي الأصل من تابعي التابعين. وعده بعضهم في التابعين؛ لأنه أدرك أربعة من الصحابة. نشأ في بيت من بيوت التجارة ثم اتجه إلى العلم وحفظ القرآن الكريم واطلع على السنن وبلغ في الفقه منزلة عظيمة. قال عنه الشافعي: «ما رأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة». وقال: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة».

مؤلفاته:

له من علم الكلام(*) كتاب **الفقه الأكبر**، وله **مسند الحديث**، وكتاب **العالم والمتعلم**، ورسالة **الرد على القدرية**(*). ولم يترك كتاباً فقيهاً محدداً إلا ما أملاه على تلاميذه وجمعه الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

تواضعه:

كان دائماً يقول: «قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا».

ـ كان يرجع عن رأيه إن بدا له نظر آخر، وكان يرجع حتماً عن رأيه إذا ذكر له مناظره حديثاً مرويًّا، فإنه ليس مع الحديث رأي.

ـ رفض تولي القضاء على الرغم من إصرار الخليفة المنصور فضرب على ذلك وحبس.

من تلامذته:

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي (١١٣ ـ ١٨٢هـ) فقيه العراق. وقد تتلمذ على أبي حنيفة وسلك طريقته الاجتهادية، فكان أنبه تلامذة الإمام، وله الفضل في انتشار المذهب في الأقطار الإسلامية، وذلك عندما تولى منصب قاضي القضاة، فكان لا يستعمل على القضاء إلا حنفي المذهب.

ـ وكانت فيه نزعة عقلية وذكاء وقاد، واتصل بشيوخ من نحلٍ مختلفة وتتلمذ على حماد ابن أبي سليمان ولزم مكة بضع سنين.

ـ ألف كتاب **الخراج** بتكليف من هارون الرشيد الخليفة العباسي. وهو أول من كتب في السياسة المالية وأوضح مواردها ومصادرها، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة.

● محمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ ـ ١٨٩هـ). ولد بواسط ونشأ بالكوفة، كان ذا عقل راجح، ونبغ في حياة شيخه أبي يوسف وأخذ عن الإمام مالك، وله مناظرات مع الشافعي. سجل فقه أبي حنيفة في كتب ستة، وإليه يرجع الفضل في تدوين المذهب، وتعد كتبه من أعظم وأكبر الموسوعات(*) في الفقه الحنفي بعد أن شرحها السرخسي في كتابه **المبسوط**.

● زفر بن الهذيل (١١٠ ـ ١٥٨هـ). كان أكثر أصحاب أبي حنيفة تمسكاً بالقياس، وكان أبو حنيفة يجله ويعظمه، وكان زاهداً عابداً ثقة مأمونا، أُكره على القضاء، فأبى واختفى مدة، فهُدم منزله، ثم خرج فأصلحه، ثم أكره وهُدم منزله، ولم يتولَّ القضاء واشتغل بالعلم والعبادة، وزهد في الدنيا، وأحبه أهل البصرة وفيها توفي.

● الحسن بن زياد اللؤلؤي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) تتلمذ لأبي حنيفة ثم لأبي يوسف ثم لمحمد... اشتغل بالسنة أولاً ثم بالفقه وكان فطناً يقظاً نبيهاً، حافظاً للروايات.

أصول المذهب الحنفي وطريقته في الاجتهاد:

● اعتمد الإمام أبو حنيفة في مذهبه على الكتاب والسنة والإجماع(*) والقياس(*) والاستحسان(*) والعرف(*) وقول الصحابي وشرع من قبلنا وغيرها من مصادر التشريع المختلف عليها.

ـ **القرآن**: المصدر الأول للشريعة الإسلامية(*)، وهذا لا يختلف فيه اثنان، وما كان من خلاف حوله فليس خلافاً في الاحتجاج به، وإنما هو خلاف في فهم ألفاظه ومعانيه.

ـ **السنة النبوية**: وهي المصدر الثاني للشريعة، ولا خلاف في هذا لأحد. والخلاف في جزئيات مما يتعلق بالسنة، فأبو حنيفة يأخذ بالسنة الصحيحة، والآثار التي فشت في أيدي الثقات، وهو الحديث المشهور(*) عند الحنفية، أما أحاديث الآحاد(*) وهي عندهم غير المتواترة(*) والمشهورة، فلا يأخذ بها الحنفية إلا بشروط.

ـ **الإجماع**: وهو الأصل الثالث للشريعة.. والخلاف الحاصل بين العلماء حوله إنما هو في أمور فرعية تتعلق ببعض صور الإجماع.

ـ **أقوال الصحابة**: وأبو حنيفة يختار منها ماشاء، ومن المعلوم أن تخير الفقيه المجتهد ليس ناتجاً عن هوى، وإنما يقارن بينها ويرجح منها ما ترجح على غيره.

ـ **القياس**: وهو قياس الأشباه بالنظائر، وذلك إذا لم يجد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ولا في أقضية الصحابة رأياً ولا حكماً ولا قضاءً.

ـ **الاستحسان**: الذي يمكن أن يتلافى به ما تؤدي إليه بعض الأقيسة من تفويت المصالح أو بعضها... وقد توسع الحنفية في الاستحسان فأورثوا ثروة فقهية كبيرة.

● وجه الفقهاء والمحدثون نقداً إلى أبي حنيفة يتلخص في أنه ردَّ كثيراً من الأحاديث لمخالفتها القياس في نظره، وقد تكون الأحاديث التي يردها مما عمل به غيره لصحتها أو لحسنها وصلاحيتها للاحتجاج.

ـ وقد أجاب فقهاء المذهب الحنفي بأن أبا حنيفة ما كان يرد صحاح الأحاديث ولا حسانها ـ كما يقال ـ بل كان يتشدد في قبول الحديث أو خبر الواحد(*)، عذره في ذلك أنه كان بالكوفة وكانت مهد الفتن والتحزب السياسي، وانشقاق الفرق، وبعضها يتساهل ويدلس في الرواية وربما افتعلها انتصاراً لأهوائه... والكوفة بعيدة عن الحجاز، مهبط الوحي(*) ومركز السنة فاحتاط الإمام في قبول الحديث والعمل به احتياطاً لشرع الله.

انتشار المذهب الحنفي:

● انتشر المذهب(*) في العراق أولاً، حيث نشأ صاحبه، ودونت أسفاره.

● كما انتشر بسبب اعتناق الدولة العباسية للمذهب، وإسنادها القضاء إلى أبي يوسف أول تلاميذ أبي حنيفة، والذي كان لا يولي القضاء إلا من كان حنفي المذهب كما نوهنا ومن هنا ذاع المذهب في بلاد فارس ومصر والشام والمغرب.

● وكان لشخص أبي حنيفة حب واحترام في بلاد خراسان وسجستان وطبرستان والديلم وأذربيجان وأرمينية التي لاتزال غالبيتها على المذهب.

● ولما حكم العثمانيون البلاد الإسلامية تبنت الدولة المذهب الحنفي ولاتزال

الدول التي حكمها العثمانيون تتمذهب به حتى أيامنا هذه كتركيا والعراق وسوريا ولبنان والأردن وما زال هو المذهب(*) الرئيس للقضاء في مصر.

● وينتشر المذهب الحنفي حاليًا في أفغانستان وباكستان والهند ومصر وغيرها من الدول الإسلامية الآسيوية.

ويتضح مما سبق:

أن المذهب الحنفي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السُنِّيَّة المنتشرة في العالم الإسلامي، وهو ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان، وأصول هذا المذهب هي الكتاب والسنة والإجماع(*) فضلاً عن القياس والاستحسان(*) والعرف(*) وقول الصحابي وشرع من قبلنا وغيرها. وقد انتشر المذهب الحنفي في العراق أولاً ثم مكنت له الدولة العباسية. وهو ينتشر حاليًا في أفغانستان والباكستان والهند وغيرها من الدول الإسلامية.

مراجع للتوسع:

(أ) أهم كتب المذهب الحنفي:

ومن أهم مؤلفات الإمام أبي حنيفة، **الفقه الأكبر ومسند الحديث وكتاب العالم والمتعلم**، ومن أهم كتب المذهب الحنفي كتب ظاهر الرواية الستة وهي **الجامع الكبير والجامع الصغير والسيّر الكبير والسيّر الصغير والمبسوط والأصل والزيادات**. وتمثل الآراء الراجحة في المذهب الحنفي. ثم كتب النوادر للإمام محمد، أيضاً، **(وهي الجرجانيات والهاردنيات والكيسانيات والرقيات)** وكتاب **الكافي** للحاكم الشهيد المروزي (٣٣٤هـ) **والمبسوط** للسرخسي وكتاب **بدائع الصنائع** للكاساني **ومختصر الهداية** للمرغيناني (٥٩٣هـ) وشروحه ومن أهمها: **فتح القدير** للكمال بن الهمام (٨٦١هـ)، ثم كتاب **رد المحتار** المعروف بحاشية ابن عابدين (١٢٥٢ هـ) **ومجلة الأحكام العدلية**.

(ب) مصادر الفقه الحنفي:

● **المبسوط** لشمس الأئمة السرخسي ـ الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ مصر، مطبعة السعادة.

● **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** ـ لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني (المتوفى سنة ٥٨٧هـ).

● **تحفة الفقهاء** ـ لعلاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي (المتوفى سنة ٥٧٥هـ). الطبعة الأولى ـ بتحقيق الدكتور محمد زكي عبدالبر ـ دمشق مطبعة جامعة دمشق (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م).

(جـ) من المختصرات:

● **الدر المختار شرح تنوير الأبصار** ـ لمحمد علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن المعروف بالحصكفي (المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ).

● **حاشية رد المحتار على الدر المختار** ـ لمحمد أمين المشهور بابن عابدين (المتوفى ١٢٥٢ هـ) الطبعة الثانية، مطبعة مصطفي البابي الحلبي (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

(د) التراجم لرجال المذهب:

● **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ـ لمحيي الدين عبد القادر بن أبي الوفا القرشي المصري الحنفي (المتوفى سنة ٧٧٥هـ).

● **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** ـ للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي (المتوفى سنة ١٠٠٥ هـ) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو.

(هـ) كتب عامة:

- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية** ـ د. حسن أحمد مرعي. وهو بحث ضمن بحوث أخرى نشرها المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- **المذاهب الفقهية** ـ للدكتور محمد فوزي فيض الله ـ نشر دار الشعاع ـ الكويت ـ ١٩٨٥م.
- **أبو حنيفة** ـ للشيخ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي.
- **تاريخ الفقه** ـ للأستاذ محمد علي السايس ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ القاهرة.
- **المدخل للفقه الإسلامي** ـ للأستاذ محمد سلام مدكور ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.
- **المدخل للفقه الإسلامي** ـ للأستاذ عيسوي أحمد عيسوي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة.
- **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي** ـ للأستاذ مصطفي شلبي ـ دار التأليف ـ القاهرة ١٣٧٦هـ.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ محمد أبو زهرة.
- **تعريف عام بالعلوم الشرعية** ـ د. محمد الزحيلي.
- **محاضرات في الشريعة الإسلامية** ـ د. محمد شتا أبو سعد ـ القاهرة ١٤٠٧هـ.

١٠ـ المذهب المالكي

التعريف:

المذهب(*) المالكي هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي؛ وسمي بالمالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أنس يرحمه الله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● صاحب المذهب هو: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني إمام دار الهجرة في الفقه(*) والحديث بعد التابعين. ولد في المدينة المنورة سنة ٩٣هـ، وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ. عاش إبان ازدهار الدولة الأموية وأفول نجمها، وعاصر الدولة العباسية في قوتها. جده الأعلى أبو عامر صحابي جليل شهد المعارك كلها مع رسول الله، ﷺ، إلا بدرا. وجده مالك من كبار التابعين وعلمائهم. حفظ القرآن الكريم وأخذ يتنقل في مجالس العلماء، نشأ نشأة علمية فقهية ثرَّةً. وقد أخذ عن نافع مولى عبدالله بن عمر، وأخذ عن ابن شهاب الزهري وابن هرمز وربيعة بن عبدالرحمن، وكان يغشى مجلس الإمام الصادق، وكان معنيًّا بفتاوى الصحابة وكبار التابعين. وقد اكتملت ثقافته الدينية في سن مبكرة. وكان يجل العلماء ويكبرهم ويقدمهم على أصحاب الجاه والسلطان. قال عنه الشافعي: «مالك حجة الله على خلقه». وقد ضُرب مالك، وأوذي في الله، وفي قولة الحق، ذلك لأنه كان يحدِّث بحديث: **«ليس على المستكرَه يمين»**. ولما كانت بيعة المنصور قد أخذت كرها، نهاه والي المدينة باسم المنصور عن أن يحدِّث به ودسَّ عليه من يسأله عنه، فحدَّث به على رؤوس الأشهاد. ومن أعظم ما خدم به مالك السنة والآثار كتابه القيم الذائع الصيت **الموطأ**. وقد لبث في تأليفه وتهذيبه أربعين سنة. ويعد مالك أول ضابط لفن الرواية. وروايته عن النبي، ﷺ، تعد السلسلة الذهبية.

● عبد الرحمن بن القاسم المصري (١٢٨ ـ ١٩١هـ). من تلاميذ الإمام مالك، وقد صحبه عشرين سنة، وهو الذي دوَّن الفقه المالكي، وعُرِف بالتقوى والزهد والورع والصبر ومجانبة السلاطين، وكان لا يقبل جوائزهم. قال عنه المؤرخون: ابن القاسم مشتهرٌ بالاختصاص في صحبة مالك، مع طولها، وحسن العناية بمتابعته، مع ما كان فيه من الفهم

والعلم والورع وسلامته من التكثير في النقل عن مالك. نظر في **المدونة** ـ أول كتب المالكية ـ وصححها، وعنه رواها سحنون ورتبها.

● أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم (١٢٥ ـ ١٩٧هـ). من تلاميذ الإمام مالك، صحبه عشرين سنة حتى توفي، وصنَّف **الموطأ الكبير والموطأ الصغير**. قال فيه الإمام أحمد: «عالم صالح فقيه، كثير العلم، صحيح الحديث. ثقة صدوق... ما أصح حديثه». كان محدثاً فقيهاً، عزوفاً عن القضاء متورِّعا عن الفتوى، وهو الذي نشر فقه الإمام مالك في مصر.

● أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري (١٤٠ ـ ٢٠٤هـ). من تلاميذ الإمام مالك، أيضاً، وكان فقيه مصر، أدركه الشافعي في مصر وقال عنه: «ما أخرجت مصر أفقه من أشهب».

● أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم (١٥٥ ـ ٢١٤هـ). هو، أيضاً، من تلاميذ الإمام مالك. وكان فقيهاً صالحاً صدوقاً حليماً. أفضت إليه الرئاسة بعد أشهب، وكان صديقاً للشافعي، من كتبه **المختصر الكبير والأوسط والصغير** الذي قصره على علم **الموطأ والأهوال والقضاء في البنيان، وفضائل عمر بن عبدالعزيز، والمناسك**.

● أسد بن الفرات (المتوفى سنة ٢١٣هـ) الفقيه الفارس. أصله من نيسابور، ونشأ في تونس ثم رحل إلى مالك في المدينة، وتلقى عنه **الموطأ**، ثم ذهب إلى العراق فأخذ عن صاحبي أبي حنيفة، وروى عنه أبو يوسف **الموطأ**، ثم رجع إلى مصر وعرض على ابن القاسم ما تلقاه من فقه الحنفية، فأفتاه بمذهب مالك فيها، وكانت تلك المسائل أصلاً **للمدونة** التي نشرها في القيروان بعد ذلك. قاد الجيش الذي خرج لغزو صقلية، فمات وهو يحاصر سرقوسة.

● أصبغ بن الفرج بن سعيد (١٥٠ ـ ٢٢٥هـ). فقيه مصري، رحل إلى مالك في المدينة، فدخلها يوم مات، فأخذ عن ابن القاسم وابن وهب وأشهب من تلاميذ مالك. وله من المؤلفات: **آداب القضاء، وتفسير غريب الموطأ، وآداب الصيام، والرد على أهل الأهواء**.

● عيسى بن دينار (المتوفى سنة ٢١٢هـ). قرطبي أندلسي، رحل إلى ابن القاسم فأخذ عنه، حتى كان فقيه الأندلس في عصره. قال عنه المؤرخون «كان عيسى فقيها بارعاً.. عابداً ناسكاً من أهل العلم والعمل والخشية، مجاب الدعوة، وقد قيل إنه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة..» توفي بطليطلة يرحمه الله.

● عبد السلام بن سعيد التنوخي (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).

لقب بسحنون.. وتفقه بالقيروان ثم رحل إلى مصر، ثم إلى المدينة وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب، ولم يسمع من مالك. وكان يقول: «لاحيَّ الله الفقر، فلولاه

لأدركت مالكاً». شُهد له بالثقة وحفظ العلم، واجتمع فيه الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة، وكان لا يقبل من السلطان شيئاً. وقوله هو المعوَّل عليه في المغرب. صنف **المدونة** وعليها يعتمد أهل القيروان بل هي عمدة المالكية في جميع العصور.

أصول مذهب الإمام مالك:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- إجماع الصحابة(*).

وهي الأصول الثلاثة اتفقت عليها المذاهب الفقهية الأربعة الكبرى وزاد عليها مالك:

- القياس(*).
- المصالح المرسلة(*): وهي التي لم يرد عن الشارع نص يوجب اعتبارها أو عدم اعتبارها.

- عمل أهل المدينة: وهذا الأصل هو الذي تميز به الإمام مالك عن باقي الفقهاء.. إذ يرى أن عمل أهل المدينة الذين أقام مالك بينهم، أقوى من الخبر الواحد الصحيح؛ لأن عملهم بمثابة روايتهم الحديث، ورواية الجماعة أقوى من رواية الفرد. لذلك يشترط مالك في العمل بخبر الواحد(*) عدم مخالفته عمل أهل المدينة. وعمل أهل المدينة حجة عند مالك مطلقاً، فيجب الأخذ به واتِّباعه.

- الأخذ بأقوال الصحابة: إلى جانب الأحاديث التي رواها مالك في **الموطأ**، تضمن كتابه فتاوى عمرو وابنه عبدالله رضي الله عنهما، وفتاوى الفقهاء السبعة في المدينة التي نقلوها عن الصحابة؛ ولهذا عُدَّ مالك إمام السنة في عهده، كما يقول الشاطبي.

انتشار المذهب المالكي:

- انتشر المذهب(*) في الحجاز. ومنها انتقل إلى القارة الأفريقية، وبخاصة المغرب، ثم انتقل إلى الأندلس حتى أنه كان من شروط تولي القضاء في الأندلس حفظ **القرآن الكريم** وحفظ **موطأ الإمام مالك**.

- في عهد الحكم بن هشام بلغ المذهب أوجه في الأندلس، فقد كان يحيى بن يحيى الفقيه المالكي المشهور مكينا عند الحكم فنشر المذهب في الأندلس والمغرب كما نشر أبو يوسف المذهب الحنفي في العراق.

- ونقل أصحاب مالك المذهب إلى مصر فكانت أولى البلاد التي انتشر فيها المذهب بعد الحجاز.

- وفي أيامنا مازال المذهب المالكي يسود جهات من صعيد مصر وفي السودان وبقية القارة الأفريقية لمقابلتهما الديار الحجازية.

- ونظرا لكثرة الأقوال في المذهب يجد الباحث في الفقه المالكي ثمرات فكرية متنوعة وألوانا من المنازع الفقهية صالحة للتطبيق، إذ توافق البيئات المختلفة والأقطار المتباينة.

ويتضح مما سبق:

أن المذهب المالكي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السنية الأربعة الكبرى، وهو ينسب إلى الإمام مالك بن أنس يرحمه الله، وتقوم أصول المذهب على الكتاب والسنة وإجماع(*) الصحابة فضلاً عن إعمال القياس(*) والأخذ بالمصالح المرسلة(*). وعمل أهل المدينة والأخذ بأقوال الصحابة، وأهم كتب هذا المذهب هي **الموطأ والمدونة والموازية وبداية المجتهد والذخيرة**، وقد انتشر المذهب المالكي في الحجاز ومنها انتشر، أيضاً، في كل من المغرب والأندلس والقارة الأفريقية، إذ يسود في صعيد مصر والسودان وبعض البلاد الأفريقية وغيرها.

مراجع للتوسع:

(أ) أهم كتب المذهب المالكي

- **الموطأ** - للإمام مالك بن أنس ويجمع بين الحديث والآثار وآراء الإمام.
- **المدونة** - وهي آراء الإمام مالك جمعها تلميذه سحنون بن سعيد التنوخي.
- **الموَّازية** - لمحمد بن إبراهيم الإسكندري بن زياد المعروف بابن الموَّاز، (المتوفى سنة ٢٦٩هـ أو ٢٨١هـ).
- **بداية المجتهد** - لابن رشد (٤٥٠ - ٥٢٠هـ).
- **الذخيرة** - للقرافي.
- **مواهب الجليل** - للحطاب.

(ب) المختصرات:

- **المختصر في الفقه المالكي**، للشيخ خليل بن إسحاق المالكي (المتوفى ٧٦٧هـ) وله شروح منها:

ـ **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المعروف بالحطاب (المتوفى سنة ٩٥٤هـ) طبعة أولى ـ مطبعة السعادة بمصر (بدون تاريخ).

ـ **المجموع الفقهي في مذهب الإمام مالك**، لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر ابن عبد العزيز السنباوي المعروف بالأمير، المتوفى سنة ١٢٣٢هـ وهو متن مختصر.

(جـ) التراجم لرجال المذهب:

ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، للقاضي عياض بن موسى السبتي (المتوفى سنة ٥٤٤هـ).

ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون العمري المدني المالكي (المتوفى سنة ٧٩٩هـ).

(د) كتب عامة:

ـ **المذاهب الفقهية**، للدكتور محمد فوزي فيض الله ـ الشعاع للنشر ـ الكويت ١٩٨٥م.

ـ **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية**، للدكتور حسن أحمد مرعي. إدارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ١٤٠١هـ، دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.

ـ **المدخل للفقه الإسلامي**، للأستاذ عيسوي أحمد عيسوي، دار الكتاب العربي ـ القاهرة.

ـ **الإمام مالك**، لمحمد أبي زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

ـ **وفيات الأعيان**، لابن خلكان.

ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، لابن فرحون.

ـ **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها**، لأحمد تيمور باشا.

١١ـ المذهب الشافعي

التعريف:

المذهب(*) الشافعي هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي؛ وسمي بالمذهب الشافعي نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي يرحمه الله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

صاحب المذهب هو: الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي. وُلِد في غزة سنة ١٥٠هـ، عام وفاة أبي حنيفة، وتوفي في مصر سنة ٢٠٤هـ.

ـ توفي أبوه وهو صغير فحملته أمه ـ وهي يمنية من الأزد ـ إلى مكة، إذ نشأ فيها وحفظ القرآن، واشتغل باللغة والشعر والأدب، وخرج إلى البادية ليبتعد عن العجمة، وحفظ **الموطأ** وأخذ الفقه وعلوم القرآن عن علمائها، وخاصة مسلم بن خالد الزنجي. وقصد مالكاً في المدينة فدرس عليه وسمع منه **الموطأ**، وأخذ الحديث وعلومه عن سفيان بن عيينة وعلماء المدينة، ثم ارتحل إلى العراق سنة ١٩٥هـ وأخذ عن محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة. وفي بغداد كتب فقهه القديم؛ الذي يمثله كتاب **الحجة**، ثم رحل إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وفيها صنف كتبه: **الرسالة** (في الأصول) **والأم** (في الفقه). وكان إلى جانب إمامته في الفقه(*) والأصول والحديث عالماً باللغة والأدب والشعر، أثنى على الشافعي خَلْقٌ كثير، وقال عنه المؤرخون: «هو إمام الدنيا وعالم الأرض شرقاً وغرباً».

ـ وقد تعلم الرماية وأغرم بها ونبغ فيها حتى صار إذا رمى من السهام عشراً أصابت كلها، وقد روي عنه أنه قال لبعض تلاميذه: كانت همتي في شيئين: في الرمي والعلم، فصرت في الرمي بحيث أصبت عشرة من عشرة. ثم سكت عن العلم. فقال بعض الحاضرين: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي».

أشهر كتبه:

ـ **الحجة**، وقد أملاه على تلاميذه بالعراق.

ـ **الأم**، الذي أملاه على تلاميذه في مصر.

ـ **الرسالة في الأصول**، وهي من أول ما كتب في هذا العلم خلاف مالك وخلاف العراقيين.

ـ وينسب إليه ديوان من الشعر طبع حديثاً.

منزلته:

ـ قال فيه تلميذه أحمد بن حنبل: يروى عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**إن الله عزّ وجلّ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم أمر دينها**» فكان عمر بن عبدالعزيز على رأس المائة وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

● أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، (المتوفى سنة ٢٣١هـ)، (نسب إلى قرية في مصر). وهو من أكبر تلاميذ الشافعي، وكان يعتمد عليه في الفتوى، وقد استخلفه الشافعي في حلقة بمصر إلى أن استدعي لبغداد، وسجن في محنة القول بخلق القرآن، فكان يغسل ثيابه ويغتسل كل جمعة ويتطيب، ثم إذا سمع النداء كان يخرج إلى باب السجن، فيرده السجان فيقول: ارجع يرحمك الله، فيقول البويطي: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني. ومات وهو كذلك في غياهب السجن ـ يرحمه الله ـ.

● أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (١٧٥ ـ ٢٦٤هـ) الفقيه الراوية المصري، قال فيه الشافعي «المزني ناصر مذهبي».

وقال المترجمون له: كان زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا، مجاب الدعوة. ألف كتباً كثيرة من أهمها: **الجامع الكبير والجامع الصغير، والمنثور، والمسائل المعتبرة، والترغيب في العلم، والوثائق، والمختصر الصغير**.

● الربيع بن سليمان بن عبدالجبار المرادي (١٧٤ ـ ٢٧٠هـ) صاحب الشافعي وراوية كتبه، وكان مؤذناً بجامع عمرو بن العاص، وعن طريقه وصلت إلينا الرسالة والأم وغيرهما.

● أبو حفص حرملة بن عبدالله النجيبي المصري (١٦٦ ـ ٢٤٣هـ) روى عن الشافعي، وروى عن مسلم وابن ماجه، وأثنى عليه ابن معين وغيره، ومن تصانيفه: **المبسوط والمختصر والشروط** في ثلاثة أجزاء وكتاب **السنن** في عشرة أجزاء وغيرها.

● أبو علي الحسين بن علي بن زيد الكرابيسي (المتوفى سنة ٢٤٥ أو ٢٤٨هـ) الفقيه البغدادي، تفقه أولاً على مذهب أهل الرأي، ثم جالس الشافعي لما قدم بغداد فسمع منه وتفقه عليه فانتقل إلى مذهبه، وخالف الإمام أحمد بعد أن كان صديقه، في القول بخلق القرآن، فهجره الحنابلة، وترك الناس حديثه لطعن أحمد فيه.

● أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج (المتوفى سنة ٣٠٦هـ) كان حامل لواء الشافعية في زمانه، وعنه انتشر المذهب(*) في الآفاق.

أدوار تدوين المذهب:

أخذ المذهب الشافعي على يد مؤسسه دورين من الاجتهاد:

أحدهما:

مانشره ببغداد وهو المذهب القديم، ويتمثل في كتابه **الحجة** وقد دونها الزعفراني بإملاء الشافعي.

والدور الثاني:

عندما انتقل إلى مصر سنة ١٩٩هـ فأخذ ينقح كتبه، ويمحص الآراء فيها، ويرجع عن بعضها، ويعتمد بعضها الآخر. ثم يدون ما انتهى إليه. وقد روى كتبه الجديدة الربيع بن سليمان.

وقد نسخ الشافعي بكتابته في مصر ما كتبه في بغداد. وقال رضي الله عنه «لا أجعل في حلٍّ مَنْ روى عني كتابي البغدادي».

أصول مذهب الشافعي:

ـ **القرآن**: وهو الأصل الأول، ويعمل بظاهره، حتى يقوم الدليل الصارف عن الظاهر.

ـ **السنة**: وهي الأصل الثاني الذي يجب اتباعه، ولو كانت خبر الواحد، ولا يشترط فيه سوى الصحة والاتصال. وقد دافع الشافعي في **الرسالة** عن خبر الواحد، وقد اكتسب ثقة المحدثين، حتى سماه المحدثون: ناصر السنة.

ـ وقد أسقط الشافعي الاحتجاج بالمرسل(*)، ماعدا مراسيل سعيد بن المسيب؛ لأنه وجدها مسانيد، وخالف في ذلك الأحناف.

ـ **الإجماع**(*): ويقدمه الشافعي عن الخبر المفرد. يقول: «الإجماع أكبر من الخبر المفرد».

ـ **القياس**(*): ويعمل به بشرط أن يكون له أصل في الكتاب أو السنة أو بأن تكون علته منضبطة.

ويرد الشافعي جميع المصادر الفقهية الأخرى مثل:

ـ **الاستحسان**(*): وكتب كتاباً في إبطال الاستحسان، وشاع قوله «من استحسن فقد شرع» وبذلك خالف أبا حنيفة.

- **المصالح المرسلة**(*) : لا يعمل بها وهي معتمدة عند المالكية .

- **عمل أهل المدينة** : وقد رد الشافعي في الأم على المالكية في ذلك .

- **أقوال الصحابة** : ردها لاحتمال كونها اجتهاداً، فيجوز عليها الخطأ .

- وهكذا فإن الشافعي يرحمه الله ركز على الحديث الصحيح والحسن، وذهب إلى أنه ليس لأحد حجة مع رسول الله ﷺ، وروي عنه قوله : «إذا صح الحديث فهو مذهبي» .

انتشار مذهب الشافعي:

● انتشر مذهب(*) الشافعي في مصر ؛ لاستقرار مذهبه الجديد بها، وقيام تلاميذه بنشره فيها ؛ وعندما سيطر الفاطميون على مصر انقرض فقه أهل السنة، ولكنه عاد على يد صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على الدولة الفاطمية .

● وانتشر المذهب في العراق والشام، أيضاً، ومن العراق انتقل إلى خراسان واليمن والحجاز وفارس وبعض بلاد الهند .

● يسود إندونيسيا وماليزيا المذهب الشافعي . وقد نقل إليها الإسلام وفقهه معاً عن طريق التجار من سكان الجزيرة العربية قبل ظهور المذهب الحنبلي فيها .

ويتضح مما سبق:

أن المذهب الشافعي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السنية الأربعة الكبرى، وهو ينسب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وتقوم أصول مذهب الإمام الشافعي على القرآن والسنة النبوية المطهرة، وهو يدافع عن خبر الواحد، ولذا عرف بأنه ناصر السنة، ولكنه لا يحتج بالمراسيل(*) عدا مراسيل سعيد بن المسيِّب، «لأنه يعتبرها مسندة» ثم الإجماع(*) والقياس(*)، ويرد الشافعي الاستحسان والمصالح المرسلة وعمل أهل المدينة، وأقوال الصحابة . وقد انتشر المذهب في مصر والعراق والشام وخراسان واليمن والحجاز وفارس وبعض بلاد الهند، ومن أشهر كتب المذهب الشافعي **الأم** للإمام الشافعي، و**مختصر المزني** و**روضة الطالبين** و**المجموع** للنووي، و**فتح القدير شرح الوجيز** للرافعي و**المهذب** و**التنبيه** للشيرازي .

مراجع للتوسع:

(أ) بعض أشهر كتب المذهب:

- الأم للإمام الشافعي .

- مختصر المُزنيِّ.
- فتح القدير شرح الوجيز للرافعي.
- روضة الطالبين للنووي.
- المهذب والتنبيه للشيرازي.
- الحاوي الكبير للماوردي.
- المجموع للنووي.

وأهم مختصر في الفقه الشافعي الذي يعتمد عليه في الفتوى، والقضاء **منهاج الطالبين** للنووي وعليه شروح كثيرة منها **مغني المحتاج** للخطيب الشربيني **ونهاية المحتاج** للرملي **وتحفة المحتاج** لابن حجر الهيتمي.

(ب) مصادر الفقه الشافعي:

- **الأم** تأليف الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ).
- **المهذب** تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى سنة ٤٧٦هـ).
- **منهاج الطالبين** تأليف أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ).

(جـ) المختصرات:

- **الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي** - تأليف أبي حامد الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥هـ).
- **الروضة في الفروع** لأبي زكريا محمد بن شرف النووي.

(د) التراجم لرجال المذهب:

- **طبقات الشافعية الكبرى** - تأليف تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي (المتوفى سنة ٧٧١هـ).
- **طبقات الشافعية** - تأليف جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (المتوفى سنة ٧٧٢هـ).

كتب عامة:

- المذاهب الفقهية، الدكتور محمد فوزي فيض الله، الشعاع للنشر - الكويت ١٩٨٥م.

- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية** د. حسن أحمد مرعي - إدارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود. الإسلامية - الرياض ١٤٠١هـ.
- **تاريخ الفقه** - الأستاذ محمد علي السايس - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة.
- **المدخل للفقه الإسلامي** - الأستاذ محمد سلام مدكور - دار الكتاب العربي - القاهرة.
- **المدخل للفقه الإسلامي** - الأستاذ عيسوي أحمد عيسوي - دار التأليف - القاهرة - ١٣٧٦هـ.
- **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي** - الأستاذ مصطفى شلبي - دار التأليف - القاهرة ١٣٧٦هـ.
- **الإمام الشافعي** - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة.
- **آداب الشافعي ومناقبه** - عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢ـ المذهب الحنبلي

التعريف:

المذهب(*) الحنبلي هو أحد مذاهب أهل السنة الأربعة الكبرى، المنتشرة في العالم الإسلامي، وسمي بالمذهب الحنبلي نسبة إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل يرحمه الله. وهو مذهب يعتمد على نص الكتاب والسنة أساسا، ويرفض البدع في العقائد والعبادات، ويمكِّن للسنة أيما تمكين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ينسب المذهب الحنبلي إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيّان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان.. ابن وائل الذهلي الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في نزار بن معد بن عدنان. خرجت به أمه من مرو وهو حمل برفقة أبيه، فولد في بغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه، وينسب إلى جده لشهرته.

ـ قد كان دائم الترحال لطلب العلم في البصرة والكوفة والشام والجزيرة والحرمين واليمن وغيرها.

ـ تفقه على محمد بن إدريس الشافعي، وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى القطان، ويزيد بن هارون وإسماعيل ابن عُلَيَّة وهشيم بن بشير وعبدالرزاق بن همام الصنعاني وغيرهم.

ـ وقد اهتم بجمع السنة وحفظها فكان إمام المحدثين وسيد الفقهاء وأمير الحفاظ وقائد الثابتين على الحق.

ـ قال عنه الحافظ الذهبي إن عدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مائتان وثمانون ونيف.

ـ أثنى عليه الأئمة، فقال الشافعي «خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أتقى ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل». وقال عنه الذهبي: كان مهيباً في ذات الله، وقال أبو جعفر النفيلي: كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين.

ـ وكان زاهداً زهداً حقيقياً تتصاغر عنده النفوس ولا يطيقه إلا القلة الصابرة المحتسبة. قال عنه ابن النحاس: «عُرضت له الدنيا فأباها والبدع فنفاها». وقال ابن القيم في ذلك: «وهذه حال أئمة المتقين». قال صالح بن أحمد: «ربما رأيت أبي يأخذ الكسرة، ينفض الغبار عنها ويصيرها في قصعة، ويصب عليها ماء، ثم يأكلها بالملح، وما رأيته اشترى رمانا ولا سفرجلا ولا شيئاً من الفاكهة..» وقال المروزي «كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة». وقال صالح بن أحمد «كان يأتدم بالخل كثيراً». وقال الميموني: «كان منزل أبي عبدالله ضيقاً صغيراً وينام في الحر في أسفله».

ـ وكان الإمام أحمد يرفض التزلُّف تحت أعتاب السلطان، ويرفض عطايا الولاة بنفس أبية عزيزة، وكان يغضب على أولاده حينما يقبلون جوائز الأمراء. وقال إسحاق بن راهويه «كان أحمد باليمن.. ينسج.. ويبيع وينفق». لم يجلس للفتوى إلا في سن الأربعين.

محنة الامام أحمد بن حنبل:

من ملامح المدة التي عاشها الإمام أحمد البدء في ترجمة الكتب الفلسفية بدعم من الولاة، فانتشرت البدع في عقائد الناس وعباداتهم بشكل سريع وانتشرت الرافضة والمعتزلة ودعم الولاة المذهب(*) الاعتزالي خاصة، وقيل بخلق القرآن، وأصاب المسلمين محنة وبلاء. وقد حاول المأمون حمل الناس على القول بخلق القرآن، ولم يقبل الإمام أحمد ذلك، وثبت على الحق فأمر المأمون بضربه وحبسه. وهذا ما فعله به المعتصم من بعده، واستمر حبسه ثمانية وعشرين شهراً. وكان يصلي وينام والقيد في رجله. ثم أُطلق سراحه فعاد يرحمه الله إلى التدريس بالمسجد بعد أن شفي من جراحاته. وفي عهد الواثق منع الإمام أحمد من الخروج للدرس خمس سنوات حتى توفي الواثق، وفي عهد المتوكل يرحمه الله أعاد الله الحق إلى نصابه، فأحيا السنة وأمات التجهُّم.

● وقد سمع الإمام أحمدَ عددٌ كثيرٌ من العلماء منهم: ابناه عبدالله وصالح، وابن عمه حنبل بن إسحاق وأبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود صاحب السنن، والأثرم وأبو يعلى الموصلي والميموني وابن هانىء وغيرهم.

ـ صالح بن أحمد بن حنبل ٢٦٦ هـ وهو أكبر أولاد الإمام، وقد عُني بنقل فقه أبيه ومسائله.

ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ) الذي نقل الحديث عن أبيه.

ـ إسحاق التميمي (أبو يعقوب الكوسج المروزي) المتوفى سنة ٢٥١ هـ، ولد في مرو

وأخذ عن فقهاء العراق والشام والحجاز، ثم رحل إلى بغداد فتفقه على يدي الإمام أحمد.

ـ البغدادي (المتوفى سنة ٢٧٢ هـ)؛ وهو: أبو جعفر محمد بن علي بن عبدالله بن مهران البغدادي الوراق، وكان من نبلاء أصحاب الإمام أحمد.

ـ الأثرم (المتوفى سنة ٢٧٣ هـ)؛ هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن خاني الخراساني البغدادي من تلاميذ الإمام أحمد. روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة وصنف التصانيف وله كتاب في **العلل**، والتاريخ، **والناسخ والمنسوخ**، وكتب كتاب **السنن** في الفقه على مذهب الإمام أحمد.

ـ الخرقي (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ)؛ وهو: أبو القاسم عمر بن الحسين، تلقى عن ولدي الإمام: صالح وعبدالله، اشتهر بكتاب **المختصر**، الذي بلغت مسائله ٢٣٠٠ مسألة، وشرحه ابن قدامة المقدسي في كتابه المعروف **المغني**، وتوفي بدمشق، يرحمه الله.

ـ الخلال (المتوفى سنة ٢١١ هـ)؛ وهو: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، أخذ الفقه عن أصحاب أحمد، له كتاب **الجامع لعلوم أحمد بن حنبل**، وكذلك **كتب العلل والسنة**، و**طبقات أصحاب ابن حنبل**، **والعلم**، **وتفسير الغريب**، **والأدب**، **وأخلاق أحمد**.

أصول المذهب(*) الحنبلي:

● أقام الإمام أحمد بن حنبل مذهبه الفقهي على خمسة أصول، بينها ابن قيم الجوزية يرحمه الله، وهي:

ـ النصوص: فكان يأخذ بالنص القرآني، ثم ما صح من الحديث ولا يقدم عليه رأياً ولا قياساً ولا قول صحابي.

ـ ما أفتى به الصحابة: فإذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها أخذ بها ولم يتعدها إلى غيرها.

ـ إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوال الصحابة، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال، حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول.

ـ الأخذ بالحديث المرسل(*) والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وقد رجح هذا على القياس. وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا مافي روايته متهم.. بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، إذ إنه لم يكن يقسم الحديث إلى صحيح(*) وحسن(*) وضعيف، وإنما يقسمه إلى صحيح وضعيف وللضعيف عنده مراتب فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صحابي ولا إجماعاً على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس على ما ذكره ابن القيم.

ـ القياس(*) وهو يستعمله عند الضرورة إذا لم يوجد شيء مما تقدم. ويلاحظ أن الإمام أنكر الاستحسان في رواية، ولكن ابن قدامة نقل أنه يأخذ بالاستحسان بعد القياس، وأنه مذهبه. والاستحسان هو أن يترك حكماً إلى حكم أولى منه لمصلحة راجحة.

انتشار المذهب الحنبلي:

● لم ينتشر المذهب(*) الحنبلي انتشاراً واسعاً كالمذاهب الثلاثة الأخرى (الحنفي، والشافعي، والمالكي) وذلك لأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

ـ التشدد في الاعتماد على الرواية والمنقول.
ـ التضييق في الاجتهاد(*) إلا لضرورة.
ـ لم تتقلده حكومة إلا حديثاً في الجزيرة العربية.
ـ تأخر ظهوره عن بقية المذاهب.
ـ وينتشر المذهب الحنبلي في الوقت الحاضر في الجزيرة العربية وفي ضواحي دمشق. وفي صعيد مصر، وله وجود محدود في بعض البلدان الإسلامية، ولكنه يدرس في جميع المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر بمصر.

ويتضح مما سبق:

أن المذهب الحنبلي هو أحد المذاهب الفقهية الإسلامية السنية الكبرى المنتشرة في العالم الإسلامي: وهو ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله. وتتمثل أصول هذا المذهب في القرآن الكريم والحديث الصحيح(*) فلا يُقدَّم عليه عمل ولا رأي ولا قياس ولا قول صحابي، ثم فتاوى الصحابة، وعند اختلافهم يختار أقرب أقوالهم إلى الكتاب والسنة، ثم الأخذ بالحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، ثم القياس عند الضرورة إذا لم يوجد شيء مما تقدم، ثم الاستحسان. وقد نقل ابن قدامة أن الأخذ به هو الرواية الراجحة عن الإمام. وينتشر هذا المذهب حاليًا في الجزيرة العربية وضواحي دمشق وبعض البلدان العربية الأخرى ومن أشهر كتب المذهب **مختصر الخرقي وكشاف القناع وشرح منتهى الإرادات والمحرر والمقنع**.

مراجع للتوسع:

(أ) أشهر كتب الفقه الحنبلي:

● **مختصر الخرقي** الذي شرحه العلامة موفق الدين بن قدامة في المغني.

- **كشاف القناع وشرح منتهى الإرادات** للبهوتي.
- **المحرر في الفقه** لعبد السلام ابن تيمية.
- **الإنصاف** للمرداوي.
- **الفروع** لابن مفلح.
- **المقنع** لابن قدامة.
- **الروض المربع** للحجاوي.

(ب) مصادر الفقه الحنبلي:

- **مختصر الخرقي** - تأليف أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي - (المتوفى سنة ٣٣٤هـ).
- **الهداية** - تأليف أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني (المتوفى سنة ٥١٦هـ).
- **المقنع** - تأليف موفق الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠هـ).
- **الشافي** - الشرح الكبير - تأليف عبد الرحمن بن الإمام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى سنة ٦٨٢هـ) وهو شرح كتاب المقنع.

(جـ) المختصرات:

- **الفروع** - تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي (المتوفى سنة ٧٦٣هـ).

(د) تراجم رجال المذهب:

- **طبقات الحنابلة** - تأليف القاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى بن محمد بن الحسين الفراء (المتوفى سنة ٥٢٧هـ) طبعة مطبعة السنة المحمدية.
- **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد** - تأليف أبي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي (المتوفى سنة ٩٢٨هـ) تحقيق محيي الدين عبد الحميد - مصر - مطبعة المدني.

(هـ) كتب عامة:

- المذاهب الفقهية للأستاذ الدكتور محمد فوزي فيض الله - الشعاع للنشر - الكويت - ١٩٨٥م.

- **الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومسنده** لأحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الصويان، مجلة البحوث الإسلامية ع٢٦ ص٢٢١ ـ ٣٠٢.
- **تاريخ التشريع الإسلامي** للشيخ محمد الخضري ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.
- **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي** للأستاذ عيسوي أحمد عيسوي ـ دار التأليف ـ القاهرة ١٣٧٦هـ.
- **المدخل للفقه الإسلامي** للأستاذ محمد سلام مدكور ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.
- **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل** لابن بدران الحنبلي ـ دار الطباعة المنيرية ـ القاهرة.
- **إعلام الموقعين** ـ لابن قيم الجوزية ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة.
- **مختصر المنتهى** لابن الحاجب.
- **مفاتيح الفقه الحنبلي** ـ للدكتور سالم علي الثقفي.
- **الإمام أحمد بن حنبل** ـ لمحمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.
- **متبعون لا مبتدعون** للدكتور محمد شتا أبو سعد، دار السلام ١٤١٣هـ ـ الرياض.
- **أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل** للدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

١٣ـ المذهب الجعفري

التعريف:

المذهب(*) الجعفري: وهو المذهب الفقهي للشيعة الإمامية الاثني عشرية؛ وسمي بالجعفري لأنهم ينسبونه إلى جعفر بن محمد المعروف بالإمام الصادق؛ ولأن أكثر فقه المذهب مأخوذ عنه ـ كما يقولون.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ينسب المذهب إلى جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي، أبي عبدالله، الملقب بالصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ)، (٦٩٩ ـ ٧٦٥م). ينتسب من جانب أبيه إلى شجرة النبوَّة(*) ومن جانب الأم ينتسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويعده الشيعة(*) سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وبقيت إمامته للشيعة أكثر من ثلاثين سنة بعد وفاة أبيه الإمام محمد بن علي المعروف بالباقر سنة ١١٧ هـ.

ـ اتجه منذ نعومة أظفاره إلى العلم، وقد نشأ رضي الله عنه بالمدينة وغشي مجالس المحدثين من التابعين وأخذ العلم عن أبيه الإمام الباقر. وقد اجتمع له الفقه والحديث، وكان على صلة بفقهاء الإسلام في الأمصار. وقد عقد الخليفة المنصور مناظرة بينه وبين أبي حنيفة، وقال عنه أبو حنيفة بعد ذلك: «والله ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق». كان عنده من الذكاء والقوة النفسية ما يجعله يتجه إلى المعرفة من أي نوع ومن أي ناحية. ويقال: إنه كان على علم بالكونيات والبحث في أبراج السماء ونجومها للعظة والاعتبار. وقد تتلمذ عليه جابر بن حيان، وكان مجلسه بالمدينة مثابةَ أهل العلم، وقد أخذ عنه الإمام مالك رضي الله عنه، واختلف إليه في مجالسه وانتفع من فقهه وروايته. وإذا كان الشيعة ينسبون إليه ما لم يقله فإن ذلك لا ينقص من مقامه. لم يطلب الخلافة(*)، ولم يسع إليها، وانصرف إلى العلم وإن كانت له بعض الآراء السياسية. وصح عنه أنه لعن من غالى فيه خالعاً عليه صفات ليست له. وقد جمع أصحابه وعرَّفهم بذلك، وكتب إلى البلدان بالبراءة منهم واللعنة عليهم، وعدَّهم من المشركين إن غلوا(*) فيه. ويُذكر عنه أن المنصور سأله عن سبب عدم غشيانه مجلسه فأجابه الصادق: «ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا نراها نقمة فنعزيك». وهكذا كان رضي الله عنه لا يخشى في الله لومة لائم.

ـ في المصادر الإمامية أن أجوبة الصادق عن الأسئلة التي وجهت إليه دونت في أربعمائة كتاب يسميها الشيعة(*) «**الأصول**».

ـ أخذ عن الصادق جماعة من التابعين منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبو عمرو بن العلاء، وشعبة بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وغيرهم. وقد أقام في المدينة مدَّة ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ما تعرض للإمارة قط ولا نازع أحداً الخلافة(*).

ـ أخرج له البخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن أحاديث عدَّة، كان الصادق متمسكاً بالكتاب والسنة، وكان كما ذكر الشهرستاني «ذا علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات».

ـ ذكر الشهرستاني في **الملل والنحل** أنه ـ أي جعفر الصادق ـ تبرأ مما ينسبه إليه بعض الغلاة وبريء منهم ولعنهم، وبريء من خصائص مذهب الرافضة(*) وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة(*)، والبداء(*) والتناسخ(*) والحلول(*) والتشبيه(*). لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً، وأراد أن يروجه على أصحابه فنسبه إليه وربطه به، وهو بريء من ذلك ومن الاعتزال والقدر، أيضاً.

ـ وذكر ابن تيمية يرحمه الله في كتابه **درء تعارض العقل والنقل**: أن ما يُروى عن علي وعن جعفر الصادق من هذه الأمور التي يدعيها الباطنية(*) كذب مختلق. وينسب إلى جعفر الصادق من الكلام في النجوم واختلاج الأعضاء والتفاسير المحرفة وأنواع الباطل ما برأه الله منه، حتى: **رسائل إخوان الصفاء**(*) زعم بعض رؤوسهم أنها كلامه، وهذه إنما صنفت بعد المائة الثالثة.. أي بعد جعفر بمائتي سنة. ومن أبرز علماء المذهب الجعفري، الذين تبلور المذهب(*) على أيديهم، حتى وصل بالصورة الحاضرة، البعيدة كل البعد عن فقه الإمام جعفر الصادق الحقيقي:

● محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكُلَيني، وهو فقيه إمامي من أهل: كلين (بالري)، كان شيخ الشيعة ببغداد وتوفي فيها سنة ٣٢٨ هـ ـ ٩٤١م من كتبه: **الكافي في علم الدين** ثلاثة أجزاء الأول في أصول الفقه والأخيران في الفروع، صنفه في عشرين سنة.

● محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمِّي، الصدوق، المتوفى سنة (٣٨١هـ ـ ٩٩١م) نزل بالري وارتفع شأنه في خراسان، وتوفي ودفن بالري، له نحو ثلاثمائة مصنف منها **الاعتقادات** و**المقنع** في الفقه ومن **لا يحضره الفقيه**.

● ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ومن كتبه: **تهذيب الأحكام**، **والاستبصار**.

أصول المذهب الجعفري:

إن الأدلة في المذهب(*) أربعة: كتاب الله والخبر أو الأثر ثم الإجماع(*) والعقل(*):

- **الكتاب**: وهو القرآن الكريم، الأصل في التشريع لدى جميع المذاهب الفقهية، وهو الأصل في منهج الإمام الصادق يرحمه الله. إلا أن عقيدة الشيعة(*) في عصمة الأئمة حملتهم على القول بأن القرآن لا يعد قرآنا إلا إذا أخذ بواسطة الإمام المعصوم؛ ولأن القرآن المأخوذ من الأئمة غير موجود بين أيديهم أصلاً، لذلك فالقرآن المعروف لم يبق حقيقاً بأن يستدل به.. لوقوع التحريف في بعض آياته ولإسقاط بعض السور منه، ولم يكن هذا رأي جعفر الصادق بطبيعة الحال. والشيعة تحرف معاني القرآن الكريم بما يتمشى مع عقيدة الغلو(*) الزائد في الأئمة.

- **الخبر**: ويشمل أحاديث الرسول(*) ﷺ، التي رواها من يقبلهم الشيعة من الصحابة وأحاديث أئمتهم المعصومين وأفعالهم الصادرة عنهم ومرويات آل البيت تفسيراً للقرآن وتبياناً للأحكام. وقد دفعت عقيدة الشيعة في عصمة الأئمة، ولا سيما المتأخرين منهم، إلى تفضيل أقوال أولئك الأئمة المعصومين على أقوال عامة الصحابة، وعلى قبول ما ورد من الروايات عن طريق أصحابهم القائلين بالإمامة فقط، فما السنة عندهم إلا قول المعصوم أو فعله نبياً كان أو إماما[1].

وقد صنفوا الأخبار أصنافاً أربعة: صحيح وحسن وموثق وضعيف.

١ - **فالصحيح**(*): هو الذي اتصلت روايته بالمعصوم بعدلٍ إمامي.

٢ - **والحسن**(*): ما اتصل رواته بالمعصوم بواسطة إمامي ممدوح من غير نص على عدالته.

٣ - **والموثَّق**: ويقال له: «القوي» وهو ما يرويه الثقة من غير الإمامية.

٤ - **والضعيف**: كل ما اشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه أو مجهول الحال.

- **الإجماع**(*): قبل الشيعة نوعاً من الإجماع وذلك عند دخول المعصوم مع المجمعين، وهكذا يرتد احتجاج الإمامي بالإجماع إلى الاحتجاج بأقوال المعصوم.

- **العقل**(*): على الرغم من أن الشيعة رفضوا القياس(*) - وهو عمل عقلي استنباطي - فقد تحدثوا عن العقل، وعدُّوه - أو عده متأخروهم - أصلاً من أصول التشريع: لأنهم ذهبوا إلى أن للأشياء حسناً وقبحاً يدركهما العقل قبل أن يرد أمر الشرع أو نهيه، وعلَّلوا ذلك بأن الله

---

(١) الكافي وغيره من مراجع الشيعة ومؤلفاتهم مليئة بالطامات المخرجة من الإسلام بما اشتملت عليه من الشرك بالله بسبب الغلو في أئمتهم.

بين في طائفة من الأحكام منافعها وأضرارها، وأن منكري الشرائع السماوية يحكمون بحسن بعض الأشياء وقبح بعضها الآخر، وأن العقل(*) نفسه يحكم بقبح مايراه عبثاً أو تكليفا بما لا يطاق.

ويظهر أن الشيعة قد تأثروا في الأصل بالمعتزلة الذين تحدثوا عن الحسن والقبح(*) ودور العقل في الحكم عليهما.

نماذج من أحكام المذهب الجعفري الحالي الفقهية:

● يقولون بطهارة ماء الاستنجاء وجواز استعماله مرة أخرى. ويقولون بطهارة الخمر.

● ويقولون بأن غسل النيروز سُنَّة (وهو من الأعياد الخاصة بالمجوس).

● ويرون أن التيمم يكون بضربة واحدة.

● وقالوا بفساد صلاة من يقرأ بعض سور القرآن مثل سورة السجدة.

- ويجوِّز بعضهم الأكل والشرب في الصلاة.

- وكذلك يجوِّزون الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء من غير عذر ولا سفر.

- وأيضاً يحكمون بترك الجمعة في غيبة الإمام. ولكن بعد مجيء الخميني بدأ شيعة إيران وأتباعهم بأداء صلاة الجمعة.

● ويحكمون بفساد الصوم بانغماس الصائم في الماء، ويجب عليه القضاء والكفارة معاً، ويجيز بعضهم أكل أوراق الأشجار للصائم..

● وهناك أحكام فقهية كثيرة من هذا القبيل مما هو مخالف بشكل صريح للقرآن والسنة الصحيحة.

انتشار المذهب الجعفري:

● ينتشر المذهب الجعفري في إيران والعراق وباكستان ولبنان وفي بعض المناطق من سوريا، ويسعى الشيعة(*) في الوقت الحاضر إلى نشر المذهب(*) الجعفري عن طريق التعليم في الجامعات والمدارس، فقد تم فتح ست جامعات في إيران وخطط لقبول عشرين ألف طالب من العالم الإسلامي، وكذلك تم فتح ٥١١ مدرسة في أفريقيا من قبل إيران سنة ١٤٠٩هـ وهي تسعى جاهدة بكل ما لديها من مال ورجال في نشر التشيُّع. وقد سجلت نجاحاً كبيراً في هذا المجال إذ تشيَّع كثير من المسلمين السنة في آسيا وأفريقيا.

ويتضح مما سبق:

● أن المذهب(*) الجعفري هو المذهب الفقهي للشيعة(*) الإمامية الاثني عشرية، وأدلة هذا المذهب في الأصل هي القرآن الكريم والخبر والإجماع(*) والعقل(*)، ولكن أتباع هذا المذهب يقولون إن المقصود بالقرآن هو ذاك الذي أخذ بواسطة الإمام المعصوم، ولذلك فالقرآن المعروف لدى أهل السنة(*) لم يبق جديراً بأن يستدل به في رأيهم لوقوع التحريف، كما يزعمون في بعض آياته ولإسقاط بعض السور منه. ولأن هذا لم يكن رأي جعفر الصادق بطبيعة الحال فإن نسبة المذهب إليه مع هذا الخروج الواضح على القرآن الكريم ليست صحيحة. كذلك فإن السنة عندهم هي قول المعصوم أو فعله نبياً(*) كان أم إماما. وأما الإجماع(*) فلا بد له من دخول المعصوم مع المجمعين حتى يعتد به في رأيهم.

مراجع للتوسع:

(أ) كتب المذهب:

● أول من صنف كتاباً في الفقه للإمامية موسى الكاظم (١٨٣ هـ) تحت اسم **الحلال والحرام**، ثم كتب ابنه علي الرضا كتاب **فقه الرضا** طبع عام ١٢٧٤ هـ في طهران، ثم الصفاء الأعرج القمي (٢٩٠ هـ) وكتابه **بشائر الدرجات في علوم آل محمد وما خصهم الله به** وطبع سنة ١٢٨٥ هـ ثم الكليني الرازي (٣٢٨ هـ) الذي ألف كتاب **الكافي في علم الدين** وطبع منه سبعة أجزاء كبيرة سنة ١٣٨١ هـ بطهران.

- ومن أهم الكتب الفقهية الأخرى للمذهب الجعفري **المختصر النافع** لنجم الدين الحلي (٦٧٦ هـ) و**الروضة البهية** للشهيد زين الدين الجعبي العاملي (٩٦٥ هـ) وهما مطبوعان بمصر، و**شرائع الإسلام** للمحقق الحلي، و**جواهر الكلام** لمحمد حسن بن باقر النجفي (١٣٢٢ هـ).

(ب) مصادر فقه المذهب الجعفري:

● **كتاب من لا يحضره الفقيه** لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (المتوفى ٣٨١هـ).

● **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار** - لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ).

● **الكافي من فقه الشيعة** - لأبي منصور أحمد بن الطبرسي الشيعي (المتوفى ٥٨٨هـ).

(جـ) المختصرات:

● **المختصر النافع في فقه الإمامية** ـ لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي المشهور بالمحقق الحلي (المتوفى ٦٧٦هـ).

● **الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية** ـ لزين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي (المتوفى ٩٦٦هـ).

(د) تراجم رجال المذهب:

أمل الآمل ـ لمحمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى ١١٠٤هـ) تحقيق السيد أحمد الحسيني ـ بغداد ـ مكتبة الأندلس ط. ١٣٨٥هـ.

(هـ) كتب عامة:

- **معالم الشريعة الإسلامية**، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين ـ بيروت ط ٤/ ١٩٨٢م.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني ـ بتحقيق محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- **أبو حنيفة**، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية ـ بتحقيق د. محمد رشاد سالم ـ الجزء الخامس ـ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم**، لابن تيمية ـ بتحقيق د. ناصر العقل. المجلد الأول.
- **الأعلام**، للزركلي.
- **التحفة الاثنا عشرية**، للشاه عبد العزيز الإمام ولي الله الدهلوي. بتحقيق محب الدين الخطيب ـ نشر دار الإفتاء بالرياض ١٤٠٤هـ.
- **منشورات وزارة الخارجية الإيرانية**.
- **أعيان الشيعة**، لمحسن الأمين ط. بيروت.
- **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**، لأسد حيدر ط. بيروت.
- **تعريف عام بالعلوم الشرعية**، د. محمد الزحيلي.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، الشيخ محمد أبو زهرة.
- **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، د. عبدالله فياض.
- **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة** د. أحمد محمد جلي.

١٤ـ الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي

التعريف:

هي دعوة تهدف إلى عدم الالتزام بتقليد(*) مذهب(*) فقهي معين، والأخذ من المذاهب الأربعة وغير الأربعة مما كان أقوى دليلاً.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● عدم التزام بمذهب فقهي معين، ونبذ التقليد، والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة لمن كان أهلا لذلك، هو المنهج(*) الإسلامي الذي سبق التقليد والمذهبية. فقد أرسى أصوله الرسول ﷺ وسار عليه أهل القرون المفضلة، فضلاً عن أئمة المذاهب الفقهية. ولكن المذهبية غلبت في العصور التالية وأصبح التقليد، والتعصب للمذاهب هو الشائع، مما أدى إلى تفرق المسلمين وتسلط الكفار على ديار الإسلام، وغلق باب الاجتهاد(*)، وتقديم آراء العلماء المتبوعين على الكتاب والسنة مع إبطال الانتفاع بهما. وساد الانتصار للمذهب والانحباس في مذهب واحد، والتبرؤ من المذاهب الأخرى، وأصبحت الموالاة والمعاداة على أساس الانتساب للمذهب حتى قيل بعدم تزويج المخالف، والصلاة خلفه، بل إن التعصب المذهبي كان سبباً في تشيع الدولة في إيران على ما بينه الأستاذ محب الدين الخطيب في تعليقه على كتاب **المنتقى من منهاج الاعتدال** لشيخ الإسلام ابن تيمية تلخيص الحافظ الذهبي (ص١٨، ١٩) ملخصا: إن خدابنده أحد ملوك إيران كان من أهل السنة وغضب يوماً من زوجته، فطلقها ثلاثا، ثم أراد أن يردها إلى عصمته، فقال له فقهاء أهل السنة: إنه لا سبيل إلى ذلك حتى تنكح زوجاً غيرك، فصعب على الملك ذلك، فاستفتى ابن المطهر أحد فقهاء الشيعة فأفتاه بأن الطلاق لم يقع لعدم تحقق شروطه، وله إرجاع زوجته، فسر الملك بتلك الفتوى واستخلص ابن المطهر لنفسه، مما كان لذلك أثره في تشيع الملك وتشيع شعبه تقليداً له.

لهذه الأسباب وغيرها وجد من ينادي بتجديد(*) أصول مناهج السلف الفقهية من فتح باب الاجتهاد(*) بشروطه، وعدم التعصب للمذاهب والرجال، والتمسك بالدليل من الكتاب والسنة. ومن أشهر من دعا إلى ذلك:

● العلامة ابن حزم: وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، كان يكنى بأبي محمد

واشتهر بابن حزم، ولد في رمضان عام ٣٨٤هـ بقرطبة بالأندلس.

نشأ في بيت عز ومال وجاه إذ كان أبوه وزيراً لبعض أمراء بني أمية في الأندلس، شغف بالعلم منذ نعومة أظفاره، اتجه أول ما اتجه إلى الفقه المالكي ـ إذ كان المذهب السائد بالأندلس والمذهب(*) الرسمي للدولة آنذاك ـ وقد تأثر ابن حزم بأقوال ناقدي الإمام مالك فانتقل إلى المذهب الشافعي، إذ تلاقت روح النقد والتحرر الفكري الذي ظهر في ابن حزم مع المأثور من كتابات الشافعي.

ـ درس ابن حزم المذهب الشافعي وأعجبه فيه شدة تمسكه بالنصوص، واعتبار الفقه نصًّا أو حملاً عن نص، كما أعجبه شدة حملة الإمام الشافعي على من أفتى بالاستحسان(*) والمصالح المرسلة(*).

ـ لم يلبث إلا قليلاً في المذهب الشافعي، ثم رأى ما رآه داود الأصبهاني ـ شيخ المذهب الظاهري وتلميذ الشافعي ـ من دعوة للتمسك بالنصوص وحدها، إذ راق لابن حزم هذا الرأي؛ لأنه لا يقيد بمذهب من المذاهب المشهورة.

ـ تلقى ابن حزم العلم على كثير من أهل العلم في بلاده وخارجها أمثال: الشيخ أحمد بن الجسور، والشيخ أبي الحسين الفارسي، وأبي بكر بن إسحاق، وعبد الله بن يحيى وأبي القاسم الأزدي وعبد الله بن دحون، والتقى بمعاصره العلامة عمر بن عبد البر.

ـ قال عنه صاحب **نفح الطيب** «قال صاعد: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعة في علم اللسان والبلاغة واللغة والسيرة والأخبار»، وقال عنه الذهبي: «كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل(*) والنحل والعربية والمنطق والشعر في الصدق والديانة والحشمة والسؤدد وكثرة الكتب». وقال عنه عبدالواحد في كتابه **المعجب** «بلغني من غير واحد من علماء الأندلس أن تصانيف ابن حزم في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل والتاريخ والنسب والأدب بلغت أربعمائة مجلد تشمل قريباً من ثمانين ألف ورقة». (المعجب ص٤٧).

ـ اختار ابن حزم المذهب الظاهري لما فيه من تحريم التقليد؛ ولأنه مذهب الكتاب والسنة والإجماع(*) فحسب.

ـ يقول ابن حزم في النبذ «التقليد(*) حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان، والعامي والعالم في ذلك سواء».

ويقول في ذلك ابن حزم «ثم العجب أن يكون فرض العامي الذي مقامه بالأندلس تقليد

الإمام مالك، وباليمن تقليد الشافعي وبخراسان تقليد أبي حنيفة وفتاويهم متضادة أهذا دين الله؟ فوالله ما أمرنا الله بهذا قط بل الدين(*) واحد وحكم الله واحد».

على أن منع ابن حزم التقليد(*) للعامي لا يقصد به أن يتفرغ العامي للتعرف على أحكام دينه وهو ما يؤدي إلى تعطيل مصالح العمران بل إن الممنوع أمران:

١ ـ أن يقلد إماماً بعينه إذ إن المقلد لهذا الإمام معناه أنه يتبع مذهبه زاعماً أنه شرع الله تعالى ـ وهذا خلاف الحقيقة.

٢ ـ أن يقبل العامي فتوى من غيره من غير إسناد إلى الكتاب والسنة، أو يزعم فقيهه أن ذلك هو حكم الله.

لذا أوجب ابن حزم على العامي إذا أفتاه مفت أن يسأله: أكذا حكم الله، أو حكم رسوله؟ فإن قال المفتي: نعم لزم العامي القبول. وإن قال: لا. أو سكت أو ذكر قول إنسان غير النبي وجب على العامي أن يسأل غيره، وهذا أدعى إلى التدرج في مراتب العلم.

ـ يستدل ابن حزم على تحريم التقليد بأدلة من الكتاب منها: قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

ـ الأصول عند ابن حزم أربعة وهي:

القرآن والسنة والإجماع(*) والدليل. والأصل الرابع لدى ابن حزم الذي هو الدليل يقصد به الحكم في أمر ينطبق عليه ذلك المعنى المأخوذ من هذه الأصول. فهو أمر مأخوذ من الإجماع(*) أو النص، ويخالف القياس(*) الذي أساسه استخراج علة من النص ثم إعطاء حكم النص على كل ما يتحقق فيه العلة. ـ توفي ابن حزم بقريته ـ ميت ليشم بالأندلس في شعبان ٤٥٦هـ عن قرابة اثنين وسبعين سنة، ومن أبرز مؤلفاته: **الإحكام في أصول الأحكام، الإيصال إلى فهم الخصال، الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع، المحلى بالآثار، مداواة النفوس، المغرب في تاريخ المغرب، والفصل بين أهل الأهواء والنحل، والالتباس فيما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس** وغيرها.

● أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، شيخ الإسلام، المولود عام ٦٦١هـ ببلدة حران في بلاد الشام، من أسرة تعلقت بالعلم، وشغفت به، فأبوه شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام، من أعيان الحنابلة وجده شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله أحد الحفاظ الأعلام، والفقيه المفسر المقرىء النحوي المعروف.

ـ وكان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية خبرة تامة بحديث النبي ﷺ، وحال رواته، مع

حفظ متونه، ودقة استنباط الأحكام منها. وفي ذلك يقول عنه ابن الوردي «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي».

ـ ووصفه الحافظ الذهبي بأنه «فريد عصره علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً إلهياً، وكرما ونصحا للأمة، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . . . وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل يقول بما يصح دليله عنده».

ـ ولقد دعا يرحمه الله في فتواه إلى فتح باب الاجتهاد(*) لمن عنده الأهلية لذلك مع بطلان وجوب التزام مذهب(*) بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه. إذ إنها مرتبة لا تصح إلا لرسول الله ﷺ، كما لم يعتبر المقلدين من المنتسبين للعلم داخلين في زمرة العلماء لما رواه ابن عبد البر عن سعيد بن أبي عروبة أنه قال: «من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالما».

ـ جاهد شيخ الإسلام في سبيل نصرة الحق وإزهاق الباطل، بسيفه ويده، وبقلمه ولسانه، جهاداً لم يثنه عنه ما تعرض له من محن ودسائس، فتصدى للتتار والخارجين عن شرائع الإسلام، كما تصدى لكل أصحاب الفرق والأهواء وأرباب الطرق من فلاسفة ومتكلمين ومتصوفة ومتعصبة المذاهب وغيرهم، نصرة للحق، مما سبب له السجن أكثر من مرة، فكان شعاره، «وما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما ذهبت فهي معي، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن أخرجوني من بلدي فخروجي سياحة وإن قتلوني فقتلي شهادة».

ـ وكان لشيخ الإسلام بالغ الأثر في معاصريه، وفيمن جاء بعده ممن سلكوا سبيل السلف الصالح أهل السنة والجماعة(*). ومن أشهر تلاميذه الإمام ابن قيم الجوزية، والحافظ المفسر ابن كثير، والحافظ شمس الدين الذهبي. توفي في سجنه ـ يرحمه الله تعالى ـ عام ٧٢٨هـ، مخلفا وراءه ثروة علمية تشهد بسعة اطلاعه، ومعرفته بأقوال الأئمة الفقهاء الذين عليهم مدار الفتوى، كما تشهد بتمسكه بالدليل الصحيح وتقديمه على من سواه. ومن أشهرها: **مجموع الفتاوى، درء تعارض العقل والنقل، نقض المنطق، منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية**.

● ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد. . أبو عبد الله شمس الدين الزرعي ثم الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية. ولد في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٦٩١هـ ونشأ في بيت علم ودين، فوالده كان رجلاً مشهوراً بالصلاح وتولى قوامة المدرسة الجوزية.

ـ تتلمذ ابن القيم على يد والده فأخذ عنه الفرائض، وأيضاً، على يد نخبة من علماء عصره في سائر الفنون ومن أكثر من تأثر به منهم شيخه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، إذ قرأ عليه ولازمه أكثر من خمس عشرة سنة، وأخذ عنه علوم الكتاب والسنة والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والفرائض، وكان رحمه الله تعالى صاحب عبادة وزهد، وورع فكان كثير الاستغفار والذكر، إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى، حتى يتعالى النهار، ويقول: «هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي»، تعرض للسجن أكثر من مرة لجرأته في قول الحق وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ـ قال عنه الإمام الشوكاني «برع في جميع العلوم، وفاق الأقران واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف... وله حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب(*) الذي نشأ عليه.. وغالب أبحاثه الإنصاف، والميل مع الدليل حيث مال...».

ـ جاور بمكة المكرمة وسافر إلى القاهرة أكثر من مرة، وقد ألف في أسفاره كتباً عديدة، مما يدل على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وقوة حافظته، ومن هذه المؤلفات: **كتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية دار العلم والإرادة، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وبدائع الفوائد، وتهذيب سنن أبي داود** وغيرها.

ـ توفي يرحمه الله في الثالث عشر من رجب سنة ٧٥١ تاركاً خلفه ثروة علمية أثرت المكتبة الإسلامية من أشهرها: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتنزيل، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وطريق الهجرتين، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.**

● الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني ثم الصنعاني، ولد في ذي القعدة عام ١١٧٣هـ ببلدة هجرة شوكان ـ قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان باليمن. نشأ بصنعاء وأخذ من مشايخها وعلمائها أمثال العلامة القاسم بن يحيى الخولاني والشيخ عبدالله ابن إسماعيل النهمي، والحسن بن إسماعيل المغربي وغيرهم. نبغ في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والنحو والأدب والمنطق. تفقه الإمام الشوكاني على مذهب الإمام زيد ثم نبذ التقليد(*) وذاع صيته في الاجتهاد(*) فألف كتاب **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار** فتحامل عليه أهل عصره من المقلدين في الفروع والأصول، فألف كتابه **شرح الأزهار الذي هو فقه أهل البيت المختار** ينفر فيه من التقليد موضحاً أدلته في تحريم التقليد. تولى القضاء وتوفي بصنعاء في جمادى الآخرة عام ١٢٥٠هـ مخلفا وراءه تصانيف كثيرة

منها: **نيل الأوطار** في فقه الحديث الشريف، و**إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، و**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** في التاريخ، و**فتح القدير الجامع** في علم التفسير، و**الفوائد المجموعة** في فني الأحاديث الموضوعة، و**الدر النضيد** في التوحيد وله مؤلفات أخرى عديدة.

● العلامة المحدث أحمد شاكر أبو الأشبال: هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد، من آل أبي علياء ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، لقبه والده شمس الأئمة أبا الأشبال، ولد في القاهرة في ٢٩ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٩ يناير سنة ١٨٩٢م.

ـ نشأ ـ يرحمه الله ـ في بيت علم فوالده الشيخ محمد شاكر، أمين الفتوى بالأزهر، ووكيله، وقاضي قضاة السودان، وشيخ علماء الإسكندرية. وقد جد في الطلب منذ صباه وشبابه، فدرس الشعر والأدب، ودرس علم الحديث وفنونه وهو دون العشرين من عمره، ثم تدرج في طلب العلم على عدد من أهل العلم من أبرزهم والده والشيخ عبدالسلام الفقي والشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي، وكذلك الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، والشيخ شاكر العراقي، والشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم.

ـ وبعد تخرجه من الأزهر اشتغل بالتدريس في بعض المدارس ثم عين موظفا قضائياً، ثم قاضيا وعضواً في المحكمة العليا، وظل متولياً القضاء إلى أن أحيل متقاعداً سنة ١٩٥١م هذا بالإضافة إلى أنه كان أحد أعضاء هيئة كبار العلماء لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

ـ يصفه صديقه العلامة محمد حامد الفقي بأنه «قد أسهم في إحياء كتب السنة مساهمة مشكورة، فنشر كثيراً من كتبها نشراً علمياً ممتازاً، وقد توج أعماله بنشر كتاب **المسند** للإمام أحمد بن حنبل».

ـ قام منهجه العلمي على العلم الصحيح، علم الكتاب والسنة على نهج السلف الصالح، ومن نهج نهجهم من المتأخرين الذين يتبعون الدليل الصحيح دون تعصب لرأي وهوى، ودون جمود على التقليد(*).

ـ بلغ عدد مؤلفاته وتحقيقاته نحو الخمسين من أشهرها: **شرح المسند، وعمدة التفسير** ـ وهو اختصار لتفسير ابن كثير. وقد توفي أبو الأشبال ـ يرحمه الله ـ دون إتمامهما، يوم السبت ٢٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٩٥٨م.

من أبرز المعاصرين:

● العلامة الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن يعقوب بن جاكن الأمير، جد القبيلة المشهورة المعروفة بالجكنيين التي تنتسب إلى حِمير. ولد ـ يرحمه الله ـ في عام ١٣٣٥هـ في (تنبه) من أعمال مديرية (كيغا) بشنقيط ـ موريتانيا حاليًا. ونشأ في بيئة كريمة الطباع، تحب العلم وتكرم العلماء، توفي والده في الصغر فكفله خاله. وفي بيت خاله تلقى علمه الأول، إذ حفظ القرآن ودرس الأدب ومبادىء النحو وأنساب العرب والسيرة النبوية، وأجيز في القراءة بروايتي ورش وقالون وهو ابن ستة عشر عاماً. ثم تدرج في الطلب والتلقي عن مشاهير علماء بلاده مثل الشيخ محمد بن صالح المشهور بالأخرم، والشيخ العلامة أحمد بن عمر وغيرهما. ثم تولى الدرس والفتيا واشتهر بالقضاء والفراسة حتى صار موضع ثقة علماء البلاد وأهلها.

ـ أتى إلى البلاد السعودية حاجًّا بنية العودة إلا أنه التقى بالأمير خالد السديري أثناء رحلة الحج فثناه عن فكرة العودة إلى بلاده لما لمسه فيه من سعة علم وأوصاه بمقابلة الشيخين عبد الله الزاحم والشيخ عبد العزيز بن صالح فوافق على البقاء بالمدينة ليفسر كتاب الله عز وجل بطلب من الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله تعالى.

ـ وكان للشيخ منهجه الفقهي في تفسيره، إذ يعرض أقوال العلماء ويستوفيها ويرجح ما يظهر له بمقتضى الدليل دون الالتزام بمذهب(*) معين.

ـ انتقل الشيخ إلى الرياض ليشارك في تأسيس المعاهد العلمية وتربية جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة. كما شارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وشارك في إلقاء المحاضرات في معهد القضاء العالي بالرياض، وسافر في جولات دعوية إلى بعض دول العالم الإسلامية محاضراً ومحاوراً. كما كان يرحمه الله تعالى أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

ـ توفي ـ يرحمه الله تعالى ـ في عام ١٣٩٣هـ تاركاً مؤلفات كثيرة منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع ومن أشهرها **تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومنع جواز المجاز في المنزل المتعبد والإعجاز، ومذكرة أصول على روضة الناظر**.

● الفقيه المحدث الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز، ولد بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، أصيب بمرض في عينيه سنة ١٣٤٦هـ فأضعفهما، ثم ذهب بهما بالكلية في أول عام ١٣٥٠هـ، بدأ الدراسة وتحصيل

العلم منذ الصغر، حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ وتلقى العلوم الشرعية والعربية منذ صباه على عدد من كبار علماء نجد وغيرها. من أهمهم الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي كان مفتيا للمملكة العربية السعودية لفترة طويلة.

ـ تقلب في العديد من المناصب العلمية فتولى منصب القضاء واشتغل بالتدريس، ثم عين نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستمر فيه حتى توفي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة عام ١٣٩٠هـ فتولى منصب رئاسة الجامعة حتى سنة ١٣٩٥هـ، إذ تم تعيينه رئيساً عاماً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير، ثم عين مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية برتبة وزير، أيضاً، كما يتقلد سماحة الشيخ ابن باز رئاسة المجلس العالمي الأعلى للمساجد، ورئاسة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية هيئة الدعوة داخل المملكة العربية السعودية.

ـ والشيخ عبد العزيز بن باز غزير الإنتاج، وافر النشاط دائم الذكر، يدعو إلى الله تعالى على بصيرة وحكمة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، شديد على أهل البدع حريص على إخلاص التوحيد لله عز وجل، استفاد منه خلق كثير من العلماء وطلاب العلم والعامة في العالم الإسلامي، ومن أبرز كتبه: **نقد القومية العربية، حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن والرسول ﷺ، والجهاد في سبيل الله، والفوائد الجلية في المباحث الفرضية**، وغير ذلك غير مئات الفتاوى التي جمع بعضها في عدة مجلدات.

● الشيخ ناصر الدين الألباني المحدث الشهير وصاحب المؤلفات والتحقيقات الحديثية العديدة. ولد في مدينة اشقودرة بدولة ألبانيا عام ١٩١٤م في أسرة يغلب عليها الطابع العلمي. هاجرت أسرته إلى دمشق فرارا بدينها بعد أن تولى الملك (أحمد زوغو) حكم ألبانيا وأخذ يسير بها مسيرة أتاتورك في تركيا.

ـ كان والده حنفياً متعصباً، مما أثر في نفسه، وبعد أن درس العلم على المذهب الحنفي توجه إلى علم الحديث وبرع فيه فعلم نفسه بنفسه، ونشر دعوته للرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة في جميع الأمور الاعتقادية والفقهية لمن كان أهلاً لذلك ومن مؤلفاته **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، وصحيح الجامع الصغير، وضعيف الجامع الصغير**.. ومؤلفات كثيرة أخرى.

ـ وللشيخ ناصر الدين الألباني تلاميذ دعوا بدعوته وساروا على نهجه منهم:

١ ـ الأستاذ محمد عيد العباسي وهو من أبرز تلاميذ الشيخ والملازمين له، يقيم حالياً في دمشق ومن مؤلفاته **بدعة التعصب المذهبي** وملحقه.

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وصاحب مؤلفات عديدة في الدعوة والإرشاد. يقيم حالياً في الكويت وهو من كبار علماء الدعوة فيها.

٣ ـ الأستاذ خير الدين وانلي. ويقيم حالياً في دمشق، وهو مؤلف وشاعر مجيْد ومن مؤلفاته **المسجد في الإسلام**، و**معجزات المصطفى**، و**دليل الخيرات وسبيل الجنات**، و**ديوان الحق المبين**، و**ديوان عصر الإسلام**، ودواوين للأطفال وغيرها.

٤ ـ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، محدث بلاد اليمن، له مؤلفات كثيرة وأشهرها: **الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين**، و**الصحيح المسند من أسباب النزول**، و**الشفاعة** وغير ذلك.

٥ ـ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي، وله دور بارز فعال في نشر كتب شيخه وتوزيعها في البلاد العربية.

٦ ـ بالإضافة إلى عدد آخر من طلاب العلم الذين تبنوا الدعوة ودعوا إليها مثل: سليم الهلالي، علي حسن عبد الحميد ومحمد بن إسماعيل المقدم، أبو إسحاق الحويني وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

● لخص المعاصرون منهم أهداف دعوتهم بوجه عام في ست نقاط رئيسة وهذه النقاط هي:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٢ ـ تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل لهم رضوان الله وتحقق لهم السعادة والمجد.

٣ ـ تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع(*) والأفكار الدخيلة، والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين.

٤ ـ إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود القواعد الإسلامية.

٥ ـ إزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

٦ ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية وإنشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض.

وانتهت بقولهم: هذه دعوتنا، ونحن ندعو المسلمين إلى مؤازرتنا في حمل هذه الأمانة التي تنهض بالمسلمين، وتنشر رسالة الإسلام الخالدة.

● ويلخص الأستاذ محمد عيد العباسي في كتابه ملحق كتاب **المذهبية المتعصبة هي البدعة**(*) **أو بدعة التعصب المذهبي** رأيهم في المذاهب(*) وشرعية الانتساب إليها وفي الاجتهاد(*) والتقليد(*) فيقول:

ـ الاجتهاد مصدر مهم من مصادر الشريعة الإسلامية(*)، وضرورة من ضرورات وجودها واستمرارها، ولا يجوز لأحد أن يغلق بابه الذي فتحه الله، أو يلغي أمره الذي شرعه الله.

ـ وهو ميسور لمن كانت عنده الأهلية له والاستعداد، ويجب أن يوجد في كل عصر ومصر مجتهدون، يقومون بحجة الله على عباده كما يجب على المسلمين أن يهيئوا الظروف المناسبة لذلك.

ـ لسنا ننكر التقليد(*) على الجاهل، بل نوصيه به بشرط ألا يقصد إلى التزام مذهب(*) معين لأنه بدعة(*) محدثة، وبشرط ألا يقلد في أي مسألة علم مخالفتها للكتاب والسنة عن طريق من يوثق في علمه ودينه.

ـ نرى أن هناك مرتبة وسطى بين مرتبتي الاجتهاد والتقليد، هي مرتبة الاتباع، وصاحبها كل مسلم لديه قدرة مناسبة على الفهم، فعليه أن يتبع أقوال العلماء بعد الاطلاع على أدلتهم الشرعية.

ـ وأما المذاهب فنرى أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان متفقاً عليه بين الجميع فهذا حق يجب تبنيه والعمل به.

الثاني: ما كان فيه خلاف ولكنه خلاف تنوع لا خلاف تضاد فهذا يجوز العمل فيه بأي واحد منها، والأفضل التنويع فيه.

الثالث: ما كان فيه خلاف تعارض ولا يمكن الجمع بين الآراء المختلفة فيه، فيجب البحث عن الحق والصواب في المذاهب(*) كلها والأخذ بالأقوى دليلاً منها.

ـ نرى أنه قد لحقت بالمذاهب الفقهية خلال العصور المختلفة عيوب كثيرة، أهمها

التعصب الذي أدى إلى مخالفات كثيرة للكتاب والسنة، ونشر الجمود بين المسلمين.. ولذلك فنحن ندعو إلى وجوب تنقية المذاهب من العيوب والأوضار، ثم السعي نحو التقريب بينها، والسير نحو توحيدها الممكن، على أساس الدليل الراجح والحجة القوية، بعد أن زالت في العصر الحاضر أهم أسباب الاختلاف من عدم بلوغ الأحاديث وتحقيقها.

ـ لا نرى بأسا في الحالة الراهنة من تفقه طلاب العلم عن طريق المذاهب المعروفة، بشرط أن يتجردوا من التعصب، وذلك ريثما يتهيأ الوضع المنشود.

ـ نحب الفقهاء ونجلهم، ونتبرأ من كل من ينتقصهم ويطعن فيهم، ونعتقد أن طريقنا هو التنفيذ لما أمروا به، حيث قالوا «إذا صح الحديث فهو مذهبي». وقال الإمام مالك «إنما أنا بشر أصيب وأخطىء، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافقهما فاتركوه». وقال الإمام الشافعي «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا رويت عن رسول الله ﷺ ولم أقل به: نعم على الرأس والعين، نعم على الرأس والعين» وقال الإمام أحمد لأبي داود «لا تقلدني ولا مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا».

● وعليه فإن الراجح عدم إلزام المسلم باتباع مذهب بعينه أو تقليد عالم بشخصه في كل ما يقول، ولكن لو اتبع مذهباً من مذاهب أهل السنة وقلد أحد العلماء الموثوقين بشرط عدم التعصب له فيما خالف فيه الكتاب والسنة، فلا إثم عليه إن شاء الله تعالى.

● الخلاف المذموم، كما هو في العقائد والأهواء، هو كذلك في كل ما يلزم للناس معرفة حكم الله تعالى فيه، ثم يعرضون عنه ويصرون على آرائهم، سواء أكانت في الدين أو في الدنيا أو في العقائد أو في الفقه، فالآيات التي حذرت من الخلاف ونهت عنه عامة لم يأت ما يقيدها.

● وصحة الاجتهاد(*) في المسائل التي لم يتضح فيها الدليل مباح، بينما لا يصح ولا يجوز في المسائل التي وضح فيها الدليل.

التوسع وأماكن الانتشار:

● الدعوة لاتباع منهج التزام الدليل وعدم التعصب للمذاهب والرجال دعوة قديمة، دعا بها وإليها علماء الإسلام في كل زمان، إلا أنه في عصور ضعف الأمة الإسلامية ظهرت دعوى غلق باب الاجتهاد(*) وأصاب دعوة التزام الدليل غربة، ولكنها عادت من جديد مع العودة الحميدة للصحْوة الإسلامية لتنتشر في دول العالم كافة، وخصوصاً بعد ما رأى كثير من علماء الإسلام آثار التقليد والتعصب المذهبي السيئة في بعض البلاد الإسلامية التي لا تتحدث العربية. بل إن التقليد(*) والتعصب للمذهبية كان سبباً في انصراف بعض من يبحثون

عن الحق عن قبول الإسلام بعد أن رأوا أن الخلاف بين بعض أتباعه على أشده ويكاد يشبه الخلاف بين أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية.

يتضح مما سبق:

● أن الدعوة لفتح باب الاجتهاد وعدم التعصب المذهبي، اتجاه سبق تاريخياً التقليد والمذهبية، إذ أرسى أصوله الرسول ﷺ، فكان المنهج السائد في القرون المفضلة الثلاثة الأولى، إلا أنه في القرون المتأخرة زادت الدعوة للمذاهب والتعصب لها، مما أدى إلى القول بغلق باب الاجتهاد وتقديم آراء العلماء والمتبوعين على الكتاب والسنة، وتمزيق شمل المسلمين، مما دفع شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء إلى الدعوة لفتح باب الاجتهاد(*)، والتمسك بالدليل الصحيح ونبذ التعصب للمذهب(*) الفقهي الواحد، على أن المسلم ليس ملزماً بتقليد شخص أو مذهب بعينه في كل أموره، بل له إن كان عاجزاً عن معرفة الدليل تقليد أحد المذاهب المعروفة بشرط عدم التعصب لها متى بان الدليل بخلاف المذهب. إذ أمر سبحانه وتعالى المسلم بسؤال العلماء ولم يلزم بسؤال عالم بعينه. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ـ باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة ولا يملك أحد إغلاقه بعد أن فتحه الله تعالى، وهو ميسور لمن كانت عنده الأهلية والاستعداد. وبين التقليد والاجتهاد مرتبة الاتباع وصاحبها كل مسلم لديه قدرة مناسبة للفهم فعليه معرفة دليل كل قول قبل اتباعه.

ـ ويجيز أصحاب هذا الرأي الاستفادة من الأئمة المجتهدين، ويقدرون جهودهم دون تعصب لواحد على الآخر، فكلهم لدى الحق سواء، ويوجبون الأخذ بكل رأي كان دليله أقوى، وحجته أرجح مهما كان قائله، ولذا أمروا بعدم اتباعهم بدون معرفة دليلهم، يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

مراجع للتوسع:

ـ **الإحكام في أصول الأحكام** ـ ابن حزم.
ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ جمع عبد الرحمن القاسم (ج ١٠، ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٥).
ـ **الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ محمد شاكر الشريف.
ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ـ ابن قيم الجوزية.
ـ **جامع بيان العلم وفضله** ـ ابن عبد البر.

- **الموافقات في أصول الفقه** - الشاطبي.
- **الاعتصام** - الشاطبي.
- **إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول** - الشوكاني.
- **هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة** - محمد سلطان المعصومي الخجندي المكي.
- **إيقاظ همم أولى الأبصار** - صالح الفلاني.
- **فقه السنة (المقدمة)** - سيد سابق.
- **صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراه** - محمد ناصر الدين الألباني.
- **تسديد الإصابة لمن زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة** - محمد ناصر الدين الألباني.
- **الوجيز في أصول الفقه** - عبد الكريم زيدان.
- **القول السديد في بطلان التقليد** - محمد الأمين الشنقيطي.
- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج٥** - أحمد بن عبد الرزاق الدويش، عبدالله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز).
- **الأصول العلمية للدعوة السلفية** - عبد الرحمن عبد الخالق.
- **السلفيون والأئمة الأربعة** - عبدالرحمن عبدالخالق.
- **المذهبية المتعصبة هي البدعة أو بدعة التعصب المذهبي** - محمد عيد العباسي.
- **حياة الألباني وآثاره** - محمد بن إبراهيم الشيباني.
- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية** - يوسف القرضاوي.
- **ابن حزم - حياته وعصره - آراؤه وفقهه** - محمد أبو زهرة.

١٥ـ المذهبية أو وجوب اتباع مذهب بعينه

التعريف:

هو أن يقلد المسلم الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد(*) في كل أمور دينه، مذهب(*) إمام مجتهد سواء أقلد إماماً واحداً أم تحول من مذهب إلى آخر، بدون أن يطالب بحجة من كتاب أو سنة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

ـ من نافلة القول، التكلم عن تأسيس المذاهب الفقهية، فقد بسطنا فيها القول في غير هذا الموضع عند الكلام عن المذاهب الفقهية بشكل منفرد. لذا نقتصر هنا على ذكر بعض العلماء المعاصرين الذين دعوا للمذهبية، وألّفوا في ذلك الكتب والرسائل.. ومن أبرزهم:

● الشيخ محمد الحامد: ولد في مدينة حماة بسورية سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، وتلقى علومه في الأزهر الشريف، وعاش في مدينته مدرساً وخطيباً، حتى توفاه الله إثر مرض عضال في ١٨ صفر ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م).

ومن آثاره **نظرات في اشتراكية الإسلام** ردّا على **اشتراكية الإسلام** للدكتور مصطفى السباعي، **ردود على أباطيل**، ومجموعة كبيرة من الرسائل والمقالات الفقهية أهمها: **لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسما للفوضى الدينية**.

● الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: المحدث الهندي ولد سنة ١٣١٩هـ وقد حقق بعض كتب السنة وعلق عليها، منها **مصنف عبد الرزاق**، **واختصار الترغيب والترهيب** لابن حجر.

ومن آخر تحقيقاته العلمية **مصنف ابن أبي شيبة** في ستة مجلدات. وقد اعترض عليه كل من الشيخ علي حسن عبد الحميد، وسليم الهلالي والدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد لتحريفه في متن بعض الأحاديث انتصاراً لمذهبه الحنفي ـ (راجع كتاب **الردود** للدكتور بكر أبو زيد، **الرد العلمي على حبيب الرحمن الأعظمي** للشيخ علي حسن عبد الحميد وسليم الهلالي).

● الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: من أهالي دمشق من ذوي الأصل الكردي، وأحد مدرسي كلية الشريعة في جامعة دمشق، له دروس أسبوعية استفاد منها بعض طلبة

العلم وغيرهم، واشتهر بمؤلفاته في مجال الفقه والسيرة والثقافة الإسلامية. وقد وقف بقوة أمام دعاة الاجتهاد(*) المطالبين بعدم التقليد(*) للأئمة. ويعد الشيخ البوطي مناصراً قوياً للتصوف والصوفية على طريقة الأشعرية، ومن مؤلفاته **كبرى اليقينيات**، **واللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية**، **والسلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، وقد رد على الكتاب الأخير الشيخ صالح الفوزان وغيره من العلماء.

الأفكار والمعتقدات:

● إن مذاهب(*) الأئمة تستمد اجتهاداتها من الكتاب والسنة، وليس كل مسلم قادراً على الاجتهاد من الكتاب والسنة مباشرة، ولا وجه لقول القائل: «إن مذهب النبي معصوم ومذاهب الأئمة غير معصومة»؛ لأن الاجتهاد من الدين ـ سواء أكان خطأً أم صواباً بدليل ثبوت الأجر عليه. ويرد عليهم خصومهم بأن ما تبين خطؤه ليس من الدين ويعذر صاحبه إن لم يبلغه الحديث المخالف له، ولا يعذر إذا بلغه ورده بل يأثم ويَوْزر.

● إن أحكام الإسلام ليست من اليسر في فهمها، والقلة في عددها، وهي من السعة والشمول بحيث تتسع لكل ما يتعلق بشؤون الحياة الخاصة والعامة، في مختلف الظروف والأحوال، وهي جميعاً تعود إلى الكتاب والسنة إما بدلالة ظاهرها مباشرة أو بواسطة النظر والاجتهاد والاستنباط.

● إن المتتبع لنشأة الفقه الإسلامي، ونشأة المذاهب فيه، يدرك بوضوح أن الخلافات في الفرعيات أمر لا بد منه، وأن الإجماع على أمر فرعي متعذر، وذلك لأسباب لخصها الإمام ولي الله الدهلوي ـ يرحمه الله ـ في كتابه **الإنصاف في أسباب الاختلاف**، وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ في كتابه **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**.

وقد اختلف الصحابة في أمور كثيرة، لأن هذه الأمور منها ما ورد فيه نص قطعي الورود وقطعي الدلالة لا يحتمل الاختلاف فيه، ومنها ما ورد فيه دليل يحتمل اختلاف الأفهام. فالصحابة اختلفوا في مقدار الرضاع هل تكفي رضعة واحدة أم لا بد من خمس رضعات، واختلفوا في ميراث الجد مع الإخوة.. فالاختلاف في الأمور التي تسمى اجتهادية اختلاف مشروع ولا اعتراض عليه، وقضية جمع الناس على رأي واحد أمر متعذر عقلياً وتاريخياً وعملياً.

● لا مناص من التقليد(*) وهو أمر مشروع بإجماع المسلمين، بل هو أمر واجب عند القصور عن درجة الاجتهاد(*) والاستنباط، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. يقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله: «والمقلد غير عالم فلا

يصح له إلا سؤال أهل الذكر، وإليهم مرجعه في أحكام الدين على الإطلاق، فهم إذن القائمون مقام الشرع وأقوالهم مقام الشارع».

وقد دل الإجماع على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتفاوتون في العلم، ولم يكن جميعهم أهل فتيا، ولا كان الدين(*) يؤخذ عن جميعهم، كما قال ابن خلدون. فقد كان المتصدرون للفتوى أفراداً محصورين، ثم اتسعت دائرة الفتوى في عهد التابعين وتابعي التابعين حتى تبلورت في عدد من الأئمة من بينهم الأئمة الأربعة المشهورون.

● يجب على المقلد التزام مذهب(*) معين، وإن التزام المقلد لإمام معين لا يتحول عن تقليده لا ضرر فيه ولا إثم ولا حرج.

ـ إن التحلل من تقليد الأئمة المجتهدين، واستخراج أحكام الحلال والحرام من الكتاب والسنة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه أمام جميع الناس يؤدي إلى فوضى دينية لا آخر لها، فضلاً عن تمزيق شريعة الله بين الأوهام والقناعات الذاتية والأخيلة المختلفة. يقول الشيخ محمد الحامد في رسالته **لزوم اتباع مذاهب الأئمة** موافقا لقول ابن عابدين في حاشيته ١/ ٥٥ «والذي عليه والعمل به، هو ما قرره فقهاؤنا رحمهم الله تعالى من أن الاجتهاد المطلق في الأحكام ممنوع بعد أن مضت أربعمائة سنة من هجرة سيدنا ومولانا محمد ﷺ». ويقول، أيضاً: «لا يدعي الاجتهاد المطلق إلا ناقص العقل، قليل العلم، رقيق الدين» (ص١١، ١٢) ويضيف في ص١٢ من المرجع نفسه «لا مانع من الاجتهاد للتعرف إلى أحكام جزئية فردية طارئة».

ـ إن المجتهد المعاصر لا يجوز أن يجتهد إلا فيما جد من الأمور أما الأمور القديمة فلا.

ووضع بعضهم شروطاً للاجتهاد منها:

١ ـ العلم بالعربية وأساليب البيان العربي لفهم الكتاب والسنة.

٢ ـ المعرفة التامة بالكتاب (القرآن الكريم).

٣ ـ المعرفة بالسنة وخاصة تلك التي تتعلق بالأحكام التشريعية.

٤ ـ المعرفة بالناسخ والمنسوخ من الأحكام.

٥ ـ المعرفة بمواقع الإجماع(*) لكيلا يخرج عنه فيكون متبعا غير سبيل المؤمنين.

٦ ـ المعرفة بالقواعد الأصولية للكتاب والسنة.

٧ ـ فضلاً عن صفات شخصية وسلوكية، كأن يكون غير مطعون عليه في علم أو عمل أو اعتقاد.

● لشدة الدعوة للمذهبية انتشر التعصب للمذاهب وكثرت المناظرات بين أتباعها،

وزادت حملات المذهبيين بعضهم على بعض، حتى وصل بينهم الخلاف إلى تعمد بعضهم الكيد والأذى لبعض، مما سبب الكثير من الفتن، وأحيانا القتال فيما بينهم. قال ياقوت الحموي في كتابه **معجم البلدان** (١/ ٢٧٣) بعد أن ذكر ما لأصفهان من مجد قديم «وقد فشا فيها الخراب من نواحيها، لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى، وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلٌّ ولا ذمة».

وما ذكر من أحداث بلدة مرو والري (٤/ ٣٥٥ و٣٥٦) أشنع، إذ استطالوا على بعضهم بالسلاح لدرجة أنه قال «وجدت دورهم ـ أي الحنفية والشيعة ـ كلها مبنية تحت الأرض، ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة وصعوبة المسلك، ولولا ذلك لما بقي فيها أحد».

ـ ووصلت حدة التعصب المذهبي إلى الاعتداء على حرمة بيوت الله تعالى. يروي الحافظ المؤرخ ابن كثير في **البداية والنهاية** (١٣/ ١٩، ٢١) «ما حدث من فتن لما تعرض الحافظ عبد الغني المقدسي لمسألة صفات الله تعالى أثناء تدريسه في الجامع الأموي، مما أغضب أتباع المذاهب الأخرى، فعقد له الأمير صارم الدين برغش مناظرة مع فقهاء المذاهب فلم يتفقوا، فنفاه من البلد، وأرسل الأسارى من القلعة فكسروا منبر الحنابلة، وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة».

ـ ينقل الحافظ شمس الدين الذهبي في ترجمته لقاضي دمشق الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني قوله: «لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية» **ميزان الاعتدال** (٤/ ٥١، ٥٢). ويقول صاحب مراقي الفلاح الحنفي ص٢١، ٢٢ عن ماء البئر النجس «فإن عجن بمائها يلقى للكلاب، أو يعلف به المواشي، وقال بعضهم يباع لشافعي».

ويقول الإمام النووي في **المجموع** (١/ ٢٥٨، ٢٥٩): «فرع: اقتدى شافعي بحنفي وعكسه، وفيه خلاف وتعم به البلوى. فإذا توضأ حنفي واقتدى به شافعي... فثلاثة أوجه أحدها وهو قول الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: لا يصح اقتداؤه، نوى أم لم ينو، لأنه وإن نوى فلا يراها واجبة فهي كالمعروفة فلا تصح طهارته». ويقول في (٤/ ١٨٤، ١٨٥) من **المجموع** «لو مس حنفي امرأة أو ترك طمأنينة أو غيرها، صح اقتداء الشافعي به عند القفال، وخالفه الجمهور وهو الصحيح».

ومنها ما حدث بين الظاهرية والمالكية إبّان قيام دولة الموحدين بالمغرب، إذ أمروا بإحراق كتب المالكية مع الإبقاء على الآيات والأحاديث، مع إلزام الناس بالالتزام بالمذهب

الظاهري مما سبب فتنة كبيرة للمنتسبين للمذهب المالكي.

يتضح مما سبق:

أن المذهبية في جانبها الإيجابي هي إثراء للفقه الإسلامي باجتهادات أئمة المذاهب وأتباعهم من العلماء المحققين، وقد تلقاها معظم المسلمين في القرون المعاصرة بالقبول وأصبحت منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي إثر إقفال باب الاجتهاد(*) والاكتفاء بالتقليد(*) وشيوع الجهل والقعود عن طلب العلم.

ولكن المذهبية في الجانب السلبي أحدثت كثيراً من الخلاف والفرقة والضعف بين المسلمين بسبب أحوال بعض المنتسبين من أتباع المذاهب الذين يرون أن مذهبهم هو الصحيح والحق. وقد قاد ذلك إلى الدعوة لقفل باب الاجتهاد وتحريم عدم انتساب المسلم إلى أحد المذاهب المعروفة والقول بإلزام المسلم باتباع مذهب لا يحيد عنه في كل شأنه وغير ذلك من الأمور التي لا دليل عليها من كتاب أو سنة. والمنهج الأحمد هو اعتبار المذاهب الفقهية واحترامها بشرط عدم التعصب لها أو إلغائها، واعتبار أن المسلم مطالب باتباع الكتاب والسنة والحق أينما وجد بغض النظر عمن صدر عنه، وقد أدى التعصب المذهبي إلى اعتقاد بعض المسلمين: أن الاختلاف هو الأصل حتى في القضايا الكلية، على الرغم من الآيات الكثيرة التي تحض على أن الوحدة والالتزام بحبل الله وعدم التفرق أحد أهم مقاصد الدين الحنيف.

مراجع للتوسع:

- **مغيث الخلق في ترجيح المذهب الحق**، لإمام الحرمين الجويني.
- **حاشية ابن عابدين**.
- **الكامل في التاريخ** ٨/ ١٠٦ ابن الأثير.
- **الرد على من أخلد إلى الأرض ونسي أن الاجتهاد في كل عصر فرض**، الإمام السيوطي.
- **البداية والنهاية** ١٣/ ١٨ ـ ٢١، الحافظ ابن كثير.
- **فتح القدير** د١/ ٣١١، ٣١٢، ابن الهمام.
- **المجموع** ١/ ٢٥٨، ٢٥٩، ٤/ ١٨٤، ١٨٥، الإمام النووي.
- **معجم البلدان** ١/ ٢٧٣ و٤/ ٣٥٥، ٣٥٦، ياقوت الحموي.
- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، لابن تيمية.
- **الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف**، لشاه ولي الله الدهلوي.

- **تاريخ التشريع الإسلامي**، لمحمد الخضري بك.
- **ظهر الإسلام**، لأحمد أمين.
- **لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسما للفوضى الدينية**، لمحمد الحامد.
- **اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية**، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- **أثر الشريعة في اختلاف الأئمة الفقهاء**، لمحمد عوامة.
- **الاجتهاد والمجتهدون**، لأحمد البيانوني.
- **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، محمد سعيد رمضان البوطي.
- **الردود**، د. بكر بن عبد الله أبو زيد.

الفصل الخامس

الحركات الإصلاحية الحديثة

● مقدمة عامة ● دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ● جماعة أهل الحديث ● جماعة أنصار السنة المحمدية ● الإخوان المسلمون ● الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية ● الاتجاه الإسلامي بتونس ● حزب السلامة الوطني التركي ● الحزب الإسلامي الكردستاني ● الجبهة القومية بالسودان ● حماس ● جبهة الإنقاذ بالجزائر.

مقدمة عامة

الحركات(*) الإصلاحية المقصودة في هذا الفصل هي حركات سنية تنادي في جوهرها بالدعوة إلى الأخذ بالكتاب والسنة، وتطبيق الشريعة الإسلامية(*) في جميع مناحي الحياة، والتصدي للتيارات العلمانية، لكنها رأت في الإصلاح الجزئي المتدرج أساساً للوصول إلى منهج(*) السلف.

ونحن نعالج من الحركات الإصلاحية الحديثة هنا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وجماعة أهل الحديث بشبه القارة الهندية، وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر والسودان، تلك الحركات التي تنادي بأمرين شرعيين كريمين هما العودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح وتطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة من جهة، والتصدي لأهل البدع والأهواء والتصدي للحركة العلمانية الإباحية التحليلية الاستعمارية التي تكرس فكرة استمرار فصل الدين(*) عن الدنيا من جهة أخرى. ومن هنا تبدو أهمية الوقوف على فكر هذه الحركات أملاً في تكوين الوجدان الإسلامي الواعي الذي يتجه صوب أهل السنة والجماعة وجعل السلفية(*) الإطار الوحيد لكل شؤون الحياة، وهو الأمل الوحيد للمسلمين في الخروج من دائرة الفرقة والانعتاق من إسار الاختلاف.

وعلى المنهج نفسه يُعالج هذا الفصل الحركات الإصلاحية الأخرى الحديثة التي من أهمها حركة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية بشبه القارة الهندية، والاتجاه الإسلامي بتونس (حزب(*) النهضة)، وحزب السلامة الوطني بتركيا، والحزب الإسلامي الكردستاني، والجبهة(*) القومية الإسلامية بالسودان، وحركة حماس بفلسطين، والجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر.

ومن الممكن أن بعض هذه الحركات لها من مناهجها وآراء رجالها اجتهادات قد تدخلها في خضم المشكلات التي تبعدها عن إدراك الغاية النهائية وهي الوصول إلى منهاج موحد يسير على نهج أهل السنة والجماعة(*).

١٦ـ دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

التعريف:

الدعوة السلفيّة(*) دعوة تنادي بالرجوع إلى هدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة الزاهر، ولذا تعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بحق رائدة الحركات(*) الإصلاحية التي ظهرت إبان التخلف والجمود الفكري في العالم الإسلامي، فهي تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية، وتلح على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك، ويطلق عليها بعضُهم ـ خطأً ـ اسم «الوهابية» نسبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهي ليست مذهباً(*) جديداً أو طريقة مبتدعة إنما هي امتداد وتجديد للدعوة السلفية، فهي منهج(*) ودعوة لترسُّم خطى السلف الصالح والسير على منوالهم، امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾. [التوبة: ١٠٠]. وقوله ﷺ في الحديث الصحيح عن الفرقة الناجية: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● من أعلام الدعوة السلفية في عصرنا الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي النجدي (١١١٥ـ١٢٠٦ هـ) (١٧٠٣ـ١٧٩١م).

ـ ولد ببلدة العيينة القريبة من الرياض، وتلقَّى علومه الأولى على يدي والده دارساً شيئاً من الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، حافظاً القرآن وعمره عشر سنين.

ـ ذهب إلى مكة حاجاً ودرس على علمائها، ثم سار إلى المدينة ليتزود بالعلم الشرعي، وفيها التقى بشيخه محمد حياة السندي (ت ١١٦٥ هـ) وكان تأثره به عظيماً، كما تتلمذ على الشيخ عبدالله بن إبراهيم آل سيف.

ـ عاد إلى العيينة، ثم توجه إلى العراق عام (١١٣٦ هـ/ ١٧٢٤م) ليزور البصرة وبغداد والموصل، وفي كل مدينة منها كان يلتقي مع المشايخ والعلماء ويأخذ عنهم.

ـ غادر البصرة مضطرًا إلى الأحساء، ثم إلى حريملاء إذ انتقل إليها والده الذي كان يعمل قاضياً، وفيها بدأ ينشر الدعوة إلى التوحيد جاهراً بها، وذلك سنة (١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠م) لكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر بعض السفهاء على قتله.

ـ توجه إلى العيينة وعرض دعوته على أميرها (عثمان بن معمر) الذي قام معه بهدم القبور والقباب، وأعانه على رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك.

ـ أرسل أمير الأحساء عريعر بن دجين إلى أمير العيينة رسالة يأمره فيها بقتل الشيخ، كما كتب علماء السوء رسائل إلى ابن معمر يشككونه في دعوة محمد بن عبد الوهاب، فألح ابن معمر على الشيخ أن يخرج إلى حيث أراد، فخرج الشيخ من العيينة.

ـ توجه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود ونزل ضيفاً على محمد بن سويلم العريني عام (١١٥٨ هـ)، إذ أقبل عليه التلاميذ وأكرموه.

ـ الأمير محمد بن سعود الذي حكم خلال الفترة (١١٣٩ ـ ١١٧٩ هـ) علم بمقدم الشيخ فجاءه مرحباً به، وعاهده على حمايته وتأييده، وجرى بينهما الحوار التالي الذي نذكره لأهميته التاريخية:

الأمير: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة.

الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وهي ما دعا إليها رسل الله كلهم، فالأرض يرثها عباده المسلمون.

ثم اشترط الأمير على الشيخ شرطين:

١ ـ ألا يرتحل عنهم وألا يستبدل بهم غيرهم.

٢ ـ ألا يمانع الشيخ في أن يأخذ الحاكم وقت الثمار ما اعتاد على أخذه من أهل الدرعية.

ـ أما عن الشرط الأول فقد قال له الشيخ: ابسط يدك أبايعك.. الدم بالدم والهدم بالهدم.

ـ أما عن الشرط الثاني فقد قال له: لعل الله يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها.

ـ يعتقد الشيخ بأنه لا بد للحق من قوة تحميه، وذلك لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ـ مضى الشيخ والأمير في نشر الدعوة في ربوع نجد، ولما توفي الأمير خلفه ابنه

عبدالعزيز بن محمد (١١١١ ـ ١٢١٨ هـ) ليتابع مناصرة الدعوة مع الشيخ الذي توفاه الله في الدرعية وفيها دفن.

ـ للشيخ مصنفات كثيرة أهمها **كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد**، و**كتاب الإيمان**، و**كشف الشبهات**، و**آداب المشي إلى الصلاة** و**مسائل الجاهلية** وعدد من المختصرات والرسائل التي تدور حول أمور فقهية وأصولية أكثرها في التوحيد.

● تتلمذ على يد الشيخ الكثير. ومن تلاميذه وبعض تلاميذ تلاميذه ما يلي:

ـ سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي لازم الشيخ وأخذ عنه وقرأ عليه.

ـ حسين بن محمد بن عبد الوهاب: قاضي بلدة الدرعية.

ـ علي بن محمد بن عبد الوهاب: عالِمٌ جليل ورع شديد الخوف من الله عزّ وجلّ عرض عليه القضاء فأباه.

ـ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (١١٦٥ ـ ١٢٤٢ هـ) أصبح قاضي الدرعية زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، كان دقيق الفهم والمعرفة وكانت وفاته بمصر.

ـ إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب: عالِمٌ فاضل مدقق.

ـ عبد الرحمن بن خميس إمام قصر آل سعود بالدرعية والقاضي زمن الملك عبد العزيز وابنه الملك سعود.

ـ حسين بن غنام صاحب كتاب **روضة الأفكار** وهو عالم واسع المعرفة.

ـ عبد العزيز بن عبدالله الحصين (ت ١٢٣٧ هـ).

ـ حمد بن ناصر بن معمر.

ـ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٣ ـ ١٢٨٤ هـ) كان وجيهاً وعالِماً، تتلمذ على جدِّه وأخذ عنه مباشرة، تولى القضاء والتدريس، وهو صاحب كتاب **الرد النَّفيس على شبهات داود بن جريس**.

ـ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب **تأسيس التقديس في الرد على داود بن جريس** و**مصباح الظلام في الرد على الشيخ الإمام**.

ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠ ـ ١٢٣٣ هـ) كان ذكياً جريئاً قتله إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية، وهو صاحب كتاب **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**.

ـ الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم من أحفاد الشيخ (ت ١٣٨٩ هـ)، كان يعمل مفتياً للسعودية، ورئيساً للقضاة والشؤون الإسلامية ـ وقد اشتهر بالعلم والتحقيق وقوة الحافظة،

وبعد النظر، وقد آتاه الله مهابة في النفوس كما عرف بالتورع وكثرة العبادة وسعة البذل.

ـ الشيخ أحمد بن عيسىٰ شارح **نونية ابن القيم** (ت ١٣٢٩ هـ).

ـ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بابطين والذي كان يلقب ـ في وقته ـ بمفتي الديار النجدية (ت ١٢٨٢ هـ).

ـ سليمان بن سحمان صاحب القلم السيال والمؤلفات الكثيرة (ت ١٣٤٩ هـ).

ـ الشيخ حمد بن علي بن عتيق (ت ١٣٠٦ هـ).

ـ ومن شخصياتهم البارزة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية حالياً.

ـ وممن تأثروا بدعوته خارج المملكة، محمد بشير السهسواني ومحمود الآلوسي، وغيرهما.

ـ تأثر بهذه الحركة السلفية(*) الكثير من العلماء والدعاة، وبعض الحركات الإصلاحية الأخرىٰ.

الأفكار والمعتقدات:

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب حنبلي المذهب في دراسته، لكنه لم يكن يلتزم ذلك في فتاواه إذا ترجح لديه الدليل فيما يخالفه، وعليه فإن دعوته اتسمت باتباع الدليل وفق فهم السلف الصالح.

ـ أكدت على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، وإحياء ما اندرس من مذهب أهل السنة والجماعة(*).

ـ اعتمدت منهج(*) أهل السنة والجماعة في فهم الدليل والبناء عليه.

ـ دعت إلى تنقية مفهوم التوحيد ومطالبة المسلمين بالرجوع به إلى ما كان عليه المسلمون في الصدر الأول للإسلام. وهو يقوم على توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه أو أثبتها رسوله، ﷺ، له من غير تمثيل(*) ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تعطيل(*).

ـ التركيز على مفهوم توحيد العبودية ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾. [النحل: ٣٦].

ـ إحياء فريضة الجهاد(*)، فقد كان الشيخ صورة للمجاهد الذي يمضي في فتح البلاد، ينشر الدعوة ويزيل مظاهر الشرك التي انحدر إليها الناس.

ـ القضاء على البدع(*) والخرافات التي كانت منتشرة آنذاك بسبب الجهل والتخلف مثل:

- زيارة قبرٍ يزعمون أنه قبر الصحابي ضرار بن الأزور وسؤاله قضاء الحاجات.
- زيارة قبة يقولون إنها لزيد بن الخطاب.
- التردد على شجرة يقولون إنها شجرة أبي دجانة وأخرى تسمى الطرفية.
- زيارة مغارة تسمى مغارة بنت الأمير.

● تقسيم التوسل إلى نوعين بناء على استقراء الأدلة الشرعية:

- توسل مشروع وهو التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، أو بالأعمال الصالحة، أو بدعاء أخيه المسلم.
- توسل مبتدع منهي عنه مما لم يرد عليه دليل صحيح، وهو ما كان بالذوات الصالحة «بجاه الرسول، بحرمة الشيخ فلان..».

● منع بناء القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك من البدع التي تصاحبها.

● التصدي لشطحات الطرق الصوفية ولما أدخلوه على الدين من أشياء لم تكن فيه من قبل.

● تحريم القول على الله بغير علم ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

● محاربة الطواغيت وعنده أن: «الطاغوت(*) ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع» ورؤوس الطواغيت خمسة «إبليس لعنه الله، ومن عُبِد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة النفس، ومن ادَّعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله» ولا يصير الإنسان مؤمناً بالله إلا بعد أن يكفر بالطاغوت.

● إن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرِّمه أو يوجبه أو يستحبَّه أو يكرِّهه﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. [المائدة: ١٠١].

● إن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

- إن النبي، ﷺ، ذكر أن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور متشابهات. فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم عن كل مسألة بكلام فاصل فقد ضلَّ وأضل.

● ذكر الشيخ في بيانه لأنواع الشرك ومراتبه أنه:

- **شرك أكبر**: وهو شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة.
- **شرك أصغر**: وهو الرياء لقوله، ﷺ، في حديث رواه الحاكم «**اليسير من الرياء شرك**».
- **شرك خفي**: قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم كما قال، ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة**

أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل».

● أدرك علماء هذه الدعوة قضايا زمانهم، وفقهوا نوازل عصرهم، فترىٰ الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـ مثلاً ـ اهتم كثيراً بتقرير توحيد العبادة وبيان ما يضاده، لأن توحيد العبادة أول واجب على المكلف، ولأنه كان الانحراف السائد في بيئته ـ آنذاك ـ في هذا الجانب. ولما ظهرت هذه الدعوة خارج البلاد، احتاج الأمر إلى زيادة بيان وتفصيل في مبحث الأسماء والصفات، إذ كان التعطيل والتحريف ظاهراً في كثير من بلاد المسلمين، كما نجده ـ على سبيل المثال ـ في رسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه العلامة الشيخ عبد اللطيف والشيخ أحمد بن عيسىٰ.

ـ وفي هذا العصر الذي استفحل فيه حكم الطاغوت(*) والمتمثل في القوانين الغربية الوضعية(*)، كان لعلماء هذه الدعوة مواقف مشهودة وأجوبة عاجلة في التصدي لهذه القوانين وبيان حكم الله تعالىٰ فيها، ومثال ذلك ما كتبه الشيخ محمد بن إبراهيم في فتاويه ورسائله.

● لقد عملت هذه الدعوة على إيقاظ الأمة الإسلامية فكرياً بعد أن رانت عليها سجف من التخلف والخمول والتقليد(*) الأعمى.

● العناية بتعليم العامة وتثقيفهم، وتفتيح أذهان المثقفين منهم ولفت أنظارهم إلى البحث عن الدليل ودعوتهم إلى التنقيب في بطون أمهات الكتب والمراجع قبل قبول أية فكرة فضلاً عن تطبيقها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

هذه الدعوة امتداد لما كان عليه سلف الأمة والقرون المفضلة، ومن ثم فهي دعوة إلى اتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية(*) كدعوة عامة وحركة شعبية استوعبت القاعدة العريضة من أهل نجد، وبلغت قمة السلطة مع الحكم السعودي في بلدان مكة المكرمة عام ١٢١٩ هـ والمدينة المنورة عام ١٢٢٠ هـ.

ـ وعندما حوربت كان تأثير أنصار الدعوة في الجيش المحارب لها كبيراً حتى كتبوا عنهم يقولون: «والقوم إذا دخل الوقت أذَّن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع» وينادون في معسكرهم: «هلموا إلى حرب المشركين والمحلقين الذقون

المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور، التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين الحرمات». وقد سار ذكرهم في كل مكان وتحدث عنهم القاصي والداني وانتشر أمرهم في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

● لقد تركت هذه الدعوة بصماتها وآثارها على حركات(*) الإصلاح التي قامت في العالم الإسلامي بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

ومن المعروف أن دعوة ابن عبد الوهاب السلفية(*) لم تسلم من المناوئين الذين شنعوا عليها وبثوا عنها كثيراً من الأباطيل بعدما شعروا أنها تهددهم، خاصة المبتدعة منهم والمتصوفة والفرق الضالة. وهذا متوقع ووارد في صراع الحق والباطل، كما أخذ على بعض أتباع دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب السلفية بعض الأمور التي قد تكون صحيحة.

من ذلك مثلاً ما أخذ على بعض أتباع الدعوة من اتصاف بالشدة عند إنكار المنكر، والتركيز على قضايا البدعة(*) والشرك، مع إغفال جوانب الإسلام الأخرى المتعلقة بالاقتصاد(*) والاجتماع والسياسة. على أن هذا الأمر تغير في معظم الأتباع الجدد، إذ أخذ الاهتمام بالمجتمع وشمولية الإسلام يشغل حيزاً واضحاً في نشاط الدعوة، وأخذ بعض أفرادها زمام المبادرة في النشاطات الإغاثية والدعوية الشمولية في كثير من بلدان العالم.

ويتضح مما سبق:

أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية(*) هي دعوة إلى الرجوع إلى عقيدة التوحيد الخالص، والتمسك بهدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة الزاهر. وقد اعتمدت على الكتاب والسُنة، ومنهج(*) أهل السنة والجماعة(*) في فهم الدليل والرجوع إليه، ودعت إلى فتح باب الاجتهاد(*) بشروطه وضوابطه، ودعت إلى تنقية التوحيد مما شابه من شركيات، وسد الذرائع المفضية إلى الشرك. ولذا فإنه يجب أن يجمع المسلم في عقيدة التوحيد بين توحيد الربوبية، فالله هو الخالق الرازق، وتوحيد الألوهية أو الإلهية أي توحيد الله بعبادة الله، فيعبدونه لا يشركون به شيئاً، فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وهذا يستلزم بالضرورة توحيد الله في أسمائه وصفاته من غير تمثيل ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تعطيل(*)، مع إحياء الجهاد(*) والقضاء على جميع صور البدع(*) والخرافات والأمور الشركية التي فشت في المجتمعات الإسلامية. وبذلك فهي الدعوة الإصلاحية الوحيدة في العصر الحديث التي استطاعت أن تؤسس دولة تحكم بالإسلام.

مراجع للتوسع:

- **عنوان المجد في تاريخ نجد،** للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر الحنبلي ـ طبعة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.
- **روضة الأفكار** للشيخ حسين بن غنام ـ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ـ مطبعة المدني ـ مصر.
- **آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب:** للدكتور أحمد محمد الضبيب ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض ـ ١٣٩٧ هـ.
- **الإمام محمد بن عبد الوهاب انتصار المذهب السلفي،** لعبد الحليم الجندي ـ دار المعارف ـ مصر.
- **محمد بن عبد الوهاب،** لأحمد عبد الغفور عطار ـ طبعة ١٣٩٧ هـ.
- **الوهابية: حركة الفكر والدولة الإسلامية،** لعبد الرحمن سليمان الرويشد ـ ط١ ـ دار العلوم للطباعة ـ القاهرة ـ ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.
- **بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب،** مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
- **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب،** مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية،** مطبعة المنار.
- **في سيرة محمد بن عبدالوهاب،** تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ـ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.
- **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية،** لمحمد كمال جمعة ـ ط٢ ـ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
- **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب،** لمؤلف مجهول ـ دراسة وتحقيق وتعليق دكتور عبدالله الصالح العثيمين مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.** لعبد العزيز العبد اللطيف ـ دار الوطن.
- **المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر الهجري** لعبد المتعال الصعيدي.
- **حركة الإصلاح والتجديد في نجد** ـ للدكتور محمد عبدالله العجلان بحث في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بالبحرين ١٤٠٥/ ١٩٨٦م.

- **الاتجاه السلفي بين التأصيل والمواجهة** للدكتور راجح الكردي بحث في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر بالبحرين ١٤٠٥/ ١٩٨٦م.
- **أثر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الحركات الإسلامية المعاصرة** لصلاح الدين مقبول مجمع البحوث العلمية الإسلامية - نيودلهي.
- **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** لصالح العبود.
- **الشيخ محمد بن عبد الوهاب** لأحمد بن حجر آل بوطامي.
- **محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه** لمسعود الندوي.
- **محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** لعبدالله العثيمين.
- **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** لمحمد بن عبدالله السلمان.
- **علماء نجد خلال ستة قرون** لعبدالله البسام.
- مشاهير **علماء نجد** لعبد الرحمن آل الشيخ.
- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** جمع عبد الرحمن القاسم.
- **دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بين المؤيدين والمعارضين والمناوئين** - محمد جميل زينو.
- **تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية** - د. محمد بن سعد الشويعر.

١٧ـ جماعة أهل الحديث

التعريف:

جماعة أهل الحديث أقدم الحركات(*) الإسلامية في شبه القارة الهندية، قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وتقديمهما على كل قول وهدي سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق(*) أو السياسة والاجتماع على طريقة الفقهاء المحدثين، ومحاربة الشركيات والبدع(*) والخرافات بأنواعها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية:**

ـ يرجع تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية إلى العهد الإسلامي الأول، إذ استضاءت بعض مناطق الهند بنور الإسلام بجهود التجار والمجاهدين العرب الذين وصلوا إلى مقاطعات السند ومالابار وكجرات على سواحل البحر الهندي، فكانت هناك مراكز للحديث في بلاد السند وملتان وفد إليها المحدثون من العرب والعجم. وقد زارها الرحالة المعروف أبو القاسم المقدسي عام ٣٧٥هـ ووصف الحالة الدينية في بلاد السند في كتابه **أحسن التقاسيم** قائلاً: «إن مذاهب أكثرهم أصحاب الحديث، ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة ـ يرحمه الله ـ وأنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة، وقد أراحهم الله من الغلو والعصبية والفتنة».

ـ وفي أواخر القرن الرابع بدأ الضعف يدب في نشاط أهل الحديث وقد بلغ منتهاه في القرن التاسع الهجري، نظراً لانتشار الخلافات السياسية والعصبيات، وظهور فتنة الباطنية الإسماعيلية التي جرت على أهل السنة(*) الفتن والمشكلات، فقل الاهتمام بالسنة، وفشا التقليد(*) والتعصب للمذاهب(*)، والجمود عليها، وسادت علوم اليونان. ومع هذا كله وجد في شبه القارة الهندية عدد من علماء أهل الحديث من تلاميذ الحافظ بن حجر العسقلاني والإمام السخاوي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وغيرهم، إذ ظلوا محافظين على منهج أهل الحديث.

● **حركة أهل الحديث في شبه القارة الهندية في العصر الحديث:**

ـ مع بداية القرن الحادي عشر الهجري بدأ دور جديد لأهل الحديث، إذ ظهرت في عصر الشيخ أحمد السرهندي (ت ١٠٣٤هـ)، وقويت في عهد أنجال الإمام شاه ولي الله المحدث الدهلوي (ت ١١٧٥هـ) وبخاصة ابنه الكبير شاه عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي (١١٥٩ ـ ١٢٣٩هـ)، إذ استفادوا من منهج(*) أبيهم في الدعوة والإرشاد والتدريس والإفادة والتأليف، ونبذ الجمود والتعصب المذهبي، وزادت قوتها وانتشارها في عهد حفيده الإمام إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي (ت ١٢٤٣هـ) قائد الدعوة والجهاد وصاحب كتاب **تقوية الإيمان**.

ـ بعد وفاة الإمام شاه إسماعيل الدهلوي المعروف باسم إسماعيل الشهيد في معركة بالاكوت (١٢٤٣هـ) تحمل أهل الحديث مسؤولية الدعوة والجهاد(*) بكل أمانة وإخلاص، وكانت جهودهم في هذه الفترة مرتكزة على ثلاثة ميادين رئيسية:

١ ـ ميدان الجهاد(*): لم تقتصر حركة شاه إسماعيل الدهلوي على إحياء العمل بالكتاب والسنة وإقامة الخلافة(*) على منهاج النبوة والقضاء على التعصب المذهبي والجمود والبدع والعقائد الباطلة فقط، بل قادت حركة الجهاد ضد السيخ والاستعمار(*) الإنجليزي وبخاصة في الحدود الشمالية للهند إلى أن رحل الاستعمار الإنجليزي من الهند عام ١٩٤٧م. وبعد تقسيم القارة إلى الهند وباكستان، واصل المجاهدون جهادهم وفتحت إحدى كتائبهم مدينة مظفرآباد، وتحت قيادة الشيخ فضل إلهي الوزير آبادي فتحت باقي الرقعة التي تشكل كشمير الحرة الآن. ومن أبرز الشخصيات في هذا الميدان الشيخ ولايت علي الصادقفوري (ت ١٢٦٩هـ) وشقيقه الشيخ عنايت علي الصادقفوري (ت ١٢٧٤هـ)، وأسرة (صادقفور) الذين تحملوا مسؤولية الجهاد ورفعوا رايته، وأبلوا فيه بلاءً حسناً.

٢ ـ ميدان التأليف: لأهل الحديث دور بارز في إحياء ونشر الثقافة الإسلامية من خلال الاهتمام بمجال التأليف والتصنيف في القرآن وعلومه، وعلوم الحديث، وبيان السنة وشروحها، مع الدفاع عن العقيدة، والرد على المبتدعة وأهل الاعتقادات الباطلة فكان منهم العلماء والمحدثون. ومن أبرز الشخصيات في هذا المجال العلامة النواب صديق حسن خان البهوبالي (ت ١٣٠٧هـ) حاكم بوبهبال، إذ اشتغل بالتصنيف والتأليف ونشر كتب الحديث ودواوين السنة فألف ما يبلغ قريباً من ثلاثمائة كتاب، مع اشتغاله بمهمات الدولة، كما شكل مجلساً علمياً مكوناً من العلماء السلفيين ليقوم بمهمات التأليف والترجمة وإفادة المسلمين بالتدريس، وأنشأ لذلك عدة مطابع على حسابه الخاص لطبع ونشر وتوزيع كتب السلف

الصالح، وخاصة ما يتعلق منها بأصول الاعتقاد والتفسير والحديث.

٣ ـ في ميدان التدريس: برز اهتمام أهل الحديث بالدعوة والتدريس وإنشاء المدارس والجامعات، ومن أبرز الشخصيات في هذا الجانب العلامة الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي (ت ١٣٢٠هـ)، والذي انتهت إليه رئاسة الحديث في بلاد الهند، واستمر في تدريس العلوم الشرعية والحديث في دهلي قرابة ستين عاماً، بالإضافة إلى الدعوة إلى الإسلام الصحيح، حتى قيل إنه اعتنق في عصره نحو مليونين من المسلمين العقيدة الصحيحة تائبين عن العقائد الشركية والبدعية، وتخرج على يده عدد من أعلام السنة والدعوة في العصر الحديث أمثال: الإمام المحدث عبدالله الغزنوي (ت ١٢٩٨هـ) وشمس الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ) مؤلف **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، والعلامة عبدالرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) صاحب **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، والعلامة محمد بشير السهسواني (ت ١٣٢٦هـ) صاحب **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**، والشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي المغربي، والشيخ محمد بن ناصر المبارك النجدي، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق النجدي الذي نشر سند شيخه في بلاد الحجاز ونجد، وغيرهم. ومازالت مدرسته إلى اليوم بدهلي والمعروفة بجامعة السيد نذير حسين الدهلوي تخرج العلماء والدعاة.

تشكيل (جمعية أهل الحديث):

ـ في عام ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م قرر علماء أهل الحديث برئاسة شيخ الإسلام أبي الوفا ثناء الله الأمرتسري (ت ١٣٦٧هـ) تشكيل جمعية لهم تقوم على نشر الدعوة على منهج الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ومقاومة الحركات الهدامة ومواجهة تحديات العصر تحت اسم (مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند)، وعين شيخ الإسلام أبو الوفا ثناء الله الأمرتسري، قامع الفتنة القاديانية وصاحب التصانيف الكثيرة في الدفاع عن الإسلام ومقاومة الهندوسية، والنصرانية، ومنكري السنة وغيرها من فرق وملل الضلال، بالإضافة إلى ما له من مساهمات فعالة في الحركة السياسية والوطنية والمؤتمر الوطني العام، عُيِّن أميناً عاماً للجمعية بالإضافة إلى عضويته في ندوة العلماء وجمعية علماء الهند. وانتخب المحدث العلامة عبدالله الغازيفوري (ت ١٣٣٧هـ) رئيساً للجمعية، فغطت جهودهما الهند وقراها.

ـ في عام ١٩٤٧م انقسمت شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان، فضعفت حركتهم لفترة ما وفقدوا بسبب ذلك أكبر مؤسسة تعليمية لهم (دار الحديث الرحمانية) بدهلي، فسارعوا إلى تشكيل الجمعية من جديد في كلتا الدولتين فاستعادتا قوتهما، وأسسوا الجامعات والمعاهد والمدارس الجديدة لتلبية حاجات العصر وتدريس علوم الكتاب والسنة

على منهج السلف الصالح.

- ومن أبرز هذه الجامعات:

١ - في الهند: الجامعة السلفية(*) ببنارس وهي أكبر جامعة عربية إسلامية في الهند. تأسست عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، بالإضافة إلى الجامعة الرحمانية، والجامعة الأحمدية السلفية، وجامعة دار السلام بعمر آباد، والجامعة السلفية بالقرية السلفية في كيرالا، والجامعة الإسلامية في بومباي، وجامعة ابن تيمية، وجامعة الإمام البخاري في بشاور.

٢ - أما في باكستان فإن الجامعة السلفية بفيصل آباد تعد أول وأكبر جامعة إسلامية تأسست في باكستان بعد الانفصال، في ٧ شعبان ١٣٧٤هـ - إبريل ١٩٥١م بالإضافة إلى الجامعات الأخرى مثل جامعة العلوم الأثرية بجهلم، وجامعة أبي بكر الصديق بكراتشي والجامعة المحمدية بكجرانوالة. هذا بالإضافة إلى المكتبات التي تحوي آلاف المخطوطات ونوادر الكتب. في المجال الإعلامي أصدرت الجمعية بفروعها المتعددة العديد من الصحف والمجلات باللغتين العربية والأردية، على سبيل المثال، مجلة أهل الحديث الأمرتسرية ومجلة أهل الحديث، الصادرة من لاهور، **وترجمان الحديث، والمحدث، والاعتصام، والرباط، وصوت الأمة ومسلم وتوحيد وصوت الحق وصراط مستقيم..**

- في عام ١٩٨٥م اتخذ قرار بإنشاء جمعية شبان أهل الحديث في باكستان بالإضافة إلى جمعية طلبة أهل الحديث، ومن ثم تم تعميم الفكرة على باقي الجمعيات في شبه القارة الهندية.

- في أكتوبر عام ١٩٩٣م شاركت الجمعية في باكستان في الانتخابات النيابية، وفاز عدد من مرشحيها بمقاعد في البرلمان الباكستاني، وانتخب أمير الجماعة البروفيسور ساجد مير عضواً بمجلس الشيوخ الباكستاني.

شخصيات بارزة:

● **في باكستان:**

١ - الشيخ محمد داود الغزنوي (١٨٩٥ - ١٩٦٣م) من المؤسسين لجمعية أهل الحديث بباكستان، وأول رئيس لها، وشارك العلامة محمد إسماعيل في تأسيس الجامعة السلفية بمدينة فيصل آباد، كما تحمد له مواقفه من إقامة النظام الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية(*) في باكستان، وله جهود علمية في الرد على منكري السنة، وعلى القاديانية. وعند تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأول لها، كما شارك في وضع مناهجها الدراسية.

٢ـ العلامة محمد إسماعيل السلفي المولود عام (١٣١٤هـ) في قرية دهونكي، ونشأ في ظل أسرة متدينة، وطلب العلم في مراحل مبكرة على يد أبيه، ورحل في طلبه على يد أفاضل علماء عصره. وكان يرحمه الله من الرواد الأوائل الذين ساهموا في تأسيس جمعية أهل الحديث بباكستان، وكان لجهوده الدعوية والسياسية أثرها البالغ على البلاد، فتولى الخطابة في جامع أهل الحديث بكجرانوالة، وترأس هيئة التدريس في الجامعة المحمدية التي أنشأها، كما عين مشرفاً على مقر جمعية تنظيم أهل الحديث بالبنجاب، ثم انتخب أميناً عاماً للجنة العمل لجمعية أهل الحديث في مؤتمر دهلي ١٩٤٦م، وبعد انفصال باكستان عن الهند عام ١٩٤٧م انتخب أميناً عامًّا لجمعية أهل الحديث بباكستان حتى وفاته ١٩٦٨م. وكان الشيخ محمد إسماعيل السلفي أحد أعضاء المجلس التنفيذي لحركة(*) ختم النبوة التي أنشئت لمقاومة الفتنة القاديانية، وعضواً بارزاً في الوفد التبليغي الذي قاوم حركة شدهي الهندوسية التي بدأت تهنّد المسلمين سنة ١٩٢٤م في منطقة مل كانون، بالإضافة إلى دوره الدعوي في التدريس والإفتاء وأمور الدعوة والإرشاد. وللشيخ مساهمات جيدة في إقامة المستوطنات ومساعدة الأسر المهجرة من الهند إلى باكستان سنة ١٩٤٧م، بالإضافة إلى بناء المساجد والمدارس الدينية، مع هذا كله فقد كان للشيخ محمد إسماعيل نشاط سياسي بارز متأثراً في ذلك بالشيخ أبي الكلام آزاد، ومن ذلك تمثيله والشيخ محمد داود الغزنوي لجمعية أهل الحديث لدى الحكومة الباكستانية للمطالبة بإقامة الحكم الإسلامي في باكستان. وفي سنة ١٩٥٢م اختير عضواً في اللجنة التي شكلت لتدوين الدستور الإسلامي بباكستان. توفي يرحمه الله يوم الثلاثاء العشرين من شهر ذي القعدة ١٣٨٧هـ الموافق العشرين من فبراير ١٩٦٨م تاركاً العديد من المؤلفات أبرزها: شرح وترجمة **مشكاة المصابيح** باللغة الأردية.

٣ ـ العلامة المحدث الأصولي أبو عبدالله محمد بن فضل الدين الغوندلوي (ت ١٩٨٥م) الذي خلف الشيخ محمد إسماعيل السلفي في رئاسة الجمعية.

٤ ـ العلامة الشيخ إحسان إلهي ظهير خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ت١٩٨٧م) وصاحب المؤلفات القيمة في الرد على أهل البدع والأهواء.

٥ ـ الرئيس الحالي للجمعية هو البروفيسور ساجد مير، اختير عضواً في مجلس الشيوخ الباكستاني بتاريخ مارس ١٩٩٤م، وأمينها العام الشيخ ميان محمد جميل.

٦ ـ ومن أبرز الشخصيات الأخرى العلامة المحدث أبو محمد بديع الدين شاه الراشدي السندي، أحد كبار علماء السنة في العصر الحاضر، وصاحب الأسانيد المتصلة إلى النبي ﷺ، وله مشاركات جيدة في علوم الكتاب والسنة تأليفاً وتصنيفاً. وقد درس في

الحرمين الشريفين، وله تلاميذ كثيرون من الهند وباكستان وغيرهما.

● في الهند:

ـ الشيخ عبدالوهاب الأروي أول رئيس لجمعية الحديث بالهند بعد التشكيل الجديد.

ـ الشيخ عبدالجليل الرحماني (ت ١٩٨٦م) أمين عام وصاحب تفسير القرآن بالأردو بالإضافة إلى إصداره مجلة **مصباح** الأردية.

ـ الشيخ عبدالحفيظ السلفي، خلف الشيخ الأروي في رئاسة الجمعية، ويتولى حاليًا إدارة الجامعة الأحمدية السلفية في ولاية بيهار.

ـ الشيخ عبدالوحيد بن عبدالحق السلفي (ت١٩٨٩م) خلف الشيخ عبدالحفيظ السلفي في رئاسة الجمعية، بالإضافة إلى توليه الأمانة العامة للجامعة السلفية ببنارس منذ إنشائها حتى وفاته.

ـ الشيخ عبدالحميد بن عبدالجبار الرحماني، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تولى منصب الأمين العام للجمعية في فترة سابقة، ويرأس حاليًا مركز أبي الكلام آزاد للتوعية الإسلامية بدلهي.

ـ الشيخ مختار أحمد الندوي، مدير الدار السلفية في بومباي. الرئيس السابق للجمعية، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري مؤلف الكتب العديدة أشهرها **الرحيق المختوم** في السيرة النبوية الشريفة، والرئيس الحالي للجمعية وأمينها العام الشيخ عبدالوهاب بن عبدالواحد الخلجي خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ـ تعد جمعية ندوة المجاهدين بولاية كيرالا، والممثلة في الجمعية المركزية لأهل الحديث بأربعة أعضاء، من أنشط الجمعيات السلفية في شبه القارة الهندية، فهي قد قامت بإنشاء ٢٨٠ مسجداً، و٣ جامعات، و٤٠٠ مدرسة إسلامية وعامة، وعدد من الكليات ودور الأيتام والمستشفيات ومراكز التدريب المهني، كما أنشأت ٤ جرائد ومجلات محلية، منها ما يختص بالشباب أو النساء أو الأطفال، وللجمعية تنظيم نقابي تحت مسمى جمعية الأطباء المسلمين في ولاية كيرالا.

ـ وأبرز شخصية لدى جماعة أهل الحديث بالهند الذي كان رئيس الجامعة السلفية ببنارس ومحدث الديار الهندية الشيخ عبيدالله الرحماني المباركفوري مؤلف **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، والعلامة الشيخ عبدالصمد شرف الدين، بالإضافة إلى الدكتور الأديب مقتدى حسين الأزهري وكيل الجامعة السلفية ببنارس ورئيس تحرير مجلة **صوت الأمة** ورئيس إدارة البحوث العلمية بالجامعة. بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء وطلبة العلم

البارزين في خدمة السنة والدعوة.

● في كشمير:

- كان لجهود الشيخ مولانا محمد حسين شاه تلميذ العلامة نذير حسين المحدث الدهلوي، ورفيق دربه الشيخ مولانا أنور شاه شوبياني - العالم الفرضي. أكبر الأثر في نشر دعوة أهل الحديث في كشمير.

- في عام ١٩٢٣م أرسل مؤتمر عموم الهند لأهل الحديث والذي عرف فيما بعد باسم الجمعية المركزية لأهل الحديث مولانا عبدالكبير وسيد شمس الدين إلى كشمير مبلغين جوالين، وبمساعيهما أمكن تنظيم حركة أهل الحديث تحت اسم مؤتمر أهل كشمير لأهل الحديث والذي عرف في عام ١٩٤٥م باسم بزم التوحيد أي دعوة التوحيد. وفي عام ١٩٤٦م تم تغيير اسم الجمعية إلى الاسم الحالي الجمعية المركزية لأهل الحديث جامون وكشمير، كما تم وضع دستور للجمعية يوضح أهدافها وينظم وسائل عملها من خلال وحدات إدارية تزيد على ٥٠٠ وحدة على مستوى الولاية، ويقدر عدد المنتسبين إليها بما يزيد على نصف مليون نسمة. واشتملت هذه الوحدات على عدد من الشعب والأقسام الرئيسة للتعليم والتربية والإفتاء والأوقاف والمساجد والبحوث العلمية والدعوة والإعلام. فأنشأت الكلية السلفية(*) أول كلية عربية إسلامية في سرينجار العاصمة، بالإضافة إلى العديد من المدارس والمعاهد الإسلامية، كما قامت ببناء ما يزيد على ٥٠٠ مسجد. كما اهتمت الجمعية بعقد الدورات المتعددة لإعداد الدعاة والمربين، وكذلك تسيير القوافل الدعوية في جميع أنحاء كشمير. وفي الفترة من عام ١٩٥٧م حتى عام ١٩٩٤م أقامت ٢٨ مؤتمراً، وفي وسط العاصمة أنشأت مكتبة المسلم العامة، التي تم تعميم فكرتها على جميع الوحدات الإدارية التابعة لها. وفي المجال الإعلامي أصدرت مجلة **المسلم**. كل هذا في محاولة للوقوف في وجه أعداء الإسلام، وترسيخاً لاعتقاد منهج السلف الصالح في العلم والعمل لتخريج العلماء الراسخين في العلم الشرعي العارفين بالثقافة العصرية لتحقيق متطلبات المجتمع.

- وامتداداً لحركة(*) تحريك المجاهدين التي قادها شاه إسماعيل الشهيد الدهلوي ومروراً بكتيبة الشيخ فضل إلهي الوزير آبادي محرر كشمير الحرة، تأسست حركة تحريك المجاهدين جامون وكشمير تحت إشراف الشيخ عبدالغني دار الذي اعتقل في سجون كشمير المحتلة ما يزيد على السنتين، وقيادة الشيخ تنوير الإسلام الذي تولى رئاسة مجلس الجهاد(*) الموحد المشتمل على ثلاث عشرة منظمة جهادية كشميرية لثلاث دورات متتالية حتى عام ١٩٩٣م. وتولى قيادة تحريك المجاهدين الشيخ محمد إلهي. وللحركة مجلة شهرية **الشهادة**

تصدر بالعربية والأردية لتكون لسان حال الجهاد الكشميري بصفة عامة، ولحركة تحريك المجاهدين بصفة خاصة، كما لها العديد من المشروعات الخيرية والتعليمية والدعوية لخدمة أسر المجاهدين والمهاجرين على حد سواء.

ـ ومن أبرز شخصيات الجمعية في كشمير المحتلة: الحاج محمد شهداد أول رئيس للجمعية، بالإضافة إلى العلامة مولانا غلام نبي مبارك والذي تولى بعده رئاسة الجمعية مولانا محمد عبدالغني شوبياني، والشيخ عبدالله طاوي رئيس الجمعية ورئيس حركة تحرير كشمير فيما بعد، مما سبب له الاعتقال من الحكومة الهندوسية لمدة تزيد على السنتين. ويتولى حالياً رئاسة الجمعية الشيخ سيد محمد مقبول كيلاني خلفاً للشيخ محمد رمضان صوفي.

في بنجلاديش:

ـ الشيخ نعمة الله البردواني مؤسس ورئيس جمعية أهل الحديث في منطقة آسام عام ١٩١٤م. تولى الشيخ عباس علي صاحب ترجمة معاني القرآن بالبنغالية الأمانة العامة، وفي عهدهما نشطت الجمعية في الدعوة للكتاب والسنة ومحاربة الشرك والبدع وأصدرت العديد من المجلات والرسائل الأسبوعية والشهرية.

ـ العلامة محمد عبدالله كافي القريشي تولى رئاسة الجمعية بعد مؤتمر ١٩٤٦م، وفيه اختير اسم جديد بنجيل بنغو آسام جمعية أهل الحديث، وتولى الأمانة العامة مولى بخش الندوي وعقد أكثر من مؤتمر أقر فيها الدستور، والمناهج والبرامج، واتخذ قرار تأسيس الجمعية على مستوى المناطق والمحافظات. وتحت إشرافه، أيضاً، تم إصدار مجلة **ترجمان الحديث**، كما كانت للشيخ محمد عبدالله كافي مشاركات متعددة في الجلسات والندوات السياسية الاحتجاجية التي تدعو إلى إقامة حكومة إسلامية بباكستان، وكتب في ذلك **أصول دستور الحكومة الإسلامية، الدستور الإسلامي لحكومة باكستان**، وعقد لذلك مؤتمراً عامًّا للأحزاب الإسلامية تحت رئاسته.

ـ الدكتور محمد عبدالباري تم انتخابه رئيساً للجمعية بعد وفاة العلامة محمد عبدالله كافي عام ١٩٦٠م، وتولى الشيخ محمد عبدالرحمن الأمانة العامة، ورئاسة تحرير مجلة **عرفات** الأسبوعية، وفي عهده واجهت الجمعية صعوبات عديدة بعد انفصال باكستان الشرقية عن الغربية عام ١٩٧٢م، وفيه تم تعديل اسم الجمعية إلى جمعية أهل الحديث بنجلاديش، وتم تشكيل ٣٦٩ فرعاً على مستوى المناطق و٥١٠٠ فرع تابع بالإضافة إلى خمس مؤتمرات مركزية.

● في نيبال:

- الشيخ عبدالرؤوف الرحماني، رئيس جمعية أهل الحديث في نيبال، وأمين عام جامعة سراج العلوم السلفية بنيبال، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وله مؤلفات قيمة يبلغ عددها مايقرب من (٤٥) مؤلفاً في الحديث وعلومه، والدفاع عن الحديث والمحدثين. ومن ذلك: **أدلة توحيد الله تعالى، الخلافة الراشدة، حرمة الربا والميسر**.

- الشيخ عبدالله عبدالتواب المدني، مؤسس مدرسة خديجة الكبرى، بنيبال ومنشىء ورئيس تحرير مجلة **نور التوحيد** الشهرية. تخرج في الجامعة السلفية ببنارس ثم من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ويعمل الآن مشرفاً عامًّا على الدعاة المبعوثين في نيبال من قبل المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى توليه مسؤولية جمعية شبان أهل الحديث بنيبال.

- ولأهل الحديث في شبه القارة الهندية دور كبير في كل ناحية من نواحي الحياة: دعوة وتدريساً وتصنيفاً. كما أن لهم شخصيات بارزة في مختلف المجالات العلمية سواء في العقيدة أو العبادات أو الأحوال الشخصية أو الأمور المدنية من الاقتصاد الإسلامي والسياسة الشرعية. وأبرزهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ محمد حسين البتالوي، والشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي، والشيخ عبدالله الروبري، وأخوه الشيخ الحافظ محمد حسين، والشيخ عطاء الله حنيف، والشيخ محمد صديق السرجودوي، والشيخ عبدالستار الدهلوي، والشيخ جميل الرحمن الأفغاني، والشيخ عبدالجبار الكندلوي، والشيخ محمد علي اللكوي ثم المدني، والشيخ عبدالحق ملتاني، والشيخ محمد الجوناكري، والشيخ الحافظ عبدالحي الكيلاني، والأستاذ عبدالعزيز الميمني، والشيخ عبدالسلام البستوي، والشيخ أبو القاسم البنارسي، والشيخ محمد السورتي، والشيخ عبدالجليل السامرودي، والشيخ محمد أشرف سندهو، والشيخ عبدالقادر القصوري، والشيخ محمد عبده الفلاح، ومولانا معين الدين اللكوي، والحافظ عبدالرحمن المدني، والحافظ محمد سعيد.

الأفكار والمعتقدات:

عقيدة أهل الحديث هي عقيدة السلف الصالح «أهل السنة والجماعة» نفسها، المبنية على الكتاب والسنة، وتقوم الأصول العلمية والقواعد المنهجية لجماعة أهل الحديث على:

التوحيد: فأهل الحديث، إيماناً منهم بأن التوحيد هو أصل الدين، يبدؤون عملهم بنشر التوحيد الخالص، وغرسه في قلوب الناس، مع تفصيل أنواع التوحيد الثلاثة وخاصة توحيد الألوهية، الذي يخطىء فيه كثير من الناس مع إيمانهم بتوحيد الربوبية وما يقتضيه من

الحاكمية لله تعالى، ولا يكتفون بإقرار وتطبيق النظام السياسي الإسلامي فقط، وإنما أن يكون الله جل وعلا هو الحاكم للفرد في تصوره وسلوكه وسائر أموره الحياتية، بما فيها من تشريع ووضع القوانين.

الاتبّاع: أهل الحديث يركزون على اتباع ما صح عن النبي ﷺ، على ضوء فهم السلف الصالح، ولذلك لا يرون التقليد(*) الجامد الذي يدعو إلى الالتزام بمذهب فقهي معين بدون سؤال عن الدليل، بل ينادون بفتح باب الاجتهاد(*) لكل من تحققت لديه شروطه، وأن العامي مذهبه مذهب(*) مفتيه، ويدعون إلى احترام العلماء المجتهدين والأئمة المتبعين بشكل خاص.

تقديم النقل على العقل(*): يقدمون الرواية على الرأي، إذ يبدؤون بالشرع ثم يخضعون له العقل؛ لأنهم يرون أن العقل السليم يتفق مع نصوص الشرع الصحيحة، ولذلك لا تصح معارضة الشرع بالعقل ولا تقديمه عليه.

التزكية الشرعية: أي تزكية النفس تزكية شرعية، بحيث يتخذ لها الوسائل المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة، وينكرون على أتباع التزكية البدعية سواء كانت صوفية أو غيرها.

التحذير من البدع: لأنهم يرون أن أمر الابتداع في الحقيقة استدراك على الله وتشريع بالرأي والعقل، ومن ثم يدعون إلى الالتزام بالسنة وتجنب أنواع البدع(*) كلها.

التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة: فإن خطورة هذا النوع من الحديث كبيرة على الأمة، فلابد من التحري في الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ، وخاصة فيما يتعلق بالعقائد والأحكام.

الجهاد(*) في سبيل الله: يرى أهل الحديث أن الجهاد من أفضل الأعمال، وأنه ماض إلى يوم القيامة؛ لإعلاء كلمة الله تعالى ودفع الفساد من الأرض، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

تطبيق النظام الشرعي: بالسعي لتأصيله وإقراره في جميع مجالات الحياة الشخصية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية وما إلى ذلك بالطرق الشرعية.

يعتقد أهل الحديث أنه بتحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين، وبالعمل الموافق لسنة النبي ﷺ، وهديه يتحقق النصر والتمكين، فهما شرطا قبول الأعمال. وهما، أيضاً، شرطا النصر والتمكين وعودة الخلافة(*) الإسلامية حسب الوعد الإلهي ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ الآية [النور: ٥٥] . ولذلك فهم يسعون بالدعوة بالوسائل الشرعية على أساس تصفية التوحيد من البدع(*) والانحرافات العقدية والسلوكية وتصفية الأحاديث من الموضوعات وتربية الأمة على ذلك.

محاربة الفرق الضالة المنحرفة مثل الشيعة والقاديانية والبريلوية والبابية والبهائية، والصوفية، وغيرها، والتصدي لحملات الأفكار الهدامة المعاصرة المعادية للإسلام، مثل العلمانية والرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وغيرها باتخاذ كل الوسائل المشروعة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

جماعة أهل الحديث تستمد الأحكام من الكتاب والسنة، على طريقة الفقهاء المحدثين من السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

كما أن أهل الحديث مولعون بكتب السلف الصالح عامة وبكتب ومؤلفات إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن قيم الجوزية والإمام محمد بن عبدالوهاب يرحمهم الله تعالى، كما ينشرون كتب أعلام الدعوة السلفية(*) المعاصرين كالشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية الحالي، والمحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تتركز جماعة أهل الحديث في كل من بلاد الهند وباكستان وبنجلاديش ونيبال وكشمير وسيرلانكا وجزر فيجي، ولهم مركز في بريطانيا، وجمعياتهم في هذه الدول كلها معروفة باسم جمعية أهل الحديث.

- في كل دولة من هذه الدول المذكورة يوجد مركز للجمعية تتبعه فروع موزعة حسب الولايات والمديريات.

إلا أن للجمعية قيادة مستقلة في كل دولة، وذلك أمر إداري بحت، لكن يجمعهم جميعاً المنهج السلفي الموحد الذي تتبناه الجمعية في الأصل.

تعمل الجمعية في ولاية كيرالا بالهند من خلال خمس جمعيات إصلاحية سلفية:

١ ـ ندوة المجاهدين: ويتركز جل عملها في الدعوة بين عامة الناس وخاصتهم، وهي الجمعية الأم للأجنحة الأخرى، وعدد الفروع: ٤٧٥ فرعاً.

٢ ـ جمعية العلماء بكيرالا وتعمل في الإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد.

٣ ـ اتحاد الشبان المجاهدين: مجال عمله قطاع الشباب (دعوة، تربية...) عدد

الفروع: ٤٧١ فرعاً.

٤ ـ حركة(*) الطلبة المجاهدين: تعمل بين الطلاب في مختلف المراحل الدراسية ويبلغ عدد فروعها: ٢٢٧ فرعاً.

٥ ـ جمعية(*) البنات والسيدات المسلمات: ويبلغ عدد فروعها ١٢٧ فرعاً.

ـ لجمعية أهل الحديث علاقة مع بعض الجمعيات الأخرى خارج شبه القارة الهندية، التي تتفق معها في الأصول والمنهج(*)، مثل جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة بأفغانستان، والجمعية المحمدية بأندونيسيا وسنغافورة وماليزيا، وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر والسودان وأريتريا، وجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وجمعية دار البر بدبي، وغيرها من الدعوات السلفية(*) المنتشرة في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى عضوية جمعيات أهل الحديث في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الإسلامي العالمي بلندن، والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة.

يتضح مما تقدم:

أن جمعية أهل الحديث من أقدم الجمعيات والجماعات الإسلامية في شبه القارة الهندية، ومن مقاصدها الأولية تصفية الإسلام من البدع(*) والانحرافات، ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف الصالح في مجال العلم والعمل، واختيار طريقة الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية من اتباع الدليل، ونبذ التعصب المذهبي بصوره وأشكاله كافة. وكان لها على المسلمين أياد بيضاء، فحفظ الله بهم السنة وعلوم الحديث في وقت ضعفت فيه الحركة العلمية في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر الهجري حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل القرن الرابع عشر. يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق. . .» ويقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني من تلاميذ الشيخ أنور شاه الكشميري الديوبندي: «إن اعتناء أحناف شبه القارة الهندية بالنبعين الأساسيين للدين: الكتاب والسنة، فيه دخل كبير لحركة أهل الحديث ورفض التقليد، وإن لم يترك عامة الناس التقليد إلا أنه قد تحطم سحر التقليد الجامد والاعتماد الأعمى». وقد كان للجمعية في باكستان دور بارز في مساعدة حركة الجهاد الأفغاني.

مراجع للتوسع:

- **الحركة السلفية في الهند**: عبدالوهاب خليل الرحمن (رسالة دكتوراه غير مطبوعة). عربي
- **الحركة السلفية في البنغال** محمد مصلح الدين (رسالة ماجستير).

- **مجلة الأمة القطرية** العدد ٣٠ عام ١٤٠٤هـ ديسمبر ١٩٨٣م.
- **جهود مخلصة في خدمة السنة** د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، طبع الجامعة السلفية ببنارس ١٤٠٦هـ. عربي
- **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم** د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي ط. الجامعة السلفية ببنارس ١٤١٣هـ. عربي
- **دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية**، أبو المكرم بن عبدالجليل السلفي ط. مكتبة دار السلام بالرياض ١٤١٣هـ. عربي
- **جمعية أهل الحديث المركزية بالهند** ـ نشأتها وأهدافها، جمعية أهل الحديث بالهند ط، المطبعة السلفية ببنارس.
- **تراجم علماء أهل الحديث في الهند**، أبو يحيى إمام خان النوشهروي ط. لاهور ١٣٩١هـ.
- **سياسيات بر صغير مين أهل الحديث كاحصه محمد أسلم**، الفيروزفوري «مساهمة أهل الحديث في سياسية شبه القارة الهندية». ط جامعة تعليم الإسلام مامونكانجن ـ باكستان، أردو.
- **جماعة أهل الحديث كي تصنيفي خدمات**، محمد مستقيم السلفي، ط الجامعة السلفية ببنارس ١٤١٢هـ.
- **جماعة أهل حديث كي تدريسي خدمات**، عابد حسن الرحماني، وعزيز الرحمن السلفي ط. الجامعة السلفية ببنارس ١٤٠٠هـ.
- **التذكار** ـ المؤتمر الدولي السادس ١٩٩٢م ـ د. محمد عبدالرحمن، جمعية أهل الحديث بنجلاديش، عربي
- **تاريخ أهل الحديث** جامون وكشمير الكلية السلفية، عربي
- **أثر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الحركات الإسلامية المعاصرة** صلاح الدين مقبول أحمد ط. مجمع البحوث العلمية الإسلامية ـ نيودلهي عربي.
- **الخلافة الراشدة** ـ عبدالرؤوف الرحماني.
- **تاريخ أهل الحديث** للشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي.
- **تاريخ أهل الحديث** للشيخ أحمد الدهلوي
- **فقهاء الهند** محمد إسحاق البهتي ـ تسعة مجلدات.
- **الجهود التأليفية لعلماء أهل الحديث**؛ الشيخ أبو يحيى إمام خان النوشهروي.
- **مجلة صوت الأمة** ـ تصدرها الجامعة السلفية ببنارس.
- **مجلة أهل الحديث** ـ تصدر من أمرتسرو ـ لاهور ـ دهلي.

١٨ـ جماعة أنصار السنة المحمدية

التعريف:

جماعة أنصار السنة المحمدية: جماعة إسلامية سلفية(*) قامت في مصر أولاً ثم انتشرت في غيرها للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة؛ لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات شرطاً لعودة الخلافة(*) ونهضة الأمة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مر تاريخ جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر بمرحلتين تاريخيتين هما:

مرحلة التأسيس:

تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة، على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه: الشيخ محمد عبد الوهاب البنا، ومحمد صالح الشريف، وعثمان صباح الخير، وحجازي فضل عبد الحميد، في الوقت الذي كانت تعج فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشركيات والبدع(*) والخرافات بسبب تسلط التصوف والصوفية على المناحي الفكرية والمؤسسات الدينية، فكان تأسيس الجماعة للدعوة لتجديد الدين(*) على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة ومحاربة الشرك والبدعة في صورها كافة.

ـ نشأ الشيخ محمد حامد الفقي عام ١٣١٠هـ ـ ١٣٧٨هـ (١٨٩٢م ـ ١٩٥٩م) في بيت علم ودين، فكان والده زميلاً في الدراسة للشيخ محمد عبده. وفي عام ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م بدأ الشيخ محمد حامد الفقي دراسته الأزهرية، وما بلغ سن الثامنة عشرة من عمره حتي نبغ والتف حوله أقرانه واتخذوه شيخاً لهم.

ـ في عام ١٩١٧م حصل الشيخ على شهادة العالمية من جامعة الأزهر، وانطلق بدعوته إلى التوحيد الخالص والدفاع عن السنة من خلال مسجد شركس بالقاهرة الذي تولى إمامته ثم من مسجد هدّارة الذي ظل إماماً له حتى وفاته. ومن خلال المقاهي والمنتديات في القاهرة زاد التفاف الناس حول دعوته مما عرضه وأتباعه إلي المزيد من المضايقات والاضطهاد من أصحاب الطرق الصوفية وأهل الضلال.

ـ بدأ التفكير بجدية في إنشاء جمعية أو دار تحمل فكرتهم وتنشر مبادئهم، وافتتحت في ديسمبر ١٩٢٦م تحت اسم «دار جماعة أنصار السنة المحمدية» واختير الشيخ محمد حامد الفقي رئيساً لها، فأخذت الدعوة بعداً آخر وزاد عدد أتباعها، مما أثار حنق بعض كبار موظفي قصر الحكم بعابدين على الشيخ، فعملوا بكل السبل لصد الناس عنه وعن دعوته، لدرجة دفع بعض المأجورين لمحاولة قتله. وأثناء سفر المؤسس إلى الحجاز لمدة ثلاث سنوات اعترت الجماعة فترة ركود.

ـ وبعد عودة الشيخ من الحجاز دب النشاط في الجماعة مرة أخرى، إذ وضع لها قانوناً وكوّن لها إدارات جديدة، فزاد عدد الفروع داخل القاهرة والجيزة وانتقلت إلى الإسكندرية وبعض المحافظات وبلغ أتباعها الآلاف.

ـ بعد أن استوى عود الجماعة وبلغت الجماعة أشدها، أسس الشيخ محمد حامد الفقي مجلة **الهدي النبوي** لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن عقيدتها ودعوتها والناطقة بمبادئها. وتولى هو رئاسة تحريرها، وشارك في تحريرها مجموعة من العلماء المعروفين أمثال المحدث الشيخ أحمد شاكر، والأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وغيرهم.

ـ مع تطور أعمال الجماعة الدعوية أنشأ الشيخ الفقي مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف وبوجه خاص كتب ابن تيمية وابن القيم، فجمعت محبته لهما بينه وبين شيخي الأزهر الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم، اللذين أيدا دعوة الشيخ الفقي.

ـ شارك الشيخ حامد الفقي المجاهدين جهادهم(*) ضد الاحتلال البريطاني لمصر إبان الحرب العالمية الثانية، كما ساهم في طباعة المنشورات ضد الاحتلال البريطاني لمصر.

ـ اشتد الصراع بين الجماعة وأصحاب الطرق الصوفية من ناحية وبين الجماعة وأصحاب دعوات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى، فعلا صوت الشيخ في الإنكار عليهم وعلى واضعي القوانين الوضعية(*)، إذ يقول: «من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء، والفروج، والأموال، ويقدمها على ما علم وتبينَّ له من كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، فهو بلا شك كافر مرتد، إذا أصر عليها، ولم يرجع الى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها»، إذ كان من أهم صفاته تسمية الأشياء بأسمائها بدون مداهنة في القول أو مجاملة في الحق، إذ كان يسمي المجاملة في الحق نفاقاً ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق جبناً وذلاً، مما زاد في اضطهاده من أهل الباطل وتعرضه للنقل من وظيفته أكثر من مرة.

ـ توفي يرحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م في دار الجماعة، إذ نقل إليها حسب رغبته لصلاة الفجر على أثر عملية جراحية أجريت له.

ـ وقد نعاه بعض رؤساء وعلماء الدول الإسلامية والعربية وشيعه جمع غفير من علماء ومشايخ الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن تاج وشيخ الأزهر الشيخ حسنين مخلوف.

● تواكب على رئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها مجموعة من العلماء البارزين أمثال:

ـ الشيخ عبد الرزاق عفيفي: (١٣٢٣-١٤١٥هـ) (١٩٠٤ـ١٩٩٤م) الذي حصل على شهادة التخصص في الفقه وأصوله (الماجستير) ثم العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر وعمل مدرساً في المعاهد الدينية الأزهرية. كما عاصر تأسيس الجماعة، ويعد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من كتاب العدد الأول في مجلتها **الهدي النبوي** وأحد علماء أول هيئة لكبار العلماء بالجماعة، مع جمع من العلماء الكبار أمثال: الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد الحليم الرمالي، والشيخ حامد الفقي.

ـ اختير نائباً أول لرئيس الجماعة في صفر ١٣٦٥هـ الموافق فبراير ١٩٤٦م، في الوقت الذي كان فيه رئيس الجماعة لفرع محرم بك بالإسكندرية.

ـ وبطلب خاص من مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم، سافر الشيخ ومعه الشيخ محمد خليل هراس إلى السعودية للتدريس بدار التوحيد بالطائف. وفي عام ١٣٧٠هـ نقل للتدريس بالمعاهد العلمية وكلية الشريعة بالرياض.

ـ في ٢٤ صفر ١٣٧٩هـ ـ ٢٩ أغسطس ١٩٥٩م اختير الشيخ عبد الرزاق عفيفي بالإجماع رئيساً عاماً للجماعة خلفاً للشيخ حامد الفقي ـ بعد وفاته، واختير الشيخ عبدالرحمن الوكيل رئيساً لتحرير مجلة **الهدي النبوي**.

ـ في عام ١٣٨٠هـ انتدب مرة أخرى للتدريس في المملكة العربية السعودية، وتدرج في سلك التدريس إلى أن أصبح مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، كما شارك في اللجان المتخصصة لوضع مناهج(*) التعليم بالمملكة. وفي عام ١٣٩١هـ نقل إلى الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وعين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مع جعله عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وظل يشغله حتى يوم وفاته (٢٥ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١ أغسطس ١٩٩٤م) ـ يرحمه الله تعالى. وقد تخرج علي يديه جيل من علماء المملكة والعالم الإسلامي المعروفين مثل: الشيخ عبد الله بن جبرين، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ عبدالله بن حسن بن قعود، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ صالح السدلان، والدكتور

صالح الفوزان، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والشيخ مناع القطان وغيرهم. . . وطيلة هذه الفترة لم تنقطع صلته بالجماعة.

ـ الشيخ عبد الرحمن الوكيل: (١٣٣٢هـ ـ ١٣٩٠هـ) (١٩١٣ ـ ١٩٧١م): تلقى تعليمه في الأزهر وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين، ولم يكمل دراسته العليا لمرضٍ ألم به، على الرغم مما يتمتع به من سعة الاطلاع وقوة اللغة ووضوح المعنى وجمال البلاغة.

ـ في عام ١٩٣٦م التحق بجماعة أنصار السنة المحمدية بتزكية خاصة من السيدة نعمة صدقي صاحبة كتاب التبرج، إذ شارك بعدها في أعمال الجماعة المختلفة إلى أن أصبح وكيلاً أول للجماعة وزادت مكانته الخاصة عند الشيخ محمد حامد الفقي. وقد عرفه قراء مجلة الهدي النبوي بقدرته الفائقة على الإقناع، وإفحام خصومه من أصحاب الطرق وأهل الأهواء والفرق من قاديانية وبهائية وغيرهم من خلال سلسلة الأبحاث التي كان يحررها تحت عنوان «طواغيت»(*) ولذلك لقبه قراء المجلة «بهادم الطواغيت»، مما عرضه للتحقيق أمام النيابة العامة بسبب شكاوى مشايخ الطرق الصوفية ضده، التي رد عليها في كتابه **رسالة إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية** التي صدرت فيما بعد بعنوان **هذه هي الصوفية** وترجمت إلى اللغة الأندونيسية. كما توالت الردود، أيضاً، من أنصار السنة في السودان وجماعة الدعوة المحمدية للصراط المستقيم في حلب بسوريا، برئاسة الشيخ محمد نسيب الرفاعي.

ـ انتدب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض بصحبة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا ـ أحد المؤسسين الأوائل للجماعة - عام ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

ـ بعد انتخاب الشيخ عبدالرزاق عفيفي رئيساً عامًا للجماعة عين الشيخ الوكيل نائباً له في ٢٢ صفر ١٣٧٩هـ ـ ٢٧ اغسطس ١٩٥٩م، وبعد سفر الشيخ عبد الرزاق عفيفي الى السعودية انتخب رئيساً عامًا للجماعة في ١٥ من المحرم ١٣٨٠هـ ـ ٩ يوليو ١٩٦٠م وانتخب الدكتور محمد خليل هراس نائباً له.

ـ في عام ١٩٦٩م دمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة المحمدية في الجمعية الشرعية لتجمد نشاطها، وبذلك توقفت مجلة **الهدي النبوي** التي كان يشغل الشيخ الوكيل رئاسة تحريرها. وفي تلك الأثناء انتدب الشيخ الوكيل للتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة وظل يشغل وظيفة أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى أن توفي يرحمه الله في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١م مخلفاً تراثاً علمياً ما بين التأليف والتحقيق يدل على مكانته العلمية العالية.

إعادة الإشهار:

● يعد الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي المعروف بـ «رشاد الشافعي» (١٣٣٨ ـ ١٤١١هـ) (١٩١٩م ـ ١٩٩٠م) المؤسس الثاني للجماعة الذي كان يشغل منصب سكرتير عام للجماعة والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، بجانب عمله مديراً عاماً لمديرية التموين بمحافظة الجيزة، إذ بذل قصارى جهده في السعي لإعادة إشهار الجماعة مرة أخرى وقد تم له ذلك في عهد رئيس مصر السابق أنور السادات في عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٢م.

ـ وبعد ثلاث سنوات ١٣٩٣هـ من إعادة الإشهار أصدر العدد الأول من مجلة **التوحيد** لتكون بديلاً عن مجلة **الهدي النبوي**، وتولى هو رئاسة تحريرها، ثم الشيخ عنتر حشاد، ومن بعده تولى الشيخ أحمد فهمي رئاسة تحريرها. ومن ثم عاد نشاط الجماعة إلى سابق عهده، وزاد عدد أتباعها وكثر عدد الفروع المنتسبة إليها.

● في عام ١٩٧٥م وفي حياة المؤسس الثاني للجماعة الأستاذ محمد رشاد الشافعي تم انتخاب الشيخ محمد علي عبدالرحيم رئيساً للجماعة خلفاً له، ومن ثم ترأس فرع الجماعة بمحافظة الجيزة حتى وفاته عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ـ ولد الشيخ محمد علي عبدالرحيم بمحافظة الإسكندرية، وحفظ القرآن الكريم في صغره ثم التحق بمدرسة المعلمين بالإسكندرية، إذ تخرج منها عام ١٩٢٣م، وظل يعمل في حقل التعليم، وقد رقي في الوظائف التعليمية المختلفة حتى صار موجهاً.

ـ في عام ١٩٤٣م أسس جماعة إخوان الحج بالإسكندرية ومن خلالها تعرف على الشيخ محمد حامد الفقي عام ١٩٤٨م أثناء إحدى رحلات الحج.

ـ جمع حبه للسنة والتوحيد بينه وبين الشيخ محمد عبدالسلام الشقيري صاحب كتاب **السنن والمبتدعات** والشيخ أبي الوفاء درويش علامة الصعيد، والشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي وعلى أيديهم انتشرت دعوة التوحيد في الإسكندرية وما حولها.

ـ يعد الشيخ أحد العلماء المبرزين في الاهتمام بالسنة، مع براعته ونبوغه في علم الجغرافيا. وكان له دور بارز في تأسيس المعاهد العلمية ووضع مناهجها بالمملكة العربية السعودية، ويذكر أنه ظل لسنوات طويلة يدرّس بالحرم المكي.

ـ تولى رئاسة الجماعة في حياة رئيسها السابق نتيجة لانتخابه من أعضاء الجمعية العمومية. وفي عهده توسعت الجماعة في بناء المراكز الإسلامية التي تقدم خدمات متكاملة لعموم المسلمين، وبناء المستشفيات والمستوصفات الإسلامية بالإضافة إلى تقديم المساعدات والكفالات للأيتام والمحتاجين، وتضاعفت أعداد مجلة **التوحيد** في عهده من ٥

آلاف إلى ٣٦ ألف نسخة.

ـ كان لدروس الشيخ وعلماء الجماعة أثرها البالغ على الشباب وبخاصة بجامعتي الإسكندرية والقاهرة، إذ عمقت مفاهيم الدعوة والمنهج(*) السلفي(*) الذي قاد تيار الصحوة الإسلامية الذي يدعو إلى التوحيد ويبين السنة ويحارب الشرك ويدحض البدعة. وأصبح الكتاب الإسلامي السليم واسع الانتشار، بعد أن كان سوق الكتاب حكراً على كتب الصوفية وأهل الأهواء والتغريب، وعاد الحجاب وانتشرت الفضيلة، وانحسر تيار التصوف في بيئات محدودة.

ـ وفي فترة رئاسة الشيخ محمد علي عبد الرحيم عادت مؤتمرات الجماعة لسابق عهدها، فعقد المؤتمر الأول للدعاة، وتصدت مجلة **التوحيد** تحت رئاسة رئيس تحريرها الشيخ أحمد فهمي لتيار التغريب والعلمنة وكشفت رموز التيار الرافضي(*) والباطني(*) المتنامي في وقتها. بالإضافة إلى بيان الحكم الشرعي في كثير من الأحداث والمشكلات المستجدة على الساحة المصرية والإسلامية بوجه عام.

ـ نال رجال الجماعة والكثير من أعضائها مانال غيرهم من التضييق والاضطهاد والاعتقال في أكثر من مناسبة.

● انتخب الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام الحالي للجماعة، خلفاً للشيخ محمد علي عبد الرحيم بعد وفاته ١٩٩١م. والشيخ صفوت أحد العلماء المهتمين بالسنة النبوية وعلومها، وقد تميزت فترة رئاسته بالاهتمام بإنشاء المعاهد العلمية لتخريج الدعاة، وتقديم الكفالات لطلاب العلم، كما توسعت الجماعة في إنشاء المساجد وتسيير القوافل الدعوية وإنشاء مراكز تحفيظ القرآن وإقامة الأسابيع الثقافية بشكل دوري في جميع فروع الجماعة على مستوى القطر المصري، في الوقت الذي لم تهمل الاهتمام بتقديم المساعدات الاجتماعية المختلفة للمحتاجين وكفالة اليتيم، بالإضافة إلى التصدي لمكافحة جميع أشكال التغريب والعلمنة للمجتمع المصري، مع الاهتمام بإبراز قضايا المسلمين والأقليات الإسلامية والتعريف بها من خلال مجلة **التوحيد**، التي رَأَس تحريرها الشيخ صفوت الشوادفي.

ـ كما شهدت فترة رئاسته تنسيقاً وتقارباً مع الهيئات الإسلامية الرسمية مثل الأزهر ووزارة الأوقاف. وقد شاركت الجماعة بصفة عضو مراقب في اجتماعات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة.

● برز خلال مسيرة الجماعة عدد من العلماء المشهورين أمثال: الشيخ عبد الظاهر أبو

السمح إمام الحرم المكي ومؤسس ومدير دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، والشيخ عبد الرزاق حمزة عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية سابقاً، والشيخ أبو الوفا درويش رئيس فرع الجماعة بسوهاج، والدكتور محمد خليل هراس أستاذ العقيدة بجامعتي الأزهر وأم القرى، والشيخ محمد عبد الوهاب البنا المدرس بالحرم المكي والدكتور محمد جميل غازي الرئيس العام للجماعة سابقاً، وغيرهم.

● **الهيكل الإداري للجماعة:**

ـ الرئيس العام للجماعة: وهو الذي ينتخب من قبل الجمعية العمومية للجماعة.

ـ الجمعية العمومية للجماعة: ويمثل فيها عن كل فرع عضوان فقط، ما عدا القاهرة، إذ يمثلها خمسة عشر عضواً، والإسكندرية ويمثلها سبعة أعضاء وذلك لاتساعهما وكثرة عدد الفروع فيهما.

ـ مجلس إدارة الجماعة: وهو الذي ينتخب من بين أعضاء الجمعية العمومية للجماعة ويتكون من الرئيس ونائبه، والوكيل، والسكرتير العام، وأمين الصندوق، وعشرة من الأعضاء.

ـ الهيئة التنفيذية: وهي المعينة من قبل أعضاء مجلس الإدارة وتشمل إدارات: التخطيط والمتابعة، والدعوة والإعلام، والبحث العلمي، والمشروعات الدعوية والإغاثية، والمالية، والعلاقات العامة، والفروع، والشباب، والشؤون القانونية.

في السودان وأريتريا:

● بدأت الجماعة كمجموعة صغيرة تدعو إلى التوحيد في سنة ١٩٣٥م علي يد الشيخ أحمد حسون الذي تلقى الدعوة من الشيخ عبد الرحمن بن حجر المغربي الجنسية، إذ انتظم في حلقاته التعليمية ١٩١٧م بمدينة النهود بجنوب غرب السودان.

ـ التقى الشيخ أحمد حسون الشيخ محمد الفاضل التقلاوي الذي تلقى الدعوة على يد الشيخ عوض الكريم الأزهري الحاصل على العالمية من الأزهر وتلميذ حلقات الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا. واتفقا على قيام جماعة تدعو إلى التوحيد والسنة تحت مسمى أنصار السنة المحمدية تأسياً بجماعة أنصار السنة في مصر التي كانت تصلهم مجلتها **الهدي النبوي**، وتولى رئاسة الجماعة الشيخ محمد الفاضل التقلاوي للفترة من (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨م) ومن ثم توطدت علاقة الجماعة بالمركز العام في مصر، وأصبح لعلماء الجماعة في مصر زيارات ومحاضرات لفرع الجماعة بالخرطوم. في عام ١٩٤٨م انتدب الشيخ التقلاوي

للعمل كمدرس في المدارس العربية في أريتريا، فانتخب الشيخ عبدالباقي يوسف نعمة، مدير جمعية المحافظة على القرآن الكريم في أم درمان والحاصل على الشهادة العالمية من الأزهر، رئيساً للجماعة خلفاً للشيخ التقلاوي.

● في عام ١٩٥٦م تولى رئاسة الجماعة الشيخ محمد هاشم الهدية ـ الرئيس الحالي للجماعة ـ الذي بدأ حياته متصوفاً في الطريقة الختمية ثم العزائمية ومن خلال حضوره لدروس الشيخ عبدالباقي يوسف نعمة آمن بدعوة أنصار السنة وانخلع من التصوف وأصبح عضواً فعالاً في الجماعة إلى أن تولى رئاستها فخطا بها خطوات واسعة نحو المشاركة في الحياة العامة، وتنامت في عهده علاقات الجماعة الداخلية والخارجية، فقد شارك ممثلاً لأنصار السنة في السودان في تكوين رابطة العالم الإسلامي ١٩٦٢م، كما شارك في مؤتمر كراتشي ١٩٦٣م تحت رئاسة المفتي أمين الحسيني، وكان أحد المؤسسين للمركز الإسلامي الإفريقي «جامعة أفريقيا العالمية» بالخرطوم ١٩٦٥م. وقد سافر آنذاك إلى بعض الدول الأفريقية (كينيا، تنزانيا) وأحضر عدداً من الطلاب لتعليمهم في المركز وتأهيلهم للدعوة في بلادهم.

ـ ومن أبرز جهود الجماعة في عهده:

١ـ قامت الجماعة بدور بارز في فضح أفكار وعقائد غلاة الصوفية التي مازالت صاحبة النفوذ القوي في المجتمع السوداني، مما عرض الجماعة للعديد من المضايقات، والاضطهاد، وذلك بالإضافة الى تحذير المسلمين من عقائد الرافضة(*) والمعتزلة والخوارج(*) والاتجاهات الباطنية(*) والعقلانية والعلمانية بصورها المختلفة.

٢ـ كان للجماعة حضور وتفاعل في الحياة العامة السودانية: فقد شاركت في الجبهة الإسلامية للمطالبة بدستور إسلامي في السودان ١٩٥٧م، وكذلك شاركت في جبهة الميثاق الإسلامي ١٩٦٤م، وفي الانتخابات النيابية ١٩٨٦م قامت بدعم المرشحين الإسلاميين وأقامت الندوات والمحاضرات لتبصير الناس بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً للحكم، وللتحذير من أهل العلمنة والتغريب والفجور ومن مناهجهم الباطلة، كما عقدت مؤتمراً كبيراً ١٩٨٩م حول عدد من القضايا من ضمنها: قضية المشاركة في الحياة السياسية الديمقراطية وحكمها الشرعي.

٣ـ تعد الجماعة من أوائل من نادى بالجهاد(*) في الجنوب ضد جون قرنق وعصابته.

٤ـ وفي مجال الدعوة إلى الله تعالى اشتهرت الجماعة بإقامة حلقات للدعوة في الأسواق والساحات العامة وأماكن التجمع في المدن والقرى على حد سواء، بجانب تسيير القوافل

الدعوية والإغاثية للمناطق النائية، بالإضافة إلى إقامة الأسابيع الثقافية في مختلف فروع الجماعة التي تتضمن، بالإضافة إلى المحاضرات والندوات، ملصقات توجيهية ومعارض وكتباً، وتوزيعاً للحجاب الشرعي. وقامت بحفر الآبار وإقامة المشروعات الاجتماعية. كما قامت بنشر وتوزيع كميات كبيرة من الكتب والرسائل الإسلامية وبخاصة المتعلقة بتصحيح العقيدة والعبادات، والدعوة إلى السنة، والتحذير من البدعة(*). وفي الوقت ذاته لا تهمل الجماعة المرأة، إذ خصصت لها برامج خاصة، إيماناً منها بأهمية دورها الاجتماعي والتربوي في المجتمع.

٥ـ وفي مجال مقاومة التنصير فإن للجماعة دوراً بارزاً في بث الدعوة في أوساط الجنوبيين من وثنيين(*) ونصارى، مما أدى إلى إسلام الكثير منهم ـ بفضل الله تعالى ـ وقيامهم بنشر الإسلام وبناء المساجد في مناطقهم. هذا بالإضافة إلى المناظرات مع النصارى، ومن أشهرها المناظرة التي نظمتها الجماعة عام ١٩٧٩م مع ثمانية عشر قسيساً، لعدة أيام وانتهت بإعلان إسلامهم جميعاً على يد مجموعة من علماء المسلمين، وعلى رأسهم الدكتور محمد جميل غازي نائب الرئيس العام للجماعة في مصر واللواء أحمد عبدالوهاب.

● وللجماعة هيكل إداري مستقل يماثل الهيكل الإداري للمركز العام للجماعة في مصر مع الاختلاف في بعض المسميات.

● انتشرت دعوة أنصار السنة في العديد من البلدان الأفريقية مثل أرتيريا وأثيوبيا وتشاد وأفريقيا الوسطى بواسطة الطلاب الأفارقة الذين يدرسون في الجامعات السودانية أو أثناء الإقامة بالأراضي السودانية أو المرور بها إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، أو بسبب نزوح اللاجئين من تلك الدول أثناء الحروب والمجاعات، إذ تعرفوا على الدعوة ونقلوها إلى بلادهم.

● في عام ١٤٠٥هـ تم إصدار مجلة **الاستجابة** لتكون لسان حال الجماعة.

● ومن أبرز علماء الجماعة في السودان ودعاتها:

ـ الشيخ أبو زيد محمد حمزة الذي تلقى الدعوة على يد الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس الجماعة في مصر، وعلى أيدي علماء الجماعة. وقد ظل بمصر حتى وفاة الشيخ الفقي ١٩٥٩م فعاد إلى السودان وأخذ ينشر الدعوة في مدينته «وادي حلفا» والمناطق المجاورة لها، وكان للمرأة من دروسه نصيب، إذ خصص لها أماكن خاصة في دروسه، فالتف الناس حوله وزاد أتباعه مما أثار أتباع الطريقة الختمية ضده. وفي سنة ١٩٧٧م بث التلفزيون السوداني مناظرة بينه وبين الشيخ علي زين العابدين أحد أقطاب الطريقة الختمية

التي بين فيها زيف مبادئهم وبطلان معتقداتهم، فكان لها أثر كبير في انتشار دعوة الجماعة أكثر في المجتمع السوداني.

ـ الشيخ محمد الحسن عبد القادر: تلقى الدعوة عام ١٩٤٦م على يد الشيخ محمد الطيب خريج دار الحديث بمكة وتلميذ الشيخ عبدالظاهر أبو السمح. وقد تأثر به إذ كان للشيخ الطيب نشاط ملموس في الدعوة إلى الله في مدينة أغوردات بأريتريا ومن ثم تبعه تلميذه الشيخ محمد الحسن في ذلك. وهذا عرضه للكثير من الصعوبات والمشاق من أصحاب الطرق الصوفية فانتقل بدعوته إلى مدينة كرن ثم أسمرا، إذ عمل مدرساً بمدرسة الجالية العربية فيها، ومن خلال التدريس بها استطاع نشر دعوته في المنطقة. ومن أبرز جهوده في تلك الفترة توحيده لأنصار السنة في إريتريا، كما نظم جهودهم ومناشطهم فظهرت دعوتهم في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية بالمنطقة، بالإضافة إلى دورهم البارز في الجهاد(*) الأرتيري ضد الاحتلال الأثيوبي وأعوانه.

وفي عام ١٩٦٣م استقر الشيخ في منطقة كسلا بالسودان وفيها واصل دعوته فظهرت آثار الجماعة في كسلا وبورتسودان وشرق السودان. ومما يذكر للشيخ نشاطه الدعوي في عدد من الدول الأفريقية مثل: المغرب، وموريتانيا، وغانا، وأثيوبيا، وغينيا، ونيجيريا، وكينيا، وبعض الدول الآسيوية مثل: إندونسيا وتايلاند وبنجلاديش وبعض الدول الأوربية وبخاصة هولندا.

ـ الشيخ مصطفى ناجي: الذي انضم إلى جماعة أنصار السنة بعد أن تلقى العلم على يد الشيخ أبي طاهر محمود السواكني أحد علماء الأزهر. ومنذ تأسيس أول مسجد للجماعة في الخرطوم عام (١٩٥٧م) بحي السجانة (المركز العام الحالي للجماعة) تولى الشيخ إمامته الى اليوم بالإضافة إلى مسؤوليته عن إعداد الدعاة والخطباء في الجماعة.

● **في ليبيريا:**

ـ تأسست الجماعة في ليبيريا أولاً تحت مسمى جماعة أهل السنة برئاسة الشيخ حبيب الشريف، بعد أن تعرف على دعوة جماعة أنصار السنة في مصر أثناء حضوره إحدى الدورات التدريبية للأئمة والدعاة بالأزهر ١٩٨٨م واطلع على نشاطها فآمن بصحة منهجها وصدق دعوتها. وبعد عودته إلى بلاده غير اسم جماعته من أهل السنة إلى أنصار السنة المحمدية تأسياً بمنهجها(*) وطريقة دعوتها.

الأفكار والمعتقدات:

● حددت اللائحة الداخلية للجماعة أهدافها ومجمل أفكارها وقد لخصها أحد قادة

الجماعة ـ محمد حسين هاشم ـ في رسالة المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية قائلاً:

ـ فهذه عقيدة أنصار السنة المحمدية واضحة في مبادئها العشرة:

١ ـ نعتقد أن الأصل في الدين(*) هو الكتاب والسنة (بفهم السلف الصالح) ـ أما الأئمة المجتهدون والعلماء والمحدثون فهم أئمة خدموا الإسلام أجل خدمة، وهم بمنزلة المعلمين والمبلغين، نحبهم ونجلهم ونعظمهم وندافع عنهم ونتبعهم اتباع المستنير المتأمل، لوجوه الاستدلال لمن يكون من أهل التأمل والاستدلال، ثم نتعاون فيما نتفق عليه، ونتسامح فيما نختلف فيه (ما دام الأمر اجتهادياً ولا مانع من المناقشة بقصد الوصول إلى الحق وفي جو الأخوة الإسلامية).

٢ ـ نعتقد أن صفات الله عز وجل هي كما وصف نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ حقيقة من غير تشبيه(*) ـ تمثيل ـ ولا تأويل(*) ـ تحريف ـ ولا تعطيل(*)، ثم نكف عن الجدل(*) في ذلك، ونسكت عما سكت عنه الصحابة والسلف، ونتكلم فيما تكلموا، لنا فيهم أسوة حسنة، ونشتغل بالحكمة الإلهية في الخلق والتشريع لقوله ﷺ: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لا تقدرون قدره**».

٣ ـ نعتقد إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة من نذر وحلف واستغاثة واستعانة، ثم مقاومة كل من يوجه شيئاً من ذلك، صريحاً أو تأويلاً بتغيير اسمه، إلى غير الله.

٤ ـ نعتقد أن الإيمان هو التصديق الإذعاني الذي ينتج العمل ويظهر على الجوارح، وكل نقص في العمل مع التمكن منه والقدرة عليه هو نقص في الإجابة بقدره، وليس الإيمان مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به، وإنما هو قول واعتقاد وأخلاق(*) وآداب (وسلوك وعمل).

٥ ـ نعتقد أن البدعة(*) الشرعية هي كل جديد في العبادات على غير مثال سابق من سنة رسول الله ﷺ سواء كان في أصله أو طريقة أدائه.

٦ ـ نتفانى في حب رسول الله ﷺ بأن نتمسك جهد المستطاع بكل ما أمر ونتجنب كل ما نهى والإكثار من الصلاة والسلام عليه وعلى آل بيته الأطهار.

٧ ـ نعتقد أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ـ الحديث ـ، وأن الله سبحانه وتعالى يشفع من يشاء في عباده لمن ارتضى، وأنه ـ ﷺ ـ صاحب الشفاعة الكبرى، وأنه صاحب المقام المحمود والجاه العظيم يوم القيامة.

٨ ـ نقرأ القرآن للذكر والتدبر لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

ونعترف أن استنباط الأحكام منه يكون من اختصاص أهل العلم.

٩ ـ نعتقد أن الدين(*) الإسلامي جماع الخير في الدين والدنيا يريد من أهله أن يكونوا أقوياء محسنين في أعمالهم حتى يكونوا ورثاء الأرض «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف».

١٠ ـ نعتقد أن الإسلام دين(*) ودولة، وعبادة وحكم وأنه صالح لكل زمان ومكان.

● وجاء في لائحة الجماعة فيما يتعلق بالأهداف العامة وإستراتيجية العمل:

ـ توثيق روابط الإخاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى.

ـ التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامي.

ـ تنشئة الشباب تنشئة دينية وثقافية واجتماعية.

● وقد تضمن غلاف مجلة **التوحيد** عدداً من الأهداف الأخرى التي تسعى إليها الجماعة:

ـ الدعوة الى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحاً صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ، حبًّا صحيحاً صادقاً يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

ـ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين ـ القرآن والسنة الصحيحة ـ ومجانبة البدع والانحرافات ومحدثات الأمور.

ـ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط، عقيدة وعملاً وخلقاً.

ـ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل شرع غيره ـ في أي شأن من شؤون الحياة ـ معتد عليه سبحانه منازع إياه في حقوقه.

● ويضاف إلى هذه الأهداف والأفكار ما يلي مما ورد مفرقاً في كتابات أفراد الجماعة:

ـ التحذير من خطر الفرق وأهل الأهواء على الفرد والمجتمع، والتصدي لغلاة المتصوفة ومنكري السنة والبهائية والرافضة(*) والباطنية، والتصدي لحملات التغريب والعلمنة، والإلحاد(*) والزندقة(*).

ـ العمل على توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة ومنهج تشريعي واحد، على أساس من المنهج(*) السلفي(*) ـ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ـ الدعوة إلى تجديد الدين على هدي السلف وأئمة السنة، والاجتهاد(*) لمعرفة حكم الله في النوازل والمستجدات حسب الضوابط الشرعية. واتباع السياسة الحكيمة دون

استعجال أو صدام لإقامة شرع الله تعالى في الأرض.

● وفي مجال الفكر السياسي للجماعة رؤيتها التي يعبر عنها الدكتور جمال المراكبي في كتاب **الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة** إصدار إدارة الدعوة والإعلام ـ لجنة البحث العلمي بالجماعة في مصر ـ فيقول: «فالنظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً ديمقراطيًّا بحال، وهو يختلف مع الديمقراطية في الأسس والمبادىء خلافاً غير يسير.

ـ النظام السياسي الإسلامي ليس نظاماً شموليًّا، وليس نظاماً اشتراكيًّا ولا يقترب من الأنظمة الديكتاتورية سواء منها الديكتاتوريات المذهبية والديكتاتوريات القيصرية.

ـ إن للنظام الإسلامي ذاتيته الخاصة، فلا يجوز أن ندرجه بحال تحت قسم من هذه الأقسام، ولا ندرجه داخل نظام من تلك النظم، إن النظام السياسي الإسلامي نظام إسلامي بحت لا علاقة له بالثيوقراطية ولا بالأتوقراطية، ولا بالديمقراطية ولا بالاشتراكية».

ـ وجاء في توصيات مؤتمر الخرطوم عام ١٩٨٩م الذي عقدته الجماعة بالسودان ما يلي:

١ ـ الديمقراطية نظام كافر؛ لأنها تعطي الإنسان حق التشريع، وهو حق خالص لا يكون إلا لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٦٧].

٢ ـ الانتخابات بالترشيح وبالتصويت وسائل جائزة في حد ذاتها.

٣ ـ التنظيم(*) النقابي للعاملين وغيرهم وكذلك الاتحادات الطلابية: تنظيمات هيئية وطلابية لا شأن لها بالتشريع، والمشاركة فيها تتوقف على المصالح والمفاسد على ضوء الضوابط الشرعية لذلك.

٤ ـ مزاحمة أهل الديمقراطية لتقليل شرهم في الانتخابات العامة وغيرها أمر جائز مع مراعاة الضوابط الشرعية، إذا ترجحت المصالح على المفاسد.

● وفي مجال أصول الدعوة: ترى الجماعة شرعية العمل الجماعي ولا تقر التحزب لغير شعار السنة والجماعة(*)، وتقر التنظيم بالضوابط الشرعية.

● وتعتمد التربية والتزكية المستمدة من منهج(*) السلف الصالح على أساس من تصفية الإسلام من البدع(*) والانحرافات العقدية والسلوكية، والتعبدية، وتصفية الأحاديث من الموضوعات وتربية الأمة على ذلك.

الجذور الفكرية والعقدية:

● عقيدة ومنهج(*) أهل السنة والجماعة سواء في النظر والاستدلال أو في العبادات والمعاملات والسلوك.

● مصنفات علماء السلف المتقدمين في الاعتقاد والأصول.

● مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة في الجزيرة العربية والشوكاني والصنعاني والألباني وغيرهم من علماء الدعوة السلفية(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تتركز جماعات أنصار السنة المحمدية في مصر، إذ أصبح لها في مصر قرابة المائة من الفروع والألف من المساجد، كما تتركز في السودان وأرتيريا وليبيريا وتشاد وأثيوبيا وجنوب أفريقيا وبعض الدول الأفريقية، وكذلك بعض الدول الآسيوية مثل: تايلاند وسيرلانكا، وفي كل دولة تقريباً يوجد للجماعة مركز تتبعه فروع موزعة على المناطق والأقاليم إلا أنه لكل جماعة قيادة مستقلة في كل دولة مع أنه يجمعهم جميعاً منهج(*) واحد.

● كما أن للجماعة علاقات وطيدة بجماعات الدعوة السلفية(*) في مصر وعلماء الدعوة بالسعودية وبجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت ودار البر بالإمارات العربية، وجمعية التربية الإسلامية بالبحرين، وجمعية أهل الحديث في شبه القارة الهندية والجمعية المحمدية في جنوب شرق آسيا وبالعديد من الجمعيات والاتحادات السلفية في أوروبا وأمريكا والجمعيات السلفية في أفريقيا.

يتضح مما سبق:

● أن جماعة أنصار السنة المحمدية من الأعمال الجماعية المنظمة التي تقوم على العقيدة السلفية للتصدى لغلاة المتصوفة ومحاربة البدع(*) بجميع أشكالها، وبيان التوحيد والحض على اتباع السنة، فكان لها الأثر الإيجابي في انحسار تيار التصوف بشكل عام في بيئات محدودة، بالإضافة إلى تأثيرها البالغ على قطاع واسع من شباب الصحوة الإسلامية.

● يحمد للجماعة السعي للتعاون مع الدعوات السلفية(*) والإصلاحية الأخرى في بعث كتب السلف ومناهجهم فكان لذلك الأثر الإيجابي في تبني تيار الصحوة الإسلامية لمنهج(*) أهل السنة والجماعة(*) بشكل عام، وعودة الحجاب ومقاومة التغريب في المجتمعات الإسلامية بوجه خاص.

● يتصف علماء الجماعة بقلة التأليف والبعد عن الشهرة، إذ تغلب الدعوة إلى المنهج على الدعوة إلى الجماعة، وهذا يفسر قلة كتاباتهم عن الجماعة وجهودها مما مكن منافسيهم من التحقير من شأنهم.

● للجماعة الحظ الأوفر في وضع لبنات النهضة العلمية بالمملكة العربية السعودية من

خلال تأسيس المعاهد والجامعات الشرعية ووضع المناهج لها مما أثار أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ضدهم وتسميتهم بالوهابية.

● ويأخذ عليها ناقدوها اهتمامها البالغ بقضايا التوحيد والسنة، وعدم اهتمامها بالعمل السياسي أو الصدام مع الحكومات المخالفة لشرع الله تعالى، وأيضاً عدم شمولية برنامجها التربوي. وترى الجماعة أن تحقيق التوحيد الخالص والمتابعة الصادقة هما أساسا توحيد كلمة الأمة كما هما شرطا تحقيق وعد الله تعالى بالنصر والتمكين وعودة الخلافة(*).

ويقول الدكتور المراكبي في كتابه **الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة**: وباستعراض حالات الخروج التي شهدتها الساحة الإسلامية منذ نشأة الدولة الإسلامية وإلى يومنا هذا، لم نرَ حالة واحدة تبشر بالخير، بل إنها جميعاً لم تؤت ثمارها المرجوة، فهي غالباً ما تفشل ولا ينتج عنها إلا اتساع دائرة الفتن.. وعلى العكس من ذلك فإن كل حركات الإصلاح التي شهدتها الدولة الإسلامية لم تتخذ الخروج والقتال سبيلاً لها..» ثم يدلل على ذلك بما حققه عمر بن عبدالعزيز من إصلاح، وكيف تصدى أحمد بن حنبل للفتنة بدون سيف ولا رجال مع قدرتهما على ذلك، ولأن رسول الله ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، ولكن إذا طرأ على الحاكم الكفر البواح الذي فيه من الله البرهان فيجب الخروج عليه مع مراعاة ترجيح المصالح على المفاسد بعد تحقق القدرة والاستطاعة.

مراجع للتوسع

- **مقاصد الجماعة** ـ جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.
- **المؤتمر العام لجماعة أنصار السنة** ـ محمد حسين هاشم.
- **لائحة الجماعة** ـ جماعة أنصار السنة المحمدية.
- **المفهوم السلفي للعمل السياسي** ـ محمد أبو زيد مصطفى.
- **الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة** ـ د. جمال المراكبي.
- **رسالة إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية**، الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل.
- **هذه هي الصوفية** ـ الشيخ عبد الرحمن الوكيل.
- **الصوفية الوجه الآخر** ـ د. محمد جميل غازي.
- **البهائية** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل.
- **دعوة الحق** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل.
- **بيان جماعة أنصار السنة بالسودان عن حجية السنة** بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٨٨م.

- **جماعة أنصار السنة المحمدية نشأتها وأهدافها ورجالها** ـ فتحي أمين عثمان.
- **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها** ـ د. ناصر عبد الكريم العقل.
- **الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة** ـ سليم الهلالي وزياد الدبيج.
- **الطريق إلى جماعة المسلمين** ـ حسين بن محسن بن علي جابر.
- **شرح القصيدة النونية لابن القيم** ـ د. محمد خليل هراس.
- **شرح العقيدة الواسطية ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية** ـ د. محمد خليل هراس.
- **دعوة التوحيد والأطوار التاريخية التي مرت بها** ـ د. محمد خليل هراس.
- **ابن تيمية السلفي** ـ د. محمد خليل هراس.
- **مذكرة التوحيد** ـ الشيخ عبد الرزاق عفيفي.
- **الصفات الإلهية بين السلف والخلف** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل.
- **زندقة الجيلي** ـ الشيخ عبدالرحمن الوكيل.
- **الأصول العلمية للدعوة السلفية** ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق.
- **الإسلام والروحية** ـ الشيخ أبو الوفا محمد درويش.
- **خواطر في الدين والاجتماع** ـ الشيخ أبو الوفا محمد درويش.
- **التوراة والإنجيل ومدى التزام المسلمين بالإيمان بهما** ـ الشيخ مصطفى درويش.
- **رسالة إلى البابا شنودة: مذكرة دفاع** ـ الشيخ مصطفى درويش.
- **وصية المسيح ـ شرح وتحليل** ـ الشيخ مصطفى درويش.
- **الولايات الإسلامية المتحدة: الخلافة الإسلامية** ـ الشيخ مصطفى درويش.
- **أوراق من تاريخ جماعة أنصار السنة في السودان** ـ طارق الهدية «مخطوط بتاريخ ١٤٠٦هـ».
- **مجلة الهدي النبوي** ـ كانت تصدرها الجماعة بمصر.
- **مجلة التوحيد** ـ ما زالت تصدر باسم الجماعة بمصر.
- **مجلة الاستجابة** ـ تصدرها الجماعة بالسودان.

١٩ـ الإخوان المسلمون

التعريف:

الإخوان المسلمون كبرى الحركات(*) الإسلامية المعاصرة، تنادي بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسنة، وتدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في واقع الحياة، وقد وقفت متصدية لسياسة فصل الدين عن الدولة ومنابذة موجة المد العلماني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الدعوة هو الشيخ حسن البنا ١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م) ولد في إحدى قرى البحيرة بمصر ونشأ نشأة دينية في أسرة تركت بصماتها واضحة على كل حياته.

ـ إلى جانب تعليمه الديني في المنزل والمسجد درس في مدارس الحكومة حتى التحق بدار العلوم بالقاهرة، إذ تخرج عام ١٩٢٧م.

ـ عُيِّن مدرساً في إحدى مدارس الإسماعيلية الابتدائية، وهناك بدأ نشاطه الدعوي بين الناس، وخاصة في المقاهي وبين عمال قناة السويس حتى إذا كان شهر ذي القعدة ١٣٢٧هـ/ إبريل ١٩٢٨م تم تأسيس النواة الأولى من الإخوان.

ـ في عام ١٩٣٢م انتقل الشيخ حسن البنا إلى القاهرة وانتقلت قيادة الحركة معه إليها.

ـ في عام ١٣٣٢هـ ـ ١٩٣٣م تم إصدار جريدة **الإخوان المسلمون** الأسبوعية واختير الشيخ محب الدين الخطيب ١٣٠٣ ـ ١٣٨٩هـ (١٨٨٦ ـ ١٩٦٩م) مديراً لها. ثم صدرت **النذير** في ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ثم **الشهاب** ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. . وتوالت المجلات والجرائد الإخوانية.

ـ تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو اختارهم الشيخ البنا بنفسه.

ـ شارك الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨م، إذ دخلوا بقوات خاصة بهم، وقد سجل ذلك بالتفصيل كامل الشريف ـ من قادة الإخوان المتطوعين ووزير أردني سابق ـ والأمين العام حاليًّا للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ـ في كتابه: **الإخوان المسلمون في**

حرب فلسطين.

- في ٨ نوفمبر ١٩٤٨م أُغتيل النقراشي واتُّهم الإخوان بقتله، وهتف أنصار النقراشي في جنازته بأن رأس النقراشي برأس البنا الذي اغتيل فعلاً في ١٢ فبراير ١٩٤٩م.

● جاءت وزارة النحاس سنة ١٩٥٠م فأفرجت عن الجماعة بناء على حكم مجلس الدولة الذي نص على أن أمر الحل باطل من أساسه.

● في عام ١٩٥٠م اختير المستشار حسن الهضيبي ١٣٠٦-١٣٩٣هـ (١٨٩١-١٩٧٣م)، مرشداً للإخوان، وهو واحد من كبار رجال القضاء المصري. وقد اعتُقل عدداً من المرات، وصدر ضده عام ١٩٥٤م حكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد، وأفرج عنه آخر مرة سنة ١٩٧١م.

- في شهر أكتوبر ١٩٥١م اشتدت الأزمة بين بريطانيا ومصر، فشن الإخوان حرب عصابات ضد الإنجليز في قناة السويس سجلها كامل الشريف في كتاب آخر بعنوان: **المقاومة السرية في قناة السويس**.

● في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت مجموعة من الضباط المصريين بزعامة اللواء محمد نجيب بثورة(*) بمؤازرة الإخوان، لكن الإخوان بعد ذلك رفضوا الاشتراك في الحكم إذ كان لهم رأي واضح في منهاج الثورة. وقد اعتبر جمال عبد الناصر هذا الرفض نوعاً من فرض الوصاية على الثورة، ودخل الطرفان سلسلة من الجدل والخصومة تطورت حتى قامت الحكومة سنة ١٩٥٤م باعتقال الإخوان وتشريد الألوف منهم بحجة أنهم حاولوا الاعتداء على حياة عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية وأعدم ستة منهم هم: عبد القادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير وإبراهيم الطيب ومحمود عبد اللطيف.

● في عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦م تكرر اعتقال الإخوان بتهمة تشكيل جهاز سري يهدف إلى قلب نظام الحكم وقامت الحكومة بشن حملات السجن والتعذيب وقد أعدمت هذه المرة ثلاثة من أعضاء الجماعة هم:

- سيد قطب ١٣٢٤ - ١٣٨٧هـ (١٩٠٦ - ١٩٦٦م) الذي يعد المفكر الثاني في الجماعة بعد البنا وواحداً من رواد الفكر الإسلامي الحديث.. وقد ألقي القبض عليه سنة ١٩٥٤م وأمضى في السجن عشر سنوات ثم أفرج عنه عام ١٩٦٤م بتدخل من الرئيس العراقي عبد السلام عارف، لكنه ما لبث أن أعيد إليه مرة أخرى ليواجه حكماً بالإعدام.

له العديد من المؤلفات الأدبية والفكرية الإسلامية والتي من أبرزها: **في ظلال القرآن**، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، **معالم في الطريق**

وغيرها كثير.

ـ يوسف هواش.

ـ عبد الفتاح إسماعيل.

● بقيت الجماعة تعمل بشكل سرِّي حتى وفاة عبد الناصر ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠م.

● وفي عهد أنور السادات تم الإفراج عمن سجنهم عبد الناصر على مراحل.

● عمر التلمساني: ١٩٠٤ ـ ١٩٨٦م اختير مرشداً عاماً بعد الهضيبي. وقد طالبت قيادة الإخوان في عهده بحقوق الجماعة كاملة وعودة جميع ممتلكاتها المصادرة في عهد عبدالناصر، وسلك المرشد بالإخوان طريقاً يجنِّبهم المصادمات مع الحكومات، وكرر دائماً أن الدعوة ينبغي أن تعمل بالحكمة وأن تنبذ العنف والتطرف.

● أصدرت الجماعة المجلات والصحف التالية: **النذير** (مجلة أسبوعية)، **الدعوة** (مجلة أسبوعية)، **الإخوان المسلمون** (صحيفة يومية) **الشهاب** (مجلة شهرية) **المسلمون** (مجلة شهرية) ومجلة (**لواء الإسلام**)، وقد أوقف صدور هذه الدوريات حالياً عدا الأخيرة منهم.

● محمد حامد أبو النصر: اختير مرشداً بعد الأستاذ التلمساني وسار على طريقته وأسلوبه.

● مصطفى مشهور: أحد قيادات النظام الخاص للجماعة في فترة الأربعينات وبداية الخمسينات، اختير مرشداً عامًّا للإخوان المسلمين خلفاً للأستاذ/ محمد حامد أبو النصر بعد وفاته عام ١٩٩٦م، ويعد الأستاذ/ مصطفى مشهور من أنشط قيادات الجماعة في فترة ما بعد السبعينات من هذا القرن، إذ ظهر له العديد من الكتب والمقالات الصحفية بالإضافة إلى جهوده البارزة في إنشاء المراكز الإسلامية «شُعب» في الغرب والتابعة للجماعة.

● هناك عدد من الشخصيات الإخوانية التي ظهرت خارج مصر نذكر منها:

ـ الشيخ محمد محمود الصواف الذي كان مؤسساً ومراقباً عاماً للإخوان المسلمين في العراق، له عدد من المؤلفات، وكان له دور نشيط في نشر الإسلام في إفريقيا بعد هجرته من العراق سنة ١٩٥٩م واستقراره في مكة المكرمة.

ـ الدكتور مصطفى السباعي (١٣٣٤ ـ ١٣٨٤هـ) (١٩١٥ ـ ١٩٦٤م) أولُ مراقبٍ عام للإخوان المسلمين في سوريا، نال درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩م، قاد كتائب الإخوان إلى فلسطين سنة ١٩٤٨م، كما رشح نفسه نائباً عن دمشق عام ١٩٤٩م، كان خطيباً مفوهاً لا يبارى، أسس كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٤م، وكان أول عميد لها، له

العديد من المؤلفات منها **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، **المرأة بين الفقه والقانون**، **قانون الأحوال الشخصية**.

ـ تأسست جماعة الإخوان المسلمين في الأردن بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٦٤هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٩٤٥م وكان أول رئيس لها الشيخ عبد اللطيف أبو قورة الذي قاد كتيبة الإخوان في الأردن إلى فلسطين سنة ١٩٤٨م.

ـ وفي ٢٦/ ١١/ ١٩٥٣م انتخب الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة (ولد عام ١٩١٩م) مراقباً عاماً للإخوان بالأردن وهو يحمل ثلاث شهادات علمية، وخلفه الأستاذ عبدالمجيد ذنيبات.

الأفكار والمعتقدات:

● يؤمن الإخوان بالإسلام عقيدة تحكم توجهات المسلمين ومنهجاً(*) شاملاً لكل جنبات الحياة وينادون بإقامة الدولة الإسلامية التي تسعى لإعلاء كلمة الله في الأرض.

ويوضح الشيخ حسن البنا هذا المعنى بقوله: «الإسلام عبادة وقيادة، ودين(*) ودولة وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد(*)، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هؤلاء عن الآخر».

● حرص الإخوان منذ نشأة الجماعة على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية النطاق ويضمن لها الاستمرار بحكم تعدد المراكز.

ـ يقول حسن البنا عن هذه الدعوة: «إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية(*)، وطريقة سنِّية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية».

● يؤكد البنا أن سمات حركة الإخوان هي:

ـ البعد عن مواطن الخلاف.

ـ البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء.

ـ البعد عن الأحزاب(*) والهيئات.

ـ العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات.

ـ إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات.

ـ شدة الإقبال من الشباب.

ـ سرعة الانتشار في القرى والبلاد.

● ويذكر أن أخص خصائص دعوة الإخوان هي:

- أنها **ربانية**: لأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا أن يتقرب الناس إلى ربهم.

- وأنها **عالمية**: لأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة أصلهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل.

- وأنها **إسلامية**: لأنها تنتسب إلى الإسلام.

● ويقرر الشيخ البنا أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هي:

- **إصلاح نفسه** حتى يكون قوي الجسم، وأن يكون متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة.

- **وتكوين البيت المسلم** بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

- **إرشاد المجتمع** بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات.

- **تحرير الوطن** بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي، سياسي أو اقتصادي أو روحي.

- **إصلاح الحكومة** حتى تكون إسلامية بحق.

- **إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية** بتحرير أوطانها وإحياء مجدها.

- **أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام** في ربوعه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].

● يقسم البنا مراحل الدعوة إلى ثلاث مراحل:

١ - التعريف.

٢ - التكوين.

٣ - التنفيذ.

● يقول الشيخ البنا في **رسالة التعاليم**: «أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد[*]، والتضحية، والطاعة والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة». ثم يأخذ في شرح كل ركن من هذه الأركان ثم يقول بعدها:

«أيها الأخ الصادق: هذا مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادىء في خمس كلمات: الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا والجهاد سبيلنا، والشهادة أسمى أمانينا. وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى: البساطة، والتلاوة، والصلاة، والجندية، والخلق».

● يعكس سيد قطب في كتابه **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته** فهمه وفهم

الإخوان للإسلام حيث يجعل خصائص هذا التصور تقوم على (الربانية.. الثبات.. الشمول.. التوازن.. الإيجابية.. الواقعية.. التوحيد). ويعقد المؤلف لكل خاصية فصلاً مستقلاً بذاته يشرحها ويوضح معناها.

● شعار الإخوان: سيفان متقاطعان يحيطان بمصحف شريف، واللفظة القرآنية (وأعدوا) وثلاث كلمات هي: حق، قوة، حرية.

● عدلت الجماعة من أسلوب المواجهة المباشرة مع السلطات الحاكمة لما سببه هذا الأسلوب من إضرار بالجماعة سواء في مصر أو سوريا، إذ فقدت العديد من القيادات المؤثرة وتعرض المنضمون للجماعة للتعذيب في السجون والمعتقلات واختفى وجودهم العلني الذي كان يساعد على انتشار الدعوة.

● أصبح للجماعة سيطرة واضحة على النقابات المهنية وظهور واضح في الساحات السياسية المختلفة.

● لا تسمح الحكومة المصرية حتى الآن بقيام أحزاب(*) على أساس ديني بحجة عدم إقحام الدين(*) في السياسة، ولوجود أقليات غير مسلمة مما يحرم الإخوان من الوجود الشرعي المعترف به. وقد اضطرهم ذلك للتحالف مع أحزاب المعارضة السياسية القائمة وتشكيل تحالف يسمح لهم بدخول مجلس الشعب المصري. وقد استقطب هذا التحالف وبعض ممارسات الجماعة الأخرى، بعض النقد من بعض مؤيديها ومعارضيها في أكثر من مناسبة.

● على أن المآخذ على جماعة الإخوان المسلمين لم تقتصر على المواقف السياسية. بل وجه لها النقد في بعض الجوانب العقائدية والمنهجية وأقوال الأتباع. فمن الناحية العقائدية أخذ على البنا قوله في مجال تعداد صفات الحركة الشمولية «وحقيقة صوفية». كما أخذ عليه موقفه التفويضي(*) في مجال الأسماء والصفات واعتباره البدعة(*) الإضافية(*) خلافاً فقهياً(*). ومن الواضح أن مفهوم حسن البنا للتصوف هو أنه مواز للزهد وليس هو التصوف المنحرف عقائدياً وسلوكياً. وأما فيما يتعلق بالأسماء والصفات فإن البنا يرى أن منهج السلف «هو أسلم وأولى بالاتباع» سواء أدرك الإنسان كل المعاني المحيطة بالأسماء والصفات أم لم يدركها.

● وقد أخذ على بعض أتباع الحركة(*) الغلو(*) في إعجابهم بالشيخ حسن البنا، ولا شك أن الغلو في القيادة والأشخاص هو سلوك إنساني لم يسلم منه كثير من المسلمين، إذ غالوا في الرسول وبعض أصحابه والصالحين ممن تبعهم. وهذا الغلو واضح بين المنتسبين

للحركات الإسلامية المعاصرة على اختلاف في الدرجة والشيوع. فتجد من يغلو في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخر يغلو في حسن البنا وثالث في المودودي ورابع في سيد قطب وهكذا. والصحيح أن يلزم الجميع منهج الإسلام المتمثل في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله بفهم السلف الصالح، إذ النهي عن الغلو حتى في شخص الرسول الكريم ﷺ. كما صدر عن بعضهم (التلمساني وسعيد حوى) عدد من الأقوال والاجتهادات التي لا يجيزها الفهم الصحيح للإسلام، والحق أنه كل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثرت دعوتهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية والدعوة السنوسية ودعوة السيد رشيد رضا، وأغلب هذه الدعوات تعد امتداداً لمدرسة ابن تيمية المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ ـ ١٣٢٨م والمستمدة من مدرسة الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله تعالى.

● أخذ الإخوان عن التصوف ما فيه من دعوة إلى تربية النفس وتهذيبها والرقي بها على ما كان عليه أوائل المتصوفة من صحة في العقيدة وعدم الاستكانة والسلبية.

● لقد جمع البنا المفاهيم السابقة في دعوته وأضاف إليها ما فرضته عليه ظروف العصر والبيئة من وقوف أمام التيارات التي أخذت تسري في مصر بخاصة وفي المنطقة بعامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الحركة(*) في الإسماعيلية، ثم انتقلت إلى القاهرة، ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر، وقد بلغ عدد شعب الإخوان في أواخر الأربعينات في مصر (٣٠٠٠) شعبة ضمت أعداداً كبيرة من الأعضاء.

● انتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوي في سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان وغيرها. . كما أن لها أتباعاً في معظم أنحاء العالم اليوم.

ويتضح مما سبق:

أن الإخوان المسلمين، حركة إسلامية معاصرة، بل هي أكبر هذه الحركات، وهدفها تحكيم الكتاب والسنَّة، وتطبيق شريعة الله في شتى مناحي الحياة، والوقوف بحزم أمام سياسة فصل الدين(*) عن الدنيا، ووقف المد العلماني، والعمل لإعلاء كلمة الله في الأرض، من خلال حركة عالمية تبعد عن مواطن الخلاف وتكوِّن الشباب عبر هذه الدعوة، لإصلاح أنفسهم وبيئاتهم وحكوماتهم، أملاً في إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية. وقد أخذ على

حركات الإخوان ـ كغيرها من الحركات ـ بعض المآخذ فيما يتعلق بالمنهج(*) أو سلوكيات بعض المنتسبين إليها.

مراجع للتوسع:

- **حسن البنا، مبادىء وأصول في مؤتمرات خاصة** ـ المؤسسة الإسلامية ـ دار الشهاب بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. مطبعة الإخوان المسلمين ـ ١٣٥٤هـ.
- **قانون جمعية الإخوان المسلمين العام المعدل.**
- **الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ** ـ محمود عبد الحليم ـ دار الدعوة ـ الأسكندرية ـ ط١ ـ مطابع جريدة السفير ـ ١٩٧٩م.
- **حسن البنا، الداعية الإمام المجدد**، أنور الجندي ـ دار القلم ـ بيروت.
- **الشهيد سيد قطب**، يوسف العظم ـ دار القلم ـ بيروت.
- **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية**، د. زكريا سليمان بيومي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.
- **مذكرات الدعوة والداعية**، حسن البنا ـ المكتب الإسلامي ـ ط٤ ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م دار الشهاب ـ القاهرة.
- **مجموعة رسائل الإمام حسن البنا.**
- **الإخوان المسلمون**، د. ريتشارد ميتشل ـ ترجمة عبد السلام رضوان مكتبة مدبولي ـ ط١ ـ القاهرة ١٩٧٧م.
- **الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة**، إسحق موسى الحسيني.
- **الإخوان المسلمون والمجتمع المصري**، محمد شوقي زكي.
- **الحركات الإسلامية في مصر وإيران**، د. رفعت سيد أحمد ـ سينا للنشر.
- **تقرير إستراتيجي عن جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الأخرى** أعده مركز الدراسات الإستراتيجية والسياسية بجريدة الأهرام المصرية (وعليه تعليق للدكتور علي جريشه).
- **شهيد المحراب** ـ عمر التلمساني.
- **جند الله ثقافة وأخلاقاً** ـ سعيد حوى.

٢٠ـ الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية

التعريف:

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية جماعة إسلامية معاصرة كرست جهودها في سبيل إقرار الشريعة الإسلامية(*)، وتطبيقها في حياة الناس، والوقوف بحزم ضد جميع أشكال الاتجاهات العلمانية التي تحاول السيطرة على المنطقة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أبو الأعلى المودودي: ١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) وُلِد في مدينة أورنك آباد الدكن بولاية حيدر آباد، وتلقى تعليمه وتربيته الأولى على يد والده السيد أحمد حسن الذي يرجع نسبه إلى عائلة قطب الدين مودود الشهيرة بتدينها ومكانتها الروحية.

ـ بدأ حياته الدعوية بالدخول إلى ميدان الصحافة عام ١٩١٨م، وفي عام ١٩٢٠م كوَّن جبهة صحفية هدفها تبليغ الإسلام، وقد تنقل في عدد من الصحف كاتباً ومديراً ورئيساً.

ـ كان لكتابه **الجهاد في الإسلام** الذي نشره عام ١٩٢٨م دويٌّ واسع وأثر بالغ ضد الإنجليز والوثنيين(*) وأعداء الإسلام في كل مكان.

ـ أصدر **ترجمان القرآن** من حيدر أباد الدكن عام ١٩٣٣م وكان شعارها «احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن، وانهضوا، وحلِّقوا فوق العالم» وعن طريق هذه المجلة انتقلت أفكاره إلى مسلمي شبه القارة الهندية/ الباكستانية مما مهَّد له الطريق إلى تأسيس جماعته الإسلامية فيما بعد.

ـ في عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨م قدم إلى لاهور تلبية لدعوة محمد إقبال ١٨٧٣ ـ ١٩٣٨م وأسس في باثانكوت داراً للإسلام يربي فيها الرجال، ويؤلف الكتب، لكن إقبالاً ما لبث أن انتقل إلى ربه بعد أشهر قليلة من وصول المودودي.

ـ عن طريق مجلة **ترجمان القرآن** وجه المودودي دعوة لعلماء المسلمين وقادتهم لحضور المؤتمر الذي عقد فعلاً في ٢٦ أغسطس ١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ بلاهور بحضور ٧٥ شخصاً يمثلون مختلف بلاد الهند وتأسست في هذا المؤتمر الجماعة الإسلامية وانتخب

المودودي أميراً لها.

ـ في تلك الأيام كان البريطانيون يمسكون بزمام السلطة حينما أطلق المودودي فتواه الجريئة بتحريم العمل في خدمة قوات الاحتلال مما عرض الجماعة الإسلامية للهجوم من قبل القوى الاستعمارية(*) منذ أول ظهورها.

ـ في ٢٨ أغسطس ١٩٤٧م ظهرت الباكستان بشطريها دولة مستقلة عن الهند الوثنية(*) وتبع ذلك ظهور قيادة جديدة للجماعة في الهند مستقلة بذاتها لتسهيل النواحي الإدارية لا أكثر، ووقفت الجماعة حينها على قدم وساق تقيم المعسكرات لإيواء المسلمين المهاجرين وتقدِّم لهم العون ريثما تستقر بهم الأحوال.

ـ اعتقل المودودي في حياته عدة مرات بسبب جرأته ووقوفه ضد معارضي تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في الباكستان، وحكم عليه في بعضها بالإعدام ثم خفف الحكم بعد ذلك، ولم تفتَّ هذه الاعتقالات في عضده بل زادته إيماناً راسخاً بدعوته وبمبادئه الإسلامية.

ـ ساعدت الجماعة الإسلامية المجاهدين الكشميريين في جهادهم ضد الهند وقدمت لهم المؤن والمراكز الطبية والمخيمات.

ـ في نوفمبر ١٩٧١م انشطرت الباكستان إلى شطرين، الغربية حافظت على اسم الباكستان، والشرقية عرفت باسم بنجلاديش، وقد أزعج هذا الانقسام الشيخ المودودي كثيراً.

ـ ابتداء من نوفمبر ١٩٧٢م أُعْفي المودودي من منصبه كأمير للجماعة بناء على طلبه لاعتلال صحته، فانصرف إلى البحث والكتابة عاكفاً على إكمال كتابه **تفهيم القرآن** واختير ميان طفيل محمد أميراً للجماعة بعده.

ـ منحت جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام للمودودي في ٢٧ فبراير ١٩٧٩م، وقد تبرع بقيمة الجائزة لإنشاء مجمع المعارف الإسلامية بلاهور.

ـ في ١/ ١١/ ١٣٩٩هـ الموافق ٢٢/ ٩/ ١٩٧٩م انتقل المودودي إلى رحاب ربه إثر عملية جراحية أجريت له في نيويورك، وقد نقل جثمانه إلى لاهور مشيَّعاً برثاء العالم الإسلامي له.

ـ خلَّف المودودي وراءه دعوة، ورجالاً، ومكتبة عامرة من تأليفه ترجمت إلى لغات كثيرة وطبعت عديداً من المرات.

وقد صدرت عن المودودي ـ يرحمه الله ـ بعض الآراء التي كانت موضع جدل بين الدعاة خصوصاً حول بعض القضايا الجديدة التي كان يطرحها.

● ميان طفيل محمد: مواليد ١٩١٤م أحد الأعضاء المؤسسين، عمل أميناً عاماً للجماعة أيام

المودودي، ثم حل محله عام ١٩٧٢م أميراً للجماعة، وأعيد انتخابه مرة أخرى عام ١٩٧٧م، واستمر في منصبه حتى عام ١٩٨٧م. دخل السجن مع المودودي وشارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات داخل الباكستان وخارجها، يحمل شهادات جامعية في الفيزياء والرياضيات والقانون.

● قاضي حسين أحمد: كان أميناً عاماً للجماعة، ثم انتخب أميراً لها بعد ميان طفيل محمد عام ١٩٨٧م.

● خورشيد أحمد: نائب الأمير، ووزير سابق في وزارة ١٩٧٨م، عضو مجلس النواب الباكستاني.

● محمد أسلم سليمي: الأمين العام للجماعة.

● خليل أحمد الحامدي: مدير دار العروبة، ومدير معهد المودودي العالمي للدراسات الإسلامية.

● خرم جاه مراد: ـ توفي يرحمه الله عام ١٤١٦هـ بباكستان، كان مدير المؤسسة الإسلامية في إنجلترا (ليستر) وأمير الجماعة الإسلامية في عاصمة الباكستان الشرقية قبل الانفصال ونائب الأمين العام حاليًا.

● أمين أحسن إصلاحي: من كبار العلماء، اعتقل مع المودودي، سبق له أن ترك الجماعة لدخولها المعترك السياسي والانتخابات، ولكن كتبه لا تزال تُدرَّس ضمن مناهج الجماعة.

● بروفيسور عبد الغفور أحمد: كان أمير فرع الجماعة في كراتشي، وعضو البرلمان المركزي ووزيراً للصناعات والمواد المعدنية في وزارة ١٩٧٨م.

● محمود أعظم الفاروقي: كان عضو البرلمان المركزي ووزيراً للإعلام والإذاعة ١٩٧٨م.

● السيد أسعد الجيلاني: أمير إقليم البنجاب، وعضو البرلمان(*) المركزي عن الجماعة الإسلامية سابقاً، وقد صدر له أكثر من ٨٠ كتاباً في مختلف مجالات الحياة الإسلامية.

ـ شودري رحمة إلهيٰ: كان وزيراً للمياه ومصادر القوى في وزارة ١٩٧٨م.

● أبو الليث الإصلاحي الندوي: أول أمير للجماعة في الهند، ثم ترك الإمارة، ثم أعيد انتخابه مرة ثانية ولا يزال في منصبه.

● الشيخ محمد يوسف: عمل أميراً للجماعة بعد الفترة الأولى لأبي الليث.

● سيد حامد حسين: من رجال الدعوة والخطباء البارزين، توفي بعد حج عام ١٤٠٥هـ في جدة.

● أفضل حسين: الأمين العام للجماعة حاليًا، وهو خبير في التربية، وقد ألَّف حوالي ثلاثين كتاباً في ذلك.

● سيد أحمد عروج القادري: نائب أمير الجماعة حاليًا، ورئيس تحرير مجلة **زندنكي (الحياة)** وهي لسان حال الجماعة الإسلامية في الهند.

● أبو الكلام محمد أبو يوسف: أول أمير فعلي للجماعة في بنجلاديش بعد انفصالها عن الباكستان سنة ١٩٧٢م.

● عباس علي خان: الأمير الحالي للجماعة.

● غلام أعظم: الذي كان يعيش في بلاده بدون جنسية، إذ إن الحكومة قد سحبتها منه لإزعاجه ولتضييق الخناق على حركته الدعوية، كان أمير الجماعة الإسلامية في الباكستان الشرقية قبل الانفصال، وبعد خروجه من السجن أصبح أمير الجماعة في بنجلاديش.

الأفكار والمعتقدات:

● عقيدة الجماعة عقيدة أهل السنة والجماعة من حيث الدعوة، ولا يخرج فكرها في مجمله عن هذه العقيدة من دعوة إلى التوحيد والتمسك بكتاب الله وسُنة نبيه، والعمل الحثيث من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في واقع الحياة البشرية.

ـ كان رأي المودودي الدائم: أن الإسلام ليس نظاماً فلسفيًا محضاً للحياة بل هو نظام كامل تام للحياة، وما لم نر نموذجاً له ممثلاً أمامنا فلن نتمكن أبداً من تقديم أيَّة خدمة للإسلام عن طريق الكلام والحديث.

● **أهداف الجماعة: تتلخص أهداف الجماعة فيما يلي:**

ـ الإسلام نظام شامل للبشرية كافة وللمسلمين خاصة.

ـ الدعوة لكل من أظهر الإسلام أن يخلصوا دينهم لله، ويزكوا أنفسهم لتتخلص من التناقض والنفاق.

ـ الدعوة لكل أهل الأرض أن يستخلصوا الحكم الحاضر من الطواغيت(*) المستبدة والفجرة الفَسَدة وأن ينتزعوا الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم وينقلوها إلى أيدي المؤمنين المسلمين.

● لقد ركز المودودي جهاده ضد أربع جهات:

ـ ضد النظرية القومية الواحدة داخل الهند، وهي دعوة رفعها حزب المؤتمر الذي يدعو إلى قومية مشتركة بين الهنادكة والمسلمين، وقد ألف في هذا الصدد كتابيه: **المسلمون والصراع الحالي** و**مسألة القومية**.

ـ ضد سيطرة وتحكم الحضارة الغربية .

ـ ضد القيادات التي تحمل أفكاراً تعارض الفكر الإسلامي .

ـ ضد الأفكار التي تحمل طابع الجمود الديني .

● أكَّد المودودي على ثلاثة أمور لتوطيد الحركة، هي :

ـ لا يكفي أن يكون زملاؤه في العمل أقوياء في عقيدتهم بل يجب كذلك أن يكونوا موثوقين في سلوكهم الفردي .

ـ أن يكون نظام الدعوة محكماً، فلا يقبل التساهل والتهاون .

ـ أن تشتمل الدعوة في آن واحد على عنصرين من الدعاة :

١ ـ أصحاب الثقافة الإسلامية القديمة .

٢ ـ أصحاب الثقافة العصرية الحديثة .

● في خطابه الذي ألقاه في كلية الحقوق بلاهور بتاريخ ١٩/٢/١٩٤٨م أعلن المودودي المطالبة بأربع نقاط رئيسية كأهداف للدولة الباكستانية الوليدة، وهي :

ـ أن الحاكمية في الباكستان لله وحده وليس للحكومة الباكستانية إلا تنفيذ مرضاة الله .

ـ الشريعة الإسلامية[*] هي القانون الأساسي للدولة .

ـ إلغاء جميع القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية ولا يوضع في المستقبل قانون ينافي الشريعة الإسلامية .

ـ على الحكومة الباكستانية أن تمارس سلطاتها ضمن الحدود التي حددتها الشريعة الإسلامية .

● لقد كان صدى هذه النقاط واسعاً، إذ انهالت آلاف الرسائل من مختلف المناطق مطالبة بها ومؤيدة لها، وقد عارضتها الحكومة أول الأمر واعتقلت المودودي وزملاءه بسببها، لكنها ما لبثت أن رضخت لها وصدر قرار الجمعية التأسيسية في مارس ١٩٤٩م المعروف بقرار الأهداف الذي لا يزال يعد أساس الوجهة الإسلامية في الدولة الباكستانية إلى الآن .

● **وسائل الجماعة لتحقيق أهدافها :**

ـ تصحيح الأفكار وتعهدها بالغرس والتنمية لتوضيح الصراط المستقيم، ونقد الغرب الذي افتتن به أغلبية الناس .

ـ استخلاص الأفراد الصالحين وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة .

ـ السعي في الإصلاح الاجتماعي وهو يشمل كل طبقات المجتمع، واتخاذ الحلول العلمية لمشكلاتهم على أساس مبادىء الإسلام الإنسانية من أخوة وعدالة ومساواة .

ـ إصلاح الحكم ويكون ذلك بإيجاد البرامج الإصلاحية للمفاسد الاجتماعية ونشر الوعي الإسلامي الذي يمهد لتسلم رجال صالحين مقاليد الحكم لينهضوا بالإصلاح على أساس كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

● عملت الجماعة على إيجاد حركة طلابية إسلامية منظمة عرفت باسم (إسلامي جمعية الطلبة)، وهي جمعية مستقلة في نشاطاتها وإداراتها.

ـ وقفت الجماعة إلى جانب اللاجئين والمجاهدين الأفغان إذ قدمت لهم المخيمات والمستشفيات وساندتهم، ولا يزال هذا الأمر الشغل الشاغل للجماعة في الباكستان في مرحلة ما بعد الحرب.

● دخلت الجماعة في صراع مع الاشتراكيين والهندوس واللادينيين لمدة تسع سنوات (١٩٤٧م ـ ١٩٥٦م) حتى وضع دستور ١٩٥٦م الذي يعد انتصاراً للاتجاه الإسلامي ولا يزال هذا الصراع يأخذ أشكالاً مختلفة حتى اليوم.

● ورد في دستور الجماعة في الباكستان:

● «أن تتخذ (الجماعةُ) كتاب الله وسُنة رسوله مصدرين للاحتجاج والاستناد في كل شأن من شؤون الحياة».

● «لا يقوم كفاح (الجماعة) لأجل الوصول إلى غايتها على النشاط السري على غرار الحركات السرية في العالم بل إنها تعمل كل ما تعمل علناً وفي وضح النهار».

ـ «أن (الجماعة) تمارس الطرق الدستورية والقانونية للقيام بالإصلاح الذي تنشده والانقلاب الذي تستهدفه، كما أنها تحاول كسب تأييد الرأي العام للتغيير الذي وضعته نصب عينيها».

● للجماعة أمير ومجلس شورى ولها صلات طيبة مع الهيئات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● استمد أبو الأعلى المودودي دعوته ابتداء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● تأثرت دعوته بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ كان شديد الإلحاح على تنقية العقيدة من شوائب الشرك وضرورة العودة دائماً إلى النبعين الصافيين، والرجوع إلى الدليل في كل أمر وترك البدع.

● تأثر المودودي بالفيلسوف الإسلامي محمد إقبال الذي تغنَّى بفكرة انفصال الباكستان المسلمة عن الهند الوثنية(*)، وكان شديد الإعجاب به، وقد التقيا ثلاث مرات فقط

كانت أفكارُهما خلال ذلك متطابقة إلى أبعد الحدود.

● هناك عملية تأثُّر وتأثير بين دعوة الإخوان المسلمين ودعوة الجماعة الإسلامية هذه، وكُتُبُ كلٍّ منهما تُدرس في مناهج الأخرى، وقد وجد حسن البنا في كتاب **الجهاد في الإسلام** الذي ألفه المودودي تطابقاً بينه وبين أفكاره التي يحملها عن الجهاد وأبدى إعجابه به.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تتركز الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية.

● مركز الجماعة الإسلامية في الباكستان هو مدينة لاهور ـ المنصورة.

● على الرغم من أن لأفراد الجماعة قيادات متعددة في كل من بنجلاديش والهند وسيري لانكا وكشمير وغيرها إلا أنها جميعاً ذات اتجاه وفكر واحد لا يختلف من منطقة إلى أخرى، إذ إن ذلك أمر إداري فقط.

● للجماعة وجود ونشاط في الدول الغربية بين أفراد الجالية من شبه القارة الهندية، وقد أسهم أفرادها في الدعوة الإسلامية في الباكستان، وتربية الأجيال المسلمة حيثما وجدوا.

● وجه نقاد الجماعة الإسلامية للمودودي ـ يرحمه الله ـ وللجماعة من بعده بعض النقد الذي لا يخلو من وجاهة أحياناً.

ويتضح مما سبق:

أن الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية هي جماعة إسلامية تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية(*) والوقوف بحزم أمام جميع أشكال العلمانية، وقد أسسها الشيخ أبوالأعلى المودودي يرحمه الله، عقيدة سنية، فهي تتمسك بالكتاب والسُّنة، وتهدف إلى جعل الإسلام نظاماً شاملاً للبشرية كافة وللمسلمين عامة، وترى ضرورة استخلاص المسلمين الحكم من الطواغيت(*)، خروجاً من النظرية القومية الضيقة، ونأياً عن تحكم الحضارة الغربية، ووأداً لكل الأفكار التي تعارض الفكر الإسلامي، وتحقيقاً لسيادة الأفكار التي تقضي على الجمود الديني. وقد كافح المودودي من أجل تأكيد أن الحاكمية لله وحده، وأنه ليس للحكومة إلا تنفيذ مرضاة الله، ورأى وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلغاء جميع القوانين المخالفة لها، وبين أن الحكومة الباكستانية تمارس سلطاتها ضمن حدود الشريعة الإسلامية. وقد اعتقل المودودي بسبب هذا الإعلان، ولكنَّ الحكومة رضخت لهذه

المبادىء بعد ذلك. وترى الجماعة وجوب السعي في الإصلاح الاجتماعي ونشر الوعي الإسلامي وإيجاد حركة إسلامية طُلَّابية منظمة، للعمل في سبيل إعلاء شرع الله.

مراجع للتوسع:

- **أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته**، أسعد جيلاني ـ ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ـ شركة الفيصل بلاهور ـ طبعته الأولى بالعربية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- **الإمام أبوالأعلى المودودي: حياته، دعوته، جهاده**، خليل أحمد الحامدي ـ المكتبة العلمية ـ لاهور ـ الباكستان ـ ١٩٨٠م.
- **الموسوعة الحركية** (مجلدان، فتحي يكن ـ دار البشير ـ عمان ـ الأردن ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- **دستور الجماعة الإسلامية بباكستان**، نقله إلى العربية خليل أحمد الحامدي ـ دار العروبة ـ المنصورة ـ لاهور ـ باكستان ـ ١٩٨٢م.
- **المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي**، محمد الحسن.
- **كتب ومؤلفات أبي الأعلى المودودي** وهي كثيرة ومعروفة.
- **الجماعة الإسلامية في سطور**.
- **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية**. أبو المكرم بن عبد الجليل ط. مكتبة دار السلام بالرياض ولاهور.
- **أثر دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الحركات الإسلامية المعاصرة**. صلاح الدين مقبول ط. مجمع البحوث العلمية الإسلامية نيودلهي ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢١ـ حركة الاتجاه الإسلامي بتونس «حزب النهضة»

التعريف:

حركة(*) الاتجاه الإسلامي بتونس، حركة إسلامية، قامت على منهج(*) فكر الإخوان المسلمين في العالم الإسلامي، وظهرت كرد فعل شعبي ضد التطرف العلماني المتمثل في الاستهتار بالإسلام وقيمه وأحكامه، ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية واستشراء الاستبداد السياسي. وقد بدأها راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو واحميده النيفر، والتف حولهم عدد من الشباب وشكلوا جميعاً النواة الأولى لانتشار الفكرة الإسلامية، وأصبحت المساجد والمعاهد والجامعات رافداً أساسياً للحركة الإسلامية، التي واصلت معركتها ضد رموز التبعية والتغريب. وظلت تنشط في الساحة التونسية حتى صدر قرار بحلها وبدأ اعتقال قادتها وشبابها في ظل الحكم الحالي، إلا أنها حركة مستقلة في قرارها. ومازال لها وجود داخل تونس وخارجها على الرغم من المطاردة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

تأسست حركة الاتجاه الإسلامي في ١٩٦٩م بتونس بعد سلسلة من الأحداث كان هدفها محو الشخصية الإسلامية لتونس، ومن أبرز شخصيات هذه الحركة:

● الدكتور راشد الغنوشي:

ـ مؤسس حركة الاتجاه الإسلامي.

ـ ولد في مدينة الحامة بولاية قابس بالجنوب الشرقي لتونس سنة ١٩٣٩م ودرس في دمشق.

ـ أتم دراسته العليا في الفلسفة والتربية في فرنسا، اعتقل مرات كثيرة في أواخر السبعينات وحوكم في صائفة سنة ١٩٨١م وحكم عليه بعشر سنوات سجناً، ثم أطلق سراحه سنة ١٩٨٤م ثم اعتقل في ٩ مارس ١٩٨٧م وعندما أفرج عنه خرج من البلاد. ويعيش الآن في الخارج.

● الشيخ عبد الفتاح مورو:

ـ الأمين العام لحركة الاتجاه الإسلامي.

ـ من مواليد سنة ١٩٤٨م في تونس ـ حصل على إجازة الحقوق سنة ١٩٧٠م، وتولى مهنة القضاء حتى سنة ١٩٧٧م، ثم التحق بالمحاماة.

ـ التقى مع راشد الغنوشي سنة ١٩٦٩م وتعاهدا على العمل والدعوة للإسلام، وتأثر الاثنان بفكر سيد قطب ـ يرحمه الله.

ـ وخلال تعرض الحركة(*) للمحنة في عهد ابن علي (خليفة بورقيبة) في ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م انشق عن الحركة وشكل جماعة جديدة.

أحداث وتطورات الحركة:

● منذ أن أعلن بورقيبة سنة ١٩٤٥م ـ قبل إعلان الاستقلال بسنتين أنه ينوي إقامة حكم لا ديني في البلد، قرر بورقيبة وحزبه ـ فعلاً ـ تجريد البلد من كل مقوماته الإسلامية.. ففي سنة ١٩٥٧م أعلنت قوانين الأحوال الشخصية التي تقطع علاقتها بالشريعة الإسلامية(*) في مجال الأسرة. وفي سنة ١٩٥٨م ألغيت الأوقاف العامة، و١٩٥٩م منع التعليم الديني و١٩٦٠م شن بورقيبة حرباً ضد الصيام و١٩٦٢م ألغي التقويم الهجري، و١٩٦٥م ـ فتح أول ناد للعراة، و١٩٦٨م بدأت تعرية المرأة المسلمة من لباسها الإسلامي. و١٩٦٩م بدأت حملة لغلق المساجد، و١٩٧٤م بدأ بورقيبة بإلقاء محاضرات ضد القيم الإسلامية، وتهجم على القرآن الكريم والسنة النبوية، والآداب الشرعية والعادات الإسلامية.

ـ وكان من نتيجة هذه الأحداث تحرك بعض الغيورين على الإسلام، ومنهم الشيخ راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو للوقوف ضد هذه الهجمة الشرسة، وتأسيس حركة الاتجاه الإسلامي سنة ١٩٦٩م.

ـ وبارك الله في الدعوة الإسلامية فانضم إليها الشباب من الجنسين وطلاب الجامعات، وبرزت ملامح الإسلام عليهم، من إطلاق اللحى إلى الزي الشرعي وغير ذلك.

أهداف الاتجاه الإسلامي بتونس:

● بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بأفريقيا، ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.

● تجديد(*) الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب.

● استعادة الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية.

● إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعاً عادلاً على ضوء المبدأ الإسلامي «الرجل وبلاؤه، والرجل وحاجته» أي «من حق كل فرد أن يتمتع بثمار جهده في حدود مصلحة الجماعة، وأن يحصل على حاجته في كل الأحوال» حتى تتمكن الجماهير من حقها الشرعي المسلوب في العيش الكريم بعيداً عن كل ضروب الاستغلال والدوران في فلك القوى الاقتصادية الدولية.

● المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام على المستوى المحلي والمغربي والعربي والعالمي، وحتى يتم إنقاذ شعوبنا والبشرية جمعاء مما تردت فيه من ضياع نفسي وحيف اجتماعي وتسلط دولي.

وتتخذ الحركة الوسائل التالية لتحقيق هذه المهام:

● إعادة الحياة إلى المسجد كمركز للتعبد والتعبئة الجماهيرية الشاملة أسوة بالمسجد في العهد النبوي، وامتداداً لما كان يقوم به الجامع الأعظم، جامع الزيتونة، من صيانة للشخصية الإسلامية ودعماً لمكانة البلاد كمركز عالمي للإشعاع الحضاري.

● تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، ومن ذلك: إقامة الندوات وتشجيع حركة التأليف والنشر، وتأصيل وبلورة المفاهيم والقيم الإسلامية في مجالات الأدب والثقافة عامة وتشجيع البحث العلمي ودعم الطلاب، واللباس الشرعي للفتيات.

ـ هذا الوضع أثار صحيفة **اللوموند** الفرنسية فكتبت صفحة كاملة سنة ١٩٧٤م تحذر بورقيبة من ظاهرة الصحوة الإسلامية، وخطرها على التقدم والمدنية في تونس.

ـ في السنة نفسها شنَّت جرائد الحزب الحاكم حملة شعواء على الإسلاميين، وسخرت منهم. ثم انتقلت إلى التهديد والوعيد، وما إن أعلن راشد الغنوشي عن تشكيل المكتب السياسي العلني الأول لحركة الاتجاه الإسلامي، وتقدم بطلب رسمي للترخيص القانوني بقيام الحزب حتى دخلت مجال العمل السياسي وبدأت الحرب ضدها.

● سنة ١٩٨١م فتحت أبواب السجون لرجال الحركة(*) الإسلامية، وصدرت أحكام بسجن ما يقرب من ٢٠٠ منهم بتهم ملفقة.

● سنة ١٩٨٤م أطلق سراح العاملين بحركة الاتجاه الإسلامي، وحرموا حقهم في الوظيفة، ومنعت صحفهم الإسلامية ودروسهم المسجدية.

● سنة ١٩٨٦م أعلن بورقيبة أنه سيكرس السنوات العشر القادمة من حياته لمحاربة الاتجاه الإسلامي.

● وفي سنة ١٩٨٧م/ رجب ١٤٠٧هـ أعيد رجال الحركة إلى السجون التونسية.

- وفي هذه السنة نفسها سقط بورقيبة ومات سياسياً على يد حركة الاتجاه الإسلامي.

● وجاء ابن علي خليفة بورقيبة واستبشر المسلمون خيراً، إلا أنه اتّبع سياسة بورقيبة بعد ذلك في محاربة حركة الاتجاه الإسلامي. . ورجال الحركة (حاليًا) ١٤١٧هـ بين سجين ومطارد.

المبادىء والأفكار:

● جاء في البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي أن الحركة تعمل على تحقيق المهام التالية:

- الإعلام الملتزم حتى يكون بديلاً عن إعلام الميوعة والنفاق.
- دعم التعريب في مجال التعليم والإدارة مع الاهتمام باللغات الأجنبية.
- رفض العنف كأداة للتغيير وتركيز الصراع على أسس شورية تكون هي أسلوب الحسم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة.
- رفض مبدأ الانفراد بالسلطة الأحادية (Unipartisme) لما يتضمنه من إعدام لإرادة الإنسان، وتعطيل لطاقات الشعب، ودفع البلاد في طريق العنف، مع إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية، والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.
- بلورة مفاهيم الإسلام الاجتماعية في صيغ معاصرة، وتحليل الواقع الاقتصادي التونسي حتى يتم تحديد مظاهر الحيف وأسبابه، والوصول إلى بلورة الحلول البديلة.
- الانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكبرين والمترفين.
- دعم العمل النقابي بما يضمن استقلاله وقدرته على تحقيق التحرر الوطني بجميع أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية.
- اعتماد التصور الشمولي للإسلام، والتزام العمل السياسي بعيداً عن اللادينية والانتهازية.
- تحرير الضمير المسلم من الانهزام الحضاري إزاء الغرب.
- بلورة وتجسيم الصورة المعاصرة لنظام الحكم الإسلامي بما يضمن طرح القضايا الوطنية في إطارها التاريخي والعقائدي والموضوعي مغربيًّا وعربيًّا وإسلاميًّا وضمن عالم المستضعفين عامة.
- توثيق علاقات الأخوة والتعاون مع المسلمين كافة: في تونس وعلى صعيد

المغرب والعالم الإسلامي كله.

ـ دعم ومناصرة حركات التحرر في العالم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ حركة(*) الاتجاه الإسلامي قامت على منهج(*) حركة الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي.

ـ كما تأثرت الحركة بمنهج المدرسة العقلية (المعتزلة ـ أهل الكلام) في التاريخ الإسلامي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انتشر فكر الحركة(*) في تونس بشكل خاص، وأعلنت الحركة عام ١٩٨٥م عن مكتبها التنفيذي الثالث برئاسة الأستاذ راشد الغنوشي والأستاذ عبد الفتاح مورو أميناً عامًّا، وعضوية السادة حمادي الجبالي والحبيب اللور والحبيب السويسي، واعتُرِف بالحركة رسميًّا عندما استقبلهم الوزير الأول محمد المزالي في قصر الحكومة، واعترفت كل الأطراف بالوجود السياسي الفعلي لحركة الاتجاه الإسلامي، واضطرت للتعامل معها. وكانت جريدة **الرأي** وسيلة النشر لمؤلفات بعض مفكري الحركة مثل الدكتور عبدالمجيد النجار ومحسن الميلي وعندما تولى ابن علي السلطة أفرج عن رموز الحركة في البداية، واضطر قادتها في ٨ فبراير ١٩٨٩م أن يتقدموا بطلب تأشيرة للسماح للحركة بمزاولة نشاطها تحت اسم جديد هو «حزب النهضة» تمشياً مع قانون الأحزاب، ولكن سرعان ما غيرت السلطة موقفها وقلبت لهم ظهر المجنِّ، وسارعت إلى القبض على الكثير من شباب الحزب وأودعتهم السجون، واضطر الكثيرون من رموز الحركة إلى الفرار بدينهم إلى خارج البلاد بعد مصادرة نشاطها.

ويتضح مما سبق:

أن حركة الاتجاه الإسلامي بتونس هي حركة إسلامية تتبنى كثيراً من المفاهيم الفكرية لحركة الإخوان المسلمين، وهدفها القضاء على المد العلماني، وبعث الشخصِية الإسلامية وتجديد(*) الفكر الإسلامي في ظل أصول الإسلام الثابتة، وإعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية، وبعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام

داخل البلاد وخارجها في ظل إعلام إسلامي ملتزم، ورفض كامل للعنف كأداة للتغيير، وتكريس السلطة الإسلامية الشورية الجماعية، والانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين.

مراجع للتوسع:

- **معلومات عن حركة الاتجاه الإسلامي بتونس** ـ (نشرة موسعة باللغة العربية عن الحركة).
- **تصريحات ومقابلات كل من الشيخ راشد الغنوشي والشيخ عبد الفتاح مورو ـ في كل** من:
- **مجلة المجتمع الكويتية في** ١٥/ ١/ ١٩٨٥م ـ ٤/ ١٠/ ١٩٨١م.
- **مجلة الإصلاح** العدد ١١٣ و١١٤ في ١/ ٦/ ١٩٨١م.
- **مجلة الغرباء** رمضان ١٤٠٧هـ آيار ١٩٨٧م.
- **مجلة البلاغ في** ١٢/ ٩/ ١٩٨٤ و٢٣/ ٨/ ١٩٨١م.
- **البيان التأسيسي للحركة في** ٦/ ٦/ ١٩٨١م.
- **حركة الاتجاه الإسلامي في تونس** ـ راشد الغنوشي ـ نشر دار القلم ـ الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٢ـ حزب السلامة الوطني (الرفاه الإسلامي)

التعريف:

حزب السلامة حزب(*) إسلامي تركي يعمل على إعادة بناء الحياة وصياغتها من جديد على أساس مبادىء الإسلام، وقد اختار الطريق السياسي وسيلة لتحقيق أفكاره على أرض الواقع، واضعاً كل طاقاته للوقوف أمام التيار العلماني الذي سيطر على تركيا إثر زوال الخلافة(*) العثمانية. وقد غير اسم الحزب حديثاً إلى حزب الرفاه الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس نجم الدين أربكان: المولود عام ١٩٢٦م بمدينة سينوب على البحر الأسود، يرجع نسبه إلى أسرة عريقة، تخرج من كلية الهندسة باستانبول عام ١٩٤٨م وأوفد إلى ألمانيا لينال الدكتوراه عام ١٩٥٣م من جامعة آخن في المحركات والترموديناميك.

ـ كان متفوقاً على جميع أقرانه خلال مراحل الدراسة المختلفة.

ـ يذكر ملف الجامعة التكنيكية بألمانيا عنه: «أنه كان أثناء دراسته يكثر من شيئين: الصلاة وعمل المشروعات».

ـ احتل عدداً من المناصب الجامعية العليا في بلده، ونشر عدداً من الأبحاث العلمية المختلفة والتي تدور حول المحركات والآليات.

ـ أول انعطاف سياسي له كان في عام ١٩٦٨م عندما صار عضواً في مجلس إدارة اتحاد غرف التجارة والصناعة التركي.

ـ في انتخابات عام ١٩٦٩م رشح أربكان نفسه مستقلاً عن قونية، وقد فاز بمعظم أصواتها، وذلك بمؤازرة عشرة آلاف شاب من خريجي المعاهد الدينية.

ـ عقد نجم الدين عدة مشاورات مع الشخصيات الإسلامية البارزة، وبعدها شكَّل مع مجموعة من أصدقائه (حزب النظام الوطني) في ٢٦ يناير ١٩٧١م الذي اتخذ رمزاً له قبضة يد منطلقة في الهواء وأصبع الشهادة موجهاً نحو الأمام.

ـ في إبريل ١٩٧١م اصطنعت له بعض التهم، إذ قُدِّم للمحكمة التي أصدرت أمراً بإلغاء حزبه الذي لم يستمر سوى (١٦) شهراً، مع مصادرة ممتلكاته، ومنع شخصياته من العمل من خلال أي حزب سياسي آخر، ومنعهم من تأسيس أي حزب جديد، كما أنه لا يجوز لهم ترشيح أنفسهم ولو كانوا مستقلين.

ـ ازدادت موجة العنف والاضطراب في تركيا من أوائل ١٩٧١م، وقد أيقنت الحكومة حينها أن عودة الإسلاميين إلى الساحة قد يوازن الأمور.

ـ لم يكن بإمكان أربكان أن يتقدم للحصول على ترخيص للحزب الجديد، إذ تقدم عنه كل من:

١ ـ عبد الكريم دوغر: مدير شركة الآزوت، والذي صار فيما بعد وزيراً للتكنولوجيا.

٢ ـ طورهان أكيول: وهو من رجال الاقتصاد.

ـ تمَّ تأسيس حزب السلامة فعلاً وبترخيص حكومي في ١١/ ١٠/ ١٩٧٢م.

ـ إثر انتخابات ١٤/ ١٠/ ١٩٧٣م شكَّل حزب(*) السلامة مع حزب الشعب ائتلافاً وزاريًّا أحرز فيه أربكان منصب نائب رئيس الوزراء كما نال الحزب سبع وزارات هي وزارات الدولة والداخلية والعدل والتجارة والجمارك والزراعة والتموين والصناعة.

ـ سقطت هذه الوزارة بعد تسعة أشهر ونصف.

ـ انضم حزب السلامة إلى حزب الحركة وحزب العدالة لتشكيل الائتلاف الوزاري الجديد في ١/ ٨/ ١٩٧٧م.

ـ في ٥/ ١٢/ ١٩٧٨م طالب المدعي العام التركي فصل أربكان عن حزبه بدعوى أنه يستغل الدين في السياسة، وهو أمر مخالف لمبادىء أتاتورك العلمانية.

ـ في ١٢/ ٩/ ١٩٨٠م قاد الجنرال كنعان إيفرين انقلاباً تسلم الجيش بموجبه زمام الأمور في البلاد.

ـ اعتقل نجم الدين مع ٣٣ من قادة حزبه ورجالاته البارزين، وحدد يوم ٢٤/ ٤/ ١٩٨١م موعداً لمحكمة عسكرية.

ـ في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٥م خرج أربكان من السجن، ووضع تحت الإقامة الجبرية التي استمرت حتى أواخر العام ذاته، وقد حضر إلى مكة معتمراً مع بداية عام ١٩٨٦م، وقد عاود نشاطه من جديد من خلال حزبه الجديد المسمى بحزب الرفاه.

ـ في أوائل عام ١٩٩٦م استطاع الحزب اكتساح منافسيه في الانتخابات التشريعية في البلاد، وبذلك تولى البروفيسور نجم الدين أربكان رئاسة الوزارة للمرة الأولى .

● حسن أقصاي: من كبار رجال حزب السلامة، وقد شغل منصب وزير الشؤون الدينية.

الأفكار والمعتقدات:

● لا يوجد ثمة خلاف بين أفكار حزب النظام الوطني وأفكار حزب السلامة ذلك؛ لأن تغيير الاسم لم يكن غير أمر شكلي.

● ترتكز أهداف حزب السلامة على خمسة مبادىء.

ـ السلام والأمن في الداخل.

ـ امتزاج الأمة بالدولة.

ـ تركيا الكبيرة من جديد.

ـ النهضة الأخلاقية.

ـ النهضة المادية.

● في ٢٦/ ٤/ ١٩٨٠م ألقى نجم الدين أربكان خطاباً أمام البرلمان التركي دعا فيه إلى:

ـ أمم متحدة للأقطار الإسلامية.

ـ سوق إسلامية مشتركة.

ـ إنشاء عملة إسلامية واحدة (الدينار الإسلامي).

ـ إنشاء قوة عسكرية تدافع عن العالم الإسلامي.

ـ إنشاء مؤسسات ثقافية تبني الوحدة الثقافية والفكرية على أساس المبادىء الإسلامية.

● من آراء وأفكار الحزب الأخرى:

ـ ضرورة عودة المؤسسات المهمة التي تكرس العقيدة الإسلامية.

ـ العمل على إرجاع الناس إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ـ الحكم وسيلة لمرضاة الله وخدمة للأمة.

ـ إصلاح التعليم ليكون أداة موجهة إلى الأخلاق الفاضلة.

ـ افتتاح المصانع في الأناضول واستيعاب الشباب للعمل فيها بدلاً من

هجرتهم للعمل في أوربا مما يفقدهم دينهم وأخلاقهم.

- ضرورة مقاطعة السوق الأوربية المشتركة.
- إصلاح جهاز الإعلام ليخدم مصالح الأمة وينمي ثقافتها.
- لا بد من قيام التصنيع الثقيل وكذلك التصنيع الحربي.

● أثناء مشاركة الحزب في الحكم رفع شعار «مصنع لكل ولاية» وقد وضع هذا الشعار موضع التنفيذ لكنه لم يمهل ليتم إنجازه الذي بدأ به ومن تصوراته:

- فتح عدد كبير من المدارس للأئمة والخطباء.
- تدريس مادة الأخلاق(*) في المدارس واعتبارها مادة إجبارية.
- السماح للأتراك بالسفر برًّا إلى الحج.
- العفو السياسي والذي يشمل الإسلاميين.
- الدعوة إلى إلغاء الربا بكل أشكاله.
- الدعوة إلى عودة الكتابة بالحروف العربية وإقصاء الكتابة بالحرف اللاتيني.
- بناء المساجد في المدن والقرى وتشكيل إدارة قوية للأوقاف الإسلامية.
- مناصرة القضية الفلسطينية واعتبارها قضية إسلامية، وقد ظهر ذلك في:

١ ـ الوقوف ضد التوجه الإسرائيلي في الحكومة التركية.

٢ ـ المطالبة بقطع علاقات تركيا مع إسرائيل إثر إطلاق دعوتها إلى نقل العاصمة إلى القدس.

٣ ـ الفوز بالاقتراع على حجب الثقة عن وزير الخارجية التركي خير الدين أركمان وإقالة هذا الوزير من منصبه بسبب ولائه الشديد للغرب ولإسرائيل.

٤ ـ مؤتمر قونية الإسلامي الذي خرج فيه مائة ألف مسلم يوم ٦/ ٩/ ١٩٨٠م وهم يرددون شعارات إسلامية يطالبون فيها بتطهير القدس من اليهود، ويطالبون بفتح باب الجهاد(*) من أجل تحريرها.

٥ ـ فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في تركيا.

٦ ـ الإشادة بالمواقف المشرفة التي وقفها السلطان عبد الحميد من القضية الفلسطينية.

- تنمية شعور الاعتزاز بالانتماء إلى أمة الإسلام.
- التأكيد على أن (اليمين واليسار والوسط) إنما هي أوجه مختلفة لعملة علمانية واحدة تقف على قدم واحدة أمام التيار الإسلامي، وترسيخ فكرة أن

حزب(*) العدالة ليس بأقل شرًا ولا أهون خطباً من حزب الشعب في موقفهما المعادي للإسلام.

● قال أربكان مرة: «إنهم قد اتهمونا بالرجعية والتخلف، لكنهم يخجلون إذا علموا أن نواب حزب السلامة في البرلمان وهم خمسون نائباً يشكلون ٩٥٪ من مثقفي المجلس».

● تصدى الحزب للماسونية وطلب إعادة النظر في محافلها وعمل على الكشف عن حقيقتها المعادية للدين(*) والوطن.

● في الفترة التي شارك فيها الحزب في السلطة تدخلت القوات التركية وأحرزت نصراً عسكريًا مؤزراً في قبرص.

● دعا الحزب إلى العمل من أجل تغيير الدستور التركي الكمالي.

● في يناير ١٩٧٥م استصدر الحزب من البرلمان قانوناً يجيز لبني عثمان العودة إلى ديارهم بعد أن طردوا منها منذ صدور قرار ٣/ ٣/ ١٩٢٤م عقب استيلاء أتاتورك على الحكم.

● هناك صحيفتان تعبران عن وجهة نظر الحزب(*) هما: **مللي جازيت ويني دور**.

● هذا ويؤخذ على الحزب أنه يعنى بالتجميع والكثرة العددية على حساب التربية والعمل الهادىء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● أفكارهم ومعتقداتهم إسلامية سنية في جوهرها، ومستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● استفاد حزب السلامة من الشعور الديني المتنامي الذي هيأته جماعة النور وعملت على ترسيخه والمحافظة عليه في تركيا، وذلك على الرغم من أن أنصار النور لم يلتحقوا جميعاً بالحزب الجديد.

● يعد حزب السلامة امتداداً لحزب النظام الوطني، وحزب الرفاه الحالي امتداداً لهما جميعاً.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● إن الأراضي التركية هي مسرح هذا الحزب(*) الإسلامي الذي يسعى إلى

إيقاظ الروح الإسلامية والمحافظة على التراث الإسلامي فيها بعد أن كادت هذه الجذوة تنطفىء بسبب التغريب والعلمنة.

● لقد زاد عدد المدارس الإسلامية بسبب حزب السلامة ليصل إلى ٢٨٠٠ مدرسة لتحفيظ القرآن، وبلغ عدد مدارس الأئمة والخطباء ١٧٢ مدرسة، وأربعة معاهد عليا يدرس بها ٢٤ ألف طالب فضلاً عن ٥٠٠٠ مدرس لتدريس مادة الأخلاق(*) والتي هي في جوهرها مادة الدين(*) في تركيا.

ويتضح مما سبق:

أن حزب السلامة الوطني أو ما يعرف الآن بحزب الرفاه، على الرغم من أنه لا يحمل لافتة أو تسمية إسلامية، بسبب أنظمة تركيا العلمانية، التي لا تسمح بالترخيص لأي حزب أو جماعة دينية، إلا أنه يتبنى أيديولوجية(*) إسلامية تقوم على الإيمان بالله والاهتمام بالأخلاق والاعتزاز بحضارة الإسلام والعودة بتركيا إلى تراثها الإسلامي.

مراجع للتوسع:

- **العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا**، عبد الكريم مشهداني، منشورات المكتبة الدولية بالرياض، مكتبة الخافقين بدمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، مصطفى محمد، ألمانيا الغربية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **الموسوعة الإسلامية** «جزءان»، فتحي يكن، دار البشير، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م.
- **مجلة الشهاب البيروتية**، العدد الخامس، السنة التاسعة، ١٩٧٤م.
- **مجلة الشهاب البيروتية**، العدد السادس، السنة التاسعة، ١٩٧٥م.
- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٩٦، السنة السابعة، إبريل ١٩٧٦م.
- **صحيفة الميثاق المغربية**، العدد ٢٩١، ربيع الآخر، ١٣٩٩هـ.
- **مجلة القبس الكويتية**، ١٢ إبريل ١٩٧٧م، وهي تنقل عن صحيفة انجلس تايمز.

٢٣- الحزب الإسلامي الكردستاني
(بارتيا إسلاميًّا كوردستاني باك)

التعريف:

الحزب الإسلامي الكردستاني: حزب(*) سياسي إسلامي يهدف إلى تكوين دولة إسلامية في منطقة كردستان، ورفع الظلم والتمزق الواقع على الأكراد خاصة ومحاربة المخططات الاستعمارية تجاههم.

نظرة جغرافية وتاريخية:

● تقع كردستان (أرض الأكراد) في كل من تركيا وإيران والعراق وسورية والاتحاد السوفيتي السابق. وتبلغ مساحتها نصف مليون كيلومتر مربع تقريباً. وعدد سكانها ٤٠ مليون نسمة، يدين أكثرهم بالإسلام - وهم سنّة - وتوجد أقليات كردية في كل من باكستان وأفغانستان والسودان.

● تمتاز كردستان بثروتها النفطية والمعدنية والحيوانية والمائية، إذ يمر فيها أنهار دجلة والفرات وآراس والخابور.

● يتكلم الأكراد اللغة الكردية التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الإيرانية، التي تمثل فرعاً من أسرة اللغات الهندية وأوربية التي تضم: الكردية والفارسية والبشتو والطاجيكية. وتكتب اللغة الكردية في إيران والعراق بالحرف العربي، وفي تركيا وسورية بالحرف اللاتيني، وفي الدولة التي تسلل إليها الاتحاد السوفيتي بالحرف الروسي.

● تعد كردستان مهد البشرية (في الجودي، بعد الطوفان). وفي القرن السادس قبل الميلاد سقطت مملكة ميديا الكردية على أيدي الفرس الأخمينيين.

● وفي عام ١٨ من الهجرة النبوية دخل الإسلام إلى كردستان على يد عياض بن غنم، رضي الله عنه، واستمر الأكراد منذ ذلك التاريخ حماة الإسلام وحملته، فكان منهم صلاح الدين الأيوبي هازم الصليبيين.. ومنهم العلماء والمصلحون أمثال ابن تيمية وابن حجر وابن الصلاح وغيرهم كثير.

● قسمت كردستان بعد الحرب العالمية الأولى، ووزعت على العراق وسورية وتركيا وإيران وروسيا.

● اتبعت الدول المذكورة فيهم سياسة التتريك، والتعريب، والتفريس، مع محاولة القضاء على إسلامهم وشجاعتهم، بإثارة النزعات القبلية ونشر الأفكار الماركسية والعلمانية فيهم. . ولم يخضع الأكراد لهم، فقامت ثورات لم تنطفىء شعلتها حتى يومنا هذا. وأهم هذه الثورات:

- في تركيا:

١ - ثورة الشيخ سعيد بيران سنة ١٩٢٥م.

٢ - ثورة الجنرال إحسان نوري باشا سنة ١٩٢٧ - ١٩٣٠م.

٣ - ثورة وبرسم سنة ١٩٣٧م.

- وفي إيران:

- ثورة قاضي محمد، وجمهورية مهاباد الكردية سنة ١٩٤٥م.

- وفي العراق:

١ - ثورة الشيخ محمود الحفيد سنة ١٩٢٠ - ١٩٣٠م.

٢ - ثورة الشيخ أحمد البرزاني سنة ١٩٣١م.

٣ - ثورة الملا مصطفى البرزاني سنة ١٩٣٥ و١٩٤٣م.

وانتهت ثورة البرزانيين سنة ١٩٧٥م بعد اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

اجتمع بعض الإسلاميين الأكراد، في موسم الحج بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٤٠٠هـ في مكة المكرمة، وتباحثوا في قضية شعبهم الكردي المسلم، وما أصابهم من تمزق ودمار وهلاك على يد السلطات في البلاد الموزعين فيها. . ومحاولة القضاء عليهم بجميع السبل وبمختلف الحجج الواهية.

وتبع ذلك قيام حركات وطنية وقومية غلب على كثير منها طابع العلمانية الاشتراكية، فكانت في حال عداء للإسلام. وقد أدى هذا إلى تشويه سمعة الأكراد في النصف الثاني من هذا القرن، من خلال ما كانت تطرحه الأحزاب(*) من إلحاد(*) ومخالفات للدين(*) واستخفاف به أو إهمال له. وكان من المحزن أن يضطر كثير من المتدينين إلى الالتحاق بتلك الأحزاب بسبب عدم وجود البديل الإسلامي الكردي.

وقد وجد المجتمعون الحاجة ماسة إلى إقامة حزب(*) إسلامي في كردستان يشعر بآلام الشعب الكردي المسلم، ويحل عقده، ويحمل عنه بعض همومه ومشكلاته، ويطلق طاقاته نحو بناء الدولة المسلمة التي تحمل شعار الإسلام ديناً ودولة، وتطبق الإسلام في

جميع مجالات الحياة. . وقرر المجتمعون تأسيس هذا الحزب الذي أطلقوا عليه «بارتيا إسلاميا كردستاني» (الحزب الإسلامي الكردستاني).

وعقب هذا الاجتماع عقد أربع مؤتمرات عامة للحزب خارج كردستان. وفي المؤتمر الأخير منها قررت المبادىء الأساسية لفكر الحزب وحركته، كما تقرَّر النظام الداخلي، الذي اعتمد فتح مكاتب للحزب في أوروبا وأمريكا الشمالية.

وتم إصدار مجلة **جودي** الناطقة باسم الحزب باللغات العربية والتركية والكردية. و«جودي» هو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام، وموطنه كردستان، وهو يعد مهد البشرية الثاني بعد الطوفان حيث انطلقت البشرية من سفوحه لتعمر شتى بقاع الأرض.

● ومن أبرز شخصيات الحزب، كما وردت في كتب صدرت عن القضية الكردية عربية وأجنبية، هي:

- الدكتور مظفر من العراق
- الدكتور صالح كابوري من سورية
- أسروان من الولايات المتحدة الأمريكية.
- م. الكردي من السودان
- م. كزب شوتي من تركيا

الأفكار والمعتقدات:

● الشعب الكردي المسلم جزء من الأمة الإسلامية الواحدة، وكردستان المسلمة جزء من دار الإسلام الكبرى، وهي وطن الشعب الكردي تاريخياً وجغرافياً، وتشمل تلك الأرض التي يكوِّن الكرد غالبية سكانها.

● الشعب بيده السلطات: الاجتهادية والتنفيذية والقضائية. ومصدر التشريع كتاب الله تعالى وسنة رسول الله، ﷺ، وينوب عن الشعب في حمل سلطاته مجلس الشورى المنتخب من قبل الشعب.

● الكليات التي ترعاها السلطات للمجتمع حفظاً وتكميلاً وتحسيناً هي: الدين(*) والعقل(*) والعرض والنفس والمال. والخصوصيات التي ترعاها للأفراد كل الحاجات المادية وبناء العلاقات بين أفراد المجتمع على الأخلاق الإسلامية الصحيحة.

● الدعوة لنشر الإسلام لا تكون إلا بإقناع العقول، وتأليف القلوب، ولا إكراه في الدين، أما الجهاد(*) فهو القتال في سبيل الله لدفع الظالمين المتكبرين، والدفاع عن المظلومين المستضعفين مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

● العلم حق عام، والعلم بأصول الدين فرض عين على المسلمين.

● الحرية(*) حق عام. وهي مصونة في التفكير والتعبير والمعتقد، والتأليف والنشر وتأليف التجمعات النقابية والنسائية ما لم يتعارض شيء من ذلك مع الإسلام.

● المرأة مثل الرجل تتساوى معه في الحقوق والواجبات وفي بناء المجتمع وتوجيهه. والتمييز القائم بينهما مفروض شرعاً بسبب التكوين الخلقي والوظيفة الاجتماعية.

● الأسرة الصالحة هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع السليم. وينبغي دعم الأسرة وتقوية الروابط بين أفرادها والتشجيع على النسل والزواج بتيسير أسبابه وتوفير مطالبه.

● المسألة الاقتصادية تحل وفق تعاليم الإسلام.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يرجع الحزب الإسلامي الكردستاني في أصوله الفكرية والعقائدية إلى المذهب الماتريدي.

● أما أصوله الحركية والدعوية فترجع إلى حركة الإخوان المسلمين.

● وفي الفقه يتبع الحزب فقه الإمام الشافعي يرحمه الله، الذي هو مذهب عامة الأكراد تقريباً.

● والحزب الإسلامي الكردستاني ليس حزباً قوميًّا كما يوحي اسمه، وهدفهم هو إنشاء دولة إسلامية كردية في منطقة كردستان، تحكِّم الإسلام في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أماكن الانتشار:

ينتشر الحزب الإسلامي الكردستاني في جميع مناطق كردستان في كل من تركيا والعراق وسورية وإيران.

يتضح مما سبق:

أن الحزب الإسلامي الكردستاني يدين بعقيدة سنية في مجملها، ويظهر هذا في مبادىء الحزب ونظامه الداخلي وتصريحات زعمائه في جميع المؤتمرات التي عقدها. وهو يهدف إلى إقامة دولةٍ إسلامية للجمع بين المسلمين في كردستان، ورفع الظلم عنهم، ومحاربة المخططات الاستعمارية تجاههم. والحزب جزء من الحركة الإسلامية التي تهدف إلى تحكيم شرع الله في شتى مجالات الحياة.

مراجع للتوسع:

- **كردستان وطن وشعب بدون دولة**: جواد الملا ـ لندن ١٩٨٥م.
- **مجلة جودي** الصادرة في أوربا باللغتين العربية والتركية منذ عام ١٤٠٠هـ والناطقة باسم الحزب الإسلامي الكردستاني.
- مجلات وصحف تركية.
- **نشرات جمعية حقوق الإنسان الكردية** ـ في لندن.
- **محاضر جلسات المؤتمر الإسلامي الأول** الذي عقد في كولونيا بألمانيا في ٢١/ ١/ ١٩٩٠م لبحث القضية الكردية.
- **محاضر جلسات المؤتمر الإسلامي الأول** الذي عقد في لندن عام ١٩٨٩م، ومؤتمر بشاور عام ١٤١١هـ.
- نشرة: **تعريف عام بالقضية الكردية** وهي الكلمة التي ألقاها الدكتور محمد صالح، أحد مؤسسي الحزب الإسلامي الكردستاني في المؤتمر السنوي الثالث عشر لرابطة الشباب المسلم العربي في ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٠م في الولايات المتحدة الأمريكية.

مراجع أجنبية:

Lothar A. Heinrich Die Kurdische Nationalbewegung in der Turkei. 1989 Hambery.

(وقد ألف هذا الكتاب وقدمهُ لإحدى الجمعيات الاستشراقية).

٢٤ـ الجبهة الإسلامية القومية بالسودان

التعريف:

الجبهة(*) الإسلامية القومية: حركة إسلامية تجديدية(*) انبثقت من حركة(*) الإخوان المسلمين، واستقطبت بعض القوى الإسلامية في السودان لتكوين جبهة واحدة ضد الأحزاب(*) الأخرى، ثم بدأت تنحو منحى بعيداً نسبيًّا عن منهج الإخوان المسلمين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الحركة هو الدكتور حسن عبدالله الترابي من مواليد قرية ود الترابي بمقاطعة الجزيرة بالسودان ١٩٣٢م. تلقى من والده علوم العربية والفقه، وأصول الأحكام وفقه المذاهب وعلوم القرآن والتفسير، وقد حفظ القرآن ببضع قراءات.

- عمل محاضراً ثم عميداً لكلية القانون بجامعة الخرطوم، ثم نائباً عامًّا ثم وزيراً للعدل، وأخيراً رئيساً للبرلمان السوداني.
- يتكلم ويكتب الإنجليزية والفرنسية ويقرأ الألمانية.
- قاد الحركة الإسلامية في السودان منذ الستينات كمراقب عام للإخوان المسلمين.
- اختير أميناً عاماً لجبهة الميثاق الإسلامي ١٩٦٤م ـ ١٩٦٩م والجبهة الإسلامية القومية ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م.
- تعرض في مجال العمل الإسلامي للحبس التحفظي لفترات تجاوزت سبع سنوات.
- نشرت له عدة مؤلفات في قضايا الدين والعبادة، والمرأة والمجتمع، والتجديد والدستور والحكم، وقضايا إسلامية وسياسية شتى.

للدكتور الترابي عدد من الآراء والاجتهادات(*) التي خالف فيها علماء الإسلام وكانت سبباً في كثير من النقد الموجه للدكتور الترابي خاصة، ولأفكار الجبهة بصفة عامة.

تطور الحركة:

يرى أنصار الجبهة أنها أخذت عدة مراحل أو عهود حتى ظهرت بالشكل الحالي ويمكن تلخيص أهم هذه العهود كالتالي:

● **عهد التكوين**: امتد هذا العهد منذ عام ١٩٤٩م وحتى عام ١٩٥٥م، إذ تأسست رسميًّا بمؤتمر جامع عام ١٩٥٤م، وكان كل اعتمادها على حركة الإخوان المسلمين بمصر في الثقافة والتنظيم والبناء الفردي والجماعي.

● **عهد الظهور الأول**: ويمتد من عام ١٩٥٦م حتى عام ١٩٥٩م، وهو عهد ما بعد الاستقلال في السودان. وفي هذا العهد ظهرت الدعوة لأول مرة بالصحف والخطب، وبرز الدعاة، وكانت القضية الأولى التي شغلت الحركة في هذا العهد هي قضية الدستور الإسلامي.

● **عهد الكمون الأول**: ويمتد من عام ١٩٥٩م وحتى ١٩٦٤م. وهي فترة سلطة الفريق عبّود وزمرته العسكرية. وقد تخرجت في هذا العهد قيادات إسلامية كثيرة، ونشطت الحركة العمالية والنقابية.

● **عهد الخروج العام**: ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩م: وهو عهد ثورة أكتوبر، وقد أصبحت فيه الحركة محوراً لولاء شعبي منظم لأول مرة، فأقامت جبهة الميثاق الإسلامي، مؤسَّسةً على منهاج مكتوب وضعته الجماعة، وجمعت حوله الجماعات الإسلامية والأفراد في حركة(*) سياسية موحدة، وجرت فيه أكبر الحملات السياسية، وهي حملة الدستور الإسلامي.

وفي أواخر هذا العهد استفحلت الثنائية في الحركة الإسلامية بين التنظيم الأم الداخلي وبعض جبهاته الخارجية، إلا أن الحركة توحدت بعد ذلك وحسمت خلافاتها.

● **عهد المجاهدة والنمو**: ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧م: وهو عهد الشطر الأول من سلطة جعفر نميري ونظام مايو، الذي أجهض الديمقراطية، والقوى الوطنية والحركة الإسلامية بدافع من الشيوعية والقوى القومية العربية، فتعرضت الحركة لابتلاءات شديدة واضطهادات واعتقالات وتصفيات وإعدامات. وفي ظروف الاعتقال أصَّلت الحركة عملها في مجال الاعتقاد ونشر الدعوة والتنظيم وقضية المرأة.

● **عهد المصالحة والتطور**: ١٩٧٧ ـ ١٩٨٤م: وهو عهد مايو الأخير، إذ بدأ نظام المصالحة الوطنية، وتصفية اتجاهات جعفر نميري اليسارية، وبدأ الاتجاه إلى

الإسلام. وفي هذا العهد بدأ الوعي بقضية الجنوب في السودان، وتوجهت عناصر من الحركة(*) لتأسيس (منظمة الدعوة الإسلامية) لتُعنى بنشر الإسلام في المناطق المسلمة في السودان من خلال الدعوة والخدمة الاجتماعية.

وفي هذا العهد، أيضاً، نشط العمل النسوي، ودخلت المرأة بشكل كامل في الحركة الإسلامية.

وفي آخر هذا العهد كان تطبيق الشريعة الإسلامية(*)، الذي أعلنه نميري وساعده الترابي فيه بقوة.

● **عهد النضج**: ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧م: وفي هذا العهد بلغت الحركة من الوعي بذاتها وبالواقع من حولها قدراً كبيراً، وتأسست في هذا العهد (الجبهة(*) الإسلامية القومية) بناء على القاعدة الشعبية التي تعبَّأت منذ بدء تطبيق الشريعة.

الأفكار والمعتقدات:

● حركةالجبهة الإسلامية القومية، حركة إسلامية، أخذت جميع أفكارها الأصولية من حركة الإخوان المسلمين، وتربى أفرادها على مؤلفات الأستاذ البنا، وسيد قطب، ومحمد الغزالي، وأبو الأعلى المودودي، ومالك بن نبي... إلخ.

● من خصائص فكر الدعوة في الجبهة نرى أنه:

ـ فكر مرتبط بالهوية الإسلامية، والبعد عن الانتماء إلى الولاءات الأخرى.

ـ فكر إحياء لمجد الإسلام، وذلك بإتمام الدين وإقامة جوانبه التي أميتت أو ضعفت.

● موقف الحركة من الحرية والسلطة كان موقفاً وسطاً، فقد رحبت بالنظام الديمقراطي التعددي على عِلاَّته.

● وضعت استراتيجية استيعاب المجتمع، ومنافسة الأحزاب التقليدية ذات الولاء الجماهيري العريض. وفي هذا السبيل بدَّلت لوائح العضوية، فتجاوزت منهج الانتقاء الفردي، وأصبح متاحاً للناس أن يدخلوا في الجماعة أفواجاً لا أفراداً؛ فقد تدخل القبيلة والطائفة والفرقة كما يدخل الأفراد، ولا يترتب عليهم في ذلك أدنى حرج، حتى لو دخلوا بما يحملون من ولاءات فرعية في الطرق الصوفية أو القبائل أو الأحزاب الفكرية والسياسية، إذا جعلوا الولاء الأعلى للجبهة الإسلامية.

وبهذا تحاول الجبهة(*) الإحاطة بالمجتمع التقليدي في السودان، وأن توحِّده كله في إطارها.

ـ استفادت الجبهة الإسلامية القومية كثيراً من فكر التنظيم الأوربي وتجاربه، فهو فكر إداري متقدم جدًّا ـ كما يقول الترابي ـ ولكنه ليس بديلاً للفكر الإسلامي.

● سادت الحركة روحُ الاجتهاد(*) وعلت فيها الصيحة لتجديد الدين(*) مما أوقعها في عدد من الاجتهادات التي جرت عليها النقد الشديد من علماء المسلمين.

● تتجنب الحركة الجدال والمراء مع الاتجاهات الإسلامية الأخرى في المجتمع، مثل الصوفية والسلفية(*) والعلماء، وذلك في سبيل تأليف الجبهة الإسلامية الواحدة.

● المرأة لها دور فعال في الجبهة، وهي تقوم بأعمال كثيرة في مجال الدعوة والتنظيم والتعليم والجهاد، وعدد النساء يضاهي عدد الرجال في الحركة.

● وضعت الجبهة برنامجاً ثقافياً لإعداد الداعية المسلم، ضم البرنامج تسع فقرات وهي:

ـ علوم القرآن. ـ السنة النبوية. ـ السيرة النبوية.
ـ العقيدة. ـ الفقة. ـ أصول الفقه.
ـ التاريخ الإسلامي. ـ دراسات سودانية. ـ اللغة العربية.

ووزعت البرنامج على ثلاثة مستويات متدرجة في أخذ البرنامج والاستفادة منه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت الحركة(*) بشكل واسع في السودان، ولها اتصالات وثيقة بحركة الاتجاه الإسلامي بتونس بشكل خاص، وقد ساندت الحركة الانقلاب العسكري الذي أتى بحكومة الفريق البشير إلى السلطة وهي الآن ساعدُ النظام الأيمن.

يتضح مما سبق:

أن الجبهة الإسلامية القومية في السودان، هي جبهة واحدة انبثقت من حركة الإخوان المسلمين، ولكنها الآن تعد تنظيماً مستقلاً عنها. فهي جبهة واحدة ضد كل الأحزاب، تعمل لخدمة الإسلام باجتهادها الخاص. ومما يُؤسَف له أنها وقفت إلى جانب العراق البعثي المعتدي في أزمة الخليج على الرغم من مواقفه المعروفة ضد الإسلام وعلى الرغم من تناقض اتجاهاته مع الاتجاه العقائدي للجبهة، لتناقض القومية العربية مع عالمية الإسلام. ويبدو أن فكر الجبهة قد اتجه أخيراً إلى اتخاذ الانقلاب العسكري وسيلةً لتسلم السلطة، وهذا التفكير يتعارض مع ما يذهب إليه بعض

المفكرين الإسلاميين.

مراجع للتوسع:

- **الحركة الإسلامية في السودان**، د. حسن الترابي.
- **تجديد الفكر الإسلامي**، د. حسن الترابي.
- **البرنامج الثقافي للجبهة الإسلامية القومية**، إصدار الجبهة الإسلامية القومية.
- **الأصول الفكرية والعملية لوحدة العمل الإسلامي**، إصدار الحركة الإسلامية بالسودان ١٩٧٦م.
- **شرح نظام الأحكام القضائية الإسلامي السوداني**، د. محمد شتا أبو سعد ١٩٨٥م، مطبعة جامعة القاهرة.
- **حوار هادىء مع الترابي**، الأمين الحاج.

٢٥ـ حماس (حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)

التعريف:

حماس حركة(*) إسلامية جهادية فلسطينية، نشأت في مدينة غزّة بفلسطين، ثم انتشرت في أرجاء الأرض المحتلة كافة. وكما جاء في ميثاق الحركة الذي أصدرته في ١ المحرم ١٤٠٩ هـ ١٨/٨/١٩٨٨م، فإنها تعد جناحاً من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أعلنت حماس في بيانها الأول الذي صدر يوم ١٤ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م بأنها الذراع الضارب لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين المحتلة، وهددت العدو اليهودي بأنها ستقابله بعنف أشد كلما اشتد عنفه.. مؤكدة أن الإسلام هو الحل العملي لقضية فلسطين، وأنها ترفض إضاعة الجهد والوقت في الركض وراء الحلول السلمية والمؤتمرات الدولية الفارغة.

● من أكبر ما قامت به حركة حماس، تفجيرها الانتفاضة الباسلة والتي أطلق عليها ثورة الحجارة في ٨ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م، وقدمت مئات الشهداء والسجناء وما زالت تقدم... وتقول الحركة إنها لن توقف ثورتها حتى تتحرر فلسطين من رجس اليهود.

● **ومن أبرز شخصياتها التي أعلنت حتى الآن:**

ـ الشيخ أحمد ياسين. وهو رجل مقعد جاوز الخمسين عاماً، ويعد المؤسس لحركة حماس وقائدها الأول، قبض عليه اليهود عام ١٩٨٤م في غزة لوجود أسلحة في منزله كانت معدة للمواجهة العسكرية مع الصهاينة، وحكم عليه بالسجن عدة سنوات. وهو لا يزال رهن السجون اليهودية في فلسطين المحتلة وقد أفرج عنه أخيراً.

ـ الأستاذ خليل القوقا. أحد قادة حماس، وقد أبعدته سلطات الاحتلال اليهودي بعد الانتفاضة إلى خارج فلسطين المحتلة.

الأفكار والمعتقدات:

● إن أفكار ومعتقدات حركة(*) حماس تتمثل في ميثاقها الأول الذي أعلنته يوم ١ من

المحرم ١٤٠٩ هـ ـ ١٨/ ٨/ ١٩٨٨م. ويمكن أن نجملها فيما يلي:

ـ حركة المقاومة الإسلامية: الإسلام منهجها(*)، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان وإليه تحتكم في كل تصرفاتها ومنه تستلهم ترشيد خطاها (المادة الأولى).

ـ حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية، تلتزم بسماحة الإسلام، وترى أنه في ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً. آمنين على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم.

ـ إن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط فيها أو في جزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية.

ـ جهاد اليهود في فلسطين فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتخرج المرأة للقتال بغير إذن زوجها. . ولا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد(*).

ـ معارضة المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية للقضية الفلسطينية؛ فهي مضيعة للوقت، وعبث لا طائل منه.

ـ للمرأة المسلمة دور في معركة التحرير لا يقل عن الرجل، فهي مصنع الرجال، ومربية الأجيال على القيم والمفاهيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام.

ـ احترام الرأي الآخر في الحركات الإسلامية الأخرى ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية.

● وهذا الميثاق يتكون من ٣٦ مادة من أهمها اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ولكنها لا توافقها في تبنيها للفكرة العلمانية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

أعلنت حماس في ميثاقها (المادة الثانية): أنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، فجذورها الفكرية والعقائدية تمتد ضمن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، وتتخذ من سيرة السلف الصالح قدوة لها. .

ويتضح مما سبق:

أن حماس حركة(*) إسلامية جهادية فلسطينية، نشأت في غزة بفلسطين ثم انتشرت في أرجاء الأرض المحتلة كافة، وقائدها الأول هو الشيخ أحمد ياسين، وهو مقعد جاوز

الخمسين عاماً، وتتخذ الحركة من الإسلام منهجاً لها. وهي حركة إنسانية تلتزم بسماحة الإسلام وترى أنه في ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً. كما أن أرض فلسطين تعد أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، ولا يصح التفريط فيها أو في جزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، فلا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، وجهاد(*) اليهود في فلسطين هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

مراجع للتوسع:

- **حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين**. لأحمد عز الدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة.
- **ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)**.
- **بيانات الحركة** التي تصدر تباعاً..
- **مجلة الدعوة** السعودية (١٣/ ١٠/ ١٤٠٩ هـ).
- **مجلة المجتمع** الكويتية التي نشرت عدة مقابلات مع قادة (حماس) المبعدين عن فلسطين المحتلة.
- **حماس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين**، للدكتور عبدالله عزام ـ دار الهدى.

٢٦ـ الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر

التعريف:

هذه الجبهة(*) هي حركة(*) إسلامية سلفية(*) في جوهرها، تنادي بالعودة إلى الإسلام، باعتباره السبيل الوحيد للإصلاح، والقادر على إنقاذ الجزائر مما تعانيه من أزمات اجتماعية، واقتصادية، واستعمار(*) فكري وثقافي، والمؤهل للحفاظ على شخصية الشعب الجزائري المسلم بعد احتلال دام ١٣٢ سنة، وترك انعكاسات حضارية عميقة لفّت البلاد كلها بظاهرة التغريب والفَرْنَسة، وهذا ما حفز ثلة من العلماء آلمهم تردِّي الأحوال إلى التحرك لإثارة الضمير الجزائري والاتجاه إلى الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● قبل إعلان تأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر في عام ١٩٨٩م، كانت هناك أنشطة دعوية وأحداث وتجمعات إسلامية عُدَّتْ إرهاصات لقيام جبهة الإنقاذ:

ـ في نهاية السبعينات بدأ الظهور العلني لشباب الإسلام في الجامعات الجزائرية وغيرها، وتقاسم العمل الاسلامي المنظم في مدة ما قبل ١٩٨٨م ثلاث جماعات، وهي: جماعة الإخوان الدوليين بقيادة الشيخ محفوظ نحناح. وجماعة الإخوان المحليين بقيادة الشيخ عبدالله جاب الله وجماعة الطلبة أو جماعة مسجد الجامعة المركزي أو أتباع مالك بن نبي بقيادة الدكتور محمد بوجلخة، ثم الشيخ محمد السعيد.

ـ في ١٢ نوفمبر ١٩٨٢م اجتمع مجموعة من العلماء منهم: الشيخ أحمد سحنون، والشيخ عبد اللطيف سلطاني، والدكتور عباسي مدني، ووجهوا نداءً من ١٤ بنداً يطالب بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، ويشجب تعيين نساء وعناصر مشبوهة في القضاء، ويدعو إلى اعتماد توجه إسلامي للاقتصاد، ويرفض الاختلاط في المؤسسات، ويدين الفساد، ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين، ويندد بوجود عملاء أعداء للدين في أجهزة الدولة.. الخ.. (انظر فقرة الأفكار والمعتقدات).

● الشيخ أحمد سحنون، أحد تلاميذ الإمام عبدالحميد بن باديس، وقد شارك في حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، ودعا بعد الاستقلال إلى تحكيم الإسلام؛ لأن

الجزائر دولة إسلامية، وتولى تخريج مجموعات من الدعاة والعلماء. وبعد توقيعه على البيان الآنف الذكر. اعتقل ووضع رهن الإقامة الجبرية حتى عام ١٩٨٤م.

● ثم تم تأسيس (رابطة الدعوة) ١٩٨٩م برئاسة الشيخ أحمد سحنون؛ وذلك لأنه أكبر الأعضاء سنًّا، إذ كان عمره ٨٣ عاماً، وكانت الرابطة مظلة للتيارات الإسلامية كلها، ومن بين أعضاء رابطة الدعوة: محفوظ نحناح، وعباسي مدني، وعبدالله جاب الله، وعلي بلحاج، ومحمد السعيد.

ومن أبرز أهداف رابطة الدعوة ما يلي:

- إصلاح العقيدة.
- الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية.
- تحسين الاقتصاد المنهار في الجزائر.
- النضال على مستوى الفكر.

● دارت حوارات عديدة في (رابطة الدعوة) كان من نتيجتها بروز تيارات متعددة أهمها:

- دعوة الشيخ الشاب علي بلحاج إلى تشكيل (الجبهة الإسلامية الموحدة) إلا أن الدكتور الشيخ عباسي مدني اقترح لها اسماً آخر هو (الجبهة الإسلامية للإنقاذ)، معللاً هذه التسمية: بأن الجبهة تعني المجابهة والاتساع لآراء متعددة، وهذه الجبهة (إسلامية)؛ لأنه هو السبيل الوحيد للإصلاح والتغيير و(إنقاذ) مأخوذة من الآية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾. [آل عمران: ١٠٣].

- بينما رفض الشيخ محمد السعيد تشكيل الجبهة ابتداء ثم التحق بها بعد الانتخابات البلدية.

- ورفض محفوظ نحناح، أيضاً، فكرة الجبهة (الحزب) في البداية.. ثم أسس حركة المجتمع الإسلامي. كما أسس عبدالله جاب الله حركة النهضة الإسلامية.

● وتم الإعلان الرسمي عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مطلع عام ١٩٨٩م وذلك بمبادرة من عدد من الدعاة المستقلين من بينهم الدكتور عباسي مدني الذي أصبح رئيساً للجبهة ونائبه الشيخ علي بلحاج.

● الدكتور عباسي مدني: ولد سنة ١٩٣١م في سيدي عقبة جنوب شرقي الجزائر، ودرس في المدارس الفرنسية في صغره إبان الاستعمار الفرنسي، ثم في مدارس جمعية العلماء، وتخرج من كلية التربية، ثم انخرط في جهاد(*) المستعمر الفرنسي، واعتقل

وقضى في السجن سبعة أعوام، وبعد الاستقلال وخروجه من السجن أرسلته الحكومة إلى لندن ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨م ليحصل على الدكتوراه في التربية المقارنة. ثم عاد إلى الجزائر ليقوم بالتدريس في الجامعة، وقد شارك العلماء في النداء الذي وجهوه إلى الحكومة في ١٩٨٢م مطالبين بالإصلاح وتطبيق الشريعة الإسلامية(*). . وشارك في الأحداث في العام نفسه فاعتقل وسجن. . وقد شكل مع بعض العلماء رابطة الدعوة، ثم الجبهة(*) الإسلامية للإنقاذ، بعد مظاهرات الخبز عام ١٩٨٨م ـ كما أطلق عليها. وأخيراً اعتقل مرة أخرى هو وكثير من العلماء. . وما زال سجيناً ـ حتى إصدار الطبعة الحالية في ١٩٩٦م.

● الشيخ علي بلحاج: ولد في تونس عام ١٩٥٦م، ثم استشهد والداه في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي. درس العربية ودرّسها، وشارك في الدعوة الإسلامية منذ السبعينات وسجن خمس سنوات ١٩٨٣/ ١٩٨٧م بتهمة الاشتراك وتأييد حركة مصطفى بويعلي الجهادية. تأثر بعلماء من الجزائر ومنهم عبد اللطيف سلطاني، وأحمد سحنون، وكذلك درس كتابات الشيخ حسن البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عودة وغيرهم.

ـ انتمى إلى التيار السلفي(*)، ولذلك لم يتحمس للثورة الإيرانية، وانتقد كتابات الخميني، واعتبر تشيع بعض الجزائريين خطراً على الدعوة الإسلامية يجب التصدي له. انتخب نائباً للرئيس في الجبهة الإسلامية للإنقاذ واعتقل بعد المظاهرات التي قامت في الجزائر سنة ١٩٨٨م. . ثم أطلق سراحه ثم اعتقل مرة أخرى بعد الإضراب العام الذي دعت إليه الجبهة(*).

● خاضت الجبهة الانتخابات البلدية في عام ١٩٩٠م، وحققت فوزاً كبيراً في ٨٥٦ بلدية، وبعد هذا الفوز بدأ الحزب الحاكم في الجزائر وهو ـ جبهة التحرير ـ يشعر بخطر الجبهة على وجوده في الحكم. وبدأت حكومة الجزائر تضع العراقيل في طريق تقدم الجبهة وأصدرت نظاماً جديداً للانتخابات.

● على إثر ذلك قامت مظاهرات كبيرة تطالب بالإصلاح، انتهت بمصادمات دامية بعد أن قابلتها الحكومة بإطلاق النار، واعتقل على إثرها عباسي مدني ونائبه بلحاج بتهمة التآمر على أمن الدولة.

● وعلى الرغم من اعتقال زعماء الجبهة، خاضت الجبهة الانتخابات التشريعية لاختيار مجلس الشعب في الجزائر في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩١م، وحصلت على ١٨٨ مقعداً من أصل ٢٢٨ في المرحلة الأولى، بينما لم يحصل الحزب الحاكم إلا على ١٦ مقعداً فقط.

ـ عد فوز الجبهة في الانتخابات التشريعية خطراً يهدد الغرب كله (انظر الصحف

الفرنسية والإنجليزية في ١٩٩٠م).

- بدأت المؤامرات تحاك في الخفاء ضد الجبهة من قبل القوى الصليبية، وبدأت وسائل الإعلام حملة تشويه مركزة على جبهة الإنقاذ.. والمستقبل الأسود الذي ينتظر الجزائر إن حكم رجال الجبهة.

- وكان أهم أهداف القوى المعادية للإسلام عدم إتمام المرحلة الثانية من الانتخابات.

● اعتقل الشيخ عبد القادر حشاني الرئيس المؤقت للجبهة في ١٨ رجب ١٤١٢هـ (٢٢/ ١/ ١٩٩٢م) بتهمة تحريض الجيش على التمرد.

- ثم بدأت اعتقالات عامة في الجبهة، إذ تم اعتقال الآلاف، وهنا دخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في محنة وصراع مع القوى المعادية للإسلام في الجزائر وخارجه.

● ومن رجال الجبهة، أيضاً، الذين برزوا خلال الأحداث:

- رابح كبير رئيس اللجنة السياسية بالمكتب التنفيذي المؤقت لجبهة الإنقاذ.

- الشيخ محمد السعيد، وقد برز كخليفة لعباسي مدني وقد اعتقل، أيضاً.

- الشيخ زبدة بن عزوز عضو مجلس الشورى.

- الشيخ يخلف شراطي وهو من خريجي جامعة أم القرى والذي قتل يرحمه الله في سجن سركاجي.

الأفكار والمعتقدات:

● تعتقد جبهة الإنقاذ أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ويشمل جميع مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.. وتلتقي الجبهة مع حركة الإخوان المسلمين في بعض مبادئها.

● تؤكد الجبهة أن إطار حركتها ودعوتها هو الكتاب والسنة، في مجال العقيدة والتشريع والحكم. لذا فإن نموذج فكرها هو التيار السلفي في التاريخ الإسلامي.

● قدمت الجبهة مذكرة إلى رئيس الجزائر في ٧ آذار مارس ١٩٨٩م تتضمن مبادئها وبرنامجها السياسي والاجتماعي، وتحوي المذكرة ما يلي:

- ضرورة التزام رئيس الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية طالما أنه يحكم شعباً مسلماً.

استقلال القضاء بغرض الحسبة.

- إصلاح النظام التعليمي.

- حماية كرامة المرأة الجزائرية وحقوقها في البيت ومراكز العمل.
- تحديد مجالات للإصلاح، ووضع جدول زمني لذلك.
- حل الجمعية الوطنية، والدعوة إلى انتخابات في غضون ثلاثة أشهر.
- تشكيل هيئة مستقلة لضمان نزاهة الانتخابات المحلية.
- إعادة الاعتبار لهيئة الرقابة المالية.
- إعادة النظر في سياسة الأمن.
- إلغاء الاحتكار(*) الرسمي لوسائل الإعلام.
- وقف عنف الدولة ضد المطالب الشعبية.
- وضع حد لتضخم البطالة(*) وهجرة الكفاءات وانتشار المخدرات.
- حماية المهاجرين الجزائريين وضمان التعليم الإسلامي لهم وتسهيل شروط عودتهم.
- التدخل لدى الصين والهند والاتحاد السوفييتي (سابقاً) وبلغاريا لوضع حد لاضطهاد المسلمين.
- وضع خطة لدعم الانتفاضة الفلسطينية ونجدة المجاهدين الأفغان.

● وتتضح أفكار الجبهة ومبادؤها في النداء الذي وجهه بعض العلماء كالدكتور عباسي مدني قائد الجبهة(*)، وهو ما أطلق عليه (نداء ١٢ نوفمبر ١٩٨٩م)، وكذلك من بيانات الجبهة الموجهة للحكومة وللشعب الجزائري، ويمكن إيجازها فيما يلي:

- ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية وغيرها.
- توفير الحرية(*) للشعب ورفع الظلم والاستبداد.
- اعتماد الاقتصاد الإسلامي ومنع التعامل بالحرام.
- إعمال الشريعة في شأن الأسرة ورفض الأسلوب الفرنسي الداعي إلى التحلل.
- المطالبة بالاستقلال الثقافي، والتنديد بتزوير مفهوم الثقافة.
- إدانة إفراغ التربية والثقافة من المضمون الإسلامي.
- شجب استخدام الإعلام من قبل الدولة في مواجهة الصحوة الإسلامية.
- معاقبة المتعدين على العقيدة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.
- النهوض بالشعب إلى النموذج الإسلامي القرآني السني.
- الإشعاع على العقول بأنوار الهداية وإنعاش الضمائر بالغذاء الروحي الذي يزخر به القرآن والسنة، وشحذ الإرادة بالطاقة الإيمانية الفعّالة.

ـ العمل بالدين القويم لإنقاذ مكاسب الشعب التاريخية وثرواته البشرية والطبيعية دون إضاعة للوقت.

ـ العمل على وحدة الصف الإسلامي، والمحافظة على وحدة الأمة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾. [الأنبياء: ٩٢] وقال، ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

ـ تقديم بديل كامل شامل لجميع المعضلات الأيديولوجية(*) والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في نطاق الإسلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾. [الإسراء: ٩]

ـ الإنقاذ الشامل، أسوة بالرسول، ﷺ، منقذ البشرية لقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾. [آل عمران: ١٠٣]

ـ تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجميع الإرادات الخيرة في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري.

● وقفت الجبهة في وجه مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة، وهذه المصالح تتمثل في:

ـ إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً.

ـ فتح الأسواق للبضائع الأوربية والأمريكية.

ـ جر المجتمع الجزائري المسلم للتغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها.

● من هنا كان فوز الجبهة في المجالس التشريعية خطراً حقيقياً من وجهة نظر الغرب على هذه المصالح، وصرح سيد أحمد غزالي عندما وصلته نتائج الاقتراع «إن الشعب صوّت ضد الديمقراطية(*)» فكان من نتيجة ذلك إلغاء الانتخابات؛ لأنهم يريدون ديمقراطية بدون إسلام، وكذلك تدخل الجيش وفرض الارتداد عن نهج تسليم السلطة سلمياً للطرف الفائز في الانتخابات، وتشكيل جهاز جديد للحكم، وتشكيل سلطة مدعومة عسكريًّا، وبدأ اعتقال عناصر الجبهة القيادية والشبابية وإيداعهم في سجون نائية في قلب الصحراء حتى يتوقف المد الإسلامي. وأصدرت المحكمة الإدارية قراراً بحل الجبهة(*)، وسحب البساط من تحت أقدامها حتى يمكن اتخاذ الإجراءات كافة لمصادرة نشاطها. ولكن قادة الجبهة يعلنون أن الدولة الإسلامية في الجزائر قائمة لا محالة بهم أو بغيرهم اليوم أو غداً إن شاء الله، وقد استقال الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بعد الفوز

الساحق للجبهة، وتولى الحكم الرئيس محمد بوضياف الذي اغتيل وما زالت الأحداث تتوالى سراعاً.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تعد آراء جمعية العلماء في الجزائر منذ ابن باديس وحتى الإبراهيمي الجذور الفكرية لجبهة الإنقاذ من حيث الرجوع إلى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، وكذلك كتابات حسن البنا وسيد قطب وغيرهما من القواعد الفكرية للنهضة الإسلامية التي تعتمدها الجبهة.

ويتضح مما سبق:

أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر حركة إصلاح إسلامية سلفية في مجملها، فيها بساطة الإسلام، دعت إلى تحكيم الإسلام في شتى مجالات الحياة، ورأت ضرورة التزام رئيس الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية طالما أنه يحكم شعباً مسلماً، مع إصلاح النظام التعليمي والأمني والإعلامي في ضوء عقيدة الإسلام السمحة. وقد وقفت الجبهة في وجه مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة، وهي المصالح التي تتمثل في إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً، وفتح الأسواق للبضائع الأوربية والأمريكية وجرِّ المجتمع الجزائري المسلم صوب التغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها، وهو ما يرفضه المجتمع الجزائري. ويؤخذ عليها الاستعجال وتصعيد الخطاب وصرف المراحل.

مراجع للتوسع:

نظراً لانعدام المؤلفات عن جبهة الإنقاذ وذلك لجدَّتها على الساحة الإسلامية، لذلك فإن المراجع الممكنة حالياً هي:

- **الصحوة الإسلامية والعودة إلى الذات**. د. مصطفى حلمي.
- **تأثير السلفية في المجتمعات المعاصرة**. د. محمد فتحي عثمان.
- **عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية المعاصرة بالجزائر**. د. محمد فتحي عثمان.
- **نماذج من حركات الجهاد الإسلامية الحديثة** للأستاذ صفوت منصور «السنوسية ـ الباديسية ـ القسامية».
- **مجلة البيان**: الأعداد ٢٣، ٤٨ (وفيه ملف عن أحداث الجزائر).
- **مجلة المجتمع** عدد ٢٦/ ٦/ ١٩٩٠م. مقابلة مع نائب رئيس الجبهة الشيخ علي بلحاج.

- **مجلة الإصلاح** العدد ١٦٩ (٢ رجب ١٤١٢ هـ).
- **جريدة الحياة**. الأعداد: ١٠٥٨٨، ١٠٥٨٩، ١٠٥٩٠/ شباط ١٩٩٢م، شعبان ١٤١٢هـ.
- **لقاء-علي بلحاج بالألباني**. (كاسيت)
- **أشرطة تسجيل وخطب جمعة للمشايخ**: عبد الوهاب الطريري، سلمان العودة، بشر البشر.

الفصل السادس

الصوفية وما تفرع عنها ومن تأثر بها

● مقدمة عامة ● الصوفية ● ما تفرع عنها من طرق

مقدمة عامة

لم يكن الإسلام أبداً، إلا دين(*) علم وعمل خالص لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]. وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ٩٤]. ولقول الصادق الأمين ﷺ: «**اعملي يافاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئاً**». ولم يكن الإسلام كذلك إلا دين توحيد خالص، لا توجه فيه إلا إلى الله وحده ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

والإسلام بهذه المثابة دين صفاء العقيدة، ونقاء الاعتقاد، دين بلا طرق، دين بلا مذاهب(*) في أصل العقيدة، ولا اختلافات حول جوهر وأصول الدين.

ولقد ظل الإسلام بهذه الصورة العظيمة المتفردة، حتى هبت عليه رياح التغيير بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وازدياد الرخاء، وحدوث الانغماس في الترف الحضاري، فقام نفر من المخلصين الزهاد بحمل لواء الدعوة إلى العودة إلى خشونة الحياة، أملاً في استمرار النمط الأول للحياة، وانطلق نفر من هؤلاء الزهاد في اتجاه آخر هو اتجاه التصوف؛ ولم يكن هذا الاتجاه في بداياته الأولى يريد غير صلاح المسلمين بتربية النفوس على مقتضى العقيدة.

ولكن فشو الجهل، واستمراء النعيم، وظهور الفتن، واندساس الحاقدين، وظهور النفعيين المرتزقين باسم الدين، وظهور أعداء الإسلام، أوجد مدرسة جديدة مارقة عن العقيدة هي مدرسة الصوفية الجديدة التي اتبعت فكر المجوس(*)، وأولت القرآن، وأتت بفكر باطني(*) مدمِّر، وحرفت الكلم عن مواضعه؛ وبدأت تنتشر كالسم في جسد الأمة الإسلامية، وكلما نأت عن الكتاب والسنة خطوة سرى السم في جسد الأمة المسلمة خطوات وخطوات، حتى أصبح العالم الإسلامي يموج الآن بكثير من الطرق الضالة التي تتشح بوشاح

الصوفية الذي لم يكن في جوهره سبباً من أسباب الانحراف. وحتى يقف الشباب المسلم على طبيعة التصوف فإننا نعرض فيما يلي للصوفية بصورة عامة، ثم إلى ما تفرع عنها كالتيجانية والختمية والسنوسية والشاذلية. ثم نعرض لمن تأثر بها بقدر أو بآخر مثل: الديوبندية، والتبليغ، والنورسية، ومع أن المهدية هي نسيج وحدها في تصوراتها إلا أنها على الرغم من نفيها للصوفية فقد دخلت إليها من باب آخر، وأيًّا كان مكان دراستها فإننا نختم بهذه الجماعات التي تأثرت بالصوفية والله المستعان.

٢٧ـ الصوفية

التعريف:

التصوُّف حركة(*) دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس، والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف(*) والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات(*) الوثنية(*): الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مقدمة مهمة:

● خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصري، لم تعرف الصوفية لا باسمها ولا برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية الجامعة: المسلمين، المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل: الصحابي، البدري، أصحاب البيعة(*)، التابعي.

لم يعرف ذلك العهد هذا الغلو(*) العملي التعبُّدي أو العلمي الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي(*) ﷺ في أكثر من مناسبة، ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وقوله ﷺ للحولاء بنت نويت التي طوَّقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملوا، وأحبُّ العمل إلى الله أدْوَمُه وإن قل**».

ـ **وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون**، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد(*)، والتصدي للبدع والأهواء مثلما تصدى ابن مسعود رضي الله عنه لبدعة(*) الذكر الجماعي بمسجد

الكوفة وقضى عليها، وتصدِّيه لأصحاب معضّد بن يزيد العجلي لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة في بعض الجبال وردهم عن ذلك.

● **ظهور العُبّاد**: في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، فآثروا اعتزال المجتمع تصوُّناً عما فيه من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم، يضاف إلى ذلك، أيضاً، فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة، إذ كانت بداية الانحراف عن المنهج(*) الأول في جانب السلوك.

ـ ففي الكوفة ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وأظهروا الندم الشديد بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وسموا أنفسهم بالتوَّابين أو البكَّائين. كما ظهرت طبقة من العبَّاد غلب عليهم جانب التشدد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة، مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة، واشتغالهم بالكتاب والسنة تعلماً وتعليماً، بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديهم لأهل الأهواء. كما ظهر فيهم الخوف الشديد من الله تعالى، والإغماء والصعق عند سماع القرآن الكريم مما استدعى الإنكار عليهم من بعض الصحابة وكبار التابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم، وبسببهم شاع لقب العُبَّاد والزُهَّاد والقُرَّاء في تلك الفترة. ومن أعلامهم: عامر بن عبدالله بن الزبير، وصفوان بن سليم، طلق بن حبيب العنزي، عطاء السلمي، الأسود بن يزيد بن قيس، وداود الطائي، وبعض أصحاب الحسن البصري.

● **بداية الانحراف**: كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً، ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية، وعبدالواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيبٍ للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة في البراري والصحارى، وترك الزواج. يقول مالك بن دينار: «لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب». وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم

يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

ـ وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروِّضون أنفسهم على هجر النوم، وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

ـ وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفةً لقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ـ يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام(*)، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي (ت ٢٠٠هـ) تلميذ عبدالواحد بن زيد، تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر(*)، وبنى دويرة للصوفية ـ وهي أول ما بني في الإسلام ـ أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع ـ وصار لهم حال من السماع والصوت ـ إشارة إلى الغناء ـ وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين».

● ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار أهمها:

ـ **البداية والظهور**: ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة(*) اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان(*) أهل الكتاب، وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول مَن تسمَّى به. على أقوال ثلاثة:

١ ـ قول شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه: أن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي (ت ١٥٠هـ) أو (١٦٢هـ) بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان معاصراً لسفيان الثوري (ت ١٥٥هـ) قال عنه سفيان: «لولا أبو هاشم ما عُرِفت دقائق الرياء». وكان معاصراً لجعفر الصادق، وينسب إلى الشيعة(*) الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية.

٢ ـ يذكر بعض المؤرخين أن عبدك ـ عبدالكريم أو محمد ـ المتوفى (سنة ٢١٠هـ) هو أول من تسمى بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة(*) الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا

القوت، على أن أئمة الهدى ذهبوا إلى أن الدنيا لا تحل إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

٣ ـ يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى (سنة ٢٠٨هـ) أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعده من أكابرهم، والفلاسفة ينسبونه إليهم.

ـ وقد تنازع العلماء، أيضاً، في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة أرجحها:

١ ـ ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف، إذ كان شعار رهبان(*) أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية، مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصُّفَّة من أصحاب رسول(*) الله ﷺ، أو محاولة نسبة أنفسهم إلى علي بن أبي طالب والحسن البصري وسفيان الثوري رضي الله عنهم جميعاً، وهي نسبة تفتقر إلى الدليل ويعوزها الحجة والبرهان.

٢ ـ الاشتقاق الآخر ما رجحه أبو الريحان البيروني ٤٤٠هـ وفون هامر حديثاً وغيرهما من أنها مشتقة من كلمة سوف SOPH اليونانية والتي تعني الحكمة. ويدلِّل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشيطة في القرن الثاني الهجري، بينما لم تعرف في الفترة نفسها في جنوب وغرب العالم الإسلامي. ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان، إذ تظهر عند الفئتين أفكار وحدة الوجود والحلول(*) والإشراق(*) والفيض(*). كما استدلوا على قوة هذا الرأي بما ورد عن كبار الصوفية مثل السهروردي ـ المقتول ردة ـ بقوله: «وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغورثيين وقعت إلى أخي أخميم «ذي النون المصري»، ومنه نزلت إلى سيارستري وشيعته «أي سهل التستري» وأضافوا إلى ذلك ظهور مصطلحات أخرى مترجمة عن اليونانية في ذلك العصر، مثل: الفلسفة(*)، الموسيقا، الموسيقار، السفسطة(*)، الهيولى.

● **طلائع الصوفية**: ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف وهي:

● **الطبقة الأولى**: وتمثل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس، والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول(*) ﷺ وصحابته، بل وعن عبّاد القرن السابق له، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الاستقامة على العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن

بعضهم ـ مثل الجنيد ـ بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذا التيار:

ـ **الجنيد**: هو أبو القاسم الخراز المتوفى (٢٩٨هـ) يلقبه الصوفية بسيد الطائفة، ولذلك يعد من أهم الشخصيات ويعتمد المتصوفة على أقواله وآرائه وبخاصة في التوحيد والمعرفة والمحبة. وقد تأثر بآراء ذي النون النوبي؛ فهذبها، وجمعها ونشرها من بعده تلميذه الشبلي، ولكنه خالف طريقة ذي النون والحلاّج والبسطامي في الفناء(*)؛ إذ كان يُؤْثر الصحو(*) على السكر(*)، وينكر الشطحات، ويؤثر البقاء على الفناء، فللفَناءِ عنده معنى آخر، وقد أنكر على المتصوفة سقوط التكاليف(*). وقد تأثر الجنيد بأستاذه الحارث المحاسبي والذي يعد أول من خلط الكلام(*) بالتصوف، وبخاله السري السقطي (ت٢٥٣هـ).

وهناك آخرون تشملهم هذه الطبقة أمثال: أبو سليمان الداراني، عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنى (ت ٢٠٥هـ)، وأحمد بن أبي الحواري، الحسن بن منصور بن إبراهيم أبو علي الشطوي الصوفي. وقد روى عنه البخاري في صحيحه، والسري بن المغلس السقطي أبو الحسن (ت ٢٥٣هـ)، سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٧٣هـ)، معروف الكرخي أبو محفوظ (ت ٢٠٠هـ)، وقد أتى مِن بعدهم مَن سار على طريقتهم مثل: أبي عبدالرحمن السلمي (٤١٢هـ) ومحمد بن الحسين الأزدي السلمي، ومحمد بن الحسن بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي (٣٦٨هـ) شيخ الخطيب البغدادي.

ـ **ومن أهم السمات الأخرى لهذه الطبقة**: بداية التميز عن جمهور المسلمين والعلماء، وظهور مصطلحات(*) تدل على ذلك بشكل مهَّد لظهور الطرق من بعد، مثل قول بعضهم: علمُنا، مذهبنا(*)، طريقنا، قال الجنيد: «علمنا مشتبك مع حديث رسول(*) الله ﷺ» وهو انتساب محرم شرعاً، إذ يفضي إلى البدعة(*) والمعصية، بل وإلى الشرك، أيضاً، وقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يَخرُجَ من ماله، وأن يُقلَّ من غذائه، وأن يترك الزواج ما دام في سلوكه.

ـ كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه(*) والتحذير من تحصيلهما في الوقت الذي اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان(*) ونُسَّاك أهل الكتاب، إذ حدث الالتقاء ببعضهم، مما زاد في البعد عن سمت الصحابة وأئمة التابعين. ونتج عن ذلك اتخاذ دور للعبادة غير المساجد؛ يلتقون فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبي(*) ﷺ مما سبَّب العداء الشديد بينهم وبين الفقهاء، كما ظهرت فيهم ادعاءات

الكشف(*) والخوارق وبعض المقولات الكلامية. وفي هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة في مثل: كتاب أبي طالب المكي، **قوت القلوب وحلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، وكتب الحارث المحاسبي. وقد حذر العلماء الأوائل من هذه الكتب لاشتمالها على الأحاديث الموضوعة والمنكرة، واشتمالها على الإسرائيليات وأقوال أهل الكتاب. سئل الإمام أبو زرعة عن هذه الكتب فقيل له: في هذه عبرة؟ قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

● ومن أهم هذه السمات المميزة لمذاهب(*) التصوف والقاسم المشترك للمنهج(*) المميز بينهم في تناول العبادة وغيرها ما يسمونه «الذوق»، والذي أدى إلى اتساع الخرق عليهم، فلم يستطيعوا أن يحموا نهجهم الصوفي من الاندماج أو التأثر بعقائد وفلسفات(*) غير إسلامية، مما سهَّل على اندثار هذه الطبقة وزيادة انتشار الطبقة الثانية التي زاد غلوها(*) وانحرافها.

● **الطبقة الثانية**: خلطت الزهد بعبارات الباطنية(*)، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء(*)، والاتحاد(*)، والحلول(*)، والسكر(*)، والصحو(*)، والكشف(*)، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم، مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية، مما زاد في انحرافها، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن.

● **ومن أهم أعلام هذه الطبقة**: أبو اليزيد البسطامي (ت ٢٦٣هـ)، ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ)، الحلاج (ت ٣٠٩هـ) أبو سعيد الخزار (٢٧٧ ـ ٢٨٦هـ)، الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، أبو بكر الشبلي (٣٣٤هـ) وسنكتفي هنا بالترجمة لمن كان له أثره البالغ فيمن جاء بعده إلى اليوم مثل:

ـ **ذو النون المصري**: وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي(*) الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، توفي (سنة ٢٤٥هـ) أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبدالرحمن الجامي. ويؤكد الشيعة(*) في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن

خلكان أنه كان من الملامتية(*) الذين يخفون تقواهم عن الناس، ويظهرون استهزاءهم بالشريعة(*)، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

ويعدُّه كُتَّاب الصوفية المؤسسَ الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف(*) وأن للشريعة(*) ظاهراً وباطناً. ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرَّف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله، وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية الباطنية(*) وإخوان الصفا(*) بسبب صِلاته القوية بهم؛ إذ تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم(*) الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد(*)، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية(*) أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته، مما مكَّنه من تعلم فنون التنجيم(*) والسحر والطلاسم التي اشتغل بها. ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب(*) الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء(*) متأثراً بالغنوصية(*).

ـ **أبو يزيد البسطامي**: طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، ولد في بسطام من أصل مجوسي(*)، وقد نسبت إليه أقوال شنيعة يشكك الكثير من الباحثين في صدق نسبتها إليه مثل قوله: «خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح فيّ: يا من أنت أنا، فقد تحققت بمقام الفناء في الله»، «سبحاني ما أعظم شأني» وهي أقوال لا تُغفَر لصاحبها، سواءً أكان في حالة سكر(*) أم صحو(*)، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعده من أصحاب هذه الطبقة ويشكك في صدق نسبتها إليه، إذ كانت له أقوال تدل على تمسكه بالسنة. ومن علماء أهل السنة والجماعة(*) من يضعه مع الحلاج والسهروردي في طبقة واحدة.

ـ **الحكيم الترمذي**: أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى (سنة ٣٢٠هـ) أول من تكلم في ختم الولاية، وألف كتاباً في هذا أسماه **ختم الولاية**. كان سبباً لاتهامه بالكفر وإخراجه من بلده ترمذ، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «تكلم طائفة من الصوفية في «خاتم الأولياء» وعظَّموا أمره كالحكيم الترمذي، وهو من غلطاته، فإن الغالب على كلامه الصحة بخلاف ابن عربي فإنه كثير التخليط». [**مجموع الفتاوى** ١/ ٣٦٣]. وينسب إليه أنه قال: «للأولياء(*) خاتم كما أن للأنبياء(*) خاتماً»، مما مهد الطريق أمام فلاسفة الصوفية أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن هود والتلمساني للقول بخاتم الأولياء(*)، وأن مقامه يفضل مقام خاتم الأنبياء(*).

● **الطبقة الثالثة**:

وفيها اختلط التصوف بالفلسفة(*) اليونانية، وظهرت أفكار الحلول(*) والاتحاد(*) ووحدة الوجود، على أن الموجود الحق هو الله، وما عداه صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض(*) والإشراق(*) على يد الغزالي والسهروردي. وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مر بها التصوف والتي تعدت به مرحلة البدع العملية إلى البدع العلمية التي بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية. ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، السهروردي (ت ٥٨٧هـ)، ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، ابن الفارض (٦٣٢هـ) ابن سبعين (ت ٦٦٧هـ).

ـ **الحلاَّج**: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤ ـ ٣٠٩هـ) ولد بفارس حفيداً لرجل زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمي بالكفر(*) وقتل مصلوباً لتهم أربع وُجِّهت إليه:

١ ـ اتصاله بالقرامطة.

٢ ـ قوله «أنا الحق».

٣ ـ اعتقاد أتباعه ألوهيته.

٤ ـ قوله في الحج، إذ يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

وقد كان في شخصية الحلاج الكثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً. له كتاب **الطواسين** الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون.

● يرى بعض الباحثين أن أفراد الطائفة في القرن الثالث الهجري كانوا على علم باطني واحد، منهم من كتمه ويشمل أهل الطبقة الأولى بالإضافة إلى الشبلي القائل: «كنت أنا والحسين بن منصور ـ الحلاج ـ شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت»، ومنهم من أذاع وباح به ويشمل الحلاج وطبقته فأذاقهم الله طعم الحديد، على ما صرَّحت به المرأة وقت صلبه بأمر من الجنيد حسب رواية المستشرق الفرنسي ماسنيون.

● **ظهور الطرق**:

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهمي الصوفي الإيراني (٣٥٧ ـ ٤٣٠هـ) تلميذ أبي عبدالرحمن السلمي أوّل هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة.

● يعد القرن الخامس امتداداً لأفكار القرون السابقة، التي راجت من خلال مصنفات أبي عبدالرحمن السلمي، المتوفى (٤١٢هـ) والتي يصفها ابن تيمية بقوله: «يوجد في كتبه

من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ما ينتفع بهِ في الدين(*)، ويوجد فيه من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له، وبعض الناس توقَّف في روايته» [**مجموع الفتاوى** ١/ ٥٧٨]، فقد كان يضع الأحاديث لصالح الصوفية.

● ما بين النصف الثاني من القرن الخامس وبداية السادس في زمن أبي حامد الغزالي الملقَّب بحجَّة الإسلام (ت ٥٠٥هـ) أخذ التصوف مكانه عند من حسبوا على أهل السنة(*). وبذلك انتهت مرحلة الرواد الأوائل أصحاب الأصول غير الإسلامية، ومن أعلام هذه المرحلة التي تمتد إلى يومنا هذا:

ـ **أبو حامد الغزالي**، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الملقب بحجة الإسلام (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) ولد بطوس من إقليم خراسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب(*) مثل: علم الكلام(*) والفلسفة(*)، والباطنية(*)، والتصوف، مما أورثه حيرة وشكًّا دفعه للتقلُّب بين هذه المذاهب الأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، درس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس، ومنها إلى الحجاز، ثم عاد إلى موطنه. وقد ألف عدداً من الكتب منها: **تهافُت الفلاسفة**، و**المنقذ من الضلال**، وأهمها **إحياء علوم الدين**. ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف(*) في المعرفة، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصول الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية، ومن جليل أعماله هدمُه للفلسفة اليونانية، وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه **المستظهري** أو **فضائح الباطنية**. ويحكي تلميذه عبدالغافر الفارسي آخرَ مراحل حياته، بعد ما عاد إلى بلده طوس، قائلاً: «وكانت نهاية أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ اللذين هما حجة الإسلام» ا. هـ. وذلك بعد أن صحب أهل الحديث في بلده من أمثال: أبي سهيل محمد بن عبدالله الحفصي الذي قرأ عليه صحيح البخاري، والقاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي الذي سمع عليه سنن أبي داود [**طبقات السبكي** ٤/ ١١٠].

ـ وفي هذه المرحلة ألّف كتابه **إلجام العوام عن علم الكلام**، الذي ذم فيه علم الكلام(*) وطريقته، وانتصر لمذهب(*) السلف ومنهجهم(*) فقال: «الدليل على أن مذهب السلف هو الحق: أن نقيضه بدعة(*)، والبدعة مذمومة وضلالة، والخوض من جهة العوام في التأويل(*) والخوض بهم من جهة العلماء بدعة مذمومة، وكان نقيضه هو الكف عن ذلك سنة محمودة» ص [٩٦].

- وفيه، أيضاً، رجع عن القول بالكشف(*) وإدراك خصائص النبوة(*) وقواها، والاعتماد في التأويل(*) أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه قبل مرحلة إلجام العوام.

● يمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، إذ انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبدالقادر الجيلاني، المتوفى سنة (٥٦١هـ)، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي، ويزعم أتباعه أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - على الرغم من عدم لقائه بالحسن البصري، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حيًّا أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة. ومن هذه الأقوال أنه قال مرة في أحد مجالسه: «قدمي هذه على رقبة كل ولي(*) لله»، وكان يقول: «من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له»، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية.

- يقول السيد محمد رشيد رضا: «يُنقل عن الشيخ الجيلاني من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل عن غيره، والنقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتج بها» [**دائرة المعارف الإسلامية** ١١/ ١٧١].

● كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت ٥٤٠هـ) ويطلق عليها البطائحية نسبةً إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وينسج حوله كُتَّاب الصوفية - كدأبهم مع من ينتسبون إليهم - الأساطير والخرافات، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية. ومن هذه الأقوال: «كان قطب الأقطاب(*) في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال» [**طبقات الشعراني** ص ١٤١، **قلادة الجواهر** ص ٤٢].

- وقد تزوج الرفاعي العديد من النساء، ولكنه لم يعقب، ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان (ت ٥٨٤هـ) ثم خلفه عبدالرحيم بن عثمان (ت ٦٠٤هـ)، ولأتباعه أحوال وأمور غريبة ذكرها الحافظ الذهبي ثم قال: «لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء».

- وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة(*) السهروردي شهاب الدين أبي الفتوح محيي الدين بن حسن (٥٤٩ - ٥٨٧هـ)، صاحب مدرسة الإشراق(*) الفلسفية التي أساسها

الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر، ولذلك اتهمه علماء حلب بالزندقة(*) والتعطيل(*) والقول بالفلسفة(*) الإشراقية، مما حدا بهم أن يكتبوا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي محضراً بكفره(*) وزندقته فأمر بقتله ردة، وإليه تنسب الطريقة السهروردية ومذاهبها في الفيض(*) أو الظهور المستمر. ومن كتبه: **حكمة الإشراق**(*)، **هياكل النور**، **التلويحات العرشية**، **والمقامات**.

● تحت تأثير تراكمات مدارس الصوفية في القرون السالفة أعاد ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين بعثَ عقيدة الحلاج، وذي النون المصري، والسهروردي.

● في القرن السابع الهجري دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي الطائي الأندلسي أحد رؤوس الصوفية حتى لُقِّب بالشيخ الأكبر.

ـ **محيي الدين بن عربي**: الملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعد نفسه خاتم الأولياء(*)، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق، إذ مات ودفن، وله فيها الآن قبر يُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلّى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة لا يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى، وأشهر كتبه: **روح القدس**(*)، **وترجمان الأشواق**(*)، وأبرزها: **الفتوحات المكية وفصوص الحكم**.

ـ **أبو الحسن الشاذلي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ)**: صاحبَ ابن عربي مراحل الطلب ـ طلب العلم ـ ولكنهما افترقا، إذ فضّل أبو الحسن مدرسة الغزالي في الكشف(*)، بينما فضل ابن عربي مدرسة الحلاج وذي النون المصري، وقد أصبح لكلتا المدرستين أنصارهما إلى الآن داخل طرق الصوفية، مع ما قد تختلط عند بعضهم المفاهيم فيهما، ومن أشهر تلاميذ مدرسة أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ) أبو العباس المرسي (ت ٦٨٦هـ)، وإبراهيم الدسوقي، وأحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ). ويلاحظ على أصحاب هذه المدرسة إلى اليوم كثرة اعتذارها وتأويلها(*) لكلام ابن عربي ومدرسته.

● وفي القرن السابع ظهر، أيضاً، جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية بتركيا (ت ٦٧٢هـ).

● أصبح القرنان الثامن والتاسع الهجري ما هما إلا تفريع وشرح لكتب ابن عربي وابن

الفارض وغيرهما، ولم تظهر فيه نظريات جديدة في التصوف. ومن أبرز سمات القرن التاسع اختلاط أفكار كلتا المدرستين. وفي القرن الثامن ظهر محمد بهاء الدين النقشبندي مؤسس الطريقة النقشبندية (ت ٧٩١هـ). وكذلك القرن العاشر ما كان إلا شرحاً أو دفاعاً عن كتب ابن عربي، فزاد الاهتمام فيه بتراجم أعلام التصوف، والتي اتسمت بالمبالغة الشديدة. ومن كتّاب تراجم الصوفية في هذا القرن: عبدالوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) صاحب **الطبقات الصغرى والكبرى**.

● وفي القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية، وانتشرت الفوضى بينهم، واختلطت فيهم أفكار كلتا المدرستين وبدأت مرحلة الدراويش.

- ومن أهم ما تتميز به القرون المتأخرة ظهور ألقاب شيخ السجادة، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والخليفة، والبيوت الصوفية التي هي أقسام فرعية من الطرق نفسها مع وجود شيء من الاستقلال الذاتي يمارس بمعرفة الخلفاء، كما ظهرت فيها التنظيمات والتشريعات المنظمة للطرق تحت مجلس وإدارة واحدة وقد بدأ المجلس بفرمان أصدره محمد علي باشا والي مصر يقضي بتعيين محمد البكري خلفاً لوالده شيخاً للسجادة البكرية، وتفويضه في الإشراف على جميع الطرق والتكايا والزوايا والمساجد التي بها أضرحة. كما له الحق في وضع مناهج التعليم التي تعطى فيها. وذلك كله في محاولة لتقويض سلطة شيخ الأزهر وعلمائه، وقد تطورت نظمه وتشريعاته ليعرف فيما بعد بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر.

ومن أشهر رموز هذه القرون المتأخرة:

- عبدالغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣هـ).
- أبو السعود البكري المتوفى (١٨١٢م) أول من عرف بشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر بشكل غير رسمي.
- أبو الهدى الصيادي الرفاعي (١٢٢٠ - ١٢٨٧هـ).
- عمر الفوتي الطوري السنغالي الأزهري التيجاني (ت ١٢٨١هـ)، ومما يحسن ذكره له أنه اهتم بنشر الإسلام بين الوثنيين[*]، وكوّن لذلك جيشاً، وخاض به حروباً مع الوثنيين، واستولى على مملكة سيغو وعلى بلاد ماسينه. ومن مؤلفاته: **سيوف السعيد**، **سفينة السعادة**، **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**.
- محمد عثمان الميرغني (ت ١٢٦٨هـ) ستأتي ترجمة له في مبحث الختمية.

ـ أبو الفيض محمد بن عبدالكبير الكتاني، فقيه متفلسف، من أهل فاس بالمغرب، أسس الطريقة الكتانية (١٢٩٠ ـ ١٣٢٧هـ)، انتقد عليه علماء فاس بعض أقواله ونسبوه إلى فساد الاعتقاد. ومن كتبه: **حياة الأنبياء**، **لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية**.

ـ أحمد التيجاني (ت ١٢٣٠هـ) ستأتي ترجمة له في مبحث التيجانية.

ـ حسن رضوان (١٢٣٩ ـ ١٣١٠هـ) صاحب أرجوزة **روض القلوب المستطاب في التصوف**.

ـ صالح بن محمد بن صالح الجعفري الصادقي (١٣٢٨ ـ ١٣٩٩هـ) انتسب إلى الطريقة الأحمدية الإدريسية بعد ما سافر إلى مصر والتحق بالأزهر، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، والشيخ يوسف الدجوي، ومن كتبه: **الإلهام النافع لكل قاصد**، **القصيدة التائية**، **الصلوات الجعفرية**.

الأفكار والمعتقدات:

● **مصادر التلقي**:

ـ **الكشف**(*): ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية عبادتهم، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها:

١ ـ **النبي**(*) ﷺ: ويقصدون به الأخذ عنه يقظة أو مناماً.

٢ ـ **الخضر عليه الصلاة والسلام**: كثرت حكايتهم عن لقياه، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية، وكذلك الأوراد، والأذكار والمناقب.

٣ ـ **الإلهام**: من الله تعالى مباشرة، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي، إذ يعتقدون أن الولي(*) يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى، بينما الرسول أو النبي يأخذه من الملك الذي يوحي(*) به إليه(*).

٤ ـ **الفراسة**: والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها.

٥ ـ **الهواتف**: من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، مناماً أو يقظة أو في حالة بينهما بواسطة الأذن.

٦ ـ **الإسراءات والمعاريج**: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولاتها هناك، والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار.

٧ ـ **الكشف الحسي**: بالكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.

٨ ـ **الرؤى والمنامات**: وتعد من أكثر المصادر اعتماداً عليها، إذ يزعمون أنهم يتلقَّون فيها عن الله تعالى، أو عن النبي ﷺ، أو عن أحد شيوخهم لمعرفة الأحكام الشرعية.

ـ **الذوق**: وله إطلاقان:

١ ـ الذوق العام الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات، ويرى الغزالي في كتابه **المنقذ من الضلال** إمكان السالك أن يتذوَّق حقيقة النبوة، وأن يدرك خاصيتها بالمنازلة.

٢ ـ أما الذوق الخاص فتتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم الشرب.

ـ **الوجد**: وله ثلاث مراتب:

١ ـ التواجد.

٢ ـ الوجد.

٣ ـ الوجود.

ـ **التلقي عن الأنبياء غير النبي، ﷺ، وعن الأشياخ المقبورين**.

● تتشابه عقائد الصوفية وأفكارهم وتتعدد بتعدد مدارسهم وطرقهم، ويمكن إجمالها فيما يلي:

ـ يعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى؛ منها الحلول(*) كما هو مذهب(*) الحلاج، ومنها وحدة الوجود حيث عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق، ومنهم من يعتقد بعقيدة الأشاعرة والماتريدية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

ـ والغلاة(*) منهم يعتقدون في الرسول(*) ﷺ، أيضاً، عقائد شتى؛ فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، كما قال البسطامي: «خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله». ومنهم من يعتقد أن الرسول محمداً ﷺ هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه. ومنهم من لا يعتقد ذلك بل يرده ويعتقد ببشريته ورسالته، ولكنهم مع ذلك يستشفعون ويتوسلون به، ﷺ، إلى الله تعالى على وجه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة(*).

ـ وفي الأولياء(*) يعتقد الصوفية عقائد شتى؛ فمنهم من يفضِّل الولي على النبي(*)، ومنهم يجعلون الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون. ولهم تقسيمات للولاية؛ فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال(*) والنجباء(*)، إذ يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير. ومنهم من لا يعتقد ذلك، ولكنهم، أيضاً، يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم في حياتهم أو بعد مماتهم.

وكل هذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين(*) والتقوى، وعمل الصالحات، والعبودية الكاملة لله والفقر إليه، وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فضلاً عن أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١].

- يعتقدون أن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار.

- التصوف في نظرهم طريقة وحقيقة معاً.

- لابد في التصوف من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه.

- لابد من الذكر والتأمل الروحي وتركيز الذهن في الملأ الأعلى، وأعلى الدرجات لديهم هي درجة الولي.

- يتحدث الصوفيون عن العلم اللَّدُنِّي الذي يكون في نظرهم لأهل النبوة(*) والولاية(*)، كما كان ذلك للخضر عليه الصلاة والسلام، إذ أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

- **الفناء(*)**: يعد أبو يزيد البسطامي أول داعية في الإسلام إلى هذه الفكرة، وقد نقلها عن شيخه أبي علي السندي حيث الاستهلاك في الله بالكلية، وحيث يختفي نهائيًّا عن شعور العبد بذاته ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله، ويقول القشيري: الاستهلاك بالكلية يكون «لمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً» (مقام جمع الجمع) وهو: «فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق».

إن مقام الفناء حالة تتراوح فيها تصورات السالك بين قطبين متعارضين هما التنزيه(*) والتجريد من جهة والحلول(*) والتشبيه(*) من جهة أخرى.

● **درجات السلوك**:

- هناك فرق بين الصوفي والعابد والزاهد إذ إن لكل واحد منهم أسلوباً ومنهجاً وهدفاً.

وأول درجات السلوك حبُّ الله ورسوله، ودليله الاقتداء برسول الله ﷺ.

ثم الأسوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم التوبة: وذلك بالإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها، وإبراء صاحبها إن كانت تتعلق بآدمي.

- **المقامات**: «هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثاني» ولابد للانتقال من جهاد(*) وتزكية. وجعلوا

الحاجز بين المريد وبين الحق سبحانه وتعالى أربعة أشياء هي: المال، والجاه، والتقليد(*)، والمعصية.

ـ **الأحوال**: «إنها النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنسُّم أريجه». قال الجنيد: «الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم».

والأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، ويعبِّرون عن ذلك بقولهم: «الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود».

ـ **الورع**: أن يترك السالك كل ما فيه شبهة، ويكون هذا في الحديث والقلب والعمل.

ـ **الزهد**: وهو يعني أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله. يقول أحدهم عن زاهد: «صدق فلان، قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره». قد يكون الإنسان غنيًّا وزاهداً في الوقت ذاته إذ إن الزهد لا يعني الفقر، فليس كل فقير زاهداً، وليس كل زاهد فقيراً، والزهد على ثلاث درجات:

١ ـ ترك الحرام، وهو زهد العوام.

٢ ـ ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

٣ ـ ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو زهد العارفين.

ـ **التوكل**: يقولون: التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية إن كان للثقة في الله نهاية، ويقول سهل التستري: «التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد».

ـ **المحبة**: يقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «فعلامة المحبة الموافقة للمحبوب والتجاري مع طرقاته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه».

ـ **الرضا**: يقول أحدهم: «الرضا بالله الأعظم، هو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل» ويقول آخر: «الرضا آخر المقامات، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال».

ـ **يطلقون الخيال** لفهم كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، حتى يصل السالك إلى اليقين وهو على ثلاث مراتب:

١ ـ علم اليقين: وهو يأتي عن طريق الدليل النقلي من آيات وأحاديث ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾. [التكاثر: ٥].

٢ ـ عين اليقين: وهو يأتي عن طريق المشاهدة والكشف(*): ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

﴿ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٧].

٣ ـ حق اليقين : وهو ما يتحقق عن طريق الذوق : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٥، ٩٦].

ـ وأما في الحكم والسلطان والسياسة فإن المنهج(*) الصوفي هو عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين؛ لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد.

ـ ولعل أخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية، إذ يستحوذون على عقول الناس ويلغونها، وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله، ثم بالتلبيس على الشخص، ثم الزج به إلى علوم التصوف شيئاً فشيئاً، ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.

● **مدارس الصوفية**:

ـ **مدرسة الزهد**: وأصحابها من النُّسَّاك والزُّهَّاد والعُبَّاد والبكَّائين، ومن أفرادها: رابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار.

ـ **مدرسة الكشف(*) والمعرفة**: وهي تقوم على اعتبار أن المنطق العقلي وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات، إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب، وزعيم هذه المدرسة: الإمام أبو حامد الغزالي.

ـ **مدرسة وحدة الوجود**: زعيم هذه المدرسة محيي الدين بن عربي: «وقد ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق، فالوجود الحق وهو واحد، فليس ثم شيء هو له مثل؛ لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان».

ـ **مدرسة الاتحاد(*) والحلول(*)**: وزعيمها: الحلاج، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي والنصراني، إذ يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل(*) فيه وأنه قد اتحد(*) هو بالله، فمن أقوالهم: «أنا الحق» و«ما في الجبة إلا الله» وما إلى ذلك من الشطحات التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر(*) بخمرة الشهود على ما يزعمون.

● **طرق الصوفية**:

ـ **الجيلانية**: تنسب إلى عبدالقادر الجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ) المدفون في بغداد، إذ تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرُّك به، اطلع على كثير من علوم عصره، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات(*)، على نحو ما ذكرنا من قبل.

وقد ساهمت طريقته في إقامة المراكز الإسلامية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا، ووقفت حاجزاً منيعاً في وجه المد الأوربي الزاحف إلى المغرب العربي.

ـ **الرفاعية**: تنسب إلى أحمد الرفاعي (٥١٢ ـ ٥٨٠هـ) من بني رفاعة إحدى قبائل العرب، وجماعته يستخدمون السيوف، ودخول النيران في إثبات الكرامات. قال عنهم الشيخ الألوسي في **غاية الأماني في الرد على النبهاني**: «وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين(*) والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة (*) إلا ومنهم مصدرها، وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله، وعبادة مشايخهم، وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات» ١/ ٣٧٠.

وتتفق الرفاعية مع الشيعة(*) في أمور عدة منها: إيمانهم بكتاب الجفر(*)، واعتقادهم في الأئمة الاثني عشر، وأن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن يوم عاشوراء، وغير ذلك.

هذا على الرغم مما ورد عن شيخ طريقتهم ـ الشيخ أحمد الرفاعي ـ من الحض الشديد على السنة واجتناب البدعة، ومنها قوله: «ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلا رزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم».

وللرفاعية انتشار ملحوظ في غرب آسيا.

ـ **البدوية**: وتنسب إلى أحمد البدوي (٥٩٦ ـ ٦٣٤هـ) ولد بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، إذ يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولده سنويًّا يمارس فيه الكثير من البدع والانحرافات العقدية من دعاء واستغاثة وتبرك وتوسل مما يؤدي إلى الشرك المخرج من الملة. وأتباع طريقته منتشرون في بعض محافظات مصر، ولهم فيها فروع كالبيُّومية والشنَّاوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء.

ـ **الدسوقية**: تنسب إلى إبراهيم الدسوقي (٦٣٣ ـ ٦٧٦هـ) المدفون بمدينة دسوق في مصر، يدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون.

ـ **الأكبرية**: نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلة والجوع والسهر، ولها ثلاث صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

ـ **الشاذلية**: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ) ولد بقرية عمارة قرب

مرسية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثم دخل العراق ومات أخيراً في صحراء عيذاب بصعيد مصر في طريقه إلى الحج، قيل عنه: «إنه سهّل الطريقة على الخليقة» لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها؛ فليس فيها كثير مجاهدة، انتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب، وأهل مدينة مخا يدينون له بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايته، وانتشرت طريقته كذلك في مراكش وغرب الجزائر، وفي شمال أفريقيا وغربها بعامة.

ـ **البكداشية**: كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا، كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني، وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول، وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم.

ـ **المولوية**: أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ) والمدفون بقونية، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق.

ـ **النقشبندية**: تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٦١٨ ـ ٧٩١هـ) وهي طريقة سهلة كالشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

ـ **الملامتية**: مؤسسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار المعروف بالقصار (ت ٢٧١هـ) أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً بمظهر الإباحية والاستهتار، وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية.

ـ وهناك طرق كثيرة غير هذه: كالقنائية، والقيروانية، والمرابطية، والبشبشية، والسنوسية، والمختارية، والختمية... وغيرها، ولا شك أن كل هذه الطرق طرق بدعية.

● **شطحات الصوفية**:

سلك بعضهم طريق تحضير الأرواح(*) معتقداً بأن ذلك من التصوف، كما سلك آخرون طريق الشعوذة والدجل، وقد اهتموا ببناء الأضرحة وقبور الأولياء(*) وإنارتها وزيارتها والتمسُّح بها، وكل ذلك من البدع(*) التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ـ يقول بعضهم بارتفاع التكاليف ـ إسقاط التكاليف(*) ـ عن الولي(*)؛ أي أن العبادة تصير لا لزوم لها بالنسبة إليه؛ لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك؛ ولأنه لو

اشتغل بوظائف الشرع وظواهره انقطع عن حفظ الباطن وتشوش عليه بالالتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة الظاهر.

ـ ويُنقل عن الغزالي انتقاده لمن غلبهم الغرور، ويعدِّد فرقهم:

١ ـ فرقة اغتروا بالزي والهيئة والمنطق(*).

٢ ـ وفرقة ادعت علم المعرفة، ومشاهدة الحق، ومجاوزة المقامات والأحوال.

٣ ـ وفرقة وقعت في الإباحة، وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحوال، وسووا بين الحلال والحرام.

٤ ـ وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله، وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأيدينا، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب.

ـ ومذهب الوحدة المطلقة لم يكن له وجود في الإسلام بصورته الكاملة قبل ابن عربي، فهو الواضع لدعائمه والمؤسس لمدرسته والمفصل لمعانيه ومراميه، وله فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما.

ـ أما الحلاج فيعد صاحب مدرسة الاتحاد(*) والحلول(*)، وله أقوال منها:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بَدَنا
فإذا أبصرْتني أبصرتَه ... وإذا أبصرتَه أبصرْتنا

وقوله:

مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة في الماء الزلال
فإذا مسَّك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال

ـ يستخدم الصوفيون لفظ (الغوث والغياث) وقد أفتى ابن تيمية كما جاء في كتاب **مجموع الفتاوى** ص ٤٣٧: «فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله، فهو غوث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل».

ـ لقد أجمعت كل طرق الصوفية على ضرورة الذكر، وهو عند النقشبندية لفظ الله مفرداً، وعند الشاذلية لا إله إلا الله، وعند غيرهم مثل ذلك مع الاستغفار والصلاة على النبي، وبعضهم يقول عند اشتداد الذكر: هو هو، بلفظ الضمير. وفي ذلك يقول ابن تيمية في كتاب **مجموع الفتاوى** ص ٢٢٩: «وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد».

ويقول في ص ٢٢٨، أيضاً: «من قال: يا هو يا هو، أو هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره القلب، والقلب قد يهتدي وقد يضل».

ـ قد يأتي بعض المنتسبين إلى التصوف بأعمال عجيبة وخوارق، وفي ذلك يقول ابن تيمية ص ٤٩٤: «وأما كشف الرؤوس، وتفتيل الشعر، وحمل الحيات؛ فليس هذا من شعار أحد من الصالحين، ولا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا شيوخ المسلمين، ولا من المتقدمين، ولا من المتأخرين، ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي، وإنما ابتُدع هذا بعد موت الشيخ بمدة طويلة».

ـ ويقول، أيضاً، في ص ٥٠٤: «وأما النذر للموتى من الأنبياء(*) والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذرُ شركٍ ومعصية لله تعالى».

ـ وفي ص ٥٠٦ من الكتاب نفسه: «وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه».

ـ ويقول في ص ٥٠٥ من الكتاب نفسه أيضاً: «وأما مؤاخاة الرجال والنساء الأجانب، وخلوتهم بهن، ونظرهم إلى الزينة الباطنة، فهذا حرام باتفاق المسلمين، ومن جعل ذلك من الدين فهو من إخوان الشياطين».

ـ في مقام الفناء(*) عن شهود ما سوى الرب ـ وهو الفناء عن الإرادة ـ يقول ابن تيمية ص ٣٣٧ من كتابه: «وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق، أو سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، إذا فنى بمشهوده عن شهوده، وبموجوده عن وجوده، وفي مثل هذا المقام يقع السكر(*) الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور. ويُحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل أمراً محرماً. وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة».

ـ أما في مقام الفناء(*) عن وجود السوي فيقول ص ٣٣٧ من الكتاب أيضاً: «الثالث: فناء عن وجود السوى، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه، لا به ولا بغيره، وهذا القول للاتحادية الزنادقة(*) من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوي ونحوهم، الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره، لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به لكنهم يريدون أنه عين الموجودات، فهذا كفر(*) وضلال».

● **تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية في الوقت الحاضر:**

ـ من أبرز المظاهر الشركية التي تؤخذ على الصوفية ما يلي:

١ ـ الغلو(*) في الرسول.

٢ ـ الحلول(*) والاتحاد(*).

٣ ـ وحدة الوجود.

٤ ـ الغلو في الأولياء.

٥ ـ الادعاءات الكثيرة الكاذبة، كادعائهم عدم انقطاع الوحي(*) وما لهم من المميزات في الدنيا والآخرة.

٦ ـ ادعاؤهم الانشغال بذكر الله عن التعاون لتحكيم شرع الله(*) والجهاد(*) في سبيله، مع ما كان لبعضهم من مواقف طيبة ضد الاستعمار مثل الأمير عبدالقادر الجزائري.

٧ ـ كثيراً ما يتساهل بعض المحسوبين على التصوف في التزام أحكام الشرع.

٨ ـ طاعة المشايخ والخضوع لهم، والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم، والتمسح بأضرحتهم بعد مماتهم.

٩ ـ تجاوزات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، في هيئة ما يسمونه الذكر، وهو هزّ البدن والتمايل يميناً وشمالاً، وذكر كلمة الله في كل مرة مجرَّدة، والادعاء بأن المشايخ مكشوفٌ عن بصيرتهم، ويتوسلون بهم لقضاء حوائجهم، ودعاؤهم بمقامهم عند الله في حياتهم وبعد مماتهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ إن المجاهدات الصوفية إنما ترجع إلى زمن سحيق في القدم من وقت أن شعر الإنسان بحاجة إلى رياضة نفسه ومغالبة أهوائه.

ـ لا شك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد، والورع والتوبة والرضا. . . إنما هي أمور من الإسلام، وأن الإسلام يحثُّ على التمسك بها والعمل من أجلها، ولكن الصوفية في ذلك يخالفون ما دعا إليه الإسلام، إذ ابتدعوا مفاهيم وسلوكيات لهذه المصطلحات(*) مخالفة لما كان عليه الرسول(*)، ﷺ، وصحابته.

لكن الذي وصل إليه بعضهم من الحلول(*) والاتحاد(*) والفناء(*)، وسلوك طريق المجاهدات الصعبة، إنما انحدرت هذه الأمور إليهم من مصادر دخيلة على الإسلام كالهندوسية والجينية والبوذية والأفلاطونية والزرادشتية والمسيحية(*). وقد عبر عن ذلك كثير من الدارسين للتصوف منهم:

ـ المستشرق ميركس، يرى أن التصوف إنما جاء من رهبانية(*) الشام.

ـ المستشرق جونس، يرده إلى فيدا الهنود.

ـ نيكولسون، يقول بأنه وليدٌ لاتحاد الفكر اليوناني والديانات(*) الشرقية، أو بعبارة أدق: وليد لاتحاد الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة والديانات المسيحية والمذهب(*) الغنوصي(*).

ـ إن السقوط في دائرة العدمية بإسقاط التكاليف(*) وتجاوز الأمور الشرعية إنما هو أمر عرفته البرهمية، إذ يقول البرهمي: «حيث أكون متحداً مع برهماً لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة».

ـ قول الحلاج في الحلول، وقول ابن عربي في الإنسان الكامل يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام.

ـ لقد فتح التصوفُ المنحرفُ باباً واسعاً دخل منه كثير من الشرور على المسلمين مثل التواكل، والسلبية، وإلغاء شخصية الإنسان، وتعظيم شخصية الشيخ، فضلاً عن كثير من الضلالات والبدع(*) التي تُخرج صاحبها من الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن التي لم تفتحها الجيوش، وذلك بما لديهم من تأثير روحي يسمونه (الجذب)؛ مثل إندونيسيا ومعظم أفريقيا وغيرها من الأقطار النائية.

انتشر التصوف على مدار الزمان وشمل معظم العالم الإسلامي، وقد نشأت فرقهم وتوسعت في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا، وفي غرب ووسط وشرق آسيا.

لقد تركوا أثراً مهماً في الشعر والنثر والموسيقى وفنون الغناء والإنشاد، وكانت لهم آثار في إنشاء الزوايا والتكايا.

لقد كان للروحانية الصوفية أثر في جذب الغربيين الماديين إلى الإسلام، ومن أولئك مارتن لنجز الذي يقول: «إنني أوربي وقد وجدت خلاص روحي ونجاتها في التصوف». على أن اهتمام الغربيين ومراكز الاستشراق في الجامعات الغربية والشرقية بالتصوف يدعو إلى الريبة، فبالإضافة إلى انجذاب الغربيين إلى روحانية التصوف وإعجابهم بالمادة الغزيرة التي كتبت عن التصوف شرحاً وتنظيراً، فإن هناك أسباباً أخرى لاهتمام المستشرقين والمؤسسات الأكاديمية والغربيين بصفة عامة بالتصوف، من هذه الأسباب:

ـ إبراز الجانب السلبي الاستسلامي الموجود في التصوف وتصويره على اعتبار أنه

الإسلام.

ـ موافقة التصوف للرهبانية(*) المسيحية(*) واعتباره امتداداً لهذا التوجه.

ـ ميل منحرفي المتصوفة إلى قبول الأديان(*) جميعاً، واعتبارها وسيلة للتربية الروحية، وقد وُجِد في الغرب من يعتبر نفسه متصوفاً، ويستعمل المصطلحات(*) وبعض السلوكيات الإسلامية دون أن يكون مسلماً، وذلك من بين أتباع اليهودية والمسيحية والبوذية وغيرها من الأديان.

ـ تجسيم الصراع بين فقهاء الإسلام ومنحرفي المتصوفة على أنها هي السمة الغالبة في العقيدة والفقه الإسلاميين.

ـ تراجعت الصوفية وذلك ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولم يعد لها ذلك السلطان الذي كان لها فيما قبل، وذلك بالرغم من دعم بعض الدول الإسلامية للتصوف كعامل مُثبِّط لتطلعات المسلمين في تطبيق الإسلام الشمولي.

ويتضح مما سبق:

أن التصوف عبر تاريخه الطويل هو انحرافٌ عن منهج(*) الزهد الذي يحضّ الإسلام سلوكَ سبيله والمقترن بالعلم والعمل والجهاد(*) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفع الأمة ونشر الدين(*). ولذا رفضه الرسول(*) الكريم من بعض أصحابه، ثم زاد هذا الانحراف عندما اختلط التصوف بالفلسفات(*) الهندية واليونانية والرهبانية(*) النصرانية في العصور المتأخرة، وتفاقم الأمر عندما أصبحت الصوفية تجارة للمشعوذين والدجالين ممن قلت بضاعتهم في العلم وقصر سعيهم عن الكسب الحلال. وقد أدرك أعداء الإسلام ذلك فحاولوا أن يُشوِّهوا الإسلام من الداخل من خلال التصوف، ويقضوا على صفاء عقيدة التوحيد التي يمتاز بها الإسلام، ويجعلوا المسلمين يركنون إلى السلبية حتى لا تقوم لهم قائمة.

مراجع للتوسع

١ ـ **التصوف الإسلامي**، أحمد توفيق عياد، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

٢ ـ **المنقذ من الضلال** لحجة الإسلام الغزالي، مع أبحاث في التصوف، د. عبدالحليم محمود، مطبعة حسان، القاهرة.

٣ ـ **مجموع فتاوى ابن تيمية**، المجلد ١١ عن التصوف، والمجلد ١٠ عن السلوك، طبعة ١٣٩٨هـ.

٤ ـ **الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا**، د. حسن عيسى عبدالظاهر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥ ـ **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، د. عرفان عبدالحميد فتاح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦ ـ **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، أبو العلا عفيفي.

٧ ـ **الصوفية الإسلامية**، نيكلسون، ترجمة شريبة.

٨ ـ **إحياء علوم الدين**، للإمام الغزالي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٩ ـ **الفتوحات المكية**، للشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن عربي، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ.

١٠ ـ **كتاب الطواسين** للحلاج، نشره لويس ماسنيون، باريس ١٩١٣م.

١١ ـ **أخبار الحلاج**، نشره لو. م سيراب، نوينسام س ش.

١٢ ـ **ديوان الحلاج**، نشره لويس ماسنيون، باريس ١٩٣١م.

١٣ ـ **كتاب اللمع**، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د. عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٠م.

١٤ ـ **الرسالة القشيرية**، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٥٧م.

١٥ ـ **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، أرنولد رينولدز نيكلسون، مجموع مقالات ترجمها الدكتور أبو العلا عفيفي، القاهرة ١٩٤٧م.

١٦ ـ **المذاهب الصوفية ومدارسها**، عبدالحكيم عبدالغني قاسم.

١٧ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، عبدالرحمن عبدالخالق.

١٨ ـ **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، عرضاً ونقداً**، صادق سليم صادق.

١٩ ـ **أبو حامد الغزالي والتصوف**، عبدالرحمن دمشقية.

٢٠ ـ **دراسات حول التصوف**، إحسان إلهي ظهير.

٢١ ـ **الصوفية**، محمد العبدة، طارق عبدالحليم.

٢٢ ـ **المذاهب والأفكار في التصور الإسلامي**، محمد الحسن.

٢٣ ـ **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، عبدالله الأمين.

٢٤ ـ **التصوف والأدب**، زكي مبارك، د. عبدالرحمن بدوي.

٢٥ ـ **تاريخ التصوف**، د. عبدالرحمن بدوي.

المراجع الأجنبية

- Nicholson. R. A. Studies in Islamic Mysticism, Combridge 1961.
- Spencer Trimingham. T. The Sufi Orders of Islam, Oxford 1971.
- Arberry. A.J. An Introduction to the History of Sufism, Oxford 1942.
- Nicholson: Literary History of the Arabs.
- Macdonald: Development of Moslem Theology.
- Sufism: An Account of the Mystics of Islam, London 1956.
- Fazlur Rahman: Islam, London 1966.
- Encyclopedia of Religion and Ethics 1908. The Articles: Soul-Pantheism Sufis.
- Encyclopedia of Islam. The New Edition. The Articles: Al-Hallaj-ibn-Arabi Al-Bistami-Asceticism.

ما تفرع عنها من طرق:

● الشاذلية ● التيجانية ● السنوسية
● الختمية ● البريلوية

٢٨ - الشاذلية

التعريف :

طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد «الله» أو مضمراً «هو».

التأسيس وأبرز الشخصيات :

● **أبو الحسن الشاذلي**: اختلف في نسبه، فمريدوه وأتباعه ينسبونه إلى الأشراف ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ كعادة أهل كل طريقة صوفية، وبعضهم ينسبه إلى الحسين، وبعضهم إلى غيره.

ـ ذكره الإمام الذهبي في العبر فقال: «الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف توهم، ويتكلف له في الاعتذار عنها، وعنه أخذ أبو العباس المرسي، وتوفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجهاً إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة ٦٥٦هـ»، (عيذاب على طريق الصعيد بمصر).

ـ تتلمذ أبو الحسن الشاذلي في صغره على أبي محمد عبدالسلام بن بشيش، في المغرب، وكان له أكبر الأثر في حياته العلمية والصوفية.

ـ ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، وهناك ارتقى منازل عالية، كما تزعم الصوفية.

ـ رحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده شهاب الدين أحمد وأبا الحسن علياً، وأبا عبدالله محمداً وابنته زينب، وفي الإسكندرية أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من

أقطاب(*) الصوفية الكبار.

ـ تروي كتب الصوفية كثيراً من كراماته(*) وأقواله البعيدة عن التصديق، التي تنطوي على مخالفة صريحة لعقيدة الإسلام وللكتاب والسنة، اللذين هما أساس دعوته كما يقول عن نفسه، ومن هذه الكرامات(*) والأقوال:

ـ ينقل الدكتور عبدالحليم محمود نقلاً عن **درّة الأسرار**: «لما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً، وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس، حافي القدمين، يستأذن على رسول الله، ﷺ فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا علي، ادخل». وهذا مخالف للعقيدة. ويقول عن نفسه: «لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة» وهذا ادعاءٌ لعلم الغيب وشرك بالله تعالى.

ـ للشاذلي أوراد تسمى **حزب الشاذلي** ورسالة **الأمين** في آداب التصوف رتَّبها على أبواب، وله **السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل** وللإمام تقي الدين ابن تيمية رد على حزبه.

● **أبو العباس المرسي**: أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، من أهل الإسكندرية، لا يُعرف تاريخ ولادته وأهله من مرسية بالأندلس، توفي سنة (٦٨٦هـ ـ ١٢٨٧م).

ـ يعد خليفة أبي الحسن الشاذلي وصار قطباً(*) بعد موته، حسب ما يقول الصوفية، وله مقام كبير ومسجد باسمه في مدينة الإسكندرية.

ـ قال عن نفسه: «والله لو حُجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين».

ـ وكان يدعي صحبة الخضر واللقاء معه.

ـ وكان له تأويل(*) باطني(*) مثل ما كان لشيخه أبي الحسن، ومثال ذلك ما ذكره تلميذه ابن عطاء الله السكندري: سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦] أي: ما نُذهب من ولي(*) لله إلا ونأتي بخير منه أو مثله. وهذا إلحادٌ(*) بيِّنٌ في آيات الله تعالى.

ثم خلف على مشيخة الشاذلية بعد أبي العباس المرسي ياقوتُ العرش، وكان حبشيًا، وسمي بالعرش؛ لأن قلبه لم يزل تحت العرش كما تقول الصوفية وما في الأرض إلا جسده.

وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش. هذا ما جاء في **طبقات الشعراني**، وهو من خرافات الصوفية التي لا تقف عند حد.

الأفكار والمعتقدات:

● تشترك كل الطرق الصوفية في أفكار ومعتقدات واحدة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته، ونستطيع أن نُجمِل أفكار الطريقة الشاذلية في نقاط محددة، مع العلم أن هذه النقاط كما سنرى قد تفسر لدى الصوفية غير التفسير المعهود لدى عامة العلماء والفقهاء، وهذه النقاط هي:

ـ **التوبة**: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى.

ـ **الإخلاص**: وينقسم لديها إلى قسمين:

١ ـ إخلاص الصادقين.

٢ ـ إخلاص الصِّدِّيقين.

ـ **النية**: وتعد أساس الأعمال والأخلاق(*) والعبادات.

ـ **الخلوة**: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية. وفي الطريقة الشاذلية يدخل المريد الخلوة لمدة ثلاثة أيام قبل سلوك الطريق.

ـ **الذكر**: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار. والذكر المشهور لدى الشاذلية هو ذكر الاسم المفرد لله أو مضمراً (هو هو). وهذا الذكر بهذه المثابة بدعة(*)، وقد مر بنا ما قاله عنه ابن تيمية بأنه ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، وأن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تامًّا مفيداً مثل: لا إله إلا الله، والله أكبر.

ـ **الزهد**: وللزهد تعاريف متعددة عند الصوفية منها:

١ ـ فراغ القلب مما سوى الله، وهذا هو زهد العارفين.

٢ ـ وهو أيضاً ـ عندهم ـ الزهد في الحلال وترك الحرام.

ـ **النفس**: ركزت الشاذلية على أحوال للنفس هي:

١ ـ النفس مركز الطاعات إن زكَتْ واتقت.

٢ ـ النفس مركز الشهوات في المخالفات.

٣ ـ النفس مركز الميل إلى الراحات.

٤ ـ النفس مركز العجز في أداء الواجبات.

لذلك يجب تزكيتها حتى تكون مركز الطاعات فقط.

ـ **الورع**: وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة.

ـ **التوكل**: وهو صرف القلب عن كل شيء إلا الله.
ـ **الرضى**: وهو رضى الله عن العبد.
ـ **المحبة**: وهي في تعريفهم: سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام.

ـ وللحب درجات لدى الشاذلية وأعلى درجاته ما وصفته رابعة العدوية بقولها:

أحبك حبَّين: حب الهوى ... وحبًّا لأنك أهل لذاك

ـ **الذوق**: ويعرِّفونه بأنه تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات(*) وخوارق العادات، ويعدونه طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له. لذلك يفضل الصوفية العلوم التي تأتي عن طريق الذوق على العلوم الشرعية من الفقه والأصول وغير ذلك، إذ يقولون: علم الأذواق لا علم الأوراق. ويقولون: إن علم الأحوال يتم عن طريق الذوق، ويتفرع منه علوم الوجد(*) والعشق والشوق.
ـ **علم اليقين**: وهو معرفة الله تعالى معرفة يقينية، ولا يحصل هذا إلا عن طريق الذوق، أو العلم اللدني أو الكشف(*)... إلخ.

● ومع ذلك فإن الشاذلي يقول بأن التمسك بالكتاب والسنة هو أساس طريقته، فمن أقواله: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة».

ـ ويقول، أيضاً: «كل علم يسبق إليك فيه الخاطر، وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارمِ به، وإن كان حقًّا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، ﷺ، واقتدِ به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده».

● وكذلك فإن الصوفية عامة يرون ـ ومنهم الشاذلية ـ أن علم الكتاب والسنة لا يؤخذان إلا عن طريق شيخ أو مربٍّ أو مرشد، ولا يتحقق للمريد العلم الصحيح حتى يطيع شيخه طاعة عمياء في صورة: «المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي مُغسِّله». لذلك يُنظر إلى الشيخ نظرة تقديسية ترفعه عن مرتبته الإنسانية.

ـ **السماع**: وهو سماع الأناشيد والأشعار الغزلية الصوفية. وقد نقل عن أحد أعلام التصوف قوله: «الصوفي هو الذي سمع السماع وآثره على الأسباب». ونقل عن الشعراني عن الحارث المحاسبي قوله: «مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن»، و«إنه من أسرار الله تعالى في الوجود».

ـ وقد أفرد كُتّاب التصوف للسماع أبواباً منفصلة في مؤلفاتهم، لما له من أهمية خاصة عندهم.

ـ يكثر في السماع الأشعار التي تصل إلى درجة الكفر(*) والشرك، كرفع الرسول(*) ﷺ إلى مرتبة عالية لم يقل بها أحد من أصحابه، ولا هي موجودة في كتاب ولا سنة، فضلاً عن الإكثار من الاستغاثة لا المناجاة كما يقول البعض:

يـا كتـاب الغيـوب ... قـد لجـأنـا إليـك

يـا شفـاء القلـوب ... الصـلاة عليـك

● وهناك أفكار واعتقادات كثيرة يجدها القارئ في كتب التصوف مبتدعة(*) دخلت الفكر الإسلامي عن طريق الفلسفات(*) اليونانية والهندية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

كانت المذاهب(*) الصوفية كلها عبارة عن مدارس تربوية تدعو إلى تزكية النفس وإلى الزهد في الدنيا والعمل الصالح، إلا أن هذه المدارس دخلتها الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية، وحتى النصرانية واليهودية وغيرها من الفلسفات، وذلك أثناء حركة الترجمة في القرن الرابع الهجري؛ فتأثرت الصوفية بها، وبدأ الانحراف في هذه المدارس عن الطريق الإسلامي السوي.

فقد أخذت الصوفية من الفلسفة(*) الهندية مراحل ترقِّي الإنسان إلى الفناء(*) أو النرفانا(*)، وذلك بتطهير نفسه بالجوع والزهد وترك الدنيا حتى يصل إلى السعادة الحقيقية.

وأخذت الصوفية الرهبانية(*) من النصرانية المنحرفة، وهو الانقطاع عن الناس والعزلة عن الخلق والزهد.

ومن الفلسفة اليونانية نظرية الفيض(*) الإلهي، والاتحاد(*) والحلول(*) عند بعض الصوفية.

ولو تتبع المدقق في المذاهب الصوفية لوجد العجب من المصطلحات والمعلومات البعيدة كل البعد عن تعاليم الشريعة الإسلامية(*) الواضحة البينة.

أماكن الانتشار:

مركز الشاذلية الأول هو مصر وبخاصة مدينة الإسكندرية، وطنطا، ودسوق بمحافظة كفر الشيخ، ثم انتشرت في باقي البلاد العربية. وأهم مناطق نشاطها سوريا والمغرب العربي، ولها وجود إلى الآن في ليبيا وفي السودان في الوقت الحاضر.

يتضح مما سبق:

أن الشاذلية طريقة صوفية تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة في المغرب بشمال أفريقيا. وتشترك هذه الطريقة مع غيرها من الطرق الصوفية في كثير من الأفكار والمعتقدات، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته. ومجمل أفكار هذه الطريقة: التوبة، الإخلاص، النية، الخلوة، الذكر، الزهد، النفس، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع. ولهذه الألفاظ معانٍ تختلف بدرجات متفاوتة عن المعاني الشرعية.

أما علم القرآن والسنة فلا يؤخذان عند الشاذلي إلا عن طريق شيخ أو مُربٍّ أو مرشد، وهو ما يستوجب على السالك الطاعة العمياء لهم. ويؤخذ على الشاذلية ما يؤخذ على الطرق الصوفية من مآخذ انحرفت بسالكيها عن الطريق الإسلامي السوي.

مراجع للتوسع

- **المدرسة الشاذلية الحديثة ـ إمامها أبو الحسن الشاذلي**، للدكتور عبدالحليم محمود.
- **دراسات في التصوف**، إحسان إلهي ظهير، لاهور، باكستان ١٤٠٩هـ.
- **المذاهب الصوفية ومدارسها**، عبدالحكيم عبدالغني قاسم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٩م.
- **التصوف في ميزان البحث والتحقيق**، عبدالقادر حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
- **الطبقات الكبرى**، للشعراني، مكتبة القاهرة ١٣٩٠هـ.
- **لطائف المنن**، ابن عطاء الله السكندري، مطبعة حسان، القاهرة.
- **من أعلام التصوف الإسلامي**، طه عبدالباقي سرور، دار نهضة مصر.
- **سير أعلام النبلاء**، للإمام الذهبي، ط. بيروت.
- **جامع الرسائل**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **الاستقامة**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. جامعة الإمام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٩ـ التيجانية

التعريف:

التيجانية: طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي(*) ، ﷺ، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي، ﷺ، قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وقد عاش ما بين ١١٥٠ ـ ١٢٣٠هـ (١٧٣٧ ـ ١٨١٥م) وكان مولده في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر حاليًّا.

ـ حفظ القرآن الكريم ودرس شيئاً من الحديث.

ـ درس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة ووهران.

ـ أنشأ طريقته عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمعون، وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها خرجت الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة.

ـ أبرز آثاره التي خلَّفها لمن بعده زاويته التيجانية في فاس، وكتابه **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني** الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم.

من مشاهيرهم بعد المؤسس:

ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي وقد توفي في المدينة النبوية.

ـ محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي (ت ١٢٢٤هـ) صاحب كتاب **الجامع لما افترق من العلوم** وكتاب **نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء**.

ـ **أحمد سكيرج العياشي** (١٢٩٥ ـ ١٣٦٣هـ) ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرساً فيه، تولى القضاء، وزار عدداً من مدن المغرب، وله كتاب **الكوكب الوهاج**، وكتاب **كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب**.

ـ **عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي**: ولد سنة (١٧٩٧م) في قرية الفار من بلاد ديمار بالسنغال حاليًّا. تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين(*)، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين. وقد كانت وفاته سنة (١٢٨٣هـ) وخلفه من بعده اثنان من أتباعه، وأهم مؤلفاته **رماح حزب الرحيم على نحور**

حزب الرجيم الذي كتبه سنة ١٢٦١ ـ ١٨٤٥م.

ـ محمد الحافظ بن عبداللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري (١٣١٥ ـ ١٣٩٨هـ) وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة. وله كتاب **الحق في الحق والخلق**، وله **الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرّط**، **وشروط الطريقة التيجانية**، كما أسس مجلة **طريق الحق** سنة ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠م.

الأفكار والمعتقدات:

● من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى إيماناً يداخله كثير من الشركيات.

● ينطبق عليهم ما ينطبق على الطرق الصوفية بعامة من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم وفلسفتهم ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود، انظر جواهر المعاني ١/ ٢٥٩، وإيمانهم بالفناء(*) الذي يطلقون عليه اسم (وحدة الشهود(*)) انظر كذلك **جواهر المعاني** ١/ ١٩١.

● يقسمون الغيب إلى قسمين: غيب مطلق استأثر الله بعلمه، وغيب مقيد وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض. وعلى الرغم من أن هذا في عمومه قد يشاركهم فيه غيرهم من المسلمين إلا أنهم يتوسعون في نسبة علم الغيب إلى مشايخهم.

ـ يزعمون بأن مشايخهم يكشفون(*) عن بصائرهم، فهم يقولون عن شيخهم أحمد التيجاني «ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار المضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات» (انظر **الجواهر** ١/ ٦٣).

● يدعي زعيمهم أحمد التيجاني بأنه قد التقى بالنبي(*)، ﷺ، لقاءً حسيًّا ماديًّا، وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه قد تعلم من النبي، ﷺ، صلاة (الفاتح لما أغلق).

ـ صيغة هذه الصلاة: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم) ولهم في هذه الصلاة اعتقادات نسوق منها ما يلي:

ـ أن الرسول(*)، ﷺ، قد أخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات.

ـ أن الرسول، ﷺ، قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه كان من الأذكار. (انظر **الجواهر** ١/ ١٣٦).

ـ أن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأذوناً بتلاوتها، وهذا يعني تسلسل نسب الإذن حتى يصل إلى أحمد التيجاني الذي تلقاه عن رسول الله ـ كما يزعم.

ـ أن هذه الصلاة هي من كلام الله تعالى بمنزلة الأحاديث القدسية، (انظر **الدرة الفريدة** ١٢٨/٤).

ـ أن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة.

ـ من قرأها مرة كُفِّرت بها ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون.. إلخ (انظر كتاب **مشتهى الخارف الجاني** ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

● يلاحظ عليهم شدة تهويلهم للأمور الصغيرة، وتصغيرهم للأمور العظيمة، على حسب هواهم، مما أدى إلى أن يفشو التكاسل بينهم والتقاعس عن أداء العبادات والتهاون فيها، وذلك لما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم.

● يقولون بأن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين يوم القيامة ومن ذلك:

ـ أن تخفف عنهم سكرات الموت.

ـ أن يظلهم الله في ظل عرشه.

ـ أن لهم برزخاً يستظلون به وحدهم.

ـ أنهم يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى، ﷺ، وأصحابه المقربين.

● يقولون بأن النبي(*)، ﷺ، قد نهى أحمد التيجاني عن التوجه بالأسماء الحسنى، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق وهذا مخالف لصريح الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ـ يقولون بأن النبي، ﷺ، قد أمر أحمد التيجاني بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق، وأنه لم يأمر بها أحداً قبله، وفي ذلك افتراء بأن النبي، ﷺ، قد كتم عن الأمة المسلمة شيئاً مما أوحي إليه من ربه، وقد ادخره حتى حان وقت إظهاره، إذ باح به لشيخهم أحمد التيجاني.

● هم كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي، ﷺ، وعباد الله الصالحين، ويستمدون منه ومنهم ومن الشيخ عبدالقادر الجيلاني ومن أحمد التيجاني ذاته، وهذا مما نهى عنه شرع الله الحكيم.

● يتردد في كتبهم كثير من ألقاب الصوفية كالنجباء(*) والنقباء(*) والأبدال(*) والأوتاد(*)، وتترادف لديهم كلمتا الغوث(*) والقطب(*) (الذي يقولون عنه بأنه ذلك

الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود!!).

● يقولون بأن أحمد التيجاني هو خاتم الأولياء(*)، مثلما أن النبي، ﷺ، خاتم الأنبياء.

● يقول أحمد التيجاني «من رآني دخل الجنة». ويزعم أن من حصل له النظر إليه في يومي الجمعة والاثنين دخل الجنة. ويؤكد على أتباعه بأن النبي، ﷺ، ذاته قد ضمن له ولهم الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب.

● ينقلون عن أحمد التيجاني قوله: «إن كل ما أعطيه كل عارف بالله أعطي لي».

● وكذلك قوله: إن طائفة من أصحابه لو وزنت أقطاب(*) أمة محمد ما وزنوا شعرة فرد من أفرادهم، فكيف به هو!!

● وقوله: «إن قَدَميَّ هاتين على رقبة كل ولي من لدن خلق الله آدم إلى النفخ في الصور».

● لهم ورد يقرؤونه صباحاً ومساءً، ووظيفة تقرأ في اليوم مرة صباحاً أو مساء، وذكر ينعقد بعد العصر من يوم الجمعة على أن يكون متصلاً بالغروب، والأخيران الوظيفة والذكر يحتاجان إلى طهارة مائية، وهناك العديد من الأوراد الأخرى لمناسبات مختلفة.

● من أخذ ورداً فقد ألزم نفسه به، ولا يجوز له أن يتخلى عنه وإلا هلك وحلت به العقوبة العظمى(١)!!

● نصَّب أحمد التيجاني نفسه في مقام النبوة(*) يوم القيامة، إذ قال: «يوضع لي منبر من نور يوم القيامة، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم» (انظر **الإفادة الأحمدية** ص ٧٤).

الجذور الفكرية والعقائدية:

● مما لا شك فيه أنه قد استمد معظم آرائه من الفكر الصوفي وزاد عليها شيئاً من

---

(١) تلقت الندوة رسالة مطولة ممن سمى نفسه الحاج عبدالله التيجاني ينكر بعض النقاط السابقة. كما يقدم تفسيرات لبعض ما ذكر عن التيجاني أو التيجانية. ومن جملة ما حاول تبريره وإثباته إمكانية الرؤية الفعلية للرسول، ﷺ، في الحياة الدنيا، وعلى الرغم مما في رسالة الحاج عبدالله من سعي جاد لتبرير سلوكيات التيجانية فهي لم تورد ما يدل على أن معالجة الموسوعة لهذه الطريقة فيها أي تحامل يخرج عن تبيان الحق وتوضيح الطريق الصحيح لأتباع الرسول، ﷺ، والذي نرجوه من الحاج عبدالله وجميع فرق المسلمين التي انحرفت عن منهج الله الشامل الكامل الصافي أن تراجع نفسها وتستغل ما وهبها الله من طاقات في الرجوع إلى الحق واكتشاف طريق النجاة، بدلاً من الدفاع عن رأي زيد أو عمرو، فكل يؤخذ من قوله ويرد وكل عرضة لإغواء الشيطان واتباع الهوى إلا الأنبياء المعصومين.

أفكاره.

● وقد نهل من كتب عبدالقادر الجيلاني وابن عربي والحلاج وغيرهم من أعلام المتصوفة.

● وخلال فترة تشكله قبل تأسيس الطريقة قابل عدداً من مشايخ الصوفية وأخذ إذناً وأوراداً عنهم وأبرز تلك الطرق القادرية والخلوتية.

● واستفاد من كتاب **المقصد الأحمد في التعريف بسيدي أبي عبدالله أحمد** تأليف أبي محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسيني والمطبوع بفاس سنة ١٣٥١هـ.

● كان لانتشار الجهل أثر كبير في ذيوع طريقته بين الناس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت هذه الحركة(*) من فاس وما زالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا.

● صاحب كتاب التيجانية علي بن محمد الدخيل الله يقدر في عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد على عشرة ملايين نسمة.

ويتضح مما سبق:

أن التيجانيين مبتدعون في عباداتهم، وكل بدعة(*) ضلالة؛ لأنهم ذهبوا إلى تخصيص أدعية بذاتها غير واردة في الشرع، وألزموا الناس بعبادات معينة في أوقات مخصوصة لا تستند إلى أساس، فضلاً عن أن لهم معتقدات تخرج بمن يعتنقها عن الملة(*) كالقول بالحلول(*) والاتحاد(*).

مراجع للتوسع

- **الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية**، الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء، ط ٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
- **كتاب مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني**، محمد الخضر ابن سيدي عبدالله بن مايابي الجكني الشنقيطي ـ طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر.
- **التيجانية**، علي بن محمد الدخيل الله، نشر وتوزيع دار طيبة ـ الرياض ـ دار مصر للطباعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- **الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية**، عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي ـ ط٤، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

- **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس، التيجاني**، وبهامشه **رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**، قام بجمعه علي حرازم (وهو في جزءين) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.
- **المقتصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبدالله أحمد**، أبو محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسيني ـ المطبعة الحجرية بفاس ـ طبع سنة ١٣٥١هـ.
- **الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة**، محمد بن عبدالواحد السوسي النظيفي، طبعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- **بغية المستفيد بشرح منية المريد**، محمد العربي السائح ـ دار العلوم للجميع ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
- **أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التيجاني خاتم الأقطاب المحمديين بيقين**، جمعه حسين حسن الطائي التيجاني، دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة.
- **أعداد مجلة** طريق الحق، وهي خاصة بالطريقة التيجانية ـ تصدر بالقاهرة.
- **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، عبدالرحمن عبدالخالق، الطبعة الثانية ـ مكتبة ابن تيمية، الكويت.

٣٠ـ السنوسية

التعريف:

السنوسية دعوة إسلامية إصلاحية صوفية(*) تصدت للاحتلال الإيطالي في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمال إفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسست الدعوة السنوسية في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، بعد شعور مؤسسها بضعف المسلمين وتأخرهم دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، فأنشأ حركته(*) التجديدية على أساس الكتاب والسُّنة. ومن أبرز شخصياتها:

ـ الشيخ محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢هـ ـ ١٢٧٦هـ (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩م)، وهو المؤسس للدعوة السنوسية، وتنسب السنوسية لجده الرابع.

وُلد في مستغانم في الجزائر، ونشأ في بيت علم وتُقًى. وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن، ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرِف فيما بعد بالحركة السنوسية.

وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: **الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، وإيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن.**

ـ الشيخ المهدي محمد بن علي السنوسي ١٢٦١ ـ ١٣١٩هـ (١٨٤٤ ـ ١٩٠٢م) خلف والده في قيادة الدعوة السنوسية وعمره اثنا عشر عاماً.

ـ الشيخ أحمد الشريف السنوسي ـ ابن عم المهدي ـ ولد سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) عاصر هجمة الاستعمار(*) الأوروبي على شمال إفريقيا وهجوم إيطاليا على ليبيا فاستنجد في عام ١٩١٧م بالحكومة العثمانية، فلم تنجده خوفاً منه على مركزها الديني. وقد وقف مع (مصطفى كمال أتاتورك) ظنًّا منه أنه حامي الدين ـ كما كان يطلق عليه ـ ولصد الهجمة الغربيّة على تركيا. . ولما تبين له مقاصده الحقيقية المعادية للإسلام غادر الشيخ أحمد تركيا إلى دمشق عام ١٩٢٣م، وعندما شعرت فرنسا بخطره على حكومة الانتداب طلبته فهرب بسيارة عبر الصحراء إلى الجزيرة العربية.

ـ الشيخ عمر المختار ١٢٧٥ ـ ١٣٥٠هـ (١٨٥٦ ـ ١٩٣١م) وهو البطل المجاهد، أسد القيروان، الذي لم تحل السنوات السبعون من عمره بينه وبين الجهاد(*) ضد الإيطاليين المستعمرين لليبيا، إذ بقي عشر سنوات يقاتل قوى استعمارية أكبر منه بعشرات المرات ومجهزة بأضخم الأسلحة في ذلك العصر، إلى أن تمكن منه الاستعمار(*) الإيطالي الغاشم، ونفَّذ فيه حكم الإعدام، وذلك في يوم الأربعاء السادس عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٣١م ويرجى أن يكون شهيداً في سبيل الله.

الأفكار والمعتقدات:

● السنوسية حركة صوفية(*) تصدت للاحتلال الإيطالي في ليبيا على أساس الكتاب والسُّنة.

ـ تأثَّر السنوسيُّ بالإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وبحركته السلفية(*) في مجال العقيدة بوجه خاص.

ـ وتأثر السنوسيُّ، أيضاً، بالتصوف السُّنيِّ الصحيح الخالي من البدع والخرافات، كالتوسل بالأموات والصالحين، ووضع منهجاً متكاملاً للارتقاء بالمسلم.

ـ تتشدد السنوسية في أمور العبادة، وتتحلى بالزهد في المأكل والملبس. وقد أوجب السنوسيون على أنفسهم الامتناع عن شرب الشاي والقهوة والتدخين.

ـ تدعو السنوسية إلى الاجتهاد(*) ومحاربة التقليد(*). وعلى الرغم من أن السنوسيَّ مالكيُّ المذهب، إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره.

ـ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن أسلوب العنف واستعمال القوة.

ـ الاهتمام بالعمل اليدويِّ الجاد من تعاليم السنوسية. وكان السنوسي يقول دائماً: «إن الأشياء الثمينة توجد في غرس شجرة وفي أوراقها». لذلك ازدهرت الزراعة والتجارة في الواحات الليبية حيث توجد مراكز الدعوة السنوسية.

ـ «الجهاد(*) الدائم في سبيل الله ضد المستعمرين الصليبيين وغيرهم»، هذا هو الشعار الدائم للسنوسية. وقد دفع ثمن ذلك آلاف في جهادهم ضد الاستعمار الإيطالي ـ يرجى ألا يحرموا أجر الشهادة في سبيل الله.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن تربية السنوسي الإسلامية وقوة إخلاصه وحماسته للإسلام فضلاً عن ذكائه

وصلابته ـ كل ذلك كان من الدوافع الأساسية للحركة السنوسية بشكل عام.

● أما المؤثِّرات والجذور الفكرية والسلوكية التي أثرت في دعوته فنجملها فيما يلي:

ـ تأثره الشديد بتعاليم الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، وخاصة أفكارهم السلفية في مجال العقيدة، وقد اكتسب هذا التأثر أثناء زيارته للحجاز لأداء فريضة الحج عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٧م) التي كانت نقطة البداية للحركة السنوسية. وأخذ السنوسيُّ من الصوفية أساليب البيعة(*) ودرجات التزكية الروحية مثل درجة المنتسب ثم درجة الإخوان ثم درجة الخواص.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ تعد واحة (جغبوب) في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس مركز الدعوة السنوسية، ففي هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة، ثم يرسلون إلى جميع أجزاء أفريقيا الشمالية، دعاة للإسلام.

● وقد بلغت زوايا السنوسية الفرعية ١٢١ زاوية تتلقى من زاويتهم الرئيسية التعليمات والأوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع أمر الدعوة السنوسية التي أصبحت تضم المسلمين من جميع الأجناس.

● وانتشرت الدعوة السنوسية في أفريقيا الشمالية كلها، وقد امتدت زواياها من مصر إلى مراكش. ووصلت جنوباً إلى الصحراء في السودان والصومال، وغرباً إلى الجزائر، وكذلك انتشرت الدعوة السنوسية في خارج أفريقية، إذ وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى.

● وقد استطاعت السنوسية أن تنشر الإسلام في القبائل الوثنيَّة(*) الإفريقية، وتؤسس المدارس التعليمية والزوايا. ولم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد التعليم إلى النساء والأطفال من الجنسين، واستعانت الدعوة بالنساء لنشر الإسلام بين نساء القبائل الوثنية.

ويتضح مما سبق:

أن السنوسية حركة أو دعوة إسلامية إصلاحية صوفية(*) ظهرت في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري، ومنها انتشرت إلى شمال أفريقيا والسودان والصومال وبعض البلاد العربية. وقد تأثرت هذه الحركة الدعوية بالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وأبي حامد الغزالي والشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته السلفية(*) في مجال العقيدة. كما تأثرت هذه الحركة بالتصوف السُّنِّي الصحيح الخالي من البدع والخرافات كالتوسل بالأموات

والصالحين، ولها منهج متكامل للارتقاء بالمسلم. ومؤسس هذه الحركة هو محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢ ـ ١٢٧٦هـ الذي تأثر بالمذهب المالكي إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره. وتعتمد الحركة في الدعوة إلى الله على أسس الحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن العنف. وهي تهتم بالعمل اليدوي الجاد والجهاد(*) الدائم في سبيل الله ضد المستعمرين والصليبيين وغيرهم.

مراجع للتوسع:

- **الإسلام في القرن العشرين**، عباس محمود العقاد.
- **حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث**، جمال الدين عبد الرحيم مصطفى.
- **محاضرات عن الحركات الإصلاحية** ـ جمال الدين الشيَّال.
- **محاضرات عن تاريخ العالم الإسلامي المعاصر**، د. عبد الفتاح منصور.
- **محمد بن عبد الوهاب**، أحمد عبد الغفور عطار.
- **قادة فتح المغرب العربي**، محمود شيت خطاب.
- **حاضر العالم الإسلامي**، لوثروب ستودارد ـ تعليق شكيب أرسلان.
- **الأعلام**، للزركلي.
- **الإسلام في النظرية والتطبيق**، المهدية مريم جميلة.

٣١ـ الختمية

التعريف:

الختمية طريقة صوفية، تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل: الغلوّ(*) في شخص الرسول، ﷺ، وادعاء لقياه، وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم التي تميزوا بها عنه مباشرة. هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعيّ، وأخذهم من أدب الشيعة(*) وجدالهم، ومحاولة المعاصرين منهم ربط الطائفة بالحركة الشيعيَّة المعاصرة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس الطريق: محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب ويلقب (بالختم) إشارة إلى أنه خاتم الأولياء، ومنه اشتق اسم الطريقة الختمية كما تسمى الطريقة، أيضاً، الميرغنية ربطا لها بطريقة جد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب.

ـ وُلد محمد عثمان الميرغنى (الختم) بمكة عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٨٣م، وتلقَّى العلوم الشرعيَّة على يد علمائها، وغلب عليه الاهتمام بالتصوف شأن أفراد أسرته جميعا، فانخرط في عدة طرق: القادرية، الجنيدية، النقشبندية، الشاذلية، وطريقة جدِّه الميرغنية، كما تتلمذ على الشيخ أحمد بن إدريس، وأخذ تعاليم الطريقة الإدريسية، ومن هذه الطرق جميعاً استمد تعاليم طريقته الختمية.

ـ أوفده شيخه أحمد بن إدريس لنشر الطريقة الإدريسية الشاذلية في السودان، وقد لاقى نجاحاً محدوداً في شمال السودان وشرقه.

ـ بعد وفاة الشيخ أحمد بن إدريس ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م تنافس الميرغني ومحمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) على خلافة الشيخ، وبتأييد من بعض أتباع الشيخ كسب الميرغني المنافسة والتأييد، واستطاع أن يكون طريقته الختمية وينشيء لها عدة زوايا في مكة وجدة والمدينة والطائف.

ـ بعث الميرغني بأبنائه إلى عدة جهات: جنوب الجزيرة ومصر والسودان للدعوة للطريقة الختمية ونشرها.

ـ ألَّف عدة كتب في التفسير والتوحيد، وعدة دواوين شعرية يغلب عليها جميعاً الطابع الصوفي في لغتها ومضمونها. من أهم هذه الكتب: **تاج التفاسير**، **النفحات المكِّية واللمحات الحقِّية في شرح أساس الطريقة الختمية**، **النور البراق في مدح النبي المصداق**، ديوان **النفحات المدنية في المدائح المصطفوية**، ديوان **مجمع الغرائب والمفرقات من لطائف الخرافات الذاهبات**، **مجموعة فتح الرسول**، **مولد النبي المسمى بالأسرار الربانية**.

ـ على إثر خلاف مع بعض العلماء في مكة، رحل محمد عثمان الميرغني وذهب إلى الطائف، إذ أقام هناك حتى وفاته عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٣م.

● **الحسن بن محمد عثمان (الختم):**

وُلد في مدينة بارا بغرب السودان عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٦م من امرأة تزوجها والده بتلك المدينة خلال رحلته إلى السودان التي أشرنا لها من قبل، التحق بوالده في مكة وتلقى تعليمه بها. بعث به والده إلى السودان لنشر الطريقة الختمية. لقي الحسن نجاحاً كبيراً في دعوته في شمال السودان وشرقه خاصة. أصبح الحسن شيخ الطريقة في السودان وأسَّس قرية الختمية بالقرب من مدينة كسلا في شرق السودان، كمركز للطائفة، وأصبح له مكانة كبيرة في تلك الأنحاء فاقت مكانة والده مؤسس الطريقة، وظل الحسن شيخاً للطريقة حتى وفاته عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.

● **محمد عثمان تاج السر بن الحسن بن محمد عثمان (الختم):**

● أصبح شيخ الطريقة بعد وفاة والده، وخلال فترة تولِّيه زعامة الطائفة ظهرت الحركة المهدية في السودان. فعارضها محمد عثمان تاج السر معارضةً شديدة، وقاد أتباعه من الختمية لمقاومتها، وخاضوا عدة معارك ضد جيوش المهدية في شرق السودان. وانتهى الأمر بهزيمته وفراره إلى مصر، إذ ظل بها حتى وفاته عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م.

● **علي الميرغني بن محمد عثمان تاج السر ١٨٨٠ـ١٩٦٨م:**

ولد بجزيرة مسّاوي مركز مروي بشمال السودان عام ١٨٨٠م، انتقل مع والده إلى مدينة كسلا، وحينما اضطر والده إلى الهجرة إلى مصر إثر هزيمته على يد جيوش المهدية، تركه والده مع عمه تاج السر الحسن في سواكن، ثم لحق بأبيه وبقي في مصر حتى مجيء جيش الغزاة الإنجليز للسودان، إذ اختاره الإنجليز لمرافقتهم في غزوهم للسودان للقضاء على دولة المهدية. وحينما تمَّ للإنجليز الاستيلاء على السودان وهزيمة المهدية، اتخذوه

صنيعة لهم وأطلقوا عليه الألقاب ومنحوه الأوسمة والمكافآت نظير خدماته لهم. واعترفوا به زعيما لعموم طائفة الختمية في السودان. واستفادوا منه في القضاء على المشاعر الدينية التي حركت الثورة(*) المهدية من ناحية، وفي كسب ولاء السودانيين من ناحية أخرى.

ـ وحينما بدأت الحركة المهديّة تظهر من جديد على يد أحد أبناء المهدي، وبمباركة الإنجليز، شعر علي الميرغني بخطورة الموقف لا سيما أن الإنجليز أرادوا ضرب الطائفتين (الختمية والأنصار) والاستفادة من العداء التقليدي بينهما والصراع بين زعيميهما. نتيجة لذلك تحول ولاء زعيم الختمية نحو مصر، وأصبح راعيا فيما بعد للحركة السياسية التي كانت تدعو إلى الوحدة بين مصر والسودان، وظل يحرك الأحداث السياسية من وراء ستار ويلعب دوراً خطيراً فيها حتى وفاته عام ١٩٦٨م.

● **محمد عثمان بن علي الميرغني:**

وُلد عام ١٩٣٦م، تولّى زعامة الطريقة بعد وفاة والده عام ١٩٦٨م، وهو الزعيم الحالي للختمية. وخلافاً لوالده الذي كان يحرِّك الأحْداث السياسيَّة ويشارك فيها من وراء ستار، انخرط محمد عثمان في العمل السياسي، مستنداً إلى ولاء اتباعه، وأصبح زعيماً للطائفة وللحزب(*) الاتحادي الديمقراطي الذي تزعَّمه. وقد استغل ولاء أتباعه لخدمة الحزب، بينما الحزب يضم كثيراً من العلمانيين واليساريين، بل حتى النصارى الذين تولوا مناصب عليا فيه، ومن ثم اتخذ الحزب مواقف لا تتلاءم مع انتماء الطائفة الديني كتحالفه مع الشيوعيين، وعقد اتفاقية من طرف واحد مع المتمردين، وأخيراً قيادته للتجمع الديمقراطي الذي يضم خليطاً من العلمانيين واليساريين المناهضين لشرع الله والموالين لحركة التمرد التي تحارب الإسلام.

الأفكار والمعتقدات:

● الختمية طائفةٌ صوفية تتمسك بمعتقدات الصوفية وأفكارهم وفلسفاتهم.

تبنَّوا فكرة وحدة الوجود(*) التي نادى بها من قبل محيي الدين بن عربي وتلامذته، وقالوا بفكرة النور المحمدي والحقيقة المحمدية وعبّروا عن ذلك نظما ونثرا وبسطوها لأتباعهم في مدائحهم ومناجاتهم وأذكارهم وأورادهم، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والانبجاس والظهور والفيض(*) وغيرها من المصطلحات الفلسفية الصوفية. واستشهدوا بما استشهد به أصحاب هذه النظريات من آيات أوّلوها، وأحاديث وضعوها وأفكار انتحلوها.

● أسبغوا على الرسول، ﷺ، من الأوصاف ما لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى، وذهبوا إلى أن حقيقته لا تدرك، ويعجز الوصف عن بيان ذاته. ومن ثم جعلوه، ﷺ، غاية فنائهم ومنتهى سيرهم. كما توجهوا بدعائهم واستغاثاتهم ورفعوا شكاواهم إليه، سائلين الرسول أن يفك ضيقهم وينصرهم على أعدائهم، مخاطبين له، ﷺ، بأنه مزيل للغمّ والكرب مفرج للهمّ والضيق.

● ادعى مشايخ الطريقة بأنهم لقوا الرسول، ﷺ، ورأوه عيانا، وأنه يحضر احتفالاتهم بمولده، ﷺ، وأنهم تلقوا منه أسس الطريقة وأورادها وتعاليمها.

ـ فمؤسس الطريقة يدّعى أنه وضع راتبه بإذن من الرسول، ﷺ، وأنه هو الذي أمره بتصنيف المولد، وأن يجعل إحدى قافيته هاءً والأخرى نوناً، وبشّره بأنه يحضر قراءته، وأن الدعاء عنده مستجاب في ختمه وعند ذكر ولادته، ﷺ.

ـ كما يزعم، أيضاً، أن الرسول، ﷺ، أوصى رضوان بأن يعمر جنانا ومساكن له ولأبنائه وصحبه وأتباعه وأتباع أتباعه إلى يوم القيامة، وأمر مالكاً بأن يعمر في النار مواضع لأعدائه.

● يدعي مشايخ الختمية بأنهم المدخل للحضرات الإلهية، وأن مقامهم برزخ بين النبوة(*) والولاية(*)، ويدّعون أن لهم التصرف في الكون، وأنهم يغيثون من يلتجىء إليهم ويحتمي بحماهم، فيزيلون كربات المكروبين وهمّ المهمومين، وأنهم الوسيلة للسعادة في الدنيا والنجاة من العذاب يوم الدين.

● يدعي مؤسس الطريقة، بأنه خاتم الأولياء، وأنه أعظم من كل الأولياء السابقين، وأن مكانته تأتي بعد مكانة الرسول، ﷺ.

● يقول مؤسس الطريقة، أيضاً: «إن من رآني أو رأى من رآني إلى خمسة لا تمسه النار»! ويزعم أن الرسول، ﷺ، أخبره بذلك.

كما يدعي أن الرسول، ﷺ، قال له: «من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا وليّا»، وحينما قدم المدينة قال له الرسول، ﷺ: «إن من زارني في سنتك هذه والتي قبلها والتي بعدها فعندنا مقبول».

● للطريقة الختمية أوراد وأذكار وآداب معيّنة في الذكر والدعاء ميّزوا بها أنفسهم وركزوا عليها دون غيرها.

ـ كما يهتمون بإقامة احتفالات معيّنة وإحياء مناسبات خاصة: كإحياء ذكرى مولد النبي، ﷺ، والاحتفاء بمولد ووفاة مشايخ الطريقة، وإقامة ما يعرف لديهم بليالي الذكر أو

الحولية، ويمارسون في كل ذلك طقوسا خاصة في الزيِّ، والذكر والإنشاد.

ـ أذكار الطريقة وأورادها بعيدة كل البعد عن الأذكار الواردة في القرآن أو المأثورة عن الرسول، ﷺ. كما يخصصون أوراداً وأذكاراً معينة بأيام وأوقات خاصة من غير دليل شرعي أو سند من أثر. كما يغلب على أورادهم وأذكارهم السجع المتكلف الذي يصرف الذهن عن التوجُّه إلى الله في صدق وإخلاص. كما أن بعض أورادهم تشتمل على ألفاظ أعجمية وأسماء غريبة لروحانيات يخاطبونها ـ كما يزعمون ـ ويسعون إلى السيطرة عليها وتسخيرها لخدمتهم في مناصرة أتباعهم، وإلحاق الأذى بخصومهم.

● للختمية بيعة(*) خاصة يردد فيها المريد من بين ما يردد من أقوال: «اللهم إني تبت إليك، ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخا لي في الدنيا والآخرة، فثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته في الدنيا والآخرة».

● للختمية خلوة للعبادة، يطلبون فيها من المريد أن يطلب المدد من الرسول، ﷺ، وجبريل، ومشايخ الطريقة، كما يطلبون منه استحضار صورة السيد محمد عثمان (الختم) حتى تظهر منه روحانيته. ثم يظهر نور من جهة القلب ويظل هكذا ـ كما يزعمون ـ حتى تظهر للمريد روحانية النبيِّ، ﷺ.

● هناك ارتباط وثيق بين فكر الختمية وفكر الشيعة(*)، كما يحاول المعاصرون منهم الربط بين طائفتهم وبين الحركة الشيعية المعاصرة.

ـ يربط مشايخ الطريقة نسبهم بأئمة الشيعة الاثني عشرية، ويعدون أنفسهم من سلالتهم، علماً بأن الإمام الثاني عشر عند الشيعة ـ وحسب مقولتهم ـ اختفى أو غاب وهو صغير لم يتجاوز الثالثة أو الخامسة من عمره.

ـ تبنت الطائفة فكر الشيعة حول آل البيت وارتباطهم بقضية الإمامة واستحقاقهم لها، كما استندوا إلى أدب الشيعة وحججهم وبراهينهم لإثبات أحقية أهل البيت بالولاية والإمامة سعياً منهم لإثبات هذا الحق لمشايخهم.

ـ وقع بعض الختمية المعاصرين فيما وقع فيه الشيعة من تجريح للصحابة واتهامهم بأنهم كتموا بعض الأحاديث الدالة على ولاية علي ـ رضي الله عنه ـ كما يزعمون. وفسروا أحداث التاريخ الإسلامي بمثل ما فسره به الشيعة، من الادعاء بأن هناك مؤامرات حيكت من أجل إبعاد أهل البيت من تولِّي السلطة والإمامة.

ـ ربط الختمية المعاصرون تاريخ طائفتهم ومستقبلها بتاريخ الحركة الشيعية، عن طريق الربط بين أصول التصوف والتشيُّع من ناحية، وعن طريق ربط حركة البعث الإسلامي

وقصرها على الطائفتين المؤمنتين بولاية أهل البيت (الشيعة والختمية) ـ كما يزعمون ـ من ناحية أخرى.

الجذور الفكرية والعقائدية:

يحدِّد مؤسس الطريقة محمد عثمان الميرغني المصادر التي استمد منها أصول طريقته قائلاً: «اعلم أن طريقتنا هذه مجتمعة من خمسة حروف نقشها (نقش جم) تنقش من الفؤاد التصوف جم، فالنون نقشبندية، والقاف قادرية، والشين شاذلية، والجيم جنيدية، والميم ميرغنية، وهي محتوية على أسرار هذه الطرق الخمس وبعض أورادها».

● يتضح من تحليل معتقداتهم وأفكارهم أنهم استفادوا من ذلك التراث الصوفي الفلسفي الغنوصي(*) الذي بدأه الحلاج، وعدّل فيه وزاد عليه وطوَّره تلامذته كابن سبعين وابن الفارض، وعبروا عنه في نظرياتهم عن الفناء(*) والحلول(*) والاتحاد(*) ووحدة الوجود(*).

● استمد الختمية ـ المعاصرون منهم خاصةً ـ كثيراً من أفكارهم من فكر الشيعة(*) ومعتقداتهم واستفادوا من أدب الشيعة وما استندوا إليه من جدل(*) حول الإمامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ بدأت الطريقة من مكة والطائف، وأرست لها قواعد في جنوب وغرب الجزيرة العربية، كما عبرت إلى السودان ومصر.

ـ تتركز قوة الطريقة من حيث الاتباع والنفوذ الآن، في السودان، لا سيما في شمال السودان وشرقه، وأطراف من إرتيريا المتاخمة للسودان، ومصر.

يتضح مما سبق:

أن الختمية طريقة صوفية تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات المنحرفة والتي من أبرزها الغلو(*) في شخص الرسول، ﷺ، والقول بالحلول ووحدة الوجود. هذا فضلاً عن ارتباطها الوثيق ـ في العصر الحاضر ـ بالفكر والمعتقد الشيعي خاصة فيما يتعلق بأقوال الشيعة وجدلهم حول الإمامة، وينتشر أتباع هذه الطريقة حاليًا في مصر وفي السودان وبخاصة في الشمال والشرق، وأطراف إرتيريا المتاخمة للسودان.

مراجع للتوسع:

ـ **مجموعة النفحات الربانية**، المشتملة على سبع رسائل ميرغنية، مصر، مصطفى الحلبي، ط ثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ومن أهم ما تشتمل عليه:

(١) النفحات المكية واللمحات الحقية في شرح أساس الطريقة الختمية، محمد عثمان الميرغني المكِّي.

(ب) لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة، جعفر الصادق بن محمد عثمان.

(جـ) شرح الراتب المسمى بالأسرار المترادفة، محمد عثمان الميرغني المكِّي.

- **النور البراق في مدح النبي المصداق**، محمد عثمان الميرغني، القاهرة مكتبة القاهرة د. ت.
- **تاج التفاسير**، محمد عثمان الميرغني بيروت، دار المعرفة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **ديوان النفحات المدنية في المدائح المصطفوية**، محمد عثمان الميرغني، ملحق بالنور البراق.
- **مجموعة فتح الرسول**، محمد عثمان الميرغني، مصر، مصطفى الحلبي ١٣٦٧/ هـ/ ١٩٤٨م.
- **ديوان مجمع الغرائب والمفارقات من لطائف الخرافات الذاهبات**، محمد عثمان الميرغني، مصر، مصطفى الحلبي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- **مولد النبيِّ المسمى بالأسرار الربانية**، محمد عثمان الميرغني، الخرطوم، المكتبة الإسلامية، ط أولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- **الديوان الكبير المسمى رياض المديح**، جعفر بن محمد عثمان الميرغني، بيروت، المكتبة الثقافية.
- **طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها**، أحمد محمد أحمد جلي، بيروت، دار خضر للنشر والتوزيع، ط. أولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- **الختمية: العقيدة والتاريخ والمنهج**، محمد أحمد حامد محمد خير الخرطوم، دار المأمون، ط. ثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **تاج الأولياء والأولياء**، علي زين العابدين، دار مكتبة الهلال، ط. أولى ١٩٨٤م.
- **مجموع الأوراد الكبير**، محمد عثمان الميرغني، مصر، مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٣٢ـ البريلوية

التعريف:

البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي في ولاية أترابرديش بالهند أيام الاستعمار(*) البريطاني. وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء(*) بعامة، والنبي، ﷺ، بخاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الفرقة أحمد رضا خان بن تقي علي خان، وقد كان من ١٢٧٢ـ١٣٤٠هـ الموافق ١٨٦٥ ـ ١٩٢١م، ولقد سمى نفسه عبد المصطفى، وهذا لا يجوز في الإسلام؛ لأن العبودية لله وحده. ولد في بلدة بريلي بولاية أترابرديش وتتلمذ على يد الميرزا غلام قادر بيك.

ـ زار مكة المكرمة، وقرأ على بعض المشايخ فيها عام ١٢٩٥هـ، وكان نحيلاً حاد المزاج، مصاباً بالأمراض المزمنة، دائم الشكوى من الصداع وآلام الظهر، شديد الغضب، حاد اللسان، مع فطنة وذكاء، ومن أبرز كتبه **أنباء المصطفى**، **وخالص الاعتقاد**، **ودوام العيش**، **والأمن والعلى لناعتي المصطفى**، **ومرجع الغيب والملفوظات**، وله ديوان شعر **حدائق بخش**.

● ديدار علي: بريلوي، ولد سنة ١٢٧٠هـ في نواب بور بولاية ألور وتوفي في أكتوبر ١٩٣٥م، ومن مؤلفاته **تفسير ميزان الأديان وعلامات الوهابية**.

● نعيم الدين المراد آبادي ١٣٠٠ ـ ١٣٦٧هـ الموافق ١٨٨٣ ـ ١٩٤٨م وهو صاحب المدرسة التي سماها الجامعة النعيمية. ويلقب بصدر الأفاضل، ومن كتبه: **الكلمة العليا في عقيدة علم الغيب**.

● أمجد علي بن جمال الدين بن خدابخش: ولد في كهوسي، وتخرج في المدرسة الحنفية بجونبور سنة ١٣٢٠هـ، وكان موته سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م، وله كتاب: **بهار شريعت**.

● حشمت علي خان: ولد في لكهنو، وفرغ من دراسته سنة ١٣٤٠هـ، وكان يسمي نفسه كلب أحمد رضا خان معتزاً بهذه التسمية، وله كتاب: **تجانب أهل السنة**، ويلقب بـ (غيظ المنافقين)، وكان موته سنة ١٣٨٠هـ.

● أحمد يارخان: ١٩٠٦ ـ ١٩٧١م، كان شديد التعصب للفرقة، ومن مؤلفاته **جاء الحق وزهق الباطل، سلطنت مصطفى**.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقد أبناء هذه الطائفة بأن الرسول(*)، ﷺ، لديه قدرة يتحكم بها في الكون، يقول أمجد علي: «إن النبي، ﷺ، نائب مطلق لله سبحانه وتعالى، وإن العالم كله تحت تصرفاته، فيفعل ما يشاء، يعطي ما يشاء لمن يشاء، ويأخذ ما يشاء، وليس هناك أحد مصرّف لحكمه في العالمين، سيد الآدميين، ومن لم يجعله مالكاً له حرم من حلاوة السنة».

● وأن محمداً، ﷺ، والأولياء من بعده لديهم قدرة على التصرف في الكون يقول أحمد رضا خان: »ياغوث «أي يا عبد القادر الجيلاني» إن قدرة «كن» حاصلة لمحمد من ربه، ومن محمد حاصلة لك، وكل ما يظهر منك يدل على قدرتك على التصرف، وأنك أنت الفاعل الحقيقي وراء الحجاب».

● لقد غالوا في نظرتهم إلى النبي، ﷺ، حتى أوصلوه إلى قريب من مرتبة الألوهية ـ والعياذ بالله ـ يقول أحمد رضا خان في حدائق بخش ٢/ ١٠٤: «أي يا محمد، ﷺ، لا أستطيع أن أقول لك الله، ولا أستطيع أن أفرق بينكما، فأمرك إلى الله هو أعلم بحقيقتك».

● كما بالغوا في إضفاء الصفات التي تخالف الحقيقة على النبي، ﷺ، حتى جعلوه عالماً للغيب، يقول أحمد رضا خان في كتابه **خالص الاعتقاد** ص٣٣: «إن الله تبارك وتعالى أعطى صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمد، ﷺ، جميع ما في اللوح المحفوظ».

● لديهم عقيدة اسمها (عقيدة الشهود)، إذ إن النبي، ﷺ، في نظرهم حاضر وناظر لأفعال الخلق الآن في كل زمان ومكان، يقول أحمد يارخان في كتابه **جاء الحق** ١/ ١٦٠: «المعنى الشرعي للحاضر والناظر هو أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل كفه من مكان وجوده، ويسمع الأصوات من قريب ومن بعيد، ويطوف حول العالم في لمحة واحدة ويعين المضطرين، ويجيب الداعين».

● ينكرون بشرية النبي، ﷺ، ويجعلونه نوراً من نور الله. يقول أحمد يارخان في كتابه **مواعظ نعيمية** ص١٤: «إن الرسول، ﷺ، نور من نور الله، وكل الخلائق من نوره» ويقول أحمد رضا خان في أشعاره «ما قيمة هذا الطين والماء إذا لم يكن النور الإلهي حل في صورة البشر».

● يحثون أتباعهم على الاستغاثة بالأنبياء(*) والأولياء(*)، ومن يستنكر عليهم ذلك يرمونه بالإلحاد(*)، يقول أمجد علي في كتابه **بهار شريعت** ١/ ١٢٢: «إن المنكرين

للاستمداد بالأنبياء والأولياء وبقبورهم، ملحدون».

● يشيدون القبور ويعمرونها ويجصصونها وينيرون فيها الشموع والقناديل وينذرون لها النذور، ويتبركون بها ويقيمون الاحتفالات لأجلها، ويضعون عليها الزهور والورود والأردية والستائر، ويدعون أتباعهم للطواف حول الضريح تبركاً به.

● لديهم غلو(*) شديد في تقديس شخصية عبد القادر الجيلاني، ويعظمون باقي الأولياء من أئمة المتصوفة وينسبون إليهم أفعالاً خيالية خارقة للعادات متسمة بالنسيج الخرافي الأسطوري.

● ويقولون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من الصلاة والصيام وغيرها، ومقدار الصدقة عن كل صلاة أو صيام تركه الميت هو مقدار صدقة الفطر المعروفة، وقد يعمدون إلى الحيلة في ذلك إذ يوزعون مقداراً يغطي سنة واحدة، ثم يستردون ذلك هبة، ومن ثم يعيدون توزيعه، ويكررون ذلك بعدد السنين التي تركت فيها تلك الفريضة.

● أعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي الشريف إذ ينفقون فيه الأموال الطائلة، وهو يوم مقدس مشهود لديهم، ينشدون فيه الأناشيد التي تمجد الرسول، ﷺ، من خلال القصص الخرافية، ويقرؤون فيه كتاب **سرور القلوب في ذكر المولد المحبوب** الذي ألفه أحمد رضا خان ملأه بالأساطير والخيالات.

● الأعراس: وهي تعني زيارة القبور والاجتماع عليها من مثل عرس الشيخ الشاه وارث في بلدة ديوه، وعرس الخواجة معين الدين جشتي، إذ يجتمع له الملايين ويختلط فيه الرجال بالنساء، وتحصل فيه بعض المفاسد المحرّمة شرعاً.

ـ إن من يترك الصوم والصلاة يجد له خلاصاً، أما الطامة الكبرى والمصيبة العظمى في نظرهم فإنما تقع على من يتخلف عن الاحتفال بالمولد أو الفاتحة أو العرس. وهم يكفّرون المسلمين من غير البريلويين لأدنى سبب ولم يتركوا تجمعاً إسلاميًّا ولا شخصية إسلامية من وصف الكفر، وكثيراً ما يرد في كتبهم بعد تكفير(*) أي شخص عبارة «ومن لم يكفره فهو كافر»، وقد شمل تكفيرهم الديوبنديين والندويين وزعماء التعليم والإصلاح ومحرري الهند من الاستعمار(*). كما شمل الشيخ إسماعيل الدهلوي وهو من علماء الهند ممن حاربوا البدع والخرافات، ومحمد إقبال والرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق وعدداً من وزرائه.

ـ وهم يكفرون شيخ الإسلام ابن تيمية، وينعتونه بأنه مختل وفاسد العقل(*) ويدرجون معه تلميذه ابن القيم.

ـ يكرهون الإمام محمد بن عبد الوهاب، ويرمونه بأشنع التهم وأسوأ الألفاظ، وما

ذلك إلا لأنه وقف أمام الخرافات موقفاً حازماً داعياً إلى التوحيد الخالص.

● يعملون دائما على شق صفوف المسلمين، وتوهين قوتهم، وإضعافهم، وإدخالهم في متاهات من الخلافات التي لا طائل تحتها. فمن ذلك إصرارهم على بدعة تقبيل الإبهامين عند الأذان ومسح العينين بهما، واعتبار ذلك من الأمور الأساسية ولا يتركها - في نظرهم - إلا من كان عدواً لرسول الله، ﷺ. ويزعمون أن من يفعل ذلك لن يرمد أبداً، انظر مؤلفهم **منير العينين في تقبيل الإبهامين**.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تصنف هذه الفرقة من حيث الأصل ضمن جماعة أهل السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي، وهذا خطأ، إذ يرى بعض الدارسين أن أسرة مؤسس الفرقة كانت شيعية ثم أظهرت تسننها تقية(*)، لكنهم مزجوا عقائدهم بعقائد أخرى، ودأبوا على الاحتفال بالمولد النبوي على غرار الاحتفالات بعيد رأس السنة الميلادية. وهم يغلون في شخصية النبي، ﷺ، بما يوازي الخرافات المنسوبة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام.

● وبسبب عيشهم ضمن القارة الهندية ذات الديانات المتعددة فلقد انتقلت أفكار من الهندوسية والبوذية لتمازج عقيدتهم الإسلامية.

● لقد أضفوا على النبي(*)، ﷺ، وعلى الأولياء(*) صفات تماثل تلك الصفات التي يضفيها الشيعة(*) على أئمتهم المعصومين في نظرهم.

● كما انتقلت إليهم عقائد غلاة المتصوفة والقبوريين وشركياتهم ونظرياتهم في الحلول(*) والوحدة والاتحاد(*) حتى صارت هذه الأمور جزءاً من معتقداتهم.

هذا ويؤخذ على البريلوية:

● التطرف الشديد والغلو في الرسول(*)، ﷺ، ومزج ذلك بعقائد المشركين.

● مجانبتهم الصواب في هجومهم وافتراءاتهم على شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلى الإمام محمد بن عبد الوهاب، وعلى كل دعاة التوحيد الخالص من أفاضل علماء الأمة الإسلامية.

● إطلاق العنان لألسنتهم في تكفير(*) المسلمين لمجرد مخالفتهم في الرأي.

● سعيهم الدؤوب لتفريق كلمة المسلمين وتوهين قوتهم.

● على الرغم مما سبق فإن هذه الفرقة ونظيراتها تحتاج إلى من ينير لها الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويزيل عن أعين أصحابها ومريديها أوهام الجهل والخرافة

والتخلف حتى تكون على الجادة المستقيمة، كما حصل بالفعل في بعض الأماكن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انطلقت الدعوة من بريلي بولاية أوترابرديش بالهند، لتنتشر في القارة الهندية كلها (الهند والباكستان وبنجلاديش وبورما وسريلانكا).

● لهم وجود في إنجلترا، كما لهم نفوذ في جنوب أفريقيا وكينيا وموريشيوس وعدد من البلدان في قارة أفريقيا.

ويتضح مما سبق:

أن البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية إبان الاستعمار(*) البريطاني، وهم يغلون(*) في الأنبياء(*) والأولياء(*)، ويحاربون دعاة التوحيد الخالص، ويعتقدون أن الرسول، ﷺ، له قدرة يتحكم بها في الكون، وأنه، ﷺ، والأولياء من بعده لهم قدرة على التصرف في الكون، ولديهم عقيدة اسمها عقيدة الشهود فيعتقدون أن النبي، ﷺ، حاضر وناظر لأعمال الخلق في كل زمان ومكان، وهم ينكرون بشريته، ﷺ، ويحثون أتباعهم على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء ويشيدون القبور ويعمرونها وينيرونها بالشموع والقناديل.

مراجع للتوسع:

- **البريلوية: عقائد وتاريخ**، إحسان إلهي ظهير ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان.
- **البريلوية**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ كلية أصول الدين.
- **الأمن والعلى لناعتي المصطفى**، أحمد رضا خان ـ قادري بكدبو ـ بريلي ـ الهند.
- **أنباء المصطفى**، أحمد رضاخان ـ مطبعة صبح صادق ـ بديوان الهند ١٣١٨هـ.
- **أنوار رضا**، جماعة من المؤلفين ـ لاهور ـ ١٣٩٧هـ.
- **بهار شريعت**، أمجد علي الأعظمي ـ دلهي ـ الهند.
- **تجانب أهل سنت**، حشمت علي خان ـ بريس بيلي بهيت ـ الهند ١٣٦١هـ.
- **جاء الحق وزهق الباطل**، أحمد يارخان نعيمي ـ كانفور ـ الهند.
- **حدائق بخش**، أحمد رضا خان ـ مراد آباد ـ الهند.

- **خالص الاعتقاد**، أحمد رضا خان ـ بريلي ـ الهند ١٣٢٨هـ.
- **سلطنت مصطفى**، أحمد يارخان ـ كانفور ـ الهند.
- **مجلة صراط مستقيم**، محمود أحمد ميرفوري ـ برمنجهام ـ بريطانيا ـ أغسطس ١٩٨٠م.
- **ملفوظات**، أحمد رضاخان ـ لاهور ـ باكستان.
- **الكوكبة الشهابية في كفريات أبي الوهابية**، أحمد رضان خان ـ عظيم آباد ـ الهند ـ ١٣١٦هـ.
- **تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر**، أحمد سعيد ـ طبعة سكر ـ باكستان.

جماعات متأثرة بالصوفية

● الديوبندية ● المهدية ● جماعة التبليغ والدعوة
● النورسية

٣٣ـ الديوبندية

التعريف:

تنسب الديوبندية إلى جامعة ديوبند ـ دار العلوم ـ في الهند.

فهي مدرسة فكرية عميقة الجذور طبعت كلَّ خريج منها بطابعها العلمي الخاص، حتى أصبح ينسب إليها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسس جامعة ديوبند مجموعة من علماء الهند بعد أن قضى الإنجليز على الثورة[*] الإسلامية في الهند[*] عام ١٨٥٧م، فكان تأسيسها ردَّ فعل قويٍّ، لوقف الزحف الغربي ومدنيته الماديَّة على شبه القارة الهندية لإنقاذ المسلمين من مخاطر هذه الظروف، خاصة أن دلهي العاصمة قد خرِّبت بعد الثورة، وسيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة، وخاف العلماءُ أن يُبْتَلَع دينُهم، فأخذ الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وتلميذه الشيخ محمد قاسم النانوتوي وأصحابهما برسم الخطط للمحافظة على الإسلام وتعاليمه. فرأوا أن الحل بإقامة المدارس الدينية، والمراكز الإسلامية. وهكذا أسست المدرسة الإسلامية العربية بديوبند كمركز للدين والشريعة في الهند في عصر حكومة الإنجليز.

ـ وقد بدأت دار العلوم بمدرسة دينية صغيرة بقرية ديوبند تأسست في ١٥ المحرم ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠ أيار (مايو) ١٨٦٦م، ثم أصبحت من أكبر المعاهد الدينية العربية في شبه القارة الهندية.

ـ وفي عام ١٢٩١هـ تم إنشاء البناء الخاص بالجامعة، بعد بقائها تسع سنوات بدون بناء وكانت الدروس تلقى في ساحة المسجد الصغير وفي الهواء الطلق.

ومن أبرز شخصيات هذه المدرسة الفكرية:

● الشيخ محمد قاسم ولد بناتوتة سنة ١٢٤٨هـ، ورحل إلى سهارنبور في صغر سنه. وقرأ المختصرات على الشيخ محمد نواز سهارنبوري. ثم سافر إلى دهلي، وقرأ على الشيخ مملوك على النانوتوي سائر الكتب الدراسية، وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، وأخذ الطريقة ـ أي تعاليم الطريقة الصوفية ـ عن الشيخ الحاج إمداد الله العمري التهانوي المهاجر المكي، وكان الشيخ محمد قاسم ضمن من قام ضد الاحتلال(*) البريطاني في الثورة المشهورة سنة ١٢٧٣هـ. وفي ١٥ المحرم ١٢٧٣هـ أسس مدرسة دار العلوم بديوبند وتحمل مسؤولية إدارتها وشاركه في تربية طلابها رفيقه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وقد لخص الشيخ محمد قاسم أهدافها بقوله: «إن غرضنا من التعليم هو إيجاد جيل يكون بلونه وعنصره هندياً، يتنور قلبه وعقله بنور الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلامية، ثقافة وحضارة وسياسة».

وذلك ردًّا على قول اللورد ميكالي الإنجليزي «إن الفرصة من خطتنا التعليمية هو إنشاء جيل من الهند، يكون هندي النسل واللون، وأوروبي الفكر والذهن».

● الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي: أحد أعلام الحنفية وأئمتهم في الفقه والتصوف قرأ على كبار مشايخ عصره حتى برع وفاق أقرانه في المنقول والمعقول واستفاد منه خلق كثير. وهو أحد الذين بايعوا الشيخ إمداد الله المهاجر المكي تلك البيعة المبتدعة على التزام طريقته في التصوف. وقد كان زميلاً ومعاوناً للشيخ محمد قاسم النانوتوي في إدارة مدرسة دار العلوم بديوبند. وللشيخ الكنكوهي مؤلفات عديدة منها **مجموعة فتاواه** في عدة مجلدات، توفي عام ١٣٢٣هـ.

● الشيخ حسين أحمد المدني والملقب بشيخ الإسلام: ولد في التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٦هـ، وتلقى مبادىء العلوم في تانده من مديرية فيض آباد الهند وطن آبائه. وفي سنة ١٣٠٩هـ سافر إلى دار العلوم الديوبندية وفيها تعلم الحديث عن الشيخ محمود حسن الديوبندي الذي لازمه مدة طويلة، وكذلك تلقى من الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وبايع(*) على الطريقة(*) على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الذي أجازه على البيعة(*) والإرشاد والتلقين. ولا شك أن هذا السلوك سلوك مبتدع لم يعرف عن السلف الصالح.

ـ سافر الشيخ حسين أحمد المدني إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، بصحبة والده أيام

الحرب العالمية فأسره ولاة الأمر ـ الشريف حسين بعد خروجهم على الدولة العثمانية ـ وتم ترحيله بصحبة شيخه محمد حسن الديوبندي إلى مصر ثم إلى مالطا أسرى لمدة ثلاث سنين وشهرين. وفي عام ١٣٣٨هـ أفرج عنه ثم عاد إلى الهند وقام بتدريس الحديث وإلقاء المحاضرات والخطب الحماسية ضد الاحتلال(*) الإنجليزي، فتم القبض على الشيخ حسين المدني مرة أخرى في جمادى الآخرة ١٣٦١هـ، وسجن لمدة سنتين وعدة أشهر في سجن مراد آباد وسجن إله آباد إلى أن أطلق سراحه في السادس من رمضان ١٣٦٣هـ. استمر في جهاده(*) بالتعليم ومناهضة الاحتلال إلى أن وافاه الأجل في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧هـ. ومن مؤلفاته: **نقش حيات** في مجلدين، وكتاب **الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب**.

● محمد أنور شاه الكشميري: أحد كبار فقهاء الحنفية وأساطين مذهبهم ـ في شبه القارة الهندية ـ تخرج في جامعة ديوبند وولي التدريس في المدرسة الأمينية بدلهي، ثم شغل مشيخة الحديث في جامعة ديوبند. في عام ١٣٤٦هـ تولى رئاسة التدريس ومشيخة الحديث في جامعة دابهيل كجرات. ويعد الكشميري من أبرز علماء عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع. بالإضافة إلى أنه كان أحد الذين لعبوا دوراً مهمًّا في القضاء على فتنة القاديانية في شبه القارة الهندية. توفي عام ١٣٥٢هـ وقد ترك مؤلفات عديدة.

● ومن أعلام الديوبندية الحديثة:

ـ الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، رئيس جامعة ندوة العلماء في لكنهو ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية... وهو عالم داعية طبقت شهرته آفاق العالم الإسلامي.

● والشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ـ سبقت ترجمته في مبحث المذهبية ـ.

الأفكار والمعتقدات:

● ترجح الديوبندية مذهب الإمام أبي حنيفة يرحمه الله في الفقه والفروع، ومذهب أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد والأصول، وتنتسب في الصوفية إلى طرق النقشبندية الجشتية والقادرية السهروردية طريقاً وسلوكاً، ومما لا شك فيه أن هذا السلوك مبتدع انحرف برواد مدرسة ديوبند بعيداً عن منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والسلوك والاتباع، على الرغم

شبه القارة الهندية إلى اليوم.

● ويمكن تلخيص أفكار ومبادىء المدرسة الديوبندية بما يلي:

- المحافظة على التعاليم الإسلامية، والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره.

- نشر الإسلام ومقاومة المذاهب(*) الهدَّامة والتبشيريّة.

- نشر الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الإنجليزية الغازية.

- الاهتمام بنشر اللغة العربية؛ لأنها وسيلة الاستفادة من منابع الشريعة الإسلامية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● القرآن والسُنة هما أساسها العقائدي والفكري وذلك على أساس:

- مذهب(*) أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد.

- مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان في الفقه(*) والفروع.

- سلاسل الطرق الصوفية من النقشبندية والجشتية والقادرية والسهروردية في السلوك والاتباع.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لم تمض سوى فترة قصيرة على تأسيس دار العلوم بديوبند حتى اشتهرت وتقاطرت إليها قوافل طلاب العلوم الإسلامية من أطراف شبه القارة الهندية.

● وقد لعبت دارُ العلوم دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية خارج الهند، وقد انتشرت المدارس الشرعية التابعة لدار العلوم في أقطار عديدة منها الهند وباكستان.

● ومعلومٌ أن أغلب رجال جماعة التبليغ المشهورة في الهند والعالم الإسلامي، هم من خريجي دار العلوم مثل الشيخ محمد يوسف مؤلف كتاب **حياة الصحابة**، والشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة.

● بالنسبة لندوة العلماء في لكنهو بالهند فإنَّ أغلب علمائها من خريجي دار العلوم أيضاً، ومنهم رئيسها الحالي العلاّمة الداعية أبو الحسن الندوي.

ويتضح مما سبق:

إن الديوبندية مدرسة فكريَّة أسسها مجموعة من علماء الهند ونمت حتى أصبحت من أكبر المعاهد الدينية العربية للأحناف في الهند. ومن أعلامها المعاصرين الشيخ أبو الحسن

علي الحسني الندوي. ومن أهداف هذه المدرسة المحافظة على التعاليم الإسلامية ونشر الإسلام ومقاومة المذاهب(*) الهدَّامة ومحاربة الثقافة الأجنبية والاهتمام بنشر اللغة العربية باعتبارها أداة فهم الشريعة الغراء. وترجِّح الديوبندية المذهب الحنفي في مجال الفقه والعقيدة الماتريدية في مجال الاعتقاد والطرق الجشتية والسهروردية والنقشبندية والقادرية والصوفية في مجال السلوك والاتباع مما يبعدها عن النهج السوي والصراط المستقيم منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والسلوك والاتباع.

مراجع للتوسع:

مراجع الديوبندية:

- **جامعة ديوبند رسالتها وإنجازاتها لعدد من العلماء.**
- **جامعة دار العلوم بديوبند تاريخها وخدماتها.**
- **مائة وسبعة عشر عاماً للجامعة الإسلامية ـ دار العلوم بديوبند ـ الهند ـ في ضوء خدماتها العلمية والدعوية والاجتماعية.**
- (هذه المطبوعات من نشر مكتب الاحتفال المئوي للجامعة الإسلامية ـ دار العلوم ـ ديوبند ـ الهند).
- **أرواح ثلاثة** «أردو» نجم الدين حفقاتي مطبعة كتب خانه مظهري كراجي.
- **الشهاب الثاقب** «أردو» حسين أحمد مدني ـ مطبعة مكتبة مدينة لاهور.
- **عقائد وكمالات ديوبند** «أردو» مولانا الله يار ـ مطبعة مكتبة رشيدية لاهور.
- **نقش حيات** «أردو» حسين أحمد مدني ـ مطبعة الأشاعت كراجي.
- **مقدمة مسلك علماء ديوبند** «أردو» مولانا يوسف بنوري ـ مطبعة الأشاعت كراجي.
- **سوانح قاسمي** ـ مناظر أحسن كيلاني، مكتبة رحمانية لاهور.
- **شمائم إمدادية** حاج إمداد الله المهاجر المكي.
- **مقالات حكمت**، أشرف علي تهانوي ـ إدارة التأليف.
- **المهند على المفند** ـ أحمد سهارنفوري ـ مكتبة المدينة لاهور.
- **نشر الطيب**، أشرف علي تهانوي.
- **كرامات إمدادية** ـ أشرف تهانوي.
- **جريدة الداعي** من إصدار الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الهند العدد ١٧ ـ ١٨ السنة ١٦ العدد ١٠ السنة ١٧.

كتب ورسائل لغير الديوبنديين:

- **دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة** ـ صلاح الدين مقبول أحمد.
- **دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** ـ أبو المكرم بن عبد الجليل في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها ـ مكتبة دار السلام ـ الرياض.
- **الديوبندية** ـ سيد طالب الرحمن ـ نازكوبرنترز راولبندي «باكستان».

٣٤ـ المهدية

التعريف:

المهدية واحدة من أبرز حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي. وهي ذات مضمون ديني سياسي شابته بعض الانحرافات العقائدية والفكرية. ولا يزال أحفاد المهدي وأنصاره يسعون لأن يكون لهم دور في الحياة الدينية والسياسية في السودان.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

المؤسس:

● محمد أحمد المهدي بن عبد الله ١٢٦٠ ـ ١٣٠٢هـ (١٨٤٥ ـ ١٨٨٥م)، وُلد في جزيرة لبب جنوب مدينة دنقلة، يقال بأن نسبه ينتهي إلى الأشراف. حفظ القرآن وهو صغير، ونشأ نشأة دينية متتلمذاً على الشيخ محمود الشنقيطي، سالكاً الطريقة السمَّانية القادرية الصوفية، متلقياً عن شيخها محمد شريف نور الدائم.

ـ فارق محمدٌ شيخه لِما لاحظه عليه من تهاون في بعض الأمور، وانتقل إلى الشيخ القرشيِّ وَدْ الزين في الجزيرة وجدد البيعة(*) على يديه. ويلاحظ أن شيخيه الأول والثاني من أشهر مشايخ الطرق الصُّوفية آنذاك.

ـ في عام ١٨٧٠م استقر في جزيرة أبا، إذ يقيم أهله والتزم أحد الكهوف مستغرقاً في التأمل والتفكير.

ـ وفي عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م توفي شيخه القرشي، إذ قام المهدي بتشييد ضريحه وتجصيصه وبناء القبة عليه، وصار خليفته من بعده، إذ توافد عليه المبايعون مجددين الولاء(*) للطريقة في شخصه.

ـ في عام ١٨٨١م أصدر فتواه بإعلان الجهاد(*) ضد الكفار والمستعمرين الإنجليز، وأخذ يعمل على بسط نفوذه في جميع أنحاء غرب السودان.

ـ اعتكف أربعين يوماً في مغارة بجزيرة أبا، وفي غرة شعبان ١٢٩٨هـ/ ٢٩ يونيو ١٨٨١م أعلن للفقهاء والمشايخ والأعيان أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ـ قابل قوة الحكومة التي أرسلت لإخماد حركته في ١٦ رمضان ١٢٩٨هـ/ أغسطس ١٨٨١م وأحرز عليها انتصاراً دعم موقفه ودعواه.

ـ هاجر إلى جبل ماسة ورفع رايته هناك، وعين له أربعة من الخلفاء هم:

١ ـ عبد الله التعايشي: صاحب الراية الزرقاء ولقبه بأبي بكر.

٢ ـ علي وَدْ حلو: صاحب الراية الخضراء ولقبه بعمر بن الخطاب.

٣ ـ محمد المهدي السنوسي: رئيس الطريقة السنوسية ذات النفوذ الكبير في ليبيا، فقد عرض عليه المهدي منصب الخليفة عثمان بن عفان، لكن السنوسيَّ تجاهله ولم يرد عليه.

٤ ـ محمد شريف: وهو ابن عم المهدي الذي جعل له الراية الحمراء ولقبه بعلي بن أبي طالب.

ـ في عام ١٨٨٢م قابل الشلالي الذي أراد أن ينفذ إرادة جيجلر نائب الحكمدار عبدالقادر حلمي، وقد لاقى الشلالي حتفه في هذه المعركة.

ـ في نوفمبر ١٨٨٣م التقى مع هكس الذي لاقى حتفه أيضاً بعد يومين من بداية المعركة.

ـ التقى جيش المهدي بجيش غوردون في الخرطوم، وفي ٢٦ يناير ١٨٨٥م اشتدت المعركة وقُتِل غوردون الذي جُزَّ رأسُه وبُعِثَ به إلى المهدي الذي كان يأمل إلقاء القبض عليه حيًّا ليبادل به أحمد عرابي الذي أُجبر على مغادرة مصر إلى المنفى. وكان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك إيذاناً بانتهاء العهد العثماني على السودان.

ـ من يومها لم يبق للمهدي منافس، إذ قام بتأسيس دولته مبتدئاً ببناء مسجده الخاص الذي تم الانتهاء من بنائه في ١٧ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ.

ـ قلَّد القضاءَ للشيخ محمد أحمد جبارة ولقبه بقاضي الإسلام.

ـ وفي يوم ٩ رمضان ١٣٠٢هـ/ ٢٢ يونيو ١٨٨٥م توفي المهدي بعد أن أسس أركان دولته الوليدة، ودفن في المكان الذي قبض فيه. وجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلاً ففي عام ١٨٩٦م قضى اللورد كتشنر الذي كان سرداراً لمصر على هذه الدولة ونسف قبة المهدي ونبش قبره وبعث هيكله وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني انتقاماً لمقتل غوردون.

شخصيات أخرى:

● عبد الله التعايشي: ولد في دار التعايشة في دارفور، وجاء المهدي في الحلاويين بالجزيرة وهو يشيد قبة على شيخه القرشي وبايعه، وهو الذي قوَّى في نفس المهدي ادعاءه

المهدية، وقد احتل عبد الله المكانة الأولى في حياة المهدي إذ كان رجل التطبيق والإدارة والتنفيذ.

- بعد موت المهدي صار عبد الله الخليفة الأول، وذلك بناء على وصية من المهدي ذاته، إذ كان يقول عنه: «هو مني وأنا منه».

- عندما تسلم منصب الخلافة(*) تفرَّغ لبث الدعوة وجعل أخاه الأمير يعقوب مكانه الذي كان قد بوَّأه إيَّاه المهدي.

- كتب إلى السلطان عبد الحميد وتطلع إلى بسط نفوذ المهدية إلى نجد والحجاز وغربي السودان.

● عبد الرحمن النجومي: من القادة العسكريين، وقد سار على رأس جيش كبير في ٣ رمضان ١٣٠٦هـ/ ٣ مايو ١٨٨٩م متقدماً نحو الشمال لملاقاة الجيش المصري لكنه رجع دون أن يحقق تقدماً أو نصراً.

● الشاعر الصوفي الحسين الزهراء ١٨٣٣ ـ ١٨٩٥م: من رجال المهدية، حاول أن يربط بين فلسفة ابن سينا الإشراقية وبين العقيدة المهدية.

● حمدان أبو عنجة: كان قائد جيش المهدي أمام هكس الذي التقى به خارج الأبيض.

أبناء المهدي وأحفاده:

● عبد الرحمن بن محمد أحمد المهدي ١٨٨٥ ـ ١٩٥٦م وُلد في أم درمان وتلقى تعليماً دينيًّا، وعندما شبَّ سعى لتنظيم المهدية بعد أن انفرط عقدها، وصار في عام ١٩١٤م زعيماً روحيًّا للأنصار. وفي عام ١٩١٩م بعثت به الحكومة لتهنئة ملك بريطانيا بانتصار الحلفاء، إذ قام بتقديم سيف والده هدية للملك الذي قبله ثم أعاده إلى عبد الرحمن طالباً منه أن يحتفظ به لديه نيابة عن الملك وليدافع به عن الإمبراطورية. وقد شكَّل هذا اعترافاً ضمنيًّا بالطائفة واعترافاً بزعامته لها. وقد أنشأ عبد الرحمن أيام الاستعمار(*) الإنجليزي على السودان (حزب الأمة) وهو حزب المهدية السياسي.

● الصديق بن عبد الرحمن: توفى عام ١٩٦١م.

● الهادي بن عبد الرحمن: قتل في عام ١٩٧١م.

● وقد انقسم حزب الأمة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم برئاسة الصادق بن الصديق بن عبد الرحمن وهو أقوى الأقسام حاليًّا في السودان.

ـ قسم برئاسة أحمد بن عبد الرحمن.

ـ قسم برئاسة ولي الدين عبد الهادي.

● المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية أقيم في بيت المهدي بالخرطوم في الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر ١٩٨١م، وقد ألقى أحمد بن عبد الرحمن المهدي كلمة في هذا الحفل.

الأفكار والمعتقدات:

● إن شخصية المهدي القوية، والمعتقد الديني الذي يدعو إليه، والسخط العام الذي كان سائداً ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الناس، وتفشي الرشوة والمظالم، وسيطرة الأتراك والإنجليز، كان لذلك كله دور مهم في تجمع الناس حول هذه الدعوة بهدف التخلص من الوضع المزري الذي هم فيه إذ وجدوا في المهدي المنقذَ والمخلِّصَ.

● دعا المهدي إلى ضرورة العودةِ مباشرة إلى الكتاب والسُّنة دون غيرهما من الكتب التي يرى أنها تبعد بخلافاتها وشرورها عن فهم المسلم البسيط العادي.

● أوقف العمل بالمذاهب الفقهية المختلفة، وحرم الاشتغال بعلم الكلام(*)، وفتح باب الاجتهاد(*) في الدين، وأقر كذلك كتاب **كشف الغمة** للشعراني، **والسيرة الحلبية**، وتفسير **روح البيان** للبيضاوي، **وتفسير الجلالين**.

● ألغى جميع الطرق الصوفية وأبطل جميع الأوراد داعياً الجميع إلى نبذ الخلافات والالتفاف حول طريقته المهدية مؤلفاً لهم ورداً يقرأونه يوميًا، ومن هذا الباب دخلت مرة أخرى في بوتقة الصوفية وانصهرت فيها، وداخلتها الأخطاء العقدية كقول المهدي بأنه معصوم وأنه المهدي المنتظر.

● لما تحركت الحكومة لضرب المهدية في جزيرة أبا كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة المتصوفة وهم: الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، والبدوي. أما الخامسة فقد كتب عليها(محمد المهدي خليفة رسول الله) وعلى ذلك فهو يزعم أنه الإمام، والمهدي، وخليفة رسول الله.

● أبرز ما في دعوته إلحاحه الشديد على موضوع الجهاد(*) والقوة والفتوة.

● يزعم المهدي بأن مهديته قد جاءته بأمر من رسول الله، ﷺ، إذ يقول: «وقد جاءني في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب(*) والخضر عليه السلام وأمسك بيدي، ﷺ،

وأجلسني على كرسيه وقال لي: أنت المهدي المنتظر ومن شكَّ في مهديتك فقد كفر(*)».

● نسب إلى نفسه العصمة، وذكر بأنه معصوم نظراً لامتداد النور الأعظم فيه من قبل خالق الكون إلى يوم القيامة!!.

● كان يلح على ضرورة التواضع وعدم البطر وتشديد النكير على الانغماس في الملاذ والبذخ والنعمة، ويعمل على التقريب بين طبقات المجتمع، وقد عاش حياته يلبس الجبة المرقعة هو وأتباعه، لكن أحفاده من بعده عاشوا في ترف ونعيم.

● حرَّم الاحتفال بالأعراس والختان وأي احتفال يدعو إلى النفقة والإسراف.

● يَسَّرَ الزواج بتخفيف المهور، وبساطة الولائم، وتحريم الرقص والغناء، وضرب الدفوف.

● منع البكاء على الأموات، وحرّم الاشتغال بالرُّقى(*) والتمائم(*)، وحارب شرب الدخان وزراعته والاتجار به، وشدد في تحريمه.

● أقام حدود الشريعة في أتباعه كالقصاص وحيازة خمس الغنائم ومصادرته أموال السارقين والخمارين، وصك العملة باسمه ابتداء من فبراير ١٨٨٥م جمادي الأولى ١٣٠٢هـ.

● أقام في المنطقة التي امتد إليها نفوذه نظاماً إسلاميًا، ونظم الشؤون المالية وعين الجباة لجمع الزكاة، وكانت مالية الدولة التي أقامها مكونة مما يجبى من زكاة وجبايات.

● في العاشر من ربيع الأول عام ١٣٠٠هـ تطلع المهدي إلى عالمية الدعوة، إذ أعلن أن الرسول، ﷺ، قد بشَّره بأنه سيصلي في الأبيض ثم في بربر ثم في المسجد الحرام بمكة المكرمة فمسجد المدينة فمسجد القاهرة وبيت المقدس وبغداد والكوفة(*).

● بعض الانتقادات الموجهة لاجتهادات المهدي:

- لقد كفَّر المهدي من خالفه أو شك في مهديته ولم يؤمن به.
- سمّى الزمان الذي قبله زمان الجاهلية(*) أو الفترة.
- جعل المتهاون في الصلاة كالتارك لها جزاؤه أن يقتل حدًّا.
- أفتى بأن من يشرب التنباك يؤدب حتى يتوب أو يموت.
- جعل المذاهب الفقهية والطرق الصوفية مجرد قنوات تصب في بحره العظيم!!.
- منع حيازة الأرض لأنها لا تملك إذ إنها محجوزة لبيت المال.
- نهى عن زواج البالغة بلا ولي ولا مهر.
- منع النساء من لبس الحلى من الذهب والفضة وهي مباحة شرعاً.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثر المهدي بالشيعة(*) في ادعائه المهدية التي ستملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وفي التأكيد على أهمية نسبه الممتد إلى الحسن بن علي، وفي فكرة العصمة والإمام المعصوم[١].

ـ أخذ عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قوله بضرورة الأخذ عن الكتاب والسُّنَّة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد(*)، ومحاربته لبناء القبور، مع أنه بنى قبة لشيخه.

● كان للفكر الصوفي دور مهم في رسم شخصية المهدي وطريقته.

● أخذ عن جمال الدين الأفغاني، وعن الإمام محمد عبده ـ اللذين كان على صلة بأفكارهما ـ الدعوة إلى تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار(*) الأوروبي وتوحيدها وضرورة تطبيق الشريعة(*) في حياة المسلمين.

● كان المهدي قريباً من الأحداث الجارية في مصر، وبالذات حركة أحمد عرابي الداعي إلى التحرير والاستقلال عن السيطرة الإنجليزية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● ابتدأ المهدي دعوته من جزيرة أبا التي لا تزال مركزاً قويًّا للمهدية إلى الآن، وقد وثق صلته بالقبائل في مختلف أنحاء السودان.

● تطلع المهدي وخليفته التعايشي لنقل المهدية إلى خارج السودان لكن هذا الأمل تلاشى بسقوط طوكر عام ١٨٩١م.

● لا يزال للمهدية أنصار كثيرون يجمعهم حزب(*) الأمة الذي يسهم في الأحداث السياسية الحالية في السودان. كما أن لهم تجمعاً وأنصاراً في أمريكا وبريطانيا يعملون على

---

(١) **تنبيه**: لاصلة البتة بين عقيدة المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة كما دلت عليها الأحاديث المستفيضة، بل المتواترة تواتراً معنوياً، وبينها عند الشيعة، إذ يعتقد أهل السنة والجماعة كما يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ بحق ـ:

«أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق وهو محمد بن عبدالله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس». (لمزيد من التفصيل راجع كتاب: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر. للعلاّمة الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد، وكتاب: المهدي حقيقة لا خرافة للدكتور محمد بن أحمد إسماعيل المقدم.).

نشر أفكارهم ومعتقداتهم بين أبناء الجاليات الإسلامية بعامة والسودانيين بخاصة.

ويتضح مما سبق:

أن الثورة(*) المهدية استطاعت أن تصهر السودانيين في بوتقة واحدة، وجعلت منهم شعباً واحداً جاهد مع قائده وزعيمه الروحي وحقق انتصارات باهرة على أعدائه. وقد أسقطت المهدية المذهبية، وألغت الطرق الصوفية، وأعلنت أنها سلفية(*) تدعو إلى عقيدة السلف في التوحيد والاجتهاد(*) وفق المصالح المتجددة. وقد اعتبرت الجهاد(*) ضد الكفار مقدماً على الفرائض الأخرى. وهي تعد من أبرز حركات اليقظة في العالم الإسلامي.

وقد شابت اجتهادات الحركة بعض الانحرافات العقدية، وكساها المهديُّ بمسحة من الصُّوفية بهدف تحريك ضمائر أتباعه وربط ولاء شعبه بألوان من الرياضات، فقد كان للطرق الصوفية في عهده جذور ضاربة في نفوس شعبه لا يمكن إغفالها.

مراجع للتوسع:

- **محمد أحمد المهدي**، توفيق أحمد البكري ـ لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٤٤م.
- **المهدي والمهدوية**، د. أحمد أمين بك ـ إصدار دار المعارف بمصر.
- **دراسات في تاريخ المهدية**، مطبوعات قسم التاريخ ـ جامعة الخرطوم ـ أعده للنشر الدكتور عمر عبد الرازق النقر ـ ١٩٨٢م.
- **سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي**، إسماعيل عبد القادر الكردفاني ـ تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ـ ط٢ ـ دار الجيل، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **الموسوعة الحركية** «في جزءين» فتحي يكن ـ ط٢ ـ دار البشير ـ الأردن ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفكر الصوفي**، د. عبد القادر محمود ـ ط١ ـ مطبعة المعرفة ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م.
- **الإسلام في القرن العشرين** ـ عباس محمود العقاد.
- **السودان عبر القرون** ـ د. مكي شبيكة ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان بدون تاريخ.
- **تاريخ السودان وجغرافيته**، تأليف نعوم شقير.
- **دائرة معارف القرن العشرين**، محمد فريد وجدي.
- **منشورات المهدي**، موجودة في الإدارة المركزية في وزارة الداخلية بالخرطوم بأصولها ـ وقد نشرتها الداخلية السودانية مصورة عن أصل مطبوع بمطبعة الحجر في أم درمان سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م في جزءين كبيرين بعنوان **منشورات الإمام المهدي عليه السلام**.
- **يسألونك عن المهدية**، الصادق المهدي.
- **المهدية** ـ شريط كاسيت الدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم.

٣٥ـ جماعة التبليغ والدعوة

التعريف:

جماعة التبليغ جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد منها إلى جماعة منظمة. تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليه، ملزمةً أتباعها بأن يقتطع كل واحد منهم جزءاً من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها بعيداً عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية، ويلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم ودورهم ومتاجرهم ونواديهم، وإلقاء المواعظ والدروس والترغيب في الخروج معهم للدعوة. وينصحون بعدم الدخول في جدل(*) مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس هو الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ١٣٠٣ ـ ١٣٦٤هـ، ولد في كاندهلة، قرية من قرى سهارنفور بالهند، تلقى تعليمه الأوّلي فيها، ثم انتقل إلى دهلي، إذ أتم تعليمه في مدرسة ديوبند التي هي من أكبر مدارس الأحناف في شبه القارة الهندية، وقد تأسست عام ١٢٨٣هـ ـ ١٨٦٧م.

ـ تلقى تعليمه الأولي على يد أخيه الذي يكبره سنًّا وهو الشيخ محمد يحيى الذي كان مدرساً في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور.

ـ الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ١٨٢٩ ـ ١٩٠٥م، وقد بايعه الشيخ محمد إلياس على الطريقة سنة ١٣١٥هـ.

ـ جدد البيعة علي الشيخ خليل أحمد السهارنفوري أحد أئمة الديوبندية.

ـ اتصل بالشيخ عبد الرحيم الرائي فوري واستفاد من علمه وتربيته.

ـ أخذ بعض علومه عن الشيخ أشرف على التهانوي ١٢٨٠ ـ ١٣٦٤هـ ١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م، وهو الملقب لديهم بـ (حكيم الأمة).

ـ أخذ عن الشيخ محمود الحسن ١٢٦٨ ـ ١٣٣٩هـ ١٨٥١ ـ ١٩٢٠م وهو من كبار علماء مدرسة ديوبند ومشايخ جماعة التبليغ.

● **من رفاقه المقربين:**

ـ الشيخ عبد الرحيم شاه الديوبندي التبليغي: قضى مدة كبيرة في أمر التبليغ مع الشيخ محمد إلياس ومع ابنه الشيخ محمد يوسف من بعده.

ـ الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي: زوج أخت محمد إلياس ومعتمده الخاص، قضى مدة طويلة من حياته في قيادة الجماعة ومرافقة الشيخ المؤسس.

ـ الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي: مدير دار العلوم لندوة العلماء لكنهو الهند، وهو كاتب إسلامي كبير على صلة وثيقة بالجماعة.

الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧ ـ ١٩٦٥م وهو ابن الشيخ محمد إلياس وخليفته من بعده، ولد في دهلي، تنقل كثيراً في طلب العلم أولاً، وفي نشر الدعوة ثانياً، زار السعودية عدة مرات حاجاً، والباكستان بشطريها، كانت وفاته في لاهور، نقل جثمانه بعدها ليدفن بجانب والده في نظام الدين بدهلي.

ـ ألف الشيخ **أماني الأخبار** وهو شرح **معاني الآثار** للطحاوي، وكتابه الشهير **حياة الصحابة** كما خلف ولداً اسمه الشيخ محمد هارون وهو يسير على منهجه وطريقته.

ـ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ١٣١٥ ـ ١٣٦٤هـ وهو ابن عم الشيخ محمد يوسف وزوج أخته، وهو الذي أشرف على تربيته وتوجيهه، ويصفونه بأنه ريحانة الهند، وبركة العصر. كان شيخ الحديث والمشرف الأعلى لجماعة التبليغ، وليس له نشاط في صفوف الجماعة حالياً.

ـ الشيخ محمد يوسف البنوري: مدير المدرسة العربية بنيوتاون كراتشي، وشيخ الحديث فيها، ومدير شهرية بالأوردية، ومن كبار علماء ديوبند وجماعة التبليغ.

ـ المولوي غلام غوث الهزاروي: من علماء الجماعة، كان عضواً في البرلمان المركزي.

ـ المفتي محمد شفيع الحنفي: وهو (المفتي الأعظم بباكستان) كان مديراً لمدرسة دار العلوم لاندهي كراتشي، وخليفة (حكيم الأمة) أشرف على التهانوي، ومن علماء جماعة التبليغ.

ـ الشيخ منظور أحمد النعماني: من علماء الجماعة، ومن أصحاب الشيخ زكريا، وصديق للأستاذ أبي الحسن الندوي، ومن علماء ديوبند.

ـ إنعام الحسن: هو الأمير الثالث للجماعة إذ تولاها بعد وفاة الشيخ محمد يوسف ولايزال في منصبه إلى الآن، كان صديقاً للشيخ محمد يوسف في دراسته ورحلاته فهما

متقاربان في السن متماثلان في الحركة والدعوة.

ـ الشيخ محمد عمر بالنبوري: من المرافقين للشيخ إنعام ومن مستشاريه المقربين.

ـ الشيخ محمد بشير: أمير الجماعة في الباكستان، ومركزهم الرئيسي فيها رايوند بضواحي لاهور.

ـ الشيخ عبد الوهاب: من كبار المسؤولين في المركز ذاته بالباكستان.

ـ الشيخ إبراهيم عزت: إمام مسجد أنس بن مالك بحي الزمالك بالقاهرة وأمير الجماعة في مصر، توفي يرحمه الله عام ١٩٨١م أثناء رحلة العمرة، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة.

الأفكار والمعتقدات:

● قرر المؤسس لهذه الجماعة ستة مبادىء جعلها أساس دعوته، ويحصرون الحديث فيها في مؤتمراتهم وبياناتهم العامة:

ـ الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ـ إقامة الصلاة ذات الخشوع.

ـ العلم والذكر.

ـ إكرام المسلمين.

ـ الإخلاص.

● تقوم طريقتهم في نشر الدعوة كما يلي:

ـ تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما، إذ يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً وما يكفيه من الزاد والمصروف على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.

ـ عندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولاً بحيث يقوم بعضهم بتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو (البيان) كما يسمونه.

ـ إذا حان موعد البيان التقوا جميعاً لسماعه، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله، وبعد صلاة الفجر يقسمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضاً من قصار السور. حلقات حلقات. ويكررون ذلك عدداً من الأيام.

ـ قبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس للخروج معهم لتبليغ الدعوة، إذ يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً. . . أو شهراً. . كل بحسب طاقته

وإمكاناته ومدى تفرغه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والعدد الأمثل للخروج أن يكون يوماً في الأسبوع وثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً في السنة وأربعة أشهر في العمر كله.

- يرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم التي توجه إليهم من أهل البلدة أو الحي؛ حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وليكون عملهم خالصاً لوجه الله تعالى.

- لا يتعرضون إلى فكرة (إزالة المنكرات) معتقدين بأنهم الآن في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن القيام بهذا العمل قد يضع العراقيل في طريقهم وينفّر الناس منهم.

- يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد فرداً فرداً فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً.

- إن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً؛ إذ يحس بأنه قدوة، وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه.

● يرون بأن التقليد(*) في المذاهب(*) واجب، ويمنعون الاجتهاد معللين ذلك بأن شروط المجتهد الذي يحق له الاجتهاد مفقودة في علماء هذا الزمان.

● تأثروا بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة مثل:

- لا بد لكل مريد من شيخ يبايعه، ومن مات وليس في عنقه بيعة(*) مات ميتة جاهلية(*). وكثيراً ما تتم البيعة للشيخ في مكان عام، إذ تُنشر على الناس أردية واسعة مربوط بعضها ببعض مرددين البيعة بشكل جماعي، ويُفعل ذلك في جمع غفير من النساء كذلك.

- المبالغة في حب الشيخ، والمغالاة كذلك في حُبِّ الرسول، ﷺ، مما يخرجهم في بعض الأحيان عن حدود الأدب الذي يجب التزامه حيال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

- إقامة المنامات مقام الحقائق حتى تكون هذه المنامات قاعدة تنبني عليها أمور تترك أثرها على مسيرة الدعوة.

- يعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب.

- ترد على ألسنتهم أسماء أعلام المتصوفة مثل عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان عام ٤٧٠هـ، والسهروردي، وأبو منصور الماتريدي ت ٣٣٢هـ، وجلال الدين الرومي المولود عام ٦٠٤هـ صاحب كتاب المثنوي.

تقوم طريقتهم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وقد استطاعوا أن يجتذبوا إلى رحاب الإيمان كثيراً من الذين انغمسوا في الملذات والآثام وحوّلوهم إلى العبادة والذكر والتلاوة.

ـ لا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشكلاتها وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة، ولعل هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية التي ترى ضرورة التصدي لأعداء الإسلام في القارة الهندية.

● **بعض الملاحظات والمآخذ عليهم:**

ـ إنهم يتوسعون توسعاً أفقيًّا كميًّا لا نوعيًّا إذ إن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة وعلم، وهذا ما تفتقده هذه الدعوة؛ ذلك لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنها.

ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف؛ إذ لا بد لمن غرس غرسة أن يتعهدها.

ـ لا يضمهم تنظيم واحد متسلسل، بل هناك صلات بين الأفراد وبين الدعاة تقوم على التفاهم والمودة.

ـ يؤولون أحاديث الجهاد(*) على «الخروج» مما يكاد ينسي الجهاد(*) في سبيل الله، كما يتساهلون كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين.

ـ يلجؤون إلى النوم والأكل في المساجد تقليلاً للنفقة، وينتقدهم البعض لهذا المسلك، وبخاصة في البلاد الأجنبية، ولكن هذا المسلك لا يعيبهم طالما أنهم لا يغادرون المساجد إلا بعد أن تكون أكثر نظافة وأحسن ترتيباً.

ـ لا يكفي عملهم لإقامة أحكام الإسلام في حياة الناس، ولا يكفي لمواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام التي تجند طاقاتها كافة لحرب الإسلام والمسلمين.

ـ أسلوبهم يترك أثره بشكل واضح على رواد المساجد من المسلمين، أما أولئك الذين يحملون أفكاراً وإيديولوجيات(*) معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدوماً.

ـ يقال عنهم بأنهم قد أخذوا بعضاً من الإسلام وتركوا بعضاً منه، وهذه التجزئة لحقائق الإسلام تتنافى مع طبيعته الواحدة الشمولية ومنطقهم دائماً يقول: السياسة أن تترك السياسة، ولكنهم على الرغم من ذلك لم ينجوا من ضربات المتسلطين وقد حظر نشاطهم في أكثر من بلد.

ومع ذلك ينبغي ألا يغفل ما لها من حسناتٍ وفضائل، فقد دخل على أيديهم خلق كثير إلى الإسلام، وترك آخرون من المسلمين على أيديهم سبل الغواية والرذيلة، بل استطاعوا أن يخترقوا قبل غيرهم الستار الحديدي الذي فرضته الشيوعية على بعض البلاد.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إنها جماعة إسلامية، مصادرها الرئيسية كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وعقيدة مؤسسيها وكبار علمائها ودعاتها في شبه القارة الهندية هي عقيدة الماتريدية نفسها. على أن مذهبهم الفقهي هو المذهب الحنفي.

● تأثروا بالمتصوفة وبخاصة الطريقة الجشتية والقادرية والنقشبندية والسهروردية في الهند، ويقيمون اعتباراً خاصاً لأعلام المتصوفة في التربية والتوجيه.

● هناك من يعتقد بأنهم قد أخذوا أفكارهم عن جماعة النور في تركيا.

● يعتمدون في اجتماعاتهم في البلاد العربية على القراءة من **رياض الصالحين**، وفي البلاد الأعجمية على القراءة من **حياة الصحابة**، **وتبليغي نصاب** والأخير مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة.

● يطالبهم كثير من العلماء السلفيين بالإقلاع عن اللجوء إلى كتابة التمائم(*) المملوءة بالطلاسم وترك الأوراد والأذكار البدعية، وترك اعتماد الرؤى والأحلام مصدراً من مصادر الاستدلال والاهتمام بالعلم الشرعي وبخاصة علم التوحيد.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت دعوتهم في الهند، وانتشرت في الباكستان وبنجلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي، إذ صار لهم أتباع في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والحجاز.

ـ انتشرت دعوتهم في معظم بلدان العالم في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، ولهم جهود مشهود لها في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

ـ مركزهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي، ومنه يديرون شؤون الدعوة في العالم.

● التمويل المالي يعتمدون فيه على الدعاة أنفسهم، وهناك تبرعات متفرقة غير منظمة تأتي من بعض الأثرياء مباشرة أو بابتعاث الدعاة على حسابهم الخاص.

ويتضح مما سبق:

أن جماعة التبليغ هي: إحدى الجماعات المنتسبة للسنة، إذ تستمد منهجها من كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وتعد سندًا عاطفيًا واجتماعيًا لمسلمي شبه القارة الهندية، وهي رمز من رموز الدعوة إلى الله في أوروبا والأمريكتين. وتقوم الدعوة عند هذه الجماعة، على

أساس الكلمة الطيبة والخشوع في الصلاة والعلم والذكر وإكرام المسلمين والإخلاص والخروج في سبيل الدعوة. ويمتاز دعاتها بالزهد، ولكنهم يعتقدون أن التصوف (بمفهومه القائم) هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان.

مراجع للتوسع:

- **حياة الصحابة**، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ـ دار القلم ـ دمشق ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **الموسوعة الحركية**، فتحي يكن ـ دار البشير ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها**، ميان محمد أسلم الباكستاني، وهو بحث مقدم لكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ للعام الدراسي ١٣٩٦/ ١٣٩٧هـ.
- **الطريق إلى جماعة المسلمين**، حسين بن محسن بن علي بن جابر ـ دار الدعوة ـ الكويت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- **مشكلات الدعوة والداعية**، فتحي يكن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **السراج المنير**، الدكتور تقي الدين الهلالي.
- **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية**، الدكتور صادق أمين ـ جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان ـ الأردن، ١٩٧٨م.
- **حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب**، سعد بن عبدالرحمن الحصين، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
- **رأي آخر في جماعة التبليغ** ـ سعد الحصين، بحث مقدم إلى ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ـ البحرين ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦ـ حركة طلاب النور «النورسية» في تركيا

التعريف:

حركة طلاب النور: جماعة دينية إسلامية هي أقرب في تكوينها إلى الطرق الصوفية منها إلى الحركات(*) المنظمة. ركز مؤسسها على الدعوة إلى حقائق الإيمان والعمل على تهذيب النفوس مُحْدِثاً تياراً إسلامياً في محاولة منه للوقوف أمام المد العلماني الماسوني الكمالي الذي اجتاح تركيا عقب سقوط الخلافة(*) العثمانية واستيلاء كمال أتاتورك على دفة الحكم فيها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● المؤسس هو الشيخ سعيد النورسي ١٨٧٣ ـ ١٩٦٠م ولد من أبوين كرديين في قرية نورس القريبة من بحيرة وان في مقاطعة هزان بإقليم بتلس شرقي الأناضول، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شبّ ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة وناقش علماء عصره واتسعت شهرته حتى لقب بـ (سعيد المشهور).

ـ في الثامنة عشرة من عمره أَلَمَّ بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وعرف الرماية والمصارعة وركوب الخيل، فضلاً عن حفظه القرآن الكريم، آخذاً نفسه بالزهد والتقشف.

ـ في عام ١٨٩٢م ذهب الشيخ سعيد النورسي إلى «ماردين»، وفيها بدأ دعوته الإرشادية التربوية من خلال المسجد الجامع بالمدينة، فوشي به إلى واليها الذي نفاه إلى «تبليس».

ـ في عام ١٨٩٤م ذهب النورسي إلى مدينة «وان» وعمل فيها بالتدريس، بالإضافة إلى مطالعة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، وتعمق فيها، وألف في بعضها مما حدا بأهل العلم في مدينة «وان» أن يطلقوا عليه لقب «بديع الزمان» اعترافاً بسعة علمه، وقوة ذكائه.

ـ انتقل إلى استانبول عام ١٨٩٦م لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكلة الجامع الأزهر بمصر، وصادف أن كان هناك الشيخ بخيت شيخ المطيعي مفتي مصر

(١٣٣٣-١٣٣٩هـ) الذي أبدى إعجابه الشديد ببديع الزمان.

ـ عندما دخل الحلفاء إستانبول محتلين كان في مقدمة المجاهدين ضدهم.

ـ في عام ١٩٠٨م وبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد بتآمر من جمعية الاتحاد والترقي التي رفعت شعار (الوحدة ـ الحرية ـ الإصلاح) لتخفي وراءه دسائسها ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين، أيد بديع الزمان جمعية (الاتحاد المحمدي)، التي استخدمت نفس شعارات الاتحاديين ولكن بالمفهوم الإسلامي كشفا لخدعهم التي يتسترون خلفها وتجلية لحقيقتهم الماسونية.

ـ أرسل الماسونيون (قرّه صو) اليهودي لمقابلته، لكنه ما لبث أن خرج من عنده وهو يقول: «لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه».

ـ في عام ١٩١١م/ ١٣٢٧هـ انتقل إلى سوريا وأقام في دمشق وألقى في المسجد الأموي خطبته التي عرفت باسم الخطبة الشامية، وضح فيها أسباب تقدم أوربا وتخلف المسلمين بما يلي:

١ ـ اليأس الذي بلغ بالمسلمين مبلغه.

٢ ـ فساد الأخلاق وفقدان الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

٣ ـ انتشار العداوة والبغضاء بين صفوف المسلمين.

٤ ـ فقدان روابط المحبة والتعاون والتكافل بين المسلمين.

٥ ـ الاستبداد المنتشر انتشار الأمراض السارية.

٦ ـ تقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة.

ـ في الحرب العالمية الأولى شكل فرع الأنصار لمساعدة الجيش التركي وأصبح ضابطاً فيها، وفي الأمسيات كان يلقي على تلاميذه وعساكره دروساً في علوم القرآن.

ـ قبض عليه الروس ونفوه إلى سيبيريا، لكنه استطاع أن يهرب ويعود إلى إستانبول عن طريق ألمانيا فبلغاريا فتركيا. حيث استقبله الخليفة وشيخ الإسلام وطلبة العلم فيها استقبالا حافلا، ومنحته الدولة وسام الحرب، بالإضافة إلى تعيينه عضواً في «دار الحكمة الإسلامية» كأعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية. كان عام ١٩٢٣م بداية مرحلة جديدة في حياة النورسي الفكرية، أطلق عليها النورسي نفسه بعد ذلك مرحلة «سعيد الجديد» التي نشط فيها في تأليف رسائل النور لبث صيحات التوجيه والإرشاد للحفاظ على الإيمان وبخاصة بين صفوف الشباب.

ـ حينما أعلن مصطفى كمال أتاتورك ١٨٨٠ ـ ١٩٣٨م العصيان بالأناضول حاول

استدراج بديع الزمان إلى جانبه إذ عرض عليه قصراً فخماً ومناصب عليا، لكنه رفض كل ذلك منصرفاً عن السياسة كلياً جاعلاً شعاره «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة»، عاكفاً على العبادة والتربية وصقل النفوس.

ـ لقد كان العلمانيون الذين حكموا تركيا بعد زوال الخلافة يخشون من دعوته ويعارضونها أشد المعارضة، فما كان منهم إلا أن استغرقوا حياته بالسجن والتعذيب والانتقال من سجن إلى منفى، ومن منفى إلى محاكمة.

ـ أصدرت المحاكم ضده أحكاماً بالإعدام عدة مرات لكنهم كانوا يعدلون عن تنفيذ هذا الحكم خوفاً من ثورة أتباعه وأنصاره.

ـ عاش آخر عمره في إسبارطة منعزلاً عن الناس، وقبل ثلاثة أيام من وفاته اتجه إلى أورفبا دون إذن رسمي، إذ عاش فيها يومين فقط فكانت وفاته في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ، الموافق ٢٣ آذار ١٩٦٠م.

الأفكار والمعتقدات:

● فكر هذه الجماعة هو ما كتبه المؤسس ذاته حتى إنك لا تكاد تجد ذِكراً لآخرين تركوا إضافات مهمة على فكرها.

● اتخذت الجماعة من كتاب الله وسنة رسوله نبراسا لها تهتدي بهديهما وتعمل لهما.

● قامت هذه الدعوة لإيقاظ العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها فكان عليها أن تواجه الظروف القاسية بتكتيك يناسب هذه الظروف التي كان مجرد الانتماء إلى الإسلام فيها يعد جريمة يعاقب عليها القانون.

● كان بديع الزمان متواضعاً زاهداً يتحرز عن مواطن الشبهة، وكان شعاره الدائم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

● التخلي عن السياسة واعتبارها من وساوس الشيطان، وذلك إثر عدة مواجهات ومصادمات بين بديع الزمان ومصطفى كمال الذي كان يحاول استدراج الشيخ إلى صفه وقد غادر سعيد النورسي أنقره عام ١٩٢٣م إلى وان تاركاً السياسة خلف ظهره. ووصِف هذا التاريخ بأنه فاصل بين مرحلتين: سعيد القديم وسعيد الجديد.

● قال بديع الزمان للمحكمة عندما كان مسجوناً في سجن اسكشير: «لقد تساءلتم هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية وإنني أقول لكم: إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة، إن كثيرين هم أولئك الذين يدخلون الجنة بغير طريقة ولكن أحداً لا يدخل الجنة بغير إيمان».

● وقال: «أقسم بالله أنني سأكرس نفسي للقرآن باذلاً حياتي مهما كانت مكائد الوزير البريطاني القذرة». ويقصد به وزير المستعمرات البريطاني غلادستون الذي قال آنذاك: «طالما أن القرآن مع المسلمين فسيبقون في طريقنا، ولذلك يجب علينا أن نبعده عن حياتهم».

ـ من أقواله: «لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام.. إنني لا أعترف إلا على ملة الإسلام.. إنني أقول لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمونه السجن إنني في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة».

ـ وله كذلك: «كما أنه لا يناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصين؛ فكذلك لا يناسب إستانبول أن تلبس أخلاق أوربا».

● إن التهم الرئيسية التي كانت توجه إلى بديع الزمان في المحاكمات يمكن تلخيصها فيما يلي:

ـ العمل على هدم الدولة العلمانية والثورة(*) الكمالية.

ـ إثارة روح التدين في تركيا.

ـ تأليف جمعية(*) سرية.

ـ التهجم على مصطفى كمال أتاتورك.

لكنه كان يتصدى لهذه التهم بمنطق بليغ من الحجة والبرهان حتى أصبحت هذه المحاكمات مجال دعاية له تزيد في عدد أتباعه.

● لقد كرس المؤسس نشاطه ودعوته على مقاومة المد العلماني الذي تمثل في:

ـ إلغاء الخلافة(*) العثمانية.

ـ استبدال القوانين الوضعية(*) ـ والقانون السويسري المدني تحديداً ـ بالشريعة الإسلامية(*).

ـ إلغاء التعليم الديني.

ـ منع الكتابة بالحروف العربية وفرضها بالحروف اللاتينية.

ـ تغيير الأذان من الكلمات العربية إلى الكلمات التركية.

ـ فرض النظرية الطورانية(*) وأن «الترك أصل الحضارات».

ـ إلزام الناس بوضع القبعة غطاء للرأس، وإلزام النساء بالسفور، ورفع الحجاب.

ـ جعل يوم الأحد يوم العطلة الرسمية بدلاً من يوم الجمعة.

ـ ارتداء الجبة السوداء والعمامة البيضاء مقصور على رجال الدين.

ـ ترجمة القرآن إلى اللغة التركية وذلك عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م وتوزيعه في المساجد.

ـ تحريم الاحتفال بعيدي الأضحى والفطر وإلغاء التقويم الهجري وإحداث تغييرات في نظام المواريث.

ـ الاتجاه نحو الغرب ومحاكاته في عاداته وتقاليده واهتماماته.

ـ طمس العقيدة الإسلامية في نفوس الناس بعامة والناشئة بخاصة.

● يمتاز معظم شباب هذه الجماعة بالعفة والنظافة، شباب قابض على دينه في عصر شاعت فيه الفتن والإغراءات والانحلال.

● هذا وثمة بعض المآخذ على هذه الجماعة:

ـ إنهم لم يستطيعوا تأسيس عمل إسلامي منظم يستطيع التصدي للمكر اليهودي الذي كان متغلغلاً في معظم نواحي الحياة السياسية المعادية للإسلام والمسلمين إذ ذاك. لكن الإنصاف يقتضينا أن نقر بأن الظروف المحيطة بنشأة هذه الجماعة لم تكن لتسمح لها بالظهور في غير الشكل الذي ظهرت فيه.

ـ إن اشتراك بديع الزمان مع آخرين في تأليف جمعية الاتحاد المحمدي ليس أكثر من رد فعل سرعان ما انفرطت حلقاته فضلاً عن استعداء الاتحاديين(*) عليه وتركيزهم الكيد والتآمر للقضاء عليه وعلى دعوته.

ـ إن تخلي هذه الجماعة عن السياسة واتخاذ سعيد النورسي شعار أعوذ بالله من الشيطان والسياسة وذلك منذ عام ١٩٢٣م قد ترك أثراً سلبياً على أتباعها إذ وقع بعضهم فريسة لأحزاب(*) علمانية.

ـ يأخذ البعض على الشيخ تخليه عن مساندة الشيخ سعيد الكردي الذي قام بثورة ضد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٥م واقفاً إلى جانب الخلافة(*)، وقد حدثت معارك رهيبة بينه وبين الكماليين في منطقة ديار بكر سقط فيها آلاف من المسلمين، بينما يرى أتباعه أن هذا الموقف من النورسي يعبر عن فطنته وبعد نظره.

ـ ويأتي هذا الموقف انطلاقاً من فكره في وجوب جهاد(*) النفس أولاً ثم الدعوة إلى تنوير الأفكار، وقد نادت الجماعة بإصلاح القلوب وعدم الدخول في معارك داخلية مع المخالفين المسلمين سواء كانوا حكاماً أو محكومين والتزام طريق الدعوة السلمية والتطور التدريجي، ولا يلجأ إلى الجهاد المسلح إلا ضد العدو الخارجي من الكفار والزنادقة.

ـ لدى بعض أفراد جماعة النور ـ مؤخراً ـ شعور بالانعزالية والاستعلاء وهذا يفقدهم القدرة على التغلغل بين طبقات الشعب المسلم لدعوته وتوعيته.

● تفرقت هذه الجماعة بعد موت المؤسس وانقسمت إلى ثلاثة أقسام رئيسة متنافرة:
● قسم التحق بحزب(*) السلامة.
● وقسم التزم الحياد.
● وقسم ثالث عادى حزب السلامة (حزب الرفاه) متحالفاً مع حزب العدالة الذي يرأسه ديميريل ويملك هذا القسم كل وسائل الدعم والتأييد. وهناك محاولة واسعة لتخريب أفكار شبابه. ومن ذلك مجموعة يني آسيا جي لر مصدرو صحيفة يني آسيا التي اشتركت مع صحيفة أخرى اسمها يني نسل في التشهير بحزب السلامة حزب الرفاه وبزعيمه نجم الدين أربكان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ ليست جماعة النور إلا واحدة من الجماعات الإسلامية التي تنتسب لأهل السنة على العقيدة الماتريدية عقيدة تركيا والدولة العثمانية.

ـ سلكت الجماعة طريق التربية، وعملت على حفظ الإيمان في النفوس، وعليه فإنها تُشَبه بالطرق الصوفية من بعض الوجوه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ بدأت جماعة النور في المنطقة الكردية في ـ بارلا ـ غربي شرقي الأناضول، وامتدت إلى أرض روم وإسبارطة وما حولها ثم انتقلت إلى إستانبول.

ـ وصلت هذه الدعوة إلى كل الأراضي التركية واكتسحت كل التنظيمات القائمة على أرضها آنذاك.

ـ بلغ عدد أعضائها في حياة مؤسسها ما يزيد على النصف مليون شخص.

ـ لهذه الجماعة أنصار في كل من الباكستان والهند. وكذلك لها نشاط في أمريكا يتمثل في الطلاب الأتراك من أتباع هذه المدرسة الذين أسسوا معهداً باسم «معهد رسائل النور».

مراجع للتوسع:

ـ **بديع الزمان** (نظرة عامة عن حياته وآثاره)، مصطفى زكي عاشور.
ـ **النورسي** (حياته وبعض آثاره)، د. محمد سعيد رمضان البوطي.
ـ **الموسوعة الحركية** «جزءان»، فتحي يكن، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
ـ **العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا**، عبدالكريم مشهداني، منشورات

المكتبة الدولية بالرياض، مكتبة الخافين بدمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، مصطفى محمد، طبع في ألمانيا الغربية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- **المثنوي العربي النورسي**، تحقيق إحسان قاسم الصالحي - العراق.

- **المثنوي النوري**، للنورسي، ترجمة الدكتور محمد عبدالسلام كفافي مع الشرح والدراسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.

- مقال عن بديع الزمان النورسي، **مجلة الأمة**، بقلم الدكتور عماد الدين خليل، عدد ذي الحجة ١٤٠٥هـ.

- **الرجل الصنم كمال أتاتورك**، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الشركة المتحدة، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م.

- قام الشيخ سعيد بتأليف أكثر من (١٣٠) رسالة يعالج فيها مختلف المشكلات الدينية والروحية والنفسية والعقلية انطلاقاً من القرآن وتفسيره، وقد قام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بترجمة عدد من هذه الرسائل إلى اللغة العربية منها:

١ - **قطوف أزاهير النور**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.

٢ - **الحشر**، دار الكتاب، بغداد، ١٩٨٣م.

٣ - **الآية الكبرى**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.

٤ - **الإنسان والإيمان**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥ - **حقائق الإيمان**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤م.

٦ - **زهرة النور**، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤م.

٧ - **الملائكة**، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٤م.

٨ - **الشكر**، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٨٤م.

٩ - **الشيوخ**، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٤م.

١٠ - **الإيمان وتكامل الإنسان**، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٨٤م.

١١ - وللشيخ سعيد النورسي كذلك:

١ - **إشارات الإعجاز في مظان المجاز** (وهو أول مؤلف له باللغة العربية)..

٢ - **الصيقل الإسلامي**.

٣ - **التفكير الإيماني**.

٤ - **ذو الفقار**.

٥ ـ **رائد الشباب**.

٦ ـ **الخطبة الشامية**.

٧ ـ **الخطوات الست** (يتحدث فيه عن مؤامرات الإنجليز ودسائسهم، وقد أسهم هذا الكتاب في إشعال الثورة في النفوس ضد الإنجليز مما عجل بطردهم).

الفصل السابع

جماعات غالية

● مقدمة عامة ● جماعة التكفير والهجرة

مقدمة عامـة

الإسلام هو دين استمرار الحياة بكل آلامها في ظل استشراف أعظم الآمال فيها، وهو أمل العقيدة الصافية، والوجود الإنساني الكريم. وهو دين الوسطية، ودين المزاوجة الحقيقية بين المادة والروح، والمثال والواقع، والأهداف والوسائل. إنه دين التوازن الذي لا غلو(*) فيه، ولا تشدد معه، ولا تنطع في رحابه. وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة، كما أن الإسلام وسط بين الديانات الأخرى، فدين الله تعالى وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وتتجلى وسطية أهل السنة(*) في سائر أبواب الدين(*) سواء في التلقي أو الاعتقاد أو السلوك والأخلاق(*) والمنهاج. وهذه الوسطية التي يتميز بها أهل السنة(*) حازوها بسبب اهتمامهم بالعلم والفقه في دين الله، مع العدل والإنصاف مع الآخرين.

والغلو ومجاوزة الحد من مظاهر الانحراف التي وقعت من بعض طوائف أهل القبلة في القديم والحديث، وكان لظهور هذا الغلو جملة أسباب منها:

١ ـ الجهل بدين الله واتباع المتشابه وسوء فهم نصوص الشرع.

٢ ـ الطعن في سلف الأمة ورد فهمهم وفقههم.

٣ ـ مقابلة الجفاء والتفريط الواقع من الطرف الآخر.

ولقد كان لظهور الغلو والغالين، أسوأ الأثر على الإسلام والمسلمين وكان لا بد لهذه الموسوعة أن توقف الشباب المسلم على أهم الجماعات الغالية حتى يختط كل مسلم لنفسه طريق الوسطية في ظل الشريعة الإسلامية بلا إفراط ولا تفريط.

٣٧ـ جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)

التعريف:

● جماعة المسلمين كما سمت نفسها، أو جماعة التكفير والهجرة كما أطلق عليها إعلاميًّا، هي جماعة إسلامية غالية نهجت نهج الخوارج في التكفير(*) بالمعصية، نشأت داخل السجون المصرية في بادىء الأمر، وبعد إطلاق سراح أفرادها، تبلورت أفكارها، وكثر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات خاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تبلورت أفكار ومبادىء جماعة المسلمين التي عرفت بجماعة التكفير والهجرة في السجون المصرية وخاصة بعد اعتقالات سنة ١٩٦٥م التي أعدم على إثرها سيد قطب وإخوانه بأوامر من جمال عبد الناصر ـ حاكم مصر آنذاك.

● لقد رأى المتدينون المسلمون داخل السجون من ألوان العذاب ما تقشعر من ذكره الأبدان، وسقط الكثير منهم أمامهم شهداء بسبب التعذيب، دون أن يعبأ بهم القساة الجبارون. في هذا الجو الرهيب ولد الغلو ونبتت فكرة التكفير(*) ووجدت الاستجابة لها.

● في سنة ١٩٦٧م طلب رجال الأمن من جميع الدعاة المعتقلين تأييد رئيس الدولة جمال عبد الناصر فانقسم المعتقلون إلى فئات:

ـ فئة سارعت إلى تأييد الرئيس ونظامه بغية الإفراج عنهم والعودة إلى وظائفهم، وزعموا أنهم يتكلمون باسم جميع الدعاة، وهؤلاء كان منهم العملاء وثبت أنهم طابور خامس داخل الحركة الإسلامية، وثمة نوع آخر ليسوا عملاء بالمعنى وإنما هم رجال سياسة التحقوا بالدعوة بغية الحصول على مغانم كبيرة.

ـ أما جمهور الدعاة المعتقلين فقد لجؤوا إلى الصمت ولم يعارضوا أو يؤيدوا باعتبار أنهم في حالة إكراه.

ـ بينما رفضت فئة قليلة من الشباب موقف السلطة وأعلنت كفر(*) رئيس الدولة ونظامه، بل اعتبروا الذين أيدوا السلطة من إخوانهم مرتدين عن الإسلام، ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كفار لأنهم موالون للحكام وبالتالي لا ينفعهم صوم ولا صلاة. وكان إمام هذه الفئة ومهندس أفكارها الشيخ علي إسماعيل.

ومن أبرز شخصيات هذا الجماعة:

● الشيخ علي إسماعيل: كان إمام هذه الفئة من الشباب داخل المعتقل، وهو أحد خريجي الأزهر، وشقيق الشيخ عبد الفتاح إسماعيل أحد الاثنين اللذين تم إعدامهما مع الأستاذ سيد قطب، وقد صاغ الشيخ علي مبادىء العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أطر شرعية حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسنة، ومن حياة الرسول، ﷺ، في الفترتين: المكية والمدنية، متأثراً في ذلك بأفكار الخوارج(*)؛ إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار التي كان ينادي بها.

- شكري أحمد مصطفى (أبو سعد) من مواليد قرية الحواتكة بمحافظة أسيوط ١٩٤٢م، أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين الذين اعتقلوا عام ١٩٦٥م لانتسابهم لجماعة الإخوان المسلمين، وكان عمره وقتئذ لا يتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً.

-تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ علي إسماعيل.

- في عام ١٩٧١م أفرج عنه، وبعد أن حصل على بكالوريوس الزراعة بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته. ولذلك تمت مبايعته أميراً للمؤمنين وقائداً لجماعة المسلمين - على حد زعمهم - فعين أمراء للمحافظات والمناطق واستأجر العديد من الشقق كمقار سرية للجماعة بالقاهرة والإسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي.

- في سبتمبر ١٩٧٣م أمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية واللجوء إلى المغارات الواقعة بدائرة أبي قرقاص بمحافظة المنيا بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض، تطبيقاً لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة(*).

- في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣م اشتبه في أمرهم رجال الأمن المصري فتم إلقاء القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة في قضية رقم ٦١٨ لسنة ٧٣ أمن دولة عليا.

- في ٢١ إبريل ١٩٧٤م عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م صدر قرار جمهوري بالعفو عن شكري مصطفى وجماعته، إلا أنه عاود ممارسة نشاطه مرة أخرى، ولكن هذه المرة بصورة مكثفة أكثر من ذي قبل، إذ عمل على توسيع قاعدة الجماعة، وإعادة تنظيم صفوفها، وقد تمكن من ضم أعضاء جدد للجماعة من شتى محافظات مصر، كما قام بتسفير مجموعات أخرى إلى خارج البلاد بغرض التمويل، مما مكن لانتشار أفكارهم في أكثر من دولة.

ـ هيأ شكري مصطفى لأتباعه بيئة متكاملة من النشاط، وشغلهم بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، وبذلك عزلهم عن المجتمع، إذ أصبح العضو يعتمد على الجماعة في كل احتياجاته، ومن ينحرف من الأعضاء يتعرض لعقاب بدني، وإذا ترك العضو الجماعة اعتُبِرَ كافراً، إذ اعتبر المجتمع خارج الجماعة كله كافراً. ومن ثم يتم تعقبه وتصفيته جسديًّا.

ـ على الرغم من أن شكري مصطفى كان مستبداً في قراراته، إلا أن أتباعه كانوا يطيعونه طاعة عمياء بمقتضى عقد البيعة(*) الذي أخذ عليهم في بداية انتسابهم للجماعة.

ـ وكما هو معلوم وثابت أن هذه الجماعة جوبهت بقوة من قبل السلطات المصرية وبخاصة بعد مقتل الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري السابق، وبعد مواجهات شديدة بين أعضاء الجماعة والسلطات المصرية تم القبض على المئات من أفراد الجماعة وتقديمهم للمحاكمة في القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م التي حكمت بإعدام خمسة من قيادات الجماعة على رأسهم شكري مصطفى، وماهر عبد العزيز بكري، وأحكام بالسجن لمدد متفاوتة على باقي أفراد الجماعة.

ـ في ٣٠ مارس ١٩٧٨م صبيحة زيارة السادات للقدس تم تنفيذ حكم الإعدام في شكري مصطفى وإخوانه.

ـ بعد الضربات القاسية التي تلقتها الجماعة اتخذت طابع السرية في العمل، الأمر الذي حافظت به الجماعة على وجودها حتى الآن، ولكنه وجود غير مؤثر ولا ملحوظ لشدة مواجهة تيار الصحوة الإسلامية من أصحاب العقيدة والمنهج(*) السلفي(*) لهم بالحوار والمناظرات سواء كان داخل السجون والمعتقلات أم خارجها، مما دفع الكثير منهم إلى العودة إلى رشده والتبرؤ من الجماعة.

● ماهر عبد العزيز زناتي (أبو عبد الله) ابن شقيقة شكري مصطفى ونائبه في قيادة الجماعة بمصر، وكان يشغل منصب المسؤول الإعلامي للجماعة، أعدم مع شكري في قضية الشيخ محمد حسين الذهبي رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م. وله كتاب **الهجرة**.

الأفكار والمعتقدات:

● إن التكفير(*) عنصر أساسي في أفكار ومعتقدات هذه الجماعة.

ـ فهم يكفرون كل من ارتكب كبيرة(*) وأصر عليها، ولم يتب منها، وكذلك يكفرون(*) الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل، ويكفرون المحكومين؛ لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم، أيضا، بإطلاق ودون تفصيل، أما العلماء فيكفرونهم؛ لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم

يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع(*) إمامهم. أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال دمه، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين(*).

- وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع(*) حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس(*) أو بالمصلحة المرسلة(*) أو بالاستحسان(*) ونحوها فهو في نظرهم مشرك كافر.

- والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر(*) وجاهلية(*) لتقديسها لصنم التقليد(*) المعبود من دون الله، فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين(*).

- قول الصحابي وفعله ليس بحجة ولو كان من الخلفاء الراشدين.

● والهجرة(*) هي العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية. والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية - في رأيهم - كما عاش الرسول، ﷺ، وصحابته الكرام في الفترة المكية.

- يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يمارسوا المفاصلة الشعورية(*) لتقوية ولائهم للإسلام من خلال جماعة المسلمين - التكفير والهجرة - وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد(*) حتى تكتسب القوة الكافية.

● لا قيمة عندهم للتاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ هو أحسن القصص الوارد في القرآن الكريم فقط.

● لا قيمة، أيضاً، لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد؛ لأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث - في زعمهم - مرتدون عن الإسلام.

● قالوا بحجية الكتاب والسنة فقط، ولكن كغيرهم من أصحاب البدع الذين اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه، وما خالفها تحايلوا في رده أو رد دلالته.

● دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطيء لحديث «نحن أمة أمية...»، فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد إسلامية كانت أو غير إسلامية؛ لأنها مؤسسات الطاغوت(*) وتدخل ضمن مساجد الضرار.

- أطلقوا أن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، فما العلم إلا ما يتلقونه في حلقاتهم الخاصة.

● قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعات بالمساجد؛ لأن المساجد كلها ضرار وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى ولا يصلون فيها، أيضاً، إلا إذا كان الإمام منهم.

● يزعمون أن أميرهم شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق على يد محمد، ﷺ، من ظهور للإسلام على جميع الأديان(*).

ـ وعليه فإن دور الجماعة يبدأ بعد أن تدمّر الأرض بمن عليها بحرب كونية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي تنقرض بسببها الأسلحة الحديثة كالصواريخ والطائرات وغيرها ويعود القتال كما كان في السابق رجلاً لرجل بالسلاح القديم من سيوف ورماح وحراب . . .

● ادَّعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد(*) المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سلفاً وخلفاً.

ـ وأهم كتاب كشف عن أسرار دعوتهم وعقيدتهم هو ـ **ذكرياتي مع جماعة المسلمين** ـ التكفير والهجرة ـ لأحد أعضاء الجماعة عبد الرحمن أبو الخير الذي تركهم فيما بعد.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن قضية تكفير المسلم قديمة، ولها جذورها في تاريخ الفكر الإسلامي منذ عهد الخوارج(*). وقد تركت آثاراً علمية وعملية لعدة أجيال. وقد استيقظت هذه الظاهرة لأسباب عدة ذكرها العلماء، ويمكن إجمالها فيما يلي:

ـ انتشار الفساد والفسق والإلحاد(*) في المجتمعات الإسلامية دونما محاسبة من أحد، لا من قبل الحكام ولا من قبل المجتمعات الإسلامية المسحوقة تحت أقدام الطغاة والظالمين.

ـ محاربة الحركات(*) الإسلامية الإصلاحية من قبل حكام المسلمين، وامتلاء السجون بدعاة الإسلام واستخدام أقسى أنواع التعذيب، مع التلفظ بألفاظ الكفر(*) من قبل المعذبين والسجانين.

ـ ظهور وانتشار بعض الكتب الإسلامية التي ألفت في هذه الظروف القاسية وكانت تحمل بذور هذا التفكير، واحتضان هذا الفكر من هذه الجماعة ـ التكفير والهجرة ـ وطبعه بطابع الغلو(*) والعنف.

ـ ويعد أساس جميع ما تقدم: ضعف البصيرة بحقيقة الدين(*) والاتجاه الظاهري في

فهم النصوص والإسراف في التحريم والتباس المفاهيم وتميع عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة(*) لدى بعض قادة الحركة الاسلامية، بالإضافة إلى اتباع المتشابهات وترك المحكمات وضعف المعرفة بالتاريخ والواقع وسنن الكون والحياة ومنهج(*) أهل السنة والجماعة.

أماكن الانتشار:

انتشرت هذه الجماعة في معظم محافظات مصر وفي منطقة الصعيد على الخصوص، ولها وجود في بعض الدول العربية مثل اليمن والأردن والجزائر. . . وغيرها.

يتضح مما سبق:

أن هذه الجماعة هي جماعة غالية أحيت فكر الخوارج(*)، بتكفير كل من ارتكب كبيرة(*) وأصر عليها، وتكفير(*) الحكام بإطلاق ودون تفصيل؛ لأنهم لا يحكمون بشرع الله. وتكفر المحكومين لرضاهم بهم بدون تفصيل، وتكفر العلماء لعدم تكفيرهم أولئك الحكام. كما أن الهجرة(*) هي العنصر الثاني في تفكير هذه الجماعة، ويقصد بها اعتزال المجتمع الجاهلي عزلة مكانية وعزلة شعورية، وتتمثل في اعتزال معابد الجاهلية(*) (يقصد بها المساجد) ووجوب التوقف والتبين بالنسبة لآحاد المسلمين بالإضافة إلى إشاعة مفهوم الحد الأدنى من الإسلام. ولا يخفى مدى مخالفة أفكار ومنهج هذه الجماعة لمنهج أهل السنة والجماعة(*) في مصادر التلقي والاستدلال وقضايا الكفر(*) والإيمان وغير ذلك مما سبق بيانه.

مراجع للتوسع:

(١) **كتب ورسائل الجماعة**: (مخطوطات غير مطبوعة).
- **رسالة الحجيات** شكري مصطفى «أبو سعد».
- **رسالة التوسمات** شكري مصطفى «أبو سعد».
- **كتاب الخلافة** شكري مصطفى «أبو سعد».
- **رسالة الهجرة** ماهر البكري «أبو عبدالله».
- **رسالة إجمال تأويلهم والرد عليها** «أبو عبدالله».
- **ذكرياتي مع جماعة المسلمين ـ التكفير والهجرة** ـ عبد الرحمن أبو الخير الكويت ١٩٨٠م.

(ب) كتب ورسائل لغير الجماعة:

- **الأصولية في العالم العربي** - ريتشارد جرير دكمجيان دار الوفاء - المنصورة.
- **ظاهرة الغلو في التكفير**، د. يوسف القرضاوي دار الاعتصام القاهرة.
- **الحكم وقضية تكفير المسلم**، سالم البهنساوي - الكويت ١٩٨١م.
- **دعاة لا قضاة**، حسن الهضيبي، القاهرة ١٩٧٧م.
- **الغلو في الدين** - عبد الرحمن اللويحق المطيري.
- **ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة** - عبدالله القرني.
- **الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو** - محمد سرور بن نايف زين العابدين.
- **التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته** - نعمان السامرائي.
- **تحكيم القوانين** - محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- **حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة** - إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- **الإيمان الأوسط** - ابن تيمية.
- **أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي**.
- **التكفير والهجرة وجهاً لوجه** - رجب مختار مذكور.
- **مناظرة الشيخ الألباني مع جماعة التكفير بالأردن** - (كاسيت).
- **مناقشة كتاب حد الإسلام وحد الإيمان** - محمد بن إسماعيل المقدم (كاسيت) «سلسلة قضايا الكفر والإيمان».

الفصل الثامن

جماعات تدعو لإعادة الخلافة

● مقدمة عامة ● حزب التحرير ● الجماعة الإسلامية في مصر

مقدمة عامة

تمثل الخلافة(*) الإسلامية في وجدان كثير من المسلمين، أملاً إسلامياً عظيماً، ويعني الرجوع إليها في نظر دعاة عودة الخلافة مفاهيم عديدة منها:

١ ـ إصلاح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها من ربط بين الدين(*) والدولة وجعل إمام المسلمين قائد مسيرة حياتهم الإيمانية والعلمية.

٢ ـ تأكيد صلاحية الإسلام كدين ودولة للتعامل مع مستجدات الحياة، بل وتأكيد انتصارات المسلمين، وبيان ذلك أن الفتوحات الإسلامية العظيمة لم تتم إلا في ظل الخلافة الإسلامية.

٣ ـ إثبات الهوية الذاتية للأمة الإسلامية.

٤ ـ تأكيد أن الإسلام بطابعه المتميز والمتفرد يحتاج إلى سلطان يزع به الله ما لا يمكن أن يزع بالقرآن تحقيقاً لسيادة العقيدة وارتفاع لواء الإسلام، وعلو شأن الدولة الإسلامية.

وإذا كانت الخلافة تجسد كل هذه المعاني في ذهن أنصارها فقد كان لزاماً علينا أن نقدم في هذه الموسوعة(*) عرضاً لأفكار بعض أنصارها من خلال حزب(*) التحرير والجماعة الإسلامية في مصر.

فهل يستطيع فكرهما أن يحقق أهداف إعادة الخلافة(*) الإسلامية؟ هذا ما نترك استخلاصه لقارىء الموسوعة.

٣٨ـ حزب التحرير

التعريف:

حزب(*) التحرير حزب سياسي إسلامي يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته وتثقيف الناس به والدعوة إليه والسعي جديًّا لإقامة دولة الخلافة(*) الإسلامية معتمداً الفكر أداة رئيسة في التغيير. وقد صدرت عنه اجتهادات شرعية عديدة كانت محل انتقاد جمهرة علماء المسلمين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني ١٣٢٦ ـ ١٣٩٧هـ، ١٩٠٨ ـ ١٩٧٧م فلسطيني، من مواليد قرية إجزم قضاء حيفا بفلسطين. تلقى تعليمه الأولي في قريته ثم التحق بالأزهر ثم دار العلوم بالقاهرة، وعاد ليعمل مدرساً فقاضياً في عدد من مدن فلسطين.

ـ إثر نكبة ١٩٤٨م غادر وطنه مع أسرته إلى بيروت.

ـ عُين بعد ذلك عضواً في محكمة الاستئناف الشرعية في بيت المقدس، ثم مدرساً في الكلية الإسلامية في عَمَّان.

ـ في عام ١٩٥٢م أسس حزبه وتفرغ لرئاسته ولإصدار الكتب والنشرات التي تعد في مجموعها المنهل الثقافي الرئيسي للحزب. تنقل بين الأردن وسوريا ولبنان إلى أن كانت وفاته في بيروت وفيها دفن.

● بعد وفاة النبهاني، ترأس الحزب عبدالقديم زلوم وهو من مواليد مدينة الخليل بفلسطين، وهو عالِم من خريجي الأزهر، وصاحب كتاب **هكذا هُدِمَتْ الخلافة** وكتاب **الأموال في دولة الخلافة**.

● بناء على طلب تقدم به كل من: علي فخر الدين، طلال البساط، مصطفى صالح، مصطفى النحاس ومنصور حيدر، فقد تأسس فرع للحزب في لبنان بتاريخ ١٩/١٠/١٣٧٨هـ.

● الشيخ أحمد الداعور: من قلقيلية بفلسطين وهو عالِم من خريجي الأزهر، وكان مسؤولاً عن فرع الحزب(*) في الأردن، ألقي القبض عليه عام ١٩٦٩م إثر محاولة الحزب الاستيلاء على الحكم، وحكم عليه بالإعدام ثم ألغي هذا الحكم.

● الشيخ عبدالعزيز البدري من علماء بغداد وداعية إسلامي مشهور قتله حزب البعث.

● المحامي الأستاذ عبد الرحمن المالكي من دمشق وهو صاحب كتاب **السياسة الاقتصادية المثلى** وكتاب **نظام العقوبات**.

● الأستاذ غانم عبده المقيم في عمّان حاليًّا وصاحب كتاب **نقض الاشتراكية الماركسية**.

● في شهر أغسطس ١٩٨٤م أعلن عن تقديم ٣٢ شخصاً من المنتمين إلى حزب التحرير إلى المحاكمة في مصر وذكر أن زعماء هؤلاء الذين وجهت إليهم تهمة العمل على قلب نظام الحكم هم: عبد الغني جابر سليمان (مهندس)، صلاح الدين محمد حسن (دكتوراه في الكيمياء). ويقيمان في النمسا، والفلسطيني كمال أبو لحية (دكتوراه في الإلكترونيات). ويقيم في ألمانيا الاتحادية آنذاك، وعلاء الدين عبد الوهاب حجاج (بجامعة القاهرة).

الأفكار والمعتقدات:

● تقوم غايتهم على استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إقامة الدولة الإسلامية في البلدان العربية أولاً ثم الخلافة(*) الإسلامية، ويتم حمل الدعوة بعد ذلك إلى البلدان غير الإسلامية عن طريق الأمة المسلمة.

● الميزة الرئيسية التي يتصف بها الحزب هي التركيز الكبير على الناحية الثقافية والاعتماد عليها في إيجاد الشخصية الإسلامية أولاً والأمة الإسلامية آخراً، ويحرص الحزب أشد الحرص على تنمية هذه الناحية لدى المنتسبين إليه.

● يركز الحزب على إعادة الثقة بالإسلام عن طريق العمل الثقافي من ناحية، والعمل السياسي من ناحية أخرى:

ـ العمل الثقافي: «ويكون بتثقيف الملايين من الناس تثقيفاً جماعيًّا، بالثقافة الإسلامية، وهذا يوجب على الحزب أن يتقدم أمام الجماهير ويتصدى لمناقشتهم وأسئلتهم وشكوكهم ليظفر بتأييدهم حتى يصهرهم بالإسلام». من كتاب **مفاهيم أساسية** ص ٨٧).

ـ العمل السياسي: «ويكون برصد الحوادث والوقائع، وجعل هذه الحوادث والوقائع تنطق بصحة أفكار الإسلام وأحكامه وصدقها فتحصل الثقة لدى الجماهير بذلك». نداء حار ص٩٦

● يفلسف الحزب(*) طريقة وصوله إلى تحقيق أهدافه بما يراه من أن أي مجتمع إنما يعيش الناس فيه داخل جدارين سميكين: جدار العقيدة والفكر، وجدار الأنظمة التي تعالج علاقات الناس وطريقتهم في العيش، فإذا أريد قلب هذا المجتمع من قبل أهله أنفسهم فلا بد أن يركز هجومه على الجدار الخارجي (أي مهاجمة الأفكار) مما يؤدي إلى صراع فكري،

إذ يحصل الانقلاب الفكري ثم السياسي، ويصر الحزب في دعوته على قاعدة «أصلح المجتمع يصلح الفرد ويستمر إصلاحه».

● يقسم الحزب مراحل عملية التغيير إلى ثلاث مراحل على النحو التالي:

ـ المرحلة الأولى: الصراع الفكري، ويكون بالثقافة التي يطرحها الحزب.

ـ المرحلة الثانية: الانقلاب الفكري، ويكون بالتفاعل مع المجتمع عن طريق العمل الثقافي والسياسي.

ـ المرحلة الثالثة: تسلم زمام الحكم، ويكون عن طريق الأمة، تسلماً كاملاً.

ـ ويرى أنه لا بد له في المرحلة الثالثة من طلب النصرة من رئيس الدولة، أو رئيس كتلة، أو قائد جماعة، أو زعيم قبيلة، أو من سفير، أو ما شاكل ذلك.

● حدد الحزب أولاً مدة ثلاثة عشر عاماً من تاريخ تأسيسه للوصول إلى الحكم، ثم مددها ثانياً إلى ثلاثة عشر عاماً من تاريخ تأسيسه للوصول إلى الحكم، ثم مددها ثالثاً إلى ثلاثة عقود من الزمان (٣٠ سنة) مراعاة للظروف والضغوط المختلفة، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث على الرغم من مضي المدتين.

● يغفل الحزب الأمور الروحية وينظر إليها نظرة فكرية إذ يقول: «ولا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية، بل الإنسان فيه حاجات وغرائز لا بد من إشباعها». «فإذا أُشبعت هذه الحاجات العضوية والغرائز بنظام من عند الله كانت مسيَّرة بالروح، وإذا أُشبعت بدون نظام أو بنظام من عند غير الله كان إشباعاً ماديًّا يؤدي إلى شقاء الإنسان».

● يرى الشيخ تقي الدين أن الصعوبات التي تعترض قيام الدولة الإسلامية هي:

ـ وجود الأفكار غير الإسلامية وغزوها للعالم الإسلامي (الغزو الفكري).

ـ قيام البرامج التعليمية على الأساس الذي وضعه المستعمر واستمرار تطبيقها.

ـ وجود نوع من الإكبار لبعض المعارف الثقافية واعتبارها علوما عالمية.

ـ كون المجتمع في العالم الإسلامي يحيا حياة غير إسلامية.

ـ بُعْد الشقة بين المسلمين وبين الحكم الإسلامي، إذ لا تنفذه أي دولة تنفيذاً كاملاً في سياسة الحكم وسياسة المال خاصة، إذ يؤثر هذا البعد فيجعل تصور المسلمين للحياة الإسلامية ضعيفاً.

ـ وجود حكومات في البلاد الإسلامية تقوم على أساس ديمقراطي[*]، وتطبق النظام الرأسمالي كله على الشعب، وترتبط بالدول الأجنبية وتقوم على الإقليمية.

ـ وجود رأي عام منبثق عن الوطنية والاشتراكية بعيداً عن مفاهيم الإسلام.

● يُحرّم الحزب(*) على أعضائه الاعتقاد بعذاب القبر، وبظهور المسيح الدجال، ومن يعتقد هذا في نظرهم يكون آثماً.

● يرى زعماء الحزب عدم التعرض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ذلك لديهم من معوقات العمل المرحلي الآن، فضلاً عن أن هذا الأمر والنهي إنما هما من مهمات الدولة الإسلامية عندما تقوم.

● للحزب دستور مؤلف من ١٨٧ مادة معدٌّ للدولة الإسلامية المتوقعة، وقد شُرح هذا الدستور شرحاً مفصلاً، وعلى الرغم من أن هذا الدستور لم يطبق تطبيقاً فعليًّا فقد وجه إليه النقد بأنه لا يفي بتصور واحتياجات دولة الإسلام المعاصرة.

هذا ويأخذ الدارسون على الحزب عدة أمور منها:

أولًا: قضايا دعوية:

ـ تركيزه على النواحي الفكرية والسياسية، وإهماله النواحي التربوية والروحية.
ـ انشغال أفراد الحزب بالجدل(*) مع الاتجاهات الإسلامية الأخرى كافة.
ـ إعطاء العقل(*) أهمية زائدة في بناء الشخصية وفي الجوانب العقائدية.
ـ اعتماد الحزب على عوامل خارجية في الوصول إلى الحكم، عن طريق طلب النصرة التي قد يكون فيها تورط غير متوقع.
ـ تخليه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاليًّا حتى تقوم الدولة الإسلامية التي تنفذ الأحكام بقوة السلطان.
ـ يتصور القارىء لفكر الحزب(*) أن همه الأول هو الوصول إلى الحكم.
ـ المحدودية في الغايات والاقتصار على بعض غايات الإسلام دون بعضها الآخر.
ـ تصوُّر أن مرحلة التثقيف ستنقلهم إلى مرحلة التفاعل فمرحلة تسلم الحكم، وهذا مخالف لسنة الله في امتحان الدعوات، ومخالف للواقع المحفوف بآلاف المعوقات.
ـ معاداة جميع الأنظمة التي يتحركون فوق أرضها مما ورطهم في حملات اعتقالات دائمة ومستمرة، ولعل السرية الشديدة وطموحهم للوصول إلى الحكم هو السبب في تخوف الأنظمة منهم وملاحقتهم دون هوادة. وإن كانت الملاحقة قد شملت كل التوجهات الإسلامية في معظم بلدان العالم الإسلامي.

ثانياً: قضايا فقهية:

ـ قام الحزب بإصدار فتاوى وإعطاء أحكام فقهية غريبة عن الفقه والحس الإسلاميَّيْن

وألزم أتباعه بتبني هذه الأحكام والعمل على نشرها، ومن ذلك:

- قوله بجواز عضوية غير المسلم، وعضوية المرأة في مجلس الشورى.
- إباحته النظر إلى الصور العارية.
- إباحته تقبيل المرأة الأجنبية بشهوة وبغير شهوة فضلاً عن مصافحتها.
- قوله بجواز أن تلبس المرأة الباروكة أو البنطال وأنها لا تكون ناشزة إذا لم تطع زوجها في التخلي عن ذلك.
- قوله بجواز أن يكون القائد في الدولة المسلمة كافراً.
- قوله بجواز دفع الجزية من قبل الدولة المسلمة للدولة الكافرة.
- قوله بجواز القتال تحت راية شخص عميل تنفيذاً لخطة دولة كافرة مادام القتال قتالاً للكفار.
- قوله بسقوط الصلاة عن رجل الفضاء المسلم.
- قوله بسقوط الصلاة والصوم عن سكان القطبين.
- قوله بالسجن عشر سنوات لمن تزوج بإحدى محارمه حرمة مؤبدة.
- قوله بأن الممرات المائية بما فيها قناة السويس ممرات عامة لا يجوز منع أية قافلة من المرور فيها.
- قوله بجواز الركوب في وسائل المواصلات (البواخر والطائرات..) التي تملكها شركات أجنبية مع تحريم هذا الركوب إن كانت مملوكة لشركات أصحابها مسلمون؛ لأن الأخيرة ليست أهلاً للتعاقد في نظره.
- تفسيره ملكية الأرض بمعنى زراعتها، والذي يهملها ولا يزرعها لمدة ثلاث سنوات تؤخذ منه وتعطى لغيره، ولا يجوز تأجير الأرض للزراعة عندهم إطلاقاً.
- يرون أن كنز المال حرام ولو أخرجت زكاته.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- كانت للمؤسس أفكار قومية إذ أصدر سنة ١٩٥٠م كتاباً بعنوان **رسالة العرب** وانعكس هذا على ترتيب أولويات إقامة الدولة الإسلامية في البلدان العربية أولاً ثم الإسلامية.

- كان النبهاني في بداية أمره على صلة بالإخوان المسلمين في الأردن، يلقي محاضرته في لقاءاتهم، ويثني على دعوتهم وعلى مؤسسها الشيخ حسن البنا، لكنه ما لبث أن أعلن عن قيام حزبه مستقلاً فيه تأسيساً وتنظيراً.

- ناشده الكثيرون العدول عن هذه الدعوة، ومن أولئك الأستاذ سيد قطب حين زيارته

للقدس عام ١٩٥٣م فقد ناقشه كثيراً ودعاه إلى توحيد الجهود لكنه أصر على موقفه.

ـ وكانت حجته دائماً ردًّا على المطالبين بتوحيد الحركات(*) الإسلامية، أن الاختلاف هو الأصل في فهم النصوص الظنية الدلالة في الإسلام، وأن الوحدة التي فرضها الإسلام هي الوحدة السياسية في كيان واحد وليست الوحدة في الرأي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ـ ركز الحزب نشاطه في البداية على الأردن وسوريا ولبنان، ثم امتد نشاطه إلى مختلف البلدان الإسلامية، وأخيراً وصل نشاطه إلى أوربا وخاصة النمسا وألمانيا.

ـ كانت للحزب صحيفة أسبوعية تصدر في الأردن اسمها **الراية**، ثم صودرت وأعقبها صدور **الحضارة** في بيروت وقد توقفت أيضاً.

ـ يسمي الحزب الأقطار التي يعمل فيها باسم الولايات، ويقود التنظيم في كل ولاية لجنة خاصة به تسمى لجنة الولاية وتتشكل من ٣ ـ ١٠ أعضاء.

ـ تخضع لجان الولايات لمجلس القيادة السري.

ويتضح مما سبق:

أن حزب التحرير حزب(*) سياسي إسلامي يدعو إلى إقامة دولة الخلافة(*) الإسلامية، ويرى أنه لا يمكن تغيير المجتمع وقلبه إلا من خلال مهاجمة فكره، إذ يحدث الانقلاب الفكري ثم السياسي. ويؤخذ على هذا الحزب مخالفة عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة(*) في تقديم العقل(*) على النصوص الشرعية موافقة لأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم مما دفعه لإنكار عذاب القبر وظهور المسيح الدجال، بالإضافة إلى إهماله الجوانب التربوية وتخليه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن تقوم الدولة الاسلامية، وإصداره فتاوى غريبة عن الفقه والحس الإسلاميين.

مراجع للتوسع:

● من كتب الحزب:

ـ الفكر الإسلامي، هكذا هدمت الخلافة، نظام الإسلام، النظام الاقتصادي في الإسلام، نظام الحكم في الإسلام، الدستور الإسلامي، نقطة الانطلاق، التكتل الحزبي، مفاهيم سياسية لحزب التحرير، كتاب التفكير، كتاب الخلافة، سرعة البديهة، نقد النظرية الاشتراكية، الشخصية الإسلامية، نداء حار إلى العالم الإسلامي.

● **كتب لغير الحزب:**

- **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية**، د. صادق أمين - جمعية عمال المطابع - عَمَّان - ١٩٧٨م.
- **الموسوعة الحركية** جزءان، فتحي يكن - ط ١ دار البشير - عمان - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الطريق إلى جماعة المسلمين**، حسين بن محسن بن علي جابر - ط١ - دار الدعوة - الكويت - ١٤٠٥هـ/ ١٩٦٩م.
- **الموسوعة الفلسطينية**، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية - طبع في مطابع ميلانو ستامبا الإيطالية - ط١ - دار الدعوة - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **الفكر الإسلامي المعاصر**، غازي التوبة، ط١ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **مشكلات الدعوة والداعية**، فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٣ - ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **الدوسية**، (وهي الأمور التي يتبناها الحزب).
- **نص نقد مشروع الدستور الإيراني** المطروح للمناقشة في لجنة الخبراء ونص الدستور الإسلامي المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله اللذان قدمهما حزب التحرير إلى آية الله الخميني ولجنة الخبراء ٧ شوال ١٣٩٩هـ/ ٣٠ آب ١٩٧٩م.

٣٩ـ الجماعة الإسلامية بمصر

التعريف:

هي جماعة إسلامية نشأت في الجامعات المصرية تدعو إلى الجهاد(*): الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين لإقامة الدولة الإسلامية وإعادة المسلمين إلى الإسلام، ثم الانطلاق لإعادة الخلافة(*) الإسلامية من جديد. ويطلق عليها إعلاميًا اسم «جماعة الجهاد»، إلا أنها تختلف عن جماعات الجهاد من حيث الهيكل التنظيمي وأسلوب الدعوة والعمل بالإضافة إلى بعض الأفكار والمعتقدات.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● نشأت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية في أوائل السبعينات على شكل جمعيات دينية إبان فترة ركود الحركة الإسلامية، لتقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة في محيط الطلاب. ومع ذلك فإنها كانت قليلة العدد ضعيفة المجهود في هذا الوقت الذي كانت تسيطر فيه الاتجاهات الماركسية والقومية الناصرية على الحياة الجامعية وخصوصاً في جامعات القاهرة ـ عين شمس ـ الإسكندرية ـ أسيوط.

● نمت هذه الجماعة الدينية داخل الكليات الجامعية، واتسعت قاعدتها، وتطور مفهومها ونظرتها للعمل الإسلامي، فاجتمع نفر من القائمين على هذا النشاط واتخذوا اسم: «الجماعة الإسلامية» ووضعوا لها بناءً تنظيميًا يبدأ من داخل كل كلية من حيث وجود مجلس للشورى على رأسه أمير وينتهي بمجلس شورى الجامعات وعلى رأسه الأمير العام «أمير أمراء الجماعة الإسلامية».

● في أعقاب حرب رمضان ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م اتخذ العمل الإسلامي داخل الجامعات المصرية بُعداً أوسع، واستطاعت الجماعة الإسلامية قيادة الحركة الطلابية، والفوز بثقة الأغلبية الصامتة من جماهير الطلاب في انتخابات الاتحادات الطلابية، وذلك في كل الجامعات المصرية تقريباً.

● ومن هنا زادت وتعددت أنشطة الجماعة الإسلامية الثقافية والتربوية من اللقاءات والندوات والمعسكرات بل زاد الاهتمام بحلول المشكلات الاجتماعية للطلاب وتعدى الأمر أسوار الجامعات فزاد الاهتمام بمشكلات المجتمع اليومية.

● في عام ١٩٧٧م انشق بعض قيادات الجماعة بعد انضمامهم لجماعة الإخوان المسلمين التي بدأت تعاود نشاطها في ذلك الوقت مما أدى إلى وجود تيار للجماعة الإسلامية يمثله الإخوان وذلك في بعض كليات جامعتي القاهرة والإسكندرية، ولكنه قليل العدد محدود التأثير، بينما التيار الآخر للجماعة الإسلامية والأكثر عدداً وتأثيراً يمثله التيار السلفي(*) وكان مستحوذاً على كل الجامعات تقريباً الذي استطاع تحجيم نفوذ العلمانيين والنصارى في الصعيد بوجه خاص.

● كان للجماعة العديد من المواقف السياسية برزت في موقفها من معاهدة كامب ديفيد وزيارة الشاه وبعض وزراء الكيان الصهيوني لمصر فأقامت المؤتمرات والمسيرات ووزعت المنشورات خارج أسوار الجامعة للتنديد بذلك والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية(*) مما أدى إلى تدخل الحكومة في سياسات الاتحادات الطلابية، فأصدرت لائحة جديدة لاتحادات الطلاب تعرف بلائحة ١٩٧٩م التي قيدت الحركة الطلابية. وازداد الضغط الإعلامي والأمني على قيادات الجماعة واشتدت مطاردتهم في جامعات الصعيد بوجه خاص، حيث تم اعتقال بعض قيادتهم وفصلهم من الجامعة.

● في عام ١٩٧٩م التقى كرم زهدي ـ عضو مجلس شورى الجماعة ـ بالمهندس محمد عبدالسلام فرج العضو في إحدى فصائل تنظيم الجهاد وعضو مجلس شورى الجماعة فيما بعد وصاحب كتاب **الفريضة الغائبة** الذي عرض على كرم زهدي فكرة الجهاد(*) وأن الحاكم قد كفر(*) وخرج عن الملة(*) فوجب الخروج عليه وخلعه وتغيير النظام، وأن لتنظيمه تشكيلاته المتفرعة، ثم عرض عليه فكرة اشتراكهم مع التنظيم للتخطيط لإقامة الدولة الإسلامية.

● عرض كرم زهدي الفكرة على مجلس شورى الجماعة في صعيد مصر الذي يرأسه الدكتور ناجح إبراهيم فوافق المجلس على أن يكون هناك مجلس شورى عام ومجلس شورى القاهرة، وعلى أن يتولى إمارة الجماعة أحد العلماء العاملين الذين لهم مواقفهم الصلبة ضد الطاغوت(*) (الدكتور/ عمر عبدالرحمن). وقد تم إقرار تشكيل الجناح العسكري وجهاز الدعوة والبحث العلمي والتجنيد وتطبيق القوانين الإسلامية وكذلك جهاز الدعم اللازم للحركة(*) في مجالاتها المتعددة. ومن هذه اللحظةانفصلت الجماعة عن توجهات التيار السلفي في الدعوة بشكل عام تحت مسمى الجماعة الإسلامية.

● اختير الشيخ الدكتور/ عمر عبد الرحمن أميراً للجماعة. وهو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع أسيوط، وقد سبق اعتقاله أثناء حكم جمال عبدالناصر واتهم في قضية قتل السادات بتهمة إمارة الجماعة «تنظيم(*) الجهاد» والإفتاء بحل دم

السادات إلا أن المحكمة برأته مما نسب إليه، وكذلك برأته من قضية الانتماء لتنظيم الجهاد، ومن ثم واصل نشاطه الدعوي متنقلاً بين المحافظات مشاركاً في المؤتمرات والندوات، عارضاً فكر الجماعة محمساً الشباب للجهاد(*) والخروج على نظام الحكم مما أدى إلى اعتقاله في العديد من المرات وتحديد إقامته بمنزله بالفيوم بعد أن اتهم بالتجمهر وتحريض المصلين على التجمهر بعد صلاة الجمعة، لكن محكمة أمن الدولة برأته، أيضاً، مما نسب إليه وحفظت القضية وأخيراً استطاع السفر إلى أمريكا ليقيم في ولاية نيوجرسي حيث يكثر أتباعه، ومما ينسب إليه: الفتيا بقتل فرج فودة الكاتب العلماني، وضرب حركة السياحة في مصر وتفجير مركز التجارة العالمي، الذي حكم عليه بالسجن في أمريكا بسببه.

● في ٦ أكتوبر ١٩٨١م إذ قام الجناح العسكري للجماعة بقيادة الملازم أول خالد أحمد شوقي الإسلامبولي وبصحبة زملائه عبد الحميد عبد السلام الضابط السابق بالجيش المصري والرقيب متطوع القناص حسين عباس محمد بطل الرماية وصاحب الرصاصة الأولى القاتلة والملازم أول احتياط عطا طايل حميده رحيل، بقتل أنور السادات أثناء احتفالات انتصارات أكتوبر بمدينة نصر بالقاهرة. وقد نسب للجماعة الإعداد لخطة تستهدف إثارة القلاقل والاضطرابات وللاستيلاء على مبنى الإذاعة والتليفزيون والمنشآت الحيوية بمحافظات مصر. وفي تلك الأثناء، وخلال هذه الأحداث قبض عليهم جميعاً، وقدموا للمحاكمة التي حكمت عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص، كما تم تنفيذ الحكم في زميلهم المهندس محمد عبدالسلام فرج صاحب كتاب **الفريضة الغائبة** بالإعدام شنقاً، وبعد حادث اغتيال أنور السادات حاكم مصر ظهرت الجماعة على الساحة بقوة.

● المقدم عبود عبد اللطيف الزمر: الضابط بسلاح المخابرات الحربية وعضو تنظيم الجهاد بالقاهرة الذي انضم مؤخراً إلى الجماعة الإسلامية بعد إزالة الخلافات في بعض وجهات النظر داخل سجن ليمان طرة بالقاهرة. ويذكر أنه اعترض أولاً على خطة قتل السادات لعدم مناسبة الوقت إلا أنه وافق أخيراً عليها لظروف خاصة، وقد حكم عليه فيما عرف بقضية تنظيم(*) الجهاد بأربعين سنة سجناً.

● في ٨ أكتوبر ١٩٨١م قام بعض أفراد الجناح العسكري للجماعة الإسلامية بمهاجمة مديرية أمن أسيوط ومراكز الشرطة واحتلال المدينة ودارت بينهم وبين قوات الأمن المصرية معركة حامية قتل فيها العديد من كبار رجال الشرطة والقوات الخاصة وانتهت بالقبض عليهم وعلى رأسهم الدكتور ناجح إبراهيم وكرم زهدي وعصام دربالة، والحكم عليهم فيما عرف في وقتها بقضية تنظيم الجهاد بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة ٢٥ عاماً.

● في بداية عام ١٩٨٤م وبعد الإفراج عن الكثير من أعضاء الجماعة من غير المتهمين في قضايا التنظيم، أعيد تنظيم الجماعة برئاسة محمد شوقي الإسلامبولي، ومن ثم زاد نشاطها في الدعوة إلى الله في المساجد ومن خلال اللقاءات والندوات والمعسكرات وبخاصة بين الشباب والطلبة في المدارس والجامعات في معظم محافظات مصر مستغلة الكسب الإعلامي لأحداث ١٩٨١م، داعية إلى الخروج على الحاكم وقتال الطائفة الممتنعة عن إقامة شرائع الإسلام، وقد دفع ذلك كله قوات الأمن المصرية إلى الصدام الدائم معهم، وإلقاء القبض على الكثير منهم وتعرضهم للتعذيب والتضييق الشديد، بل وصل الأمر إلى استخدام سياسة التصفية الجسدية ضدهم، مما أوجد بين أفراد الجماعة ردود فعل عنيفة راح ضحيتها الكثير من ضباط وجنود الشرطة وغيرهم.

● كان للجماعة دورها في الجهاد(*) الأفغاني، إذ قدمت العديد من الشهداء على أرض أفغانستان، من أبرزهم الشيخ علي عبدالفتاح أمير الجماعة بالمنيا سابقاً، ومن هناك أصدرت الجماعة مجلة **المرابطون**، وأقامت قواعد عسكرية لها.

ـ تنسب إلى الجماعة محاولات اغتيال بعض الوزراء ومسؤولي الحكومة والشرطة ومن أبرزهم الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصري والدكتور فرج فودة الكاتب العلماني، وذلك ردًّا على أسلوب الحكومة في التصفية الجسدية والعقاب الجماعي لأفراد الحركة(*) الإسلامية.

الأفكار والمعتقدات:

تبلورت معظم أفكار الجماعة الإسلامية في صورة كتب ورسائل داخل سجن ليمان طره ومن أهمها كتاب:

● **ميثاق العمل الإسلامي**: وهو دستور الجماعة ويمكن تلخيص ما ورد فيه من الأفكار فيما يلي:

ـ غايتنا: رضا الله تعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه، ﷺ.

ـ عقيدتنا: عقيدة السلف الصالح جملةً وتفصيلاً.

ـ فهمنا: نفهم الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنته، ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم.

ـ هدفنا:

١ ـ تعبيد الناس لربهم.

٢ ـ إقامة خلافة(*) على نهج النبوة(*).

ـ طريقنا: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد(*) في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.

ـ زادنا: تقوى وعلم، يقين وتوكل، شكر وصبر، زهد في الدنيا وإيثار للآخرة.

ـ ولاؤنا(*): لله ورسوله وللمؤمنين.

ـ عداؤنا: للظالمين. على أن الكفر(*) منه أكبر وأصغر، وكذا الظلم منه أكبر وأصغر، فيوالى من عنده ظلم أصغر على قدر ما عنده من خير، ويعادى على قدر ما عنده من ظلم.

اجتماعنا: لغاية واحدة، بعقيدة واحدة، تحت راية فكرية واحدة.

● **الفريضة الغائبة، حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام**، إذ يعتقدون:

ـ أن الجهاد(*) هو القتال أي المواجهة والدم، ولايقتصر الجهاد على الوسائل السلمية مثل الكتابة والخطابة والإعداد بتربية الأمة العلمية والفكرية أو بمزاحمة السياسيين في أحزابهم وأساليبهم السياسية، بل إن الاهتمام بالهجرة(*) يعد من الجبن والتخاذل ولن ينتصر المسلمون إلا بقوة السلاح وعلى المسلمين أن ينخرطوا في الجهاد مهما قل عددهم. وفي هذا الرأي تحجيم لمفهوم الجهاد في الإسلام ومن الأولى تسميته قتالاً أو خروجاً(١)، لأن الجهاد محمود في كل حال، بينما القتال ليس بمحمود في كل حال بل يختلف بحسب من يخرج عليه، وحسب اختلاف قصد الخارج. وفي القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فالله لم يسم الحرب بين المؤمنين جهاداً بل سماها قتالاً، وكذا بوب العلماء أبواب قتال البغاة ووضعوا لها أحكاماً تختلف عن أحكام الجهاد(*).

ـ الطوائف المنتسبة للإسلام الممتنعة عن التزام بعض شرائعه تقاتل حتى تلتزم ما تركته من الشرائع، وكذلك قتال من عاونهم من رجال الشرطة ونحوهم وإن خرجوا مجبرين يقتلوا ويبعثوا على نياتهم.

ـ القتال ليس فقط لمن داهمنا في ديارنا واستولى على جزء من أرض الإسلام ولكنه

---

(١) وقد خالفوا بذلك أصلاً مؤداه أنه إذا ظهر من الإمام كفر بواح عليه من الله تعالى البرهان وجب الخروج عليه. ولكن هذا الخروج لا يطلق لآحاد الرعية، يقول إمام الحرمين الجويني في **غياث الأمم** ص١١٥، ١١٦: «ولكن هذا الخروج لا يطلق للآحاد من الأمة في أطراف البلاد أن يثوروا، فإنهم إن فعلوا ذلك اصطلموا وأبيروا وكان ذلك سبباً في زيادة المحن وإثارة الفتن. ولكن إن اتفق رجل مطاع ذو أتباع وأشياع، ويقوم محتسباً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وانتصب لكفاية المسلمين ما دفعوا إليه، فليمض في ذلك قدماً على الشرط المقدم، في رعاية المصالح والنظر في المناجح، وموازنة ما يدفع ويرتفع بما يتوقع». اهـ.

أيضاً لمن يقف بالسيف والسلطان في وجه دعوتنا رافضاً التخلية بيننا وبين الناس ندعوهم لدين الله ونحكمهم بشرع الله، لأن الاستعمار(*) هو العدو البعيد والحكام الكفرة هم العدو القريب فهم أولى من قتال العدو البعيد.

ـ قتال أي طائفة على وجه الأرض تحكم الناس بغير شرع الله كافرة كانت أو منتسبة للإسلام.

وعلى ذلك يرون حتمية المواجهة كما في رسالتهم **حتمية المواجهة** للأسباب الآتية:

ـ خلع الحاكم الكافر المبدِّل لشرع الله.

ـ قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام.

ـ إقامة الخلافة(*) وتنصيب خليفة للمسلمين.

ـ تحرير البلاد واستنقاذ الأسرى ونشر الدين(*).

● يحكمون على الديار المصرية وما شابهها بأنها ليست بدار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون أهلها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحق وعلى ذلك لا يكفرون الأمة إنما يكفرون الحكام الذين يبدلون ويعطلون شرائع الإسلام، وعليه لا يحرِّمون تولي الوظائف الحكومية مثل جماعة التكفير.

● يوجبون الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لآحاد الرعية بمراحله الثلاث، ولكن يؤخذ عليهم في ذلك عدم مراعاة الضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وميلهم للاستعجال والقاعدة: «من تعجل الأمر قبل أوانه عوقب بحرمانه».

● تعارض الجماعة مشاركة الاتجاه الإسلامي في الحكومات العلمانية المعادية للإسلام إذ إن هذه المشاركة تترك مفاسد كثيرة وتوقع الجماهير العريضة في الحيرة والتضليل والشك، إذ إنها تدلل على شرعية الحكومة التي تصدر وتطبق القوانين الوضعية(*).

الجذور الفكرية:

● تعد الجماعة الإسلامية القرآن الكريم والسُّنة النبوية مصدري أفكارها، لذا فإنها تكثر من الاستشهاد بآيات الجهاد والأحاديث التي تحث على الجهاد.

● وكذلك تلجأ الجماعة إلى فتاوى العلماء وأبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) الذي ملئت كتاباتهم بأقواله وفتاواه.

● وكذلك تلجأ الجماعة الإسلامية إلى الوقائع التاريخية وأقوال العلماء أمثال ابن

القيم والقاضي عياض وابن كثير والنووي وسيد قطب لتدلل على أفكارها ومبادئها.

● ويؤخذ على الجماعة غلوها(*) في استخدام مصطلح الجهاد(*) وحصره في القتال فقط، في حين أن الجهاد في التصور الإسلامي الصحيح له معنى أوسع من معنى الحرب والقتال فقط، فهو يشمل كل سبل (الدعوة إلى الدين الحق) كما يقول الشريف الجرجاني في **التعريفات** ط١ القاهرة ١٩٣٨م.

وفي الحديث الشريف الذي رواه الترمذي: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**».

أماكن الانتشار:

● تتركز القوة الرئيسية للجماعة الإسلامية في الصعيد المصري وخاصة في محافظة أسيوط، ولها أنصار في كل المدن والجامعات المصرية. كما انتشر كثير من أتباعها في الدول الأخرى نتيجة لمطاردتهم من قبل الحكومة المصرية.

ويتضح مما سبق:

أن الجماعة الإسلامية تعد الجهاد هو الدواء الناجح والعلاج الناجع لإعادة الخلافة(*) الإسلامية للمسلمين، وترى أن إقامة الدولة الإسلامية، ومن ثم الخلافة، فرض عين، وتقول: إن حكام المسلمين الذين يرفضون تطبيق شريعة الله كفار يجب الخروج عليهم. ولا تكفر هذه الجماعة الأمة مثل جماعة التكفير والهجرة، وتعتقد أن الجهاد هو القتال، وهو قمة العبادة في الإسلام، أما الجهاد بالوسائل السلمية فقط فهو جبن وغباء.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعات أخرى عرفت باسم «تنظيم الجهاد» ودعت للخروج على الحاكم بالجهاد المسلح لتغيير نظام الحكم مثل «تنظيم الفنية العسكرية» عام ١٩٧٤م بقيادة صالح سرية وكارم الأناضولي وكذلك تنظيم «جهاد الإسكندرية» عام ١٩٧٦م، أو «تنظيم(*) سالم الرحال الأردني»، وليس لهذه التنظيمات علاقة بالجماعة الإسلامية.

مراجع للتوسع:

● مؤلفات ورسائل للجماعة:

- كلمة حق - د. عمر عبد الرحمن.
- **أصناف الحكام وأحكامهم** - د. عمر عبد الرحمن.

- **الفريضة الغائبة** ـ محمد عبد السلام .
- **ميثاق العمل الإسلامي** ـ د. ناجح إبراهيم، عاصم عبد الماجد ـ عصام الدين دربالة .
- **الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام** ـ عصام الدين دربالة .
- **حتمية المواجهة** ـ لجنة الأبحاث بالجماعة .
- **العذر بالجهل** ـ لجنة الأبحاث بالجماعة .
- **الذب عن الصحابة** ـ طلعت فؤاد .
- **شحذ الهمة في جمع شمل الأمة** ـ رفاعي طه .
- **الرد على فكر التكفير** ـ لجنة الأبحاث .
- **الرد على شبهات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ـ عبد الآخر حماد .
- **من نحن وماذا نريد؟** ـ لجنة الأبحاث .
- **أإله مع الله؟ إعلان الحرب على مجلس الشعب** ـ لجنة الأبحاث .
- **سلسلة الطريق إلى الله** ـ ناجح إبراهيم ـ كرم زهدي .
- **منهج جماعة الجهاد الإسلامي** ـ عبود الزمر .

● مجلات تصدرها الجماعة :

- مجلة **كلمة حق** .
- مجلة **صوت الأزهر** .
- مجلة **المسلمات** .
- مجلة **المرابطون** .

- **الجماعة الإسلامية ـ فكرة ومنهاجاً** ـ طلعت فؤاد قاسم «أبو طلال الأنصاري» «شريط فيديو» .

● مؤلفات ورسائل لغير الجماعة :

- **العمدة في إعداد العدة** عبد القادر عبد العزيز .
- **تحصيل الزاد في تحقيق الجهاد** ـ د. سعيد عبد العظيم .
- **الشهادة** ـ صلاح أبو إسماعيل .
- **الغلو في الدين** ـ عبد الرحمن اللويحق المطيري .
- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ـ ياسر برهامي .
- **من قتل السادات** ـ حسين أبو اليزيد .

● أشرطة كاسيت:

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** - سيد سعد الدين الغباشي.
- **مراحل تشريع الجهاد** - د. محمد بن أحمد إسماعيل المقدم.

● مجـلات:

- مجلة **المجاهد** - أفغانستان.
- مجلة **صوت الدعوة** - تصدرها دار الهدى السلفية الإسكندرية العدد السادس.

الفصل التاسع

جماعات عنصرية

● أمة الإسلام في الغرب (البلاليون)
● الفراخانية

٤٠ـ أمة الإسلام في الغرب (البلاليون)

التعريف:

«أمة الإسلام»، حركة ظهرت بين السود في أمريكا، وقد تبنت الإسلام بمفاهيم خاصة غلبت عليها الروح العنصرية، وعرفت فيما بعد باسم (البلاليين) بعد أن صححت كثيراً من معتقداتها وأفكارها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الحركة والاس د. فارد Wallace D. Fard وهو شخص أسود غامض النسب، ظهر فجأة في ديترويت عام ١٩٣٠م داعياً إلى مذهبه بين السود، وقد اختفى بصورة غامضة في يونيو ١٩٣٤م.

● إليجابول Elijah Pool أو إليجا محمد ١٨٩٨ ـ ١٩٧٥م التحق بالحركة(*) وترقى في مناصبها حتى صار رئيساً لها وخليفة لفارد من بعده، زار السعودية عام ١٩٥٩م وتجول في تركيا وأثيوبيا والسودان والباكستان يرافقه ابنه والاس محمد الذي كان يقوم بالترجمة.

● مالكم إكس (مالك شباز): كان رئيساً للمعبد رقم ٧ بنيويورك. خطيب ومفكر قام برحلة إلى الشرق العربي وحج عام ١٩٦٣م، ولما عاد تنكر لمبادىء

الحركة العنصرية وخرج عليها وشكل فرقة عرفت باسم (جماعة أهل السنة). وقد اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥م.

● لويس فرخان Lewis Farrakhan الذي دخل في الإسلام عام ١٩٥٠م، وخلف مالكم إكس على رئاسة معبد رقم ٧ وهو، أيضاً، خطيب وكاتب ومحاضر، وهو على صلة قوية حاليًّا بالعقيد القذافي، يدعو إلى قيام دولة مستقلة بالسود في أمريكا ما لم يحصلوا على حقوقهم الاجتماعية والسياسية كاملة.

● والاس و. محمد، الذي تسمى باسم وارث الدين محمد ولد في ديترويت ٣٠ أكتوبر ١٩٣٣م، وعمل رئيساً للحركة(*) في معبد فيلادلفيا ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠م وأدى فريضة الحج عام ١٩٦٧م، كما تكررت زياراته للمملكة العربية السعودية.

ـ انفصل عن الحركة وتخلى عن مبادىء والده عام ١٩٦٤م لكنه عاد إليها قبيل وفاة والده بخمسة أشهر آملاً في إدخال إصلاحات على الحركة من داخلها.

ـ حضر المؤتمر الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في نيويورك بولاية نيوجرسي ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ قام بزيارة للمركز الإسلامي بواشنطن في ديسمبر ١٩٧٥م.

ـ حضر على رأس وفد المؤتمر الإسلامي المنعقد في كندا عام ١٩٧٧م، وفي كل مرة منها كان يعلن عن صدق توجهه الإسلامي؛ وأنه سيسعى إلى تغيير المفاهيم الخاطئة في جماعته.

ـ زار المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٦م وتركيا وعدداً من بلاد الشرق، وكان يقابل كبار الشخصيات في البلاد التي يزورها.

ـ أعلن في عام ١٩٧٥م عن الشخصيات التي سيعتمد عليها في رئاسته للجماعة والذين من أبرزهم:

* مساعداه الخاصان كريم عبد العزيز والدكتور نعيم أكبر.

* المتحدث باسم المنظمة: عبد الحليم فرخان.

* مستشارون للنواحي الثقافية: د. عبد العليم شباز، د. فاطمة علي، فهمية سلطان.

* الأمين العام: جون عبد الحق.

* رئيس القيادة العسكرية: إليجا محمد الثاني.

● ريموند شريف: صار وزيراً للعدل بعد أن كان قائداً أعلى لحرس الحركة(*) المسمى ثمرة الإسلام Fruit of Islam ، ويرمز إليه بالرمز F. O. I. الذي تأسس منذ عام ١٩٣٧م.

● أمينة رسول: مسؤولة عن جهاز تطوير المرأة M. G. T..

● د. ميكل رمضان: الممثل لجميع لجان المساجد ورئيس لجنة التوجيه.

● ثيرون مهدي: الذي انضم للحركة عام ١٩٦٧م رئيساً لهيئة اكتشاف الفساد والآفات الاجتماعية بين أفراد الحركة التي تشكلت عام ١٩٧٦م تحت اسم Blight Arrest Pioneer Patrol ويرمز إليها بـ B.A.P.P. وهي بديلة عن الـ F.O.I..

● إبراهيم كمال الدين: المشرف على هيئة فرقة الأرض الحديثة N.E.T. New Earth Team للإشراف على مشروع الإسكان في الناحية الجنوبية من شيكاغو.

● سلطان محمد: أحد أحفاد إليجا محمد: يقال بأنه على فهم جيد للإسلام، وهو إمام في واشنطن، وكان يدرس الإسلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد توفي عام ١٤١٠هـ في الرياض.

● محمد علي كلاي: الملاكم العالمي المعروف: يقال بأن مالكم اكس هو الذي اجتذبه إلى الحركة، كما أنه كان أحد أعضاء المجلس الذي أنشأه والاس محمد بعد تسلمه رئاسة الحركة من أجل التخطيط للأمور المهمة في الجماعة.

الأفكار والمعتقدات:

لا بد من ملاحظة أن أفكار هذه الحركة(*) قد تطورت تدريجيًّا متأثرة بشخصية الزعيم الذي يدير أمورها، ولذا فإنه لا بد من تقسيم تطور الحركة إلى ثلاث فترات (انظر مادة الفرخانية).

أولاً: في عهد والاس د. فارد:

● عرفت المنظمة(*) منذ تأسيسها باسم «أمة الإسلام» (Nation of Islam) كما عرفت باسم آخر هو (أمة الإسلام المفقودة المكتشفة)، وبرزت أهم أهدافها فيما يلي:

ـ التأكيد على الدعوة إلى الحرية(*) والمساواة والعدالة والعمل على الرقيِّ بأحوال الجماعة.

ـ التركيز على تفوق العنصر الأسود وأصالته، والتأكيد على انتمائهم إلى الأصل الأفريقي والتهجمُ على البيض ووصفهم بالشياطين.

ـ العمل على تحويل أتباعها من التوراة(*) والإنجيل(*) إلى القرآن مع استمرار الأخذ من الكتاب المقدس(*) في بعض الأفكار.

أنشأ زعيمها منظمتين: واحدة للنساء أطلق عليها اسم (تدريب البنات المسلمات Training Muslim Girls)، ويرمز لها بالرمز (T. M. G.)، وأخرى للرجال أسماها (ثمرة الإسلام) بغية إيجاد جيش قوي يحمي الحركة ويدعم مركزها الاجتماعي والسياسي.

ثانياً: في عهد اليجا محمد:

● أعلن إليجا محمد أن الإله(*) ليس شيئاً غيبياً، بل يجب أن يكون متجسداً في شخص، وهذا الشخص هو فارد الذي حل فيه الإله، وهو جدير بالدعاء والعبادة. وقد أدخل بذلك مفاهيم باطنية(*) على فكر جماعته.

● اتخذ لنفسه مقام النبوّة(*)، وصار يتصف بلقب رسول(*) الله Messenger of Allah.

● حرم على أتباعه القمار وشرب الخمور والتدخين والإفراط في الطعام والزنى، ومنع اختلاط المرأة برجل أجنبي عنها، وحثهم على الزواج داخل أبناء وبنات الحركة ومنعهم من ارتياد أماكن اللهو والمقاهي العامة.

● الإصرار على إعلاء العنصر الأسود واعتباره مصدراً لكل معاني الخير، مع الاستمرار في ازدراء العرق الأبيض، ووصفه بالضعة والدونيَّة، ولا شك أن الاكتتاب في الحركة مقصور على السود دون البيض بشكل قطعي لا مجال لمناقشته إطلاقاً.

● لا يؤمن إليجا محمد إلا بما يخضع للحس، وعليه فإنه لا يؤمن بالملائكة ولا يؤمن كذلك بالبعث الجسماني إذ إن البعث لديه ليس أكثر من بعث عقلي للسود الأمريكيين.

● لا يؤمن بختم الرسالة عند النبي(*) محمد، ﷺ، ويعلن أنه هو خاتم الرسل(*) إذ ما من رسول إلا ويأتي بلسان قومه، وهو أي ـ اليجا محمد ـ قد جاء نبياً يوحى إليه من قبل فارد بلسان قومه السود.

● يؤمن بالكتب السماوية، لكنه يؤمن بأن كتاباً خاصًا سوف ينزل على قومه السود، والذي سيكون بذلك الكتاب السماوي الأخير للبشرية.

● الصلاة على عهده عبارة عن قراءة للفاتحة أو آيات أخرى ودعاء مأثور مع التوجه نحو مكة واستحضار صورة فارد في الأذهان، وهي خمس مرات في اليوم.

● صيام شهر ديسمبر من كل عام عوضاً عن صوم رمضان.

● يدفع كل عضو عُشْر دخله للحركة.
● ألّف عدداً من الكتب التي تبين أفكاره، منها:
- **رسالة إلى الرجل الأسود** (في أمريكا) Message to the Black Man.
- **منقذنا قد وصل** Our Saviour Has Arrived.
- **الحكمة العليا** Supreme Wisdom.
- **سقوط أمريكا** The Fall of America.
- **كيف تأكل لتعيش** How to Eat to Live.
● أنشأ صحيفة تنطق بلسانهم أسماها **محمد يتكلم** Muhammad Speaks.

ثالثاً: في عهد وارث الدين محمد:

● في ٢٤ نوفمبر ١٩٧٥م، اختار وارث الدين اسماً جديداً للمنظمة هو (البلاليون) نسبة لبلال الحبشي مؤذن رسول الله، ﷺ.
● ألغى وارث الدين في ١٩ يونيو ١٩٧٥م قانون منع البيض من الانضمام إلى الحركة، وفي ٢٥ فبراير ١٩٧٦م ظهر في قاعة الاحتفالات عدد من البيض المنضمين إليهم جنباً إلى جنب مع السود.
● العلم الأمريكي صار يوضع إلى جانب علم المنظمة بعد أن كان ذلك العلم يمثل الرجل الأبيض ذا العيون الزرقاء، الشيطان القوقازي.
● في ٢٩ أغسطس ١٩٧٥م صدر قرار بضرورة صوم رمضان والاحتفال بعيد الفطر.
● وفي ١٤ نوفمبر ١٩٧٥م تحول اسم الصحيفة من **محمد يتكلم** إلى **بلاليان نيوز** Bilalian News ثم أصبحت **الجريدة الإسلامية** The Muslim Jouranl.
● أعلن أن لقبه هو الإمام الأكبر بدلاً من رئيس الرؤساء، كما أنه غير كلمة رؤساء المعابد إلى كلمة إمام وقد حصر اهتمامه في الأمور الدينية، بينما وزع الأمور الأخرى على القياديين في الحركة.
● تم إعداد المعابد لتكون صالحة لإقامة الصلاة.
● أصدر في ٣ أكتوبر ١٩٧٥م أمراً بأن تكون الصلاة على الهيئة الصحيحة المعروفة لدى المسلمين خمس مرات في اليوم.
● التأكيد على الخلق الإسلامي والأدب والذوق وحسن الهندام ولبس الحشمة بالنسبة للمرأة.

● يقوم الدعاة في الحركة(*) بزيارة السجون لنشر الدعوة بين المساجين، وقد لاحظت سلطات الأمن أن السجين الأسود الذي يعرف عنه التمرد وعدم الطاعة داخل السجن يصبح أكثر استقامة وانضباطاً بمجرد دخوله في الإسلام، ومن هنا فإن السلطات تُسَرُّ بقيام الدعاة بدعوتهم هذه بين المسجونين.

● تصحيح المفاهيم الإسلامية، التي اعتنقتها الحركة منذ أيام فارد واليجا محمد بطريقة خاطئة، ومحاولة تصويبها.

● إن الأمور التي ذكرناها سابقاً لا تدل على أن الحركة(*) قد توجهت توجهاً إسلاميًّا صحيحاً تماماً، لكنها تدل على أن هناك تحسناً نوعيًّا قد طرأ على أفكار ومعتقدات الحركة قياساً على ما كانت عليه في عهد من سبقه. وهي لا تزال بحاجة إلى إصلاحات عقائدية وتطبيقية حتى تكون على الجادة الإسلامية.

● لقد اضطربت الأمور كثيراً بين قادة الحركة وكانت محصلة هذا الاضطراب أن أعلن وارث الدين في ٢٥ مايو ١٩٨٥م حل الجماعة وترك كل شعبة من شعبها تعمل بشكل منفرد، وفي كل يوم هناك جديد حول المصير الذي ستؤول إليه الحركة.

● هناك محاولات يقوم بها العقيد القذافي ومحاولات يقوم بها حكام إيران بغية احتواء الحركة وتسييرها وفق الأهواء الخاصة بكل منهما، وهناك شخصيات جديدة تظهر وزعامات تختفي وانقسامات قد تهدد الجميع.

● لقد عرفت الجماعة بعدد من الأسماء كان من آخرها أمة الإسلام في الغرب The Nation of Islam in the West.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● قامت هذه الحركة على أنقاض حركتين قويتين ظهرتا بين السود هما:

- الحركة المورية التي دعا إليها الزنجي الأمريكي تيموثي نوبل درو علي Timothy Drew Ali ١٨٨٦ - ١٩٢٩م الذي أسس حركته سنة ١٩١٣م، وهي دعوة فيها خليط من المبادىء الاجتماعية والعقائدية الدينية المختلفة وهم يعدون أنفسهم مسلمين لكن حركتهم أصيبت بالضعف إثر وفاة زعيمها.

- منظمة ماركوس جارفي Marcus Garvey ١٨٨٧ - ١٩٤٠م الذي أسس منظمة سياسية للسود سنة ١٩١٦م تحت اسم Universal Negro Improvement Associtation وتتصف هذه الحركة بأنها نصرانية لكن على أساس جعل المسيح(*) أسود وأمه سوداء وقد أبعد زعيمها عن أمريكا سنة ١٩٢٥م مما أدى كذلك إلى اندثار هذه الحركة.

● لهذا يمكن أن يقال بأن هذه الحركة تنظر إلى الإسلام على أنه إرث روحي يمكن أن ينقذ السود من سيطرة البيض، ويدفع بهم إلى تشكيل أمة خاصة متميزة لها حقوقها ومكاسبها ومكانتها.

● تأثر المؤسس الرئيسي للحركة اليجا محمد بما في التوراة(*) والإنجيل(*) من أفكار بالإضافة إلى ما أخذه من الإسلام وإفرازات التمييز العنصري في الولايات المتحدة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يبلغ عدد السود في أمريكا أكثر من ٣٥ مليون نسمة منهم حوالي مليون مسلم.

● كانوا يسمون مساجدهم معابد Temples ولهم الآن ثمانون شعبة في مختلف المدن الأمريكية كما أن مدارسهم قد بلغت أكثر من ٦٠ معهداً في شتى أنحاء أمريكا، وتخصص الحصة الأولى كل يوم لتعليم الدين الإسلامي.

● يتركز المسلمون السود في ديترويت وشيكاغو وواشنطن ومعظم المدن الأمريكية الكبيرة ويحلمون بقيام دولة مستقلة، وهم يناصرون قضايا السود بعامة.

ويتضح مما سبق:

● أن أمة الإسلام في الغرب، حركة(*) مذهبية فكرية، ادعت انتسابها للإسلام، ولكنها أفرغته أمداً طويلاً من جوهره ومضمونه، ذلك أنها في عهدها الأول، وإن كانت قد دعت إلى تحويل أتباعها صوب القرآن الكريم إلا أنها أبقت على فكرة الاستمرار في الأخذ من التوراة والإنجيل. وفي عهدها الثاني اتبعت المفاهيم الباطنية(*) وقالت إن الإله(*) ليس شيئاً غيبيا وإنما يجب أن يتجسد شخصاً معيناً هو فارد الذي حل فيه الإله فعلاً كما يزعمون، وذهبت إلى عدم ختم الرسالة بمحمد، ﷺ، وبشرت بنزول كتاب سماوي على السود، وجعلت الصيام في شهر ديسمبر بديلاً عن صوم رمضان. وفي عهدها الثالث اتخذت هذه المنظمة اسماً جديداً هو: «البلاليون» نسبة إلى بلال الحبشي مؤذن الرسول، ﷺ. وقد أمر وارث الدين محمد بأن تكون الصلاة على الهيئة الصحيحة المعروفة، مع تصحيح المفاهيم الإسلامية السابقة لديهم، وبدأ الاتجاه الحقيقي لهم صوب الإسلام بمفهومه الحق.

مراجع للتوسع:

- **المسلمون الزنوج في أمريكا**، تأليف دكتور ج. أريك لنكولن ترجمة عمر الديراوي ـ دار العلم للملايين ـ ط١ بيروت ـ ١٩٦٤م.
- **الإسلام في أمريكا**، محمد يوسف الشواربي ـ لجنة البيان العربي ـ القاهرة ـ ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- **منظمة إليجا محمد الأمريكية**، تأليف د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ـ ط١ ـ دار الشروق ـ جدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية**، عبدالله أحمد الداري ـ ط١ ـ مطبعة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ـ جدة ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة**، بلال فيليبس ـ رسالة ماجستير بكلية التربية بجامعة الملك سعود ـ الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- **المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية**، محمود أحمد شاكر ـ المكتب الإسلامي ـ ط١ ـ بيروت ـ ١٣٩٧هـ.
- **المسلمون في أوروبا وأمريكا**، د. علي المنتصر الكتاني ـ دار إدريس ـ ط١ ـ الرباط ـ ١٣٩٦هـ.
- مجلة: **المسلمون**، ٢٠/ ٩/ ١٤٠٥هـ ـ ٨/ ٦/ ١٩٨٥م.
- مجلة **المستقبل** ـ العدد ٤٢٢ في ٢٣ آذار ١٩٨٥م.
- جريدة **الجزيرة** السعودية عدد ١٦٨٣ في ١٢ المحرم ١٣٩٧هـ ـ ٢ يناير ١٩٧٧م.
- جريدة **أخبار العالم الإسلامي** عدد ٤٧٠ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٦هـ تصدر عن رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة وكذلك عدد ٥١٠ ـ ٢٠/ ١/ ١٣٩٧هـ.
- مجلة **المجتمع**، الكويت ـ عدد ٤٢٨ في ٢٨/ ٣/ ١٣٩٩هـ ـ ٣٠ مارس ١٩٧٩م.

٤١- الفراخانية

تعريف:

● هي إحدى الفرق الباطنية(*) السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية التي مازالت تتبع منهج اليجا محمد.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ولد مؤسسها لويس والكت لعائلة تشتغل بالتمثيل والغناء، وأصولها من جزر البحر الكاريبي.

- في عام ١٩٥٦م دخل في فرقة أليجا محمد الذي ادعى النبوة(*) ، وأن معلمه فرد محمد هو الله المتجسد. ولما فتح مالكوم معبد محمد للإسلام رقم ١١ في بوسطن عين له لويس أكس واعظاً ومديراً.

- ألَّف لويس أكس بعض الأغاني والمسرحيات التي عرضت في جميع المعابد لأهميتها في بيان تعاليم أليجا محمد مما أكسبه شهرة واسعة.

- لما فصل أليجا محمد مالكوم أكس عين لويس في منصب الناطق الأول باسم الفرقة ولقبه بفراح خان ثم جعله واعظاً في أكبر المعابد وأخطرها، معبد محمد للإسلام رقم ٧ الذي كان يديره مالكوم قبل طرده.

- ولكن بعد هلاك أليجا محمد وتولي ولاس الزعامة عزل فراح خان من جميع مناصبه وجعله في منصب صوري في شيكاغو، وأثناء هذه الفترة كان لويس ينكر نبوة أليجا وألوهية فرد محمد تماشيا مع إنكار ولاس لهما.

- ولكن فرح خان استقال من ذلك المنصب ومن الفرقة إثر انسحاب المتنبيء سايلس في عام ١٩٧٧م.

- وعاد إلى نيويورك وجمع أتباعه السابقين تحت الدعوة إلى العودة إلى تعاليم أليجا الأصلية، وفتح له معابد في نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس وجمع أتباعاً فيها. وجعل لويس فراح خان شيكاغو مركزاً رسمياً لفرقته، وأصدر جريدة الفرقة التي سماها **النداء الأخير**، لإعادة بناء أمة الإسلام بالعودة إلى تعاليم أليجا محمد.

ـ أخذ فراح خان يتجول في الولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء المحاضرات في الجامعات والتحدث في جميع مناسبات السود وكثر ظهوره في التليفزيون والإذاعة.

ـ ولما كانت دعوته إلى إعادة بناء منظمة اليجا (أمة الإسلام) وإحياء تعاليمه صافية خالية من دعاوى خاصة لنفسه ـ كما فعل المتنبىء (سايلس) فقد استجاب له معظم أفراد أسرة أليجا.

ـ في عام ١٩٨١م أعاد نظام توزيع الأسماء المقدسة وافترض على الجميع أن يكتب كل شخص في الفرقة (رسالة المخلِّص) يشهد فيها أن لا إلٰه إلا الله الذي جاء في صورة السيد فرد محمد وأن المكرم أليجا محمد رسول الله.

ـ اكتسب فراح خان شهرة كبيرة بمساندته للقس(*) الأسود جيسي جاكسون في حملاته الانتخابية.

الأفكار والمعتقدات:

● **عقائد الفراخانية:**

أثبت فراح خان تعاليم أليجا محمد كلها، ما عدا تغييرات بسيطة، دأب أن يذكر في آخر صفحة من جميع أعداد جريدة الفرقة **النداء الأخير** بابين تحت عنواني **ماذا يريد المسلمون وماذا يعتقد المسلمون؟!**، يضمنهما أهداف الفرقة الأليجية ومعتقداتها حرفيًّا كما كانت ترد في كل عدد من أعداد جريدة **محمد يتكلم** في عهد اليجا، كما يذكر في كل عدد مقالات أليجا المنقولة من أعداد **محمد يتكلم** القديمة.

● بعض عقائد الأليجية الأساسية التي أحياها فراح خان:

ـ أن الله قد خلق نفسه.

ـ أن جميع السود آلهة ويولد بينهم إله مطلق كل ٢٥ ألف سنة.

ـ أحد الآلهة السود المسمى يعقوب قد خلق الإنسان الأبيض نتيجة لبعض التجارب الوراثية.

ـ أن محمد بن عبد الله، ﷺ، أُرسل للعرب فقط وأليجا أرسله الله إلى سود أمريكا وأنه آخر المرسلين.

ـ ويعتقد فراح خان أنه هو المقصود بالحواري بطرس المعروف في المسيحية(*). ويعتقد أنه لا يملك قوة الإحياء ولكن بواسطة صوت أليجا محمد سوف يحيي الأمة بأسرها.

ـ الإنسان الأبيض شيطان.

ـ الإنسان الأسود هو الذي ألَّف جميع الكتب السماوية.

ـ معظم تعاليم القرآن موجهة إلى الرسول أليجا محمد والسود في أمريكا.
ـ لا قيامة للأجساد بعد الموت، والبعث والقيام عبارة عن يقظة روحية لمن هم نيام من السود في قبور الأوهام، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة أليجا وإلهه والإيمان بهما.
ـ يقولون إذا كان العرب يعتقدون أن محمداً خاتم النبيين(*) يقيناً فيمكن أن نجتمع ونتناقش في الأدلة حتى نصل إلى كلمة سواء. إلا أنكم أيها العرب عنصريون ولم تتجاوزوا هذا الجانب من طبيعتكم التي تماثل طبيعة الإنسان الأبيض الذي هو شيطان، أنتم واليهود والبيض كلكم شياطين.

إضافات فراح خان:

ـ أما معتقدات فراح خان الجديدة حول أليجا فإنه ألَّه أليجا كما ألَّه المسيحيون عيسى، بل ادعى فراح خان أن أليجا هو عيسى المسيح.
ـ وادعى أن أليجا لم يمت بل بعثه الله حيًّا مع أن أليجا أنكر البعث الجسدي إنكاراً شديداً مطلقاً.
ـ يقول فراح خان: «إنما أنا هنا لأشهد أن المكرم أليجا محمد قد رفع، وأن عيسى الذي كنتم تبحثون عنه وتنتظرون عودته كان بين ظهرانيكم لمدة أربعين سنة، ولكنكم لم تعلموا من هو».
ـ ويقول: «إن المكرم أليجا محمد حيٌّ وهو مع الإله(*) سوية وعودته وشيكة الحدوث، وأشهد أن أحد إخوانكم أليجا من بينكم قد رفع إلى مقام محمود على يمين الإله، وجعل رب العالمين فيه السلطة التامة على طاقات الطبيعة».
ـ ويقول: «قد علّمنا المكرم أليجا محمد أننا (الرجل الأسود): مالك الأرض وخالقها وصفوة كائناته وإله الكون كله، فإن لم يكن المكرم أليجا محمد إلهاً فلا يمكن أن نصل إلى درجة الألوهية، وإن لم يبعث حيًّا فلا أمل فينا أن نبعث أحياء من موتنا الذهني والروحي والسياسي والاجتماعي».

نماذج من تأويلات فراح خان:

ـ بنى لويس فراح خان دعاويه في أليجا على تأويل(*) آيات قرآنية وفقرات من الكتاب المقدس تأويلاً عجيباً منها:
ـ يقول فراح خان ممهداً لدعواه إن أليجا محمد هو عيسى ابن مريم وذلك تأويلاً للآية ٤٤ من سورة آل عمران.

ـ أوَّل مريم البتول إلى رمز يقصد به السود في أمريكا، إذ قال: أين نبحث عن عيسى هذا إن العبارة سوف تحمل بتول هي المفتاح لاكتشاف السر فإن كلمة (بتول) كما نفهمها في عالم المادة تعني امرأة لم يمسها رجل، ولكن كلمة (بتول) في الكتاب المقدس ترمز إلى أناس لم يلقحهم الإله(*)، والسود في أمريكا هم أناس بتوليون كما هو واضح من تصرفاتنا.

ـ وانتهت به تأويلاته إلى القول برفع أليجا اعتماداً على الآيتين ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء.

ـ ويقول: «أعلم أنكم تظنون أن أليجا محمد قد مات ولكنني أقف لكي أشهد للعالم أنه حي وبصحة جيدة وهو ذو نفوذ».

«إنني شاهد له وإننا شهداء له. وهو مكتوب في القرآن: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . . إلخ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وفي مكان آخر يقول القرآن ﴿ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أنه مات، وهذا هو مكر الله فوق مكر أعداء الله الأشرار في إشارة إلى قوله تعالى في الآية ١٥٧ من سورة النساء.

محاولات لإصلاح فكر فراح خان:

قام بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، وعُقد لقاء بينه وبين بعض المسؤولين عن الدعوة في المملكة. وقد وعد خيراً وأظهر توجهاً للفهم وللمراجعة. ولكن عندما عاد إلى أمريكا بقيت نفس أفكاره وسلوكياته دون تغيير يذكر. وإن كان قد أصبح أقل إعلاناً لها، والذي يظهر أن الرجل غير مخلص ويبحث عن الزعامة وتتجاذبه عوامل عديدة. نسأل الله له ولكل ضال الهداية والعودة إلى الطريق المستقيم.

مراجع للتوسع:

ـ ينظر إلى مراجع البحث السابق «أمة الإسلام في الغرب ـ البلاليون».

الفصل العاشر

الحركات الباطنية والمناوئة للإسلام

● مقدمة عامة ● اليزيدية ● القرامطة ● الإسماعيلية ● النصيرية ● الدروز ● الحشاشون ● البابية والبهائية ● القاديانية ● الحزب الجمهوري في السودان ● الأحباش ● الأنصار ● الخمينية ● أمل

مقدمة عامة

كثرت الفرق الهدامة في دين اليهود والنصارى، واتجهت أنظارهم إلى الإسلام، فوجهوا سهام الفرقة والتفريق نحوه، واصطنعوا لأنفسهم نفراً من المسلمين، سوّغوا لهم الكيد لهذا الدين والنيل منه، تحت دعاوى ظاهرها التمسك بهذا الدين وباطنها هدم أصوله، من خلال تفسيرات باطنية(*) مدمرة، وتأويلات لا أساس لها من الدين(*) الخالص.

وهكذا نشأت الفرق والحركات الباطنية(*) المناوئة للإسلام والتي دأبت على تمزيق الدين وبذر بذور الخلاف فيه، بعد أن ظل المسلمون زمناً طويلاً لا يعرفون للمذاهب(*) الهدامة لدى غير أهل السنة(*) سبيلاً، ولا للفرق المدمرة لإجماع المسلمين ووحدتهم طريقاً.

وتنقسم هذه الفرق في الحقيقة إلى فرق ظاهرة وفرق خفية، وهدفها في الحالتين النيل من سبيل أهل السنة والجماعة(*)، والخروج على المسلّمات الجوهرية والأركان الأساسية للعقيدة الدينية. وهكذا ظهرت من الفرق الظاهرة فرق باطنية مناوئة للإسلام مثل اليزيدية والقرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدروز والحشاشين والبابية والبهائية والقاديانية

والحزب الجمهوري والأحباش والأنصار والخمينية وحركة أمل. ولقد كانت هذه الفرق ـ وستبقى ما بقيت اتجاهاتها ـ أداة للنيل من عقيدة التوحيد؛ لاتصال عنصر النفاق فيهم سلفا وخلفا، ودوراناً في فلك الدعوة النصرانية اليهودية التي تريد تفرق الإسلام إلى فرق عقدية وجماعات مذهبية مثل طوائف اليهود وفرق النصارى، وتحقيقاً لأهداف العلمانيين والماديين والشيوعيين المناوئين للإسلام وجميع ذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [النساء: ٨٩].

وحتى تتضح أبعاد عقيدة هذه الفرق الضالة فإننا نقدم للشباب المسلم هذه الدراسة الموجزة عن كل فرقة من هذه الفرق المشار إليها آنفاً، راجين أن تتكشف أمامهم سبل الحق، حتى يصدروا أحكامهم عليهم وهم موقنون أنّه لا سبيل للنجاة إلا بالاعتصام التام بحبل الله المتين ودينه المبين وطريقه المستقيم، على ما كان عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح.

٤٢ـ اليزيدية

التعريف:

اليزيدية: فرقة منحرفة نشأت سنة ١٣٢هـ إثر انهيار الدولة الأموية. كانت في بدايتها حركة(*) سياسية لإعادة مجد بني أمية، ولكن الظروف البيئية وعوامل الجهل انحرفت بها فأوصلتها إلى تقديس يزيد بن معاوية وإبليس الذي يطلقون عليه اسم (طاووس ملك) وعزازيل.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● البداية: عندما انهارت الدولة الأموية في معركة الزاب الكبير (أو الأعلى) شمال العراق سنة ١٣٢هـ هرب الأمير إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد إلى شمال العراق وجمع فلول الأمويين داعياً إلى أحقية يزيد في الخلافة(*) والولاية، وأنه السفياني المنتظر الذي سيعود إلى الأرض ليملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

ويرجع سبب اختيارهم لمنطقة الأكراد ملجأ لهم إلى أن أم مروان الثاني ـ الذي سقطت في عهده الدولة الأموية ـ كانت من الأكراد.

● عدي بن مسافر: كان في مقدمة الهاربين من السلطة العباسية، فقد رحل من لبنان إلى الحكارية من أعمال كردستان، وينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم، ولقبه شرف الدين أبو الفضائل لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه التصوف، وولد سنة ١٠٧٣م أو ١٠٧٨م وتوفي بعد حياة مدتها تسعون سنة، ودفن في لالش في منطقة الشيخان بالعراق.

● صخر بن صخر بن مسافر: المعروف بالشيخ أبي البركات رافق عمه عدياً وكان خليفته ولما مات دفن بجانب قبر عمه في لالش.

● عدي بن أبي البركات: الملقب بأبي المفاخر المشهور بالكردي، توفي سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٧م.

● خلفه ابنه شمس الدين أبو محمد المعروف بالشيخ حسن: المولود سنة ٥٩١هـ/ ١١٥٤م وعلى يديه انحرفت الطائفة اليزيدية من حب يزيد وعدي بن مسافر إلى تقديسهما والشيطان إبليس، وتوفي سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م بعد أن ألف كتاب **الجلوة لأصحاب الخلوة** وكتاب **محك الإيمان** وكتاب **هداية الأصحاب** وقد أدخل اسمه في الشهادة كما نجدها اليوم عند بعض اليزيدية.

● الشيخ فخر الدين أخو الشيخ حسن: انحصرت في ذريته الرئاسة الدينية والفتوى.

● شرف الدين محمد بن الشيخ فخر الدين: قتل عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م وهو في طريقه إلى السلطان عز الدين السلجوقي.

● زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد: الذي سافر إلى مصر وانقطع إلى طلب العلم والتعبد فمات في التكية العدوية بالقاهرة سنة ٧٢٥هـ.

● بعد ذلك أصبح تاريخهم غامضاً بسبب المعارك بينهم وبين المغول والسلاجقة والفاطميين.

● ظهر خلال ذلك الشيخ زين الدين أبو المحاسن: الذي يرتقي نسبه إلى شقيق عدي أبي البركات، عين أميراً لليزيدية على الشام ثم اعتقله الملك سيف الدولة قلاوون بعد أن أصبح خطراً لكثرة مؤيديه، ومات في سجنه.

● جاء بعده ابنه الشيخ عز الدين، وكان مقره في الشام، ولقب بلقب أمير الأمراء، وأراد أن يقوم بثورة(*) أموية فقبض عليه عام ٧٣١هـ ومات في سجنه، أيضاً.

● استمر الحكام في اضطهاد اليزيديين، وبقيت منطقة الشيخان في العراق محط أنظارهم، وكان كتمان السر من أهم ما تميزت به هذه الفرقة.

● استطاع آخر رئيس للطائفة الأمير بايزيد الأموي أن يحصل على ترخيص بافتتاح مكتب للدعوة اليزيدية في بغداد سنة ١٩٦٩م بشارع الرشيد بهدف إحياء عروبة الطائفة الأموية اليزيدية ووسيلتهم إلى ذلك نشر الدعوة القومية مدعمة بالحقائق الروحية والزمنية وشعارهم عربي أموي القومية، يزيدي العقيدة.

● وآخر رئيس لهم هو الأمير تحسين بن سعد أمير الشيخان.

● ونستطيع أن نجمل القول بأن الحركة قد مرّت بعدة أدوار هي:

ـ الدور الأول: حركة أموية سياسية، تتبلور في حب يزيد بن معاوية.

ـ الدور الثاني: تحول الحركة إلى طريقة عدوية أيام الشيخ عدي بن مسافر الأموي.

ـ الدور الثالث: انقطاع الشيخ حسن ست سنوات، ثم خروجه بكتبه مخالفاً فيها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ـ الدور الرابع: خروجهم التام من الإسلام وتحريم القراءة والكتابة ودخول المعتقدات الفاسدة والباطلة في تعاليمهم.

الأفكار والمعتقدات:

أولًا: مقدمة لفهم المعتقد اليزيدي:

● حدثت معركة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية وقتل فيها الحسين بن علي رضي الله

عنهما وكثيرون من آل البيت ـ رضوان الله عليهم جميعاً.

● أخذ الشيعة يلعنون يزيداً ويتهمونه بالزندقة(*) وشرب الخمر.

● بعد زوال الدولة الأموية، بدأت اليزيدية على شكل حركة(*) سياسية.

● أحب اليزيديون يزيد واستنكروا لعنه بخاصة.

● ثم استنكروا اللعن بعامة.

● وقفوا أمام مشكلة لعن إبليس في القرآن فاستنكروا ذلك، أيضاً، وعكفوا على كتاب الله يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن أو لعنة أو شيطان أو استعاذة بحجة أن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين.

● ثم أخذوا يقدسون إبليس الملعون في القرآن، وترجع فلسفة هذا التقديس لديهم إلى أمور هي:

ـ لأنه لم يسجد لآدم فهو بذلك ـ في نظرهم ـ يعد الموحد الأول الذي لم ينس وصية الرب بعدم السجود لغيره في حين نسيها الملائكة فسجدوا، ولأن أمر السجود لآدم كان مجرد اختبار، وقد نجح إبليس في هذا الاختبار، فهو بذلك أول الموحدين، وقد كافأه الله على ذلك بأن جعله طاووس الملائكة، ورئيساً عليهم!!.

ـ ويقدسونه كذلك خوفاً منه لأنه قوي إلى درجة أنه تصدى للإله(*) وتجرأ على رفض أوامره!!.

ـ ويقدسونه كذلك تمجيداً لبطولته في العصيان والتمرد!!.

● أغوى إبليس آدم بأن يأكل من الشجرة المحرمة فانتفخت بطنه فأخرجه الله من الجنة.

● إن إبليس لم يطرد من الجنة، بل إنه نزل من أجل رعاية الطائفة اليزيدية على وجه الأرض!!.

ثانياً: معتقداتهم:

● جرَّهم اعتبار إبليس طاووس الملائكة إلى تقديس تمثال طاووس من النحاس على شكل ديك بحجم الكفِّ المضمومة وهم يطوفون بهذا التمثال على القرى لجمع الأموال.

● وادي لالش في العراق: مكان مقدس يقع وسط جبال شاهقة تسمى بيت عذري، مكسوة بأشجار من البلوط والجوز.

● المرجة في وادي لالش: تعد بقعة مقدسة، واسمها مأخوذ من مرجة الشام، والجزء الشرقي منها فيه ـ على حد قولهم ـ جبل عرفات ونبع زمزم.

● لديهم **مصحف رش** (أي الكتاب الأسود) فيه تعاليم الطائفة ومعتقداتها.

● الشهادة: أشهد واحد الله، سلطان يزيد حبيب الله.

● الصوم: يصومون ثلاثة أيام من كل سنة في شهر كانون الأول، وهي تصادف عيد ميلاد يزيد بن معاوية.

● الزكاة: تجمع بواسطة الطاووس، ويقوم بذلك القوالون وتجبى إلى رئاسة الطائفة.

● الحج: يقفون يوم العاشر من ذي الحجة من كل عام على جبل عرفات في المرجة النورانية في لالش بالعراق.

● الصلاة: يصلون في ليلة منتصف شعبان، وهي صلاة يزعمون أنها تعوضهم عن صلاة سنة كاملة.

● الحشر والنشر بعد الموت: سيكون في قرية باطط في جبل سنجار، إذ توضع الموازين بين يدي الشيخ عدي الذي سيحاسب الناس، وسوف يأخذ جماعته ويدخلهم الجنة.

● يقسمون بأشياء باطلة ومن جملتها القسم بطوق سلطان يزيد وهو طرف الثوب.

● يترددون على المراقد والأضرحة كمرقد الشيخ عدي والشيخ شمس الدين والشيخ حسن وعبد القادر الجيلاني، ولكل مرقد خدم، وهم يستخدمون الزيت والشموع في إضاءتها.

● يحرمون التزاوج بين الطبقات، ويجوز لليزيدي أن يعدد في الزواج إلى ست زوجات.

● الزواج يكون عن طريق خطف العروس أولاً من قبل العريس، ثم يأتي الأهل لتسوية الأمر.

● يحرمون اللون الأزرق لأنه من أبرز ألوان الطاووس.

● يحرمون أكل الخس والملفوف (الكرنب) والقرع والفاصوليا ولحوم الديكة وكذلك لحم الطاووس المقدس عندهم، لأنه نظير لإبليس طاووس الملائكة في زعمهم، ولحوم الدجاج والسمك والغزلان ولحم الخنزير.

● يحرمون حلق الشارب، بل يرسلونه طويلاً وبشكل ملحوظ.

● إذا رسمت دائرة على الأرض حول اليزيدي فإنه لا يخرج من هذه الدائرة حتى تمحو قسماً منها اعتقاداً منه بأن الشيطان هو الذي أمرك بذلك.

● يحرمون القراءة والكتابة تحريماً دينياً؛ لأنهم يعتمدون على علم الصدر فأدى ذلك

إلى انتشار الجهل والأمية بينهم، مما زاد في انحرافهم ومغالاتهم بيزيد وعدي وإبليس.

● لديهم كتابان مقدسان هما: **الجلوة** الذي يتحدث عن صفات الإله(*) ووصاياه والآخر **مصحف رش** أو **الكتاب الأسود** الذي يتحدث عن خلق الكون والملائكة وتاريخ نشوء اليزيدية وعقيدتهم.

● يعتقدون أن الرجل الذي يحتضن ولد اليزيدي أثناء ختانه يصبح أخاً لأم هذا الصغير وعلى الزوج أن يحميه ويدافع عنه حتى الموت.

● اليزيدي يدعو متوجهاً نحو الشمس عند شروقها وعند غروبها، ثم يلثم الأرض ويعفر بها وجهه، وله دعاء قبل النوم.

● لهم أعياد خاصة كعيد رأس السنة الميلادية وعيد المربعانية وعيد القربان وعيد الجماعة وعيد يزيد وعيد خضر إلياس وعيد بلندة، ولهم ليلة تسمى الليلة السوداء «شفرشك» حيث يطفئون الأنوار ويستحلون فيها المحارم والخمور.

● يقولون في كتبهم: «أطيعوا وأصغوا إلى خدامي بما يلقنونكم به، ولا تبيحوا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى وأهل الإسلام؛ لأنهم لا يدرون ماهيته، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● اتصل عدي بن مسافر بالشيخ عبد القادر الجيلاني المتصوف، وقالوا بالحلول والتناسخ ووحدة الوجود، وقولهم في إبليس يشبه قول الحلاج الذي اعتبره إمام الموحدين.

● يحترمون الدين(*) النصراني، حتى إنهم يقبلون أيدي القسس(*) ويتناولون معهم العشاء الرباني(*)، ويعتقدون بأن الخمرة هي دم المسيح(*) الحقيقي، وعند شربها لا يسمحون بسقوط قطرة واحدة منها على الأرض أو أن تمس لحية شاربها.

● أخذوا عن النصارى «التعميد»(*)، إذ يؤخذ الطفل إلى عين ماء تسمى «عين البيضاء» ليعمد فيها، وبعد أن يبلغ أسبوعاً يؤتى به إلى مرقد الشيخ عدي حيث زمزم فيوضع في الماء وينطقون اسمه عالياً طالبين منه أن يكون يزيديًّا ومؤمناً (بطاووس ملك) أي إبليس.

● عندما دخل الإسلام منطقة كردستان كان معظم السكان يدينون بالزرادشتية فانتقلت بعض تعاليم هذه العقيدة إلى اليزيدية.

● داخلتهم عقائد المجوس(*) والوثنية(*) فقد رفعوا يزيد إلى مرتبة الألوهية، والتنظيم عندهم (الله ـ يزيد ـ عدي).

●(طاووس ملك) رمز وثني لإبليس يحتل تقديراً فائقاً لديهم.

● أخذوا عن الشيعة «البراءة» وهي كرة مصنوعة من تراب مأخوذة من زاوية الشيخ عدي يحملها كل يزيدي في جيبه للتبرك بها، وذلك على غرار التربة التي يحملها أفراد الشيعة الجعفرية. وإذا مات اليزيدي توضع في فمه هذه التربة وإلا مات كافراً.

● عموماً: إن المنطقة التي انتشروا فيها تعج بالديانات المختلفة كالزرادشتية وعبدة الأوثان، وعبدة القوى الطبيعية، واليهودية، والنصرانية، وبعضهم مرتبط بآلهة آشور وبابل وسومر، والصوفية من أهل الخطوة، وقد أثرت هذه الديانات في عقيدة اليزيدية بدرجات متفاوتة، وذلك بسبب جهلهم وأميتهم مما زاد في درجة انحرافهم عن الإسلام الصحيح.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر هذه الطائفة التي تقدس الشيطان في سوريا وتركيا وإيران وروسيا والعراق ولهم جاليات قليلة العدد نسبيا في لبنان وألمانيا وبلجيكا.

● ويبلغ تعدادهم حوالي ١٢٠ ألف نسمة، منهم سبعون ألفاً في العراق والباقي في الأقطار الأخرى، وهم مرتبطون جميعاً برئاسة البيت الأموي.

● هم من الأكراد، إلا أن بعضهم من أصل عربي.

● لغتهم هي اللغة الكردية وبها كتبهم وأدعيتهم وتواشيحهم الدينية.

● لهم مكتب رسمي مصرح به وهو المكتب الأموي للدعوة العربية في شارع الرشيد ببغداد.

ويتضح مما سبق:

أن اليزيدية فرقة إسلامية منحرفة، قدست يزيد بن معاوية وإبليس وعزرائيل، ويترددون على المراقد والأضرحة ولهم عقيدة خاصة في كل ركن من أركان الإسلام، ولهم أعياد خاصة كعيد رأس السنة الميلادية، ويجيزون لليزيدي أن يعدد في الزوجات حتى ست إلى غير ذلك من الأقوال الضالة المضلة.

مراجع للتوسع:

- **اليزيدية**، تأليف سعيد الديوه جي.
- **اليزيديون في حاضرهم وماضيهم**، تأليف عبد الرزاق الحسني.
- **اليزيدية، أحوالهم ومعتقداتهم**، تأليف الدكتور سامي سعيد الأحمد.
- **اليزيدية وأصل عقيدتهم**، تأليف عباس العزَّاوي.

- **اليزيدية ومنشأ نحلتهم**، تأليف أحمد تيمور.
- **اليزيدية**، تأليف صديق الدملوجي.
- **اليزيديون**، تأليف هاشم البناء.
- **ما هي اليزيدية؟ ومن هم اليزيديون؟** تأليف محمود الجندي - مطبعة التضامن ط١ - بغداد ١٩٧٦م.
- **كرد وترك وعرب**، تأليف ادموندز - ترجمة جرجس فتح الله.
- **مباحث عراقية**، تأليف يعقوب سركيس.
- **الأكراد**، تأليف باسيل نيكتن.
- **مجموعة الرسائل والمسائل**، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية.
- **رحلتي إلى العراق**، تأليف جيمس بكنجهام - ترجمة سليم طه التكريتي.
- جريدة **التآخي** العراقية، بغداد ١٦/ ٩/ ١٩٧٤م.
- **العراق الشمالي**، تأليف الدكتور شاكر خصباك.
- **تاريخ الموصل**، تأليف سليمان الصايغ.

٤٣ـ القرامطة

التعريف:

القرامطة حركة باطنية(*) هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم(*) السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد(*) والإباحية وهدم الأخلاق(*) والقضاء على الدولة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يتضح لنا تطور الحركة من خلال دراسة شخصياتها الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية، وتركوا أثراً بارزاً على سيرها وتشكلها عبر مسيرة طويلة من الزمن:

ـ بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية بنشر المبادىء الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ.

ـ ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سرًّا.

ـ وفي سنة ٢٧٨هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً سماها دار الهجرة وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم.

ـ هرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة.

ـ استخلف ذكرويه أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج، وهزم في حمص، وسيق ذكرويه إلى بغداد وتوفي سنة ٢٩٤هـ.

ـ التف القرامطة في البحرين حول الحسن بن بهرام، ويعرف بأبي سعيد الجنابي الذي سار سنة ٢٨٣هـ إلى البصرة فهزم.

● قام بالأمر بعده ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام ويعرف بأبي طاهر الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة، ويعد مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي والاجتماعي، بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوة ومن أعماله الرهيبة أنه:

ـ فتك هو ورجاله بالحجاج حين رجوعهم من مكة ونهبوهم وتركوهم في القفر حتى هلكوا.

ـ ملك الكوفة أيام المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ لمدة ستة أيام استحلها فيهم.

ـ هاجم مكة عام ٣١٩هـ، وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملأ المسجد بالقتلى، ونزع الكسوة، وقلع باب البيت العتيق، واقتلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الأحساء، وبقي الحجر هناك عشرين سنة إلى عام ٣٣٩هـ.

● توفي سليمان فآلت الأمور لأخيه الحسن الأعصم الذي قوي أمره واستولى على دمشق سنة ٣٦٠هـ، ثم توجه إلى مصر ودارت معارك له مع الخلافة الفاطمية، لكن الأعصم ارتد وانهزم القرامطة وتراجعوا إلى الأحساء.

● خلع القرامطة الحسن لدعوته لبني العباس، وأسند الأمر إلى رجلين هما جعفر وإسحاق اللذان توسعا، ثم دب الخلاف بينهما وقاتلهم الأصفر التغلبي الذي ملك البحرين والأحساء وأنهى شوكتهم ودولتهم.

● وللمجتمع القرمطي ملامحه المتميزة إذ تشكلت في داخله أربع طبقات اجتماعية متميزة:

ـ **الطبقة الأولى**: وتسميهم **رسائل إخوان الصفا**(*) «الإخوان الأبرار الرحماء» وتشمل الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين خمس عشرة وثلاثين سنة. وهم على استعداد لقبول الأفكار القرمطية عقيدة وتمثلاً في نفوسهم.

ـ **الطبقة الثانية**: ويعرفون بـ«الإخوان الأخيار الفضلاء» وتشمل من كانت أعمارهم بين الثلاثين والأربعين سنة وهي مرتبة الرؤساء ذوي السياسات، ويكلفون بمراعاة «الإخوان» وتعهدهم وإظهار العطف عليهم ومساعدتهم.

ـ **الطبقة الثالثة**: وتشمل أولئك الذين هم بين الأربعين والخمسين من العمر، ممن يعرفون الناموس الإلهي وفق المفهوم القرمطي، ويتمتعون بحق الأمر والنهي ودعم الدعوة القرمطية ودفع خصومها، وهؤلاء هم الذين ألفوا الرسائل العقائدية القرمطية وعمموها في الآفاق.

ـ **الطبقة الرابعة**: ويطلق على أصحاب هذه الطبقة اسم «المريدون» ثم «المعلمون» ثم «المقربون» إلى الله، وتشمل من تجاوزت أعمارهم الخمسين سنة؛ وهي أعلى المراتب القرمطية، ومن يبلغها يكن في نظر هذه الفرقة من الناموس والطبيعة ويصبح من أهل الكشف(*) اللدني، إذ يستطيع رؤية أحوال القيامة من البعث والنشور والحساب والميزان...

● حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلِموا من سيوفهم.

● ثم أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.

● يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه وأشاعوا أن ذلك يعمل على زيادة الألفة والمحبة (وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل).

● إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.

● استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.

● يعتقدون في إبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد(*).

● ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعاف النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.

● يقولون بالعصمة وأنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:

ـ الصيام: الإمساك عن كشف السر.

ـ البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.

ـ النبي(*): عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.

ـ القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.

● يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفرديَّ لكل منهم.

● يقولون بوجود إلهين(*) قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم فلا هو موصوف ولا غير موصوف.

● يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.

● يقولون بالرجعة(*) وأن عليًا يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على

حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.

● يعتقدون بأن الأئمة والأديان(*) والأخلاق(*) ليست إلا ضلالاً.

● يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوسية(*) والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● فلسفتهم مادية(*) تسربت إليها تعاليم الملاحدة والمتآمرين من أئمة الفرس.

● تأثروا بمبادىء الخوارج(*) الكلامية والسياسية ومذاهب الدهرية.

● يتعلقون بمذاهب الملحدين مثل مزدك وزرادشت.

● أساس معتقدهم ترك العبادات والمحظورات وإقامة مجتمع يقوم على الإباحية والشيوع في النساء والمال.

● فكرتهم الجوهرية هي حشد جمهور كبير من الأنصار ودفعهم إلى العمل لغاية يجهلونها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● دامت هذه الحركة(*) قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبي فارس، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن، وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين. هذا ومما يلاحظ الآن أن هناك كتابات مشبوهة تحاول أن تقدم حركة القرامطة وغيرها من حركات الردة على أنها حركات إصلاحية وأن قادتها رجال أحرار ينشدون العدالة والحرية(*).

ويتضح مما سبق:

أن هذه الحركة كان هدفها محاربة الإسلام بكل الوسائل، وذلك بارتكاب الكبائر(*) وهتك الأعراض وسفك الدماء والسطو على الأموال وتحليل المحرمات بين أتباعهم حتى يجمعوا عليهم أصحاب الشهوات والمراهقين وأسافل الناس، وتعد عقائدها نفسها عقائد الإسماعيلية مع خلاف في بعض النواحي التطبيقية التي لم يستطع الإسماعيلية تطبيقها خوفاً

من ثورة الناس عليهم. ويخرجهم من حظيرة الإسلام عقائدهم التالية:

أولاً: اعتقادهم باحتجاب الله في صورة البشر.

ثانياً: قولهم بوجود إلهين.

ثالثاً: تطبيقهم مبدأ إشاعة الأموال والنساء.

رابعاً: عدم التزامهم بتعاليم الإسلام في قليل أو كثير.

خامساً: فساد عقيدتهم في الوحي(*) والنبوة(*) والرسالة.

سادساً: انتهاكهم حرمات الإسلام بالاعتداء على الحجيج واقتحام الكعبة ونزع الحجر الأسود ونقله إلى مكان آخر.

سابعاً: إنكارهم للقيامة والجنة والنار.

مراجع للتوسع:

- **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، محمد بن مالك الحمادي اليماني.
- **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، محمد عبد الله عنان.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة.
- **المؤامرة على الإسلام**، أنور الجندي.
- **القرامطة**، عبد الرحمن بن الجوزي.
- **إسلام بلا مذاهب**، الدكتور مصطفى الشكعة.
- **الملل والنحل**، لأبي الفتح الشهرستاني.
- **فضائح الباطنية**، لأبي حامد الغزالي.
- **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر البغدادي.
- **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، عبد الله الأمين.

٤٤ـ الإسماعيلية

التعريف:

الإسماعيلية فرقة باطنية(*)، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة. وقد مالت إلى الغلوّ(*) الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفِّرون أعضاءَهَا.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

أولًا: الإسماعيلية القرامطية: (انظر بحث القرامطة من هذا الكتاب).

● كان ظهورهم في البحرين والشام بعد أن شقُّوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه ونهبوا أمواله ومتاعه فهرب من سلمية في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفاً من بطشهم. ومن شخصياتهم.

ـ عبد الله بن ميمون القداح، ظهر في جنوبي فارس سنة ٢٦٠هـ.

ـ الفرج بن عثمان القاشاني (ذكرويه) ظهر في العراق وأخذ يدعو للإمام المستور.

ـ حمدان قرمط بن الأشعث (٢٧٨هـ) جهر بالدعوة قرب الكوفة.

ـ أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج.

ـ الحسن بن بهرام (أبو سعيد الجنابي) ظهر في البحرين ويعد مؤسس دولة القرامطة.

ـ ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام (أبو طاهر) حكم ثلاثين سنة، وفي عهده حدث التوسع والسيطرة وقد هاجم الكعبة سنة ٣١٩هـ وسرق الحجر الأسود وأبقاه عنده لأكثر من عشرين سنة.

ـ الحسن الأعصم بن سليمان استولى على دمشق سنة ٣٦٠هـ.

ثانياً: الإسماعيلية الفاطمية:

● وهي الحركة الإسماعيلية الأصلية وقد مرت بعدة أدوار:

ـ دور الستر: من موت إسماعيل سنة ١٤٣هـ إلى ظهور عبيد الله المهدي. وقد اختلف في أسماء أئمة هذه الفترة بسبب السرية التي انتهجوها.

ـ بداية الظهور: بدأ الظهور بالحسن بن حوشب الذي أسس دولة الإسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٦هـ وامتد نشاطه إلى شمال أفريقيا واكتسب شيوخ كتامة. يلي ذلك ظهور رفيقه علي بن فضل الذي ادعى النبوة(*) وأعفى أنصاره من الصوم والصلاة.

ـ دور الظهور: يبدأ بظهور عبيد الله المهدي الذي كان مقيماً في سلمية بسوريا ثم هرب إلى شمال أفريقيا واعتمد على أنصاره هناك من الكتاميين.

● قتل عبيد الله داعيته أبا عبد الله الشيعي الصنعاني وأخاه أبا العباس لشكهما في شخصيته وأنه غير الذي رأياه في سلمية.

● أسس عبيد الله أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية (تونس) واستولى على رقادة سنة ٢٩٧هـ وتتابع بعده الفاطميون وهم:

ـ المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل). ٣٣٤ـ٣٤١هـ.

ـ المعز لدين الله (أبو تميم معد) وفي عهده فتحت مصر سنة ٣٦١هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة ٣٦٢هـ.

ـ العزيز بالله (أبو منصور نزار). ٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ.

ـ الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور). ٣٨٦ ـ ٤١١هـ.

ـ الظاهر (أبو الحسن علي). ٤١١ ـ ٤٢٧هـ

ـ المستنصر بالله (أبو تميم). وتوفي سنة ٤٨٧هـ

● وبوفاته انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى نزارية شرقية ومستعلية غربية والسبب في هذا الانقسام أن الإمام المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار؛ لأنه الابن الأكبر. لكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحّى نزاراً وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر كما أنه في الوقت نفسه ابن أخت الوزير. وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسدَّ عليه الجدران حتى مات.

● استمرت الإسماعيلية الفاطميّة المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين والأئمة هم:

ـ المستعلي (أبو القاسم أحمد). ٤٨٧ ـ ٤٩٥هـ.

ـ الآمر (أبو علي المنصور). ٤٩٥ ـ ٥٢٥هـ.

ـ الظافر (أبو المنصور إسماعيل). ٥٤٤ ـ ٥٤٩هـ.

ـ الفائز (أبو القاسم عيسى). ٥٤٩ ـ ٥٥٥هـ.

ـ العاضد (أبو محمد عبد الله). من ٥٥٥هـ حتى زوال دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي.

ثالثاً: الإسماعيلية الحشاشون:

● وهم إسماعيلية نزارية انتشروا بالشام، وبلاد فارس والشرق، ومن أبرز شخصياتهم:

● الحسن بن الصباح وهو فارسي الأصل، وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس للإمام المستور ثم استولى على قلعة آلموت وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية ـ وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وقد أرسل بعض رجاله إلى مصر لقتل الإمام الآخر ابن المستعلي فقتلوه مع ولديه عام ٥٢٥هـ. توفي الحسن بن الصباح عام ١١٢٤م.

● كيابزرك آميد توفي سنة ١١٣٥م.

● محمد بن كيابزرك آميد توفي سنة ١١٦٢م.

● الحسن الثاني بن محمد توفي سنة ١١٦٦م.

● محمد الثاني بن الحسن توفي سنة ١٢١٠م.

● الحسن الثالث بن محمد الثاني توفي سنة ١٢٢١م.

● محمد الثالث بن الحسن الثالث توفي سنة ١٢٥٥م.

● ركن الدين خورشاه من سنة ١٢٥٥م إلى أن انتهت دولتهم وسقطت قلاعهم أمام جيش هولاكو المغولي الذي قتل ركن الدين فتفرقوا في البلاد، ولا يزال لهم أتباع إلى الآن.

رابعاً: إسماعيلية الشام:

● وهم إسماعيلية نزارية، لقد أبقوا خلال هذه الفترات الطويلة على عقيدتهم يجاهرون بها في قلاعهم وحصونهم، غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به ولا يزالون إلى الآن في منطقة سلمية بالذات وفي مناطق القدموس ومصياف وبانياس والخوابي والكهف.

ـ ومن شخصياتهم (راشد الدين سنان) الملقب بشيخ الجبل، وهو يشبه في تصرفاته الحسن بن الصباح، ولقد كون مذهب(*) السنانية الذي يعتقد أتباعه بالتناسخ(*) فضلاً عن عقائد الإسماعيلية الأخرى.

خامساً: الإسماعيلية البهرة:

● وهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب؛ ولذا يسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر.

ـ الإمام الطيب دخل الستر سنة ٥٢٥هـ والأئمة المستورون من نسله إلى الآن لا يعرف عنهم أي شيءٍ، حتى إن أسماءهم غير معروفة، وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم.

● **انقسمت البهرة إلى فرقتين:**

ـ البهرة الداوودية: نسبة إلى قطب شاه داوود: وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي.

ـ البهرة السليمانية: نسبة إلى سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

سادساً: الإسماعيلية الأغاخانية:

● ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية النزارية، ومن شخصياتهم:

ـ حسن علي شاه: وهو الآغا خان الأول: استعمله الإنجليز لقيادة ثورة[*] تكون ذريعة لتدخلهم فدعا إلى الإسماعيلية النزارية، ونفي إلى أفغانستان ومنها إلى بومباي وقد خلع عليه الإنجليز لقب آغاخان، مات سنة ١٨٨١م.

ـ آغا علي شاه وهو الآغاخان الثاني: ١٨٨١م ـ ١٨٨٥م.

ـ يليه ابنه محمد الحسيني: وهو الآغاخان الثالث: ١٨٨٥م ـ ١٩٥٧م، كان يفضل الإقامة في أوربا وقد رتع في ملاذ الدنيا، وحينما مات أوصى بالخلافة من بعده لحفيده كريم مخالفاً بذلك القاعدة الإسماعيلية في تولية الابن الأكبر.

ـ كريم: وهو الآغاخان الرابع: من ١٩٥٧م ولا يزال حتى الآن، وقد درس في إحدى الجامعات الأمريكية.

سابعاً: الإسماعيلية الواقفة:

● وهي فرقة إسماعيلية وقفت عند إمامة محمد بن إسماعيل وهو أول الأئمة المستورين وقالت برجعته بعد غيبته.

الأفكار والمعتقدات:

● ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرات.

● العصمة لديهم ليست في عدم ارتكاب المعاصي والأخطاء بل إنهم يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقداتهم.

● من مات ولم يعرف إمام زمانه ولم يكن في عنقه بيعة(*) له مات ميتة جاهلية(*).

● يضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله(*)، ويخصونه بعلم الباطن ويدفعون له خُمس ما يكسبون.

● يؤمنون بالتقية(*) والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث.

● الإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته.

● الأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور فإن كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون **حجته** مستوراً، وإن كان الإمام مستوراً فلا بد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين.

● يقولون بالتناسخ(*)، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبقه من الأئمة.

● ينكرون صفات الله أو يكادون لأن الله ـ في نظرهم ـ فوق متناول العقل(*)، فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق فهو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم وليس بالمحدث فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته.

من معتقدات البهرة:

● لا يقيمون الصلاة في مساجد عامة المسلمين.

● ظاهرهم في العقيدة يشبه عقائد سائر الفرق الإسلامية المعتدلة.

● باطنهم شيء آخر فهم يصلون ولكن صلاتهم للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الآمر.

● يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين لكنهم يقولون: إن الكعبة هي رمز على الإمام.

● كان شعار الحشاشين «لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح» ووسيلتهم الاغتيال المنظم والامتناع بسلسلة من القلاع الحصينة.

● يقول الإمام الغزالي عنهم «المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة

المحظورات واستحلالها، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم».

● يعتقدون أن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل كان ذلك عن طريق العقل الكلي الذي هو محل لجميع الصفات الإلهية ويسمونه الحجاب، وقد حل العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة المستورين الذين يخلفونه فمحمد هو الناطق وعلي هو الأساس الذي يفسر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد نشأ مذهبهم في العراق، ثم فروا إلى فارس وخراسان وما وراء النهر كالهند والتركستان فخالط مذهبهم آراء من عقائد الفرس القديمة والأفكار الهندية، وقام فيهم ذوو أهواء زادوا في انحرافهم بما انتحلوا من نحل.

● اتصلوا ببراهمة(*) الهند والفلاسفة الإشراقيين والبوذيين وبقايا ما كان عند الكلدانيين والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم، واختلفوا في مقدار الأخذ من هذه الخرافات، وقد ساعدتهم سريتهم على مزيد من الانحراف.

● بعضهم اعتنق مذاهب مزدك وزرادشت في الإباحية والشيوعية (القرامطة، مثلاً).

● ليست عقائدهم مستمدة من الكتاب والسنة، فقد داخلتهم فلسفات وعقائد كثيرة أثرت فيهم وجعلتهم خارجين على الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لقد اختلفت الأرض التي سيطر عليها الإسماعيليون مدًّا وجزراً بحسب تقلبات الظروف والأحوال خلال فترة طويلة من الزمن، وقد غطى نفوذهم العالم الإسلامي، ولكن بتشكيلات متنوعة تختلف باختلاف الأزمان والأوقات:

ـ فالقرامطة سيطروا على الجزيرة وبلاد الشام والعراق وما وراء النهر.

ـ والفاطميون أسسوا دولة امتدت من المحيط الأطلسي وشمال أفريقيا، وامتلكوا مصر والشام، وقد اعتنق مذهبهم أهل العراق وخطب لهم على منابر بغداد سنة ٥٤٠هـ، ولكن دولتهم زالت على يد صلاح الدين الأيوبي يرحمه الله.

ـ والآغاخانية: يسكنون نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنغو البلجيكي والهند وباكستان وسوريا ومركز القيادة الرئيسي لهم مدينة كراتشي بباكستان.

ـ والبهرة: استوطنوا اليمن والهند والسواحل القريبة المجاورة لهذين البلدين.

ـ وإسماعيلية الشام: امتلكوا قلاعاً وحصوناً في طول البلاد وعرضها ولا تزال لهم بقايا

في مناطق سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف.

ـ والحشاشون: انتشروا في إيران واستولوا على قلعة آلموت جنوب بحر قزوين واتسع سلطانهم، واستقلوا بإقليم كبير وسط الدولة العباسية السنية. امتلكوا القلاع والحصون ووصلوا إلى بانياس وحلب والموصل، وولي أحدهم قضاء دمشق أيام الصليبيين وقد اندحروا أمام هولاكو المغولي.

ـ المكارمة وقد استقروا في نجران بجنوب المملكة العربية السعودية.

ويتضح مما سبق:

أن الإسماعيلية في بدايتها كانت إحدى الفرق الشيعية، ولكنها غلت في أئمتها وتأثرت بمؤثرات كثيرة حتى وصل الأمر إلى أن اعتبرتها معظم الفرق الإسلامية كافرة وخارجة من حظيرة الإسلام، لما أسبغوه على إمامهم من صفات تصل به إلى ما يشبه مقام الألوهية، ولقولهم بالتناسخ(*) وإنكارهم صفات الله سبحانه وتعالى، ولعدم استمدادهم عقيدتهم من خالص الكتاب والسُّنة.

مراجع للتوسع:

ـ **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ الجزء الأول، محمد أبو زهرة.
ـ **إسلام بلا مذاهب** ـ د. مصطفى الشكعة.
ـ **طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها** ـ د. محمد كامل حسين ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م.
ـ **دائرة المعارف الإسلامية** ـ مادة الإسماعيلية.
ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة.
ـ **المؤامرة على الإسلام** ـ أنور الجندي.
ـ **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة** ـ محمد عبد الله عنان.
ـ أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية ـ لبرنارد لويس.
ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ـ محمد بن مالك اليماني الحمادي.
ـ **فضائح الباطنية** ـ لأبي حامد الغزالي.
ـ **الإسماعيلية** ـ إحسان إلهي ظهير.

٤٥ـ النصيرية

التعريف:

النصيرية حركة(*) باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار(*) الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية(*) والباطنية(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت ٢٧٠هـ) عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهادي (العاشر) والحسن العسكري (الحادي عشر) ومحمد المهدي «الموهوم» (الثاني عشر).

ـ زعم أنه البابُ إلى الإمام الحسن العسكري، وأنه وارثُ علمه، والحجة والمرجع للشيعة من بعده، وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي.

ـ ادعى النبوة(*) والرسالة(*)، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى مقام الألوهية.

● خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب.

● ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني ٢٣٥ ـ ٢٨٧هـ من جنبلا بفارس، وكنيته العابد والزاهد والفارسي، سافر إلى مصر، وهناك عرض دعوته على الخصيبي.

● حسين بن علي بن الحسين بن حمدان الخصيبي: المولود سنة ٢٦٠هـ مصري الأصل جاء مع أستاذه عبد الله بن محمد الجُنبلاني من مصر إلى جنبلا، وخلفه في رئاسة الطائفة، وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب كما أنشأ للنصيرية مركزين أولهما في حلب ورئيسه محمد علي الجلي والآخر في بغداد ورئيسه علي الجسري.

ـ وقد توفي في حلب وقبره معروف بها وله مؤلفات في المذهب(*) وأشعار في مدح آل البيت وكان يقول بالتناسخ(*) والحلول(*).

● انقرض مركز بغداد بعد حملة هولاكو عليها.

● انتقل مركز حلب إلى اللاذقية وصار رئيسه أبو سعد الميمون سرور بن قاسم الطبراني ٣٥٨ ـ ٤٢٧هـ.

● اشتدت هجمات الأكراد والأتراك عليهم مما دعاهم إلى الاستنجاد بالأمير حسن

المكزون السنجاري ٥٨٣ ـ ٦٣٨هـ ومداهمة المنطقة مرتين. فشل في حملته الأولى ونجح في الثانية، إذ أرسى قواعد المذهب(*) النصيري في جبال اللاذقية.

● ظهر فيهم عصمة الدولة حاتم الطوباني حوالي ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م وهو كاتب **الرسالة القبرصية**.

● وظهر حسن عجرد من منطقة أعنا، وقد توفي في اللاذقية سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م.

● نجد بعد ذلك رؤساء تجمعات نصيرية كتلك التي أنشأها الشاعر القمري محمد بن يونس كلاذي ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م قرب أنطاكية، وعلي الماخوس وناصر نصيفي ويوسف عبيدي.

● سليمان أفندي الأذني: ولد في أنطاكية سنة ١٢٥٠هـ، وتلقى تعاليم الطائفة، لكنه تنصر على يد أحد المبشرين وهرب إلى بيروت، إذ أصدر كتابه **الباكورة السليمانية** يكشف فيه أسرار هذه الطائفة، استدرجه النصيريون بعد ذلك وطمأنوه فلما عاد وثبوا عليه وخنقوه وأحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية.

● عرفوا تاريخيا باسم النصيرية، وهو اسمهم الأصلي، ولكن عندما شُكِّل حزب(*) سياسي في سوريا باسم «الكتلة الوطنية» أراد الحزب أن يقرِّب النصيرية إليه ليكتسبهم فأطلق عليهم اسم العلويين وصادف هذا هوى في نفوسهم وهم يحرصون عليه الآن. هذا وقد أقامت فرنسا لهم دولة أطلقت عليها اسم (دولة العلويين) وقد استمرت هذه الدولة من سنة ١٩٢٠م إلى سنة ١٩٣٦م.

● محمد أمين غالب الطويل: شخصية نصيرية، كان أحد قادتهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، ألف كتاب **تاريخ العلويين** يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة.

● سليمان الأحمد: شغل منصباً دينيًا في دولة العلويين عام ١٩٢٠م.

● سليمان المرشد: كان راعي بقر، لكن الفرنسيين احتضنوه وأعانوه على ادعاء الربوبية، كما اتخذ له رسولاً (سليمان الميده) وهو راعي غنم، ولقد قضت عليه حكومة الاستقلال وأعدمته شنقاً عام ١٩٤٦م.

جاء بعده ابنه مجيب، وادعى الألوهية، لكنه قتل، أيضاً، على يد رئيس المخابرات السورية آنذاك سنة ١٩٥١م، ولا تزال فرقة (المواخسة) النصيرية يذكرون اسمه على ذبائحهم.

● ويقال بأن الابن الثاني لسليمان المرشد اسمه (مغيث) قد ورث الربوبية المزعومة عن أبيه.

● واستطاع العلويون (النصيريون) أن يتسللوا إلى التجمعات الوطنية في سوريا، واشتد نفوذهم في الحكم السوري منذ سنة ١٩٦٣م بواجهة محسوبة على أهل السنة، وقاموا بانقلاب ١٦/ ١١/ ١٩٧٠م واستلموا بعده السلطة، وتولوا رئاسة الجمهورية من ١٢ آذار ١٩٧١.

الأفكار والمعتقدات:

● جعل النصيريون علياً إلهاً(*)، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.

● لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت(*) إلا إيناسا لخلقه وعبيده.

● يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي، ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت(*) من الناسوت(*)، ويخطِّئون من يلعنه.

● يعتقد بعضهم أن عليًّا يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده وإذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون إن الرعد صوته والبرق سوطه.

● يعتقدون أن عليًّا خلق محمداً ﷺ، وأن محمداً خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:

- المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.
- أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.
- عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.
- عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.
- قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

● لهم ليلة يختلط فيها الحابل بالنابل كشأن بعض الفرق الباطنية.

● يعظمون الخمرة، ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب لذلك، ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة التي يسمُّونها «النور».

● يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحياناً.

- لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة.
- ليس لهم مساجد عامة، بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

● لهم قدَّاسات شبيهة بقداسات النصارى مثل:

ـ قداس الطيب لك أخ حبيب.
ـ قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور.
ـ قداس الأذان وبالله المستعان.

● لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر(*) وعبادة أصنام!!.
● لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا ـ نحن المسلمين ـ وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون.
● الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.
● يبغضون الصحابة بغضاً شديداً، ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.
● يزعمون بأن للعقيدة باطناً وظاهراً، وأنهم وحدهم العالمون بباطن الأسرار، ومن ذلك:

ـ الجنابة: هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني.
ـ الطهارة: هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني.
ـ الصيام: هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة.
ـ الزكاة: يرمز لها بشخصية سلمان.
ـ الجهاد: هو صب اللعنات على الخصوم وفُشاة الأسرار.
ـ الولاية: هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها.
ـ الشهادة: هي أن تشير إلى صيغة (ع. م. س).
ـ القرآن: هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي، وقد قام سلمان «تحت اسم جبريل». بتعليم القرآن لمحمد.

ـ الصلاة: عبارة عن خمسة أسماء هي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، و(محسن) هذا هو (السر الخفي) إذ يزعمون بأنه سِقْطٌ طرحته فاطمة، وذكر هذه الأسماء يجزىء عن الغسل والجنابة والوضوء.

● اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون.

● يقول ابن تيمية: «هؤلاء القوم المسمَّون بالنصيرية ـ هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية ـ أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم أعظم من

ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم.. وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم».

● الأعياد: لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم ومن ذلك:

ـ عيد النَّيروز: في اليوم الرابع من نيسان، وهو أول أيام سنة الفرس.

ـ عيد الغدير، وعيد الفراش، وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء.

ـ يوم المباهلة أو يوم الكساء: في التاسع من ربيع الأول ذكرى دعوة النبي،ﷺ، لنصارى نجران للمباهلة.

ـ عيد الأضحى: ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

ـ يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد، وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخاً لبدء الزراعة وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية وعقود الإيجار والاستئجار.

ـ يحتفلون بيوم (دلام) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرحاً بمقتله وشماتة به.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● استمدوا معتقداتهم من الوثنية(*) القديمة، وقدسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكناً للإمام علي.

● تأثروا بالأفلاطونية الحديثة، ونقلوا عنهم نظرية الفيض(*) النوراني على الأشياء.

● بنوا معتقداتهم على مذاهب(*) الفلاسفة المجوس(*).

● أخذوا عن النصرانية، ونقلوا عن الغنوصية(*) النصرانية، وتمسكوا بما لديهم من التثليث(*) والقداسات وإباحة الخمور.

● نقلوا فكرة التناسخ(*) والحلول عن المعتقدات الهندية والآسيوية الشرقية.

● هم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة(*) بعامة والسبئية(*) (جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي) بخاصة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية، ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية المجاورة لهم.

● يوجد عدد كبير منهم، أيضاً، في غربي الأناضول، ويعرفون باسم (التختجية والحطابون) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).

● ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم البكتاشية.

● هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلي إلهية).

● وعدد منهم يعيشون في لبنان.

ويتضح مما سبق:

أن النصيرية فرقة باطنية(*) تؤله علي بن أبي طالب، ظهرت في القرن الثالث للهجرة، وهي فرقة غالية، خلعت ربقة الإسلام، وطرحت معانيه، ولم تستبق لنفسها منه سوى الاسم، ويعتبرهم أهل السنة(*) خارجين عن الإسلام، ولا يصح أن يعاملوا معاملة المسلمين، بسبب أفكارهم الغالية وآرائهم المتطرفة ومن ذلك آراؤهم التي تهدم أركان الإسلام فهم لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة ولهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى ولا يعترفون بالحج أو الزكاة الشرعية المعروفة في الإسلام.

مراجع للتوسع:

- **الجذور التاريخية للنصيرية العلوية**، الحسيني عبد الله ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني.
- **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد ـ دار الكتب العربية ـ القاهرة.
- رسائل ابن تيمية رسالة في الرد على النصيرية.
- **الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية**، سليمان أفندي الأذني. بيروت، ١٨٦٤م.
- **تاريخ العلويين**، محمد أمين غالب الطويل ـ طبع في اللاذقية عاصمة دولة العلويين عام ١٩٢٤م.
- **خطط الشام**، محمد كرد علي ـ ط دمشق ١٩٢٥ ـ ج٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨ ـ ج٦/ ١٠٧ ـ ١٠٩.

- **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة نصيري.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة ـ ط دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦١م.
- **تاريخ العقيدة النصيرية**، المستشرق رينيه دوسو ـ نشرته مكتبة أميل ليون وبداخله كتاب المجموع بنصه العربي.
- **الأعلام للزركلي**، ٢/ ٢٥٤ بيروت ـ ١٩٥٦م.
- **تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان، ٣/ ٣٥٧ ـ ط دار المعارف ـ ١٩٦٢م.
- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**، د. أحمد محمد الخطيب، مكتب الأقصى، عمان.
- **دراسات في الفرق**، د. صابر طعيمة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

المراجع الأجنبية:

- L. Massignon Minora, Beyrouth 1963.

٤٦ـ الدروز

التعريف:

فرقة باطنية(*) تؤلّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها حتى لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● محور العقيدة الدرزية هو الخليفة الفاطمي: أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر الله ولد سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م وقتل سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م. كان شاذًّا في فكره وسلوكه وتصرفاته، شديد القسوة والتناقض والحقد على الناس، أكثر من القتل والتعذيب دون أسباب تدعو إلى ذلك.

● المؤسس الفعلي لهذه العقيدة هو: حمزة بن علي بن محمد الزوزني ٣٧٥هـ ـ ٤٣٠هـ: وهو الذي أعلن سنة ٤٠٨هـ أن روح الإله(*) قد حلت في الحاكم ودعا إلى ذلك وألف كتب العقائد الدرزية.

● محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة ٤٠٧هـ مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضدّه حيث فرَّ إلى الشام وهناك دعا إلى مذهبه(*) وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبّر لقتله سنة ٤١١هـ.

● الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع: وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس.

● بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف: كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب وقت غياب حمزة سنة ٤١١هـ. وقد ألّف كثيراً من نشراتهم مثل: **رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ ورسالة التعنيف والتهجين** وغيرها. وهو الذي أغلق باب الاجتهاد(*) في المذهب(*) حرصاً على بقاء الأصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي.

● أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي: صهر حمزة وساعده الأيمن في الدعوة وهو

الذي يليه في المرتبة.

● **ومن الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة:**

- كمال جنبلاط: زعيم سياسي لبناني أسس الحزب(*) التقدمي الاشتراكي وقتل سنة ١٩٧٧م.

- وليد جنبلاط وهو زعيمهم الحالي وخليفة والده في زعامة الدروز وقيادة الحزب.

- د. نجيب العسراوي رئيس الرابطة الدرزية بالبرازيل.

- عدنان بشير رشيد رئيس الرابطة الدرزية في أستراليا.

- سامي مكارم الذي ساهم مع كمال جنبلاط في عدة تآليف في الدفاع عن الدروز.

● الناس في الدرزية على درجات ثلاث:

- العقل: وهم طبقة رجال الدين الدارسين له والحفاظ عليه. وهم ثلاثة أقسام: رؤساء أو عقلاء أو أجاويد، ويسمى رئيسهم شيخ العقل.

- الأجاويد: وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها.

- الجهال: وهم عامة الناس.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقدون في ألوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع.

● ينكرون الأنبياء(*) والرسل(*) جميعاً ويلقبونهم بالأبالسة.

● يعتقدون بأن المسيح(*) هو داعيتهم حمزة.

● يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.

● يعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها، وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.

● حج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند.

● ولا يكون الإنسان درزيًّا إلا إذا كتب أو تلا الميثاق الخاص.

● يقولون بتناسخ(*) الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى.

● ينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويَّيْن.

● ينكرون القرآن الكريم ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي ولهم مصحف خاص

بهم يسمى المنفرد بذاته.

● يرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًّا، ويفتخرون بالانتساب إلى الفرعونية القديمة وإلى حكماء الهند القدامى.

● يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨هـ وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم.

● يعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين.

● يعتقدون أن الحاكم أرسل خمسة أنبياء هم حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء.

● يحرمون التزاوج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة.

● يحرمون البنات من الميراث.

● لا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة.

● لا يقبل الدروز أحداً في دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.

● ينقسم المجتمع الدرزي المعاصر ـ كما هو الحال سابقاً ـ من الناحية الدينية إلى قسمين:

ـ الروحانيين: بيدهم أسرار الطائفة وينقسمون إلى: رؤساء وعقلاء وأجاويد.

ـ الجثمانيين: الذين يعتنون بالأمور الدنيوية وهم قسمان: أمراء وجهال.

● أما من الناحية الاجتماعية فلا يعترفون بالسلطات القائمة إنما يحكمهم شيخ العقل ونوابه وفق نظام الإقطاع الديني.

● يعتقدون ما يعتقده الفلاسفة من أن إلههم خلق العقل الكلي وبواسطته وجدت النفس الكلية وعنها تفرّعت المخلوقات.

● يقولون في الصحابة أقوالاً منكرة منها قولهم: الفحشاء والمنكر هما (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما.

● التستر والكتمان من أصول معتقداتهم فهي ليست من باب التقية[*]، إنما هي مشروعة في أصول دينهم.

● مناطقهم خالية من المساجد ويستعيضون عنها بخلوات يجتمعون فيها ولا يسمحون

لأحد بدخولها.

● لا يصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، وإنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان، ولا يزورون مسجد الرسول، ﷺ، ولكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولا بمحافظة دمشق.

● لا يتلقى الدرزي عقيدته ولا يبوحون بها إليه ولا يكون مكلفا بتعاليمها إلا إذا بلغ سن الأربعين، وهي سن العقل لديهم.

● يصنف الدروز ضمن الفرق الباطنية(*) لإيمانها بالتقية والقول بالباطن وبسرية العقائد.

● تؤمن بالتناسخ(*) بمعنى أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنساناً آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنساناً ثالثاً وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد.

● للأعداد خمسة وسبعة مكانة خاصة في العقيدة الدرزية.

من كتب الدروز:

- لهم رسائل مقدسة تسمى **رسائل الحكمة**، وعددها ١١١ رسالة، وهي من تأليف حمزة وبهاء الدين والتميمي.

- لهم مصحف يسمى **المنفرد بذاته**.

- كتاب **النقاط والدوائر** وينسب إلى حمزة بن علي، ويذهب بعض المؤرخين في نسبته إلى عبد الغفار تقي الدين البعقلي الذي قتل سنة ٩٠٠هـ.

- **ميثاق ولي الزمان**: كتبه حمزة بن علي، وهو الذي يؤخذ على الدرزي حين يعرف بعقيدته.

- **النقض الخفي**: وهو الذي نقض فيه حمزة الشرائع كلها وخاصة أركان الإسلام الخمسة.

- **أضواء على مسلك التوحيد**: د. سامي مكارم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثروا بالباطنية(*) عموماً وخاصة الباطنية اليونانية متمثلة في أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس واعتبروهم أسيادهم الروحانيين.

● أخذوا جُلَّ معتقداتهم عن الطائفة الإسماعيلية.

● تأثروا بالدهريين في قولهم بالحياة الأبدية.

● وقد تأثروا بالبوذية في كثير من الأفكار والمعتقدات، كما تأثروا ببعض فلاسفة الفرس والهند والفراعنة القدامى.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يعيش الدروز اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين.

● غالبيتهم العظمى في لبنان ونسبة كبيرة من الموجودين منهم في فلسطين المحتلة قد أخذوا الجنسية الإسرائيلية وبعضهم يعمل في الجيش الإسرائيلي.

● توجد لهم رابطة في البرازيل ورابطة في أستراليا وغيرهما.

● نفوذهم في لبنان الآن قوي جدًّا تحت زعامة وليد جنبلاط، ويمثلهم الحزب الاشتراكي التقدمي، ولهم دور كبير في الحرب اللبنانية، وعداوتهم للمسلمين لا تخفى على أحد.

● ويبلغ عدد المنتمين إليها حوالي ٢٥٠ ألف نسمة موزعين بين سوريا ١٢١ ألفا، ولبنان ٩٠ ألفا والباقي في فلسطين وبعض دول المهجر.

ويتضح مما سبق:

● أن الدروز فرقة باطنية(*) تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، نشأت في مصر وهاجرت إلى الشام، وينكرون الأنبياء(*) والرسل(*) جميعاً، ويعتقدون أن المسيح هو داعيتهم حمزة، وحسب هذا دليلاً على ضلالهم.

مراجع للتوسع:

- **عقيدة الدروز عرض ونقد**، محمد أحمد الخطيب.
- **أضواء على العقيدة الدرزية**، أحمد الفوزان.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة.
- أصل الموحدين: **الدروز وأصولهم**، أمين طلع.
- **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، مصطفى غالب.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة.
- **الدروز والثورة السورية**، كريم ناشد.
- **طائفة الدروز**، محمد كامل حسين.
- **مذاهب الدروز والتوحيد**، عبد الله النجار.

- الدروز: وجودهم، مذهبهم، أبو إسماعيل سليم.
- الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، يوسف أبو شقرا.
- مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي.
- دراسة في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، عبدالله الأمين.

٤٧ـ الحشاشون

التعريف:

الحشاشون: طائفة إسماعيلية فاطمية نزارية مشرقية، انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء مِن نسله. أسسها الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة آلموت في فارس مركزاً لنشر دعوته وترسيخ أركان دولته.

وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسية ودينية متعصبة. وكلمة الحشاشين ASSASSIN دخلت بأشكال مختلفة في الاستخدام الأوروبي بمعنى القتل خلسة أو غدراً أو بمعنى القاتل المحترف المأجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **الحسن بن الصباح**: ولد بالري عام ٤٣٠هـ ونشأ نشأة شيعية[*] ثم اتخذ الطريقة الإسماعيلية الفاطمية وعمره ١٧ سنة، وفي عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م ذهب إلى إمامه المستنصر بالله حاجًّا، وعاد بعد ذلك لينشر الدعوة في فارس، وقد احتل عدداً من القلاع أهمها قلعة آلموت ٤٨٣هـ التي اتخذها عاصمة لدولته.

ـ في عهده مات الإمام المستنصر بالله ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وقام الوزير بدر الجمالي بقتل ولي العهد الابن الأكبر «نزار» لينقل الإمامة إلى الابن الأصغر «المستعلي» الذي كان في الوقت نفسه ابن أخت الوزير. وبذلك انشقت الفاطمية إلى نزارية مشرقية، ومستعلية مغربية.

ـ أخذ الحسن بن الصباح يدعو إلى إمامة نزار، مدعياً أن الإمامة قد انتقلت إلى حفيدٍ لنزار أحضر سرًّا إلى آلموت، وأنه طفل جرى تهريبه من مصر إلى فارس، أو أن محظية لنزار كانت حاملاً منه أُخذت إلى آلموت، إذ وضعت حملها. وبقي أمر هذا الإمام الجديد طي الكتمان.

ـ توفي الحسن الصباح عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م من غير سليل؛ لأنه كان قد أقدم على قتل ولديه أثناء حياته.

● **كيابزرك آميد**: حكم من ٥١٨هـ/ ١١٢٤م إلى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م: كان

أول أمره قائداً لقلعة لاماسار لمدة عشرين سنة، وخلال فترة حكمه دخل في عدة معارك مع جيرانه السلاجقة، كما أنه كان أكثر تسامحاً وسياسة من الحسن الصباح.

● **محمد كيابزرك آميد**: حكم من سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م إلى سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م: كان يهتم بالدعوة للإمام، كما كان يفرض الاحترام الخارجي للفرائض الإسلامية، فقد أقدم على قتل كثير من أتباعه ممن اعتقدوا بإمامة ابنه وطرد وعذب آخرين.

● **الحسن الثاني بن محمد**: حكم من ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م إلى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م: أعلن في شهر رمضان ٥٥٩هـ قيام القيامة، وأنهى الشريعة، وأسقط التكاليف وأباح الإفطار، ثم أقدم بعد ذلك على خطوة أخطر وذلك بأن ادعى بأنه من الناحية الظاهرية حفيد لكيابزرك ولكنه في الحقيقة إمام العصر وابن الإمام السابق من نسل نزار.

● **محمد الثاني بن الحسن الثاني**: من ٥٦١هـ/١١٦٦م إلى ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م: طور نظرية القيامة ورسخها، وقد ساعده على ذلك انحلال هيمنة السلاجقة في عهده وضعفهم وظهور التركمان وبداية التوسع التركي.

● **جلال الدين الحسن الثالث بن محمد الثاني**: من ٦٠٧هـ/١٢١٠م إلى ٦١٨هـ/ ١٢٢١م: رفض عقائد آبائه في القيامة، ولعنهم وكفَّرهم، وأحرق كتبهم وجاهر بإسلامه، وقام بوصل حباله مع العالم الإسلامي فقد أرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله وإلى السلطان السلجوقي خوارزم شاه والملوك والأمراء يؤكد لهم صدق دعوته إلى التعاليم الإسلامية، ففرحت البلاد الإسلامية بذلك وصار أتباعه يعرفون بالمسلمين الجدد.

● **محمد الثالث بن الحسن الثالث** (وبعض الكتب تسميه علاء الدين محمود): كان حكمه من سنة ١١٢١م إلى سنة ١٢٢٥م: خلف أباه وعمره ٩ سنوات، وظل وزير أبيه حاكماً لآلموت، وقد عاد الناس في عهده إلى المحرمات وارتكاب الخطايا والإلحاد(*). حكم الصبي خمس أو ست سنوات ثم أصيب بلوثة عقلية، فانتشرت السرقة واللصوصية وقطع الطرق والاعتداءات.

● **ركن الدين خورشاه**: ١٢٥٥م/١٢٥٨م: قاد هولاكو حملة سنة ١٢٥٦م وكان هدفه قلاع الإسماعيلية، وما زال يتقدم حتى استسلم له ركن الدين وسلمه قلعة آلموت وأربعين قلعة وحصناً كلها سويت بالأرض، فاستقبله هولاكو بترحاب وزوجه فتاة

مغولية، وفي عام ١٢٥٨م انتهى منه بقتله غيلة، وبذلك انتهت دولة الحشاشين سياسيًا في فارس.

● **شمس الدين محمد بن ركن الدين:** تقول روايات الإسماعيليين بأن ركن الدين قد أخفى ابنه شمس الدين محمد الذي هرب من بطش هولاكو متنكراً إلى جهة ما بجنوب القوقاز، ثم استقر في قرية أنجودا على الطريق بين أصفهان وهمدان. وبقي فيها إلى أن مات في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة وكان من عقبه سلسلة من الأئمة في القرن التاسع عشر ومنهم ظهرت أسرة أغاخان. انقسم الحشاشون بعد شمس الدين إلى قسمين:

ـ بعضهم نادى بإمامة محمد شاه، واعترفوا به وبالأئمة من نسله حتى انقطعت سلسلتهم في منتصف القرن العاشر الهجري، وكان آخرهم الإمام ظاهر شاه الثالث المعروف (بالدكنى) والذي هاجر إلى الهند وتوفي هناك حوالي سنة ٩٥٠هـ، وانقطع هذا الفرع على الرغم من وجود أتباع له إلى الآن في مصياف والقدموس بسوريا.

ـ وأصحاب الفرع الثاني اعتقدوا بإمامة قاسم شاه، وهؤلاء يشكلون العدد الأكبر من هذه الطائفة، وقد هاجروا إلى أعالي نهر جيحون.

● **الحشاشون في بلاد الشام:**

ـ ظهر لهم في بلاد الشام عدد من القادة مثل بهرام الاسترابادي، والداعي إسماعيل الفارسي، وقد استفادوا من استمالة رضوان بن تتش والي حلب إلى مذهبهم، فوفد إليها عدد كبير من إسماعيلية فارس مما قوى شوكتهم في بلاد الشام.

ـ أبرز شخصياتهم في الشام هو شيخ الجبل سنان بن سليمان بن محمود المعروف برشيد الدين الذي نشأ في البصرة، وتلقى علومه في قلعة آلموت وكان زميلاً لولي العهد الحسن بن محمد الذي أمره بالرحيل إلى بلاد الشام عندما صار الأمر إليه.

ـ انتقل إلى بلاد الشام وجمع الإسماعيلية حوله وصار لهم نفوذ وسلطان، واعترف الناس بإمامته، غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بآلموت، وقد كان شخصاً مخيفاً، وهم يذكرونه على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق.

ـ خلفه أمراء ضعاف مما سهل إنهاءهم والقضاء عليهم على يد الظاهر بيبرس.

ـ من قلاعهم في بلاد الشام: قلعة بانياس، حصن قدموس، حصن مصياف، الكهف، الخوابي، المنيقة، القليعة.

ـ امتلكوا عدداً من القلاع، وقاوموا الزنكيين، وحاولوا اغتيال صلاح الدين

الأيوبي عدة مرات.

- **ومما يؤكد تعاونهم مع الصليبيين:**

١ - عدم وقوع صليبي واحد من الغزاة أسيراً في أيديهم أو مقتولاً بسلاح أحدهم.

٢ - قاتلهم حاكم الموصل السلجوقي الذي حضر إلى دمشق لمساعدة إخوانه المسلمين في رد هجمات الصليبيين.

٣ - قيامهم بتسليم قلعة بانياس ولجوء قائدها إسماعيل إلى الصليبيين، إذ مات عندهم.

٤ - اشتراك كتيبة من الإسماعيليين مع الصليبيين في أنطاكية بعد أن احتل نور الدين حلب.

الأفكار والمعتقدات:

● تلتقي معتقداتهم مع معتقدات الإسماعيلية عامة من حيث ضرورة وجود إمام معصوم ومنصوص عليه وبشرط أن يكون الابن الأكبر للإمام السابق.

● كل الذين ظهروا من قادة الحشاشين إنما يمثلون الحجة والداعية للإمام المستور باستثناء الحسن الثاني وابنه فقد ادعيا بأنهما إمامان من نسل نزار.

● إمام الحشاشين بالشام رشيد الدين سنان بن سليمان قال بفكرة التناسخ(*) فضلاً عن عقائد الإسماعيلية التي يؤمنون بها، كما ادعى أنه يعلم الغيب.

● الحسن الثاني بن محمد: أعلن قيام القيامة، وألغى الشريعة(*)، وأسقط التكاليف.

● الحج لديهم ظاهره إلى البيت الحرام وحقيقته إلى إمام الزمان ظاهراً أو مستوراً.

● كان شعارهم في بعض مراحلهم (لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح).

● كانت وسيلتهم الاغتيال المنظم، وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء والإيمان بكل ما يلقى إليهم، وعندما يشتد ساعدهم يدربونهم على الأسلحة المعروفة ولا سيما الخناجر، ويعلمونهم الاختفاء والسرية وأن يقتل الفدائي نفسه قبل أن يبوح بكلمة واحدة من أسرارهم. وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التي أفزعوا بها العالم الإسلامي آنذاك.

● كانوا يمتنعون في سلسلة من القلاع والحصون، فلم يتركوا في منطقتهم مكاناً

مشرفاً إلا أقاموا عليه حصناً، ولم يتركوا قلعة إلا ووضعوا نصب أعينهم احتلالها.

● يقول عنهم المؤرخ كمال الدين بن العديم: في عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م «انخرط سكان جبل السماق في الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين، واختلط الرجال والنساء في حفلات الشراب، ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته، وارتدت النساء ملابس الرجال، وأعلن أحدهم بأن سناناً هوربه».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● أصولهم البعيدة شيعية ثم إسماعيلية.

● كان القتل والاغتيال وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم ونشر الخوف في قلوب أعدائهم.

● فكرة التناسخ(*) التي دعا إليها رشيد الدين سنان مأخوذة عن النصيرية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انطلقت دعوتهم من كرمان ويزد إلى أواسط إيران وأصفهان، ثم خوزستان، ثم هضبة الديلم، واستقرت في قلعة آلموت، وشرقاً وصلوا إلى مازندران، ثم قزوين، واحتلوا منطقة رودبار ولاماسار وكوهستان.. واحتلوا كثيراً من القلاع وامتدوا إلى نهر جيحون.

● وصلت دعوتهم إلى سوريا، وامتلكوا القلاع والحصون على طول البلاد وعرضها ومن قلاعهم بانياس ومصياف والقدموس والكهف والخوابي وسلمية.

● كان زوالهم في إيران على يد هولاكو المغولي، وفي سوريا على يد الظاهر بيبرس.

● لهم أتباع إلى الآن في إيران، وسوريا، ولبنان، واليمن، ونجران، والهند وفي أجزاء من أواسط ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي في السابق.

ويتضح مما سبق:

أن الحشاشين جناح من الإسماعيلية (النزارية) اتخذوا القتل وسيلة لهم وقاموا بحركة اغتيالات واسعة شملت كبار الشخصيات المناوئة للإسماعيليين من ملوك وقادة جيوش، وكل من يظهر خصومة لهم، وقد أفتى العلماء باستباحة دمائهم ووجوب تنظيف الأرض من دنسهم وعدم جواز أكل ذبيحتهم أو عقد صداقات معهم.

مراجع للتوسع:

- **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إحسان إلهي ظهير.
- **مشكاة الأنوار**، يحيى بن حمزة العلوي.
- **فضائح الباطنية**، لأبي حامد الغزالي.
- **الحشاشون**، تأليف برنارد لويس وتعريب محمد العزب موسى، دار المشرق العربي الكبير، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها**، د. محمد كامل حسين.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة.
- **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، برنارد لويس.

٤٨ـ البابيـة والبهائيـة

التعريف:

البابية والبهائية حركة(*) نبعت من المذهب(*) الشيعي الشيخي(*) سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار(*) الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ١٢٣٥ـ١٢٦٦هـ (١٨١٩ـ١٨٥٠م)**، ففي السادسة من عمره تلقى تعليمه الأولي على يد دعاة الشيخية(*) من الشيعة(*) ثم انقطع عن الدراسة ومارس التجارة.

ـ وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية(*) المتعبة.

ـ في عام ١٢٥٩هـ ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية في زمانه كاظم الرشتي، ويدرس أفكاره وآراء الشيخية. وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي، والمدعي الإسلام باسم عيسى النكراني، والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر، والباب الموصل إلى الحقيقة الإلهية والذي سيظهر بعد وفاة الرشتي، وذلك لما وجده مؤهلاً لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

ـ في ليلة الخميس ٥ جمادىٰ الأولى ١٢٦٠هـ ـ ٢٣ مارس ١٨٤٤م أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى ١٢٥٩هـ، وأنه رسول(*) كموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم السلام ـ بل وعياذاً بالله ـ أفضل منهم شأناً.

ـ فآمن به تلاميذ الرشتي وانخدع به العامة، واختار ثمانية عشر مبشراً لدعوته أطلق عليهم حروف الحي إلا أنه في عام ١٢٦١هـ قبض عليه فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل بعد أن عاش وأتباعه في الأرض فساداً وتقتيلاً وتكفيراً للمسلمين.

- في عام ١٢٦٦هـ ادعى الباب حلول الإلهية في شخصه حلولاً ماديًّا وجسمانيًّا؛ لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة. وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦هـ ٨ يوليو ١٨٥٠م.

● قرة العين واسمها الحقيقي أم سلمى ولدت في قزوين سنة ١٢٣١هـ أو ١٢٣٣هـ أو ١٢٣٥هـ للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة ودرست عليه العلوم، ومالت إلى الشيخية(*) بواسطة عمها الأصغر الملا علي الشيخي، وتأثرت بأفكارهم ومعتقداتهم، ثم رافقت الباب في الدراسة عند كاظم الرشتي بكربلاء حتى قيل إنها مهندسة أفكاره إذ كانت خطيبة مؤثرة، أديبة فصيحة اللسان فضلاً عن أنها جميلة جذابة، إلا أنها إباحية فاجرة طلقها زوجها وتبرأ منها أولادها. كانت تلقب بـ زرين تاج - صاحبة الشعر الذهبي - بالفارسية -.

- في رجب ١٢٦٤هـ اجتمعت مع زعماء البابية في مؤتمر بيدشت وكانت خطيبة القوم ومحرضة الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال الباب، وفيه أعلنت نسخ الشريعة الإسلامية(*).

- اشتركت في مؤامرة قتل الشاه ناصر الدين القاجاري، فقبض عليها وحكم بأن تحرق حية، ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في أول ذي القعدة ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٢م.

● **الميرزا يحيىٰ علي**: أخو البهاء والملقب بصبح أزل، أوصى له الباب بخلافته وسمى أصحابه بالأزليين فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة ثم في الرسالة والإلهية وحاول كل منهما دس السم لأخيه. ولشدة الخلافات بينهم وبين الشيعة تم نفيهم إلى أدرنة بتركيا في عام ١٨٦٣م، حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع صبح أزل وأتباع البهاء نفى السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلى عكا ونفى صبح أزل مع أتباعه إلى قبرص حتى مات ودفن بها في ٢٩ إبريل ١٩١٢م صباحاً عن عمر يناهز ٨٢ عاماً مخلفاً كتاباً أسماه **الألواح** - تكملة البيان بالفارسي - **والمستيقظ** ناسخ **البيان** وأوصى بالخلافة لابنه الذي تَنَصّر وانفض من حوله الأتباع.

● **الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود** ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول(*) الله

الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب، وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية.

ـ حاول قتل أخيه صبح أزل، وكان على علاقة باليهود في أدرنة بسالونيك في تركيا، والتي يطلق عليها البهائيون أرض السر التي أرسل منها إلى عكا، فقتل من أتباع أخيه صبح أزل الكثير. وفي عام ١٨٩٢م قتله بعض الأزليين ودفن بالبهجة بعكا وله **الأقدس** الذي نسخ به **البيان والإيقان**، وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين.

● **عباس أفندي**: **الملقب بـ عبد البهاء** ولد في ٢٣ مايو ١٨٤٤م يوم إعلان دعوة الباب نفسه، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق.

ـ زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال ١٩١١م، وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، كما استقبل الجنرال أللنبي لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب سير فضلاً عن أرفع الأوسمة الأخرى.

ـ زار لندن وأمريكا وألمانيا والمجر والنمسا والإسكندرية للخروج بالدعوة من حيز الكيان الإسلامي، فأسس في شيكاغو أكبر محفل للبهائية، رحل إلى حيفا ١٩١٣م ثم إلى القاهرة، إذ هلك بها في ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ بعد أن نسخ بعض تعاليم أبيه وأضاف إليها من العهد القديم(*) ما يؤيد أقواله.

● **شوقي أفندي**: خلف جده عبد البهاء وهو ابن الرابعة والعشرين من العمر في عام ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ وسار على نهجه في إعداد الجماعات البهائية في العالم لانتخاب بيت العدالة الدولي، ومات بلندن بأزمة قلبية ودفن بها في أرض قدمتها الحكومة البريطانية هدية للطائفة البهائية.

● في عام ١٩٦٣م تولى تسعة من البهائيين شؤون البهائية بتأسيس بيت العدالة الدولي من تسعة أعضاء أربعة من أمريكا، واثنان من إنجلترا وثلاثة من إيران وذلك برئاسة فرناندو سانت، ثم تولى رئاستها من بعده اليهودي الصهيوني ميسون الأمريكي الجنسية.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جمع الأشياء.

● يقولون بالحلول(*) والاتحاد(*) والتناسخ(*) وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط على وجه يشبه الخيال.

● يقدسون العدد ١٩، ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهراً وعدد أيام الشهر ١٩ يوماً. وقد تابعهم في هذا الهراء المدعو محمد رشاد خليفة حين ادَّعى قدسية خاصة للرقم ١٩، وحاول إثبات أن القرآن الكريم قائم في نظمه من حيث عدد الكلمات والحروف على ١٩، ولكن كلامه ساقط بكل المقاييس.

● يقولون بنبوة بوذا(*) وكنفوشيوس وبراهما(*) وزاردشت وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.

● يوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح(*).

● يؤولون القرآن تأويلات باطنية(*) ليتوافق مع مذهبهم.

● ينكرون معجزات الأنبياء(*) وحقيقة الملائكة والجن، كما ينكرون الجنة والنار.

● يحرمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة، وشيوعية النساء والأموال.

● يقولون إن دين(*) الباب ناسخ لشريعة محمد، ﷺ.

● يؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلى البهجة بعكا بفلسطين بدلاً من المسجد الحرام.

● والصلاة تؤدى في تسع ركعات ثلاث مرات والوضوء بماء الورد، وإن لم يوجد فالبسملة بسم الله الأطهر خمس مرات.

● لا توجد صلاة الجماعة إلا في الصلاة على الميت، وهي ست تكبيرات يقول كل تكبيرة «الله أبهى».

● الصيام عندهم في الشهر التاسع عشر شهر العلا فيجب فيه الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلى الغروب مدة تسعة عشر يوماً «شهر بهائي» ويكون آخرها عيد النيروز ٢١ آذار، وذلك من سن ١١ إلى ٤٢ فقط بعدها يعفى البهائيون من الصيام.

● تحريم الجهاد(*) وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية.

● ينكرون أن محمداً خاتم النبيين، مدعين استمرار الوحي(*) وقد وضعوا كتباً معارضة للقرآن الكريم مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب.

● يبطلون الحج إلى مكة وحجهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكا بفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الرافضة(*) الإمامية.
● الشيخية(*) أتباع الشيخ أحمد الإحسائي.
● الماسونية العالمية.
● الصهيونية العالمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسي، وكذلك لهم وجود في مصر حيث أغلقت محافلهم بقرار جمهوري رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م، كما أن لهم عدة محافل مركزية في أفريقيا بأديس أبابا وفي الحبشة وكمبالا بأوغندا ولوساكا بزامبيا التي عقد فيها مؤتمرهم السنوي في الفترة من ٢٣ مايو حتى ١٣ يونيو ١٩٨٩م، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا وكذلك المحفل الملى بكراتشي بباكستان. ولهم، أيضاً، حضور في الدول الغربية، فلهم في لندن وفيينا وفرانكفورت محافل، وكذلك بسيدني في أستراليا ويوجد في شيكاغو بالولايات المتحدة أكبر معبد لهم، وهو ما يطلق عليه مشرق الأذكار، ومنه تصدر مجلة **نجم الغرب**، وكذلك في ويلمنت النويز «المركز الأمريكي للعقيدة البهائية»، وفي نيويورك لهم قافلة الشرق والغرب، وهي حركة شبابية قامت على المبادىء البهائية، ولهم كتاب **دليل القافلة وأصدقاء العلم**. ولهم تجمعات كبيرة في هيوستن ولوس أنجلوس وبيركلين بنيويورك، إذ يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة بحوالي مليوني بهائي ينتسبون إلى ٦٠٠ جمعية. ومن العجيب أن لهذه الطائفة ممثلاً في الأمم المتحدة(*) في نيويورك فيكتور دي أرخو، ولهم ممثل في مقر الأمم المتحدة بجنيف(١) ونيروبي، وممثل خاص لأفريقيا، وكذلك عضو استشاري في

(١) اسمه أنطوان بلانكا المدير العام للمقر الأوروبي للأمم المتحدة، وأخيراً عينه الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي ليكون الأمين العام للمؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ـ فيينا ـ ٩٣ ـ ولذا قام بعقد اجتماع تحضيري في المؤسسة الرئيسة للطائفة البهائية في سويسرا، أكاديمية لانديغ.

المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة أيكوسكو Ecosco ، وكذلك في برنامج البيئة للأمم المتحدة Unep ، وفي اليونيسيف Unicef، وكذلك بمكتب الأمم المتحدة للمعلومات U.N. office of public information، ودزي بوس ممثل الجماعات البهائية الدولية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، ورستم خيروف الذي ينتمي إلى المؤسسة الدولية لبقاء الإنسانية.

ويتضح مما سبق:

أن البابية والبهائية من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أن رسول الله، ﷺ، هو خاتم الأنبياء(*) والمرسلين، وادعائهم بأن روح الله، عز وجل، حلت في الباب أو البهاء، وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين، وإعلانهم أن كتابهم **البيان** قد نسخ القرآن الكريم.

وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام،واعتبارها حرباً عليه،وبكفر(*) أتباعهما كفراً بواحاً سافراً لا تأويل فيه. (جريدة المدينة ـ الأحد ١٣٩٩/١١/٢هـ ٢٣ سبتمبر ١٩٧٩م).

مراجع للتوسع:

● **كتب ورسائل للبابيين والبهائيين:**

- **مجلة نجم الغرب** ـ تصدر من المحفل البهائي «مشرق الأذكار» شيكاغو.
- **جريدة الأخبار الآمرية** ـ لسان المحفل البهائي العالمي ـ بفلسطين المحتلة.
- **البيان الفارسي** ـ طبع في إيران والهند.
- **البيان العربي** ـ طبع في الهند والعراق.
- **الإيقان** ـ للبهاء ـ طبع في المحفل الملي بكراتشي ـ موجود نسخة بمكتبة باريس ولندن.
- **بهاء يا إلهي نسائم الرحمن** ـ المحفل الروحاني المركزي البهائي بشمال أفريقيا.
- **مذكرات دلغوركي** ـ صحيفة الشرق الروسية ١٩٢٥م.
- **الفرائد** ـ **لأبي الفضائل الجرفادقاني** ـ مطبعة أمين هندية القاهرة، وأعيد طبعه بالمحفل الملي بكراتشي باكستان.
- **الحجج البهية** ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٥م ـ وأعيد طبعه في المحفل الروحاني

للبهائية بشمال شرق أفريقيا.

- **مختصر المبادىء الإلهية** - المحفل الروحاني المركزي البهائي في شمال شرق أفريقيا.
- **الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية** - مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين إداره القاهرة ١٩٢٤م.
- **خطب عبد البهاء** في أوربا وأمريكا - المحفل الروحاني المركزي للبهائية بشمال شرق أفريقيا - أديس أبابا - الحبشة.
- **دائرة المعارف** للبساتي - طبع في طهران.
- **مقالة سائح في البابية والبهائية** لعبد البهاء - مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.
- **الألواح المباركة** - للبهاء - مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

● **كتب ورسائل لغير البابيين والبهائيين:**

- **مختصر التحفة الاثني عشرية** - للسيد محمود شكري الألوسي.
- **خفايا الطائفة البهائية**[1] - الدكتور محمد أحمد عوف - مطبعة دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢م.
- **البابية عرض ونقد** - إحسان إلهي ظهير.
- **البهائية أضواء وحقائق** - إحسان إلهي ظهير.
- **هذه هي البهائية** - إصدار رابطة العالم الإسلامي.
- **البابيون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم** - عبد الرازق الحسين.
- **البهائية تاريخها وعقيدتها** - عبد الرحمن الوكيل.
- **البيانات** أبو الأعلى المودودي.

(١) به ملحق لنص كتابي **البيان والأقدس** باللغة العربية.

٤٩ـ القاديانية

التعريف:

القاديانية حركة(*) نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار(*) الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد(*) بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة **الأديان** التي تصدر باللغة الإنجليزية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ ـ ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين(*) والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفيا للاستعمار مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور المتنبىء حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

ـ وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، إذ ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفر(*) وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام ١٩٠٨م مخلفاً أكثر من خمسين كتابا ونشرة ومقالا، ومن أهم كتبه: **إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تجليات إلهية**.

● نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون. من مؤلفاته: **فصل الخطاب**.

● محمد علي وخوجه كمال الدين: أميرا القاديانية اللاهورية، وهما مُنَظّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: **حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام، والدين الإسلامي**. أما الخوجة كمال الدين فله كتاب **المثل الأعلى في**

الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه الأحمدية تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يعدان حركة(*) واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس.

● محمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو مُنَظِّر القاديانية وجاسوس الاستعمار(*) والقائم على المجلة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية. من مؤلفاته: **حقيقة الاختلاف، النبوة(*) في الإسلام** على ما تقدم.

● محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: **خاتم النبيين**.

● بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته **سيرة المهدي، كلمة الفصل**.

● محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته **أنوار الخلافة، تحفة الملوك، حقيقة النبوة**.

● كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة، إذ خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالميًّا لهذه الطائفة وسموها ربوة استعارة من نص الآية القرآنية ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . [المؤمنون: ٥٠].

الأفكار والمعتقدات:

● بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد، ﷺ.

● يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطىء ويجامع ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ.

● يعتقد القادياني بأن إلهه(*) إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية.

● تعتقد القاديانية بأن النبوة(*) لم تختم بمحمد، ﷺ، بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.

● يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.

● يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا مايكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

● يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه **الكتاب المبين** وهو غير القرآن الكريم.

● يعتقدون أنهم أصحاب دين(*) جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

● يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل أفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

● نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد(*) كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن.

● كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية، كما أن من زوج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر.

● يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

الجذور الفكرية والعقائدية:

●كانت حركة(*) سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة.

● استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية، واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة.

● في عام ١٩٥٣م قامت ثورة(*) شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ، واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي عشرة آلاف من المسلمين، ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.

● وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٤ هـ الموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

● قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود يرحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة، وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

● من موجبات كفر(*) الميرزا غلام أحمد الآتي:

ـ ادعاؤه النبوة(*).

ـ نسخه فريضة الجهاد(*) خدمة للاستعمار.

- إلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إياه إلى قاديان.
- تشبيهه الله تعالى بالبشر.
- إيمانه بعقيدة التناسخ(*) والحلول(*).
- نسبته الولد إلى الله تعالىٰ وادعاؤه أنه ابن الإله!.
- إنكاره ختم النبوة بمحمد، ﷺ، وفتح بابها لكل من هبَّ ودبَّ.

● للقاديانية علاقات وطيدة مع إسرائيل، وقد فتحت لهم إسرائيل المراكز والمدارس ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم.

● تأثرهم بالمسيحية(*) واليهودية والحركات الباطنية(*) واضح في عقائدهم وسلوكهم على الرغم من ادعائهم الإسلام ظاهريا.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان، وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي، ويسعون بمساعدة الاستعمار(*) للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه.

● وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد على خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

● هذا وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب(*)، وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارات الشركات والمفوضيات، وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.

● نشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بجميع الوسائل وخصوصاً الثقافية منها، إذ إنهم مثقفون ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء. ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانية.

ويتضح مما سبق:

أن القاديانية دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم.

مراجع للتوسع:

- **القاديانية**، إحسان إلهي ظهير.
- **القاديانية**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، أبو الأعلى المودودي، محمد الخضر حسين.
- **تاريخ القاديانية**، ثناء الله الأمر تسري.
- **سوداء القاديانية**، محمد علي الأمر تسري.
- **فتنة القاديانية**، عتيق الرحمن عتيق (قادياني ـ سابقا).
- **المذهب القادياني**، إلياس برني.

٥٠- الحزب الجمهوري في السودان

التعريف:

هو حزب(*) سوداني أسسه محمود محمد طه ليدعو إلى قيام حكومة فيدرالية ديمقراطية(*) اشتراكية(*) تحكم بالشريعة الإنسانية. ومبادىء الحزب(*) مزيج من الأفكار الصوفية الغالية والفلسفات المختلفة مع شيء من الغموض والتعقيد المقصود بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً ولجذب أنظار المثقفين ثانياً.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذا الحزب هو المهندس محمود محمد طه الذي ولد عام ١٩١١م وتخرج في جامعة الخرطوم أيام الإنجليز عندما كان اسمها (كلية الخرطوم التذكارية) عام ١٩٣٦م.

- يمتاز بالقدرة على المجادلة والملاحاة.

- تعرَّض للسجن في الفترة الأخيرة من حياته، ثم أُفرج عنه بعد ذلك، لكنه قاد نشاطاً محموماً فور خروجه من السجن معترضاً على تطبيق الشريعة الإسلامية(*) في السودان ومحرضاً الجنوبيين النصارى ضدها، مما أدى إلى صدور حكم بالإعدام ضده مع أربعة من أنصاره بتهمة الزندقة(*) ومعارضة تطبيق الشريعة الإسلامية.

- أمهل ثلاثة أيام ليتوب خلالها، لكنه لم يتب، وقد أعدم شنقاً صباح يوم الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ الموافق ١٨/ ١/ ١٩٨٥م، وعلى مرأى من أتباعه الأربعة وهم:

١- تاج الدين عبد الرزاق ٣٥ سنة، العامل بإحدى شركات صناعة النسيج.

٢- خالد بكير حمزة ٢٢ سنة طالب بجامعة القاهرة - فرع الخرطوم.

٣- محمد صالح بشير ٣٦ سنة مستخدم بشركة الجزيرة للتجارة.

٤- عبد اللطيف عمر ٥١ سنة صحفي بجريدة **الصحافة**. وقد أعلنوا جميعاً توبتهم بعد يومين وأنقذوا بذلك رقابهم من حبل المشنقة.

الأفكار والمعتقدات:

● لهذه الحركة(*) أفكار ومعتقدات شاذة تنبو عن الحس الإسلامي، وقد حدد زعيمهم الأهداف التي يسعون إليها فيما يلي:

- إيجاد الفرد البشري الحر «الذي يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر ويعمل كما يقول».

- إقامة ما يسمى بالمجتمع الصالح «وهو المجتمع الذي يقوم على المساواة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية».

- المساواة الاقتصادية: وهي تبدأ بالاشتراكية(*) وتتطور نحو الشيوعية(*) (عندما كان لها طنين ورنين وقبل سقوطها الأخير) ولا ندري ماذا كان سيقول أتباعه بعد سقوط الشيوعية.

- المساواة السياسية: وهي تبدأ بالديمقراطية النيابية المباشرة(*) وتنتهي بالحرية(*) الفردية المطلقة، إذ يكون لكل فرد شريعته الفردية (وهذا منتهى الفوضى).

- المساواة الاجتماعية: إذ تمحى فوارق الطبقة واللون والعنصر والعقيدة.

- محاربة الخوف.. «والخوف من حيث هو الأب الشرعي لكل آفات الأخلاق ومعايب السلوك (ويعني هنا مخافة الله)، ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهي خائفة في أي مستوى من الخوف وفي أي لون من ألوانه، فالكمال السلامة من الخوف» **رسالة الصلاة، ص ٦٢**.

● نشأ الدين(*) - حسب زعمهم - من الخوف، إذ يقول: «ولما كان الإنسان الأول قد وجد نفسه في البيئة الطبيعية التي خلقه الله فيها محاطاً بالعداوات من جميع أقطاره فإنه قد سار في طريق الفكر والعمل من أجل الاحتفاظ بحياته، وقد هداه الله بعقله وقلبه إلى تقسيم القوى التي تحيط به إلى أصدقاء وإلى أعداء، ثم قسم الأعداء إلى أعداء يطيقهم وتنالهم قدرته، وإلى أعداء يفوقون طوقه ويعجزون قدرته.. فأما الأعداء الذين يطيقهم وتنالهم قدرته مثل الحيوان المفترس والإنسان العدو فقد عمد في أمرهم إلى المنازلة والمصاولة، وأما الأعداء الكبار والأصدقاء فقد هدته حيلته إلى التزلف إليهم بتقريب القرابين وبإظهار الخضوع وبالتملق، فأما الأصدقاء فبدافع من الرجاء، وأما الأعداء فبدافع من الخوف، وبدأت من يومئذ مراسيم العبادة ونشأ الدين» **رسالة الصلاة ص ٣١**.

● وسيلته إلى تحقيق هذه الأهداف تكون بالعمل على قيام حكومة في السودان ذات نظام جمهوري فيدرالي ديمقراطي اشتراكي.

● زعم أنه تلقى رسالة عن الله كفاحاً بدون واسطة.

● زعم بأن الدين هو الصدأ والدنس، وقد قام في ظل الأوهام والخرافات والأباطيل التي صحبت علمنا بالله وبحقائق الأشياء وبما يمليه علينا الواجب نحو أنفسنا ونحو الله ونحو الجماعة.

● يقول بأن مستوى شريعة الأصول هو مستوى الرسالة الثانية من الإسلام وهي الرسالة التي وظف حياته للتبشير بها والدعوة إليها.

● يزعم أن محمداً، ﷺ، هو وحده الإنسان في سائر أمته إذ كانت له شريعة خاصة قامت على أصول الإسلام وكانت شريعة أمته تقوم على الفروع.

● يشير إلى أن الشيوعية تختلف عن الاشتراكية اختلاف مقدار، فكأن الاشتراكية إنما هي طور مرحلي نحو الشيوعية، ولقد عاش المعصومُ يعني الرسول(*) ،ﷺ، الشيوعية في قمتها، كما يذكر ذلك في كتابه **الرسالة الثانية ص ١٤٧**.

● كان الجمهوريون يحرضون على خروج الأخوات الجمهوريات في تشييع الجنائز، وإذا اضطروا للصلاة فإن المرأة الجمهورية هي التي تؤذن في حضور الرجال.

● لا يولمون للزواج الجمهوري، ولا يضحون في مناسبة عيد الأضحى، مخالفة للسنة.

● الشهادتان: يقول زعيمهم في كتابه **الرسالة الثانية** ص ١٦٤، ١٦٥: «فهو حين يدخل من مدخل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يجاهد ليرقى بإتقان هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة، ولا يرى إلا أن الشاهد هو المشهود، وعندئذ يقف على الأعتاب ويخاطب كفاحاً بغير حجاب ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

● الصلاة: الصلاة بالمعنى القريب: هي الصلاة الشرعية ذات الحركات المعروفة، والصلاة بالمعنى البعيد: هي الصلة مع الله بلا واسطة، أو هي صلاة الأصالة.

● يرون بأن التكليف في مرحلة من المراحل يسقط عن الإنسان لاكتمال صلاحه، إذ لا داعي للعبادة حينذاك. على نحو ما يقول غلاة الصوفية.

● يقول مؤسس الحزب: «... ويومئذ لا يكون العبد مسيراً، إنما هو مخير قد أطاع الله حتى أطاعه الله معارضة لفعله، فيكون حيًّا حياة الله، وقادراً قدرة الله، ومريداً إرادة الله، ويكون الله» ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ـ وهذا هو مذهب الصوفية في وحدة الوجود.

● يقول رئيسهم: إن جبريل تخلف عن النبي(*)، وسار المعصوم بلا واسطة لحضرة الشهود الذاتي، لأن الشهود الذاتي لا يتم بواسطة.. والنبي الذي هو جبريلنا نحن يرقى بنا إلى سدرة منتهى كل منَّا، ويقف هناك كما وقف جبريل حتى يتم اللقاء بين العابد المجرد وبين الله بلا واسطة، فيأخذ كل عابد مجرد، من الأمة الإسلامية المقبلة شريعته الفردية بلا واسطة فتكون له شهادته، وتكون له صلاته وصيامه وزكاته وحجه ويكون في كل أولئك أصيلاً.

● هناك أشياء لا يعتبرونها أصلاً من الإسلام كالزكاة والحجاب والتعدد.

● يرى زعيمهم «بأن اللطائف تخرج من الكثائف، وعلى هذه القاعدة المطردة فإن الإنجيل[*] قد خرج من التوراة[*] كما ستخرج أمة المسلمين من المؤمنين، كما ستخرج الرسالة الأحمدية (أي الجمهورية) من الرسالة المحمدية، كما سيخرج الإخوان من الأصحاب».

● يقول محمود طه عن القرآن الكريم: «القرآن موسيقى علوية، هو يعلمك كل شيء ولا يعلمك شيئاً بعينه، هو ينبه قوى الإحساس ويشحذ أدوات الحس ثم يخلي بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك الخاص، هذا هو القرآن».

● له رأي خاص في معنى الشرك ومعنى التوحيد:

ـ الشرك لديه: «هو الكبت الذي انقسمت به النفس الإنسانية إلى عقل واع وعقل باطن بينهما تضاد وتعارض».

ـ يبيِّن مفهوم التوحيد من وجهة نظره بقوله: «ولا يكون الفكر مسدداً ولا مستقيماً إلا إذا أصاب نقطة التقاء الضدين العقل الواعي والباطن ـ هذا هو التوحيد».

● يقول عن الإسلام: «الإسلام في أصوله يحوي شريعة الإنسان، لكنه في فروعه لا يزال يحوي بعض السمات الملطفة من قانون الغابة».

● يعتقدون بأن الذين كانوا حول النبي هم أصحابه، أما الأتباع الذين يتبعون الدعوة الجمهورية فهم الإخوة معتمدين في ذلك على الحديث الذي رواه ابن ماجه في كتاب الزهد عن أبي هريرة عن النبي، ﷺ، قال: «**لوددنا أنا قد رأينا إخواننا**. قالوا: يا رسول الله أولسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي، وأنا فرطكم على الحوض. . ».

● يقول: « . . . وحين يكون إنجاب الذرية هو نتيجة العلاقة الجنسية بيننا وبين نسائنا تكون ثمرة العلاقة بين الذات القديمة وزوجها الإنسان الكامل ـ المعارف اللدنية ـ فإن انفعال العبودية للربوبية يرفع الحجب التي أنستنا النفس التي هي أصلنا ـ نفس الله تبارك وتعالى ـ وحين يتم اللقاء بين هذين الزوجين الذات الإلهية والإنسان الكامل (الجمهوري والجمهورية) ينبث العلم اللدني في فيض يغمر العبد الصالح من جميع أقطاره، ومن هذا العلم اللدني يوضع رجال ونساء».

ـ ويذكر قائلاً: «فهذا الوضع بين الذات الإلهية والإنسان الكامل ـ انفعال العبودية بالربوبية ـ هو الذي جاء الوضع منه بين الرجال والنساء انفعال الأنوثة بالذكورة، هو ما يسمى بالعلاقة الجنسية».

- ويقول، أيضاً: «انفعال الأنوثة بالذكورة، وهو ما يسمى عندنا بالعلاقة الجنسية، وتكون ثمرتها المباشرة تعميق الحياة واجتنابها ووصلها بالله بغير حجاب، وهذه هي ذروة اللذة».

● ويقول في الكتاب ذاته: «وليس لله تعالى صورة فيكونها ولا نهاية فيبلغها، وإنما حظه من ذلك أن يكون مستمر التكوين بتجديد حياة فكره وحياة شعوره في كل لحظة، وإلى ذلك تهدف العبادة».

الجذور الفكرية والعقدية:

● لقد جاءت أفكار هذا الحزب مزيجاً مشوشاً مضطرباً من أديان وآراء ومذاهب كثيرة حديثة وقديمة:

- فقد اعتمد مؤسس هذا الحزب على آراء محيي الدين بن عربي في كتابه **فصوص الحكم** مما حمل بعض النقاد على الاعتقاد بأنهم حركة صوفية باطنية(*)، يضاف إلى ذلك أنهم يطلقون البخور ويرقصون في الشوارع على الأنغام الإيقاعية في حلقات الذكر الجمهوري.

- يصدر في كثير من آرائه عن فرويد، وداروين.

- لعله متأثر بالنصرانية من خلال مناقشته لفكرة الإنسان الكامل الذي سيحاسب الناس بدلاً عن الله. وقد أخذ أفكاره من كتاب **الإنسان الكامل** لمؤلفه عبد الكريم الجبلي.

- اعتمد على الأفكار الاشتراكية الماركسية في تحديد معالم فكرة الدولة القادمة التي يدعو إليها.

- إنهم يلتقون في كثير من أفكارهم مع البهائية والقاديانية.

- على الرغم مما سبق فإنه يصدر كتبه بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية مستدلاً بهما فيما يدعو إليه، لكن ذلك لا يضفي عليها صفة الإسلام قط بل الحقيقة أنها لون من ألوان الردّة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● نشأ هذا الحزب(*) وترعرع في السودان، وأنصاره بلغوا بضع عشرات من الألوف، لكن عددهم انحسر وتقلص كثيراً جدًّا وذلك عقب إعدام زعيمهم، فيهم نسبة لا بأس بها من المثقفين الذين خلا فكرهم من الثقافة الإسلامية الدينية، ومن المتوقع أن ينقرض هذا الحزب تماماً نتيجة لانتشار الصحوة الإسلامية في السودان.

ويتضح مما سبق:

أن الحزب الجمهوري في السودان حزب منحرف عن الإسلام عمد مؤسسه إلى إفراغ المصطلحات الإسلامية من مدلولاتها الشرعية ووظف حياته لهدم الإسلام وتحريف أصوله وسلك طريقاً ينأى بأتباعه عن الدين الصحيح بتلبيس الحق بالباطل مستفيداً من أفكاره، ومستعيناً بمصادر أخرى غير إسلامية من الفلسفات الإغريقية، وتابع غلاة الصوفية في المناداة بوحدة الوجود، وألبسها طابعاً علميًّا لتجد سبيلها إلى نفوس الشباب وبعض المنبهرين ببريق العلم، وانتهى أمره بأن غالى فيه أتباعه واعتقدوه المسيح المنتظر، وأقرهم على ذلك ولم يعترض عليه. ولقد أراح الله المجتمع السوداني من شروره بعد أن استفحل أمره وأنقذ بإعدامه آلاف الشباب الأغرار وأنصاف المثقفين من فتنته.

مراجع للتوسع:

- **أسس دستور السودان**، ـ محمود محمد طه، وهو كتاب نادر الوجود إذ يعملون على إخفائه من الأسواق.
- **تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، محمود محمد طه.
- **طريق محمد**، محمود محمد طه.
- **كتاب رسائل ومقالات**، محمود محمد طه.
- **كتاب الإسلام والفنون**، محمود محمد طه.
- **رسالة الصلاة**، محمود محمد طه.
- لقد أصدر الجمهوريون كذلك كتاب (**الضحية ليست واجبة لا على الأغنياء ولا على الفقراء**).
- **الفكر الجمهوري تحت المجهر**، النور محمد أحمد، مطبوعات اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية، أمانة الشؤون الثقافية.
- دراسة مفصلة عن **الحزب الجمهوري** في ملفات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٥١ـ الأحباش

التعريف:

طائفة ضالة تنسب إلى عبدالله الحبشي، ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر للدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية(*) بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **عبدالله الهرري الحبشي**: هو عبدالله بن محمد الشيبي العبدري نسباً الهرري موطناً نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة، فيها ولد لقبيلة تدعى الشيباني نسبة إلى بني شيبة من القبائل العربية. ودرس في باديتها اللغة العربية والفقه الشافعي على الشيخ سعيد بن عبد الرحمن النوري والشيخ محمد يونس **جامع الفنون**، ثم ارتحل إلى منطقة جُمة وبها درس على الشيخ الشريف، وفيها نشأ شذوذه وانحرافه، إذ بايع(*) على الطريقة التيجانية. ثم ارتحل إلى منطقة داوىء من مناطق أرمو ودرس **صحيح البخاري وعلوم القرآن الكريم** على الحاج أحمد الكبير. ثم ارتحل إلى قرية قريبة من داوىء فالتقى بالشيخ مفتي السراج ـ تلميذ الشيخ يوسف النبهاني صاحب كتاب **شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق**، ودرس علي يديه الحديث. ومن هنا توغل في الصوفية وبايع على الطريقة الرفاعية. ثم أتى إلى سوريا ثم إلى لبنان من بلاد الحبشة في أفريقيا عام ١٩٦٩م. وذكر أتباعه أنه قدم عام ١٩٥٠م بعد أن أثار الفتن ضد المسلمين، إذ تعاون مع حاكم إندراجي صهر هيلاسيلاسي ضد الجمعيات الإسلامية لتحفيظ القرآن بمدينة هرر سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨م فيما عرف بفتنة بلاد كُلُب، فصدر الحكم على مدير المدرسة إبراهيم حسن بالسجن ثلاثاً وعشرين سنة مع النفي، إذ قضى نحبه في مقاطعة جوري بعد نفيه إليها. وبسبب تعاون عبدالله الهرري مع نظام هيلاسيلاسي، تم تسليم الدعاة والمشايخ إليه وإذلالهم حتى فر الكثيرون إلى مصر والسعودية، ولذلك أطلق عليه الناس هناك صفة «الفتّان» أو «شيخ الفتنة».

ـ منذ أن أتى لبنان وهو يعمل على بث الأحقاد والضغائن ونشر الفتن كما فعل في بلاده من قبل من نشره لعقيدته الفاسدة من شرك وترويج لمذاهب(*) الجهمية في تأويل صفات الله، والإرجاء والجبر والتصوف والباطنية والرفض، وسب للصحابة، واتهام لأم المؤمنين

عائشة بعصيان أمر الله، بالإضافة إلى فتاوى شاذة.

ـ نجح الحبشي مؤخراً في تخريج مجموعات كبيرة من المتبجحين والمتعصبين الذين لا يرون مسلماً إلا من أعلن الإذعان والخضوع لعقيدة شيخهم مع ما تتضمنه من إرجاء(*) في الإيمان، وجبر(*) في أفعال الله، وجهمية(*) واعتزال في صفات الله. فهم يطرقون بيوت الناس ويلحون عليهم بتعلم العقيدة الحبشية، ويوزعون عليهم كتب شيخهم بالمجان.

● **نزار الحلبي**: خليفة الحبشي ورئيس جمعية المشاريع الإسلامية، ويطلقون عليه لقب «سماحة الشيخ»، إذ يعدونه لمنصب دار الفتوى، إذ كانوا يكتبون على جدران الطرق «لا للمفتي حسن خالد الكافر، نعم للمفتي نزار الحلبي» وقد قتل مؤخراً.

● لديهم العديد من الشخصيات العامة، مثل النائب البرلماني عدنان الطرابلسي ومرشحهم الآخر طه ناجي الذي حصل على ١٧٠٠ صوت معظمهم من النصارى، إذ وعدهم بالقضاء على الأصولية(*) الإسلامية، لكن لم يكتب له النجاح، وحسان قرقيرا نائب رئيس جمعية المشاريع الإسلامية، وكمال الحوت وعماد الدين حيدر وعبد الله البارودي، وهؤلاء الذين يشرفون على أكبر أجهزة الأبحاث والمخطوطات مثل المؤسسة الثقافية للخدمات ومركز الأبحاث والخدمات، وقد بدأوا أخيراً في تحقيق كتب التراث تحقيقاً جهميًّا أشعريًّا ويحيلون إلى اسم غريب لا يعرفه حتى طلبة العلم فمثلاً يقولون: «قال الحافظ العبدري في دليله» فيدلسون على الناس فيظنون أن الحافظ من مشاهير علماء المسلمين مثل الحافظ ابن حجر أو النووي، وإنما هو في الحقيقة شيخهم ينقلون من كتابه الدليل **القويم** مثلاً.

الأفكار والمعتقدات:

● يزعم الأحباش أنهم على مذهب(*) الإمام الشافعي في الفقه والاعتقاد، ولكنهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن مذهب الإمام الشافعي يرحمه الله. فهم يؤولون(*) صفات الله تعالى بلا ضابط شرعي فيؤولون الاستواء بالاستيلاء كالمعتزلة والجهمية(*).

● يزعم الحبشي أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن الكريم وليس الله تعالى؛ فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى، وإنما هو عبارة عن كلام جبريل، كما في كتابه **إظهار العقيدة السنية** ص٥٩١.

● الأحباش في مسألة الإيمان من المرجئة(*) الجهمية الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، ويبقى الرجل عندهم مؤمناً وإن ترك الصلاة وسائر الأركان، (انظر **الدليل القويم** ص٧، **بغية الطالب** ص٥١).

ـ تبعاً لذلك يقللون من شأن التحاكم إلى القوانين الوضعية(*) المناقضة لحكم الله

تعالى فيقول الحبشي: «ومن لم يحكّم شرع الله في نفسه فلا يؤدي شيئاً من فرائض الله ولا يجتنب من المحرمات، ولكنه قال ولو مرة في العمر: لا إله إلا الله، فهذا مسلم مؤمن. ويقال له، أيضاً، مؤمن مذنب» **الدليل القويم ٩، ١٠ بغية الطالب ٥١**.

● الأحباش في القدر جبرية(*) منحرفة يزعمون أن الله هو الذي أعان الكافر على كفره وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر. (**النهج السليم ٧١**).

● يحث الأحباش الناس على التوجه إلى قبور الأموات والاستغاثة بهم وطلب قضاء، الحوائج منهم؛ لأنهم في زعمهم يخرجون من قبورهم لقضاء حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إليها، كما يجيزون الاستعاذة بغير الله، ويدعون للتبرك بالأحجار. (**الدليل القويم ١٧٣ بغية الطالب ٨ صريح البيان ٥٧، ٦٢**). (شريط خالد كنعان/ ب/ ٧٠) ولو قال قائل أعوذ برسول الله من النار لكان هذا مشروعاً عندهم.

● يرجح الأحباش الأحاديث الضعيفة والموضوعة بما يؤيد مذهبهم، بينما يحكمون بضعف الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا تؤيد مذهبهم ويتجلى ذلك في كتاب **المولد النبوي**.

● يكثر الحبشي من سب الصحابة وخاصة معاوية بن أبي سفيان، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنهم. ويطعن في خالد بن الوليد وغيره، ويقول إن الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه ماتوا ميتة جاهلية. ويكثر من التحذير من تكفير سابِّ الصحابة، لا سيما الشيخين إرضاءً للروافض(*). **إظهار العقيدة السنية ١٨٢**.

● يعتقد الحبشي أن الله تعالى خلق الكون لا لحكمة، وأرسل الرسل لا لحكمة، وأن من ربط فعلا من أفعال الله بالحكمة فهو مشرك.

● كفّر(*) الحبشي العديد من العلماء فحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه كافر، وجعل من أول الواجبات على المكلف أن يعتقد كفره، ولذلك يحذر أشد التحذير من كتبه، وكذا الإمام الذهبي فهو عنده خبيث، كما يزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجرم قاتل كافر، ويرى أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني كافر، وكذلك الشيخ سيد سابق. فيزعم أنه مجوسي كافر أما الأستاذ سيد قطب فمن كبار الخوارج(*) الكفرة في ظنه. انظر مجلة **منار الهدى** الحبشية عدد (٣ص٢٣٤) **النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعِه فيصل مولوي)** أما ابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود(*) ونظرية الحلول(*) والاتحاد(*) والذي شهد العلماء بكفره فيعده الحبشي شيخ الإسلام. كما يدعو الحبشي إلى الطريقة النقشبندية والرفاعية الصوفية.

● وللحبشي العديد من الفتاوى الشاذة القائلة بجواز التحايل في الدين، وأن النظر والاختلاط والمصافحة للمرأة الأجنبية حلال لا شيء فيه بل للمرأة أن تخرج متعطرة متبرجة ولو بغير رضا زوجها.

● يبيح بيع الصبي الحر وشراءه كما يجيز للناس ترك زكاة العملة الورقية بدعوى أنه لا علاقة لها بالزكاة إذ هي واجبة في الذهب والفضة، كما يجيز أكل الربا ويجيز الصلاة متلبساً بالنجاسة. (**بغية الطالب ٩٩**).

● أثار الأحباش في أمريكا وكندا فتنة تغيير اتجاه القبلة حتى صارت لهم مساجد خاصة، إذ حرفوا القبلة ٩٠ درجة، وصاروا يتوجهون إلى عكس قبلة المسلمين، إذ يعتقدون أن الأرض نصف كروية على شكل نصف البرتقالة، وفي لبنان يصلون في جماعات خاصة بهم بعد انتهاء جماعة المسجد، كما اشتهر عنهم ضرب أئمة المساجد والتطاول عليهم وإلقاء الدروس في مساجدهم لنشر أفكارهم على الرغم منهم. ويعملون على إثارة الشغب في المساجد، كل هذا بمدٍّ وعونٍ من أعداء المسلمين بما يقدمون لهم من دعم ومؤازرة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● مما سبق يتبين أن الجذور الفكرية والعقائدية للأحباش تتلخص في الآتي:
- المذهب(*) الأشعري المتأخر في قضايا الصفات الذي يقترب من منهج الجهمية(*).
- المرجئة(*) والجهمية في قضايا الإيمان.
- الطرق الصوفية المنحرفة مثل الرفاعية والنقشبندية.
- عقيدة الجفر(*) الباطنية.
- مجموعة من الأفكار والمناهج المنحرفة التي تجتمع على هدف الكيد للإسلام وتمزيق المسلمين. ولا يستبعد أن يكون الحبشي وأتباعه مدسوسين من قبل بعض القوى الخارجية لإحداث البلبلة والفرقة بين المسلمين، كما فعل عبد القادر الصوفي ثم المرابطي في إسبانيا وبريطانيا وغيرها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ينتشر الأحباش في لبنان بصورة تثير الريبة، إذ انتشرت مدارسهم الضخمة وصارت حافلاتهم تملأ المدن وأبنية مدارسهم تفوق سعة المدارس الحكومية، علاوة على الرواتب المغرية لمن ينضم إليهم ويعمل معهم، وأصبح لهم إذاعة في لبنان تبث أفكارهم وتدعو إلى مذهبهم، كذلك ينتشر أتباع الحبشي في أوربا وأمريكا، وقد أثاروا القلاقل في كندا وأستراليا

والسويد والدانمارك. كما أثاروا الفتن في لبنان بسبب فتوى شيخهم بتحويل اتجاه القبلة إلى جهة الشمال.

وقد بدأ انتشار أتباع هذا المذهب الضال في مناطق عدة من العالم حيثما وجد لبنانيون في البداية، ثم بعض المضللين ممن يعجب بدعوة الحبشي.

يتضح مما سبق:

أن الأحباش طائفة ضالة، تنتمي إلى الإسلام ظاهراً وتهدم عراه باطناً، وقد استغلت سوء الأوضاع الاقتصادية وما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من فقر وجهل في الدعوة إلى مبادئها الهدامة وإحياء الكثير من الأفكار والمعتقدات الباطلة التي عفّى عليها الدهر مثل قضايا خلق القرآن والخلاف المعروف في قضايا الصفات التي تصدّى لها علماء أهل السنة والجماعة في الماضي والحاضر. وقد تصدّى لهم عدد من علماء أهل السنة والجماعة في عصرنا مثل المحدث الشيخ الألباني وغيره، وأفتى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الفتوى رقم ٢٣٩٢/١ بتاريخ ٣٠/١٠/١٤٠٦هـ التي جاء فيها: «إن طائفة الأحباش طائفة ضالة، ورئيسهم عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله، فالواجب مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم الباطلة وتحذير الناس منهم ومن الاستماع لهم أو قبول ما يقولون».

مراجع للتوسع:

● **كتب ورسائل للأحباش:**

- **المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية**، عبد الله الحبشي.
- **التعقيب الحثيث** عبد الله الحبشي.
- **النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي**، عبد الله الحبشي.
- **الدليل القويم على الصراط المستقيم**، عبد الله الحبشي.
- **بغية الطالب في معرفة علم الدين الواجب**، عبد الله الحبشي.
- **إظهار العقيدة السنية شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الله الحبشي.
- **كتاب المولد النبوي**، عبد الله الحبشي.
- **صريح البيان**، عبد الله الحبشي.
- **الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية**، كمال أبو المنى «كمال الحوت».
- **التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني**، كمال أبو المنى «كمال الحوت».
- **بهجة النظر**، عبدالله الحبشي.

- مجلة منار الهدى.

● **كتب ورسائل ردت عليهم:**

- **الرد على الشيخ الحبشي** - الشيخ عثمان الصافي.
- **استواء الله على العرش** - أسامة القصاص.
- **الاستواء بين التنزيه والتشويه** - للأستاذ عوض منصور.
- **إطلاقة الأعنَّة** رسالة منسوبة للشيخ الهاشمي.
- **رسالة الرد على الحبشي في موضوع إعانة الكافرين على كفرهم** عدنان ياسين النقشبندي.
- **عبد الله الحبشي: عقائده وشذوذه**، عبد الرحمن دمشقية.
- **الرد على عبد الله الحبشي**، عبد الرحمن دمشقية.
- **بين أهل السنة وأهل الفتنة**، عبد الرحمن دمشقية.
- **شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة**، عبد الرحمن دمشقية مخطوط ومسجل على شريط كاسيت.
- **الأضواء الساطعة على ما في كتاب [الدليل القويم على الصراط المستقيم] من أفكار زائفة وعقائد زائغة**. الشيخ عثمان بن عبد القادر الصافي.
- **مجلة الفرقان** الكويتية. عدد (٢٣) رجب ١٤١٣هـ يناير ١٩٩٣م - إصدار جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت.
- **مجلة المجتمع** العدد (١٠٢٩) ٢٠ جمادى الآخر ١٤١٣هـ - ١٥ ديسمبر ١٩٩٢م - إصدار جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت.
- **مجلة المجلة** العدد (٦٧٩) ١٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
- **مجلة الشراع** اللبنانية في حوار مع عدنان الطرابلسي نائب البرلمان العدد (٥٧٤)، (٦٣٩) ١/ ٨/ ١٩٩٤م.
- **جريدة المسلمون** العدد (٤٠٧) بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٩٢م، (٤١٠) بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٩٢م.
- **الشرق الأوسط** العدد (٥١١٧) بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٩٢م.
- **الرد على الأحباش** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني شريط كاسيت.

٥٢ـ الأنصار

التعريف:

فرقة باطنية(*) عنصرية ظهرت بين السود في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات الميلادية، وامتدت إلى كندا وأمريكا الوسطى والجنوبية نظراً لقوة أنشطتها. وهي تدَّعي الإسلام والانتساب إلى المهدية في السودان، غير أن عقائدها خليط من النصرانية(*) واليهودية والبوذية والإسلام.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ولد مؤسس هذه الفرقة دوايت يورك Dwight York سنة ١٩٣٥م بمدينة نيويورك، وكان يتعاطى المخدرات، فقضى فترة من عمره في السجن. وهناك تعرف على مبادئ الإسلام ودرس النصرانية واليهودية وغيرها من الأديان(*) والفرق. وبعد إطلاق سراحه في أوائل الستينات، أسلم في مسجد ستايت ستريت Stat St. بحي بروكلين Brooklyn بمدينة نيويورك، وانتحل لنفسه اسم عيسى عبد الله. وبما أن الوضع الاجتماعي في أمريكا كان مشحوناً بالشعور القومي آنذاك، فقد أخذ عيسى يدعو شباب السود في ضواحي نيويورك إلى الإسلام، بطابع قومي، معتمداً في ذلك على تأويل نصوص الإنجيل(*) المتداول، والقرآن الكريم. واتخذ شعاراً لفرقته هلالاً بداخله نجمة داود، وبداخلها صليب فرعون، وقد أطلق على فرقته في بداية الأمر اسم (أنصار الصوفية الخالصة Ansar Pure Sufi) شعاراً للفرقة ثم غير اسم الفرقة إلى النوبيين Nobians انتساباً إلى قبائل النوبة بمصر والسودان، وإبرازاً للاتجاه القومي، ثم غيّر الاسم مرة أخرى إلى جمعية أنصار الله Ansare Allah Community كما فرض على أتباعه في البداية التحلي بقطعة عظم صغيرة في الأذن اليسرى، وارتداء طرابيش سوداء وملابس من غرب أفريقيا، ثم غيّر الزي إلى حلقة فضية في الأنف مع وضع العمامة على الرأس وارتداء الثوب السوداني.

● **النظام الاجتماعي والاقتصادي:**

ـ ألزم عيسى أتباعه بالسكن الجماعي، إذ تتجمع النساء في وحدة خاصة منفصلة

عن وحدة الرجال، ويتجمع الأطفال في وحدة أخرى منفصلة عنهما، وخصص غرفة واحدة في مهجع النساء للاتصال الجنسي بين المتزوجين بالتناوب، وسموا تلك الغرفة (الغرفة الخضراء). وكان عيسى الوحيد الذي يسمح له بحرية الاختلاط مع نساء الفرقة في سكنهن، فكثرت تقريرات العضوات اللاتي انسحبن من الفرقة بسبب دخوله على نساء الغير وحمل عشرات النساء في آن واحد بأولاد له، كما اختار عيسى بعض النساء كملك يمين له، إضافة إلى زوجاته الأربع اللاتي يبدلهن من حين إلى آخر، وحدد عيسى للنساء ما عدا زوجاته وملك يمينه أعمالاً جماعية معينة مثل الطبخ والخياطة وغسل الثياب وجمع معلومات لتأليف كتب تطبع باسمه.

- فرض عيسى على المعتنقين الجدد تسليم جميع ما عندهم من الأموال والممتلكات، وأجبر من كان يعمل منهم أو يدرس في الجامعات بترك العمل والدراسة، كما دعاهم إلى مقاطعة أقربائهم ومفاصلتهم وقطع صلتهم بهم، حتى لا يكون لهم أدنى درجة في الاستقلال المالي أو الفكري، واقتبس عيسى نظام التسوُّل الجماعي من الفرقة الهندوكية (هاري كريشنا Hari Krishan) التي كانت منتشرة بين الشباب البيض حينئذٍ، ففرضه على جميع أتباعه الذكور، إذ ظهروا في زوايا شوارع أحياء نيويورك وممرات مطار كيندي وعربات القطارات يتسولون من طلوع الشمس إلى غروبها، ويسلمون جميع ما يجمعون من التبرعات إلى عيسى، فيتصرف فيها كما يشاء، ومن لم يجمع الحد الأدنى من التبرعات التي عينها عيسى (خمسين دولاراً) حرم آخر النهار من مباشرة زوجته.

الأفكار والمعتقدات:

● زار عيسى السودان في عام ١٩٧٣م، وقابل أهل المهدي، والتقط عدة صور فوتوغرافية لنفسه مع أفراد عائلة المهدي، وعند عودته إلى أمريكا غيّر اسمه إلى عيسى عبد الله المهدي، وادعى أنه من أحفاد محمد أحمد المهدي، مستدلا على ذلك بالصور، كما ادعى أنه حصل على شهادة الدكتوراه في علوم الشريعة خلال الشهور الأربعة التي قضاها هناك. وقد زاره في نيويورك الصادق المهدي وبعض إخوانه الآخرين فصوروا الصادق يعانقه، ويصافحه وأتباعه، ويخطب في معبده تأييداً لدعواه، وغيّر عيسى اسمه مرة أخرى إلى عيسى الهادي المهدي، وأضاف اسمه واسم أمه إلى شجرة نسب المهدي المزعوم.

● أعلن عيسى في أواخر السبعينات أنه مجدد القرن منافساً لابن أليجا محمد

(المعروف بوارث دين محمد) الذي ادعاه آنذاك. وفي أوائل الثمانينات تطرق إلى الألوهية، إذ صرح في كتبه أنه الإله(*) المتجسد.

● يعتقد الأتباع أن الجنس الأبيض ليسوا بشراً على الحقيقة إذ لا أرواح لهم وإنما تلبست بأجسادهم الأرواح الشريرة فهم حسب اعتقاد الأتباع شياطين في صورة آدميين، أما الأنبياء فيعتقدون أنهم جميعاً كانوا من أصحاب البشرة السوداء.

● زعم عيسى أن جبريل جامع مريم البتول فأنجبت منه النبي عيسى (عليه الصلاة والسلام) وهو بدوره لم يرفعه الله إليه إنما توفاه الله في الأرض.

● ينكر أتباع عيسى نسخ التوراة(*) والإنجيل(*) ويقولون بعدم تحريفهما، وأوجب عيسى على أتباعه العمل بتعاليمهما.

● زعم عيسى أنه عثر على الصحف التي أنزلت على آدم وشيث وإبراهيم وإدريس كما ادعى أنه ترجم بعض نصوصها إلى اللغة الإنجليزية.

● زاد في الصلاة أشياء كثيرة، مثل أن يقول المصلي عند التشهد الأخير (اللهم صلى على محمد أحمد خليفة رسول الله، ثم ألغى الصلاة على النبي مدعيا أنه شِرْكٌ وعبادة موجهة إلى الرسول من دون الله تعالى).

● يعتبر الأتباع يوم الجمعة يوم تمهيد للعيد الأسبوعي، وهو يوم السبت فهم يؤدون في السبت بعض الطقوس المقتبسة من طقوس اليهود.

● يعتقد الأنصار أن نعيم الجنة نعيم نفسي، وأن آلام النار آلام نفسية، وليست حقيقية.

● يحرم الأنصار أكل لحوم الإبل والضب، كما لا يجيزون العمل في يوم السبت. كما أنهم يحلون وطء المرأة في دبرها، ويبيحون شرب الخمر لأداء الطقوس الدينية اليهودية.

● لهذه الفرقة صحف ومجلات وأكثر من مائتي كتاب، كلها تنسب إلى عيسى، وهي تتناول أفكار الفرقة واعتقاداتها ومن ضمنها ترجمة للأوراد الراتبة للمهدي السوداني المزعوم، وترجمة وتفسير لبعض أجزاء القرآن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

يقع مركز الفرقة في مدينة نيويورك، ولها أحياء كبيرة أخرى في واشنطن وفيلاديلفيا في الولايات المتحدة، وفي مونتريال بكندا وسان وان بجزيرة ترينيداد بأمريكا الوسطى، ولها فروع متوسطة الحجم في جورج تاون وجمهورية غيانا بأمريكا

الجنوبية، وجزيرة سانت فيسانت من جزر البحر الكاريبي.

ويتضح مما سبق:

أن الأنصار فرقة باطنية(*) عنصرية ظهرت بين السود في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الستينات، ومنها امتدت إلى دول مجاورة، وهي تدعي الإسلام والانتساب إلى المهدية في السودان، ويعتقد أتباع هذه الفرقة أن الجنس الأبيض لا أرواح لهم! وأنهم ليسوا بشراً! وقد زعم مؤسس هذه الفرقة أنه الإله(*) المتجسد، وافترى على مريم بهتانا عظيما، فقال إن جبريل جامعها فأنجب منها عيسى عليه السلام، وتنكر هذه الفرقة نسخ التوراة(*) والإنجيل(*)، وتحل وطء المرأة في دبرها، وغير ذلك من الأمور والعقائد الشاذة.

مراجع للتوسع:

- **(الفرق الباطنية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية/ مخطوطة).**
رسالة ماجستير باللغة العربية ١٩٨٥م بجامعة الملك سعود بالرياض ـ أبو أمينة بلال فيليبس.

٥٣ـ الخمينية

التعريف:

جاء الخميني بآراء وأفكار خاصة فرضها على الحكومة الإيرانية والتزم بها الشيعة(*) ـ في إيران على الأقل ـ والبعض لم يلتزم بها خارج إيران.. مما دعانا إلى إطلاق الخمينية على بدعته هذه، وقد يكون هذا العنوان مستغرباً ولكنه الواقع الذي فرض نفسه.

الأفكار والمعتقدات:

● من بين الأفكار التي جاء بها الخميني ولم يسبقه فيها أحد من أئمة المذهب(*) الإمامي، فتعد من اجتهاده، وقد تضمنها الدستور الإيراني ما يلي:

● ولاية الفقيه: وتستند هذه الفكرة التي نادى بها الخميني على أساس الاعتقاد بأن الفقيه الذي اجتمعت له الكفاءة العلمية وصفة العدالة، يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة على شؤون العباد والبلاد، باعتباره الوصي على شؤونهم في غيبة الإمام المنتظر. وهذه الفكرة لم يقل بها علماء المذهب المحدثون ولا القدماء، إذ إنهم خصوا الفقيه العادل الذي بلغ مرتبة الاجتهاد(*) المطلق بالولاية الخاصة. وقد استدلوا جميعاً بدليلين هما:

ـ **الأول**: عدم وجود دليل قطعي مستفاد من آثار الأئمة المعصومين ومروياتهم يدل على وجوب طاعة الفقيه طاعة مطلقة في دائرتي الأحكام الخاصة والعامة سواء بسواء.

ـ **الثاني**: إن إثبات الولاية العامة للفقيه تنتهي لا محالة إلى التسوية بينه وبين الإمام المعصوم، وهذا ما لا تؤيده حجة من عقل(*) أو نقل.

ـ فإن منح الفقيه حق الولاية العامة يؤدي منطقيًّا إلى رفع منزلته إلى مقام الإمام المعصوم، وهو ما ادعاه الخميني لنفسه بدعوى (استمرارية الإمامة والقيادة) العامة في غيبة المهدي. ومما يترتب على القول بولاية الفقيه:

الاستبداد واحتكار السلطة والتشريع والفقه وفهم الأحكام، بحيث يصبح الحاكم معصوماً عن الخطأ، لا أحد من الأمة يخطئه في أمر من الأمور، ولا يعترض عليه ولو كان مجلساً للشورى.

● ادعاء الخميني بأن الأنبياء(*) والرسل(*) لم يكملوا رسالات السماء، ولم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة في العالم، وأن الشخص الذي سينجح في نشر العدل الكامل بين

الناس هو المهدي المنتظر.

ـ وقد قال الخميني بهذا الادعاء في ذكرى مولد الإمام المهدي، وهو أحد أئمة الشيعة، في الخامس عشر من شعبان ١٤٠٠هـ.

ـ ويعد قوله هذا منافيا لكل ما قررته العقيدة الإسلامية، وفيه إنكار لتعاليم الكتاب والسنة وإجماع(*) الأمة على أن نبينا محمداً، ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو المصلح الأعظم للبشرية جمعاء، إذ أرسل بأكمل الرسالات وأتمها كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

● يقول الخميني في بيان منزلة الأئمة: فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون.

ـ ويقول: «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة».

ـ ويقول: «ومن ضروريات مذهبنا(*) أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ـ وأن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها.

وهو بهذا يرفع الأئمة إلى مقام فوق مقام البشر والعياذ بالله.

● الولاء(*) والبراء(*) عند الشيعة بشكل عام هو: الولاء للأئمة والبراء من أعدائهم، وأعداء الأئمة في اعتقادهم جيل الصحابة رضي الله عنهم، والخميني يجعل السجود موضع دعاء التولي والتبري وصيغته: «الإسلام ديني ومحمد نبيي وعلي والحسن والحسين.. (يعدهم لآخرهم) أئمتي، بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرى» وهناك آراء وأفكار لدى الشيعة عامة قال بها الخميني، وأعاد صياغتها في الدستور الإيراني وفي كتبه التي نشرها.

● مصادر التلقي عنده هي مصادر الشيعة عامة وأهمها الكتب الأربعة الآتية:

ـ **كتاب الكافي**، لمحمد بن يعقوب الكليني الرازي، ويعد **كصحيح البخاري** عند أهل السنة.

ـ **من لا يحضره الفقيه**، لمحدثهم محمد بن علي بن بابويه الرازي.

ـ **تهذيب الأحكام**، لشيخ الطائفة ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ بالنجف.

ـ **الاستبصار**، للطوسي نفسه.

والخميني يعتمد هذه الكتب الأربعة ويعرض عن كل كتب السنة المعتمدة.

● التقية(*) وهي من أصول المذهب الشيعي يقول عنها الخميني: «هذه التقية التي كانت تتخذ لحفظ المذهب من الاندراس لا لحفظ النفس خاصة».

● الجهاد(*) الإسلامي معطل في حال غياب الإمام.

● موقف الخميني من الصحابة، هو موقف الشيعة عامة.

● وكذلك موقفه من الخلافة(*) الإسلامية، إذ يرى أن الإسلام لم يتمثل إلا في عهد الرسول، ﷺ، وعهد علي رضي الله عنه.

● يوثق الخميني الملاحدة أمثال نصير الدين الطوسي ٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ وزير هولاكو الذي دمر بغداد وقضى على الخلافة الإسلامية.

● الاحتفال بعيد النيروز ـ الفارسي الأصل ـ إذ يجعل الغسل فيه مستحباً والصوم فيه مشروعاً.

● وللخميني في كتابه **تحرير الوسيلة** آراء فقهية خاصة به وبالشيعة(*) عامة ليس لها سند من السنة الصحيحة.. منها:

ـ طهارة ماء الاستنجاء.

ـ من مبطلات الصلاة وضع اليد على الأخرى.

ـ الطهارة ليست شرطاً في كل موضع الصلاة بل في موضع السجود فقط.

ـ جواز وطء الزوجة في دبرها.

ـ جواز الجمع بين المرأة وخالتها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

مذهب(*) الشيعة الإمامية أو الجعفرية هو الأساس الفكري للخمينية، ومن كتب الشيعة(*) كوّن الخميني فكره.. وقد ظل متعصباً لمذهبه حتى آخر حياته.

ويتضح مما سبق:

أن الخمينية تقيم فلسفتها جملة وتفصيلاً على قراءة منحرفة قوامها التلفيق والتدليس لكل تاريخ المسلمين، فتأتي على رموزه وكبار مؤسسيه هدما وتشويها وتمويها، وتعمد إلى إفساد العقيدة وطمس معالم الإسلام وتشويه مقاصده النبيلة، باسم التعصب لأهل البيت، وتصرح بما يخرج عن ملة الإسلام، مثل ادعائهم نقص القرآن وتغييره وجهرهم بالسوء في حق الصحابة، ومخالفتهم الإجماع(*) بإباحتهم نكاح المتعة وجعلهم المذهبية مادة في دستور إيران، وتحالفاتهم الإستراتيجية المرفوضة وغير ذلك من صور التآمر على واقع الإسلام والمسلمين.

مراجع للتوسع:

- **الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)** للخميني إعداد الدكتور حسن حنفي - القاهرة ١٩٧٩م.
- **تحرير الوسيلة**، للخميني.
- **وجاء دور المجوس**، للدكتور عبد الله محمد الغريب.
- **سراب في إيران**، للدكتور أحمد الأفغاني.
- **الخميني بين التطرف والاعتدال**، للدكتور عبد الله محمد الغريب.
- **الخميني في أقواله وأفعاله**، أحمد مغنية.
- **الخميني الحل الإسلامي البديل**، فتحي عبد العزيز.
- **الثورة الإيرانية في أبعادها الفكرية والاجتماعية**، حسن الزين.
- **ولاية الفقيه في ميزان الإسلام**، د. فاروق عبد السلام - القاهرة ١٤٠٧هـ.
- **نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي** لمجموعة من المفكرين.
- **الفكر القائد للثورة الإيرانية**، د. محمد عمارة - القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **إيران بعد سقوط الخميني**، د. موسى الموسوي، تعريب د. سمير عبد الحميد إبراهيم - بدون تاريخ ودار نشر.

٥٤- أمل (أفواج المقاومة اللبنانية)

التعريف:

أمل: حركة(*) شيعية لبنانية مسلحة، أسسها موسى الصدر في لبنان سنة ١٩٧٥م لتكون الجناح العسكري لحركة المحرومين (الشيعة). وللدفاع عن مصالح الشيعة(*). كمذهب متميز عن السنة، في الصراع الطائفي اللبناني.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بعد حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م عبأ موسى الصدر شيعة جنوب لبنان بسبب الصراع المسلح، لحماية الشيعة في مواجهة اليهود في فلسطين المحتلة. وفي عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م أسس الصدر حركة المحرومين. . للدفاع عن مصالح الشيعة في لبنان، وألحق بها ميليشيا مسلحة عام ١٩٧٥م أطلق عليها اسم (أفواج المقاومة اللبنانية) وعرفت هذه الميليشيا اختصاراً بـ(أمل) وهي كلمة تضم الحروف الأولى من اسم الميليشيا، وتدربت حركة أمل على السلاح في معسكرات منظمة فتح الفلسطينية.

● وبقيت حركة أمل تحت قيادة موسى الصدر إلى أن اختفى في ظروف غامضة فتسلم قيادتها نبيه بري القائد الحالي للمنظمة.

وأبرز الشخصيات في حركة أمل هم:

● موسى الصدر: ولد في مدينة قم بإيران عام ١٩٢٨م. وتخرج من جامعة طهران، كلية الحقوق والاقتصاد والسياسة وليس العلوم الشرعية!! وتربطه بالخميني صلة نسب، إذ إن أحمد ابن الخميني متزوج من بنت أخت موسى الصدر، وابن أخت الصدر متزوج من حفيدة الخميني. وقد توجه الصدر إلى لبنان سنة ١٩٥٨م بناء على أوامر من شاه إيران وأقام فيها، وحصل على الجنسية اللبنانية بقرار من فؤاد شهاب الذي تولى رئاسة الجمهورية في لبنان بين عامي ١٩٥٨م -١٩٦٤م، ولا يعلم أحدٌ سر هذا القرار الفريد من نوعه؛ ذلك أن الجنسية اللبنانية، يصعب الحصول عليها من غير النصارى، وما تزال هناك قبائل ومواطنون لبنانيون منذ القديم لا يحملون الجنسية اللبنانية، فكيف منح الصدر الجنسية بهذه السرعة وهو إيراني مسلم!!.

- في نهاية الستينات نصّب الصدر نفسه قائداً للشيعة، وقد صُدّق هذا التنصيب بعد أن اختير في سنة ١٩٦٩م رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى الذي شكلته الحكومة وقتها استجابة

لطلبات الشيعة، إذ أصبح صوتها عالياً ومؤثراً في مسرى الحياة السياسية اللبنانية بفضل الصدر وبموافقة الموارنة. وبتشكيل المجلس الشيعي الأعلى انفصل الشيعة عن السنة في لبنان، وصاروا طائفة مستقلة كالموارنة، وقام الصدر بعد ذلك بإنشاء المدارس والنوادي وجعلها مركزاً لنشاطه السياسي المشبوه.

ـ اختفى موسى الصدر في سنة ١٩٧٨م عندما كان في زيارة إلى ليبيا وتقول ليبيا إنه غادرها إلى أوربا، ولا يُعلم سبب اختفائه حتى الآن.

● نبيه بري: وهو محام لبناني ولد في سيراليون وعاش معظم سني عمره بعد تخرجه من الجامعة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ديترويت جاء أو جيء به ليكون الرجل الأول في لبنان، وتسلم رئاسة مجلس قيادة أمل في أوائل سنة ١٩٨٠م.

● محمد مهدي شمس الدين: مفتي الشيعة، ونائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان لأن موسى الصدر ما زال هو الرئيس حتى الآن.

● حسين الحسيني: ويشغل وظيفة الأمين العام لحركة أمل.

● مصطفى جمران أو مصطفى شمران كما كان يطلق عليه في لبنان قبل نشوب الثورة الشيعية في إيران ووزير الدفاع الإيراني بعد ثورة إيران على الشاه. وكان من أكبر أعوان موسى الصدر، وكان يتولى الإشراف على فروع حركة أمل العسكرية قبل نشوب الثورة الإيرانية.

الأفكار والمعتقدات:

● حركة(*) أمل شيعية المذهب(*)، تتبع المذهب الجعفري في جميع معتقداته.

● الثورة والصراع المسلح من أسس قيام حركة أمل، ولكن الثورة ضد من؟!

ـ ليست ضد الموارنة لأن موسى الصدر مؤسس الحركة سانده الموارنة وأعطوه الجنسية وفتحوا له كل الأبواب في لبنان.. ونصبوه زعيماً للشيعة هناك!

ـ وليست ضد اليهود (إسرائيل) لأن تصريحات موسى الصدر عندما بدأت صورته الحقيقية تتضح قال: «لسنا في حالة حرب مع إسرائيل والعمل الفدائي يحرجنا»!

ـ إذن لم يبق إلا السنة والمنظمات الفلسطينية التي يعدونها من السنَّة وخطراً عليهم.. وهذا يتضح من خطبه في مناطق متعددة في لبنان بعد أن استتب له الأمر، إذ نقلت الصحف اللبنانية عنه سنة ١٩٧٤م: «الثورة(*) لم تمت في رمال كربلاء بل تدفقت في مجرى حياة العالم الإسلامي». وقال، أيضاً: «وابتداء من اليوم لن نشكو ولن نبكي، فاسمنا هو الرافضون رجال الثأر. لقد واجه الحسين العدو ومعه سبعون رجلاً، وكان العدو كثير العدد،

أما اليوم فنحن نعد أكثر من سبعين، ولا يعد عدونا ربع سكان العالم».

● لا بأس أن نذكر أن موسى الصدر رفع شعارات لحركة(*) المحرومين التي هي أصل حركة أمل، من هذه الشعارات التي انكشف زيفها بعد ذلك: الإيمان بالله والتراث اللبناني!! والعدالة الاجتماعية والوطنية، خاصة في الجنوب لإبعاد شبهة تعامل قادتهم مع إسرائيل وتحرير فلسطين، وأن الحركة لجميع المحرومين وليست خاصة بالشيعة!!.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ظاهر حركة أمل، أنها حركة سياسية ولا تهتم بالأمور الدينية، وهمّها الأول لبنان وليس لها ارتباطات خارجية.. والواقع يثبت أنها منذ تأسيسها على يد موسى الصدر وهي مرتبطة بالفكر الشيعي المتعصب ضد السنة. وهذا يظهر من تحالفاتها الظاهرة والمستترة.. مع أعداء الإسلام لضرب السنة في لبنان.. ولا تزال تتلقى الدعم الكامل ليبقى لها دورها المرسوم من قبل الأعداء.. على الرغم من تشكيل ما يدعى حزب(*) الله ـ الموالي لإيران ـ والذي يظهر له اتجاه ديني أكثر من حركة أمل.

ويتضح مما سبق:

أن حركة أمل في لبنان ليست حركة دينية ولكنها علمانية ولا يهدف القائمون عليها ـ كما يدّعون ـ إلى تحقيق مكاسب فئوية بل يعتبرونها حركة المحرومين جميعاً. وميثاقها خال من المعنى الإسلامي ولا تدعو إلى تحكيم شرع الله في لبنان. وقد تم صياغة ميثاقها عام ١٩٧٥م من قبل ١٨٠ مثقفاً لبنانياً معظمهم من النصارى، ومما يؤسف له أنها تعاونت مع القوات الصهيونية في بيروت الغربية وفي جنوب لبنان ضد الفلسطينيين بسبب تلاقي المصالح المزعومة وأحياناً يوزعون الأدوار بينهم لخدمة هذه المصالح.

مراجع للتوسع:

- **وجاء دور المجوس**، الدكتور عبد الله محمد الغريب.
- **أمل والمخيمات الفلسطينية**، للدكتور عبد الله محمد الغريب، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٩هـ (بدون دار نشر ولا تاريخ).
- **إيران في ربع قرن**، للدكتور موسى الموسوي.
- **رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي الجزء الثاني دور الشعوبيين الباطنيين في محنة لبنان** لمحمد عبد الغني النواوي باكستان ـ إسلام آباد ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

الفصل الحادي عشر

من الأحزاب والحركات والاتجاهات المعاصرة

● القومية العربية ● حزب الوفد في مصر
● حركة تحرير المرأة ● الحزب الديمقراطي الكردستاني ● الحزب القومي السوري
● البانتشاسيلا ● حزب البعث ● الناصرية

٥٥- القومية العربية

التعريف:

حركة(*) سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين(*). وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة(*) العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقرًّا لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م.

وفيما يلي إشارة إلى أهم الجمعيات ذات التوجه القومي حسب التسلسل التاريخي:

- الجمعية السورية: أسسها نصارى منهم بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق.

- الجمعية السورية في بيروت أسسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري سنة ١٨٦٨م.

- الجمعية العربية السرية: ظهرت سنة ١٨٧٥م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

- جمعية حقوق المرأة العربية ظهرت سنة ١٨٨١م ولها فروع كذلك، وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى.

- جمعية رابطة الوطن العربي أسسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤م بباريس وألف كتاب **يقظة العرب**.

- جمعية الوطن العربي: أسسها خير الله خير الله سنة ١٩٠٥م بباريس، وفي هذه السنة نشر أول كتاب قومي بعنوان **الحركة الوطنية العربية**.

- الجمعية القحطانية ظهرت سنة ١٩٠٩م وهي جمعية سرية من مؤسسيها خليل حمادة المصري.

- جمعية (العربية الفتاة): أسسها في باريس طلاب عرب منهم محمد البعلبكي سنة ١٩١١م.
- الكتلة النيابية العربية: ظهرت سنة ١٩١١م.

- حزب(*) اللامركزية: سنة ١٩١٢م.

- الجمعيات الإصلاحية: أواخر ١٩١٢م وقد قامت في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل وتتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى.

- المؤتمر العربي في باريس: أسسه بعض الطلاب العرب سنة ١٩١٢م.

- حزب العهد: ١٩١٢م وهو سري، أنشأه ضباط عرب في الجيش العثماني.

- جمعية العلم الأخضر سنة ١٩١٣م، من مؤسسيها الدكتور فائق شاكر.

- جمعية العلم، وقد ظهرت سنة ١٩١٤م، في الموصل.

● هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تيارًا شعبيًّا عامًّا إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته. ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

● يعد ساطع الحصري ١٨٨٠ ـ ١٩٦٨م داعية القومية العربية، وأهم مفكريها، وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية ميشيل عفلق.

الأفكار والمعتقدات:

● يعلي الفكر القومي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة الدين(*)، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين(*)، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعاداً تامًّا عن الروابط التي تقوم عليها الأمة، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها، ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين(*).

● ولأن أساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية والاجتماعية والتربوية والتشريعية فإنها تعد ردة إلى الجاهلية(*)، وضربًا من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي؛ لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوربا.

● يصفها سماحة الشيخ ابن باز بأنها: «دعوة جاهلية(*) إلحادية(*) تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه». ويقول عنها: «وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول.. فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام، واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد(*) وخصوم الإسلام في كل مكان». ويقول، أيضاً: «هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية(*) نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله».

● يرى دعاة الفكر القومي ـ على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر ـ أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي: اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة.

● ويرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة، وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد الذي يمتد من الخليج إلى المحيط.

● كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة، ينبغي أن تزال، وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس من الفكر العلماني.

● يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون.

ـ لذلك يتبنى شعار: «الدين لله والوطن للجميع». والهدف من هذا الشعار، إقصاء

الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

- يرى الفكر القومي أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة.

- يقول عدد من قادة هذا الفكر: نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

● ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم.

- وأن فكرة القومية العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبدعها الأفراد.

- كثيراً ما يتمثل دعاة الفكر القومي بقول الشاعر القروي:

هبوني عيداً يجعل العرب أمةً ... وسيروا بجثماني على دين بَرْهَمِ
سلام على كفرٍ يوحِّد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنمِ

- يقول بعض دعاة الفكر القومي: إن العبقرية العربية عبرت عن نفسها بأشكال شتى، فمثلاً عبرت ذات مرة عن نفسها بشريعة حمورابي، ومرة أخرى بالشعر الجاهلي، وثالثة بالإسلام.

- وقال أحد مشاهيرهم: لقد كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب محمداً.

● يرى دعاة الفكر القومي أن من الإجرام أن يتخلى العربي عن قوميته، ويتجاوزها إلى الإيمان بفكرة عالمية أو أممية. مع أن إبعاد الإسلام عن معترك حياة العرب ينهي وجودهم.

● يقول بعض مفكري القومية العربية: إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة، فإن القومية العربية هي نبوة هذا العصر.

- ويقول بعضهم الآخر: إن العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية(*)، ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي والمسيحيون على إنجيل(*) المسيح(*).

● ويقرر بعضهم الآخر أن المرحلة القومية في حياة الأمة، مرحلة حتمية(*)، وهي آخر مراحل التطور كما أنها أعلى درجات التفكير الإنساني.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الدعوة القومية التي ظهرت في أوربا وتأسست بتأثيرها دول مثل إيطاليا وألمانيا.

● يظهر الواقع أن الاستعمار(*) هو الذي شجع الفكر القومي وعمل على نشره بين

المسلمين حتى تصبح القومية بديلاً عن الدين(*)، مما يؤدي إلى انهيار عقائدهم، ويعمل على تمزيقهم سياسيًّا، إذ تثور العداوات المتوقعة بين شعوبهم المختلفة.

● يلاحظ نشاط نصارى بلاد الشام وخاصة لبنان، في الدعوة إلى الفكر القومي أيام الدولة العثمانية، وذلك لأن هذا الفكر يعمق العداوة مع الدولة العثمانية المسلمة التي يكرهونها، وينبه في العرب جانباً من شخصيتهم غير الدينية، مما يبعد بهم عن العثمانيين.

● من بعض الجوانب يمكن أن يعد ظهور الفكر القومي العربي رد فعل للفكر القومي التركي الطوراني(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● يوجد كثير من الشباب العربي ومن المفكرين العرب الذين يحملون هذا الفكر، كما توجد عدة أحزاب(*) قومية منتشرة في البلاد العربية مثل حركة الوحدة الشعبية في تونس، وحزب البعث بشقيه في العراق وسوريا، وبقايا الناصريين في مصر وبلاد الشام، وفي ليبيا.

● كثير من الحكام يتبارون في ادعاء القومية، وكل منهم يفتخر بأنه رائد القومية العربية ويدّعي أنه الأجدر بزعامتها.

● يلاحظ أن الفكر القومي الآن هو في حالة تراجع وانحسار.

مراجع للتوسع:

- **القومية العربية تاريخها وقوامها**، مصطفى الشهابي.
- **اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية**، ساطع الحصري.
- **العروبة أولًا**، ساطع الحصري.
- **الإقليمية جذورها وبذورها**، ساطع الحصري.
- **قضية العرب**، علي ناصر.
- **القومية العربية**، د. أبو الفتوح رضوان.
- **أرض العروبة**، عبد الحي حسن العمراني.
- **بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية**، أبو الأعلى المودودي.
- **تطور المفهوم القومي عند العرب**، أنيس صائغ.
- **حقيقة القومية العربية**، محمد الغزالي.
- **دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضارتهم الإنسانية**، د. محمد معروف الدواليبي.
- **الشعوبية الجديدة**، محمد مصطفى رمضان.

- **محنة القومية العربية**، أركان عبادي.
- **معنى القومية العربية**، جورج حنا.
- **نشوء القومية العربية**، زين نور الدين زين.
- **نقد القومية العربية**، الشيخ عبدالعزيز بن باز.
- **يقظة العرب**، ترجمة د. ناصر الدين الأسد، د. إحسان عباس.
- **فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام**، صالح بن عبد الله العبود.
- **نشأة الحركة العربية الحديثة**، محمد عزة دروزة.
- **حول القومية العربية**، عبد المجيد عبد الرحيم.

٥٦- حزب الوفد في مصر

التعريف:

الوفد حزب(*) سياسي شعبي ليس له توجه ديني معين، تشكل في مصر سنة ١٩١٨م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة(*) ٢٣ يوليو المصرية، التي أنهت عهد الملكية، وحولت البلاد إلى النظام الجمهوري. ولم يعد الحزب إلى نشاطه السياسي إلا في عهد الرئيس أنور السادات، بعد سماحه للتعددية الحزبية. وقد اتخذ لنفسه اسم حزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م ويعد الآن من أكبر أحزاب المعارضة في مصر.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● سعد زغلول: خطرت له فكرة تأليف الوفد المصري للدفاع عن قضية مصر سنة ١٩١٨م، إذ دعا أصحابه إلى مسجد وصيف للتحدث فيما كان ينبغي عمله للبحث في المسألة المصرية بعد الهدنة (بعد الحرب العالمية الأولى).

- تشكل الوفد المصري الذي ضم سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي وأحمد لطفي السيد وآخرين.. وأطلقوا على أنفسهم (الوفد المصري).

وقد جمعوا توقيعات من أصحاب الشأن وذلك بقصد إثبات صفتهم التمثيلية وجاء في الصيغة: «نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات: سعد زغلول و... في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادىء الحرية(*) والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى».

- قد اعتقل سعد زغلول ونفي إلى مالطة هو ومجموعة من رفاقه في ٨ آذار (مارس) ١٩١٩م فانفجرت ثورة ١٩١٩م في مصر التي كانت من أقوى عوامل زعامة سعد زغلول والتمكين لحزب الوفد.

● وبقي حزب الوفد الذي هو حزب الأغلبية أو كما أطلق عليه الحزب الجماهيري الكبير يتولى الوزارة معظم الوقت في مصر منذ عام ١٩٢٤م وحتى عام ١٩٥٢م.

● ومن شخصيات حزب(*) الوفد الذين تولوا الوزارة: عبد الخالق ثروت ومصطفى النحاس باشا الذي تولى مرات عديدة رئاسة الوزارة في مصر قبل ثورة ١٩٥٢م.

● فؤاد سراج الدين: كان عضواً في حزب الوفد سنة ١٩٤٦م، ثم سكرتيراً عامًّا

للحزب سنة ١٩٤٨م، اختير وزيراً بوزارات الزراعة والداخلية والشؤون الاجتماعية، ثم وزيراً للداخلية والمالية معاً سنة ١٩٥٠م. . ثم رئيساً لحزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م، ولا زال حتى الآن رئيساً للحزب.

العقائد والأفكار:

● من مبادىء الوفد المعلنة السياسية والاجتماعية:
- تحقيق استقلال البلاد وحريتها وتحقيق الوحدة بين مصر والسودان.
- التمسك بميثاق الأمم المتحدة(*) وجامعة الدول العربية.
- التمسك بعروبة فلسطين.
- العمل على رفاهية الشعب وترقيته عن طريق النظام الليبرالي(*).
- دعم النظام الدستوري الديمقراطي.
وهكذا نرى أنه ليس للدين أي مكانة في مبادىء الحزب. . .
● أما المبادىء التي يعلنها الحزب فتبقى في أكثر الأحيان حبراً على ورق، إذ تبقى المصالح الحزبية والشخصية هي المحرك الأساسي في الحزب.
● يعد سعد زغلول المؤسس الأول لحزب الوفد ومن أشد أنصار تحرير المرأة.
● الحزب لا يعادي التوجه الإسلامي كما أنه لا يلتزم به فيما يصدر عن قيادته من قرارات.

يتضح مما سبق:

أن الوفد حزب سياسي شعبي مصري ليس في برنامجه ما يدل على أن له توجهاً دينيًّا معيناً. تشكل سنة ١٩١٨م. وألغي الحزب بعد ثورة ١٩٥٢م، وعاد باسم الوفد الجديد في عهد الرئيس الراحل أنور السادات عام ١٩٧٨م. وقد كان سعد زغلول أبرز وأول زعماء الحزب. ومن أهم شخصياته: عبد الخالق ثروت، ومصطفى النحاس باشا، ورئيس حزب الوفد الجديد هو فؤاد سراج الدين باشا. وتقوم مبادىء الحزب(*) على دعم النظام الدستوري والعمل على رفاهية الشعب وترقيته عن طريق النظام الليبرالي(*) ولا يعادي هذا الحزب التوجه الإسلامي، ولكنه لا يلتزم به فيما يصدر عن قياداته من قرارات. أما سعد زغلول نفسه فقد كان علماني النزعة ومن أنصار تحرير المرأة بالمعنى المعروف في الغرب.

مراجع للتوسع:

- نشأة حزب الوفد المصري ١٩١٨ ـ ١٩٢٤م، محمود زايد.
- مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة ١٩٥٢م، د. محمود متولي، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٨٠م.
- جريدة الوفد (الناطقة باسم الحزب) والتي ما زالت تصدر حتى الآن.

٥٧ـ حركة تحرير المرأة

التعريف:

حركة(*) تحرير المرأة. حركة علمانية، نشأت في مصر في بادىء الأمر، ثم انتشرت في أرجاء البلاد العربية والإسلامية. تدعو إلى تحرير المرأة من الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب، وتقييد الطلاق، ومنع تعدد الزوجات والمساواة في الميراث، وتقليد(*) المرأة الغربية في كل أمر.. ونشرت دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم الغربي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● قبل أن تتبلور الحركة في شكل دعوة منظمة لتحرير المرأة ضمن جمعية تسمى الاتحاد النسائي.. كان هناك تأسيس نظري فكري لها.. ظهر من خلال كتب ثلاثة ومجلة صدرت في مصر:

ـ كتاب **المرأة في الشرق** تأليف مرقص فهمي المحامي، نصراني الديانة، دعا فيه إلى القضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط وتقييد الطلاق، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين النساء المسلمات والنصارى.

ـ كتاب **تحرير المرأة** تأليف قاسم أمين، نشره عام ١٨٩٩م، بدعم من الشيخ محمد عبده وسعد زغلول، وأحمد لطفي السيد. زعم فيه أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام، وقال إن الدعوة إلى السفور ليست خروجاً على الدين(*).

ـ كتاب: **المرأة الجديدة** تأليف قاسم أمين، أيضاً، نشره عام ١٩٠٠م يتضمن أفكار الكتاب الأول نفسها ويستدل على أقواله وادعاءاته بآراء الغربيين.

ـ **مجلة السفور**، صدرت أثناء الحرب العالمية الأولى، من قبل أنصار سفور المرأة، وتركز على السفور والاختلاط.

● سبق سفور المرأة المصرية، اشتراك النساء بقيادة هدى شعراوي (زوجة علي شعراوي) في ثورة سنة ١٩١٩م فقد دخلن غمار الثورة بأنفسهن، وبدأت حركتهن السياسية بالمظاهرة التي قمن بها في صباح يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩م.

● وأول مرحلة للسفور كانت عندما دعا سعد زغلول النساء اللواتي يحضرن خطبه أن يزحن النقاب عن وجوههن. وهو الذي نزع الحجاب عن وجه نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم: هدى شعراوي مكونة الاتحاد النسائي المصري، وذلك عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفى. واتبعتها النساء فنزعن الحجاب بعد ذلك.

● تأسس الاتحاد النسائي في نيسان ١٩٢٤م بعد عودة مؤسسته هدى شعراوي من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما عام ١٩٢٣م.. ونادى بجميع المبادىء التي نادى بها من قبل مرقص فهمي المحامي وقاسم أمين.

ـ مهد هذا الاتحاد بعد عشرين عاماً لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي العربي عام ١٩٤٤م وقد حضرته مندوبات عن البلاد العربية. وقد رحبت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بانعقاد المؤتمر، حتى أن حرم الرئيس الأمريكي روزفلت أبرقت مؤيدة للمؤتمر.

ومن أبرز شخصيات حركة تحرير المرأة:

● الشيخ محمد عبده ـ فقد نبتت أفكار كتاب **تحرير المرأة** في حديقة أفكار الشيخ محمد عبده. وتطابقت مع كثير من أفكار الشيخ التي عبر فيها عن حقوق المرأة وحديثه عنها في مقالات **الوقائع المصرية** وفي تفسيره لآيات أحكام النساء. (التفاصيل في كتاب **المؤامرة على المرأة المسلمة** د. السيد أحمد فرج ص٦٣ وما بعدها. دار الوفاء سنة ١٩٨٥م كتاب عودة الحجاب الجزء الأول، د. محمد أحمد بن إسماعيل المقدم).

● سعد زغلول، زعيم حزب(*) الوفد المصري، الذي أعان قاسم أمين على إظهار كتبه وتشجيعه في هذا المجال.

● لطفي السيد الذي أطلق عليه **أستاذ الجيل**، وظل يروج لحركة تحرير المرأة على صفحات **الجريدة** لسان حال حزب الأمة المصري في عهده.

● صفية زغلول، زوجة سعد زغلول وابنة مصطفى فهمي باشا رئيس الوزراء في تلك الأيام وأشهر صديق للإنجليز عرفته مصر.

● هدى شعراوي ابنة محمد سلطان باشا الذي كان يرافق الاحتلال الإنجليزي في زحفه على العاصمة وزوجة علي شعراوي باشا أحد أعضاء حزب الأمة (حاليًا الوفد) ومن أنصار السفور.

● سيزا نبراوي (واسمها الأصلي زينب محمد مراد)، وهي صديقة هدى شعراوي في المؤتمرات الدولية والداخلية. وهما أول من نزع الحجاب في مصر بعد عودتهما من الغرب إثر حضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما ١٩٢٣م.

● درية شفيق. من تلميذات لطفي السيد، رحلت وحدها إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراه، ثم إلى إنجلترا، وصورتها وسائل الإعلام الغربية بأنها المرأة التي تدعو إلى التحرر من أغلال الإسلام وتقاليده مثل: الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات.

ـ لما عادت إلى مصر شكلت حزب (بنت النيل) في عام ١٩٤٩م بدعم من السفارة الإنجليزية والسفارة الأمريكية.. وهذا ما ثبت عندما استقالت إحدى عضوات الحزب وكان هذا الدعم سبب استقالتها. وقد قادت درية شفيق المظاهرات، وأشهرها مظاهرة في ١٩ فبراير ١٩٥١م، و١٢ مارس ١٩٥٤م بالتنسيق مع أجهزة عبد الناصر، فقد أضربت النساء في نقابة الصحفيين عن الطعام حتى الموت إذا لم تستجب مطالبهن. وأجيبت مطالبهن ودخلت درية شفيق الانتخابات ولم تنجح. وانتهى دورها. وحضرت المؤتمرات الدولية النسائية للمطالبة بحقوق المرأة ـ على حد قولها ـ.

● سهير القلماوي ـ تربت في الجامعة الأمريكية في مصر ـ وتخرجت من معهد الأمريكان ـ وتنقلت بين الجامعات الأمريكية والأوربية، ثم عادت للتدريس في الجامعة المصرية.

● أمينة السعيد: وهي من تلميذات طه حسين، الأديب المصري الذي دعا إلى تغريب مصر.. ترأست مجلة **حواء**. وقد هاجمت حجاب المرأة بجرأة ـ ومن أقوالها في عهد عبدالناصر: «كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق؟». تقصد ميثاق عبد الناصر الذي يدعو فيه إلى الاشتراكية ـ وسخرت مجلة **حواء** للهجوم على الآداب الإسلامية.. وهي لا تزال تقوم بهذا الدور..

● د. نوال السعداوي زعيمة الاتحاد النسائي المصري حاليًّا.

الأفكار والمعتقدات:

نجمل أفكار ومعتقدات أنصار حركة تحرير المرأة فيما يلي:

● تحرير المرأة من كل الآداب والشرائع الإسلامية وذلك عن طريق:

ـ الدعوة إلى السفور والقضاء على الحجاب الإسلامي.

ـ الدعوة إلى اختلاط الرجال مع النساء في كل المجالات في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية، والأسواق.

ـ تقييد الطلاق، والاكتفاء بزوجة واحدة.

ـ المساواة في الميراث مع الرجال.

● الدعوة العلمانية الغربية أو اللادينية بحيث لا يتحكم الدين(*) في مجال الحياة الاجتماعية خاصة.

● المطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية.

● أوربا والغرب عامة هم القدوة في كل الأمور التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للمرأة: كالعمل، والحرية الجنسية، ومجالات الأنشطة الرياضية والثقافية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

بعد تبلور حركة تحرير المرأة على شكل الاتحادات النسائية في البلاد العربية خاصة والدولية عامة، أصبحت اللادينية أو ما يسمونه (العلمانية) الغربية هي الأساس الفكري والعقدي لحركة تحرير المرأة. وهي موجهة وبشكل خاص في البلاد العربية والإسلامية إلى المرأة المسلمة؛ لإخراجها من دينها أولاً. ثم إفسادها خلقيًّا واجتماعيًّا.. وبفسادها، يفسد المجتمع الإسلامي وتنتهي موجة حماسة العزة الإسلامية التي تقف في وجه الغرب الصليبي وجميع أعداء الإسلام وبهذا الشكل يسهل السيطرة عليه.

ومن الأدلة على أن جذور حركة تحرير المرأة تمتد نحو العلمانية الغربية ما يلي:

ـ في عام ١٨٩٤م ظهر كتاب للكاتب الفرنسي الكونت داركور، حمل فيه على نساء مصر وهاجم الحجاب الإسلامي، وهاجم المثقفين على سكوتهم.

ـ وفي عام ١٨٩٩م ألف قاسم أمين كتابه **تحرير المرأة** أيد فيه آراء داركور.

ـ وفي العام نفسه هاجم الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل (زعيم الحزب(*) الوطني) كتاب **تحرير المرأة** وربط أفكاره بالاستعمار(*) الإنجليزي.

ـ ألف الاقتصادي المصري الشهير محمد طلعت حرب كتاب **تربية المرأة والحجاب** في الرد على قاسم أمين ومما قاله: «إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوربا».

ـ ترجم الإنجليز ـ أثناء وجودهم في مصر ـ كتاب **تحرير المرأة** إلى الإنجليزية ونشروه في الهند والمستعمرات الإسلامية.

ـ الدكتورة (ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي التي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة(*) النسائية.

ـ اغتباط الدوائر الغربية بحركة تحرير المرأة العربية وبنشاط الاتحاد النسائي في الشرق، وتمثلت في ببرقية حرم الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للمؤتمر النسائي العربي عام ١٩٤٤م.

ـ صلة حزب (بنت النيل) بالسفارتين الإنجليزية والأمريكية والدعم المالي الذي يتلقاه منهما ـ كما رأينا عند حديثنا عن درية شفيق.

ـ ترحيب الصحف البريطانية بدرية شفيق زعيمة حزب (بنت النيل)، وتصويرها بصورة

الداعية الكبرى إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.

ـ برقية جمعية (سان جيمس) الإنجليزية إلى زعيمة حزب(*) بنت النيل تهنئها على اتجاهها الجديد في القيام بمظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة.

ـ مشاركة الزعيمة نفسها في مؤتمر نسائي دولي في أثينا عام ١٩٥١م ظهر من قراراته التي وافقت عليها أنها تخدم الاستعمار(*) أكثر من خدمتها لبلادها.

ـ إعلان (كاميلا يفي) الهندية أن الاتحاد النسائي الدولي واقع تحت ريادة الدول الغربية والاستعمارية واستقالتها منه.

ـ إعلان الدكتورة نوال السعداوي رئيسة الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٨٧م أثناء المؤتمر أن الدول الغربية هي التي هيأت المال اللازم لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي والدول العربية لم تساهم في ذلك.

هذه بعض الوقائع التي تدل دلالة لا ريب فيها على صلة حركة(*) تحرير المرأة بالقوى الاستعمارية الغربية.

ويتضح مما سبق:

أن حركة تحرير المرأة هي حركة علمانية، نشأت في مصر، ومنها نُشرت في أرجاء البلاد العربية والإسلامية، وهدفها هو قطع صلة المرأة بالآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها كالحجاب، وتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات، والمساواة في الميراث، وتقليد المرأة الغربية في كل شيء. ويعد كتاب **المرأة في الشرق** لمرقص فهمي المحامي، **وتحرير المرأة والمرأة الجديدة** لقاسم أمين من أهم الكتب التي تدعو إلى السفور والخروج على الدين، وتمتد أهداف هذه الحركة لتصل إلى جعل العلمانية واللادينية أساس حركة المرأة والمجتمع.

مراجع للتوسع:

ـ **الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار**، د. محمد فهمي عبدالوهاب.
ـ **الاتجاهات الوطنية**، د. محمد محمد حسين.
ـ **سعد زغلول**، عباس محمود العقاد.
ـ **قاسم أمين، الأعمال الكاملة**، د. محمد عمارة.
ـ **في مسألة السفور والحجاب**، صافيناز كاظم.
ـ **نساء شهيرات من الشرق والغرب**، وداد سكاكيني.

- **مكانك تحمدي**، أحمد محمد جمال.
- **مجلة منار الإسلام**، رمضان ١٣٩٩هـ مقال «حركة تحرير المرأة».
- **قضية تحرير المرأة**، محمد قطب ـ دار الوطن للنشر ١٤١٠هـ.
- **واقعنا المعاصر**، محمد قطب ـ دار الشروق.
- **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب ـ دار الشروق.
- **عودة الحجاب**، د. محمد أحمد بن إسماعيل المقدم ـ دار طيبة.
- **المؤامرة على المرأة المسلمة**، د. السيد أحمد فرج دار الوفاء سنة ١٩٨٥م.

٥٨- الحزب الديمقراطي الكردستاني

التعريف:

الحزب الديمقراطي الكردستاني حزب(*) قومي علماني اشتراكي يدعو إلى إنشاء دولة كردية في منطقة كردستان بعد توحيدها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في عام ١٩٢٧م توحدت جميع المنظمات الكردية في حزب (خويبون) الذي أسسه عدد من المهاجرين الأكراد المقيمين في الخارج.

● وفي العام نفسه انعقد المؤتمر الأول للحزب في مصيف بحمدون في لبنان، وقد أسهم في أعمال المؤتمر زعيم من الأرمن اسمه ف. بابازيان.

● اعتمد الحزب على تأييد الدول الاستعمارية التي كانت ترى في المسألة الكردية وسيلة للضغط على تركيا (من الدول المؤيدة للأكراد إنجلترا وفرنسا بشكل خاص).

● كان الحزب يخضع بشكل مباشر لنفوذ الطاشناق المؤلف من القوميين الأرمن ذوي الاتجاه الغربي، والمعادين لتركيا بشكل شديد.

● في عام ١٩٣٠م قام الأكراد بثورة(*) إسلامية في تركيا في العهد الكمالي العلماني المعادي للإسلام، بقيادة الشيخ سعيد النورسي.

● في عام ١٩٤٤م تأسست منظمة اسمها «كومة له زياني كورد» أي «جمعية الإحياء الكردي» في مهاباد عاصمة كردستان الإيرانية.

● في عام ١٩٤٥م (١٥ آب) تأسس الحزب الديمقراطي الكردي أو ما يطلق عليه «البارتي» في مهاباد بإيران، متخذاً جمعية الإحياء الكردي قاعدة له.

● في ١٩٤٦م (٢٣ ديسمبر) أعلن عن تأسيس حكومة وطنية كردية ذات نظام جمهوري في كردستان إيران، برئاسة قاضي محمد، زعيم الحزب، واستمر الحكم أقل من سنة، وقضي على الجمهورية بعد معركة مع الجيش الإيراني، ذبح فيها ما يزيد على ١٥٠٠٠ من أفراد الحزب(*) ومن الأكراد.

● وفي ٣١ مارس ١٩٤٧م أُعدم قاضي محمد وأخوه صادر قاضي عضوا البرلمان الإيراني وابن عمه سيف قاضي وزير دفاع الجمهورية الكردية.

● مصطفى البرزاني قائد القوات المسلحة التابعة لجمهورية «مهاباد» الكردية لم يلق السلاح في المعركة، وهرب إلى العراق، إلا أن الجيش العراقي كان في انتظاره، فهرب مع ٥٠٠ فرد من مقاتليه إلى تركيا، ثم عاد إلى إيران مجدداً، وبعد معركة حاسمة دخل مصطفى البرزاني وقواته الاتحاد السوفيتي، ولم يعودوا إلى العراق إلا بعد الثورة(*) العراقية عام ١٩٥٨م. وقاد مصطفى البرزاني آخر الثورات سنة ١٩٦١م التي انتهت سنة ١٩٧٥م بعد اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران.

الأفكار والمعتقدات:

● من برنامج الحزب الديمقراطي الكردي المعلن عند تأسيسه:

- الحرية(*) والحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن نطاق الدولة الإيرانية.
- استعمال اللغة الكردية في التعليم وجعلها اللغة الرسمية في الشؤون الإدارية.
- تولي السلطة العليا في المنطقة الكردية.
- إقامة علاقات أخوية مع شعب أذربيجان في النضال المشترك جنباً إلى جنب مع بقية الأقليات القومية.
- تحسين الأوضاع الاقتصادية باستثمار الموارد الطبيعية في كردستان وتنمية الزراعة والتجارة وتطوير الخدمات الصحية والتعليمية.

● للحزب توجه اشتراكي(*) ماركسي بالإضافة إلى التوجه القومي العرقي ويعد نضاله جزءًا من نضال الحركة الديمقراطية للبروليتاريا(*) «طبقة العمال والفلاحين».

● يعلن زعماؤه دائماً عن ارتباط حزبهم برباط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي قبل انهياره والمعسكر الاشتراكي قبل زواله.

● هذا ويمكن ملاحظة ما يلي:

- لم ترد كلمة الإسلام الذي هو دين(*) الأكراد في مبادىء الحزب وتوجهاته أبداً، بينما ينوِّه الحزب بالرباط المتين الذي يربطهم بالأرمن في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه، خاصة وبالأحزاب الأرمنية المتطرفة في العالم بصفة عامة.

● يستخدم الحزب(*) المصطلحات الشيوعية في كتاباته وتوجيهاته مثل، الحزب التقدمي، الطبقة العاملة، طبقة الفلاحين، الطبقة البرجوازية(*) البروليتاريا(*) . . . الخ.

- يتكلم زعماء الحزب عن الأكراد الذين يعيشون في أرمينيا ويعدونهم من البناة النشيطين للمجتمع الشيوعي السوفيتي قبل انهياره، ولا يذكرونهم على أنهم ذوي قومية تطالب بالانفصال، كما هو شأن الأكراد في إيران والعراق وسورية وتركيا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يرجع الحزب الديمقراطي الكردستاني في أفكاره إلى الفكر القومي العرقي الذي ساد في المنطقة العربية وتركيا في بداية هذا القرن . .

● ونظراً لعلمانية هذا الحزب، فإن الفكر الماركسي الشيوعي يسير جنباً إلى جنب مع الفكر القومي، كما هو الحال في الأحزاب القومية العربية مثلاً .

أماكن الانتشار:

ينتشر الحزب الديمقراطي الكردستاني في كل من إيران والعراق وتركيا وسورية .

ويتضح مما سبق:

أن الحزب الديمقراطي الكردستاني حزب قومي علماني يهدف إلى تحقيق الحرية والحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن الدولة الإيرانية وإقامة علاقات أخوية مع شعب أذربيجان في ظل ما كان يعلنه زعماء الحزب دائماً من ارتباط حزبهم برباط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي قبل تفككه وانهياره . ويلاحظ أن كلمة الإسلام، الذي هو دين(*) الأكراد، لم ترد ضمن مبادىء الحزب .

مراجع للتوسع:

- **كردستان والأكراد** - عبد الرحمن قاسملو - بيروت .
- **كردستان وطن وشعب بدون دولة** - جواد الملا، لندن ١٩٨٥م .

المراجع الأجنبية :

Lothar A. Heinrich: die Kurdisch Nationalbeweyung in der Türdei 1989. -

٥٩- الحزب القومي السوري

التعريف:

هو حزب(*) يدعو إلى القومية السورية، واعتبار الوطن السوري البيئةَ التي نشأت فيها الأمة السورية، والقول بأن النهضة السورية تستمد روحها وتاريخها السياسي والقومي من مواهب الأمة السورية. وقد اتخذ الحزب اسم «الحزب القومي الاجتماعي» وشعاره زوبعة لها أربعة رؤوس ترمز إلى الحرية(*) والواجب والنظام والقوة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في الثلاثينات من هذا القرن، وتحديداً في عام ١٩٣٢م، ظهر على مسرح السياسة في لبنان شاب عائد من البرازيل اسمه أنطون سعادة ألف حزباً منظماً دقيقاً مركزيًّا يعرف بالحزب القومي السوري.

ـ لقد نشأ هذا الحزب بدعوى محاربة الطائفية والنزعة الانعزالية مستغلاً وجود العديد من الطوائف والديانات(*) في لبنان، داعياً إلى رابطة تلغي جميع الفوارق بين الناس وتربطهم برباط واحد هو رباط الأرض، وقد بارك الغرب هذا الحزب وأمده بالمال والسلاح.

ـ وقد ازدهرت دعوة الحزب بانضمام الشبان المثقفين إليه، وتطور على يدي أكبر شخصية فيه وهو أنطون سعادة الموجه الروحي والمنظِّر الفكري الذي أعدم رميًا بالرصاص عام ١٩٤٩م إثر محاولته القيام بثورة(*) مسلحة تهدد كيان الدولة في لبنان.

● من شخصياته البارزة المقدم غسان جديد، وهو مقدم سابق في الجيش السوري (نصيري)، وعصام المحايري، ودكتور عبدالله سعادة، وفايز صايل، وجورج عبد المسيح، ومن رؤسائه مؤخراً إنعام رعد.

الأفكار والمعتقدات:

تتركز مبادىء الحزب في الأفكار التي يذكرها أنطون سعادة في كتابه **نشوء الأمم**، وهي:

ـ فصل الدين(*) عن الدولة.

ـ منع رجال الدين من التدخل في الشؤون السياسية والقضائية والقومية.

ـ إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب(*).

ـ إلغاء الإقطاع، وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج، وإنصاف العامل،

وصيانة مصلحة الأمة والدولة.

ـ إعداد جيش قومي ذي قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والوطن.

● كما أن للحزب(*) منطلقاته التي تعبر عن أفكاره ومعتقداته وتصوراته لحركة التاريخ ومن ذلك:

ـ سورية للسوريين، والسوريون أمة تامة.

ـ يتميز السوريون عن أبناء الأمة العربية كما يتميز الفرنسيون عن الإنجليز، وكما يتميز الروس عن الألمان.

ـ القضية السورية هي الأمة السورية والوطن السوري.

ـ الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل التاريخ الحالي.

ـ الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة.

ـ مصلحة سوريا فوق كل مصلحة.

ـ القوميون السوريون يعتزون بالماضي السحيق الذي يمثله الفينيقيون بوثنيتهم(*) وخمرهم وآلهتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولذاتهم، ويعتزون بالثقافة الروحية والطابع العمراني الذي نشرته سوريا في البحر السوري المعروف بالبحر المتوسط.

ـ الاعتزاز بما خلده العظام من مثل كرينون ـ بيار صليبي ـ يوحنا فم الذهب ـ أفرام العمري ـ ديك الجن الحمصي ـ الكواكبي ـ جبران.

ـ الاعتزاز بالمحاربين الخالدين مثل سرجون الكبير ـ أسرحدون ـ سنحاريب ـ نبوخذ نصر ـ آشور بانبال ـ هاني بعل.. إلى يوسف العظمة، وهم بذلك يغفلون مشاهير وعظماء الإسلام.

ـ أزهى العصور في تاريخ سوريا هو العصر الفينيقي.

ـ الفتح الإسلامي يعد فتحاً أجنبياً ولا يرون في التاريخ الإسلامي في سوريا بعد الفتح إلا تاريخاً سورياً خالصاً، فمعاوية رضي الله عنه أصبح سورياً لإقامته في دمشق عشرين عاماً قبل الخلافة(*)، وأمجاد الأمويين أمجاد سورية محضة، والنزاع بين معاوية وعلي رضي الله عنهما إنما هو نزاع بين القومية السورية والقومية العراقية، ويجعلون للأرض والتراب والجو أثراً سحرياً يحول الإنسان خلال فترة وجيزة من قومية إلى قومية ومن تاريخ إلى تاريخ.

ـ عندما يتحدثون عن سوريا فإنما يقصدون بذلك سوريا الكبرى والتي تضم سوريا الحالية ولبنان والأردن وفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● رجالات هذا الحزب يحاربون الدين(*) بكل قواهم، ويستنكرون الرابطة الدينية بين الناس، وينطلقون في ذلك من عدة معتقدات وأفكار: من أهمها ما يلي:

- الزعم بأن فكرة الألوهية اخترعها الإنسان يوم أن كان رازحاً تحت سلطان الخوف والوهم والخرافة.

- النظر إلى الكون والإنسان والحياة نظرة مادية(*) تنكر وجود الله والبعث والرسالات واليوم الآخر.

- الزعم بأن الإسلام دمه جامد، وإنما الذي جعله متطوراً هم الخلفاء والفقهاء.

- ينادون بفصل الدين عن الدولة، وهي فكرة غربية يرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً.

- يعتبرون التجمع على أساس ديني من أخطر العقبات في سبيل التقدم، وينادون بالتخلي عنه حتى يسلم الكيان السوري القومي من التناقضات.

● دعوتهم انعزالية تقتصر على الوطن، فهي تعمل على انكماش العالم العربي والإسلامي الكبير إلى عالم صغير محدود في عصر التكتلات العالمية والمعسكرات الدولية والتجمعات الأممية.

- هذه الدعوة الانعزالية تخدم مصالح الغرب المستعمر، وتخدم الصهيونية في تفتيت الوطن الإسلامي الكبير، وتمزيق القوة المحيطة بإسرائيل.

- تدعو إلى الاستهتار بالقيم الأخلاقية، وذلك بتهيئة فرص الإغراء للشباب والفتيات بالانضمام إليها في حلقات ماجنة تلعب فيها الخمر بالرؤوس، وتنطلق فيها الغرائز جامحة مسترسلة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● اتخذ هذا الحزب من لبنان مركزاً له، وصار له أتباع في سوريا، ولكنه لقي اضطهاداً من مختلف الحكام؛ لأنه يتعارض مع فكرة القومية العربية التي كان لها نفوذ أكبر، ومع ذلك ظل يعمل بشكل علني في لبنان متخذاً له اسماً جديداً وهو «الحزب القومي الاجتماعي».

● عبر أنطون سعادة عن حدود القومية السورية في كتابه نشوء الأمم بأنها البيئة الجغرافية المتميزة عما سواها، فهي تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى قناة السويس في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري (المتوسط) في الغرب إلى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة. هذا والحزب الآن في حالة انحسار كبير.

ويتضح مما سبق:

أن دعوة القومية السورية دعوة انعزالية تفرق ولا تجمع، وتدعو إلى العصبية القومية في عصر التكتلات الكبرى، ويعيش معتنقوها داخل حدود وهمية وأسرى روابط تمت إلى الماضي السحيق الذي لا يحرك المشاعر. وهم يعدون أن الأرض هي أقوى الروابط ومن ثم فنظريتهم تدعو إلى فصل الدين(*) عن الدولة.

مراجع للتوسع:

- **نشوء الأمم**، أنطون سعادة.
- **المحاضرات العشر في الندوة الثقافية**، أنطون سعادة.
- **تعاليم وشروح في العقيدة القومية والاجتماعية**، أنطون سعادة.
- **الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية**، أنطون سعادة.
- **جريدة الشهاب الدمشقية لعام ١٩٥٥م**، مقالات للدكتور مصطفى السباعي.
- **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**، ساطع الحصري.
- **حركات ومذاهب في ميزان الإسلام**، فتحي يكن.
- **لبنان في التاريخ**، فيليب حتي.

٦٠ـ البانتشاسيلا

التعريف:

البانتشاسيلا (أو المباديء الخمسة المتلاحمة) هي خمسة مبادىء رئيسة أعلنت غداة الاستقلال سنة ١٩٤٥م، ووضعت في دستور دولة إندونيسيا المسلمة، ليسير على هديها، الشعب الإندونيسي المسلم، بديلاً عن العقيدة الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في سنة ١٩٤٥م عُقدت لجنة الإعداد للاستقلال في إندونيسيا، لوضع أسس الدولة المقبلة.

ـ واحتدم الخلاف بين القوى الإسلامية والوطنية ـ كما يقال عنهم ـ حول أساس الدولة، هل هو الإسلام أو اللادينية.

ـ أثناء ذلك وضع سوكارنو ـ وهو أول رئيس لإندونيسيا بعد الاستقلال المبادىء الخمسة (البانتشاسيلا) لتكون أساس وفلسفة الدولة.

ـ وأنجزت اللجنة التساعية التي ضمت الزعماء الإسلاميين والزعماء الوطنيين مهمتها في وضع ميثاق جاكرتا، وتم التوقيع عليه في ٢٢ يونيو ١٩٤٥م. وهذا الميثاق أصبح مقدمة لدستور سنة ١٩٤٥م. بعد إلغاء جملة: «مع وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية(*) على معتنقيها». ويقال إن سبب إلغاء هذه الجملة هو صدور إنذار من النصارى ـ وهم قلة قليلة في إندونيسيا ـ بعدم المشاركة في النضال لنيل الاستقلال إذا لم تحذف هذه العبارة.

ـ وهكذا ضاع أمل الإسلاميين في إنشاء دولة إسلامية في إندونيسيا نتيجة فكر الدول الصليبية وتلاميذها من القادة العلمانيين.

ـ وكان سوكارنو ـ واضع المبادىء الخمسة ـ يحكم إندونيسيا مثل باقي العسكريين الذين استولوا على السلطة في دول العالم الثالث بالحديد والنار.

ـ وعرف سوكارنو ببعده عن الإسلام وتحلله الأخلاقي طوال فترة حكمه وقد لقيت الدعوة الإسلامية في إندونيسيا أشد العنت إبان حكمه.

● الرئيس (سوهارتو) الذي استولى على السلطة بانقلاب عسكري وأقصى سوكارنو

عن الحكم. . سار على نهجه، في صبغ إندونيسيا المسلمة بالصبغة العلمانية (اللادينية) وأطلق يد كل أعداء الإسلام للعمل في البلاد، وفتح أبواب إندونيسيا للتنصير وإحياء الوثنية(*)، ونشر الفساد والتحلل الأخلاقي في البلاد.

الأفكار والمعتقدات:

● تقوم البانتشا سيلا على خمسة مبادىء هي:

ـ الإيمان بالله الواحد الأحد (الربانية المتفردة).

ـ القومية وتنادي (بالوحدة الإندونيسية).

ـ الديمقراطية(*) أو (الشعبية الموجهة بالحكمة في الشورى النيابية).

ـ الإنسانية العادلة المهذبة.

ـ العدالة الاجتماعية.

على أساس أن هذه المبادىء هي نقاط التفاهم بين جميع الطوائف في أندونيسيا.

ـ هذه المبادىء الخمسة بقيت مبادىء نظرية محضة، أو شعارات مرفوعة ـ كما هي الحال في الحكومات العسكرية في العالم الإسلامي ـ وتخفي وراءها العلمانية التي تسعى إلى سلخ الشعب المسلم في إندونيسيا عن الإسلام شيئاً فشيئاً.

ـ لا يقصد بـ(الإيمان بالله) (المبدأ الأول من المبادىء الخمسة)، الإيمان القائم على العقيدة الصحيحة والوحي(*) الإلهي المجرد من كل المؤثرات، وفكرة الله عند سوكارنو (المنظّر لهذه المبادىء): (أن الإنسان الذي لا يزال يعيش على الزراعة يشعر بحاجة إلى الله، وإذا بلغ مرحلة الصناعة لم يعد يرى ثمة ضرورة لوجود الله).

ـ إذن المقصود بوجود هذا المبدأ (الإيمان بالله) هو الخداع والتمويه على الحقيقة اللادينية للبانتشاسيلا.

● العلمانية والتغريب هما خلفية البانتشاسيلا، ومن هذا الباب دخلت الصليبية والجمعيات التنصيرية من كل طائفة وملة إلى إندونيسيا، بتسهيلات من الحكومة الإندونيسية، والأمم المتحدة(*) باسم رعاية الأمومة والطفولة، ومكافحة الأمراض وفتح المستشفيات إلخ.

● بلغ عدد الذين تركوا الإسلام واعتنقوا الكاثوليكية في أندونيسيا ٢٠ مليونا ضمن سكان الدولة المسلمة التي كانت مسلمة مائة بالمائة.

● الرابطة القومية ـ اللادينية ـ هي التي تربط أفراد الشعب الأندونيسي بعضهم ببعض. . وهذه الرابطة صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوربا وتسعى الآن للتخلص

منها وإحياء الانتماء لديهم للنصرانية واليهودية . . وهدف القومية الأندونيسية إبعاد العقيدة الإسلامية عن عوامل وحدة الشعب الإندونيسي، وبالتالي إبعاد الشعب عنها شيئاً فشيئاً.

● الإنسانية فكرة أصبحت مبدأً من المبادىء الخمسة، تخفي وراءها الدعوة اللادينية، والحقد على الإسلام . . باعتبار أن الشعب الإندونيسي ليس كله مسلما . . وأن الذي يجمعهم هو الإنسانية.

● العدالة الاجتماعية . . مقولة جميع الحكام العسكريين في دول العالم الثالث، ولكن بدون ممارسة حقيقية، أو وجود واقعي . . وإلا فلماذا انتشر الفساد واللصوصية والرشوة والمحسوبية بين المسؤولين في إندونيسيا وفي سواها ممن نهج نهجها؟

ـ انطلاقاً من التزام الحكومة بالبانتشاسيلا باعتبارها الأساس الوحيد المعترف به للسياسة العامة للدولة، فقد صدرت القوانين التي اعتبرت أية دعوة لتطبيق الدين(*) الإسلامي دعوة تخريبية تهدد أساس استقرار المجتمع ـ كما حاولت الحكومة عام ١٩٧٣م منع المسلمين من التحاكم لقوانين الشريعة الإسلامية(*) المتعلقة بالزواج والطلاق والأحوال الشخصية، إلا أن تلك المحاولة أسقطتها المظاهرة التاريخية الكبرى التي قام بها الشباب المسلم آنذاك.

● كما اتجهت الحكومة لمنع حجاب الشابات المسلمات وألحقت جهاز بوليس بكل مصلحة حكومية لتولي مسؤولية مراقبة وملاحقة أنشطة الدعوة الإسلامية.

● وعلى أساس البانتشاسيلا اعترفت الحكومة بالنصرانية وتمثل ٥٪ والأديان الوثنية(*) [البوذية ٢٪ الهندوكية ٢٪ باقي الوثنية ٢٪] على الرغم من أن الإسلام يمثل ٨٨٪ من عدد السكان البالغ ١٦٠ مليون نسمة.

● وتعامل الحكومة ـ انطلاقاً من البانتشاسيلا ـ الأديان(*) معاملة متساوية؛ لذلك أتاحت للهيئات التبشيرية كامل الحرية في نشر الديانة النصرانية بين المسلمين، وكذلك تقدم الحكومة برامج متساوية على شاشة التلفزيون لنشر تعاليم كل الأديان!!.

ـ ونظرا لأعمال البانتشاسيلا فإن عدد الكنائس(*) والمعابد البوذية والهندوكية أصبحت مقاربة لعدد مساجد المسلمين.

● أدخلت الحكومة مبادىء البانتشاسيلا كمادة أساسية في مجال التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية، وأعدَّت دورات تدريبية لجميع موظفي الحكومة والقطاع الخاص لدراسة مبادئها. زعماً بأن البانتشاسيلا ليست ضد الإسلام والمسلمين وإنما تعني حرية الأديان للتعايش السلمي.

● ومما تجدر ملاحظته ما قيل من أن الرئيس سوكارنو قد اقتبس مبادىء الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والإنسانية من الزعيم الوطني «سون يات سن» وأضاف إليها مبدأي الألوهية ووحدة إندونيسيا.

● وهكذا انطلقت الجمعيات التنصيرية لتنصير المسلمين في أندونيسيا، حتى أصبح المُنَصَّرُون من المسلمين الأندونيسيين يتعدون عشرين مليوناً انطلاقاً من البانتشاسيلا التي باركها الغرب.

ويتضح مما سبق:

أن البانتشاسيلا هي خمسة مبادىء أعلنت غداة استقلال أندونيسيا المسلمة ليسير الشعب على هديها وهي: الإيمان بالله الواحد الأحد، والقومية، والديمقراطية(*)، والإنسانية، والعدالة الاجتماعية، وفي ظل هذه الشعارات النظرية عربدت العلمانية في إندونيسيا. ففي بيان المبدأ الأول قال سوكارنو منظِّر هذه المبادىء إن المزارع يشعر بحاجته إلى الله أما الصانع فلا يرى ضرورة لوجوده، وفي ظل هذه المبادىء تم تنصير الملايين من المسلمين في إندونيسيا، وفي ظل هذه المبادىء تمنع الحكومة الحجاب وتلاحق الدعاة إلى الله.

المصادر والمراجع:

- **اختاروا إحدى السبيلين: الدين أو اللادينية** للدكتور محمد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا السابق الدار السعودية للنشر ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصرة** لمحمد أسد شهاب.
- **مجلة الاعتصام** ـ القاهرية ـ عدد ربيع الآخر ١٤١٠هـ ـ نوفمبر ١٩٨٩م.
- **مجلة الدبلوماسي** العدد الثامن ذو القعدة ١٤٠٧هـ يوليو ١٩٨٧م مقال «البانتشاسيلا أساس الدولة في الجمهورية الإندونيسية».

٦١ـ حزب البعث العربي الاشتراكي

التعريف:

حزب البعث حزب(*) قومي علماني، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهي رسالة الحزب، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في سنة ١٩٣٢م عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق (نصراني ينتمي إلى الكنيسة(*) الشرقية)[١] وصلاح البيطار وذلك بعد دراستهما العالية محملين بأفكار قومية وثقافة أجنبية.

ـ عمل كل من عفلق والبيطار في التدريس، ومن خلاله أخذا ينشران أفكارهما بين الزملاء والطلاب والشباب.

ـ أصدر التجمع الذي أنشأه عفلق والبيطار مجلة **الطليعة** مع الماركسيين سنة ١٩٣٤م وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم (جماعة الإحياء العربي).

ـ في نيسان ١٩٤٧م تم تأسيس الحزب تحت اسم (حزب البعث العربي)، وقد كان من المؤسسين: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي كما قرروا إصدار مجلة باسم **البعث**.

ـ كان لهم بعد ذلك دور فاعل في الحكومات التي طرأت على سوريا بعد الاستقلال سنة ١٩٤٦م وهذه الحكومات هي:

١ ـ حكومة شكري القوتلي: من ١٩٤٦ وحتى ٢٩/ ٣/ ١٩٤٩م.

٢ ـ حكومة حسني الزعيم: تسلم السلطة عدة شهور من سنة ١٩٤٩م.

٣ ـ حكومة اللواء سامي الحناوي: بدأ حكمه وانتهى في نفس عام ١٩٤٩م.

٤ ـ حكومة أديب الشيشكلي: استمر حكمه حتى سنة ١٩٥٤م.

٥ ـ حكومة شكري القوتلي: عاد إلى الحكم مرة ثانية واستمر إلى توقيع اتفاقية الوحدة مع مصر سنة ١٩٥٨م.

---

(١) أُعلن عن إسلامه بعد موته.

٦ ـ حكومة الوحدة برئاسة جمال عبد الناصر: ١٩٥٨ ـ ١٩٦١م.

٧ ـ حكومة الانفصال برئاسة الدكتور ناظم القدسي: وقد دام الانفصال من ٢٨/ ٩/ ١٩٦١م وحتى ٨/ ٣/ ١٩٦٣م. وقد قاد حركة الانفصال عبدالكريم النحلاوي.

● منذ ٨/ ٣/ ١٩٦٣م وإلى اليوم فقد وقعت سوريا تحت حكم حزب(*) البعث، وقد مرت هذه الفترة بعدة حكومات بعثية هي:

ـ حكومة قيادة الثورة: ١٩٦٣م وفيها برز صلاح البيطار رئيساً للوزراء.

ـ حكومة أمين الحافظ: من ١٩٦٣م وحتى ١٩٦٦م.

ـ حكومة نور الدين الأتاسي: ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠م، إذ لعبت القيادة القطرية للحزب دوراً بارزاً في الحكم، وقد برز في هذه الفترة كل من صلاح جديد الذي عمل أميناً عامًّا للقيادة القطرية وحافظ الأسد الذي عمل وزيراً للدفاع.

ـ حكومة حافظ الأسد: من سنة ١٩٧٠م وإلى يومنا هذا.

● **ومن الشخصيات السورية البارزة التي ظهرت في تاريخ الحزب:**

ـ سامي الجندي: تقلد منصب وزير الإعلام بعد انقلاب ١٩٦٣م.

ـ حمود الشوفي: عمل سكرتيراً عامًّا للقيادة القطرية الأولى إلا أنه انشق وجماعته عن الحزب في آذار سنة ١٩٦٤م، وهو الآن في العراق.

ـ منيف الرزاز: (أردني) عمل سكرتيراً عاماً للقيادة القومية للحزب من نيسان ١٩٦٥م إلى شباط ١٩٦٦م.

ـ مصطفى طلاس: ولد سنة ١٩٣٢م، درس في الكلية العسكرية بحمص، انضم إلى الحزب في سنة ١٩٤٧م وعمل رئيساً لمحكمة الأمن القومي للمنطقة الوسطى من ١٩٦٣م، ورئيس أركان اللواء المدرع الخامس من ١٩٦٤م ـ ١٩٦٦م ورئيس الأركان للقوات المسلحة من شباط ١٩٦٨م ونائب وزير الدفاع من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢م وفي آذار ١٩٧٣م صار وزيراً للدفاع ولا يزال.

ـ اللواء يوسف شكور: خلف مصطفى طلاس في رئاسة الأركان وهو من منطقة حمص.

ـ اللواء ناجي جميل: من دير الزور، كان قائداً لسلاح الجو من تشرين الثاني ١٩٧٠م وحتى آذار ١٩٧٨م.

ـ سليم حاطوم: حاول أن يقود انقلاباً عام ١٩٦٦م لكنه فشل في ذلك. وقد أعدم في عام ١٩٦٧م.

ـ زكي الأرسوزي: (من لواء إسكندرون) مؤسس مع ميشيل عفلق ومنافس له.

ـ شبلي العيسمي: ولد عام ١٩٣٠م، عمل وزيراً للإصلاح الزراعي ثم وزيراً للمعارف، ثم وزيراً للثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٣م ـ ١٩٦٤م ونائباً للأمين العام لحزب البعث ١٩٦٥م.

ـ عبد الكريم الجندي: من أنصار صلاح جديد، انتهى منتحراً عام ١٩٦٩م.

ـ سليمان العيسى: (من لواء اسكندرون) منظّر ومفكّر وشاعر.

ـ أحمد الخطيب: تسلم رئاسة الجمهورية من تشرين الثاني ١٩٧٠م واستقال في شباط ١٩٧١م وهي الفترة الانتقالية بين حكومة نور الدين الأتاسي وحكومة حافظ الأسد، وقد كان عضو القيادة القطرية الموسعة من ١٩٦٥م كما تسلم رئاسة مجلس الشعب لفترة قصيرة.

ـ يوسف زعين: مولود في البوكمال ١٩٣١م طبيب، عمل وزيراً للإصلاح الزراعي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م، وسفيراً في بريطانيا، وفي ١٩٦٥م انتخب عضواً في القيادة القطرية، ومن شباط ١٩٦٦م إلى تشرين الأول ١٩٦٨م، كان رئيساً للوزراء حتى عام ١٩٧٠م.

ـ جلال السيد: عضو مؤسس في حزب(*) البعث وهو من مدينة دير الزور وقد ترك الحزب لكنه بقي نشيطاً في السياسة السورية.

ـ عبد الحليم خدّام: ولد ١٩٣٢م في بانياس، خريج كلية الحقوق بدمشق، تنقل في عدة وظائف، إذ عمل محافظاً لمدينة حماة ومحافظاً لمدينة القنيطرة ومحافظاً لمدينة دمشق ١٩٦٤م ووزيراً للاقتصاد ١٩٦٩م، ووزيراً للخارجية من ١٩٧٠م وهو عضو القيادة القطرية منذ عام ١٩٦٩م وقد ارتقى عام ١٩٨٤م ليكون نائب رئيس الجمهورية للشؤون السياسية.

ـ حافظ الأسد: ولد بالقرداحة من قرى اللاذقية سنة ١٩٣٠م، تخرج في الكلية العسكرية بحمص ١٩٥٥م، عمل قائداً لقاعدة الضمير الجوية ١٩٦٣م، وقائداً لسلاح الطيران ١٩٦٤م، انضم إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة(*) ١٩٦٥م، انضم إلى صلاح جديد في انقلاب ١٩٦٦م، وصار وزيراً للدفاع من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠م. ومن تشرين الثاني ١٩٧٠م صار رئيساً للجمهورية بعد قيادته الحركة التغييرية التي أوصلته إلى السلطة.

ـ زهير مشارقة من حلب، عين مؤخراً نائبا لرئيس الجمهورية لشؤون الحزب.

● لقد اندمج في سنة ١٩٥٣م كل من (حزب(*) البعث) و(الحزب العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياه (حزب البعث العربي الاشتراكي).

● أما عن الجناح العراقي من حزب البعث فقد استولى على السلطة في العراق بعد أحداث دامية سارت على النحو التالي:

● **استيلاء حزب البعث على ناصية الحكم في العراق:**

- في الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٥٨م دخل لواء بقيادة عبد السلام عارف إلى بغداد قادماً من الأردن، واستولى على محطة الإذاعة، وأعلن الثورة(*) على النظام الملكي، وقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله ونوري السعيد وأعوانه وأسقط النظام الملكي وبذلك انتهى عهد فيصل، ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

- وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٨م أي بعد عشرة أيام من نشوب الثورة وصل ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث وزعيمه إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر)، ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مساعيه ونادى بعبد الكريم قاسم زعيماً أوحد للعراق.

- وفي اليوم الثامن من شهر فبراير لعام سنة ١٩٦٣م قام حزب البعث بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرساً دار في شوارع بغداد، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين الجناح المعتدل والجناح المتطرف من حزب البعث فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٣م، وعين عبد السلام عارف، أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين المعتدلين نائباً لرئيس الجمهورية.

- في شهر فبراير سنة ١٩٦٤م أوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام حسين عضواً في القيادة القطرية لفرع حزب البعث العراقي.

- في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٦م قام حزب البعث العراقي بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب ناجح أسقط نظام عبدالرحمن عارف.

- وفي اليوم الثلاثين من شهر يوليو عام ١٩٦٨م طرد حزب البعث جميع من تعاونوا معه في انقلابه الناجح على عبد الرحمن عارف، وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهورية وقائداً عامًّا للجيش، وأصبح صدام حسين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ومسؤولاً عن الأمن الداخلي.

- وفي ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠م تم اغتيال الفريق حردان التكريتي في مدينة الكويت، وكان من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي وعضواً في مجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع.

- وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٧١م تم اغتيال السيد فؤاد الركابي وكان المنظر الأول للحزب وأحد أبرز قادته في العراق وقد تم اغتياله داخل السجن.

ـ وفي ٨ يوليو سنة ١٩٧٣م جرى إعدام ناظم كزار رئيس الحكومة وجهاز الأمن الداخلي وخمسة وثلاثين شخصاً من أنصاره وذلك في أعقاب فشل الانقلاب الذي حاولوا القيام به.

ـ في السادس من شهر مارس عام ١٩٧٥م وقّعت الحكومة البعثية العراقية مع شاه إيران الاتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر، وقد وقعها عن العراق صدام حسين وتقضي الاتفاقية المذكورة بأن يوافق العراق على المطالب الإقليمية للشاه في مقابل وقف الشاه مساندته للأكراد في ثورتهم على النظام العراقي.

ـ في شهر أكتوبر لعام ١٩٧٨م طردت الحكومة البعثية الخميني من العراق، وقامت في شهر فبراير عام ١٩٧٩م الثورة(*) الخمينية في إيران.

ـ وفي شهر يونيو عام ١٩٧٩م أصبح صدام حسين رئيساً للجمهورية العراقية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله.

ـ في يوليو سنة ١٩٧٩م قام صدام حسين بحملة إعدامات واسعة طالت ثلث أعضاء مجلس قيادة الثورة وأكثر من خمسمائة عضو من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي.

ـ وفي اليوم الثامن من شهر أغسطس من العام نفسه أقدم صدام حسين على إعدام غانم عبد الجليل وزير التعليم ومحمد محجوب وزير التربية ومحمد عايش وزير الصناعة وصديقه الحميم عدنان الحمداني والدكتور ناصر الحاني سعيد، ثم قتل مرتضى سعيد الباقي تحت التعذيب، وقد سبق لكل من الأخيرين أن شغلا منصب وزير الخارجية، وقد بلغ عدد من أعدمهم صدام حسين خلال أقل من شهر واحد ستة وخمسين مسؤولاً حزبياً، ولم يبق على قيد الحياة من الذين شاركوا في انقلاب عام ١٩٦٨م سوى عزت إبراهيم الدوري وطه ياسين رمضان وطارق حنا عزيز.

ـ وفي اليوم التاسع من شهر إبريل عام ١٩٨٠م قام صدام حسين بإعدام محمد باقر الصدر أحد أبرز علماء الشيعة وأخته زينب الصدر المعروفة باسم (بنت الهدى).

ـ وفي يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠م شن صدام حسين حربه على إيران التي أسفرت عن سقوط ما يقارب نصف المليون من أزاهير شباب العراق فضلاً عن سبعمائة ألف من المعاقين والمشوهين، إضافة إلى نفقات الحرب التي تجاوزت مائتي ألف مليون من الدولارات، وكذلك تجميد كل تنمية طوال مدة زمنية تجاوزت ثماني سنوات، خرج صدام بعد كل هذه التضحيات ليعلن للعالم أن حربه مع إيران كانت خطأ، وأن الحق كل الحق في العودة إلى الاتفاقية المبرمة بينهما ـ اتفاقية الجزائر ـ.

ـ وأثناء حربه مع إيران أنزل بالمواطنين الأكراد أبشع أنواع القتل والبطش والتنكيل والإبادة باستخدام الغازات السامة والكيماوية وقنابل النابالم الحارقة بصورة همجية لم تعرف حرمة لشرع ولا لدين ولا لمروءة ولا لشرف، وقد أمر جنده أن يدكوا بمدافعهم مدناً بأكملها على رؤوس النساء والأطفال والشيوخ والرجال من مواطنين، بدلاً من أن يحميهم ويقيهم كل مكروه باعتبارهم شعبه وأبناء وطنه.

ـ وفي ٢ أغسطس سنة ١٩٩٠م (١١ المحرم سنة ١٤١١ هـ) قام باجتياح دولة الكويت واستباحة أرضها وطرد شعبها وتخريب منشآتها ونهب متاجرها وقتل الأحرار من أبنائها، وتفجير آبار النفط فيها، مما جعل العالم بأسره يقف في وجه هذا الطاغية ويحشد جنوده لحربه وطرده من الكويت، وهذا ما أنزل به هزيمة كاسحة راح ضحيتها مئات الآلاف من جنود حرسه الوطني العراقيين، وجعله يستسلم في ذلة وخنوع، ويوافق على كل شروط قوات الحلفاء المنتصرين، بعد أن دك الطيران جميع المنشآت والمرافق في العراق، وتركها خراباً في معركة غير متكافئة أطلق عليها (عاصفة الصحراء)، وعاد أمير الكويت إلى بلاده ورجعت الحكومة الكويتية من منفاها ومارست سلطاتها.

● **سلوكيات ومبادىء حزب البعث في العراق:**

ـ نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ لأنه كما يقول: «إن القدر الذي حمّلنا هذه الرسالة خولنا، أيضاً، حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقسوة» لفرض تعليمات الحزب، ومن ثم لا يوجد أي مواطن عراقي يتمتع بأبسط قدر من الحرية الشخصية أو السياسية، فكل شيء في دولة حزب البعث العراقي يخضع لرقابة بوليسية صارمة، تشكل دوائر المباحث والمخابرات والأمن قنوات الاتصالات الوحيدة بين المواطنين والنظام.

ـ تركيز سياسة الحزب(*) على قطع جميع الروابط بين العروبة والإسلام، والمناداة بفصل الدين عن السياسة، والمساواة في نظرتها للأمور بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين دين محمد عليه الصلاة والسلام، وبين ثقافة المأمون وجعلها جميعاً تتساوى في بعث الأمة العربية وفي التعبير عن شعورها بالحياة.

ـ ادّعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية(*) شرط أساسي لبقاء الأمة العربية ولإمكان تقدمها، مع أن النتيجة الحتمية للسياسة الاشتراكية التي طبقت في العراق لم تجلب الرخاء للشعب ولم ترفع مستوى الفقراء، ولكنها ساوت الجميع في الفقر، وبعد أن كان العراق قمة في الثراء ووفرة الموارد والثروات أصبح بطش حزب البعث عاجزاً عن توفير القوت الأساسي لشعبه.

ـ قيامه بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي تمتّ إلى الإسلام بصلة، وأصبحت العلمانية هي دستور العراق، ومعتقدات البعث ومبادئه هي مصدر التشريع لقوانينه.

ـ ورد في التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع والمنعقد في بغداد في شهر يونيو من عام ١٩٨٢م ما يلي:

«وأما الظاهرة الدينية في العصر الراهن فإنها ظاهرة سلفية(*) ومتخلفة في النظرة والممارسة».

«ومن الأخطاء التي ارتكبت في هذا الميدان أن بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية، وشيئاً فشيئاً صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية».

«إن النضال ضد هذه الظاهرة ـ يقصد الظاهرة الدينية ـ يجب أن يستهدفها (الحزب) حيث وجدت. . . لأنها كلها تعبر عن موقف معادٍ للشعب وللحزب وللثورة وللقضية القومية. .».

ولذلك فقد اتجه صدام حسين وحزبه إلى إعلان الحرب على الإسلام والعاملين له في جميع المجالات ولسان حاله يقول عن نفسه «وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي» واتخذت تلك الحرب الصور التالية:

ـ قام صدام حسين بقتل ٤٧ عالماً وداعية نشرت أسماؤهم في تقارير منظمة العفو الدولية، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز البدري من أهل السنة، ومحمد باقر الصدر من أئمة المذهب الشيعي، واغتيل عدد كبير من العلماء الذين أرسلهم للتفاوض مع مصطفى البرزاني الزعيم الكردي، إذ أجبرهم على ارتداء ملابس مفخخة انفجرت فيهم وقتلت عدداً كبيراً منهم. وتتابعت القرارات الصدامية بإعدام المئات من الشخصيات الإسلامية.

ـ أحال الكثيرين من أساتذة الجامعات من أصحاب الأفكار المتحررة إلى التقاعد، ثم قدمهم إلى المحاكمة، وصدرت بحقهم أحكام مختلفة بعد طردهم من وظائفهم وتحديد إقاماتهم أو سجنهم لفترات طويلة.

ـ أصدر أوامره بإغلاق مئات المساجد في العراق لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها.

ـ أصدر أوامره بمحاربة الكتاب الإسلامي، وعدم السماح به في المكتبات العامة وفي تعليل ذلك يقول سعدون حمادي «أسهل على الرقيب أن يمنع من أن يجيز، لأنه إذا منع مائة كتاب فإننا لن نحاسبه، ولكنه عندما يجيز كتاباً وتظهر فيه كلمة ممنوعة فيمكن أن تقوم القيامة».

ـ محاربة ارتداء الحجاب الإسلامي بين الفتيات المسلمات، وتشجيع العلاقات غير الشرعية بين الفتيان والفتيات، وفتح النوادي الليلية وتشجيع الفساد في المجالات كافة، وتقديم معونات سخية لكل من يقوم بفتح كباريهات، حتى أصبحت مظاهر الفجور والعهر تكسو الشوارع والأسواق وإعلانات البعث ومنشوراته تملأ المكتبات والمدارس وحانات الخمر تملأ الأزقة والأحياء، وقد أمر بفتح محلات لبيع الخمور في الكويت بعد احتلالها.

ـ كانت العراق من آخر الدول التي قبلت بالانضمام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بعدما شعر بعزله إسلاميّاً، ولم يلتزم بقرارات المؤتمر عمليًّا.

ـ دأب على دعم النظم العلمانية ضد كل من يرفع شعار الإسلام سواء في لبنان أو كشمير أو فلسطين أو قبرص أو أفغانستان، وهكذا في كل قضية إسلامية أخذ موقعه إلى جانب القوى المعادية للإسلام.

ـ جلب من وسائل التعذيب في سجون ومعتقلات بلاده ما تقشعر لهوله الأبدان، وعرف عن جلاوذته أنهم يلجؤون إلى الوسائل البشعة التالية:

ـ ثقب الآذان بآلة كهربائية.

ـ قطع جسد السجين نصفين بالمنشار الكهربائي.

ـ إرغام السجين أو المعتقل على السير حافي القدمين على سلالم مغطاة بالزجاج المكسر حتى تنزف قدماه دماً غزيراً وعندما يصل المعتقل إلى آخر درجة من السلم يصعقه تيار كهربائي.

ـ يضربون المعتقل أو المسجون بالأسلاك الكهربائية والأنابيب البلاستيكية ويغطسونه في المياه القذرة ويرشونه بالماء الحار ثم بالماء البارد.

ـ يعلقونه بمراوح السقف ثم يطلقون التيار الكهربائي، ويكوونه بالسجائر المشتعلة والمسامير المحماة في النار.

ـ يترك السجين لعدة أيام بدون طعام أو شراب ثم يقدمون له كوباً من الماء المثلج، فإذا همَّ بشربه لقي ضربة قوية تحطم الكوب الزجاجي على شفتيه وأسنانه فتتحطم أسنانه ويمتلىء فمه بقطع الزجاج المكسور.

ـ إحضار أقارب المتهمين من الزوجات والأخوات والبنات واغتصابهن أمامهم، لكي يرغموا المتهمين على الاعتراف بما اقترفوه وما لم يقترفوه.

حصاد حكم البعث العراقي:

كان لاعتدائه على الكويت واتخاذه شعار الجهاد الإسلامي أسوأ الأثر على الجماهير

المسلمة، خاصة عندما هاجم قادة المملكة العربية السعودية، ونسب شخصه إلى البيت النبوي الشريف، وأسمى نفسه عبد الله المؤمن في حين أنه عدو لدود للإسلام.

ـ أدرك الجميع كذب صدام عندما ادعى أن شعب الكويت وثواره هم الذين دعوه لغزو الكويت، ولما لم تنطل فريته على أحد ادعى أن الكويت جزءً من العراق ومن حق الجزء أن ينضم إلى الكل، وشكل حكومة بعد أخرى مدعياً أن أعضاءها من الكويتيين، ولكن الواقع كذَّب ادعاءه السخيف، وأثبت الشعب الكويتي صدق انتمائه وتمسكه بقيادته الشرعية.

ـ ظل يردد أن الحرمين الشريفين واقعان تحت الاحتلال الأمريكي الصهيوني، مما دعا إلى عقد مؤتمر للعلماء في أرض الحرمين، ودفعوا هذه التهمة باعتبارها باطلاً محضاً، وكلما زاد نفور الشارع الإسلامي من أكاذيبه ازداد الرجل تملقاً للشعارات الإسلامية.

ـ أعطى اجتياح الكويت مبررات للصهاينة لتبرير اغتصاب فلسطين، حتى صرح أحد أعضاء الكنيست من حزب الليكود بأنه على إسرائيل أن تستغل الوضع المتفاقم في الخليج لقمع الانتفاضة الفلسطينية بشكل شامل.

ـ اتضحت سياسة حزب البعث التي تنادي بالوحدة، وانكشفت أطماعهم في السعي للهيمنة على العالم العربي عن طريق الضم بالقوة، وبدأ بمنطقة الخليج التي تعد حتى الآن في بعض الحسابات الدولية مستعصية على التغريب والهيمنة، ومصدر تمويل أساسي لكل الأعمال الخيرية ولجميع مظاهر الصحوة الإسلامية، فتسبب بذلك في انتكاسة العمل الإسلامي.

ـ تسبب في انهيار النظام العربي إثر عجز الأمة العربية بمختلف مؤسساتها ومنظماتها عن ردع العدوان، وخاب أمل العرب والمسلمين في تملك قوات رادعة تقف في وجه القوات العراقية بعد أن انكشف الغطاء عن اتجاه العراق لحرب المملكة والكويت ودول الخليج العربي، ووجهوا صواريخهم لضرب الرياض والدمام وقاموا فعلاً بنسف آبار البترول في الكويت وإضرام النار فيها.

ـ كان قيام العراق بالعدوان على الكويت سبباً لاستدعاء قوات التحالف الدولي لصد الخطر المفاجىء، واضطرت الدول العربية لتحمل نفقات القوات الدولية التي استدعيت لوقف العدوان.

ـ أدى الغزو إلى تدمير بنية الكويت، وترويع شعبها وتشريده بصورة فاجعة، تجاوزت في أبعادها ما جرى في فلسطين، من حيث إن المغتصب للتراب الفلسطيني كان عدوًّا لا شبهة فيه، بينما المغتصب في الحالة الكويتية كان شقيقاً ظلم شقيقه الذي ظل طيلة ثماني سنوات

يساند ويدعم المجهود الحربي العراقي الذي استغل الفرصة وانقض عليه ليفترسه بغدر تأباه النفوس السليمة.

ـ أهدر قيمة الأمن في منطقة الخليج، وغرس بذور التوجس والقلق والخوف في أعماق أبناء المنطقة، ونزع منهم الثقة التي كانوا يولونها لأبناء جلدتهم.

ـ أهدر الغزو قيمة الوحدة العربية، وقضى على الروابط القومية، وأدى إلى شق الصف العربي بصورة غير مسبوقة، حينما تتابع إرسال جثث العمال المصريين مشحونة في صناديق مغلقة إلى بلادهم.

ـ تراجعت أولوية القضية الفلسطينية في جميع الساحات، وانقطعت الموارد المالية عن قطاعات عريضة من الفلسطينيين، كانت دخولهم من الكويت من أهم مصادر الإعاشة والتمويل.

ـ ساعد انشغال البلاد العربية بالغزو للكويت على تدفق المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي بما وصل إلى ٦٠٠ ألف مهاجر.

ـ أدت الأزمة إلى كشف الغطاء عن القضية الكردية، وفتح ملفها الذي ظل محاصراً ومدفوناً طيلة السنوات الماضية من جراء المجاملة العربية للعراق، وفضح الإعلام جرائم النظام العراقي على مستوى العالم أجمع. ودفعت جرائم البعث العراقي إلى مطالبة الأكراد بالانفصال عن العراق، أو الحصول على الحكم الذاتي لمنطقتهم، مما سيؤدي على المدى البعيد إلى ضعف وتفتت هذا البلد المسلم.

ـ أدت الأزمة إلى زيادة ملحوظة في أسعار النفط في الأسواق العالمية، وهذا ما كان له مردوده المهم على الدول المنتجة له ـ العربية وغير العربية ـ وعكست أثراً سلبيًّا آخر تمثل في إضافة أعباء اقتصادية على دول العالم الثالث التي تستورد النفط وتنوء ميزانيتها بقيمة فواتيره.

ـ لقد صاحب تحرير الكويت ـ استجابة لقرارات مجلس الأمن الدولي ـ تدمير العراق، ولم يكن التدمير مقصوراً على المنشآت العسكرية فقط، وإنما كان تدميراً شاملاً قصد في حد ذاته خلق واقع جديد ينشغل به حكام العراق لفترة طويلة لإصلاح ما أفسدته الحرب، كما يتيح للقوى العظمى التحكم في مستقبل العراق وبتروله عن طريق إعطاء حكم ذاتي للأكراد يخولهم حق السيطرة على منابع النفط في الموصل وكركوك، ويضمن الوجود المستمر لأمريكا وبريطانيا وفرنسا في المنطقة لتوفير الأمن للأقلية الكردية، هذا فضلاً عن إتاحة الفرصة لوجود عسكري دائم للقوى الاستعمارية العظمى، وفقاً لخطط سبق إعدادها للإجهاز على الجزء المشاغب ضد إسرائيل والذي أصبح منتهياً سياسياً بعد حرب الخليج، وأصبح

نظامه محاصراً إقليمياً ومعزولاً دوليًا، والعراق كله في حالة من الدمار الكامل والخراب الشامل حالياً.

ـ ولا شك أن شخص صدام حسين قد أصبح مرفوضاً على المستوى المحلي والعربي والإسلامي، بسبب أسلوبه الهمجي في التعامل مع جيرانه وأشقائه ومواطنيه الأكراد، كما أصبح ممقوتاً من حيث جبلتُه الشريرة وغريزتُه العدوانية المسعورة وسيطرة جنون العظمة على تصرفاته ولجوؤه إلى المخادعة بعد أن انكشفت نواياه الخبيثة في حربه مع إيران، ثم في انقلابه على الكويت الجارة المسالمة والداعمة له.

وقد تسبب صدام حسين في إفشال قضايا الأمن القومي العربي والقومية العربية بما أحدثه من انهيار في جدار التضامن العربي.

تقييم للأفكار والمعتقدات التي يعتنقها حزب البعث:

ـ حزب(*) البعث العربي الاشتراكي حزب قَومي علماني انقلابي له طروحات فكرية متعددة يتعذر الجمع بينها أحياناً فضلاً عن الاقتناع بها، لقد كُتِبَ عنه كثير وتحدث زعماؤه طويلاً، ولكن هناك بون شاسع بين ممارسات وأقوال فترة ما قبل السلطة، وممارسات وأقوال فترة ما بعدها.

ـ الرابطة القومية عنده هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكبح جماح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية حتى قال شاعرهم:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له ... وبالعروبة ديناً ما له ثان

ـ تعلن سياسة الحزب التربوية أنها ترمي إلى خلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها آخذاً بالتفكير العلمي، طليقاً من قيود الخرافات والتقاليد والرجعية، مشبعاً بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه، في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الإنسانية، «والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن بأن الله والأديان والإقطاع ورأس المال وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ». (إبراهيم خلاص ـ أحد كتاب الحزب في سورية).

● **من التوصيات العامة لمقررات المؤتمر القومي الرابع:**

ـ تقول التوصية الرابعة: «يعتبر المؤتمر القومي الرابع الرجعية الدينية إحدى المخاطر

الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعمل على علمانية الحزب، خاصة في الأقطار التي تشوه فيها الطائفية العمل السياسي».

ـ التوصية التاسعة تقول: «إن أفضل سبيل لتوضيح فكرتنا القومية هو شرح وإبراز مفهومها التقدمي العلماني وتجنب الأسلوب التقليدي الرومنطيقي في عرض الفكرة القومية، وعلى ذلك سيكون نضالنا في هذه المرحلة مركزاً حول علمانية حركتنا ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب».

ـ أما عن الوحدة فهم يقولون: ليست الوحدة العربية، مجرد تجميع ولصق لأجزاء الوطن العربي بل هي التحام فصهر لهذه الأجزاء، لذا فإن الوحدة ثورة بكل أبعادها ومعانيها ومستوياتها، وهي ثورة؛ لأنها قضاء على مصالح إقليمية عاشت وتوسعت وترسبت عبر القرون، وهي ثورة؛ لأنها تجابه مصالح وطبقات تعارض الوحدة وتقف في وجهها (المنطلقات النظرية للمؤتمر القومي السادس).

ـ وأما الاشتراكية فهي تعني تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة كافة لكي يمكن خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي متفتح، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم جماعية.

ـ الرسالة الخالدة: يفسرونها بأن الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ ترمي إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم.

● **هذا ويمكن ملاحظة ما يلي:**

ـ أن كلمة الدين لم ترد مطلقاً في صلب الدستور السوري أو العراقي.

ـ كلمة الإيمان بالله على عموميتها لم ترد في صلب الدستور، لا في تفصيلاته ولا في عمومياته، مما يؤكد على الاتجاه العلماني لديه.

ـ في بناء الأسرة لا يشيرون إلى تحريم الزنى ولا يشيرون إلى آثاره السلبية.

ـ في السياسة الخارجية لا يشيرون إلى أية صلة مع العالم الإسلامي.

ـ لا يشيرون إلى التاريخ الإسلامي الذي أكسب الأمة العربية مكانة وقدراً بين الشعوب.

ـ على الرغم من مطالبة الحزب بإتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين، فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الحرمات، ووأدت كل الحريات، وألجأت الكثيرين

إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد.

ـ القوانين في البلاد التي يحكمها البعث علمانية، وحانات بيع الخمور مفتوحة ليلاً ونهاراً، والنظام المالي ربوي ودعاة الإسلام مضطهدون بشكل سافر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

١ ـ يعتمد الحزب على الفكر القومي الذي ظهر وبرز بعد سقوط الدولة العثمانية في العالم العربي والذي نادت به أوربا، والذي نادى به منظِّر القومية العربية في العالم العربي آنذاك ساطع الحصري.

٢ ـ يعتمد الحزب على الفكر العلماني إذ ينحي مسألة العقيدة الدينية جانباً، ولا يقيم لها أي وزن سواء على صعيد الفكر الحزبي أو على صعيد الانتساب إلى الحزب أو على صعيد التطبيق العملي.

٣ ـ يستلهم الحزب تصوراته من الفكر الاشتراكي، ويترسم طريق الماركسية على الرغم من انهيارها، والخلاف الوحيد بينهما أن اتجاهات الماركسية أممية، أما البعث فقومي، وفيما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقده، وهي لا تزال كذلك بالرغم من انهيار البنيان الماركسي فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

٤ ـ لقد كان الحزب واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية (درزية ـ نصيرية ـ إسماعيلية ـ مسيحية) وأخذ هؤلاء يتحركون من خلاله بدوافع باطنية يطرحونها ويطبقونها تحت شعار الثورة والوحدة والحرية والاشتراكية والتقدمية وقد كانت الطائفة النصيرية أقدر هذه الطوائف على استغلال الحزب لتحقيق أهدافها وترسيخ وجودها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

١ ـ للحزب أعضاء ينتشرون في معظم الأقطار العربية، بعضهم يعمل بشكل علني وبعضهم الآخر سري، ويتفاوت وجودهم وتأثيرهم من بلد إلى آخر على حسب طبيعة البلد ونوعية حكمه.

٢ ـ يحكم حزب البعث بلدين عربيين مهمين هما سوريا والعراق، وقد عجز الحزب عن تحقيق الوحدة بين فصائله، بل إن الصراع بين شطري البعث مستمر وعلى أشده، واتهامات الخيانة بين الطرفين لا تنقضي، وإذا كان هذا هو شأن الحزب في بلدين يخضعان له فهو من باب أولى عاجز عن تحقيق وحدة الأمة العربية بكاملها.

والبعثيون يتطلعون إلى تسلم السلطة في جميع أرجاء الوطن العربي باعتبار ذلك جزءاً

لا يتجزأ من طموحاتهم البعيدة، وقد أدت بهم هذه الرغبة العارمة إلى السقوط في حمأة الإنذار المقنع والتهديد السافر والعدوان الصريح، وربما يكون حزب البعث في العراق من أسوأ ما شهده التاريخ.

ويتضح مما سبق:

أن حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي سلطوي يحاد الله ورسوله، ويسعى إلى قلب الأوضاع في العالم العربي، ويتخذ العلمانية وتحقيق الاشتراكية مطلباً يبرر سياسته القمعية، ورسالته التي يصفها ـ على خلاف الحقيقة ـ بالتقدمية ويجعل من الوحدة العربية هدفاً ينفذه بالضم والإرغام على الرغم من إرادة الشعوب.

والعلاقة معه يجب أن يحكمها قول الله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

مراجع للتوسع:

- **نضال البعث**، بشير الداعواق ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.
- **حزب البعث الاشتراكي مرحلة الأربعينات التأسيسية ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩م**، تأليف شبلي العيسمي ـ بيروت ١٩٧٥م.
- **التجربة المرة**، منيف الرزاز ـ بيروت ١٩٦٧م.
- **البعث**، سامي الجندي ـ بيروت ١٩٦٩م.
- **تجربتي مع الثورة**، محمد عمران ـ بيروت ١٩٧٠م.
- **حزب البعث**، مطاع صفدي.
- **الصراع من أجل سورية**، باتريك سيل ـ لندن ١٩٦٥م.
- **أعاصير دمشق**، فضل الله أبو منصور ـ بيروت ١٩٥٩م.
- **مذكراتي عن الانفصال**، عبد الكريم زهر الدين.
- **الدروز**، فؤاد الأطرش.
- **الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام**، محمد منير نجيب ـ ط١ ـ ١٩٨١م ـ مكتبة الحرمين.
- **حزب البعث تاريخه وعقائده**، سعيد بن ناصر الغامدي دار الوطن للنشر.
- **دراسة عن حزب البعث** وردت للندوة من أحد الكتاب «لا يريد ذكر اسمه».
- **جريدة الحياة** البيروتية ١٠/ ٢/ ١٩٦٥م ـ ١٥/ ٢/ ١٩٦٦م ـ ٨/ ٩/ ١٩٦٦م.

- **جريدة الرياض**، مجموعة مقالات الأستاذ أحمد الشيباني.
- **جريدة النهار** البيروتية ١٥/ ١٢/ ١٩٦٤م.
- **جريدة المحرر** البيروتية ١٣/ ٩/ ١٩٦٦م.
- **مجلة المجتمع** الكويتية العدد ٢٣١ ـ ٢٤/ ١٢/ ١٣٩٤ هـ ـ ٧/ ١/ ١٩٧٥م.
- **مجلة الدعوة** المصرية الأعداد ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤.
- **مقال** لفهمي هويدي العدد ٥٧٢ بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٩٩١م.

٦٢ـ الناصرية

التعريف:

الناصرية حركة(*) قومية عربية، نشأت في ظل حكم جمال عبد الناصر (رئيس مصر من عام ١٩٥٢م ـ ١٩٧٠م)، واستمرت بعد وفاته، واشتقت اسمها من اسمه، وتبنت الأفكار التي كان ينادي بها وهي: الحرية(*) والاشتراكية والوحدة، وهي نفس أفكار الأحزاب(*) القومية اليسارية العربية الأخرى.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أول من أطلق لفظ (الناصرية) محمد حسنين هيكل، الصحفي الذي رافق عبد الناصر إبان حكمه، وأصبح له شهرة في العالم العربي، وذلك بمقال له في جريدة **الأهرام** في ١٤/ ١/ ١٩٧٢م.

● جاء بعده كمال رفعت وأصدر في عام ١٩٧٦م كتيبا بعنوان **ناصريون** ذكر فيه مبادىء الناصرية وأهدافها.

● وبلور الدكتور عبد القادر حاتم الذي كان وزيراً في عهد عبد الناصر المذهب(*) الناصري في تأبينه لعبد الناصر، كما جاء في جريدة **الأخبار** (٢/ ١٠/ ١٩٧٠م) حينما قال: «أصبح في العالم اليوم مذهب(*) سياسي متميز ينتسب إلى عبد الناصر».

● وقد وافق القضاء المصري على إعلان الناصرية كحزب باسم (الحزب الديمقراطي الناصري) وذلك في يوم الاثنين ١٨/ شوال/ ١٤١٢هـ (٢٠/ ٤/ ١٩٩٢م) برئاسة ضياء الدين داود المحامي، وعضو مجلس الشعب المصري.

● وهناك من قادة الدول العربية ـ مثل معمر القذافي رئيس الجماهيرية الليبية ـ من يصرّح بأنه يسير على نهج عبد الناصر!!.

نظرة تاريخية على مؤسس الناصرية:

ـ جمال عبد الناصر: وكان يتردد على مركز الإخوان المسلمين لسماع حديث الثلاثاء منذ عام ١٩٤٢م. **(مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف)**.

ـ في أوائل عام ١٩٤٦م بايع الإخوان المسلمين على التضحية في سبيل الدعوة الإسلامية مجموعةٌ من الضباط منهم جمال عبد الناصر. **(مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف)**.

ـ بدأت علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية منذ آذار (مارس) ١٩٥٢م أي قبل قيام الثورة(*) بأربعة أشهر، كما اعترف بذلك أحد رفاقه وهو خالد محيي الدين. وتحدث اللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر بعد الثورة عن هذه العلاقة في مذكراته، وأنهم هم الذين كانوا يرسمون له الخطط الأمنية ويدعمون حرسه بالسيارات والأسلحة الجديدة.

ـ في ٢٧ يوليو ١٩٥٤م عقد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا وعارضه فيها الإخوان المسلمون.

ـ في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤م أعفي محمد نجيب من منصبه وكان رئيساً للجمهورية ليصبح عبد الناصر فرعون مصر الجديد ـ على حد تعبير رفاقه ـ كمال الدين حسين وحسن التهامي.

ـ في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤م (١٢ ربيع الآخر ١٣٧٤ هـ) نفذ عبد الناصر حكم الإعدام في ستة من قادة جماعة الإخوان المسلمين منهم عبد القادر عودة مؤلف **التشريع الجنائي في الإسلام**. فضلاً عن الاعتقالات التي شملت الآلاف من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وذلك بعد اتهامهم بالتآمر على قتله في حادثة المنشية بالإسكندرية (في العام نفسه) والتي قيل بأنها مسرحية دبرها عبد الناصر مع المخابرات المركزية للتخلص من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشكلون عقبة كبيرة لحكمه الفردي البعيد عن الدين، ولتلميع شخصيته بصفته زعيماً وطنياً حتى تتعلق به الجماهير.

ـ في عام ١٩٥٦م كان الاعتداء الثلاثي على مصر من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل.. ولم ينسحب المعتدون إلا بعد استيلاء إسرائيل على شرم الشيخ في سيناء، وجزر تيران في البحر الأحمر.

ـ شارك في الحرب اليمنية، التي قتل فيها الآلاف من الشعب المصري المسلم.. وخسرت فيها الملايين.

ـ في عام ١٩٦٦م أقدم عبد الناصر على إعدام ثلاثة من كبار جماعة الإخوان المسلمين منهم سيد قطب مؤلف **في ظلال القرآن** وكان قد اعتقل آلافاً منهم في عام ١٩٦٥م.

ـ في العام نفسه صدر القرار الجمهوري (نيسان ـ إبريل ـ ١٩٦٥م) بالعفو الشامل عن جميع العقوبات الأصلية والتبعية ضد الشيوعيين في مصر، ودخل الماركسيون في جميع مجالات الحياة في مصر بعد ذلك.

ـ في عام ١٩٦٧م كانت النكبة الثانية للعرب والمسلمين، فقد احتلت دولة اليهود في

فلسطين المحتلة، ثلاثة أمثال ما اغتصبوه عام ١٩٤٨م (سيناء والجولان والضفة الغربية) وسقطت القدس بلا قتال.

- وتوفي عبد الناصر سنة ١٩٧٠م بعد أن غرقت مصر في الديون وبعد أن خرّب مصر سياسيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا، وملأ العالم العربي بالشعارات الجوفاء.

● **ومن أخلاق عبد الناصر على لسان رفاق حياته ومعاصريه:**

- يقول حسن التهامي وهو من أقرب المقربين لعبد الناصر: «إن عبد الناصر هو الذي أمر القوات المصرية بالانسحاب إلى الضفة الغربية من قناة السويس عام ١٩٦٧م. وإن عبدالناصر هو الذي دس السم لعبد الحكيم عامر، في بيت عبدالناصر نفسه». **الأهرام ٥/ ٨/ ١٩٧٧م**.

- حسين الشافعي وهو أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بالانقلاب العسكري سنة ١٩٥٢م يقول في محاضرة له في جمعية الشبان المسلمين: «انقلوا عني: أن الجيش المصري لم يحارب في معركة ١٩٦٧م بل هزم بسبب الإهمال والخيانة، وأقول الخيانة وأضع تحتها عشرة خطوط».

- خالد محيي الدين: الآن هو زعيم التنظيم اليساري في مصر وهو أحد أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، يقول: «إن عبد الناصر كانت له علاقة بالمخابرات الأمريكية منذ مارس ١٩٥٢م أي قبل قيام الثورة(*) بأربعة أشهر».

الأفكار والمعتقدات:

● من مبادىء الناصرية:

- الحرية(*) والاشتراكية(*) والوحدة، للقضاء على مشكلات العالم العربي الأربعة: وهي الاستعمار(*)، والتخلف، والطبقية، والتجزئة بين أقطار العالم العربي. (وهي نفسها أفكار حزب(*) البعث القومي اليساري: الوحدة، الحرية، الاشتراكية).

- الحرية المطلوبة هي حرية الناصريين وليس حرية الشعب بكامله، إذ إن الناصرية القديمة (في عهد عبد الناصر نفسه) رفعت شعارات لا حرية لأعداء الحرية، وهي تعتقد بأن كل معارض لها من أعداء الحرية.

الاشتراكية أساس التقدم الاقتصادي.. وهي أساس بناء مجتمع الكفاية والعدل، والمجتمع الذي ترفرف عليه الرفاهية كما يزعمون.

- ونادت الناصرية بتوزيع الثروة الوطنية ليتحقق التغيير الاجتماعي.

- ونادت بالاشتراكية العلمية(*).. وهي خليط من الاشتراكية الماركسية والليبرالية(*)

الغربية والأفكار الوطنية مع شيء من الأفكار الدينية.

ـ الوحدة هي أساس القوة العربية.. والعروبة أو القومية العربية هي أساس قيام الوحدة. وأغفلت الناصرية رباط العقيدة التي لا تؤمن الشعوب العربية إلا بها ولا تتجمع إلا حول رايتها. وهي أساس وحدة العرب في الصدر الأول.

ـ نادت الناصرية بالديمقراطية(*) ومفهوم الديمقراطية لديها هو ديمقراطية التحالف السياسي، تبعا لتحالف القوى الاجتماعية.. أو كما وصفها محمد حسنين هيكل بديمقراطية الموافقة: أي أن الزعيم الحاكم ينفرد بالحكم وبإصدار القرارات المصيرية.. ودور الشعب يقتصر على تأييد هذه القرارات. لأنه يفترض في الزعيم العصمة والصواب والحكمة وتجسيد إرادة الشعب وحقوق التعبير عنها.

ـ العلمانية ـ أو اللادينية ـ من أسس الناصرية، أيضاً، فليس للدين(*) علاقة بالمجتمع وقوانينه ونظام حياته، وإنما هو طقوس تعبدية في المسجد فحسب.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الناصرية حركة قومية يسارية علمانية برزت بعد وفاة عبد الناصر، لذلك فهي تعتمد على الفكر القومي الذي ظهر بعد سقوط الدولة العثمانية.

● الفكر الماركسي المادي(*) أحد روافد فكرها الذي تلبسه الثوب القومي.

● الناصرية أبعدت الدين من كل مبادئها وممارساتها، من هنا جاء وصفها بالعلمانية (أو اللادينية).

النفوذ وأماكن الانتشار:

نشأت الناصرية في مصر وانتشرت في باقي البلاد العربية، وإن كان أتباعها في البلاد العربية قلة من المنتفعين، وقد طالب بعض الذين تعاونوا مع عبد الناصر إبان حكمه بتشكيل حزب ناصري في مصر وقد سمح لهم بذلك.

ويتضح مما سبق:

أن الناصرية تتجسد في حفنة من الذين تعاونوا مع عبد الناصر إبان حكمه وأظهروا الولاء لشخصه فلما سمح بالتعددية الحزبية في مصر اتفقوا على التجمع باسم القومية العربية وتحت لواء الحرية(*) والاشتراكية(*) والوحدة دون تحديد واضح لمضمون هذه الأهداف. ولكنهم على أية حال يدينون بالولاء لعبد الناصر ويعتبرونه رائدهم مشيدين بمواقفه الإيجابية

بحكم أنه أنهى الملكية الفاسدة في مصر وأمم قناة السويس، وأنهى الاحتلال البريطاني، وبنى السد العالي، وحرر اليمن الشمالي، وحقق مكاسب للعمال والفلاحين. ولكنهم يتغافلون عن سلبيات حكمه الفظيعة، التي تتمثل في إعلان الحرب على الاتجاه الإسلامي في الداخل والخارج، وتعذيب حملة لوائه عذاباً نكراً، وتقتيل فطاحل علمائه من أمثال عبد القادر عودة وسيد قطب وغيرهم بعد محاكمات صورية.

● كما دأب على الوقوف دائما في صف أعداء الإسلام ومناصرة سياستهم، فأيد نهرو في مواقفه الجائرة ضد باكستان، وأيد نيريري الذي قام بمذبحة ضد مسلمي زنجبار، وأيد مكاريوس الذي كافح من أجل إضاعة حقوق المسلمين في قبرص.

وأحيا جاهلية(*) القرن العشرين بإثارة نعرة القومية العربية وإعلان الحرب على ملوك البلدان الإسلامية وتشجيع المؤامرات الانقلابية.

● وعلى الرغم من أنه في أول حكم الثورة(*) كان قد جعل الديمقراطية(*) أحد مبادئها، إلا أنه لم يسمح ببزوغ فجرها، ووأدها في مهدها وقضى على الأحزاب المطالبة بها كافة، وأنشأ الحزب(*) الشمولي، وألغى الدستور، وجمع السلطة كلها في يده، وظل طوال حكمه مثال الحاكم المستبد الذي يضرب خصومه بيد من حديد، دون أدنى مراعاة للقيم الأخلاقية ويفتعل المؤامرات للقضاء عليهم قضاء مبرما.

وانتشر في عهده التحلل الأخلاقي والتفكك الأسري والتزلف النفعي والفساد، وقام بإلغاء الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية، وأضعف كيان الأزهر، وأصبح للمخابرات والمباحث العامة والأمن القومي السيطرة على كل المؤسسات في الدولة، وقاصمة الظهر في هذا كله أنه عرَّض الجيش المصري لهزيمة ساحقة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، وضاعت بسببها سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان والقدس الشريف، وتمكنت إسرائيل من توسيع رقعتها بما لم تكن تحلم به.

● ويعد مسؤولاً عن انفصال السودان عن مصر وعن حرب اليمن وعن السماح لإسرائيل باستعمال مضيق تيران.

● والمؤمل، إذا تجملت الناصرية ـ بعد أن سمح لها من جديد بتشكيل حزب سياسي في مصر ـ أن يفتح أنصارها عيونهم على هذه الحقائق المؤلمة ويصححوا مسارها نحو فهم جديد مستند للإسلام كأهم عنصر إيجابي في تحقيق حكم نظيف قوامه العدالة الاجتماعية وإنجاز الحرية والشورى كأساس متين لتجمع المسلمين ووحدتهم. ولعلهم بذلك يخفون وجه الناصرية القبيح ويقضون على آثارها المتعفنة ورموزها القذرة، ولهم في ماضيهم عبرة

وفيما حدث في الكويت تبصرة وذكرى ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

مراجع للتوسع:

- **كنت رئيساً لمصر** محمد نجيب.
- **تاريخ بلا وثائق** - إبراهيم سعدة.
- **البحث عن الذات**، منير حافظ.
- **مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف**.
- **الله أو الدمار**، سعد جمعة.
- **الناصرية في قفص الاتهام** - عبد المتعال الجبري.
- **الموتى يتكلمون** - سامي جوهر.
- **الناصرية وثنية سياسية** - د. فهمي الشناوي.
- **من أسرار علاقة الضباط الأحرار بالإخوان المسلمين** - حسين محمد أحمد حمودة.

القسم الثاني

اليهودية وما تفرع عنها

- الفصل الأول : مقدمة عامة
- الفصل الثاني: اليهودية
- الفصل الثالث: ما تفرع عن اليهودية

الفصل الأول

مقدمة عامة

لقد كان الدين الذي جاء به موسى عليه السلام دين(*) توحيد خالص، ولكن أتباعه من بعد سليمان عليه السلام شوَّهوه فنشأت بذلك اليهودية، وحفلت أعمالهم بالمخازي، وتصرفاتهم بالخطايا، وطغت عليهم المادة، فرأوا في الهيمنة الاقتصادية على العالم أساسًا وحيدًا لسيادة جنس اليهود، ولذا حاربوا العالم كله، فنشروا فيه الانحلال الخلقي، وساندوا الظلم، وكرسوا العدوان، وشوهوا الدين، وخرجوا على الفطرة البشرية أيَّما خروج بدعوى عنصرية فارغة وادعاء سيادة زائفة، وتم ذلك كله وغيره، من خلال الجمعيات(*) اليهودية المتعددة التي انطلقت في ظل هذه الديانة، لا لتسيء إلى هذا الدين فحسب، بل لزلزلة عقائد أهل الأديان كافة، من خلال عملية تمويه ذكية، فلم تشر هذه الجمعيات مطلقًا إلى أنها تنبثق من اليهودية أو إلى أن دعوتها موجهة لخدمة أهداف هذه الديانة المنسوخة. كما استطاعت هذه الجمعيات أن تتسرب في ذكاء ودهاء بالغين إلى كثير من المنظمات العالمية ذات الصبغة الإنسانية لكي تباشر عملياتها الهدامة من خلالها في خفاء عجيب، ولكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يكشف دسَّها اللعين ضد الدين، فظهرت على حقيقتها وبدت جلية أمام كثير من أصحاب العقول الرشيدة والآراء السديدة، فحاولوا وقف مدها، ومع ذلك فما زال كثير من الناس يجهل هذا الأمر، بل لا يكاد يعترف به.

ومن أجل بيان هذه الحقائق وغيرها تناولت الموسوعة(*) موضوع اليهودية، فبينت أنها من حيث الأصل هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة(*) ليكون لهم نبيًا، فانقسموا على أنفسهم وكان منهم المتصوفة الربانيون، ومنكرو البعث والحساب والجنة والنار، والعدوانيون غير المتسامحين، كما كان منهم من ادعى النبوة(*)، ومن دخل الإسلام ليكيد له وليشعل نار الفتنة فيه، ثم اتجهوا جميعاً إلى القول بتعدد الآلهة(*) والتجسيم والنفعية وتأكيد أنهم شعب الله المختار وأن أرواح اليهود جزء من الله وأن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم.

ومن اليهود الذين يشكلون خطراً داهماً على الإسلام يهود الدونمة الذين أظهروا

الإسلام وأبطنوا اليهودية رغبة في الكيد للمسلمين، ولذا استوطنوا جهة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية، وهاجموا حجاب المرأة ودعوا إلى السفور والتحلل وإفساد شباب الأمم كلها.

وهذا، أيضاً، هو مسلك الصهيونية، تلك الحركة(*) السياسية العنصرية المتطرفة التي هدفت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وجندت لذلك كل الإمكانات حتى أقامتها لكي تحكم ـ حسب تصوراتها ـ العالم كله من خلالها، ومن خلال فكرها الذي صاغته في بروتوكلات حكماء صهيون(*). تعتمد الصهيونية على تخويف الآخرين واستخدام العنف معهم وضرورة إغراق الأمميين(*) في الرذائل مع ضرورة إخضاع العالم لهم من خلال السيطرة الاقتصادية والمالية والهيمنة الإعلامية العالمية. كما يقول الصهاينة إنه لا بد من هدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب ونزع فكرة وجود الله من عقولهم، وحسبنا هذا لبيان ضرورة ما رنت إليه هذه الموسوعة(*) من معالجة هذه الأمور وغيرها.

ومن رحم اليهودية المشوهة والحركة الصهيونية المدمرة نشأت منظمات وحركات واتجاهات يهودية وصهيونية عديدة منها الماسونية التي لا تعدو أن تكون منظمة يهودية سرية هدامة، يحوطها الغموض، وينبثق منها الإرهاب الذي يهدف إلى سيطرة اليهود على العالم من خلال الدعوة إلى الإلحاد(*) والإباحية والفساد مع التستر تحت شعارات خداعة كالحرية(*) والمساواة والإخاء والإنسانية. ولقد استطاعت هذه المنظمة أن تضم إليها كثيراً من الشخصيات المرموقة في العالم، ومن خلالهم تحاول تحقيق أهدافها التي تتمثل في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

ومنها نوادي الليونز التي تكتسي طابعاً شكليًّا اجتماعيًّا خيريًّا، بينما هي لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية، التي تديرها أصابع يهودية من أجل إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه.

وقد انبثقت من الروتاري الدولي عدة أندية أحدها للأشبال يعرف بالإنتراكت وآخر للشباب يعرف بالروتراكت وثالث للنساء يعرف بالإنرويل، وتلك الأندية كلها تسيطر عليها اليهودية العالمية وتتفق في أهدافها مع الماسونية، وأندية الروتراكت أو شباب الروتاري التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية لا هدف لها إلا إفساد غير اليهود بوجه عام والمجتمع المسلم بوجه خاص.

ولذا عالجت الموسوعة(*) هذه المنظمات والحركات(*) حتى يقف القارىء على حقيقة أهدافها الهدامة.

● وقد تناولت الموسوعة بالبيان، أيضاً، حزب(*) حيروت الذي كان قد أسسه السياسي الصهيوني مناحم بيجين بعد قيام إسرائيل على أرض فلسطين بُغْية المطالبة بحدود إسرائيل الكبرى ومباركة الأعمال العدوانية ضد العرب، والدخول مع الدول الغربية في أحلاف ضد الدول العربية، وتشجيع الاستيطان في فلسطين من أجل طمس الهوية الإسلامية العربية والفلسطينية.

● كما تناولت الموسوعة بالبيان جمعية بناي برث أو أبناء العهد التي تعد من أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة وأحد أذرعتها الهدامة، ولما كانت هذه الجمعية يهودية فإنه لا يهمها إلا إعلاء هذا العنصر ليسود العالم.

● وقد تم عرض أفكار هذه الجماعات حسب ظهورها على مسرح التاريخ وبطريقة موضوعية محايدة يستطيع أن يستشف منها القارىء حقيقة التحدي الذي يواجه الإسلام والمسلمين والدور الذي ينبغي أن يقوم به الشباب لحماية هذه العقيدة.

الفصل الثاني

٦٣ـ اليهودية

التعريف:

اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط (بني إسرائيل) الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام، مؤيداً بالتوراة(*) ليكون لهم نبيًّا(*). واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب. وهذه بدورها قد اختلف في أصلها. وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب وعممت على الشعب على سبيل التغليب.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● موسى عليه السلام: رجل من بني إسرائيل، ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني على الأرجح ١٣٠١ ـ ١٢٣٤ ق. م وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر داخل تابوت عندما خافت عليه من فرعون، الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل. ولما بلغ الأربعين من عمره ـ على حسب بعض الروايات ـ رأى مصرياً يضرب عبرانيا، فوكز موسى المصري فمات دون أن يقصد قتله، فخرج من مصر إلى مدين حيث عمل راعياً لدى شيخ صالح هناك قيل إنه شعيب عليه السلام الذي زوجه إحدى ابنتيه.

ـ في طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأمره أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون لدعوته ولخلاص بني إسرائيل، فأعرض عنهما فرعون وناصبهما العداء، فخرج موسى ببني إسرائيل وقد كان ذلك سنة ١٢١١ ق. م[1] في عهد فرعونها منفتاح

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد سنة الخروج على أربعة أقوال كما يذكر الدكتور أحمد بدوي.

١- ذهب المؤرخ المصري الذي عاش في حدود سنة ٢٥٠ ق. م أن الخروج حدث قبل ستة قرون من عهد (مانيتو).

٢- الرأي الثاني: أن موسى عليه السلام. كان معاصراً للملك تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦)ق. م.=

الذي خلف أباه رمسيس الثاني، ولحق بهم هذا الفرعون، لكن الله أغرقه في اليم ونجّى موسى وقومه.

ـ في صحراء سيناء صعد موسى الجبل ليكلم ربه وليتسلم الألواح، لكنه لما عاد وجد غالب قومه قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري فزجرهم موسى، ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، فلما حاورهم رجال من بني جلدتهم في ذلك قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، هنا دعا موسى على قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. [المائدة: ٢٥]. فكان سببا في غضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة مات بعدها موسى ودفن في كثيب أحمر دون أن يدخل فلسطين، وقبله بقليل مات أخوه هارون ودفن في جبل (هور)، ويذكر المؤرخون أن الذين كانوا مع موسى ماتوا كلهم في التيه، باستثناء اثنين كان يوشع بن نون أحدهما.

● يوشع بن نون: فتى موسى المذكور في آيات سورة الكهف في القرآن الكريم على حسب ذكر بعض الروايات، تولى القيادة بعد موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودخل ببني إسرائيل إلى أريحا بفلسطين عن طريق شرقي الأردن، وإليه تنسب نصوص العهد القديم المذابح الدموية، إذ خرب يوشع أريحا وغيرها من المدن وأحرقها ودمرها تدميراً، ولا تكتفي تلك الروايات بنسبة تلك الأعمال البشعة إلى يوشع بل تنسب إليه أنه ذبح كل من كان فيها ماعدا الزانية (راحاب) التي تزعم النصوص نفسها أنه تزوجها مكافأة لها على خيانتها.

● عصر ما بعد الخروج: ويمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل رئيسة هي:

١ - **عصر القضاة**: ويبدأ من بعد موت يوشع بن نون، ثم تقسيم الأرض المفتوحة بين الاثني عشر سبطاً، الأمر الذي أضعف قوة اليهود. وبذلك انحصرت دولتهم في عدد من القرى الصغيرة على رأس كل منها قاض أصله كاهن، ومما يذكر أنه في هذه الفترة ارتد بنو اسرائيل عن عبادة الله تعالى سبع مرات على الأقل، إذ عبدوا عدداً من الأوثان مثل: بعليم (البعل)، وعيشتارون، وملكوم . . . . وقد استمرت هذه الفترة حوالي (١٤٠) عاماً.

= ٣- الرأي الثالث: أنه حدث أيام رمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٣) ق.م.

٤- الرأي الرابع: أنه في أيام منفتاح (١٢٢٣-١٢١١) ق.م.

ويرى الدكتور أحمد بدوي أن الرأي الرابع تؤيده اللوحات الأثرية المنقوشة في المعابد الفرعونية بمصر راجع أحمد بدوي ٢/ ٩١٢ في موكب الشمس ط ١ القاهرة ١٩٥٠م.

٢- **عصر الملوك**: تذكر نصوص العهد القديم أن صمويل النبي كان آخر قضاتهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في آيات سورة البقرة دون ذكر اسمه صراحة في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦] فما كان من صمويل إلا أن توّج لهم طالوت، المعروف في التوراة باسم شاؤل ملكاً عليهم، فانتقل ببني إسرائيل من حالة البداوة إلى حالة التمدن والاستقرار ومع ذلك لم تجاوز مملكته حدود قبيلته (بنيامين). وفي فترة ملكه انهزم بنو إسرائيل وخربت ديارهم، ولذا تذكر توراتهم أن الله جل وعلا عن إفكهم قال لصموئيل «ندمت على أني جعلت شاؤل ملكاً» صموئيل الأول ١٥ : ٢٠ .

ـ داود النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أحد أنبياء بني إسرائيل، حباه الله تعالى من فضله إذ آلان له الحديد، وأعطاه الزبور الذي هو عبارة عن الأدعية التي كان يترنم بها. فضلاً عن أنه كان أحد قواد جيش طالوت الملك، ولذا فقد عاش مأساة هوان بني إسرائيل على يد الفلسطينيين حينما صرع العملاق جالوت بالمقلاع، الأمر الذي عزز مكانته بين بني إسرائيل ليتوجه صمويل ملكاً عليهم (١٠٠٤-٩٦٥ق.م) ليصبح الملك الثاني لهم ويتخذ من القدس عاصمة لمملكته وبنى فيها معبداً ليهوه وأودع فيه تابوت العهد. وتنسب إليه نصوص التوراة ـ الموجودة بين يدي اليهود اليوم ـ مالا يليق بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ من أخلاق مرذولة حيث لا تعترف به نبياً ولكن شاعر ومحاسب وملك وعاشق كثيراً ما يرتكب الذنوب، وذلك على العكس من تكريم القرآن الكريم له .

ـ سليمان بن داود: سليمان بن داود نبي كريم خلف أباه داود النبي في ملك بني إسرائيل، وقد حباه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب وأنعم عليه بتسخير الرياح والجن، وعلمه منطق الطير، ودانت له مملكة سبأ، وتتحدث عنه المصادر اليهودية والنصرانية بوصفه الملك أو الحكيم ولم تشر إلى نبوته، ففي الإصحاح الرابع من سفر الملوك قوله: «وفاقت حكمة سليمان جميع بني المشرق . . . وكان صيته في جميع الأمم حواليه، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته» .

وإليه تنسب نصوص العهد القديم أنه استهل ملكه بقتل أخيه إدونيا ويؤاب رئيس جيش أبيه داود بالإضافة إلى أفراد آخرين، كما تنسب إليه سفر (نشيد الإنشاد) غير أن التحقيق التاريخي أثبت أن محتويات هذا السفر قد جمعت بعد عدة قرون من وفاة سليمان، وأنها مقتبسة من مصادر شعبية، وكذلك نسبت إليه خطأ سفر (حكمة سليمان) وقد تحقق من أن مؤلفه يهودي عاش في القرن الأول الميلادي ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية .

وتذكر المصادر اليهودية أنه بعد حكم سليمان تفككت مملكته وانحل اتحاد القبائل العبرانية، ليقتصر على غرب الأردن.

٣- عصر الانقسام والتمزق والزوال: ويبدأ من موت سليمان ومبايعة رحبعام بن سليمان ملكاً عليهم.

- رحبعام: الذي صار ملكاً سنة ٩٣٥ ق.م إلا أنه لم يحظ بمبايعة الأسباط سوى قبيلتي (يهود) و (بنيامين)، بينما مال باقي الأسباط إلى أخيه يربعام بن سليمان، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين:

المملكة الشمالية اسمها (اسرائيل - إفرايم) وأحياناً تسمى السامرة نسبة إلى عاصمتها ويحكمها يربعام وتضم حسب الروايات التاريخية نهر الأردن والضفة الغربية ومنها نابلس بالإضافة إلى أجزاء من الضفة الشرقية والجليل.

المملكة الجنوبية وتبلغ مساحتها ثلث مساحة المملكة الشمالية اسمها (يهودا) وعاصمتها القدس ويحكمها رحبعام وكانت تقع على البحر الميت بينما الفلسطينيون يسكنون الجزء الجنوبي من ساحل البحر الأبيض.

حكم في كل من المملكتين ١٩ ملكاً، واتصل المُلك في ذرية سليمان في مملكة يهوذا فيما تنقل في عدد من الأسر في مملكة إسرائيل.

- عاموس: نبي ظهر حوالي سنة ٧٥٠ ق.م إذ عاش أيام يربعام الثاني ٧٨٣-٧٤٣ق.م

- وقع اليهود الإسرائيليون في سنة ٧٢١ق.م تحت قبضة الآشوريين في عهد الملك سرجون الثاني ملك آشور فزالوا من التاريخ، وسقطت مملكة يهوذا تحت قبضة البابليين سنة ٥٨٦ق.م، وقد دمر نبوخذ نصر (بختنصر) أورشليم والمعبد وسبى اليهود إلى بابل وهذا هو التدمير الأول.

- أشعيا: عاش في القرن الثامن ق.م، وقد كان من مستشاري الملك حزقيال ملك يهوذا ٧٢٩-٦٦٨ق.م.

- أرميا: ٦٥٠ - ٥٨٠ق.م ندد بأخطاء قومه، وقد تنبأ بسقوط أورشليم، ونادى بالخضوع لملوك بابل مما جعل اليهود يضطهدونه ويعتدون عليه.

- حزقيال: ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، قال بالبعث والحساب وبالمسيح(*) الذي سيجيء من نسل داود ليصبح ملكاً على اليهود، وقد عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا، أبعد إلى بابل بعد استسلام أورشليم.

- دانيال: أعلن مستقبل الشعب الإسرائيلي إذ كان مشتهراً بالمنامات والرؤى

الرمزية، وقد وعد شعبه بالخلاص على يد المسيح.

● سنة ٥٣٨ق. م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل وقد سمح لهم قورش بالعودة إلى فلسطين، ولكن لم يرجع منهم إلا القليل، وأعادوا بناء الهيكل.

● في سنة ٣٢٠ق. م آل الحكم في فلسطين إلى الإسكندر الأكبر ومن بعده إلى البطالسة.

● اكتسح الرومان فلسطين سنة ٦٣ق. م. واستولوا على القدس بقيادة بامبيوس.

●ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠م، إذ دمر الإمبراطور تيطس المدينة وأحرق الهيكل، وهذا هو التدمير الثاني. وقد جاء أوريانوس سنة ١٣٥م ليزيل معالم المدينة تماماً ويتخلص من اليهود بقتلهم وتشريدهم، وقد بنى هيكلاً وثنيًّا (اسمه جوبيتار) مكان الهيكل المقدس، وقد استمر هذا الهيكل الوثني حتى دمره النصارى في عهد الإمبراطور قسطنطين.

ـ في سنة ٦٣٦م فتح المسلمون فلسطين وأجلوا عنها الرومان، وقد اشترط عليهم صفرونيوس بطريرك النصارى ألا يسكن المدينة أحد من اليهود.

ـ في سنة ١٨٩٧م بدأت الحركة الجديدة لليهود تحت اسم الصهيونية، لبناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين (يراجع بحث الصهيونية).

● **الفِرَق اليهودية:**

ـ الفريسيون: أي المتشددون، يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم(*) عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعالم الآخر.

ـ الصدقيون: وهي تسمية من الأضداد؛ لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

ـ المتعصبون: فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية، قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة(*) قتلوا فيها الرومان، وكذلك كلَّ من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان، فأطلق عليهم اسم السفَّاكين.

ـ الكتبة أو النَّساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وقد أثروا ثراءً فاحشاً على حساب مدارسهم ومريديهم.

ـ القرّاؤون: هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم(*) ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حريتهم في شرح

التوراة(*).

ـ السامريون: طائفة من المتهوّدين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يسكنون جِبَالِ بيت المقدس، أثبتوا نبوة(*) موسى وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من بعدهم. ظهر فيهم رجل، يقال له الألفان، ادعى النبوة، وذلك قبل المسيح(*) بمائة سنة. وقد تفرقوا إلى دوستانية وهم الألفانية، وإلى كوستانية أي الجماعة المتصوفة. وقبلة السامرة إلى جبل يقال له جرزيم بين بيت المقدس ونابلس، ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

الأفكار والمعتقدات:

● كتبهم:

ـ **العهد القديم**(*): وهو مقدس لدى اليهود والنصارى إذ إنه سجلٌّ فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء.. وينقسم إلى قسمين:

١ ـ **التوراة**(*): وفيه خمسة أسفار: التكوين أو الخلق، الخروج، اللاوين، الأخبار، العدد، التثنية، ويطلق عليها اسم أسفار موسى.

ـ لقد فقدت توراة(*) موسى بعد تخريب الهيكل أيام بختنصر فلما كتبت مرة ثانية أيام ارتحشتا ملك فارس جاءت محرفة عن أصلها، يقول الله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

٢ ـ أسفار(*) الأنبياء: وهي نوعان:

(ا) أسفار الأنبياء المتقدمين: يشوع، يوشع بن نون، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني.

(ب) أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، يونس، ميخا، ناحوم، حَبَقّوق، صَفَنْيا، حجّى، زكريا، ملاخي.

ـ وهناك الكتابات وهي:

١ ـ الكتابات العظيمة: المزامير، الزبور، الأمثال، أمثال سليمان، أيوب.

٢ ـ المجلات الخمس: نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي، مراثي إرميا، الجامعة، أستير.

٣ ـ الكتب: دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.

ـ هذه الأسفار(*) السابقة الذكر معترف بها لدى اليهود، وكذلك لدى البروتستانت.

ـ أما الكنيسة الكاثوليكية: فتضيف سبعة أخرى هي: **طوبيا، يهوديت، الحكمة،**

يسوع بن سيراخ، باروخ، المكابين الأول، المكابين الثاني. كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني.

ـ **استير ويهوديت**: كل منهما أسطورة تحكي قصة امرأة تحت حاكم من غير بني إسرائيل، إذ تستخدم جمالها وفتنتها في سبيل رفع الظلم عن اليهود، فضلاً عن تقديم خدمات لهم.

ـ **التلمود**: هو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب أسماه **المشنا** أي الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالإيضاح والتفسير، وقد أتم الراباي يهوذا سنة ٢١٦م تدوين زيادات وروايات شفوية. وقد تم شرح هذه **المشنا** في كتاب سمي **جمارا**، ومن **المشنا والجمارا** يتكون **التلمود**، ويحتل **التلمود** عند اليهود منزلة مهمة جدًّا تزيد على منزلة **التوراة**(*).

● أعيادهم:

ـ يوم الفصح: وهو عيد خروج بني إسرائيل من مصر، يبدأ من مساء ١٤ إبريل وينتهي مساء ٢١ منه، ويكون الطعام فيه خبزاً غير مختمر.

ـ يوم التكفير: في الشهر العاشر من السنة اليهودية ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم وتسمى أيام التوبة، وفي اليوم العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل فيه اليهودي ولا يشرب، ويمضي وقته في العبادة، إذ يعتقد أنه تغفر فيه جميع سيئاته ويستعد فيه لاستقبال عام جديد.

ـ زيارة بيت المقدس: يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد زيارة البيت المقدس مرتين كل عام.

ـ الهلال الجديد: كانوا يحتفلون لميلاد كل هلال جديد، إذ كانت تنفخ الأبواق في البيت المقدس وتشعل النيران ابتهاجاً به.

ـ يوم السبت: لا يجوز لديهم الاشتغال في هذا اليوم، لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب ـ كما يعتقدون. فقد اجتمعت اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● الإلـه(*):

ـ اليهود كتابيون انحرفوا عن أصول التوحيد الخالص التي جاءهم بها موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ واتجهوا إلى التعدد والتجسيم والنفعية مما أدى إلى كثرة الأنبياء(*) فيهم لردهم إلى جادة التوحيد كلما أصابهم انحراف في مفهوم الألوهية.

ـ اتخذوا العجل معبوداً لهم بُعَيْد خروجهم من مصر، ويروي العهد القديم أن موسى قد عمل لهم حية من نحاس وأن بني إسرائيل قد عبدوها بعد ذلك، كما أن الأفعى مقدسة لديهم لأنها تمثل الحكمة والدهاء.

ـ الإله لديهم سموه يهوه(*) وهو ليس إلهاً معصوماً بل يخطىء ويثور ويقع في الندم وهو يأمر بالسرقة، وهو قاس، متعصب، مدمر لشعبه، إنه إله(*) بني إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآخرين، ويزعمون أنه يسير أمام جماعة من بني إسرائيل في عمود من سحاب.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

ـ يعتقدون بأن الذبيح من ولد إبراهيم إنما هو إسحاق المولود من سارة. والصحيح أنه إسماعيل.

ـ لم يرد في دينهم شيء ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة وذلك أن هذه الأمور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودي المادي.

ـ الثواب والعقاب إنما يتم في الدنيا، فالثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل والاستعباد. ويتعين على كل يهودي أن يحج ثلاث مرات في العام إلى القدس في: عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال، ومن ضمن مناسك حجهم هذا تقديم قربان مشوي للهيكل.

ـ التابوت: وهو صندوق كانوا يحفظون فيه أغلى ما يملكون من ثروات ومواثيق وكتب مقدسة.

ـ المذبح: مكان مخصص لإيقاد البخور يوضع قدام الحجاب الذي أمام التابوت.

ـ الهيكل: هو البناء الذي أمر به داود وأقامه سليمان، فقد بني بداخله المحراب (أي قدس الأقداس) وهيَّأ كذلك بداخله مكاناً يوضع فيه تابوت عهد الرب.

ـ الكهانة(*): وتختص بأبناء ليفي (أحد أبناء يعقوب)، فهم وحدهم لهم حق تفسير النصوص وتقديم القرابين، وهم معفون من الضرائب وشخصياتهم وسيلة يتقرب بها إلى الله، فأصبحوا بذلك أقوى من الملوك.

ـ القرابين: كانت تشمل الضحايا البشرية إلى جانب الحيوان والثمار، ثم اكتفى الإله بعد ذلك بجزء من الإنسان وهو ما يقتطع منه في عملية الختان التي يتمسك بها اليهود إلى يومنا هذا فضلاً عن الثمار والحيوان إلى جانب ذلك.

ـ يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أممي(*) (جوييم) إسرائيليًّا فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان

والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي.

- يجوز غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه، ذلك أن غير اليهود في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم، بل إن اليهود يتقربون إلى الله بفعل ذلك بغير اليهودي.

- يقول التلمود عن المسيح(*) : إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري **باندارا** عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة.

- بسبب ظروف الاضطهاد نشأت لديهم فكرة المسيح المنتظر كنوع من التنفيس والبحث عن أمل ورجاء.

- يقولون بأن يعقوب قد صارع الرب، وأن لوطا قد شرب الخمر وزنى بابنتيه بعد نجاته إلى جبل صوغر، وأن داود قبيح في عين الرب.

- إن ديانتهم خاصة بهم، مقفلة على الشعب اليهودي.

- الولد الأكبر الذي هو أول من يرث وله حظ اثنين من إخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح شرعي أو غير شرعي في الميراث.

- بعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، ومالها ملك له، ولكن لكثرة الخلافات فقد أقر بعد ذلك أن تملك الزوجة رقبة المال والزوج يملك المنفعة.

- من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعاً بدون حد، فقد حدده الربانيون بأربع زوجات، بينما أطلقه القراءون.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● عبادة العجل مأخوذة عن قدماء المصريين، إذ كانوا هناك قبل الخروج، والفكر المصري القديم يعد مصدراً رئيسيًّا للأسفار في العهد القديم(*) .

● أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار(*) العهد القديم(*) هو تشريع حمورابي الذي يرجع إلى نحوسنة ١٩٠٠ق.م، وقد اكتشف هذا التشريع في سنة ١٩٠٢م محفوراً على عمود أسود من الصخر وهو أقدم تشريع سامي معروف حتى الآن.

● يقول التلمود بالتناسخ(*) وهي فكرة تسربت لبابل من الهند فنقلها حاخامات بابل إلى الفكر اليهودي.

● تأثروا بالفكر النصراني فتراهم يقولون: «تسبب يا أبانا في أن نعود إلى شريعتك، قربنا يا ملكنا إلى عبادتك وعد بنا إلى التوبة النصوح في حضرتك».

● في بعض مراحلهم عبدوا آلهة(*) البلعيم والعشتارت وآلهة آرام وآلهة صيدوم، وآلهة مؤاب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين (سفر القضاء: ١٠/ ٦٠).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● عاش العبريون في الأصل ـ في عهد أبيهم إسرائيل ـ في منطقة الأردن وفلسطين، ثم انتقل بنو إسرائيل إلى مصر، ثم ارتحلوا إلى فلسطين ليقيموا هناك مجتمعاً يهوديًّا، ولكن نظراً لانعزاليتهم واستعلائهم وعنصريتهم وتآمرهم، فقد اضطهدوا وشردوا، فتفرقوا في دول العالم فوصل بعضهم إلى أوربا وروسيا ودول البلقان والأمريكتين وإسبانيا، بينما اتجه بعضهم إلى داخل الجزيرة العربية التي أجلوا عنها مع فجر الإسلام، كما عاش بعضهم في أفريقيا وآسيا.

● منذ نهاية القرن الميلادي الماضي لا يزالون يجمعون أشتاتهم في أرض فلسطين تحرضهم على ذلك وتشجعهم الصهيونية والصليبية.

● مما لا شك فيه أن اليهود الحاليين ـ والذين يبلغون حوالي خمسة عشر مليوناً ـ لا يمتون بصلة إلى العبرانيين الإسرائيليين القدماء المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، إذ إنهم حاليًّا أخلاط من شعوب الأرض المتهودين الذين تسوقهم دوافع استعمارية. أما الذين يرجعون إلى أصول إسرائيلية فعلاً فهم اليوم ـ وفي إسرائيل بخاصة ـ يهود من الدرجة الدنيا.

● ظهر لكثير من الباحثين في أمر التوراة(*)، من خلال ملاحظة اللغات والأساليب وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات، أنها قد ألفت في عصور مختلفة وبأقلام مختلفة، إلا أنهم كما يخبر عنهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾ وبالتالي فهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ ولذا فقد توعدهم الله تعالى على فعلتهم هذه، بل وكل من صنع صنيعهم بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

● كما استطاع النقد الحديث أن يثبت تعارض نصوص التوراة والإنجيل(*) مع الكثير من الحقائق العلمية المعاصرة، أما النقد الباطني لها فقد اعتبرها مجموعاً متنافراً ـ كما يقول موريس بوكاي ـ وهذا يكفي لمن يريد التأكد بأن التوراة لا يمكن الاستناد إلى معطياتها لما اعتراها من تناقض وقصص مموهة بل أشعار مشكوك في صحتها، أيضاً.

يتضح مما سبق:

أن اليهودية هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل «يعقوب عليه السلام». وقد أرسل الله تعالى إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبيًّا(*). واليهود ينقسمون إلى فرق هي: الفريسيون وهم يعتقدون في البعث والملائكة وبالعالم الآخر. الصدقيون وهم ينكرون التلمود والملائكة والمسيح المنتظر. والمتعصبون ويتصفون بالعدوانية. والكتبة أو النساخ وقد عرفوا الشريعة من خلال عملهم في الكتابة وقد أثروا على حساب مدارسهم ومريديهم. والقراءون وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود. والسامريون وهم طائفة من المتهودين من غير بني إسرائيل. وعلى كلٍ فإن اليهود اليوم ليسوا إسرائيليين ولا ينتمون إلى الاثنى عشر سبطا كما سبقت الإشارة إليه..

وكتبهم هي **العهد القديم**(*) وهو ينطوي على شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء، وينقسم إلى **التوراة وأسفار الأنبياء** بنوعيها. وهناك **التلمود** وهو روايات شفوية جمعت في كتاب اسمه **المشنا** أي الشريعة المكررة، وقد شرحت **المشنا** في كتاب اسمه **جمارا**.

اليهود من حيث الأصل كتابيون موحدون، غير أنهم اتجهوا إلى التعدد والتجسيم والنفعية فكثر أنبياؤهم، وقد عبدوا العجل وقدسوا الأفعى. وقد تأكد أن **التوراة** ألفت في عصور مختلفة وبأقلام مختلفة، ولذا فإن كثيراً من نصوصها تعارض الحقائق العلمية المعاصرة، كما يعارض بعضها بعضاً.

مراجع للتوسع:

- **اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم**، زكي شنودة ـ ط١ ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٧٤م.
- **إظهار الحق**، رحمة الله الهندي.
- **الله**، عباس محمود العقاد.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبد الله التل.
- **مقارنة الأديان: اليهودية**، د. أحمد شلبي ـ ط٤ ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٤م.
- **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ طبعة عيسى البابي الحلبي.
- **التوراة: عرض وتحليل**، د. فؤاد حسنين.
- **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، محمد عزة دروزة.

- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبدالقادر شيبة الحمد - مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المراجع الأجنبية:

- Berry: Religions of the World.
- Reinach: History of Religion.
- Smith J.W.d: God and Man in Early Israel.
- Kirk: A Short History of the Middle East.
- Max Margolis and Alexander Marx: A History of the Jewish Peeple.
- Hertzl: The Jewish State.
- Weech: Civilization of Near East.
- Wells: A Short History of the Wrold.

الفصل الثالث

ما تفرع عن اليهودية

٦٤- يهود الدونمة

التعريف:

هم جماعة من اليهود أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد للمسلمين، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة(*) عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي(*). . ولا يزالون إلى الآن يكيدون للإسلام، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام؛ لأنها هي وسائل السيطرة على المجتمعات.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسها سباتاي زيفي ١٦٢٦ - ١٦٧٥م: وهو يهودي إسباني الأصل، تركي المولد والنشأة، وكان ذلك سنة ١٦٤٨م حين أعلن أنه مسيح(*) بني إسرائيل ومخلصهم الموعود واسمه الحقيقي موردخاي زيفي وعرف بين الأتراك باسم قرامنتشته.

- استفحل خطر سباتاي فاعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته ولما عرف أنه تقرر قتله أظهر رغبته في الإسلام، وتسمى باسم محمد أفندي.

- واصل دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم وكرئيس للحجاب وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن.

- طلب من الدولة السماح له بالدعوة في صفوف اليهود فسمحت له بذلك فعمل بكل خبث واستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام.

- اتضح للحكومة بعد أكثر من ١٠ سنوات أن إسلام سباتاي كان خدعة فنفته إلى ألبانيا ومات فيها.

- أطلق الأتراك على أتباع هذا المذهب الدونمة وهي مشتقة من المصدر التركي دونمك بمعنى العودة والرجوع.
- إبراهام نطحان: يهودي، وقد أصبح رسول سباتاي إلى الناس.
- جوزيف بيلوسوف: وهو خليفة سباتاي ووالد زوجته الثانية، كان يتحرك باسم عبد الغفور أفندي.
- مصطفى جلبي رئيس فرقة القره قاش وهي من ضمن ثلاث فرق تفرعت عن الدونمة وهم اليعاقبة والقاقاشية والقاباتجية.
- ليس لهم مؤلفات مطبوعة ومتداولة ولكن لهم نشرات سرية كثيرة يتداولونها فيما بينهم.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقدون أن سباتاي هو مسيح إسرائيل المخلص لليهود.
- يقولون إن الجسم القديم لسباتاي صعد إلى السماء فعاد بأمر الله في شكل ملاك يلبس الجلباب والعمامة ليكمل رسالته.
- يظهرون الإسلام ويبطنون اليهودية الماكرة الحاقدة على المسلمين.
- لا يصومون ولا يصلون ولا يغتسلون من الجنابة، وقد يظهرون بعض الشعائر الإسلامية في بعض المناسبات كالأعياد مثلاً إيهاماً وخداعاً، ومراعاة لعادات الأتراك ذرًّا للرماد في عيونهم ومحافظة على مظاهرهم كمسلمين.
- يحرمون مناكحة المسلمين، ولا يستطيع الفرد منهم التعرف على حياة الطائفة وأفكارها إلا بعد الزواج.
- لهم أعياد كثيرة تزيد على العشرين منها: الاحتفال بإطفاء الأنوار وارتكاب الفواحش، ويعتقدون أن مواليد تلك الليلة مباركون، ويكتسبون نوعاً من القدسية بين أفراد الدونمة.
- لهم زي خاص بهم فالنساء ينتعلن الأحذية الصفراء والرجال يضعون قبعات صوفية بيضاء مع لفها بعمامة خضراء.
- يحرمون المبادرة بالتحية لغيرهم.
- يهاجمون حجاب المرأة ويدعون إلى السفور والتحلل من القيم ويدعون إلى التعليم المختلط ليفسدوا على الأمة شبابها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● عقيدتهم يهودية صرفة، وبالتالي فهم يتحلّون بالخصال الأساسية لليهود، كالخبث والمراوغة والدهاء والكذب والجبن والغدر، وتظاهرهم بالإسلام إنما هو وسيلة لضرب الإسلام من داخله.

● لهم علاقة وطيدة بالماسونية، وكان كبار الدونمة من كبار الماسونيين.

● يعملون ضمن مخططات الصهيونية العالمية.

● يمتلكون ويديرون أكثر الجرائد التركية انتشاراً مثل جريدة **حريت** ومجلة **حياة** ومجلة **التاريخ** وجريدة **مليت** وجريدة **جمهوريت**، وكلها تحمل اتجاهات يسارية ولها تأثير واضح على الرأي العام التركي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● غالبيتهم العظمى توجد الآن في تركيا.

ـ لا يزالون إلى الآن يملكون في تركيا وسائل السيطرة على الإعلام والاقتصاد، ولهم مناصب حساسة جدًّا في الحكومة.

ـ كانوا وراء تكوين جماعة الاتحاد والترقي(*) التي كان جل أعضائها منهم، كما ساهموا من موقعهم هذا في علمنة تركيا المسلمة، وسخروا كثيراً من شباب المسلمين المخدوعين لخدمة أغراضهم التدميرية.

ويتضح مما سبق:

أن الدونمة طائفة من اليهود ادعت الإسلام ولا علاقة لهم به قدر ذرة، وكانوا يتحينون الفرص للانتقام من الإسلام وإفساد الحياة الاجتماعية الإسلامية والهجوم على شعائر الإسلام. ويكفي أنهم أداروا الجزء الأعظم من انقلاب تركيا الفتاة الذي أسقط السلطان عبد الحميد الثاني.

مراجع للتوسع:

ـ **يهود الدونمة**، محمد علي قطب.
ـ **وثائق منظمات وعادات السباتاي**، إبراهيم غالانتي.
ـ **مجموعة مقالات عن الدونمة**، علاء الدين غوسة.
ـ **يهود الدونمة**، للدكتور محمد عمر (مؤسسة الدراسات التاريخية).

٦٥ـ الماسونية

التعريف:

الماسونية لغة معناها البناؤون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد(*) والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة (حرية(*) ـ إخاء ـ مساواة ـ إنسانية)[١]. جلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديموقراطية عالمية ـ كما يدعون ـ وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لقد أسسها هيرودس أكريبا (ت ٤٤م) ملك من ملوك الرومان بمساعدة مستشاريه اليهوديين:

ـ حيران أبيود: نائب الرئيس.

ـ موآب لامي: كاتم سر أول.

● ولقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب، إذ اختاروا رموزاً وأسماء وإشارات للإيهام والتخويف وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام.

● قال الحاخام لاكويز: الماسونية يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها، وكلمات السر فيها وفي إيضاحاتها.. يهودية من البداية إلى النهاية.

● أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة ٤٣م.

● وسميت **القوة الخفية**، وهدفها التنكيل بالنصارى، واغتيالهم، وتشريدهم، ومنع دينهم من الانتشار.

---

(١) وقد عرّفها المستشرق الهولندي دوزي بأنها: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، وهي إعادة الهيكل إذ هو رمز إسرائيل» (انظر ـ **الماسونية في العراء** ـ محمد علي الزعبي ص٢٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

● كانت تسمى في عهد التأسيس (القوة الخفية) ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته.

● تلك هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية للماسونية فتبدأ سنة ١٧٧٠م عن طريق آدم وايزهاويت المسيحي الألماني (ت ١٨٣٠م) الذي ألحد(*) واستقطبته الماسونية ووضع الخطة الحديثة للماسونية بهدف السيطرة على العالم، وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، ووضع أول محفل في هذه الفترة (المحفل النوراني) نسبة إلى الشيطان الذي يقدسونه.

● استطاعوا خداع ألفي رجل من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية، وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين.

● ميرابو، كان أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية.

● مازيني الإيطالي الذي أعاد الأمور إلى نصابها بعد موت وايزهاويت.

● الجنرال الأمريكي (البرت مايك) سرح من الجيش فصب حقده على الشعوب من خلال الماسونية، وهو واضع الخطط التدميرية منها موضع التنفيذ.

● ليوم بلوم الفرنسي المكلف بنشر الإباحية أصدر كتاباً بعنوان **الزواج** لم يعرف أفحش منه.

● كودير لوس اليهودي صاحب كتاب **العلاقات الخطرة**.

● لاف أريدج وهو الذي أعلن في مؤتمر الماسونية سنة ١٨٦٥م في مدينة أليتش في جموع من الطلبة الألمان والإسبان والروس والإنجليز والفرنسيين قائلاً: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله(*) وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق».

● ماتسيني جوزيبي ١٨٠٥ ـ ١٨٧٢م.

● ومن شخصياتهم كذلك: جان جاك روسو، فولتير (في فرنسا)، جرجي زيدان (في مصر)، كارل ماركس وأنجلز (في روسيا) والأخيران كانا من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين ومن منتسبي المحفل الإنجليزي، ومن الذين أداروا الماسونية السرية وبتدبيرهما صدر **البيان الشيوعي** المشهور.

الأفكار والمعتقدات:

● يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات، ويعدون ذلك خزعبلات وخرافات.

● يعملون على تقويض الأديان(*).

● العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد

المختلفة والسيطرة عليها.

● إباحة الجنس واستعمال المرأة وسيلة للسيطرة.

● العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

● تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

● بث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

● تهديم المبادىء الأخلاقية(*) والفكرية والدينية، ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد(*).

● استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

● إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب، لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون ولينفذ صاغراً كل أوامرهم.

● الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني، وأن يجعل ولاءه(*) خالصاً للماسونية.

● إذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.

● كل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

● العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

● السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات؛ لتكون أعمالهم متكاملة.

● السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

● بث الأخبار المختلقة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق؛ لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

● دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم، وإباحة الاتصال بالمحارم، وتوهين العلاقات الزوجية، وتحطيم الرباط الأسري.

● الدعوة إلى العقم الاختياري وتحديد النسل لدى المسلمين.

● السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم

المتحدة(*) للتربية والعلوم والثقافة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

● لهم درجات ثلاث:

ـ العُمْي الصغار: والمقصود بهم المبتدئون من الماسونيين.

ـ الماسونية الملوكية: وهذه لا ينالها إلا من تنكر كليًّا لدينه ووطنه وأمته وتجرد لليهودية، ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثين كتشرشل وبلفور.

ـ الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم آحاد، وهم فوق الأباطرة والملوك والرؤساء؛ لأنهم يتحكمون فيهم، وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية كهرتزل، وهم الذين يخططون للعالم لصالح اليهود.

● يتم قبول العضو الجديد في جو مرعب مخيف وغريب، إذ يقاد إلى الرئيس معصوب العينين، وما إن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه وبين يديه كتاب العهد القديم(*)، ومن حوله غرفة شبه مظلمة فيها جماجم بشرية وأدوات هندسية مصنوعة من خشب... وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد.

● هي كما قال بعض المؤرخين «آلة صيد بيد اليهودية يصرعون بها الساسة ويخدعون عن طريقها الأمم والشعوب الجاهلة».

● والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمة الإسلامية، ووراء جل الثورات(*) التي وقعت في العالم: فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية(*) وعزل السلطان عبد الحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية.

● حقائق الماسونية لا تكشف لأتباعها إلا بالتدريج حين يرتقون من مرتبة إلى مرتبة وعدد المراتب ثلاث وثلاثون.

● يحمل كل ماسوني في العالم فرجارا صغيراً وزاوية قائمة لأنهما شعار الماسونية منذ أن كانا الأداتين الأساسيتين اللتين بنى بهما سليمان الهيكل المقدس بالقدس.

● يردد الماسونيون كثيراً كلمة «المهندس الأعظم للكون» ويفهمها البعض على أنهم يشيرون بها إلى الله سبحانه وتعالى، والحقيقة أنهم يعنون «حيراما» إذ هو مهندس الهيكل وهذا هو الكون في نظرهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

جذور الماسونية يهودية صرفة، من الناحية الفكرية، ومن حيث الأهداف والوسائل

وفلسفة التفكير. وهي بضاعة يهودية أولاً وأخيراً، وقد اتضح أنهم وراء الحركات الهدامة للأديان(*) والأخلاق(*). وقد نجحت الماسونية بواسطة جمعية الاتحاد والترقي(*) في تركيا في القضاء على الخلافة الإسلامية(*)، وعن طريق المحافل الماسونية سعى اليهود في طلب أرض فلسطين من السلطان عبد الحميد الثاني، ولكنه رفض يرحمه الله، وقد أغلقت محافل الماسونية في مصر سنة ١٩٦٥م بعد أن ثبت تجسسهم لحساب إسرائيل.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذاً من الماسونية، وهي من شر مذاهب الهدم التي تفتق عنها الفكر اليهودي.

● ويرى بعض المحققين أن الضعف قد بدأ يتغلل في هيكل الماسونية، وأن التجانس القديم في التفكير وفي طرق الانتساب قد تداعى.

يتضح مما سبق:

أن الماسونية تعادي الأديان(*) جميعاً، وتسعى لتفكيك الروابط الدينية، وهز أركان المجتمعات الإنسانية، وتشجع على التفلت من كل الشرائع والنظم والقوانين. وقد أوجدها حكماء صهيون لتحقيق أغراض التلمود وبروتوكولاتهم[1]، وطابعها التلون والتخفي وراء الشعارات البراقة، ومن والاهم أو انتسب إليهم من المسلمين فهو ضال أو منحرف أو كافر(*)، حسب درجة ركونه إليهم.

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه:

«ويحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها» وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله ﷺ، إذ يقول: «**لا يكن أحدكم إمعةً يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم**».

وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرَّر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم،

---

(١) وقد تضمن البروتوكول الخامس عشر من بروتوكولات حكماء صهيون نشأة الماسونية ونظامها وعملها ومهمتها وأهدافها.

ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم).

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

عبدالله المشد

● كما أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى أخرى جاء فيها:

ـ «وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات، في المجلات التي تنطق باسمها.

ـ وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١ ـ أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى عن أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

٢ ـ أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري، للتمويه على المغفلين، وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب(*).

٣ ـ أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي، ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

٤ ـ أن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية، لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

٥ ـ أن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من

توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجيًا في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

٦ ـ أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

٧ ـ أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط.

٨ ـ أنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان(*) جميعها، لتهديمها بصورة عامة، وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

٩ ـ أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية، أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

١٠ ـ أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار؛ لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري والليونز. إلى غير ذلك من المبادىء والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كليًا مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها، في موضوع قضية فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها كافر بالإسلام مجانب أهله.

والله ولي التوفيق.

الرئيس: عبدالله بن حميد ـ رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية.

نائب الرئيس: محمد علي الحركان ـ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي
الأعضاء: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
محمد محمود الصواف

مراجع للتوسع:

ـ **السر المصون في شيعة الفرمسون**، لويس شيخو ـ سنة ١٩١٢م.
ـ **هيكل سليمان**، يوسف الحاج ـ سنة ١٩٣٤م.
ـ **أسرار الماسونية**، الجنرال رفعت أتلخان.
ـ **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، عبد الله عنان.
ـ **الماسونية**، أحمد عبد الغفور عطار.
ـ **تاريخ الماسونية العام**، جرجي زيدان.
ـ **حقيقة الماسونية**، د. محمد علي الزعبي.
ـ **أصل الماسونية**، ترجمة عوض خوري.
ـ **الدنيا لعبة إسرائيل**، وليم كار.
ـ **أحجار على رقعة الشطرنج**، ترجمة سعيد (جزائري).
ـ **اليهود يجب أن يعيشوا**، صموئيل روث.
ـ **القوة الخفية التي تحكم العالم**، جان مينو.
ـ **المذاهب المعاصرة**، د. عبد الرحمن عميره.
- **الماسونية في المنطقة ٢٤٥** - أبو إسلام أحمد عبدالله.
- **الماسونية سرطان الأمم** - أبو إسلام أحمد عبدالله.
- **الماسونية العالمية في ميزان الإسلام** - د. عبدالله سمك.

٦٦ـ الصهيونية

التعريف:

الصهيونية حركة(*) سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس، إذ ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود، وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها.

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● للصهيونية العالمية جذور تاريخية فكرية وسياسية تجعل من الواجب الوقوف عند الأدوار التالية:

ـ وردت لفظة صهيون لأول مرة في العهد القديم عندما تعرض للملك داود الذي أسس مملكته ١٠٠٠ ـ ٩٦٠ق.م.

ـ حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي ٥٨٦ ـ ٥٣٨ قبل الميلاد، وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان.

ـ حركة باركوخبا ١١٨ ـ ١٣٨م وقد أثار هذا اليهودي الحماس في نفوس اليهود وحثهم على التجمع في فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها.

ـ حركة موزس الكريتي وكانت شبيهة بحركة باركوخبا.

ـ مرحلة الركود في النشاط اليهودي بسبب اضطهاد اليهود وتشتتهم. ومع ذلك فقد ظل الشعور القومي عند اليهود عنيفاً لم يضعف.

ـ حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ ١٥٠١م ـ ١٥٣٢م، وقد حث اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك إسرائيل في فلسطين.

ـ حركة(*) منشه بن إسرائيل ١٦٠٤ ـ ١٦٥٧م، وهي النواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية وركزتها على أساس استخدام بريطانيا في تحقيق أهداف الصهيونية.

ـ حركة سبتاي زيفي ١٦٢٦ ـ ١٦٧٦م الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص، فأخذ اليهود في ظله يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلصهم مات.

ـ حركة رجال المال التي تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيوري، وكانت تهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين كخطوة أولى لامتلاك الأرض ثم إقامة دولة اليهود.

ـ الحركة الفكرية الاستعمارية(*) التي دعت إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين في بداية القرن التاسع عشر.

ـ الحركة الصهيونية العنيفة التي قامت إثر مذابح اليهود في روسيا سنة ١٨٨٢م، وفي هذه الفترة ألف هيكلر الجرماني كتاباً بعنوان **إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الأنبياء**.

ـ ظهور مصطلح(*) الصهيونية Zionism لأول مرة على يد الكاتب الألماني ناثان برنباوم سنة ١٨٩٣م.

ـ في عام ١٨٨٢م ظهرت في روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم (حب صهيون) وكان أنصارها يتجمعون في حلقات اسمها (أحباء صهيون)، وقد تم الاعتراف بهذه الجماعات في عام ١٨٩٠م تحت اسم «جمعية(*) مساعدة الصناع والمزارعين اليهود في سوريا وفلسطين» وترأسها ليون بنسكر واستهدفت الجماعة تشجيع الهجرة إلى فلسطين وإحياء اللغة العبرية.

ـ الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري، ولد في بودابست في ٢/ ٥/ ١٨٦٠م وحصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا ١٨٧٨م، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءًا بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية(*).

ـ وقد أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م، مستغلا محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالخيانة ١٨٩٤م لنقله أسراراً عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا، لكن ثبتت براءته فيما بعد ونجح هرتزل في تصوير المأساة اليهودية في زعمه من خلال هذه الواقعة الفردية، وأصدر كتابه الشهير **الدولة اليهودية** الذي أكسبه أنصاراً لا بأس بعددهم مما شجعه على إقامة أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا ٢٩ ـ ٣١/ ٨/ ١٨٩٧م وقد علق عليه بقوله: «لو طلب إليّ تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية»، ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع

دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم، وهي **بروتوكولات حكماء صهيون**(*) المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم، وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء؛ لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في زماننا هذا.

الأفكار والمعتقدات:

● تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في **بروتوكولات حكماء صهيون**.

● تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة، هي الجنسية الإسرائيلية.

● تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما وعدهم إلٰهُهم(*) يهوه(*)، وتعد المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات.

● يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود، وكل الشعوب الأخرى خدم لهم.

● يرون أن أقوم السبل لحكم العالم هو إقامة الحكم على أساس التخويف والعنف.

● يدعون إلى تسخير الحرية(*) السياسية من أجل السيطرة على الجماهير، ويقولون: يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذي يوقعهم في شباكنا.

● يقولون: لقد انتهى العهد الذي كانت فيه السلطة للدين(*)، والسلطة اليوم للذهب وحده فلا بد من تجميعه في قبضتنا بكل وسيلة لتسهل سيطرتنا على العالم.

● يرون أن السياسة نقيض للأخلاق(*) ولا بد فيها من المكر والرياء. أما الفضائل والصدق فهي رذائل في عرف السياسة.

● يقولون: لا بد من إغراق الأمميين(*) في الرذائل بتدبيرنا عن طريق من نهيئهم لذلك من أساتذة وخدم وحاضنات ونساء الملاهي.

● يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا.

● يقولون: يجب أن نعمل على بث الفزع الذي يضمن لنا الطاعة العمياء، ويكفي أن يشتهر عنا أننا أهل بأس شديد ليذوب كل تمرد وعصيان.

● يقولون: نناد بشعارات الحرية(*) والمساواة والإخاء لينخدع بها الناس ويهتفوا بها وينساقوا وراء ما نريد لهم.

● يقولون: لا بد من تشييد أرستقراطية(*) تقوم على المال الذي هو في يدنا والعلم الذي اختص به علماؤنا.

● يقولون: سنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا وسيكون تعيينهم في أيدينا، واختيارهم يكون حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق(*) الدنيئة وحب الزعامة وقلة الخبرة.

● يقولون: سنسيطر على الصحافة تلك القوة الفعالة التي توجه العالم نحو ما نريد.

● يقولون: لا بد من توسيع الشقة بين الحكام والشعوب وبالعكس؛ ليصبح السلطان كالأعمى الذي فقد عصاه ويلجأ إلينا لتثبيت كرسيه.

● يقولون: لا بد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع، وجعْل السلطة هدفاً مقدساً تتنافس كل القوى للوصول إليه، ولا بد من إشعال نار الحرب بين الدول بل داخل كل دولة، عند ذلك تضمحل القوى وتسقط الحكومات وتقوم حكومتنا العالمية على أنقاضها.

● يقولون: سنتقدم إلى الشعوب الفقيرة المظلومة في زي محرريها ومنقذيها من الظلم، وندعوها إلى الانضمام إلى صفوف جنودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين والماسونيين، وبسبب الجوع سنتحكم في الجماهير ونستخدم سواعدهم لسحق كل من يعترض سبيلنا.

● يقولون: لا بد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية لكي يخضع لنا الجميع بفضل الذهب الذي احتكرناه.

● يقولون: إننا الآن بفضل وسائلنا الخفية في وضع منيع بحيث إذا هاجمتنا دولة نهضت أخرى للدفاع عنا.

● يقولون: إن كلمة الحرية(*) تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته فلنشعلها هي وأمثالها إلى أن تصبح السلطة في أيدينا.

● يقولون: لنا قوة خفية لا يستطيع أحد تدميرها تعمل في صمت وخفاء وجبروت ويتغير أعضاؤها على الدوام وهي الكفيلة بتوجيه حكام الأمميين(*) كما نريد.

● يقولون: لا بد أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب، وننزع من عقولهم فكرة وجود الله، ونحل محلها قوانين رياضية مادية؛ لأن الشعب يحيا سعيداً هانئاً تحت رعاية دولة الإيمان. ولكي لا ندع للناس فرصة المراجعة يجب أن نشغلهم بشتى الوسائل وبذلك لا يفطنوا لعدوهم العام في الصراع العالمي.

● يقولون: لا بد أن نتبع كل الوسائل التي تتولى نقل أموال الأمميين من خزائنهم إلى

صناديقنا.

● يقولون: سنعمل على إنشاء مجتمعات منحلة مجردة من الإنسانية والأخلاق(*)، متحجرة المشاعر، ناقمة أشد النقمة على الدين(*) والسياسة، ليصبح رجاؤها الوحيد تحقيق الملذات المادية(*)، وحينئذ يصبحون عاجزين عن أي مقاومة فيقعون تحت أيدينا صاغرين.

● يقولون: سنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى ونسيطر على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدي رعايانا، وبذلك نستطيع في كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها من الأمميين.

● يقولون: لقد بثثنا بذور الشقاق في كل مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية، وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية في مجتمعاتهم، ولم ننفك عن بذل جهودنا في إشعالها منذ ٢٠ قرناً، ولذلك من المستحيل على أي حكومة أن تجد عوناً من أخرى لضربنا، وإن الدول لن تقدم على إبرام أي اتفاق مهما كان ضئيلاً دون موافقتنا لأن محرك آلة الدول في قبضتنا.

● يقولون: لقد هيأنا الله لحكم العالم وزودنا بخصائص ومميزات لا توجد عند الأمميين، ولو كان في صفوفهم عباقرة لاستطاعوا مقاومتنا.

● يقولون: لا بد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا عوض إخمادها، ولا بد من الاستيلاء على أفكار الآخرين وترجمتها بما يتفق مع مصالحنا بدل قتلها.

● يقولون: سنولي عناية كبيرة بالرأي العام إلى أن نفقده القدرة على التفكير السليم، ونشغله حتى نجعله يعتقد أن شائعاتنا حقائق ثابتة، ونجعله غير قادر على التمييز بين الوعود الممكن إنجازها والوعود الكاذبة، فلا بد أن نكوّن هيئات يشتغل أعضاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التي تغدق الوعود، ولا بد أن نبث في الشعوب فكرة عدم فهمهم للسياسة وخير لهم أن يدعوها لأهلها.

● يقولون: سنكثر من إشاعة المتناقضات ونلهب الشهوات ونؤجج العواطف.

● يقولون: سننشىء «إدارة الحكومة العليا» ذات الأيدي الكثيرة الممتدة إلى كل أقطار الأرض، والتي يخضع لها كل الحكام.

● يقولون: يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة، ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال، ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

● يقولون: في الرسميات يجب علينا أن نتظاهر بنقيض ما نضمر فنستنكر الظلم

ونادي بالحريات ونندد بالطغيان.

● يقولون: إن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق، وسنشغل بها الأمميين(*) عما ينفعهم، ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة.

● يقولون: الحكام أعجز من أن يعصوا أوامرنا؛ لأنهم يدركون أن السجن أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم، فيكونوا أعظم طاعة لنا وأشد حرصاً ورعاية لمصالحنا.

● يقولون: سنعمل على ألا يكشف مخططنا قبل وقته، وألا نهدم قوة الأمميين قبل الأوان.

● يقولون: نحن الذين وضعنا طريقة التصويت ونظام الأغلبية المطلقة؛ ليصل إلى الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيأنا الرأي العام للتصويت عليهم.

● يقولون: سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد، ونحول دون وصول ذوي الامتياز إلى الرتب العالية.

● يقولون: لا يصل إلى الحكم إلا أصحاب الصحائف السود غير المكشوفة، وهؤلاء سيكونون أمناء على تنفيذ أوامرنا خشية الفضيحة والتشهير. كما نقوم بصنع الزعامات وإضفاء العظمة والبطولة عليها.

● يقولون: سنستعين بالانقلابات والثورات(*) كلما رأينا فائدة لذلك.

● يقولون: لقد أنشأنا قوانا الخفية لتحقيق أهدافنا، ولكن البهائم من الأمميين يجهلون أسرارها فوثقوا بها وانتسبوا إلى محافلها، فسيطرنا عليهم وسخرناهم لخدمتنا.

● يقولون: إن تشتيت شعب الله المختار نعمة وليست ضعفاً، وهو الذي أفضى بنا إلى السيادة العالمية.

● يقولون: ستكون كل دور النشر بأيدينا، وستكون سجلات التعبير عن الفكر الإنساني بيد حكومتنا، وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون.

● يقولون: ستكون لنا مجلات وصحف كثيرة مختلفة النزعات والمبادىء وكلها تخدم أهدافنا.

● يقولون: لا بد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والمنتديات العامة والفنون والجنس والمخدرات، لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا.

● يقولون: سنمحو كل ما هو جماعي، وسنبدأ المرحلة بتغيير الجامعات، وسنعيد تأسيسها حسب خططنا الخاصة.

● يقولون: سنتصرف مع كل من يقف في طريقنا بكل عنف وقسوة.

● يقولون: سنكثر من المحافل الماسونية، وننشرها في كل وسط لتوسيع نطاق سيطرتنا.

● يقولون: عندما تصبح السلطة في أيدينا لن نسمح بوجود دين(*) غير ديننا على الأرض.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الصهيونية قديمة قدم التوراة المحرفة(*) نفسها، وهي التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى. وحركة هرتزل إنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية القديمة.

● تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن عدداً من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة(*)، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية والاقتصادية.

● تعد أكثرية من اليهود ما يعرف **بالتلمود** دستوراً دينيًّا لهم، وهو مؤلف من بحوث أحبار اليهود وفقهائهم، وقد رسموا فيه الحدود لكل جوانب الحياة الخاصة والعامة، وقد دون فيه من الأحكام والتعليمات ما يبرر وضعهم الاجتماعي والسياسي، وما يغرس في نفوسهم ونفوس أجيالهم اللاحقة احتقار المجتمع البشري وحب الانتقام منه وأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم واستنزاف دماء غير اليهود؛ لاستعمالها في بعض المناسبات الدينية، إذ يستعمل الدم البشري بوضع نقط منه على فطير الفصح أو غيره.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية، وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله(*) الهندي فشنو(*) الذي له مائة يد) فهي لها في جل الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها.

● هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها.

● الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكريه.

● للصهيونية مئات الجمعيات(*) في أوربا وأمريكا في مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية.

● هناك من يبالغ في قوتها مبالغة كبيرة جدًّا، وهناك من يهون من شأنها، والرأيان

فيهما خطأ، على أن استقراء الواقع يدل على أن اليهود الآن يحيون فترة علو استثنائية.

يتضح مما سبق:

أن الصهيونية حركة(*) سياسية عنصرية متطرفة ترمي لحكم العالم كله من خلال دولة اليهود في فلسطين، واسمها مشتق من اسم جبل صهيون في فلسطين، وقد قامت على تحريف **تعاليم التوراة**(*) **والتلمود**، التي تدعو إلى احتقار المجتمع البشري وتحض على الانتقام من غير اليهود. وقد قنن اليهود مبادئهم الهدامة فيما عرف **ببروتوكولات حكماء صهيون**(*) التي تحوي بحق أخطر مقررات في تاريخ العالم.

مراجع للتوسع:

- **جذور البلاء**، عبد الله التل، وله، أيضاً: **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ـ خطر اليهودية العالمية**.
- **المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو العالم الإسلامي**، أنور الجندي.
- **بروتوكولات حكماء صهيون**، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار. عجاج نويهض، شوقي عبد الناصر، محمد خليفة التونسي، حسين الطنطاوي.
- **القوى الخفية**، ل. فراي.
- **مؤامرة الصهيونية على العالم**، أحمد عبد الغفور عطار.
- **الصهيونية وربيبتها إسرائيل**، عمر رشدي.
- **الصهيونية العالمية**، عباس محمود العقاد.
- **اليهودي العالمي**، هنري فورد.
- **هذه هي الصهيونية**، إسرائيل كوهين.
- **إسرائيل الزائفة**، فريد عبد الله جورجي.
- **أحجار على رقعة الشطرنج**، وليم غاي كار.
- **الصهيونية بين تاريخين**، عبد الله النجار ـ كمال الحاج.
- **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**، عبد الوهاب المسيري.
- **سياسة الاستعمار الصهيوني تجاه فلسطين**، حسن صبري الخولي.
- **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، عبد المنعم الحفني.
- **إسرائيليات**، أحمد بهاء الدين.
- **الأيديولوجية الصهيونية**، عبد الوهاب المسيري.

- **الصهيونية**، زينب عصمت وآخرون.
- **خطر اليهودية العالمية**، عبد الله التل.
- **اليهودية دين لا قومية**، المر برجر.
- **الصهيونية بين الدين والسياسة**، عبد السميع الهراوي.
- **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، إسماعيل راجي الفاروقي.
- **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، إسماعيل راجي الفاروقي.
- **الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**، حسن ظاظا.
- **الصهيونية العالمية وإسرائيل**، حسن ظاظا وآخرون.
- **من يجرؤ على الكلام**، بول فندلي.
- **مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني**، محمد حرب عبد الحميد.
- **حكومة العالم الخفية**، شيريب سيريد وفيتش.
- **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، رفيق شاكر النتشة.
- **هذه هي الصهيونية**، إسرائيل كوهين.
- **تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة**، محمد عبد الرؤوف سليم.
- **الصهيونية والعنف**، حسين الطنطاوي.
- **الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر**، محمود دياب.
- **أمريكا مستعمرة صهيونية**، صلاح دسوقي.
- **الصهيونية العالمية وأرض الميعاد**، علي إمام عطية.
- **لهذا أكره إسرائيل**، أمين سامي الغمراوي.
- **أساليب الفرد الفكري**، على جريشة ـ محمد شريف.
- **الإسلام والمستعمرات الصهيونية**، جمال الدين اليرماوي.
- **حقائق عن قضية فلسطين**، محمد أمين الحسيني.

٦٧ـ أبناء العهد (بناي برث)

التعريف:

بناي برث جمعية(*) من أقدم الجمعيات والمحافل الماسونية المعاصرة، وذراع من أذرعتها الهدَّامة، ولا تختلف عنها كثيراً من حيث المبادىء والغايات، إلا أن عضويتها مقصورة على أبناء اليهود، وخدمتها موجهة أساساً لدعم الصهيونية في العالم، والتقاط الأخبار واحتلال مراكز حساسة في الدول. ولهذه الجمعية فروع منتشرة في جميع أنحاء العالم، وهي مكلفة بدراسة نفسية كل قائد أو سياسي أو زعيم أو أي شخصية عامة للاستفادة من جوانب الضعف فيها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسست هذه الجمعية في الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة نيويورك في ١٣/ ١٠/ ١٨٤٣م بصفة رسمية بعد أن حصل اثنا عشر يهوديًّا هاجروا من ألمانيا برئاسة هنري جونيس (جونز) على رخصة رسمية بذلك. وقد اتخذت الجمعية من مدينة نيويورك مقرًّا لها ومنها انتشرت وتأسست فروع لها في جميع أنحاء الكرة الأرضية. وشعارها الشمعدان وهو شعار يهودي ديني قديم.

● منذ سنة ١٨٦٥م والجمعية تسعى لأن يكون لها وجود في فلسطين، وفي سنة ١٨٨٨م تأسس أول محفل لها، ولغة العمل الرسمية فيه هي اللغة العبرية، ومن أبرز شخصياته: ناحوم سوكولوف، دزنكوف، حاييم نخمان، دافيد يلين، مائير برلين، حاييم وايزمن وجاد فرامكين.

● لقد عملوا على تأسيس مستعمرات يهودية صغيرة في فلسطين، وكانت موتسا أول قرية يؤسسونها عام ١٨٩٤م بالقرب من القدس مشكلين بذلك نواة الكيان الإسرائيلي الحالي.

● اليهودي سيجموند فرويد عالم النفس الشهير ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م: انضم عام ١٨٩٥م إلى هذه الجمعية وكان مواظباً على حضور اجتماعاتها.

● في عام ١٩١٣م أسسوا جمعية لمكافحة التشهير والإهانة وتشويه السمعة التي يتعرض لها اليهود في العالم.

● فيليب كلوزنيك Philip Kluznick كان رئيساً لهذه الجمعية عندما عُيِّن في عهد الرئيس أيزنهاور رئيساً للوفد الأمريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة(*).

● جون فوستر دالاس: وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٨م، وهو نصراني بروتستانتي، شارك في الحفل الذي أقامته الجمعية في ٨/ ٥/ ١٩٥٦م، إذ قال في هذه المناسبة: «إن مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسانية، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التي معقلها إسرائيل».

● إن رؤساء الولايات المتحدة يثنون دائماً على الأعمال التي تقوم بها هذه الجمعية.

● قامت المنظمة بعد إعلان قيام إسرائيل بتقديم إمدادات طبية وملابس ومعدات لها وساهمت في إنشاء المكتبات وتشجير الغابات، وتقوم بتصريف سندات إسرائيل وتجنيد العمال الفنيين في الولايات المتحدة وكندا لإسرائيل.

● يتقلد زمام المنظمة رئيس ينتخب كل ٣ سنوات من قبل المحفل الأعلى الذي يتألف من ممثلي المحافل المحلية. وهناك لجنة إدارية ومديرون يشاركون في إدارة المنظمة، أيضاً.

الأفكار والمعتقدات:

● **الشعارات الظاهرية المعلنة:**

- حب الخير للإنسانية والعمل على تحقيق الرفاهية لها.
- مساعدة الضعفاء والعجزة وذوي العاهات وتقديم الدعم للمستشفيات الخيرية.
- افتتاح بيوت الشباب في جميع أنحاء العالم.
- الدفاع عن حقوق الإنسان.
- منع إهانة الجنس اليهودي.
- العطف على المضطهدين من اليهود.
- تطوير التبادل الثقافي والاهتمام بالاحتياجات الثقافية والدينية للطلاب اليهود، وذلك عن طريق مؤسسة The Hillel Foundation.
- التوجيه في مجال التدريب المهني.
- مساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية.
- فتح حوار مع مسؤولي الحكومات حول موضوعات الحقوق المدنية والهجرة والاضطهاد.

● **الأهداف الحقيقية:**

ـ ضم شباب الإسرائيليين بعضهم إلى بعض للنظر في مصالحهم العمومية والمحافظة عليها وإعدادهم لأخذ فلسطين وطناً لهم وبث الحماس في نفوسهم لتحقيق ذلك.

ـ التصدي لمن يتعرض لليهود أو يحاول عرقلة جهودهم الرامية إلى تحقيق أطماعهم واتخاذ السبل كافة لمواجهته.

ـ تمويل عمليات الهجرة إلى إسرائيل، وبيع سنداتها وتجميع الأموال اللازمة، والمساعدات التي تساعد على إدخال المهاجرين، وزيادة طاقة إسرائيل العدوانية، وإنشاء الشركات ـ لا سيما الأمريكية ـ في إسرائيل في شتى المجالات، وتسويق منتجاتها في مختلف بلدان العالم.

ـ الدعم العسكري لإسرائيل بصفة مستمرة وبصورة تدعو للدهشة والاستغراب في معرفة ما يلزم اليهود من المعدات العسكرية كمًّا وكيفًا. ولتلك الجمعية دور بارز في إنشاء المستوطنات العسكرية قبل قيام إسرائيل.

ـ تبرئة اليهود من دم المسيح(*) حتى يتيسر لليهود تحقيق أهدافهم بعيداً عن مناوأة المسيحية لهم.

ـ التغلل في الأجهزة الحكومية والتحكم في سياسات الحكومات وخصوصاً في أمريكا وبريطانيا، إذ تغلغلت في صميم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية... الخ.

ـ أن يكون الولاء أولاً وأخيراً لإسرائيل بحيث يتجاوز الوطن الذي يعيش فيه اليهودي.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

ـ إنهم يهود ولا يهمهم إلا إعلاء هذا العنصر ليسود العالم.

ـ دعم الماسونية العالمية في خططها وبرامجها الهدامة.

ـ دعم الوجود الإسرائيلي في فلسطين وتشجيع اليهود ليهاجروا إليها.

ـ العمل على تدمير الأخلاق(*) والحكومات الوطنية والأديان(*) عدا اليهودية.

ـ التعاون مع الماسونية والصهيونية لإشعال الحروب والفتن، وقد كان لهم دور بارز في الحرب العالمية الأولى.

ـ قاموا بشن هجوم على هتلر وحكمه حينما جاء إلى الحكم سنة ١٩٣٣م.

ـ كان لهم دور خطير في التمهيد للحرب العالمية الثانية.

ـ التقاط الأخبار واحتلال المراكز الحساسة في الدول المختلفة، كما أن لهم أنظمة

داخلية سرية وشبكة من العملاء السريين.

- تغلغلت هذه الجمعية(*) في صميم الحياة الأمريكية والإنجليزية، وتحكمت في شؤون الاجتماع والسياسة والاقتصاد لهذين البلدين بخاصة.

- إنهم يستخدمون المال والجنس والدعاية المركزة من أجل تحقيق الأهداف اليهودية المدمرة.

- لقد عملوا على خطف أدولف إيخمان النازي الشهير في عام ١٩٦٠م من الأرجنتين إلى إسرائيل حيث أعدم هناك في ٣١/ ٥/ ١٩٦٢م.

- التصدي لكل من يحاول النَّيل من اليهود، واغتيال الأقلام التي تتعرض لهم حتى يخضع الجميع لهيبتهم.

- إنها جمعية لا تقدم خدماتها إلا لأبناء الجالية اليهودية، ولا تعمل إلا من أجل دعم تفوقهم وسيطرتهم.

- في الاجتماع الذي عقد في مدينة بال بسويسرا ١٨٩٧م قال رئيس الوفد الأمريكي لجمعية بناي برث: «ولسوف يأتي الوقت الذي يسارع فيه المسيحيون أنفسهم طالبين من اليهود أن يتسلموا زمام السلطة».

- حظيت بناي برث بتمثيل في الأمم المتحدة(*)، وذلك من خلال عضويتها في المجلس التنسيقي للمنظمات اليهودية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- إنها منظمة يهودية وبالتالي فإن التلمود هو محور عقيدتها وتفكيرها.
- بروتوكولات حكماء صهيون(*) ركن أساسي في خططها وأهدافها.
- طموحات الماسونية الهدامة أمر مهم تعمل على تحقيقه وإنجازه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تأسست بناي برث في نيويورك وانتشرت محافلها في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، وصارت لها في هذه الدول مواقع نفوذ قوية.

● امتدت فروعها إلى أستراليا وأفريقيا وبعض دول آسيا، كما أن لها نوادي عدة في بعض البلدان الإسلامية: الأردن، سوريا، لبنان، البحرين، المغرب، تونس، العراق، مصر، السودان.

- في مصر تأسس لها محفلان أحدهما محفل ماغين دافيد رقم ٤٣٦ وقانونه مطبوع

باللغة العربية، والآخر محفل ميمونت رقم ٣٦٥ وقانونه مطبوع بالألمانية، وقد تم حظر نشاطهما في الستينات، ولكن حدث أن التقى الرئيس المصري أنور السادات بوفد من المنظمة يضم ٢٤ عضواً باستراحة الرئيس بالمعمورة، كما استقبل الوفد د. مصطفى خليل رئيس وزراء مصر آنذاك (مايو عام ١٩٧٩م) وهكذا تلقى وفودها ترحيباً في بعض الدول الإسلامية.

ويتضح مما سبق:

أنه بعد انكشاف أهداف الصهيونية ونشر بروتوكولاتهم(*) وإغلاق الكثير من محافل الماسونية، لجأ اليهود إلى تغيير الأسماء ووضعوا لافتات جديدة لنشاطاتهم مثل الروتاري والليونز وبناي برث، وهي جميعها حرب على الأديان(*) وتخريب للمبادىء الإنسانية السامية.

مراجع للتوسع:

- **الماسونية ما هي حقيقتها، أسرارها، أهدافها**، رابطة العالم الإسلامي ـ الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمساجد ـ الدورة الثالثة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ ط٣ ـ ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.
- **حقيقة نوادي الروتاري**، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت ـ ط٢ ـ ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.
- **الإسلام والحركات الهدامة**، معالي عبد الحميد حمودة ـ سلسلة دعوة الحق ـ العدد ٢٥ ـ صادر عن رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.
- **جذور البلاء**، عبدالله التل ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ ط٢ ـ ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.
- **الصهيونية ودورها في السياسة العالمية**، هايمان لوفر ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة.
- **شهادات ماسونية**، حسين عمر حمادة ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
- **التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي**، د. صبري جرجس ـ عالم الكتب ـ طبعة ١٩٧٠م.
- **الموسوعة البريطانية** Encyclopedia Britannica, Vol. II (1976) (B'nai B'rith)

٦٨ـ الروتاري

التعريف:

الروتاري جمعية(*) ماسونية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة، تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر، وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية، وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم. وكلمة روتاري كلمة إنجليزية معناها دوران أو مناوبة. وقد جاء هذا الاسم لأن الاجتماعات كانت تعقد في منازل أو مكاتب الأعضاء بالتناوب، وما زالت تدور الرئاسة بين الأعضاء بالتناوب. وقد اختارت النوادي شارة مميزة لها هي «العجلة المسننة» على شكل ترس ذي أربع وعشرين سنًّا باللونين الذهبي والأزرق وداخل محيط العجلة المسننة تتحدد ست نقاط ذهبية، كل نقطتين متقابلتين تشكلان قطراً داخل دائرة الترس بما يساوي ثلاثة أقطار متقاطعة في المركز وبتوصيل نقطة البدء لكل قطر من الأقطار الثلاثة بنهاية القطرين الآخرين تتشكل النجمة السداسية تحتضنها كلمتي «روتاري» و«عالمي» باللغة الإنجليزية.

أما اللونان الذهبي والأزرق فهما من ألوان اليهود المقدسة التي يزينون بها أسقف أديرتهم وهياكلهم ومحافلهم الماسونية وهما اليوم لونا علم «دول السوق الأوربية المشتركة».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في ٢٣ من فبراير عام ١٩٠٥م أسس المحامي بول هاريس أول ناد للروتاري في مدينة شيكاغو بولاية ألينوي وذلك بعد ثلاث سنوات من نشر بول هاريس لفكرته التي اقتنع بها البعض، ويعد سليفر شيلر (تاجر الفحم) وغوستاف ايه لوهر (مهندس المعادن) وسيرام إي شورى (التاجر الخياط) بالإضافة إلى بول هاريس (المحامي) مؤسسي الحركة الروتارية وواضعي أسسها الفكرية بعد اجتماعات متكررة دورية. وقد عقد اجتماعهم الأول في المكان نفسه الذي بني عليه فيما بعد مقر النادي الروتاري الذي يحمل اسم شيكاغو ١٧٧ اليوم. لم يقبل بول هاريس أن يرأس النادي في أول عهده بل ترك رئاسته لأحد زملائه وهو سليفر ولم يقبل بول رئاسة النادي إلا في عام ١٩٠٨م.

ـ بعد ثلاث سنوات انضم إليه رجل يدعى شيرلي د. بري الذي وسع الحركة بسرعة هائلة، وظل سكرتيراً للمنظمة إلى أن استقال منها في سنة ١٩٤٢م.

ـ توفي بول هاريس (المؤسس) سنة ١٩٤٧م بعد أن امتدت الحركة إلى ٨٠ دولة، وأصبح لها ٦٨٠٠ ناد تضم ٣٢٧٠٠٠ عضو.

● انتقلت الحركة(*) إلى دبلن بإيرلندا سنة ١٩١١م، ثم انتشرت في بريطانيا بفضل نشاط شخص اسمه مستر مورو الذي كان يتقاضى عمولة عن كل عضو جديد.

● تأسس نادي الروتاري في مدريد سنة ١٩٢١م، ثم أغلق ولم يسمح له بمعاودة النشاط في كل إسبانيا والسويد.

● لا يدون الروتاري الدولي اسم فلسطين في سجلاته بل يذكر صراحة اسم إسرائيل، ومن المعلوم أن مصر وفلسطين الدولتان الأوليان في العالم العربي والإسلامي اللتان تأسس فيهما أول نادي للروتاري وذلك في عام ١٩٢٩م (نادي روتاري القاهرة ٢/ ١/ ١٩٢٩م) نادي أورشليم (القدس) ١٩٢٩م أيضاً، كما أنهما أكثر عدداً (مصر أكثر من عشرين نادياً، فلسطين أكثر من أربعين نادياً).

وقد ارتبط تاريخ الروتاري في الوطن العربي بثلاث ظواهر:

ـ بالاستعمار الغربي في نشأته وغالبية أعضائه.

ـ بالطبقات الاستقراطية وذوي النفوذ والمال.

ـ بنشاط شامل عام لجميع العالم العربي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

● في الثلاثينات تم تأسيس فروع للروتاري في الجزائر ومراكش برعاية الاستعمار الفرنسي.

● يوجد في طرابلس الغرب فرع للروتاري، ومن أعضاء مجلس الإدارة فيه المستر جون روبنسون والمستر فونت كريج.

● يعقوب بارزيف رئيس نادي الروتاري في إسرائيل عام ١٩٧٤م غادر إسرائيل في ١٤/ ٣/ ١٩٧٤م إلى مدينة تاور مينا بصقلية لحضور المؤتمر الذي ينظمه النادي الروتاري الإيطالي، وادعى أنه سيكون مؤتمراً عربيًّا إسرائيليًّا لاشتراك وفود عدد من الدول العربية مع وفد إسرائيلي.

ـ كان أول المتحدثين مختار عزيز ممثل النادي الروتاري التونسي، ثم تكلم بعده يعقوب بارزيف اليهودي.

الأفكار والمعتقدات:

● عدم اعتبار «الدين(*)» مسألة ذات قيمة لا في اختيار العضو، ولا في العلاقة بين الأعضاء، ولا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن: يزعم الروتاري أنه لا يشتغل بالمسائل الدينية أو السياسية، وليس له أن يبدي رأياً في أي مسألة عامة قائمة يدور حولها جدال(*).

● تلقِّن نوادي الروتاري أفرادها قائمة بالأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة مرتبة حسب الترتيب الأبجدي: البوذية، النصرانية(*)، الكونفشيوسية، الهندوكية، اليهودية، المحمَّدية... وفي آخر القائمة التأويزم «الطاوية».

● إسقاط اعتبار الدين يوفر الحماية لليهود، ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة، وهذا يتضح من ضرورة وجود يهودي واحد أو اثنين على الأقل في كل ناد.

● عمل الخير لديهم يجب أن يتم دون انتظار أي جزاء مادي أو معنوي، وهذا مصادم للتصور الديني الذي يربط العمل التطوعي بالجزاء المضاعف عند الله.

● لهم اجتماع أسبوعي، وعلى العضو أن يحرز ٦٠٪ من نسبة الحضور سنويًّا على الأقل.

● باب العضوية غير مفتوح لكل الناس، ولكن على الشخص أن ينتظر دعوة النادي للانضمام إليه على حسب مبدأ الاختيار.

● التصنيف يقوم على أساس المهنة الرئيسية، وتصنيفهم يضم ٧٧ مهنة.

● العمال محرومون من عضوية النادي، ولا يختار إلا من يكون ذا مكانة عالية.

● يحافظون على مستوى أعمار الأعضاء ويعملون على تغذية المنظمة بدم جديد وذلك باجتلاب رجال في مقتبل العمر.

● يشترط أن يكون هناك ممثل واحد عن كل مهنة، وقد تخْرق هذه القاعدة بغية ضمّ عضو مرغوب فيه، أو إقصاء عضو غير مرغوب فيه، وقد نصت الفقرة الثالثة من المادة الرابعة من القانون الأساسي للروتاري الدولي على ما يلي:

ـ لا يجوز قبول أكثر من عضو عامل واحد في تصنيف من تصنيفات الأعمال والمهن باستثناء تصنيفات الأديان ووسائل الإعلام والسلك الدبلوماسي، ومع مراعاة أحكام اللائحة الداخلية الخاصة بالأعضاء العاملين الإضافيين.

● يشترط أن يكون في المجلس الإداري لكل ناد شخص أو شخصان من رؤساء النادي السابقين أي من ورثة السر الروتاري المنحدر من (بول هاريس).

● تشارلز ماردن الذي كان عضواً لمدة ثلاث سنوات في أحد نوادي الروتاري قام بدراسة عن الروتاري وخرج بعدد من الحقائق.

● بين كل ٤٢١ عضواً في نوادي الروتاري ينتمي ١٥٩ عضواً منهم للماسونية مع الاستنتاجات جعل الولاء للماسونية قبل النادي.

● في بعض الحالات اقتصرت عضوية الروتاري على الماسون فقط، كما حدث في أدنبره - بريطانيا سنة ١٩٢١م.

● ورد في محافل نانس بفرنسا سنة ١٨٨١م ما يلي: «إذا كون الماسونيون جمعية بالاشتراك مع غيرهم فعليهم ألا يدعوا أمرها بيد غيرهم، ويجب أن يكون رجال الإدارة في مراكزها بأيد ماسونية وأن تسير بوحي من مبادئها».

● نوادي الروتاري تحصل على شعبية كبيرة، ويقوى نشاطها حينما تضعف الحركة الماسونية أو تخمد، ذلك لأن الماسون ينقلون نشاطهم إليها حتى تزول تلك الضغوط فتعود إلى حالتها الأولى.

● تأسست الروتاري عام ١٩٠٥م وذلك إبان فترة نشاط الماسونية في أمريكا.

● هناك عدد من الأندية تماثل الروتاري فكراً وطريقة وهي: الليونز، الكيواني، الاكستشانج، المائدة المستديرة، القلم، بناي برث (أبناء العهد)، فهي تعمل بالصورة نفسها وللغرض نفسه مع تعديل بسيط، وذلك لإكثار الأساليب التي يتم بواسطتها بثُّ الأفكار واجتلاب المؤيدين والأنصار.

بين هذه النوادي زيارات متبادلة، وفي بعض المدن يوجد مجلس لرؤساء النوادي من أجل التنسيق فيما بينها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يوجد توافق كامل كبير بين الماسونية والروتاري في مسألة (الدين(*) والوطن والسياسة)، وفي اعتمادهم على مبدأ (الاختيار)، فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنفسه للانتساب ولكن ينتظر حتى ترسل إليه بطاقة دعوة للعضوية.

● القيم والروح التي يُصْبغُ بها الفرد واحدةٌ في الماسونية والروتاري، مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون العالمي. وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفراداً ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم.

● الروتاري وما يماثله من النوادي تعمل في نطاق المخططات اليهودية من خلال سيطرة الماسون عليها، الذين هم بدورهم مرتبطون باليهودية العالمية نظريًّا وعمليًّا، ورصيد هذه المنظمات ونشاطاتها يعود على اليهود أولاً وآخراً.

● تختلف الماسونية عن الروتاري في أن قيادة الماسونية ورأسها مجهولان على عكس الروتاري الذي يمكن معرفة أصوله ومؤسسيه، ولكن لا يجوز تأسيس أي فرع للروتاري إلا بتوثيق من رئاسة المنظمة الدولية وتحت إشراف مكتب سابق.

● تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف، وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية، وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية.

● أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء، وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع معلومات تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية، وتساعدهم على نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي، ويتأكد هذا إذا علمنا بأن العضوية لا تمنح إلا للشخصيات البارزة والمهمة في المجتمع.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت أندية الروتاري في أمريكا سنة ١٩٠٥م وانتقلت بعدها إلى بريطانيا وإلى عدد من الدول الأوربية، وفروعها الرئيسية في لندن وزيورخ وباريس، وترتبط رئاسة كل منطقة روتارية على مستوى العالم ارتباطاً مباشراً بالمركز العام في إيفانستون عن طريق ممثلها العالمي في الأفرع الرئيسة، وقد غطت أندية الروتاري ١٥٧ دولة في العالم.

● المنطقة ٢٤٥ تضم مصر، السودان، لبنان، الأردن، البحرين، قبرص، كما أن لهذه المنظمة أكثر من أربعين فرعاً في إسرائيل، ولها نواد في عدد من الدول العربية كمصر أكثر من ٢٣ نادياً والأردن ناديان وتونس والجزائر وليبيا والمغرب ١٣ ناديًا ولبنان ٥ أندية، وتعدّ بيروت مركز جمعيات الشرق الأوسط.

ويتضح مما سبق:

أن الروتاريين يستهدفون القضاء على المعالم الثقافية والدينية المتميزة، لإيجاد بيئة واحدة تعمها الأفكار والمبادىء الروتارية التي تستمد مفاهيمها من الحركة(*) الماسونية العالمية، وتتخذ الناقوس والمطرقة شعاراً لها وتتخذ هذه المنظمة أسماء أخرى تعمل في ظلها مثل: لجنة الإنرهويل التي تختص بالسيدات، وتضم مصر والأردن منطقة إنرهويل واحدة تحمل رقم ٩٥، ولجنة الروتاراكت ولجنة الإنتراكت.

وتعد هذه النوادي خطراً داهماً على الإسلام والمسلمين لتظاهرها بالعمل الإنساني

في حين أنها معاول هدم للروح الإسلامية، وتعمل في نطاق المخططات اليهودية العالمية.
وقد أصدر المؤتمر الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية الذي انعقد بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م قراره الحادي عشر والخاص بالماسونية وأندية الروتاري وأندية الليونز وحركات التسلح الخلقي وإخوان الحرية بأن:

- على كل مسلم أن يخرج منها فوراً، وعلى الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها، وأن تغلق محافلها وأوكارها.
- عدم توظيف أي شخص ينتسب إليها ومقاطعته كلية.
- يحرم انتخاب أي مسلم ينتسب إليها لأي عمل إسلامي.
- فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة.
- كما أعلن المجمع الفقهي في دورته الأولى أن الماسونية وما يتفرع عنها من منظمات أخرى كالليونز والروتاري تتنافى كلية مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

مراجع للتوسع:

- **الماسونية في العراء**، الدكتور الشيخ محمد علي الزعبي.
- **أسرار الماسونية**، جواد رفعت أتلخان.
- **الماسونية** دراسة نقدية باللغة الإنجليزية، مصباح الإسلام فاروقي.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل.
- **جذور البلاء**، عبدالله التل.
- **مقال في مجلة أنوار الأحد**، عدد ٤٦٢٧ في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣م.
- **مقال في مجلة الفكر الإسلامي**، (بيروت) العدد الأول ذي الحجة ١٣٩٣ هـ/ كانون الثاني ١٩٧٤م.
- **جريدة القبس الكويتية**، في ١٤/ ٣/ ١٩٧٤م.
- **ملحق جريدة العلم الليبية**، أغسطس ١٩٦٩م.
- **مجلة فلسطين**، أكتوبر ١٩٦٩م.
- **حقيقة أندية الروتاري**، من رسائل جميعة الإصلاح الاجتماعي بالكويت.
- **دراسة عن أندية الروتاري الماسونية**، بقلم أبي إسلام أحمد عبدالله.
- **الطابور الخامس**، بقلم أبي إسلام أحمد عبدالله.
- **الماسونية في المنطقة (٢٤٥)**، بقلم أبي إسلام أحمد عبد الله.
- **شرخ في جدار الروتاري** -أبو إسلام أحمد عبدالله.

- لا ياشيخ الأزهر - الفتاوى الشرعية في أندية روتاري وليونز الماسونية - أبو إسلام أحمد عبدالله.
- الماسونية العالمية في ميزان الإسلام، د. عبدالله سمك.
- مجلات الروتاري (المنطقة ٢٤٥) ونشرات الأندية في مصر والسودان وغيرهما.
- اليهودية، د. أحمد شلبي.
- صحيفة الأهرام ٦/ ٢/ ١٩٨٠م، ٢٧/ ٤/ ١٩٨٠م.
- مجلة الجيل ١٠/ ٦/ ١٩٦٣م.
- قوانين الروتاري الدولية ولوائحه الداخلية والإقليمية والمحلية.
- القانون الأساسي للماسونية.
- الدستور الماسوني.
- الروتاري في قفص الاتهام، أبو إسلام أحمد عبد الله.
- الموسوعة البريطانية المجلد ١٩.
- قاموس الأندية الروتارية.
- موسوعة المورد، منير البعلبكي.
- حقيقة الروتاري في مصر، أبو إسلام أحد عبد الله.
- شهادات روتارية، حسين عمر حماده.
- روز اليوسف عدد ١٩٢١م.

المراجع الأجنبية

ROTARY AND ITS BROTHERS, Charles F. Marden (Princeton University Press-1963).
TO WARDS MY NEIGHBOUR., G.R.H Nitt.
MY RODE TO ROTOTARY RAVL. P. HARRIS.
ROTARY SERVICE
SERVICE IN LIFE AND WORK.

٦٩ـ الليونز

التعريف:

الليونز مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر، لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في صيف ١٩١٥م دعا مؤسس هذه النوادي ملفن جونس إلى فكرة إنشاء نواد تضم رجال الأعمال من مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وكان أول نادٍ تأسس من هذا النوع في مدينة سانت أنطونيو ـ تكساس.

● في مايو ١٩١٧م ظهرت المنظمة العالمية لنوادي الليونز إلى الوجود، وقد عقدت اجتماعها الأول في شيكاغو حيث أقدم نوادي الروتاري.

● يعتقد بعض الدارسين أن هذا النادي تابع لنوادي بناي برث أي (أبناء العهد) الذي تأسس في ١٣/ ١٠/ ١٨٣٤م في مدينة نيويورك.

● بصورة عامة فإن هذه النوادي جميعاً تتبع بشكل أو بآخر منظمة البنائين الأحرار (الماسون).

● لقد أنشىء نادي الليونز ليكون بديلاً عن النوادي السابقة في حالات انكشافها أو اضطهادها لما يتمتع به من مظهر اجتماعي إصلاحي خيري.

الأفكار والمعتقدات:

● إن اسمهم (الليونز) أي (الأسود) إنما يرمز إلى القوة والجرأة وحروف الكلمة بالإنجليزية (Lions) كل منها يرمز لمعنى عندهم.

● تنهى كسائر النوادي الماسونية عن المجادلة في الأمور السياسية والعقائدية الدينية.

● تتظاهر بالعمل في الميادين التالية:

ـ الدعوة إلى الإخاء والحرية(*) والمساواة.

- الخدمات العلمية والثقافية.
- تشجيع تبادل الزيارات والرحلات واللقاءات.
- نشر معاني الخير والتعاون بين الشعوب.
- تنمية روح الصداقة بين الأفراد بعيداً عن الروابط العقدية.
- الاهتمام بالرفاهية الاجتماعية.
- العمل على نشر المعرفة بكل الوسائل الممكنة.
- مساعدة المكفوفين والخدمات الاجتماعية الأخرى.
- تخفيف متاعب الحياة اليومية عن المواطنين.
- تقديم الخدمات إلى البيئة المحلية.
- إقامة المسابقات الترفيهية وتشجيع اللقاءات وتبادل الزيارات والرحلات.
- دعم المشروعات الخيرية.
- دعم مشروعات الأمم المتحدة(*).

● **العضوية**:

- شروط العضوية في هذه النوادي لا تختلف كثيراً عن شروط العضوية في نوادي الماسونية والروتاري.
- لكنها تمتاز عن النوادي الماسونية بأنه يجوز لديهم أن يمثل المهنة الواحدة أكثر من عضوين.
- لا يستطيع أي شخص أن يقدم طلب انتساب إليها، إنما هم الذين يرشحونه ويعرضون عليه ذلك إذا رأوا مصلحة لهم فيه.
- يشترط أن يكون العضو من رجال الأعمال الناجحين.
- يشترط أن يكون مكان عمل العضو في المنطقة ذاتها التي فيها النادي.
- يفرض على كل عضو أن يحقق نسبة حضور في الاجتماعات الأسبوعية لا تقل عن ٦٠٪ سنوياً.
- يمنعون منعاً باتًّا دخول العقائديين وذوي الغيرة الوطنية الشديدة.
- يجتذبون الشباب والشابات بغية المحافظة على أدنى مستوى ممكن من الأعمار الشابة للمحافظة على حيوية النادي الدائمة فضلاً عن سهولة التأثير.
- يجتذبون السيدات من زوجات كبار المسؤولين، كما يسند إليهن مهمة الاتصال بالشخصيات الكبيرة، ولهن نوادٍ خاصة بهنَّ تسمى نوادي سيدات الليونز.

الهيكل التنظيمي:

● تتشابه أندية الليونز مع أندية الروتاري في وضع نظام شبه جغرافي، يقسم العالم إلى عدد من التكتلات حسب كثافة انتشار الأندية، ولكل تكتل رقم خاص ويتكون التكتل الواحد من دولة أو عدد من الدول، ويسمى بالمنطقة أو المحافظة رقم، وترتبط رئاسة كل منطقة من المناطق على مستوى العالم مباشرة بالمركز العام، وتقع مجموعة الدول العربية في المنطقة ٣٥٢.

● **يتكون كل نادٍ من:**

- رئيس.
- نائب رئيس أو أكثر.
- سكرتير - وأمين صندوق.
- مجلس إدارة مؤلف من (١٢) عضواً على أن يكون بينهم شخص أو اثنان من رؤساء النادي السابقين، بهدف إحكام القبضة على المجلس كي لا ينحرف في أي مسار لا يريدونه لناديهم.
- لجان متنوعة تشكل من قبل المجلس لتشمل الأنظمة المختلفة.

خطورة هذه النوادي:

● نشاطاتها الخيرية الظاهرية مصيدة تخفي وراءها أهدافها الحقيقة.

● يتسمون بالتخطيط الدقيق، ويعملون على أساس من السرية في جمع المعلومات.

● يتعرفون على أسرار المهن من خلال لقاءاتهم، مما يعطيهم قدرة على التحكم في السوق المحلية كما يعينهم على التدخل في الشؤون الاقتصادية للبلد.

● يجمعون المعلومات المتعلقة بالشؤون السياسية والدينية للبلد الذي يعملون فوق أرضه، ويرسلونها إلى مركز المنظمة العالمي التي تقوم بتحليلها ووضع الخطط اللازمة والمناسبة حيالها.

● إنهم يُقَسِّمون المنطقة التي يعملون فيها، ومن ثم يجب أن يغطي كل قسم بنشاطه القطاع المتعلق به.

● هناك غموض شديد يكتنف أسرارهم ومواردهم ووسائلهم.

● تضرب مجالس إدارات مناطق الليونز إجراءات أمن مشددة حولها.

● يرددون دائماً شعار (الدين[*] لله والوطن للجميع).

● الإسلام لديهم يقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى سماوية كانت أم بشرية، هذا من حيث الظاهر، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لسواه.

● يركزون في دعواتهم ومحاضراتهم على إبراز مكانة معينة لإسرائيل وشعبها، كما يقومون بزراعة أفكار صهيونية في عقول أعضائها.

● لقد عقدوا دورة في نوادي ليونز مصر الجديدة بالقاهرة للحديث عن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

● إنهم يقيمون حفلات مختلطة ماجنة راقصة تحت شعار (الحفلات الخيرية).

● لقد أصدر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة في مكة المكرمة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٩٨هـ قراراً بَيَّنَ فيه أن مبادىء حركات(*) الماسونية والليونز والروتاري تتناقض كليًّا مع مبادىء وقواعد الإسلام.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن نوادي الليونز لا تخرج عن الدائرة الماسونية التي تتبع لها، فالجذور إذن واحدة.

● إنها تدعو إلى فكرة الرابطة الإنسانية وإزالة العوائق بين البشر.

● إنها تستمد جوهرها الحقيقي من الفكر الصهيوني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لهذه المنظمة نوادٍ في أمريكا وأوربا وفي كثير من بلدان العالم.

● ادعت نوادي الليونز في أوائل عام ١٩٧٠م بأن عدد أعضائها يزيد على (٩٣٤,٠٠٠) عضو موزعين في (١٤٦) بلداً.

● مركزها الرئيسي الحالي هو في أوك بروك بولاية الينوي في الولايات المتحدة الأمريكية.

● نوادي الليونز والروتاري نشطت في مصر بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل.

● إنها تتخذ من الفنادق الضخمة مراكز لها كفندق السلام بمصر الجديدة وفندق هيلتون وشبرد وشيراتون.

● إنها ترصد مبالغ ضخمة كجوائز تقدم خلال حفلات تنمية الصداقة وحفلات الاهتمام ببعض المشروعات مما يضع إشارة استفهامْ حول طبيعة الموارد المالية.

ويتضح مما سبق:

أن الليونز لافتة جديدة للماسونية لجأ اليهود إليها عندما أغلقت المحافل الماسونية. والحقيقة أن ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ومع الأسف فإنها تباشر نشاطها في كثير من البلاد الإسلامية، مثل مصر والأردن وسوريا ولبنان والبحرين والمغرب وتونس والعراق، وهم يعرضون أحياناً بعض ما يسمونه نشاطاً اجتماعيًا ويدَّعون أنهم يريدون به للمجتمع أن ينمو وفق نظام هندسي دقيق تذوب فيه النعرات القومية والعصبيات الجنسية والاختلافات الدينية، والحقيقة التي يجب ألا تخفى على مسلم هي أنهم جماعة مشبوهة وتكتنفها الرِّيَب والشكوك، ويكفي أنها مدعومة من جهات خارجية غير معلومة.

مراجع للتوسع:

- **شهادات ماسونية**، حسين عمر حماده ـ دار قتيبة بدمشق ـ ط١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **حقيقة نوادي الروتاري**، جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ ط٢ ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **الماسونية في العراء**، الشيخ محمد علي الزعبي.
- **أسرار الماسونية**، جواد رفعت أتلخان.
- **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل.
- **جذور البلاء**، عبدالله التل.
- **الماسونية**، محمد صفوت السقا وسعدي أوجيب ـ إصدار رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ ط٢ ـ ١٤٠٢هـ.
- **الماسونية والصهيونية والشيوعية**، د. صابر عبد الرحمن طعيمه ـ دار الفكر العربي بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٩٧٨م.
- **المثلث ٣٥٢ ـ أندية ليونز الماسونية في مصر** - أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة - القاهرة.
- **مجلة الجندي المسلم**، السنة الحادية عشرة ـ العدد ٣٤ ـ ذو الحجة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **جريدة الأخبار القاهرية**، بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٨٤م.
- **لائحة النظام الأساسي للجمعية العالمية لأندية الليونز.**
- **انظر الموسوعة البريطانية**، طبعة ١٩٧٤م ـ مجلد ٤ ـ صفحة ٣٠٢ ـ في الحديث عن الماسونية (البناؤون الأحرار).

المراجع الأجنبية:

Encyclopaedia Britannica, Vol. V,p.385,1974.

٧٠ـ حيروت (الحرية)

التعريف:

حيروت حزب(*) سياسي صهيوني أسسه مناحم بيجن في فلسطين المحتلة بعد قيام الدولة اليهودية المسماة إسرائيل عام ١٩٤٨م، ويعد حزب حيروت وريث منظمة الأراجون الإرهابية قبل عام ١٩٤٨م.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بعد عام ١٩٤٨م: ـ انصهرت منظمة الأراجون زفائي لؤمي في جيش الدفاع الإسرائيلي (تسهال)، وأما من رفضوا الارتباط بالجيش الإسرائيلي فقد شكلوا حزباً سياسيًّا سموه حزب حيروت أو الحرية الذي يحمل لواء الإرهاب. وكان على رأس الحزب مناحم بيجن..

● وفي سنة ١٩٦٥م تحالف حزب حيروت مع حزب الأحرار وكونوا معاً تشكيلاً حزبيًّا تحت اسم جحل، وهو الاختصار العبري لأسماء أحزاب (جوش حيروت ليبراليم) أو(كتلة حيروت والأحرار). واتبعت خطًّا فكريًّا وعقديًّا لا يخرج في قليل أو كثير عن خط حيروت العقدي.

● وفي نهاية سنة ١٩٧٣م كونت جحل وعدة أحزاب يمينية هي: المركز الحر (ورئيسه شامير رئيس الوزراء السابق) والقائمة الرسمية وحركة أرض إسرائيل الكاملة، تكتلاً عرف باسم الليكود لمواجهة حزب العمل الحاكم، وظهرت في هذه التكتلات شخصيات إرهابية، منها أرييل شارون وعزراوايزمان والدكتور بنيامين هيلفي.

ـ أعلنت (الليكود) برنامجها أمام الكنيست، وهو يبرز نفس السياسة الإرهابية، ويغصُّ بمفاهيم العنف والتأكيد على حقوق الاستيطان حتى في الأراضي المحتلة.

وأهم الشخصيات في هذا التكتل:

● مناحم بيجن: ولد سنة ١٩١٣م في بولندة، والتقى بالزعيم الصهيوني جابوتنسكي سنة ١٩٣٨م الذي عينه ممثلاً للحركة(*) الصهيونية، ودخل بيجن فلسطين سنة ١٩٤٢م والتحق بالمنظمة الإرهابية الأراجون، إذ تولى قيادتها في العام نفسه.

وأسس حزب(*) حيروت سنة ١٩٤٨م بعد حل منظمة الأراجون. وفي سنة ١٩٧٣م قاد تكتل الليكود، وتولى رئاسة الحكومة اليهودية في فلسطين المحتلة سنة ١٩٧٧م. وفي سنة ١٩٧٧م وقع اتفاقية كامب ديفيد مع الرئيس المصري أنور السادات.

- يعد مناحم بيجن من أشد الإرهابيين المتبعين سياسة جابوتنسكي ويلخص سياسته بقوله: «أنا أحارب فأنا موجود». «القوة هي لغة التفاهم مع العرب».

● عزرا وايزمان ولد في تل أبيب سنة ١٩٢٤م، عمل في سلاح الجو البريطاني.. واشترك في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، وعين قائداً لسلاح الطيران الإسرائيلي من سنة ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦م واشترك في حرب سنة ١٩٦٧م ثم عين وزيراً للمواصلات، ثم وزيراً للدفاع سنة ١٩٧٥م.

● يوحنا بيدر: من منظمة الأراجون الإرهابية وهو محرك الحزب وواضع نظرياته الفلسفية الإرهابية، ورئيس تحرير جريدة **حيروت**.

● يعقوب ميريدور مدير عمليات الأراجون السابق.

● يوحنا بارو - ناحوم يثعن.. والجميع تجمعهم صفة الإرهاب والتطرف.

● أرييل شارون: ولد في فلسطين سنة ١٩٢٨م وانضم إلى المنظمة الإرهابية الهاجاناه في سنة ١٩٤٤م واشترك في حرب ١٩٤٨م واشترك في حرب ١٩٥٦م بين إنجلترا وفرنسا وإسرائيل من جهة، ومصر من جهة أخرى.. واشترك في حرب ١٩٦٧م وأحيل إلى التقاعد بعد الحرب مباشرة، واستعد للحرب في سنة ١٩٧٣م وقام بعملية الثغرة (الدفرسوار) في الضفة الغربية لقناة السويس. والتحق بتكتل الليكود الذي يعد حزب حيروت أكبر حزب فيه.. وأصبح من أبرز الزعماء اليهود.. فضلاً عن أنه قائد القوات اليهودية التي اجتاحت لبنان، وهو المخطط لمذبحة صبرا وشاتيلا في لبنان.

الأفكار والمعتقدات:

● أهم المبادىء الرئيسة - في التعريف بالحزب(*) - منذ تأسيسه كحزب مستقل، وحتى انضمامه إلى تكتل (الليكود) الذي ضم عدة أحزاب، كلها ذات مبادىء واحدة، أبرزها:

- المطالبة بحدود إسرائيل الكبرى، وعدم التخلي عن أي أرض احتلت عام ١٩٦٧م، وأن للشعب اليهودي حقاً تاريخياً وغير قابل للتنازل عنه في أرض إسرائيل.. أرض الأجداد.

ـ مباركة الأعمال العدوانية ضد الدول العربية.. والحرب هي الوسيلة الوحيدة التي يفهمها العرب.

ـ العمل على تشجيع الاستيطان الديني والريفي في فلسطين، واعتبار أن تشجيع الهجرة يقع على رأس مهام الدولة، بما يستلزمه ذلك من ضرورة تخصيص الأموال اللازمة للاستيطان.

ـ إدراك وحدة المصير والنضال المشترك من أجل وجود الشعب اليهودي في أرض فلسطين والدياسبورا (أرض الشتات).

ـ التجنيد الإجباري واجب على كل مواطن، ولذا يلزم إعداد الجنود إعداداً فنيًّا حديثاً مع الاهتمام بالقوات الاحتياطية.

ـ التعاون مع المعسكر الغربي والدخول في أحلاف عسكرية معه، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا.

ـ يعد الحزب فرعاً لاتحاد الصهيونيين وأفرعه المنتشرة في أوربا وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا.

ـ التضييق على الأقلية العربية في الدولة، والعمل على تصفية معسكرات اللاجئين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن ادعاء الصهيونية بالحق التاريخي لليهود في فلسطين، وأنها أرض الميعاد وأن اليهودي فوق الجميع، وأن اليهود شعب الله المختار. وكذلك أسلوب الإرهاب والعنف والقتل الجماعي الذي اتبعه اليهود في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٤٨م وبعده.. إن ذلك كله يرجع أولاً وقبل كل شيء إلى التعاليم التلمودية اليهودية التي يعدونها مقدمة على التوراة(*) نفسها.

ـ فالعنصرية اليهودية الغالبة نجدها في قول التلمود: «إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة» و«إن اليهود وحدهم هم البشر أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات».

ـ وسياسة العنف والقتل لدى الصهاينة الجدد.. نجد سندها في قول التلمود: «ليس من العدل استعمال الرحمة مع الأعداء» و«ممنوع العطف على الإنسان الأبله» و«من الواجب على اليهودي أن يبذل جهده كاملاً في استئصال شأفة النصارى والمسلمين عن وجه الأرض..».

ـ وقد وعى مفكرو اليهود دروس التلمود، ونظَّروه في مبادىء وأفكار، حتى أصبحت هذه المبادىء فلسفة خاصة بهم، ومن هذا المنطلق نجد أن جذور الفكر الإرهابي لحزب حيروت ولأحزاب إسرائيل الأخرى، تمتد إلى المفكر اليهودي زئيف جابوتنسكي ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠م الذي ولد في روسيا وزار فلسطين سنة ١٩٠٨م وأسس منظمة الهاجاناه الإرهابية ووضع للمنظمات اليهودية المبادىء التي يجب السير عليها لتحقيق حلمهم في أرض فلسطين ومن هذه المبادىء:

١ ـ العنف هو الطريق الوحيد لإقامة دولة إسرائيل واستمرارها.

٢ ـ إن عصر الحريات والإنسانيات الذي يعترف بحقوق الآخرين قد ولّىَ، وحل مكانه عالم جديد يرفض النزعة الإنسانية ولا يلتفت إطلاقاً لحقوق الآخرين، ويستند على الأنانية القومية لتأكيد وجوده الذي لا ينتعش في ظل العقل(*) والأخلاق(*) بلْ في ظل الحيوية الجسدية.

٣ ـ عدم التقرُّب إلى العرب أو الثقافة العربية (عارض جابوتنسكي أي محاولة من قبل اليهود للتقرب إلى الثقافة العربية سنة ١٩٢٤م، وعندما قالوا له إن العرب أبناء عم لنا فهم من نسل إسماعيل، ردّ قائلاً: إن إسماعيل ليس بعمنا، فنحن ـ وهذا بفضل الله!! ـ ننتمي إلى أوربا، وعلى مدى ألفي عام ساعدنا في خلق ثقافة الغرب).

٤ ـ الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، وثقافته فوق كل الثقافات. هذه هي المبادىء التي وضعها الإرهابي الأول جابوتنسكي.

وأخذت هذه المبادىء سبيلها إلى التطبيق العملي على مستوى منظمات الدفاع اليهودية الرسمية قبل وبعد إنشاء إسرائيل، ويعدُّ مناحم بيجن التلميذ الأول الذي استوعب أفكار وآراء أستاذه جابوتنسكي وترسخت في مفهومه ومفهوم كل المنظمات الإرهابية، الأراجون والهاجاناه وغيرها..

ـ إن الاتجاهات الصهيونية بمختلف انتماءاتها تسير على نهج جابوتنسكي وتشعر بشعوره المفعم بالكراهية للعرب والمسلمين، مهما حاولت الصهيونية الحالية أن تصفه بأنه لا يمثل إلا نفسه ولكن الواقع يثبت غير ذلك.

ـ وهناك من مفكري الحركة(*) الصهيونية من تأثر بفلسفة نيتشه الفيلسوف الألماني عن الإنسان الأعلى (السوبرمان)، وأن القوة هي الأساس في الكون، ومنهم جوزيف بيرويشفكي (١٨٦٥ ـ ١٩٢١م) الذي يرى أن التوتر، والثورة(*) العنيفة هي الطريق الوحيد لقيام إسرائيل.

ـ ومن هذا الفكر أصَّل بن جوريون ـ أول رئيس لدويلة اليهود ـ السياسة اليهودية تجاه المسلمين والعرب في كتابه **إسرائيل**: «**سنوات التحدي**» إذ يقول: «إن هذه الدولة المسماة بإسرائيل لا يمكنها أن تعيش إلا بالقوة والسلاح» «القوة هي لغة التفاهم مع العرب».

ـ وكذلك مناحيم بيجن في كتابه «**التمرد**» فقد أعطى الأبعاد الكاملة لفلسفة التمرد والإرهاب قائلاً: «أنا أحارب فأنا موجود». «إذا لم نحارب فإننا سوف نفنى، والحرب هي الطريق الوحيد للخلاص».

ويتضح مما سبق:

أن حيروت حزب(*) سياسي صهيوني أسسه مناحم بيجن في فلسطين المحتلة بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، وهو يطالب بحدود إسرائيل الكبرى، مع عدم التخلي عن أي أرض احتلت عام ١٩٦٧م، ويبارك الأعمال العدوانية ضد الدول العربية، ويعتبر الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي يفهمها العرب، ويشجع الاستيطان الديني والريفي في فلسطين، والتضييق على الأقلية العربية، وجعل إسرائيل تدور دائماً في فلك المعسكر الغربي، حتى تتحقق الأهداف الإسرائيلية من حيث تكريس العنف ووأد حقوق الإنسان العربي والحيلولة دون شيوع الثقافة العربية في إسرائيل.

مراجع للتوسع:

ـ **الصهيونية وسياسة العنف**، محمود سعيد عبدالظاهر، الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩م.
ـ **العنف والسلام**، دراسة في الاستراتيجية الصهيونية ـ إبراهيم العابد ـ منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٧م.
ـ **نظرة في أحزاب إسرائيل**، أسعد رزوق منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦م.
ـ **إسرائيل الكبرى**، دراسة في الفكر الصهيوني التوسعي.
ـ **الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي**، بسام أبو غزالة منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦م.
ـ **المطامع الصهيونية التوسعية**، عبدالوهاب كيالي ـ منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٦م.
ـ **التمرد**، قصة الأراجون، مناحم بيجن ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م القاهرة.

- **إني أتهم**، روجيه ديلورم ـ دار الجرمق للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٨٠م .
- **همجية التعاليم الصهيونية**، بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي ـ بيروت .
- **حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره**، د. محمد شتا أبو سعد، بحث مقدم لمؤتمر حقوق الشعوب العالمي، الذي نظمته جامعة الزقازيق ١٩٨٤م بالقاهرة ص١ ـ ٦٠ .

المراجع الأجنبية :

Lenczowski, G: The Middle East in the World Affairs. New York 1956.
Glubb, J.B.: Soldier with the Arabs, London 1948.
Herzle, Theodar: The Jewish State. New York 1972.
Menuhin Mashe: The Decadance of Judaism in our Time.
Begin. Menachem: The Revolt. Story of the Irgunn, New York 1951.
Herzle, Theodor: The Complete Diaries Vol.4. 1616.
Ben Gurion. David: Rebirth and Destiny of Israel. New York 1964.

٧١ـ الأنتراكت

التعريف:

هي نواد اجتماعية وثقافية مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولية، التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية، وتضم هذه النوادي طلبة المدارس الإعدادية والثانوية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بتوجيه من مؤتمر الروتاري الدولي عام ١٩٦١/١٩٦٢م أنشئت أندية الأنتراكت من طلبة المدارس الإعدادية والثانوية، وتسمى: بأندية الطلائع.. وتتراوح أعمار الأطفال بين ١٤ و١٨ سنة. وقد دلت إحصائية خاصة عن أندية الأنتراكت عن العام ١٩٨٣/ ١٩٨٤م بأنه تم إنشاء ١٢١ ناديًا للأنتراكت بلغ عدد أعضائها من تلاميذ المدارس ٩٥١٥٠ عضواً. ويشرف على هذا العدد من أندية الأنتراكت: ٣٤٥٩ نادياً للروتاري في ٧٩ دولة من مجموع الدول الروتارية.

● وفي سنة ١٩٨٦م صدرت عن المركز الرئيسي للروتاري بالولايات المتحدة الأمريكية نشرة خاصة بعنوان: **هذا الروتاري** جاء فيها عن الأنتراكت والروتراكت أنه أصبح لها أكثر من عشرة آلاف نادٍ في مائة دولة.

● وقد أنشئت نوادي الأنتراكت في بعض البلاد العربية منها: مصر.. وقد نشرت مجلة: **أكتوبر**.. في تاريخ ١٦/ ١١/ ١٩٨٠م الحفل السنوي لنادي الأنتراكت، الذي أقيم في نادي سبورتنج بالإسكندرية، وأحيت الحفلة فرقة البتي شاه الغنائية الراقصة. ولا توجد تحت أيدينا إحصائيات عن نوادي الأنتراكت في البلاد العربية والإسلامية الأخرى.

الأفكار والمعتقدات:

● إن تخصيص هذه النوادي لرعاية الأطفال من ١٤ ـ ١٨ سنة يكشف المخطط الخطير الذي تسعى إليه منظمة الروتاري العالمية، للتأثير على الأطفال وصياغة تفكيرهم وسلوكهم وفق أهدافها الخبيثة، بعد أن تمت السيطرة على الكبار من الرجال والنساء.

● ترفع هذه النوادي شعارات خادعة تلبس ثوباً براقاً مثل التربية الحديثة، والرياضة، والثقافة. وقضاء أوقات الفراغ.. وإعداد الطفل للمجتمع... الخ. وتخفي الهدف الحقيقي، وهو إخضاع وتلقين الصغار مفاهيم روتارية لاستخدامهم في المستقبل في تنفيذ المآرب الصهيونية الخبيثة.

● تنشأ هذه النوادي في حدود منطقة الروتاري، حيث توجد نوادي الكبار، كي يسهل السيطرة عليها ضمن خطط الروتاري للرجال، والأنرهويل للنساء.

● تنشأ هذه النوادي ـ على الأرجح ـ في المعاهد الخاصة التي تديرها الأقليات النصرانية واليهودية في البلاد العربية والإسلامية.

● تقيم هذه النوادي حفلات غنائية ومسرحية خاصة بالصغار؛ لما لهذه الوسائل من تأثير قوي وفعال في الصغار.

● من أنشطة هذه النوادي إقامة الرحلات والمخيمات الخلوية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● باعتبار أن الأنتراكت تأسست من قبل نادي الروتاري، فإن غرضها هو غرض نادي الروتاري العالمي، ذي الخلفية اليهودية الماسونية. وإن جميع الأنشطة التي تقوم بها هذه الأندية تخدم في النهاية اليهودية العالمية، باسم الإنسانية، والثقافة، والإخاء بين الشعوب..

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تأسست هذه النوادي في الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه من مؤتمر الروتاري الدولي سنة ١٩٦١م، وانتشرت في أوربا، وصار لها فروع في معظم أنحاء العالم، ولها فرع في إسرائيل وفي بعض الدول العربية مثل مصر والأردن ولبنان ودول المغرب العربي.

ويتضح مما سبق:

أن الأنتراكت أندية مشبوهة مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولية التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية، ولها غايات وأهداف خفية وتعمد إلى تثبيت انتماءات الشباب الغض للأفكار الماسونية عن طريق منح السلام الدراسية وتبادل الشبيبة، وقد أفتى المجمع الفقهي في دورته الأولى بمكة المكرمة في ١٠ شعبان سنة

١٣٩٨هـ بتحريم الانتساب إلى هذه الأندية.

مراجع للتوسع:

- **الروتاري في قفص الاتهام**، أبو إسلام أحمد عبد الله ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ط١٩٨٧م.
- **شرخ في جدار الروتاري**، أبو إسلام أحمد عبد الله ـ دار الاعتصام. القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **شهادات روتارية**، حسين عمر حمادة ـ دمشق ـ دار قتيبة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **مجلة أكتوبر**، القاهرة ـ في ١٦/ ١٢/ ١٩٨٠م.
- **مجلة الجندي المسلم**، الرياض ـ العدد ٥٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ ـ أكتوبر ١٩٨٩م.
- **حقيقة أندية الروتاري**، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي ـ الكويت.

المراجع الأجنبية:

- Rotary and its Brothers, Charles. F. Marden. 1963 1.
- My Road to Rotary Ranl. P. Harris
- Rotary Service.

٧٢ـ الروتراكت (شباب الروتاري)

التعريف:

هي أندية اجتماعية ثقافية ترويحية، مرتبطة بمنظمة الروتاري الدولية التي تسيطر عليها اليهودية العالمية والمنظمات الماسونية. وتضم هذه النوادي طلبة الجامعات وخريجيها ممن لا يقل عمرهم عن ١٨ سنة، ولا يزيد على ٢٨ سنة من الذكور أو الإناث أو من الجنسين حسب ما يقرره النادي الراعي. ونادي شباب الروتاري منظمة يرعاها نادي الروتاري، وتهدف ـ كما يزعمون ـ إلى تشجيع التمسك بالمستويات الخلقية العليا في جميع الأعمال، وتنمية القيادة والشعور بالمسؤولية عن طريق خدمة المجتمع وتعزيز التفاهم الدولي والسلام.

التأسيس:

● في عام ١٩١٧م بدأ الروتاري يعنى بشؤون الشباب فأنشأ صندوقاً خاصًا لذلك الغرض، وأصبح هذا الصندوق فيما بعد نواة لهذه المؤسسة.

● أوصى مؤتمر الروتاري الدولي عام ١٩٦٧/ ١٩٦٨م بإنشاء أندية للشباب من طلبة الجامعات وخريجيها، ويسمح لأندية الروتاري بإنشاء أندية الروتراكت في حدود منطقتها لإتاحة الفرصة أمام الشباب للدراسة في بلد غير بلده.

● وقد دلت إحصائية خاصة عن أندية الروتراكت عن العام الروتاري ١٩٨٣/ ١٩٨٤م على أنه تم إنشاء ١٣٤ نادياً في شتى أنحاء العالم هذا العام وحده، وقد وصل عدد الأندية في العالم إلى ٤٣٠٥ أندية تتبع ٤٠١١ نادياً من أندية الروتاري المنتشرة في ٩٠ دولة من دول الروتاري، ووصل عدد أعضاء الروتراكت إلى ٨٦٠٠٠ ستة وثمانين ألف عضو.

● أنشئت نوادي الروتراكت في بعض البلاد العربية والإسلامية.

الأفكار والمعتقدات:

● من الأهداف المعلنة لنوادي الروتراكت إتاحة الفرصة للشباب للدراسة في بلد

غير بلده، أي إعطاء منح دراسية على هيئة بعثات من المنطقة الروتارية ٢٤٥ التي تضم جمهورية مصر العربية والسودان ولبنان ودولة البحرين والأردن وقبرص. وهذه المنح خاصة بأبناء أعضاء الروتاري، وتخضع لتنظيم الروتاري العالمي.. وللخداع.. يشترط في الشباب المتقدم للحصول على المنحة أن يكون متمسكاً بدينه الإسلامي! وأن يكون متسامحاً!

● ومن نشاط هذه النوادي مشروع تبادل الشباب المريب، الذي يتم فيه اختلاط الشباب من الجنسين.. ومن شروط المشروع:

- تفضيل من كان عضواً في أحد أندية شباب الروتاريين أو أن يكون والده روتاريا.

- السفر في الإجازة الصيفية، ومدة الإقامة ثلاثة أسابيع، ويتكفل الطالب بمصاريف سفره في الذهاب والعودة، ومصاريف الإقامة يتحملها النادي المضيف.

- أن يتراوح سن الطالب أو الطالبة بين ١٨ سنة و٢٢ سنة.

- أن يكون حاصلاً على الشهادة الثانوية على الأقل وأن يكون ملمًّا بلغة البلد المسافر إليه.

- يشترط أن يكون ولي الأمر مستعدًّا لاستضافة طالب أو طالبة في منزله لمدة مماثلة للمدة التي يقضيها ابنه أو ابنته في الخارج.

● ومن تطبيقات هذا المشروع:

سفر وفد صهيوني من الكيان اليهودي في فلسطين المحتلة يوم ٢٤/١/١٩٨١م برئاسة دافيد روزلين مدير العلاقات التربوية والعلمية في وزارة خارجية الكيان الصهيوني إلى مصر العربية المسلمة لبلورة تفاصيل تبادل الشباب، وتألفت المجموعة الأولى من ٥٠ طالباً إسرائيليًّا لقضاء العطلة الصيفية بين الأسر العربية المسلمة في مصر، واستضاف الكيان الصهيوني مجموعة مماثلة من الشباب المسلم لقضاء الإجازة الصيفية بين الأسر اليهودية، وقد تم الاتفاق على ذلك سابقاً أثناء محادثات إسحاق نافون في أواخر عام ١٩٨٠م بهدف تطبيع العلاقات!

● ومن الأهداف المعلنة، أيضاً: خلق روح القيادة الاجتماعية في الشباب والشعور بالمسؤولية لدى المواطنين، وغرس المثل العليا للأخلاقيات، وبحث مشكلات المجتمع الصحية والتعليمية.. ويظهر أن هذه الأهداف المخادعة تعلن للسذَّج من أفراد المجتمع.. أو للحصول على الترخيص من الدولة.

● أما الهدف الحقيقي لهذه النوادي فهو إفساد الجيل المسلم أخلاقيًّا، وإبعاده عن قيم دينه وتعاليمه.. وتستخدم في ذلك الحفلات الموسيقية الراقصة (التي تسميها الخيرية) والسهر إلى ما بعد منتصف الليل مع الاختلاط بكل أشكاله، وشرب الخمر المسموح به في هذه الحفلات، وقضاء الإجازات مع عائلات لا تتقيد بالأخلاق(*) الإسلامية.. والاتصالات الفاجرة بين الجنسين أثناء الرحلات والأسفار الترويحية أو الدراسية.

ومن هذه الحفلات الفاسدة، ما أقامه شباب نادي روتراكت بالإسكندرية في نادي سبورتنج وحضره مجموعة من الضيوف البريطانيين من أصدقاء وشباب الروتراكت وعدد كبير من سيدات ورجال المجتمع المسلم! وأحيا الحفل الفنان عمر خورشيد وفرقة الجاز، رقص على أنغامها الشباب والزهرات واستمر الحفل إلى ما بعد منتصف الليل.. وقد نشرت إحدى المجلات صوراً خليعة لعضوات النادي بأوضاع غير أخلاقية وشبه عارية..!

- إلهاء الشباب في أنشطة سياحية وترفيهية منحرفة تشغلهم عن القضايا المصيرية التي تهم أمتهم، وأهمها قضية فلسطين واحتلال اليهود لها..

- إنشاء جيل روتاري يصل إلى درجة المسؤولية في بلده، لتنفيذ المخططات الروتارية الصهيونية الصليبية الخطيرة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- نوادي الروتراكت تتبع نادي الروتاري الدولي.. ذي الخلفية الماسونية اليهودية.

- وبالتالي فإن جميع أنشطة النادي مخططة من قبل الماسونية العالمية وتخدم اليهودية العالمية.

الانتشار وأماكن النفوذ:

تأسست نوادي الروتراكت في الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه من الروتاري الدولي سنة ١٩٦١م. وانتشرت بعد ذلك في أوربا وصار لها فروع في نواح كثيرة من العالم، ولها فرع في فلسطين المحتلة وبعض البلاد العربية.

ويتضح مما سبق:

أن أندية الروتراكت ترتبط بمنظمة الروتاري الدولية التي تسيطر عليها اليهودية العالمية، كما أن هذه الأندية تعد وكراً للماسونية، ويسيطر عليها اليهود وهدفهم من ذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان(*)، وإشاعة الفوضى الأخلاقية، وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية. ولذلك يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، كما نصت عليه الفتوى التي أصدرها الأزهر في ٢٥ شعبان ١٤٠٥هـ. وتعد أندية الأنتراكت والروتراكت وجهين لعملة واحدة، فعلى الشباب المسلم الحذر من ألاعيب التضليل الصهيوني والانخداع بالشعارات البراقة التي تضع السم في الدسم وتنشر الفساد وخراب الذمم.

مراجع للتوسع:

- **الروتاري في قفص الاتهام**، أحمد عبد الله - دار الاعتصام - القاهرة ط١٩٨٧م.
- **شرخ في جدار الروتاري**، أحمد عبد الله - دار الاعتصام - القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **شهادات روتارية**، حسين عمر حمادة - دمشق - دار قتيبة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **مجلة أكتوبر**، القاهرة - في ١٦/ ١٢/ ١٩٨٠م.
- **مجلة الجندي المسلم**، الرياض - العدد ٥٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ - أكتوبر ١٩٨٩م.
- **حقيقة أندية الروتاري**، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت.

المراجع الأجنبية:

- Rotary and its Brothers, Charles. F. Marden. 1963 1.
- My Road to Rotary. Ranl. P. Harris.
- Rotary Service.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

WAMY

١٣٩٢ - ١٩٧٢

٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

إشراف وتخطيط ومراجعة

د. مانع بن حماد الجهني

المجلد الثاني

الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

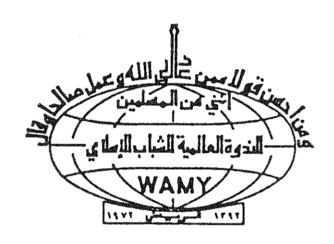
الندوة العالمية للشباب الإسلامي
٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

الطبعـة الرابعـة ١٤٢٠هـ



الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب : ١٠٨٤٥ الرياض : ١١٤٤٣

ت : ٤٦٤١٦٦٩(٠١) فاكس: ٤٦٤١٧١٠

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ ط ٣ - الرياض .

....ص سم .

ردمك : ٧ـ٠٣ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٥ـ٠٤ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (ج ٢)

١- الديانات ـ موسوعات ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنـوان

ديوي ٢٠٠٠٣ ١٨/٠١٩٠

رقم الإيداع : ١٨/٠١٩٠

ردمك : ٧ـ٠٣ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٥ـ٠٤ـ٦١٦ـ٩٩٦٠(ج ٢)

الموسوعة الميسرة

في

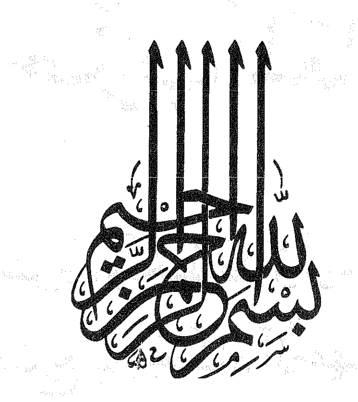
الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

إشراف وتخطيط ومراجعة
د. مانع بن حماد الجهني

المجلد الثاني

الطبعة الرابعة
منقحة وموسعة

الناشر
دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع



القسم الثالث

النصرانية

وما تفرع عنها من مذاهب وما تأثر بها من فلسفات ولدت في كنف الحضارة الغربية



الفصل الأول

مقدمة عامة

الطريق إلى الله واحد، وهو دين(*) الإسلام، الذي بعث الله به نبيه محمداً، ﷺ، كما بعث به جميع الرسل. ومن محاسن الدين الإسلامي، كما أتى به محمد، ﷺ، أنه جاء ناسخاً لجميع الرسالات السابقة عليه، بسبب ما أصابها من تحريف، كما أنه جاء خاتماً لها، فضلاً عن أنه يلزم كل مسلم، بوجوب الاعتراف بتلك الرسالات، وبرسلها، وبكتبها، كما أنزلت لا كما آلت إليه. فأركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر(*) خيره وشره، وهكذا فالإيمان بالكتب والرسل السابقة يعد من أصول الإيمان بوجه عام والعقيدة الإسلامية بوجه خاص، وتحقق هذه الأركان فضلاً عن أركان الإسلام والإحسان، هو معيار الصلاح وأساس معرفة الفرقة الناجية، عندما يزيغ عن الإسلام زائغ، أو يحدث فيه ما ليس منه مبتدع؛ ذلك أن الإسلام هو دين عقيدة التوحيد، التي لا تقبل مُبتدع الفرق ولا ضال الطرق.

وعلى العكس من ذلك، فإن كارهي الدين الإسلامي من النصارى، لم يقفوا من الإسلام موقف الاعتراف به كما اعترف هو بدينهم قبل الانحراف، وكتابهم قبل التحريف، وبرسولهم، بل ولا مجرد قبوله كحقيقة عقدية قائمة على أصولها، وإنما اتخذوا موقفاً آخر معادياً له ونافياً لأركانه وأصوله، ومناوئاً لكتابه ورسوله، ﷺ. ويمكن أن يكون هذا واضحاً في كثير من دراسات المستشرقين وأعمالهم. وسبب الكره، كان ينبغي أن يكون أساس الالتقاء، فالإسلام دين يقوم على حقيقة وحدانية الله وعدم الغلوّ(*) في الأنبياء، وعدم القول على الله إلا الحق، والحق أن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأي عاقل لا يجد في هذا القول إلا دعوة لتحكيم العقل(*) لكي يهتدي إلى جوهر النقل، الذي عبر عنه القرآن بأعظم بيان في قوله تعالى مخاطباً أهل الكتاب والمقصود هنا النصارى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا

﴿ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

فبماذا رد النصارى؟ لقد أصروا على التثليث(*)، وغلوا(*) في عيسى بن مريم، ووصفوا محمداً، ﷺ، بأوصاف لا تليق، وهكذا ففي مقابل إيمان المسلمين بعيسى وكتابه كان كفر(*) النصارى بمحمد وكتابه.

ومن هنا انقسم النصارى إلى ثلاثة مذاهب رئيسة: أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية، وهي مذاهب(*) تختلف في أصل الدين(*) وطبيعة المسيح(*)، وهل الله واحد أم ثلاثة، وبداخل كل مذهب وجدت فرق، وتعددت هذه الفرق تعدداً كبيراً بسبب التحريف ودرجاته. ولا شك أن هذا التعدد في الفرق هو تحقيق لحديث رسول الله، ﷺ، الذي رواه الترمذي والذي بين أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة والنصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وجاء في نهايته «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**».

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الدراسات الاستشراقية التي تشكك في متن هذا الحديث وتقول إن الترمذي رحمه الله قد أخطأ في فهم الحديث، وأن المقصود هو حديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**». . ومن المؤسف حقاً أن تتقبل العقلية الاستشراقية مثل هذا القول.

إن الحق الذي لا مراء فيه أن عقيدة التوحيد في الإسلام، وفي جوهر كل الأديان الأخرى قبل تحريفها قد بدأت تستقطب كثيراً من الدراسات العالمية، فبعض الدراسات التوراتية المتخصصة بدأت تشير إلى التحريف الذي لحق النصرانية، وتأتي بآراء تقترب من الموقف الإسلامي، كما أن بعض الدراسات أثبتت أن التثليث ليس من النصرانية بل من الفلسفة الإغريقية، وهذا ما أكده ليون جوتيه في كتابه **المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية** الذي طبع في باريس عام ١٩٢٣م، وما زال يؤثر في فكر الكثيرين من المحللين المنصفين الذين تأكدوا من أن النصرانية ما كانت في يوم من الأيام دين(*) أقانيم(*) ثلاثة أو دين تثليث(*)، بل إن مجمع نيقية ـ متأثراً بالفلسفة(*) الأفلاطونية ـ هو الذي قال: إن (الكنيسة(*) الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله(*) موجوداً فيه، أو أنه لم يوجد قبل أن يولد، أو أنه وجد من لا شيء أو من يقول إنه خلق، أو من يقول إنه قابل للتغيير).

ونحن نعتقد أنه بقدر ما تعرف النصرانية نفسها على حقيقتها، وبقدر ما تدرس كتبها دراسة موضوعية دقيقة تقترب من الإسلام، وهذا الأمل لن يكون بعيداً لأن الدراسة الحديثة

تتجه إليه.

وهذا يجعلنا نعطي القارىء المسلم فكرة عن حقيقة النصرانية وأفكارها الأساسية، بعد تحريف كتابها، وكيد النصارى من خلالها للإسلام والمسلمين. ثم ننتقل إلى مذاهبها الرئيسية: الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية.

كما يقتضي ذلك إعطاء الشباب المسلم فكرة عن الفرق المعادية للإسلام التي نشأت في كنفها أو انتسبت إليها ونعالج منها:

- فرقة الجزويت الكاثوليكية اليسوعية المتعصبة التي لا هدف لها سوى القضاء على الإسلام.
- حركة التنصير وهي الحركة التي ظهرت إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة وبخاصة بين المسلمين من أجل القضاء على الإسلام.
- والأبوس دي تلك المنظمة السرية التي تسعى إلى سيادة التعاليم الإنجيلية ومن ثم إعلاء النصرانية على حساب الأديان الأخرى كافة.
- والمارونية وهي طائفة نصرانية كاثوليكية شرقية تقول بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة، وقد أعلنوا طاعتهم لبابا(*) روما، وتعاونوا مع الصليبيين ضد الإسلام إبان الحروب الصليبية.
- المونية وهي حركة(*) مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان(*) في بوتقة دين جديد.
- شهود يهوه وهي منظمة سرية تدعي أنها نصرانية وهي تعمل لحساب اليهود، وتتعاون مع المنظمات التبشيرية ضد الإسلام.
- والاستشراق وهو تيار فكري يدرس الحضارة الشرقية من خلال نظرة نصرانية ضيقة في أغلب الأحوال، ولذا تأتي الدراسات الاستشراقية في معظمها ضد حقائق الإسلام.
- التغريب وهو تيار يهدف إلى صبغ حياة المسلمين بصبغة غربية وإلغاء شخصيتهم المستقلة.

وعندما يقرأ المسلم عن هذه الفرق والمنظمات والتيارات ويقارن بين الدين الإسلامي وبين دين النصارى الحالي، يجد أنه على طريق الحق يسير، وفي سبيل الله يمضي، وعلى ملة النجاة يتجه لا غاية له إلا الله، الواحد الأحد، الذي لا شريك له، والذي لا غُلُوَّ(*) في أنبيائه(*) أو رسله(*)، وعندئذ يفرح الشباب المسلم بأنه على الجادة لا يحيد وعلى طريق الحق لا يتراجع.

الفصل الثاني

٧٣ـ النصرانية

التعريف:

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى، عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى، عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة(*) من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، وهذه الرسالة جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات(*) وثنية(*)، فنشأت النصرانية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مرت النصرانية بعدة مراحل وأطوار تاريخية مختلفة، انتقلت فيها من رسالة منزلة من عند الله تعالى إلى ديانة(*) مُحرَّفة ومبدلة، تضافر على صنعها بعض الكهان(*) ورجال السياسة، ويمكن تقسيم هذه المراحل كالتالي:

● **المرحلة الأولى:**

الرسالة المُنزَّلة من عند الله التي جاء بها عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام:

ـ هي رسالة أنزلها الله تعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، إلى بني إسرائيل بعد أن انحرفوا وزاغوا عن شريعة موسى، عليه السلام، وغلبت عليهم النزعات المادية(*). وافترقوا بسبب ذلك إلى فرق شتى، فمنهم من يؤمن بأن غاية الإنسان هي الحياة الدنيا، حيث لا يوم آخر، ولا جنة ولا نار، ومنهم من يعتقد أن الثواب والعقاب إنما يكونان في الدنيا فقط، وأن الصالحين منهم يوم القيامة سيشتركون في ملك المسيح(*) الذي يأتي لينقذ الناس، ليصبحوا ملوك العالم وقضاته. كما شاع فيهم تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء الحصول على المغفرة، وفشا الاعتقاد بأن رضا الأحبار ودعاءهم يضمن لهم الغفران. لذا فسدت عقيدتهم وأخلاقهم، فجاءت رسالته ودعوته، عليه الصلاة والسلام، داعية إلى توحيد الله تعالى إذ لا رب غيره، ولا معبود سواه، وأنه لا واسطة بين المخلوق والخالق سوى عمل الإنسان نفسه، وهي رسالة قائمة على الدعوة للزهد في الدنيا، والإيمان باليوم الآخر وأحواله، ولذا فإن عيسى، عليه الصلاة والسلام، كان موحِّداً على دين(*) الإسلام ملة(*) إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين.

ـ **المبلِّغ**: عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، أمُّه البتول مريم ابنة عمران أحد عظماء بني إسرائيل، نذرتها أمها عندما حملت بها لخدمة المسجد، وكفلها زكريا أحد أنبياء(*) بني إسرائيل وزوج خالتها، فكانت عابدة قانتة لله تعالى، حملت به من غير زوج بقدرة الله تعالى، وولدته، عليه الصلاة والسلام، في مدينة بيت لحم بفلسطين، وأنطقه الله تعالى في المهد دليلاً على براءة أمه من بهتان بني إسرائيل لها بالزنا، فجاء ميلاده حدثاً عجيباً على هذا النحو ليلقي بذلك درساً على بني إسرائيل الذين غرقوا في الماديات، وفي ربط الأسباب بالمسببات؛ ليعلموا بأن الله تعالى على كل شيء قدير.

ـ بُعث عيسى، عليه الصلاة والسلام، نبيًّا إلى بني إسرائيل، مؤيَّداً من الله تعالى بعدد من المعجزات(*) الدالة على نبوته، فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، ويبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

كما كان يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بإذن الله.

وقد أيده الله هو وحواريِّيه(*) بمائدة من السماء أنزلها عليهم لتكون عيداً لأولهم وآخرهم.

ـ تآمر اليهود على قتله برئاسة الحبر الأكبر (كايافاس) وأثاروا عليه الحاكم الروماني لفلسطين (بيلاطس) لكنه تجاهلهم أولاً، ثم لما كذبوا عليه وتقوَّلوا على عيسى، عليه الصلاة والسلام، بأنه يدعو نفسه مسيحاً(*) ملكاً، ويرفض دفع الجزية للقيصر، دفع ذلك الحاكم إلى إصدار أمر بالقبض عليه، وإصدار حكم الإعدام ضده، عليه الصلاة والسلام.

ـ اختفى عيسى وأصحابه عن أعين الجند، إلا أن أحد أصحابه دلَّ جند الرومان على مكانه، فألقى الله تعالى شبه عيسى، عليه الصلاة والسلام، وصورته عليه، ويقال إنه يهوذا الإسخريوطي وقيل غيره، فنُفِّذ حكم الصلب فيه بدلاً من عيسى، عليه الصلاة والسلام، إذ رفعه الله إليه، على أنه سينزل قبل قيام الساعة ليحكم بالإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ثم يموت كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة.

ـ آمن بدعوة المسيح، عليه الصلاة والسلام، الكثير. ولكنه اصطفى منهم اثني عشر حواريًّا(*) كما هم مذكورون في إنجيل(*) متى.

ـ وهناك الرسل السبعون الذين يقال بأن المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، اختارهم ليعلِّموا النصرانية في القرى المجاورة.

● **المرحلة الثانية**:

ويسميها مؤرِّخو الكنيسة(*) بالعصر الرسولي، وينقسم هذا العصر إلى قسمين:

التبشير وبداية الانحراف، والاضطهاد الذي يستمر حتى بداية العهد الذهبي للنصارى.

● **التبشير وبداية الانحراف:**

بعدما رُفع المسيح، عليه الصلاة والسلام، اشتد الإيذاء والتنكيل بأتباعه وحوارييه بوجه خاص؛ وقُتل يعقوب بن زبدي أخو يوحنا الصياد فكان أول من قتل من الحواريين، وسجن بطرس، وعذب سائر الرسل، وحدثت فتنة عظيمة لأتباع المسيح عليه الصلاة والسلام، حتى كادت الدعوة تفنى.

وفي ظل هذه الأجواء المضطربة أعلن شاول الطرسوسي اليهودي الفريسي، صاحب الثقافات الواسعة بالمدارس الفلسفية والحضارات في عصره، وتلميذ أشهر علماء اليهود في زمانه عمالائيل، أعلن شاول الذي كان يُذيق أتباع المسيح سوءَ العذاب، إيمانه بالمسيح بعد زعمه رؤيته عند عودته من دمشق، مؤنباً له على اضطهاده لأتباعه، آمراً له بنشر تعاليمه بين الأمم، فاستخف الطرب أتباع المسيح، في الوقت الذي لم يصدقه بعضهم، إلا أن برنابا الحواري دافع عنه وقدمه إلى الحواريين(*) فقبلوه، وبما يمتلكه من حدة ذكاء وقوة حيلة ووفرة نشاط استطاع أن يأخذ مكاناً مرموقاً بين الحواريين وتسمى بـ بولس.

ـ انطلق الحواريون للتبشير بين الأمم في البلدان المجاورة، التي سبق أن تعرفت على دعوة المسيح، عليه الصلاة والسلام، أثناء زيارتها لبيت المقدس في عيد العنصرة، وتذكر كتب التاريخ النصراني بأن متَّى ذهب إلى الحبشة، وقُتل هناك بعد أن أسس فيها كنيسة ورسَّم ـ عيَّن ـ لهم أسقفها(*). وكذلك فعل مرقس في الإسكندرية بعد أن أسس أول مدرسة لاهوتية وكنيسة فيها بتوجيه من بطرس الذي أسس كنيسة روما وقتل في عهد نيرون عام ٦٢م.

ـ أما بولس فذهب إلى روما وأفسس وأثينا وأنطاكية، وأسسس فيها كنائس نصرانية نظير كنيسة(*) أورشليم ورسَّم لهم أساقفة(*). وفي إحدى جولاته في أنطاكية صحبه برنابا فوجدا خلافاً حادًّا بين أتباع الكنيسة حول إكراه الأمميين(*) على اتباع شريعة التوراة(*) فعادا إلى بيت المقدس لعرض الأمر على الحواريين(*) لحسم الخلاف بينهم.

● **بداية الانحراف:**

ـ فيما بين عام ٥١ ـ ٥٥م عقد أول مجمع يجمع بين الحواريين ـ مجمع أورشليم ـ تحت رئاسة يعقوب بن يوسف النجار المقتول رجماً سنة ٦٢م ليناقش دعوى استثناء الأمميين، وفيه تقرر ـ إعمالاً لأعظم المصلحتين ـ استثناء غير اليهود من الالتزام بشريعة التوراة إن كان ذلك هو الدافع لانخلاعهم من ربقة الوثنية(*)، على أنها خطوة أولى يُلزم بعدها بشريعة التوراة. كما تقرر فيه تحريم الزنا، وأكل المنخنقة، والدم، وما ذُبح للأوثان،

بينما أبيحت فيه الخمر ولحم الخنزير والربا، مع أنها محرمة في التوراة.

ـ عاد بولس بصحبة برنابا إلى أنطاكية مرة أخرى، وبعد صحبة غير قصيرة انفصلا وحدث بينهما مشادة عظيمة نتيجة لإعلان بولس نسخ أحكام التوراة وقوله أنها: «كانت لعنة تخلَّصنا منها إلى الأبد» و«أن المسيح(*) جاء ليبدل عهداً جديداً(*) بعهد قديم(*)» ولاستعارته من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله(*) بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله(*)، أو الروح القدس(*)، وترتيبه على ذلك القول بعقيدة الصلب والفداء، وقيام المسيح وصعوده إلى السماء؛ ليجلس على يمين الرب ليحاسب الناس في يوم الحشر. وهكذا كرر بولس الأمر مع بطرس الذي هاجمه وانفصل عنه مما أثار الناس ضده، لذا كتب بولس رسالة إلى أهل غلاطية ضمنها عقيدته ومبادئه، ومن ثم واصل جولاته بصحبة تلاميذه إلى أوربا وآسيا الصغرى ليلقى حتفه أخيراً في روما في عهد نيرون سنة ٦٥م.

ـ استمرت المقاومة الشديدة لأفكار بولس عبر القرون الثلاثة الأولى: ففي القرن الثاني الميلادي تصدى هيولتس، وإيبيي فايتس، وأوريجين لها، وأنكروا أن بولس كان رسولاً(*)، وظهر بولس الشمشاطي في القرن الثالث، وتبعه فرقته البولسية إلا أنها كانت محدودة التأثير. وهكذا بدأ الانفصال عن شريعة التوراة، وبذرت بذور التثليث والوثنية في النصرانية، أما باقي الحواريين والرسل(*) فإنهم قُتلوا على يد الوثنيين(*) في البلدان التي ذهبوا إليها للتبشير فيها.

● **الاضطهاد:**

ـ عانت الدعوة أشدَّ المعاناة من سلسلة الاضطهادات والتنكيل على أيدي اليهود الذين كانت لهم السيطرة الدينية، ومن الرومان الذين كانت لهم السيطرة والحكم، ولذلك فإن نصيب النصارى في فلسطين ومصر كان أشد من غيرهم، إذ اتخذ التعذيب والقتل أشكالاً عديدة؛ ما بين الحمل على الخُشُبِ، والنشر بالمناشير، إلى التمشيط ما بين اللحم والعظم، والإحراق بالنار.

ـ من أعنف الاضطهادات وأشدها:

١ ـ اضطهاد نيرون سنة ٦٤م الذي قُتل فيه بطرس وبولس.

٢ ـ واضطهاد دمتيانوس سنة ٩٠م، وفيه كتب يوحنا إنجيله(*) في أفسس باللغة اليونانية.

٣ ـ واضطهاد تراجان سنة ١٠٦م، وفيه أمر الإمبراطور بإبادة النصارى وحرق كتبهم، فحدثت مذابح مُروِّعة قُتل فيها يعقوب البار أسقف(*) أورشليم.

٤ ـ ومن أشدها قسوة وأعنفها اضطهادُ الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤م الذي صمم على ألا يكف عن قتل النصارى حتى تصل الدماء إلى ركبة فرسه، وقد نفذ تصميمه؛ وهدم

الكنائس(*) وأحرق الكتب، وأذاقهم من العذاب صنوفاً وألواناً، مما دفع النصارى من أقباط مصر إلى اتخاذ يوم ٢٩ أغسطس ٢٨٤م بداية لتقويمهم تخليداً لذكرى ضحاياهم.

ـ هكذا استمرالاضطهاد يتصاعد إلى أن استسلم الإمبراطور جالير لفكرة التسامح مع النصارى لكنه مات بعدها، ليعتلي عرش الإمبراطورية قسطنطين.

ـ سعى قسطنطين بما لأبيه من علاقات حسنة مع النصارى إلى استمالة تأييدهم له لفتح الجزء الشرقي من الإمبراطورية إذ يكثر عددهم، فأعلن مرسوم ميلان الذي يقضي بمنحهم الحرية(*) في الدعوة والترخيص لديانتهم ومساواتها بغيرها من ديانات(*) الإمبراطورية الرومانية، وشيَّد لهم الكنائس، وبذلك انتهت أسوأ مراحل التاريخ النصراني قسوة، التي ضاع فيها إنجيل عيسى، عليه الصلاة والسلام، وقُتل الحواريون(*) والرسل، وبدأ الانحراف والانسلاخ عن شريعة التوراة(*)، ليبدأ النصارى عهداً جديداً من تأليه المسيح(*) عليه الصلاة والسلام، وظهور اسم المسيحية(*).

● **نشأة الرهبانية والديرية وتأثير الفلسفة على النصرانية:**

ـ في خلال هذه المرحلة ظهرت الرهبنة(*) في النصرانية في مصر أولاً على يد القديس بولس الطبي ٢٤١ ـ ٣٥٦م والقديس أنطوان المعاصر له رد فعل على الاضطهاد، إلا أن الديرية ـ حركة(*) بناء الأديرة ـ نشأت أيضاً في صعيد مصر عام ٣١٥ ـ ٣٢٠م أنشأها القديس باخوم، ومنها انتشرت في الشام وآسيا الصغرى. وفي الوقت نفسه دخلت غرب أوربا على يد القديس كاسليان ٣٧٠ ـ ٤٢٥م ومارتن التوري ٣١٦ ـ ٣٨٧م، كما ظهر مجموعة من الآباء(*) المتأثرين بمدرسة الإسكندرية الفلسفية (الأفلاطونية الحديثة) وبالفلسفة(*) الغنوصية(*)، مثل كليمنت الإسكندري ١٥٠ ـ ٢١٥م وأوريجانوس ١٨٥ ـ ٢٤٥م وغيرهما.

● **العهد الذهبي للنصارى:**

ـ يطلق مؤرخو الكنيسة(*) اسم العهد الذهبي للنصارى ابتداء من تربُّع الإمبراطور قسطنطين على عرش الإمبراطورية الرومانية عام ٣١٢م لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخ النصرانية.

ويمكن تقسيم ذلك العهد إلى مرحلتين رئيسيتين:

● مرحلة جمع النصارى على عقيدة واحدة (عصر المجامع أو عهد الخلافات والمناقشات):

ـ ما إن أعلن قسطنطين إعلان ميلان حتى قرَّب النصارى وأسند إليهم الوظائف الكبيرة في بلاط قصره، وأظهر لهم التسامح، وبنى لهم الكنائس، وزعمت أمه هيلينا اكتشاف

الصليب المقدس، الذي اتخذه شعاراً لدولته بجانب شعارها الوثني، فنشطت الدعوة إلى النصرانية، ودخل الكثير من الوثنيين(*) وأصحاب الفلسفات في النصرانية، مما كان له أثره البالغ في ظهور الكثير من العقائد والآراء المتضاربة، والأناجيل(*) المتناقضة، إذ ظهر أكثر من خمسين إنجيلاً، وكل فرقة تدعي أن إنجيلها هو الصحيح وترفض الأناجيل الأخرى.

ـ وفي وسط هذه العقائد المختلفة والفرق المتضاربة ما بين من يُؤَلِّه المسيح(*) وأمه (الريمتين) أومن يؤله المسيح فقط، أو يدعي وجود ثلاثة آلهة: إله(*) صالح، وإله(*) طالح، وآخر عدل بينهما (مقالة مرقيون). أعلن آريوس أحد قساوسة(*) كنيسة(*) الإسكندرية صرخته المدوية بأن المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، ليس أزليًا، وإنما هو مخلوق من الأب(*)، وأن الابن(*) ليس مساوياً للأب في الجوهر، فالتف حوله الأنصار وكثر أتباعه في شرق الإمبراطورية حتى ساد مذهبه(*) التوحيدي كنائس مصر والإسكندرية وأسيوط وفلسطين ومقدونيا والقسطنطينية وأنطاكية وبابل، مما أثار بطريك(*) الإسكندرية بطرس ضده ولعنه وطرده من الكنيسة، وكذلك فعل خلفه البطريك إسكندر، ثم الشماس(*) إثناسيوس، وضماناً لاستقرار الدولة أمر الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٥م بعقد اجتماع عام يجمع كل أصحاب هذه الآراء للاتفاق على عقيدة واحدة يجمع الناس حولها، فاجتمع في نيقية ٢٠٤٨ أسقفاً(*) منهم ٣٣٨ يقولون بألوهية المسيح، وانتهى ذلك المجمع بانحياز الإمبراطور إلى القول بألوهية المسيح ولينفضّ على القرارات التالية:

١ ـ لعْن آريوس الذي يقول بالتوحيد ونفيه وحرق كتبه، ووضع قانون الإيمان النيقاوي (الأثناسيوسي) الذي ينص على ألوهية المسيح.
٢ ـ وضْع عشرين قانوناً لتنظيم أمور الكنيسة والأحكام الخاصة بالأكليريوس(*).
٣ ـ الاعتراف بأربعة أناجيل(*) فقط: (متى، لوقا، مرقس، يوحنا) وبعض رسائل العهد الجديد(*) والقديم(*)، وحرق باقي الأناجيل لخلافها عقيدة المجمع.

ـ للتغلب على عوامل انهيار وتفكك الإمبراطورية أنشأ قسطنطين مدينة روما الجديدة عام ٣٢٤م في بيزنطة القديمة باليونان على نفس تصميم روما القديمة، وأنشا بها كنيسة كبيرة أجياصوفيا ورسم لهم بطريكاً مساوياً لبطاركة الإسكندرية وأنطاكية في المرتبة على أن الإمبراطور هو الرئيس الأعلى للكنيسة. وعُرفت فيما بعد بالقسطنطينية، ولذلك أطلق عليها بلاد الروم، وعلى كنيستها كنيسة الروم الشرقية أو كنيسة الروم الأرثوذكس.

ـ تمهيداً لانتقال العاصمة إلى روما الجديدة (القسطنطينية) اجتمع قسطنطين بآريوس حيث يدين أهل القسطنطينية والجزء الشرقي من الإمبراطورية بعقيدته، وإحساساً منه

بالحاجة إلى استرضاء سكان هذا القسم أعلن الإمبراطور موافقته لآريوس على عقيدته، وعقد مجمع صور سنة ٣٣٤م ليعلي من عقيدة آريوس، ويلغي قرارات مجمع نيقية، ويقرر العفو عن آريوس وأتباعه، ولعن أثناسيوس ونفيه، وهكذا انتشرت تعاليم آريوس أكثر بمساندة الإمبراطور قسطنطين.

● **مرحلة الانفصال السياسي:**

ـ قسَّم قسطنطين الإمبراطورية قبل وفاته عام ٣٣٧م على أبنائه الثلاثة: فأخذ قسطنطين الثاني الغرب، وقسطنطيوس الشرق، وأخذ قنسطانس الجزء الأوسط من شمال أفريقيا، وعمد كل منهم إلى تأييد المذهب(*) السائد في بلاده لترسيخ حكمه. فاتجه قسطنطيوس إلى تشجيع المذهب الآريوسي، بينما شجع أخوه قسطنطين الثاني المذهب الأثناسيوسي مما أصَّل الخلاف بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني.

ـ توحدت الإمبراطورية تحت حكم قسطنطيوس عام ٣٥٣ ـ ٣٦١م بعد وفاة قسطنطين الثاني، ومقتل قنسطانس، ووجد الفرصة سانحة لفرض مذهبه الآريوسي على جميع أجزاء الإمبراطورية شرقاً وغرباً.

ـ لم يلبث الأمر طويلاً حتى اعتلى عرش الإمبراطورية فلؤديوس ٣٧٩ ـ ٣٩٥م الذي اجتهد في إلغاء المذهب الآريوسي والتنكيل بأصحابه، والانتصار للمذهب الأثناسيوسي. ولذا ظهرت في عهده دعوات تنكر الأقانيم(*) الثلاثة ولاهوت الروح القدس(*)، فقرر عقد مجمع القسطنطينية الأول ٣٨٢م، وفيه فرض الإمبراطور العقوبات المشددة على أتباع المذهب الآريوسي. كما تقرر فيه أن روح القدس هو روح الله وحياته، وأنه من اللاهوت(*) الإلهي، وتم زيادته في قانون الإيمان النيقاوي، ولعن من أنكره مثل مكدنيوس، وذلك بالإضافة إلى عدة قوانين تنظيمية وإدارية تتعلق بنظام الكنيسة(*) وسياستها.

● **نشأة البابوية:**

ـ على إثر تقسيم الإمبراطورية إلى شرقية وغربية، ونتيجة لضعف الإمبراطورية الغربية تم الفصل بين سلطان الدولة والكنيسة، بعكس الأمر في الإمبراطورية الشرقية إذ رسخ الإمبراطور قسطنطين مبدأ القيصرية البابوية، ومن هنا زادت سلطات أسقف(*) روما، وتحوَّل كرسيه إلى بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة في بلدان العالم المسيحي الغربي (روما ـ قرطاجة). وقد لعب البابا(*) داماسوس الأول ٣٦٦ ـ ٣٨٤م دوراً مهمًّا في إبراز مكانة كرسي روما الأسقفي ـ سيادة البابوية ـ، وفي عهده تم ترجمة الإنجيل(*) إلى اللغة اللاتينية، ثم تابعه خلفه البابا(*) سيري كيوس ٣٨٤ ـ ٣٩٩م في تأليف المراسم البابوية.

● **بداية الصراع والتنافس على الزعامة الدينية بين الكنيستين:**

ـ ظهر الصراع والتنافس بين كنيسة(*) روما بما تدعي لها من ميراث ديني، وبين كنيسة القسطنطينية عاصمة الدولة ومركز أباطرتها في مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م، إذ نادى نسطور أسقف(*) القسطنطينية بانفصال طبيعة اللاهوت(*) عن الناسوت(*) في السيد المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، وبالتالي فإن اللاهوت لم يولد ولم يصلب، ولم يقم مع الناسوت، وأن المسيح يحمل الطبيعتين منفصلتين: اللاهوتية والناسوتية(*)، وأنه ليس إلهاً(*)، وأمه لا يجوز تسميتها بوالدة الإله(*)، وقد حضر المجمع مائتان من الأساقفة بدعوة من الإمبراطور ثاؤديوس الصغير، الذي انتهى بلعن نسطور ونفيه، والنص في قانون الإيمان بأن مريم العذراء والدة الإله(*).

ـ وبسبب دعوى أرطاخي باتحاد الطبيعتين في السيد المسيح عقد له أسقف القسطنطينية فلافيانوس مجمعاً محليًّا وقرر فيه قطعه من الكنيسة ولعنه؛ لكن الإمبراطور ثاؤديوس الصغير قبل التماس أرطاخي، وقرر إعادة محاكمته، ودعا لانعقاد مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م برئاسة بطريرك(*) الإسكندرية ديسقورس لينتهي بقرار براءته مما نسب إليه.

● **انفصال الكنيسة مذهبيًّا:**

ـ لم يعترف أسقف روما ليو الأول بقرارات مجمع أفسس الثاني ٤٤٩م وسعى الإمبراطور مركيانوس لعقد مجمع آخر للنظر في قرارات ذلك المجمع، فوافق الإمبراطور على عقد المجمع في القسطنطينية، ثم في كلدونية ٤٥١م لمناقشة مقالة بابا(*) الإسكندرية ديسقورس: من أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة (المذهب(*) الطبيعي ـ المونوفيزتية)، ليتقرر لعن ديسقورس وكل من شايعه ونفيه، وتقرير أن للمسيح طبيعتين منفصلتين. فكان ذلك دافعاً إلى أن لا تعترف الكنيسة المصرية بهذا المجمع ولا بالذي يليه من المجامع. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت في كنيسة مستقلة تحت اسم الكنيسة المرقسية ـ الكنيسة الأرثوذكسية ـ أو القبطية تحت رئاسة بطريرك(*) الإسكندرية، وانفصلت معها كنيسة الحبشة وغيرها، ليبدأ الانفصال المذهبي عن الكنيسة(*) الغربية. بينما اعترفت كنيسة أورشليم الأرثوذكسية بقرارات مجمع كلدونية وصارت بطريركية مستقلة تحت رئاسة البطريرك(*) يوفيناليوس.

● **نشأة الكنيسة اليعقوبية:**

ـ واجه الإمبراطور جستنيان ٥٢٧ ـ ٥٦٥م صعوبة بالغة في تحقيق طموحه بتوحيد مذهبي(*) الإمبراطورية لتتحقق له سلطة الإمبراطورية والبابوية معاً. وبعد انتصاره في إيطاليا ودخول جيوشه روما حاول إرضاء زوجته بفرض مذهب(*) الطبيعة الواحدة (المونوفيزتية)

على البابا(*) فجليوس الذي رفض ذلك بشدة، مما عرضه إلى القبض عليه وترحيله إلى القسطنطينية، ليعقد مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٥٥٣م الذي انتهى بتقرير مذهب الطبيعة الواحدة، ولعن أصحاب فكرة تناسخ الأرواح(*)، وتقرير أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان شخصية حقيقية وليست بخيالية.

ـ ومن آثار هذا المجمع استقلالُ أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وإقامةُ كنيسة(*) منفصلة لهم، تعرف بالكنيسة اليعقوبية، تحت رئاسة مؤسسها يعقوب البرادعي أسقف(*) الرَّها مما زاد في عداء البابوية للإمبراطورية الشرقية.

● **نشأة الكنيسة المارونية:**

ـ في عام ٦٧٨ ـ ٦٨١م عمل الإمبراطور قسطنطين الرابع على استرضاء البابا أجاثون بعدما فقد المراكز الرئيسية لمذهب الطبيعة الواحدة في مصر والشام لفتح المسلمين لهما، فتم عقد مجمع القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م للفصل في قول يوحنا مارون من أن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة. وفيه تقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ولعن وطرد من يقول بالطبيعة الواحدة أو بالمشيئة الواحدة، ولذلك انفصلت طائفة المارونية ولحقت بسابقتها من الكنائس المنفصلة.

● **انفصال الكنيسة إداريًّا:**

ـ جاء هذا الانفصال بعد النزاع والصراع الطويل ابتداءً من الإمبراطور ليو الثالث ٧٢٦م الذي أصدر مرسوماً يُحرِّم فيه عبادة الأيقونات، ويقضي بإزالة التماثيل والصور الدينية والصلبان من الكنائس والأديرة والبيوت على أنها ضرب من الوثنية(*)، متأثراً بدعوة المسلمين لإزالة هذه التماثيل التي بالكنائس في داخل الدولة الإسلامية.

ـ تصدى لهذه الدعوة البابا(*) جريجوري الثاني، ثم خَلَفه البابا جريجوري الثالث ليصدر الإمبراطور قراراً بحرمان الكراسي الأسقفية في صقلية وجنوب إيطاليا من سلطة البابا الدينية والقضائية، وجعلها تحت سلطان بطريرك(*) القسطنطينية. واستمر الوضع على ذلك إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين الخامس ٧٤١ ـ ٧٧٥م، وازدادت الثورات(*) اشتعالاً ضد دعاة اللاأيقونية، فعقد مجمعاً في القسطنطينية لتبرير سياسة تحريم الصور والأيقونات. وقد رفضت البابوية حضوره، ولم يحضره سوى ثلاثمائة وأربعين أسقفاً(*) تحت رئاسة بطريرك القسطنطينية ليقضي بتحريم تصوير المسيح في أي شكل، وكذلك تحريم عبادة صور القديسين، وتحريم طلب الشفاعة من مريم؛ لأن كل هذا من ضروب الوثنية.

ـ ولكن هذه القرارات لم تدم طويلاً إذ أمرت الإمبراطورة الأيقونية إيرين التي خلفت

زوجها الإمبراطور ليو الخزري بعقد مجمع نيقية عام ٧٨٧م بعد تعيينها للبطريرك خرسيوس المتحمس للأيقونية بطريركاً على القسطنطينية، وانتهى المجمع على تقديس صور المسيح ووالدته والقديسين، ووضع الصور في الكنائس(*) والأديرة والبيوت والطرقات بزعم أن النظر إليها يدعو للتفكير فيها.

ـ في عام ٨٦٩م أثار بطريرك القسطنطينية فوسيوس مسألة انبثاق الروح القدس(*) من الآب(*) وحده، فعارضه ـ كالعادة ـ بطريرك روما وقال إن انبثاق الروح القدس من الآب والابن(*) معاً، وعقد لذلك مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩م (مجمع الغرب اللاتيني) الذي تقرَّر فيه أن الروح القدس منبثقة من الأب والابن معاً، وأن جميع النصارى في العالم خاضعون لمراسيم بابا روما، وأن من يريد معرفة ما يتعلق بالنصرانية(*) وعقائدها عليه برفع دعواه إلى بابا روما. ولذلك تم لعن وعزل فوسيوس وحرمانه وأتباعه، إلا أن فوسيوس استطاع أن يعود إلى مركزه مرة أخرى. وفي عام ٨٧٩م عقد المجمع الشرقي اليوناني (القسطنطينية الخامس) ليلغي قرارات المجمع السابق، ويعلن أن الروح القدس منبثقة من الآب(*) وحده، ويدعو إلى عدم الاعتراف إلا بالمجامع السبعة التي آخرها مجمع نيقية ٧٨٧م.

ـ وهكذا تم الانفصال المذهبي للكنيسة الشرقية تحت مسمى الكنيسة(*) الشرقية الأرثوذكسية، أو كنيسة الروم الأرثوذكس برئاسة بطريرك(*) القسطنطينية، ومذهباً(*) بأن الروح القدس(*) منبثقة من الآب(*) وحده، على أن الكنيسة الغربية، أيضاً، تميَّزت باسم الكنيسة البطرسية الكاثوليكية، وبزعم أن لبابا(*) روما سيادة على كنائس الإمبراطورية وأنها أم الكنائس ومعلمتهن، وتميزت بالقول بأن الروح القدس منبثقة من الآب والابن(*) معاً. ولم يتم الانفصال النهائي ـ الإداري ـ إلا في عام (١٠٥٤م)، وبذلك انتهى عهد المجامع المسكونية، وحلت محلها المؤتمرات الإقليمية أو سلطات البابا المعصوم لتستكمل مسيرة الانحراف والتغيير في رسالة عيسى، عليه الصلاة والسلام.

ـ ومن أبرز سمات هذه المرحلة الأخيرة ـ القرون الوسطى ـ الفساد، ومحاربة العلم والعلماء والتنكيل بهم والاضطهاد لهم، وتقرير أن البابا معصوم له حق الغفران، مما دفع إلى قيام العديد من الحركات(*) الداعية لإصلاح فساد الكنيسة، وفي وسط هذا الجو الثائر ضد رجال الكنيسة انعقد مؤتمر ترنت عام ١٥٤٢ ـ ١٥٦٣م، لبحث مبادىء مارتن لوثر التي تؤيدها الحكومة والشعب الألماني، وانتهى إلى عدم قبول آراء الثائرين أصحاب دعوة الإصلاح الديني. ومن هنا انشقَّت كنيسة جديدة هي كنيسة البروتستانت ليستقر قارب

النصرانية بين أمواج المجامع التي عصفت بتاريخها على ثلاث كنائس رئيسة لها النفوذ في العالم إلى اليوم، ولكل منها نحلة وعقيدة مستقلة، وهي: الأرثوذكس، الكاثوليك، البروتستانت، بالإضافة إلى الكنائس المحدودة مثل: المارونية، والنسطورية، واليعقوبية، وطائفة الموحدين، وغيرهم.

أهم الأفكار والمعتقدات:

يمكن إجمال أفكار معتقدات النصرانية بشكل عام فيما يلي، علماً بأنه سيفصل فيما بينهم من خلاف في المباحث التالية:

● **الألوهية والتثليث**(*): مع أن النصرانية في جوهرها تُعنى بالتهذيب الوجداني، وشريعتها هي شريعة موسى، عليه الصلاة والسلام، وأصل اعتقادها هو دين(*) الإسلام إذ يقول النبي(*) ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» لكنه بعد ضياع الإنجيل(*) وظهور العشرات من الأناجيل والمجامع والدعاوى المنحرفة استقرت أصول عقائد النصرانية على ما يلي:

ـ **الإله**(*): الإيمان بالله الواحد، الآب(*) مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى. هكذا في قانون إيمانهم، وواضحٌ تأثُّرهم بألفاظ الفلاسفة في قولهم صانع ما يرى. والأولى قولهم خالق ما يرى وما لا يرى إذ بينهما فرق كبير؛ فالصانع يخلق على أساس مثال سابق، بينما الخالق على العكس من ذلك.

ـ **المسيح**(*): إن ابنه(*) الوحيد يسوع المسيح بكر الخلائق ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع (تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيراً)، ومنهم من يعتقد أنه هو الله نفسه ـ سبحانه وتعالى عن إفكهم ـ وقد أشار القرآن الكريم إلى كلا المذهبين(*)، وبيَّن فسادهما، وكفَّر(*) معتقدهما؛ يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾. [التوبة: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾. [المائدة: ٧٢].

ـ **روح القدس**(*): وإن روح القدس الذي حلّ في مريم لدى البشارة، وعلى المسيح(*) في العماد على صورة حمامة، وعلى الرسل من بعد صعود المسيح، والذي لا يزال موجوداً، وينزل على الآباء(*) والقديسين بالكنيسة(*) يرشدهم ويعلمهم ويحل عليهم المواهب، ليس إلا روح الله وحياته، إله(*) حق من إله حق.

ـ **الأقانيم**(*): ولذلك يؤمنون بالأقانيم الثلاثة: الأب(*)، الابن(*)، الروح القدس، بما يُسمونه في زعمهم وحدانية في تثليث(*) وتثليث في وحدانية. وذلك زعمٌ باطل صعُب

عليهم فهمه، ولذلك اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً، وكفرت كل فرقة من فرقهم الأخرى بسببه، وقد حكم الله تعالى بكفرهم(*) جميعاً إن لم ينتهوا عما يقولون، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [المائدة: ٧٣].

ـ **الصلب والفداء**: المسيح في نظرهم مات مصلوباً فداءً عن الخليقة، لشدة حب الله للبشر ولعدالته، فهو وحيد الله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ الذي أرسله ليخلص العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم، وأنه دفن بعد صلبه، وقام بعد ثلاثة أيام متغلباً على الموت ليرتفع إلى السماء.

ـ قال تعالى مبيناً حقيقة ما حدث وزيف ما ادعوه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

● **الدينونة والحساب**: يعتقدون بأن الحساب في الآخرة سيكون موكولاً للمسيح(*) عيسى ابن مريم الجالس ـ في زعمهم ـ على يمين الرب في السماء؛ لأن فيه من جنس البشر مما يعينه على محاسبة الناس على أعمالهم.

● **الصليب**: يُعدّ الصليب شعاراً لهم، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحملُه علامة على أنهم من أتباع المسيح، ولا يخفى ما في ذلك من خفة عقولهم وسفاهة رأيهم، فمن الأولى لهم أن يكرهوا الصليب ويحقروه، لأنه كان الأداة التي صلب عليها إلههم(*) وهو سبب آلامه. وعلى حسب منطقهم كان الأولى بهم أن يعظموا قبره الذي زعموا أنه دفن فيه، ولامس جسده تربته فترة أطول مما لامس الصليب.

● **مريم البتول**: يعتقد النصارى على ما أضيف في قانون الإيمان أن مريم ابنة عمران والدة المسيح(*) عليه الصلاة والسلام، هي والدة الإله(*)، ولذا يتوجَّه البعض منهم إليها بالعبادة.

● **الدين**(*): يؤمن النصارى بأن النصرانية دين عالمي غير مختص ببني إسرائيل وحدهم، ولا يخلو اعتقادهم هذا، أيضاً، من مخالفة لقول المسيح المذكور في إنجيل(*) متى، الإصحاح (١٠: ٥، ٦): «إلى طرق الأمم لا تتجهوا، ومدن السامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحري إلى الخراف الضالة من آل بني إسرائيل».

● **الكتاب المقدس**: يؤمن النصارى بقدسية الكتاب المشتمل على:

العهد القديم(*): الذي يحتوي على التوراة(*) ـ الناموس ـ وأسفار(*) الأنبياء(*) التي تحمل تواريخ بني إسرائيل وجيرانهم، بالإضافة إلى بعض الوصايا والإرشادات.

العهد الجديد(*): الذي يشمل الأناجيل(*) الأربعة: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) فقط، والرسائل المنسوبة للرسل، على أن ما في العهد الجديد يلغي ما في العهد القديم(*)، لأنه في اعتقادهم كلمة الله، وذلك على خلاف بين طوائفهم في الاعتقاد في عدد الأسفار(*) والرسائل بل وفي صحة التوراة(*) نفسها.

● **المجامع (التقليد)**: يؤمن النصارى بكل ما صدر عن المجامع المسكونية من أمور تشريعية سواء في العقيدة أو في الأحكام، وذلك على خلاف بينهم في عددها.

● **الشعائر والعبادات**:

ـ **الصلاة**: الأصل عندهم في جميع الصلوات إنما هو الصلاة الربانية، والأصل في تلاوتها أن يتلوها المصلي ساجداً، أو تكون بألفاظ منقولة أو مرتجلة أو عقلية بأن تنوى الألفاظ ويكون الابتهال قلبيًّا، وذلك على خلاف كبير بين طوائفهم في عددها وطريقة تأديتها. ليس لها عدد معلوم مع التركيز على صلاتي الصباح والمساء.

ـ **الصوم**: هو الامتناع عن الطعام الدسم وما فيه شيء من الحيوان أو مشتقاته مقتصرين على أكل البقول، وتختلف مدته وكيفيته من فرقة إلى أخرى.

● **الختان**: يؤمن النصارى بعدم الختان للأطفال على عكس شريعة التوراة.

ـ **الأسرار السبعة**: والتي ينال بها النصراني النعم غير المنظورة في صورة نعم منظورة، ولا تتم إلا على يد كاهن(*) شرعي، ولذا فهي واجبة على كل نصراني ممارستها وإلا أصبح إيمانه ناقصاً. وبالجملة فإنها من ضمن التشريعات التي لم يُنزل الله بها من سلطان، وإنما هي من تخرُّصات البابوات(*).

ـ **سر التعميد**: ويقصد به تعميد الأطفال عقب ولادتهم بغطاسهم في الماء أو الرش به باسم الآب(*) والابن(*) والروح القدس(*)، لتمحى عنهم آثار الخطيئة الأصلية، بزعم إعطاء الطفل شيئاً من الحرية(*) والمقدرة لعمل الخير، وهذا، أيضاً، على خلاف بينهم في صورته ووقته.

ـ **سر التثبيت (الميرون)**: ولا يكون إلا مرة واحدة، ولا تكمل المعمودية(*) إلا به، إذ يقوم الكاهن(*) بمسح أعضاء المتعمد بعد خروجه من جرن المعمودية في ستة وثلاثين موضعاً ـ الأعضاء والمفاصل ـ بدهن الميرون المقدس.

ـ **سر العشاء الرباني**(*): ويكون بالخمر أو الماء ومعه الخبز الجاف؛ إذ يتحول في زعمهم الماء أو الخمر إلى دم المسيح(*)، والخبز إلى عظامه، وبذلك فإن من يتناوله فإنما يمتزج في تعاليمه بذلك، وكذلك ففرقُهم على خلاف في الاستحالة بل وفي العشاء نفسه.

ـ **سر الاعتراف**: وهو الإفضاء إلى رجل الدين بكل ما يقترفه المرء من آثام وذنوب، ويتبعه الغفران والتطهير من الذنب بسقوط العقوبة، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة، ولكن منذ سنة ١٢١٥م أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل، وهذه الشعيرة عندهم، أيضاً، مما اختُلِف في وجوبها وإسقاطها.

ـ **سر الزواج**: يُسمح الزواج بزوجة واحدة مع منع التعدد الذي كان جائزاً في مطلع النصرانية، ويُشترط عند الزواج حضور القسيس(*) ليقيم وحدة بين الزوجين، والطلاق لا يجوز إلا في حالة الزنى ـ على خلاف بينهم ـ ولا يجوز الزواج بعده مرة أخرى، بعكس الفراق الناشيء عن الموت، أما إذا كان أحد الزوجين غير نصراني فإنه يجوز التفريق بينهما.

ـ **سر مسحة المرضى**: وهو السر السادس بزعم شفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية وهي الخطيئة، ولا يمارس الكاهن(*) صلوات القنديل السبع إلا بعد أن يتثبَّت من رغبة المريض في الشفاء.

ـ **سر الكهنوت**: وهو السر الذي ينال به الإنسان بزعمهم النعمة التي تؤهِّله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح(*) بين إخوانه من البشر، ولا يتم إلا بوضع يد الأسقف(*) على رأس الشخص المنتخب، ثم يتلو عليه الصلوات الخاصة برسم الكهنة.

ـ **الرهبانية**(*): اختلفت طوائفهم في مدى لزوم الرهبنة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها.

● **التنظيم الكهنوتي**: تختلف كل كنيسة(*) ـ فرقة ـ عن الأخرى في التنظيم(*) الكهنوتي، ولكنه بوجه عام هو تنظيمٌ استعارته الكنيسة(*) في عهودها الأولى من الرومان إذ كان يرأسها أكبرهم سنًّا على أمل عودة المسيح(*)، ويقدسون رهبانهم(*) ورجال كنيستهم، ويجعلون لهم السلطة المطلقة في الدين(*) وفي منح صكوك الغفران؛ يقول تعالى مبيناً انحرافهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. [التوبة: ٣١].

● **الهرطقة ومحاربتها**: حاربت الكنيسة العلوم والاكتشافات العلمية وكل المحاولات الجديدة لفهم كتابهم المقدس، ورمت ذلك كله بالهرطقة، وواجهت هذه الاتجاهات بمنتهى العنف والقسوة، مما أوجد ردة فعل قوية تمثَّلت في ظهور المذاهب(*) العلمانية والأفكار الإلحادية(*).

ـ الجذور الفكرية والعقائدية:

أساسها نصوص العهد القديم(*)، فقد انعكست الروح والتعاليم اليهودية من خلاله،

ذلك أن النصرانية قد جاءت مكملة لليهودية، وهي خاصة بخراف بني إسرائيل الضالة، كما تذكر أناجيلهم(*).

ـ لقد أدخل أمنيوس المتوفى سنة ٢٤٢م أفكاراً وثنية(*) إلى النصرانية بعد أن اعتنقها وارتدَّ عنها إلى الوثنية الرومانية.

ـ عندما دخل الرومان في الديانة(*) النصرانية نقلوا معهم إليها أبحاثهم الفلسفية وثقافتهم الوثنية، ومزجوها بالمسيحية التي صارت خليطاً من كل ذلك.

ـ لقد كانت فكرة التثليث(*) التي أقرَّها مجمع نيقية ٣٢٥م انعكاساً للأفلوطونية الحديثة التي جلبت معظم أفكارها من الفلسفة(*) الشرقية، وكان لأفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠م أثر بارز على معتقداتها، فأفلوطين هذا تتلمذ في الإسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند، وعاد بعدها وفي جعبته مزيج من ألوان الثقافات، فمن ذلك قوله بأن العالم في تدبيره وتحركه يخضع لثلاثة أمور:

١ ـ المُنشيء الأزلي الأول.

٢ ـ العقل(*).

٣ ـ الروح التي هي مصدر تتشعب منه الأرواح جميعاً.

بذلك يضع أساساً للتثليث إذ إن المنشيء هو الله، والعقل هو الابن، والروح هو الروح القدس(*).

ـ تأثرت النصرانية بديانة(*) متراس التي كانت موجودة في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون وهي تتضمن قصة مثلة لقصة العشاء الرباني(*).

ـ في الهندوسية تثليث، وأقانيم(*)، وصلب للتكفير عن الخطيئة، وزهد ورهبنة(*)، وتخلُّص من المال للدخول في ملكوت السموات، والإله(*) لديهم له ثلاثة أسماء فهو فشنو(*) أي الحافظ وسيفا(*) المهلك وبرهما(*) المُوجِد. وكل ذلك انتقل إلى النصرانية بعد تحريفها.

ـ انتقلت بعض معتقدات وأفكار البوذية التي سبقت النصرانية بخمسة قرون إلى النصرانية المحرَّفة، وإن علم مقارنة الأديان يكشف تطابقاً عجيباً بين شخصية بوذا(*) وشخصية المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، (انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير).

ـ خالطت عقيدة البابليين القديمة النصرانية إذ إن هناك محاكمة لبعل إله(*) الشمس تُماثِل وتطابق محاكمة المسيح(*)، عليه الصلاةوالسلام.

وبالجملة فإن النصرانية قد أخذت من معظم الديانات والمعتقدات التي كانت موجودة

قبلها، مما أفقدها شكلها وجوهرها الأساسي الذي جاء به عيسى، عليه الصلاة والسلام، من لدن رب العالمين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر النصرانية اليوم في معظم بقاع العالم، وقد أعانها على ذلك الاستعمار(*) والتنصير الذي تدعمه مؤسسات ضخمة عالمية ذات إمكانات هائلة.

يتضح مما سبق:

● لم تكن عقيدة التثليث(*) معروفة في عصر الحواريين(*) (العصر الرسولي) تقول دائرة المعارف الفرنسية: «وإن تلاميذ المسيح(*) الأوّلين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكوِّنة لذات الخالق، وما كان بطرس حواريه يعتبره أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله». وتستشهد على ذلك بأقوال قدماء المؤرخين مثل جوستن ماراستر من القرن الثاني الميلادي إذ يصرح بأنه كان في زمنه في الكنيسة(*) مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً، وأنه كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما تنصَّر عدد من الوثنيين(*) ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل.

● لضياع النصوص الأصلية من الأناجيل(*) نتيجة للاضطهاد من جانب وللاحتكاك والتأثر بالفلسفات(*) والحضارات الشرقية والوثنية(*) من جانب آخر، حملت الديانة النصرانية المحرفة عوامل اختلافها وتناقض نصوصها، الذي ظهر بشكل واضح من خلال المجامع المختلفة التي عقدت لوضع أصول الدين(*) وتشريعاته بشكل لم يَرِد عن المسيح، عليه الصلاة والسلام، ولا عن حوارييه.

● سيطرت عقائد وأفكار بولس على النصرانية؛ يقول دبليو ريد «إن بولس قد غيَّر النصرانية لدرجة أنه أمسى مؤسسها الثاني، إنه في الواقع مؤسس المسيحية(*) الكنسية». ويؤيده لوني دنيله، وستون استيورت، جيمبرلين في أن بولس أضفى على المسيحية بتمزيقها إطاراً غير اليهودية ولذلك فبات خالق الكنائس(*) التي أسست باسم اليسوع. ويقول لوني نيك: «لو لم يكن بولس لعادت المسيحية فرقة من الديانة اليهودية، ولما كانت ديانة كونية».

● كل ما ذكر عن برنابا وبطرس في رسائل بولس فإنما هي قبل الافتراق، إذ كان لتلاميذ بولس من أمثال لوقا ويوحنا دورٌ كبير في إخفاء تاريخهما بعد الخلاف بينهما، وهذا ما أيدته دائرة المعارف البريطانية من أن قوة نفوذ أتباع بولس أخفت تاريخ كل من يعارض بولس مثل برنابا وبطرس.

ـ هناك رسالتان تُنسبان لبطرس يوافق فيهما أفكار بولس، أثبتت دائرة المعارف البريطانية أنهما ليستا له وأنهما مزوَّرتان عليه إذ تتعلق بتاريخ ما بعد موته، ولم تقبلهما كنيسة(*) روما إلا في سنة (٢٦٤م)، بينما اعترفت بهما الإسكندرية في القرن الثالث، وكذلك بالنسبة للرسالة المنسوبة ليعقوب، يؤكد العلماء عدم صحة نسبتها إليه، أيضاً إذ أوصى يعقوب بولس بأداء الكفارة لخلافه شريعة التوراة(*)، وألزمه بالعمل بها.

● لم تُعرف الأناجيل(*) الأربعة المتفق عليها عند النصارى اليوم المعرفة الكاملة قبل مجمع نيقية (٣٣٥م) إذ تم اختيارها من بين عشرات الأناجيل، وأما الرسائل السبع فلم يعترف المجمع المذكور بالكثير منها، وإنما تم الاعتراف بها فيما بعد.

ـ إن تلاميذ المسيح(*)، عليه السلام، ليسوا بكتَّاب هذه الأناجيل فهي مقطوعة الإسناد، والنصوص الأصلية المترجَم عنها مفقودة، بل نصوص الإنجيل الواحد متناقضة مع بعضها فضلاً عن تناقضها مع غيرها من نصوص الأناجيل الأخرى مما يبطل دعوى أنها كُتبت بإلهام من الله تعالى.

ـ بعد الدراسة المتأنية لنصوص الإنجيل نجد فضلاً عن التناقضات، لا بين نصوص الإنجيل الواحد أو الأناجيل المختلفة فقط، وإنما بين نصوص الأناجيل ورسائل الرسل(*) المزعومة، وأيضاً، بينها وبين نصوص العهد القديم(*) وهذا ما يدلِّل ويؤكد التحريف(*) سواء كان بقصد أو بغير قصد.

ـ هناك مئات النصوص في الأناجيل الأربعة تدل على أن عيسى إنسان وليس إلهاً(*)، وأنه ابن الإنسان وليس ابن الله(*)، وأنه جاء رسولاً(*) إلى بني إسرائيل فقط، مكملاً لشريعة موسى وليس ناقضاً لها.

ـ وهناك نصوص أخرى تدل على أن عيسى لم يُصلب وإنما أنجاه الله ورفعه إلى السماء، وتدحض كذلك عقيدة الغفران، وتبين أن الغفران يُنال بالتوبة وصلاح الأعمال. وهناك نصوص إنجيلية تؤكد بشارة عيسى بالرسول محمد ﷺ.

ـ بل إن هناك نصوصاً عديدة في الرسائل تثبت زيف زعم بولس بأنه يوحى إليه، وتبين كذلك تناقضه مع نفسه ومع عيسى، عليه الصلاة والسلام.

● رأينا كيف تدخلت السياسة والحكام في تقرير عقائد الكنيسة(*) وتبديلها من خلال المجامع المختلفة، وأن الأصل في الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية نشأ لا عن موقف عقدي بقدر ما هو محاولة إثبات الوجود والسيطرة.

● لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن في آيات عديدة إفكَ النصارى وقولهم في

مريم، واعتقادهم في المسيح(*) على اختلاف مذاهبهم(*)، مبيِّناً انحرافهم، ومصحِّحاً عقائدهم، وداعياً إياهم عدم الغلو(*) في الدين(*) وألا يقولوا على الله إلا الحق.

● وعموماً فإن النصارى يُعتبرون بالنسبة للمسلمين أهل كتاب مثل اليهود، وحكمهم في الإسلام سواء، فقد كذَّبوا برسول الله وآياته، وأشركوا بالله، فهم بذلك كفار(*) لهم نار جهنم خالدين فيها. يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾. [البينة: ٦]. لكنهم مع ذلك يعاملون بما أمر الله تعالى به من الإحسان والبر والقسط إليهم، وأكل طعامهم والتزوج من نسائهم، طالما أنهم لم يقاتلونا في الدين(*) ولم يخرجونا من ديارنا، فهم أهل ذمة إذا عاشوا في ديار المسلمين، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من الحقوق والواجبات؛ ما لم ينقضوا عهدهم. فإن نكثوا عهدهم وتجرؤوا على الإسلام والمسلمين؛ بأن حاولوا الدعوة إلى باطلهم وكفرهم بين أبناء المسلمين، أو طعنوا في الدين مثلاً، فلابد من قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

مراجع للتوسع:

- **القرآن الكريم**.
- **قاموس الكتاب المقدس** - دار الكتاب المقدس بالشرق الأدنى.
- **الكتاب المقدس**.
- **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، الآب جان كلي، دار المشرق بيروت، ١٩٩٤م.
- **تاريخ الكنيسة جون لوريمر**، دار الثقافة، القاهرة.
- **موسوعة تاريخ الأقباط**. زكي شنودة، مطبعة التقدم، القاهرة.
- **دائرة معارف**.
- **البداية والنهاية**، ابن كثير.
- **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح**، شيخ الإسلام ابن تيمية- مطبعة المدني - القاهرة.
- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ابن قيم الجوزية- اعتنى به د. أحمد حجازي السقا - المكتبة القيمة القاهرة.
- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني، طبعة بيروت.
- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، لابن حزم - دار المعرفة بيروت.

- **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، محمد طاهر التنير ـ تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي ـ دار الصحوة القاهرة.
- **الأديان في كفة الميزان**، محمد فؤاد الهاشمي.
- **إنجيل برنابا**، تحقيق أ. د. محمود كريت، شباس الملح، القاهرة.
- **الفارق بين المخلوق والخالق**، عبدالرحمن زادة.
- **المسيحية نشأتها وتطورها**، شار جينيبير، ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود، دار المعارف بمصر ١٩٨١م.
- **ما هي النصرانية**، محمد تقي العثماني، مكتبة دار العلوم، كراتشي ١٤٠٣هـ.
- **أديان العالم**، حبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، ١٩٧٧م.
- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي، دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٨٠م.
- **أوربا في العصور الوسطى**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٩١م، الجزء الأول: التاريخ السياسي، الجزء الثاني: الحضارة والنظم.
- **تاريخ أوربا العصور الوسطى**، د. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٨م.
- **تاريخ الدولة البيزنطية**، د. نسيم جوزيف، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **النصرانية من الواحد إلى المتعدد**، أبو إسلام أحمد عبدالله، بيت الحكمة - القاهرة.

المراجع الأجنبية

- Ropertson: Pagan Christs.
- Berry: Religions of the World.
- Berry: A History of Freedom of Thought.
- Pfledere: The Early Christian Conception of Christ.
- T.W. Doane: Bible Mythology.
- Harnak: What is Christianity.
- Encyclopedia of Religion and Ethics.
- Khwaja Kamaluddin: The Sources of Christianity.
- H. Maurica Relton: Studies in Christion Dortrine.
- Encyclopedia Britonnica.

الفصل الثالث

ما تفرع عن النصرانية

● الأرثوذكس ● الكاثوليك ● البروتستانت ● فروع أخرى

٧٤ـ الأرثوذكس

التعريف:

هي إحدى الكنائس(*) الرئيسة الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ١٠٥٤م، وتمثَّلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب(*) وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح(*)، وتُدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركَّز أتباعها في المشرق، ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

في نهاية القرن التاسع الميلادي، وبالتحديد بعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس عام ٨٧٩م أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيستان رئيسيتان:

● الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو القبطية(*)، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية أو كنيسة الإسكندرية، التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وتضم كنائس الحبشة والسودان، ويوافقها على ذلك كنائس الأرمن واليعقوبية.

● الكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، تخالف الكنيسة المصرية في طبيعة المسيح، بينما توافق الكنيسة الكاثوليكية الغربية بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ويجمعها مع الكنيسة المصرية الإيمان بانبثاق الروح القدس(*) عن الآب وحده، وتضم كنائس أورشليم واليونان وروسيا وأوربا الشرقية.

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية:

ـ يدعي أصحابها أن مؤسسها مرقس الرسول عام ٤٥م.

بوادر الانفصال: ظهرت بوادر الانفصال المذهبي للكنيسة المصرية، منذ أن جعل الإمبراطور ثيودوسيوس كنيسة القسطنطينية هي الكنيسة الرسمية للإمبراطورية الشرقية عام ٣٨١م وأن كنيسة الإسكندرية تليها في المرتبة، مما دفع بطريرك(*) الإسكندرية كيرلس عام

٤١٢م إلى تولي زعامة الشعب ضد الإمبراطور وعماله في مصر.

ـ زادت هوَّة الخلاف بين الكنيستين على أثر إعلان نسطور ـ أسقف(*) القسطنطينية ـ مقالته التي تصدى لها كيرلس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام ٤٣١م الذي استطاع استصدار حكم ضد نسطور باللعن والطرد.

الانفصال الرسمي:

ـ بعث فلافيانوس بطريرك القسطنطينية مقالة نسطور مرة أخرى، فتصدى لها ديسقورس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام ٤٤٩م والذي لم يعترف به أسقف روما، فعقد لذلك مجمع كليدونية عام ٤٥١م ليقرر لعن ديسقورس ونفيه، بل وتعيين بطريرك ملكاني خلفاً له، الأمر الذي دفع الكنيسة المصرية لإعلان عصيانها وعدم اعترافها بمجمع كليدونية عام ٤٥١م ولا بقراراته، مما سبَّب عودة الاضطهاد مرة أخرى لحمل الكنيسة المصرية على اتباع عقيدة كنيسة القسطنطينية والتي توافقها عليها الكنيسة الغربية.

ـ هكذا عاشت الكنيسة المصرية سلسلة من المنازعات حول تعيين الأسقف، إلى أن تم الاتفاق عام ٤٨٢م على أن يختار المصريون أسقفهم دون تدخل من الإمبراطور، فكان هذا التاريخ يمثل بداية الانفصال الحقيقي عن كنيسة القسطنطينية.

ـ سرعان ما عاد الاضطهاد مرة أخرى للكنيسة(*) المصرية، بعدما ولَّى هرقلُ المقوقس حُكم مصر بعد استردادها من الفرس عام ٦٢٨م في محاولة منه لتوطيد أركان ملكه عن طريق توحيد عقيدة الإمبراطورية على مذهب(*) الطبيعتين، فلم يألُ المقوقس جهداً في إنفاذ ذلك، كما لم يعدم حيلة، مستخدماً الترغيب تارة، والترهيب والعذاب والتنكيل تارة أخرى، مما دفع بطريرك الكنيسة المصرية بنيامين للهروب إلى الصحراء، وأن يكتب إلى جميع أساقفته باللجوء إلى الجبال والبراري فراراً بعقيدتهم.

● ما إن ظهرت بشائر الفتح الإسلامي منطلقة من الجزيرة العربية حتى رحبت بها الكنيسة المصرية، للتخلص من ظلم واضطهاد إخوانهم نصارى الإمبراطورية البيزنطية.

وما إن وطئت طلائع الفتح الإسلامي أرض مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، ودانت لهم، حتى أُعيد بنيامين بطريرك(*) الكنيسة المصرية إلى كرسيه، واجتمع به عمرو بن العاص، ووافقه على ما أبداه من مقترحات لحفظ كيان الكنيسة(*)، كما وافقه على تشييد ما دعت إليه الحاجة من الكنائس وتجديد وإصلاح البعض الآخر.

ـ تأثر الكثير من النصارى المصريين بعدالة الإسلام، وسماحة مبادئه، حيث ترك لهم حق الاعتقاد وحرية(*) ممارسة العبادة والشعائر الخاصة بهم، كما سمح لهم بالمشاركة في

بعض وظائف الدولة، مما فتح قلوبهم لقبول الحق، والدخول في دين(*) الإسلام أفواجاً، وبذلك صارت اللغة العربية لغتهم ولغة البلاد، وأصبح منهم العلماء والقادة فيما بعد.

● على الرغم من ذلك لم يهدأ لكنيسة روما بال عن فرض سيادتها على كنائس الشرق، مستخدمة في ذلك أساليب الحرب والقوة تارة، والدبلوماسية والمفاوضات تارة أخرى. ففي سنة ١٢١٩م قامت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا في محاولة لإخضاع الكنيسة المصرية الأرثوذكسية لمذهب(*) الكنيسة الغربية الكاثوليكية. وقد تمكنت في بادىء الأمر من احتلال مدينة دمياط وفرض بطريرك كاثوليكي من الآباء الفرنسيسكان عليها، ليمثِّل أول وجود كاثوليكي في مصر، فما إن هب المسلمون لصد العدوان حتى انهزمت الحملة وأُسر قائدها وبذلك باءت مخططاتها بالفشل.

ـ وفي سنة ١٧٦٩م أعادت الكنيسة الغربية الكَرَّة، ولكن هذه المرة عن طريق المفاوضات والمصالحة، وعرض انضمام الكنيسة المصرية إليها، ليقابلها بطريرك الكنيسة المصرية يؤانس الثامن عشر بالرفض التام.

● بدأت بوادر حركة إصلاح وتطوير الكنيسة المصرية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وبخاصة في عهد البطريرك كيرلس الرابع ١٨٥٤ ـ ١٨٦٢م «أبو الإصلاح» كما يسميه أتباع الكنيسة لإدخاله العديد من الإصلاحات لمواجهة نشاط الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية، التي زاد نشاطها واستطاعت تأسيس مراكز للدعوة إلى مذاهبهم في صعيد مصر بوجه خاص. وكانت استجابة بعض الأرثوذكس لهم دافعاً للقيام بهذه الإصلاحات وافتتاح مدارس للبنين والبنات، وإنشاء المدرسة البطريركية، بالإضافة إلى إدخال أول مطبعة في مصر.

ـ وبأسلوب آخر تصدى البطريرك(*) ديمتريوس الثاني ١٨٦٢ ـ ١٨٧٤م للتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي في مصر، بإصدار قرارات الحرمان ضد المرسلين الأمريكيين ومن يتصل بهم من الأقباط(*).

ـ ازدادت حملة الكنيسة(*) المصرية ضراوة ضد إرساليات الكنائس الغربية في مصر في عهد البطريرك كيرلس الخامس ١٨٧٤ ـ ١٩٢٧م إذ أغلق مدارسهم، وأصدر قرارات تَعتبر هذه الكنائس وإرساليتها وتابعيها ومن ينضم إليها من الأقباط مهرطقين، ولم يفلح تدخل القنصل الأمريكي وليم تاير والمنصِّر جون هوم في إقناع البطريرك بأن نشاطهم غير موجه ضد الأرثوذكس.

● يُعد حبيب جرجس ١٨٦٧ ـ ١٩٥١م من أبرز رواد الإصلاح والتطوير في الكنيسة

المصرية، إذ أنشأ مدارس الأحد والمدرسة الإكليريكية، ودعم وساهم في العديد من الأنشطة الاجتماعية والثقافية التي توسَّعت بعده إلى حد كبير، فظهرت المجلات والجرائد النصرانية، كما أنشأ العديد من المدارس والمكتبات ودور النشر التي تهتم بنشر التعاليم النصرانية بين المسلمين. وازداد تبعاً لذلك عدد المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي تخدم الأرثوذكس، كل هذا بغية التصدي للإرساليات التبشيرية الغربية.

● لكن هذا الموقف الرافض للتعاون أو القبول بوجود الكنائس الغربية بين الأرثوذكسية تغيَّر بشكل ملحوظ أيام الاحتلال الإنجليزي لمصر، الذي ساعد وشجع هذا الاتجاه بما أثار في نفوس الأقباط من أن أرض مصر المسلمة أرض نصرانية وأن المسلمين دخلاء يجب طردهم، وشجع حبيب جرجس على رفع شعار الأمة القبطية مقابل الأمة الإسلامية.

● وفي عهد الخديوي إسماعيل دخل عدد كبير من الأرثوذكس القضاء والمجالس النيابية وكلفوا بالخدمة العسكرية، وظهرت في الساحة السياسية أسماء كبيرة متعاونة مع الاستعمار الإنجليزي مثل بطرس باشا غالي ويوسف باشا سليمان.

ـ بعد مؤتمر ١٩١٠م الذي انعقد بمناسبة مقتل بطرس باشا غالي، زاد نفوذهم السياسي وبخاصة بعد انضمامهم إلى حزب(*) الوفد وتولِّي مكرم عبيد منصب نائب رئيس الحزب.

● في عهد البطريرك يوساب الثاني أصدر القس إبراهيم لوقا مجلة **اليقظة** للدعوة إلى تقارب الكنيستين(*): البروتستانتية الأسقفية والقبطية(*)، كما دعا إلى أن الوقت قد حان لأن يتبادل قسوس(*) الطوائف النصرانية(*) المختلفة الوعظ في كنائسهم.

ـ في عام ١٩٢١م عُقد مؤتمر حلوان بضاحية حلوان بمصر لعموم الكنائس الشرقية والغربية بهدف توحيد جهود الكنائس(*) لتنصير المسلمين لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الكنيسة المصرية.

ـ وإمعاناً في التقارب انضمت الكنيسة المصرية إلى عضوية مجلس الكنائس العالمي الذي أنشىء عام (١٩٤٦م).

● في عام (١٩٥٢م) عاد الأقباط مرة أخرى إلى الانزواء داخل الكنيسة لخوفهم من حكومة جمال عبدالناصر، ومن ثم هاجر الكثير منهم إلى أوربا وأمريكا، مما كان لذلك أكبر الأثر في تحويل الرأي العام الغربي نحو الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، ومساندتها وممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على الحكومة المصرية لتحقيق مركز ديني وسياسي واجتماعي متميز للأقباط الأرثوذكس في مصر.

● وفي هذه الأثناء أعلن إبراهيم فهمي المحامي أحد خريجي مدارس الأحد تأسيس جماعة الأمة القبطية وأنشأ لها فروعاً على مستوى محافظات مصر. وقد دعا إلى إحياء مفهوم الأمة القبطية من خلال التمسك بالعادات والتقاليد الكنسية، وبإحياء اللغة القبطية، واستخدام التقويم القبطي، وكذلك بإصدار الجرائد والمجلات التي تهتم بالأقلية القبطية، وهكذا تطور معه الأمر إلى أن أعلن بياناً يطالب فيه بالحكم الذاتي لأقباط مصر.

ـ في عام ١٩٥٤م قامت جماعة الأمة القبطية باختطاف البطريرك(*) يوساب الثاني وإجباره على توقيع وثيقة تنازل عن كرسي البابوية، ودعوة المجمع المقدس للانعقاد، ووضع وثيقة جديدة لانتخاب البطريرك(*) تشارك فيها كل الطوائف النصرانية، لذلك ألقت الحكومة المصرية القبض على زعيم الجماعة واعتقلت أفرادها، ثم قامت بحلها وإعادة البطريرك إلى كرسيه.

● خطا البطريرك(*) كيرلس السادس ١٩٥٩ ـ ١٩٦٩م خطوات جديدة نحو تطوير الكنيسة(*)؛ إذ أنشأ العديد من الأسقفيات، منها أسقفيات الخدمات ومهمتها العلاقات الخارجية والاتصال بالكنائس الأخرى، سواء أكانت بالكنائس الغربية ومؤسساتها أم بالكنائس القبطية(*) خارج مصر، وأسقفية للخدمات والشؤون المالية مهمتها جلب فرص العمل للأقباط، والحصول على توكيلات أكبر البنوك والشركات في العالم، وأسقفية البحث العلمي ومهمتها إنشاء معهد عالٍ للدراسات القبطية، وإصدار طبعات جديدة للكتاب المقدس، ووضع دائرة معارف قبطية، كما أنشأ أسقفية للتربية الكنسية مهمتها الإشراف على كليات اللاهوت ومدارس الأحد وجميع شؤون التعليم والتربية الكنسية. واستغلالاً للثقل الدولي للكنيسة بعد انضمامها إلى مجلس الكنائس العالمي، ومجلس الكنائس العالمية العاملة في أفريقيا، وتعاونها مع مجلس كنائس أمريكا زاد الضغط على الحكومة لإلغاء النظام الهمايوني الذي أصدرته الدولة العثمانية في عام ١٨٥٦م كنظام إصلاحي لتنظيم بناء وترميم الكنائس النصرانية داخل الدولة. وبالفعل تمت الاستجابة لمطلبهم، وأنشىء العديد من الكنائس، منها كاتدرائية القديس مرقس بميدان العباسية بالقاهرة عام ١٩٦٧م، وتم إصلاح الأديرة وتعميرها وتحويلها من أماكن للعبادة إلى مراكز إنتاجية ومراكز اتصالات واسعة ومؤثرة على شؤون الكنيسة؛ مستخدمة في ذلك الدعم السخي والأموال الطائلة من الكنائس الغربية والقبطية في الخارج.

● في عام ١٩٧١م تولى البابا(*) شنودة الثالث رئاسة الكنيسة المصرية واسمه نظير جيد، تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة، والتحق بالقوات المسلحة كضابط احتياط، ثم

عمل صحفيًّا وكاتباً وشاعراً، وتسمى بعد ترهبُنه باسم شنودة الثالث. وللأب شنودة الثالث درس أسبوعي ـ درس الجمعة ـ ظل محافظاً على إلقائه في كاتدرائية العباسية منذ افتتاحها. وكان لدرسه هذا الأثر الكبير في تكوين وانتشار الأسر الدينية النصرانية في أروقة الجامعات المصرية المختلفة.

ـ في عهده زاد التوجه السياسي للكنيسة المصرية وتقديم مفهوم جديد للنصرانية على أنها دين(*) ودولة، مستخدماً في ذلك سياسة الانتشار الدولي، والتقارب مع الكنائس الغربية ومؤسساتها لدعم السياسات الداخلية للكنيسة وتحقيق أغراضها، كما أعلن عن تنظيمات جديدة للكنيسة، ودعا إلى تطوير الكلية الأكليريكية وإعادة الكنيسة(*) إلى مكانتها العالمية، فزاد اهتمامه بإنشاء الكنائس في الخارج ورسَّم الأساقفة لها، من أجل ذلك تعددت جولاته ولقاءاته. ومن أبرز هذه اللقاءات: لقاؤه ببابا(*) الفاتيكان بولس السادس عام ١٩٧٣م، الذي تمت فيه المصالحة بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية والكنيسة المصرية الأرثوذكسية، وتوقيعه وثيقة رفع الحرم المتبادل بين كنيسته والكنائس الأرثوذكسية الكندونية في مشميزي عام ١٩٩٠م. والاتفاق أيضاً على تحقيق الوحدة بين كل الكنائس النصرانية، وزيارته لرئيس أمريكا كارتر عام ١٩٧٧م والتي كان لها أثرها السياسي والديني لصالح الكنيسة المصرية.

ـ تحت رئاسة وإشراف البابا شنودة تعددت الاجتماعات ذات الصبغة الدينية والسياسية، التي تطالب بإعطاء الكنيسة الأرثوذكسية في مصر دوراً فاعلاً في السياسة، وأن يكون لها نصيبها من المناصب الوزارية. كما دعت الحكومة المصرية إلى التخلي عن فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية(*)، والموافقة على إنشاء جامعة للأقباط على غرار جامعة الأزهر. ومن أشهر هذه الاجتماعات اجتماع الكنيسة المرقسية بالإسكندرية عام ١٩٧٣م واجتماع الإسكندرية عام ١٩٧٧م، واجتماع تدريب مدرسي ومدرسات وخدام الدين النصراني في كنيسة مارجرجس بدمنهور في ٢٧ ـ ٢٨ يناير ١٩٧٧م، واجتماع المحامين الأقباط بالإسكندرية. كما اهتم بزيادة عدد الأبروشيات، إذ ارتفعت إلى ثلاث وخمسين أبرشية بدلاً من ثلاث وعشرين في عهد سلفه، وبالتالي زاد عدد الأساقفة إلى اثنين وستين أسقفًا.

ـ وزادت في عهده أيضاً وبشكل ملحوظ النشرات والكتب، وحملات التنصير والاستفزاز للمسلمين، مما أشعل المواجهات بين المسلمين والنصارى فيما عرف بأحداث الفتنة الطائفية (الزاوية الحمراء ومناطق مختلفة من صعيد مصر) وهذا ما دعا الرئيس السابق لمصر ـ السادات ـ إلى عزله ونفيه في دير وادي النطرون، وقد أفرج عنه وعاد إلى كرسيه في عهد الرئيس الحالي لمصر حسني مبارك.

ـ نتيجة للمنحى الجديد للكنيسة المصرية في عهد البابا(*) شنودة الثالث، ظهرت داخل الكنيسة(*) اتجاهات أخرى تعارضه، ويمكن تقسيم اتجاهات الكنيسة في عهده إلى :

١ ـ **اتجاه علماني**: يؤكد انفصال الدين(*) عن الدولة في النصرانية(*) ويرى أن الكنيسة في هذا العصر خرجت على النصرانية الصحيحية – بزعمهم – لخلطها بين الدين والدولة، كما يطالب بأهمية قيام الكنيسة بواجبها الديني وابتعادها ورجال الكنيسة عن السياسة. ومن أبرز ممثلي هذا التيار المهندس ميلاد حنا الخبير الإسكاني وأحد رموز الحركة اليسارية في مصر.

٢ ـ **اتجاه انعزالي كنسي**: يدعو إلى تبني الكنيسة للخطاب الديني المحض، ويتجه إلى إصلاح الأديرة وتطويرها، ويمثّله الأب متى المسكين واسمه يوسف إسكندر ـ صيدلي ـ انقطع للرهبنة في دير أبي مقّار قرب الإسكندرية.

٣ ـ **اتجاه روحي انعزالي**: يدعو إلى تكفير(*) كل من يخالفه من المسلمين والأقباط على حد سواء، مستخدماً في محاربتهم الحرب الروحية بصراع الأرواح الشريرة. كما يدعو إلى محاربة التلفزيون كأحد أساليب مملكة الشر، وإلى مواجهة المجتمع والدولة سواء كانوا مسلمين أو نصارى مواجهة علنية. وإلى هذا الاتجاه تُنسب الحوادث الأخيرة من إغماء الفتيات المسلمات في شوارع مصر، ويمثل هذا التيار الأب دانيال البراموسي خريج كلية الهندسة، وصاحب النشاط المؤثر بين الشباب النصراني في صعيد مصر خاصة، والقمص زكريا بطرس كاهن كنيسة(*) مارجرجس بمصر الجديدة ١٩٧٩م الذي أُبعد عن منصبه وحُرم من الوعظ لمهاجمته الدولة ودعوته لتنصير المسلمين بشكل علني.

٤ ـ **اتجاه شمولي**: يرى أن الكنيسة(*) مؤسسة شاملة مكلفة بأن تقدم الحلول لكل المشكلات، والأجوبة لكل الأسئلة المتصلة بالدين(*) والدنيا، ويمثله البابا(*) شنودة الثالث، والأنبا غريغوريوس أسقف(*) البحث العلمي، واسمه وهيب عطا حاصل على دكتوراه في فلسفة اللغات.

٥ ـ **اتجاه توفيقي**: يرى أن للكنيسة دوراً دينيًّا ذا بعد وطني، يحتِّم عليها أداء أدوار وطنية محددة؛ مثل الوقوف في وجه المستعمر(*) مع البعد عن الأمور السياسية، ويمثله المفكر القانوني وليم سليمان قلادة.

على الرغم من الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:

ـ رغم الانفصال المذهبي(*) للكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية تحت اسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، برئاسة بطريرك(*) القسطنطينية بعد رفض قرارات مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٩٦م إلا أنها خضعت إداريًّا للكنيسة الغربية تحت رئاسة

بابا(*) روما حتى الانفصال النهائي عام ١٠٥٤م.

ـ توسعت الكنيسة(*) البيزنطية في القرن التاسع في أوربا الشرقية؛ فأسست في بلغاريا كنيسة وأصبحت النصرانية الدين(*) الرسمي للدولة بعدما أُجْبر الحاكم البلغاريْ بوريس الأول ٨٥٢ ـ ٨٨٨م على قبول المعمودية من الإرساليات التبشيرية.

ـ عمل خليفته القيصر سيمون ٨٩٣ ـ ٩٢٧م على حماية الكنيسة، وجعل اللغة السلافية لغة الطقوس الكنيسية بدلاً من اليونانية، وفي عهده استقلت الكنيسة البلغارية في بطريركية مستقلة.

ـ أثناء حكم الإمبراطور باسل الثاني ٩٧٦ ـ ١٠٢٥م توطدت دعائم الكنيسة(*) الأرثوذكسية السلافية على يد مبشري الدولة البيزنطية مثل القديسين كيرلس، وميثيوديوس والمعروفين برسل السلاف، ولذلك حيكت ضد الإمبراطور المؤامرات مما اضطره إلى الاستعانة بأمير كييف فلاديمير ٩٧٨ ـ ١٠١٥م للتصدي لها، فكان ذلك سبباً في اعتناق فلاديمير النصرانية على المذهب(*) الأرثوذكسي عام ٩٩٠م لتنضم روسيا إلى الكنيسة الأرثوذكسية، وتصبح كنيستها أحد فروع الكنيسة اليونانية.

ـ في الفترة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر ظهرت داخل الأرثوذكسية فرقة البوجوميلي نسبة إلى مؤسسها القس(*) بوجوميل على أنها حركة سلافية تهدف إلى الإصلاح باسم الكنيسة الأرثوذكسية البلغارية، متأثرة في ذلك بآراء الثنوية(*) والمانوية الحديثة. ولذلك فإنها تؤمن بأن العالم المرئي مملوء بالشر، كما تعارض عقيدة التجسد النصرانية من جانبها المادي، وترفض التعميد(*)، وتحتقر الصليب والمعجزات والكنائس الضخمة، ونظام الكهنة. وبالجملة ترفض النظام الكنسي العام. وسرعان ما انتشرت في البلدان الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية مما أدى إلى الحكم بهرطقتها، وإنزال العذاب الشديد بأتباعها، وحرق قائدهم في القسطنطينية أمام الجماهير الحاشدة.

● أراد ميخائيل كيرولاريوس بطريرك(*) القسطنطينية عام ١٠٥٣م الانفصال النهائي عن سلطة الكنيسة الغربية ليصبح إمبراطوراً وبطريركاً، مساوياً لبابا(*) روما، فاستغل الاضطراب السياسي في الإمبراطورية البيزنطية وأعلن أن البابوية في روما أصبحت ألعوبة في يد رجال الدولة الغربية، وأن تقاليد الكنيسة الغربية فيها كفر(*) ومخالفة للتعاليم النصرانية(*) الأولى؛ فتصدّى له بابا(*) روما ليو التاسع وقضى على حركته باستمالة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع إلى جانب دعواه بأحقيَّة سيادة الكنيسة(*) الغربية على الكنيسة الشرقية.

ـ ما لبث أن توفى بابا روما ليو التاسع عام ١٠٥٤م فاستغل بطريرك القسطنطينية الفرصة

السانحة ليجمع حول دعوى الانفصال رجالَ الكنيسة الشرقية مرة أخرى، إذ خضع لرأيهم الإمبراطور وأعلن رسميًّا استقلال الكنيسة الشرقية استقلالاً تامًّا عن الكنيسة الغربية؛ لتصبح كنيسة أجا صوفيا التي أعاد بناءها الإمبراطور جستنيان في القرن السادس مركزاً للحياة الدينية في الكنيسة الأرثوذكسية.

● في عهد البابا أنورث الثالث ١١٩٨ ـ ١٢١٦م انطلقت الحملة الصليبية الرابعة لاحتلال القسطنطينية والقضاء على كنيستها لتحقيق وحدة الكنيسة المسيحية(*) على مذهب(*) روما الكاثوليكي.

ـ دخلت الحملة الصليبية الرابعة القسطنطينية عام ١٢٠٤م كالجراد المنتشر، فأتت على الأخضر واليابس، فلم تترك فيها حرمة إلا انتهكتها، ولا ديراً ولا كنيسة إلا خربتها بعد نهب ما فيها من تحف وثروات. ولما استقر لهم الأمر ودانت لهم الإمبراطورية تم تقسيمها وعاصمتها على زعماء الحملة، وانتُخب بلدوين دي فلاندرز إمبراطوراً للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ ـ ١٢٦١م وعُين البطريرك(*) الكاثوليكي توماس مورسيني بطريركاً لكنيستها، مما زاد من حنق ونفور البيزنطيين من الغرب وكنيسته.

● بعد عودة كنيسة القسطنطينية إلى سيادة الإمبراطورية البيزنطية، قامت محاولات عديدة لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية خلال الفترة من منتصف القرن الثالث عشر حتى بدايات القرن الخامس عشر الميلادي من أهمها:

ـ ما قام به الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن ١٢٥٩ ـ ١٢٨٢م بالتعاون مع بابا روما نيقولا الثالث ١٢٧٧ ـ ١٢٨٠م والمتحمس لهذا الأمر، لكنها باءت بالفشل للمعارضة الشديدة من بطريرك القسطنطينية الذي أصدر قراراً بحرمان الإمبراطور ميخائيل الثامن، وأيَّده على ذلك بابا روما مارتن الرابع بقرار حرمان آخر للإمبراطور.

ـ محاولة أخرى قام بها الإمبراطور البيزنطي مايكل فلايولتوس أثناء مواجهته لملك صقلية شارل أونجو إذ أرسل اعترافاً إلى البابا(*) جورج العاشر بسيادة الكنيسة(*) الغربية، وبذلك نجح الإمبراطور في فرض بطريرك(*) كاثوليكي شرقي يدعى جون بيكوس على رئاسة كنيسة(*) القسطنطينية، وما إن مات الإمبراطور حتى رفض المجلس الأرثوذكسي هذا الاعتراف.

ـ ومن آخر محاولات التوحيد في تلك الفترة ما قام به المجمع الذي عقد في فرارا ثم فلورنس امتداداً لمجمع بال لمواجهة نشاط العسكرية الإسلامية التي طوَّقت القسطنطينية، وقد نجح هذا المجمع في أن يقبل الأرثوذكس معظم النقاط التي عرضها الإمبراطور جون الثامن، وعلى الرغم من توقيع الإمبراطور البيزنطي حنا السادس عليها إلا أنها لم تتم

للمعارضة الشديدة من الشعب وخدام كنيسة القسطنطينية، بالإضافة إلى معارضة بطاركة كنائس الإسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس.

ـ في منتصف القرن التاسع عشر ارتفعت من جديد نداءات الاتحاد بين الكنيستين: ففي عام ١٨٤٨م وجَّه البابا بيوس التاسع نداءه إلى الكنائس الشرقية للاتحاد مع كنيسة روما إلا أنه رُفِضَ كما رفض غيره من قبل.

● في عهد الأمير إيفان الأول ١٣٢٨ ـ ١٣٤١م أصبحت موسكو المركز الروحي لروسيا بانتقال رئيس أساقفة(*) روسيا من كييف إلى موسكو.

ـ تمتعت كنيسة روسيا بحماية ملوك المغول، وعدم تدخلهم في سياستها مما ضاعف من نفوذها وثرواتها.

● في مايو ١٤٥٣م فتحت جيوش السلطان العثماني محمد الفاتح مدينة القسطنطينية، فأمَّن أهلها وطمأنهم على أنفسهم وأعراضهم، ومنحهم حق الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر والعبادات الخاصة بهم، وأعلن الكثير منهم إسلامهم، ومن ثم أمر بتحويل كنيسة أجا صوفيا إلى مسجد. في الوقت نفسه اجتمع مع الأساقفة وهدَّأ من روعهم، وأمر بتنصيب بطريرك(*) جديد، فانتخبوا جليارنوس الذي استقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة وإكرام بالغ.

ـ جعل السلطان بطريرك القسطنطينية رئيس النصارى الديني والمدني، وجرى تقسيم الكنيسة الأرثوذكسية البلقانية إلى وحدات قومية، أصبحت القسطنطينية مركزاً لليونان، وأصبح للصرب بطريرك خاص في بيج بيوغسلافيا، وللبلغار مطرانيتهم في أوهريد. أما سكان رومانيا فكان لهم مؤسسات دينية مشابهة، وعهدت الحكومة العثمانية للكنيسة بسلطة إدارة العديد من الوظائف والمهام الدينية والمدنية. وبذلك أصبحت الكنيسة(*) جزءاً من الجهاز الحكومي. وهكذا مارس بطريرك القسطنطينية سلطات أوسع من السلطات التي كانت مُخوَّلة له عام ١٥٨٨م في الدولة البيزنطية، وجرت أعيادهم وعبادتهم بحرية(*) أوسع تحت حماية الدولة العثمانية.

● استقلت الكنيسة الروسية ببطريركية مستقلة عام ١٥٨٨م وأبطلت سيادة كنيسة القسطنطينية عليها بعد فرار البطريرك(*) اليوناني من القسطنطينية إلى موسكو.

ـ وفي عام ١٥٨٩م عين الإمبراطور فيودا الأول أول بطريرك روسي، وحمل بطاركة الشرق على الاعتراف به عام ١٥٩٣م.

ـ أصبحت الكنيسة الروسية ذات أهمية خاصة بعد سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣م فقد اعتبرت نفسها المركز الحقيقي والحامية للأرثوذكسية الصحيحة،

وبذلك أصبحت روما الثالثة. يقول الراهب(*) فليوثيوس من باسكوف: «لقد سقطت الرومايان (روما والقسطنطينية) وهذه روما الثالثة، ولن يكون هناك روما رابعة».

ـ أثناء حكم نيكون ١٦٥٢ ـ ١٦٥٨م انقسمت الكنيسة الروسية نتيجة لاقتراح نيكون بضرورة أن تتطابق الكنيسة الروسية في أفكارها ومعتقداتها مع الكنيسة(*) الإغريقية.

ـ ألغى بيتر العظيم عام ١٧٢١م البطريركية الروسية وتبنى المذهب(*) البروتستانتي.

ـ ألغى الإمبراطور بطرس الأكبر البطريركية الروسية مرة ثانية، وتولى مجمع السينودس المقدس إدارة الكنيسة في المسائل الدينية محتفظاً لنفسه وخلفائه برئاستها.

ـ في عام ١٧٤٤م أصدرت بطريركية الكنيسة في القسطنطينية مرسوماً بتحريم الماسونية والانتساب إليها.

ـ وفي أيام الإمبراطورة كاترين استولت الحكومة على أملاك الكنيسة الروسية واحتفظت لنفسها بأمر تعليم الكهنة(*) وتعيينهم. وقد استمر أثر هذه الإجراءات حتى عام ١٩١٧م، إذ أدخلت الثورة(*) البلشفية النصرانية(*) في روسيا في مرحلة جديدة منفصلة بذلك عن الكنائس(*) الأخرى، وانتُخِب أول بطريرك لها أثناء الحرب العالمية الثانية، وبالتالي أصبحت تعلن ولاءها للحكومات الشيوعية وتؤكد سياستها ضد الغرب.

● استقلت الكنيسة اليونانية في عام ١٨٣٣م عن كنيسة القسطنطينية.

● ظهرت في بلغاريا حركة تعمل على إصلاح الكنيسة البلغارية برئاسة الأب نيوفت بوزقيلي، وبعد أن عينت الحكومة العثمانية أساقفة(*) غير بلغاريين على الكنيسة البلغارية.

ـ وفي عام ١٨٦٠م أعلن الأسقف غيلادبون مكاريو بولسكي استقلال الكنيسة البلغارية، ووافقت السلطات العثمانية على ذلك، وأنشأت لهم كنيسة خاصة في إستانبول تحت رئاسة مطران(*) وهيئة مساعدة خاصة بهم.

ـ وردًّا على ذلك عقد مجمع القسطنطينية عام ١٨٧٣م بحضور بطاركة القسطنطينية وأنطاكية وأورشليم والإسكندرية ليصدر قراراً بحرمان جميع النظام الكنسي البلغاري.

ـ بعد سيادة الشيوعية في دول شرق أوربا انضمت الكنيسة البلغارية والرومانية إلى الكنيسة الروسية مرة أخرى.

ـ استقلت الكنيسة الأرثوذكسية اليابانية عام ١٩٣٩م عن الكنيسة الروسية التي ظلت تابعة لها منذ تأسيسها عام ١٨٦٠م على يد إرسالية أرثوذكسية روسية.

أهم الأفكار والمعتقدات:

● تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله(*) واحد مثلث

الأقانيم(*): الآب(*)، والابن(*)، والروح القدس(*) على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي ٣٢٥م.

- كما تؤمن بربوبية وألوهية الرب والمسيح(*) في آن واحد على أنهما من جوهر واحد ومشيئة واحدة، ومتساويين في الأزلية، لكن كنيسة أورشليم الأرثوذكسية اليونانية ومن يتبعها تؤمن بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان موافقةً لمجمع كليدونية ٤٥١م.

- يؤمن الأرثوذكس بالزيادة التي أضيفت على قانون الإيمان النيقاوي في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م التي تتضمن الإيمان بالروح القدس الرب المحيي والمنبثق من الآب وحده، فله طبيعته وجوهره، وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة فيه.

- يعتقد الأرثوذكس الأقباط أن الأقانيم(*) الثلاثة ما هي إلا خصائص للذات الإلهية الواحدة، ومتساوية معه في الجوهر والأزلية، ومنزَّهة عن التأليف والتركيب، لكن الكنيسة(*) الأرثوذكسية اليونانية ومن تبعها تعتبر أقنوم الابن أقل من أقنوم الآب في الدرجة، ولذلك فهي عند اليونان مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان.

- الإيمان بتجسُّد الإله(*) في السيد المسيح(*) من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم، وذريته من بعده، فيعتقدون أنه وُلد من مريم وصلب ومات فداءً لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب ليحاسب الخلائق يوم الحشر.

● الإيمان بأن السيدة مريم العذراء والدة الإله، ولذا يوجبون تقديسها كما يقدسون القديسين، والأيقونات غير المجسمة، وذخائر القديسين، ويقدسون الصليب، ويتخذونه رمزاً وشعاراً.

● تؤمن الكنيسة(*) الأرثوذكسية المصرية بالمجامع المسكونية السابقة على مجمع كليدونية لعام ٤٥١م بينما تؤمن الكنيسة اليونانية ومن تابعها وكنيسة أورشليم الأرثوذكسية بجميع المجامع السابقة على مجمع القسطنطينية ٨٦٩م.

● الإيمان بنصوص الكتاب المقدس وبما يتضمنه من أسفار(*) التوراة(*) وأسفار الأنبياء بالإضافة إلى باقي الأسفار الأخرى، ولكنها تستخدم في الطقوس الكنسية النموذج البروتستانتي الذي يشتمل على الأسفار الخمسة فقط، كما تؤمن بنصوص العهد الجديد(*) ورسائل الرسل على ما أقر في مجمع نيقية الأول (٣٢٥م).

● **العبادات والشعائر:**

- تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بالأسرار السبعة للكنيسة:

١ - سر المعمودية(*). ٢ - سر الميرون. ٣ - سر القربان. ٤ - سر الاعتراف.

٥ ـ سر مسحة المرض. ٦ ـ سر الزواج. ٧ ـ سر الكهنوت.

ـ **الصلاة**: يعتقد الأرثوذكس بوجوب سبع صلوات: صلاة باكر، وتقال في الفجر، وصلاة الساعة الثالثة وتقال التاسعة صباحاً، وصلاة السادسة، وتقال ظهراً، وصلاة التاسعة وتقال حوالي الثالثة بعد الظهر، وصلاة الغروب، وصلاة النوم، وصلاة نصف الليل وتقال على دفعات. والصلاة إما أن تكون فردية أو جماعية، وهي عبارة عن دعاء بهيئة معينة، ولا تستخدم الآلات الموسيقية في الترانيم الكنسية، ولا يقام فيها القداس يوميًّا.

ـ **الصوم**: وهو الامتناع عن الأكل حتى الغروب، ولغير المستطيع أن يصوم على قدر طاقته، ويعفى منه خمس فئات: المرضى، والرجل الشيخ، والمرأة العجوز، والأطفال أقل من اثنتي عشرة سنة، والمرأة الحامل، والمرضع. ويمكنهم أن يأكلوا تبعاً لما رسمه لهم آباء الكنيسة(*) بالامتناع عن اللحوم بأنواعها ومستخرجاتها، ويقتصر على ما تنبت الأرض.

وأنواع الصوم عندهم سبعة:

الصوم الكبير السابق لعيد القيامة عندهم، والصوم السابق لعيد الميلاد، صوم يونان، صوم الرسل(*) بين عيد الخماسين وعيد الرسل، صوم السيدة العذراء، صوم البرمون، وذلك على مدد متفاوتة لكل منها.

ـ **الأعياد**: تنقسم الأعياد في الأرثوذكسية إلى:

١ ـ أعياد سيدية كبرى. ٢ ـ أعياد سيدية صغيرى، وللكنيسة(*) المصرية أعياد خاصة بها مثل أعياد القديسين والشهداء.

ـ تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بعيد ميلاد السيد المسيح(*) في اليوم ٢٥ من ديسمبر وهو يوافق اليوم السادس من شهر يناير.

● **درجات الكهنوت**: الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة شعبية يقوم على رأسها البابا(*) أو البطريرك(*)، ويرأس كل مجموعة كنائس بطريركية في البلد أو الإقليم، ويقوم بجانبها مجلس مقدس كالمجلس الملي في مصر الذي يضم مطارنة وعلمانيين، وتشرف عليه الحكومة المصرية. ويتكون التنظيم الكهنوتي للكنيسة من البطريرك، ثم المطارنة(*)، ثم الأساقفة(*)، ثم القمامصة، ثم القساوسة(*) ثم الشمامسة(*) ولا تعترف الكنيسة بسلطة بابا(*) روما ولا بعصمته.

● **الرهبنة(*)**: وهي سبع مقامات روحية، وتنقسم إلى نوعين: رهبنة فردية، رهبنة ديرية.

● **الدين(*)**: تؤمن الأرثوذكسية مثل باقي الكنائس بعالمية النصرانية، كما تؤمن

الكنيسة(*) الأرثوذكسية المصرية بضرورة بعث ميراث الكنيسة القبطية(*) وإحياء القومية واللغة القبطية. وينادي بطريرك الكنيسة الحالي شنودة الثالث بأن الكنيسة مؤسسة شاملة مكلفة بأن تقدم حلولاً لكل المشكلات وأجوبة على كل الأسئلة المتصلة بالدنيا والدين(*)، ولذلك نشطت في عهده في التنصير وإقامة الكنائس في أفريقيا وغيرها.

● تقبل زواج الكهنة(*) إذا تزوجوا قبل الدخول في الرتب الكنسية، ولا تسمح بزواج الكهنة بعد وفاة الزوجة الثانية.

● تعمل الكنيسة الأرثوذكسية المصرية على عرقلة تطبيق الشريعة الإسلامية(*) أو قصرها على المسلمين فقط، كما تسعى إلى امتلاك ناصية الاقتصاد المصري.

● تمنح الكنيسة الجوائز للمتزوجين ومساعدة من يريد الزواج منهم لزيادة نسلهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الكتاب المقدس بالإضافة إلى المجامع المسكونية حتى مجمع كليدونية ٤٥١م بالنسبة للكنيسة المصرية، ومجمع القسطنطينية بالنسبة للكنائس الأرثوذكسية الأخرى.

● الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة الغنوصية(*).

● الحضارات القديمة: المصرية، اليونانية، الهندية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر الكنائس الأرثوذكسية اليونانية في الدول التالية: تركيا، اليونان، روسيا، ودول البلقان، وجزر البحر الأبيض، والمجر ورومانيا، وتشرف كنيسة أنطاكية على بيت المقدس، كما أن لطور سيناء في مصر كنيسة مستقلة تشرف على دير سانت كاترين ومطرانها هو الأب رئيس الدير.

● ينتشر نفوذ الكنيسة المصرية في مصر، إذ يبلغ إجمالي نصارى مصر بجميع مذاهبهم وطوائفهم ٧٨ر٥٪ من إجمالي السكان حسب الإحصائيات الرسمية بالتعاون مع عشر هيئات محلية وعالمية من بينها الأمم المتحدة ويتبعها نصارى الحبشة والسودان، إذ بها أقدم الكنائس التابعة لكنيسة الإسكندرية. وفي العصر الحديث أسست الكنيسة المصرية عدة كنائس(*) تابعة لها في كل من: كينيا، وليبيا، الجزائر، الكويت، العراق، الإمارات، دبي، أبو ظبي، البحرين، بلاد الشام، فلسطين، دير السلطان، الأردن، لبنان، أمريكا الشمالية: كندا، أستراليا، وبعض دول أوربا مثل: النمسا، وفرنسا.

● **الأرمن**: تتفق كنيسة الأرمن مع الكنيسة الأرثوذكسية المصرية في الأفكار والمعتقدات وإن كان لها ترتيب كنسي خاص بها.

● **اليعقوبية**: تتفق مع الكنيسة الأرثوذكسية المصرية في الإيمان بالمذهب(*) المونوفيزيتي في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح(*)، ويوجد معظم أتباعها في العراق، بينما يقيم بطريركهم في حمص بسوريا.

يتضح مما سبق:

● اختلاف أتباع المذهب(*) الأرثوذكسي فيما بينهم في أصل العقيدة وقانون الإيمان، ولذلك فإن الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية فضلاً عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية تحكم بكفر(*) وهرطقة الكنيسة المصرية.

● كان للفلسفة(*) الأفلوطونية الحديثة، وللأفكار الغنوصية(*) أثرُها على عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية.

● كان للتلفيق بين تعاليم النصرانية والعقائد الوثنية(*) في مصر وبلاد الكنيسة الأرثوذكسية بزعم الترغيب في النصرانية أثره البالغ في انحراف عقائد وأفكار الكنيسة.

● ظهرت القسوة والاضطهاد بين أبناء الملة(*) الواحدة لمحاولة السيطرة وفرض مذاهبهم بالقوة مثل ما حدث بين أتباع الأرثوذكسية البيزنطية وبين أبناء الكنيسة المصرية من الاضطهاد والتعذيب، وبين أتباع الكنائس الغربية سواء كانت كاثوليكية أو بروتستانتية أو أتباع الأرثوذكسية.

وبسبب معاملة المسلمين الحسنة للنصارى، وإظهار سماحة وعدالة الإسلام دخل كثيرون في دين(*) الله تعالى أفواجاً، ويتضح ذلك من مواقف عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وسائر خلفاء الدولة الإسلامية مع النصارى، ومن مواقف السلطان محمد الفاتح وسلاطين الدولة العثمانية مع رعايا دولتهم من النصارى.

● كان لتحكُّم الإمبراطورية البيزنطية في الكنيسة(*) وسياستها أثره البالغ على عدم استقرارها وكثرة انحرافاتها.

● تحالف النصارى الأرثوذكس مع الحملات الصليبية في سوريا ولبنان ومصر إبان الحملة الفرنسية والحملة الإنجليزية على مصر والشام، وبرزت شخصيات نصرانية متعصبة، ومتأثرة بالدعاية الغربية التي أخذت تدعو في مصر، مثلاً إلى إحياء القومية واللغة القبطية(*).

● الأثر البالغ والبعيد المدى لمدارس الأحد في تخريج قيادات الكنيسة المصرية على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية.

● ظهور التوجه السياسي للكنيسة القبطية ومحاولة التأثير في السياسات الحكومية بما يوافق مصالحهم وخططهم، مستخدمة في ذلك انتشار الكنيسة وزيادة نفوذها في داخل مصر

وخارجها، مستغلة العلاقات الدولية والتجمعات القبطية في الخارج لتهيئة الرأي العام العالمي ضد المسلمين، لكسب المزيد من التعاطف الدولي لدعم قضاياهم الدينية والسياسية.

● اهتمام الكنيسة المصرية بالحملات التنصيرية في داخل مصر وخارجها مستخدمة في ذلك وسائل متعددة. أما الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية ومن يتبعها فكانت جهودهم ضعيفة في هذا الجانب نظراً للتحجيم الشيوعي لدور الكنائس في روسيا ودول أوربا الشرقية.

مراجع للتوسع:

- **دائرة المعارف الإسلامية**، إصدار شركة سفير، القاهرة.
- **دائرة المعارف - القاموس العام لكل فن ومطلب**، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة بيروت.
- **موسوعة تاريخ الأقباط**، زكي شنودة - مطبعة التقدم - القاهرة.
- **قصة الكنيسة القبطية**، إيزيس حبيب، المصري، كنيسة مارجرجس.
- **الكنائس القبطية القديمة في مصر**، ألفريدج بتلر، ترجمة إبراهيم سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **تاريخ الكنيسة جون لوريمر**، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٠م.
- **دليل قراءة تاريخ الكنيسة**، الآب جان كي، دار الشرق، بيروت ١٩٩٤م.
- **الكنيسة القبطية فكرها ومنهجها**، عبدالعزيز النغمش، رسالة ماجستير مخطوط.
- **سلسلة التنوير الإسلامية**، (١-٤) مركز التنوير الإسلامي، أبو إسلام أحمد عبدالله.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - الحضارة والنظم**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، السيد الباز، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د. نسيم جوزيف يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ الدولة البيزنطية**. د. نسيم جوزيف يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **الدولة العثمانية والبلقان**، د. علي حسون، المكتب الإسلامي.
- **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي**، مصطفى العبادي، مكتبة وهبة.
- **المسلمون والأقباط في إطار الوحدة الوطنية**، طارق البشري، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
- **الفتنة الطائفية في مصر - جذورها، أسبابها**، جمال بدوي، المركز الدولي للصحافة.
- **الأقباط في السياسة المصرية**، مصطفى الفقي، دار الشروق.

- **قذائف الحق**، محمد الغزالي، المكتبة العصرية.
- **خريف الغضب**، محمد حسنين هيكل، شركة المطبوعات العصرية.
- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي، مكتبة الاعتصام.
- **محاضرات النصرانية**، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- **ما هي النصرانية**، محمد تقي الدين العثماني، رابطة العالم الإسلامي.
- **المسيحية نشأتها وتطورها**، شارل جان بيبر، ترجمة د. عبدالحليم محمود.
- **الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية**، القس إبراهيم عبدالسيد، كنيسة مارجرجس.
- **الماسونية عقدة المولد**، محمود الشاذلي، مكتبة وهبة.
- **ملف الكنيسة المصرية**، محمد مورو، ومكتبة المختار الإسلامي.
- **تاريخ الفكر المسيحي**، حنا جرجس الخضيري، دار الثقافة، القاهرة.
- **من أغمى فتيات مصر**، أبو إسلام أحمد عبدالله، بيت الحكمة، القاهرة.

٧٥ـ الكاثوليك

التعريف:

أكبر الكنائس(*) النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا(*) روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يدعي أصحابها بأن القديس بطرس ت ٦٢م هو المؤسس الأول لكنيستها على حسب ما أشار إليه القديس سيبريان ٢٤٨ ـ ٢٥٨م مع أن مصادر التاريخ الكنسي تشير إلى أن لكل من بولس وبطرس دوره في وجودها.

● أول من استعمل لفظ كاثوليك للدعوة لتأييد الكنيسة مقابل حركات(*) الخروج على مفاهيمها وعقائدها ـ الهرطقة ـ أسقُف(*) أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني الميلادي.

● منذ أن أسس قسطنطين مدينة القسطنطينية روما الجديدة وبنى فيها كنيستها أجاصوفيا وجعلها تلي كنيسة روما في المكان، قام التنافس بين الكنيستين في السيطرة على العالم المسيحي(*)، الذي استمر إلى أن تم الانفصال الإداري بينهما عام ٨٦٩م بعد مجمع القسطنطينية. وفي خلال تلك الفترة وما يليها وقعت أحداث جسام، وبرز بابوات وقديسون، كان لهم أكبر الأثر في تطور الكنيسة. وفيما يلي أهم تلك الأحداث وأبرز هذه الشخصيات:

● **تأكيد سيطرة الكنيسة الغربية:**

ـ اعترف مجمع سرديكا عام ٣٤٣ أو ٣٤٤م بحق استئناف قرارات المجامع الإقليمية إلى أسقف روما، مما زاد من دعاوى روما بأنها الحكم الأعلى للنصرانية.

ـ يرجع الفضل إلى البابا(*) داماسوس الأول ٣٦٦ ـ ٣٨٤م في ترجمة الإنجيل إلى اللاتينية، كما رأس مجمع روما عام ٣٨٢م للرد على قرارات مجمع القسطنطينية لعام ٣٨١م لتأكيد صدارة روما التي تستمد مكانتها من وعد المسيح(*) لبطرس الرسول بقوله: «وأنا أقول لك أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

ـ البابا ليو الأول ٤٤٠ ـ ٤٦١م والملقب بليو العظيم إذ كان له دور بارز في حماية

روما والحفاظ عليها بعد سقوطها عام ٤١٠م في يد الآريوسيين ـ أتباع آريوس ـ ويرجع إليه الفضل في تمييز الكنيسة(*) الغربية بعقيدتها في المسيح من حيث إن له طبيعتين ـ المذهب الملكاني ـ بعد تصديه لأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح ـ المونوفيزتيه ـ في مجمع كلدونية عام ٤٥١م.

ـ أصدر الإمبراطور فالنتيان سنة ٤٥٥م مرسوماً يقضي بخضوع كل أساقفة(*) وموظفي الإمبراطورية للبابا، مما زاد في نفوذ وثروات الكنيسة، وأقبل الناس على الدخول في الكنيسة بأعداد كبيرة تطلعاً للمكانة والكسب المادي.

● كان لاعتناق الإمبراطور كلوفس النصرانية، وتعميده(*) على العقيدة الكاثوليكية عام ٤٩٦م أكبر الأثر في اعتناق الفرنجة السالين ـ أحد الطوائف الجرمانية ـ للمذهب(*) الكاثوليكي.

● في ٦ أغسطس سنة ٥٢٥م قرر الإمبراطور ثيودريك تسليم جميع الكنائس الكاثوليكية للآريوسيين، ردًّا على حملة الإمبراطور جستنيان في الدولة البيزنطية ضد الأريوسيين. فأنزل الاضطهاد والتعذيب على الكاثوليك، وسجن في هذه الفتنة البابا(*) يوحنا الأول عام ٥٢٥م.

● **العصور المظلمة:**

ويطلقها مؤرخو النصرانية على الفترة من تولِّي البابا جرجوري الأول عام ٥٩٠م حتى تولي شارلمان الإمبراطورية ٨٠٠ ـ ٨٤٠م إذ شهدت العديد من الصراعات والانشقاقات التي أدت إلى الانهيار السياسي والانحطاط العلمي والثقافي للنصرانية. وإن تميزت بقوة التبشير النصراني، بالإضافة إلى شروق شمس الإسلام من جبال فاران (مكة المكرمة) عام ٦١٠م حتى عمت أشعتها نصف العالم، وأخضعت العديد من الممالك النصرانية في مصر وأفريقيا والأندلس وصقلية ودول الشام وإيران، ومن أبرز شخصيات هذا العصر:

ـ البابا(*) جرجوري الأول ٥٩٠ ـ ٦٠٤م: الذي يلقب بجريجوري العظيم، لاهتمامه البالغ بتطوير الكنيسة(*) وإصلاحها، متأثراً بمبادىء وأصول الأديرة البندكتية التي نشأ فيها. بالإضافة إلى اهتمامه بالنواحي السياسية والإدارية، والدعوة للنصرانية حتى امتد نفوذ الكنيسة في عهده إلى أفريقيا وغاليا ـ فرنسا ـ ودخلت أسبانيا وإنجلترا في النصرانية بعد بعثة القديس أوغسطين عام ٥٩٧م، وقد أصبحت الكنيسة في عهده أشبه بالحكومة المدنية العلمانية، وبذلك استطاع فرض سيادة البابوية على الأساقفة(*) الشرقيين في النواحي القضائية بما فيهم بطريرك(*) القسطنطينية، فحقق بذلك للبابوية قسطاً من السمو لم يسبق إليه

مما كان لذلك الأثر البالغ في تذكية الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

● **القرون الوسطى:**

وتطلق على الفترة ما بين ٨٠٠ ـ ١٥٢١م التي اتسمت بكثرة الحروب الأهلية، والتي دامت طويلاً بين البابوية والإمبراطورية، واتسمت بظهور حركات(*) الخروج على مبادىء الكنيسة فيما وسَمَتها الكنيسة بالهرطقة، ولذلك توسعت في استخدام محاكم التفتيش ضد هذه الحركات، وضد الأصوات المنادية بالإصلاح الكنسي. وفي تلك الفترة، أيضاً، كانت بداية الحروب الصليبية، بالإضافة إلى فتح المسلمين للقسطنطينية عام ١٤٥٣م، ويمكن تقسيم أهم أحداث الكنيسة(*) الكاثوليكية خلالها إلى:

ـ **العهد فيما بين شارلمان وجريجوري السابع ٨٠٠ـ١٠٧٣م**: وفيه ازدهرت البابوية، إذ اعتبر شارلمان المتوَّج من البابا ليو الثالث ٨٠٠م نفسه حامياً للبابوية، وأنه رأس الكنيسة والدولة معاً، فأصبح يعين الأساقفة(*) ويتولى رئاسة المجامع الرئيسة التي يدعو إليها، بالإضافة إلى تشريعه للقوانين اللازمة للكنيسة ـ القانون الكنسي(*) ـ كما اهتم بإصلاح المدارس الدينية، ورفع مستوى رجال الدين الثقافي؛ فظهرت لذلك نهضة علمية واسعة في عصره، إلا أن الصراع مع البابوية تجدد مرة أخرى لرغبة البابا ليو الثالث في التخلص من سيطرة الإمبراطور، لكنه لم يفلح في ذلك.

ـ **الشقاق العظيم**: والمراد به الاختلاف الكبير الذي أدى إلى الانفصال النهائي للكنيسة الشرقية والأرثوذكسية عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية، بعد محاولة البابا ليو التاسع ١٠٥٤م فرض عقائد وأفكار الكنيسة الغربية على الشرق، التي رفضها بطريرك(*) القسطنطينية ميخائيل كيرولاريوس الأمر الذي فجَّر ما بينهما من الخلافات القديمة حول انبثاق روح القدس(*).

ـ **العهد فيما بين البابا(*) جريجوري السابع والبابا بويفيس ١٠٧٣ ـ ١٢٩٤م**: كان للبابوية في هذه الفترة دورها الكبير في تقرير تاريخ أوربا كما كان لها في السابق، وذلك بعد سلسلة من الصراعات بين البابوية والإمبراطورية التي عُقد من أجلها مجمع اللاتران الأول عام ١١١٢م والثاني عام ١١٣٩م الذي أعلن فيه البابا أنوسنت الثاني ١١٣٠ ـ ١١٤٣م أن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين. وما انتهى هذا الصراع في هذه المرحلة إلا بعد توقيع الصلح بين البابوية والإمبراطور فردريك ١١٧٧م. ومن أهم أحداث هذه الفترة انطلاق الحملات الصليبية التي دعا إليها البابا جريجوري السابع عام ١٠٧٤م. وقد أعلن عن بداية هذه الحملات البابا أوربان الثاني، في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م، ولم يكتب لهذه

الحملات النصر إلا في الحملة الأولى ثم انكسرت شوكتهم بعد ذلك. كما شهدت تلك الفترة ظهور حركات(*) الهرطقة ضد الكنيسة(*)، ومنها حركة المارسونية(*) التي تُمثل أكبر بدعة(*) ناهضت الكنيسة في تلك الفترة، بالإضافة إلى سقوط القسطنطينية على يد الحملة الصليبية الرابعة بالإضافة إلى تقنين القانون الكنسي.

ـ **العهد بين البابا بونيفيس الثامن إلى عهد الإصلاح ١٢٩٤ ـ ١٥١٧م**: وهذه الحقبة التاريخية تمثل آخر فترات القرون الوسطى في أوربا، وفيها اشتد الصراع بين البابوية والإمبراطورية التي عملت على تفتيت قوة ونفوذ البابوية إلى أن تم إضعافها تحت ضربات حركات الإصلاح المتتالية، وتأسيس كنيسة(*) البروتستانت ـ المعترضين. ومن أهم الأحداث الكنيسية في تلك الفترة: فشل حركات الإصلاح الكنسي لتواطؤ البابا مارتن الخامس والبابا أبوجينوس الخامس ١٤١٧ ـ ١٤٤٧م على إجهاض حركات الإصلاح تحقيقاً لأطماعهم الشخصية. كما شهدت تأسيس عدد من الجمعيات(*) الرئيسة لمساعدة الكنيسة ضد حركات الخروج عليها، وإمدادها بأتباع مخلصين مثل: اليسوعيين عام ١٥٣٤م والإخوان الفرنسيسكان والإخوان الدومنيكان.

● **مجمع ترنت ١٥٤٢ ـ ١٥٦٣م**: الذي عقد على أثر ثورات الإصلاح التي علا صوتها بعد إعدام حناهس والتي من أبرزها ثورة(*) مارتن لوثر التي ساندتها الحكومة والشعب الألماني. وفي الوقت نفسه كان في سويسرا ثورة أخرى بقيادة الرخ زونجلي، ليعارض الكنيسة(*) ويؤيد دعوة لوثر، فعُقِد مجمع ترنت ليقرر عدم قبول آراء الثائرين، ويقضي بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش، ثم ليصدر البابا(*) ليو العاشر قراراً بحرمانه من الحقوق المدنية والرئيسية والقانونية، ليظهر بعد ذلك معارض ثالث في فرنسا جون كلفن ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م الذي هرب إلى سويسرا لينشر مبادىء مارتن لوثر ويجمع حولها الأنصار، وتؤيده في ذلك بعض الدول؛ ليتقلص نفوذ الكنيسة(*) الغربية ـ الكاثوليكية ـ وتنفصل عنها كنيسة جديدة ـ البروتستانتية ـ لتزيد من الفرقة والشقاق في العالم النصراني(*)، ولتشتعل الحروب الطاحنة بين الكنيستين لعدة سنوات والتي ذهب ضحيتها خلق كثير، حتى أمكن التوصل إلى صلح ـ صلح أوجزبرج ـ سنة ١٥٥٥م على أساس إقرار مبدأ إسبيير الأول سنة ١٥٢٦م القائل: بأن لكل أمير الحق في اختيار المذهب(*) الذي يريد سريانه في إمارته. وهكذا غربت شمس الكنيسة الكاثوليكية، وتقلَّص سلطانها؛ إذ أصبح بمقدور كل دولة الخروج على سلطة البابا(*).

● **مجمع روما ١٧٦٩م**: في هذا الجو العاصف بالحركات الثائرة على الكنيسة عُقد

هذا المجمع ليحدث مزيداً من الانشقاق داخل الكنيسة بسبب تقريره عصمة البابا، لتظهر جماعة من المخالفين للقرار، سموا أنفسهم بالكاثوليك القدماء.

● **موقف الكنيسة من العلم والعلماء**: ما إن ظهرت في أوربا بوادر النهضة العلمية المتأثرة بحضارة المسلمين في الأندلس بعد ترجمة العلوم الإسلامية واليونانية إلى اللاتينية، وبرز عدد من العلماء الذين بينوا بطلان آراء الكنيسة(*) العلمية، وبخاصة في الجغرافيا والفلك، حتى تصدت لهم الكنيسة استناداً على ما ورد في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا: «إن كان أحد لا يثبت فيطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق». ولذلك استخدمت ضدهم الرقابة على الكتب والمطبوعات لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية، وتوسعوا في تشكيل محاكم التفتيش ضدهم، وقد حكمت تلك المحاكم في الفترة من ١٤٨١ ـ ١٤٩٩م على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة، كما أصدرت قرارات تحرِّم قراءة كتب جاليليو وجيوردا نويرنو، وكوبرنيكوس، ونيوتن لقوله بقانون الجاذبية الأرضية، وتأمر بحرق كتبهم. وقد أحرق بالفعل الكاردينال(*) إكيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة(*).

● **الكنيسة في عصر النهضة**:

ـ في النصف الثاني من القرن السابع عشر، ازداد غضب الناس والعلماء والفلاسفة من سوء سلوك رجال الكنيسة(*)، ومن الرقابة التي فرضوها على المطبوعات، وتوسُّعهم في استخدام محاكم التفتيش، ومبالغتهم في القسوة والتعذيب ضد المخالفين والعلماء، مما أثار الفلاسفة من أمثال ديكارت وفولتير، الذين وجّهوا سهام النقد إلى الكنيسة وآرائها، ودعوا إلى إعلاء العقل(*) مقابل النصوص الرئيسة، بفرض أن العقل يستطيع إدراك الحقائق العلمية، والخير والشر.

ـ في عام ١٧٩٠م أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية قرارات قاصمة لظهر الكنيسة إذ ألغت العشور الكنسية، وصادرت أموالها، وأجبرت رجال الكنيسة على الخضوع للدستور المدني، وأخذت تعين رجال الكنيسة بدلاً من البابا(*)، بالإضافة إلى إغلاق المدارس التابعة للكنيسة، وتسريح الرهبان(*) والراهبات.

ـ في سبيل حفاظ البابا جريجوري السادس عشر على مكانته بعد هذه القرارات أصدر البابا عدة منشورات يدين فيها حركة(*) الحرية(*) السياسية، والحرية الاقتصادية، على أنها تحمل مضامين تخالف الدين(*) المسيحي.

ـ جاء القانون الذي أقرّته الحكومة الفرنسية عام ١٩٠٥م بفصل الدين(*) عن الدولة

على أساس التفريق بينهما وإعلان حياد الدولة تجاه الدين، كقاصمة أخرى شجعت المعارضين للكنيسة على نقد نصوص الكتاب المقدس والكنيسة بحرية، كما أجبر هذا القانون رجال الكنيسة على أن يقسموا يمين الولاء والطاعة للشعب والملك والدستور المدني الجديد. وقد امتدت هذه القرارات حتى شملت دول أوربا، لينتهي بذلك دور الكنيسة(*) في محاولة السيطرة على السياسة، ولتنزوي داخل الجدران، لتمارس الوعظ والترانيم على الأنغام الموسيقية.

● **الكنيسة والماسونية:**

ـ تنبه رجال الكنيسة إلى شرور الحركات(*) السرية بعد أن رأوا أن معظم رجال تلك الحركات أعضاء في الجمعيات والأندية الماسونية، ويُعدُّ البابا(*) تليمنوس الثاني عشر أول من تصدى لهم وكشف زيفهم في مؤتمر ٢٨/ ٤/ ١٧٣٨م ثم تبعه البابا بندكتوس الرابع عشر، والبابا بيوس السابع، والبابا أوربان الذي أصدر قراراً بالبراءة من الماسونية.

ـ كان موقف البابا بيوس العاشر من أقوى تلك المواقف في التصدي للماسونية في العصر الحاضر، وذلك بعد رفضه محاولة مؤسس الصهيونية تيودر هرتزل عام ١٩٠٣م في كسب موافقة الفاتيكان(*) للاستيطان في فلسطين، كما رفض مبدأ قيام دولة لليهود في فلسطين، والاستيلاء على القدس، إلا أن اليهود استطاعوا بعد تغلغلهم في النصرانية تنصيب أحد عملائهم البابا بولس السادس الذي ما إن جلس على كرسي البابوية حتى غيَّر موقف الفاتيكان من الماسونية واليهود، إذ أعطى في ديسمبر ١٩٦٥م الحق للكهنة(*) في إلغاء الحرمان عن الكاثوليك الذين انضموا إلى الماسونية. بل عقد مجمعاً في الفاتيكان ليعلن براءة اليهود من دم المسيح(*)، ضارباً بنصوص الكتاب المقدس وقرارات المجامع والبابوات السابقين له عرض الحائط متابعاً لرأي الكاردينال(*) بيا اليهودي الأصل. وقد عارضه في ذلك الكاردينال الكاثوليكي الفرنسي مارسيل ليفيفر بقوله: «لقد زوج المجمع المسكوني الكنيسة(*) للثورة(*). ومن هذا الزواج السفاح لا يجيىء غير أبناء الزنا..». وفي أثناء زيارة البابا بولس السادس للقدس عام ١٩٦٤م أعلن اعترافه بدولة اليهود في فلسطين المحتلة.

● **الكنيسة في خدمة الاستعمار الغربي:**

ـ مع إقرار الكنيسة بفصل الدين(*) عن السياسة داخل أوربا، فإن مجلس الكنائس العالمي يقرر في مؤتمر سالونيك باليونان عام ١٩٥٦م: «أن السياسة هي المجال الذي يتحتم على الكنيسة في دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه، وأن على الكنائس أن

تراقب خطط التنمية في تلك الدول لتميز بين ما يتفق مع إرادة الله ـ الزراعة والفلاحة فقط ـ وبين عمل الشيطان ـ الصناعة والتقدم العلمي ـ لتعلن للقوم أين يقف الله، ومن أين يطل الشيطان»، ويقرر في مؤتمر نيودلهي عام ١٩٦١م: «إن على الكنيسة أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة في أي وضع وتحت أي نظام سياسي» وما ذلك إلا لتسخير تلك الشعوب ومقدراتها، وضمان تبعيتها باستمرار للمستعمر الغربي؛ إذ تشيع بينهم أن التقدم الاقتصادي وارتفاع مستوى المعيشة سيأتي دائماً معه بكثرة الخطايا والشرور.

● **بعث الأمة الكاثوليكية:**

البابا(*) الحالي للفاتيكان(*) يوحنا بولس الثاني (١٩٧٨م ـ . . .) الكاردينال(*) كارول البولندي الأصل الذي يتميز عن غيره بأنه رجل تنظيم وسياسة. ولذا فإنه يتبنى فكرة بعث الأمة الكاثوليكية من خلال إيجاد حكومة عالمية أو إمبراطورية مقدسة، ولا تكون هذه إلا من خلال تحقيق وحدة القارة المسيحية(*) الأوربية وبناء أوربا جديدة على القواعد النصرانية، مما لابد فيه من حدوث صراع سياسي ومالي وربما عسكري، وأن مهمة الفاتيكان فيه هي تهيئة الأجواء لكسب هذا الصراع الحتمي مع التجمعات الأيديولوجية(*) الأخرى. والبابا متأثر في ذلك بأفكار حركة(*) المنشأة الإلهية (Opos Dei) والقاضية بأنه بالحكم والمال وحدهما تتحقق الآمال، ويحدث التغيير. كما يراهن البابا يوحنا بولس الثاني على أن قارة أفريقيا ستصبح قارة نصرانية عام ٢٠٠٠م وفي سبيل ذلك فإنه يقوم بما يزيد على أربع رحلات سنويًا، ويحاول التقارب وإيجاد أرضية عمل مشترك مع الطوائف النصرانية الأخرى على الرغم مما بينهم من خلافات جذرية.

ـ أعلنت لجنة الفاتيكان(*) للعلاقات مع اليهود براءة جديدة لليهود من دم المسيح(*) في ٢٤ يونيو ١٩٨٥م ونشرتها مجلة **أوبسير فاتوري رومانو** لسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٨٥م، وذلك بناءً على توجيهات البابا(*) يوحنا بولس الثاني. كما دعت تلك الوثيقة إلى عدم اعتبار اليهود شعباً منبوذاً أو معادياً للمسيح. على أن المسيح نفسه كان يهوديًا وسيظل يهوديًا، ولذلك فهي تؤكد، أيضاً، على أن أرض فلسطين المحتلة هي أرض أجداد اليهود، كما تدعو إلى ترك المفهوم التقليدي للشعب المعاقب كما في نظر النصرانية لأنه يبقى في النهاية الشعب المختار.

الأفكار والمعتقدات:

● **الألوهية**: تؤمن الكنيسة(*) الكاثوليكية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله(*) واحد مثلث الأقانيم(*): الآب(*)، الابن(*)، الروح القدس(*)، على حسب ما ورد في قانون

الإيمان النيقاوي لعام ٣٢٥م كما تؤمن بأن للمسيح(*) طبيعتين بعد الاتحاد: إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية.

● **يؤمن الكاثوليك بما أقر في مجمع القسطنطينية الرابع** عام ٨٦٩م من أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً.

● **الأقانيم(*)**: يعتقد الكاثوليك أن أقنوم الابن أقل من أقنوم الأب في الدرجة، وأن الأقانيم ما هي إلا مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان، ولذا فهي ذوات متميزة يساوي فيها المسيح(*) الأب حسب لاهوته(*) وهو دونه حسب ناسوته(*)، كما ينص على ذلك قانون الإيمان الاثناسيوسي.

● **التجسد والفداء**: الإيمان بتجسُّد الله ـ تعالى عن قولهم ـ في السيد المسيح من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم وذريته من بعده، فيعتقدون أنه وُلد من مريم وصلب ومات فداءً لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب ليحاسب الخلائق يوم الحشر.

● **السيدة مريم والأيقونات**: يقدسون السيدة مريم والقديسين والقديسات، والأيقونات المجسمة والمصورة مع الإشادة بالمعجزات.

● **الإلهام**: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بالإلهام كأحد مصادر المعرفة والوحي(*) المستمرة.

● **الصليب**: يقدسون الصليب ويتخذونه شعاراً.

● **الكتاب المقدس**: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بنصوص الكتاب المقدس وبما يتضمنه من التوراة(*) وأسفار الأنبياء وبالعهد الجديد(*) ورسائل الرسل(*) على ما أقر في مجمع نيقية الأول.

● **أسرار الكنيسة(*)**: يؤمن الكاثوليك بممارسة سر الاعتراف مرة واحدة في السنة، وكذلك سر التناول في عيد الفصح، وكما يستعملون الفطير في العشاء الرباني(*) بدلاً من الخبز المختمر، والمعمودية(*) لا تتم إلا بالرش لا بالتغطيس ثلاثاً وتكون من الكاهن(*) أو بالصبغة بدم الشهيد في سبيل الإيمان فقط، والمسح بالميرون المقدس يجوز تأخيره عن التعميد(*) للقاصر حتى يبلغ سن الرشد، ولا يمسح بالزيت المقدس إلا لمن شارف على الموت، ويحرم الطلاق في جميع الأحوال حتى في حالات الزنا، وقد انفردت الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن عن الكنائس الأخرى ألا وهو عصمة البابا(*) عن ارتكاب المعاصي والآثام.

● **الحياة الأخرى**: يعتقد الكاثوليك أنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تُعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تُعذَّب حتى تطهر بما بقي

عليها من الدين للعدل الإلهي، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.

● **خلق أفعال العباد**: وأن كل ما خلقه الله تعالى حسن وإنما الشر من خلق العباد.

● **تبيح أكل الدم والمنخنقة** على خلاف قرارات مجمع الرسل الأول في أورشليم ٥١ ـ ٥٥م ويجوز للرهبان(*) أكل دهن الخنزير، ولبس الأساقفة(*) الخواتم في أصابعهم، كما يجوز للكهنة(*) حلق لحاهم على عكس الأرثوذكس.

● **القداس**: القداس محور العبادة والحياة الروحية على أنه يقام يومياً.

● **الصلاة والصيام**: الصلاة الفردية أساسية في الدين(*) على أن للصلاة طرقاً عديدة، وينبغي أن تقترن بشيء من التقشُّف، والصيام المفروض هو الصوم الكبير السابق لعيد الفصح، وجعل صوم الجمعة والسبت فقط عبارة عن الانقطاع عن أكل اللحوم. كما فرض أيضاً صوم الأزمنة الأربعة فيما يعرف بصوم البارامون (أي الاستعداد للاحتفالات) وهي السابقة لأعياد الميلاد، والعنصرة وانتقال العذراء وجميع القديسين. ويوجد خلاف بين الكنيسة(*) اللاتينية وطوائف الكنيسة الكاثوليكية الشرقية في قواعد الصوم.

● **الطقوس**: تتميز باستعمال اللغة اللاتينية، والبخور، والصور، والتقويم الخاص بها.

ـ للكنيسة الكاثوليكية عدة طقوس إلى جانب الطقوس الرومانية، هناك من يستعمل الطقوس الشرقية مثل الروم الكاثوليك، جنوب إيطاليا، والموارنة والسريان الذين يتبعون الطقس الأنطاكي، وهناك كاثوليك أقباط وأحباش يستمسكون بالطقس القبطي.

● **التنظيم الكهنوتي «الإكليروس»**: يدير البابا(*) الكنيسة(*) بواسطة كرادلة(*) في روما ومطارنة(*) في جميع أنحاء العالم. تنقسم الكنيسة عند الكاثوليك إلى أبروشيات(*) على رأس كل أبروشية مطران يعينه البابا، وفي كل أبروشية عدة كنائس يديرها كهنة رعاة لخدمة أبناء الكنيسة.

ـ **البابا**: كما تعتقد أن السيد المسيح(*) أقام بطرس نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ورأساً للكنيسة، وعلى ذلك فالبابا في روما هو خليفة بطرس ورأس الكنيسة من بعده، ومرشدها الأعلى لجميع الكاثوليك في العالم.

ونظراً لاعتقادهم بعصمة البابا فإن المغفرة حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء.

ـ الجماعات الدينية المكونة من الرهبان(*) والراهبات تخضع لبابا روما عن طريق رؤسائها الموجودين في روما.

ـ يدرس الكهنة(*) قبل اضطلاعهم بمهمتهم العلوم الدينية خمس أو ست سنوات

ويدربون في معاهد دينية خاصة، ولا يتزوج رجال الدين إلا القليل منهم.

الجذور الفكرية والعقدية:

● نصوص الكتاب المقدس، بالإضافة إلى المجامع المسكونية والإقليمية أو المحلية التي أيدت عقيدة الكنيسة.

● الديانات الوثنية(*): المجوسية(*)، البوذية، الرومانية، المصرية القديمة.

● الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة، الفلسفة الغنوصية(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر في أوربا: إيطاليا، فرنسا، لتوانيا، بولندا، سلوفاكيا، المجر، كرواتيا، بلجيكا، إسبانيا، البرتغال، إيرلندا، كندا الفرنسية، أمريكا اللاتينية، الفلبين، وجنوب شرق آسيا. وهناك أقليات في الولايات المتحدة الأمريكية، وهولندا، وألمانيا، وبعض دول أفريقيا.

يتضح مما سبق:

● أن المتأمل في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يجد أنه كان لها دور كبير في أحداث تاريخ أوربا بمختلف مراحله.

● كان للصراع مع الحكام والملوك أثره في ظهور عقائد جديدة في الكنيسة لم تكن من قبل مثل: سمو مكانة البابوية والكنيسة الغربية، وعصمة البابا(*) عن ارتكاب الآثام والمعاصي بزعم أن روح القدس(*) ينطق من فِيه ـ على ما أقر في مجمع روما عام ١٧٦٩م السر الثامن[١].

● ونظراً لاتباع الهوى وترك التشريع للرجال والمجامع ظهر التضارب في آراء الكنيسة(*) والانقسام في صفوفها، فما يُقر في مجمع يُنقض في آخر، وفي كلتا الحالتين يأخذ صفة الحكم الإلهي، ففي فترات سيطرة رجال الكنيسة على مقاليد الحكم تستند إلى أقوال القديس أغسطس القاضية بأن تخضع سلطة الدولة لسلطة الكنيسة التي تمثل مدينة الله. وفي

---

(١) ويبدو أن هذا السر لم يعد مقصوراً على البابا وحده وإنما تعداه، أيضاً، إلى البطاركة، فزعموا لأنفسهم العصمة بفعل روح القدس، ولكن يأبى الله إلا أن يفضح سوء أعمالهم ويكشف خبث طويتهم بما انكشف وينكشف يوميًا من مخازي وفضائح كبار الأساقفة والقساوسة الخلقية والجنسية يقول تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

فترات الاضطهاد تظهر دعاوى فصل الدين(*) عن الدولة مثلما جاء في رسالة هوزيوس أسقف(*) قرطبة للإمبراطور قسطنطيوس عام ٣٥٥م: «أما من جهتك فينبغي ألا تجر على نفسك جريمة ارتكاب ذنب خطير، بأن تسعى لأن تتولى حكومة الكنيسة، فلتُعطِ ما لقيصر لقيصر، ولتجعل لله ما لله، فلا يجوز لنا أن نباشر سلطة دنيوية وليس لك أيها الإمبراطور الحق في أن تحرق البخور». وهذا ما اعتقدته حركة(*) الإصلاح الكلوانية أنه سبيل لإصلاح الكنيسة.

● انتشرت داخل الكنيسة مظاهر الانحراف والفساد كافة مثل السيمونية(*)، ومخالفة القانون الكنسي(*)، على الرغم من دعاوى الرهبنة(*) والعزوبة وحياة الزهد والتقشف التي فرضها القانون الكنسي، ولم تستثن أحداً بدءاً من البابا(*) حتى أصغر كاهن(*) وراهب. تقول القديسة كاترين السينائية في القرن الرابع عشر الميلادي: «إنك أينما وليت وجهك سواء نحو القساوسة(*) أو الأساقفة(*) أو... لم تر إلا شرًّا ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة، اتخذوا بطونهم إلهاً لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، إذ يتمرغون في الأقذار، ويقضون حياتهم في الفسق والفجور».

ـ كان للرهبانية أثرها البالغ على الأخلاق(*) الأوربية، فانعدمت أخلاق الفتوة والمروءة التي أصبحت من المعايب والرذائل، كما هجر الناس البشاشة والسماحة والشجاعة. ومن أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم حياة الأسرة، فكثيراً ما أصبحت الأمهات ثكالى، والأزواج أيامى، والأولاد يتامى، بعد خطفهم من الرهبان، فأصبحوا يتكفَّفون الناس ويتوجهون إلى الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة. وكان الرهبان يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن، يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق العام والتحدث إليهن ولو كن أمهات أو زوجات أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية.

● على الرغم من الجوانب والآثار السلبية للحروب الصليبية وما تميزت به من قسوة ضد المخالفين سواء أكانوا من نصارى أو مسلمين، إلا أنها كانت سبباً في انتقال المعارف الإسلامية إلى أوربا. تقول الكاتبة الألمانية هونكة في **شمس العرب تسطع على الغرب**: «وكان للحروب الصليبية دور مهم في تطور نظام الحصون وطرق الدفاع، أي في أوربا»، وتقول: «اختلط ملوك أوروبا وأمراؤها بملوك الشرق وأمراء المسلمين أثناء الحرب الصليبية، ورأوا بأعينهم أدباء العرب وشعراءهم ومؤرخيهم، لاسيما من كان منهم بمعية صلاح الدين الأيوبي». وتقول: «وفي مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يديه إلى الكنوز العربية».

ومع ذلك لا تزال الصليبية على عهدها الأول يمنعها عن قبول الحق حواجز التقليد(*) للآباء والأجداد والعقائد المتوارثة حتى لو شهدت الأدلة الساطعة على بطلانها. وقد نص القرآن الكريم على أمثالهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

● لم تقتصر محاكم التفتيش على المخالفين للكنيسة(*) من النصارى فقط، ولكنها طالت المسلمين أيضاً، ففي القرنين الخامس عشر والسادس عشر بعد سقوط الأندلس ذبحوا وأحرقوا ما يزيد على ٣١ ألفاً من المسلمين، ولم يتركوا مسلماً على قيد الحياة أو غير منفي. وبعد استقلال اليونان عن الدولة العثمانية أباد النصارى شعب موريا المسلم عن آخره، بل دمروا المساجد، وما فعله الأسقف(*) مكاريوس بمسلمي قبرص، والمتعصب جوليوس نيريري بمسلمي زنجبار ليس منا ببعيد.

● تنتقد دائرة المعارف البريطانية دعوى الإلهام التي ما زالت تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية على أنها أحد مصادر المعرفة والوحي(*) بقولها في المجلد الحادي عشر: «إن كل قول مندرج في الكتب المقدسة ليس إلهاميًّا» وهو ما أيده جيروم وكرتيس وبمركوبيس وغيرهم من علماء النصرانية في القرن الثاني الميلادي إذ قالوا: «إن الذين يقولون إن كل مندرج في الأناجيل(*) إلهامي لا يقدرون على إثبات صحة دعواهم». وهو ما أكدته دائرة المعارف الفرنسية في المجلد السابع من أن: «هؤلاء الحواريين أصحاب المسيح(*) ما كان يرى بعضهم بعضاً صاحب وحي كما يظهر في مباحثاتهم في محفل أورشليم».

● وكما جنت الكنيسة(*) على الديانة(*) النصرانية بإدخال العقائد الوثنية، علاوة على التبديل والتحريف(*) الذي لحق بالنصرانية وكتابها، جنت، أيضاً، عليها وعلى الإنسانية بمحاربتها للعلم والعلماء باسم الدين(*). وظهور الفساد داخل الكنيسة، مما دفع الأفكار الإلحادية(*) المناوئة للدين إلى الظهور تحت ستار المناداة بحرية(*) الفكر، وحرية اختيار المذاهب(*) الاعتقادية ولو كانت إلحادية، وبالتالي ظهرت الدعوات إلى الإلحاد والعلمانية بمذاهبها المختلفة. يقول فولتير في كتابه **مقبرة التعصب**: «ينبغي أن يخضع القسس(*) للحكومة لأنهم أفراد من الرعية التابعة للدولة». ونتيجة لحرية الفكر والقضاء على رقابة الكنيسة تم بعث التراث الفلسفي اليوناني، سواء المترجم بالعربية أو اليونانية، وظهرت المذاهب المادية(*) الإلحادية والفلاسفة الماديين أمثال برتراندرسل، هيجل، وأنجلز، وكثرت مؤلفاتهم التي تدعو إلى القضاء على الدين(*). يقول ديدرو هلباخ، ورينال في **الأنسكلوبيديا**: «إن الشرائع والأديان هي العوائق التي تحول دون حصول الإنسان على

السعادة، فيجب عليه محوها ليرجع إلى الطبيعة» (**تاريخ التمدن الحديث**، شارل أسنيوبوس، ص ٤٧).

● إن النصرانية التي يتبناها الفاتيكان(*) اليوم هي النصرانية السياسية التي تريد ربط دول آسيا وأفريقيا بعجلة الغرب عن طريق نشر النصرانية بينهم، وخلق جملة من الأفكار النصرانية التي تقف أمام الإسلام والمسلمين في جميع الميادين. وفي سبيل ذلك تقاربت طوائف النصرانية واليهودية للحد من مارد الإسلام الذي بدأ يصحو من جديد.

ـ يقول رازينجر منظر السياسة في الفاتيكان: «من يبحث عن حل خارج الكنيسة في عصرنا الحديث ليس إلا واحداً من اثنين:

ـ العودة إلى عصر ما قبل المسيح(*) ـ أرسطو وأمثاله.

ـ التعلق بثقافة غير أوربية من جهة وبالإسلام من جهة أخرى.

ـ وبما أن الاحتمال الأول ليس له إمكانية الحياة، فيبقى الاحتمال الثاني ـ الإسلام ـ فعلينا أن نحذر الإسلام أكثر بكثير مما مضى، فهو اليوم يعود من أعماق التاريخ ليقدم بديلاً عن نظامنا المشبع بالنصرانية».

ويقول في أهمية وجود أندية لملء الفراغ الأيديولوجي(*) لسقوط الشيوعية: «إن حدوث الفراغ الأيديولوجي في الثقافة العالمية بما يعني الانفتاح على الثقافات الأخرى بما فيها من مثل وقيم ومبادىء، وإن البقاء على التقليدية الكنسية السابقة، وما لقيصر لقيصر، ولا دين(*) في السياسة ولا سياسة في الدين، سيترك الأبواب مفتوحة على مصراعيها لدخول الإسلام». ولذلك عملت الكنيسة(*) على تجنيد السياسة والإعلام الأوروبي، وتوجيه عموم الشعب، نحو خصم جديد ـ الإسلام ـ ويتضح ذلك من ردود فعل رجال السياسة الأوربيين وتصريحاتهم حول رواية سلمان رشدي وغيره، ومن الحملات الإعلامية حول الأصولية والإرهاب.

مراجع للتوسع

ـ **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، الآب جان كين، دار المشرق بيروت ١٩٩٤م

ـ تاريخ الكنيسة جون لوريمر دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.

ـ **النصرانية من الواحد إلى المتعدد**، أبو إسلام أحمد عبدالله، بيت الحكمة، القاهرة؟

ـ **دائرة المعارف البريطانية**.

ـ **دائرة المعارف**، قاموس عام لكل فن ومطلب، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت.

- **الموسوعة العربية الميسرة**، بإشراف محمد شفيق غربال، الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- **الموسوعة الثقافية**، مديرة التحرير/ فايزة حكيم رزق الله - دار الشعب - مصر.
- **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوربا في العصور الوسطى - الحضارة والنظم**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، السيد الباز، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوربا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا**، د. عبدالحميد البطريق.
- **تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، هـ. أ. ل. فيشر. ترجمة أحمد نجيب هاشم، دار المعارف مصر، د. عبدالعزيز سليمان نوار، دار النهضة العربية، د. عبدالمجيد نعنعي، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **التاريخ المعاصر** - أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، الحركة الصليبية، د. سعيد عبدالفتاح عاشور.
- **الثورة الفرنسية**، د. حسن جلال، لجنة التأليف والنشر.
- **العلمانية**، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار طيبة.
- **سقوط العلمانية**، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني.
- **تهافُت العلمانية**، د. عماد الدين خليل، دار الرسالة.
- **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**، توفيق الطويل، دار الفكر القاهرة.
- **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**، توفيق الطويل، مكتبة مصر، القاهرة.
- **لوثر والإصلاح الديني**، م. هـ مواري، ترجمة مرقص فهمي فرج (المجلد السادس - **تاريخ العالم**) مكتبة النهضة.
- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر.
- **شمس العرب تسطع على الغرب**، زيغريد هونكة، ترجمة فاروق بيضون، د. كمال دسوقي.
- **موقف الإسلام والكنيسة من العلم**، عبدالله سليمان المشوخي، رسالة ماجستير، مخطوط المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع.
- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، مطبعة التقدم.

- **ما هي النصرانية**، محمد تقي الدين العثماني، رابطة العالم الإسلامي.
- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي، دار الاعتصام.
- **المسيحية**، أحمد شلبي، مكتبة النهضة العربية.
- **تطور المسيحية**، شارل جنيبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، دار المعارف، مصر.
- **الميزان في مقارنة الأديان ـ حقائق ووثائق**، مستشار محمد عزت طهطاوي، دار العلم، دمشق.
- **الكتاب المقدس يتكلم**، عبدالرحمن دمشقية، مخطوط.
- **مجلة الأمة القطرية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ يونيو ١٩٨٥م.

٧٦ـ البروتستانت

التعريف:

فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة(*) الغربية باسم الإنجيل(*) والعقل(*)، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية إذ يعترضون (Protest) على كل أمر يخالف الكتاب وخلاص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية، أيضاً، إذ يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

الكنيسة البروتستانتية حركة(*) إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثَمَّ تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها، ومن أبرز المؤسسين:

● مارتن لوثر: ولد لوثر سنة ١٤٨٣م في ألمانيا، وعاش في بيئة نصرانية تشيع فيها الخرافات والمعتقدات الزائفة.

ـ وفي عام ١٥٠٥م نال شهادة أستاذ في العلوم من جامعة إيرمورت ولكنه لم يُتم دراسته القانونية وتحول بعدها إلى الدراسات اللاهوتية، فدخل إلى دير الرهبان(*) الأوغسطنين.

ـ في عام ١٥٠٧م عُين قسيساً(*) لرعاية كنيسة كنتبرج بألمانيا.

ـ في عام ١٥١٠م دفعته نزعته الدينية وإخلاصه للكنيسة(*) ورجالها إلى أن يحج إلى روما ليتبرك بالمقر الرسولي في روما، إذ منَّى نفسه برؤية القديسين والزهاد من الرهبان(*) والكرادلة(*). ولكن ما إن حل في روما حتى هاله ما رأى من دعاوى: غفران الذنوب، وامتلاك سر التوبة، وحق منح صكوك الغفران، وتفشِّي مظاهر الفساد والانحلال الخلقي في الطبقات العليا من الكنيسة بوجه أخص. ومن ثم عاد إلى ألمانيا خائباً رجاؤه، ومستنكراً ما رأى، وأصبح منشغلاً بوضع خطة لإصلاح الكنيسة.

ـ في عام ١٥١٧م أرسل البابا(*) ليو العاشر مندوبه الراهب حمنا تتزل لبيع صكوك الغفران في ألمانيا، فما أخذ يعلن عنها ويبالغ في أمرها حتى ثار عليه لوثر، وكتب في معارضته وثيقَته الشهيرة التي تتضمن خمسة وتسعين مبدأ في معارضة الكنيسة، وعلقها على باب كنيسة القلعة. في الوقت الذي نشط في تأليف الكتب التي تعلن مبادئه، والتي أصبحت

حديث الطبقة المتعلمة في ألمانيا مما زاد في التفاف الناس حوله، ولهذا كله أصدر البابا قراراً بحرمانه في عام ١٥٢٠م.

ـ عندما تلقى لوثر القرار بحرمانه، قام بتحريض من بعض الأمراء الألمان من أصحاب دعوى الانفصال عن الإمبراطورية بحرقِه علانية في وسط الجموع الحاشدة في وتنبرج، التي أصبحت جامعتها المهد الأساسي للتعاليم اللوثرية في ألمانيا.

ـ في عام ١٥٢٠م بعد ما أظهر مارتن لوثر تأييداً للنزعة القومية في الدولة الألمانية في تولي إدارة كنيستها، عقدت الكنيسة في روما مجمعاً قضى بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش لكنه هرب إلى قلعة وارتبورج، وفيها ترجم العهد الجديد(*) إلى الألمانية، ثم شرع في ترجمة الكتاب المقدس كله، لكنه لم يتمه وعاد إلى وتنبرج مرة أخرى.

ـ في عام ١٥٢٩م أراد الإمبراطور تنفيذ قرارات الحرمان ضد مارتن لوثر، فأعلن حكام الولايات الإنجيلية في ألمانيا في مجلس سبير في ١٩ نيسان أنهم مستعدون لطاعة أوامر الإمبراطور والمجلس في كل القضايا الواجبة إلا التي تتعارض مع الكتاب المقدس أو التي لا يوجد لها نص فيه، وبالتالي رفضوا تسليم لوثر لمندوبي الإمبراطور.

ـ عندما رأى لوثر صعوبة تحقيق دعوة الإصلاح الكَنَسِيّ كرَّس كل جهده لقضايا الإيمان في الكنائس(*) الإنجيلية الناشئة.

ـ توفي لوثر في بلدة وتنبرج عام ١٥٤٦م مخلِّفاً مجموعة من الكتب والمؤلفات التي تؤصِّل قواعد دعوته.

● الروخ هولدريخ زوينجلي: ١٤٨٤ ـ ١٥٣١م: ولد ونشأ في سويسرا وأصبح قسيساً(*) وأحد دعاة حركة الإنسانية التي بدأت مع عصر النهضة(*) الأوربية.

ـ دعا إلى نفس المبادىء التي دعا إليها مارتن لوثر، وبدأ دعوته في زيوريخ بسويسرا، وقد قاوم استعمال الطقوس والصور والتماثيل في الكنائس كما عارض فكرة عزوبة رجال الأكليروس(*). وحبذ المسؤولية الفردية في المعتقد.

ـ لاقت دعوة زوينجلي التأييد من السلطات الحكومية في مدينة زيوريخ، فشاعت لذلك دعوته وأصبح زعيماً للبروتستانت في جنوب ألمانيا ومعظم سويسرا.

ـ في عام ١٥٢٩م وفي مدينة ماربورج التقى زوينجلي بمارتن لوثر وتناقشا حول إصلاح الكنيسة(*) واختلفا حول فرضية أو سر العشاء الرباني(*)، كما اختلفا في أسلوب معارضة الكنيسة الكاثوليكية، إذ استخدم زوينجلي القوة في سبيل نشر مبادئه ابتداءً من الحظر التجاري الذي فرضه على بعض المقاطعات الكاثوليكية في شرقي سويسرا، حتى

القتال والصدام مع رجال الكنيسة(*) الذي قُتل فيه وهُزم أتباعه في كاييل عام ١٥٣١م.

ـ ذابت تعاليم زوينجلي في تعاليم جون كالفن التي ارتكز في بعضها على عقيدته.

● جون كالفن: ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م: ولد ونشأ في فرنسا وتثقف بثقافة قانونية لكنه مال عنها إلى الدراسة اللاهوتية، فتأثر بآراء مارتن لوثر دون أن يقابله، بواسطة بعض أقاربه وبعض أساتذته.

ـ شارك في إعداد خطاب ألقاه نيكولاس كوب مدير جامعة السربون بفرنسا التي كانت مركزاً لأكثر علماء الكاثوليكية، والذي تضمن شرحاً لآراء مارتن لوثر؛ مما أغضب آباء الكنيسة(*) عليه فاضطر إلى الهرب إلى جنيف في سويسرا.

ـ بعد أن عاد في الحادي والعشرين من مايو ١٥٣٤م إلى مدينة نويون مسقط رأسه سلّم كهنةَ(*) كاتدرائيتها(*) كل شارات الامتياز الأكليريكية الخاصة به، ثم هرب بصحبة نيكولاس كوب إلى جنيف في سويسرا مرة أخرى.

ـ في عام ١٥٣٥م شارك كلفن في حوار دعا إليه المبشرون المصلحون مع الأساقفة(*) الكاثوليك في المدينة وانتهى الحوار بانسحاب الكاثوليك، مما مكن دي فاريل صديق كلفن الحميم من الاستيلاء على الكنائس(*) الرئيسة الثلاث في المدينة: كنيسة سان بيتر، المجدلية، سان جرفيز؛ وتحويلها إلى كنائس إنجيلية أو بروتستانتية.

ـ استغل كلفن استقراره في جنيف في تنظيم وتقنين مبادىء زعماء الإصلاح وعلى رأسهم مارتن لوثر، وظهرت له مؤلفات وكتابات عديدة في ذلك، ولذلك فإنه يعد أحد مؤسسي المذهب(*) البروتستانتي.

ـ خالف كالفن لوثر في سر ـ فرضية ـ العشاء الرباني(*) من حيث كيفية حضور المسيح(*) العشاء على الرغم من اتفاقهما على عدم استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح.

ـ عدل كلفن عن فكرة لوثر في إشراف الحكومة على الكنائس، لما رأى ما يحدث للبروتستانت في فرنسا، وطالب بأن تحكم الكنيسة نفسها بنفسها، وعلى الحاكم المدني أن يساعدها ويحميها، مما كان سبباً في انقسام الكنيسة الإنجيلية إلى لوثرية وكليفينية (الإصلاحية ـ الكليفينية).

ـ تميزت حركته(*) بالانتشار في فرنسا، فأصبحت الدين(*) الرسمي في أسكتلندا كما امتدت إلى المقاطعات شرق سويسرا، واعتنقها معظم سكان المجر، يقول فيشر: «أصبحت أكثر أشكال الإصلاح البروتستاني اتساعاً».

ـ تأسست جمهورية هولندا عام ١٦٦٩م على مبادىء البروتستانت الكليفينية بعد

الحرب الدامية بين الكاثوليك والبروتستانت.

- نتيجةً للحرية(*) الفردية في فهم وتفسير الكتاب المقدس لكل فرد من المؤمنين بالمذهب(*) البروتستانتي انقسمت الحركة(*) البروتستانتية إلى كنائس(*) عديدة، وطوائف مختلفة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها حسب إحصائيات عام ١٩٨٢م يوجد ٧٦٫٧٥٤٫٠٠٩ بروتستانتي ينتمون إلى ٢٠٠ طائفة إنجيلية.

ومن أهم الكنائس البروتستانتية:

● **الكنيسة اللوثرية**: وقد بدأ إطلاق هذه التسمية على المؤمنين بأفكار معتقدات مارتن لوثر في القرن السادس عشر وذلك على الرغم من مقاومة لوثر نفسه لهذه التسمية، وأصبحت جامعة وتنبرج المهد الأساسي لها.

- اهتم مارتن لوثر بقضايا الإيمان، وترك الأمر الإداري للكنيسة(*) لغيره يقوم به، لكنه عيَّن بعض المراقبين ليتعاونوا مع حكام الدولة في الأقضية، وبذلك كان أول ظهور لنظام السينودس.

- ارتبطت اللوثرية في ألمانيا ارتباطاً وثيقاً بالحالة السياسية منذ أن دعا لوثر إلى إشراف الدولة على الكنيسة، ولذلك فإن الحكومة الألمانية تدخلت أكثر من مرة لحل الخلافات بين أعضاء الكنيسة أو للاتفاق مع كنائس المصلحة.

- كان لظهور الكنائس المعمدانية في القرن السابع عشر أثرها في إثارة الخلافات بين البروتستانت مرة أخرى.

- في زمن فريدريك وليم الثالث ملك بروسيا تم الاتحاد بين الكنائس اللوثرية والمصلحة، ومنها تشكلت الكنيسة القديمة، غير أن جماعة كبيرة من اللوثرية لم تنضم إلى هذه الكنيسة وعرفوا باللوثريين القدماء.

- في عام ١٩٢٣م تأثرت الكنيسة بالنظام النازي في ألمانيا إذ حاول صبغ الكنيسة الألمانية بصبغة قومية، فجرى توحيد ٢٨ كنيسة مصلحة ولوثرية على أساس أن الدم الآري أحد المؤهلات العضوية لهذه الكنيسة القومية العنصرية. وقد تناول هذا التأثير العقائد والمبادىء أيضاً، مما مهَّد لقيام ثورة(*) من آلاف القسوس(*) البروتستانت من بينهم مارتن تيمولر للمطالبة بتشكيل السينودس الذهبي.

- في عام ١٩٣٤م عارض السينودس الذهبي تدخل الدولة في شؤون الكنيسة بل رفض ذلك رفضاً حاسماً.

- في عام ١٩٣٥م أنشأت الحكومة وظيفة وزير الدولة للشؤون الكنسية، وخوَّلت له

سلطات مطلقة على الكنيسة الإنجيلية الألمانية.

- انتشرت في عام ١٩٣٦م حركة(*) الإيمان الألماني التي تحالفت مع الفلسفة(*) الوثنية(*) الجديدة.

- بعد الحرب العالمية الثانية ألغت الكنيسة(*) الإنجيلية دستورها المُوصَى به من النازية لعام ١٩٣٣م، وبدأت تنظيم نفسها من جديد.

- والكنيسة اللوثرية هي كنيسة الدولة في الدنمارك وأيسلندا والنرويج والسويد وفنلندا.

- يصدر الاتحاد اللوثري العالمي مجلة **اللوثرية العالمية** بالألمانية والإنجليزية.

● **الكنائس المصلحة**: وإن كان يُقصد بها بوجه عام جميع الكنائس البروتستانتية إلا أنه من الناحية التاريخية تقتصر على الكنائس البروتستانتية التي يرتكز أصلها على عقائد كلفن وعلى أساس النظام الكنسي المشيخي(*) الذي تركِّز فيه السلطات على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الأكليروس، وتنزع إلى الشكل البسيط في العبادة. وقد قويت هذه الكنائس في إنجلترا في القرن السادس عشر وخصوصاً في أسكتلندا وشمال إيرلندا، وسميت كنائس سويسرا وهولندا وعدد من كنائس ألمانيا بالمصلحة، كما توجد بالولايات المتحدة الأمريكية كنائس تحمل لقب المصلحة.

● **الكنائس الأسقفية**: تطلق الكنيسة الأسقفية عند الإطلاق على الكنيسة الإنجليزية ويتبعها في أمريكا عدد من الكنائس الأسقفية، وتتبع هذه الكنائس النظام الأسقفي على أنه نظام إلهي خلافاً لسائر الفرق البروتستانتية، وذلك في تعيين أو اختيار أو عزل القساوسة(*)، والشمامسة(*)، أو تدشين الأراضي والأبنية الدينية، وإدارة تركات الموتى لحين وجود وصي شرعي للميت. ويلقب أساقفة(*) إنجلترا بلقب لورد إذ يُعدُّون من أشراف المملكة، ويرأس ملوك إنجلترا الكنيسة الإنجليزية، وبذلك يعينون الأساقفة الذين يتم انتخابهم من القساوسة بعد ذلك، ورئيس أساقفة كانتربري هو رأس الكنيسة، ويليه في المرتبة رئيس أساقفة يورك. أما أساقفة الولايات المتحدة الأمريكية فينتخبهم نواب من قساوسة الأسقفية وأهاليها قبل عرضهم على مجمع الأساقفة أو على مجمع نواب مؤلف من السينودس والأهالي.

● **الصهيونية المسيحية**:

- كان لليهود المهاجرين من إسبانيا إلى أوربا وبخاصة فرنسا وهولندا أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى النصرانية من خلال حركة الإصلاح، وبخاصة الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة، كذلك أحقيتهم في ميراث الأرض المباركة.

ـ في عام ١٥٢٣م أصدر مارتن لوثر كتاب **عيسى وُلِد يهوديًّا** متأثراً فيه بالأفكار الصهيونية.

ـ وفي عام ١٥٤٤م أصدر لوثر كتاباً آخر **فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم**.

ـ كانت هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادىء البروتستانتية الكاليفينية عام ١٦٠٩م بمثابة انطلاقة للحركة(*) الصهيونية المسيحية(*) في أوربا، مما ساعد على ظهور جمعيات(*) وكنائس(*) وأحزاب(*) سياسية عملت جميعاً على تمكين اليهود من إقامة وطن قومي لهم في فلسطين. ومن أبرز هذه الحركات: الحركة البيوريتانية التطهيرية التي تأسست على المبادىء الكاليفينية بزعامة السياسي البريطاني أوليفر كروميل ١٦٤٩ ـ ١٦٥٩م الذي دعا حكومته إلى حمل شرف إعادة إسرائيل إلى أرض أجدادهم حسب زعمه.

ـ في عام ١٨٠٧م أُنشئت في إنجلترا جمعية لندن لتعزيز اليهودية بين النصارى، وقد أطلق أنطوني إشلي كوبر اللورد ريرل شانتسبري ١٨٠١ ـ ١٨٨٥م، أحد كبار زعمائها شعار: «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن» وهذا ما أدى إلى أن يكون أول نائب لقنصل بريطانيا في القدس وليم برنج أحد أتباعها، ويعدُّ اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا ١٧٨٤ـ١٨٦٥م من أكبر المتعاطفين مع أفكار تلك المدرسة الصهيونية المسيحية وأيضاً فإن تشارلز. هـ. تشرشل الجد الأعلى لونستون تشرشل ـ رئيس الحكومة البريطانية الأسبق ـ أحدُ كبار أنصارها.

ـ انتقلت الصهيونية المسيحية إلى أمريكا من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها نتيجة للاضطهاد الكاثوليكي، وقد استطاعت تأسيس عدة كنائس هناك من أشهرها الكنيسة المورمونية.

ـ يُعدُّ سايسروس سكلوفليد ١٨٤٣م الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في أمريكا.

ـ لعبت تلك الكنائس(*) دوراً مهمًّا في تمكين اليهود من احتلال فلسطين واستمرار دعم الحكومات الأمريكية لهم ـ إلا ما ندر ـ من خلال العديد من اللجان والمنظمات والأحزاب(*) التي أنشئت من أجل ذلك ومن أبرزها: الفيدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين التي أسسها القس(*) تشارلز راسل عام ١٩٣٠م، واللجنة الفلسطينية الأمريكية التي أسسها في عام ١٩٣٢م السناتور روبرت واضر، وضمَّت ٦٨ عضواً من مجلس الشيوخ، و٢٠٠ عضو من مجلس النواب، وعدداً من رجال الدين الإنجيليين، ورفعت هذه المنظمات شعارات: الأرض الموعودة، والشعب المختار.

ـ وفي العصر الحديث تُعدُّ الطائفة التدبيرية التي يبلغ عدد أتباعها ٤٠ مليون نسمة تقريباً والمعروفة باسم الأنجلو ساكسون، البروتستانت البيض من أكثر الطوائف مغالاة في تأييد

الصهيونية، وفي التأثير على السياسة الأمريكية في العصر الحاضر.

- ومن أشهر رجالها اللاهوتيين: بيل جراهام، وجيري فولويل، جيمي سويجارت. ومن أبرز رجالها السياسيين الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان.

- اهتمت الكنيسة البروتستانتية بنشر الإنجيل(*) في أوربا وأمريكا منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ثم تطور عملها في شكل منظمات وإرساليات، ووضعت اللوائح والقوانين المنظمة لها وكذلك الميزانيات اللازمة. ومن ثم انتقل العمل التبشيري البروتستانتي إلى القارتين الأفريقية والآسيوية، وبخاصة التي كانت تستعمرها الدول الغربية ذات العقيدة البروتستانتية. ومن أوائل الذين قادوا حركة(*) التبشير: جوف وسلي، ووليام ولبرفورس، ووليام كيري، أبو المبشرين في العصر الحديث.

الأفكار والمعتقدات:

تؤمن الكنائس البروتستانتية بنفس أصول المعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها تخالفها في بعض الأمور، ومنها ما يلي:

● الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، حيث إن الكتاب المقدس بعهديه هو دستور الإيمان وعليه تقاس قرارات المجامع السابقة وأوامر الكنيسة(*)؛ فيقبل ما يوافقه فقط، يقول لوثر: «يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر».

- عدد أسفار(*) العهد القديم(*) ستة وستون سفراً وهي الأسفار القانونية، أما باقي الأسفار وعددها أربعة عشر، فتسميها الأبوكريفيا أي غير الصحيحة فلا تعترف بها.

● كما لا تؤمن الكنائس(*) البروتستانية بعصمة البابا(*) أو رجال الدين، وتهاجم بيع صكوك الغفران إذ ترى أن الخلاص والفوز في الآخرة لا يكون إلا برحمة الله وكرمه وفي الدنيا في الالتزام بالفرائض والكرازة - التبشير بالإنجيل(*).

● إن القديسيين لقب يمكن أن يوصف به كل إنسان نصراني(*) حيث إن القداسة في فهمهم ليست في ذات الشخص ولكنها مقام يصل إليه.

● ترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت حيث إن جميع المؤمنين بها كهنة(*)، وليس هناك وسيط ولا شفيع بين الله والإنسان سوى شخص المسيح(*) لأنه جاء في معتقدهم رئيساً للكهنة، كما لا تؤمن بالبخور والهيكل.

● تؤمن بسرين فقط من أسرار - فروض - الكنيسة وهما سرَّا - المعمودية(*)، والعشاء الرباني(*)، على خلاف بينهم في كيفية حضور المسيح سر العشاء.

● لا تؤمن بالصوم كفريضة بل هو سنة حسنة، ولا يطلق إلا على الإمساك عن الطعام

مطلقاً فقط .

● كما لا تؤمن بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى .

● الصلاة ليس لها مقدار محدد، كما أنه ليس من الحتم الالتزام بحرفية الصلاة الربانية؛ ولذلك يجيزون الصلاة بلغة غير مفهومة كاللاتينية التي تستعملها الكنائس الكاثوليكية .

● لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الرهبنة(*) .

● الكهنوت درجتان فقط هما : القسوسية(*)، الشمامسة(*)، الراعي هو الأسقف(*)، والرئاسة تكون بمجمع السنودس لا لفرد .

● منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، معتقدين أن ذلك منهي عنه في التوراة(*) .

● تؤمن بعض الكنائس الإنجيلية ـ الصهيونية ـ أن شرط المجيء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين .

الجذور الفكرية والعقائدية:

● نصوص الكتاب المقدس، وبخاصة نصوص العهد القديم(*) .

● الديانات الوثنية(*) .

● الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة .

● الأفكار والمبادىء الصهيونية والتلمودية .

● يعتقد بعض الباحثين أن الإصلاحات التي نادت بها حركة الإصلاح ونتج عنها البروتستانتية قد تأثرت بالإسلام .

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر الكنائس(*) البروتستانتية في : ألمانيا، هولندا، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، سويسرا، الدنمارك، وتوجد أقليات بروتستانتية في باقي الدول الأخرى .

يتضح مما سبق:

● لا تختلف الكنائس البروتستانتية عن باقي الكنائس النصرانية سواء في الإيمان بإله(*) واحد مثلث الأقانيم(*) الآب(*)، الابن(*)، الروح القدس(*) تثليث(*) في وحدة، أو وحدة في تثليث، حسب افترائهم .

● أو في الإيمان في عقيدة الصلب والفداء وتقديس الصليب .

● كانت لحركات(*) الإصلاح البروتستانتية الأثر الكبير في كشف عورات الكنيسة(*) الكاثوليكية، وفي فضح سلوك القائمين عليها. كما أنها أفسحت المجال أمام العلماء والمفكرين وعامة المؤمنين بالكنيسة في حق فهم الكتاب المقدس، وبالتالي كسرت احتكار رجال الدين لهذا الأمر، مع ما نشأ عن ذلك من آثار سلبية عديدة على النصرانية بوجه عام وعلى الكتاب المقدس بوجه خاص، إذ تعرض للنقد الشديد والتشكيك في صحة نصوصه.

● مع أن البروتستانت قرروا حرية البحث والنظر في الأمور الاعتقادية، إلا أنهم حرَّموها فيما بعد كالكاثوليك، بل أصبحت حرية(*) الفكر عندهم مقتصرة فقط على نقد رجال الكنيسة الكاثوليكية. فقد عذبوا رجالاً من أجل عقائدهم مثل سرفيتوس الإسباني، ومنعوا كتباً من النشر لأنها تحوي في نظرهم ما لا يتفق وتعاليم الكتاب المقدس.

ـ يقول هربرت فيشر في **أصول التاريخ الأوربي الحديث** عن لوثر: «لم يكن يؤمن بالبحث الحر ولا بالتسامح». وينقل غوستاف لوبون في كتابه **روح الثورات والثورة(*) الفرنسية** تصريحاً للوثر بأنه لا يجوز للنصارى أن يتبعوا غير ما جاء في الكتاب المقدس.

وعن موقف حركة(*) الإصلاح الديني من العلم، يقول أ. وولف في كتابه **عرض تاريخي للفلسفة(*) والعلم**: «أما من حيث حركة(*) الإصلاح الديني فإن المصلحين كانوا لا يقلُّون تعصباً عن رجال الكنيسة(*) الكاثوليكية إن لم يزيدوا عليها». ولذلك فإنهم هاجموا النظريات العلمية واضطهدوا من يقول بها، ويقول كلفن بعد أن أعلن كفر(*) من يقول بدوران الأرض: «مَن مِن الناس يجرؤ على أن يضع سلطة كوبر نيكوس فوق سلطة الروح القدس(*)».

ـ لم يكن اضطهاد العلماء في تلك الفترة بأقل من اضطهاد الفلاسفة. فكما حاربت البروتستانتية النظريات العلمية المخالفة لنصوص الكتاب المقدس، كذلك حاربت العقل(*) واضطهدت الفلاسفة أمثال آرازموس الذي حاول التوفيق بين العقل والكتاب المقدس. يذكر ديورانت في **قصة الحضارة** تصريحات للوثر تبين تطرفه في إنكار العقل إذ يقول: «أنت لا تستطيع أن تقبل كلاً من الإنجيل(*) والعقل، فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر» ويقول: «إن العقل أكبر عدو للدين(*)».

● نتيجة للحروب بين الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية، واضطهاد العلماء وقتلهم، وقتل الروح العلمية والفكرية، وتطرُّف زعماء حركة الإصلاح البروتستانتي في ذم العقل، ظهرت الأفكار المناوئة للدين، وتعالت الصيحات الإلحادية(*) التي تطالب بحرية(*) الفكر وسيادة العقل، واعتباره المصدر الوحيد للمعرفة، والمناداة أيضاً بفصل

الدين(*) عن الدولة.

● استطاع اليهود تهويد بعض الكنائس البروتستانتية، وتسريب الأفكار الصهيونية، وإنشاء أحزاب(*) وكنائس تتبناها وتدعو إليها من خلال ما يعرف بالصهيونية المسيحية(*). وللحقِّ فإن هناك من داخل الكنيسة الإنجيلية في أمريكا مَنْ وقف لهم بالمرصاد مثل: المجلس الوطني للكنائس المسيحي(*)، الذي يضم ٣٤ طائفة يبلغ عدد أتباعها نحو الأربعين مليون شخص. وتتعاطف الكنائس(*) الإنجيلية: المشيخية(*)، المنهجية(*)، المعمدانية(*)، الأسقفية، بنسب متفاوتة مع هذا الاتجاه.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة العربية**، إشراف محمد شفيق غربال - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- **الموسوعة الثقافية**، مدير التحرير/ فايزه حكيم رزق الله - دار الشعب - مصر.
- **دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب**، بطرس البستاني - دار المعرفة - بيروت.
- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- **روح الثورات والثورة الفرنسية**، د. غوستاف لوبون، ترجمة محمد عادل زعيتر، المطبعة العصرية.
- **عرض تاريخي للفلسفة والعلم**، أ. وولف، ترجمة محمد عبدالواحد خلاف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- **المصلح مارتن لوثر - حياته وتعاليمه**، د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، مصر.
- **جون كلفن - دراسة تاريخية عقائدية**، تأليف د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، مصر.
- **حديث مع جون كلفن**، القس لبيب مشرقي، دار نوبار، مصر.
- **إيماني الإنجيلي**، د. القس فايز فارس، القس منيب عبدالنور، القس إميل زكي.
- **تاريخ الفكر المسيحي**، د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، مصر.
- **محاضرات في النصرانية**، الشيخ محمد أبو زهرة.
- **موقف الإسلام والكنيسة من العلم**، عبدالله سليمان المشوخي، مخطوط على الآلة الكاتبة.
- **الأصول الوثنية للمسيحية**، أندريه نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاني يونج، ترجمة سميرة عزمي الزين. سلسلة من أجل الحقيقة، من منشور المعهد الدولي للدراسات

الإنسانية.
- **مصلح في المنفى جون كلفن - موجز عن حياته ومبادئه**، د. هاري إيبرتس، ترجمة وليم وهبة بباوي.
- **من يجرؤ على الكلام**، بول فندلي. شركة المطبوعات والتوزيع والنشر - بيروت، لبنان.
- **النبوءة والسياسة**، غريس هالسل، ترجمة محمد السماك، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
- **الصهيونية المسيحية**، محمد السماك، دار النفائس.
- **المسيحية والسيف**، رواية شاهد عيان لإبادة ملايين البشر في الأمريكتين، سلسلة من أجل الحقيقة - ٣ - من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- **النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة**، غازي محمد فريج، دار النفائس، بيروت.
- **شهود يهوه، بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلمود اليهودي**، حسين عمر حمادة، دار قتيبة، دار الوثائق، دمشق، بيروت.
- **شهود يهوه** - أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة - القاهرة - مصر.
- **النصرانية من الواحد إلى المتعدد** - أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة، القاهرة.
- **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة جان كين**، دار المشرق، بيروت، بيت الحكمة، القاهرة.
- **تاريخ الكنيسة جون لوريمر**، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٠م

الفصل الرابع : فروع أخرى

● المارونية ● الجزويت ● المورمون ● شهود يهوه ● الأبوس دي ● المونية

٧٧ـ المارونية

التعريف:

المارونية، طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة(*)، ينتسبون إلى القديس مارون ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزاً لهم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تنتسب هذه الطائفة إلى القديس مارون الذي انعزل في الجبال والوديان مما جذب الناس إليه مشكِّلين طائفة عرفت باسمه، وكانت حياته في أواخر القرن الرابع الميلادي فيما كان موته حوالي سنة ٤١٠م بين أنطاكية وقورس.

ـ وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس، مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق قرب أفاميا على نهر العاصي مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس مارون.

ـ وقع كذلك خلاف آخر في المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام ٥١٧م مما أسفر عن تهديم ديرهم فضلاً عن مقتل ٣٥٠ راهباً(*) من رهبانهم.

ـ خلال فترة الرحيل نالهم عطف الإمبراطور مرقيانوس الذي وسّع لهم الدير عام ٤٥٢م.
وعطف الإمبراطور يوستنيان الكبير ٥٢٧ ـ ٥٦٥م الذي أعاد بناء ديرهم بعد تهديم اليعاقبة له.
وكذلك عطف الإمبراطور هرقل الذي زارهم سنة ٦٢٨م بعد انتصاره على الفرس.

ـ احتكم الموارنة واليعاقبة عام ٦٥٩م إلى معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ لإنهاء الخلاف بينهم، لكن الخصومة استمرت، إذ حدثت حروب انتقامية بين الطرفين مما أسفر عن هجرة الموارنة إلى شمالي لبنان وهو المكان الذي أصبح موطناً لهم فيما بعد.

● ظهر في موطنهم الجديد بلبنان القديس يوحنا مارون الذي يُعدُّ صاحب المارونية الحديثة ومقنن نظريتها ومعتقدها، وتتلخص سيرة حياته فيما يلي:

ـ ولد في سروم قرب أنطاكية، وتلقى دراسته في القسطنطينية.

ـ عين أسقفاً(*) على البترون على الساحل الشمالي من لبنان.

ـ أظهر معتقد الموارنة سنة ٦٦٧م الذي يقول بأن في المسيح(*) طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم(*) واحد.

ـ لم تقبل الكنائس(*) النصرانية(*) هذا الرأي، فدعوا إلى مجمع القسطنطينية الثالث الذي عقد سنة ٦٨٠م وقد حضره ٢٨٦ أسقفاً وقرروا فيه رفض هذه العقيدة وحرمان أصحابها ولعنهم وطردهم وتكفير(*) كل من يذهب مذهبهم(*).

ـ يعد يوحنا مارون أول بطريرك(*) لطائفة الموارنة وبه يبدأ عهد البطاركة المارونيين.

ـ تصدى بجيش من الموارنة لجيش قاده يوستنيان الثاني الذي أراد هدم معابدهم واستئصالهم إلا أن الموارنة هزموه في أميون مما أظهر أمرهم كأمة جبلية ذات شخصية مستقلة.

ـ لقد تحايلت كنيسة روما بعد ذلك عليهم في سبيل تقريبهم منها إذ قام البطريرك الماروني أرميا العمشيتي بزيارة لروما حوالي سنة ١١١٣م وعند عودته أدخل بعض التعديلات في خدمة القداس وطقوس العبادة وسيامة الكهنة(*).

ـ ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام ١١٨٢م إعلان طاعتهم للكنيسة(*) البابوية، أما في عام ١٧٣٦م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأثيرة لدى باباوات(*) روما.

● لقد كان لهم دور بارز في خدمة الصليبيين من خلال تقديمهم أدلاء لإرشاد الحملة الصليبية الأولى إلى الطرق والمعابر، وكذلك إرسالهم فرقة من النشابة المتطوعة إلى مملكة بيت المقدس.

ـ لقد بلغ رجالهم القادرون على القتال ٤٠,٠٠٠ على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية.

ـ احتل الموارنة في الممالك التي شيدّها الصليبيون المرتبة الأولى بين الطوائف النصرانية متمتعين بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الفرنجة كحق ملكية الأرض في مملكة بيت المقدس.

ـ لويس التاسع كان أول صديق فرنسي لهم، إذ تقدم إليه عندما نزل إلى البر في عكا وفدٌ مؤلف من خمسة عشر ألف ماروني ومعهم المؤن والهدايا، وقد سلمهم بهذه المناسبة رسالة مؤرخة في ٢١/ ٥/ ١٢٥٠م فيها تصريح بأن فرنسا تتعهد بحمايتهم فقد جاء فيها: «ونحن

مقتنعون بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية» .

ـ استمر هذا التعاطف من الغرب مع الموارنة في الأجيال التالية وذلك عندما أرسل نابليون الثالث فرقة فرنسية لتهدئة الجبل عام ١٨٦٠م، وكذلك بعد الحرب العالمية الأولى عندما صار لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

● تيوفيل (تيوفيلوس) بن توما من شمال سوريا، ماروني، كان يعمل منجِّماً في قصر الخليفة العباسي المهدي ٧٧٥ ـ ٧٨٥م كما قام بترجمة إلياذة(*) هوميروس .

● المؤرخ اسطفانوس الدويهي المشهور، ماروني، توفي سنة ١٧٠٤م .

● البطريرك(*) جرجس عميرة، ماروني، ألّف أول غراماطيق سرياني واضعاً قواعده باللاتينية تسهيلاً على المستشرقين دراسة هذه اللغة .

● من مشاهيرهم يوسف حبيش وبولس مسعد ويوحنا الحاج والبطريرك إلياس الحويك .

● ومن الأساقفة(*) المطران(*) جرمانوس فرحان ويوسف سمعان السمعاني ويوحنا حبيب ويوسف الدبس .

● ومن بيوتاتهم المعروفة آل خازن ودحداح وحبيش والسعد وكرام والظاهر والبستاني والشدياق والنقاش والباز . .

● ومن زعاماتهم المعاصرة: آل جميّل، وشمعون، وفرنجية، وإده . .

● من تنظيماتهم السياسية الحزبية العسكرية حالياً: حزب(*) الكتائب وحزب الأحرار .

● منذ عام ١٩٤٣م وحتى اليوم استقر الأمر بأن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من الطائفة المارونية وذلك بموجب الميثاق الوطني الذي تم فيه الإتفاق شفوياً بين المسلمين والنصارى حول توزيع المناصب الرئيسية للدولة اللبنانية على مختلف الطوائف الدينية فيها .

الأفكار والمعتقدات:

● أهم نقطة تميزهم عن بقية الطوائف النصرانية هو معتقدهم بأن للمسيح(*) طبيعتين وله مشيئة واحدة وذلك لالتقاء الطبيعتين في أقنوم(*) واحد .

● عقيدة المشيئة الواحدة قال بها بطريرك(*) الإمبراطور هرقل، أيضاً، ٦٣٨م ليوفق بين عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين يشكلون الأكثرية من رعاياه النصارى في سوريا وبين أصحاب العقيدة الأرثوذكسية للكنيسة البيزنطية، إلا أن هذه المحاولة لم تفلح في سد الثغرة بينهما .

● يعتقدون أن خدمة القداس عندهم مأخوذة عن تلك الخدمة التي ينسبونها إلى القديس يعقوب، كما يعتقدون أن هذه الخدمة إنما هي أقدم خدمة في الكنيسة(*) المسيحية(*) إذ إن أصولها ترجع إلى العشاء الرباني(*) الأخير.

● لا تزال الكنيسة المارونية تحتفظ باللغة السريانية في القداس إلى يومنا هذا.

● ولا يزال الطابع السرياني سارياً حتى في الكنائس التي تعترف بسلطة البابا.

● منذ أوائل القرن الثالث عشر تم إدخال بعض التعديلات على الطقس الماروني القديم وذلك في عهد البابا(*) إنوسنت الثالث ليكون أكثر تلاؤماً مع الطقس اللاتيني ومن ذلك:

ـ تغطيس المعمود ثلاث مرات في الماء.

ـ طلبة واحدة للثالوث.

ـ تكريس الأحداث على أيدي المطارنة(*) فقط.

ـ لقد صار الكهنة(*) يتبعون الزي اللاتيني في لبس الخواتم والقلنسوة التي تشبه التاج والعكاز.

ـ استعمال الأجراس بدلاً من النواقيس الخشبية التي تستعملها سائر الكنائس الشرقية في الدعوة إلى القداس متبعة بذلك التقليد اللاتيني.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الموارنة فرع عن الكاثوليك الشرقيين الذين هم بدورهم فرع عن النصرانية بشكل عام لذا فإن جذورهم هي نفس الجذور النصرانية.

● يمتازون بالمحافظة الشديدة على تراثهم ولغتهم السريانية القديمة، وقد اقتربوا على مدار الزمن من الكنيسة(*) البابوية بروما بعد إدخال عدد من التعديلات على الطقوس المارونية القديمة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● البداية في أنطاكية، ومن بعدها رحلوا إلى قلعة المضيق، وأخيراً صاروا إلى جبال لبنان موطنهم الحالي منذ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي.

● منذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح دير قنُّوبين شمالي لبنان فوق طرابلس المبني في صخر من صخور وادي قاديشا (أي المقدس) مقراً للبطريركية المارونية، كما أصبحت بكركي المبنية فوق جونية المقر الشتوي حتى يومنا هذا، إذ لا يزال سيد بكركي

يلقب ببطريرك(*) أنطاكية وسائر الشرق؛ ذلك لأنه مستقل عن سائر البطاركة الشرقيين، كما تخضع لإدارته مطارنة وأبرشيات(*) وجمعياتٌ(*) رهبانية(*) مختلفة.

● عندما استرد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس غادر الملك غوي دي ليزنيان إلى قبرص فتبعه جمهور كبير من الموارنة، لوقوفهم إلى جانب الصليبيين إبان الاحتلال، مستوطنين هناك الجبل الذي يقع شمالي نيقوسيا.

● لقد فرَّ كثير من الموارنة من لبنان بسبب الحروب والهجرة فوصلوا إلى تكريت وغيرها من المدن بين دجلة والفرات منذ القرنين الثاني والثالث عشر، كما ذهب بعضهم تجاه سوريا الداخلية مستوطنين دمشق وحلب، وفريق ذهب إلى القدس وهبط بعضهم الآخر إلى مصر ورودس ومالطة، وهاجر آخرون إلى أمريكا وأفريقيا وإندونيسيا ولا يزال أغلبهم يعيشون في لبنان ولهم أكبر الأثر في توجيه السياسية اللبنانية المعاصرة.

ويتضح مما سبق:

أن المارونية طائفة من النصارى الكاثوليك الشرقيين، الذين كانوا دائماً على خلاف مع معظم الطوائف الأرثوذكسية، لأنهم يقولون بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة، وهم يتخذون من لبنان مركزاً لهم، وقد أعلنوا طاعتهم لبابا(*) روما عام ١١٨٢م، وقد تعاونوا مع الفرنجة إبان الحروب الصليبية، ومنذ عام ١٩٤٣م تم الاتفاق بين المسلمين والنصارى(*) في لبنان، على أن يكون رئيس الدولة مارونياً.

مراجع للتوسع:

- **النصرانية والإسلام**، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي - مطبعة التقدم - مصر - ١٩٧٧م.
- **محاضرات في النصرانية**، محمد أبو زهرة - ط٣ - مطبعة يوسف - مصر - ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
- **أضواء على المسيحية**، محمد متولي شلبي - نشر الدار الكويتية - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م
- **تاريخ لبنان**، د. فيليب حتي - ط٢ - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٢م.
- **خطط الشام**، محمد كرد علي - ج٦ - ط٢ - دار القلم - بيروت - ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- **مقارنة الأديان «المسيحية»**، د. أحمد شلبي - ط٥ - النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٧م.
- **تاريخ الطائفة المارونية**، اسطفان الدويهي - طبع بيروت - ١٨٩٠م.
- **التواريخ القديمة من المختصر في أخبار البشر**، لأبي الفداء - نشر فليشر - ليبسغ - ١٨٣١م.

- **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**، سعيد بن البطريق - نشر شيخو - الجزء الثاني - بيروت - ١٩٠٩م.
- **تاريخ مختصر الدول**، ابن العبري - نشره أنطوان صالحاني - بيروت - ١٨٩٠م.
- **التنبيه والإشراف**، للمسعودي - طبعة دي غويه - ليدن - ١٩٨٣م.
- **المحاماة عن الموارنة وقديسهم**، أفرام الديراني - بيروت ١٨٩٩م.
- **تاريخ سورية**، يوسف الدبس - ج٥ - بيروت - ١٩٠٠م.
- **الأديان المعاصرة**، راشد عبد الله الفرحان - ط١ - شركة مطبعة الجذور - الكويت - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

المراجع الأجنبية:

W. Wright. Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum (london, 1871).

Edward Gibbon. The History of the Decline and Fall of the Roman Empire. ed.J.Bury. Vol. V (London. 1898).

A History of Deeds Done Beyond the Sea, Tr. Emily A. Babcock and A.C Krey (New York. 1943).

Fausto (Murhij) Naironi. Dissertation de Origine, Nomineac religione Maronit arum (Rome. 1679).

Pierre Dib, LÉglise Maronite, Vol.l, (Paris, 1930).

Bernard G.Al- Ghaziri. Rone et LÉglise Syrienne-Maronite (paris, 1906).

٧٨ ـ الجزويت

التعريف:

الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوربا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وهي جمعية(*) دينية متعصبة تهدف حالياً إلى القضاء على الدين(*) الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أنشأها قسيس(*) فرنسي يدعى أنياس لايولا في القرون الوسطى، وقد أسهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش، ويقوم عليها الآن مجموعة كبيرة من القسس والرهبان(*).

الأفكار والمعتقدات:

● يلتزم الرهبان الذين ينتمون إليها بالمحافظة على أسرارها وعدم إفشائها ولو لأعضائها.

● يلتزم أعضاؤها كذلك بالمحافظة على سرية تعليماتها والحيلولة دون وصولها إلى أيدي الأجانب بشكل عام والأعداء بشكل خاص.

● بعد طرد هذه الجمعية من كثير من الدول الأوربية، بدأت تستقطب عطف الساسة والمسؤولين من خلال إظهار العداء للدين الإسلامي، والتغلغل في الدول الإسلامية؛ لبث الأفكار الهدامة بين المسلمين من خلال المدارس وتحت غطاء دور الخير والبر.

● تتستر هذه الجمعية خلف أعمال البر، كإنشاء المدارس والمستشفيات في شتى بقاع العالم، وتظهر العطف على المرضى، وتلزم أعضاءها باصطناع التواضع لاستقطاب الناس إليها وإلى الدين النصراني.

ـ تقبل التبرعات وتتفنن في أساليب جمع الأموال، ولكي تنفي عن نفسها مظنة الاكتناز، فإنها تتبرع ببعض الأموال في نفس المكان؛ للإيهام بأن هدفها هو خدمة الفقراء.

ـ يلتزم أعضاء الجمعية(*) بالمحافظة على هيبتها، فلا يختلفون أمام الآخرين، بل يظهرون تماسكهم ورغبتهم في خدمة الآخرين.

ـ عندما يذهب أعضاء الجمعية إلى إحدى المدن لأول مرة، فإنهم يجتنبون المبادرة إلى شراء الأرض، مدة معينة، حتى إذا ما ثبت أن شراء الأرض يُعدُّ ضرورياً، قاموا بالشراء، وغالباً ما يتم شراء الأرض باسم مستعار حتى لا تهتز ثقة الناس في الجمعية.

ـ تعد واردات الجمعية سراً مقدساً، فلا يطلع عليها إلا رئيس الرهبان(*)، وتعد خزانة الجمعية في روما، بجميع محتوياتها، سراً مقدساً كذلك، فلا يجوز إفشاؤه.

● الهدف الأساسي لهذه الجمعية الآن هو القضاء على اتباع الديانات الأخرى، لاسيما الدين(*) الإسلامي، لذلك فإن أعضاءها لا يستنكفون عن استخدام أساليب الاستمالة كافة ووسائل جذب الناس من أجل تنصيرهم.

ـ ولتحقيق هذا الهدف، فإن هذه الجمعية تعمل على كسب ثقة رجال الدولة، وإرضائهم، والإشادة بهم، وغض الطرف عن ممارساتهم غير السوية وأعمالهم غير المستقيمة، وإفهامهم عند الاقتضاء أن الرب قد غفر لهم.

ـ كما تعمل هذه الجمعية على كسب ثقة حكام البلدان التي يمارسون التبشير فيها، فيرسلون إليهم مندوبين على درجة عالية من الذكاء والدهاء والثقافة، ويحرص هؤلاء المندوبون على إيهام أولئك الحكام، أنهم موفدون من قبل بابا روما، وأنهم يحملون إليهم تحياته.

● يتجنب أعضاء الجمعية التكلف في اللباس، ولا يقبلون الهدايا لأنفسهم، بل يحيلونها إلى دير الجمعية القريب من مكان وجودهم، حتى يدخلوا في روع الناس أنهم مخلصون فيزداد العطف على الجمعية.

● يحاول أعضاء الجمعية بجميع الطرق الحيلولة دون إنشاء أو تأسيس أية مدارس بالقرب من مدارس الجمعية، التي تهتم بالرياضة البدنية، وتتفانى في القيام بالعملية التربوية خير قيام، مع معاملة الدارسين معاملة حسنة، حتى يثقوا في هيئة التدريس وما تبثه من أفكار تبشيرية.

● تعمل الجمعية(*) بجميع الطرق الممكنة على كسب ود النساء الأرامل، وإذا كان لإحداهن راهب(*) من غير الجمعية فإنه يتم إبعاده ويستبدل به راهب من الجمعية لإدارة أعمالها بالتدريج.

- ولكي تتم السيطرة التامة على الأرامل: فإن الجمعية ترغبهن في التصدق على الفقراء باسم المسيح(*) ومريم، ويستمر هذا الوضع حتى تنفد جميع أموالهن، وفي سبيل ذلك فإن هذه الجمعية لا تستنكف عن مساعدة هؤلاء الأرامل في إشباع رغباتهن وقضاء وطرهن عند الاقتضاء.

- وإذا كان للأرامل بنات فإنه يتم إقناعهن بالرهبنة أو التربية النصرانية، أما البنون فإنه يتم حثهم على أن يغشوا الأديرة والكنائس(*)، مع إغراقهم في الملذات، والتلميح لهم بأنه لا إثم في العلاقات الجنسية الحرة، كما تيسر لهم سبل الانخراط في معسكرات صيفية يتم فيها إقناعهم بأهمية التربية النصرانية.

● يكرر أعضاء الجمعية زياراتهم للمرضى الميئوس من حالتهم، ويتم تخويفهم من النار وحثهم على التصدق بكل أموالهم للجمعية.

● كل من يخرج على المبادىء الهدامة لهذه الجمعية، يطرد ويتم اجتنابه ويحرم من الامتيازات التي يتمتع بها الأعضاء كافة، ويتم الطرد بوجه خاص، عند تشويه سمعة الجمعية أو إفشاء أسرارها، أو الإضرار بأعضائها، أو الكسل وعدم القيام بالمهام المنوطة به.

● تحاول الجمعية الحصول على الأسرار السياسية والأخبار الموثوقة والخطيرة، وإخبار الحكام بها للفوز بمكانة مرموقة لديهم، تساعدهم على اجتذاب أصحاب الثروات والنفوذ والأسر الكبيرة للجمعية.

● تحافظ الجمعية على هيبتها في نفوس الآخرين، من خلال إفهامهم أنها تأسست على يد الراهب شوواكيم بإلهام إلهي، للحد من انحراف الكنيسة(*) وإعادتها إلى وضعها الطبيعي ونشر دين(*) عيسى في جميع أنحاء العالم، وبذا تبرر مسلكها القديم الذي كانت تبيع فيه صكوك الغفران، وترسم معالم طريقها الجديد الذي تقضي فيه على الإسلام والمسلمين.

ويتضح مما سبق:

أن الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية، تتستر خلف أعمال البر كإنشاء المدارس والمستشفيات وغيرهما لتستقطب الناس للنصرانية، لا سيما المسلمين منهم، وتحاول هذه الفرقة الغوص في أعماق الأسرار السياسية ومد بعض الحكام بها للفوز بمكانة مرموقة لديهم، تمنحهم نفوذاً كبيراً لمباشرة عمليات التبشير، وهو تبشير يعتمد على هدم القيم الدينية ونشر الرذائل والقول بطبيعية العلاقات الجنسية الحرة وإشاعة الأفكار

الهدامة بين المسلمين، ومن ثم جعلهم لبنة هشة تقبل التشكيل الذي يلائم أهداف هذه الفرقة.

أماكن الانتشار:

تتخذ هذه الفرقة من أوربا ككل مركز انطلاق لها، وهي تتركز في البرتغال وإسبانيا، إذ الرغبة في القضاء على كل أثر للإسلام هناك، وفي فرنسا إذ نشأت مقولة الحرية(*) المطلقة في مجال العقيدة، وإيطاليا حيث يوجد بابا(*) الفاتيكان، ومن هذه المرتكزات تمد هذه الفرقة أذرعها صوب التجمعات الإسلامية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوب شرق آسيا وبخاصة في إندونيسيا.

مراجع للتوسع:

- **محاضرات في النصرانية**، دار الفكر العربي ط٤ الشيخ محمد أبو زهرة.
- **دائرة معارف القرن العشرين** لمحمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت ط٤.
- **حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر**، ط١ أحمد عبد الوهاب.
- **التبشير والاستعمار** ط١، عمر فروخ ومصطفى الخالدي.

٧٩ـ المورمون

التعريف:

المورمون طائفة نصرانية جديدة نسبياً منشقة عن النصرانية الأم، تلبس لباس الدعوة إلى دين(*) المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، وتدعو إلى تطهير هذا الدين(*) بالعودة به إلى الأصل أي إلى كتاب اليهود، ذلك أن المسيح ـ في نظرهم ـ قد جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد وليمكنهم من الأرض، إنها ـ كما تسمي نفسها ـ طائفة القديسين المعاصرين لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، نبيها(*) المؤسس هو يوسف سميث وكتابها المقدس هو الكتاب المقدس الحديث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ولد يوسف سميث في ٢٣/ ١٢/ ١٨٠٥م بمدينة شارون بمقاطعة وندسور التابعة لولاية فرمونت. وعندما بلغ العاشرة من عمره رحل مع والده إلى مدينة بالمايرا بمقاطعة أونتاريو التابعة لولاية نيويورك.

ـ في الرابعة عشرة من عمره انتقل مع أهله إلى مانشستر من المقاطعة نفسها.

ـ ولما بلغ الخامسة عشرة وجد الناس حوله منقسمين إلى طوائف:

الميثوديست(*)، والمشيخي(*)، والمعمداني(*).. فشعر باضطراب وقلق.

ـ في ربيع عام ١٨٢٠م ذهب إلى غابة، وأخذ يصلي منفرداً طالباً من الله الهداية، وبينما هو كذلك إذ شاهد ـ كما يزعم ـ نوراً فوق رأسه، تمثل هذا النور في شخصين سماويين هما (الله، وابنه عيسى ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) وقد نهياه عن الانضمام إلى أي من هذه الفرق.

ـ يدعي بأن الوحي(*) قد انقطع عنه، وأنه خضع لاضطهاد عنيف وسخرية من جراء جهره برؤياه هذه، وقد تورط خلال ذلك بزلات طائشة إذ يقول عن نفسه: «وكثيراً ما أدت مخالطتي لشتى البيئات إلى اقتراف زلات طائشة وللاتِّسام بما للشباب من نزق وما للطبيعة البشرية من قصور وقد ورطني ذلك للأسف في ألوان من التجارب والآثام المغضبة لله ولا يتبادر إلى الذهن بسبب هذا الاعتراف أني ارتكبت إثماً فظيعاً أو وزراً منكراً، فما كان بي نزوع قط إلى مثل هذه الأوزار أو تلك الآثام» **شهادة يوسف ص ٧**.

ـ كما يدعي أنه في مساء ٢١ سبتمبر ١٨٢٣م نزل عليه ملاك من السماء اسمه موروني وأخبره بأنه قد أعده لمهمة ينبغي عليه إنجازها، وأخبره عن كتاب نقشت عليه كلمات على صحائف من الذهب تروي أخبار القوم الذين استوطنوا القارة الأمريكية في الأزمنة الغابرة، وتاريخ السلف الذين انحدروا منهم، وأنبأه عن حجرين في قوسين من الفضة لترجمة الكتاب، وغادره هذا الملاك بعد أن نهاه عن إظهار أحد من الناس على هذه الصحف.

ـ في ١٨ يناير ١٨٢٧م تزوج من فتاة اسمها إيما هيل، فكان له من حميه فيما بعد سند قوي أعانه على نشر فكرته، وذلك لما تتمتع به هذه الأسرة من مكانة طيبة.

ـ في ٢٢ سبتمبر ١٨٢٧م تسلم الصحف ـ كما يزعم ـ متعهداً بإعادتها بعد نهوضه بالمطلوب.

ـ رحل عن مقاطعة مانشستر الأمريكية وذهب إلى حيث حموه في مقاطعة سوسكويهانا بولاية بنسلفانيا، واستوطن مدينة هارموني.

ـ شرع في الترجمة بمساعدة مارتن هاريس الذي أخذ بعض الحروف وشيئاً من الترجمة وعرض ذلك على الأستاذ تشارلز آنثون، والدكتور ميتشيل فأقرا بأن ما رأياه إنما هو ترجمة عن اللغة المصرية القديمة، وأن الأصل إنما يتألف من حروف مصرية قديمة، وحروف كلدانية، وحروف آشورية، وحروف عربية.

ـ في ٢٥ مايو ١٨٢٥م ذهب مع أوليفر كودري للصلاة في الغابة إذ زعما أنه هبط عليهما يوحنا المعمدان (أي نبي(*) الله يحيى، عليه الصلاة والسلام،) وأمرهما بأن يعمد(*) كل منهما الآخر، وأخبرهما بأنه قد جاء إليهما تنفيذاً لأمر بطرس ويعقوب، ورسَّمهما لرعاية الكنيسة(*) المورمونية.

ـ يدعي كل من أوليفر كودري، وداود ويتمر، ومارتن هاريس أنهم قد شاهدوا الصحف وأنهم يشهدون على صحة الترجمة ودقتها وبأن هذا الكتاب إنما هو سجل لقوم نافي ولإخوتهم اللامانيين.

ـ أعلن في عام ١٨٣٠م وبحضور عدد من الشخصيات عن تأسيس كنيسة يسوع المسيح(*) لقديسي الأيام الأخيرة.

ـ رحل يوسف سميث وأتباعه عن نيويورك إلى مدينة كيرتلاند المجاورة لمدينة كليفلاند بولاية أوهايو إذ شيَّد هيكلاً عظيماً، كما أنه قام بعمل تبشيري واسع النطاق في تلك المنطقة وما جاورها.

ـ بعث بإحدى الإرساليات إلى ولاية ميسوري للتبشير ولاكتساب المؤيدين.

- تعرضوا للاضطهاد فتنازلوا عن منازلهم ومزارعهم ورحلوا إلى ولاية إلينوي إذ اشتروا المستنقعات الشاسعة المهجورة على شاطىء المسيسيبي وقاموا بإصلاحها وبنوا مدينة نوفو أي الجديدة.

- سجن يوسف سميث وأخوه هايرم في مدينة كارسيج بولاية إلينوي؛ لاتهامات ضدهما، وبينما هما في السجن دخل عليهما مسلحان مقنعان فقتلاهما بالرصاص. وقد حدث ذلك في ٢٧ يونيو ١٨٤٤م فانتهت بذلك حياة هذا النبي(*) المزعوم.

● آلت رئاسة الحركة(*) والنبوة(*) بعده إلى بريجام يونج الذي رحل بالقوم إلى جبال روكي إذ حدد لهم مكان إقامتهم فبنوا مدينة سولت ليك، وقد خطط الهجرات إلى يوتاه إذ كان بينهم آلاف البريطانيين والإسكندنافيين، كما يعد يونج مسؤولاً عن هذه الرحلة المأساوية والتي حدثت عام ١٨٥٦م إذ مات أثناءها أكثر من مائتي شخص من أتباعه.

- رؤساء الكنيسة(*) هم الأنبياء، فقد تتابع هؤلاء الأنبياء - بزعمهم - وآخرهم سبنسر كيمبل وقد زاد عدد أعضاء هذه الطائفة إذ بلغوا خمسة ملايين شخص تقريباً ولا يزالون في نمو وازدياد.

● هناك أقلية من المورمون لم توافق على سيطرة يونج بعد موت يوسف سميث، فقد بقي هؤلاء في إلينوي مؤسسين - بالتعاون مع إيما سميث الزوجة الأولى لنبيهم ومع ابن سميث جوزيف - كنيسة يسوع المسيح(*) للقديسين المعاصرين المعاد تنظيمها، ومركزها ميسوري، تنفيذاً لوصية النبي المؤسس الذي قال لهم: إن صهيون ستكون فيها. وقامت كذلك فئات أخرى منشقة، كل منها تدعي بأنها قد تلقت صحفاً فيها كتب قديمة مقدسة.

● أوليفر كودري، ومارتن هاريس، كانا ممن شارك في مرحلة التأسيس وتلقيا الوحي(*) المزعوم.

وتتابع أنبياؤهم(*) الذين هم رؤساء الكنيسة على النحو التالي:

- يوسف سميث.
- بريجام يونج.
- جون تيلور.
- ويلفورد وودروف.
- لورينزو سنو.
- هيبر جرانت.
- جورج البرت سميث.
- داود مكاي.

ـ يوسف فليدنج سميث.
ـ هارولد لي
ـ وأخيراً سبنسر كيمبل الذي لا يزال نبياً ورئيساً لهم إلى الآن.

● يرد في كتبهم اسم: إلما، يارد، لحي، إنهم أنبياء في كتاب **المورمون**.
● لهم شخصيات بارزة في مجلس الشيوخ الأمريكي ومجلس النواب.

الأفكار والمعتقدات:

● الكتب المقدسة لديهم اليوم:

ـ **الكتاب المقدس**: يعتقدون بأنه مجموعة من كتابات مقدسة تحتوي على رؤى الله للإنسان، وأنها مخطوطات تتناول قروناً كثيرة منذ أيام آدم حتى الوقت الذي عاش فيه المسيح(*) وقد كتبها أنبياء كثيرون ـ على زعمهم ـ عاشوا في أزمنة مختلفة، وهو ينقسم إلى قسمين:

١ ـ **العهد القديم**(*): فيه كثير من النبوءات التي تنبأت بقدوم المسيح.
٢ ـ **العهد الجديد**(*): يروي حياة المسيح وتأسيس الكنيسة(*) في ذلك اليوم.

ـ **كتاب المورمون**: هو سجل مقدس لبعض الناس الذين عاشوا في قارة أمريكا بين ٢٠٠٠ق.م إلى ٤٠٠ بعد الميلاد، وهو يروي قصة زيارة يسوع المسيح لشعب القارة الأمريكية بعد قيامه من الموت مباشرة (كما يعتقدون). وهذا الكتاب يعدّ الحجر الأساسي لديهم، وإن الإنسان المورموني يتقرب إلى الله بطاعة تعاليمه، وقد قام يوسف سميث بترجمته إلى اللغة الإنجليزية بموهبة الله وقوته، وقد نزل به ملاك من السماء اسمه (موروني) على يوسف سميث.

ـ **كتاب المبادىء والعهود**: هو مجموعة من الرؤى الحديثة التي تخصّ كنيسة يسوع المسيح كما أعيدت إلى أصلها في هذه الأيام الأخيرة، وهو يوضح تنظيم الكنيسة وأعمالها ووظائفها، وفيه نبوءات عن حوادث ستأتي، وفيه أجزاء فيها معلومات مفقودة لمئات السنين، وفيه تعاليم الكتاب المقدس.

ـ **الخريدة النفيسة**: يحتوي على:

١ ـ **سفر(*) موسى**: فيه بعض رؤى موسى وكتاباته كما كُشفت ليوسف سميث في عام ١٨٣٠م.

٢ ـ **سفر إبراهيم**: ترجمة يوسف سميث من درج بردي مأخوذ من مقابر المصريين القدماء.

٣ ـ **كتابات يوسف سميث ذاته**: تحتوي على جزء من ترجمة الكتب المقدسة ومختارات من تاريخ الكنيسة(*) المورمونية وبنود الإيمان لديهم ورؤية المملكة السماوية.

٤ ـ **رؤية فداء الأموات**: وهي تروي زيارة يسوع المسيح(*) للعالم الروحي، وهي رؤية أعطيت للرئيس يوسف سميث في ٣ أكتوبر ١٩١٨م.

ـ إضافة إلى الكتب الأربعة السابقة فإن كلمات الوحي(*) والرؤى التي يذكرها أنبياؤهم تصبح كتباً مقدسة، وكل النشرات والتعاليم وقرارات المؤتمرات كلها تعد كتباً مقدسة، أيضاً.

● بنود الإيمان لديهم: كما وضعها يوسف سميث ذاته:

ـ الإيمان بالله، الأب(*) الأزلي، وبابنه(*) يسوع المسيح، وبالروح القدس(*).

ـ الإيمان بأن البشر سيعاقبون من أجل خطاياهم، وليس بسبب تعدي آدم.

ـ الإيمان بأن جميع البشر يستطيعون أن يخلصوا عن طريق كفارة المسيح وذلك بإطاعة شرائع الإنجيل(*) ومراسيمه.

ـ الإيمان بأن المبادىء والمراسم الأربعة للإنجيل هي:

١ ـ الايمان بالرب يسوع المسيح.

٢ ـ التوبة.

٣ ـ العماد(*) بالتغطيس لغفران الخطايا.

٤ ـ وضع الأيدي لموهبة الروح القدس(*).

ـ الإيمان بأن الإنسان يجب أن يدعى من الله عن طريق النبوة(*) ووضع الأيدي على يد هؤلاء الذين لهم السلطة لكي يبشر بالإنجيل(*) ويقوم بالمراسيم المتعلقة به.

ـ الإيمان بنفس التنظيم الذي قامت عليه الكنيسة(*) القديمة، أي: الرسل(*) والأنبياء والرعاة والمعلمين والمبشرين.. ألخ.

ـ الإيمان بموهبة الألسن والنبوة والرؤيا والأحلام والشفاء وتفسير الألسن.

ـ الإيمان بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله بقدر ما ترجم صحيحاً، والإيمان بأن كتاب المورمون هو كلمة الله.

ـ الإيمان بكل ما كشفه الله وبما يكشفه الآن، وبأنه سيظل يكشف أموراً كثيرة عظيمة تتعلق بملكوت الله.

ـ الإيمان بتجمع إسرائيل واستعادة القبائل العشر، وأن دولة صهيون (أورشليم الجديدة) ستؤسس على القارة الأمريكية وأن المسيح(*) سيحلُّ شخصياً على الأرض، وأن

الأرض ستتجدد وتتسلم مجدها الفردوسي.

ـ يدَّعون امتياز عبادتهم لله القوي طبقاً لما يمليه عليهم ضميرهم كما يسمحون لجميع البشر بهذا الامتياز، فليعبدوا ما يريدون وكيف يريدون وأين يريدون.

ـ الإيمان بأنه يجب عليهم الخضوع للملوك والرؤساء والحكام وأصحاب السلطة القضائية، كما يؤمنون بأنه يجب عليهم إطاعة القانون واحترامه وتعضيده.

ـ الإيمان بأنه يجب عليهم أن يكونوا أمناء وصادقين وأطهاراً ومحسنين وأصحاب فضيلة، وأن يعملوا الخير لكل البشر، وهم يسعون وراء كل شيء ذي فضيلة ومحبوب ويستحق التقدير أو المدح.

● **مراتبهم الدينية والتنظيمية:**

ـ ينقسم الكهنوت لديهم إلى قسمين:

١ ـ كهنوت ملكي صادق: وهو أعظم كهنوت إذ يملك التوجيه والتبشير بالإنجيل(*) كما يملك سلطة قيادة الكنيسة(*).

٢ ـ كهنوت هارون: وهو الكهنوت الذي منح لهارون ولأولاده خلال جميع الأجيال، وأصحاب هذا الكهنوت يقومون بمراسم الإيمان والتوبة والتعميد(*).

● **خلاصة أفكارهم:**

● يعتقدون أن الله هو على شكل إنسان له لحم وعظام وبداخل جسده الملموس روح أزلية. كما يؤكدون على أن الإله(*) متطور عن الإنسان، والناس يمكنهم أن يتطوروا إلى آلهة ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● الإنسان ـ كروح ـ ولد من والدين سماويين، وقد بقي هذا الإنسان في منازل الأب(*) الأبدية قبل المجيء إلى الأرض في جسد مادي، كما أن المسيح(*) هو الروح الأول، فهو بذلك الابن الأكبر.

● يسوع المسيح(*) هو الذي خلق الأرض وكل ما فيها، وخلق كذلك عوالم أخرى بتوجيه من أبيه السماوي. ثم خلق بعد ذلك الحيوانات.

● المسيح، عليه الصلاة والسلام: أمه مريم العذراء التي كانت مخطوبة لشخص اسمه يوسف، وقد حلّ عليها الروح القدس وقوة العلي ظللتها، وولدها هو ابن الله(*)، وقد جاء الولد وارثاً لسلطة إلهية من أبيه، ووارثاً الفناء من أمه.

● قام يوحنا المعمدان بتعميده(*) وهو في الثلاثين من عمره، وقد صام أربعين يوماً ليحارب الشيطان، كما أنه قد ظهرت على يديه معجزات.

● إن المسيح قد ضُرِبَ، وعُذِّبَ، ومن ثم صُلِبَ، ليسجل انتصاره على الخطيئة، وقد استودع روحه بين يدي أبيه، وقد ظل جسده ثلاثة أيام في القبر، ثم عادت إليه روحه فقام متغلباً على الموت.

● بعد قيامه بقليل ظهر في أمريكا، وأسس كنيسته، ثم صعد إلى السماء. وقد دخلت الوثنية(*) إلى العقيدة المسيحية(*) كما حارب رجال الدين بعضهم بعضاً مما استوجب نزول المسيح مرة أخرى مع الله وهبوطهما على يوسف سميث بغية إعادتها إلى الأرض مرة أخرى كما كانت في الأصل.

● حواء ابنة مختارة أعطيت لآدم، وسمح لهما بالأكل من كل الأشجار عدا شجرة معرفة الخير والشر، وقد أغراهما الشيطان فأكلا منها فأصبحا فانيين يشتغلان وينجبان.

● الروح القدس(*): عضو في الهيئة الإلهية، وله جسد من الروح في شكل إنسان، وهو يوجد في مكان واحد فقط في الوقت نفسه إلا أن نفوذه يصل إلى كل مكان.

● النبي(*) رجل دعاه الله ليمثله على الأرض ويتكلم بالنيابة عنه، والنبوة لديهم مستمرة لا تنقطع.

● التعميد: ترمز المعمودية إلى الموت والقيامة وذلك بأن ينزل رجل الدين إلى الماء مع الشخص الذي يريد تعميده، فيغطسه في الماء ثم يخرجه، وبذا تنتهي الحياة الخاطئة وتبدأ الحياة الجديدة، وهي تسمى الميلاد الثاني.

● القربان: كانت القرابين قبل المسيح(*) تقدم على شكل ذبائح من الحيوانات، لكن كفارة المسيح بقتله أنهت هذا النوع من القرابين، وصارت عبارة عن خبز ونبيذ مصحوبة بالصلوات. وخلال رؤية حديثة لقديسي الأيام الأخيرة جعلوها خبزاً وماءً.

● يقدسون يوم السبت لأن الله استراح فيه بعد انتهائه من خلق الكون ولقد كان قيام المسيح بعد صلبه في يوم الأحد الذي صار محل تقديس عوضاً عن يوم السبت.

● الصوم: هو الامتناع عن الطعام والشراب مدة أكلتين متتابعتين وبذلك يصوم الشخص أربعاً وعشرين ساعة. فإذا أكل أحدهم العشاء فلا يجوز له أن يأكل مرة ثانية حتى العشاء الآخر. كما يقدم الصائم للقائد الكهنوتي إما مالاً أو طعاماً مساوياً لطعام الوجبتين وهذا يسمى بعطاء الصوم.

● يحرمون شرب النبيذ، والمسكرات الكحولية والتبغ والدخان بكل أنواعه، ويمتنعون عن شرب القهوة والشاي لما يحتويان عليه من عقاقير مضرة. ويحذرون من تناول المرطبات وما فيها من مشروبات الصودا والمشروبات الفوارة والمياه الغازية، والكولا

أشدها خطراً. وينبهون إلى عدم الإسراف في أكل اللحم من دون تحريم، ويبيحون تناول الفواكه والخضر والبقول والغلال مركزين على القمح بخاصة، لاعتقادهم بأنه نافع لجسم الإنسان، ويؤدي إلى المحافظة على صحته وقوامه. وجدير بالذكر أن يوسف سميث كان يرقص ويشرب الخمر ويشترك في المصارعة، وقد كتب يقول: «خلق الإنسان ليتمتع بحياته».

● يبيحون تعدد الزوجات ويجيزون للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء؛ لأن في ذلك إعادة لما شرعه الله في الأزمان الغابرة. ولا يسمحون بذلك إلا لذوي الأخلاق(*) العالية على أن يثبتوا قدرة على إعالة أكثر من أسرة. وقد مارس يوسف سميث هذا التعدد. كما استمرت هذه العادة حتى عام ١٨٩٠م.

● تخلوا عن التعدد ـ ظاهرياً ـ في عهد نبيهم(*) ولفورد نتيجة للضغط الشديد الذي قوبلوا به من الطوائف الأخرى، وكذلك بغية تمكنهم من الانضمام إلى السلطات الاتحادية. وعلى الرغم من التحريم الرسمي العلني إلا أنهم يمارسون التعدد سراً.

● يحرمون الزنى تحريماً مطلقاً، والذي يخطىء يمكنه التوبة والرجوع عن جميع خطاياه.

● يجب على كل فرد أن يدفع عُشر النقود التي يكسبها على أن يكون ذلك مصحوباً بالفرح والسرور.

● يدفعون عطاء الصوم، ويدفعون اشتراكات مختلفة وعطايا لغير ما سبب، فكنيستهم(*) بذلك من الكنائس الغنية الموسرة.

● **من علامات القيامة:**

ـ الشرور والحروب والاضطرابات.

ـ استعادة الإنجيل.

ـ بزوغ كتاب **المورمون**.

ـ اللامانيون يصبحون شعباً عظيماً.

ـ بناء أورشليم الجديدة في ولاية ميسوري.

ـ بيت إسرائيل يصبح شعب الله المختار.

● بعد الحساب هناك عدة ممالك:

ـ المملكة السماوية: للذين تسلموا شهادة يسوع وآمنوا باسمه وتعمدوا(*).

ـ المملكة الأرضية: للذين رفضوا الإنجيل(*) على الأرض، ولكنهم تسلموه في العالم الروحي.

ـ المملكة السفلية: للذين لم يتسلموا الإنجيل(*) ولا شهادة يسوع سواء على الأرض أو في العالم الروحي، ومع هؤلاء يكون الزناة والفجار.

ـ الظلمة الخارجية: للذين شهدوا ليسوع بالروح القدس(*) وعرفوا قوة الرب، لكنهم سمحوا للشيطان بأن يتغلب عليهم فينكروا الحق ويَتَحَدوا قوة الرب.

● يؤمنون بالعهد الألفي السعيد الذي يدوم ألف سنة من تاريخ مجيء المسيح إلى الأرض إذ يقوم كثير من الأموات، وبعضهم يختطف للقائه عندما ينزل، وهي القيامة الأولى. أما الأشرار فيهلكون في الأجساد ويبقون كذلك مع الأشرار من الأموات حتى انتهاء ألف السنة إذ تأتي القيامة الآخرة.

ـ في فترة ألف السنة هذه تسود المحبة والسلام، ويملك يسوع شخصياً، وتجتمع الأرض في مكان واحد، فلن يكون هناك قارات مختلفة، وينمو الأطفال بدون خطيئة.

ـ لن يكون هناك موت: لأن الناس سيتغيرون من حالتهم الفانية إلى حياة الخلود في لحظة.

ـ في نهاية العهد الألفي سيطلق سراح الشيطان لمدة قصيرة، وتحدث معركة بين أتباع الأنبياء(*) وأتباع الشيطان. وعندها ينتصر المؤمنون ويطرد الشيطان إلى الأبد مدحوراً.

● **المورمون واليهود:**

ـ مما لا شك فيه أن لليهود دوراً فعالاً ونشيطاً في حركة المورمون ولذلك فهم:

ـ يعتقدون بأن الله أعطى وعده لإبراهيم، ومن ثم لابنه يعقوب بأنه من ذريته سيكون شعب الله المختار.

ـ وأن يعقوب الذي اسمه (إسرائيل) رزق باثني عشر ابناً يعرفون بالأسباط.

ـ وأن هؤلاء الأنبياء ارتكبوا الشرور فبددهم الله في الأرض منقسمين إلى مملكتين:

١ ـ المملكة الشمالية: وتسمى إسرائيل إذ عاش فيها عشرة أسباط.

٢ ـ المملكة الجنوبية: وتسمى مملكة يهوذا إذ عاش فيها سبطان فقط.

ـ الأسباط الشماليون هزموا في معركة ودفعوا إلى السبي، وقد هرب بعضهم وتاهوا في البلاد.

ـ بعد مائة عام انهزمت المملكة الجنوبية حوالي عام ٦٠٠ق.م. عندها ترك لحي وعائلته أورشليم مستقرين في القارة الأمريكية فكان منهم النافيون وكذلك اللامانيون الذين يعتبرون من سلالة لحي. وقد هدمت أورشليم عام ٥٨٦ق.م.

ـ سبطا إسرائيل اللذان بقيا أُخِذا أسيرين، كما أعيد بناء أورشليم بعد المسيح، إلا أن

الجنود الرومانيين قد خربوها مرة ثانية.

ـ يصرحون بأنه في هذا الزمان قد وعد الرب بأنه سيجمع بني إسرائيل ليتعلموا الإنجيل(*)، كما أن موسى النبي قد نزل على يوسف سميث عام ١٨٣٦م وأعطاه سلطة جمع بيت إسرائيل في هيكل كيرتلاند.

ـ بيت إسرائيل الآن في طريقه إلى الجمع إذ إن آلافاً من الناس ينضمون إلى الكنيسة(*) سنوياً من الإسرائيليين الذين ينتمون إلى عائلة إبراهيم ويعقوب إما بعلاقة الدم أو بعلاقة التبني حسب ادعاءاتهم.

ـ سيجمع سبطا أفرايم ومنسي في أرض أمريكا، وسيعود سبط يهوذا إلى أورشليم كما أن الأسباط العشرة المفقودة ستتسلم البركات التي وعدت بها من سبط أفرايم في أمريكا.

ـ الإسرائيليون المشتتون في كل دولة يدعون للتجمع في حظيرة المسيح(*) في أوتاد صهيون.

ـ هذا التجمع الحرفي لإسرائيل لن يتم حتى المجيء الثاني للمخلص كما يزعمون.

ـ ستكون هناك عاصمتان في العالم: الأولى في أورشليم والثانية في أمريكا؛ لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تخرج كلمة الرب.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لليهود دور في نشوء هذه الطائفة تعزيزاً للانشقاق داخل الكنائس المسيحية بغية السيطرة عليها.

● كتاب **المورمون** يشبه التلمود في كل شيء، ويحاكيه وكأنه نسخة طبق الأصل عنه.

● إن إسرائيل قد جندت كل إمكاناتها لخدمة هذه الطائفة عاملة على استمرارية العون والمساندة النصرانية لها.

● يعملون على ربط صهيون أو القدس الجديدة بالأرض الأمريكية المقدسة ـ حسب وصايا الرب ـ انتظاراً لعودة المسيح(*) الذي سيعود ليملك الأرض ويملأها جنات خالدات.

● يقولون عن فلسطين في كتاب **المورمون** في الإصحاح العاشر الفقرة ٣١ «فاستيقظي وانتفضي من الثرى يا أورشليم، نعم.. والبسي حللك الجميلة يا ابنة صهيون، ووسعي حدودك إلى الأبد، لكي لا تعودي مغلوبة، ولكي تتحقق عهود الآب(*) الأزلية التي قطعها معك، يا بيت إسرائيل».

● يقولون في الإصحاح الرابع عشر فقرة ٦ مخاطبين المورمون: «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت لتمزقكم».

● نلاحظ تعانق الفكر الصليبي مع الفكر الصهيوني في نظرتهم إلى فلسطين، إنهم يقولون ذلك منذ عام ١٨٢٥م يوم كانت فلسطين لا تزال جزءاً من أرض الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● آمن بفكرة المورمون كثير من النصارى، وكان دعاتها من الشباب المتحمس، وقد بلغ عدد أفرادها أكثر من خمسة ملايين نسمة، ثمانون بالمائة منهم في الولايات المتحدة الأمريكية ويتمركزون في ولاية يوتاه إذ إن ٦٨٪ من سكان هذه الولاية منهم، و٦٢٪ من سكان مقاطعة البحيرات المالحة مسجلون كأعضاء في هذه الكنيسة[*] ومركزهم الرئيسي في ولاية يوتاه الأمريكية.

● انتشروا في الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا الجنوبية، وكندا، وأوربا، كما أن لهم في معظم أنحاء العالم فروعاً ومكاتب ومراكز لنشر أفكارهم ومعتقداتهم.

● إنهم يوزعون كتبهم مجاناً، ودعوتهم تأتي خدمة لمصلحة إسرائيل وتأكيداً لأهدافها المرسومة. ولهم ١٧٥ إرسالية تنصيرية، كما أنهم يملكون:

ـ شبكة تلفزيونية، وإحدى عشرة محطة إذاعية.

ـ ويملكون مجلة شهرية بالإسبانية، وصحيفة يومية واحدة.

ـ ويملكون مركزاً متطوراً جداً للمعلومات في مدينة سولت ليك في ولاية يوتاه الأمريكية.

ويتضح مما سبق:

أن المورمون طائفة نصرانية جديدة نسبياً، انشقت عن النصرانية، وتدعو إلى التمسك بالكتب اليهودية **وكتاب المورمون وكتاب المبادىء والعهود** وغيرها، ويدعون إلى الإيمان بالمسيح الذي جاء ـ في نظرهم ـ لينقذ اليهود من الاضطهاد، والإيمان بأن المبادىء والمراسم الأربعة للإنجيل[*] هي: الإيمان بالرب يسوع المسيح[*] كما يقولون، والتوبة والعماد[*] بالتغطيس لغفران الخطايا، ووضع الأيدي لموهبة الروح القدس[*]. ويصل شركهم إلى مداه عندما يقولون إنهم يعتقدون أن الله تعالى هو على شكل إنسان له لحم وعظام وبداخل جسده الملموس روح أزلية، كما أن البشر عندهم هم أبناء وبنات الله، ومن هنا يجب حذر المسلمين من أفكارهم.

مراجع للتوسع:

- هناك نشرات توزعها كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة بمدينة سولت ليك بولاية يوتاه في الولايات المتحدة الأمريكية ومنها:

The Church of Jesus Christ of Latter day Saints

● ومن نشراتهم باللغة العربية ما يلي:

- **مبادىء الإنجيل.**
- **دليل الشعبة.**
- **دليل القائد الكهنوتي.**
- **كلمة الحكمة.**
- **شهادة يوسف سميث.**
- **دليل العائلة.**
- **ماذا عن المورمون - طبع الولايات المتحدة.**
- **مقال عن المورمون في مجلة الأمة عدد ٢٢ شوال ١٤٠٢ هـ/ آب ١٩٨٢م.**
- **مقال في الموسوعة البريطانية عن المورمون.**
- **ولهم كذلك نشرات باللغة الإنجليزية هي:**

Succession in the Presidency.
W.H.Y. Famillies?
A Family home evening program suggested by the church of Jesus Christ of latter-day saints.
The Mormons and the Jewish people.
The Lords Day.
What the Mormons think of Christ.
Aword of Wisdom. Mark E. Perersen.
Baptism. How and by Whom administered?

٨٠ـ شهود يَهْوَه

التعريف:

هي منظمة عالمية دينية وسياسية، تقوم على سرية التنظيم(*) وعلنية الفكرة، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتدعي أنها مسيحية(*)، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم، وهي تعرف باسم (جمعية العالم الجديد) إلى جانب (شهود يهوه) الذي عرفت به ابتداء من سنة ١٩٣١م وقد اعترف بها رسمياً في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة ١٨٨٤م.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسها سنة ١٨٧٤م الراهب(*) تشارلز راسل ١٨٦٢ ـ ١٩١٦م وكانت تعرف آنذاك باسم مذهب(*) الراسلية أو الراسليين نسبة إلى مؤسسها كما عرفت باسم (الدارسون الجدد للإنجيل)(*). وعرفت بعد ذلك باسم (جمعية(*) برج المراقبة والتوراة(*) والكراريس Watch Tower Bible and Tract Saciety) ثم استقر الأمر أخيراً وعرفت باسم يهوه(*) نسبة إلى يَهْوَه إلٰه بني إسرائيل على ما تردد توراتهم، (راجع سفر الخروج ٦: ٢ ـ ٤) «وكلم الله موسى قال له أنا الرب. أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلها قادراً على كل شيء وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم».

● ثم خلفه في رئاسة المنظمة فرانكلين رذرفورد ١٨٦٩ ـ ١٩٤٢م الذي ألف سنة ١٩١٧م كتاب **سقوط بابل** ويرمز ببابل لكل الأنظمة الموجودة في العالم.

● ثم جاء نارثان هرمر كنور ١٩٠٥م وفي عهده أصبحت المنظمة دولة داخل الدولة كما يقال.

الأفكار والمعتقدات:

● إشاعة الفوضى الخلقية والتحلل من جميع الفضائل الإنسانية التي حثت عليها التعاليم الدينية.

● يؤمنون بيهوه(*) إلهاً(*) لهم وبعيسى رئيساً لمملكة الله.

● يؤمنون **بالكتاب المقدس** للنصارى، ولكنهم يفسرونه حسب مصالحهم.

● الطاعة العمياء لرؤسائهم.

● يستغلون اسم المسيح(*) **والكتاب المقدس** للوصول إلى هدفهم وهو: إقامة دولة دينية دنيوية للسيطرة على العالم.

● تهيئة النفوس لإقامة الدولة اليهودية الكبرى.

● نفي الحساب والعقاب في الآخرة فلا إثم على من يقترف ذنباً أو معصية في دنياه.

● لا يؤمنون بالآخرة ولا بجهنم، ويعتقدون بأن الجنة ستكون في الدنيا في مملكتهم.

● يعتقدون بقرب قيام حرب تحريرية يقودها عيسى، وهم جنوده يزيحون بها جميع حكام الأرض.

● يقتطفون من **الكتاب المقدس** الأجزاء التي تحبب إسرائيل واليهود إلى الناس ويقومون بنشرها.

● لا يؤمنون بالروح وبخلودها، ولهم معابد خاصة بهم يسمونها القاعة الملكية أو بيت الرب.

● الأخوة الإنسانية مقتصرة عليهم دون سواهم من البشر.

● يعادون النظم الوضعية ويدعون إلى التمرد، ويعادون الأديان(*) إلا اليهودية، وجميع رؤسائهم يهود.

● إشاعة الفوضى العالمية بتحريض الشعوب على التمرد على حكوماتهم وشق عصا الطاعة عليها ومقاطعة جميع النشاطات الرسمية في الدولة، ويبررون ذلك بما جاء في كتابهم الأخضر «ليكن الله صادقاً بأنهم سفراء الله في ملكوته المقدس»، ومن ثمَّ فهم يتمتعون بحصانة تعفيهم من الخضوع للحكومات المدنية أيا كانت مقوماتها.

● يعترفون بقداسة الكتب التي تعترف بها اليهودية وتقدسها وهي ١٩ كتاباً.

● يقولون بالتثليث(*) ويفسرونه بـ(يهوه(*)، الابن(*)، الروح القدس(*)).

● يمر العضو فيها بمراحل معقدة، ويخضع الالتحاق بها إلى شروط قاسية، وتنتظم عضوية جمعية شهود يهوه ثلاث مراتب:

ـ أعضاء الرجاء السماوي: وهم أعضاء الإدارة العليا ويرأسهم العبد العظيم أو الحكيم ويعرف مقره ببيت «إيل» أي بيت الله.

ـ صف جلعاد أو الرجاء الأرضي: ويشمل من الأعضاء الرواد والمعاونين ونظار

المناطق، وهؤلاء هم أعضاء الإدارة التنفيذية.

- المبشرون: ويعرف أعضاؤها بالخدم، وتضم هذه المرتبة الشهود وهم الأعضاء المكلفون بتوزيع مطبوعات الجمعية ورسائلها.

● **شعاراتهم ورموزهم:**

- تبني المينورا وهي الشمعدان السباعي الذي هو رمز اليهود الديني والوطني.
- تبني النجمة السداسية وهي رمز لليهود كذلك.
- تبني اسم يهوه(*) ويكتبونه بالعبرية وهو «الإله(*)» عند اليهود.

● **من كتب المنظمة:**

- تنطق باسمهم مجلة كانت تصدر تحت اسم **برج مراقبة صهيون** ثم عدلوها إلى: **برج المراقبة** لإخفاء كلمة صهيون.
- هذا الخبر الجيد عن المملكة (المقصود مملكتهم المأمولة).
- الأساس في الإيمان بعالم جديد.
- لقد اقترب علاج الأمم.
- العيش بأمل نظام عادل جديد.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يمكن اعتبارهم فرقة مسيحية(*) منفردة بفهم خاص، إلا أنهم واقعون تحت سيطرة اليهود بشكل واضح، ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة ويعملون لأهداف اليهود.

● تأثروا بأفكار الفلاسفة القدامى واليونانيين منهم بخاصة.

● لهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية.

● لهم علاقة تعاون مع المنظمات التبشيرية والمنظمات الشيوعية والاشتراكية الدولية.

● لهم علاقة كبيرة مع أهل النفوذ من اليونانيين والأرمن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لا تكاد تخلو دولة في العالم من نشاط لهذه المنظمة السرية الخطرة.

● مركزهم الرئيسي في أمريكا - حي بروكلين بنيويورك: 124 Columbia Heights. Brooklyn
1. New York - U.S.A

● وصل عدد البلدان التي يزاولون فيها نشاطهم سنة ١٩٥٥م إلى ١٥٨ دولة، وكان عددهم آنذاك ٦٣٢٩٢٩ عضواً وعدد دعاتهم ١٨١٤ داعية فكم يكون إذن عددهم الآن؟ وقد فطنت بعض الدول إلى خطورتهم فمنعت نشاطهم وتعقبتهم، ومن هذه الدول: سنغافورة، لبنان، ساحل العاج، الفلبين، العراق، النرويج، الكاميرون، الصين، تركيا، سويسرا، رومانيا، هولندا. . ولا يزالون ينشطون في هذه الدول بطريقتهم الخاصة السرية. أما في إفريقيا والدول الإسلامية فغالباً ما يكون نشاطهم بالتعاون مع المنظمات التبشيرية.

● **طريقتهم في العمل:**

يرون أنه ثبت بالدليل أن عدداً كبيراً من الناس لا يحضرون إلى المعابد، وأن أكثر من نصف الناس في بعض البلدان لا ينتمون إلى طائفة من الطوائف الدينية، وأن ملايين من المنتمين إلى الطوائف الدينية لا يحضرون عبادتهم ولا يريدون أن يستمعوا إلى رجال الدين. فعملت شهود يهوه على أن تخفي نفسها تحت أستار أنها فرقة مسيحية(*) ، تطوف بالبيوت والمقاهي والأندية العامة والطرقات، حاملة الكتب والمنشورات، تعرض فيها تعاليمها بحماسة مدعية أنها حاملة رسالة دين(*) جديد، يجمع تحت لوائه أهل الأديان(*) كافة، تتظاهر بعدم معاداة أحد أو أية طائفة من الطوائف. كما عملت على عدم الاحتفاظ بأسماء أعضائها واكتفت فقط بحفظ ناشري مطبوعاتها ونشراتها، وعملت، أيضاً، على عدم الإعلان عمن يساعدها بالأموال في أداء مهامها.

● يصدرون آلاف الكتب والنشرات والصحف، ويوزعونها مجاناً مما يدل على قوة رصيدهم المالي.

● لهم مدارس خاصة بهم ومزارع ودور صحافة ودور نشر. . ولكل منها إدارة خاصة بها.

● لهم مكاتب للترجمة والتأليف ولجان دينية عليا لتفسير الكتاب المقدس وفق مصلحتهم.

● لهم تعاون كبير مع المنظمات المماثلة التي تعمل لصالح اليهود.

● تستفيد هذه المنظمة من أعضائها في أعمال الاستخبارات والجاسوسية والدعاية.

ويتضح مما سبق:

إن منظمة شهود يهوه تدعي المسيحية(*) وتوالي اليهودية وتعادي الإسلام. وهي من المنظمات المشبوهة التي يلزم وقف نشاطاتها في أي بلد إسلامي ـ إن وجد ـ وعدم السماح بتداول مطبوعاتها ومجلاتها تحت أي مسمى كان، ويكفي أن علاقتهم وطيدة بإسرائيل وأن روابطهم وثيقة بعملاء التنصير.

مراجع للتوسع:

- **شهود يهوه**، د. محمد حرب.
- **كتابان باللغة التركية**: الأستاذ حكمت تانيو وهما:

- Yehora Sahitleri.
Tarih Boyunca Turkler Ve Yahudiler.

- **الماسونية العالمية في ميزان الإسلام**، عبدالله سمك، كلية أصول الدين بالقاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
- **شهود يهوه في الميزان**، جبرائيل فرح البوس.
- **الصهيونية بين الدين والسياسة**، عبدالسميع الهراوي.
- **لهذا أكره إسرائيل**، أمين سامي الغمراوي.
- **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، إيليا أبو الروس.
- **نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية**، د سعيد محمد أحمد بانجة.
- **الماسونية في العراء**، د محمد علي الزعبي.
- **شهود يهوه. التطرف المسيحي في مصر**، أبو إسلام أحمد عبدالله.

٨١ - الأبوس ديي

التعريف:

الأبوس ديي منظمة(*) سرية دينية لا رهبانية نصرانية كاثوليكية معاصرة، تسعى إلى سيادة التعاليم الإنجيلية، والعودة إلى النصرانية الأولى كما هي موجودة في الإنجيل(*) المتداول. وذلك وفق ضوابط تنظيمية دقيقة محكمة مع الاستفادة الكاملة من معطيات العصر الحديث، وتتلمس طريقها من خلال السيطرة على النواحي السياسية والاقتصادية والتربوية. واسمها يجمع بين اسمي جمعية(*) الصليب المقدس، ومنظمة العمل الإلهي معاً. وتختلف عن الهيئات الأخرى في عدم ارتداء زيٍّ خاص بها، وسرية النذر وعدم وجود حياة جماعية مشتركة بشكل إجباري، ومصادر دخلها تعدّ سرًّا من الأسرار.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

- أسس هذه المنظمة القس خوسيه ماريا أسكريفا JOSE MARIA ESCRIVA في إسبانيا وذلك في ٢ أكتوبر ١٩٢٨م وهو يزعم أنه قد اختير لهذه المهمة بوحي(*) إلهي، وذلك كي يضفي على هذا التأسيس هالة من التقديس.
- في عام ١٩٣٠م تم تأسيس الفرع النسائي للمنظمة على نمط الفرع الرجالي نفسه تنظيماً وانتشاراً.
- وجدت أفكار أسكريفا أرضاً خصبة في إسبانيا تحت حكم الجنرال فرانكو، وبخاصة عقب الانتهاء من الحرب الأهلية فيها.
- للمنظمة أعضاء وصلوا إلى الوزارة في كل من إسبانيا وإيطاليا، ويشكلون ثقلاً مهمًّا في كلا البلدين.
- لهم الآن ثلاثون نائباً على الأقل في البرلمان(*) الإسباني ينتمون إلى المنظمة ويتحركون بإيحاءاتها.
- هناك أساقفة(*) وقساوسة(*) منتمون سرًّا للمنظمة، ويعملون بين مختلف الطبقات الاجتماعية الإسبانية وفي صفوف الجيش.

● ولهم رئاسة قسم الدراسات اللاهوتية في روما وهو فرع من جامعة نافارا الإسبانية.

● **الهيكل التنظيمي:**

ـ المجلس العام: ويتألف من الرئيس والسكرتير العام والنائب العام وشخصيات من أربع عشرة دولة، وهو الذي يتخذ القرارات الحاسمة باعتباره أعلى سلطة في المنظمة بجميع فروعها في العالم وبأقسامها الثلاثة: القساوسة والمدنيين والفرع النسائي.

ـ القساوسة: وهي أعلى درجة يطمح العضو فيها ويرتقي إليها العضو النظامي، وحتى عندما يتحول العضو النظامي إلى قسيس(*) فإنه لا يتخلى عن عمله المهني، ويصبح في هذه الحال طبيباً قسيساً أو محامياً قسيساً. . . الخ.

ـ العضو النظامي وهي أعلى درجة في التنظيم.

ـ الناذر نفسه (القربان) ويقوم بنذر نفسه للمنظمة ويكرس حياته لها.

ـ العضو غير النظامي.

ـ المتعاون، علاقته كنصير أو مؤيد.

ـ اعترفت الكنيسة(*) الإسبانية بهذا الهيكل التنظيمي للأبوس دي اعترافاً شبه رسمي مما دعم مكانتها وزاد في انتشارها.

ـ لقي المؤسس اهتماماً من الفاتيكان(*) ، مما جعله يقرر الانتقال من إسبانيا إلى روما والإقامة هناك بشكل نهائي جاعلاً منها المقر الرئيسي للمنظمة.

ـ ظل إسكريفا رئيساً لهذه المنظمة طيلة حياته إلى أن توفي عام ١٩٧٥م.

ـ يقوم تنظيم نسائي على يد أخوات الأعضاء البارزين في الحركة.

الأفكار والمعتقدات:

● أفكار دينية وتنظيمية:

أهداف المنظمة(*) دينية صرفة، فهي تعمل من أجل إعلاء النصرانية وفق العقائد الكاثوليكية، عن طريق التربية والسياسة والاقتصاد.

ـ يتضمن نشاط المنظمة جهود رجال الدين، ومن غير رجال الدين، كما يشمل الرجال والنساء، ويعطي عناية خاصة للشباب.

ـ يحرص التنظيم(*) على أن يكون أعضاؤه قدوة حسنة، كما يحرص على السرية والكتمان.

ـ يهدف التنظيم فيما يعلنون إلى تربية جادة صارمة لأعضائه، تقوم على الجدية، والعفة وحسن الخلق، والتقشف، أيضاً، فكأنه يريد أن يحيي فيهم روح الأوائل.

ـ يقوم التنظيم على ضوابط دقيقة في الانتساب، ثم في التعامل بين الأعضاء في مرحلة ما بعد الانتساب، حتى في حالات الاستقالة أو الفصل، وتوزع الأمور توزيعاً موضوعياً يعطي المرء حق التظلم والاعتراض.

ـ التنظيم عمل متكامل يهدف إلى المواءمة بين النواحي الروحية الدينية وبين الاستفادة من كل ما تقدمه الحضارة الحديثة من أدوات تنظيمية دقيقة ذات أهداف ومناهج وضوابط وموارد مالية.

● لقد نشأت هذه المنظمة في الأصل لتكون لصيقة بنظام الجنرال فرانكو، وكان لتأييده لها أثر مهم في زيادة نفوذها وانتشارها.

● يمكن أن توصف المنظمة بأنها (مافيا دينية كاثوليكية) بوحي من أهدافها وحسب مصلحتها؛ للسيطرة السياسية والاقتصادية في إسبانيا بخاصة وفي مختلف دول العالم بعامة. وقد شكلت المنظمة إمبراطورية اقتصادية صناعية تماثل أرقى وأحدث صور الإمبراطوريات الصناعية الاقتصادية المتعددة الجنسيات الموجودة في العالم. وهي متغلغلة في جميع الأوساط والطبقات.

● تحاول المنظمة الوقوف بكل حزم أمام تيار المنظمات اليسارية والليبرالية والماسونية.

● إذا أظهر المرشح رغبة للانضمام فإن عليه أن يخضع (لإرادة الرب)، وإرادة الرب عندهم هي أن يدخل المرء في هذه المنظمة، وبعد ستة أشهر تقريباً من العيش داخل المنظمة وروحانيتها يقبل المرشح بشكل رسمي.

● بعد ستة أعوام من الانضمام تقام حفلة (الإخلاص والوفاء) لتأكيد عضوية المتقدم بشكل نهائي إذ يعطى خاتماً عليه قطعة من الحجر الكريم يفرض عليه حمله طوال حياته.

● كثير من أعضاء المنظمة(*) يجعلون من الحمار شعاراً لهم، ويقولون إن المسيح قد دخل القدس وهو راكب على ظهر حمار، ومن صلوات إسكريفا قوله مخاطباً ربه: (أنا حمارك الجربان).

● تتركز النواحي الروحية للحركة فيما يلي:
- تقبيل الأرض عند الاستيقاظ.
- الحمام والحلاقة خلال نصف ساعة على الأكثر.
- نصف ساعة للصلاة الفردية، وبعد ذلك قداس جماعي لمدة عشر دقائق.
- بعد الغداء زيارة مكان القربان المقدس، وبعد ذلك ثلاث ساعات من الصمت الأصغر.
- (العصرونية) وهو وقت مخصص للنشاط الجماعي بسبب وجود بعض المدعوين (المرشحين) إذ تختلق مناقشات في موضوع ديني ما أو حادثة دينية معينة.
- نصف ساعة للصلاة.
- نهاية اليوم وتقرأ فيه الصلوات، ثم يجري فحص عام للنشاطات الروحية أو المالية التي جرت فيه ويبدأ بعد الصمت الأكبر الذي يمنع فيه الكلام خلال كل الوقت الباقي حتى اليوم التالي.
- قبل النوم يرسم الأعضاء إشارة الصليب بأيديهم على جسمهم، ويرشون الماء المقدس على الفراش ثم يقومون بصلاة قصيرة وينامون.
● في الثاني من شباط سنة ١٩٤٧م قام الفاتيكان(*) بمنح الأبوس ديي درجة (هيئة دينية لا رهبانية) أي هيئة دينية للعمل خلال المجتمع المدني.

● **المؤلفات**:

- ألف إسكريفا كتيباً صغيراً عام ١٩٣٤م سماه **اعتبارات روحية** لكن الكتاب اختفى فجأة ليحل محله كتاب **الطريق** الذي يعد إنجيل المنظمة، وقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٣٩م، ويحتوي على ٩٩٩ حكمة ومقسم إلى أربعين باباً و١٣٦ موضوعاً.
- لإسكريفا أطروحة دكتوراه، وله كتب صغيرة حول صلاتهم.
- من كتب المنظمة **القيمة الإلهية للإنسان** تأليف خوسي أورتيغا، يتكلم فيه عن الإنسان الكاثوليكي الصليبي. وكتاب **روحانية العلمانيين** تأليف خوان باركيستا توريو.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● هذه المنظمة(*) نصرانية كاثوليكية تدعو إلى العودة إلى النصرانية الأولى مستفيدة من معطيات العصر الحديث.

● توجهها ديني سياسي اقتصادي تربوي.

● تؤمن المنظمة بكل معطيات النصرانية من تثليث(*) وأب(*) وابن(*) وروح القدس(*) والعذراء والصليب(*) والفداء والقرابين والخطيئة وأكل لحم الخنزير، وما إلى ذلك مما يعتقده النصارى بعامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- لا يوجد في العالم بلد نصراني إلا وللمنظمة وجود فيه، فقد اتسع وجود المنظمة ليشمل أكثر من خمسين دولة في العالم، تغلغلت من خلالها في جميع الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية والمالية.

● تتركز قوتها في المناطق التالية: إسبانيا وفيها ثقلها الأساسي، وإيطاليا إذ يقوم المركز الرئيس والدولي في روما بشارع فيرلا برورو Virla Bruro، ومهمته الإدارة والتنظيم(*)، والفلبين في شرق آسيا، والمكسيك وفنزويلا في أمريكا اللاتينية، وقد دخلت الحياة العامة في كولومبيا والبيرو وتشيلي، وأخيراً في الأرجنتين ولكن بنسب متفاوتة، وكينيا في إفريقيا.

- يصل عدد أعضاء المنظمة في العالم اليوم إلى حوالي ٧٢٠٠٠ نسمة من ٧٨ جنسية نصفهم في إسبانيا. وتملك المنظمة أكثر من ٧٠٠ مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ومعهد وبيت للطلبة ومركز ثقافي منتشرة في العالم، منها ٤٩٧ جامعة ومدرسة عليا.

- يملكون ٥٢ محطة إذاعة، و١٢ شركة توزيع وإنتاج سينمائي و٦٩٤ مطبوعة دورية و٣٨ وكالة أنباء و١٣ بنكاً، وشركات ومصانع وعقارات كثيرة.

- وصلت المنظمة إلى السيطرة شبه الكاملة على المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في إسبانيا.

- في إسبانيا وحدها تملك المنظمة ٢١ بيتاً من بيوت الطلبة تديرها بشكل مباشر.

ويتضح مما سبق:

أن الأبوس دي منظمة(*) سرية دينية نصرانية هدفها إعلاء المسيحية(*) الكاثوليكية عن طريق الإفادة من كل المعطيات الحديثة للتربية والسياسة والاقتصاد ومن خلال أعضاء يجب أن يكونوا قدوة حسنة، ويحرصون على السرية والكتمان،

وتحقيق السيطرة الدينية والسياسية في إسبانيا وغيرها من الدول التي انتشرت فيها. وللمنظمة هيكل تنظيمي، يسهر كله على تحقيق النواحي الروحية للمنظمة التي يتخذ كثير من أعضائها الحمار شعاراً لهم، وبحسبانها مافيا دينية كاثوليكية فإنها تعتبر أنها هي وحدها على الحق وأن كل ما عداها على باطل.

مراجع للتوسع:

- **الكتب والمؤلفات التي تصدرها المنظمة.**
- **منظمة الأبوس دي: النشأة، التنظيم، التطور** - تقرير في ملفات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
- **دستور هيئة الأبوس دي**، تقرير في ملفات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٨٢ـ المونية (حركة صن مون التوحيدية)

التعريف:

المونية: حركة(*) مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان(*) وصهرها في بوتقة واحدة بهدف إلغاء الفوارق الدينية بين الناس لينصهروا جميعاً في بوتقة (صن مون) الكوري الذي ظهر بنبوة جديدة في هذا العصر الحديث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه النحلة هو القس(*) الثري صن مون المولود في كوريا عام ١٩٢٠م، الذي ادعى بأنه على اتصال بالمسيح، عليه الصلاة والسلام، منذ عام ١٩٣٦م، وأنه منذ بلوغه السادسة والعشرين من عمره بدأ يدرس حياة الأنبياء(*) والقادة الروحيين من مثل موسى وعيسى ومحمد، ﷺ، ومن مثل بوذا(*) وكرشنا(*)، ويطلع على تعاليم الأديان(*) السماوية والوضعية كاليهودية والنصرانية والإسلام وكذلك البوذية والهندوسية.

ـ في عام ١٩٧٣م انتقل إلى الولايات المتحدة وعقد صلات عدة مع كبار الشخصيات هناك.

ـ ألقي القبض عليه وأودع السجن الفيدرالي بكنكتيكت لمدة سنة ونصف السنة بسبب تهربه من دفع الضرائب، وقد استطاع أتباعه تصوير سجنه على أنه اضطهاد في سبيل المعتقد الديني الذي يحمله.

ـ يحتل حالياً منصب الرئيس للمجلس العالمي للأديان.

ـ زار ألمانيا، لكن سلطات بون أعلنت أنه شخص غير مرغوب فيه.

ـ يحاول أن يكون قريباً من الأحداث المهمة، إذ كان له ولطائفته دور مهم في الوقوف إلى جانب الرئيس ريتشارد نيكسون في فضيحة ووترجيت، كما أنهم كانوا نشيطين في حماية برنامج الرئيس ريغان وسياسته في أمريكا الوسطى.

● شانج هوان كواك: يشغل منصب مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان(*)، وهو أكبر معاوني مون، وقد أعلن في بيانه الذي ألقاه في المؤتمر المنعقد بتركيا سنة ١٩٨٥م عن نبوة(*) مون وأنه يتلقى الوحي(*) Revelation من السماء.

● اليهودي فرانك كوفمان: يقيم في نيويورك، ويتبع مون، ويعمل في مؤسسته، وقد

ناشد علماء المسلمين في مؤتمر تركيا «أن يتفهموا موقف الأديان الأخرى مثل اليهودية والبوذية والهندوكية».

● دكتور يوسف كلارك: قس(*) كاثوليكي من مساعدي مون، وهو عضو مجلس إدارة المجلس العالمي للأديان، كان ممثل المجلس في مؤتمر تركيا.

● كوزا: رئيس مكتب مون في هندوراس، ويعمل بهمة على نشر الحركة(*) في أمريكا اللاتينية.

● موسى دست: رئيس كنيسة(*) مون بالولايات المتحدة الأمريكية.

الأفكار والمعتقدات:

● يزعم أنه على اتصال بالمسيح(*) وأنه يتلقى الوحي من السماء مدعياً نبوة جديدة.

● شعاره وهدفه المعلن هو السعي من أجل توحيد الأديان(*) على اختلاف أنواعها.

● يقول للنصارى إن الإله(*) قد رمى بالمسيحية(*) جانباً واستبدل بها رسالة جديدة هي رسالة توحيد الأديان الداعي إليها.

● من القانون الأساسي لحركة مون: «إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إله واحد، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية».

● يقولون في كتابهم **المبدأ المقدس**: «إن رسالة آدم الأساسية أن يخلق الأسرة الكاملة في الأرض، وهذه المهمة لم تتحقق نتيجة لعمل الشيطان الذي كان نشيطاً في مهمته منذ بداية الخلق، وعيسىٰ قد خلق آدم، وفشل في أمر الزواج، وترك مبدأ تكوين الأسرة الكاملة، وفشله ليس كاملاً، فقد أحيا الجانب الروحي للإنسان، وقد ظل جسد الإنسان مستعبداً للشيطان، هذا، أيضاً، يجب تجديده، وهذا يستلزم آدماً ثالثاً بالاتحاد مع زوجة مثالية يمكن تحقيق هذا الهدف لإنجاب الإنسان الكامل».

● إنهم يقومون بدراسة رسومات بيانية يزعمون أنها «تبين أن التاريخ والأحداث متكررة ومقدرة سلفاً ووفقاً لهذه الجداول البيانية ويقولون: إن هناك أمثلة متكررة من البشر قد اختيروا ليصيروا آباء كاملين، لكن الشيطان قد اعترض سبيلهم فلم ينجحوا، وقد وجدت هذه الأسر المثالية على مر التاريخ الإنساني في فترات متقطعة على مدى أربعمائة عام سلفت».

● يتم اقتناص الشخص ليصبح عضواً في حركتهم عن طريق دعوته أولاً إلى وجبة طعام، ثم دعوة للاشتراك في رحلة نهاية الأسبوع.

● يمنع الأفراد الجدد من التحدث مع بعضهم وعليهم الانتظار حتى اللقاء الآخر في نهاية الأسبوع.

● يمضي المدعو عدة أسابيع مع معلمه، وقد يجعلونه بعد ذلك في مسكن واحد مع أعضاء جدد آخرين؛ ليلقنوهم جميعاً العقيدة الجديدة، مع التركيز على تقديس وتمجيد شخصية مون، والتأكيد على ضرورة التنكر لعقيدة أهاليهم ومجتمعاتهم.

● يقول مون في كتابه التوجيهي **أقوال الأب الروحي**: «إن عملية البعد عن العائلة والأصدقاء لا تتم بالصدفة، إذ لا بد أن تتمرس على حياتك الجديدة، ومن بعدها يمكنك أن تتنكر لعائلتك وأصدقائك وجيرانك».

إذا ما حاول العضو الفرار منهم فسيكون ذلك صعباً لعدة أمور:

١ ـ لأنه يكون قد انفصل عن عائلته، فلا يستطيع العودة إليها بعد أن ناصبها العداء بسبب معتقده الجديد الذي يخالف معتقدها.

٢ ـ لأنه يكون قد غُسِلَ دماغُه وصار أداة طيعة في أيديهم، يحركونه كيفما يريدون بعد أن سيطروا عليه روحياً وخدعوه بالوعود السماوية الكاذبة.

٣ ـ لأن أفراد عصابة مون سيتابعونه ويطاردونه، حتى يعود إلى حظيرتهم من جديد.

٤ ـ إذا ما استسلم العضو الجديد لهم فإنهم يسخرونه لبيع الورود والشموع؛ ليكون مصيدة لجذب الأعضاء الجدد، فضلاً عن الإيراد المالي الذي يحققه لميزانية الحركة.

● نظم مون عملية زواج جماعية في ميدان ماديسون جاردن بنيويورك قام خلالها بتزويج ٢٠٧٥ شاباً وفتاة، على الرغم من أن المجلس القومي الكنسي في أمريكا كان قد أصدر بياناً يعلن فيه عدم الاعتراف بكنيسة مون.

● يؤكد مون محاربته للشيوعية، ويركز هجومه عليها، كما أنه يرسل البعثات لمناهضتها في أماكن عديدة من العالم.

● لقد عقد مون عدداً من المؤتمرات سعياً وراء تحقيق أهدافه، ومنها:

ـ مؤتمر توحيد اليهود في سويسرا

ـ مؤتمر اتحاد العالم المسيحي في إيطاليا.

ـ مؤتمر البوذيين في اليابان.

ـ مؤتمر الهندوكية في سيريلانكا.

ـ مؤتمر اتحاد العالم الإسلامي: الذي تم عقده في تركيا قرب إستنبول وذلك في الفترة من ١٩ـ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م، وقد تعاونت معهم كلية الإلهيات بجامعة مرمرة بهدف إنجاح المؤتمر.

ـ لديهم خطة لعقد مؤتمرات أخرى من سنة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣م.

ـ كان أتباع مون المشاركون في المؤتمر بتركيا يصورون الخلافات بين الأديان(*)، على أنها لا تعدو أن تكون شبيهة بتلك الخلافات الفقهية الموجودة بين المذاهب(*) الإسلامية ذاتها، وهذا محض افتراء، إذ إن الخلاف بين الأديان خلاف عقائدي قبل كل شيء، في حين أن الخلاف بين المذاهب الفقهية ليس أكثر من خلاف داخلي اجتهادي في الفروع دون الأصول.

ـ قال اليهودي كوفمان في الجلسة الختامية لهذا المؤتمر: «إن الأمر يحتاج إلى أن نبذل المزيد من الجهد حتى نفهم بعضنا، فإننا قد ننتسب إلى شيء واحد وعقيدة واحدة، وعلى الرغم من ذلك نختلف، ومن أجل أن نلتقي لا بد لنا من أن نتفهم غيرنا من خلال نظرته»!!

● تذكر جريدة **المسلمون** في عددها ٣٦ أن المجلس العالمي للأديان الذي يترأسه صن مون إنما يعمل تحت رقابة المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IRF، وهي واحدة من الوكالات الدينية الإنسانية التابعة للكنيسة الموحدة، التي هي إحدى الحركات الدينية الجديدة التي أسسها صن مون في كوريا.

ـ وتذكر الجريدة بأن أهداف المجلس العالمي للأديان حسبما تورده مذكرة المجلس ذاته هي:

١ ـ المناداة بوحدة الإنسانية.

٢ ـ منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف.

٣ ـ دعوة الناس من كل الأديان إلى نوع من الوحدة الروحانية واحترام خصوصيات كل دين(*).

٤ ـ تشجيع الفهم المتبادل والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم.

٥ ـ معاونة هؤلاء المتطلعين إلى إيجاد تناسق وانسجام بين الأديان، والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية.

٦ ـ توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشكلات الإنسانية العامة.

٧ ـ الدفاع عن حقوق الإنسان، بما في ذلك حق حرية المعتقدات الدينية وممارستها.

٨ ـ التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية، عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة وتحسين حال البشرية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن اليهود ـ باعتبارهم أقلية مفسدة ـ يسعون دائماً لبث دعاوى إذابة الفروق

بين العقائد مما يمهد الطريق لهم؛ ليتغلغلوا داخل شعوب الأرض، ويكونوا هم المستفيدين في النهاية على حساب الأديان الأخرى جميعاً.

● إن هذه الحركة(*) تدور في فلك الحركات المسخرة لخدمة الصهيونية العالمية، إذ إن التشابه بين هذه الحركات يدل على أنها ذات أصل واحد، وتعمل لهدف مشترك واحد.

● إن الثراء الفاحش الذي يتحرك فوقه صن مون ليشير إلى الجهة التي تموله وتقف وراءه؛ لتستفيد من عمله ودعوته في تفتيت الأديان(*) وتحطيم الأخلاق(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تتمتع هذه الحركة بوجود ضخم في جنوب ووسط أمريكا، إذ إن لهم علاقات قوية مع كبار السياسيين في تشيلي وأرجواي والأرجنتين وهندوراس وبوليفيا.

● في إيرلندا لهم مركز وكنيسة(*) اسمها الكنيسة التوحيدية، وتجدر الإشارة إلى أن لإيرلندا دوراً كبيراً في دعم أمثال هذه الحركات.

● لهم استثمارات في جنوب كوريا، وقد سمحت لهم حكومة سيول بإقامة كنيسة لهم خارج العاصمة.

- إنهم متغلغلون في الجناح الأيمن للحزب(*) الجمهوري بالولايات المتحدة، كما يشكلون الجناح الأيمن للدكتاتورية في أمريكا الجنوبية.

- يمتلك زعيمهم عدة عقارات في العالم وشركات ومطاعم وأراض ومحلات لبيع المجوهرات وشركة للنشر تسمى Paragon House ، كما أسس جريدة **الواشنطن تايمز** التي يوزع منها ٧٥ ألف نسخة في اليابان ونيويورك وأرجواي وقبرص، ولديه فندق نيويوركر New Yorker في مانهاتن.

ويتضح مما سبق:

أن المونية حركة(*) مشبوهة، تدعو إلى القضاء على كل الأديان(*)، وابتداع دين جديد، ينصهر في بوتقة المتنبي الكوري صن مون، ويجذب الشباب إليه، مغرياً إياهم

بالانحراف والانفصال عن أسرهم، والغرق في بحور الملذات، خدمة لأهداف الصهيونية العالمية.

مراجع للتوسع:

- جريدة **المسلمون** الأسبوعية، العدد ٣٥ ـ ٢١ المحرم ١٤٠٦ هـ/ ٥ أكتوبر ١٩٨٥م ـ وكذلك أعداد ٣٦، ٣٧، ٣٨.

- جريدة **الواشنطن بوست** تاريخ ٢٨/ ٨/ ١٩٨٣م.

- باللغة الإنجليزية

- Carol Culter: Are Religious? Cults Dangerous The Mercier Press, Dublin and Cork, 1984.

- باللغة الفرنسية

- Gilbert Picard: L'enfer des Sectes, Editions le carrousel - Fn Paris, 1984.

- باللغة الإسبانية

- Pepe Redriguez: Esclavos De un Mesias. Barcelona. 1984.

- ولدى مراسلتهم على عنوانهم بالولايات المتحدة الأمريكية، فإنهم يرسلون كتباً ونشرات تعبر عن آرائهم نذكر منها:

- Council For the World.s Religions
Intrnational Religious Foundation, INC
Introduction to The Principle, An Islamic pespective

وهو كتاب عنوانه (المقدمة للمبدأ) مكتوب باللغة العربية لكن محتواه باللغة الإنجليزية.

الفصل الخامس

فلسفات ولدت في كنف الحضارة الغربية متأثرة بالنصرانية:

● ـ التنصير ● العلمانية. ● الاستشراق ● التغريب

٨٣ـ التنصير

التعريف:

التنصير حركة(*) دينية سياسية استعمارية(*) بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

ويساعدهم في ذلك ثلاثة عوامل:

ـ انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي.

ـ النفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين.

ـ ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم، أو ييسرون لهم السبل رغباً ورهباً أو نفاقاً لهم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ريمون لول: أول نصراني تولَّى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها، إذ إنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين.

● منذ القرن الخامس عشر وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى

إفريقيا، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية إنجليزية وألمانية وفرنسية.

● بيتر هيلنغ: احتك بمسلمي سواحل إفريقيا منذ وقت مبكر.

● البارون دوبيتز: حرك ضمائر النصارى منذ عام ١٦٦٤م إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي.

● المستر كاري: فاق أسلافه في مهنة التبشير، وقد ظهر إبّان القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر.

● كان للمبشر هنري مارتن ت ١٨١٢م يد طويلة في إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية، وقد ترجم التوراة(*) إلى الهندية والفارسية والأرمنية.

● في عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التبشيرية، وتبعتها أخريات في أسكوتلانده ونيويورك.

● في سنة ١٨١٩م اتفقت جمعية الكنيسة(*) البروتستانتية مع النصارى في مصر وكونت هناك إرسالية عهد إليها نشر الإنجيل(*) في إفريقيا.

● دافيد ليفنستون ١٨١٣ ـ ١٨٧٣م: رحالة بريطاني، اخترق أواسط إفريقيا، وقد كان مبشراً قبل أن يكون مستكشفاً.

● في سنة ١٨٤٩م أخذت ترد إرساليات التبشير إلى بلاد الشام، وقد قامت بتقسيم المناطق بينها.

● وفي سنة ١٨٥٥م تأسست جمعية الشبان المسيحية(*) من الإنجليز والأمريكان، وقد انحصرت مهمتها في إدخال ملكوت المسيح(*) بين الشبان كما يزعمون.

● في سنة ١٨٩٥م تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم، وهي تهتم بدراسة أحوال التلاميذ في كل البلاد مع العمل على بث روح المحبة بينهم (المحبة تعني التبشير بالنصرانية).

● صموئيل زويمر Zeimer: رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة **العالم الإسلامي** الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م، ولاتزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد. دخل البحرين عام ١٨٩٠م، ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل. وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل التطبيب في منطقة الخليج، وتبعاً لذلك فقد افتتحت مستوصفات لها في البحرين والكويت ومسقط وعُمان. ويعد

زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث وقد أسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.

● كنيث كراج K. Cragg: خلف صموئيل زويمر على رئاسة مجلة **العالم الإسلامي**، وقام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت، وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتيفورد بأمريكا، وهو معهد للمبشرين، ومن كتبه **دعوة المئذنة** صدر عام ١٩٥٦م.

● لويس ماسينيون: قام على رعاية التبشير والتنصير في مصر، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما أنه مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا.

● دانيال بلس: يقول: «إن كلية روبرت في إستانبول (الجامعة الأمريكية حالياً) كلية مسيحية(*) غير مستترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تهيئه لطلابها؛ لأن الذي أنشأها مبشر، ولا تزال إلى اليوم لا يتولى رئاستها إلا مبشر».

● الأب(*) شانتور: رَأَسَ الكلية اليسوعية في بيروت زمناً طويلاً أيام الانتداب الفرنسي.

● مستر نبروز: ترأس جامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٤٨م يقول: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان».

● دون هك كري: كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التبشيري عام ١٩٧٤م، وهو بروتستانتي، عمل مبشراً في الباكستان لمدة عشرين سنة، وهو أحد طلبة مدرسة فلر للتبشير العالمي. وبعد مؤتمر كولورادو التبشيري عام ١٩٧٨م أصبح مديراً لمعهد صموئيل زويمر، الذي يضم إلى جانبه داراً للنشر ولإصدار الدراسات المختصة بقضايا تنصير المسلمين ومقرها في كاليفورنيا، وهو يقوم بإعداد دورات تدريبية لإعداد المبشرين وتأهيلهم.

● يرى بابا(*) الفاتيكان(*) بعد سقوط الشيوعية أن من مصلحة الكنيسة(*) ومصلحة رجال السياسة توجيه عموم الشعب المسيحي نحو خصم جديد تخيفه به وتجنده ضده، والإسلام هو الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور في المقام الأول. ويقوم البابا بمغادرة مقره بمعدل أربع رحلات دولية؛ لكسب الصراع مع الأيديولوجيات(*) العالمية وعلى رأسها الإسلام. وتوجد بلايين الدولارات تحت تصرفه للإنفاق منها

على إرسال المنصرين وإجراء البحوث وعقد المؤتمرات، والتخطيط لتنصير أبناء العالم الثالث، وتنظيم وتنفيذ ومتابعة النشاط التنصيري في كل أنحاء العالم، وتقويم نتائجه أولاً بأول.

الأفكار والمعتقدات:

● **أفكارهم:**

ـ محاربة الوحدة الإسلامية: يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية».

ـ يقول لورنس براون Lawrance Brawn: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا، أيضاً، نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير».

ـ يقول مستر بلس: «إن الدين(*) الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا».

ـ لقد دأب المنصرون على بث الأكاذيب والأباطيل بين أتباعهم ليمنعوهم من دخول الإسلام وليشوهوا جمال هذا الدين.

ـ انتشار الإسلام بالسيف: يقول المبشر نلسون: «وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب».

ـ يقول هنري جسب: Henry Jesups المبشر الأمريكي: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم».

ـ لطفي ليفونيان، وهو أرمني ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام، يقول: «إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح».

ـ أديسون Addison الذي يقول عن محمد، ﷺ: «محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب».

ـ المبشر نلسن يزعم أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه إنما هو مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية، كما هو أو مع شيء من التبديل.

ـ المبشر ف. ج هاربر يقول: «إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام، ذلك

لأن إدراكه لله في الواقع كاريكاتور».

- المبشر جسب يقول: «إن الإسلام مبني على الأحاديث ،أكثر مما هو مبني على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء».

- ويقول كذلك: «الإسلام ناقص والمرأة فيه مستعبدة».

- المبشر جون تاكلي يقول: «يجب أن نُرِيَ هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً».

- أما القس صموئيل زويمر فيقول في كتابه **العالم الإسلامي اليوم**:

«يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم».

«يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي».

«تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها».

«ينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ إن من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء».

- وقال صموئيل زويمر كذلك في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م:

«. . . لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية(*) ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق(*) التي تعتمد عليها الأمم في حياتها».

«. . . إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء».

- وقد كتب أحد المبشرين في بداية هذا القرن الميلادي يقول: «سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها كل محاولات التبشير ما دام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن والأزهر واجتماع الجمعة الأسبوعي ومؤتمر الحج السنوي العام».

● **مؤتمراتهم**:

لقد كان لهم ولا يزال الكثير من المؤتمرات الإقليمية والعالمية ومن ذلك:

ـ مؤتمر القاهرة عام ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦م وقد دعا إليه زويمر بهدف عقد مؤتمر يجمع الإرساليات التبشيرية البروتستانتية للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد المؤتمرين ٦٢ شخصاً بين رجال ونساء، وكان زويمر رئيساً لهم.

ـ المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبرة باسكوتلندة عام ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م، وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية في العالم.

ـ مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند عام ١٣٣٩ هـ/١٩١١م حضره صموئيل زويمر، وبعد انفضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها «تذكار لكهنؤ سنة ١٩١١م» وعلى الوجه الآخر «اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح».

ـ مؤتمرات التبشير في القدس:

١ ـ في عام ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤م.

٢ ـ في عام ١٩٢٨م مؤتمر تبشيري دولي.

٣ ـ في عام ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥م وقد كان يضم ١٢٠٠ مندوب.

٤ ـ في عام ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١م.

ـ مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام ١٩٧٤م في لوزان بسويسرا.

ـ وأخطر المؤتمرات مؤتمر كولورادو في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل(*)، وتقديمه للمسلمين والكنائس(*) الديناميكية في المجتمع المسلم وتجسيد المسيح(*)، وتحبيبه إلى قلب المسلم، ومحاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين، وتحليل مقاومة واستجابة المسلم واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين، وتنشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي.

وقد انتهى المؤتمر بوضع إستراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

ـ المؤتمر العالمي للتنصير الذي عقد في السويد في شهر أكتوبر ١٩٨١م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني، والذي نوقشت فيه نتائج مؤتمري لوزان وكولورادو

وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار، بهدف التركيز على دول العالم الثالث.

ـ ومن مؤتمراتهم كذلك:

١ ـ مؤتمر إستانبول.

٢ ـ مؤتمر حلوان بمصر.

٣ ـ مؤتمر لبنان التبشيري.

٤ ـ مؤتمر لبنان بغداد التبشيري.

٥ ـ مؤتمر قسنطينة التبشيري في الجزائر وذلك قبل الاستقلال.

٦ ـ مؤتمر شيكاغو.

٧ - مؤتمر مدراس التبشيري في بلاد الهند، وكان ينعقد هذا المؤتمر كل عشر سنوات.

٨ ـ مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٤٢م وهو مؤتمر خطير جداً، وقد حضره من اليهود بن جوريون.

ـ بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت النصرانية نظاماً جديداً، إذ ينعقد مؤتمر للكنائس(*) مرة كل ست أو سبع سنوات متنقلاً من بلد إلى آخر.

١ ـ مؤتمر أمستردام ١٩٤٨م ـ هولندا.

٢ ـ مؤتمر إيفانستون ١٩٥٤م ـ أمريكا.

٣ ـ مؤتمر نيودلهي ١٩٦١م ـ الهند.

٤ ـ مؤتمر أوفتالا ١٩٦٧م ـ أوفتالا بأوربا.

٥ ـ مؤتمر جاكرتا ١٩٧٥م ـ أندونيسيا، وقد اشترك فيه ٣٠٠٠ مبشر نصراني.

ـ عقد المؤتمر السادس لمجلس الكنائس العالمي في يوليو سنة ١٩٨٠م في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وقد حث المؤتمر على ضرورة زيادة البعثات التنصيرية بين مسلمي الشرق الأوسط، خاصة في دول الخليج العربي.

● **أشهر المراكز والمعاهد التنصيرية:**

ـ معهد صموئيل زويمر في ولاية كاليفورنيا، فقد تم إنشاؤه بناء على توصية من قرارات مؤتمر كولورادو.

ـ المركز العالمي للأبحاث والتبشير في كاليفورنيا، الذي قام بتقديم الأشخاص اللازمين للإعداد لمؤتمر كولورادو مع تهيئة عوامل نجاح هذا المؤتمر.

ـ الجامعة الأمريكية في بيروت (الكلية السورية الإنجيلية سابقاً) أنشئت عام ١٨٦٥م.

ـ الجامعة الأمريكية في القاهرة أنشئت لتكون قريبة من الأزهر ومنافسة له.

ـ الكلية الفرنسية في لاهور.

ـ جمعية التبشير الكنسية الإنجيليزية، وهي أهم جمعية بروتستانتية، وقد مضى على إنشائها قرابة قرنين من الزمان.

ـ إرساليات التبشير الأمريكية، أهمها الجمعية التبشيرية الأمريكية والتي يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٠م.

ـ جمعية إرساليات التبشير الألمانية الشرقية، أسسها القسيس(*) لبسيوس سنة ١٨٩٥م. وقد بدأ عملها فعلاً سنة ١٩٠٠م.

ـ أسس الإنجليز في سنة ١٨٠٩م الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود وبدأ عملها بأن ساقت اليهود المتفرقين في شتات الأرض إلى أرض فلسطين.

● **بعض الكتب ووسائل الدعاية التنصيرية:**

ـ جمعت موضوعات مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م في كتاب كبير اسمه **وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين**.

ـ صنف زويمر كتاباً جمع فيه بعض التقارير عن التبشير أسماه **العالم الإسلامي اليوم**، تحدث فيه عن الوسائل المؤدية للاحتكاك بالشعوب غير المسيحية(*) وجلبها إلى حظيرة المسيح(*)، مع بيان الخطط التي يجب على المبشر اتباعها.

ـ **تاريخ التبشير**: للمبشر أدوين بلس البروتستانتي.

ـ **كتاب المستر فاردنر**: ركز فيه حديثه عن إفريقيا وسبل نشر النصرانية فيها وعوائق ذلك ومعالجاته.

ـ **مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية** التي تصدر في مدينة بال بسويسرا، والتي تحدثت عن مؤتمر أدنبره سنة ١٩١٠م.

ـ **مجلة الشرق المسيحي الألمانية** تصدرها جمعية التبشير الألمانية منذ سنة ١٩١٠م.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية** التي صدرت بعدة لغات حية.

ـ **موجز دائرة المعارف الإسلامية**.

ـ طبع الإنجيل(*) بشكل أنيق وبأعداد هائلة وتوزيعه مجاناً، وإرساله بالبريد لمن

يطلبه، وأحياناً لمن لا يطلبه، أيضاً.

ـ توزيع أشرطة الفيديو والكاسيت المسجل عليها ما يصرف المسلم عن دينه، واستخدام الموجات الإذاعية والتليفزيونية التي تبث سمومها، وتصل إلى المسلمين في مخادعهم، وتعتمد على التمثيليات والبرامج الترفيهية والثقافية والرياضية من أجل خدمة أهدافهم الخبيثة.

● **وسائل أخرى لها تأثير واسع:**

ـ **من هذه الوسائل:**

١ ـ **تقديم الخدمات الطبية بهدف استغلال هذه المهنة في التنصير:**

(أ) بول هاريسون له كتاب **الطبيب في بلاد العرب** يقول: «لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى».

(ب) س. أ. موريسون محرر في **مجلة العالم الإسلامي** يقول: «وحينئذٍ تكون الفرصة سانحة حتى يبشر هذا الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة في طول مصر وعرضها».

(جـ) المبشرة إيد هاريس تقول: «يجب على الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم».

(د) المستر هاربر يقول بوجوب الإكثار من الإرساليات الطبية؛ لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين. (مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م).

(هـ) من المبشرين الأطباء: آن أساوودج، وفورست، وكار نيليوسي فانديك، وجورج بوست، وتشالرز كلهون، وماري أوي، والدكتور طومسون.

٢ ـ **التعليم:**

(أ) إنهم يضعون كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم التنصيرية.

(ب) إنشاء المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا، وكذلك إنشاء دور للحضانة ورياض للأطفال واستقبال الطلبة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

(جـ) لقد وزعوا خلال مائة وخمسين عاماً ما يزيد على ألف مليون نسخة من نسخ العهد القديم والجديد مترجمة إلى ١١٣٠ لغة، عدا النشرات والمجلات التي تبلغ قيمتها بما يقدر بـ ٧٠٠٠ مليون دولار.

(د) الاستشراق والتنصير يتعاونان تعليمياً في خدمة أهدافهما المشتركة.

٣ ـ الأعمال الاجتماعية:

(أ) إيجاد بيوت للطلبة من الذكور والإناث.

(ب) إيجاد الأندية.

(جـ) الاهتمام بدور الضيافة والملاجىء للكبار ودور لليتامى واللقطاء.

(د) الاعتناء بالأعمال الترفيهية وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال.

(هـ) إنشاء المكتبات التبشيرية واستغلال الصحافة بشكل واسع.

(و) إنشاء مخيمات الكشافة التي تستغل أفضل استغلال في التنصير.

(ز) زيارة المسجونين والمرضى في المستشفيات وتقديم الهدايا والخدمات لهم.

(ح) تكلمت المس ولسون ومس هلداي في مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م عن دور المرأة مبشرة لتقوم بنشر ذلك بين نساء المسلمين.

٤ ـ النسل:

(أ) في اجتماع البابا(*) شنودة في ١٩٧٣/٣/٥م مع القساوسة(*) والأثرياء في الكنيسة(*) المرقسية بالإسكندرية طرحوا بعض المقررات، وقد كان منها تحريم تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة، وتشجيع الإكثار من النسل بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية، مع تشجيع الزواج المبكر بين النصارى. وفي المقابل تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين خاصة، علماً بأن أكثر من ٦٥٪ من الأطباء وبعض القائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة.

٥ ـ الفتن والحروب:

(أ) يعملون على تشجيع الحروب والفتن، وذلك لإضعاف الشعوب الإسلامية.

(ب) إثارة الاضطرابات المختلفة بإذكاء نار العدواة والبغضاء وإيقاظ روح القوميات الإقليمية الطائفية الضيقة، كالفرعونية في مصر والفينيقية في الشام وفلسطين ولبنان، والآشورية في العراق والبربرية في شمال إفريقيا، واستغلال جميع ذلك في التنصير.

(جـ) يقول زويمر في مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند ١٩١١م. «إن الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ واستثارة للديانة(*) المسيحية(*) كي تقوم بعملها».

٦ ـ الإمكانات:

(أ) في إندونيسيا يسيطرون على وسائل الإعلام، ولديهم إذاعات تبشيرية وصحف قومية، وإحصائية ١٩٧٥م تكشف أن فيها ٨٩١٩ كنيسة لطائفة البروتستانت و٣٨٩٧ قسيساً و٨٥٠٤ مبشرين متفرغين، ولطائفة الكاثوليك ٧٢٥٠ كنيسة(*) و٢٦٣٠ قسيساً(*) و٥٣٩٣ مبشراً متفرغاً، وقد وضعوا خطة للانتهاء من تنصيرها في عام ٢٠٠٠ ميلادية.

(ب) في بنجلاديش إرساليات تبشيرية كثيرة لتنصير المسلمين هناك.

(جـ) في كينيا: يعدون لتنصيرها تماماً في عام ٢٠٠٠ ميلادية، أيضاً.

(د) إن التنصير يلقي بثقله في ماليزيا ودول الخليج وإفريقيا.

(هـ) ذكر في مؤتمر عدم الانحياز في كوالا لمبور بأن هناك حوالي ٢٥٠٠ محطة إذاعية بـ ٦٤ لغة قومية تشن هجوماً صريحاً وضارياً ضد الإسلام.

(و) مجموع الإرساليات الموجودة في ٣٨ بلداً إفريقياً يبلغ ١١١,٠٠٠ إرسالية بعضها يملك طائرات تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى في الغابات وأحراش الجبال.

(ز) يوجد الآن في العالم ما يربو على ٢٢٠ ألف مبشر، منهم ١٣٨,٠٠٠ كاثوليكي، والباقي ٨٢,٠٠٠ بروتستانتي، وفي إفريقيا وحدها ١١٩,٠٠٠ مبشر ومبشرة ينفقون بليوني دولار سنوياً.

(ح) يستخدمون سفناً معدة إعداداً خاصاً يسمح بإقامة الحفلات على ظهرها، للاستعانة بها في توزيع المطبوعات الكنسية وإقامة الحفلات التي تستغل لأهدافهم الخاصة في التنصير، ويعلنون عنها باسم إقامة معرض عائم للكتاب.

(ط) يقوم مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان(*) وهيئات أخرى بالإشراف والتوجيه والدعم المالي لجميع الأنشطة التنصيرية، وتتوافر مصادر تمويل ثابتة من مختلف الحكومات والمؤسسات في الدول الغربية، وعن طريق المشروعات الاقتصادية والأراضي الزراعية والأرصدة في البنوك والشركات التابعة لهذه الحركات التنصيرية مباشرة وحملات جمع التبرعات التي يقوم بها القساوسة(*) من حين لآخر. وتوجد هيئات ومراكز للبحوث والتخطيط يعمل بها نخبة ممتازة من الباحثين المؤهلين ومن أهم هذه المراكز:

(ي) مركز البحوث التابع للفاتيكان.

(ك) مركز البحوث التابع لمجلس الكنائس(*) العالمي.
(ل) حركة الدراسات المسيحية(*) في كاليفورنيا.
(م) مركز البحث في كولورادو.
(ن) المركز المسيحي في نيروبي (كينيا وقد أنشىء في عام ١٤٠١هـ).
(س) مركز المعلومات المسيحي في نيجيريا.
(ع) المركز المسيحي الدراسي في روالبندي (باكستان) وقد تأسس سنة ١٩٦٦م ويعد من أكبر المراكز في آسيا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد بدأ التنصير وتوسع إثر الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان ١٠٩٩ ـ ١٢٥٤ أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين.

● الأب اليسوعي ميبز يقول: «إن الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا، إن الرهبان(*) الفرنسيين والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين في الشرق».

● يرى المستشرق الألماني بيكر Becker بأن «هناك عداء من النصرانية ضد الإسلام؛ بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية، ثم إن الإسلام قد امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها».

● التنصير في أساسه يهدف إلى تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية، وهو مقدمة أساسية للاستعمار(*) وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لقد انتشر التنصير وامتد إلى كل دول العالم الثالث.

● إنه يتلقى الدعم الدولي الهائل من أوربا وأمريكا، ومن مختلف الكنائس(*) والهيئات والجامعات والمؤسسات العالمية.

● إنه يلقي بثقله بشكل كثيف حول العالم الإسلامي، عن طريق فتح المدارس الأجنبية وتصدير البعوث والإرساليات التبشيرية، وتشجيع انتشار المجلات الخليعة والكتب العابثة والبرامج التليفزيونية الفاسدة، والسخرية من علماء الدين والترويج لفكرة تحديد النسل، والعمل على إفساد المرأة المسلمة، ومحاربة اللغة العربية

وتشجيع النعرات القومية.

● إنه يتمركز في أندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش والباكستان وفي إفريقيا بعامة.

● يزداد تيار التنصير نتيجة لسياسة التساهل من قبل الحكام في بعض البلدان الإسلامية، فبعضهم يحضر القداس بنفسه، وبعضهم يتبرع بماله لبناء الكنائس(*)، وبعضهم يتغافل عن دخول المسيحيين(*) بصورة غير مشروعة. والمطلوب اتخاد سياسة حازمة لإيقاف تيار التنصير قبل فوات الأوان.

ويتضح مما سبق:

أن التنصير حركة سياسية استعمارية تستهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة، وبين المسلمين على وجه الخصوص. ويستغل زعماؤها انتشار الجهل والفقر والمرض للتغلغل بين شعوب تلك الأمم متوسلين بوسائل الإعلام التقليدية من كتب ومطبوعات وإذاعة وتلفاز وأشرطة سمعية ومرئية، فضلاً عن المخيمات والتعليم والطب، إلى جانب الأنشطة الاجتماعية الإنسانية والإغاثية الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب، وغفلة وتساهل حكام بعض الدول الإسلامية. وتعتمد تلك الحركة في تحقيق أهدافها على تشويه صورة الإسلام وكتابه ورسوله، ﷺ، مسخرين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم.

مراجع للتوسيع:

- **الفكر الإسلامي الحديث**، د. محمد البهي ـ ط٨ ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **التبشير والاستعمار**، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ـ المطابع الأميرية بالقاهرة ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- **التبشير والاستعمار**، د. مصطفى الخالدي ود. عمر فروخ ـ ط٥ ـ ١٩٧٣م.
- **الغارة على العالم الإسلامي**، ا.ل. شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ـ ط٣ ـ المطبعة السلفية ـ ١٣٨٥هـ.
- **معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير**، إبراهيم سليمان الجبهان ـ ط٤ ـ عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٩٨١م.
- **أضواء على الاستشراق**، د. محمد عبد الفتاح عليان ـ ط١ ـ دار البحوث العلمية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **قادة الغرب يقولون**، جلال العالم ـ ط٢ ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **مجلة البلاغ، العدد ٤٨٤ في ١٤/ ٢/ ١٩٧٩م.**
- **دائرة المعارف الإسلامية**، The Eneyclopaedia of Islam.
- **دائرة معارف الدين والأخلاق**، Eneyclopaedia of Religion and Ethics 11 - Focus on Christian - Muslim Relations.
- **التبشير بالنصرانية خطر مغلف**، ندوة عقدتها جريدة الرياض السعودية ونشرت بتاريخ ١٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٣هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٨٢م العدد ٥٣١٢.
- **مجلة الأمة القطرية**، عدد شوال ١٤٠١هـ.
- **التنصير في الخليج**، معالي عبد الحميد حموده.
- **مذكرة عن التنصير**، رابطة العالم الإسلامي.
- **التنصير: خطة تنصير العالم الإسلامي**، وهي ترجمة لبحوث مؤتمر كلورادوا عام ١٩٧٨م صدر بالإنجليزية بعنوان: THE GOSPEL AND ISLAM.

٨٤ـ العلمانية

التعريف:

العلمانيةSECULARISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل(*)، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين(*). وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE ، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس، ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة، وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة، إذ لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة(*). وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح(*) من قوله: «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله». أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● انتشرت هذه الدعوة في أوروبا، وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي. وقد أدت ظروف كثيرة قبل الثورة(*) الفرنسية سنة ١٧٨٩م وبعدها إلى انتشارها الواسع وتبلور منهجها(*) وأفكارها، وقد تطورت الأحداث وفق الترتيب التالي:

ـ تحول رجال الدين إلى طواغيت(*) ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الإكليروس(*) والرهبانية(*) والعشاء الرباني(*) وبيع صكوك الغفران.

ـ وقوف الكنيسة(*) ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها لمحاكم التفتيش

واتهام العلماء بالهرطقة، مثل:

١ ـ كوبرنيكوس: نشر سنة ١٥٤٣م كتاب **حركات الأجرام السماوية** وقد حرمت الكنيسة هذا الكتاب.

٢ ـ جاليليوجاليلي: صنع التلسكوب فعُذب عذاباً شديداً، وعمره سبعون سنة وتوفى سنة ١٦٤٢م.

٣ ـ سبينوزا: صاحب مدرسة النقد التاريخي، وقد كان مصيره الموت مسلولا.

٤ ـ جون لوك طالب بإخضاع الوحي(*) للعقل(*) عند التعارض.

ظهور مبدأ العقل والطبيعة(*): فقد أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل وإضفاء صفات الإلٰه(*) على الطبيعة.

ـ الثورة(*) الفرنسية: نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة(*) من جهة وبين الحركة الجديدة من جهة أخرى، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب. وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية، وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم.

ـ جان جاك روسو سنة ١٧٧٨م له كتاب **العقد الاجتماعي** الذي يعد إنجيل الثورة، ومونتسكيو له **روح القوانين**، وسبينوزا (يهودي) يعد رائد العلمانية باعتبارها منهجاً(*) للحياة والسلوك وله رسالة **في اللاهوت(*) والسياسة**، وفولتير صاحب **القانون الطبيعي**، وكانتْ له **الدين(*) في حدود العقل وحده** سنة ١٨٠٤م، وليم جودين ١٧٩٣م له **العدالة السياسية** ودعوته فيه دعوة علمانية صريحة.

ـ ميرابو الذي يعد خطيب وزعيم وفيلسوف الثورة الفرنسية.

ـ سارت الجموع الغوغائية لهدم الباستيل وشعارها الخبز، ثم تحول شعارها إلى (الحرية(*) والمساواة والإخاء)، وهو شعار ماسوني و«لتسقط الرجعية»، وهي كلمة ملتوية تعني الدين، وقد تغلغل اليهود بهذا الشعار لكسر الحواجز بينهم وبين أجهزة الدولة وإذابة الفوارق الدينية، وتحولت الثورة(*) من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه.

ـ نظرية التطور: ظهر كتاب **أصل الأنواع** سنة ١٨٥٩م لتشارلز دارون الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، وقد جعلت الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها. وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد(*)

وقد استغل اليهود هذه النظرية بدهاء وخبث.

ـ ظهور نيتشة: وفلسفته التي تزعم بأن الإله(*) قد مات، وأن الإنسان الأعلى (السوبرمان) ينبغي أن يحل محله.

ـ دوركايم (اليهودي): جمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظرية العقل الجمعي.

ـ فرويد (اليهودي): اعتمد الدافع الجنسي مفسراً لكل الظواهر. والإنسان في نظره حيوان جنسي.

ـ كارل ماركس (اليهودي): صاحب التفسير المادي للتاريخ(*) الذي يؤمن بالتطور الحتمي(*)، وهو داعية الشيوعية ومؤسسها الأول الذي اعتبر الدين أفيون الشعوب.

ـ جان بول سارتر: في **الوجودية** وكولن ولسون في **اللامنتمي**: يدعوان إلى الوجودية والإلحاد.

ـ الاتجاهات العلمانية في العالم العربي والإسلامي نذكر نماذج منها:

١ ـ في مصر: دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت. وقد أشار إليها الجبرتي في تاريخه ـ الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر وأحداثها ـ بعبارات تدور حول معنى العلمانية، وإن لم تذكر اللفظة صراحة. أما أول من استخدم هذا المصطلح العلمانية فهو نصراني يدعى إلياس بقطر في **معجم عربي فرنسي** من تأليفه سنة ١٨٢٧م. وأدخل الخديو إسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م، وكان هذا الخديو مفتوناً بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوربا.

٢ ـ الهند: حتى سنة ١٧٩١م كانت الأحكام وفق الشريعة الإسلامية(*) ، ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة بتدبير الإنجليز، وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر.

٣ ـ الجزائر: إلغاء الشريعة الإسلامية(*) عقب الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م.

٤ ـ تونس: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩٠٦م.

٥ ـ المغرب: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩١٣م.

٦ ـ تركيا: لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة(*) واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك، وإن كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة.

٧ ـ العراق والشام: ألغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية، وتم تثبيت أقدام

الإنجليز والفرنسيين فيهما.

٨ ـ معظم أفريقيا: فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الاستعمار(*).

٩ ـ إندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرقي آسيا: دول علمانية.

١٠ ـ انتشار الأحزاب(*) العلمانية والنزعات القومية: حزب البعث، الحزب القومي السوري، النزعة الفرعونية، النزعة الطورانية(*)، القومية العربية.

١١ ـ من أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبد العزيز فهمي، ميشيل عفلق، أنطون سعادة، سوكارنو، سوهارتو، نهرو، مصطفى كمال أتاتورك، جمال عبد الناصر، أنور السادات صاحب شعار «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين»، د. فؤاد زكريا. د. فرج فودة وقد اغتيل بالقاهرة مؤخراً، وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

● بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً.

ـ وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

● الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل(*) والتجريب.

● إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة(*)، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

ـ فصل الدين(*) عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

ـ تطبيق مبدأ النفعية Pragmatism على كل شيء في الحياة.

ـ اعتماد مبدأ الميكيافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق(*).

ـ نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية.

● أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفضل الاستعمار(*) والتبشير فهي:

ـ الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة(*).

ـ الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه، وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

ـ الزعم بأن الفقه(*) الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.

ـ الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

ـ الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

ـ تشويه الحضارة الإسلامية، وتضخيم حجم الحركات(*) الهدامة في التاريخ الإسلامي، والزعم بأنها حركات إصلاح.

ـ إحياء الحضارات القديمة.

ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

ـ تربية الأجيال تربية لا دينية.

● إذا كان هناك عذر ما لوجود العلمانية في الغرب، فليس هناك أي عذر لوجودها في بلاد المسلمين؛ لأن النصراني إذا حكمه قانون مدني وضعي(*) لا ينزعج كثيراً ولا قليلاً؛ لأنه لا يعطل قانونا فرضه عليه دينه، وليس في دينه ما يُعدُّ منهجاً للحياة، أما مع المسلم فالأمر مختلف إذ يوجب عليه إيمانه الاحتكام إلى شرع الله. ومن ناحية أخرى ـ كما يقول د. يوسف القرضاوي ـ فإنه إذا انفصلت الدولة عن الدين بقى الدين النصراني قائماً في ظل سلطته القوية الفتية المتمكنة وبقيت جيوشها من الرهبان(*) والراهبات والمبشرين والمبشرات تعمل في مجالاتها المختلفة دون أن يكون للدولة عليهم سلطان بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية، فإن النتيجة أن يبقى الدين(*) بغير سلطان يؤيده ولا قوة تسنده، إذ لا بابوية له ولا كهنوت(*) ولا إكليروس(*)، وصدق الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قال: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● العداء المطلق للكنيسة(*) أولاً، وللدين ثانياً أيَّا كان، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه.

● لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

● يقول ألفرد هوايت هيو: «ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين» وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت(*) في أوربا فهو قول مردود، ولا يصح بحال فيما يخص الإسلام، إذ لا تعارض إطلاقاً بين الإسلام وبين حقائق العلم، ولم يقم بينهما أي صراع كما حدث

في النصرانية. وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الإسلام: «ما أمر بشيء، فقال العقل(*): ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء، فقال العقل ليته أمر به». وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية، وقد أذعن لذلك صفوة من علماء الغرب، وأفصحوا عن إعجابهم وتصديقهم لتلك الحقيقة في مئات النصوص الصادرة عنهم.

- تعميم نظرية (العداء بين العلم من جهة والدين من جهة) لتشمل الدين الإسلامي، على الرغم من أن الدين الإسلامي لم يقف موقف الكنيسة ضد الحياة والعلم، بل كان الإسلام سباقاً إلى تطبيق المنهج(*) التجريبي ونشر العلوم.

● إنكار الآخرة وعدم العمل لها، واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات.

● **لماذا يرفض الإسلام العلمانية؟:**

- لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح فتهتم بمطالب جسمه ولا تلقي اعتباراً لأشواق روحه.

- لأنها نبتت في البيئة الغربية وفقاً لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية، وتعد فكراً غريباً في بيئتنا الشرقية.

- لأنها تفصل الدين(*) عن الدولة، فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية.

- لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد(*) وعدم الانتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والانحلال.

- لأنها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع، ونفتح الأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح التعامل بالربا وتعلي من قدر الفن للفن، ويسعى كل إنسان لإسعاد نفسه ولو على حساب غيره.

- لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي من إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن ثم تسعى لأن يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة للغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدما.

- مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتُهمل أمور الغيب من إيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت العلمانية في أوربا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة(*) الفرنسية سنة ١٧٨٩م. وقد عمت أوربا في القرن التاسع عشر، وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار(*) والتبشير.

يتضح مما سبق:

● أن العلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على أسس العلم الوضعي والعقل(*) بعيداً عن الدين الذي يتم فصله عن الدولة وحياة المجتمع وحبسه في ضمير الفرد، ولا يصرح بالتعبير عنه إلاَّ في أضيق الحدود. وعلى ذلك فإن الذي يؤمن بالعلمانية بديلاً عن الدين ولا يقبل تحكيم الشريعة الإسلامية(*) في كل جوانب الحياة، ولا يحرم ما حرم الله يعد مرتداً ولا ينتمي إلى الإسلام. والواجب إقامة الحجة عليه واستتابته حتى يدخل في حظيرة الإسلام، وإلا جرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة.

مراجع للتوسع:

- **جاهلية القرن العشرين**، محمد قطب.
- **المستقبل لهذا الدين**، سيد قطب.
- **تهافت العلمانية**، عماد الدين خليل.
- **الإسلام والحضارة الغربية**، محمد محمد حسين.
- **العلمانية**، سفر بن عبدالرحمن الحوالي.
- **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، محمد عبد الله عنان.
- **الإسلام ومشكلات الحضارة**، سيد قطب.
- **الغارة على العالم الإسلامي**، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.
- **الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية**، محمد المبارك.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، محمد البهي.
- **الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه**، د. يوسف القرضاوي.
- **العلمانية: النشأة والأثر في الشرق والغرب**، زكريا فايد.
- **وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية للخروج من دائرة الكفر الاعتقادي**، د. محمد شتا

أبو سعد، القاهرة، ١٤١٣هـ.
- **جذور العلمانية**، د. السيد أحمد فرج - دار الوفاء المنصورة ١٩٩٠م.
- **علماني وعلمانية**، د. السيد أحمد فرج - بحث ضمن المعجمية الدولية بتونس ١٩٨٦م.

٨٥ ـ الاستشراق

التعريف:

الاستشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● البدايات:

ـ من الصعب تحديد بداية للاستشراق، إذ إن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري. وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب(*) يوحنا الدمشقي John of Damascus في كتابين الأول: **حياة محمد**. والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل(*) المسلمين. وأياً كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار(*) وتسهيل عمله ونشر المسيحية(*).

ـ وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م، وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

ـ لم يظهر مفهوم الاستشراق Orientalism في أوربا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م.

ـ هربر دي أورلياك (٩٣٨ ـ ١٠٠٣م) Herbert de oraliac من الرهبانية(*)

البندكتية، قصد الأندلس، وقرأ على أساتذتها ثم انتخب - بعد عودته - حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني ٩٩٩ - ١٠٠٣م فكان بذلك أول بابا(*) فرنسي.

- في عام ١١٣٠م قام رئيس أساقفة(*) طليطلة بترجمة بعض الكتب العلمية العربية.

- جيرار دي كريمونا ١١١٤ - ١١٨٧م Gerard de Grémona إيطالي، قصد طليطلة وترجم ما لا يقل عن ٨٧ مصنفاً في الفلسفة(*) والطب والفلك وضرب الرمل.

- بطرس المكرم ١٠٩٤ - ١١٥٦م Prèrre le Vènèrable فرنسي من الرهبانية البندكتية، رئيس دير كلوني، قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام. وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ١١٤٣م التي قام بها الإنجليزي روبرت أوف كيتون Robert of Ketton.

- يوحنا الإشبيلي: يهودي متنصر Juan de Sevilla ظهر في منتصف القرن الثاني عشر وعني بعلم التنجيم(*)، نقل من العربية أربعة كتب لأبي معشر البلخي ١١٣٣م وقد كان ذلك بمعاونة إدلر أوف باث.

- روجر بيكون ١٢١٤ - ١٢٩٤م Roger Bacon إنجليزي، تلقى علومه في أكسفورد وباريس إذ نال الدكتوراه في اللاهوت(*)، ترجم عن العربية كتاب **مرآة الكيمياء** نورمبرج ١٢٥١م.

- رايموند لول ١٢٣٥ - ١٣١٤ م قضى تسع سنوات ١٢٦٦ - ١٢٧٥ م في تعلم العربية ودراسة القرآن، وقصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرّس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام. ووافقه البابا. وفي مؤتمر فيينا سنة ١٣١٢م تم إنشاء كراسٍ للغة العربية في خمس جامعات أوربية هي: باريسُ، اكسفورد، وبولونيا بإيطاليا، وسلمنكا بإسبانيا، بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما.

- قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة. ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية، والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية.

وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتماماً حقيقيًّا بالحضارة الإسلامية، وحاول أن يتعامل معها بموضوعية. وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال. ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافاتهم وعقائدهم، فصدر منهم ما لا يقبله المسلم. وهذا يعني أن أي تصنيف

للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء. فقد يصدر ممن عرف عنه الاعتدال قول أو رأي مرفوض، وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافاً جميلاً للإسلام. ولهذا نتوقع أن تكون بعض الأسماء التي شملها تصنيفنا الآتي محل نظر.

● **مستشرقون منصفون:**

ـ هادريان ريلاند ت ١٧١٨م Hardrian Roalnd أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا، له كتاب **الديانة المحمدية** في جزأين باللغة اللاتينية ١٧٠٥م، لكن الكنيسة(*) في أوربا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها.

ـ يوهان ج. رايسكة ١٧١٦ ـ ١٧٧٤م J.J.Reiske وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة(*) لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائساً ومات مسلولاً، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.

ـ سلفستر دي ساسي: ١٨٣٨م Silvestre de Sacy اهتم بالأدب والنحو مبتعداً عن الخوض في الدراسات الإسلامية، وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوي.

ـ توماس أرنولد ١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م إنجليزي، له **الدعوة إلى الإسلام** الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية.

ـ غوستاف لوبون: مستشرق وفيلسوف مادي(*)، لا يؤمن بالأديان(*) مطلقاً، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية، مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.

ـ زيجريد هونكه: اتسمت كتابتها بالإنصاف وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير **شمس العرب تسطع على الغرب**.

ـ ومن المعتدلين: جاك بيرك، أنا ماري شمل، وكارلايل، ورينيه جينو، والدكتور جرينيه، وجوته الألماني.

ـ أ. ج. أربري A.J. Arberry، من كتبه **الإسلام اليوم** صدر ١٩٤٣م، وله **التصوف** صدر ١٩٥٠م، وترجمة معاني القرآن الكريم.

● **مستشرقون متعصبون:**

ـ جولدزيهر Goldizher ١٨٥٠ ـ ١٩٢٠م مجري يهودي، من كتبه **تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي**. **والعقيدة والشريعة**. ولقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوربا بلا منازع.

- جون ماينارد J. Maynard أمريكي، متعصب، من محرري مجلة **الدراسات الإسلامية**.

- ص م. زويمر S.M. Zweimer مستشرق مبشر، مؤسس مجلة **العالم الإسلامي** الأمريكية، له كتاب **الإسلام تحد لعقيدة** صدر ١٩٠٨م، وله كتاب **الإسلام** عبارة عن مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ١٩١١م في لكهنئو بالهند.

- غ. فون. غرونباوم G. Von Grunbaum ألماني يهودي، درَّس في جامعات أمريكا، له كتاب **الأعياد المحمدية** ١٩٥١م **ودراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية** ١٩٥٤م.

- أ. ج. فينسينك A.J. Wensink عدو للإسلام، له كتاب **عقيدة الإسلام** ١٩٣٢م. وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى.

- كينيث كراج K. Gragg أمريكي، متعصب، له كتاب **دعوة المئذنة** ١٩٥٦م.

- لوي ماسينيون L. Massignon فرنسي، مبشر، مستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية لشؤون شمال أفريقيا، له كتاب **الحلاج الصوفي شهيد الإسلام** ١٩٢٢م.

- د.ب. ماكدونالد D.B.Macdonald أمريكي، متعصب، مبشر، له كتاب **تطور علم الكلام**(*) **والفقه والنظرية الدستورية** ١٩٣٠م. وله **الموقف الديني والحياة في الإسلام** ١٩٠٨م.

- مايلز جرين M. Green سكرتير تحرير مجلة الشرق الأوسط.

- د.س. مرجليوث D.S. Margoliouth ١٨٨٥ - ١٩٤٠م إنجليزي، متعصب، من مدرسته طه حسين وأحمد أمين، وله كتاب **التطورات المبكرة في الإسلام** صدر ١٩١٣م. وله **محمد ومطلع الإسلام** صدر ١٩٠٥م وله **الجامعة الإسلامية** صدر ١٩١٢م.

- بارون كارادي فو Baron Carra de Voux فرنسي، متعصب، من كبار محرري **دائرة المعارف الإسلامية**.

- هـ. أ. ر. جب H.A.R. Gibb ١٨٩٥ - ١٩٦٥ إنجليزي، من كتبه **المذهب**(*) **المحمدي** ١٩٤٧م **والاتجاهات الحديثة في الإسلام** ١٩٤٧م.

- ر. أ. نيكولسون R.A. Nickolson إنجليزي، ينكر أن يكون الإسلام ديناً روحيًّا وينعته بالمادية وعدم السمو الإنساني، وله كتاب **متصوفو الإسلام** ١٩١٠م وله **التاريخ الأدبي للعرب** ١٩٣٠م.

- هنري لامنس اليسوعي ١٨٧٢ - ١٩٣٧م H. Lammans فرنسي، متعصب، له كتاب **الإسلام** وله كتاب **الطائف**، من محرري دائرة المعارف الإسلامية.

- جوزيف شاخت J. Schacht ألماني، متعصب ضد الإسلام، له كتاب **أصول الفقه الإسلامي**.

- بلاشير: كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين.

- ألفردجيوم A. Geom إنجليزي، متعصب ضد الإسلام من كتبه **الإسلام**.

الأفكار والمعتقدات:

● **أهداف الاستشراق.**

- **الهدف الديني:**

كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة، وهو يتمثل في:

١ - التشكيك في صحة رسالة النبي(*) ﷺ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى. والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السُّنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول، ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.

٢ - التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم، وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين (تنزيل من حكيم حميد).

٣ - التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمداً من الفقه الروماني.

٤ - النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور، وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى.

٥ - إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية، بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.

٦ - العمل على تنصير المسلمين.

٧ - الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم.

٨ - لقد كان الهدف الإستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو

حماية أوربا من قبول الإسلام، بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

ـ الهدف التجاري:

لقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى، والملوك كذلك، يدفعون المال الوفير للباحثين، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، وقد كان ذلك جليًّا في عصر ما قبل الاستعمار(*) الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ـ الهدف السياسي يهدف إلى:

١ ـ إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم.

٢ ـ العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة؛ لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

٣ ـ كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها، ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها.

٤ ـ في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات؛ لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي.

ـ الهدف العلمي الخالص:

ـ بعضهم اتجه إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة خالصة، وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه، نذكر منهم:

١ ـ توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابة **الدعوة إلى الإسلام**.

٢ ـ المستشرق الفرنسي رينيه فقد أسلم وعاش في الجزائر، وله كتاب **أشعة خاصة بنور الإسلام** مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر.

● **أهم المؤلفات:**

ـ تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ت ١٩٥٦م.

ـ دائرة المعارف الإسلامية: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد صدرت في الفترة ١٩١٣ ـ ١٩٣٨م. غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٤٥م وحتى عام ١٩٧٧م.

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف، والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالاضافة إلى **مسند الدارمي** و**موطأ مالك** و**مسند أحمد بن حنبل** وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداءً من عام ١٩٣٦م.

ـ لقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب.

● **المؤتمرات والجمعيات:**

ـ عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣م.

ـ تتابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دوليًّا، فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة الخاصة بكل دولة من الدول، كمؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام ١٨٤٩م، ولا تزال تنعقد مثل هذه المؤتمرات باستمرار حتى الآن.

ـ يحضر هذه المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين، إذ حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة ٩٠٠ عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.

ـ هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس تأسست عام ١٨٢٢م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٢م والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥م.

● **المجلات الاستشراقية:**

للمستشرقين اليوم من المجلات والدوريات عدد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة، وبمختلف اللغات نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ مجلة **العالم الإسلامي** The Muslim World أنشأها صمويل زويمر ت ١٩٥٢م في بريطانيا سنة ١٩١١م وقد كان زويمر هذا رئيس المبشرين في الشرق الأوسط.

٢ ـ مجلة **عالم الإسلام** Mir Islama ظهرت في بطرسبرج عام ١٩١٢م لكنها لم تعمر طويلاً.

٣ ـ مجلة **ينابيع الشرق** أصدرها هامر برجشتال في فيينا من ١٨٠٩ إلى ١٨١٨م.

٤ ـ مجلة: **الإسلام** ظهرت في باريس عام ١٨٩٥م ثم خلفتها عام ١٩٠٦م **مجلة العالم الإسلامي** التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، وقد تحولت بعد ذلك إلى **مجلة الدراسات الإسلامية**.

٥ ـ في عام ١٩١٠م ظهرت مجلة **الإسلام** Der Islam.

● **الاستشراق في خدمة الاستعمار**(*):

ـ كارل هنيريش بيكر Kar Heinrich Beeker ت ١٩٣٣م مؤسس **مجلة الإسلام الألمانية**، قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في أفريقيا.

ـ بارتولد Barthold ت ١٩٣٠م مؤسس **مجلة عالم الإسلام** الروسية، قام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى.

ـ الهولندي سنوك هرجرونجه Snouck Hurgonje, G. ١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م قدم إلى مكة عام ١٨٨٤م تحت اسم عبد الغفار، ومكث مدة نصف عام، وعاد ليكتب تقارير تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي. وقد سبق له أن أقام في جاوه مدة ١٧ سنة. وقد صدرت الصور التي أخذها لمكة والأماكن المقدسة في كتاب بمناسبة مرور مائة سنة على تصويرها.

ـ معهد اللغات الشرقية بباريس المؤسس عام ١٨٨٥م كانت مهمته الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى، مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق.

ـ وهكذا نرى أن مثل هؤلاء المستشرقين جزء من مخطط كبير، هو المخطط الصهيوني الصليبي لمحاربة الإسلام، ولا نستطيع أن نفهمهم على حقيقتهم إلا عندما نراهم في إطار ذلك المخطط الذي يهدف إلى تخريج أجيال لا تعرف الإسلام أو لا تعرف من الإسلام إلا الشبهات، وقد تم انتقاء أفراد من هذه الأجيال لتتبوأ أعلى المناصب ومراكز القيادة والتوجيه لتستمر في خدمة الاستعمار(*).

● **آراء استشراقية خطرة:**

ـ جورج سيل G. Sale زعم في مقدمة ترجمته **لمعاني القرآن** ١٧٣٦م، أن القرآن إنما هو من اختراع محمد ومن تأليفه وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل(*).

ـ ريتشارد بل Richard Bell يزعم بأن النبي(*) محمداً، ﷺ، قد استمد **القرآن** من مصادر يهودية ومن العهد القديم(*) بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية.

ـ دوزي ت ١٨٨٣م: يزعم أن **القرآن الكريم** ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل، كما يزعم أن فيه إطناباً بالغاً ومملاً إلى حد بعيد.

ـ جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني أومسبي غو لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨م: «إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة(*) وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة».

ـ يقول شيلدون آموس: «إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية، ويقول

كذلك: «إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان في لباس عربي».

ـ قال رينان الفرنسي: «إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية».

ـ أما لويس ماسينيون فقد كان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة في العامية وبالحرف اللاتيني.

ولكن:

ـ مما لا شك فيه أن للمستشرقين فضلاً كبيراً في إخراج الكثير من كتب التراث ونشرها محققة مفهرسة مبوبة.

ـ ولا شك أن الكثير منهم يملكون منهجية علمية تعينهم على البحث.

ـ ولا ريب في أن لدى بعضهم صبراً ودأباً وجلداً في التحقيق والتمحيص وتتبع المسائل.

ـ وما على طالب العلم إلا أن يلتقط الخير من مؤلفاتهم متنبهاً إلى مواطن الدس والتحريف؛ ليتجنبها أو ليكشفها أو ليرد عليها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، خاصة أن الفكر الاستشراقي المعاصر قد بدأ يغير من أساليبه وقسماته من أجل المحافظة على الصداقة والتعاون بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، وإقامة حوار بين المسيحية(*) والإسلام، ومحاولة تغيير النظرة السطحية الغربية إلى المسلمين، وربما كمحاولة لاستقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم فلنكن حذرين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد كان الاستشراق وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني أيام الصليبيين، وعن طريق السفارات والرحلات. ويلاحظ دائماً أن هناك تقارباً وتعاوناً بين الثالوث المدمر: التنصير والاستشراق والاستعمار(*)، والمستعمرون يساندون المستشرقين والمنصرين؛ لأنهم يستفيدون منهم كثيراً في خططهم الاستعمارية.

● كان الدافع الأساسي هو الجانب اللاهوتي(*) النصراني بغية تحطيم الإسلام من داخله بالدس والكيد والتشويه، ولكن الاستشراق بعد ذلك وفي الآونة الأخيرة بدأ يتحلل من هذا القيد نوعاً ما ليتوجه توجهاً أقرب إلى الروح العلمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الغرب هو المسرح الذي يتحرك فوق أرضه المستشرقون، فمنهم الألمان

ومنهم البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والمجريون، وظهر بعضهم في إيطاليا وفي إسبانيا، وقد علا نجم الاستشراق في أمريكا وصارت له فيها مراكز كثيرة.

● لم تبخل الحكومات، ولا الهيئات ولا الشركات ولا المؤسسات ولا الكنائس في يوم من الأيام في دعم حركة الاستشراق ومدها بما تحتاجه من مال، وتأييد وإفساح الطريق أمامها في الجامعات، حتى بلغ عدد هؤلاء المستشرقين آلافاً كثيرة.

● لقد كانت حركة الاستشراق مُسخَّرة في خدمة الاستعمار، وفي التنصير، وأخيراً في خدمة اليهودية والصهيونية، التي يهمها إضعاف الشرق الإسلامي وإحكام السيطرة عليه بشكل مباشر أو غير مباشر.

● استطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجامع العلمية، وقد عُيِّن عدد كبير منهم أعضاء في هذه المجامع في سوريا ومصر، كما استطاعوا أن يؤثروا على الدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي، من خلال تلاميذهم ومؤلفاتهم.

ويتضح مما سبق:

● .أن الاستشراق تيار فكري، يتجه صوب الشرق، لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار، وتنصير المسلمين، وجعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية، وذلك ببث الدونية فيهم، وبيان أن دينهم مزيج من اليهودية والنصرانية، وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية، والنيل من لغتهم، وتشويه عقيدتهم وقيمهم، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم وخدم العقيدة الإسلامية، وأثَّرَ في مُحْدثيهم، فبدأت كتاباتهم تجنح نحو العلمية، وتنحو نحو العمق بدلاً من السطحية، وربما صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وهذا يقتضي الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يتدثر الآن بدثار الموضوعية.

مراجع للتوسع:

- **الاستشراق**، إدوارد سعيد ـ ترجمة كمال أبو ديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت ١٩٨١م.
- **المستشرقون**، نجيب العقيقي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨١م.
- **الاستشراق والمستشرقون**، د. مصطفى السباعي ـ ط٢ ـ المكتب الإسلامي ـ ١٩٧٩م.

- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، د. مصطفى السباعي - بيروت ١٩٧٨م.
- **إنتاج المستشرقين**، مالك بن نبي.
- **أوربا والإسلام**، هشام جعيط - ترجمة طلال عتريسي - دار الحقيقة - بيروت - ١٩٨٠م.
- **الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط**، د. جورج سارطون - ترجمة د. عمر فروخ - ط١ - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٥٢م.
- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. محمود حمدي زقزوق - ط١ - كتاب الأمة ١٤٠٤ هـ.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، محمد البهي - دار الفكر - بيروت ١٩٧٣م.
- **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، د. عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨١م.
- **الإسلام في الفكر الغربي**، محمود حمدي زقزوق - دار القلم - الكويت ١٩٨١م.
- **الدراسات الإسلامية بالعربية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت - ترجمة د. مصطفى ماهر - القاهرة ١٩٦٧م.
- **أضواء على الاستشراق**، د. محمد عبد الفتاح عليان - ط١ - دار البحوث العلمية - الكويت ١٩٨٠م.
- **المستشرقون والإسلام**، محاضرة للأستاذ محمد قطب.
- **المستشرقون والموضوعية**، د. أحمد غراب.

المراجع الأجنبية:

- Rudi Parel: Der Koran Uebersetzung Stuttgart 1980.
- C.E. Bosworth: Orientalism and Orientalists (in Arab Islamic Biblography) 1977 Great Britain.
- H.A. Flacher-Bernicol: Die Islamische Revolution Stuttgart 1981.
- Johann Fueck: Die Arabischon Studien in Europa Leipzig 1955.
- Custar Pfonn Mueller: Handbuch der Islami Leteratur Berlin 1933.
- M. Rodinson; Mohammde: Frank Furt 1975.

٨٦ـ التغريب

التعريف:

التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بدأ الحكام المستغربون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها، عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوروبية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة، وذلك لمواجهة تطلع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوربية.

● لما قضى السلطان محمود الثاني على الإنكشارية العثمانية سنة ١٨٢٦م أمر باتخاذ الزيِّ الأوروبي الذي فرضه على العسكريين والمدنيين على حد سواء.

● أصدر السلطان العثماني عبد المجيد منشوراً ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م يسمح فيه لغير المسلمين بأن يلتحقوا بالخدمة العسكرية.

● استقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من السويد وفرنسا والمجر وإنجلترا وذلك لإنشاء المدارس الحربية والبحرية.

● قام محمد علي والي مصر، والذي تولى سنة ١٨٠٥م، ببناء جيش على النظام الأوروبي، كما عمد إلى ابتعاث خريجي الأزهر من أجل التخصص في أوروبا.

● أنشأ أحمد باشا باي الأول في تونس جيشاً نظامياً، وافتتح مدرسة للعلوم الحربية فيها ضباط وأساتذة فرنسيون وإيطاليون وإنجليز.

● افتتحت أسرة القاجار التي حكمت إيران كلية للعلوم والفنون على أساس غربي سنة ١٨٥٢م.

● منذ عام ١٨٦٠م بدأت حركة التغريب عملها في لبنان عن طريق الإرساليات، ومنها امتدت إلى مصر في ظل الخديوي إسماعيل الذي كان هدفه أن يجعل مصر قطعة من أوروبا.

● التقى الخديوي إسماعيل في باريس مع السلطان العثماني عبد العزيز ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م حينما لبَّيا دعوة الإمبراطور نابليون الثالث لحضور المعرض الفرنسي العام، وقد كانا يسيران في تيار الحضارة الغربية.

● ابتعث رفاعة الطهطاوي إلى باريس وأقام فيها خمس سنوات ١٨٢٦ ـ ١٨٣١م وكذلك ابتعث خير الدين التونسي إليها، وأقام فيها أربع سنوات ١٨٥٢ ـ ١٨٥٦م، وقد عاد كل منهما محملاً بأفكار تدعو إلى تنظيم المجتمع على أساس علماني عقلاني.

● منذ ١٨٣٠م بدأ المبتعثون العائدون من أوربا في ترجمة كتب فولتير وروسو ومونتسكيو، في محاولة منهم لنشر الفكر الأوربي الذي ثار ضد الدين(*) والذي ظهر في القرن الثامن عشر (على النحو الذي فصلنا، في مادة العلمانية).

● أنشأ كرومر كلية فيكتوريا بالإسكندرية لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي؛ ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية.

ـ قال اللورد لويد (المندوب السامي البريطاني في مصر) حينما افتتح هذه الكلية سنة ١٩٣٦م: «كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ».

● كان نصارى الشام من أول من اتصل بالبعثات التبشيرية وبالإرساليات، ومن المسارعين في تلقي الثقافة الفرنسية والإنجليزية، كما كانوا يشجعون العلمانية التحررية وذلك لعدم إحساسهم بالولاء تجاه الدولة العثمانية، فبالغوا في إظهار إعجابهم بالغرب ودعوا إلى الاقتداء به وتتبع طريقه، وقد ظهر ذلك جلياً في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها.

● كان ناصيف اليازجي ١٨٠٠ ـ ١٨٧١م وابنه إبراهيم اليازجي ١٨٤٧ ـ ١٩٠٦م على صلة وثيقة بالإرساليات الأمريكية الإنجيلية.

● أسس بطرس البستاني ١٨١٩ ـ ١٨٨٣م في عام ١٨٦٣م مدرسة لتدريس اللغة العربية والعلوم الحديثة، فكان بذلك أول نصراني يدعو إلى العروبة والوطنية إذ كان شعاره «حب الوطن من الإيمان»، كما أصدر صحيفة **الجنان** سنة ١٨٧٠م التي استمرت ست عشرة سنة. وقد تولى منصب الترجمة في قنصلية أمريكا ببيروت مشاركا في الترجمة البروتستانتية للتوراة(*) مع الأمريكيين سميث وفانديك.

● أنشأ جورجي زيدان ١٨٦١ ـ ١٩١٤م مجلة **الهلال** في مصر وذلك في سنة ١٨٩٢م، وقد كان على صلة بالمبعوثين الأمريكان، كما كانت له سلسلة من القصص التاريخية التي حشاها بالافتراءات على الإسلام والمسلمين.

● أسس سليم تقلا صحيفة **الأهرام** في مصر، وقد سبق له أن تلقى علومه في مدرسة عبية بلبنان، والتي أنشأها المبشر الأمريكي فانديك.

● أصدر سليم النقاش صحيفة **المقتطف** التي عاشت ثمانية أعوام في لبنان، انتقلت بعدها إلى مصر في سنة ١٨٨٤م.

● تجوَّل جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨-١٨٩٧م كثيراً في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وقد أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث إلى مصر، كما يقال بأنه انضم إلى المحافل الماسونية، وكان على صلة بالمستر بلنت البريطاني.

● كان الشيخ محمد عبده ١٨٤٩-١٩٠٥م من أبرز تلاميذ الأفغاني، وشريكه في إنشاء مجلة **العروة الوثقى**، وكانت له صداقة مع اللورد كرومر والمستر بلنت، ولقد كانت مدرسته - ومنها رشيد رضا - تدعو إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل(*)؛ بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب، كما دعا الشيخ محمد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه.

● كان المستشرق مستربلنت: يطوف هو وزوجته مرتدياً الزي العربي، داعياً إلى القومية العربية، وإلى إنشاء خلافة عربية بغية تحطيم الرابطة الإسلامية.

● قاد قاسم أمين ١٨٦٥ - ١٩٠٨م، وهو تلميذ محمد عبده، الدعوة إلى تحرير المرأة وتمكينها من العمل في الوظائف والأعمال العامة. وقد كتب **تحرير المرأة** - ١٨٩٩م **والمرأة الجديدة** ١٩٠٠م.

● كان سعد زغلول: الذي صار وزيراً للمعارف سنة ١٩٠٦م شديد التأثر بآراء محمد عبده، وقد نفذ فكرة كرومر القديمة والداعية إلى إنشاء مدرسة للقضاء الشرعي، بقصد تطوير الفكر الإسلامي من خلال مؤسسة غير أزهرية منافسة له.

● كان أحمد لطفي السيد ١٨٧٢ - ١٩٦٣م: من أكبر مؤسسي حزب(*) الأحرار الدستوريين الذين انشقوا عن سعد زغلول سياسياً، وكان يدعو إلى الإقليمية الضيقة، وهو صاحب العبارة المشهورة التي أطلقها عام ١٩٠٧م وهي «مصر للمصريين». وقد تولى شؤون الجامعة المصرية منذ تسلمتها الحكومة المصرية عام ١٩١٦م وحتى ١٩٤١م تقريباً.

● وكان طه حسين ١٨٨٩ - ١٩٧٣م من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي، إذ تلقى علومه على يد المستشرق دوركايم، وقد نشر أخطر آرائه في كتابيه **الشعر الجاهلي** و**مستقبل الثقافة في مصر**.

- يقول في كتابه **الشعر الجاهلي** ص ٢٦: «للتوراة(*) أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل

وللقرآن أن يحدثنا، أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي».

ـ ويقول بعد ذلك: «وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح(*)». كما أنه ينفي فيه نسب النبي(*) ﷺ إلى أشراف قريش.

ـ لقد بدأ طه حسين محاضرة له في اللغة والأدب بحمد الله والصلاة على نبيه ثم قال: «سيضحك مني بعض الحاضرين إذا سمعني أبدأ هذه المحاضرة بحمد الله والصلاة على نبيه لأن ذلك يخالف عادة العصر». (مجلة **الهلال**، عدد أكتوبر ونوفمبر ١٩١١م).

● ازدهرت حركة التغريب بعد سيطرة الاتحاديين عام ١٩٠٨م على الحكم في الدولة العثمانية وسقوط السلطان عبد الحميد.

● وفي سنة ١٩٢٤م ألغت حكومة مصطفى كمال أتاتورك الخلافة(*) العثمانية مما مهد لانضمام تركيا إلى الركب العلماني الحديث، وفرض عليها التغريب بأقصى صوره وأعنفها.

● علي عبد الرزاق: نشر سنة ١٩٢٥م كتابه **الإسلام وأصول الحكم** الذي ترجم إلى الإنجليزية والأردية. يحاول فيه المؤلف أن يقنع القارىء بأن الاسلام دين(*) فقط، وليس ديناً ودولة. وقد ضرب سميث مثلاً به عندما أشار إلى أن التحررية العلمانية والعالمية لا تروج في العالم الاسلامي إلا إذا فسرت تفسيراً إسلامياً مقبولاً، وقد حوكم الكتاب والمؤلف من قبل هيئة كبار العلماء بالأزهر في ١٢/٨/ ١٩٢٥م وصدرت ضده إدانة أخرجته من زمرة العلماء. وكان يشرف على مجلة **الرابطة الشرقية**، كما أقام حفل تكريم لأرنست ١٨٢٣-١٨٩٢م في الجامعة المصرية بمناسبة مرور مائة سنة على ولادة هذا المستشرق الذي لم يدخر وسعاً في مهاجمة العرب والمسلمين.

● وكان محمود عزمي من أكبر دعاة الفرعونية في مصر، درس على أستاذه دور كايم الذي كان يقول له: «إذا ذكرت الاقتصاد فلا تذكر الشريعة(*)، وإذا ذكرت الشريعة فلا تذكر الاقتصاد».

● وسبق أن قدم منصور فهمي ١٨٨٦ ـ ١٩٥٩م: أول أطروحة للدكتوراه على أستاذه ليفي بريل مهاجماً نظام الزواج في الإسلام، والتي موضوعها **حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها**. وفي هذه الرسالة يقول: «محمد يشرع لجميع الناس ويستثني نفسه» ويقول: «إلا أنه أعفى نفسه من المهر والشهود»، لكنه انتقد بعد ذلك حركة(*) التغريب في سنة ١٩١٥م وجاهر بآرائه في الأخطاء التي حملها طه حسين ومدرسته.

● ويُعد إسماعيل مظهر من أئمة مدرسة التغريب لكنه لم يلبث أن تحول عنها إبان عصر النهضة الحديثة.

● وكان زكي مبارك في مقدمة تلاميذ طه حسين. درس على أيدي المستشرقين، وسبق له أن قدم أطروحة للدكتوراه في **الغزالي والمأمون** مهاجماً الغزالي هجوماً عنيفاً، لكنه رجع عن ذلك فيما بعد وكتب مقاله المعروف **إليك أعتذر أيها الغزالي**.

● ويعد محمد حسين هيكل ١٨٨٨ ـ ١٩٥٦م رئيس تحرير جريدة **السياسة** في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين، وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد معاً انطلاقاً من نظرة عقلانية (**حياة محمد**). لكنه عدل عن ذلك وكتب معبراً عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه **في منزل الوحي**.

● وكان الشيخ أمين الخولي وهو من مدرسي مادتي التفسير والبلاغة بالجامعة المصرية، يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة فنية بغض النظر عن مكانته الدينية، وقد استمر في ذلك حتى كشفه الشيخ محمود شلتوت سنة ١٩٤٧م.

● وقاد شبلي شميل ١٨٦٠ ـ ١٩١٧م الدعوة إلى العلمانية ومهاجمة قيم الأديان(*) والأخلاق(*).

الأفكار والمعتقدات:

● **أفكار تغريبية**:

ـ المستشرق الإنجليزي جب ألف كتابا أسماه **إلى أين يتجه الإسلام** الذي يقول فيه: «من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة». وقد أعلن في بحثه هذا صراحة أنه هدف إلى معرفة «إلى أي مدى وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب».

ـ عندما دخل اللورد أللنبي القدس عام ١٩١٨م أعلن قائلاً: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

ـ يقول لورنس براون: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار(*) الغربي». ولهذا فلابد من الدعوة إلى أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري.

ـ تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية، ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه.

ـ الدعوة إلى الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة إلى الحرية(*)، باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضاً مصحوباً بالإعجاب، وتكرار الكلام

حول تعدد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين.

ـ نشر فكرة العالمية والإنسانية التي يزعم أصحابها بأن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب(*) واحد، تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية؛ لإحلال السلام في العالم، ولتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين(*) واحد ويتكلم بلغة واحدة وثقافة مشتركة؛ بغية تذويب الفكر الإسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي.

ـ إن نشر الفكر القومي كان خطوة على طريق التغريب في القرن التاسع عشر، وقد انتقل من أوروبا إلى العرب والإيرانيين والترك والأندونيسيين والهنود، بغية تمزيق الكتل الكبيرة إلى كيانات جزئية تقوم على رابط جغرافي يجمع أناساً ينتمون إلى أصول عرقية مشتركة.

ـ تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة، يقول المستشرق جب: «وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن... وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية القوميات المحلية وتدعيم مقوماتها».

ـ عرض روكفلر الصهيوني المتعصب تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر وملحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن.

ـ إن كلاً من الاستعمار،(*) والاستشراق، والشيوعية، والماسونية وفروعها، والصهيونية، ودعاة التوفيق بين الأديان «وحدة الأديان(*)»، قد تآزروا جميعاً في دعم حركة(*) التغريب وتأييدها؛ بهدف تطويق العالم الإسلامي وتطويعه ليكون أداة لينة بأيديهم.

ـ نشر المذاهب الهدامة كالفرويدية، والداروينية، والماركسية، والقول بتطور الأخلاق(*) (ليفي بريل) وبتطور المجتمع (دوركايم)، والتركيز على الفكر الوجودي والعلماني، والتحرري، والدراسات عن التصوف الإسلامي، والدعوة إلى القومية والإقليمية والوطنية، والفصل بين الدين والمجتمع، وحملة الانتقاص من الدين، ومهاجمة القرآن والنبوة(*) والوحي(*) والتاريخ الإسلامي، والتشكيك في القيم الإسلامية، والدعوة إلى التخلي عن الأصالة والتميز، والتخويف من الموت أو الفقر؛ وذلك لإقعاد المسلمين عن فكرة الجهاد،(*) وإشاعة فكرة أن سبب تأخر العرب والمسلمين إنما هو الإسلام.

ـ اعتبار القرآن فيضاً من العقل الباطن مع الإشادة بعبقرية النبي(*) محمد ﷺ وألمعيته وصفاء ذهنه، ووصف ذلك بالإشراق(*) الروحي تمهيداً لإزالة صفة النبوة عنه.

● **مؤتمرات تغريبية:**

- عقد مؤتمرٌ في بلتيمور عام ١٩٤٢م وهو يدعو إلى دراسة وابتعاث الحركات السرية في الإسلام.

- في عام ١٩٤٧م عقد في جامعة برنستون بأمريكا مؤتمر لدراسة (الشؤون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنى)، وقد ترجمت بحوث هذا المؤتمر إلى العربية تحت رقم ١١٦ من مشروع الألف كتاب في مصر. شارك فيه كويلر يونغ وحبيب كوراني وعبد الحق إديوار ولويس توماس.

- عقد مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) في صيف عام ١٩٥٣م في جامعة برنستون، وشارك فيه كبار المفكرين من مثل ميل بروز، وهارولد سميث، وروفائيل باتاي، وهارولد ألن، وجون كرسويل، والشيخ مصطفى الزرقا، وكنت كراج، واشتياق حسين، وفضل الرحمن الهندي.

- وفي عام ١٩٥٥م عقد في لاهور بالباكستان مؤتمر ثالث، لكنه فشل وظهرت خطتهم بمحاولتهم إشراك باحثين من المسلمين والمستشرقين في توجيه الدراسات الإسلامية.

- انعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والمسيحية(*) في بيروت ١٩٥٣م، ثم في الإسكندرية ١٩٥٤م، وتتالت بعد ذلك اللقاءات والمؤتمرات في روما وغيرها من البلدان للغرض نفسه.

- في سبتمبر ١٩٩٤ عقد بالقاهرة مؤتمر السكان والتنمية بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي «الغربية» بين المسلمين - من إتاحة للاتصالات غير المشروعة بين المراهقين والإجهاض والزواج الحر والسفاح والتدريب على موانع الحمل، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فتوى بضرورة مقاطعته والحذر من توصياته وأهدافه.

● **كتب تغريبية خطرة:**

- **الإسلام في العصر الحديث** لمؤلفه ولفرد كانتول سميث مدير معهد الدراسات الإسلامية، وأستاذ الدين المقارن في جامعة ماكجيل بكندا، حصل على الدكتوراه من جامعة برنستون سنة ١٩٤٨م تحت إشراف المستشرق هـ. أ. ر. جب الذي تتلمذ عليه في جامعة كمبريدج، وهذا الكتاب يدعو إلى التحررية Liberalism والعلمانية Secularism وإلى فصل الدين(*) عن الدولة.

- نشر هـ. أ. ر. جب كتابه **إلى أين يتجه الإسلام؟** Whither Islam الذي نشر بلبنان سنة ١٩٣٢م كان قد ألفه مع جماعة من المستشرقين، وهو يبحث في أسباب

تعثر عملية التغريب في العالم الإسلامي ووسائل تقدمها وتطورها.

- إن **بروتوكولات حكماء صهيون**(*) التي ظهرت في العالم كله عام ١٩٠٢م ظلت ممنوعة من الدخول إلى الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، حتى عام ١٩٥٢م تقريباً أي إلى ما بعد قيام إسرائيل في قلب الأمة العربية والإسلامية. ولا شك بأن منعها كان خدمة لحركة التغريب عموماً.

- تصوير بعض الشخصيات الإسلامية في صور من الابتذال والعهر والمزاجية، كما في كتب جورجي زيدان، وكذلك تلك الكتب التي تضيف الأساطير القديمة إلى التاريخ الإسلامي **على هامش السيرة** لطه حسين، والكتب التي تعتمد على المصادر غير الموثوقة مثل **محمد رسول الحرية** للشرقاوي وكتبه عن الخلفاء الراشدين والأئمة التسعة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد ارتدت الحملة الصليبية مهزومة بعد حطين، وفتَح العثمانيون عاصمة الدولة البيزنطية ومقر كنيستهم(*) عام ١٤٥٣م واتخذوها عاصمة لهم، وغيروا اسمها إلى إسلامبول أي دار الإسلام، كما أن جيوش العثمانيين قد وصلت إلى أوربا وهددت فيينا سنة ١٥٢٩م وقد ظل هذا التهديد قائماً حتى سنة ١٦٨٣م. وسبق ذلك كله سقوط الأندلس التي كانت مقراً للخلافة(*) الأموية، كل ذلك كان مدعاة للتفكير بالتغريب، والتبشير فرع منه، ليكون السلاح الذي يحطم العالم الإسلامي من داخله.

● إن التغريب هجمة نصرانية، صهيونية، استعمارية،(*) في آن واحد، التقت على هدف مشترك بينها، وهو طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي تمهيداً لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لقد استطاعت حركة(*) التغريب أن تتغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي، وإلى كل البلاد المشرقية، على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية(*) الحديثة على هذه البلاد وربطها بالغرب فكراً وسلوكاً.

● لقد تفاوت تأثير حركة التغريب، إذ إنه قد ظهر بوضوح في مصر، وبلاد الشام، وتركيا، وإندونيسيا والمغرب العربي، وتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية الأقل فالأقل، ولم يخل بلد إسلامي أو مشرقي من آثار وبصمات هذه الحركة.

ويتضح مما سبق:

أن التغريب تيار مشبوه يهدف إلى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته، والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته. ومن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته، التي تبثها الآن، شخصيات مسلمة، وصحافة ذات باع طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية. وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدينهم، والذهاب بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية، من خلال موالاة الغرب والزهو بكل ما هو غربي، وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم.

مراجع للتوسع:

- **حصوننا مهددة من داخلها**، د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٧ ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- **العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري**، فتحي يكن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، د. محمد محمد حسين ـ دار الإرشاد ـ بيروت ـ طبعة عام ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م.
- **الإسلام والحضارة الغربية**، د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٥٤ ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**، أنور الجندي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ طبعة عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- **يقظة الفكر العربي**، أنور الجندي ـ مطبعة زهران ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م.
- **تحرير المرأة**، قاسم أمين ـ ط ٢ ـ مطبعة روزاليوسف ـ ١٩٤١م.
- **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، أحمد أمين ـ ط ١ ـ نشر مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٨م.
- **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، الدكتورة نفوسة زكريا ـ دار الثقافة بالإسكندرية ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٦٤م.
- **حاضر العالم الإسلامي**، لوثروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب

أرسلان ـ مصر ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م.
ـ **الغارة على العالم الإسلامي**، أ. ل. شاتليه ـ ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ـ مصر ١٣٥٠هـ .
ـ **مستقبل الثقافة في مصر**، طه حسين ـ مصر ـ ١٩٤٤م.
ـ **اليوم والغد**، سلامة موسى ـ مصر ـ ١٩٢٧م.
ـ **إلى أين يتجه الإسلام**، هـ. أ. ر. جب ـ ط لبنان ـ ١٩٣٢م.

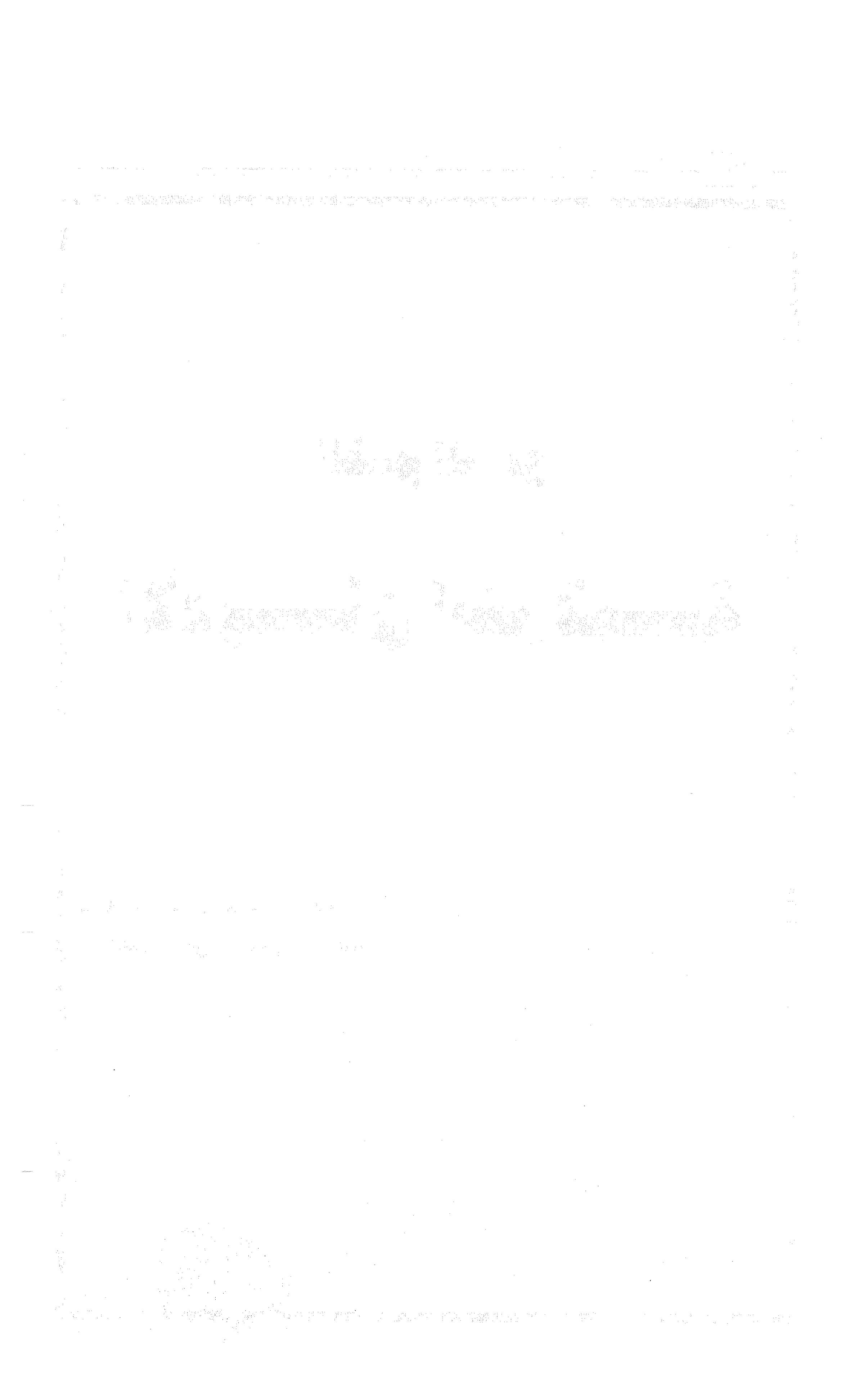
المراجع الأجنبية:

- Islam in Modern History W.c.Smith, Princeron University Press New Jersy 1957
- Whither Islam?: H.A.R. Gibb. London 1932.
- Arabic Thought in the Liberal Age: A. Hourani, Oxford 1962.
- Egypt Since Cromer: Lord loyd, London 1933.
-.Modern Egypt The Earl of Cromer: London 1911.
- Great Britain Egypt (F.W. Polson Newmen 1928)
- Reports by His Majesty's Agent and Consul General on the Finances.
- Adminsistration and Condition of Egypt and the Sudan.

القسم الرابع

الأديـــان الشرقيـــة

- الفصل الأول: مقدمة عامة.
- الفصل الثاني: الأديان الشرقية.



الفصل الأول

مقدمة عامة

تتشابه الأديان الشرقية في عدد من الخصائص التي تجمعها مع الديانات العالمية الأخرى، إلا أنها تتجاذبها نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف، فيما يتعلق بالإلٰه(*)، وهاتان النزعتان هما نزعتا الوحدانية وتعدد الآلهة.

فقلما نجد دولة من الدول أو شعباً من شعوب الديانات الشرقية، لا تتمثل إلٰهاً لكل قوة من قوى الطبيعة النافعة والضارة يستنصرونه في الشدائد ويلجؤون إليه في الملمات، ويتضرعون إليه ليبارك لهم في ذرياتهم وأموالهم، ولم يصل هؤلاء إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، ولقد كثرت الآلهة عندهم، لاسيما عند الهندوس، كثرة كبيرة وكانوا يسمون إلٰههم بكل اسم حسن، ويصفونه بكل صفة كاملة، ويخاطبونه باسم «رب الأرباب» أو «إلٰه الآلهة» توقيراً وتعظيماً وإجلالاً.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد، استطاع بعض كهنة(*) تلك الدول، اختصار الآلهة، فقد جمعوا الآلهة في إلٰه واحد، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته.

ثم ظهرت حركات عقلية آمنت بالتناسخ(*)، وظهرت حركات أخرى آمنت بالإلٰه أساساً لفلسفة الدين(*)، وعندما فتح محمود الغزنوي الهند، وأخضعها للحكم الإسلامي، قدَّم أروع الأمثلة على سماحة الدين الإسلامي عندما ترك الحرية(*) للهنود فيما يعبدون، وانتشر الإسلام في الهند ومنها انتقل إلى دول شرقية أخرى تركت لها حرية العبادة كذلك، ولكن الناس كانت تجد في عقيدة التوحيد ملاذها فاندفعت إليها عن حب ورضا.

ومن أهم أهداف هذه الموسوعة، وضع يد القارىء على كثير من الحقائق المتعلقة بالأديان الشرقية، وقد يمكن القول إن كثيراً من هذه الديانات ربما بدأت كديانات توحيد سماوية، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. ولكن التحريف لحق هذه الأديان، كما لحق غيرها، ودليل ذلك أن فكرة التوحيد كان لها وجود بشكل أو بآخر في هذه الديانات، كما أن بعض كتب هذه الأديان(*) انطوت على إشارات إلى نبوة(*) الرسول(*) ﷺ، ومبعثه، ولذا فإن هذه الموسوعة عندما تشير إلى حقائق هذه الأديان في الوقت الحاضر، فإنها لا تنفي عن أصل نشأتها إمكانية أن تكون ديانات توحيد قبل أن يلحقها التحريف وتتطرق إليها الوثنية(*).

وأيًّا ما كان الأمر، فقد عالجت هذه الموسوعة أهم الأديان الشرقية المعاصرة، كما هي لا كما كانت، وهي:

١- الصابئة المندائيون:

وتعد من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد وهي بهذا الوصف تعد من الديانات السماوية ويعد أتباعها أتباع دين كتابي.

٢- الهندوسية:

وتسمى، أيضاً، البرهمية(*) وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وليس في الهندوسية دعوة إلى التوحيد، بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً(*) يعبد، ثم قالوا بوجود آلهة ثلاثة من عبد أحدها فقد عبدها جميعاً وهي براهما(*) وفشنو(*) وسيفا(*).

٣- الشنتوية:

وهي ديانة ظهرت في اليابان منذ وقت طويل وقد بدأت بعبادة الأرواح ثم قوى الطبيعة، ثم عبادة الإمبراطور مؤخراً إذ يعدونه من نسل الآلهة.

٤- الطاوية:

وهي إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي تستلزم العودة إلى الحياة الطبيعية مع ضرورة الإيمان بوحدة الوجود إذ الخالق والمخلوق شيء واحد.

٥- الجينية:

وهي ديانة منشقة عن الهندوسية، وتدعو إلى التحرر من كل قيود الحياة، والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر.

٦- الكونفوشيوسية:

وهي ديانة أهل الصين، وتدعو إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس إليها، وهي تقوم على عبادة الإله(*) الأعظم وعبادة أرواح الآباء والأجداد وتقديس الملائكة.

٧- البوذية:

وهي الديانة التي ظهرت في الهند بعد البراهمية (الهندوسية) في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تدعو إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالتسامح، ويعتقد البوذيون أن بوذا(*) هو ابن الإله عندهم وأنه مخلّص البشرية من مآسيها.

٨- السيخية:

وهي ديانة السيخ الذين هم جماعة دينية هندية، تدعو إلى دين جديد تزعم فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمين).

٩- المهاريشية:

وهي نحلة هندوسية دهرية ملحدة[*]، انتقلت إلى أمريكا وأوربا داعية إلى طقوس كهنوتية بغية تحصيل السعادة الروحية.

الفصل الثاني

أهـم الأديـان الشرقيـة

● الصابئة المندائيون ● الهندوسية ● الشنتوية ● الطاوية ● الجينية ● الكنفوشيوسية ● البوذية ● السيخية ● المهاريشية

٨٧- الصابئة المندائيون

التعريف:

الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، والتي تعد يحيى عليه السلام نبيًّا لها، يقدّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعد الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد(*) في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

ولقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب **الرد على المنطقيين** ط ٦ (ص ٤٥٤ وما بعدها) حقيقة الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال ما حاصله:

إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون.

أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة(*) والإنجيل(*) قبل النسخ والتحريف(*) والتبديل من اليهود والنصارى. وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي(*)، وهم قوم من المجوس(*) واليهود والنصارى ليس لهم دين(*)، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفراً، وهم متمسكون «بالإسلام المشترك» وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الفواحش والظلم، ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه أو تحريمه، وهم يقولون «لا إلٰه إلا الله» فقط وليس لهم كتاب ولا نبي. والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، بأرض اليمن.

وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية.

وعلى ذلك فمن دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك، ومثالهم من يعبد الكواكب. كمن كانوا بأرض حران عندما أدركهم الإسلام وهؤلاء لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن أظهروا الإيمان بالنبيين(*)، وقد أفتى أبو سعيد الإصطخري بألا تقبل الجزية منهم، ونازعه في ذلك جماعة من الفقهاء.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يدّعي الصابئة المندائيون بأن دينهم(*) يرجع إلى عهد آدم، عليه السلام.

● ينتسبون إلى سام بن نوح، عليه الصلاة والسلام، فهم ساميون.

● يزعمون أن يحيى، عليه الصلاة والسلام، هو نبيهم الذي أرسل إليهم.

● كانوا يقيمون في القدس، وبعد الميلاد طردوا من فلسطين فهاجروا إلى مدينة حران فتأثروا هناك بمن حولهم، وتأثروا بعبدة الكواكب والنجوم من الصابئة الحرانيين.

ـ ومن حران هاجروا إلى موطنهم الحالي في جنوبي العراق وإيران ولا يزالون فيه، إذ يعرفون بصابئة البطائح.

● منهم الكنزبرا الشيخ عبد الله بن الشيخ سام الذي كان مقيماً في بغداد سنة ١٩٦٩ م وهو الرئيس الروحي لهم، وقد كان في عام ١٩٥٤ م يسكن في دار واقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ ببغداد.

الأفكار والمعتقدات:

● كتبهم:

ـ لديهم عدد من الكتب المقدسة مكتوبة بلغة سامية قريبة من السريانية وهي:

١ ـ **الكنزاربّا**: أي الكتاب العظيم ويعتقدون بأنه صحف آدم، عليه الصلاة والسلام، فيه موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه. طبع في كوبنهاجن سنة ١٨١٥ م، وطبع في لايبزيغ سنة ١٨٦٧ م.

٢ ـ **دراشة إديهيا**: أي تعاليم يحيى، وفيه تعاليم وحياة النبي(*) يحيى، عليه الصلاة والسلام.

٣ ـ **الفلستا**: أي كتاب عقد الزواج، ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة.

٤ ـ **سدرة إدنشاماثا**: يدور حول التعميد(*) والدفن والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض ومن ثمّ إلى عالم الأنوار، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية.

٥ ـ **كتاب الديونان**: فيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم.

٦ ـ **كتاب إسفر ملواشه**: أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم(*).

٧ ـ **كتاب النياني**: أي الأناشيد والأذكار الدينية، وتوجد نسخة منه في المتحف العراقي.

٨ ـ **كتاب قماها ذهيقل زيوا**: ويتألف من ٢٠٠ سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون

بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار.

٩ ـ **تفسير بغره**: يختص في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله.

١٠ ـ **كتاب ترسسر ألف شياله**: أي كتاب الاثني عشر ألف سؤال.

١١ ـ **ديوان طقوس التطهير**: وهو كتاب يبين طرق التعميد(*) بأنواعه على شكل ديوان.

١٢ ـ **كتاب كداواكدفيانا**: أي كتاب العوذ.

● **طبقات رجال الدين**:

ـ يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم، صحيح الحواس، متزوجاً منجباً، غير مختون، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة، ورتبهم على النحو التالي:

١ ـ **الحلالي**: ويسمى «الشماس»(*) يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولا يتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته ومنع من وظيفته، إلا إذا تعمد هو وزوجته ٣٦٠ مرة في ماء النهر الجاري.

٢ ـ **الترميدة**: إذا فقه الحلالي الكتابين المقدَّسين سدرة **أدنشاماثا والنياني** أي كتابَيْ التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالارتماس في الماء الموجود في المندي، ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار.

٣ ـ **الأبيسق**: الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه.

٤ ـ **الكنزبرا**: الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقاً يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب **الكنزاربّا** فيصبح حينئذٍ مفسراً له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلٰهي عليها.

٥ ـ **الريش أمه**: أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة.

٦ ـ **الربّاني**: وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيى بن زكريا، عليهما السلام، كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد. والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار، وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين، ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني.

● **الإله(*)**:

ـ يعتقدون من حيث المبدأ ـ بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق.

ـ ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله ٣٦٠ شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار.. وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار.

ـ هؤلاء الأشخاص الـ٣٦٠ ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم، ويتناسلون بأن يلفظ أحدهم كلمة فتحمل امرأته فوراً وتلد واحداً منهم.

ـ يعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة، ولذلك يعظمونها ويقدسونها.

● **المندي**:

ـ هو معبد الصابئة، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميد(*) رجال الدين، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، ولا بدّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قبل النساء، ولا بدّ من وجود علم يحيى فوقه في ساعات العمل.

● **الصلاة**:

ـ تؤدى ثلاث مرات في اليوم: قبيل الشروق، وعند الزوال، وقبيل الغروب، وتستحبّ أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد، فيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود، وهي تستغرق ساعة وربع الساعة تقريباً.

ـ يتوجه المصلي خلالها إلى الجدي بلباسه الطاهر، حافي القدمين، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب مستمداً منه العون طالباً منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.

● **الصوم**:

ـ صابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله.

ـ وقد كان الصوم عند الصابئة على نوعين: الصوم الكبير: ويشمل الصوم عن كبائر الذنوب والأخلاق(*) الرديئة، والصوم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة ٣٢ يوماً متفرقة على طول أيام السنة.

ـ ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ في **فهرسته**، وابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ في تاريخ **مختصر الدول** ينصان على أن الصيام كان مفروضاً عليهم لمدة ثلاثين يوماً من كل سنة.

● **الطهارة:**

ـ الطهارة مفروضة على الذكر والأنثى سواء بلا تمييز.

ـ تكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي.

ـ الجنابة تحتاج إلى طهارة وذلك بالارتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز على جنب.

ـ عقب الارتماس في الماء يجب الوضوء، وهو واجب لكل صلاة، إذ يتوضأ الشخص وهو متجه إلى نجم القطب، فيؤديه على هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوباً بأدعية خاصة.

ـ مفسدات الوضوء: البول، الغائط، الريح، لمس الحائض والنفساء.

● **التعميد(*) وأنواعه:**

ـ يعد التعميد من أبرز معالم هذه الديانة. ولا يكون إلاّ في الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلاّ بالارتماس في الماء سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاء، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في الحمامات، وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة.

ـ يجب أن يتم التعميد(*) على أيدي رجال الدين.

ـ يكون العماد في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد وهي على النحو التالي:

١ ـ **الولادة**: يعمد المولود بعد ٤٥ يوماً ليصبح طاهراً من دنس الولادة إذ يُدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبتيه مع الاتجاه جهة نجم القطب، ويوضع في يده خاتم أخضر من الآس.

٢ ـ **عماد الزواج**: يتمّ في يوم الأحد وبحضور ترميدة وكنزبرا، يتم بثلاث دفعات في الماء مع قراءة من كتاب **الفلستا** وبلباس خاص، ثم يشربان من قنينة ملئت بماء أُخذ من النهر يسمى (ممبوهة) ثم يطعمان (البهثة) ويدهن جبينهما بدهن السمسم، ويكون ذلك لكلا العروسين لكل واحد منهما على حدة، بعد ذلك لا يُلمسان لمدة سبعة أيام إذ يكونان نجسين وبعد الأيام السبعة من الزواج يعمدان من جديد، وتعمد معهما جميع القدور والأواني التي أكلا فيها أو شربا منها.

٣ ـ **عماد الجماعة**: يكون في كل عيد (بنجة) من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وذلك بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من الأيام الخمسة. والمقصود منه هو التكفير عن لخطايا والذنوب المرتكبة في بحر السنة الماضية، كما يجوز التعميد في أيام البنجة ليلاً

ونهاراً، على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهاراً وفي أيام الآحاد فقط.

٤ ـ عماد الأعياد: وهي:

(أ) **العيد الكبير**: عيد ملك الأنوار إذ يعتكفون في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق الشيطان إليهم؛ لأن الاحتلام يفسد فرحتهم، وبعد الاعتكاف مباشرة يرتمسون، ومدة العيد أربعة أيام، تنحر فيه الخراف ويذبح فيه الدجاج، ولا يقومون خلاله بأي عمل دنيوي.

(ب) **العيد الصغير**: يوم واحد شرعاً، وقد يمتدّ لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً.

(جـ) **عيد البنجة**: سبق الحديث عنه، وهو خمسة أيام تكبس بها السنة، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

(د) **عيد يحيى**: يوم واحد من أقدس الأيام، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوماً، وفيه كان ولادة النبي يحيى ،عليه السلام، الذي يعدونه نبيًّا(*) خاصاً بهم، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان.

● **تعميد المحتضر ودفنه**:

(هـ) عندما يحتضر الصابيء يجب أن يؤخذ ـ وقبل زهوق روحه ـ إلى الماء الجاري ليتمّ تعميده.

(و) من مات من دون عماد نجس ويحرم لمسه.

(ز) أثناء العماد يغسلونه متجهاً إلى نجم القطب الشمالي، ثم يعيدونه إلى بيته ويجلسونه في فراشه بحيث يواجه نجم القطب، أيضاً، حتى يوافيه الأجل.

(حـ) بعد ثلاث ساعات من موته يغسل ويكفن ويدفن حيث يموت، إذ لا يجوز نقله مطلقاً من بلد إلى بلد آخر.

(ط) من مات غيلة أو فجأة، فإنه لا يغسل ولا يلمس، ويقوم الكنزبرا بواجب العماد عنه.

(ي) يدفن الصابىء بحيث يكون مستلقياً على ظهره ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي حتى إذا بعث واجه الكوكب الثابت بالذات.

(ك) يضعون في فم الميت قليلاً من تراب أول حفرة تحفر لقبره فيها.

(ل) يحرم على أهل الميت الندب والبكاء والعويل، والموت عندهم مدعاة للسرور، ويوم المأتم من أكثر الأيام فرحاً حسب وصية يحيى لزوجته.

(م) لا يوجد لديهم خلود في الجحيم، بل عندما يموت الإنسان إما أن ينتقل إلى الجنة أو المطهر، حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى، فالروح خالدة والجسد فان.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

- **البكارة:** تقوم والدة الكنزبرا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها.

- **الخطيئة:** إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنى فإنها لا تقتل، بل تهجر، وبإمكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري.

- **الطلاق:** لا يعترف دينهم بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة فيتمّ التفريق عن طريق الكنزبرا.

- **السنة المندائية:** ٣٦٠ يوماً، في ١٢ شهراً، وفي كل شهر ثلاثون يوماً مع خمسة أيام كبيسة يقام فيها عيد البنجة.

- يعتقدون في صحة التاريخ الهجري ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين؛ ولأن ظهور النبي(*) محمد، ﷺ، كان مذكوراً في الكتب المقدسة الموجودة لديهم.

- يعظمون يوم الأحد كالنصارى ويقدسونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق.

- ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقاً.

- ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

- يتنبؤون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية.

- لكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها.

- إذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً فإنه يمرّ بالمطهر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار، ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى، إذ تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالاً.

- يؤمنون بالتناسخ(*) ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم.

- للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح له به ظروفه.

- يرفضون شرب الدواء، ولا يعترضون على الدهون والحقن الجلدية.

- الشباب والشابات يأتون إلى الكهان(*) ليخبروهم عن اليوم السعيد الذي يمكنهم أن

يتزوجوا فيه، وكذلك يخبرون السائلين عن الوقت المناسب للتجارة أو السفر، وذلك عن طريق علم النجوم.

ـ لا تؤكل الذبيحة إلا أن تذبح بيدي رجال الدين وبحضور الشهود، ويقوم الذابح ـ بعد أن يتوضأ ـ بغمسها في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يقرأ عليها أذكاراً دينية خاصة، ثم يذبحها مستقبلاً الشمال، ويستنزف دمها حتى آخر قطرة، ويحرم الذبح بعد غروب الشمس أو قبل شروقها إلا في عيد البنجة.

ـ تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر، لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون المواريث الإسلامي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثر الصابئة بكثير من الديانات والمعتقدات التي احتكوا بها.

● أشهر فرق الصابئة قديماً أربعة هي: أصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص، والحلولية.

● لقد ورد ذكرهم في القرآن مقترناً باليهود والنصارى والمجوس والمشركين (انظر الآيات ٦٢/ البقرة ـ ٦٩/ المائدة، ١٧/ الحج)، ولهم أحكام خاصة بهم من حيث جواز أخذ الجزية منهم أو عدمها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

● عرف منهم الصابئة الحرانيون الذين انقرضوا والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائيين الحاليين.

● لم يبق من الصابئة اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة في جنوب العراق وإيران.

● تأثروا باليهودية، وبالمسيحية(*)، وبالمجوسية(*) لمجاورتهم لهم.

● تأثروا بالحرانيين الذين ساكنوهم في حران عقب طردهم من فلسطين، فنقلوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها وتأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم.

● تأثروا بالأفلاطونية الحديثة التي استقرت فلسفتها في سوريا مثل الاعتقاد بالفيض(*) الروحي على العالم المادي.

● تأثروا بالفلسفة(*) الدينية التي ظهرت أيام إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس.

● تأثروا بالفلسفة(*) اليونانية التي استقلت عن الدين(*)، ويلاحظ أثر هذه الفلسفة

اليونانية في كتبهم.

● لدى الصابئة قسط وافر من الوثنية(*) القديمة يتجلى في تعظيم الكواكب والنجوم على صورة من الصور.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الصابئة المندائيون الحاليون ينتشرون على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات، ويسكنون في منطقة الأهوار وشط العرب، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة، وهي موضع اقتران دجلة بالفرات، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد، والحلة، والديوانية والكوت وكركوك والموصل. كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والجبابيش والسليمانية.

● كذلك ينتشرون في إيران، وتحديداً على ضفاف نهر الكارون والدز، ويسكنون في مدن إيران الساحلية، كالمحمرة، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول.

● تهدمت معابدهم في العراق، ولم يبق لهم إلا معبدان في قلعة صالح، وقد بنوا معبداً مندياً بجوار المصافي في بغداد، وذلك لكثرة الصابئين النازحين إلى هناك من أجل العمل.

● يعمل معظمهم في صياغة معدن الفضة لتزيين الحلي والأواني والساعات، وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم؛ لأنهم يحرصون على حفظ أسرارها، كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر.

● مهارتهم في صياغة الفضة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية، ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا.

● ليس لديهم أي طموح سياسي، وهم يتقربون إلى أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه الموجودة بينهم وبين الآخرين.

ويتضح مما سبق:

أن الصابئة من أقدم الديانات(*) التي تعتقد بأن الخالق واحد، وقد جاء ذكر الصابئين في القرآن باعتبار أنهم أتباع دين كتابي. وقد اختلف الفقهاء حول مدى جواز أخذ الجزية منهم، إن كانوا أحدثوا في دينهم ما ليس منه. وقد أصبحت هذه الطائفة كأنها طائفة وثنية تشبه صابئة حران الذين وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وعموماً فالإسلام قد جب ما قبله ولم يعد لأي دين(*) من الديانات السابقة مكان بعده.

مراجع للتوسع:

- **الصابئة المندائيون**، الليدي دراوور ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ١٩٦٩م.
- **مندائي أو الصابئة الأقدمون**، عبد الحميد عبادة ـ طبع في بغداد ـ ١٩٢٧م.
- **الصابئة في حاضرهم وماضيهم**، عبد الرزاق الحسني ـ طبعة لبنان ـ ١٩٧٠م.
- **الكنزاربا**، وهو كتاب الصابئة الكبير ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي.
- **الفهرست**، ابن النديم ـ طبع في القاهرة ـ ١٣٤٨هـ.
- **المختصر في أخبار البشر**، تأليف أبي الفداء ـ طبع في القاهرة ـ ١٣٢٥هـ.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني ـ طبعة لبنان ـ ١٩٧٥م.
- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي ـ طبع في القاهرة ـ ١٩٠٦م.
- مقالة لأنستاس الكرملي، **مجلة المشرق** ـ بيروت ـ ١٩٠١م.
- مقالة لزويمر، **مجلة المقتطف** ـ القاهرة ـ ١٨٩٧م.
- مقالة لإبراهيم اليازجي، **مجلة البيان** ـ القاهرة ـ ١٨٩٧م.
- **الموجز في تاريخ الصابئة المندائين العرب البائدة**، لعبد الفتاح الزهيري، مطبعة الأركان ببغداد ١٤٠٣هـ.
- **الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية**، لرافد الشيخ عبد الله نجم ـ بغداد ١٩٨٨م.
- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، فخر الدين الرازي ـ القاهرة ـ ١٣٥٦هـ.
- **إبراهيم أبو الأنبياء**، عباس محمود العقاد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ صفحة ١٣٩ ـ ١٤٨ طبعة عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

المراجع الأجنبية:

- Handbook of Classical and Modern Mandai, Berlin 1965.
- Mandaean Bibliography Oxford University Press, 1933.
- Die Mandaer: ihre Relligion und ihre Geschichte Muller: Amsterdam 1916.
- Frankfort Dr. Henri Archeology and the Sumerian problem, Chiago Studies in Ancient Oriental Civilization. No. 4 (Univ. of Chicago Press, 1932).
- J.B. Tavernier, Les Six Voyaojes - Paris 1713.
- M.N. Siouffi, Etudes Sur la Religion des Soubbas Paris 1880.
- E.S. Drower, The Mandaeans of Iraq and Iran - London 1937.
- H. Pognon, Inscriptions Mandaites des Coupes de Khoubeir Paris 1898.

٨٨ـ الهندوسية

التعريف:

الهندوسية ويطلق عليها، أيضاً، البرهمية(*) ديانة(*) وثنية(*)، يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتلعقة بها، فلكل منطقة إلٰه(*)، ولكل عمل أو ظاهرة إلٰه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لا يوجد للديانة الهندوسية مؤسس معين، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون، فقد تمّ تشكُّل الديانة وكذلك الكتب عبر مراحل طويلة من الزمن.

● الآريُّون الغزاة الذين قدموا إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون الأوائل للديانة الهندوسية.

ـ ديانة الفاتحين الجديدة لم تمح الديانة القديمة للهنود، بل مازجتها وتأثرت كل منهما بالأخرى.

ـ في القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة(*) البراهمة الذين يزعمون أن في طبائعهم عنصراً إلٰهيًّا.

ـ ثم تطورت مرة أخرى في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق قوانين منوشاستر(*).

الأفكار والمعتقدات:

نستطيع فهم الهندوسية من خلال كتبها، ونظرتها إلى الإلٰه، ومعتقداتها وطبقاتها إلى جانب بعض القضايا الفكرية والعقائدية الأخرى.

● كتبها:

للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم غريبة اللغة، وقد أُلفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة وأهمها:

١ ـ **الفيدا** veda: وهي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وتصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك

والارتياب كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود، وهي تتألف من أربعة كتب هي:

١ ـ **رج فيدا أو راجا فندا** (أي الفيدا الملكية) وترجع إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، فيها ذكر لإله(*) الآلهة (إندار) ثم لإله النار (أغني) ثم الإله (فارونا) ثم الإله سوريه (إله الشمس).

٢ ـ **يجور فيدا** Yajier - veda يتلوها الرهبان(*) عند تقديم القرابين.

٣ ـ **سم فيدا** Sama - veda: ينشدون أناشيده أثناء إقامة الصلوات والأدعية.

٤ ـ **أثروا فيدا** Atharua - veda: عبارة عن مقالات من الرقى(*) والتمائم(*) لدفع السحر والتوهم والخرافة والأساطير والشياطين. وكل واحد من هذه الفيدات يشتمل على أربعة أجزاء هي:

(أ) **سَمْهِتا**: تمثل مذهب(*) الفطرة، وأدعيته كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لآلهتهم قبل زحف الآريين.

(ب) **البراهمن**: يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبينة أنواع القرابين.

(جـ) **آرانياك**: وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم بها الشيوخ أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحراش والغابات.

(د) **آبا نيشادات**: وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية.

٢ ـ **قوانين** منو: وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد في العصر الويدي الثاني، عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد(*) الذي تمثل في (الجينية والبوذية). وهذه القوانين عبارة عن شرح للويدات بين معالم الهندوسية ومبادئها وأسسها.

٣ ـ **كتب أخرى**:

(أ) **مها بهارتا**: ملحمة هندية تشبه الإلياذه(*) والأوديسه(*) عند اليونان ومؤلفها (وياس) ابن العارف (بوسرا) الذي وضعها سنة ٩٥٠ ق.م وهي تصف حرباً بين أمراء من الأسر المالكة، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب.

(ب) **كيتا**: تصف حرباً بين أمراء من أسرة ملكية واحدة، وينسب إلى كرشنا(*) فيها نظرات فلسفية واجتماعية.

(جـ) **يوجا**(*) **واسستها**: تحتوي على أربعة وستين ألف بيت، ألفت ابتداء من القرن السادس عبر مرحلة طويلة على أيدي مجموعة من الناس، فيها أمور فلسفية ولاهوتية.

(د) **رامايانا**: يعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية وفيه خطب لملك اسمه (راما).

● **نظرة الهندوسية إلى الآلهة**:

ـ **التوحيد**: لا يوجد توحيد بالمعنى الدقيق، لكنهم إذا أقبلوا على إلٰه(*) من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عن أعينهم كل الآلهة الأخرى، وعندها يخاطبونه برب الأرباب أو إله(*) الآلهة.

ـ **التعدد**: يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلٰهاً يُعبد: كالماء والهواء والأنهار والجبال.. وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين.

ـ **التثليث**(*): في القرن التاسع قبل الميلاد جمع الكهنة الآلهة في إلٰه واحد أخرج العالم من ذاته وهو الذي أسموه:

١ ـ براهما(*): من حيث هو موجود.

٢ ـ فشنو(*): من حيث هو حافظ.

٣ ـ سيفا(*): من حيث هو مهلك.

فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى، ولا يوجد أي فارق بينها. وهم بذلك قد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث.

ـ يلتقي الهندوس على تقديس البقرة وأنواع من الزواحف كالأفاعي وأنواع من الحيوان كالقردة، ولكن تتمتع البقرة من بينها جميعاً بقداسة تعلو على أي قداسة، ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين، ولها حق الانتقال إلى أي مكان، ولا يجوز للهندوكي أن يمسها بأذى أو يذبحها، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية.

ـ يعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد حلت كذلك في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقى فيه الإلٰه(*) بالإنسان أو حل اللاهوت(*) في الناسوت(*)، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح، وقد عقد الشيخ محمد أبو زهرة ـ يرحمه الله ـ مقارنة بينهما مظهراً التشابه العجيب، بل التطابق، وعلق في آخر المقارنة قائلاً: «وعلى المسيحيين(*) أن يبحثوا عن أصل دينهم».

● **الطبقات في المجتمع الهندوسي**:

ـ منذ أن وصل الآريون إلى الهند شكَّلوا طبقات لا تزال قائمة إلى الآن، ولا طريق لإزالتها لأنها تقسيمات أبدية من خلق الله (كما يعتقدون).

ـ وردت الطبقات في قوانين منو على النحو التالي:

١ ـ **البراهمة**: وهم الذين خلقهم الإلٰه(*) براهما من فمه: منهم المعلم والكاهن(*)، والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم.

٢ ـ **الكاشتر**: وهم الذين خلقهم الإلٰه من ذراعيه: يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع.

٣ ـ **الويش**: وهم الذين خلقهم الإلٰه من فخذه: يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية.

٤ ـ **الشودر**: وهم الذين خلقهم الإلٰه من رجليه، وهم مع الزنوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة.

ـ يلتقي الجميع على الخضوع لهذا النظام الطبقي بدافع ديني.

ـ يجوز للرجل أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته ويجوز أن يتزوج من طبقة أدنى، على ألا تكون الزوجة من طبقة الشودر الرابعة، ولا يجوز للرجل من طبقة الشودر أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته بحال من الأحوال.

ـ البراهمة هم صفوة الخلق، وقد ألحقوا بالآلهة، ولهم أن يأخذوا من أموال عبيدهم «شودر» ما يشاءون.

ـ البرهمي الذي يكتب الكتاب المقدس هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه.

ـ لا يجوز للملك ـ مهما اشتدت الظروف ـ أن يأخذ جباية أو إتاوة من البرهمي.

ـ إن استحق البرهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل.

ـ البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشودري الذي ناهز المائة كما يفوق الوالد ولده.

ـ لا يصحُّ لبرهمي أن يموت جوعاً في بلاده.

ـ المنبوذون أحط من البهائم وأذل من الكلاب بحسب قانون منو[*].

ـ من سعادة المنبوذين أن يخدموا البراهمة وليس لهم أجر أو ثواب.

ـ إذا مدّ أحد المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده، وإذا رفسه فُدِعت رجله.

ـ إذا هَمَّ أحد من المنبوذين بمجالسة برهمي فعلى الملك أن يكوي استه وينفيه من البلاد.

ـ إذا ادّعى أحد المنبوذين أنه يعلِّم برهمياً فإنه يسقى زيتاً مغليًّا.

ـ كفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء.

ـ ظهر مؤخراً بعض التحسن البسيط في أحوال المنبوذين خوفاً من استغلال أوضاعهم ودخولهم في أديان أخرى لا سيما النصرانية التي تغزوهم، أو الشيوعية التي تدعوهم من خلال فكرة صراع الطبقات.

ـ ولكن كثيراً من المنبوذين وجدوا العزة والمساواة في الإسلام فاعتنقوه.

معتقداتهم:

ـ تظهر معتقداتهم في الكارما، وتناسخ الأرواح(*)، والانطلاق، ووحدة الوجو

١ ـ **الكارما**: قانون الجزاء أي أن نظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، هذا العدل الذي سيقع لا محالة إما في الحياة الحاضرة أو في الحياة القادمة، وجزاء حياةٍ يكون في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب.

٢ ـ **تناسخ الأرواح**(*): إذا مات الإنسان يفنى منه الجسد وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة.

٣ ـ **الانطلاق**: صالح الأعمال وفاسدها ينتج عنه حياة جديدة متكررة، لتثاب فيها الروح أو لتعاقب على حسب ما قدمت في الدورة السابقة.

ـ من لم يرغب في شيء ولن يرغب في شيء وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه، فإنه لا يعاد إلى حواسه، بل تنطلق روحه لتتحد بالبراهما.

ـ يؤخذ على هذا المبدأ أنه جعل التصوف والسلبية أفضل من صالح الأعمال لأن ذلك طريق للاتحاد بالبراهما.

٤ ـ **وحدة الوجود**: التجريد الفلسفي ارتقى بالهنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار والأنظمة والمؤسسات كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة(*) وتصير النفس هي عين القوة الخالقة.

(أ) الروح كالآلهة أزلية سرمدية، مستمرة، غير مخلوقة.

(ب) العلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها، وكالعلاقة بين البذرة وبين الشجرة.

(جـ) هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

ـ الأجساد تحرق بعد الموت لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عمودي

لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً.

- عندما تتخلص الروح وتصعد، يكون أمامها ثلاثة عوالم:

١ - إما العالم الأعلى: عالم الملائكة.

٢ - وإما عالم الناس: مقر الآدميين بالحلول.

٣ - وإما عالم جهنم: وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب.

- ليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.

- البعث في العالم الآخر إنما هو للأرواح لا للأجساد.

- يترقى البرهمي في أربع درجات:

١ - التلميذ وهو صغير.

٢ - رب الأسرة.

٣ - الناسك ويقوم بالعبادة في الغابات إذا تقدم به السن.

٤ - الفقير: الذي يخرج من حكم الجسد وتتحكم فيه الروح ويقترب من الآلهة.

- المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، بل تعيش في شقاء دائم، وتكون موضعاً للإهانات والتجريح، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم.

- قد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفادياً للعذاب المتوقع الذي ستعيش فيه، وقد حرم القانون هذا الإجراء في الهند الحديثة.

- الديانة الهندية تجيز عقد القران للأطفال وهم يَحْبُون، ويحدث أن يموت الولد فتشب البنت أرملة ابتداء، ولكن القانون الهندي الحديث حرم ذلك ومنع عقد القران إلا في سن الشباب.

- ليس للفرد أهمية إلا إذا كان عضواً في جماعة، وتكون هذه الجماعة عضواً في جماعة أكبر، ذلك لأن العناية للجماعة لا للفرد.

- يلاحظ هبوط المستوى الاقتصادي لمعتنقي الهندوسية؛ لأن بعض الطبقات لا تعمل؛ ذلك لأن العمل لا يليق بمكانتها السامية كطبقة البراهمة مثلاً.

- نظام الطبقات يعطل مبدأ تكافؤ الفرص.

- رفضت الهندوسية حركة الإصلاح الداخلي المتمثلة في الإسلام، وقاومتها محتفظة بتعليماتها ومعتقداتها.

- حاول الزعيم الهندي (غاندي) تقليص الحدة بين الطبقات وبين المنبوذين ولكن

محاولاته ذهبت أدراج الرياح، بل كان هو ذاته ضحية لهذه المحاولة.

ـ حاولت جماعة (السيخ) إنشاء دين(*) موحد من الهندوسية والإسلام، لكنهم فشلوا إذ سرعان ما انغلقوا على أنفسهم وصاروا طبقات متميزة يرفضون التزاوج مع غيرهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان هناك سكان الهند الأصليين من الزنوج الذين كانت لهم أفكار ومعتقدات بدائية.

● جاء الغزاة الآريون مارّين في طريقهم بالإيرانيين فتأثرت معتقداتهم بالبلاد التي مروا بها، ولما استقروا في الهند حصل تمازج بين المعتقدات تولدت عنه الهندوسية كدين فيه أفكار بدائية من عبادة الطبيعة والأجداد والبقر بشكل خاص.

● وفي القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية عندما وُضع مذهب البرهمية وقالوا بعبادة براهما(*).

● عصفت بالديانة(*) الهندية حركتان قويتان هما الجينية والبوذية.

● ظهرت قوانين منو(*) فأعادت إليها القوة، وذلك في القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد.

● انتقلت فكرة التثليث(*) من الفكر الهندي إلى الفكر النصراني بعد رفع المسيح، عليه الصلاة والسلام.

● انتقلت فكرة التناسخ(*) والحلول(*) ووحدة الوجود(*) إلى بعض المسلمين الذين ضلُّوا، فظهرت هذه العقائد عند بعض المتصوفة، وكذلك ظهرت عند الإسماعيلية وعند الفرق الضالة كالأحمدية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

كانت الديانة الهندوسية، تحكم شبه القارة الهندية وتنتشر فيها على اختلاف في التركيز، ولكن البون الشاسع بين المسلمين والهندوس في نظرتيهما إلى الكون والحياة وإلى البقرة التي يعبدها الهندوس ويذبحها المسلمون ويأكلون لحمها؛ كان ذلك سبباً في حدوث التقسيم إذ أُعلن عن قيام دولة الباكستان بجزأيها الشرقي والغربي، والتي معظمها من المسلمين، وبقاء دولة هندية معظم سكانها هندوس والمسلمون فيها أقلية كبيرة.

ويتضح مما سبق:

أن الديانة الهندوسية مزيج من الفلسفة(*) الهندية والديانتين اليهودية(*) والمسيحية

كما أنها عقيدة محدودة الأتباع. ويعتقد الهندوس أنها جاءت عن طريق الوحي(*)، ولو صح هذا لكان لابد أنه قد حصل لها الكثير من التحريف والتبديل حتى أصبحت أسلوباً في الحياة أكثر مما هي عقيدة واضحة المعالم. وتشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والأبقار.. إلى غير ذلك من أنواع الوثنية(*) التي تتنافى مع أبسط قواعد التوحيد. كما أن التقسيم الطبقي فيها يتعارض مع كرامة الإنسان، ويجعلها بعيدة عن الوحي الرباني.

مراجع للتوسع:

- **أديان الهند الكبرى**، دكتور أحمد شلبي - ط ٦ - مكتبة النهضة - المصرية - ١٩٨١ م.
- **محاضرات في مقارنات الأديان**، الشيخ محمد أبو زهرة - مطبعة يوسف - مصر.
- **حقائق عن الهند**، منشورات قلم الاستعلامات الهندي.
- **حضارة الهند**، غوستاف لوبون.
- **أديان العالم الكبرى**، لخصه عن الإنجليزية حبيب سعد.
- **الله**، عباس محمود العقاد.
- **تاريخ الإسلام في الهند**، عبد المنعم النمر.
- **فلسفة الهند القديمة**، محمد عبد السلام.

المراجع الأجنبية:

- Weech and Rylands: Peoples and Religions of India.
- Hinduism Ed. by lewis Renou.
- A Short History of the World.

٨٩ـ الشنتوية

التعريف:

الشنتوية ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، وما زالت الدين(*) الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوى الطبيعة.. ثم تطور احترام الأجداد والزعماء والأبطال إلى عبادة الإمبراطور الميكادو الذي يعد من نسل الآلهة، كما يزعمون.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لا تنتسب الشنتوية إلى شخص معين كما نجد ذلك في البوذية، مثلاً، بل هي دين اجتماعي مر بأدوار كما رأينا في التعريف.

الأفكار والمعتقدات:

● تشيع في الشنتوية الحالية عبادة الطبيعة وقواها المنتجة، وهي من خصائص الأديان الوثنية، لذلك فإن الناس يعظمون الشمس وكذلك الأرز ـ الغذاء الرئيسي لهم ـ والذي تكثر معابده في الأقاليم الزراعية.

● وفي الشنتوية يوقر الناس الأجداد والأسلاف من الزعماء والأبطال والملوك.. وهناك فرق بين عبادة الأسلاف في الصين وبين توقير اليابانيين واحترامهم لأجدادهم.

● يطلق الشنتويون لفظ كامي على كل إله(*) أو شيء يسمو فوق الإنسان كالسماء أو السلطان.

● تطورت فكرة احترام الأجداد إلى عبادتهم، وانحصرت هذه العبادة والتأليه في الإمبراطور الميكادو الخالد في نظرهم، المنزه عن العيوب والنقائص، والسمو به إلى درجة لا يشاركه فيها سواه. وقد جاء في منشور صدر عن وزارة المعارف اليابانية عام ١٩٣٧م «إن أرضنا بلد إلهية يحكمها الإمبراطور وهو إله(*)». ولا ندري كيف يجتمع هذا السخف مع التقدم العلمي في اليابان الحديثة.

● الإمبراطور والدولة هما كل شيء، ولا قيمة للفرد في الديانة(*) الشنتوية لذلك تعد التضحية به شرف عظيم له.

● يعد الاهتمام بالنظافة أمراً مقدساً، ويكره أتباع الشنتوية كل شيء يدنس الجسد أو الثوب.

الجذور الفكرية والعقائدية (تطور الشنتوية وصلتها بالبوذية):

● تطورت الشنتوية من احترام وتوقير الأسلاف من زعماء القبائل أو الأبطال إلى عبادتهم. وكان رجال قبيلة يماتو أشد الناس إحياء لتوقير السلف من القبائل، وهم الذين صاروا سادة اليابان فيما بعد، وكان زعيمهم المعروف بالميكادو مركز دينهم وعبادتهم. ثم زعموا أن الشمس تمتُّ إليهم بصلة القربى، ومنها تحدد الميكادو فحسبوه ممثل الشمس وآلهة السماء على الأرض.

● وكانت عبادة أسلاف القبائل الذائعة في اليابان قبل إخضاع أسرة يماتو لها خير ممهد لهذه العقيدة الجديدة، وفعل رجال يماتو الكثير لتبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة، بأن أدخلوا عليها آلهة(*) صغرى هم زعماء القبائل التي دانت بالطاعة والولاء لحكم الأسرة الغالبة، وكان لهذا الجمع بين الآراء السياسية والدينية أثره الكبير في وجود توقير يكاد يبلغ حد العبادة لشخص الإمبراطور.

● وفي منتصف القرن السادس الميلادي هاجر إلى اليابان بعض الكهنة(*) البوذيين من كوريا والصين، وكان لهم أثر عميق في البلاط الملكي، فقد حاولوا أن ينشروا البوذية في اليابان ولكنهم أخفقوا إخفاقاً عظيماً؛ وذلك لتمسك الشعب الياباني بالشنتوية.

● وفي القرن الثامن الميلادي استطاع راهب بوذي أن يؤثر في الشنتوية على اعتبار أن آلهتها مظاهر مجسدة لبوذا(*).

● وفي العصر الحديث حينما استيقظ الشعور القومي في اليابان، وبلغ ذروته في ثورة ١٨٦٨ م نفر الشعب من كل ما هو أجنبي، ومنه البوذية فأزيلت تماثيل بوذا(*) من المعابد، وأوقف الكهنة البوذيون عن ممارسة وظائفهم وعادت الشنتوية ديناً قومياً. وكانت الحكومة اليابانية تعمل على توطيد الشنتوية في البلاد للاحتفاظ بعبادة الإمبراطور الميكادو.

● بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م عملت السياسة الأمريكية على إبطال عبادة الإمبراطور، وحاولت القضاء على الوطنية الفائقة التي تغرسها الشنتوية في النفس اليابانية، التي أفرزت أثناء الحرب العالمية الفرق الانتحارية التي أنهكت الأسطول الأمريكي.

● ومن الملاحظ أن البوذية دخلت اليابان ولم تخرج منه، إلا أن البوذية اليابانية تختلف عن البوذية الهندية والصينية في كثير من التعاليم.

● ولكن التسامح سائد بين البوذية اليابانية والشنتوية، ولهذا نرى الناس في اليابان ينتقلون من هيكل بوذي إلى معبد شنتوي دون حرج، والعقائد التي يعتنقها الفرد الياباني العادي مزيج من الشنتوية والكونفوشيوسية والبوذية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

الشنتوية منتشرة في اليابان فقط.

ويتضح مما سبق:

أن الشنتوية ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، وما زالت الدين(*) الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح وقوى الطبيعة وانتهت بعبادة الإمبراطور الذي يعتبرونه من نسل الآلهة(*) كما يزعمون، هناك تسامح في اليابان بين البوذية اليابانية وبين الشنتوية، وقد أصبحت عقيدة الفرد العادي الآن مزيجاً من الشنتوية والكونفوشيوسية والبوذية.

مراجع للتوسع:

- **الملل والنحل**، للشهرستاني - بتحقيق محمد سيد كيلاني (طبعة مزيدة من المحقق).
- **محاضرات في مقارنات الأديان: الأديان القديمة**، محمد أبو زهرة - مطبعة يوسف - مصر.
- **أديان العالم الكبرى**، لخصه عن الإنجليزية حبيب سعد.
- **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، أحمد عبد الغفور عطار - مكة المكرمة - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

المراجع الأجنبية:

- Eneyclopedia Britannica 1968.
- Berey: Religions of the World.

٩٠- الطاوية

التعريف:

الطاوية إحدى أكبر الديانات(*) الصينية القديمة التي لا تزال حية إلى اليوم، إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية. كان لها دور مهم في تطوير علم الكيمياء منذ آلاف السنين وذلك من خلالها مسيرتها في البحث في إكسير الحياة ومعرفة سر الخلود.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يعتقد بأن لوتس Lootse الذي كان ميلاده عام ٥٠٧ ق.م هو صاحب مذهب الطاوية التي تُرجع بعض معتقداتها إلى زمن سحيق. وقد وضع كتابه طاو - تي - تشينغ Tao - te - ching أي كتاب **طريق القوة**. وقد التقى به كونفوشيوس فأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى.

● بقيت الطاوية خلال أكثر من ألفي سنة تؤثر في الفكر الصيني وفي التغيرات التاريخية الصينية.

● ظهر شوانغ تسو الذي يرجع إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد زاعماً بأن لوتس كان أحد المعلمين السماويين، كما قام بشرح كتاب معلمه لوتس مضيفاً إليه شيئاً من فلسفته.

● لقد نمت الطاوية المنظمة في منطقة جبال شي شوان قبل غيرها.

● في عام ١٤٢م زعم شانغ طاولينغ أنه قد جاءه الوحي(*) من الرب تعالى بأن يتحمل تبعات إصلاح الدين الطاوي، وأنه قد ارتقى وسمي المعلم السماوي. وقاد ذلك التنظيم الذي صار تبعاً لسلالته الذين عرفوا بالمعلمين السماويين.

● في القرن الثاني الميلادي انتشرت الطاوية الشعبية بفضل حركة السلم الكبير Tai - ping وقد كان للمعلمين السماويين دور كبير في نشرها.

● في عام ٢٢٠ م زالت أسرة هان مما أدى إلى انقسام الصينيين إلى ثلاثة أقسام، وهذا ما ترك أثره على الاختلافات الدينية الإقليمية فيما بينهم.

● عقب سقوط أسرة هان، وفي القرنين الميلاديين الثالث والرابع ظهرت الطاوية الجديدة.

● في عام ٤٠٦ ـ ٤٧٧م ظهر المصلح لوهيوشنغ الذي يرجع إليه مفهوم القانون الكنسي لجميع الكتب المقدسة الطاوية.

● مؤسسو أسرتي تانغ ٦١٨ـ٩٠٧م ومينغ ١٣٦٨ـ١٦٤٤م قد استخدموا التنبؤات الطاوية والسحر لكسب التأييد الشعبي.

● تدَّعي عائلة شانغ الحالية للمعلمين السماويين بأنها من سلالة شانغ طاو لينغ المعلم السماوي الأول الذي ظهر أيام أسرة هان.

الأفكار والمعتقدات:

الكتب:

ـ كتاب لوتس المسمى **طاو ـ تي تشينغ** لم يكن ليكتب لولا رجاء حارس الممر ين شي الذي طلب من المعلم الشيخ أن يدون أفكاره. وهذا الكتاب مجموعة قطع أدبية تحيط بطبيعة طاو، كما تشمل قواعد عامة وأمثلة للحاكم الذي يمتلك زمام أمر الطاو، وهو كتاب غامض في كثير من عباراته إذ إن ذلك الغموض مقصود لذاته.

ـ **شوانغ تسو**: بحث في النظرة الطاوية الفلسفية، كما أجرى مقابلة بين السماء والبشر، وبين الطبيعة والمجتمع، طالباً من الطاويين طرح كل الحيل المصطنعة، وفيه قصص عن بشر كاملين يستطيعون الطيران هم الخالدون الذين لا يتأثرون بالعناصر الطبيعية ولا يمسهم حر ولا قر، أصحاب أرواح تمتاز بحرية في تصرفها.

ـ كتاب **هوانغ ـ تي ـ ني ـ تشينغ** وهو من القرن الثالث قبل الميلاد، فيه تجارب على بعض المعادن والنباتات والمواد الحيوانية وذلك انطلاقاً من اهتمامهم بالمحافظة على الصحة وإطالة الحياة.

ـ كتاب **باو ـ بو ـ تسو** الذي انتهوا من تأليفه عام ٣١٧م يبحث في علوم الكيمياء القديمة، وفيه محاولات لتحويل المعادن إلى ذهب، وإطالة الحياة بواسطة بعض الأكاسير.

ـ لهم أدب فلسفي وديني سري، قسم منه يعود إلى القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد ويركز على إقناع الحكام، وقسم يبدأ منذ نهاية القرن الثاني الميلادي وهو يمثل حركات(*) دينية منظمة وينتقل من الشيخ إلى تلاميذه من أداء القسم للمحافظة على سريته.

● **فكرتهم عن الإله(*)**:

ـ الإله ـ لديهم ـ ليس بصوت، ولا صورة، أبدي لا يفنى، وجوده سابق وجود غيره

وهو أصل الموجودات، وروحه تجري فيها.

ـ إن طاو هو المطلق الكائن، وهو مراد الكون، إنه ليس منفصلاً عن الكون بل هو داخل فيه دخولاً جوهريًّا، انبثقت عنه جميع الموجودات. .

ـ إنهم يؤمنون بوحدة الوجود(*) إذ إن الخالق والمخلوق شيء واحد لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء.

ـ إن نظرتهم إلى الإله قريبة جدًّا من مذهب الحلولية الذي يذهب إلى أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء.

ـ يؤمنون بالقانون السماوي الأعظم الذي هو أصل الحياة والنشاط والحركة لجميع الموجودات في السماء والأرض.

ـ يرى شونغ تسي بأن الإنسان قد جاء إلى الوجود مع الكون، فهو يحب الله ولكنه يحب المصدر الذي جاء منه الله أكثر من حبه لله، فهو تصور يدل على أنهم يعتقدون بأن هناك مبدأ قبل الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● **الاحتفالات الدينية والطقوس الطاوية:**

ـ هناك طقس شيو Chioo وهو أقدم الطقوس إذ هو تجديد لعلاقة الجماعة بالآلهة(*)، ولا يزال هذا الطقس موجوداً في تايوان إلى اليوم.

ـ هناك طقوس لتنصيب الكهنة(*)، وأخرى عند ميلاد الآلهة.

ـ بعض الكهنة يمارسون طقوساً معينة في مناسبات الدفن والزواج والولادة.

ـ من طقوسهم معالجة المريض وذلك بإدخاله إلى غرفة هادئة يقضي فيها بعض الوقت متأملاً منشغلاً بذنوبه، كما يقوم بعضهم باستعمال الوسطاء الذين يسترخون في سبات، ويزعمون أنهم يقومون بنقل آراء الآلهة أو الأموات أو الأقارب.

ـ حرق البخور موضوع أساسي لكل عبادة طاوية، فضلاً عن استعمال الخناجر والماء المسحور والموسيقى، والأقنعة والكتب المقدسة.

● **أفكار طاوية أخرى:**

ـ إنهم متصوفة، إذ إنه يجب على الطاوي أن ينظف نفسه من جميع المشاغل والشوائب ليوجد في داخله فراغاً هو في الحقيقة الامتلاء نفسه، وذلك بالوصول إلى الحقائق المجردة، ويتم ذلك عن طريق التجرد من الماديات ليصبح الإنسان روحاً خالصاً.

- أعلى مراتب التصوف هي مرحلة الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم، وذلك بحصول اندماج بين المتصوف والذات العليا لتصيرا شخصية واحدة.

- إذا ارتقى الإنسان إلى المعرفة الحقة عندها يستطيع أن يصل إلى الحالة الأثيرية، إذ لا موت ولا حياة.

- إن الطاوية تتجه اتجاهاً سلبياً ـ على عكس الكونفوشيوسية ـ ذلك لأن الفضيلة لديهم تكمن في عدم العمل والاقتصار على التأمل، داعين إلى الحياة على الجبال المقدسة وقرب الجزر النائية.

- إنهم يهاجمون الشرائع والقوانين والعلم وما إلى ذلك من مظاهر المدنية التي عملت على إفساد فطرة الإنسان الذي ولد خَيِّراً. إن مثلهم الأعلى في ذلك هو في العودة إلى النظام الطبيعي المتميز بنقاء الفطرة وسلامتها.

- اهتم الطاويون بطول العمر، ويعد التقدم في السن دليلاً على القداسة حتى صار من أهداف التصوف الطاوي السعي لإطالة العمر والخلود، وقد ذهب بعضهم إلى ادعاء إمكانية إطالة العمر مئات السنين. وأفضل الخالدين ـ في نظرهم ـ هم الذين يصعدون إلى السماء في وضح النهار، هذا الخلود الذي من الممكن أن يتم بوساطة تدريبات ورياضات خاصة جسدية وروحية كما يزعمون.

- هذا الاهتمام في البحث عن إكسير الحياة كان عاملاً مهمًّا في تقدم الطب والكيمياء على أيديهم، فضلاً عن السحر والشعوذة والدجل، مما أدى إلى ثراء الكهنة ثراءً فاحشاً.

- إنهم يؤكدون حرصهم على التعاليم الأخلاقية وعلى ضرورة المشاركة في الاحتفالات الجماعية الموسمية.

- ليس لديهم بعث ولا حساب، إنما يكافأ المحسن بالصحة وبطول العمر، بينما يجازى المسيء بالمرض وبالموت المبكر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● المفاهيم الطاوية ترجع إلى زمن سحيق لكنها تبلورت على يد مؤسسها لوتس.

● هناك عوامل تأثر وتأثير بين الطاوية والكنفوشيوسية والبوذية بسبب توطن هذه الديانات(*) في منطقة واحدة متجاورة، إذ يمكن ملاحظة فكرة التصوف التي يعبر عنها

بأساليب مختلفة ولكن في مضمون واحد.

● الطاوية أقرب إلى الكنفوشيوسية منها إلى البوذية.

● أخذ الطاويون عن البوذيين بناء الأديرة وتقرير الرهبنة(*) والعزوبية.

● يذكر دوان في كتابه **خرافات التوراة(*) وما يماثلها في الديانات الأخرى** (ص ١٧٢)، بأن في الطاوية تثليثاً(*)، فطاو هو العقل(*) الأزلي الأول، انبثق من واحد، ومن هذا انبثق ثالث كان مصدر كل شيء.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● في عام ١٩٥٨م أُعلن أن ثلاثين ألفاً من الكهنة الطاويين لا يزالون ناشطين في مختلف أنحاء الصين. ومعلوم أن الثقافة الصينية التقليدية لا تزال الطاوية حية فيها.

● في عام ١٩٤٩م هرب آخر المعلمين السماويين شانغ اين بو إلى تايوان، وفي عام ١٩٦٠ م انبعثت هذه الديانة من جديد وظهرت المعابد الطاوية الضخمة كمعبد شهنان قرب تايبيه والذي يضم تمثال لو يونغ ين الذي تقمصته روح إله الطاو كما يزعمون، وفي عام ١٩٧٠م مات هذا المعلم السماوي ليخلفه ابنه شانغ يوان هسين.

● توجد فئات طاوية في بعض نواحي ماليزيا وبينيانغ وسنغافورة وبانكوك.

● تعد اليابان من أوسع البلاد علماً بالطاوية في أيامنا الحالية.

● أما تايوان فهي أهم ملجأ للطاوية في القرن العشرين بسبب الهجرة الطاوية إليها في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ويتضح مما سبق:

أن الطاوية ديانة(*) صينية مؤسسها الفيلسوف لوتس الذي رأى أن الخير في الزهادة والاعتزال والعفو والتسامح مع الناس وعدم مقابلة السيئة بالسيئة. ولم يثبت أنها ديانة سماوية.

مراجع للتوسع:

- **الملل والنحل للشهرستاني وذيله**، الكتاب من تأليف الشهرستاني لكن الذيل الملحق به من تأليف محمد سيد كيلاني ـ جـ ٢ ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار ـ ط ١ ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

المراجع الأجنبية:

- Encyclopaedia Britannica, 1968, 17.p. 1034 - 1054.

- Doane: Bible Myths and Their Parallels in other Religion.p. 172.

٩١ ـ الجينية

التعريف:

الجينية ديانة(*) منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها مهافيرا، ولا تزال إلى يومنا هذا. إنها مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر. وهي تقوم على رياضات بدنية رهيبة وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يعتقد الجينيون أن ديانتهم ساهم في تأسيسها ٢٤ ترنكارا أو جينا، إذ يظهر كل منهم في نصف دورة زمنية بدأت منذ الأزل. وسوف تستمر إلى ما لا نهاية. كان أول هؤلاء هو ريشابها أو أديناثا. ويعد وجود هؤلاء الجينيات من قبيل الأساطير التي لم تثبت تاريخيًّا.

● نيميناثا أو أريشتمانيمي: هو الجيني الثاني والعشرون ويعتبرونه ابن عم كرشنا، ووصل إلى مرحلة النيرفانا(*) (الخلاص) في مدينة سوراسترا في ولاية كوجورات.

● برشفا ابن ملك فاراناس يعد الجيني الثالث والعشرين، وهو أول الشخصيات التاريخية. عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

● يعد مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية، وقد ولد عام ٥٩٩ ق.م وترهبن في سن الثلاثين، وعلى يديه تبلورت معتقداتها التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، وقد سار بدعوته بنجاح حتى بلغ الثانية والسبعين من العمر، وتوفى عام ٥٢٧ق.م.

ـ ينحدر مهافيرا من أسرة من طبقة الكاشتر المختصة بشؤون السياسة والحرب.

ـ أبوه سدهارتها أمير مدينة في ولاية بيهار، ومهاويرا هو الابن الثاني له.

ـ عاش حياته الأولى في كنف والديه متمتعاً بالخدم والملذات العادية، وكان شديد التقدير والاحترام لوالديه، تزوج ورزق بابنة.

ـ لما توفى والده، استأذن أخاه في التخلي عن ولاية العهد والتنازل عن

الملك والألقاب.

ـ حلق رأسه ونزع حليَّه، وخلع ملابسه الفاخرة، وبدأ مرحلة الزهد والخلوة والتبتل، وكانت سنه آنذاك ثلاثين عاماً.

ـ صام يومين ونصف يوم، ونتف شعر جسده، وهام في البلاد عارياً مهتماً بالرياضات الصعبة والتأملات العميقة.

ـ اسمه الأصلي فردهامانا لكن أتباعه يسمونه مهافيرا، ويزعمون أن هذا الاسم من اختيار الآلهة له ومعناه البطل العظيم، ويطلقون عليه كذلك جينا أي القاهر لشهواته والمتغلب على رغباته المادية.

ـ يدعي أتباع هذه الطائفة بأن الجينية ترجع إلى ثلاثة وعشرين جينياً، ومهافيرا هو الجيني الرابع والعشرون.

ـ تلقى مهافيرا علومه على يدي بارسواناث الذي يعدونه الجيني الثالث والعشرين، وقد أخذ عنه مبادىء الجينية، وخالفه بعد ذلك في بعض الأمور، وزاد على هذه الطريقة شيئاً استخلصه من تجاربه وخبرته مما جعله المؤسس الحقيقي لها.

ـ غرق في تأملاته ورهبانيته وعرى جسده هائماً في البلاد لمدة ثلاثة عشر شهراً مداوماً على مراقبة نفسه في صمت مطبق، يعيش على الصدقات التي تقدم إليه. حصل بعدها على الدرجة الرابعة مباشرة إذ كان مزوداً بثلاثة منها أصلاً كما يقولون.

ـ تابع بعد ذلك رحلة عدم الإحساس حتى حصل على الدرجة الخامسة وهي كما يزعمون درجة العلم المطلق ووصوله إلى مرحلة النجاة.

ـ بعد سنة من الصراع والتهذيب النفسي فاز بدرجة المرشد، وبدأ بذلك مرحلة الدعوة لمعتقده، فدعا أسرته ثم عشيرته، ثم أهل مدينته، ومن ثم دعا الملوك والقواد، فوافقه كثير منهم لما في دعوته من ثورة على البراهمة(*).

ـ استمر في دعوته حتى بلغ الثانية والسبعين إذ توفى سنة ٥٢٧ ق.م مخلفاً وراءه خطباً وأتباعاً ومذهباً.

● أرياشاما: عاش في القرن الرابع بعد مهافيرا.

● كونداكاوندا أكياريا: تقدره فرقة الديجامبرا، وكتبَ بعض الكتب والشروح، عاش في القرون المسيحية(*) الأولى.

● انقسمت الجينية بعده إلى عدة أقسام وصلت إلى ثماني فرق أو أكثر، أهمها الآن:

ـ **ديجامبرا**: أي أصحاب الزيِّ السماوي العراة، وهم طبقة الخاصة الذين يميلون إلى التقشف والزهد، ومعظمهم من الكهان(*) والرهبان(*) والمتنسكين الذين يتخذون من حياة مهاويرا قدوة لهم، وقد انقسموا مؤخراً إلى عدد من الفرق.

ـ **سويتامبرا**: أي أصحاب الزي الأبيض، وهم طبقة العامة المعتدلون الذين يتخذون من حياة مهاويرا الأولى في رعاية والديه نبراساً لهم إذ كان يتمتع حينها بالخدم والملذات، إذ يفعلون كل أمر فيه خير، ويبتعدون عن كل أمر فيه شرّ أو إزهاق لأرواح كل ذي حياة، يلبسون الثياب، ويطبقون مبادىء الجينية العامة على أنفسهم.

● أقبل الملوك والحكام في الهند على اعتناق الجينية، مما سجل انتصاراً على العصر الويدي الهندوسي الأول، ذلك أنها تدعو إلى عدم إيقاع الأذى بذي روح مطلقاً، كما توجب أن يطيع الشعب حاكمه، وتقضي بذبح من يتمرد على الحاكم أو يعصي أوامره، فصار لهم نفوذ كبير في بلاط كثير من الملوك والحكام في العصور الوسطى.

ـ نالوا كثيراً من الاحترام والتقدير أيام الحكم الإسلامي للهند، وقد بلغ الأمر بالإمبراطور أكبر الذي حكم الهند من ١٥٥٦ ـ ١٦٠٥ م أن ارتد عن الإسلام واعتنق بعض معتقدات الجينية واحتضن معلم الجينية هيراويجياً مطلقاً عليه لقب معلم الدنيا.

الأفكار والمعتقدات:

الكتب:

ـ نزل مهاويرا قبل موته في مدينة بنابوري في ولاية تَبْنا وألقى خمساً وخمسين خطبة، وأجاب عن ستة وثلاثين سؤالاً. فهذه الخطب وتلك الأسئلة أصبحت كتابهم المقدس.

ـ يضاف إلى ذلك الخطب والوصايا المنسوبة للمريدين والرهبان والنسَّاك الجينيين.

ـ انتقل تراثهم مشافهة، وقد حاولوا تدوينه في القرن الرابع قبل الميلاد

لكنهم فشلوا في جمع كلمة الناس حول ما كتبوه، فتأجلت كتابته إلى سنة ٥٧م.

ـ في القرن الخامس الميلادي اجتمع كبار الجينيين في مدينة ويلابهي وقاموا بتدوين التراث الجيني باللغة السنسكريتية، في حين أن لغته الأصلية كانت أردها مجدى.

ـ ويوجد الآن عدد من الكتب والشروح والأساطير الكثيرة يختلف الاعتراف بها من طائفة إلى أخرى.

الإله(*):

ـ الجينية في الأصل ثورة على البراهمة، لذا فإنهم لا يعترفون بآلهة الهندوس وبالذات الآلهة الثلاثة (برهما(*) ـ فشنو(*) ـ سيفا(*))، ومن هنا سميت حركتهم بالحركة الإلحادية(*).

ـ لا تعترف الجينية بالروح الأكبر أو بالخالق الأعظم لهذا الكون؛ لكنها تعترف بوجود أرواح خالدة.

ـ كل روح من الأرواح الخالدة مستقلة عن الأخرى ويجري عليها التناسخ(*).

ـ لم يستطيعوا أن يتحرروا تحرراً كاملاً من فكرة الألوهية، فاتخذوا من مهافيرا معبوداً لهم وقرنوا به الجينيات الثلاثة والعشرين الآخرين، لتكمل في أذهانهم صورة الدين(*)، وليسدوا الفراغ الذي أحدثه عدم اعترافهم بالإله الأوحد.

ـ خلق المسالمة والمجاملة دفعهم إلى الاعتراف بآلهة الهندوس (عدا الآلهة الثلاثة) ثم أخذوا يجلّونها، لكنهم لم يصلوا بها إلى درجة تقديس البراهمة(*) لها، ودعوا كذلك إلى احترام براهمة الهندوس باعتبارهم طائفة لها مكانتها في الدين الهندوسي.

ـ لا توجد لديهم صلاة، ولا تقديم قرابين، ولا يعترفون بالطبقات، بل هم ثورة عليها، إذ ليس لديهم سوى طبقتي الخاصة والعامة. ولم يجعلوا لخاصتهم من الرهبان(*) أية امتيازات مما جعل الرهبنة ذات مشقة وتضحية وتكليف ذاتي.

● **من معتقداتهم الأخرى**:

● **الكارما**:

ـ الكارما لديهم كائن مادي يخالط الروح ويحيط بها ولا سبيل لتحرير الروح منها إلا بشدة التقشف والحرمان من الملذات.

- يظل الإنسان يولد ويموت مادامت الكارما متعلقة بروحه، ولا تطهر نفسه حتى تتخلص من الكارما، إذ تنتهي رغباته وعندها يبقى حيًّا خالداً في نعيم النجاة. وهي مرحلة النيرفانا(*) أو الخلاص التي قد تحصل في الدنيا بالتدريب والرياضة أو بالموت.

● **النجاة:**

- إنها تعني الفوز بالسرور الخالد الخالي من الحزن والألم والهموم، وتعني التطهر من أدران الحيوانية المادية، إنها ترمي إلى التخلص من تكرار المولد والموت والتناسخ(*).

- طريق الوصول إلى النجاة يكون بالتمسك بالخير والابتعاد عن الشرور والذنوب والآثام، ولا يصل إليها الإنسان إلا بعد تجاوز عوائق ومتاعب الحياة البشرية بقتل عواطفه وشهواته.

- الشخص الناجي مكانه فوق الخلاء الكوني، إنها نجاة أبدية سرمدية.

● **تقديس كل ذي روح:**

- يقدسون كل ما فيه روح تقديساً عجيباً.

- يمسك بعض الرهبان بمكنسة ينظف بها طريقه أو مجلسه خشية أن يطأ شيئاً فيه روح.

- يضع بعضهم غشاءً على وجهه يتنفس من خلاله خوفاً من استنشاق أي كائن حي من الهوام العالقة في الهواء.

- لا يعملون في الزراعة حذراً من قتل الديدان والحشرات الصغيرة الموجودة في التربة.

- لا يذبحون الحيوانات، ولا يأكلون لحومها وهم نباتيون.

- لا يشتركون في معركة ولا يدخلون في قتال خوفاً من إراقة الدماء وقتل الأحياء من البشر، فهم مسالمون بعيدون عن كل مظاهر العنف.

● **العواطف:**

- يجب قهر العواطف والمشاعر جميعاً، حتى لا يشعر الراهب بحب أو كره، بحزن أو سرور، بحرّ أو برد، بخوف أو حياء، بخير أو شرّ، بجوع أو عطش، فيجب أن يصل إلى درجة الخمود والجمود والذهول بحيث تقتل في نفسه جميع العواطف البشرية.

ـ ترى أحدهم ينتف شعر جسده دون أن يشعر بأي ألم في ذلك.

● **العري**:

ـ قمة قتل العواطف هي الوصول إلى مرحلة العري الذي يعد أبرز مظاهر الجينية، إذ يمشي الشخص في الشوارع بدون كساء يستر جسده من غير شعور بالحرج أو الحياء أو الخجل. وهذا تطبقه فرقة ديجامبرا من الجينية.

ـ الرهبان(*) يعيشون عراة، وذلك نابع من فكرة نسيان العار أو الحياء مما يمكنه من اجتياز الحياة إلى مرحلة النجاة والخلود.

ـ إذا تذكر الإنسان العاري الحياة والحسن والقبح فذلك يعني أنه مازال متعلقاً بالدنيا مما يحجبه عن الفوز والنجاة.

ـ الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، وعدم الشعور بالحياء معناه عدم تصور الإثم. فمن أراد الحياة البريئة البعيدة عن الشعور بالآلام فما عليه إلا أن يعيش عارياً متخذاً من السماء والهواء كساء له.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الجينية ثورة على الهندوسية مستنكرة آلهتها وطبقاتها، لكنها لم تستطع أن تتحرر من طابعها العام ومن سماتها البارزة، فاتخذت لنفسها آلهة(*) خاصة بها.

● الفكر الجيني يقوم أصلاً على أفكار هندوسية كالانطلاق، والكارما، والنجاة، والتناسخ وتكرار المولد، والدعوة إلى السلبية مع صبغ هذه المفاهيم بالصبغة الجينية وتطويرها لتلائم المعتقد الجيني.

● تَدَّعي الجينية بأن فلسفتها ترجع إلى الجيني الأول الذي كان حيًّا في التاريخ البعيد، وإلى جيناتها الذين تتابعوا واحداً إثر الآخر حتى كان الجيني الثالث والعشرون بارسواناث، والرابع والعشرون مهافيرا الذي استقرت على يديه معالم هذه الديانة التي تشكلت خلال مرحلة طويلة من الزمن.

● كان ظهورها مواكباً لظهور البوذية، وكلتاهما ثورتان داخل الفكر الهندوسي.

● يعتقد بأن النصرانية قد أخذت عن الجينية فكرة الصيام عن كل ما فيه حياة، إذ إنهم يصومون عن اللحوم وعن جميع المشتقات الحيوانية لأيام معدودة ويعيشون خلال ذلك على الأطعمة النباتية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لم تخرج الجينية من الهند، فمعابدهم منتشرة في كلكتا ودلوارا، ولهم معابد في كهجورا وجبل آبو، وهي تعدُّ من عجائب الدنيا زينة وزخرفة، وفي القرن الثاني قبل الميلاد نحتوا كهفهم العظيم المسمى هاتي كنبا في منطقة إدريسه، ولهم كهوف أخرى منتشرة في أنحاء الهند مما يدل على براعتهم في نحت التماثيل، ورسوخ قدمهم في فن معمار المعابد وزخرفتها وتزيينها بالنقوش العجيبة. يبلغ تعدادهم الحالي حوالي المليون نسمة يعملون في التجارة وإقراض البنوك، فمعظمهم من الأغنياء مما ساعدهم على نشر الكتب والتأثير على الثقافة الهندية.

ويتضح مما سبق:

أن الجينية حركة(*) عقلية متحررة مطبوعة بطابع الذهن الهندوسي العام، فمنشؤها الزهد والتقشف، وطريقتها الرياضة الشاقة، ومظهرها الرهبانية، وهم لايعترفون بآلهة الهندوس، ويعيشون شبه عراة، معرضين أجسامهم لظواهر الطبيعة، وأحياناً يلجأون إلى قطع الروابط بالحياة عن طريق الانتحار، ويعتبرونه غاية لا تتاح إلا للخاصة من الرهبان.

مراجع للتوسع:

- **حضارة الهند**، غوستاف لوبون.
- **مهافيرا**: مؤسس الجينية، ثقافة الهند ـ ديسمبر ١٩٥١ م.
- **الفلسفة الجينية**، محي الدين الألوائي.
- **تاريخ الإسلام في الهند**، عبد المنعم النمر.
- **فلسفة الهند القديمة**، مولانا محمد عبد السلام الرامبوري.
- **أديان الهند الكبرى**، د. أحمد شلبي ـ ط ٦ ـ النهضة المصرية.
- **حقائق عن الهند**، منشورات إدارة الاستعلامات الهندي.
- **أديان العالم الكبرى**، حبيب سعيد.
- **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، العميد عبد الرزاق محمد أسود.

المراجع الأجنبية:

- H.G. Wells: A Short History of the World.
- Berry: Religions of the World.
- History of Budhist Thought: Edward Thomas.
- Weeche and Rylamds: The Peoples and Religions of India.

٩٢- الكونفوشيوسية

التعريف:

الكونفوشيوسية ديانة(*) أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إله(*) السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **كونفوشيوس:**

- يعد كونفوشيوس المؤسس الحقيقي لهذه العقيدة الصينية.

- ولد سنة ٥٥١ ق. م في مدينة تسو Tsou وهي إحدى مدن مقاطعة لو Lu.

- اسمه كونج Kung وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس Futze معناه الرئيس أو الفيلسوف، فهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها.

- ينتسب إلى أسرة عريقة، فجدّه كان والياً على تلك الولاية، ووالده كان ضابطاً حربيًّا ممتازاً، وكان هو ثمرة لزواج غير شرعي، توفي والده وله من العمر ثلاث سنوات.

- عاش يتيماً، فعمل في الرعي، وتزوج في مقتبل عمره قبل العشرين، ورزق بولد وبنت، لكنه فارق زوجته بعد سنتين من الزواج، لعدم استطاعتها تحمل دقته الشديدة في المأكل والملبس والمشرب.

- تلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف لوتس Laotse صاحب النِّحلة الطاوية، إذ كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعياً إلى مقابلة السيئة بمثلها وذلك إحقاقاً للعدل.

- عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة(*)، تكاثر تلاميذه حتى بلغوا ثلاثة آلاف تلميذ، بينهم حوالي ثمانين شخصاً عليهم أمارات النجابة والذكاء.

ـ تنقل في عدد من الوظائف فقد عمل مستشاراً للأمراء والولاة، وعيّن قاضياً وحاكماً، ووزيراً للعمل، ووزيراً للعدل ورئيساً للوزراء في سنة ٤٩٦ ق.م إذ أقدم حينها على إعدام بعض الوزراء السابقين، وعدد من رجال السياسة وأصحاب الشغب، حتى صارت مقاطعة لو نموذجية في تطبيق الآراء والمبادىء الفلسفية المثالية التي ينادي بها.

ـ رحل بعد ذلك وتنقل بين كثير من البلدان ينصح الحكام ويرشدهم ويتصل بالناس يبث بينهم تعاليمه حاثًّا لهم على الأخلاق(*) القويمة.

ـ أخيراً عاد إلى مقاطعة لو فتفرغ لتدريس أصدقائه ومحبيه منكبًّا على كتب الأقدمين يلخّصها، ويرتبها، ويضمنها بعض أفكاره، وحدث أن مات وحيده الذي بلغ الخمسين من عمره، وفقد كذلك تلميذه المحبّب إليه هووي فبكى عليه بكاءً مرًّا.

ـ مات في سنة ٤٧٩ ق.م بعد أن ترك مذهباً(*) رسميًّا وشعبيًّا استمرّ حتى منتصف القرن العشرين الحالي.

● **صفاته الشخصية:**

ـ دمث، مرح، مؤدّب، يحبّ النكتة، يتأثر لبكاء الآخرين، يبدو قاسياً وغليظاً في بعض الأحيان، طويل، دقيق في المأكل والملبس والمشرب، مولع بالقراءة والبحث والتعلم والتعليم والمعرفة والآداب.

ـ مغرم بالبحث عن منصب سياسي بغية تطبيق مبادئه السياسية والأخلاقية لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها.

ـ خطيب بارع، ومتكلّم مفوّه، لا يميل إلى الثرثرة، وعباراته موجزة تجري مجرى الأمثال القصيرة والحكم البليغة.

ـ لديه شعور ديني، يحترم الآلهة التي كانت معبودة في زمانه، ويداوم على تأدية الشعائر الدينية، يتوجه في عباداته إلى الإله(*) الأعظم أو إله السماء، يصلي صامتاً، ويكره أن يرجو الإله النعمة أو الغفران، إذ إن الصلاة لديه ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد، والدّين(*) ـ في نظره ـ أداة لتحقيق التآلف بين الناس.

ـ كان يغني، وينشد، ويعزف الموسيقى، وقد ترك كتاب **الأغاني** Book of Songs كما أنه كان مغرماً بالحفلات والطقوس، إلى جانب اهتمامه بالرماية وقيادة العربات والقراءة والرياضة (الحساب) ودراسة التاريخ.

● انقسمت الكونفوشيوسية إلى اتجاهين:

ـ مذهب(*) متشدد حرفي ويمثله منسيوس، إذ يدعو إلى الاحتفاظ بحرفية آراء كونفوشيوس وتطبيقها بكل دقة، ومنسيوس هذا تلميذ روحي لكونفوشيوس، إذ إنه لم يتلق علومه مباشرة عنه بل إنه أخذها عن حفيده وهو Tsesze الذي قام بتأليف كتاب **الانسجام المركزي** Central Harmony.

ـ والمذهب التحليلي، ويمثله هزنتسي Hsuntse ويانجتسي Yangtse، إذ يقوم مذهبهما على أساس تحليل وتفسير آراء المعلم واستنباط الأفكار باستلهام روح النص الكونفوشيوسي.

● أما أبرز الشخصيات إضافة إلى من سبق فهم:

ـ تسي كنج Tsekung ولد سنة ٥٢٠ م، وأصبح من أعظم رجال السلك السياسي الصيني.

ـ تسي هسيا Tsehsia ولد سنة ٥٠٧ م وأصبح من كبار المتفقهين في الدين الكونفوشيوسي.

ـ تسينكتنز Tsengtse كان أستاذاً لحفيد كونفوشيوس، ويأتي ترتيبه الثاني بعد منسيوس من حيث الأهمية.

ـ تشي هزيوان Chi - Husan عاش في عصر أسرة هان ١٢٧ ـ ٢٠٠ ميلادية.

ـ تشو هزي Cho - Hsi ١١٣٠ ـ ١٢٠٠ ميلادية قام بنشر الكتب الأربعة التي كانت تدرس في المدارس الأولية والابتدائية في الصين، ويعد الحجة الوحيدة.

ـ الفيلسوف موتزي Motze ٤٧٠ ـ ٣٨١ ق.م. أضاف فكرة جديدة وهي تشخيص إلٰه(*) السماء بشخص عظيم يشبه الآدميين.

● في سنة ٤٢٢م أقيم معبد لكونفوشيوس في Chufu حيث قبره.

● في سنة ٥٠٥ م أقيم معبد آخر في العاصمة، وأصبحت كتبه تدرس في المدارس على أنها كتب مقدسة.

● في سنة ٦٣٠ م أمر أحد الأباطرة ببناء معابد مزودة بتماثيل لكونفوشيوس في جميع أنحاء الإمبراطورية، كما أمر بإنشاء كليات لتعليم آراء كونفوشيوس الذي أصبح رمزاً للوحدتين السياسية والدينية.

● في سنة ٧٣٥م منح كونفوشيوس لقب ملك.

● في سنة ١٠١٣ م منح لقب القديس الأعظم.

● في سنة ١٣٣٠ م منح الأفراد المنحدرون من سلالته رتبة الشرف وصاروا يعدّون من طبقة النبلاء.

● في سنة ١٥٣٠ م بدّلت التماثيل الموجودة في المعابد بصور ولوحات حتى لا تختلط الكونفوشيوسية بالوثنية.

● في سنة ١٩٠٥ م بدأ نجم الكونفوشيوسية في الأفول، إذ أُلغي الامتحان الديني الذي كان يعد ضرورياً للتعيين في الوظائف.

● في سنة ١٩١٠ م ظهر مذنب هالي Halley في الأجواء الصينية فاعتبر ذلك استياء من الآلهة(*) على أسرة مانتشو التي بلغ الفساد في عهدها قمته، مما أدى إلى ثورة(*) شعبية انتهت بتنازل الإمبراطور عن العرش سنة ١٩١٢م وتحول الصين إلى النظام الجمهوري(*)، مما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق(*) والتقاليد الصينية.

● في سنة ١٩٢٨م صدر قرار بتحريم تقديم القرابين لكونفوشيوس ومنع إقامة الطقوس الدينية له.

● عندما استولى اليابانيون على منشورياً عادت الصين إلى استنهاض الهمم بالعودة إلى الكونفوشيوسية، وعاد الناس في عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤م إلى تقديم القرابين مرة ثانية، كما أعيد تدريس الكونفوشيوسية في كل مكان لاعتقادهم بأن نكبتهم ترجع إلى إهمالهم تعاليم المعلم الأكبر، وسادت حركة إحياء جديدة بزعامة تشانج كاي شيك، وقد استمرت هذه الحركة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

● في عام ١٩٤٩م سيطرت الشيوعية على الصين، ولكن شيئاً فشيئاً بدأت الخلافات بين الصين والاتحاد السوفيتي في الظهور مما أوجد تبايناً بينهما، وبعد موت الزعيم الصيني الشيوعي الشهير ماو تسي تونج بدأ التراجع عن الشيوعية في الصين، وبدأت رياح الغرب تهب عليها.

● يعتقد الباحثون بأن الروح الكونفوشيوسية ستعمل على تغيير معالم الشيوعية، مما يجعلها أبعد ما تكون عن الشيوعية الروسية التي انهارت، لما للكونفوشيوسية من سيطرة روحية على الشعب الصيني.

الأفكار والمعتقدات:

● الكتب:

ـ هناك مجموعتان أساسيتان تمثلان الفكر الكونفوشيوسي فضلاً عن كثير من الشروح والتعليقات والتلخيصات، المجموعة الأولى تسمى الكتب الخمسة، والثانية تسمى الكتب الأربعة.

ـ الكتب الخمسة: وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن كتب الأقدمين وهي:

١ ـ **كتاب الأغاني أو الشعر**: فيه ٣٥٠ أغنية إلى جانب ستة تواشيح دينية تغنى بمصاحبة الموسيقى.

٢ ـ **كتاب التاريخ**: فيه وثائق تاريخية تعود إلى التاريخ الصيني السحيق.

٣ ـ **كتاب التغييرات**: فيه فلسفة تطور الحوادث الإنسانية، وقد حوّله كونفوشيوس إلى كتاب علمي لدراسة السلوك الإنساني.

٤ ـ **كتاب الربيع والخريف**: كتاب تاريخي يؤرخ للفترة الواقعة بين ٧٢٢ ـ ٤٨١ ق.م.

٥ ـ **كتاب الطقوس**: فيه وصف للطقوس الدينية الصينية القديمة مع معالجة النظام الأساسي لأسرة تشو، تلك الأسرة التي لعبت دوراً مهماً في التاريخ الصيني البعيد.

ـ الكتب الأربعة: وهي الكتب التي ألفها كونفوشيوس وأتباعه مدوِّنين فيها أقوال أستاذهم مع التفسير تارة والتعليق أخرى، إنها تمثل فلسفة كونفوشيوس ذاته وهي:

١ ـ كتاب **الأخلاق**(*) **والسياسة**.

٢ ـ كتاب **الانسجام المركزي** Central Harmony.

٣ ـ كتاب **المنتجات** Analects ويطلق عليه اسم إنجيل كونفوشيوس.

٤ ـ كتاب **منسيوس**: وهو يتألف من سبعة كتب، ومن المحتمل أن يكون مؤلفها منسيوس نفسه.

● **المعتقدات الأساسية**:

ـ تتمثل المعتقدات الأساسية لديهم في الإلٰه(*) أو إلٰه السماء، والملائكة، وأرواح الأجداد.

١ ـ **الإلٰه**:

ـ يعتقدون في الإلٰه الأعظم أو إلٰه السماء ويتوجهون إليه بالعبادة، كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك، أو بأمراء المقاطعات.

ـ للأرض إلٰه، وهو إلٰه الأرض، ويعبده عامة الصينيين.

ـ الشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال.. لكل منها إلٰه وعبادتها

وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء.

٢ ـ **الملائكة**: إنهم يقدسون الملائكة ويقدمون إليها القرابين.

٣ ـ **أرواح الأجداد**: يقدس الصينيون أرواح أجدادهم الأقدمين، ويعتقدون ببقاء الأرواح، والقرابين عبارة عن موائد يدخلون بها السرور على تلك الأرواح بأنواع الموسيقى، ويوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل.

● **معتقدات وأفكار أخرى**:

ـ لم يكن كونفوشيوس نبيًّا(*)، ولم يدّعِ هو ذلك، بل يعتقدون أنه من الذين وهبوا تفويض السماء لهم ليقوموا بإرشاد الناس وهدايتهم، فقد كان مداوماً على إقامة الشعائر والطقوس الدينية، وكان يعبد الإلٰه الأعظم والآلهة الأخرى على غير معرفة بهم ودون تثبُّت من حقيقة الآراء الدينية تلك.

ـ كان كونفوشيوس مغرماً بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها، وهي مدينة مثالية لكنها تختلف عن مدينة أرسطو الفاضلة، إذ إنّ مدينة كونفوشيوس مثالية في حدود واقعٍ ممكن التحقيق والتطبيق، فيما مدينة أرسطو تجنح إلى مثالية خيالية بعيدة عن مستوى التطبيق البشري القاصر. والفيلسوفان متعاصران.

ـ **الجنة والنار**: لا يعتقدون بهما، ولا يعتقدون بالبعث أصلاً، إذ إنّ همَّهم منصبّ على إصلاح الحياة الدنيا، ولا يسألون عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد. وقد سأل تلميذٌ أستاذه كونفوشيوس عن الموت، فقال: «إننا لم ندرس الحياة بعد، فكيف نستطيع أن ندرس الموت».

ـ **الجزاء والثواب**: إنما يكونان في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر.

ـ **القضاء والقدر**(*): يعتقدون بذلك، فإن تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلازل والبراكين.

ـ **الحاكم ابن للسماء**: فإذا ما قسا وظلم وجانب العدل فإن السماء تسلّط عليه من رعيته من يخلعه ليحلّ محلّه شخص آخر عادل.

ـ **الأخلاق**(*): هي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه الكونفوشيوسية، وهي محور الفلسفة(*) وأساس الدين(*)، وهي تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية، مما يخضعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي.

ـ تظهر الأخلاق في:

١ ـ إطاعة الوالد والخضوع له.
٢ ـ طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر.
٣ ـ إطاعة الحاكم والانقياد إليه.
٤ ـ إخلاص الصديق لأصدقائه.
٥ ـ عدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم.
٦ ـ أن تكون الأقوال على قدر الأفعال، وكراهية ظهور الشخص بمظهر لا يتفق مع مركزه وحاله.
٧ ـ البعد عن المحسوبية في الوساطة أو المحاباة.

ـ وتظهر أخلاق الحاكم في:

١ ـ احترام الأفراد الجديرين باحترامه.
٢ ـ التودّد إلى من تربطهم به صلة قربى وقيامه بالتزاماته حيالهم.
٣ ـ معاملة وزرائه وموظفيه بالحسنى.
٤ ـ اهتمامه بالصالح العام، مع تشجيعه للفنون النافعة والنهوض بها.
٥ ـ العطف على رعايا الدول الأخرى المقيمين في دولته.
٦ ـ تحقيق الرفاهية لأمراء الإمبراطورية ولعامة أفرادها.

ـ تحترم الكونفوشيوسية العادات والتقاليد الموروثة، فهم محافظون إلى أبعد الحدود، فيقدّسون العلم والأمانة، ويحترمون المعاملة اللينة من غير خضوع ولا استجداء لجبروت.

ـ يقوم المجتمع الكونفوشيوسي على أساس احترام الملكية الفردية، مع ضرورة رسم برنامج إصلاحي يؤدي إلى تنمية روح المحبّة بين الأغنياء والفقراء.

ـ يعترفون بالفوارق بين الطبقات، ويظهر هذا جليًّا حين تأدية الطقوس الدينية، وفي الأعياد الرسمية، وعند تقديم القرابين.

ـ النظام الطبقي لديهم نظام مفتوح، إذ بإمكان أي شخص أن ينتقل من طبقته إلى أية طبقة اجتماعية أخرى، إذا كانت لديه إمكانات تؤهله لذلك.

ـ ليس الإنسان إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية أي لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة. ومن هنا وجب على الإنسان أن يتمتع بكل شيء في حدود الأخلاق الإنسانية القويمة.

ـ يبنون تفكيرهم على فكرة «العناصر الخمسة»:

١ ـ فتركيب الأشياء: معدن ـ خشب ـ ماء ـ نار ـ تراب.
٢ ـ الأضاحي والقرابين خمسة.
٣ ـ الموسيقى لها خمسة مفاتيح، والألوان الأساسية خمسة.
٤ ـ الجهات خمس: شرق وغرب وشمال وجنوب ووسط.
٥ ـ درجات القرابة خمس: أبوّة ـ أمومة ـ زوجية ـ بنوّة ـ أخوّة.

ـ تلعب الموسيقى دوراً مهماً في حياة الناس الاجتماعية، وتسهم في تنظيم سلوك الأفراد وتعمل على تعويدهم الطاعة والنظام، وتؤدي إلى الانسجام والألفة والإيثار.

ـ الرجل الفاضل هو الذي يقف موقفاً وسطاً بين ذاته المركزية وبين انفعالاته ليصل إلى درجة الاستقرار الكامل.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ترجع الكونفوشيوسية إلى معتقدات الصينيين القدماء، تلك المعتقدات التي ترجع إلى ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد. وقد قبلها كونفوشيوس أولاً، والكونفوشيوسيون ثانياً، دون مناقشة أو جدال(*) أو تمحيص.

● في القرن الرابع قبل الميلاد حدثت إضافة جديدة وهي عبادة النجمة القطبية لاعتقادهم بأنها المحور الذي تدور السماء حوله، ويعتقد الباحثون بأن هذه النزعة قد وفدت إليهم من ديانة بعض سكان حوض البحر المتوسط.

● تغلبت الكونفوشيوسية على النزعة الشيوعية والنزعة الاشتراكية(*) اللتين طرأتا عليها في القرنين السابقين للميلاد وانتصرت عليهما. كما أنها استطاعت أن تصهر البوذية في القالب الكونفوشيوسي الصيني، وتنتج بوذية صينية خاصة متميزة عن البوذية الهندية الأصلية.

● لا تزال المعتقدات الكونفوشيوسية موجودة في عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين على الرغم من السيطرة السياسية للشيوعيين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انتشرت الكونفوشيوسية في الصين.

● منذ عام ١٩٤٩م أبعدت الكونفوشيوسية عن المسرحين السياسي والديني لكنها لا تزال كامنة في روح الشعب الصيني وهذا ما يؤمل أن يؤدي إلى تغيير ملامح الشيوعية الماركسية في الصين.

● لا تزال الكونفوشيوسية ماثلة في النظم الاجتماعية في فرموزا أو (الصين الوطنية).

● انتشرت كذلك في كوريا وفي اليابان إذ درست في الجامعات اليابانية، وهي من الأسس الرئيسة التي تشكل الأخلاق(*) في معظم دول شرق آسيا وجنوبها الشرقي في العصرين الوسيط والحديث.

● حظيت الكونفوشيوسية بتقدير بعض الفلاسفة الغربيين كالفيلسوف ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦م) وبيتر نويل الذي نشر كتاب **كلاسيكيات كونفوشيوس** سنة ١٧١١م. كما ترجمت كتب الكونفوشيوسية إلى معظم اللغات الأوربية.

ويتضح مما سبق:

أن الكونفوشيوسية ليست ديناً(*) سماوياً معروفاً. وقد تتضمن بعض تعاليمها دعوة إلى خلق حميد أو رأي سليم أو سلوك قويم، ولكنها ليست مما يتقرب إلى الله به: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهي تماثل البوذية والهندوسية وغيرها من الأديان الباطلة.

وعموماً فقد جبَّ الإسلام ما قبله من الأديان(*) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ٩١]. وللحق فليس هناك ما ينفي أو يثبت ابتعاث رسول معين إلى الشعوب الأخرى، ودعوى ذلك لا تخلو من الحدس والتخمين والقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وقد كان المزج المحكم بين الفلسفة الخلقية والتعاليم الدينية على أتم وضوح في الكونفوشيوسية وصاحبها كونفوشيوس الذي لم يكن رسولاً(*) مبعوثاً ولا مدعياً لرسالة.

مراجع للتوسع:

- **الحوار**، كونفوشيوس فيلسوف الصين الأكبر، ترجمة محمد مكين - المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٥٤هـ.
- كونفوشيوس: **النبي الصيني**، د. حسن شحاتة سعفان - مكتبة نهضة مصر.
- **الملل والنحل** للشهرستاني، الطبعة الثانية - دار المعرفة - بيروت. انظر الذيل الذي هو من تأليف محمد سيد كيلاني صفحة ١٩.
- **محاضرات في مقارنات الأديان**، محمد أبو زهرة - مطبعة يوسف - مصر.

المراجع أجنبية:

- Lin Yutang: The Wisdom of Confucius, N.Y. 1938.
- K. Wilhelm: Kungte, Leben und Lehre, 1925.
- Kuntse und Konfuzianismus, 1930.
- H.A. Giles: Confucianism and its Rivals, London 1915.
- M.G. Pouthie: Doetrine de confucius, Paris.
- P. Masson - oursel: la philosophieen Orient. 1938.
- Social Philosophers.
- Ch. luan: la philosophie Morale et pollitique de Mencius, 1927.

٩٣ ـ البوذية

التعريف:

هي فلسفة(*) وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني(*)، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألّهوه.

وهي تعد نظاماً أخلاقياً ومذهباً(*) فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحياً(*)، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغتها أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا(*) ٥٦٠ ـ ٤٨٠ ق.م وبوذا تعني العالم ويلقب، أيضاً، بسكيا موني ومعناه المعتكف. وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال، وكان أميراً فشبَّ مترفاً في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفاً إلى الزهد والتقشُّف والخشونة في المعيشة والتأمل في الكون ورياضة النفس، وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات، ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون.

ـ اجتمع أتباع بوذا بعد وفاته في مؤتمر كبير في قرية راجاجراها عام ٤٨٣ ق.م، لإزالة الخلاف بين أتباع المذهب(*) ولتدوين تعاليم بوذا خشية ضياع أصولها وعهدوا بذلك إلى ثلاثة رهبان(*) هم:

١ ـ كاشيابا، وقد اهتم بالمسائل العقلية.

٢ ـ أويالي، وقد اهتم بقواعد تطهير النفس.

٣ ـ أناندا، وقد دون جميع الأمثال والمحاورات.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقد البوذيون أن بوذا(*) هو ابن الله، وهو المخلّص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم.

● يعتقدون أن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس(*) على العذراء مايا.

● ويقولون إنه قد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم بوذا.

● ويقولون، أيضاً، إنه لما ولد بوذا فرحت جنود السماء، ورتلت الملائكة أناشيد المحبة للمولود المبارك.

● وقد قالوا: لقد عرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته. ولم يمض يوم واحد على ولادته حتى حيَّاهُ الناس، وقد قال بوذا لأمه وهو طفل إنه أعظم الناس جميعاً.

● وقالوا: دخل بوذا مرة أحد الهياكل فسجدت له الأصنام. وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح.

● ويعتقد البوذيون أن هيئة بوذا قد تغيَّرت في آخر أيامه، وقد نزل عليه نور أحاط برأسه. وأضاء من جسده نور عظيم فقال الذين رأوه: ما هذا بشراً إن هو إلا إله(*) عظيم.

● يصلي البوذيون لبوذا ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة. والصلاة عندهم تؤدى في اجتماعات يحضرها عدد كبير من الأتباع.

● لما مات بوذا قال أتباعه: صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض.

● يؤمنون برجعة بوذا ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها.

● يعتقدون أن بوذا هو الكائن العظيم الواحد الأزلي، وهو عندهم ذاتٌ من نور غير طبيعية، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم.

● يعتقدون أن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة، ويقولون إن بوذا أسس مملكة دينية على الأرض.

● قال بعض الباحثين إن بوذا أنكر الألوهية والنفس الإنسانية وأنه كان يقول بالتناسخ(*).

الجانب الأخلاقي في الديانة البوذية:

- في تعاليم بوذا(*) دعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الغنى والترف، وحمل النفس على التقشف والخشونة، وفيها تحذير من النساء والمال، وترغيب في البعد عن الزواج.

- يجب على البوذيِّ التقيد بثمانية أمور حتى يتمكن من الانتصار على نفسه وشهواته:

١ ـ الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة واللذة وذلك عند الإقدام على أي عمل.

٢ ـ التفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء.

٣ ـ الإشراق(*) الصحيح المستقيم.

٤ ـ الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان إلى ما يقوم به.

٥ ـ مطابقة اللسان لما في القلب.

٦ ـ مطابقة السلوك للقلب واللسان.

٧ ـ الحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر اللذات.

٨ ـ الجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك الملاذ.

- **في تعاليم بوذا أن الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة:**

١ ـ الاستسلام للملاذ والشهوات.

٢ ـ سوء النية في طلب الأشياء.

٣ ـ الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح.

- **من وصايا بوذا:** لا تقض على حياة حي، لا تسرق ولا تغتصب، لا تكذب، لا تتناول مسكراً، لا تزن، لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه، لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء، لا تتخذ طيبياً، لا تقتن فراشاً وثيراً، لا تأخذ ذهباً ولا فضة.

● **ينقسم البوذيون إلى قسمين:**

١ ـ **البوذيون المتدينون:** وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته.

٢ ـ **البوذيون المدنيون:** هؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم والوصايا فقط.

● الناس في نظر بوذا(*) سواسية لا فضل لأحد إلا بالمعرفة والسيطرة على الشهوات.

- وقد احتفظت البوذية ببعض صورها الأولى في منطقة جنوب آسيا وخاصة في

سيلان وبورما، أما في الشمال وعلى الأخص في الصين واليابان فقد ازدادت تعقيداً وانقسمت إلى مذهبين هما:

١ ـ مذهب ماهايانا (مذهب الشمال) ويدعو إلى تأليه بوذا وعبادته وترسُّم خطاه.

٢ ـ مذهب هنايانا (مذهب الجنوب) وقد حافظ على تعاليم بوذا، ويعتبر أتباع هذا المذهب أن بوذا هو المعلم الأخلاقي العظيم الذي بلغ أعلى درجة من الصفاء الروحي.

ـ وقد عبروا عن بلوغ النفس الكمال الأسمى والسعادة القصوى وانطلاقها من أسر المادة وانعتاقها من ضرورة التناسخ(*) بالنيرفانا(*)، وتعني الخلاص من أسر المعاناة والرغبة، واكتساب صفاء الدين(*) والروح، والتحرر من أسر العبودية واللذة، وانبثاق نور المعرفة عن طريق تعذيب النفس ومقاومة النزعات، مع بذل الجهد والتأمل والتركيز الفكري والروحي، وهو هدف البوذية الأسمى.

● علاقتهم بالمسلمين الآن لا تحمل طابع العداء العنيف، ويمكن أن يكونوا مجالاً خصباً للدّعوة الإسلامية.

● كتب البوذية: كتبهم ليست منزلة، ولا هم يدّعون ذلك، بل هي عباراتٌ منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله سجلها بعض أتباعه، ونصوص تلك الكتب تختلف بسبب انقسام البوذيين، فبوذيو الشمال اشتملت كتبهم على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا أما كتب الجنوب فهي أبعد قليلاً عن الخرافات.

ـ تنقسم كتبهم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ مجموعة قوانين البوذية ومسالكها.

٢ ـ مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا(*).

٣ ـ الكتاب الذي يحوي أصل المذهب(*) والفكرة التي نبع منها.

ـ وتعتمد جميع كتبهم على الآراء الفلسفية ومخاطبة الخيال، وتختلف في الصين عنها في الهند؛ لأنها تخضع لتغيرات الفلاسفة.

● شعار البوذية عبارة عن قوس نصف دائري وفي وسطه قائم ثالث على رأسه ما يشبه الوردة، وأمام هذا التمثال صورة مجسمة لجرة الماء، وبجوارها فيل يتربع عليه بوذا في لباسه التقليدي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ليس هناك ما يثبت أن للبوذية جذوراً فكرية أو عقائدية، إلا أن الناظر في

الديانات الوضعية التي سبقتها أو عاصرتها يجد بينها وبين البوذية شبهاً من بعض الجوانب مثل:

- **الهندوسية**: في القول بالتناسخ(*) والاتجاه نحو التصوف.

- **الكونفوشيوسية**: في الاتجاه إلى الاعتناء بالإنسان وتخليصه من آلامه.

- ينبغي أن يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين النصرانية وبخاصة فيما يتعلق بظروف ولادة المسيح(*) وحياته والظروف التي مرّ بها بوذا(*) مما يؤكد تأثر النصرانية بها في كثير من معتقدات هذه الأخيرة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الديانة(*) البوذية منتشرة بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية، إذ يدين بها أكثر من ستمائة مليون نسمة، ولهم معبد ضخم في كاتمندو بالنيبال، وهو عبارة عن مبنى دائري الشكل وتتوسطه قبة كبيرة وعالية وبها رسم لعينين مفتوحتين وجزء من الوجه، ويبلغ قطر المبنى ٤٠ متراً، أما الارتفاع فيزيد على خمسة أدوار مقارنة بالمباني ذات الأدوار، والبوذية مذهبان كما تقدم:

- **المذهب الشمالي**: وكتبه المقدسة مدونة باللغة السنسكريتية، وهو سائد في الصين واليابان والتبت ونيبال وسومطره.

- **المذهب الجنوبي**: وكتبه المقدسة مدونة باللغة البالية، وهو سائد في بورما وسيلان وسيام.

- ويمكن تقسيم انتشار البوذية إلى خمس مراحل:

١ - من مطلع البوذية حتى القرن الأول الميلادي، وقد دفع الملك آسوكا البوذية خارج حدود الهند وسيلان.

٢ - من القرن الأول وحتى القرن الخامس الميلادي، وفيها أخذت البوذية في الانتشار نحو الشرق إلى البنغال ونحو الجنوب الشرقي إلى كمبوديا وفيتنام ونحو الشمال الغربي إلى كشمير، وفي القرن الثالث اتخذت طريقها إلى الصين وأواسط آسيا ومن الصين إلى كوريا.

٣ - من القرن السادس حتى القرن العاشر الميلادي، وفيها انتشرت في اليابان ونيبال والتبت، وتعد من أزهى مراحل انتشار البوذية.

٤ - من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر، وفيها ضعفت البوذية واختفى كثير من آثارها، لعودة النشاط الهندوسي وظهور الإسلام في الهند، فاتجهت

البوذية إلى لاوس ومنغوليا وبورما وسيام.

٥ ـ من القرن السادس عشر وحتى الآن، وفيها تواجه البوذية الفكر الغربي بعد انتشار الاستعمار الأوروبي، وقد اصطدمت البوذية في هذه الفترة بالمسيحية(*)، ثم بالشيوعية بعد أن صار الحكم في أيدي الحكومات الشيوعية.

ويتضح مما سبق:

أن البوذية فلسفة(*) وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية، وقامت على أساس أن بوذا(*) هو ابن الله(*) ومخلص البشرية من مآسيها، وقد قال لأمه وهو طفل إنه أعظم الناس جميعاً، ولما مات بوذا قال أتباعه: إنه صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض وإنه سيرجع ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها، ويقول البعض: إن بوذا أنكر الألوهية والنفس الإنسانية، وأنه كان يقول بالتناسخ(*)، وتعتمد جميع كتب البوذيين على الآراء الفلسفية ومخاطبة الخيال، وتختلف البوذية في الصين عنها في الهند بحسب نظرة الفلاسفة.

مراجع للتوسع:

- **الملل والنحل** جـ ٢، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
- **مقارنة الأديان** (الديانات القديمة)، محمد أبو زهرة.
- **في العقائد والأديان**، د. محمد جابر عبد العال الحيني.
- **المجلة العربية**: مقال للدكتور محمد بن سعد الشويعر.
- **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، للعميد عبد الرزاق أسود.

المراجع الأجنبية :

- Encyclopedia Britannica, Vol. 3,p. 369 - 414 (Press 1979).

٩٤ـ السيخية

التعريف:

السيخ: جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي داعين إلى دين(*) جديد، زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون». وقد عادَوا المسلمين خلال تاريخهم، وبشكل عنيف، كما عادَوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك مع الاحتفاظ بالولاء(*) الشديد للبريطانيين خلال فترة استعمار الهند. وكلمة سيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كابر، ولد من أبوين هندوسيين في بنارس، وعرف عنه نقده لديانة آبائه الهندوسية.

ـ المؤسس ناناك ويدعى غورو أي المعلم، ولد سنة ١٤٦٩ م في قرية ري بوي دي تلفندي التي تبعد ٤٠ ميلاً عن لاهور، كانت نشأته هندوسية تقليدية.

ـ لما شب عمل محاسباً لزعيم أفغاني في سلطانبور، وهناك تعرف على عائلة مسلمة ماردانا كانت تخدم هذا الزعيم. وقد أخذ ينظم الأناشيد الدينية، كما نظّم مقصفاً ليتناول المسلمون والهندوس الطعام فيه.

ـ درس علوم الدين، وتنقل في البلاد، كما قام بزيارة مكة والمدينة، وزار أنحاء العالم المعروفة لديه وتعلم الهندية والسنسكريتية والفارسية.

ـ ادعى أنه رأى الرب حيث أمره بدعوة البشر، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول، وغاب لمدة ثلاثة أيام ظهر بعدها معلناً «لا هندوس ولا مسلمون».

ـ كان يدّعي حب الإسلام، مشدوداً إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى، مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين، فكان أن أنشأ ديناً جديداً في القارة الهندية، وبعض الدارسين ينظرون إليه على أنه كان مسلماً في الأصل ثم ابتدع مذهبه(*) هذا.

ـ أنشأ المعبد الأول للسيخ في كارتاربور بالباكستان حاليًا، وقبل وفاته عام ١٥٣٩م عيّن أحد أتباعه خليفة له، وقد دفن في بلدة ديرة باباناناك من أعمال البنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن.

● خلفه من بعده عشرة خلفاء معلمون آخرهم غوبند سنغ ١٦٧٥ ـ ١٧٠٨م الذي أعلن انتهاء سلسلة المعلمين.

● صار زعماؤهم بعد ذلك يعرفون باسم المهراجا، ومنهم المهراجا رانجيت سنغ المتوفى سنة ١٨٣٩م.

الأفكار والمعتقدات:

● **خلفية فكرية:**

ـ يدعون إلى الاعتقاد بخالق واحد، ويقولون بتحريم عبادة الأصنام، وينادون بالمساواة بين الناس.

ـ يؤكدون على وحدانية الخالق الحي الذي لا يموت، والذي ليس له شكل، ويتعدى أفهام البشر، كما يستعملون عدة أسماء للإله(*) منها واه غورو والجاب، وأفضلها عند ناناك «الخالق الحق» وكل ما عداه وَهْمٌ (مايا).

ـ يمنعون تمثيل الإله في صور، ولا يقرون بعبادة الشمس والأنهار والأشجار التي يعبدها الهندوس، كما لا يهتمون بالتطهر والحج إلى نهر الغانج، وقد انفصلوا تدريجيًّا عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية متميزة.

ـ أباح ناناك الخمر، وأكل لحم الخنزير، وقد حرم لحم البقر مجاراة للهنادكة.

ـ أصول الدين(*) لديهم خمسة بانج كهكها أي الكافات الخمس ذلك أنها تبدأ بحرف الكاف باللغة الكورمكية، وهي:

١ ـ ترك الشعر مرسلاً بدون قص من المهد إلى اللحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التجسس.

٢ ـ أن يلبس الرجل سواراً حديدياً في معصميه بقصد التذلل والاقتداء بالدراويش.

٣ ـ أن يلبس الرجل تباناً وهو أشبه بلباس السباحة تحت السراويل رمزاً للعفة.

٤ ـ أن يضع الرجل مشطاً صغيراً في شعر رأسه، وذلك لتمشيط الشعر وترجيله وتهذيبه.

٥ ـ أن يتمنطق السيخي بحربة صغيرة أو خنجر على الدوام، وذلك لإعطائه قوة واعتداداً، وليدافع به عن نفسه إذا لزم الأمر.

ـ يُعتقد بأن هذه الأمور ليست من وضع ناناك بل هي من وضع الخليفة العاشر غوبند سنغ الذي حرّم، أيضاً، التدخين على أتباعه، ويقصد بهذه الأمور التميز عن جميع الناس.

ـ معلمو السيخ ينكرون المعجزات والقصص والخرافات ذات الأساطير، إلا أنه على

الرغم من ذلك فقد خلَّد السيخ معابد لهم غور دوارا مبنية على قصص تتحدث عن معجزات وقعت.

ـ للمعلم، ويسمى عندهم غورو، درجة دينية تأتي بعد مرحلة الرب، فهو الذي يدل ـ في نظرهم ـ على الحق والصدق، كما أنهم يتعبدون الإلٰه بإنشاد الأناشيد الدينية التي نظمها المعلمون.

ـ يعتقدون بأن ترديد أسماء الإلٰه(*) الناما يطهر المرء من الذنوب، ويقضي على مصادر الشر في النفوس، وإنشاد الأناشيد كيرتا والتأمل بتوجيه من معلم غورو كل هذا يؤدي إلى الاتصال بالإلٰه.

ـ يعتقدون بأن روح كل واحد من المعلمين تنتقل منه إلى المعلم التالي له.

ـ هناك بعض التنبؤات، واسمها ساوساكي المائة قصة، والمنسوبة إلى المعلم غوبند سنغ، والتي تدور حول الانقلابات في الحكم القائم ومجيء مخلص ينشر السيخية في جميع أنحاء العالم.

ـ يؤمنون بولادة الإنسان وموته ثم إعادة ولادته كارما، بحيث تتقرر حياة الإنسان المستقبلية على ضوء حياته السابقة، ويتوقف خلاصه على هذه المرحلة.

ـ إن توجيه المعلم غورو أساسي للوصول إلى مرحلة الانعتاق موكا.

ـ يقدسون العدد خمسة الذي له معنى صوفي في أرض البنجاب أي الأنهار الخمسة.

ـ الخلافات الدينية يحلها مجلس ديني يعقد في أمرتيسار، وقرارات هذا المجلس لها قوة روحية.

ـ ليس لديهم طبقة دينية مشابهة للبراهمة الهندوس، إذ إنهم ـ عموماً ـ يرفضون مبدأ الطبقات الهندوسي كما يعارضون احتكار طبقة البراهمة(*) للتعاليم الدينية.

ـ يقسمون أنفسهم على أساس عرقي. . منهم الجات (قبائل زراعية) وغير الجات، والمذاهبي، وهم المنبوذون، لكن وضعهم أفضل بكثير من وضع المنبوذين لدى الهندوس.

ـ يتزوجون من زوجة واحدة فقط.

ـ أعياد السيخ هي نفس أعياد هندوس الشمال في الهند، بالإضافة إلى عيد مولد أول وآخر غورو، وعيد ذكرى استشهاد الغورو الخامس والتاسع.

● **خالصادال (الباختا):**

ـ تعرض السيخ لاضطهاد المغول الذين أعدموا اثنين من معلميهم، وقد كان أشد المغول عليهم نادر شاه ١٧٣٨ ـ ١٨٣٩م الذي هاجمهم، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الجبال والشعاب.

ـ قام غوبند سنغ وهو المعلم العاشر بإنشاء منظمة الباختا أي خالصادال التي سمى رجالها «أسوداً» ونساءها «لبؤات».

ـ هدف شباب السيخ أن يصبحوا مؤهلين لأن يكونوا من رجال الخالصادال ويطلعوا على تعاليمها.

ـ إن الخالصادال مجموعة من الشباب الذين يرتبطون بنظام سلوكي ديني قاس، إذ ينصرفون إلى الصلاة والقتال من أجل الحق والعدل الذي يعتقدون به ممتنعين عن المخدرات والمسكرات والتبغ.

ـ صاروا بعد عام ١٧٦١م حكاماً للبنجاب، وذلك بعد ضعف المغول، إذ احتلوا لاهور عام ١٧٩٩م. وفي عام ١٨١٩م امتدت دولتهم إلى بلاد الباتان، وقد وصلت إلى ممر خيبر في عهد المهراجا رانجيت سنغ ت ١٨٣٩م متغلبين على الأفغان.

ـ عندما وصل الإنجليز حصلت مصادمات بينهم وبين السيخ، واضطروهم لأن يتراجعوا ويتوقفوا عند نهر سوتلج واعتبار ذلك حدوداً لدولة السيخ من الناحية الجنوبية الشرقية.

ـ انكسروا بعد ذلك وتراجعوا أكثر، وأجبرهم البريطانيون على دفع غرامة كبيرة وتسليم جامو وكشمير، كما عينوا في لاهور مقيماً بريطانياً يدير بقية مملكة السيخ.

ـ صاروا بعد ذلك شديدي الولاء(*) للإنجليز، بل ساعدوهم على احتلال البنجاب.

ـ تحول السيخ إلى أداة في أيدي الإنجليز يضطهدون بهم حركات التمرد ١٨٥٧م.

ـ حصلوا من الإنجليز على امتيازات كثيرة، منها منحهم أراضي زراعية وإيصال الماء إليها عبر قنوات، مما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة.

ـ في الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أكثر من ٢٠٪ من الجيش الهندي البريطاني.

ـ انضموا إلى حركة غاندي في طلب الحرية(*)، وذلك إثر قيام مشكلات بينهم وبين الإنجليز.

ـ بعد عام ١٩٤٧ م صاروا مقسمين بين دولتين: الهند والباكستان، ثم اضطر مليونان ونصف المليون منهم لأن يغادروا باكستان إلى الهند إثر صدامات بينهم وبين المسلمين.

ـ ألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز، مما دفعهم إلى المطالبة بولاية النبجاب وطناً لهم.

ـ على إثر المصادمات المستمرة بين الهندوس والسيخ أمرت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند في شهر يونيو ١٩٨٤م باقتحام المعبد الذهبي في أمرتيسار، إذ اشتبك الطرفان

وقتل فيه حوالي ١٥٠٠ شخص من السيخ و٥٠٠ شخص من الجيش الهندي.

ـ وفي يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٤م أقدم السيخ على قتل رئيسة الوزراء هذه انتقاماً لاقتحام المعبد، وقد حصلت مصادمات بين الطرفين عقب الاغتيال قتل بسببها عدة آلاف من السيخ يقدرها بعضهم بحوالي خمسة آلاف شخص.

ـ اشتهر السيخ خلال حكمهم بالعسف والظلم والجور والغلظة على المسلمين، من مثل منعهم من أداء الفرائض الدينية والأذان وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية، وذلك فضلاً عن المصادمات المسلحة بينهما، والتي يقتل فيها كثير من المسلمين الأبرياء.

كتبهم:

ـ كتاب **آدي غرانت** وهو مجموعة أناشيد دينية ألفها المعلمون الخمسة الأوائل، وتبلغ نحواً من ٦٠٠٠ نشيد ديني، كما ضم إليها المعلم الأخير غوبند سنغ ١١٥ نشيداً نظمها أبوه تيغ بهادور كما تحتوي على أناشيد نظمها شيوخ من الخالصادال الباختا، وبعض رجال الصوفية المسلمين من مثل ابن الفارض على وجه الخصوص، وبعض شعراء بلاط غورو، وهذا الكتاب هو الكتاب المقدس الذي يعد أساس السلطة الروحية لديهم.

ـ أقدم مصدر عن حياة ناناك كتب بعد وفاته بخمسين إلى ثمانين عاماً، ومعظم علماء السيخ يرفضون عدداً من القصص الواردة فيه.

ـ هناك كتابات تاريخية سيخية ترجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ـ كتاب **راحت ناما** يحتوي على تقاليد الخالصادال وتعاليمهم.

ـ لهم كتاب مقدس مكتوب باللغة الكورمكية يسمونه **كرانته صاحب**.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ترجع حركتهم في الأصل إلى ظهور حركة فيسنافا باختي التي بدأت في الظهور بين الهندوس في منطقة التامل، ووصلت إلى الشمال على يد رامانوجا ١٠٥٠ ـ ١١٣٧م.

● وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وبعد الاحتكاك بالمسلمين، انتشرت هذه الحركة في سهل الغانج.

● لذا يقال بأن ناناك ١٤٦٩ ـ ١٥٣٨م لم يكن الأول في مذهبه(*) السيخي هذا، وإنما سبقه إليه شخص آخر صوفي اسمه كابير ١٤٤٠ـ١٥١٨م درس الدين(*) الإسلامي والهندوكي وكان حركة اتصال بين الدينين، إذ أراد أن يؤلف بينهما عن طريق التوجيه والتأمل الصوفي.

● كان كابير هذا يتساهل في قبول كثير من العقائد الهندوكية ويضمها إلى الإسلام

شريطة بقاء التوحيد أساساً، لكنه لم يفلح إذ انقرض مذهبه بموته مخلفاً مجموعة أشعار باللغة البنجابية تُظهر تمازج العقيدتين المختلفتين الهندوسية والإسلامية مرتبطتين برباط صوفي يجمع بينهما.

● أصل نظريتهم عن الكون مستمدة من النصوص الهندوسية.

● إنهم يحرقون موتاهم كالهندوس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لهم بلد مقدس يعقدون فيه اجتماعاتهم المهمة، وهي مدينة أمرتيسار من أعمال البنجاب وقد دخلت عند التقسيم في أرض الهند.

● هناك أربعة عروش تتمتع بالقداسة عقل تخت وهي في أمرتيسار، وأناندبور، وباتنا، وباندد.

● لهم في مدينة أمرتيسار أكبر معبد يحجون إليه ويسمى دربار صاحب أي مركز ديوان السيد الملك، وأما سائر المعابد فتسمى كرو داوره أي مركز الأستاذ.

● أكثرية السيخ، وهم الأقلية الثالثة بعد الإسلام والمسيحية(*)، تقطن البنجاب، إذ يعيش فيها ٨٥٪ منهم، فيما تجد الباقي في ولاية هاريانا، وفي دلهي، وفي أنحاء متفرقة من الهند، وقد استقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق إفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة وكندا، ورحل بعضهم إلى دول الخليج العربي بقصد العمل.

● لهم لجنة تجتمع كل عام منذ سنة ١٩٠٨م، تنشىء المدارس وتعمل على إنشاء كراسي في الجامعات لتدريس ديانة السيخ ونشر تاريخها.

● انشق قسم من السيخ عن الاتجاه العام متبعين ابن ناناك الأكبر، وسموا أدواسي إذ يتجه هؤلاء نحو التصوف، أما الخالصادال فلا يؤمنون بانتهاء سلالة الغورو غوبند سنغ العاشر، بل يعتقدون بأن هنالك معلماً حياً بين الناس لا يزال موجوداً.

● لديهم اعتقاد راسخ بضرورة إيجاد دولة لهم، وأن ذلك أحد أركان الإيمان لديهم إذ ينشدون في نهاية كل عبادة نشيداً يقولون فيه: «سيحكم رجال الخالصادال» كما يحلمون بأن تكون عاصمتهم في شانديغار.

● يقدر عدد السيخ حاليًا بحوالي ١٥ مليون نسمة داخل الهند وخارجها.

ويتضح مما سبق:

أن عقيدة السيخ تعد إحدى حركات الإصلاح الديني التي تأثرت بالإسلام، واندرجت ضمن محاولات التوفيق بين العقائد، ولكنها ضلت الطريق إذ لم تتعرف على الإسلام بما فيه

الكفاية من ناحية، ولأن الأديان(*) ينزل بها الوحي(*) من السماء، ولا مجال لاجتهاد البشر بالتلفيق والتوليف واختيار عناصر العقيدة من هنا وهناك.

مراجع للتوسع:

- مجلة الدعوة المصرية، العدد ٩٥ ـ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ سبتمبر ١٩٨٤ م.

المراجع الأجنبية :

- Encyclopaedia Britanica, 1974.
- J.D. Cunningham: History of the Sikhs, 2nd ed. (1953).
- M.A. Macauliffe: The Sikh Religion, 6 Vol. (1909).
- Sher Singh: Philosophy of Sikhism (1944).
- Khushwant Singh: A History of the Sikhs, 2 Vol, (1963 - 1966).
- W.H. Ncloed: Guru Nanak and the Sikh Religion (1968).

٩٥- المهاريشية

التعريف:

المهاريشية نحلة هندوسية دهرية ملحدة، انتقلت إلى أمريكا وأوربا متخذة ثوباً عصريًّا من الأفكار التي لم تخف حقيقتها الأصلية، وهي تدعو إلى طقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي (التجاوزي)؛ بغية تحصيل السعادة الروحية، وهناك دلائل تشير إلى صلتها بالماسونية والصهيونية التي تسعى إلى تحطيم القيم والمثل الدينية، وإشاعة الفوضى الفكرية والعقائدية والأخلاقية بين الناس.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسسها فقير هندوسي لمع نجمه في الستينات واسمه مهاريشي - ماهيش - يوجي انتقل من الهند؛ ليعيش في أمريكا ناشراً أفكاره بين الشباب الضائع الذي يبحث عن المتعة الروحية بعد أن أنهكته الحياة المادية الصاخبة.

- بقي في أمريكا مدة ١٣ سنة إذ التحق بركب نحلته الكثيرون، ومن ثم رحل لينشر فكرته في أوربا وفي مختلف بلدان العالم.

● في عام ١٩٨١م انتسب إلى هذه الفرقة ابن روكفلر عمدة نيويورك السابق، وخصص لها جزءاً من أمواله يدفعها سنويًّا لهذه الحركة، ومعروف انتماء هذه الأسرة اليهودية إلى الحركة الصهيونية والمؤسسات الماسونية.

الأفكار والمعتقدات:

● لا يؤمن أفراد هذه النحلة بالله سبحانه وتعالى، ولا يعرفون إلا المهاريشي إلٰهاً(*) وسيداً للعالم.

● لا يؤمنون بدين(*) من الأديان السماوية، ويكفرون بجميع العقائد والمذاهب(*)، ولا يعرفون التزاماً بعقيدة إلا بالمهاريشية التي تمنحهم الطاقة الروحية - على حد زعمهم - وهم يرددون: لا رب.. لا دين.

● لا يؤمنون بشيء اسمه الآخرة أو الجنة أو النار أو الحساب.. ولا يهمهم أن يعرفوا مصيرهم بعد الموت لأنهم يقفون عند حدود متع الحياة الدنيا لا غير.

● حقيقتهم الإلحاد(*)، لكنهم يظهرون للناس أهدافاً براقة لتكون ستاراً يخفون بها تلك الحقيقة. فمن ذلك أنهم يدعون إلى التحالف من أجل المعرفة أو علم الذكاء الخلاق ويفسرون ذلك على النحو التالي:

ـ **علم**: من حيث دعوتهم إلى البحث المنهجي التجريبي.

ـ **الذكاء**: من حيث الصفة الأساسية للوجود متمثلاً في هدف ونظام للتغيير.

ـ **الخلاق**: من حيث الوسائل القوية القادرة على إحداث التغييرات في كل زمان ومكان.

ـ وهم يصلون إلى ذلك عن طريق (التأمل التجاوزي) الذي يأخذ بأيديهم ـ كما يعتقدون ـ إلى إدراك غير محدود.

ـ (التأملات التجاوزية) تتحقق عن طريق الاسترخاء، وإطلاق عنان الفكر والضمير والوجدان حتى يشعر الإنسان منهم براحة عميقة تنساب داخله، ويستمر في حالته الصامتة تلك حتى يجد حلاً للعقبات والمشكلات التي تعترض طريقه، وليحقق بذلك السعادة المنشودة.

ـ يخضع المنتسب للتدريب على هذه التأملات التصاعدية خلال أربع جلسات موزعة على أربعة أيام، وكل جلسة مدتها نصف ساعة.

ـ ينطلق الشخص بعد ذلك ليمارس تأملاته بمفرده على ألا تقل كل جلسة عن عشرين دقيقة صباحاً ومثلها مساءً كل يوم وبانتظام.

ـ من الممكن أن يقوموا بذلك بشكل جماعي، ومن الممكن أن يقوم به عمال في مصنع رغبةً في تجاوز إرهاقات العمل وزيادة الإنتاج.

ـ يحيطون تأملاتهم بجو من الطقوس الكهنوتية، مما يجعلها جذابة للشباب الغربي الغارق في المادة والذي يبحث عما يلبي له أشواقه الروحية.

ـ ينطلقون في الشوارع يقرعون الطبول، وينشدون، دون إحساس بشيء اسمه الخجل أو العيب أو القيم، ويرسلون شعورهم ولحاهم، ولعل بعضهم يكون حليق الرأس على نحو شاذ، وهيئتهم رثة، كل ذلك جذباً للأنظار، وتعبيراً عن تحللهم من كل القيود.

ـ استعاض المهاريشية عن النبوة(*) والوحي(*) بتأملاتهم الذاتية، واستعاضوا عن الله بالراحة النفسية التي يجدونها، وبذلك أسقطوا من اعتبارهم مدلولات النبوة والوحي والألوهية.

● يطلقون العنان لشبابهم وشاباتهم لممارسة كل أنواع الميول الجنسية الشاذة

والمنحرفة، إذ إن ذلك ـ كما يعتقدون ـ يحقق لهم أعلى مستوى من السعادة. وقد وجد بينهم ما يسمى بالبانكرز وما يسمى بالجنس الثالث.

● يدعون شبابهم إلى عدم العمل، وإلى ترك الدراسة، وإلى التخلي عن الارتباط بأرض أو وطن، فلا يوجد لديهم إلا عقيدة المهاريشي، فهي العمل وهي الدراسة وهي الأرض وهي الوطن.

● عدم إلزام النفس بأي قيد يحول بينها وبين ممارسة نوازعها الحيوانية الطبيعية.

● يحثون شبابهم على استخدام المخدرات كالماريجوانا والأفيون، حتى تنطلق نفوسهم من عقالها سابحة في بحر من السعادة الموهومة.

● يلزمون أتباعهم بالطاعة العمياء للمهاريشي وعدم الخضوع إلاّ له، إذ إنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يفعل أي شيء.

● يلخصون أهدافهم ومجالات عملهم في سبع نقاط براقة تضفي على حركتهم جوًّا من الروح العلمية الإنسانية العالمية، وهي أهداف لا يكاد يكون لها وجود في أرض الواقع وهي:

١ ـ تطوير كل إمكانات الفرد.

٢ ـ تحسين الإنجازات الحكومية.

٣ ـ تحقيق أعلى مستوى تعليمي.

٤ ـ التخلص من كل المشكلات القديمة للجريمة والشر، ومن كل سلوك يؤدي إلى تعاسة الإنسانية.

٥ ـ زيادة الاستغلال الذكي للبيئة.

٦ ـ تحقيق الطموحات الاقتصادية للفرد والمجتمع.

٧ ـ إحراز هدف روحي للإنسانية.

● أما وسائلهم المعتمدة لتحقيق هذه الأفكار فهي:

١ ـ افتتاح الجامعات في الأرياف والمدن.

٢ ـ نشر دراسات عن علم الذكاء الخلاق، والدعوة إلى تطبيقها على المستوى الفردي والحكومي والتعليمي والاجتماعي وفي مختلف البيئات.

٣ ـ إيجاد تلفزيون ملون عالمي لبث التعاليم من عدة مراكز في العالم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إنها ديانة(*) هندوسية مصبوغة بصبغة عصرية جديدة من الحرية(*) والانطلاق.

● إنها مزيج من اليوغا(*) ومن الرياضات المعروفة عند الهندوس.

● خالطت معتقداتها طقوس صوفية بوذية هندية.

● تأثر مذهبهم بنظرية أفلوطين الإسكندري في الفلسفة الإشراقية.

● إن استشراف الحق عن طريق التأمل الذاتي نظرية قديمة في الفلسفة(*) اليونانية، وقد بعثت هذه النظرية من جديد على يد ماكس ميلر، وهربرت سبنسر، وبرجسون، وديكارت، وجيفونس، وأوجست، وغيرهم.

● كان لفلسفة فرويد ونظريته في التحليل النفسي ولآرائه في الكبت وطرق التخلص منه النصيب الوافر في معتقدات هذه النحلة، التي راحت تبحث عن سعادتها عن طريق الإرواء الجنسي بشتى صوره.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● مؤسسها هندوسي لم يجد له مكاناً في الهند لمضايقة الهندوس له لخوفهم من استقطابه الأتباع بسبب اتباعه سياسة الانفتاح الجنسي.

● انتقل إلى أمريكا وأنشأ جامعة في كاليفورنيا، ومن ثم انتقل إلى أوربا وصار له أتباع فيها، ورحل بحركته إلى أفريقيا ليقيم لها أرضية في ساليسبورغ، ووصلت دعوته إلى الخليج العربي ومصر، إذ يزرع الأتباع هنا وهناك ويتحرك فوق ثروة مالية هائلة.

● وتملك المهاريشية إمكانات مادية رهيبة تدعو إلى التساؤل والاستغراب، وتشير إلى الأيدي الصهيونية والماسونية التي تقف وراءها مستفيدة من تدميرها لأخلاق(*) وقيم الأمم.

● في عام ١٩٧١م أنشأ زعيمهم جامعة كبيرة في كاليفورنيا سماها (جامعة المهاريش العالمية). ويقول بأنه فعل ذلك بعد أن أحس بتقبل مذهبه في أكثر من ٦٠٠ كلية وجامعة في أنحاء العالم.

● وفي عام ١٩٧٤م أُعلن عن قيام الحكومة العالمية لعصر الانبثاق برئاسة مهاريشي - ماهيشي - يوجي ومقرها سويسرا، كما أن لهذه الدولة دستوراً ووزراء وأتباعاً وثروة طائلة واستثمارات في مختلف أنحاء العالم.

● في كانون الأول ١٩٧٨م ادعوا بأن حكومتهم المهاريشية قد أرسلت إلى إسرائيل بعثة من ٤٠٠ محافظ؛ ليقيموا دورة هناك لثلاثمائة رجل حتى تجعل الشعب أكثر اجتماعية وأقل حدة وتوتراً.

● يعد عام ١٩٧٨ م عام السلام لديهم إذ إنهم قد أعلنوا أنه لن تقهر أمة في العالم بعد ذلك. وقد دعوا في ذلك العام إلى عقد مؤتمر في ساليسبورغ لتكوين نظام عدم القهر لأية

أمة، كما أسس فيه المجلس النيابي لعصر الانبثاق.

● كتبهم ومطبوعاتهم تكتب بماء الذهب، وهم يمتلكون أكبر المصانع والعقارات في أوربا، وقد اشتروا قصر برج مونتمور في بريطانيا لتأسيس عاصمتهم الجديدة هناك.

● يحرصون دائماً على اعتبار مؤسستهم مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب على الرغم من غناهم الفاحش.

● يخدم مع المهاريشي سبعة آلاف خبير، ويشتري هذا المهاريشي، الفقير أصلاً، عشرات القصور الفارهة فمن أين له ذلك؟

● إن اليهودية قد وجدت فيها خير وسيلة لنشر الانحلال والفوضى بين البشر، فتبنتها ووقفت وراءها مسخرة لها الأموال والصحافة، وعقدت لها المناقشات لطرح نظريتها والدعوة إليها.

● وصل بعضهم إلى دبي وعقدوا اجتماعاً في فندق حياة ريجنسي، يدعون فيها علانية لمذهبهم وقد ألقي القبض على هؤلاء الأشخاص الأربعة الذين قدموا إليها بتأشيرة سياحية ثم أُبعدوا عن البلاد.

● وصل بعضهم إلى الكويت وتقدموا بطلب للحصول على ترخيص لهم باعتبارهم مؤسسة خيرية غير تجارية، وقد نشروا في الصحافة الكويتية أكثر من مقال وبث لهم التلفزيون الكويتي بعض المقابلات قبل أن تتضح أهدافهم الحقيقية.

● نظموا دورة لموظفي وزارة المواصلات في الكويت في فندق هيلتون، وقد دعوا الموظفين أثناء الدورة إلى مراجعة مواريثهم العقائدية والفكرية.

● طُرد المهاريشي من ألمانيا بعد أن ظهر أثره السيىء على الشباب.

● نشرت رابطة العالم الإسلامي في مكة بياناً أوضحت فيه خطر هذا المذهب على الإسلام والمسلمين، مؤكدة ارتباطه بالدوائر الماسونية والصهيونية.

ويتضح مما سبق:

أن المهاريشية دين(*) هندوسي وضعي دهري ملحد، لا يعترف بالآخرة، ويدعو إلى إلغاء العقائد والأديان السابقة كافة، ويطالب بالتخلي عن كل القيود والتعاليم الخلقية، ويسعى لاستقطاب الشباب، وإغراقه في متاهات التأمل التجاوزي والانحلال الجنسي والسقوط فريسة سهلة للمخدرات.

والحقيقة أن المهاريشية ما هي إلا ضلالة جديدة انتهزت فرصة إخفاق النصرانية في احتواء الشباب، وظهور صرعات الهيبيز والخنافس وأبناء الزهور، فتقدمت لتملأ الفراغ،

تحت وهم جلب الراحة النفسية ومطاردة موجات القلق والاضطراب، عن طريق الرياضات الروحية، بعيداً عن طريق الوحي(*) والنبوات(*).

ولا يستبعد أن تكون ذراعاً جديداً للماسونية، ويرى الكثيرون في ماهيش يوغي مؤسس المهاريشية أنه راسبوتين العصر، لطابع الدجل والاستغلال والانحراف الذي يتحلى به.

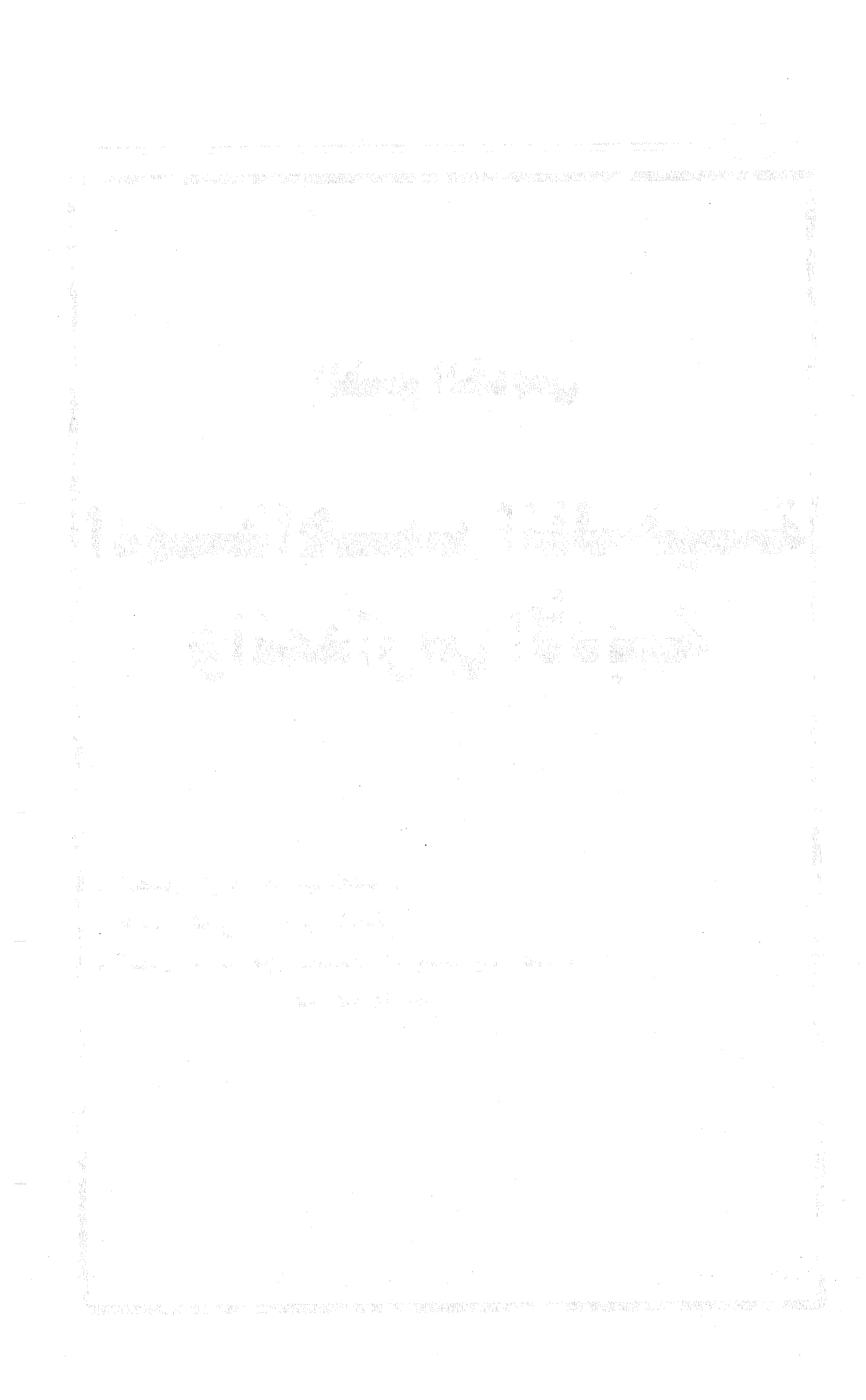
مراجع للتوسع:

- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٨٦ في ١٠ صفر ١٣٩٦ هـ.
- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٩٦ في ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٦ هـ/ ٢٠ إبريل ١٩٧٦ م.
- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٩٩ في مايو ١٩٧٦ م/ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ.
- **مجلة نيوزويك**، العدد الصادر في ٨ مارس ١٩٧٦ م.
- **مجلة الإصلاح الاجتماعي**، الإمارات ـ شعبان ١٤٠٤ هـ/ مايو ١٩٨٤ م.
- **مجلة الجندي المسلم**، المملكة العربية السعودية ـ العدد ٣٥ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ.

القسم الخامس

المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية

- الفصل الأول: المذاهب الفلسفية .
- الفصل الثاني: المدارس الأدبية .
- الفصل الثالث: من الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.



الفصل الأول

المذاهب الفلسفية

● مقدمة عامة ● وحدة الوجود ● اللذة ● الأفلاطونية الحديثة ● العقلانية ● الإنسانية ● الإلحاد ● النفعية ● الوضعية ● المثالية ● الوجودية ● التحليل النفسي (الفرويدية) ● الذرائعية ● الروحية الحديثة

مقدمة عامة

يعج العالم الآن، بركام هائل من ضباب الأفكار التي تحجب عنه الحق، وشتاتٍ متباين من المذاهب الفلسفية التي اختلط فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال والصحيح بالزائف، وتيارات ونحل تغزو الفكر والعقيدة، وبات الإنسان غير قادر على استظهار ما بها من شرور، واستنقاذ نفسه مما تدعو إليه من آثام، كتكريس الإلحاد(*) ونفي العقائد ونبذ الأخلاق(*)، فضلَّ الإنسان صراطه المستقيم، وعاش ضحية جدل(*) مذهبي عقيم، كان هو الشغل الشاغل لأصحاب هذه المذاهب(*).

ولقد نشأت هذه المذاهب بسبب الخواء الروحي الذي عاشه الإنسان بسبب تحريف الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وهو التحريف الذي زرع بذور الشك(*) العقدي في نفوس المفكرين فاستجاب عقلهم الباطن لدعاوى الهدم وأصبح مستقراً لعدم اليقين، ومكمناً للاغتراب عن الدين(*).

كما نشأت هذه المذاهب، بسبب الانتكاسة التي أصابت تصور هؤلاء للدين، فلم يعد الدين وضعاً إلهيًّا يرشد إلى الحق في الاعتقاد، والخير في السلوك والإنصاف في المعاملات، على نحو ما يبينه النقل ولا يأباه العقل لتحقيق الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وإنما أصبح الدين عندهم مجرد ارتباط جماعة إنسانية بقوة غيبية لا دليل عليها، فعاد

هؤلاء إلى الأساطير الوثنية(*) عند الرومان واليونان، وغرقوا تبعاً لذلك في فلسفاتهم، ولذا بدأ فيلسوف متدين مثل أمينوس المتوفى سنة ٢٤٢ م يرتد عن المسيحية(*)، ويضع بذرة فلسفة إلحادية، وبدأ ظهور تيارات المذاهب الملحدة في الغرب والشرق، حيث التحلل الكلي من الإلزام العقدي، وتاه الفلاسفة في خضم الحياة، فمنهم من دعا إلى تسييد المادة، ومنهم من قدس الوجود، ومنهم من اهتم بالمثال دون أن يصل إلى حقيقة الله بل نأى عنها، ومنهم من قال بوحدة الوجود. وهكذا بدأت تتيه أقدام الفلاسفة على دروبٍ كلها زيف وخواء روحي.

ويلاحظ المتتبع لهذه المذاهب أنها تكاد تتشابه في جوهر فكرتها الأساسية وهي الدعوة إلى الإلحاد(*)، بوجه عام، ولعل مرد ذلك يكمن في غياب البعد الإيماني وانعدام التوجه الرباني عند أصحاب هذه المذاهب، التي انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي إما عن طريق التسرب التلقائي العفوي، القائم أحياناً على حسن النية من جانب المتلقي، وذلك بسبب رغبة بعض البلدان في تقليد دول الغرب التي كانت تحتلها، وإما عن طريق الغزو الفكري المنظم الذي يستهدف استمرار تبعية الشعوب الإسلامية لفكر غيرها ممن لا يدين دينها ولا ينتهج سبيل الحق الذي هداها الله إليه.

ولا شك أن المسلمين بوجه عام، والشباب منهم بوجه خاص، يجب أن يحموا أنفسهم من هذه الفلسفات الملحدة، وأخطارها المحدقة، من خلال الرجوع إلى جوهر العقيدة الإسلامية، التي رسمت الصورة الدقيقة الحقيقية التي أرادها الله للإنسان في هذه الحياة الدنيا. فالعقيدة الإسلامية، هي المعيار الذي يكشف له عن خطر تلك الفلسفات التي ترتفع بالإنسان طوراً فتضفي عليه هالة من التقديس، أو تسفل به أطواراً وتنظر إليه نظرة احتقار وإهانة، أما عقيدة الإسلام فهي العقيدة التي تحرر الإنسان في نفسه من هذا الإفراط وذاك التفريط، وتعترف له بطبيعته البشرية بكل ما لها وما عليها، ففي الإنسان نقائصه وفيه فضائله، والإنسان الفاضل هو الذي يتخلص من رذائله وعيوبه في حدود طاقته، ويستجيب للحق ويعمل به مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مسلماً أمره لله، مستجيباً لما دعاه إليه محمد ﷺ، وفي إطار ذلك تبدو قيمة الإنسان كمخلوق عاقل لا تجرفه التيارات الإلحادية، أو المذاهب الوثنية(*)، أو فكرة الآلهة المتعددة أو وحدة الوجود، أو الحلول(*)، أو غير ذلك من التصورات القاصرة.

ومن هنا حرصنا على أن تتناول الموسوعة(*) أهم المذاهب الفلسفية المعاصرة، ليرى فيها المسلم ـ من خلال ما تقدم ـ مدى ما تنطوي عليه من تحجيم للعقل(*)، على الرغم من زعمها أنها تكريم لهذا العقل، ومدى ما تغص به من إنكار للحقائق الفطرية ومنها الحقيقة الإيمانية.

ولذا عرضت هذه الموسوعة(*) أولاً لمذهب(*) الإلحاد(*) الذي يقوم على المقولة الباطلة التي تؤكد أن الكون وجد صدفة بلا خالق، ويسير نحو المجهول بلا غاية، وأنه لا وجود لله سبحانه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

كما تناولت الوجودية باعتبارها تياراً فلسفياً يغلو(*) في قيمة الإنسان، ويعتبره حراً حرية مطلقة بحيث لا يحتاج إلى موجه، ومن ثم يكرس هذا التيار الكفر بالله ورسله وكتبه وكل الغيبيات التي جاءت بها الأديان.

وعرضت الموسوعة كذلك للأفلاطونية الجديدة باعتبارها مجموعة من الآراء التي فسر بها بعض المفكرين الملاحدة فكرة الكون والإنسان والحياة من خلال خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية(*) واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، وهي الأفكار المبنية على فكرة الفيض(*) الذي لا يتحدد بزمان ولا بتاريخ، ولا يتقيد بإرادة ولا ينقطع أبداً، إلى غير ذلك من الأفكار الملحدة.

ولما كانت المثالية مذهباً فلسفيًّا يشتمل على جانب كبير من المذاهب الميتافيزيقية(*)، التي ترى أن العقل هو الحقيقة الوحيدة النهائية وليس المادة، وأن الأرواح هي الفاعل، فقد قدمت الموسوعة فكرة متكاملة عن هذا المذهب.

وتناولت الموسوعة أيضاً مذهباً فلسفيًّا أخلاقيًّا ماديًّا لا دينيًّا هو مذهب الإنسانية أو الهيومانزم الذي يغلب وجهة النظر المادية الدنيوية على كل ما عداها.

وعرضت كذلك لمذهب المنفعة باعتباره مذهباً اجتماعياً أخلاقيًّا ينكر الأديان ويجعل من نفع الفرد والمجتمع معياراً وحيداً للسلوك، ويقول بأن الخير الأسمى هو في تحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس بصرف النظر عن أي اعتبار آخر.

وعرضت الموسوعة لمذهب وحدة الوجود الذي يتفق مع كل المذاهب المتقدمة في نفي الدين(*)، ويقول إن الله والطبيعة(*) هما مجرد حقيقة واحدة.

كذلك تناولت الموسوعة مذهب اللذة الذي يرى أن اللذة وحدها هي المطلب الوحيد في هذا الوجود الذي ينبغي السعي إليه والاهتمام به.

وقدمت الموسوعة أيضاً فكرة مبدئية عن مذهب الذرائعية أو البراجماتية، ذلك المذهب الذي يثور ضد كل فكر نظري بعيد عن الواقع وعن الإنسان خاصة، ولا يخدم الإنسان في حياته العملية.

كذلك تناولت الموسوعة(*) بالبيان، المذهب(*) الفلسفي الملحد، المعروف باسم الوضعية الذي يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية دون

سواها، وينكر هذا المذهب وجود أي معرفة نهائية تتجاوز التجربة.

كما عرضت الموسوعة لمذهب العقلانية الذي يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي(*) الإلهي.

ولما كانت المذاهب الفلسفية وثيقة الصلة بالمدارس النفسية والروحية، فقد عرضت الموسوعة لموضوع الفرويدية التي هي عبارة عن مدرسة للتحليل النفسي، تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسيًّا، وتجعل الجنس هو الدافع إلى كل تصرف، وترى أن القيم والعقائد هي حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي.

وتناولت، أيضاً، الدعوة الهدامة المسماة بالروحية الحديثة، وهي حركة تقوم على الشعوذة، وتدعي استحضار الموتى (تحضير الأرواح)(*) بأساليب علمية، وتهدف بالتالي إلى التشكيك في الأديان والعقائد، وتبشر بدين(*) جديد لا أساس له.

ولقد استعرضنا هذه المذاهب باذلين الوسع في تحري الدقة والموضوعية سعياً وراء الغاية الأم لهذه الموسوعة، والتي تتمثل في إضاءة الطريق أمام القارىء غير المتخصص؛ ليتعرف على ما في الساحة المعاصرة من مبادىء وفلسفات وأفكار، أفرزتها ظروف معينة وشغلت الناس على الرغم من أن معظمها ظاهر الفساد.

سائلين الله تعالى للجميع الفائدة والنفع والهداية.

٩٦ـ وحدة الوجود

التعريف:

● وحدة الوجود مذهب(*) فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة(*) حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

ـ ونحن نوضح هذا المذهب لأن آثاره وبعض أفكاره ما زالت مبثوثة في فكر أكثر أهل الطرق الصوفية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، وفي أناشيدهم وأذكارهم وأفكارهم.

ـ والمذهب كما سنرى موجود في الفكر النصراني واليهودي، أيضاً، وقد تأثر المنادون بهذا الفكر من أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني، بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من إغريقية ونصرانية وفارسية الأصل، ومنها المذهب المانوي والمذهب الرزرادشتي وفلسفة(*) فيلون اليهودي وفلسفة الرواقيين(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات وأهم آرائها:

● إن فكرة وحدة الوجود قديمة جداً، فقد كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين القدماء، وهي كذلك في الهندوسية الهندية. وانتقلت الفكرة إلى بعض الغلاة من متصوفة المسلمين من أبرزهم: محي الدين بن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني. ثم انتشرت في الغرب الأوربي على يد برونو النصراني وسبينوزا اليهودي.

ومن أبرز الشخصيات وأفكارهم:

● **ابن عربي ٥٦٠ هـ ـ ٦٣٨ هـ:**

هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي، الحاتمي، الطائي، الأندلسي وينتهي نسبه إلى حاتم الطائي، أحدُ مشاهير الصوفية، وعرف بالشيخ الأكبر، ولد في مرسية سنة ٥٦٠ هـ وانتقل إلى أشبيلية، إذ بدأ دراسته التقليدية بها ثم عمل في شبابه كاتباً لعدد من حكام الولايات.

ـ في سن مبكرة وبعد مرض ألم به كان التحول الكبير في حياته، إذ انقلب بعد ذلك زاهداً سائحاً منقطعاً للعبادة والخلوة، ثم قضى بعد ذلك حوالي عشر سنين في مدن الأندلس

المختلفة وشمالي إفريقية بصحبة عدد من شيوخ الصوفية.

- في الثلاثين من عمره انتقل إلى تونس، ثم ذهب إلى فاس إذ كتب كتابه المسمى: **الإسراء إلى مقام الأسرى** ثم عاد إلى تونس، ثم سافر شرقاً إلى القاهرة والقدس واتجه جنوباً إلى مكة حاجاً، ولزم البيت الحرام لعدد من السنين، وألف في تلك الفترة كتابه **تاج الرسائل، وروح القدس**، ثم بدأ سنة ٥٩٨ هـ في كتابة مؤلفه الضخم **الفتوحات المكية**.

- في السنين التالية نجد أن ابن عربي ينتقل بين بلاد الأناضول وسورية والقدس والقاهرة ومكة، ثم ترك بلاد الأناضول ليستقر في دمشق. وقد وجد ملاذاً لدى عائلة ابن الزكي وأفراد من الأسرة الأيوبية الحاكمة، بعد أن وجه إليه الفقهاء سهام النقد والتجريح، بل التكفير(*) والزندقة(*). وفي تلك الفترة ألف كتابه **فصوص الحِكَم**، وأكمل كتابه **الفتوحات المكية**. وتوفي ابن عربي في دار القاضي ابن الزكي سنة ٦٣٨ هـ ودفن بمقبرة العائلة على سفح جبل قسيون.

● مذهبه في وحدة الوجود:

- يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر، ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق، فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق.

- فابن عربي يقرر أنه ليس ثمة فرق بين ما هو خالق وما هو مخلوق، ومن أقواله التي تدل على ذلك:

«سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها».

- ويقول مبيناً وحدة الوجود وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات:

يا خالق الأشياء في نفسه — أنت لما تخلق جامع

تخلق ما لا ينتهي كونه — فيك فأنت الضيق الواسع

- ويقول، أيضاً:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا — وليس خلقاً بذاك الوجه فاذكروا

جمِّع وفرّق فإن العين واحدة — وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذرُ

- وبناءً على هذا التصور فليس ثمة خلق ولا موجود من عدم، بل مجرد فيض(*) وتجلٍّ، وما دام الأمر كذلك، فلا مجال للحديث عن علة أو غاية، وإنما يسير العالم وفق ضرورة مطلقة ويخضع لحتمية(*) وجبرية(*) صارمة.

وهذا العالم لا يتكلم فيه عن خير وشر ولا عن قضاء(*) وقدر(*) ولا عن حرية(*) أو

إرادة، ومن ثم لا حساب ولا مسؤولية ولا ثواب ولا عقاب، بل الجميع في نعيم مقيم والفرق بين الجنة والنار إنما هو في المرتبة فقط لا في النوع.

ـ وقد ذهب ابن عربي إلى تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه(*) ومعتقده، فالعذاب عنده من العذوبة، والريح التي دمرت عاداً هي من الراحة؛ لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة، وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة:

ـ ومما يؤكد على قوله بالجبر(*) الذي هو من نتائج مذهبه الفاسد:

الحكم حكم الجبر والاضطرار ... ما ثم حكم يقتضي الاختيار

إلا الذي يعزى إلينا ففي ... ظاهره بأنه عن خيار

لو فكر الناظر فيه رأى ... بأنه المختار عن اضطرار

ـ وإذا كان قد ترتب على قول ابن عربي بوحدة الوجود قوله بالجبر ونفي الحساب والثواب والعقاب، فإنه ترتب على مذهبه، أيضاً، قوله بوحدة الأديان(*). فقد أكد ابن عربي على أن من يعبدُ الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء؛ لأنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق.

يقول في ذلك:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

ـ فمذهب وحدة الوجود الذي قال به ابن عربي يجعل الخالق والمخلوق وحدة واحدة سواء بسواء، وقد ترتب على هذا المذهب نتائج باطلة قال بها ابن عربي وأكدها، وهي قوله بالجبر ونفيه الثواب والعقاب وكذا قوله بوحدة الأديان.

ـ وقد تابع ابن عربي في القول بوحدة الوجود تلاميذ له أعجبوا بآرائه، وعرضوا لذلك المذهب(*) في أشعارهم وكتبهم من هؤلاء: ابن الفارض وابن سبعين والتلمساني.

● أما ابن الفارض فيؤكد مذهبه في وحدة الوجود في قصيدته المشهورة بالتائية:

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلَّت

كلانا مصل عابد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي فلم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهو هنا يصرح بأنه يصلي لنفسه لأن نفسه هي الله. ويبين أنه ينشد ذلك الشعر لا في حال سُكْر(*) الصوفية، بل هو في حالة الصحو(*) فيقول:

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها   وذاتي بذاتي إن تجلت تجلت

ـ والصوفية معجبون بهذه القصيدة التائية ويسمون صاحبها ابن الفارض بسلطان العاشقين، على الرغم مما يوجد في تلك القصيدة من كفر صريح والعياذ بالله.

● وأما ابن سبعين فمن أقواله الدالة على متابعة ابن عربي في مذهب وحدة الوجود:

قوله: رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك الله فقط، والكثرة وهم.

وهنا يؤكد ابن سبعين أن هذه الموجودات ليس لها وجود حقيقي فوجودها وهم وليس ثمة فرق بين الخلق وبين الحق، فالموجودات هي الله!!

● أما التلمساني وهو، كما يقول الإمام ابن تيمية، من أعظم هؤلاء كفراً، وهو أحذقهم في الكفر(*) والزندقة(*). فهو لا يفرق بين الكائنات وخالقها، إنما الكائنات أجزاء منه، وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وأجزاء البيت من البيت، ومن ذلك قوله:

البحر لا شك عندي في توحده   وإن تعدد بالأمواج والزبد

فلا يغرنك ما شاهدت من صور   فالواحد الرب ساري العين في العدد

ـ ويقول، أيضاً:

فما البحر إلا الموج لا شيء غيره   وإن فرقته كثرة المتعدد

ـ ومن شعره، أيضاً:

أحن إليه وهو قلبي وهل يرى   سواي أخو وجد يحن لقلبه؟

ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري   وما بعده إلا لإفراط قربه

ـ فالوجود عند التلمساني واحد، وليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق، بل كل المخلوقات إنما هي الله ذاته.

ـ وقد وجد لهذا المذهب(*) الإلحادي(*) صدى في بلاد الغرب، بعد أن انتقل إليها على يد برونو الإيطالي ورَوّج له اسبينوزا اليهودي.

● **جيور وانو برونو ١٥٤٨ ـ ١٦١١م** وهو مفكر إيطالي، درس الفلسفة واللاهوت في أحد الأديرة الدينية، إلا أنه خرج على تعاليم الكنيسة(*) فرمي بالزندقة، وفرّ من إيطاليا، وتنقل طريداً في البلدان الأوربية، وبعد عودته إلى إيطاليا وشي به إلى محاكم التفتيش، فحكم عليه بالموت حرقاً.

● **باروخ سبينوزا ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م**. وهو فيلسوف هولندي يهودي، هاجر أبواه من البرتغال في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارى، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي، الذي عاش في الأندلس وعند ابن جبريل، وهو

أيضاً، فيلسوف يهودي عاش في الأندلس كذلك.

ومن أقوال سبينوزا التي تؤكد على مذهبه في وحدة الوجود:

ـ ما في الوجود إلا الله، فالله هو الوجود الحق، ولا وجود معه يماثله لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان متماثلان.

ـ إن قوانين الطبيعة وأوامر الله الخالدة شيء واحد بعينه، وإن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله الخالدة.

ـ الله هو القانون الذي تسير وفقه ظواهر الوجود جميعاً بغير استثناء أو شذوذ.

ـ إن للطبيعة عالماً واحداً هو الطبيعة والله في آن واحد، وليس في هذا العالم مكان لما فوق الطبيعة.

ـ ليس هناك فرق بين العقل(*) كما يمثله الله وبين المادة كما تمثلها الطبيعة(*)، فهما شيء واحد.

● يقول الإمام ابن تيمية بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أصحاب مذهب(*) وحدة الوجود «يقولون: إن الوجود واحد، كما يقول ابن عربي ـ صاحب الفتوحات ـ وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم ـ عليهم من الله ما يستحقونه ـ فإنهم لا يجعلون للخالق سبحانه وجوداً مبايناً لوجود المخلوق. وهو جامع كل شر في العالم، ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مبايناً لوجود المخلوق، وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً، ومن القول الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً، ومن كلام القرامطة والباطنية(*) شيئاً فيطوفون على أبواب المذاهب ويفوزون بأخسِّ المطالب، ويثنون على ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة» (**جامع الرسائل ١ ـ ص ١٦٧**).

● الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ لقد قال بفكرة وحدة الوجود فلاسفة قدماء: مثل الفيلسوف اليوناني هيراقليطس فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عنده نهار وليل، وصيف وشتاء، ووفرة وقلة، جامد وسائل، فهو كالنار المعطرة تسمى باسم العطر الذي يفوح منها.

ـ وقالت بذلك الهندوسية الهندية: إن الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي والروح الإنسانية جزء من الروح العليا، وهي كالآلهة(*) سرمدية غير مخلوقة.

ـ وفي القرن السابع الهجري قال ابن عربي بفكرة وحدة الوجود وقد سبق ذكر أقواله.

ـ وفي القرن السابع عشر الميلادي ظهرت مقولة وحدة الوجود لدى الفيلسوف اليهودي سبينوزا، الذي سبق ذكره، ويرجح أنه اطلع على آراء ابن عربي الأندلسي في وحدة

الوجود عن طريق الفيلسوف اليهودي الأندلسي ابن ميمون.

وقد أعجب سبينوزا بأفكار برونو الإيطالي الذي مات حرقاً على يد محاكم التفتيش، وخاصة تلك الأفكار التي تتعلق بوحدة الوجود. ولقد قال أقوالاً اختلف فيها المفكرون، فمنهم من عدُّوه من أصحاب وحدة الوجود، والبعض نفى عنه هذه الصفة.

- وفي القرن التاسع عشر الميلادي نجد أن مقولة وحدة الوجود قد عادت تتردد على ألسنة بعض الشعراء الغربيين مثل بيرس شلي ١٧٩٢ - ١٨٢٢م فالله سبحانه وتعالى في رأيه - تعالى عما يقول - : «هو هذه البسمة الجميلة على شفتي طفل جميل باسم، وهو هذه النسائم العليلة التي تنعشنا ساعة الأصيل، وهو هذه الإشراقة المتألقة بالنجم الهادي، في ظلمات الليل، وهو هذه الورود اليانعة تتفتح وكأنها ابتسامات شفاه جميلة إنه الجمال أينما وجد..».

- وهكذا فإن لمذهب وحدة الوجود أنصاراً في أمكنة وأزمنة مختلفة.

● **موقف الإسلام من المذهب:**

- الإسلام يؤمن بأن الله جل شأنه خالق الوجود منزَّه عن الاتحاد(*) بمخلوقاته أو الحلول(*) فيها. والكون شيء غير خالقه، ومن ثم فإن هذا المذهب(*) يخالف الإسلام في إنكار وجود الله، والخروج على حدوده، ويخالفه في تأليه المخلوقات وجعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، ويخالفه في إلغاء المسؤولية الفردية، والتكاليف الشرعية، والانسياق وراء الشهوات البهيمية، ويخالفه في إنكار الجزاء والمسؤولية والبعث والحساب.

- ويرى بعض الدعاة أن وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد(*) في وجود الله، وتعبير ملتوٍ للقول بوجود المادة فقط، وأن هذا المذهب تكأة لكل إباحي يلتمس السبيل إلى نيل شهواته تحت شعار من العقائد، أو ملحد يريد أن يهدم الإسلام بتصيد الشهوات، أو معطل يحاول التخلص من تكاليف الكتاب والسنة.

يتضح مما سبق:

أن هذا المذهب(*) الفلسفي هو مذهب لا ديني، جوهره نفي الذات الإلهية، إذ يوحِّد في الطبيعة بين الله تعالى وبين الطبيعة(*)، على نحو ما ذهب إليه الهندوس أخذاً من فكرة يونانية قديمة، وانتقل إلى بعض غلاة المتصوفة كابن عربي وغيره، وكل هذا مخالف لعقيدة التوحيد في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى منزه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، مترجمة من الإنجليزية بإشراف زكي نجيب محمود دار القلم بيروت.
- **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د. أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان - بيروت.
- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين، وآخر، لجنة التأليف والنشر - القاهرة.
- **جامع الرسائل المجموعة الأولى**، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مطبعة المدني - القاهرة.
- **المنقذ من الضلال**، دراسة د. عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني بيروت ط. ١٩٧٩م.
- **فصوص الحكم**، ابن عربي.
- **الفتوحات المكية**، ابن عربي.
- **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، ومعه نقد تائية ابن الفارض**، برهان الدين البقاعي.
- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن قيم الجوزية.

المراجع الأجنبية

- History of Philosphy by F.C. Copleston Burns - London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding. London 1956.
- Ehtics by B. de Spinosa. tr. Boyle. London 1955.
- Political Works by B. de Spinosa with tr. A. Wornham. O.V.P. Oxford and New York 1958.
- Vindication of metaphysics: A study in the Philosophy of Spinosa by R.L. Saw Macmillan London 1951.

٩٧ـ اللــذة

التعريف:

● **اللذة:** مذهب(*) غير أخلاقي فلسفي، يرى أن اللذة هي الشيء الخيِّر الوحيد في الوجود.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● اللذة مذهب قديم جديد في الوقت نفسه، فهو قد تأسس بالفعل في العهد اليوناني القديم، وظهر بثوبه الجديد في مذهب المنفعة الذي نادى به فلاسفة أوربا في الوقت الحاضر..

ومن أبرز شخصياته القديمة والجديدة:

● الفيلسوف أبيقور اليوناني ٣٤٣ ـ ٢٧٠ ق.م، ولد في أثينا في اليونان، وقد اختلف الكتَّاب في أفكاره وحياته الخاصة، فبعض الكتَّاب المتأخرين يصف حياته بالحياة المنعمة اللاأخلاقية، إلا أن البعض الآخر يقول بأن كل خطاباته تدل على أنه كان متواضعاً في طعامه، وأن مفهوم اللذة عنده لا يقصد به الإباحية الأخلاقية أو ما شابه ذلك من مفاهيم..

● جيرمي بنتام ١٧٤٨ ـ ١٨٢٣م وهو أول فيلسوف إنجليزي أبرز مذهب اللذة في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك في كتابه **مقدمة لأصول الأخلاق والتشريع**.

● جون ستيوارت ميل ١٨٠٦ ـ ١٨٧٣م ـ وهو الفيلسوف الإنجليزي الذي نادى باللذة والمنفعة، أيضاً.

● جون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م وهو فيلسوف إنجليزي. قال بأن فكرة الخير: يجب أن تُعرّف بأنها هي نفسها كلمة اللذة، أو على الأقل تعرف تعريفاً يردها إلى اللذة، وعارض نظرية الحق الإلٰهي، وقال بأن الاختيار هو أساس المعرفة.

الأفكار والمعتقدات:

● يمكن إجمال الأفكار الأساسية لأصحاب مذهب(*) اللذة فيما يلي:

ـ إن اللذة هي وحدها الخير، وهي خير الدوام، ولا توجد اللذة إلا من خلال إقصاء الألم وكل ما يعكر صفو العقل(*). ولا يقصد باللذة لذَّات أصحاب الشهوات الحسية ولا إدمان الشراب.

ـ اللذة نوعان:

١ ـ لذة جسمية تبلغ أوج صورها في الصحة الجسمية الكاملة.

٢ ـ لذة عقلية، وتعني التحرر الكامل من الخوف والقلق.

ـ إن آلام العقل أقسى من آلام البدن التي يمكن تحملها والتي تنتهي لا محالة بالموت، والموت أمر طبيعي لا يوصف بأنه شر ولا بأنه خير كذلك.

ـ لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة سعيدة ما لم يقض هذه الحياة في كل ما هو فاضل بالفعل، والحياة الفاضلة هي مصدر اللذة، لأن الإنسان يقضيها في تحصيل العلم أساساً.

ـ اللذة هي الشيء الوحيد الذي «هو خير في ذاته». والألم هو الشيء الوحيد الذي هو «شر في ذاته»، والسعادة تشمل اللذة والتخلص من الألم، وإن رجحان كفة اللذة يعني صيرورة حياة الإنسان مصدراً للمزيد من اللذة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ إن كلمة Hedonism مشتقة من الكلمة اليونانية Hoedone ومعناها: "«اللذة» الحسية الدنيوية، وهي وحدها أساس اهتمام الفلاسفة الذين نادوا بها.

ـ فأبيقور كان فيلسوفاً عمليًّا، إذ لم يهتم بالفلسفة النظرية التي كان معاصروه يهتمون بها.. فتوجه إلى البحث عن سر السعادة البشرية لاسيما أن الحياة اليونانية الوثنية(*) لا تهتم بالحياة الآخرة، وليس فيها أية قوانين خلقية روحية. وقد وجد أبيقور سر السعادة في اللذة، التي لا تعني إلا الخير.. ولذا فقد أساء البعض فهم اللذة عند أبيقور عندما تصوروا أنه لا يدعو إلا إلى اللذة الحسية.

ـ أما الفلاسفة المحدثون أمثال بنتام ولوك وميل الذين قالوا بالمنفعة، فهم من الفلاسفة الماديين الحسيين.. ولذا فإن قولهم بمذهب المنفعة(*)، لا يعني سوى المنفعة المادية الحسية.

يتضح مما سبق:

أن اللذة مذهب(*) غير أخلاقي فلسفي يرى أن اللذة هي الشيء الخيِّر الوحيد في الوجود، واللذة إما أن تكون جسمية وإما أن تكون عقلية، وإذا كانت آلام العقل أقسى من آلام البدن، فإن الإنسان يجب أن يحيا حياة فاضلة حتى يستشعر اللذة، لأن رجحان كفة اللذة التي هي مبعث السعادة، يعني صيرورة حياة الإنسان مصدراً للمزيد من اللذة.

مراجع للتوسع:

- الموسوعة الفلسفية المختصرة، مترجمة عن الإنكليزية. . دار القلم - بيروت.
- قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين وآخر - لجنة التأليف والنشر - القاهرة - ١٩٧٨م.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي - مكتبة لبنان - بيروت.

المراجع الأجنبية :

- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns - London 1947.
- Ebficurus and his gods Y.A.J. Festugire tre. C.W. Chilton, Oxford 1955.
- Bentham, ed. W. Harrison Blackwell, Oxford and Macmillan, New York 1948.
- Two treatises of Government by J. Locke ed T. Cook, Hafner, London 1956.
- J. Looke by D.J. O'Connor, London 1952.

٩٨ ـ الأفلاطونية الحديثة

التعريف:

● الأفلاطونية الجديدة تسمية حديثة لآراء مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الملاحدة تمتد من ٢٥٠ ق.م وحتى ٥٥٠م، وهذه الآراء تحاول إعطاء تفسير للكون والإنسان والحياة، لتلبية طموح الإنسان من النواحي الدينية والأخلاقية والعقلية. وهي تختلف اختلافاً جوهريًّا عن آراء أفلاطون اليوناني: إذ إنها تؤمن بإلٰه(*) مفارق للكون. وهذا الإلٰه يفيض(*) عنه الكون والوجود كله بما فيه من مخلوقات.

ـ والأفلاطونية الجديدة أثّرت كثيراً ـ في طور أحدث ـ بأفكار بعض الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا وغيره، ولا تزال تؤثر في كثير من الطرق الصوفية في العالم الإسلامي.. ومن هنا كان اهتمامنا بتوضيحها للقارىء المسلم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسست الأفلاطونية الجديدة في مدينة الإسكندرية على يد أفلوطين ٢٠٥ ـ ٢٧٠م الذي درس الفلسفة(*) اليونانية واطلع على الديانات القديمة والأساطير والسحر والشعوذة.. وكتب كتابات كثيرة في مذهبه الذي سنوضح أفكاره لاحقاً.

● ثم جاء فرفرويوس ٢٣٤ ـ ٣٠٥م ونشر كتابات أفلوطين وهاجم النصرانية بكتابه **ضد المسيحيين** وله عدة مؤلفات أخرى.

● ثم أتى مبليخوس، توفي عام ٣٣٠م، الذي ألف عدة رسائل فلسفية، منها **أسرار مصرية** وهي تفسير فلسفي لطقوس مصر وتعاليمها الدينية قبل الإسلام.

● وجاء أبرقلس ٤١٠ ـ ٤٨٥م الرجل المدرسي في الأفلاطونية الجديدة الذي عرض المذهب في مؤلفين: **مبادىء اللاهوت، ولاهوت أفلاطون**.

● أما أوغسطين ٣٥٤ ـ ٤٤٠م القديس الذي ولد في الجزائر من أم نصرانية وأب وثني، فقد انتسب إلى الأفلاطونية الجديدة، وقارن بينها وبين النصرانية، وقال بأن النصرانية هي الفلسفة الحقة!!

الأفكار والمعتقدات:

● الأفلاطونية الجديدة خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية(*) واليهودية والنصرانية، والأساطير، وغيرها.

● تدعو الأفلاطونية إلى إلٰه(*) تفيض عنه الأشياء جميعاً بحيث لا تنفصل عنه،

فيضاً لا يتحدد بزمن أو تاريخ ولا يتقيد بإرادة ولا ينقطع، وهذا الفيض(*) لا ينقص مصدره، بل يظل كاملاً غير منقوص.

● وهذا الإله المبدأ الأسمى للوجود يطلق عليه واحد غير محدد، بسيط لا كَيف له، وهو الخير المطلق عندهم.

● عملية الفيض الأزلية تبدأ أولاً بالعقل(*) أو الروح، ثم النفس ثم الواقع الحسي في الزمان والمكان.

● عملية الفيض دقيقة موزونة بحيث لا تترك نقصاً أو ثغرات في الكون، أما النقص الذي في الإنسان أو الشر فهو ناتج عن ابتعاد الإنسان عن الخير أو عن الألوهية، وينتج عن ذلك الشوق إلى العودة إلى الله.

● الألوهية لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل، لأنه قاصر عن ذلك وإنما يمكن الوصول إليها عن طرق نوع آخر من المعرفة، لا يتوصل إليها إلا بعد القضاء على نوازع الجسم المادي، والتطهير، ثم الفناء(*) في الواحد، وهذه هي حالة الوجد أو النشوة التي يطمح أن يصل إليها الإنسان.

تأثير هذه الأفكار والمعتقدات:

● أثرت الأفلاطونية الجديدة في تفكير كثير من الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهما، وأخذوا عنها نظرية الفيض الإلهي، التي تدعي أن العالم يجيء صدوراً عن الله في صورة فيض، فمرتبة تفيض عن مرتبة.. وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب.

ـ وأثرت الأفلاطونية الجديدة في التصوف الإسلامي، أيضاً، وخاصة في أولئك المتصوفة المتأثرين بالفلسفة(*).. ثم فشا تأثيرها في طرق التصوف. وخاصة فيما يتعلق بعملية التطهير أو التزكية للوصول إلى المعرفة الكاملة أو الإيمان الكامل، وهو سعي الإنسان جاهداً للوصول إلى المصدر الذي صدر عنه والفناء فيه، وما يحتاج إليه ذلك من مجاهدة شديدة الصلابة لإماتة نوازع الجسد المفطور عليها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● أخذت الأفلاطونية الجديدة من أفلاطون خيالاته في عالم المثل، ومن أرسطو تساؤلاته عن المعاني الكلية وهل لها وجود مستقل؟ ومن الرواقيين(*) السمو الخلقي والترقي الروحي، ومن النصرانية تأثيراتها الروحية والخلقية، ومن البوذية مسألة التطهير والتزكية والفناء(*) في المصدر الأول.

ـ إلا أن ما جاء به أفلوطين من أفكار وآراء حول عملية الفيض(*) أو الصدور عن الله يعد جديداً في بابه كما يرى كثير من المفكرين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تأسست الأفلاطونية الجديدة في الإسكندرية، وانتشرت في الفكر الأوربي اللاهوتي كله والفكر الصوفي النصراني والإسلامي.

● ولا شك أن هذه الآراء مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية، وقد أبان مفكرو الإسلام تهافتها من أكثر من وجه.

ويتضح مما سبق: أن الأفلاطونية الجديدة، هي خلاصة آراء بعض الفلاسفة الملحدين، وهي خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية(*) واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، تقول بوجود إلٰه(*) «هو المبدأ الأسمى للوجود، بسيط لا نظير له، وهو الخير المطلق عند أتباعها، وهذا الإلٰه تفيض عنه الأشياء جميعاً ولا تنفصل عنه، والعقل(*) هو الأساس الوحيد لإدراك حقيقة الألوهية التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق نوع آخر من أنواع المعرفة». ولا شك أن هذه الآراء مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية وقد أبان مفكرو الإسلام تهافتها من أكثر من وجه.

مراجع للتوسع:

ـ **تهافت الفلاسفة**، لأبي حامد الغزالي.
ـ **الإشارات والتنبيهات**، لابن سينا.
ـ **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، د. علي سامي النشار.
ـ **الأفلاطونية المحدثة عند العرب**، د. عبد الرحمٰن بدوي.

المراجع الأجنبية:

- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London 1947.
- The Phillosophy of Plotinus by W.R. Inge Logmans. London and New York, rev. ed. 1948.
- The Architecture of the Intelligible Universe in the Philosophy of Plotinus by A.H. Armstrong. C.U.P. Cambridge 1940.
- Complete English Translation by S. Mackenma rev. B.S. page Warner, London 1917 - 30.
- Saint Augustine by II. Marron. Longmans. London 1957.
- Avicenna on Theology by A.J. Arberry. Murray. London 1951.

٩٩ـ العقلانية

التعريف:

العقلانية مذهب(*) فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي(*) الإلٰهي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل(*) لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية، أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

ـ التأسيس وأبرز الشخصيات:

● العقلانية مذهب قديم جديد في الوقت نفسه. برز في الفلسفة(*) اليونانية على يد سقراط وأرسطو، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة، أثَّروا كثيراً في الفكر البشري أمثال: ديكارت وليبنتز وسبينوزا وغيرهم.

ـ رينيه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م فيلسوف فرنسي اعتمد المنهج(*) العقلي لإثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أخص، وذلك من مقدمة واحدة عُدت من الناحية العقلية غير قابلة للشك(*) وهي: «أنا أفكر فأنا إذن موجود».

ـ ليبنتز: ١٦٤٦ ـ ١٧١٦م فيلسوف ألماني، قال بأن كل موجود حي وليس بين الموجودات مِنْ تفاوت في الحياة إلا بالدرجة ـ درجة تميز الإدراك ـ والدرجات أربع: مطلق الحي أي ما يسمى جماداً، والنبات فالحيوان فالإنسان.

● وفي المجتمع الإسلامي نجد المعتزلة تقترب من العقلانية جزئيًّا، إذ اعتمدوا على العقل(*) وجعلوه أساس تفكيرهم، ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل(*) النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم. ولعل أهم مقولة لهم قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح، ولو لم يرد بها شيء. ونقل المعتزلة الدين(*) إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة(*) اليونانية.

ـ وقد فنَّد علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل، ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية وردَّ عليهم رداً قويًّا في كتابه **درء تعارض العقل والنقل**، وبيّن أن صريح العقل(*) لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل. وهناك من يحاول اليوم إحياء فكرهم

إذ يعدونهم أهل الحرية الفكرية في الإسلام، ولا يخفى ما وراء هذه الدعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن لبست ثوب التجديد(*) في الإسلام أحياناً.

العقائد والأفكار:

● تعتمد العقلانية على عدد من المبادىء الأساسية هي:

- العقل لا الوحي(*) هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.

- يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي، وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية.

- عدم الإيمان بالمعجزات(*) أو خوارق العادات.

- العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كانت العقلانية اليونانية لوناً من عبادة العقل وتأليهه وإعطائه حجماً أكبر بكثير من حقيقته. كما كانت في الوقت نفسه لوناً من تحويل الوجود إلى قضايا تجريدية.

● وفي القرون الوسطى سيطرت الكنيسة(*) على الفلسفة الأوربية، حيث سخَّرت العقل لإخراج تحريفها للوحي(*) الإلٰهي في فلسفة عقلية مسلَّمة لا يقبل مناقشتها.

- وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوربي، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة، واستمرت على ذلك عشرة قرون.

● وفي عصر النهضة(*)، ونتيجة احتكاك أوربا بالمسلمين - في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الإفريقي - أصبح العقل الأوربي في شوق شديد لاسترداد حريته في التفكير، ولكنه عاد إلى الجاهلية(*) الإغريقية، ونفر من الدين(*) الكنسي، وسخَّر العقل(*) للبعد عن الله، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد(*)، وذلك أن التفكير الديني معناه عندهم الخضوع للقيد الذي قيدت به الكنيسة العقل، وحجرت عليه أن يفكر.

يتضح مما سبق:

أن العقلانية مذهب(*) فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي(*) الإلٰهي أو التجربة البشرية، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، كما أن العقائد الدينية يمكن، بل ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي، وهنا تكمن علله التي تجعله مناوئاً ليس فقط للفكر الإسلامي، بل، أيضاً، لكل دين سماوي صحيح.

مراجع للتوسع:

- **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب، دار الشروق - بيروت ط ١٤٠٧ هـ.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، بإشراف د. زكي نجيب محمود دار القلم، بيروت.
- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٧٨ م.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم، دار المعارف - القاهرة.
- **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتحقيق د. محمد رشاد سالم.

١٠٠ـ النزعة الإنسانية

التعريف:

النزعة الإنسانية هي اتجاه فكري عام يشترك فيه العديد من المذاهب(*) الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ظهر المذهب الإنساني في إيطاليا في بداية عصر النهضة الأوربية.

ـ وأبجديات النزعة إنما تترجم الانتفاضة التي عبّرت عنها النهضة الأوربية باعتبارها تغيراً في الفكر، نجم عنه تغير في جميع شؤون الحياة. فالإنسان الأول كان مكبلاً بقيود الكنيسة(*) طوال فترة الإظلام الفكري المسماة بالعصور الوسطى، والتي استطالت إلى أكثر من عشرة قرون، إذ كان خلالها مطالباً بالطاعة العمياء لرجال الدين، وكان يُساق كما يساق القطيع، ويكفي أنه من طبيعة فاسدة بسبب الخطيئة الأصلية!! أما المرأة، فهي لا ينبغي أن تُحب لأنها سبب الخطيئة، لذا عزف رجال الدين عن الزواج بها. وإذا سمحوا لغيرهم بالارتباط بها بالزواج فذلك فقط باعتبارها وسيلة للإنجاب واستمرار البشرية. أما الرجال فهم وسيلة أيضاً لتحقيق أهداف الكنيسة، وكل من خرج على هذه الأهداف يواجه الموت حرقاً.

● ومن أسماء الرواد الأوائل للمذهب الإنساني بوجيو وبروني، والمحامي البارز مونتبلشيانو وكلهم عاشوا خلال القرن الخامس عشر الميلادي.

● أراسمس ولد في روتردام سنة ١٤٦٦م، ويعد من أكبر ممثلي المذهب الإنساني من ناحية معرفته بالأدب اليوناني واللاتيني.

● في فرنسا مثل المذهب ستيفانوس وسكاليجر ودوليه.

● ويعد رينيه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م الفيلسوف الفرنسي من أنصار المذهب الإنساني ولكنه يؤمن بوجود الله تعالى.

● وكذلك سبينوزا ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م الفيلسوف الهولندي وهو يشبه ديكارت في الاعتقاد.

ـ وكتابات جان جاك روسو ١٧١٢ ـ ١٧٧٨م تحمل الطابع الإنساني.

ـ وجون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م الفيلسوف الإنجليزي كان إنساني المذهب(*).

ـ والفيلسوف الألماني كانت ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م في مذهبه الانتقادي كان إنساني المذهب.

ـ والفيلسوف شيلر المتوفى سنة ١٩٣٧م الإنجليزي الألماني الأصل.

ـ والكاتب الفرنسي فرانسيس بوتر، ألف كتاباً بعنوان **المذهب الإنساني بوصفه ديانة جديدة**.

ـ والأديب الإنجليزي ت. س. إليوت ١٨٨٨ ـ ١٩٦٥م يعتبر نفسه من أتباع المذهب الإنساني، وهو من أبرز ممثلي الشعر الحر.

الأفكار والمعتقدات:

● تأكيد الفردية الإنسانية:

ـ في مجال الدين(*): الاستجابة لحكم الفرد الخاص ضد سلطة الكنيسة(*) وتأييد فكرة ظهور الدول القومية.

ـ في مجال الفلسفة(*): تأكيد ديكارت للوعي الفردي عند المفكر وشدة الاعتماد على الفعل وتغليب وجهة النظر المادية الدنيوية.

● قصر الاهتمام الإنساني على المظاهر المادية للإنسان في الزمان والمكان.

● المذهب الإنساني أوحى بالأفكار التحررية لقادة الفكر في عصر النهضة(*) الأوربية ووصل إلى ذروته إبان الثورة(*) الفرنسية.

● الثقة بطبيعة الإنسان وقابليته للكمال، وإمكان حدوث التقدم المستمر.

● تأكيد أن الشرور والنقائض التي اعترضت طريق الإنسان لم يكن سببها الخطيئة كما تقرر النصرانية، وإنما كان سببها النظام الاجتماعي السيىء.

● الدفاع عن حرية(*) الفرد.

● إمكان مجيء العصر السعيد والفردوس الأرضي، ويكون ذلك بالرخاء الاقتصادي، وتحقيق ذلك يكون بتبديد الخرافات والأوهام ونشر التربية العملية.

● وقد نقد الفلاسفة والمفكرون الإنسانية ومن أهم ما جاء في نقدهم:

ـ إن تقدم العلم الحديث لم يصحبه تقدم في قدرة الإنسان على حسن استعمال العلم.

ـ وإن البشر وجهوا اهتماماتهم جميعاً إلى المسائل الدنيوية، ونسوا كل ما يسمو على ذلك وتركزت مطامعهم في الأشياء الزائلة التي يسرها لهم العلم، وحدث من جراء ذلك صدع بين تقدم الإنسان في المعرفة وتقدمه الأخلاقي.

ـ إن الإنسانية تؤكد على زيادة خطر الإسراف في الاعتماد على الآلة، فهذا الإسراف قد يقضي على الأصالة والابتكار.

ـ كما أن الأسس الأخلاقية لا تصلح إلا إذا استندت إلى الاعتقاد بوجود نظام أسمى من النظام الدنيوي، والإيمان بالمبادىء الخالدة المطلقة، أما إذا اقتصرت الآداب على أن تكون خاضعة للمواءمة بين الإنسان وبيئته، كلما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال، فإنها بذلك تفقد قيمتها العامة.

وطريق الخلاص هو رفع الأخلاق(*)، ولا يحدث هذا إلا بإيحاء من الإيمان الديني، أما الآداب العلمانية فلا تمنحنا الخلاص.

ـ إن المذهب الإنساني قدم للإنسانية وعوداً لم يحققها، كما أنه أفقد الناس الشعور بالحقائق الروحية، وجعل الناس عبيداً للقوى المادية(*) العمياء.

ـ إن وجود الشر ينقض أداء المذهب(*) الإنساني لصلاح الإنسان وقابليته للتقدم.

ـ وقد عزا الناقدون إخفاق عصبة الأمم في تسوية المشكلات في العالم وانتشار الفاشية والنازية إلى ظهور المذهب الإنساني.

ـ إن عيوب المدنية الغربية ترجع في الغالب الأعم منها إلى المذهب الإنساني في تياره الإلحادي(*).

ومن أهم الأفكار التي تبنتها النزعة الإنسانية ما يلي:

● يجب على الإنسان أن يبحث دائماً عن معنى وجوده وحياته.

● الحياة في حد ذاتها شيء رائع، ويستحق أن يعيشها الإنسان مهما احتوت على صراعات وتناقضات وآلام.

● على الإنسان أن يواجه الألم ويتسلح بالأمل في الوقت نفسه.

● على الإنسان أن يهتم بالمادة قبل الروح؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع إدراكه والسيطرة عليه.

● إن الطريقة الوحيدة كي يحقق الإنسان إنسانيته هي في التمتع بكل الملذات الجسدية والحسية؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان لمسه وإدراكه.

● الإنسانية ترحب بالقومية والوطنية والمحلية، ولكنها تأبى العنصرية؛ لأنها امتهان صارخ لبقية العوامل المشكلة للنسيج الإنساني الشامل، والأدب العنصري ليس سوى جسم غريب في نسيج الأدب الإنساني سرعان ما يلفظه ويأباه.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن الحركة الفكرية التي نشأت في عصر النهضة(*) الأوربية هي الأساس في ظهور الإنسانية. وكان الوقود الذي أشعل هذه الحركة يحتوي على الفكر اليوناني الوثني(*) المعارض للفكر الديني، والآداب اليونانية واللاتينية، ومن هنا كان شعار الإنسانية كلمة الفيلسوف اليوناني القديم «إن الإنسان مقياس للأشياء جميعها»، فضلاً عن انغماس الإنسان في المادة عند بدايته، وحب اكتناز المال والثروات، والاستمتاع بالحياة الزائلة.

أماكن الانتشار:

انتشرت الإنسانية في أوروبا، ثم عمت الغرب والشرق، ومعظم سلبيات المدنية الغربية الحاضرة تعد ثمرة من ثمارها.

ويتضح مما سبق:

أن النزعة الإنسانية هي مذهب(*) فلسفي أدبي مادي لا ديني، يؤكد فردية الإنسان ضد الدين(*)، ويغلب وجهة النظر المادية(*) الدنيوية، وهو من أسس فلسفة(*) كونت الوضعية، وفلسفة بتنام النفعية، وكتابات برتراند راسل الإلحادية(*)، وهذا يعني فشل هذا المذهب على الصعيد العقدي، أما فشله على الصعيد العملي الواقعي المؤثر بصورة ملموسة في أسلوب سلوك الفرد، فدليله أنه منَّى الإنسان بأمان كاذبة لم تتحقق على الإطلاق، ونسي أن طريق الخلاص لا يمكن أن يتم إلا من خلال العقائد الدينية. وهذا أمر ينبغي أن يتنبه له المسلم وهو يتعامل مع نتاج هذا المذهب، إذ إن الإسلام قد كرم الإنسان، وتعاليمه كلها إنسانية ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ. . . ﴾ [الإسراء: ٧٠].

مراجع للتوسع:

- شيلر: **من نوابغ الفكر الغربي**، د. عثمان أمين.
- **مجلة عالم الفكر**، المجلد الثاني العدد الثالث ١٩٧٤ م. مقال بعنوان الهيومانزم.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه، دار القلم - بيروت.

المراجع الأجنبية:

- Studies in Humanism by F.C.S. Schiller, Macmillan, London, 2nd ed. 1912.
- Humanism: Phillosophical Essays by F.C.S. Schiller, Macmillan. London 1912.
- Essay Concerning Human Understanding by J. Locke ed .R. Wilburn. London 1947.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding, London 1956.

١٠١ـ الإلحاد

التعريف:

● الإلحاد(*) هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى:

ـ فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق.

ـ وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة، جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● الإلحاد بدعة جديدة لم توجد في القديم إلا في النادر في بعض الأمم والأفراد.

● يعد أتباع العلمانية هم المؤسسين الحقيقيين للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية.

● الحركة الصهيونية أرادت نشر الإلحاد في الأرض، فنشرت العلمانية لإفساد أمم الأرض بالإلحاد والمادية(*) المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية؛ كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها، وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم.

● نشر اليهود نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ(*) ونظريات فرويد في علم النفس، ونظرية دارون في أصل الأنواع، ونظريات دوركايم في علم الاجتماع، وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم.

● أما انتشار الحركات الإلحادية بين المسلمين في الوقت الحاضر، فقد بدأت بعد سقوط الخلافة(*) الإسلامية.

● صدر كتاب في تركيا عنوانه: **مصطفى كمال** للكاتب قابيل آدم يتضمن مطاعن قبيحة في الأديان وبخاصة الدين الإسلامي. وفيه دعوة صريحة للإلحاد بالدين(*) وإشادة بالعقلية الأوربية.

● إسماعيل أحمد أدهم. حاول نشر الإلحاد في مصر، وألف رسالة بعنوان **لماذا أنا ملحد؟** وطبعها بمطبعة التعاون بالإسكندرية حوالي سنة ١٩٢٦م.

● إسماعيل مظهر أصدر في سنة ١٩٢٨ م **مجلة العصور** في مصر، وكانت قبل توبته تدعو للإلحاد والطعن في العرب والعروبة طعناً قبيحاً. معيداً تاريخ الشعوبية(*)، ومتهماً العقلية العربية بالجمود والانحطاط، ومشيداً بأمجاد بني إسرائيل ونشاطهم وتفوقهم واجتهادهم.

● أسست في مصر سنة ١٩٢٨م جماعة لنشر الإلحاد تحت شعار الأدب، واتخذت دار العصور مقراً لها واسمها رابطة الأدب الجديد، وكان أمين سرها كامل كيلاني.. وقد تاب إلى الله بعد ذلك.

ومن أعلام الإلحاد في العالم:

● أتباع الشيوعية: ويتقدمهم كارل ماركس ١٨١٨ ـ ١٨٨٣م اليهودي الألماني، وإنجلز ١٨٢٠-١٨٩٥م عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي الذي التقى بماركس في إنجلترا، وأصدرا سوياً **المانيفستو أو البيان الشيوعي** سنة ١٨٤٨م.

● أتباع الوجودية: ويتقدمهم:

ـ جان بول سارتر.

ـ وسيمون دوبوفوار.

ـ وألبير كامي.

● وأتباع الداروينية.

● ومن الفلاسفة والأدباء:

ـ نيتشه/ فيلسوف ألماني.

ـ برتراند راسل ١٨٧٢ ـ ١٩٧٠م فيلسوف إنجليزي.

ـ هيجل ١٧٧٠ ـ ١٨٣١م فيلسوف ألماني قامت فلسفته على دراسة التاريخ.

ـ هربرت سبنسر ١٨٢٠ ـ ١٩٠٣م إنجليزي كتب في الفلسفة(*) وعلم النفس والأخلاق(*).

ـ فولتير ١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م أديب فرنسي.

● في سنة ١٩٣٠ م ألف إسماعيل مظهر حزب الفلاح؛ ليكون منبراً للشيوعية والاشتراكية(*). وقد تاب إسماعيل إلى الله بعد أن تعدى مرحلة الشباب وأصبح يكتب عن مزايا الإسلام.

● ومن الشعراء الملاحدة الذين كانوا ينشرون في **مجلة العصور**.

ـ الشاعر عبد اللطيف ثابت الذي كان يشكك في الأديان في شعره..

ـ والشاعر الزهاوي ويعد عميد الشعراء المشككين في عصره.

الأفكار والمعتقدات:

● إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارىء، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

● إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة، وسينتهي كما بدأ، ولا توجد حياة بعد الموت.

● إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه.

● النظرة الغائية(*) للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.

● إنكار معجزات الأنبياء(*)؛ لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون. ومن العجب أن الملحدين الماديين(*) يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال.

● عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.

● ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل، وقصته لا تعني شيئاً.

● المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة، تختلف اختلافاً جذريًّا وكليًّا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي!!

● الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة(*) التي اكتشفتها العلوم، كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

● الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

● نظريات ماركس في الاقتصاد، والتفسير المادي للتاريخ(*)، ونظرية فرويد في علم النفس، ونظرية دارون في أصل الأنواع، ونظرية دوركهايم في علم الاجتماع، من أهم أسس الإلحاد في العالم.. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية، ولا صلة لها بالعلم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● نشأ الإلحاد الحديث مع العقلانية والشيوعية والوجودية.

● وقد نشر اليهود الإلحاد في الأرض، مستغلين حماقات الكنيسة(*) ومحاربتها للعلم، فجاؤوا بثورة العلم ضد الكنيسة، وبالثورة(*) الفرنسية والداروينية والفرويدية،

وبهذه الدعوات الهدامة للدين(*) والأخلاق(*) تفشئ الإلحاد في الغرب، والهدف الشرير لليهودية العالمية الآن هو إزالة كل دين على الأرض، ليبقى اليهود وحدهم أصحاب الدين!!

الانتشار وأماكن النفوذ:

● انتشر الإلحاد أولاً في أوربا، وانتقل بعد ذلك إلى أمريكا.. وبقاع من العالم.

● وعندما حكمت الشيوعية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي قبل انهياره وتفككه، فرضت الإلحاد فرضاً على شعوبه.. وأنشأت له مدارس وجميعات.

● وحاولت الشيوعية نشره في شتى أنحاء العالم، عن طريق أحزابها. وإن سقوط الشيوعية في الوقت الحاضر ينبىء عن قرب سقوط الإلحاد ـ بإذن الله تعالى.

● يوجد الآن في الهند جمعية تسمى جميعة النشر الإلحادية، وهي حديثة التكوين، وتركز نشاطها في المناطق الإسلامية، ويرأسها جوزيف إيدا مارك، وكان مسيحيًّا من خطباء التنصير، ومعلماً في إحدى مدارس الأحد، وعضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وقد ألف في عام ١٩٥٣ م كتاباً يدعى: **إنما عيسى بشر** فغضبت عليه الكنيسة(*) وطردته، فتزوج بامرأة هندوكية وبدأ نشاطه الإلحادي، وأصدر مجلة إلحادية باسم **إيسكرا** أي شرارة النار. ولما توقفت عمل مراسلاً لمجلة **كيرالا شبدم** أي صوت كيرالا الأسبوعية. وقد نال جائزة الإلحاد العالمية عام ١٩٧٨م، ويعد أول من نالها في آسيا.

يتضح مما سبق:

أن الإلحاد(*) مذهب(*) فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسين الحقيقيين للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة، ويرى أن المادة(*) أزلية أبدية، وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء فذلك مما لا يقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لا يعترفون، أيضاً، بأية مفاهيم أخلاقية(*)، ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح. ولذا فإن التاريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات وخيبة الأمل، وقصته لا تعني شيئاً، والإنسان مجرد مادة تطبق عليه القوانين الطبيعية(*) كافة وكل ذلك مما ينبغي أن يحذره الشاب المسلم عندما يطالع أفكار هذا المذهب الخبيث.

مراجع للتوسع:

ـ صراع مع الملاحدة، عبدالرحمٰن الميداني.

ـ الملل والنحل، للشهرستاني ط. (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م). بتحقيق محمد سيد كيلاني، وهي طبعة فريدة ـ لمذاهب جديدة.

- **الفلسفات الكبرى**، بياردوكاسيه - سلسلة زدني علماً - بيروت .
- **الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى**، مقال للدكتور محمد بن سعد الشويعر، نشر بمجلة البحوث الإسلامية العدد ١٤ .

المراجع الأجنبية :

- History of Philosophy by F.C. Copleston. Burne. London 1947.
- Existentialism and Humanism by J.P. Sartre, London 1955.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding. London 1956.

١٠٢- المنفعة

التعريف:

المنفعة مذهب(*) أخلاقي اجتماعي لا ديني، يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك، وأن الخير الأسمى هو تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس.

وفي مجال الاقتصاد يقرر مذهب المنفعة أن قيمة السلعة تتوقف على قدر منفعتها، وليس على نفقة العمل أو التكلفة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسس مذهب المنفعة في إنجلترا ومن أبرز شخصياته:

- جيرمي بنتام ١٧٤٨ - ١٨٣٢م ويعد زعيم القائلين بمذهب المنفعة، ولد في لندن، وقدم نظريته في المنفعة في كتابه **مقدمة لأصول الأخلاق والتشريع**.

- جون ستيوارت ميل ١٨٠٦ - ١٨٧٣م، وهو فيلسوف إنجليزي، ألف كتاب **مذهب المنفعة** ونادى بالحرية الفردية.

- هربرت سبنسر ١٨٢٠ - ١٩٠٣م وهو فيلسوف إنجليزي قال بتطور الأنواع قبل دارون.

- ج. أ. مور ١٨٧٣ - ١٩٥٨م وهو فيلسوف إنكليزي - ألف كتاب **أصول الأخلاق** وأدخل تعديلات على مذهب المنفعة إذ قبل الرأي القائل بأن صواب أي فعل من الأفعال يتوقف على النتائج الحسنة والسيئة التي تترتب عليه.

الأفكار والمعتقدات:

● يعد مذهب المنفعة نظرية في الأخلاق(*)، طبعت أتباعها بطابع مميز.. إذ كان كل همهم الاهتمام بالحياة الدنيا والاغتراف من لذاتها.

● **ويمكن تلخيص أفكاره فيما يلي:**

- إن صواب أي عمل من الأعمال، إنما يحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة السعادة الإنسانية أو في التقليل من شقاء الإنسان، بصرف النظر عن السداد الأخلاقي لقاعدة ما، أو مطابقتها للوحي(*) أو للسلطة أو للتقليد أو للحس الأخلاقي أو للضمير.

- اللذة هي الشيء الوحيد الذي هو خير في ذاته، والألم هو الشيء الوحيد الذي هو شرٌّ

في ذاته، والسعادة تشمل اللذة والتخلص من الألم، وإن رجحان كفة اللذة قد يعود هو نفسه فيصبح مصدراً للمزيد من اللذة.

ـ يمكن دفع الناس إلى التصرف على نحو يؤدي إلى السعادة العامة من خلال ما يلي:

١ ـ القانون بقصاصه، والرأي العام بجزاءاته من ثواب وعقاب، فهما يحولان بين الناس وبين أن يأتوا من الأعمال ما يضاد الصالح العام.

٢ ـ المنفعة الذاتية المستنيرة تدل الناس على أن الصالح العام ينطوي في أغلب الأحوال على منفعتهم الخاصة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن لنظرية المنفعة جذوراً في الفكر اليوناني، وعند الفيلسوف أبيقور ٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق. م بشكل خاص.

● ويمكن في الوقت الحاضر أن نجد جذور مذهب(*) المنفعة عند كل من:

ـ توماس هوبز ١٥٨٨ ـ ١٦٧٩م الفيلسوف الإنجليزي الذي يرى أن كلمة خير يقصد بها الشهوة، وكلمة شر يقصد بها النفور.

ـ وجون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م الفيلسوف الإنجليزي وفرنسيس هتشون ١٦٩٤ ـ ١٧٤٧م الفيلسوف الإيرلندي، ونظريته في الحس الأخلاقي تعبر في بعض جوانبها عن مذهب المنفعة إلا أنها ترتكز على الدين(*).

ـ كما نجد جذور مذهب المنفعة، أيضاً، عند ديفيد هيوم ١٧١١ ـ ١٧٧٦م الفيلسوف الإنكليزي الذي يرى أنه لا شيء يؤثر في الفعل الإرادي غير اللذة والألم، وقد يكون التأثير مباشراً.

ـ وعندما جاء جيرمي بنتام مؤسس مذهب المنفعة، استفاد من كل من سبقوه منتهياً إلى نظرية متكاملة، في رأيه، ومستخدماً إياها على أوسع نطاق.

يتضح مما سبق: أن المنفعة فكرة فلسفية لا تلتزم بالأصول الدينية، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق(*) أو مطابقته للدين، وترى أن كلَّ ما يُلزم به الدين، يمكن للقانون بقصاصه والرأي العام بجزاءاته أن يأتي به. ولا شك أن في هذا تجاوزاً يهدم أسس العقيدة، ويحول المجتمعات إلى غابة تتصارع فيها المنافع بلا ضابط أو رابط.

مراجع للتوسع:

ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه دار العلم ـ بيروت.

- **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د. أحمد زكي بدوي مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٢م.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، د. يوسف كرم. دار المعارف - القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- The Utility of Religion and Theism by John S. Mill Wath. London 1904.
- On Liberty: Representative Government and Utilitrarianism by John S. Mill, London, New York 1954.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding, London 1936.

١٠٣- الوضعية

التعريف:

● المذهب(*) الوضعي مذهب فلسفي ملحد يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي. وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولا سيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسس المذهب الوضعي في فرنسا على يد الفيلسوف كونت، ومعظم من جاء بعده طبّق منهجه في العلم والمعرفة. ومن أبرز شخصيات المذهب:

ـ أوغست كونت ١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م وهو الفيلسوف الفرنسي المؤسس للمذهب، عمل أميناً للسر (سكرتيراً) للفيلسوف الاشتراكي(*) سان سيمون وبدأ بإلقاء محاضرات عن فلسفته الوضعية سنة ١٨٢٦م، ثم أصيب بمرض عقلي وحاول الانتحار.. وقد نشر كتابه بعد ذلك تحت عنوان: **محاضرات في الفلسفة(*) الوضعية**، بسط فيه نظريته في المعرفة والعلوم.

نادى بضرورة قيام دين(*) جديد هو الدين الوضعي، يقوم على أساس عبادة الإنسانية كفكرة تحل محل الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الأديان السماوية.

ـ سان سيمون.. وهو فيلسوف فرنسي اشتراكي النزعة.. في كتابه **مقال في علوم الإنسان** سنة ١٨١٣م، أطلق كلمة وضعي على العلوم القائمة على الوقائع الخاضعة للملاحظة والتحليل، والعلوم التي لم تؤسس على هذا النحو يسميها العلوم الظنية.

ـ ريتشاد كونجريف.. وهو مفكر إنجليزي ناصر الوضعية واعتنق أفكارها.

ـ زكي نجيب محمود وهو مفكر عربي مصري، تبع الفلسفة الوضعية الملحدة، وتبنى أفكارها.. وألف كتاب **المنطق الوضعي**.

ـ أ. إير فيلسوف إنجليزي.

ـ برتراندرسل فيلسوف إنجليزي.

الأفكار والمعتقدات:

● صاغ الفيلسوف الفرنسي كونت مبادىء وأفكار المذهب(*) الوضعي، ثم بلور من

جاء بعده من الوضعيين هذه الأفكار وسار على منهجها العلمي . .

● **وهذه خلاصة لتلك الأفكار مع نقد المفكرين والفلاسفة لها :**

● استحوذت على تفكير كونت فكرة التقدم الإنساني .

ـ وضع كونت قانون التقدم الإنساني، وهو قانون الحالات الثلاث، الذي يتقدم العقل(*) البشري بمقتضاه من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الميتافيزيقية، ثم إلى المرحلة الوضعية الأخيرة .

ـ وقد قسم كونت المرحلة اللاهوتية إلى ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الوثنية(*) ـ والمرحلة التعددية(*) ـ والمرحلة التوحيدية(*) وهي المرحلة الأخيرة التي بدأت بظهور النصرانية والإسلام .

ـ والمرحلة الوضعية بدأت بالثورة(*) الفرنسية، وهي المرحلة التي تفسر الظواهر عن طريق الاستقراء القائم على الملاحظة .

● ويطبق كونت هذا القانون في التطور على جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل الحضارة والسياسة والفن والأخلاق(*) .

● **نقد القانون:**

ـ وقد نقد طائفة من المفكرين قانون الحالات الثلاث بما يلي :

١ ـ يعد كونت أن الإنسانية كلٌّ لا يتجزأ، وأنها خاضعة لقانون واحد، بينما نجد أن هناك مجتمعات لا تسير في تطورها وتقدمها على نمط واحد في فهم وإدراك الظواهر .

٢ ـ يختلف الطريق الذي سلكه العقل الإنساني عن ذلك الذي حدده كونت، ففي كثير من الأمور كان الفهم الوضعي للأمور يسير مع الفهم الديني أو الميتافيزيقي(*)؛ ففي مجال فهم الحقائق الرياضية والفلكية، مثلاً، أمور كانت تسير مع الفهم الديني قديماً. ولا تزال بعض المجتمعات تفسر الحقائق العلمية القائمة تفسيراً دينيًا. على الرغم من أننا نجتاز حاليًا المرحلة الوضعية في نظر كونت .

٣ ـ لا يستمد قانون المراحل الثلاث حقائقه من التاريخ، وإنما هو فكرة فلسفية اختار لها كونت مجتمعات معينة حاول تطبيقها عليها دون استقراء لتاريخ المجتمعات الإنسانية .

٤ ـ يفسر هذا القانون الحضارة بأنها التقدم، بينما نجد الحضارة عبارة عن مستوى عام للحياة المادية(*) والروحية للمجتمع دون النظر إلى تقدمها أو تأخرها .

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد اعتبر فرنسيس بيكون ١٥٦١ ـ ١٦٢٦م نفسه داعية للعلوم الجديدة، وهي العلوم

التي كانت في طريقها إلى الانفصال عن الفلسفة(*) في القرنين الميلاديين السادس عشر والسابع عشر. وربما عدّ بيكون بادىء الوضعية وواضع الاسم الذي سميت به في القرن التاسع عشر، ففي كتابه **في المبادىء والأصول** ١٦٢٣م أطلق بيكون صفة وضعي على الحقائق الأولية التي يجب تقبلها إيماناً بصدق الخبرة.

ـ وقد كان بيكون موضع تقدير كبير من الفلاسفة التجريبيين في القرن التاسع عشر في كل من إنجلترا وفرنسا. وأصبحت كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية، نظراً لاعتماد هذه المناهج على الملاحظة واستخدامها للتجربة، ولقد سبق بيان كيف أن سان سيمون الذي عمل كونت في خدمته، قد أطلق كلمة وضعي في كتابه **مقال في علوم الإنسان** على العلوم القائمة على الوقائع الخاضعة للملاحظة والتجريب.. وقد اقتبس كونت هذه الأفكار وأقام عليها نظريته وقانونه الوضعي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● زحف المذهب الوضعي من فرنسا إلى إنجلترا، واعتنق بعض الفلاسفة مبادىء المذهب الوضعي. إلا أن بعض كبار المفكرين والفلاسفة رفضوا متابعة كونت في مفهوم دين(*) الإنسانية الذي وضعه، وبالرغم من ذلك فقد أُنشئت جمعيات وضعية في أجزاء مختلفة من العالم، على غرار النموذج الذي أسسه كونت نفسه عام ١٨٤٨م. وفي هذه الجمعيات كانت الإنسانية هي موضوع الشعائر الدينية، واتخذ من علم الاجتماع سنداً لمثل هذه الديانة الاجتماعية، وقويت هذه الحركة بصورة خاصة في أمريكا اللاتينية، ولكنها ازدهرت لعدة سنوات في إنجلترا...

● وقد صدرت **المجلة الوضعية** التي أطلق عليها فيما بعد اسم **الإنسانية** من عام ١٨٩٣م إلى عام ١٩٢٥م. وقامت محاولات لإحياء الوضعية في إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، من خلال أعمال الفلاسفة الإنجليز إبر وراسل.

يتضح مما سبق:

أن المذهب(*) الوضعي مذهب فلسفي ملحد، يركز المعرفة اليقينية في الظواهر التجريبية، وينكر وجود معرفة مطلقة، ويقول إن التقدم بدأ في العلوم الطبيعية وبدأ ينتقل للعلوم الاجتماعية وأن العقل البشري يتقدم من المرحلة اللاهوتية الدينية إلى المرحلة الميتافيزيقية(*) لكي يصل في النهاية إلى المرحلة الوضعية التي هي قمة التخلي عن كل العقائد الدينية. وبذا تتضح مخاطر هذا المذهب على كل مسلم.

مراجع للتوسع:

- قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين، وآخر - مطبعة التأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٨ م.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي - مكتبة لبنان - بيروت.
- تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم - دار المعارف - القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Cours de Philosophie Positive Par A. Comte, paris. 1830.
- A Discourse on the Positive Spirit by A. Comte, tr. S. Beesley. Revres. London 1903.
- Dialogues Concerning Natural Religion by D. Hume. ed. N. Kemp Smith O.V.P. Oxford 1935.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns. London 1947.
- History of Modern Philosoph by H. Hoffding, London 1956.

١٠٤ـ المثالية

التعريف:

● المثالية مذهب(*) فلسفي يشمل جانباً كبيراً من المذاهب الميتافيزيقية(*) (ما بعد الطبيعة أو الغيبية)، وهي اتجاه فلسفي يبحث عن مسألة الوجود (أوْ الأنطولوجيا)، في حين أن العقلانية اتجاه مذهبي يبحث في أصل المعرفة، ويرد هذا الأصل إلى العقل فقط، وينكر دور الحواس أو المعرفة القلبية أو المعرفة عن طريق الوحي(*)، وعكس العقلانية التجريبية. وهذه الأخيرة تعتمد على التجربة الحسية فقط من دون العقل المجرد.

ـ وعكس المثالية «المادية»(*). والمثالية تعطي الأولوية في الوجود للروح على أن يكون وجود المادة ثانوياً، في حين أن المادية(*) تعطي الأولوية في الوجود للمادة، على أن تكون الروح انعكاساً للمادة وظلاً لها.

ـ وتقترب المثالية كثيراً من الفلسفة؛ لأنها تبلور مباحث الفلسفة الثلاثة الرئيسية: الحق والخير والجمال.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ظهرت المثالية في القرن الثامن عشر الميلادي، ومن أبرز الفلاسفة الذين أثروا المذهب، وكان لهم تأثير كبير في مجرى الفكر الأوربي عامة:

ـ جورج باركلي ١٦٨٥ ـ ١٧٥٣م وهو راهب(*) إيرلندي، كان على جانب كبير من النشاط والجاذبية الفطرية والقدرة على الإقناع، ويعد المؤسس الحقيقي للمثالية، وكانت أفكاره ذات تأثير كبير فيمن جاء بعده من المفكرين والفلاسفة.

ـ عمانوئيل كانت ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م وهو فيلسوف ألماني، ألف كتباً مشهورة أهمها **نقد العقل(*) الخالص**، **ونقد العقل العملي**، وكان يعتقد أن هناك حجة أخلاقية كافية للبرهان على وجود الله هي القانون الأخلاقي.

ـ جوهان فيشته ١٧٦٢ ـ ١٨١٤م وهو فيلسوف ألماني، درس اللاهوت والفلسفة وتتلمذ على يد كانت، وكان لخطبه الشهيرة في برلين بين عامين ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨م عميق الأثر في إحياء بروسيا بعد هزائمها على يد نابليون بونابرت القائد الفرنسي الشهير.

ـ جورج فلهلم هيجل ١٧٧٠ ـ ١٨٣١م وهو فيلسوف ألماني كان من أكبر الفلاسفة تأثيراً في فلسفات(*) عدة مثل الوجودية والماركسية والذرائعية، في مجال الديالكيتك

(الجدل)(*) وكان يعتقد أن الوجود المادي مظهر للروح.

- آرثر شوبنهور ١٧٨٨ - ١٨٦٠م وهو فيلسوف ألماني، تأثر كثيراً بفلسفة أفلاطون المثالية وكانت، من كتبه **العالم إرادة وفكرة**، وقد تأثر بالبوذية، لكنه لم يقبل مذهب(*) تناسخ الأرواح(*).

- ت. هـ. جرين ١٨٣٦ - ١٩٢٤م وهو فيلسوف إنجليزي، أثر تأثيراً كبيراً في إكسفورد، واهتم بشكل خاص بالربط بين المثالية والنصرانية وبين المثالية والأفكار السياسية الحرة.

- ف. هـ. برادلي ١٨٤٦ - ١٩٢٤م وهو فيلسوف إنجليزي، قال بأنه ينبغي علينا افتراض وجود مطلق يجاوز نطاق الفكر.

الأفكار والمعتقدات:

● إن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي موضوعي، وهذا هو علة وجود المادة أو كما قال هيجل «المادة مظهر تتبدَّى به الروح».

● إن الأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة.

● إن الأشياء المادية المحسوسة ليست سوى مجموعات من الأفكار على حد تعبير باركلي، أو من المعطيات الحسية على حد تعبير من جاؤوا بعده. وإننا لا نستطيع أن نتصور الصفات التي ننسبها إلى الأشياء المادية مجردة من تجربتنا الحسية لها.

● إن الأشياء الطبيعية التي لا يدركها الإنسان موجودة في علم الله، (باركلي).

● إن معرفتنا مقتصرة على الظواهر، ولا نستطيع معرفة الأشياء في ذاتها، (كانت).

● ترى المثالية أن الشر شيء عارض وعابر في الحياة؛ والأدب المثالي يحاول الكشف دائماً عن الطبيعة الخيرة والجميلة للإنسان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● مؤسس المثالية جورج باركلي الفيلسوف الإيرلندي كان راهباً(*) عاش طوال حياته متشبعاً بالفكر الديني مولعاً بالفلسفة والفكر اللاهوتي، ومدافعاً عن الإيمان الديني والإدراك الفطري السليم. فضلاً عن محاولته وهو في منتصف عمره، إقامة جامعة لتخريج مبشرين بالنصرانية.

- هذه الجذور الدينية العميقة كان لها أكبر الأثر في توجهه الفلسفي نحو القول بالمثالية. وأنه لا حقيقة إلا للروح ولخالقها، الله - تعالى - وأن الوجود المادي وجود ظاهري

يحس به الإنسان ويدركه بعقله فقط. ويظهر الأثر المباشر لآراء باركلي في الفيلسوف كانت الألماني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت المثالية في أوربا عامة وألمانيا بصفة خاصة.

يتضح مما سبق:

أن المثالية مذهب(*) فلسفي، يرى أن العقل(*) هو أساس المعرفة وأنه هو الحقيقة النهائية، فالمادة مظهر تتبدَّى فيه الروح، والأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة، كما يقول المذهب النقدي عند الفيلسوف كانت.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه، دار القلم بيروت.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم - دار المعارف - القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Dialogues between Hylar and Philonour by G. Berkeley, Collier, New York 1910.
- Philosophy of Right. G. Hegel, tr. T.M. Knox O.U.P. Oxford. 1942.
- Hegel: A Re - examination by J.N. Findlay, London 1958.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns. London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffoling, London 1956.

١٠٥ـ الوجودية

التعريف:

الوجودية اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه. وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة(*) عن الموضوع. وتعد جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يرى رجال الفكر الغربي أن سورين كيركجورد ١٨١٣ ـ ١٨٥٥م هو مؤسس المدرسة الوجودية. ومن مؤلفاته: **رهبة واضطراب**.

● أشهر زعمائها المعاصرين: جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المولود سنة ١٩٠٥م وهو ملحد ويناصر الصهيونية، له عدة كتب وروايات تمثل مذهبه(*) منها: **الوجودية مذهب إنساني، الوجود والعدم، الغثيان، الذباب، الباب المغلق**.

● ومن رجالها كذلك: القس كبرييل مارسيل، وهو يعتقد أنه لا تناقض بين الوجودية والنصرانية.

● كارل جاسبرز: فيلسوف ألماني.

● بسكال بليز: مفكر وفيلسوف فرنسي.

● وفي روسيا: بيرد يائيف، شيسوف، سولوفييف.

الأفكار والمعتقدات:

● يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات وكل ما جاءت به الأديان(*)، ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل. وقد اتخذوا الإلحاد مبدأ ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج مدمرة.

● يعاني الوجوديون من إحساس أليم بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والإحباط؛ لأن الوجودية لا تمنح شيئاً ثابتاً يساعد على التماسك والإيمان، وتعد الإنسان قد

أُلقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء.

● يؤمنون إيماناً مطلقاً بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقاً لكل فكرة.

● يعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.

● يعتقدون أن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان.

● يقولون: إنهم يعملون لإعادة الاعتبار الكلي للإنسان، ومراعاة تفكيره الشخصي وحريته وغرائزه ومشاعره.

● يقولون بحرية الإنسان المطلقة وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيده شيء.

● يقولون: إن على الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية.

● يقول المؤمنون منهم إن الدين(*) محله الضمير. أمَّا الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشخص المطلقة.

● لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين.

● أدى فكرهم إلى شيوع الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والتحلل والفساد.

● على الرغم من كل ما أعطوه للإنسان فإن فكرهم يتسم بالانطوائية الاجتماعية والانهزامية في مواجهة المشكلات المتنوعة.

● الوجودي الحق عندهم هو الذي لا يقبل توجيهاً من الخارج، إنما يسيِّر نفسه بنفسه، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود.

● لها الآن مدرستان: واحدة مؤمنة والأخرى ملحدة، وهي التي بيدها القيادة وهي المقصودة بمفهوم الوجودية المتداول على الألسنة، فالوجودية إذن قائمة على الإلحاد.

● الوجودية في مفهومها تمرد على الواقع التاريخي، وحرب على التراث الضخم الذي خلفته الإنسانية.

● تمثل الوجودية اليوم واجهة من واجهات الصهيونية الكثيرة التي تعمل من خلالها، وذلك بما تبثُّه من هدم للقيم والعقائد والأديان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن الوجودية جاءت رد فعل على تسلط الكنيسة(*) وتحكمها في الإنسان بشكل متعسف باسم الدين(*).

● تأثرت بالعلمانية وغيرها من الحركات التي صاحبت النهضة الأوربية ورفضت الدين والكنيسة.

● تأثرت بسقراط الذي وضع قاعدة «اعرف نفسك بنفسك».

● تأثروا بالرواقيين(*) الذين فرضوا سيادة النفس.

● كما تأثروا بمختلف الحركات الداعية إلى الإلحاد والإباحية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● ظهرت في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم انتشرت في فرنسا وإيطاليا وغيرهما. وقد اتخذت من بشاعة الحروب وخطورتها على الإنسان مبرراً للانتشار السريع. وترى حرية الإنسان في عمل أي شيء متحللاً من كل الضوابط. وهذا المذهب يعد اتجاهاً إلحاديًّا يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية.

● انتشرت أفكارهم المنحرفة المتحللة بين المراهقين والمراهقات في فرنسا وألمانيا والسويد والنمسا وإنجلترا وأمريكا وغيرها، إذ أدت إلى الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية واللامبالاة بالأعراف الاجتماعية والأديان.

ويتضح مما سبق: أن الوجودية اتجاه إلحادي(*) يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية من الأديان وقيمها الأخلاقية. وتختلف نظرة الإسلام تماماً عن نظرية الوجودية إذ يقرر الإسلام أن هناك وجوداً زمنياً بمعنى عالم الشهادة ووجوداً أبديّاً بمعنى عالم الغيب. والموت في نظر الإسلام هو النهاية الطبيعية للوجود الزمني، ثم يكون البعث والحساب والجزاء والعقاب.

ـ أما الفلسفة الوجودية فلا تسلم بوجود الروح ولا القوى الغيبية، وتقوم على أساس القول بالعدمية والتعطيل، فالعالم في نظرهم وجد بغير داع ويمضي لغير غاية، والحياة كلها سخف يورث الضجر والقلق، ولذا يتخلص بعضهم منها بالانتحار.

مراجع للتوسع:

ـ **الوجودية وواجهتها الصهيونية**، د. محسن عبد الحميد.

ـ **مباحث في الثقافة الإسلامية**، د. نعمان السامرائي.

- **سقوط الحضارة**، كولن ولسن.
- **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، د. زكريا إبراهيم.
- **الوجودية المؤمنة والملحدة**، د. محمد غلاب.
- **عقائد المفكرين في القرن العشرين**، عباس محمود العقاد.
- **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**، د. عبد الرحمٰن عميرة.

١٠٦ـ التحليل النفسي (الفرويدية)

التعريف:

الفرويدية مدرسة في التحليل النفسي أسسها اليهودي سيجموند فرويد Sigmund Freud وهي تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسيًّا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء. كما أنها تعد القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي، مما يورث الإنسان عقداً وأمراضاً نفسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **المؤسس وحياته:**

ـ ولد سيجموند فرويد في ٦ مايو ١٨٥٦ م في مدينة فريبورج بمقاطعة مورافيا بتشيكوسلوفاكيا الحالية من والديْن يهوديين.

ـ استقرت أسرة أبيه في كولونيا بألمانيا زمناً طويلاً.

ـ ولدت أمه بمدينة برودي في الجزء الشمالي من غاليسيا، ولما شبت تزوجت من جاكوب فرويد والد سيجموند فرويد إذ أنجبت له سبعة أبناء.

ـ وغاليسيا مدينة ببولندا جاء منها والد فرويد، وكانت معقلاً رئيسيًّا ليهود شرق أوربا، وبسبب ظروف الشغب رحلت الأسرة إلى برسلاو بألمانيا وعمر سيجموند حينها ثلاث سنوات، ثم رحلوا مرة أخرى إلى فيينا، حيث أمضى معظم حياته وبقي فيها إلى سنة ١٩٣٨ م ثم غادرها إلى لندن ليقضي أيامه الأخيرة فيها مصاباً بسرطان في خده وقد أدركته الوفاة في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ م.

ـ تلقى تربيته الأولى وهو صغير على يدي مربية كاثوليكية دميمة عجوز متشددة كانت تصحبه معها أحياناً إلى الكنيسة[*]، مما شكل عنده عقدة ضدّ المسيحية[*] فيما بعد.

ـ نشأ يهوديًّا، وأصدقاؤه من غير اليهود نادرون، إذ كان لا يأنس لغير اليهود ولا يطمئن إليهم.

ـ دخل الجامعة عام ١٨٧٣ م وعقَّب على ذلك بأنه يرفض رفضاً قاطعاً أن يشعر بالدونية والخجل من يهوديته. لكن هذا الشعور الموهوم بالاضطهاد ظل يلاحقه على الرغم من احتلاله أرقى المناصب.

ـ في سنة ١٨٨٥ م غادر فيينا إلى باريس، وتتلمذ على شاركوت Charcot مدة عام، إذ كان أستاذه هذا يقوم بالتنويم المغناطيسي لمعالجة الهستيريا، وقد أعجب فرويد به عندما أكَّد له بأنه في حالة من حالات الأمراض العصبية لا بد من وجود اضطراب في الحياة الجنسية للمريض.

ـ أخذ يتعاون مع جوزيف بروير ١٨٤٢ ـ ١٩٢٥م وهو طبيب نمساوي صديق لفرويد، وهو فيزيولوجي في الأصل لكنه انتقل إلى العمل الطبي، إذ كان ممن يستعملون التنويم المغناطيسي، أيضاً.

ـ بدأ الاثنان باستعمال طريقة التحدث مع المرضى، فنجحا بعض النجاح ونشرا أبحاثهما في عامي ١٨٩٣ و١٨٩٥م، وصارت طريقتهما مزيجاً من التنويم والتحدث، ولم يمض وقت طويل حتى انصرف بروير عن الطريقة كلها.

ـ تابع فرويد عمله تاركاً طريقة التنويم معتمداً على طريقة التحدث طالباً من المريض أن يضطجع ويتحدث مفصحاً عن كل خواطره، وسماها طريقة (الترابط الحر) سالكاً طريقة رفع الرقابة عن الأفكار والذكريات، وقد نجحت طريقته هذه أكثر من الطريقة الأولى.

ـ أخذ يطلب من مريضه أن يسرد عليه حلمه الذي شاهده في الليلة الماضية، مستفيداً منه في التحليل، وقد وضع كتاب **تفسير الأحلام** الذي نشره سنة ١٩٠٠ م، ثم كتاب **علم النفس المرضي للحياة اليومية**، ثم توالت كتبه وصار للتحليل النفسي مدرسة سيكولوجية صريحة منذ ذلك الحين.

ـ انضم عام ١٨٩٥م إلى جمعية بناي برث أي أبناء العهد، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره، وهذه الجمعية لا تقبل بين أعضائها غير اليهود.

ـ كان يعرف تيودور هرتزل الذي ولد عام ١٨٦٠ م، كما سعيا معاً لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية التي ينتميان إليها، مثل فكرة معاداة السامية التي ينشرها هرتزل سياسيًّا، ويحللها فرويد نفسيًّا.

● **من أصحابه وتلاميذه:**

ـ لارنست جونز، مؤرخ السيرة الفرويدية، مسيحي(*) مولداً، ملحد فكراً، يهودي شعوراً ووجداناً، حتى إنهم خلعوا عليه لقب: اليهودي الفخري.

ـ أوتو رانك ١٨٨٤ ـ ١٩٣٩م قام بوضع نظرية تقوم أساساً على أفكار فرويد الأصلية مع شيء من التعديل الهام.

- ألفرِد آدلر: ولد في فيينا ١٨٧٠ - ١٩٣٧م، وقد انضم إلى جماعة فرويد مبكراً، لكنه افترق عنه بعد ذلك مؤسساً مدرسة سماها مدرسة علم النفس الفردي مستبدلاً بالدوافع الجنسية عند فرويد عدداً من الدوافع الاجتماعية، مع التأكيد على الإرادة القوية والمجهودات الشعورية.

- كارل جوستاف يونج ١٨٧٥ - ١٩٦١م ولد في زيوريخ، وهو مسيحي(*)، نصَّبه فرويد رئيساً للجمعية العالمية للتحليل النفسي، لكنه خرج على أستاذه معتقداً بأن هذه المدرسة التحليلية ذات جانب واحد وغير ناضجة، وكان لخروجه أثر بالغ على فرويد. وضع نظرية السيكولوجيا التحليلية مشيراً إلى وجود قوة دافعة أكبر هي طاقة الحياة، مؤكداً على دور الخبرات اللاشعورية المتصلة بالعِرق أو العنصر.

● **الفرويديون المحدثون:**

- حدث انسلاخ كبير عن الفرويدية الأصلية، وذلك عندما تكونت الفرويدية الحديثة التي كان مركزها مدرسة واشنطن للطب العقلي، وكذلك معهد إليام ألانسون هوايت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مدرسة تتميز بالتأكيد على العوامل الاجتماعية معتقدة أن ملامح الإنسان الأساسية إيجابية، وهم يلحّون على نقل التحليل النفسي إلى علم الاجتماع؛ للبحث عن أصول الحوافز البشرية في تلبية مطالب الوضع الاجتماعي، ومن أبرز شخصياتهم:

- أريك فروم: ظهر بين ١٩٤١ - ١٩٤٧م. كان ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق اجتماعي بالدرجة الأولى، بينما ينظر إليه فرويد على أنه مخلوق مكتفٍ بذاته، تحركه عوامل غريزية.

- كارن هروني: استعملت طريقة فرويد خمسة عشر عاماً في أوربا وأمريكا، إلا أنها أعادت النظر فيها إذ وضعت نظرية جديدة، تحرر فيها التطبيق العلاجي من كثير من القيود التي تفرضها النظرية الفرويدية.

- وعلى الرغم من ذلك فإن الفرويديين المحدثين لا يزالون متمسكين بأشياء كثيرة من نظرية فرويد الأصلية مثل:

١ - أهمية القوى الانفعالية بوصفها مضادة للدفع العقلي والارتكاسات الأشراطية وتكوين العادات.

٢ - التداعي اللاشعوري.

٣ - الكبت والمقاومة وأهمية ذلك في التحليل أثناء العلاج.

٤ ـ الاهتمام بالنزاعات الداخلية وأثرها على التكوين النفسي.
٥ ـ التأثير المستمر للخبرات الطفولية المبكرة.
٦ ـ طريقة التداعي الحر، وتحليل الأحلام، واستعمال حقيقة النقل.

الأفكار والمعتقدات:

● **الأسس النظرية:**

ـ الأسس الثلاثة التي تركز عليها المدرسة التحليلية هي: الجنس ـ الطفولة ـ الكبت. فهي مفاتيح السيكولوجية الفرويدية.

ـ نظرية الكبت: هي دعامة نظرية التحليل النفسي، وهي أهم قسم فيه إذ إنه لا بد من الرجوع إلى الطفولة المبكرة وإلى الهجمات الخيالية التي يراد بها إخفاء فاعليات العشق الذاتي أيام الطفولة الأولى، إذ تظهر كل الحياة الجنسية للطفل من وراء هذه الخيالات.

ـ يعد فرويد مص الأصابع لدى الطفل نوعاً من السرور الجنسي الفمي، ومثل ذلك عض الأشياء، فيما يعد التغوط والتبول نوعاً من السرور الجنسي الأستي، كما أن الحركات المنتظمة للرجلين واليدين عند الطفل إنما هي تعبيرات جنسية طفولية.

ـ اللبيدو Libido طاقة جنسية أو جوع جنسي، وهي نظرية تعتمد على أساس التكوين البيولوجي للإنسان الذي تعتبره حيواناً بشرياً، فهو يرى أن كل ما نصرح بحبه أو حب القيام به في أحاديثنا الدارجة يقع ضمن دائرة الدافع الجنسي. فالجنس عنده هو النشاط الذي يستهدف اللذة، وهو يلازم الفرد منذ مولده إذ يصبح الأداة الرئيسة التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في استجابته لمنبهاته.

ـ الدفع: يقول بأن كل سلوك مدفوع، فإلى جانب الأفعال الإرادية التي توجهها الدوافع والتمنيات هناك الأفعال غير الإرادية أو العارضة. فكل هفوة، مثلاً، ترضي تمنياً وكل نسيان دافعه رغبة في إبعاد ذلك الشيء.

ـ الشلل أو العمى لديه قد يكون سببه الهروب من حالة صعبة يعجز الإنسان عن تحقيقها، وهذا يسمى انقلاب الرغبة إلى عرض جسدي.

ـ الحلم عنده هو انحراف عن الرغبة الأصلية المستكنة في أعماق النفس، وهي رغبة مكبوتة يقاومها صاحبها في مستوى الشعور، ويعيدها إلى اللاشعور، وأثناء النوم عندما تضعف الرقابة تأخذ طريقها باحثة لها عن مخرج.

ـ يتكلم فرويد عن تطبيق مبدأين هما اللذة والواقع، فالإنسان يتجه بطبيعته نحو

مبدأ اللذة العاجلة لمباشرة الرغبة لكنه يواجه بحقائق الطبيعة المحيطة به فيتجنب هذه اللذة التي تجلب له آلاماً أكبر منها أو يؤجل تحقيقها.

ـ يفترض فرويد وجود غريزتين ينطوي فيهما كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وهما غريزة الحياة وغريزة الموت. غريزة الحياة تتضمن مفهوم اللبيدو وجزءًا من غريزة حفظ الذات، أما غريزة الموت فتمثل نظرية العدوان والهدم موجهة أساساً إلى الذات ثم تنتقل إلى الآخرين.

ـ الحرب لديه إنما هي محاولة جماعية للإبقاء على الذات نفسياً، والذي لا يحارب إنما يعرض نفسه لاتجاه العدوان إلى الداخل، فيفني نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولى به أن يفني غيره إذن، والانتحار هو مثل واضح لفشل الفرد في حفظ حياته. وهذا المفهوم إنما يعطي تبريراً يريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني المدمر.

ـ اللاشعور: هو مستودع الدوافع البدائية الجنسية، وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكبوتة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات، وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان. إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكار والذكريات غير المهمة.

ـ الـ(هو): مجموعة من الدوافع الغريزية الموجودة لدى الطفل عند ولادته التي تحتاج إلى الشعور الموجه، وهي غرائز يشترك فيها الجنس البشري كافة. إنها باطن النفس، وقد نتجت عن (الأنا) إلا أنها تبقى ممزوجة بها في الأعماق أي حينما تكون (الأنا) لا شعورية، وهي تشمل القوى الغريزية الدافعة، فإذا ما كبتت هذه الرغبات فإنها تعود إلى الـ(هو) (Ego).

ـ (الأنا): بعد قليل من ميلاد الطفل يزداد شعوراً بالواقع الخارجي فينفصل جزء من مجموعة الدوافع الـ (هي) لتصبح ذاتاً، ووظيفتها الرئيسية هي اختيار الواقع حتى يستطيع الطفل بذلك تحويل استجاباته إلى سلوك منظم يرتبط بحقائق الواقع ومقتضياته، إنها ظاهرة النفس التي ترتبط بالمحيط.

ـ (الأنا العليا): هي الضمير الذي يوجه سلوك الفرد والجانب الأكبر منه لا شعوري، وهو ما نسميه بالضمير أو الوجدان الأخلاقي، لها زواجر وأوامر تفرضها على (الأنا)، وهي سمة خاصة بالإنسان، إذ إنها أمور حتمية صادرة من العالم الداخلي.

ـ النقل: وهي أن المريض قد ينقل حبَّه أو بغضه المكبوت في أعماق الذكريات

إلى الطبيب، مثلاً، خلال عملية المعالجة. وقد تعرض بروير لحب واحدة من اللواتي كان يعالجهن إذ نقلت عواطفها المكبوتة إليه، فكان ذلك سبباً في انصرافه عن هذه الطريقة، بينما تابع فرويد عمله بمعالجة الواحدة منهن بنقل عواطفها مرة أخرى والوصول بها إلى الواقع.

ـ استفاد كثيراً من عقدة أوديب تلك الأسطورة التي تقول بأن شخصاً قد قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها وهو لا يدري. ولما علم بحقيقة ما فعل سمل عينيه، فقد استغلها فرويد في إسقاطات نفسية كثيرة واعتبرها مركزاً لتحليلاته المختلفة.

ـ شخصية الإنسان هي حصيلة صراع بين قوى ثلاث: دوافع غريزية، واقع خارجي، ضمير، وهي أمور رئيسة تتحدد بشكل ثابت بانتهاء الموقف الأوديبي حوالي السنة الخامسة أو السادسة من العمر.

● **الآثار السلبية للفرويدية:**

ـ لم ترد في كتب وتحليلات فرويد أية دعوة صريحة إلى الانحلال ـ كما يتبادر إلى الذهن ـ وإنما كانت هناك إيماءات تحليلية كثيرة تتخلل المفاهيم الفرويدية تدعو إلى ذلك. وقد استفاد الإعلام الصهيوني من هذه المفاهيم لتقديمها على نحو يغري الناس بالتحلل من القيم، وييسر لهم سبله بعيداً عن تعذيب الضمير.

ـ كان يتظاهر بالإلحاد ليعطي لتفكيره روحاً علمانية، ولكنه على الرغم من ذلك كان غارقاً في يهوديته من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

ـ كان يناقش فكرة معاداة السامية وهي ظاهرة كراهية اليهود، هذه النغمة التي يعزف اليهود عليها لاستدرار العطف عليهم، وقد ردّ هذه الظاهرة نفسياً إلى اللاشعور وذلك لعدة أسباب:

١ ـ غيرة الشعوب الأخرى من اليهود؛ لأنهم أكبر أبناء الله وآثرهم عنده حاشا لله.

٢ ـ تمسّك اليهود بطقس الختان الذي ينبه لدى الشعوب الأخرى خوف الخصاء ويقصد بذلك النصارى لأنهم لا يختتنون.

٣ ـ كراهية الشعوب لليهود هو في الأصل كراهية للنصارى المسيحيين(*)، وذلك عن طريق النقل إذ إن الشعوب التي تُنزِل الاضطهاد النازي باليهود إنما كانت شعوباً وثنية(*) في الأصل، ثم تحولت إلى النصرانية بالقوة الدموية، فصارت هذه الشعوب بعد ذلك حاقدة على النصرانية، لكنها بعد أن توحدت معها نقلت الحقد إلى الأصل الذي تعتمد عليه النصرانية ألا وهو اليهودية.

- يركن إلى إشباع الرغبة الجنسية، وذلك لأن الإنسان صاحب الطاقة الجنسية القوية والذي لا تسمح له النصرانية إلا بزوجة واحدة؛ إما أن يرفض قيود المدنية ويتحرر منها بإشباع رغباته الجنسية، وإما أن يكون ذا طبيعة ضعيفة لا يستطيع الخروج على هذه القيود، فيسقط صاحبها فريسة للمرض النفسي ونهباً للعقد النفسية.

- يقول بأن الامتناع عن الاتصال الجنسي قبل الزواج قد يؤدي إلى تعطيل الغرائز عند الزواج.

- عقد فصلاً عن تحريم العذرة، وقال بأنها تحمل مشكلات وأمراضاً لكلا الطرفين، واستدل على ذلك بأن بعض الأقوام البدائية كانت تقوم بإسناد أمر فض البكارة لشخص آخر غير الزوج، وذلك ضمن احتفال وطقس رسمي.

- لقد برَّر عشق المحارم؛ لأن اليهود أكثر الشعوب ممارسة له بسبب انغلاق مجتمعهم الذي يحرم الزواج على أفراده خارج دائرة اليهود، وهو يرجع هذا التحريم إلى قيود شديدة كانت تغل الروح وتعطلها، وهو بذلك يساعد اليهود أولاً على التحرر من مشاعر الخطيئة، كما يسهل للآخرين اقتحام هذا الباب الخطير بإسقاط كل التحريمات واعتبارها قيوداً وأغلالاً وهمية. وقد استغل اليهود هذه النظرية وقاموا بإنتاج عدد من الأفلام الجنسية الفاضحة التي تعرض نماذج من الزنى بالمحارم.

- لم يعتبر التصعيد أو الإعلاء - كما يسميه - إلا طريقاً ضعيفاً للتخلص من ضغط الدافع الجنسي، إذ إن هذا الطريق لن يتيسر خلال مرحلة الشباب إلا لقلَّة ضئيلة من الناس وفي فترات متقطعة وبأكبر قدر من العنت والمشقَّة، أما الباقون - وهم الغالبية العظمى - فليس أمامهم إلا المرض النفسي يقعون صرعاه. كما أن أصحاب التصعيد هؤلاء إنما هم ضعاف يضيعون في زحمة الجماهير التي تنزع إلى السير بإرادة مسلوبة وراء زعامة الأقوياء.

- في كفاحه ضد القيود، والأوامر العليا الموجهة إلى النفس، صار إلى محاربة الدين(*) واعتباره لوناً من العصاب النفسي الوسواسي.

- تطورت فكرة الألوهية لديه على النحو التالي:

١ - كان الأب هو السيد الذي يملك كل الإناث في القبيلة ويحرمها على ذكورها.

٢ - قام الأبناء بقتل الأب، ثم التهموا جزءاً نيئاً من لحمه للتوحد معه؛ لأنهم يحبونه.

٣ ـ صار هذا الأب موضع تبجيل وتقدير باعتباره أباهم أصلاً.

٤ ـ ومن ثم اختاروا حيواناً مرهوباً لينقلوا إليه هذا التبجيل فكان الحيوان هو الطوطم(*).

٥ ـ الطوطمية أول صورة للدين في التاريخ البشري.

٦ ـ كانت الخطوة الأولى بعد ذلك هي التطوُّر نحو الإله(*) الفرد، فتطورت معها فكرة الموت الذي صار بهذا الاعتبار خطوة إلى حياة أخرى يلقى الإنسان فيها جزاء ما قدم.

٧ ـ الله ـ إذن ـ هو بديل الأب أو بعبارة أصح هو أب عظيم، أو هو صورة الأب كما عرفها المرء في طفولته.

ـ نخلص من هذا إلى أن العقائد الدينية ـ في نظره ـ أوهام لا دليل عليها، فبعضها بعيد عن الاحتمال ولا يتفق مع حقائق الحياة، وهي تقارن بالهذيان، ومعظمها لايمكن التحقق من صحته، ولا بدّ من مجيء اليوم الذي يصغي فيه الإنسان لصوت العقل(*).

ـ حديثه عن الكبت فيه إيحاءات قوية وصارخة بأن الوقاية منه تكمن في الانطلاق والتحرر من كل القيود، كما يحرم الإدانة الخلقية على أي عمل يأتيه المريض، مركِّزاً على الآثار النفسية المترتبة على هذه الإدانة في توريثه العقد المختلفة مما يحرفه عن السلوك السوي.

● مما ساعد على انتشار أفكاره ما يلي:

١ ـ الفكر الدارويني الذي أرجع الإنسان إلى أصول حيوانية مادية.

٢ ـ الاتجاه العقلاني الذي ساد أوربا حينذاك.

٣ ـ الفكر العلماني الذي صبغ الحياة بثورته ضد الكنيسة(*) أولاً وضد المفاهيم الدينية ثانياً.

٤ ـ اليهود الذين قدَّموا فكرة للإنسانية باستخدام مختلف الوسائل الإعلامية بغية نشر الرذيلة والفساد، وتسهيل ذلك على ضمير البشرية ليسهل عليهم قيادة هذه الرعاع من الشعوب اللاهثة وراء الجنس، المتحللة من كل القيود والقيم.

● من أكبر الآثار المدمرة لآراء فرويد، أن الإنسان حين كان يقع في الإثم كان يشعر بالذنب وتأنيب الضمير، فجاء فرويد ليريحه من ذلك، ويوهمه بأنه يقوم بعمل طبيعي لا غبار عليه، وبالتالي فهو ليس بحاجة إلى توبة، وبذلك أضفى على الفساد صفة أخلاقية إذا صح التعبير.

● أَلَّف نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية من أشهرها: **الذات والذات السفلى والطواطم**(*) **والمحرمات وتفسير الأحلام**، وثلاث مقالات في النظرية الحسية والأمراض النفسية المنتشرة في الحياة اليومية. وكلها تدور ـ من زوايا مختلفة ـ حول موضوع واحد مكرر فيها جميعاً هو التفسير الجنسي للسلوك البشري.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد دخل التنويم المغناطيسي إلى حقل العلم والطب على يد مسمر Mesmer ١٧٨٠م إلا أنه قد مزج بكثير من الدجل مما نزع بالأطباء إلى أن ينصرفوا عنه انصرافاً دام حتى أيام مدرستي باريس ونانسي.

● لقد كان الدكتور شاركوت Charcot ١٨٢٥ ـ ١٨٩٣م أبرز شخصيات مدرسة باريس، إذ كان يعالج المصابين بالهستيريا عن طريق التنويم المغناطيسي.

● من تلاميذ شاركوت بيير جانه Pierr Janet الذي اهتم بالأفعال العصبية غير الشعورية والتي سماها الآليات العقلية.

● ساهمت مدرسة نانسي بفرنسا في التنويم المغناطيسي المعتدل، وقالت إنه أمر يمكن أن يحدث لكل الأسوياء، ذلك لأنه ليس إلا حالة انفعال وتلقٍّ منشؤها الإيحاء، وقد استعملته هذه المدرسة في معالجة الحالات العصبية.

● أما فرويد فقد أخذ الأسس النظرية ممن سبقه، وأدخل أفكاره في تحليل التنويم المغناطيسي باستخدام طريقة التداعي الحرّ. لكن لهذا الوجه العلميِّ الظاهر وجه آخر هو التراث اليهودي الذي استوحاه فرويد، واستخلص منه معظم نظرياته التي قدمها للبشرية خدمة لأهداف صهيون.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت هذه الحركة في فيينا، وانتقلت إلى سويسرا، ومن ثم عمت أوربا، وصارت لها مدارس في أمريكا.

● وقد حملت الأيام هذه النظرية إلى العالم كله عن طريق الطلاب الذين يذهبون إلى هناك ويعودون لنشرها في بلادهم.

● تلاقي هذه الحركة اعتراضات قوية من عدد من علماء النفس الغربيين اليوم.

ويتضح مما سبق:

أن الفرويدية تدعو إلى التحرر من كل القيود لأنها تسبب العقد النفسية والاضطرابات العصبية، وبذلك تريد للمجتمع أن يكون بلا دين(*) ولا أخلاق(*) ولا

تقاليد فتتسع هوة الرذيلة والفساد، وتسهل لليهود السيطرة على الشعوب المتحللة خدمة لأهداف الصهيونية. وبطبيعة الحال فإنها تنادي بأن الدين الذي يضع الضوابط لطاقة الجنس لا يستحق الاتباع ولا يستوجب الاحترام.

مراجع للتوسع:

- **علم الأمراض النفسية والعقلية**، تأليف ريتشارد م. سوين - ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٩م.
- **مدارس علم النفس**، تأليف د. فاخر عاقل - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٤ - ١٩٧٩م.
- **التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي**، تأليف د. صبري جرجس - عالم الكتاب - طبعة ١٩٧٠م.
- كتاب **تاريخ حركة التحليل النفسي**، تأليف سيجموند فرويد - طبعة ١٩١٧م.

المراجع الأجنبية:

- Brown, J.A.C. Freud and The Post-Freudians, Penguin Books London 1962.
- Munroe, R.L. Schools of Psycho-analytic Thought, Mutchinson Medical Publications - London 1957.
- Fundametals of Behavior Pathology by Richard M. Suninn - New York 1970.
- Bakan. D. "Sigmund Freud and the Jewish Mystical Tradition". Van Nostrand, New York 1958.
- Encyclopedia Britannica, 1965 edition, Vol 1,2,3,4,9,17,21,24.

١٠٧ ـ الذرائعية (البرجماتية)

التعريف:

الذرائعية مذهب(*) فلسفي اجتماعي، يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية: لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع. وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية مَّا: هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي.

وقد أصبحت الذرائعية طابعاً مميزاً للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

نشأت الذرائعية (البرجماتية) كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين: وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحرّ الذي يقوم على المنافسة الفردية، خير تربة للنمو والازدهار.

ومن أبرز رموز المذهب وأغلبهم من الأمريكيين:

● تشارلس بيرس ١٨٣٩ ـ ١٩١٤م، ويعد مبتكر كلمة البرجماتية في الفلسفة المعاصرة. عمل محاضراً في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثراً بداروين ووصل إلى مثل آرائه.. وكان أثره عميقاً في الفلاسفة الأمريكيين الذين سنذكرهم فيما يلي:

ـ وليم جيمس ١٨٤٢ ـ ١٩١٠م، وهو عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها. كان كتابه الأول: **مبادىء علم النفس** ١٨٩٠م هو الذي أكسبه شهرة واسعة ثم توالت كتبه: **موجز علم النفس** ١٨٩٢م **وإرادة الاعتقاد** ١٨٩٧م **وأنواع التجربة الدينية** ١٩٠٢م **والبراجماتية** ١٩٠٧م **وكون متكثر** ١٩٠٩م يعارض فيه وحدة الوجود. ويؤكد جيمس في كتبه الدينية أن الاعتقاد الديني صحيح؛ لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة.

ـ جون ديوي ١٨٥٦ ـ ١٩٥٢م فيلسوف أمريكي، تأثر بالفلسفة الذرائعية، وكان

له تأثير واسع في المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية، إذ كان يعتقد أن الفلسفة(*) مهمة إنسانية قلباً وقالباً، وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثرها الاجتماعي أو الثقافي.

كتب في فلسفة ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)(*) وفلسفة العلوم والمنطق(*) وعلم النفس وعلم الجمال والدين(*).

وأهم مؤلفاته: **دراسات في النظرية المنطقية** ١٩٠٣م، و**كيف تفكر** ١٩١٠م و**العقل الخالق** ١٩١٧ م و**الطبيعة الإنسانية والسلوك** ١٩٢٢م و**طلب اليقين** ١٩٢٩م.

ـ شيلر ١٨٦٤ ـ ١٩٣٧م، وهو فيلسوف بريطاني، كان صديقاً لوليم جيمس، وتعاطف معه في فلسفة الذرائعية: وقد آثر أن يطلق على آرائه وموقفه: المذهب الإنساني أو المذهب الإرادي(*).

الأفكار والمعتقدات:

من أهم أفكار ومعتقدات المذهب الذرائعي (البرجماتية) ما يلي:

● إن أفكار الإنسان وآراءه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولاً ثم السير نحو السمو والكمال ثانياً.

● إذا تضاربت آراء الإنسان وأفكاره وتعارضت كان أحقها وأصدقها أنفعها وأجداها، والنفع هو الذي تنهض التجربة العملية دليلاً على فائدته.

● إن العقل خُلق أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها، فليست مهمته تفسير عالم الغيب المجهول، بل يجب أن يتوجه للحياة العملية الواقعية.

● الاعتقاد الديني لا يخضع للبيئات العقلية: والتناول التجريبي الوحيد له هو آثاره في حياة الإنسان والمجتمع إذ يؤدي إلى الكمال، بما فيه من تنظيم وحيوية.

● النشاط الإنساني له وجهتان: فهو عقل، وهو إرادة، ونموه كعقل ينتج العلم، وحين يتحقق كإرادة يتجه نحو الدين(*)، فالصلة بين العلم والدين ترد إلى الصلة بين العقل والإرادة.

تقويم الذرائعية:

ـ تعرضت الذرائعية لانتقادات معينة، وعرضت على أنها تبرير لأخلاقيات رجال الأعمال الأمريكيين.

ـ أما عن فكرة الاعتقاد فمن رأي جيمس «أنها مفيدة لأنها صادقة» و«أنها صادقة لأنها مفيدة». وقد أنكر معظم الدارسين هذه المعادلة إذ إن موقف جيمس يسمح

بصدق الفكرة لأنها «مفيدة ونافعة» لشخص ما، ويكذبها لعدم وجودها عند الآخرين.

وهكذا فإن جيمس طرح الحقيقة على أنها لعبة ذاتية للأفكار التي تستهوي الإنسان فائدتها: فيعتقد في صدقها.

- إن الذرائعية اندثرت كحركة فكرية فردية، ولكنها كمجموعة أفكار ما زالت تعمل في الفكر البشري.. ومن أهم آثار هذه الأفكار تفسير الفكر والمعنى على أنهما من أشكال السلوك النائي عند الإنسان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن البرجماتية أو الذرائعية ثورة ضد الفكر النظري البعيد عن الواقع وعن الإنسان خاصة، والذي لا يخدم الإنسان في حياته العملية. أما كلمة (برجماتية) فكانت قليلة الاستعمال في اللغة الإنجليزية ولم تكن تستعمل مطلقاً في سياق الحديث الفلسفي، حتى أدخلها الفيلسوف الأمريكي بيرس عام ١٨٧٨م كقاعدة منطقية: معرفاً البرجماتية بأنها النظرية القائلة: «بأن الفكرة إنما تنحصر فيما نتصوره لها من أثر على مسلك الحياة».

وقد استعار وليم جيمس ورفاقه الذرائعيون هذا المصطلح وأعطوه معاني جديدة وفق ما أوضحناه في أفكار ومعتقدات المذهب. مؤكدين على أن كل شيء حتى الفكر، لا بد أن يفهم في ضوء الغرض الإنساني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تأسس المذهب(*) في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقل إلى أوربا وبريطانيا بشكل خاص.

يتضح مما سبق:

أن الذرائعية أو البراجماتية مذهب فلسفي نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، وأن صدق قضية ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال. وعندما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع والأجدى، والعقل لم يخلق لتفسير الغيب المجهول، ولذا فإن الاعتقاد الديني لا يخضع للبينات العقلية. ولما كان نشاط الإنسان يتمثل في العقل والإرادة، وكان العقل(*) ينتج العلم، وحينما يتحقق العلم كإرادة يتجه نحو الدين(*)، لذا فإن الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة. ومخاطر هذا المذهب الفلسفي على العقيدة واضحة

جلية فهو مذهب يحبذ إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل أو الوحي(*). وقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف أفلست الذرائعية كما أفلست سواها من الفلسفات المادية(*)، وعجزت عن إسعاد الإنسان بعدما أدت إلى تأجيج سعار المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها جميع الأديان السماوية.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه - دار القلم - بيروت.
- **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د. أحمد زكي بدوي - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٢م.
- **تاريخ الفلسفة الحديث**، يوسف كرم - دار المعارف - القاهرة.
- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين وزكي نجيب محمود - مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Philosophy of John Dewey: by P.A Schelop, Chicago 1951.
- The Will to Belive: by W. James Dever New York.
- John Dewey an Intellectual Portriat: by S. Hook Day, New York. 1939.
- History of Philosophy: by F.C. Coplestion, Burns London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding London 1956.

١٠٨ـ الروحية الحديثة[١]

التعريف:

الروحية الحديثة دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة. تدَّعي استحضار أرواح الموتى(*) بأساليب علمية وتهدف إلى التشكيك في الأديان(*) والعقائد، وتبشر بدين جديد وتلبس لكل حالة لباسها. ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالمين العربي والإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لم يعرف لها مؤسس في أوربا وأمريكا، ولكن الدعوة إليها قد نشطت في بداية هذا القرن الميلادي من قبل عدة شخصيات منها:

ـ جان آرثر فندلي وكتابه المشهور: **على حافة العالم الأثيري**.

ـ أدين فردريك باورز وكتابه المشهور: **ظواهر حجرة تحضير الأرواح**.

ـ آرثر كونان دويل في كتابه: **حافة المجهول**.

ـ اليهودي المعروف: **دافيد جيد**.

ـ السيدة وود سمث.

ـ كما ظهرت لها في تلك البلاد عدة مؤسسات مثل: (المعهد الدولي للبحث الروحي) بأمريكا و(جمعية مارلبورن الروحية) بإنجلترا.

● أما في العالم الإسلامي فقد تحمس لها عدة أشخاص وحملوا رايتها منهم:

ـ الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير أمين عام (الجمعية المصرية للبحوث الروحية). وقد أصدر **مجلة عالم الروح**، وهي الناطقة باسم هذه الدعوة الهدامة، وقد بدأ نشاطه منذ سنة ١٩٣٧م وقام بترجمة كتابي فندلي وباورز سابقي الذكر.

ـ الأستاذ وهيب دوس المحامي ت ١٩٥٨م وهو رئيس الجمعية المذكورة.

ـ د. علي عبد الجليل راضي رئيس (جمعية الأهرام الروحية)، له كتاب بعنوان **مشاهداتي في جمعية لندن الروحية**.

ـ حسن عبد الوهاب وكان سكرتيراً للجمعية لفترة ثم اكتشف زيف الروحية الحديثة

---

(١) هناك جماعة من الروحية الحديثة تسعى لتأكيد أهمية الجانب الروحي في الإنسان. وقد نشأت رد فعل لطغيان المادية الحديثة. من أعلامها هنري برجسون.

وأزاح الله عن عينيه غشاوة الضلال واكتشف ما في هذه الدعوة الماكرة من سموم، وثبت له يقيناً الشخصيات التي تحضر في جلسات التحضير، وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب إن هي إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون.

ـ الشاعر اللبناني حليم دموس الذي كان يقدس روحاً نصرانياً اسمه د. داهش ويرفعه إلى مقام النبوة(*) وله مقالات في مجلة **عالم الروح** بعنوان: الرسالة الدهشية. ود. داهش له أتباع في لبنان، وربما خارجه. كما أن له كتابات يمجد فيها الرسول، ﷺ، ويؤمن برسالته الخاتمة. وقد أنكر بعض أتباع د. داهش أن يكون قد ادعى النبوة بمعناها الديني الإسلامي.

الأفكار والمعتقدات:

● يقولون بأنهم يحضرون الأرواح(*) ويستدعون الموتى لاستفتائهم في مشكلات الغيب ومعضلاته والاستعانة بهم في علاج مرضى الأبدان والنفوس والإرشاد عن المجرمين والكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل.

● يزعمون أن هذه الأرواح تساعدهم في كشف الجرائم والدلالة على الآثار القديمة، كما يدعون أنهم يعالجون مرضى النفوس من هذه الأرواح كذلك.

● يدعون أنهم يستطيعون التقاط صور لهذه الأرواح بالأشعة تحت الحمراء.

● يحاولون إضفاء الجانب العلمي على عملهم، وهو في الواقع لا يخرج عن كونه شعوذة وخداعاً وتأثيراً مغناطيسياً على الحاضرين، واتصالاً بالجن.

● يقومون بهذا التحضير في حجرات خاصة شبه مظلمة وفي ضوء أحمر خافت وكل ما يدّعونه من التجسد للأرواح ومخاطبتها لا يراه الحاضرون، وإنما ينقله إليهم الوسيط وهو أهم شخص في العملية.

● «الوسيط» عندهم يرى غير المنظور، ويسمع غير المسموع، ويتلقى الكتابة التلقائية. وله قدرة على التواصل عن بعد (التلباثي)(*).

● لا يثبتون للأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، إلا هذه الوساطة فقط.

● يتحكمون في حضور جلسة التحضير(*) من حيث الكم والنوع، وإذا وجد نساء يكون الجلوس: رجل، امرأة، . . . كما يعزفون الموسيقا أحياناً، وكل هذا لصرف أذهان الحضور عن حقيقة ما يجري، ويزعمون أن لكل جلسة روحاً حارساً يحرسها.

● يعتقدون أن معجزات الأنبياء هي ظواهر روحية كالتي تجري في غرفة تحضير الأرواح(*). ويقولون إن بإمكانهم إعادة معجزات الأنبياء.

● يرفضون الوحي(*) ويقولون إنه ليس في الأديان(*) ما يصح الركون إليه، ويسخرون من المتدينين.

● يقولون بأن إلٰههم أظهر من إلٰه(*) الرسل، وأقل صفات بشرية، وأكثر صفات إلٰهية.

● يلوحون بشعارات براقة كالإنسانية والإخاء والحرية(*) والمساواة للتمويه على السذج والبسطاء.

● كل عملهم منصب على زعزعة العقائد الدينية والمعايير الخلقية.

● يدَّعون أن الأرواح التي تخاطبهم تعيش في هناء وسعادة، على الرغم من أنها كافرة ليهدموا بذلك عقيدة البعث والجزاء، ويقولون إن باب التوبة مفتوح بعد الموت كذلك، وأن الجنة والنار حالة عقلية يجسمها الفكر ويصنعها الخيال.

● عندهم نصوص كثيرة تمجد الشيوعيين والوثنيين(*) والفراعنة والهنود الحمر ويقولون إنهم أقوى الأرواح.

● يبررون الجرائم بأن أصحابها مجبورون عليها، وبالتالي لا يعاقبون.

● يسعون لضمان سيطرة اليهودية على العالم لتقوم دولتهم على أنقاض الخراب الشامل.

● أعلنت مجلة **سينتفك أمريكان** عن جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية، ولكنها لا تزال تنتظر من يفوز بها وكذلك الحال بالنسبة للجائزة التي وضعها الساحر الأمريكي دنجر لنفس الغرض... وهذا من أكبر الأدلة على بطلانها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ثبت أن للروحية اتصالات شخصية وفكرية بالماسونية وشهود يهوه. كما أن نوادي الروتاري تشجع هذه الظاهرة، وتمد لها يد المساعدة، وتتولى ترويجها، كما أنها تأثرت باليهودية في كثير من معتقداتها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لها نفوذ غريب وخاصة في أمريكا وأوربا إذ لا تكاد تخلو مدينة من فرع لهذه الدعوة. وهناك كثير من الصحف والمجلات التي تتكلم باسمها. وفي أمريكا يوجد المركز العالمي للبحوث الروحية، وكذلك في العالم العربي والإسلامي فإن سرعة انتشارها تدعو إلى العجب، وخاصة في مصر حيث توجد لها عدة جمعيات، وهناك عدة مجلات وصحف أخرى تروج لها مثل: مجلة **صباح الخير**، **آخر ساعة**، **المصور**، **المقتطف**، وصحيفة **الأهرام** فضلاً عن مجلة **عالم الروح** الخاصة بها.

ويتضح مما سبق:

على الرغم من التفسيرات المتنوعة التي يتناقلها علماء معاصرون عن الروح فإن أمرها من عالم الغيب كما ذكر القرآن الكريم ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد قام الدكتور عبد الله أليسون (آرثر أليسون رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة سيتي البريطانية) بإجراء تجارب معملية استخدم فيها جهاز «كيربلين» الذي يصور الهالة حول الجسم، فأثبت أن النوم هو الموت والروح تخرج من الجسم في الحالتين غير أنها تعود في حالة النوم. ولا تعود في حالة الموت وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

والذي يدعيه بعض علماء الغرب من تحضير أرواح[*] الموتى كذب وضلال قائم على السحر والشعوذة والاتصال بالجن والشياطين ولم يثبت بأي حال.

مراجع للتوسع:

- **مشاهداتي في جمعية لندن الروحية**، د. علي عبد الجليل راضي.
- **ظواهر حجرة تحضير الأرواح**، ترجمة أحمد فهمي أبو الخير.
- **على حافة العالم الأثيري**، ترجمة أحمد فهمي أبو الخير.
- **حافة المجهول**، آرثر كونان دويل.
- **الروحية الحديثة دعوة هدامة**، د. محمد محمد حسين.
- **المذاهب الفلسفية المعاصرة**، سماح رافع محمد.

الفصل الثاني
من المدارس الأدبية

● مقدمة عامة ● الإسلامية في الأدب ● الكلاسيكية ● الرومانسية ● الرمزية ● الحداثة ● الواقعية ● العدمية ● البرناسية ● الانطباعية ● الوجودية ● التعبيرية ● العبثية ● البنيوية ● السريالية ● الميتافيزيقيا

مقدمة عامة

يزخر العالم الآن بمدارس أدبية متعددة، لكل منها اتجاهاتها المستقلة ومفاهيمها المرتبطة بها، والتي يحاول المنتمون إليها التقيد التام بها، حتى تكون لهم الهوية الذاتية المستقلة، والتي تساعد القارىء والناقد على تحديد ماهية تلك المدرسة أو هذا الاتجاه.

ولا مراء في أن هذه المدارس الأدبية العالمية، قد استطاعت، بطريقة أو بأخرى أن تتسلل إلى معظم الآداب المعاصرة، وقد نقل كثير من المثقفين العرب تلك الاتجاهات إلى بلادهم، فاستعملوا الألفاظ نفسها، ورددوا التصورات نفسها، وتبنوا المفاهيم نفسها، دون بيان للأسس الأخلاقية التي تقوم عليها هذه المدارس.

وهكذا وجد القارىء المسلم نفسه، واقعاً تحت تأثير هذه المدارس، بل إنه ألزم بدراستها في الكليات المعنية بالدراسات الأدبية، وأعد فيها الرسائل العلمية، وبدت فلسفات هذه المدارس كما لو كانت جزءاً لا يتجزأ من طبيعة تكون الشباب المسلم في المجال الأدبي.

ولا شك أن المجال الأدبي مجال مؤثر، لأنه يعكس الاتجاهات الفلسفية والمنطقية والسياسية والاقتصادية، وهو أدنى إلى التحليل النفسي في بعض الفروض، إن لم يكن معظمها، وهو وثيق الصلة بعلم الجمال وعلم الأحياء والعلوم البحتة والتطبيقية والخيال العلمي، لذا كان من اللازم مد القارىء المسلم بفكرة محايدة عن هذه المدارس، يختفي فيها

الحكم عليها غالباً، ويبرز فيها العرض الوصفي للحقائق دائماً، حتى يعي طبيعة التصورات التي تصدر عنها الأعمال الأدبية، ذلك أن الإنتاج الأدبي لم يبق وليد التداعي الحر للخواطر، ولا التحليل المحايد للظواهر، وإنما أصبح ينطوي على محاولات للتوجيه من خلال أفكار كان لا بد لنا أن نضع أهم ملامحها أمام الشباب المسلم في أهم المدارس الأدبية وهي:

ـ الحداثة وتستمد أفكارها من الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية.

ـ والبنيوية وهي منهج فكري وأداة للتحليل تقوم على فكرة الكلية. وتقول إن كل ظاهرة إنسانية لا بد من تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها.

ـ والرمزية التي تعبر عن التجارب الأدبية بواسطة الرمز والإشارة.

ـ والسريالية وهي مذهب(*) أدبي يحاول التحلل من واقع الحياة الواعية.

ـ والتعبيرية وهي مذهب أدبي يعطي فيه الأديب للتجربة بعداً ذاتيًّا ونفسيًّا.

ـ والعبثية وهي مدرسة أدبية تعتبر الإنسان ضائعاً وليس لسلوكه معنى في الحياة.

ـ والانطباعية التي تعتبر الانطباع الشخصي هو الأساس في التعبير الأدبي.

ـ والميتافيزيقية(*) التي تبحث عن الظواهر بطريقة عقلية وتقدم أساليب أدبية من شتات من الأخيلة.

ـ والبرناسية التي تعتبر العمل الأدبي بعامة والشعر بخاصة غاية في ذاته لا وسيلة للتعبير عن الذات.

ـ والعدمية التي تهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود.

ـ والوجودية التي تركز على الوجود الإنساني في العمل الأدبي باعتباره الحقيقة اليقينية الوحيدة.

ـ والرومانسية التي تهتم في العمل الأدبي بإبراز ما تزخر به النفس من عواطف ومشاعر.

ـ والكلاسيكية التي تحاول بلورة المثل الإنسانية في ثنايا الأعمال الأدبية مع توظيف العمل لخدمة الأخلاق والتقاليد والقيم.

ـ والواقعية كمذهب يصور واقع الحياة ويرفض عالم الغيب.

ولما كان القارىء المسلم يستمد تصوراته عن الكون والحياة من عقيدته الإسلامية ومنها التصورات الأدبية، لذا كان لا بد من إعطائه بداءة، فكرة واضحة عن الإسلامية في الأدب، حتى تكون هذه الفكرة بمثابة الضوء الكاشف الذي ينير له الدروب وهو يلج خضم المدارس الأدبية الأخرى بكل تعقيداتها ومنطلقاتها الملحدة غالباً، أو غير الملتزمة بالقيم

الأخلاقية ناهيك عن الدين، في معظم الأحيان.

وهكذا تتناول هذه الموسوعة(*) أولاً: الإسلامية في الأدب ثم تعرض بعد ذلك لأهم المدارس الأدبية العالمية المشار إليها آنفاً، ومن خلالها سيصل القارىء إلى الحقيقة المؤكدة وهي أن أي عمل بلا هدف أخلاقي لا قيمة له، ومن باب أولى فإن أي عمل لا يلتزم بمنهج عقدي لا وزن له.

وبهذه الملامح نقدم للقارىء المسلم من خلال هذه الموسوعة تلك المدارس الأدبية التي أشرنا إليها آنفاً وغيرها، مؤكدين أنه بعد أن تترسخ تلك الحقيقة في ذهن الشباب المسلم، فإنه لا يضيره إطلاقاً أن يأخذ في مدرسته الإسلامية بأي مسلك من مسالك تلك المدارس بعد أن يعزل منها الداء العضال أو السم الزعاف الذي تنطلق منه وتحاول أن تقدمه للقارىء في ثنايا عبارات غير ملتزمة أو أساليب غير مقبولة أو تراكيب غير عفيفة.

١٠٩ـ الإسلامية في الأدب

التعريف:

● الإسلامية (في الأدب) هي انطلاق الأديب في العملية الإبداعية من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده، وتبين إيجابيته عند معالجة قضايا العصر والحياة، التي ينفعل بها الأديب انفعالاً مستمراً، فلا يصدر عنه إلا نتاج أدبي متفق مع أخلاق الإسلام وتصوراته ونظرته الشاملة للكون والحياة والإنسان، في إطار من الوضوح الذي يبلور حقيقة علاقة الإنسان بالأديان(*)، وعلاقته بسائر المخلوقات فرادى وجماعات، وبشكل لا يتصادم مع حقائق الإسلام، ولا يخالفها في أي جزئية من جزئياتها ودقائقها.

● معيار الإسلامية:

ـ ينطوي التعريف المتقدم، على مجموعة معايير متكاملة، يؤدي توافرها إلى صيرورة العمل الأدبي متسماً بالإسلامية، وبعض هذه المعايير موضوعي يتعلق بجوهر العمل وبعضها عضوي أو شكلي يتعلق بإطار التعبير عن العمل، بحيث يتفاعل كل منهما مع الغاية من العمل الأدبي الممثل للإسلامية، وأهم هذه المعايير: الالتزام والمصداقية والوضوح والإيجابية والقدرة والاستمرارية.

١ ـ الالتزام:

ويعني وجوب تقيد الأديب بإشاعة الرؤية العقدية في تيار العمل الأدبي المتدفق خدمة للعقيدة والشريعة(*) والقيم الإسلامية والأخلاق(*) وكليات الإسلام ومقاصده، وأهدافه العامة بشرط ألا يخالف الإحساس الفطري بحقائق الإسلام.

٢ ـ المصداقية:

وتعني قدرة الأديب على إعطاء المتلقي إحساساً صادقاً في أعماله الأدبية كافة بأنها قد صدرت عن تصور إسلامي، ودعوة إلى مكارم الأخلاق، وإشاعة الخير والمعروف، ونأي عن كل ما هو منكر وغير مألوف في الوجدان الإسلامي، فإذا كانت بعض أعمال الأديب فقط هي التي تتسم بالمصداقية الإسلامية، فإن ذلك لا يكفي لرفعه إلى مصاف أنصار الإسلامية.

٣ ـ الوضوح:

الإسلامية جوهر ومظهر، أو مضمون وشكل، لذا يجب أن يكون مضمون العمل وشكله معاً من الوضوح، في الدلالة على الإسلامية، بحيث يتسنى لأي متلقٍ، أن يصنف الأديب، بسهولة، ضمن أنصار الإسلامية، بمجرد اطلاعه على مجمل أعماله.

٤ ـ الإيجابية:

وتعني أنه لا يكفي في الأديب المنتمي إلى الإسلامية، أن يلتزم بالتصور العقدي الإسلامي، ولا يخالفه، بل يجب عليه فضلاً عن ذلك، أن يكون إيجابياً في توجهه، فيقف مع الإسلام، ويدافع عنه، ويتصدى لمناهضيه، فكراً وقولاً وعملاً وسلوكاً، فالإسلامية تستلزم اتخاذ الأديب موقفاً لا تدع ظروف الحال شكاً في دلالته على دفاع صاحبه عن عقيدته في كل الظروف والأحوال.

٥ ـ القدرة:

وتعني قدرة الأديب على إفراغ العمل الأدبي في الإطار الشكلي الذي يخدم الموضوع، ويناسب المضمون، ويشد القارىء ويقنع المتلقي بوجه عام.

٦ ـ الاستمرارية:

وتعني وجوب قيام الأديب المنتمي للإسلامية بتعميق انتمائه باستمرار، فإن أصبح غير قادر على العطاء الإسلامي، فيجب ألا يصدر عنه ما يعارض صراحة أو ضمناً أعماله السابقة التي تتسم بالإسلامية، وقد يكون للاستمرارية معنى أخص، بالنسبة لمن كانوا غير ملتزمين من قبل ثم انتموا للإسلامية، إذ تعني الاستمرارية عدم عودتهم إلى مثل ما كانوا عليه قبل التزامهم، وقد نلمح هذا عند كعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهما من الشعراء المخضرمين(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **كعب بن زهير رضي الله عنه:**

من الممكن توسيع دائرة الإسلامية في الأدب لتبدأ بكعب بن زهير، ذلك أن الإسلامية إطار عام، لا يمكن نسبته إلى شخص بعينه أو زمن بعينه في العالم الإسلامي، وعندما جاهد بعض علماء الإسلام في سبيل تكوين مدرسة للأدب الإسلامي فإنهم في الحقيقة، كانوا يريدون التعبير عن مضمون أعمق من مجرد الإطار الشخصي، هو النزعة الإسلامية في الأدب أو في كلمة واحدة «الإسلامية Islamism»، وهي نزعة يمكن أن نلمحها من لحظة إلقاء رسول(*) الله، ﷺ، بردته على كعب بن زهير عندما أنشده قصيدته اللامية في مدحه،

ﷺ، فسر بالتزامه ومصداقيته، وصحح له الشطرة التي تقول: «مهند من سيوف الهند مسلول» إلى «مهند من سيوف الله مسلول» فهذا شعر له هدف نبيل وغاية شريفة في مجال الدعوة بلا غلوٍ(*) ولا تجاوز، وهي نزعة حبذها الزمخشري في **الكشاف** بعبارات جلية.

● **حسان بن ثابت رضي الله عنه:**

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وكان من الشعراء المخضرمين(*) الذين حضروا الجاهلية(*) والإسلام، وقد أسلم مع السابقين من الخزرجيين، ومنذ شرح الله صدره للإسلام وهو شاعر العقيدة الذي يسجل أحداث المسلمين، ويمجد غزوات الرسول، ويرد على شعراء المشركين بجزالة، قال النثر(*) والنظم في بيان عظمة الإسلام والدعوة إلى التأدب بآدابه والعمل بأحكامه، وقد سفه قريشاً في أشعاره، ونوّه بالقرآن الكريم مصدراً أول للتشريع الإسلامي وأساساً لشريعة الحق ونبي الهدى، وبين بجلاء دور الأدب في بيان حقائق الإسلام، وقال أفضل أشعاره يوم قريظة، وفي غزوة الأحزاب وفي رثائه لنبينا محمد، ﷺ، بين أن قيمة الإسلام تكمن في التوحيد.

● **عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:**

كان أحد شعراء الرسول، ﷺ، الثلاثة الذين نافحوا عن الرسالة، وعلى الرغم من أنه استشهد في السنة الثامنة من الهجرة(*)، وأن ما وصل إلينا من شعره كان قليلاً، إلا أن ما كتبه كان يجسد أهم قيم الإسلام كالشجاعة النابعة من أعماقه، والحب لرسول الله، ﷺ، والحرص على التمسك بالدين والدفاع عنه، وطاعة الله تعالى ورسوله، ﷺ، ولذا فقد كان عبد الله بن رواحة - بحق - رائد شعر الجهاد(*) الإسلامي، تشهد على ذلك أشعاره. يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر: «من اللفتات النبوية الكريمة استمد عبد الله بن رواحة التوجه إلى الطريق الأمثل، الذي يجب أن يسلكه الشعر الإسلامي، والإطار الذي يحسن أن يبرز فيه: صدق في التعبير، وسلامة في المقصد، وعدم الفحش في ذكر المثالب، أو النيل من الأعراض، واعتدال في القول».

● **عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

ربما كان العقاد من أكثر الكتاب التزاماً بالإسلامية في الأدب، في مواجهة تيار التغريب الذي قاده طه حسين، ولذا فإن كلام العقاد له وزنه في هذا الصدد. ومما قاله في عبقرية عمر:

كان عمر بن الخطاب أديباً مؤرخاً فقيهاً (ص ٣٤٤) عظيم الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية، وكان يروي الشعر ويتمثل به، ولم يزل عمر الخليفة هو عمر الأديب طوال حياته، لم ينكر من الشعر إلا ما ينكره المسؤول عن دين(*)، أو القاضي المتحرز الأمين، ولذا فقد نهى عن التشبيب بالمحصنات، ونهى عن الهجاء، وأعجبته الأشعار التي تنطوي على معان سامية، دعا إليها الإسلام، وكان يرى أن للشعر غاية تعليمية تربوية فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري قائلاً: مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب.. وقال لابنه يا بني.. احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك.. فإن من لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترف أدباً.

وفي معايير الإسلامية قال: «ارووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه.. فمحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها».

ومما يؤكد تصور الإسلامية في الأدب عنده رضي الله عنه، أنه عزل النعمان بن عدي عندما تجاوز في شعره غايات الإسلام ومقاصده، بالرغم من أنه كان أحد ولاته، ولم يقبل اعتذاره وتعلله بأنه مجرد شاعر ولم يصنع شيئاً مما رواه في إحدى قصائده المبنية على الغزل الفاحش، كما سجن الحطيئة عندما هجا الزبرقان بن بدر، فلم يكن لمثل عمر أن يفعل غير ذلك فالإسلامية التزام إجباري إن صح التعبير، وإذا كانت الإسلامية التزاما فإنها تستلزم المسؤولية.

● **عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه:**

يعد عمر بن عبد العزيز من أبرز مؤسسي الإسلامية على الإطلاق؛ لأنه لم يكتف بالحديث عن وجوب الالتزام والتقيد التام بالإسلام عند مباشرة المعالجة الأدبية، بل قدم أسلوباً عمليًّا لذلك، في موقف كان يمكن أن يتقبل فيه الناتج الأدبي المنطوي على مدحه، ولكنه قدم درساً تطبيقياً في الحيلولة دون تخطي الأدب غاية الإسلامية، فقد منع الشعراء أن يمدحوه، فلما ألح عليه كثير بن عبد الرحمٰن في إنشاده، وضع معيار الحقيقة كأساس لقبول سماع الإبداع الشعري، فقد قال لكثير: نعم. ولا تقل إلا حقاً.

ومما يؤكد عدم تساهل عمر بن عبد العزيز في التزام الأدب بالأخلاق(*) والأهداف السامية قصته المشهورة مع الشعراء عندما تولى الخلافة(*) ، وقيل له إنهم بالباب يريدون المثول بين يديه. وعندما توسط أحد جلسائه للشعراء وأخبره أن الرسول، ﷺ، قد سمع الشعر وأجاز الشعراء سأل من بالباب من الشعراء، وعندما أخبر بأسمائهم رفضهم واحداً تلو الآخر مع تبيان أسباب الرفض باستشهاد من أشعارهم، ولم يدخل إلا جريراً إذ وجده أقل

المجموعة فحشاً.

● **ابن قتيبة وآخرون:**

فضل ابن قتيبة الشعر الذي ينطوي على فائدة في المعنى، سواء تعلق هذا المعنى بالقيم الدينية أو الخلقية أو الحكم. ومثله كذلك مهلهل بن يموت بن المزرع، وابن وكيع التنيئسي والثعالبي وعمرو بن عبيد، ومسكويه وابن شرف القيرواني، وابن حزم الذي نهى عن الغزل وغالى في وضع القيود على الأدب لتحقيق الإسلامية حسبما تصورها، على الرغم من أنه خرج على ذلك أحياناً كثيرة في طوق الحمامة. ولا شك أن الشعر مجرد فن من فنون الأدب ولكن ضوابطه الإسلامية ومعاييرها بشأنه تصلح لكل فروع الأدب.

● **علي أحمد باكثير:**

يوصف بأنه من طلائع الإسلامية في الأدب في مجال الشعر والقصة والمسرحية، وكان لنشأته وبنائه الفكري واتساع أفقه وتنوع مصادره الثقافية أكبر الأثر في تكوين شخصيته وقلمه، ولذا كتب المسرحية الحديثة عن فهم ووعي، وعن دراسة وتعمق في معرفة أصول الصنعة المسرحية.

ولقد كان الموجه الرئيسي لباكثير في فنه الأدبي هو عقيدته الإسلامية وقيمها وتصوراتها الصائبة للحياة. يقول د. نجيب الكيلاني عن مسرحيته **حبل الغسيل** إنها كانت صرخة شجاعة أدانت فساد المنهج(*) وعفن الإدارة وانحراف المؤسسات الشعبية، حينما استبد الشيوعيون بمقاليد الأمور في مصر في النصف الأول من عقد الستينات، إذ صنعوا من الشعارات واجهة للبلاد، بينما هم يستغلونه وينفذون مخططاً موحى به إليهم من سادتهم خارج البلاد، وفي ذلك إدانة للفكر الماركسي وتجربته المشينة بمصر.

● **مصطفى صادق الرافعي:**

كانت الإسلامية في أدبه تياراً متدفقاً، فقرظ محمود سامي البارودي شعره الملتزم، وأثنى عليه مصطفى لطفي المنفلوطي، وحيَّاه الشيخ محمد عبده قائلاً: «أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل» وقد كان. ففي مؤلفاته وأشعاره ودراساته ونثره كافة، جعل الإسلام غايته وخدمة عقيدة التوحيد مقصده وبغيته. وقد وقف أمام مؤامرات الإنجليز ضد الإسلام ومؤامرات الصهيونية في فلسطين ومؤامرات الذين أرادوا إحياء العامية والقضاء على اللغة العربية، وأبرز قضايا الإسلامية عند الرافعي هي قضية إعجاز القرآن الكريم، وقضية البلاغة النبوية وقضية المقالات(*) الإسلامية.

● **أحمد شوقي :**

كانت الإسلامية واضحة في بعض أشعار أحمد شوقي ، ولم يكن يلتزم في هذه الأشعار بالمقاصد الإسلامية فقط ، بل إنه خاض بعض معارك الدفاع عن المبادئ الإسلامية وقضاياه ، فقد بيَّن أن الحرب في الإسلام لم تكن حرب عدوان وإنما كانت حرب جهاد(*) ودفاع ، وبيَّن أن الإسراء كان بالروح والجسد معاً ، وربط بين المفاهيم الدينية وبين قضايا النضال واليقظة والتحرر ودافع عن الفضائل الإسلامية والحرية(*) والنظام والشورى ، ويمكن القول كذلك إن حافظ إبراهيم على الرغم من ثقافته الأزهرية المتواضعة وأحمد محرم شاعر العروبة والإسلام كانا يستظلان كذلك بظل الإسلامية في أدائهما الملتزم .

● **محمد إقبال :**

وفكرة الإسلامية عند الشاعر محمد إقبال ١٨٧٣م تستلزم توافر ثلاث مراحل : الأولى : الوقوف على المقاصد الشرعية التي بيَّنها الدين(*) الإسلامي ، فهي حقائق أبدية لا تتغير ، والثانية : الجهاد(*) الديني في سبيل تحقيقها كل في مجاله ، وعلى الأديب أن يعتصم في سبيل ذلك بالصبر وهذا يستلزم الانقياد التام لأمر الله تعالى عن عقيدة ثابتة وإيمان راسخ ، ومحاربة نوازع النفس . وثالثها : انطلاق الذوات الإسلامية كلها لتحقيق أهداف الأمة الإسلامية .

● **الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي :**

في ٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (٢٤/ ١١/ ١٩٨٤ م) أعلن الشيخ الأديب والمفكر الداعية أبو الحسن علي الحسني الندوي في لقاء ضم الكثير من مفكري وأدباء العالم الإسلامي عن ولادة رابطة الأدب الإسلامي ، التي أعطت الأدب الإسلامي كياناً متميزاً عن بقية المذاهب الأدبية الأخرى ، على أنه يجب ملاحظة أن مفهوم الإسلامية سبق الإعلان عن الرابطة بسنين طويلة ، فإنا نجد الدعوة للأدب الإسلامي في كتابات الداعية والأديب سيد قطب حينما كان يشرف على باب الأدب في الجريدة التي كان يرأس تحريرها في مصر عام ١٩٥٢ م . ونجدها ، أيضاً في كتابات أخيه محمد قطب عام ١٩٦١ م وخاصة في كتابه **منهج الفن الإسلامي** ، ونجدها أيضاً عند الدكتور نجيب الكيلاني سنة ١٩٦٣ م في كتابه : **الإسلامية والمذاهب الأدبية** ، ونجدها ، أيضاً ، عند الدكتور عماد الدين خليل عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) في كتابه : **النقد الإسلامي المعاصر** وكتابه : **محاولات جديدة في النقد الإسلامي** الذي أصدره عام ١٤٠١ هـ (١٩٨٢م) وفي كتابه : **فن الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق** وفي كتاباته الأدبية التي سبقت نشر هذا الكتاب ومنذ عام ١٩٦١ م في مجلة : **حضارة الإسلام** الدمشقية .

ولذا فإن الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي رئيس جامعة ندوة العلماء في الهند

ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية يعد أحدث دعاة الإسلامية والمؤسسين لها، وإنه وإن كانت الرابطة لم تتشح باسم الإسلامية متخذة اسم الأدب الإسلامي، إلا أن الأمر مجرد اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاحات.

● **الدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا**: ـ رحمه الله ـ.

نائب رئيس الرابطة للبلاد العربية، وكان أستاذاً للأدب والنقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعد من أوائل من نظر للإسلامية ودافع عن الأدب الإسلامي.

● **الدكتور عبد القدوس أبو صالح**:

أستاذ الأدب والنقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ونائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب البلاد العربية.

● **الشيخ محمد الرابع الندوي**:

نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب الهند.

● **الأستاذ محمد حسن بريغش**:

أمين سر الرابطة للبلاد العربية وعضو مجلس الإفتاء في الرابطة.

● **الدكتور عدنان رضا النحوي**:

الشاعر والأديب السعودي وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

● **الأستاذ محمد قطب**:

المفكر والداعية المعروف، والأستاذ في جامعة الملك عبد العزيز وعضو الشرف في الرابطة، فقد تابع جهود شقيقه سيد قطب ـ يرحمه الله ـ في الإسلامية في الأدب.

● **الدكتور عبد الباسط بدر**:

الأستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأمين سر مجلس أمناء الرابطة.

● **الدكتور حسن الأمراني**:

(مغربي): عضو رابطة الأدب الإسلامي ورئيس تحرير مجلة **المشكاة** التي تعنى بالأدب الإسلامي.

● **الدكتور محمد مصطفى هدارة**:

(مصري) عضو الرابطة والأستاذ في جامعة الإسكندرية.. وهو أول من أظهر حقيقة

مذهب(*) الحداثة الفكري والأدبي وأهدافه الهدامة.

● **الدكتور عبد الرحمٰن العشماوي:**

وهو يعد أبرز الأصوات الشابة الملتزمة بالإسلام والمدافعة عن القضايا الإسلامية والتصور الإيماني.

الأفكار والمعتقدات:

● جعل التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة، أهم أركان العمل الأدبي أيًّا كان نوعه.

● الالتزام بالتصور الإسلامي، لا يعني التوجيه القسري على غرار ما يفرضه أصحاب التفسير المادي للتاريخ(*) وإنما هو أخذ النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة في سائر فنون الأدب، وبذا تتميز الإسلامية عن فكرة الالتزام عند كل من الواقعية الاشتراكية(*) والوجودية، فالالتزام عند الأولى هو الالتزام بقضايا الجماهير حسب المفهوم الماركسي المنهار، والالتزام عند الثانية ـ في النثر فقط دون الشعر ـ بقضايا الحرية حسب المفهوم الوجودي فحسب.

● التعبير المؤثر، له أهمية في مجال الأدب ولا يستغنى عنه بحجة سلامة المضمون، وبذلك يتميز الأدب عن الكلام العادي، فذلك مما يحقق غاية الإسلامية.

● وغاية الإسلامية هي وجود أدب هادف، فالأديب المسلم لا يجعل الأدب غاية لذاته كما يدعو أصحاب مذهب: (الفن للفن) وإنما يجعله وسيلة إلى غاية، وهذه الغاية تتمثل في ترسيخ الإيمان بالله عز وجل، وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس.

● حرية التفكير والتعبير من متطلبات الإبداع(*) والصدق الأدبي، وهي وسيلة لإثراء الأدب كما وكيفاً.

● وقد وضع الإسلام حدوداً للحرية(*) في كل مجالاتها، ومنها مجال الأدب إذ إنه لا يعترف بحرية القول التي منحت للأدباء وغيرهم، إذا رأى فيها خطراً يهدد سلامة المجتمع وأمنه العقدي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.

● الأدب طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، وأداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية.

● الإسلامية حقيقة قائمة قديماً وحديثاً، وهي تبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوي، ومعركة شعراء الرسول(*) ﷺ مع كفار قريش، وتمتد إلى عصرنا الحاضر لتسهم في الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمنحرفين عنه.

● الإسلامية هي أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها، وخصائصها هي الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الإسلامية كلها.

● ترفض الإسلامية أي محاولة لقطع الصلة بين الأدب القديم والأدب الحديث بدعوى التطور أو الحداثة أو المعاصرة، وترى أن الأدب الحديث مرتبط بجذوره القديمة.

● ترفض الإسلامية المذاهب(*) الأدبية التي تخالف التصور الإسلامي، والأدبَ العربي المزور، والنقد الأدبي المبني على المجاملة المشبوهة أو الحقد الشخصي، كما ترفض اللغة التي يشوبها الغموض وتكثر فيها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة، وتدعو إلى نقد واضح بناء.

● تستفيد الإسلامية من الأجناس الأدبية جميعها شعراً ونثراً، ولا ترفض أي شكل من أشكال التعبير، وتعنى بالمضمون الذي يحدد طبيعة الشكل الملائم للأداء.

● والإسلامية في الأدب تأبى الانحراف عن القيود الواردة في تعريف الإسلامية، فهي كما يقول أحد الباحثين تأبى، مثلاً، «تأليه الإنسان (كلاسيكيا)، وإغراقه الذاتي الأناني (رومنسيا)، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيًّا)، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجوديًّا)» فليس ثمة عبث وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى (سارتر). وليس ثمة تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهي دائماً بالضياع كما يرى (ديستويفسكي).

● والإسلامية إطار واقعي للعمل الأدبي، فهي ليست مجالاً لتحقيق الخيال الجامح أو التعبير عن شطحات منبتة الصلة بالواقع، وواقع الإسلامية أنها فكرة غائية عقدية، وغايتها ليست تحقيق مصلحة ذاتية أو شخصية كإطار للبراجماتية، وإنما تحقيق مصلحة العقيدة وكل من يتمسك بهذه العقيدة، فالإسلامية إطار للحقيقة لا الزيف، والاستقامة لا الانحراف، ذلك أنها تدور مع وجود المسلم، وللوجود الإنساني غاية إسلامية كبرى هي الكدح والعمل والعبادة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] وهذه الواقعية توجد في القرآن الكريم ذاته، فإحدى معجزاته أنه قدم أمثلة عليا للأداء الفني المتجانس في القصة وغيرها، وما قصة يوسف، عليه الصلاة والسلام، عنا ببعيد.

● والإسلامية ليست قيداً على الإبداع(*). وإنما هي إطار موضوعي وشكلي لتحصين العمل الأدبي من الإسفاف الذي قد يقضي على الأديب، أما التحرر المطلق من كل القيم الذي ينهي وجود الأديب، أو الخروج عن منطق الأدب ذاته، فهذا أمر يفرغ العمل الأدبي من

مضمونه، فمنطق الإسلامية، ينبثق من حضارة إسلامية، تتيح للأديب فرصة التعبير عن كل ما يجول بخاطره، فيطرح المضمون الذي يريد في الشكل الذي يريد طالما كان في إطار التصور الإسلامي.

● وترتيباً على ما تقدم فإن الإسلامية تختلف عن سائر المضمونات الدينية البعيدة عن العقيدة الإسلامية سواء أكانت دينية سماوية أو دينية وضعية، ولذا فإن الانفتاح على الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال وجدان إسلامي راق وحسّ إنساني مرهف، للتخفيف من هموم الإنسان ومعاناته لا دفعه في أتون الصراع اللانهائي بين العبث واللامعقول، والعدمية والوجودية، وغيرها من المذاهب التي لا تروي الظمأ الديني لدى المتلقي ولا تسمو بأحاسيسه ومشاعره، بل تلغي له الزمن في العمل الأدبي، وتفكك له الأحداث، وتلغي له الشخصيات، وتمس جوهر العمل، فمسخ العمل أو تشويهه ليس من طبيعة الإسلامية.

بل إن هذا العمل لا يمكن أن يرتطم بطبائع الأمور، ولا النظرة الإسلامية للكون والحياة والوجود، ومن أجل هذا فإنه، وإن كان لا يجوز دمج الإسلامية في غيرها من المذاهب، إلا أن الإسلامية لا تأبى التعايش مع أي نتاج أدبي عالمي، طالما لم تهدم الحواجز بين الأمرين، فخصوصية الإسلامية أنها وليدة الزمن والمكان، وأنها نسيج لقاء العقيدة بالإنسان، ولذا فإنها عالمية الأثر، كونية الرؤية، شمولية النزعة، توفق بين المنظور الواقعي والغيب اللامرئي، وتوائم بين المادي والروحي، وتجانس بين الثابت والمتغير، ولا يوجد فيها أي تنافٍ لوجود المحدود مع المطلق، ومعالجة الجزئي مع الكلي، طالما أن الهدف الأساسي للإسلامية هو صنع عالم سعيد لبني البشر، يعينهم على تجاوز متاعبهم، ويزيل المتاريس التي تقف أمام انطلاق عقيدتهم. ومن أمثلة هذه المتاريس النتاج الأدبي المتأثر بالنصرانية والذي نجده عند لويس شيخو، وسلامة موسى، وغالي شكري، ولويس عوض، وإيليا حاوي، وخليل حاوي، وسعيد عقل، وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم، وقد تأثر بهم بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وغيرهم.

ـ والإسلامية، بصفتها بنياناً أدبياً عقدياً، تجد في الإسلام مجالاً رحباً، يقدم الأدباء من خلاله فكرهم البناء، وسلوكهم الهادف، وتصورهم الصائب، وقضايا الإنسان التي تحتاج إلى معالجة. والإسلامية تجعل كل هذه الأمور ذات بنيان متجانس السمات، غير متنافر الأهداف والغايات، ولا حجر في أن تكون الإسلامية فكرة عقدية، فليس المطلوب منا أن نذوب في غيرنا، أو أن نكون انعكاساً لحقائق أو أوهام تزرع في غير تربتنا، وحسبنا أن نعود إلى ماضينا لندرك عظمة توجيه الرسول(*)، ﷺ، الشعراء إلى الدفاع عن المجتمع

المسلم والجهاد بالكلمة، ولنعي أن البنية الخلقية الإسلامية.. أحدثت انقلاباً عميقاً في النفوس، ولذا عاشت الإسلامية، وأمكن استخلاصها من بطون الكتب، وكانت توجيهات الخلفاء الراشدين للشعراء بالالتزام بالبنية الأخلاقية الإسلامية، وفي العصر العباسي علت دعوة أبي العتاهية إلى الزهد، وهكذا.

أماكن الانتشار:

أصبح للإسلامية أنصار في جميع أنحاء العالم.. ولها مكتبات في الهند وفي البلاد العربية وعقدت رابطة الأدب الإسلامية العالمية عدة مؤتمرات في الهند وتركيا ومصر، واشترك فيها عدد كبير من أدباء العالم الإسلامي.

ويتضح مما سبق:

أن الإسلامية ذات مدلول شامل في الزمان والمكان، فهي قديمة قدم الدعوة الإسلامية، وممتدة مع الإسلام عبر الأزمان. وهي لا تختص باللسان العربي المسلم دون سواه، بل تتعلق بكل مسلم أياً كان مكان ولادته أو نشأته. والإسلامية ليست حبيسة صفحات الكتاب المتفرغين للأدب والمعنيين به، وإنما توجد في ثنايا كتابة تعرض لأي مسألة، حتى وإن كانت من مسائل العلم في شتى فروعه. ومن هذا المنطلق فإن المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية أو الباكستانية أو الأندونيسية أو التشادية أو السنغالية أو غيرها تعد تجسيداً للإسلامية في الأدب، كما تعد الكتابات العلمية ذات الأسس الجمالية والبنيانات الفنية من هذا القبيل أيضاً، فآداب الشعوب الإسلامية غير العربية هي رافد من روافد الإسلامية مادامت في إطار التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، ولا تعرض ما يرفض الإسلام أو يتعارض مع منهجه الفكري.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، للدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا. طـ. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **منهج الفن الإسلامي**، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

- **في الأدب الإسلامي المعاصر**، محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء.

- **الأدب في خدمة الحياة والعقيدة**، عبد الله حمد العويشق، طـ. كلية اللغة العربية بالرياض، ١٣٨٩هـ/ ١٣٩٠هـ.

- نظرات في الأدب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، محمد الرابع الندوي، مؤسسة الرسالة، ط ١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- أدب الصحوة الإسلامية، واضح الندوي، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- تعريف برابطة الأدب الإسلامي، إصدار الرابطة عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- مجلة المشكاة. العدد ١٣ السنة الرابعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- النقد الأدبي أصوله ومفاهيمه، سيد قطب، دار الشروق، بيروت.
- الإسلامية والمذاهب الأدبية، د. نجيب الكيلاني/ مؤسسة الرسالة ط ٢ (١٤٠١هـ).

١١٠ـ الكلاسيكية

التعريف:

الكلاسيكية مذهب(*) أدبي، ويطلق عليه، أيضاً، «المذهب الاتباعي» أو المدرسي . . وقد كان يقصد به في القرن الثاني الميلادي الكتابة الأرستقراطية(*) الرفيعة الموجهة للصفوة المثقفة الموسرة من المجتمع الأوربي.

أما في عصر النهضة(*) الأوربية، وكذلك في العصر الحديث: فيقصد به كل أدب يبلور المثل الإنسانية المتمثلة في الخير والحق والجمال، «وهي المثل التي لا تتغير باختلاف المكان والزمان والطبقة الاجتماعية»، وهذا المذهب له من الخصائص الجيدة ما يمكنه من البقاء وإثارة اهتمام الأجيال المتعاقبة. ومن خصائصه كذلك عنايته الكبرى بالأسلوب والحرص على فصاحة اللغة وأناقة العبارة ومخاطبة جمهور مثقف غالباً، والتعبير عن العواطف الإنسانية العامة وربط الأدب بالمبادىء الأخلاقية وتوظيفه لخدمة الغايات التعليمية واحترام التقاليد الاجتماعية السائدة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يعد الكاتب اللاتيني أولوس جيليوس هو أول من استعمل لفظ الكلاسيكية على أنه اصطلاح مضاد للكتابة الشعبية، في القرن الثاني الميلادي.

● وتعد مدرسة الإسكندرية القديمة أصدق مثال على الكلاسيكية التقليدية، التي تنحصر في تقليد وبلورة ما أنجزه القدماء وخاصة الإغريق دون محاولة الابتكار والإبداع(*).

● وأول من طور الكلاسيكية الكاتب الإيطالي بوكاتشيو ١٣١٣ ـ ١٣٧٥م فألغى الهوة بين الكتابة الأرستقراطية والكتابة الشعبية، وتعود له أصول اللغة الإيطالية المعاصرة.

● كما أن رائد المدرسة الإنجليزية شكسبير ١٥٦٤ ـ ١٦١٦م طور الكلاسيكية في عصره، ووجه الأذهان إلى الأدب الإيطالي في العصور الوسطى ومطالع عصر النهضة(*).

● أما المذهب الكلاسيكي الحديث في الغرب، فإن المدرسة الفرنسية هي التي أسسته على يد الناقد الفرنسي نيكولا بوالو ١٦٣٦ ـ ١٧١١م في كتابه الشهير فن الأدب الذي ألفه عام ١٦٧٤م. إذ قنن قواعد الكلاسيكية وأبرزها للوجود من جديد، ولذا يعد مُنظر المذهب(*) الكلاسيكي الفرنسي الذي يحظى باعتراف الجميع.

● ومن أبرز شخصيات المذهب الكلاسيكي في أوربا بعد بوالو:

- الشاعر الإنجليزي جون أولدهام ١٦٥٣ - ١٧٧٣م وهو ناقد أدبي ومن المؤيدين للكلاسيكية.

- الناقد الألماني جوتشهيد ١٧٠٠ - ١٧٦٦م الذي ألف كتاب **فن الشعر ونقده**.

- الأديب الفرنسي راسين ١٦٣٩ - ١٦٩٩م وأشهر مسرحياته **فيدرا والإسكندر**.

- والأديب كورني ١٦٠٦ - ١٧٨٤م وأشهر مسرحياته **السيد - أوديب**.

- الأديب موليير ١٦٢٢ - ١٦٧٣م وأشهر مسرحياته **البخيل - طرطوف**.

- والأديب لافونتين ١٦٢١ - ١٦٩٥م الذي اشتهر بالقصص الشعرية وقد تأثر به أحمد شوقي في مسرحياته.

الأفكار والمعتقدات:

● يقوم المذهب الكلاسيكي الحديث، الذي أنشأته المدرسة الفرنسية مؤسسة المذهب على الأفكار والمبادىء التالية:

- تقليد الأدب اليوناني والروماني في تطبيق القواعد الأدبية والنقدية وخاصة القواعد الأرسطية في الكتابين الشهيرين: **فن الشعر** و**فن الخطابة** لأرسطو.

- العقل(*) هو الأساس والمعيار لفلسفة الجمال في الأدب، وهو الذي يحدد الرسالة الاجتماعية للأديب والشاعر، وهو الذي يوحد بين المتعة والمنفعة.

- الأدب للصفوة المثقفة الموسرة وليس لسواد الشعب، لأن أهل هذه الصفوة هم أعرف بالفن والجمال، فالجمال الشعري خاصة لا تراه كل العيون.

- الاهتمام بالشكل وبالأسلوب وما يتبعه من فصاحة وجمال وتعبير.

- تكمن قيمة العمل الأدبي في تحليله للنفس البشرية والكشف عن أسرارها بأسلوب بارع ودقيق وموضوعي، بصرف النظر عما في هذه النفس من خير أو شر.

- غاية الأدب هو الفائدة الخلقية من خلال المتعة الفنية، وهذا يتطلب التعلم والصنعة، ويعتمد عليها أكثر مما يعتمد على الإلهام والموهبة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ارتبط المذهب(*) الكلاسيكي بالنظرة اليونانية الوثنية، وحمل كل تصوراتها وأفكارها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها.

● والأدب اليوناني ارتبط بالوثنية(*) في جميع الأجناس الأدبية من نقد أدبي وأسطورة إلى شعر ومسرح.

● ثم جاء الرومان واقتبسوا جميع القيم الأدبية اليونانية وما تحويه من عقائد وأفكار وثنية.

● وجاءت النصرانية وحاربت هذه القيم باعتبارها قيماً وثنية، وحاولت أن تصبغ الأدب في عصرها بالطابع النصراني، وتستمد قيمها من الإنجيل(*) إلا أنها فشلت، وذلك لقوة الأصول اليونانية وبسبب التحريف الذي أصابها.

● وبعد القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت في إيطاليا بداية حركة إحياء للآداب اليونانية القديمة، وذلك بعد اطلاع النقاد والأدباء على كتب أرسطو في أصولها اليونانية وترجماتها العربية، التي نقلت عن طريق الأندلس وصقلية وبلاد الشام بعد الحروب الصليبية.

● وازدهر المذهب الكلاسيكي في الأدب والنقد بعد القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

الكلاسيكية الحديثة:

تطورت الكلاسيكية في الوقت الحاضر إلى ما أطلق عليه النقاد (النيوكلاسيكية) أو الكلاسيكية الحديثة، والتي حاولت أن تنظر إلى الأمور نظرة تجمع بين الموضوعية الجامدة للكلاسيكية القديمة والذاتية المتطرفة للرومانسية الجديدة. وقد بدأت هذه المدرسة في الظهور على يد كل من ت. س. إليوت الكاتب والأديب الأمريكي، وأ. أ. ريتشاردز وغيرهما من النقاد المعاصرين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تعد فرنسا البلد الأم لأكثر المذاهب الأدبية والفكرية في أوربا، ومنها المذهب الكلاسيكي، وفرنسا ـ كما رأينا ـ هي التي قننت المذهب ووضعت له الأسس والقواعد النابعة من الأصول اليونانية.

● ثم انتشر المذهب(*) في إيطاليا وبريطانيا وألمانيا.. على يد كبار الأدباء مثل بوكاتشيو وشكسبير.

ويتضح مما سبق:

أن الكلاسيكية مذهب أدبي يقول عنه أتباعه إنه يبلور المثل الإنسانية الثابتة كالحق والخير والجمال، ويهدف إلى العناية بأسلوب الكتابة وفصاحة اللغة وربط الأدب بالمبادىء الأخلاقية، ويعد شكسبير رائد المدرسة الكلاسيكية في عصره، ولكن المذهب الكلاسيكي الحديث ينسب إلى المدرسة الفرنسية، إذ تبناه الناقد الفرنسي نيكولا بوالو ١٦٣٦ ـ ١٧١١م في كتابه الشهير **علم الأدب**. ويقوم المذهب الكلاسيكي الحديث على أفكار مهمة منها، تقليد الأدب اليوناني والروماني من بعض الاتجاهات، واعتبار العقل(*) هو الأساس

والمعيار لفلسفة الجمال في الأدب، فضلاً عن جعل الأدب للصفوة المثقفة الموسرة وليس لسواد الشعب، مع الاهتمام بالشكل والأسلوب وما يستتبع ذلك من جمال التعبير، على نحو تتحقق معه فكرة تحليل النفس البشرية والكشف عن أسرارها بأسلوب بارع ودقيق وموضوعي.

● ومن أهم الجوانب التي تستحق التعليق في الكلاسيكية أنها تعلي من قدر الأدبين اليوناني والروماني مع ارتباطهما بالتصورات الوثنية، وعلى الرغم مما فيهما من تصوير بارع للعواطف الإنسانية فإن اهتماماتهما توجه بالدرجة الأولى إلى الطبقات العليا من المجتمع، وربما استتبع ذلك الانصراف عن الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية والسياسية.

مراجع للتوسع:

- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا.
- مذاهب الأدب الغربي، د. عبد الباسط بدر.
- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال - دار العودة - بيروت.
- المدخل إلى النقد الحديث، د. محمد غنيمي هلال - دار العودة - بيروت.
- المذاهب الأدبية، د. جميل نصيف التكريتي - دار الشؤون الثقافية العامة.
- مقالات عن شعر الكلاسيكية والرومانتيكية والبرناسية في: **المجلة** أعداد يوليو وأغسطس وسبتمبر ١٩٥٩م.

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre Litterature Etudiée dans le Texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise paris 1916.
- De Segur (Nicola): Histoire de la littrature Européenne 1959.

١١١ـ الرومانسية

التعريف:

● الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب(*) أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة، أياً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً، مع فصل الأدب عن الأخلاق(*). ولذا يتصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير، وإطلاق النفس على سجيتها، والاستجابة لأهوائها. وهو مذهب متحرر من قيود العقل(*) والواقعية اللذين نجدهما لدى المذهب الكلاسيكي الأدبي، وقد زخرت بتيارات لا دينية وغير أخلاقية.

ـ ويحتوي هذا المذهب على جميع تيارات الفكر التي سادت في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر.

ـ والرومانسية أصل كلمتها من: رومانس Romance باللغة الإنجليزية ومعناها قصة أو رواية تتضمن مغامرات عاطفية وخيالية، ولا تخضع للرغبة العقلية المتجردة، ولا تعتمد الأسلوب الكلاسيكي المتأنق، وتعظم الخيال المجنح، وتسعى للانطلاق والهروب من الواقع المرير، ولهذا يقول بول فاليري: «لا بد أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانسية».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بدأت الرومانسية في فرنسا عندما قدّم الباحث الفرنسي عام ١٧٧٦م ترجمة لمسرحيات شكسبير إلى الفرنسية، واستخدم الرومانسية كمصطلح في النقد الأدبي.

● ويعد الناقد الألماني فريدريك شليجل أول من وضع الرومانسية كنقيض للكلاسيكية.

● ثم تبلورت الرومانسية مذهباً أدبياً، وبدأ الناس يدركون معناها الحقيقي التجديدي وثورتها ضد الكلاسيكية.

● وترجع الرومانسية الإنجليزية إلى عام ١٧١١م، ولكن على شكل فلسفة فكرية.. ونضجت الرومانسية الإنجليزية على يد توماس جراي ووليام بليك.

● ولا شك أن الثورة(*) الفرنسية ١٧٨٩م هي أحد العوامل الكبرى التي كانت باعثاً ونتيجة في آن واحد للفكر الرومانسي المتحرر والمتمرد على أوضاع كثيرة،

أهمها الكنيسة(*) وسطوتها والواقع الفرنسي وما فيه.

● وفي إيطاليا ارتبط الأدب بالسياسة عام ١٨١٥م وأصبح الاصطلاح الرومانسي في الأدب يعني ليبراليا (أي: حراً أو حرية) في السياسة.

● **ومن أبرز المفكرين والأدباء الذين اعتنقوا الرومانسية:**

ـ المفكر والأديب الفرنسي جان جاك روسو ١٧١٢ ـ ١٧٨٨م ويعد رائد الرومانسية الحديثة.

ـ الكاتب الفرنسي شاتو بريان ١٧٦٨ ـ ١٨٤٨م ويعد من رواد المذهب الذين ثاروا على الأدب اليوناني القائم على تعدد الآلهة.

ـ مجموعة من الشعراء الإنجليز، امتازوا بالعاطفة الجياشة والذاتية والغموض، على الرغم من أنهم تغنوا بجمال الطبيعة وهم: توماس جراي ١٧١٦ ـ ١٧٧١م ووليم بليك ١٧٥٧ ـ ١٨٢٧م وشيلي ١٧٦٢ ـ ١٨٢٢م كيتس ١٧٩٥ ـ ١٨٢١م وبايرون ١٧٨٨ ـ ١٨٢٤م.

ـ الشاعر الألماني جيته ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م مؤلف **رواية آلام فرتر** عام ١٧٨٢م و**فاوست** التي تظهر الصراع بين الإنسان والشيطان.

ـ الشاعر الألماني شيلر ١٧٥٩ ـ ١٨٠٥م ويعد، أيضاً، من رواد المذهب(*).

ـ الشاعر الفرنسي بودلير ١٨٢١ ـ ١٨٦٧م الذي اتخذ المذهب الرومانسي في عصره شكل الإلحاد(*) بالدين(*).

الأفكار والمعتقدات:

● لقد كانت الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية، وهذا ما نراه واضحاً من خلال أفكارها ومبادئها وأساليبها التي قد لا تكون واحدة عند جميع الرومانسيين، ويمكن إجمال هذه الأفكار والمبادىء فيما يلي:

ـ الذاتية أو الفردية: وتعد من أهم مبادىء الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل، وأحياناً الثورة على المجتمع. فضلاً عن التحرر من قيود العقل والواقعية والتحليق في رحاب الخيال والصور والأحلام.

ـ التركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي، لذلك لا تهتم الرومانسية بالأسلوب المتأنق، والألفاظ اللغوية القوية الجزلة.

تنزع بشدة إلى الثورة وتتعلق بالمطلق واللامحدود.

ـ الحرية الفردية أمر مقدس لدى الرومانسية، لذلك نجد من الرومانسيين من هو

شديد التدين مثل: شاتوبريان، ونجد منهم شديد الإلحاد مثل شيلي. ولكن معظمهم يتعالى على الأديان والمعتقدات والشرائع التي يعدها قيوداً.

ـ الاهتمام بالطبيعة(*)، والدعوة إلى الرجوع إليها إذ فيها الصفاء والفطرة السليمة، وإليها دعا روسو.

ـ فصل الأدب عن الأخلاق، فليس من الضروري أن يكون الأديب الفذ فذ الخلق. ولا أن يكون الأدب الرائع خاضعاً للقوانين الخلقية.

ـ الإبداع(*) والابتكار القائمان على إظهار أسرار الحياة من صميم عمل الأديب، وذلك خلافاً لما ذهب إليه أرسطو من أن عمل الأديب محاكاة الحياة وتصويرها.

ـ الاهتمام بالمسرح؛ لأنه هو الذي يطلق الأخيلة المثيرة التي تؤدي إلى جيشان العاطفة وهيجانها.

ـ الاهتمام بالآداب الشعبية والقومية، والاهتمام باللون المحلي الذي يطبع الأديب بطابعه، وخاصة في الأعمال القصصية والمسرحية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تعد الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية المتشددة في قواعدها العقلية والأدبية، وكذلك ثورة ضد العقائد اليونانية المبنية على تعدد الآلهة(*).. ومن جذور هذه الثورة ظهور التيارات الفلسفية التي تدعو إلى التحرر من القيود العقلية والدينية والاجتماعية. فضلاً عن اضطراب الأحوال السياسية في أوربا بعد الثورة(*) الفرنسية الداعية إلى الحرية(*) والمساواة وما يتبع ذلك من صراع على المستعمرات، وحروب داخلية.. كل هذه الأمور تركت الإنسان الأوربي قلقاً حزيناً متشائماً، فانتشر فيه، مرض العصر، وهو الإحساس بالكآبة والإحباط ومحاولة الهروب من الواقع، وكان من نتيجة ذلك ظهور اتجاهات متعددة في الرومانسية، إذ توغلت في العقيدة والأخلاق(*) والفلسفة(*) والتاريخ والفنون الجميلة.

ـ ودخلت الرومانسية في الفلسفة وتجلت في نظرية الإنسان الأعلى (السوبرمان) عند نيتشه ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م ونظرية الوثبة الحيوية عند برجسون ١٨٥٩ ـ ١٩٤١م.

● **الرومانسية الجديدة:**

● انحسرت الرومانسية في مطلع القرن العشرين عندما أعلن النقاد الفرنسيون هجومهم عليها ـ وذلك لأنها تسلب الإنسان عقله ومنطقه ـ وهاجموا روسو الذي نادى بالعودة إلى الطبيعة(*). وقالوا: لا خير في عاطفة وخيال لا يحكمهما العقل(*) المفكر

والذكاء الإنساني والحكمة الواعية والإرادة المدركة.

وكان من نتيجة ذلك نشوء الرومانسية الجديدة ودعوتها إلى الربط بين العاطفة التلقائية والإرادة الواعية في وحدة فكرية وعاطفية، ومن ثم نشأت الرومانسية الجديدة حاملة معها أكثر المعتقدات القديمة للرومانسية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تعد فرنسا موطن المذهب(*) الرومانسي، ومنها انتقل إلى ألمانيا ومنها إلى إنجلترا وإيطاليا.

ويتضح مما سبق:

أن الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب أدبي يقول أنصاره إنه يهدف إلى سبر أغوار النفس البشرية واستظهار ما تزخر به من عواطف ومشاعر وأحاسيس وأخيلة، للتعبير من خلال الذاتية عن عواطف الحزن والأسى والكآبة والألم والأمل، ومن خلال العفوية الخالية من تأنق الأسلوب وجزالة اللفظ ودقة التراكيب اللغوية، مع الاهتمام بالطبيعة وضرورة الرجوع إليها، وفصل الأخلاق(*) عن الأدب، والاهتمام بالآداب الشعبية.

وقد اعتنق كثير من الحداثيين الرومانسية، بل عدها بعضهم أحد اتجاهات الحداثة.

● **تعقيب:**

ومن وجهة النظر الإسلامية فإن أي تيار أدبي لا بد أن يكون ملتزماً بالدين(*) والأخلاق بصفتها جزءاً من العقيدة، وإذا كانت ملازمة الحزن والتعبير عنه لها سلبيات كثيرة، فإن الإسلام يتطلب من معتنقيه مواجهة الظروف التي يتعرضون لها بشجاعة والتسليم بقضاء الله وتلمس الأسباب للخروج من الأزمات، دون يأس أو إحباط، وكل إنسان مسؤول عن تصرفاته ومحاسب عليها بين يدي الله، طالما كان يملك أهلية التصرف، أما المكره فهو معذور وتسقط عنه الأوزار فيما يرتكبه قسراً، ولكنه لا يعذر في التعبير الحر عما ينافي العقيدة ويتعارض معها.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا ـ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر/ نشر دار الشعاع ـ الكويت.

ـ المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
ـ الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال ـ دار العودة ـ بيروت.
ـ المدخل إلى النقد الحديث، د. محمد غنيمي هلال ـ القاهرة: ١٩٥٩ م.
ـ الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال ـ القاهرة: ١٩٥٥م.
ـ الأدب المقارن، ماريوس فرنسوا غويار ـ (سلسلة زدني علماً).
ـ المذاهب الأدبية الكبرى، فيليب فان تيغيمة (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre Litterature Etudiée dans le Texte. paris 1949.
- Lanson: Histoire de la Litterature Francaise. Paris. 1960.
- De Segur (Nicola): Histoire de la Litterature Europieénne, Paris, 1959.

١١٢ - الرمزية

التعريف:

● الرمزية مذهب(*) أدبي فلسفي ملحد، يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة أو التلميح.

- والرمز معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها أو لا يراد التعبير عنها مباشرة.

- ولا تخلو الرمزية من مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها؛ متسترة بالرمز والإشارة.

- وتعد الرمزية الأساس المؤثر في مذهب الحداثة الفكري والأدبي الذي خلفه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● على الرغم من أن استعمال الرمز قديم جداً، كما هو عند الفراعنة واليونانيين القدماء، إلا أن المذهب الرمزي بخصائصه المتميزة لم يعرف إلا عام ١٨٨٦م، إذ أصدر عشرون كاتباً فرنسيًّا بياناً نشر في إحدى الصحف يعلن ميلاد المذهب الرمزي، وعرف هؤلاء الكتّاب حتى مطلع القرن العشرين بالأدباء الغامضين. وقد جاء في البيان: إن هدفهم «تقديم نوع من التجربة الأدبية تستخدم فيها الكلمات لاستحضار حالات وجدانية، سواء كانت شعورية أو لا شعورية، بصرف النظر عن الماديات المحسوسة التي ترمز إلى هذه الكلمات، وبصرف النظر عن المحتوى العقلي الذي تتضمنه، لأن التجربة الأدبية تجربة وجدانية في المقام الأول».

● **ومن أبرز الشخصيات في المذهب الرمزي في فرنسا وهي مسقط رأس الرمزية:**

- الأديب الفرنسي بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م وتلميذه رامبو.
- وما لا راميه ١٨٤٢ - ١٨٩٨م ويعد من رموز مذهب الحداثة، أيضاً.
- بول فاليري ١٨٧١ - ١٩٤٥م.
- وفي ألمانيا ر. م. ريلكه وستيفان جورج.
- وفي أمريكا يمي لويل.
- وفي بريطانيا: أوسكار وايلد.

الأفكار والمعتقدات:

من الأفكار والآراء التي تضمنتها الرمزية:

● الابتعاد عن عالم الواقع وما فيه من مشكلات اجتماعية وسياسية، والجنوح إلى عالم الخيال بحيث يكون الرمز هو المعبر عن المعاني العقلية والمشاعر العاطفية.

● البحث عن عالم مثالي مجهول يسد الفراغ الروحي، ويعوضهم عن غياب العقيدة الدينية، وقد وجد الرمزيون ضالتهم في عالم اللاشعور والأشباح والأرواح.

● اتخاذ أساليب تعبيرية جديدة واستخدام ألفاظ موحية، تعبر عن أجواء روحية، مثل لفظ الغروب الذي يوحي بمصرع الشمس الدامي والشعور بزوال أمر ما، والإحساس بالانقباض. وكذلك تعمد الرمزية إلى تقريب الصفات المتباعدة رغبة في الإيحاء مثل تعبيرات: الكون المقمر، الضوء الباكي، الشمس المرة المذاق.. إلخ.

● تحرير الشعر من الأوزان التقليدية، فقد دعا الرمزيون إلى الشعر المطلق مع التزام القافية أو الشعر الحر وذلك لتساير الموسيقى فيه دفعات الشعور.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد انبثقت الرمزية عن نظرية المثل لدى أفلاطون، وهي نظرية تقوم على إنكار الحقائق الملموسة، وتعبر النظرية عن حقائق مثالية، وتقول: إن عقل(*) الإنسان الظاهر الواعي عقل محدود، وإن الإنسان يملك عقلاً غير واعٍ أرحب من ذلك العقل.

● وفي أواخر القرن التاسع عشر تجمعت عوامل عقدية واجتماعية وثقافية لولادة الرمزية على يد: بودلير وغيره من الأدباء:

ـ **العوامل العقدية**: وتتمثل في انغماس الإنسان الغربي في المادية(*) التي زرعتها الفلسفة(*) الوضعية، ونسيان كيانه الروحي، وقد فشلت المادية والإلحاد(*) في ملء الفراغ الذي تركه عدم الإيمان بالله.

ـ **العوامل الاجتماعية**: وتتمثل في الصراع الاجتماعي الحاد بين ما يريده بعض الأدباء والمفكرين من حرية مطلقة وإباحية أخلاقية، وبين ما يمارسه المجتمع من ضغط وكبح لجماحهم، مما زاد تأثرهم بنظرية المثل الأفلاطونية وكتابات الكاتب الأمريكي إدجار آلان بو ـ الخيالية المتميزة.

ـ **العوامل الفنية**: وذلك باعتقادهم أن اللغة عاجزة عن التعبير عن تجربتهم الشعورية العميقة، فلم يبق إلا الرمز ليعبر فيه الأديب عن مكنونات صدره.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الرمزية في فرنسا حيث ولدت أكثر المذاهب(*) الأدبية والفكرية، ثم انتشرت في أوربا وأمريكا.

● ويكاد يكون هذا المذهب نتيجة من نتائج تمزق الإنسان الأوروبي وضياعه؛ بسبب طغيان النزعة المادية وغيبة الحقيقة، والتعلق بالعقل البشري وحده للوصول إليها، من خلال علوم توهم بالخلاص عند السير في دروب الجمال، ولا شك أن الرمزية ثمرة من ثمرات الفراغ الروحي والهروب من مواجهة المشكلات باستخدام الرمز في التعبير عنها.

ويتضح مما سبق:

أن الرمزية مذهب أدبي يتحلل من القيم الدينية، ويعبر عن التجارب الأدبية الفلسفية من خلال الرمز والتلميح، نأياً عن عالم الواقع وجنوحاً إلى عالم الخيال، وبحثاً عن مثالية مجهولة تعوض الشباب عن غياب العقيدة الدينية، وذلك باستخدام الأساليب التعبيرية الجديدة، والألفاظ الموحية، وتحرير الشعر من جميع قيود الوزن التقليدية. ولا شك في خطورة هذا المذهب على الشباب المسلم إن درسه دون أن يكون ملما سلفاً بأسسه المتقدمة والتي تهدر القيم الدينية.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر، نشر دار الشعاع ـ الكويت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب.
- مقالة: «**الحداثة في الأدب العربي المعاصر هل انفض سامرها**»، للدكتور محمد مصطفى هدارة ـ **مجلة الحرس الوطني** عدد ربيع الآخرة ١٤١٠ هـ.
- **الأدب الرمزي**، تأليف هنري بير ـ ترجمة هنري زغيب.
- **السريالية**، إيف دوليس (سلسلة زدني علماً).
- **الأدب المقارن**، مايوس فرانسوا غويار (سلسلة زدني علماً).
- **المعجم الأدبي**، جبور عبد النور ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

المراجع الأجنبية:

- Clourad (H): Histoire de la litterature Francaise du symbolisme a nor jours. Paris 1944 - 1949.
- Cazamian (L): Symbolisme et Poesie. L'Exemple anglais. Paris 1947.
- G. Kahon: ler originer du symbolisme, Paris, 1936.
- De Segur: Historire de la litterature Europieénne, paris 1959.
- P. Mortino, Parnasse et. Symbolisme, Paris, 1947.
- Lanson: Histoire de la litterature Europieénne, paris 1960.
- Stphane Mallarme, Qeurres Completer, Paris. Ed. de la pleiade. 1951.
- Guy Michaud Message Poetique du symbolisme paris 1947.
- Enqete de jules Huret, in Mallarme et le - Symbolisme, classiquer Larousse 1972.

١١٣ـ الحداثة

التعريف:

● الحداثة مذهب(*) فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها.

● وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين(*)، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بحجة أنها قديمة وموروثة؛ لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية(*)، والنفاذ إلى أعماق الحياة. والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوربا كالمستقبلية والوجودية والسريالية، وهي من هذه الناحية شر؛ لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل(*)، وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني، وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوربي ولظهور الشك(*) والقلق في حياة الناس، مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بدأ مذهب الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضويين والعبثيين، ولقي استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربي.

● ومن أبرز رموز مذهب(*) **الحداثة من الغربيين:**

ـ شارل بودلير ١٨٢١ ـ ١٨٦٧م وهو أديب فرنسي، أيضاً، نادى بالفوضى الجنسية والفكرية والأخلاقية، ووصفها بالسادية، أي مذهب التلذذ بتعذيب الآخرين. له ديوان شعر باسم **أزهار الشر** مترجم للعربية من قبل الشاعر إبراهيم ناجي، ويعد شارل بودلير مؤسس الحداثة في العالم الغربي.

ـ الأديب الفرنسي غوستاف فلوبير ١٨٢١ ـ ١٨٨٠م.

ـ مالا راميه ١٨٤٢ـ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي ويعد، أيضاً، من رموز المذهب الرمزي.

ـ الأديب الروسي مايكوفسكي، الذي نادى بنبذ الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

● **ومن رموز مذهب(*) الحداثة في البلاد العربية:**

ـ يوسف الخال ـ الشاعر النصراني، وهو سوري الأصل، رئيس تحرير **مجلة شعر** الحداثية. وقد مات منتحراً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.

ـ أدونيس (علي أحمد سعيد) نصيري سوري، ويعد المُرَوِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية، وقد هاجم التاريخ الإسلامي، والدين(*) والأخلاق(*) في رسالته الجامعية التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة «القديس يوسف» في لبنان وهي بعنوان **الثابت والمتحول**، ودعا بصراحة إلى محاربة الله عز وجل. وسبب شهرته فساد الإعلام بتسليط الأضواء على كل غريب.

ـ د. عبد العزيز المقالح ـ وهو كاتب وشاعر يماني، وهو الآن مدير لجامعة صنعاء وذو فكر يساري.

ـ عبد الله العروي ـ ماركسي مغربي.

ـ محمد عابد الجابري مغربي.

ـ الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.

ـ الشاعر الفلسطيني محمود درويش ـ عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء إقامته بفلسطين المحتلة، وهو الآن يعيش خارج فلسطين.

ـ كاتب ياسين ماركسي جزائري.

ـ محمد أركون جزائري يعيش في فرنسا.

ـ الشاعر المصري صلاح عبد الصبور ـ مؤلف مسرحية **الحلاج**.

الأفكار والمعتقدات:

● نجمل أفكار ومعتقدات مذهب الحداثة كما هي عند روادها ورموزها، وذلك من خلال كتاباتهم وشعرهم فيما يلي:

ـ رفض مصادر الدين(*)، الكتاب والسنة والإجماع(*)، وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً.

ـ رفض الشريعة(*) وأحكامها كموجه للحياة البشرية.

ـ الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثية.

ـ الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.

ـ الثورة(*) على الأنظمة السياسية الحاكمة، لأنها في منظورها رجعية متخلفة أي غير حداثية، وربما استثنوا الحكم البعثي.

ـ تبني أفكار ماركس المادية(*) الملحدة، ونظريات فرويد في النفس الإنسانية وأوهامه، ونظريات داروِن في أصل الأنواع وأفكار نيتشه، وهلوسته، والتي سموها فلسفة، في الإنسان الأعلى (السوبرمان).

ـ تحطيم الأطر التقليدية والشخصية الفردية، وتبني رغبات الإنسان الفوضوية والغريزية.

ـ الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية، حتى الاقتصادية والسياسية.

ـ رفض كل ما يمت إلى المنطق والعقل.

ـ اللغة ـ في رأيهم ـ قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي، لذا يجب أن تموت، ولغة الحداثة هي اللغة النقيض لهذه اللغة الموروثة، بعد أن أضحت اللغة والكلمات بضاعة عهد قديم يجب التخلص منها.

ـ الغموض والإبهام والرمز ـ معالم بارزة في الأدب والشعر الحداثي.

ـ ولا يقف الهجوم على اللغة وحدها ولكنه يمتد إلى الأرحام والوشائج حتى تتحلل الأسرة، وتزول روابطها، وتنتهي سلطة الأدب وتنتصر إرادة الإنسان وجهده على الطبيعة والكون.

● ومن الغريب أن كل حركة جديدة للحداثة تعارض سابقتها في بعض نواحي شذوذها وتتابع في الوقت نفسه مسيرتها في الخصائص الرئيسة للحداثة.

● إن الحداثة هي خلاصة سموم الفكر البشري كله، من الفكر الماركسي إلى العلمانية الرافضة للدين(*)، إلى الشعوبية(*)، إلى هدم عمود الشعر، إلى شجب تاريخ أهل السنة كاملاً، إلى إحياء الوثنيات(*) والأساطير.

● ويتخفى الحداثيون وراء مظاهر تقتصر على الشعر والتفعيلة والتحليل، بينما هي تقصد رأساً هدم اللغة العربية وما يتصل بها من مستوى بلاغي وبياني عربي مستمد من القرآن الكريم، وهذا هو السر في الحملة على القديم وعلى التراث وعلى السلفية(*).

تطور مذهب الحداثة في الغرب وفي البلاد العربية:

● إن حركة الحداثة الأوربية بدأت قبل قرن من الزمن في باريس بظهور الحركة البوهيمية فيها بين الفنانين في الأحياء الفقيرة.

ـ ونتيجة للمؤثرات الفكرية، والصراع السياسي والمذهبي والاجتماعي شهدت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي في أوربا اضمحلال العلاقات بين الطبقات، ووجود فوضى حضارية انعكست آثارها على النصوص الأدبية. وبلغت التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوربا ذروتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وبقيت باريس مركز تيار الحداثة الذي يمثل الفوضى الأدبية.

ـ وقد تبنت الحداثة كثيراً من المعتقدات والمذاهب الفلسفية والأدبية والنفسية أهمها:

١ ـ **الدادائية**: وهي دعوة ظهرت عام ١٩١٦ م، غالت في الشعور الفردي ومهاجمة المعتقدات، وطالبت بالعودة للبدائية والفوضى الفنية الاجتماعية.

٢ ـ **السريالية**: واعتمادها على التنويم المغناطيسي، والأحلام الفرويدية، بحجة أن هذا هو الوعي الثوري للذات، ولهذا ترفض التحليل المنطقي، وتعتمد بدلاً عنه الهوس والعاطفة.

٣ ـ **الرمزية**: وما تتضمنه من ابتعاد عن الواقع والسباحة في عالم الخيال والأوهام، فضلاً عن التحرر من الأوزان الشعرية، واستخدام التعبيرات الغامضة والألفاظ الموحية برأي روادها.

ـ وقد واجهت الحداثة معارضة شديدة في كل أنحاء أوربا، حتى في باريس مسقط رأسها، من المدافعين عن اللغة والتراث وممن ينيطون بالأدب مهمة التوصيل في إطار العقل والوعي الإنساني.

ـ وكثير من أدباء القرن العشرين لم يعترفوا بالحداثة، ولا بما جاءت به من تجريد جمالي وثورة وعدم تواصل، وعدَّ كثير من المفكرين الغربيين الحداثة نزوة عابرة في تاريخ الفكر الغربي.

● والحداثة العربية هي حداثة غربية في كل جوانبها وأصولها وفروعها، إلا أنها تسللت إلى العالم العربي دون غرابة، وذلك لأنها اتخذت صورة العصرية، والاتجاه التجديدي(*) في الأدب، وارتباط مفهوم الحداثة في أذهان بعض المثقفين بحركة ما يسمى بالشعر الحر أو شعر التفعيلة.

ـ اصطلاح الحداثة بمفهومه الغربي، لم يقتحم الأدب العربي إلا في فترة السبعينات، بينما تسربت مضامينه منذ الثلاثينات من هذا القرن، وذلك في محاولات الخروج على علم العروض العربي، وفي الأربعينات ظهرت بعض ظواهر التمرد والثورة والرفض وتجريب بعض الاتجاهات الأدبية الغربية كالتعبيرية والرمزية والسريالية.

ثم ظهرت **مجلة شعر** التي رأس تحريرها في لبنان يوسف الخال عام ١٩٥٧م وتوقفت عام ١٩٦٤م للتمهيد لظهور حركة(*) الحداثة بصفتها حركة فكرية، لخدمة التغريب، وصرف العرب عن عقيدتهم ولغتهم الفصحى.. لغة القرآن الكريم.

وبدأت تجربتها خلف ستار تحديث الأدب، فاستخدمت مصطلح الحداثة عن طريق ترجمة شعر رواد الحداثة الغربيين أمثال: بودلير ورامبو ومالارامیه، وبدأ رئيس تحريرها ـ أي: **مجلة شعر** ـ بكشف ما تروج له الحداثة الغربية حين دعا إلى تطوير الإيقاع الشعري، وقال بأنه ليس للأوزان التقليدية أي قداسة، ويجب أن يعتمد في القصيدة على وحدة التجربة والجو العاطفي العام، لا على التتابع العقلي والتسلسل المنطقي، كما أنه قرر في مجلته أن الحداثة موقف حديث في الله والإنسان والوجود.

● كان لعلي أحمد سعيد (أدونيس) دور مرسوم في حركة الحداثة وتمكينها على أساس ما دعاه من الثبات والتحول فقال: «لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية السائدة في الفكر العربي ويتم التخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي». استخدم أدونيس مصطلح الحداثة الصريح ابتداءً من نهاية السبعينات عندما أصدر كتابه: **صدمة الحداثة** عام ١٩٧٨م، وفيه لا يعترف بالتحول إلا من خلال الحركات الثورية السياسية والمذهبية، وكل ما من شأنه أن يكون تمرداً على الدين(*) والنظام تجاوزاً للشريعة(*).

ـ لقد أسقط أدونيس مفهوم الحداثة على الشعر الجاهلي وشعراء الصعاليك وشعر عمر ابن أبي ربيعة، وأبي نواس وبشار بن برد وديك الجن الحمصي، كما أسقط مصطلح الحداثة على المواقف الإلحادية لدى ابن الراوندي وعلى الحركات الشعوبية(*) والباطنية(*) والإلحادية المعادية للإسلام أمثال: ثورة الزنج والقرامطة.

ـ ويعترف أدونيس بنقل الحداثة الغربية حين يقول في كتابه **الثابت والمتحول**: «لا نقدر أن نفصل بين الحداثة العربية والحداثة في العالم».

● **أهم خصائص الحداثة:**

ـ محاربة الدين(*) بالفكر وبالنشاط.

ـ الحيرة والشك(*) والقلق والاضطراب.

ـ تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد.

ـ الهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمور.

ـ الثورة على القديم كله وتحطيم جميع أطر الماضي، إلا الحركات الشعوبية

والباطنية(*).

- الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة.

- امتدت الحداثة في الأدب إلى مختلف نواحي الفكر الإنساني ونشاطه.

- قلب موازين المجتمع والمطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة بكل فتنتها، والدعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة(*).

- عزل الدين ورجاله واستغلاله في حروب عدوانية.

- تبني المصادفة والحظ والهوس والخيال لمعالجة الحالات النفسية والفكرية، بعد فشل العقل في مجابهة الواقع.

- امتداد الثورة على الطبيعة(*) والكون ونظامه، وإظهار الإنسان بمظهر الذي يقهر الطبيعة.

- ولذا نلمس في الحداثة قدحاً في التراث الإسلامي، وإبرازاً لشخصيات عرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي ومهيار الديلمي وميمون القداح وغيرهم. وهذا المنهج يعبر به الأدباء المتحللون من قيم الدين والأمانة، عن خلجات نفوسهم وانتماءاتهم الفكرية.

ويتضح مما سبق: أن الحداثة تصور إلحادي جديد - تماماً - للكون والإنسان والحياة، وليست تجديداً(*) في فنيات الشعر والنثر وشكلياتها. وأقوال سدنة الحداثة تكشف عن انحرافهم باعتبار أن مذهبهم يشكل حركة مضللة ساقطة لا يمكن أن تنمو إلا لتصبح هشيماً تذروه الرياح، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الزمر: ٢١].

حسبنا في التدليل على سعيهم لهدم الثوابت أن نسوق قول أدونيس، وهو أحد رموز الحداثة في العالم العربي، في كتابه **فن الشعر ص ٧٦**: «إن فن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية، وليست تلك التي تسايره في حياته الجادة، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة! أي تصدمه، وتخرجه من سُباته، تفرغه من موروثه وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم. كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها، وذلك من أجل تهديمها كلها! أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد، يلزمنا تحطيم الموروث الثابت، فهنا يكمن العدو الأول للثورة والإنسان».

ولا يعني التمرد على ما هو سابق وشائع في مجتمعنا إلا التمرد على الإسلام وإباحة كل

شيء باسم الحرية(*).

ـ فالحداثة إذن هي منهج(*) فكري عقدي يسعى لتغيير الحياة ورفض الواقع، والردة عن الإسلام بمفهومه الشمولي، والانسياق وراء الأهواء والنزعات الغامضة والتغريب المضلل.

وليس الإنسان المسلم في هذه الحياة في صراع وتحد مع الكون كما تقول كتابات أهل الحداثة، وإنما هم الذي يتنصلون من مسؤولية الكلمة عند الضرورة، ويريدون وأد الشعر العربي، ويسعون إلى القضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجريد، وتجاوز جميع ما هو قديم وقطع صلتهم به.

ـ ونستطيع أن نقرر أن الحداثيين فقدوا الانتماء لماضيهم، وأصبحوا بلا هوية ولا شخصية. ويكفي هراء قول قائلهم حين عبر عن مكنونة نفسه بقوله:

لا الله أختار ولا الشيطان	كلاهما جدار
كلاهما يغلق لي عيني	هل أبدل الجدار بالجدار

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

مراجع للتوسع:

ـ الحداثة في الأدب العربي المعاصر، مقال مطول للدكتور محمد مصطفى هدارة **مجلة الحرس الوطني** ـ ربيع الآخر ١٤١٠ هـ.

ـ **الحداثة في ميزان الإسلام**، عوض القرني.

ـ **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا.

ـ **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال.

١١٤- الواقعية

التعريف:

الواقعية مذهب(*) أدبي فكري مادي(*) ملحد، إذ يقتصر في تصويره الحياة والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب والإيمان بالله، ويصور الإنسان بالحيوان الذي تسيره غرائزه لا عقله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ارتبطت نشأة المذهب الواقعي بالفلسفات الوضعية والتجريبية والمادية(*) الجدلية(*) التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده، وسارت الواقعية في ثلاثة اتجاهات: الواقعية النقدية والواقعية الطبيعية والواقعية الاشتراكية. وللواقعية أعلام في شتى فروعها:

● **أعلام الواقعية النقدية:**

- القصّاص الفرنسي أنوريه دي بلزاك ١٧٩٩ - ١٨٥٠م ومن قصصه روايته المشهورة **الملهاة الإنسانية** في ٩٤ جزءاً، صور فيها الحياة الفرنسية بين عام ١٨٢٩ - ١٨٤٨م.

- الكاتب الإنجليزي شارل ديكنز ١٨١٢ - ١٨٥٠م وله الرواية المشهورة **قصة مدينتين**.

- الأديب الروسي تولستوي ١٨٢٨ - ١٩١٠م وله القصة المشهورة **الحرب والسلام**.

- الأديب الروسي دستوفسكي مؤلف **الجريمة والعقاب**.

- والأديب الأمريكي أرنست همنجواي ١٨٩٩ - ١٩٦١م وله القصة المشهورة **العجوز والبحر** وقد مات منتحراً.

● **أعلام الواقعية الطبيعية:**

- أميل زولا الأديب الفرنسي ١٨٤٠ - ١٩٢٠م مؤلف قصة **الحيوان البشري** وفيها يطبق نظريات دارون في التطور، ونظريات مندل في الوراثة، وكلود برنار في الطب.

- جوستاف فلوبير ١٨٢١ - ١٨٨٠م الأديب الفرنسي ومؤلف القصة المشهورة **مدام بوفاري**.

● **أعلام الواقعية الاشتراكية(*):**

- مكسيم جوركي ١٨٦٨ - ١٩٣٦م كاتب روسي، عاصر الثورة(*) الروسية الشيوعية، ومؤلف **قصة الأم**.

ـ مایاکو فسکي ١٨٩٢ـ١٩٣٠م وهو شاعر الثورة الروسية الشيوعية، وقد مات منتحراً.
ـ لوركا ١٨٩٨ ـ ١٩٣٦م وهو شاعر إسباني.
ـ بابللو نيرودا ١٩٠٤ ـ ١٩٧٣م وهو شاعر تشيلي.
ـ جورج لوكاش ـ وهو كاتب فرنسي حديث.
ـ كما كان من أعلامها: روجيه جارودي ـ وهو مفكر فرنسي اهتدى إلى الإسلام وسمى نفسه رجاء جارودي، وإن كان مازال يتأرجح بين ماضيه وحاضره.

الأفكار والمعتقدات:

● تشعب المذهب(*) الواقعي، كما تقدم، إلى ثلاثة اتجاهات.

ـ الواقعية النقدية ومن أفكارها:

١ ـ الاهتمام بنقد المجتمع ومشكلاته.
٢ ـ التركيز على جوانب الشر والجريمة.
٣ ـ الميل إلى التشاؤم واعتبار الشر عنصراً أصيلاً في الحياة.
٤ ـ المهمة الرئيسية للواقعية النقدية الكشف عن حقيقة الطبيعة.
٥ ـ اختيار القصة وسيلة لبث الأفكار التي يريدونها.

ـ الواقعية الطبيعية:

تتفق مع الواقعية في جميع آرائها وأفكارها وتزيد عليها:
١ ـ التأثر بالنظريات العلمية والدعوة إلى تطبيقها في مجال العمل الأدبي.
٢ ـ الإنسان في نظرها حيوان تسيره غرائزه، وكل شيء فيه يمكن تحليله، فحياته الشعورية والفكرية والجسمية ترجع إلى إفرازات غددية.

ـ الواقعية الاشتراكية:

وقد نادت بها الماركسية ومن أفكارها:
١ ـ إن النشاط الاقتصادي(*) في نشأته وتطوره هو أساس الإبداع(*) الفني، لذلك يجب توظيف الأدب لخدمة المجتمع حسب المفهوم الماركسي.
٢ ـ العمل الأدبي الفني عليه أن يهتم بتصوير الصراع الطبقي بين طبقة العمال والفلاحين وطبقة الرأسمالية والبرجوازيين(*)، وانتصار الأولى التي تحمل الخير والإبداع على الثانية التي هي مصدر الشرور في الحياة.
٣ ـ رفض أي تصورات غيبية، وخاصة ما يتعلق منها بالعقائد السماوية.
٤ ـ استغلال جميع الفنون الأدبية لنشر المذهب(*) الماركسي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن الأسس التي قامت عليها الواقعية هي المذاهب الفلسفية المادية(*)، مثل الفلسفة(*) الوضعية التي انتشرت في فرنسا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ورائدها الفيلسوف الفرنسي كونت التي ترفض كل ما هو غيبي، وتقتصر على عالم المادة والحس.

ـ وكذلك تعد الفلسفة التجريبية التي تلتقي مع الوضعية في رفض الغيبيات من جذور الواقعية.

ـ ومن الجذور الفكرية العميقة للواقعية الاشتراكية(*): الفلسفة المادية الجدلية(*) التي نادى بها ماركس وإنجلز التي تعد العقيدة الرسمية للشيوعية الدولية والتي من مفاهيمها أن المادة هي الوجود الحقيقي، وأن القيم العقلية انبثقت من العلاقات المادية بين الناس.

ـ وكذلك ترتبط الواقعية بالنظرية الفلسفية التي ترى أن الحياة تنبت على الشر، وأن ما يبدو من مظاهر الخير ليس إلا طلاءً زائفاً يموه واقع الحياة الفكرية ويخفي طبيعة الإنسان الحقيقية.

ـ وقد عبر الفيلسوف الإنجليزي هوبز عن هذا الاتجاه بقوله: «إن الإنسان ذئب لا هم له إلا الفتك بالإنسان».

ـ وقد عمل دعاة الواقعية على ربط الإنسان الغربي بغرائزه وحيوانيته، وتوجيه نظره إلى التراب لا إلى السماء، وزادوا في ماديته، وساعدوا على إفساده وإيقاظ شهوته.

ـ أما دعاة الواقعية الاشتراكية أو الشيوعية، الذين سطروا الكتب والمقالات والقصص والمسرحيات والأشعار في تمجيد الشيوعية، والزعم أنها الحقيقة للسعادة البشرية، فقد زادوا الإنسانية شقاء وتعاسة ومعيشة ضنكا، وقد تحطمت فلسفتهم في أوربا الشرقية تحت مطارق الواقع المؤلم.. كما نرى بأم أعيننا الآن، إذ بدأت تتراجع بخطى سريعة إلى عفن التاريخ الذي لا يرحم، وتفكك ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وعاد الإسلام إلى الدول الإسلامية.

● والإسلام يدعو إلى الاهتمام بالدنيا «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً» ويرفض النظر بتشاؤم إلى تصاريف القدر وليس ثمة ما يمنع الإنسان من التأثير والتغيير في حياته والمجتمع الذي يعيش فيه. وقد كرم الإسلام الإنسان ولم يضعه في مصاف القرود، واهتم بجانبه الروحي باعتباره ـ أي الإنسان ـ جسداً وروحاً، ولكلٍّ مطالبه التي لا يجوز إغفالها ولا الاقتصار على أحدها دون الآخر. والمسلم يرفض النظرية الفلسفية التي تقول: «إن الحياة قد بنيت على الشر» والأديان(*) عموماً جاءت للقضاء على الشر والنهوض بالنفس البشرية.

ويتضح مما سبق:

أن الواقعية مذهب(*) أدبي فكري مادي ملحد، يصور الحياة مادة، ويرفض عالم الغيب ولا يؤمن بالله، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية، ويتخذ كل ذلك أساساً لأفكاره التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته مع التركيز على جوانب الشر والجريمة، والميل إلى النزعات التشاؤمية وجعل مهمة النقد مركزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة(*) كطبيعة بلا روح أو قيم. ومن هنا كانت آثار هذا المذهب الأدبي المدمرة على الشباب المسلم، إذا لم يضع هذه الأمور في حسبانه وهو يتعامل مع الإفرازات الأدبية لهذا المذهب.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا ـ ط. جامعة الإمام ـ الرياض.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر ـ نشر دار الشعاع ـ الكويت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال ـ دار الثقافة ـ بيروت.
- **الأدب المقارن**، ماريوس فرانسوا غويا، (سلسلة زدني علماً).
- **المذاهب الأدبية الكبرى**، فيليب فان تيفيم (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Lanson: Histoire de la litterature francaise. Paris 1960.
- De segur: Histoire de la letterature Europiéenne, 1959.

١١٥ـ العدمية

التعريف:

العدمية مذهب(*) أدبي وفلسفي ملحد، اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، بل هو نهاية الوجود، وبه نعرف حقيقة الحياة بعيداً عن النظرة المثالية والنظرة الواقعية السطحية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● من أهم الشخصيات العدمية في مجال الأدب ديستوفسكي الروائي الروسي، وفي مجال الفلسفة نيتشه صاحب مقولة (موت الإله) والعدمية ترى أن الوجود الإلٰهي وعدمه سواء ولا يحسن أن يجهد الناس أنفسهم في هذا الموضوع. والمؤرخون يفرقون بين الإلحاد والعدمية من حيث أن الملحد يختار جانب الإلحاد(*) الصريح (سارتر، مثلاً) أما العدمي فيرى أن المسألة سواء (يستوي الوجود الإلٰهي وعدمه) وديستوفسكي يرى أنه إذا كان الإله(*) غير موجود فكل شيء مباح ولا معنى للأخلاق(*).

● وهذا المذهب مرفوض إسلاميًّا لأننا مطالبون أولاً بتقرير الوجود الإلٰهي والتوحيد الخالص. وثانياً تقرير ارتباط قيام الأخلاق على التشريع الإسلامي في مصدريه الأساسيين، فالأديب والفيلسوف العدمي يناقضان الإسلام.

● برزت العدمية في روايات الواقعية النقدية لجوستاف فلوبير ١٨٢١ ـ ١٨٨٠م وأنوريه دي بلزاك ١٧٩٩ ـ ١٨٥٠م وفي أعمال الطبيعة الانطباعية لأميل زولا ١٨٤٠ ـ ١٩٠٢م في القرن التاسع عشر. إلا أن الأديب الفرنسي جوستاف فلوبير هو المعبر الأول عن العدمية في رواياته، ثم أصبحت مذهباً أدبياً لعدد كبير من الأدباء في القرن التاسع عشر.

● ويعد الشاعر والناقد جوتفريد بن ١٨٨٦ ـ ١٩٥٦م من أبرز العدميين الذين وضحوا معنى العدمية كمذهب أدبي، إذ قال بأن العدمية ليست مجرد بث اليأس والخضوع في نفوس الناس، بل مواجهة شجاعة وصريحة لحقائق الوجود.

● وقد رحب هذا الشاعر بالحكومة النازية عندما قامت في الثلاثينات من هذا القرن على أساس أنها مواجهة حاسمة للوجود الراكد. إلا أنه عُدَّ عدواً للنازية؛ لأنه قال بأن البشر متساوون أمام العدم والفناء وليس هناك جنس مفضل على غيره. وقد صودرت جميع أعماله الأدبية عام ١٩٣٧م.

الأفكار والمعتقدات:

● إن الإنسان خُلق وله إمكانات محدودة، وعليه لكي يثبت وجودَه، أن يتصرف في حدود هذه الإمكانات، بحيث لا يتحول إلى يائس متقاعس أو حالم مجنون.

● إن البشر يتصارعون، وهم يدركون جيداً أن العدم في انتظارهم وهذا الصراع فوق طاقتهم البشرية، لذلك يتحول صراعهم إلى عبث لا معنى له.

● ينحصر التزام الأديب العدمي في تذكرة الإنسان بحدوده، حتى يتمكن من استغلال حياته على أحسن وجه.

● العمل الأدبي يثبت أن لكل شيء نهاية، ومعناه يتركز في نهايته التي تمنح الدلالة للوجود، ولا يوجد عمل أدبي عظيم بدون نهاية وإلا فقد معناه، وكذلك الحياة تفقد معناها إذا لم تكن لها نهاية.

● الرومانسية المثالية في نظر الأديب العدمي مجرد هروب مؤقت، لا يلبث أن يصدم الإنسان بقسوة الواقع وبالعدم الذي ينتظره، وقد يكون في هذا الاصطدام انهياره أو انحرافه.

● يهدف الالتزام الأدبي للعدمية إلى النضوج الفكري للإنسان ورفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم.

● تهدف العدمية إلى إلغاء الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، لأن المعرفة الإنسانية لا تتجزأ في مواجهة قدر الإنسان، وإذا اختلف طريق العلم عن طريق الفن فإن الهدف يبقى واحداً وهو: المزيد من المعرفة عن الإنسان وعلاقته بالعالم.

● إن اتهام العدمية بالسلبية وإشاعة روح اليأس، يرجع إلى الخوف من لفظ العدم ذاته وهذه نظرة قاصرة، لأن تجاهل العدم لا يلغي وجوده من حياتنا.

● العدمية ليست مجرد إبراز الموت والبشاعة والعنف والقبح، ولكن الأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال ذلك إلى معنى الحياة، وبذلك يوضح بأن العدم هو الوجه الآخر للوجود، ولا يمكن الفصل بينهما؛ لأن معنى كل منهما يكمن في الآخر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ترجع العدمية في أفكارها إلى مسرحيات الإغريق القدامى، التي تصور الإنسان وصراعه مع الأقدار وكأنه صراع ضد فكرة العدم.

● وكذلك العقائد النصرانية وما تتضمنه من معاني الموت، ونهاية العالم، واليوم الآخر، والحساب.. إلخ.

● إلا أن العدمية لم تبلور العقيدة الدينية في الحياة والموت.. في الإيمان الذي يبعث

على عمل الخير والجد، والاجتهاد لإعمار الأرض لتكون الحياة عليها سعيدة مطمئنة. وإنما اقتصرت على تصوير معاني العدم والجانب السلبي في الحياة، على نحو يوحي بأن العدم هو الوجود الخالد، وطالما كان الأمر كذلك فإن الإلحاد يحيط بالعدمية من كل جانب.

أماكن الانتشار:

● انتشرت العدمية في فرنسا وإنجلترا بشكل خاص والعالم الغربي عامة.

ويتضح مما سبق:

أن العدمية مذهب(*) أدبي ملحد يعتبر العدم نهاية الوجود، ووفقاً لهذا المذهب ينحصر التزام الأديب العدمي في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالاً عدميًا، ينضج معه فكر الإنسان، حسب زعم هذا المذهب، نضجاً يرفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب المدرك له، والذي يلغي الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، فالأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال الموت والبشاعة والعنف والقبح إلى معنى الحياة العدمية، فالعدم هو الوجه الآخر للوجود. ولا شك أن هذه الأفكار لا تخدم أية فكرة أخلاقية أو دينية، بل إنها تتنافى كلية معهما.

مراجع للتوسع:

- **المدخل إلى النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٢م.
- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٢م.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- **المذاهب الأدبية الكبرى**، فليب فان تيغيم - (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig. La Literature Contemporaine Etudiée dans les textes.
- Braunschvig: Notre Litterature Etudieé dans le texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la Litterature Francaise, Paris. 1916.
- De Segur (Nicola): Histoire de la Litterature Européenne. 1959.

١١٦- البرناسية (مذهب الفن للفن)

التعريف:

البرناسية مذهب(*) أدبي فلسفي لا ديني قام على معارضة الرومانسية من حيث إنها مذهب الذاتية في الشعر، وعرض عواطف الفرد الخاصة على الناس شعراً واتخاذه وسيلة للتعبير عن الذات، بينما تقوم البرناسية على اعتبار الفن غاية في ذاته، لا وسيلة للتعبير عن الذات، وهي تهدف إلى جعل الشعر فناً موضوعيًّا همه استخراج الجمال من مظاهر الطبيعة، أو إضفاؤه على تلك المظاهر، وترفض البرناسية التقيد سلفاً بأي عقيدة أو فكر أو أخلاق(*) سابقة.

وهي تتخذ شعار «الفن للفن».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أطلق أحد الناشرين الفرنسيين على مجموعة من القصائد لبعض الشعراء الناشئين اسم «البرناس المعاصر» إشارة إلى جبل البرناس الشهير باليونان الذي تقطنه «آلهة الشعر» كما كان يعتقد قدماء اليونان، إلا أن الاسم ذاع وانتشر للتعبير عن اتجاه أدبي جديد. وإن كان دعاة هذا المذهب قد انتسبوا إلى مذاهب أدبية أخرى تشكلت فيما بعد ومنهم:

- شارل بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م وهو شاعر فرنسي، نادى بالفوضى الجنسية، ووصف بـ«السادية» أي التلذذ بتعذيب الآخرين.

- ومنهم تيوفيل جوتييه ١٨١١ - ١٨٧٢م وهو من أكبر طلائع البرناسية.

- ومنهم لو كنت دي ليل ويعد رئيس هذا المذهب، وقد تبلورت مبادئه بعد منتصف القرن التاسع عشر، وانتهى به الأمر إلى أن ترك النصرانية إلى البوذية.

- ومالارامیه ١٨٤٢ - ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي، ويعد من أشد المدافعين عن هذا المذهب. ومن أعمدة المذهب الرمزي، أيضاً.

الأفكار والمعتقدات:

● اعتبار الأدب والفن غاية في ذاتيهما، وأن مهمتهما الإمتاع فقط لا المنفعة، وإثارة المشاعر وإلهاب الإحساس ليتذوق الإنسان الفن الجيد.

● تحطيم القديم وتدميره لبناء العالم الجديد الخالي من الضياع، حسب زعمهم،

والقديم في رأيهم، هو كل ما ينطوي على العقائد والأخلاق والقيم.

● يحقق الإنسان سعادته عن طريق الفن لا عن طريق العلم.

● استبعاد التعليم والتوجيه التربوي عن الشعر والفن عامة. والاهتمام بالشكل والتعبير الأدبي أكثر من اهتمامهم بالمضامين الفنية والأدبية.

● إن الحياة تقليد للفن وليس العكس.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كان أرسطو الفيلسوف اليوناني ٣٨٣ ـ ٣٢٢ ق. م أول من هاجم الاتجاه التعليمي والأخلاقي في الشعر، وكان يرد بذلك على أفلاطون الذي قرر أن الشعر خادم الفلسفة(*) الأخلاقية وفكرة الإرشاد التعليمي.

● وبعد سقوط الإمبراطورية الإغريقية، وسيطرة الإمبراطورية الرومانية بكل اتجاهاتها العملية والنفعية، سيطر الاتجاه التعليمي على الأدب.

سيطرت الكنيسة(*) على الفلسفة والأدب وبقي الاتجاه التعليمي في الشعر هو السائد. ومع ذلك وجد من يتذوق الشعر من أجل القيم الجمالية، كالقديس أوغسطيوس في كتابه **النظرية المسيحية**(*) ، إذ يؤكد على المتعة الفنية التي تذوقها هو في الأسلوب الأدبي الذي كتبت به الأناجيل(*).

● وعلى الرغم من تطور النقد الأدبي في القرن السادس عشر، إلا أنه لم يتغلب على الاتجاه التعليمي في الأدب.

● وفي القرن السابع عشر يؤكد بيركورني أن الهدف الأساسي في الشعر المسرحي هو المتعة الفنية.

● وبمرور الزمن ازداد الهجوم على الجانب التعليمي للفن من قبل ورد زورث ١٧٧٠ ـ ١٨٥٠م والشاعر شيللي ١٧٩٢ ـ ١٨٢٢م ورواد المدرسة الرمزية أمثال بودلير ومالا راميه.

● وفي مطلع القرن العشرين اعتبر النقاد نظرية الفن للفن.. دفاعاً مستميتاً عن الفن حتى لا تستخدم في الأغراض النفعية المؤقتة.

● والواقع أن المضمون الفكري والعقائدي لهذا المذهب(*) ـ غير الصورة الخارجية المتعلقة بالمتعة الفنية ـ هو رفض كل فكرة وعقيدة وأخلاق سابقة وخاصة ما يتعلق بالدين(*) وإن كان هذا الأمر لم يكن واضحاً في آثار أصحاب المذاهب.

● لذلك كان الهجوم على مدرسة الفن للفن، بعد انحرافها الكبير عن الحياة الواعية العاقلة من قبل بعض النقاد أمثال ت. س. إليوت الذي اتهم أصحابها بالخطأ وقصر النظر،

وقرر أنه لا بد من الالتزام للأديب أو الشاعر. وأن غاية الشعر والنقد تُلزم كل شاعر وناقد أن تكون الكتابة ذات نفع اجتماعي ما للقارىء.

الانتشار ومناطق النفوذ:

● مذهب(*) الفن للفن مثل بقية المذاهب الأدبية نشأ في أوربا، وأشد المتحمسين له كانوا في فرنسا، أم المذاهب تقريباً، ولكن كان له أنصار في ألمانيا وإيطاليا، ووصل المذهب إلى أمريكا وغيرها من الدول.

إلا أنه تقلص بعد ذلك وتقوقع على نفسه بعد أن وجه له النقد الشديد؛ لانحرافه عن كثير من الأصول التي بني عليها، والقيم التي كان يلزمه التقيد بها.

● **ملاحظة:**

ـ يلاحظ أن البرناسية تعزل الأدب عن قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية، وتجعله غاية في حد ذاته، والإسلام يحدد غايات الإنسان في الحياة، ولا يقبل أن يكون الأدب غاية في ذاته، كما يرفض الإسلام الأدب المكشوف الذي يستخدم كأداة للانحراف، ويقيس قيمته بموازين الخير والشر، وإذا صدر الأدب عن تصور يرفض القيم الدينية فهو مرفوض شكلاً وموضوعاً، مهما سمت قيمته الأدبية وفقاً لمقاييس الصياغة أو حسن التعبير.

ويتضح مما سبق:

أن البرناسية مذهب أدبي فلسفي لا ديني، يعارض الرومانسية من حيث إنها مذهب الذاتية في الشعر، وهو يعتبر الأدب والفن غاية في حد ذاتيهما، لا وسيلة للتعبير عن الذات، ويرنو إلى تحطيم كل ما هو قديم وتدميره من أجل بناء العالم الجديد الخالي من الضياع، حسب زعم أنصار المذهب. ولما كان القديم في هذا المذهب يعني كل ما ينطوي على العقائد والأخلاق(*) والقيم، فإن تحطيم القديم يعني في هذا المذهب(*) وجوب تحطيم الدين(*) والقيم الأخلاقية وهذا ما يجب أن يتنبه له الشباب المسلم وهو يدرس هذا المذهب ويتعامل مع حصاده الفكري.

● **الرد الإسلامي على نظرية الفن للفن:**

ـ الأدب في الإسلام والفن يجب أن يكون ملتزماً بالقيم الإسلامية وبمراعاة مبدأ التوحيد الخالص، وبمراعاة نهي الإسلام عن التصوير والتجسيد، أما الفن للفن فاتباع للهوى! وقد يؤدي بالفنان إلى تصوير ما يثير الشهوات ويفسد الأخلاق، وذلك مناقض لما تجب مراعاته من ضرورة الالتزام بأصول الفقه وأهم قواعده (لا ضرر ولا ضرار) والفن للفن يؤدي إلى إضرار أو إلى عدم منفعة وكلاهما موقف غير إسلامي.

مراجع للتوسع:

- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. نبيل راغب - مكتبة مصر القاهرة.
- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- مذاهب الأدب الغربي، د. عبد الباسط بدر - مكتبة البيت - الكويت.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال - دار الثقافة - بيروت.

المراجع الأجنبية:

- De Segur: Histoire de la litterature Européenne. Paris. 1959.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise Paris. 1960.
- The Oxford Companion to English Literature. Edited by Margaret Drabble.
- The Cambridge Guide to Literature in English, edited by Ian Ousby.
- Encyclopedia Britanicca V 10 literature - Westing.

١١٧ـ الانطباعية (التأثرية)

التعريف:

الانطباعية مذهب(*) أدبي فني، ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، وهو يعتبر الإحساس، والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي، لا المفهوم العقلاني للأمور. ويرجع ذلك إلى أن أي عمل فني بحت لا بد أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان إلى التعبير عنه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أطلقت الانطباعية في البداية على مدرسة في التصوير، ترى أن الرسام يجب أن يعبر في تجرد وبساطة عن الانطباع الذي ارتسم فيه حسياً، بصرف النظر عن كل المعايير العلمية، وبخاصة في ميدان النقد الأدبي، فالمهم هو الانطباع الذي يضفيه الضوء، مثلاً، على الموضوع لا الموضوع نفسه.

● **ومن أهم شخصياتها:**

ـ أناتول فرانس ١٨٤٤ ـ ١٩٢٤م ـ الأديب الفرنسي، وهو يعد رائد الانطباع في الأدب، بعد أن انتقل المصطلح من الرسم إلى الأدب، ويرى أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارىء وهذا الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

ـ إنطونان بروست: ويعد من أبرع من جسد الانطباعية الأدبية فهو حين يصف مشهداً أو ينقل أحاسيسه إزاء مشهد، تتجسد أمامنا لوحة انطباعية.

الأفكار والمعتقدات:

● طالما أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارىء، فإن على الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه، لأن الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

● إن الفنان يحس أو يتأثر أولاً، ثم ينقل هذا الانطباع أو التأثير عن طريق التعبير. ولا يكترث للمعايير المتبعة للنقد الأدبي.

● الانطباعية تقول: (أنا أحس إذن أنا موجود) بدلاً من العقلانية التي تقول على لسان

ديكارت: (أنا أفكر إذن أنا موجود).

● كل معرفة لم يسبقها إحساس بها لا تجدي..

● المضمون هو المهم لا الشكل الفني عند الأديب الانطباعي في نقل انطباعه الذاتي للآخرين.

● العالم الخارجي مجرد تجربة خاصة وأحاسيس شخصية، وليس واقعاً موضوعيًّا موجوداً بشكل مستقل عن حواس الفرد.

● من النقد الذي وجه للانطباعيين أنهم جروا وراء التسجيل الحرفي للانطباع ونسوا القيمة الجمالية التي تحتم وجود الشكل الفني في العمل الأدبي.

● وأن أدب الاعترافات والخطابات الأدبية اللذين أدت إليهما الانطباعية، إذ يعبر فيهما الأدباء عن مكنونات صدورهم، تحولا إلى مجرد مرآة لحياة الأديب الداخلية، أي أن هؤلاء ينظرون للأدب على أنه مجرد ترجمة ذاتية أو سيرة شخصية للأديب.

● وهكذا فقد أصبح النقد الأدبي والتذوق الفني مجرد تعبير عن الانفعالات الشخصية والأحاسيس الذاتية التي يثيرها العمل الأدبي في الناقد.

● والفرق بين الانطباعية الشكلية والانطباعية الأدبية هو أن الانطباعية الشكلية تهتم بالشكل (تسليط الضوء على الإطار الخارجي)، بينما تهتم الانطباعية الأدبية بالمضمون الأدبي من خلال تأثير الأديب الانطباعي على القارىء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن العالم الحديث وما يتضمنه من أنانية فردية، وذاتية غير أخلاقية هو الذي أفرز مذهب الانطباعية إذ فرض على الفرد العزلة، فأصبحت أفكاره تدور حول ذاته، وليس العالم عنده سوى مجموعة من المؤثرات الحسية العصبية، والانطباعات والأحوال النفسية، ولا يهمه الاهتمام بالعالم وإصلاحه أو تغييره إلى الأفضل.

الانتشار وأماكن النفوذ:

بدأت الانطباعية في فرنسا، ثم انتشرت في أوربا.. وهي اتجاه يدخل في جميع المدارس الأدبية، إذ الانطباع عنصر أولي في أي عمل فني، ولكنه ليس كل شيء.. ولذلك اندثرت عندما اقتصرت على فكرة أن الانطباع هو الهدف الوحيد والمادة الخام التي يتشكل منها أي عمل فني.

ويتضح مما سبق:

أن الانطباعية أو التأثيرية مذهب(*) أدبي فني ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، ومضمونه اعتبار الانطباع الشخصي والإحساس، بمثابة الأساس في التعبير الفني والأدبي، بحيث تكمن قيمة العمل الأدبي في نوعية الانطباعات التي يتركها هذا العمل في نفس القارىء، الأمر الذي يستلزم تبني الأديب أو الفنان لهذه الحقيقة، فالإحساس وليس العقل(*) والتفكير، هو معيار وجود الإنسان وفق هذا المذهب، وكل معرفة لا يسبقها إحساس بها فهي معرفة غير مجدية، والعبرة بمضمون العمل الفني وليس بشكله، ولا يعبأ هذا المذهب بإصلاح أحوال الناس أو تغيير العالم إلى الأفضل. ومن هنا كانت الثغرات الأخلاقية والاجتماعية في هذا المذهب الأدبي ذات أثر كبير على كل من يطلع على نتاجه دون أن يكون ملماً سلفاً بفكرته تلك؛ لأن الفنان الانطباعي غير ملتزم إلا بالرؤية الحسية وتصوير ما انطبع على حواسه حتى لو لم يره الآخرون، وحتى لو عارضت انطباعاته القيم السامية وأدت من ثم للإضرار بالناس.

مراجع للتوسع:

- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال - دار الثقافة - بيروت.
- **المدخل إلى النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال - القاهرة ١٩٥٩م.
- **الانطباعية**، تأليف موريس سيرولا - ترجمة هنري زغيب - منشورات عويدات.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب - مكتبة مصر.
- **النقد الجمالي**، أندريه ريشار - ترجمة هنري زغيب (سلسلة زدني علماً).
- **الجمالية الفوضوية**، أندريه رستسلر - ترجمة هنري زغيب (سلسة زدني علماً).
- **الفن الانطباعي**، موريس سيرولا - (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- J. Leymarie, L'Impressionmisme. Paris 1959. 2 Vol.
- G. Moore, Modern Painting, London - New York - 1893.

١١٨ـ الوجودية

التعريف:

● الوجودية مذهب(*) فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر مذهب استقر في الآداب الغربية في القرن العشرين.

● ويركز المذهب على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه، ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيم التي تنظم حياته.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● دخل المذهب الوجودي مجال الأدب على يد فلاسفة فرنسيين: هم جبرييل مارسيل المولود عام ١٨٨٩م. وقد أوجد ما أسماه الوجودية المسيحية(*)، ثم جان بول سارتر الفيلسوف والأديب الذي ولد ١٩٠٥م. ويعد رأس الوجوديين الملحدين والذي يقول: إن الله خرافة ضارة. وهو بهذا فاق الملحدين السابقين الذين كانوا يقولون إن الله خرافة نافعة. . ـ تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً ـ ومن قصصه ومسرحياته. **الغثيان، الذباب، الباب المغلق.**

● ومن الشخصيات البارزة في الوجودية: سيمون دي بوفوار وهي عشيقة سارتر. التي قضت حياتها كلها معه دون عقد زواج تطبيقاً عمليًّا لمبادىء الوجودية التي تدعو إلى التحرر من كل القيود المتوارثة والقيم الأخلاقية.

الأفكار والمعتقدات:

● الوجود اليقيني للإنسان يكمن في تفكيره الذاتي، ولا يوجد شيء خارج هذا الوجود ولا سابقاً عليه، وبالتالي لا يوجد إله(*) ولا توجد مثل ولا قيم أخلاقية متوارثة لها صفة اليقين، ولكي يحقق الإنسان وجوده بشكل حر فإن عليه أن يتخلص من كل الموروثات العقدية والأخلاقية.

● إن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية مطلقة.

● الالتزام في موقف ما ـ نتيجة للحرية(*) المطلقة في الوجودية ـ من مبادىء الأدب

الوجودي الرئيسة. . حتى سميت الوجودية: أدب الالتزام أو أدب المواقف. . أي الأدب الذي يتخذ له هدفاً أساسياً أصحابه هم الذين يختارونه. وبذلك جعلوا القيمة الجمالية والفنية للأدب بعد القيمة الاجتماعية الملتزمة.

● ولقد نتج عن الحرية(*) والالتزام في الوجودية، القلق والهجران واليأس:

ـ القلق نتيجة للإلحاد(*) وعدم الإيمان بالقضاء والقدر(*). . ونبذ القيم الأخلاقية والسلوكية.

ـ والهجران الذي هو إحساس الفرد بأنه وحيد لا عون له إلا نفسه.

ـ واليأس الذي هو نتيجة طبيعية للقلق والهجران، وقد حاول سارتر معالجة اليأس بالعمل، وجعل العمل غاية في ذاته لا وسيلة لغرض آخر، وحسب الوجودي أن يعيش من أجل العمل وأن يجد جزاءه الكامل في العمل ذاته وفي لذة ذلك العمل.

الجذور الفكرية:

● ترجع بذور مذهب(*) الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركا جورد ١٨١٣ ـ ١٨٥٥م وقد نمَّى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام ١٨٨٩م، وكارك يسبرز المولود عام ١٨٨٣م.

وقد أكد هؤلاء الفلاسفة أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات.

● والفكر الوجودي لدى كيركاجورد عميق التدين، ولكنه تحول إلى ملحد إلحاداً صريحاً لدى سارتر.

ـ ومهما حاول بعض الوجوديين العرب، وغيرهم، تزيين صورة الوجودية، إلا أنها ستبقى مذهباً هداماً للأديان والعقائد والقيم الأخلاقية.

أماكن الانتشار:

● انتشرت الوجودية الملحدة في فرنسا بشكل خاص، وكانت قصص ومسرحيات سارتر من أقوى العوامل التي ساعدت على انتشارها.

ويتضح مما سبق:

أن الوجودية مذهب فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر المذاهب الأدبية التي استقرت في الآداب الغربية في القرن العشرين ويرى أن الوجود الإنساني هو الحقيقة اليقينية الوحيدة عند الوجوديين، بحيث إنه لا يوجد شيء سابق على الوجود الإنساني كما أنه لا يوجد شيء لاحق له، ولذا فإن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية

مطلقة. وقد أفرز هذا المذهب(*) أموراً عديدة منها القلق واليأس نتيجة للإلحاد وعدم الإيمان وهما من ركائز هذا المذهب. لذا يجب أن يعي الشباب المسلم حقيقة هذا المذهب وهو يتعامل مع إفرازاته.

ولا شك أن الإسلام يرفض الوجودية بجميع أشكالها، ويرى فيها تجسيداً للإلحاد(*). كما أن قضايا الحرية(*) والمسؤولية والالتزام التي تدعو إليها الوجودية غير مقيدة بأخلاق(*) أو معتقدات دينية. وهي تنادي بأن الإنسان لا يدري من أين جاء ولا لماذا يعيش؟! وهذه جميعها أمور محسومة في الإسلام، وواضحة كل الوضوح في عقل وضمير كل مسلم آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً(*) نبيًّا(*) وقدوة وإماماً.

مراجع التوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، للدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا ـ ط. جامعة الإمام ١٤٠٥هـ.
- **الأدب المقارن**، للدكتور محمد غنيمي هلال.
- **الأدب ومذاهبه**، للدكتور محمد مندور ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، لمجموعة من المؤلفين ـ دار القلم ـ بيروت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، للدكتور نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Existentialism and Humanism by J.P. Sartre, London, 1955.
- Literary and Philosophical Essays by J.P. Sartre, London, 1955.
- Histoire de la litterature Francaise Paris 1960.

١١٩ـ التعبيرية

التعريف:

● التعبيرية مذهب(*) أدبي فلسفي تجريبي لا انطباعي، إذ يعطي الأديب فيه للتجربة بعداً ذاتيًا ونفسيًا، وذلك على عكس الانطباعية التي تركز على التعبير عن الانطباع الخارجي عن الذات.

● وقد اهتمت التعبيرية بالمسرح كما اهتمت بضروب الأدب الأخرى.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لقد تفرعت المدرسة التعبيرية إلى اتجاهات متعددة وهي:

ـ **الاتجاه التطبيقي**: ويقول أصحاب هذا الاتجاه: إن مهمة الأدب هي تنشيط عقل الإنسان ووجدانه، ومنعهما من الركود والبلادة، وليس مجرد تقديم صورة لما يراه الإنسان بالفعل في حياته اليومية.

ومن شخصيات هذا الاتجاه توللر وهاسين كليفر وبيتشر وكابر والأمريكي جون هاورد لوسون.

ـ **الاتجاه اللاعقلاني**: ويقول أصحاب هذا الاتجاه إن المعقول هو ما اتفق عليه الناس، وعلى المسرح أن يعالج ما لم يتفق عليه الناس بعد.

● **ومن شخصيات هذا الاتجاه**:

ـ صمويل بيكيت المولود سنة ١٩٠٦م وهو روائي ومسرحي إيرلندي الأصل. كان يكتب مسرحياته بالفرنسية.

ـ أونسكو المولود سنة ١٩١٢م وهو مسرحي روماني الأصل، ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

ـ ومن رموز التعبيرية، أيضاً، كافكا وأونيل الذي بلغت التعبيرية قمتها في إحدى مسرحياته المتأخرة **أيام بلا نهاية**.

الأفكار والمعتقدات:

● يتركز هدف الفن التعبيري في التجسيد الموضوعي الخارجي للتجربة النفسية المجردة، عن طريق توسيع أبعادها، وإلقاء أضواء جديدة عليها، لكي تكشف عن الأشياء

التي يخفيها الناس، أو التي لا يستطيعون رؤيتها لقصر نظرهم.

● وتجسد التعبيرية جوهر الأشياء، دون إظهار خارجها، ولذلك فهي لا تعترف بأن هناك تشابها بين الظاهر والباطن.

● تهتم التعبيرية بالإنسان كله، ولذا فإن الشخصيات في المسرح التعبيري تتحول إلى مجرد أنماط أكثر منها أناس من لحم ودم. وأحياناً تتحول إلى مجرد أرقام أو مسميات عامة.

ـ تقوم المسرحية التعبيرية على شخصية محورية تمر بأزمة نفسية أو عاطفية، لذلك يستعين المؤلف بعلم النفس في أحيان كثيرة حتى يبلور مأساة الشخصية الداخلية.

● ركز أصحاب المذهب(*) التعبيري على مهمة الأدب التقليدي الذي غالباً ما يتميز بالمحدودية والغباء وضيق الأفق.

● الاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية يعد الابن الشرعي للمذهب السريالي الأم. ولذلك يعد ثورة على منطق الحياة وعلى العقل، لهذا لا يخضع لقواعد الفن. ويعتقد بأن الحياة في جوهرها وفي حقيقتها التجريدية شيء لا معقول أي غير مفهوم وغير قابل للفهم أو للتفسير.

ـ ويعد هذا الاتجاه، أيضاً، من أمراض العصر الحاضر المملوء بالقلق واليأس من الحياة، والمصير المظلم الذي ينتهي بالموت.

● **نقد للاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية:**

ـ هاجم الناقد الفرنسي: مورياك.. في كتابه **الأدب المعاصر** أدب بيكيت اللامعقول. فقال: «إننا لا نعرف من بيكيت شيئاً محققاً أو واضحاً ولا نفهم شيئاً مما يقول على حقيقته».

ـ وكذلك هاجم أدب اللامعقول، الناقد أندريه مارسيل فقال: «يبدو أن الهدف الرئيسي لبيكيت هو كتابة العمل الأدبي الذي لا يكتب، والذي لا يمكن تأليفه، إنها محاولة نحو المستحيل، وهي مأساة فشل لا مفر منه، ومجرد أكوام من الحطب المحترق التي تملأ الجو دخاناً في أرض مبهمة مجهولة».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تعد الحرب العالمية الثانية، وما تركته من دمار في الأرض، ودمار في النفوس والأفكار المحضن الحقيقي للاتجاه اللاعقلاني في الأدب، لذلك كان اليأس والتشاؤم والقلق هو الغالب على مسرحيات هذا الاتجاه، إذ إن كثيراً من المفكرين والأدباء الأوربين فقدوا الأمل في الفكر العقلاني الواعي، لأن ما جرى خلال الحرب ينافي العقل(*) والمنطق(*) في رأيهم.

الانتشار وأماكن النفوذ:

نشأت التعبيرية في فرنسا وألمانيا وانتشرت بعد ذلك في أوربا والعالم الغربي كله.

يتضح مما سبق:

أن التعبيرية مذهب(*) أدبي فلسفي، يهتم بالتجربة الإنسانية، ويعطيها بعداً ذاتيًّا ونفسيًّا، فالعبرة فيه بجوهر الشيء لا بمظهره؛ لأنه لا يوجد أي تشابه بين الظاهر والباطن. وفي مجال المسرح يركز هذا المذهب على فكرة الشخصية المحورية التي تجتاز أزمة نفسية أو عاطفية ويتم تحليل أبعادها الخارجية من خلال معطيات علم النفس وأدواته. ويعد هذا المذهب مظهراً من مظاهر أمراض العصر الذي يغصّ بالقلق واليأس من الحياة والمصير المظلم الذي يسود كثيراً من دول الغرب، وينتهي بكثير من الناس إلى فقدان الإحساس بقيمة الحياة والقيم الروحية التي تثريها وتجعل للإنسان فيها هدفاً ولوجوده معنى.

● **تعقيب:**

ـ الإسلام لا يمنع التعبير عن مكنونات النفس إذا كان ذلك لا يتعارض مع معطيات الشرع، كالإفضاء بأسرار الحياة الزوجية، مثلاً، أو الدعوة إلى الإباحية وهكذا، وفي الوقت نفسه يحبب حياة الجد والعمل والاجتهاد، ويمحو مفاهيم الفوضى والعدمية واللامعقول من عقول الناس حتى لا تسيطر عليها وتحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق.

مراجع للتوسع:

ـ **الأدب ومذاهبه**، د. محمد مندور دار نهضة مصر ـ القاهرة.
ـ **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
ـ **المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا**، فليب فان يتغيم، ترجمة فريد أنطوانيوس ـ (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- De Segur: Histoire de la litterature Europieenne. Paris 1959.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise Paris 1960.

١٢٠- العبثية

التعريف:

العبثية مدرسة أدبية فكرية، تدعي أن الإنسان ضائع لم يبق لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يبق لأفكاره مضمون وإنما هو يجتر أفكاره؛ لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي، نتيجة للرغبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان، إذ انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة، وتحول الناس إلى تروس في هذه الآلة الاجتماعية الكبيرة. وجاءت مدرسة العبث كمرآة تعكس وتكبِّر ما يعاني منه إنسان النصف الثاني من القرن العشرين، عن طريق تجسيده في أعمال مسرحية ورواية شعرية، لعله ينجح في التخلص من هذا الانفلات في حياته، ويفتح الطريق أمام ثورة هائلة في الإمكانات، ومن التجديد في وسائل التعبير فيتولد لديه الانسجام والفهم لما يحدث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● نشأ مذهب(*) العبث في الأدب الأوربي وانتقل إلى الآداب العالمية المعاصرة بصفة عامة، والدول التي عانت من الحربين العالميتين الأولى والثانية بصفة خاصة، وهي الدول التي فقدت ثقتها في مجرد المسلك العقلي المنطقي الذي يمكن أن يدمر في لحظات كل ما يبنيه الإنسان من مدنية عندما تحكمه شهوة السيطرة والتدمير، كما فعل هتلر في الحرب العالمية الثانية.

● ومن العبث التفتيش عن معنى للسلوك الإنساني، في رأي أصحاب مذهب العبث؛ فإن الآلة التي اخترعها الإنسان قد سيطرت عليه، وأصبح هو نفسه ترساً فيها، مما أدى إلى إحساسه بالعبث والضياع في المضحك المؤلم.

● ومن أبرز شخصيات مذهب العبث الفرنسيان:

- صامويل بيكيت ١٩٠٦ م - ٠٠٠ الرائد الأول لمذهب العبث، وقد ألف في جميع الأشكال الأدبية، ومنح جائزة نوبل عام ١٩٦٩م.

- أوجين يونسكو ١٩١٢م - ٠٠٠ وهو كاتب فرنسي ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

الأفكار والمعتقدات:

● يمكن إجمال أفكار ومعتقدات مذهب(*) العبثية الأدبي والفكري فيما يلي:

- انعدام المعنى والمضمون وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر، وذلك نتيجة لما

قيل إنه الفراغ الروحي، والابتعاد عن الإيمان الذي لا يكون للحياة معنى وغاية بدونه.

- إن الآلة التي سيطرت على الإنسان في المدنية الغربية، أدت إلى تحلل المجتمع وتفككه، ولم يبق هناك روابط أسرية أو اجتماعية.

- إن تصوير الحياة المعاصرة وما فيها من تشتت وفقدان للرؤية الواضحة ورتابة مملة، وقلق وعدم أمان، يحول الحياة إلى وجود لا طعم فيه ولا معنى.

- التأثر بآراء فرويد في علم النفس التحليلي وما فيه من إيحاءات وأحلام وخيالات وأوهام.

- الخوف والرهبة من الكون، وهذا الخوف يقضي على كل تفكير عقلاني متماسك.

- اتباع أسلوب الألغاز والغموض في التعبير، بحيث لا يفهم النقاد ما ينتجون من أدب وشعر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تعد مدرسة السريالية الفرنسية الأساس لمذهب العبث، وذلك لما تحويه من شطحات العقل الباطن، وهلوسة عالم الأحلام الزاخر بالهواجس والآلام والآمال.

● كما تعد المدرسة الرمزية من جذور مذهب العبث، وما تحويه من صور مشوشة مضطربة تجمع بين الجمال والقبح والأسطورة والواقع، كذلك فإن آراء فرويد النفسية وما تحويه من إيحاءات وأحلام نتيجة تحليله النفسي للمرضى والمعتوهين، تعد من الجذور الفكرية لمذهب العبث.

أماكن الانتشار:

بدأ مذهب العبثية في فرنسا ثم انتشر في جميع أنحاء أوربا والعالم الغربي خاصة.

ويتضح مما سبق:

أن العبثية مدرسة أدبية فكرية لا تقيد نفسها بكثير من القيم الإنسانية، ولا ترى أن هناك أي مضمون حقيقي وراء السلوك الإنساني، الذي تحلل في المجتمع الغربي بسبب سيطرة الآلة على مسارات الحياة حتى أنها جعلت الإنسان ترساً في هذه الآلة الضخمة. وقد تأثرت هذه المدرسة بآراء فرويد في علم النفس التحليلي وما فيه من أحلام وأوهام وخيالات، وترى وجوب اتباع أسلوب الغموض والألغاز في التعبير بحيث لا يفهم النقاد نتاج هذه المدرسة التي يقوم فكرها على أساس الخوف من الكون والرهبة منه وهو خوف يقضي على كل تفكير عقلاني. ومع كل ما تقدم فإنها ترجع ضياع الإنسان في الغرب إلى الفراغ الروحي، ولكنها لا تلزم نفسها بأية قيم دينية سلفاً، ولذا وجب النظر إلى نتاجها الفكري بحذر واهتمام.

مراجع للتوسع:

- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، للدكتور. نبيل راغب مكتبة مصر ـ القاهرة.
- **الأدب المقارن**، د. محمد عفيفي هلال، دار العروة، بيروت.
- **في الأدب**، د. محمد مندور.
- **الأدب ومذاهبه**، د. محمد مندور.
- **المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا**، ترجمة فريد أنطونيوس (سلسة زدني علماً).
- **الفوضوية**، هنري أرفون (سلسلة زدني علماً).
- **الجمالية الفوضوية**، أندرية رستسلر (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- De Segur. Histoire de la letterature Européenne. Paris. 1959.
- Lanson: Histoire de la letterature Francaise, Paris, 1960.
- Caramian (L) Symbolisme et poesie, l'Exemple anglais. Paris. 1947.
- Clouard (H). Histoire de la letterture Francaise du Symbolisme a nos jours. Paris 1944
- 1949.

١٢١ـ البنيوية

التعريف:

● البنيوية: منهج(*) فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة.

ـ اشتق لفظ البنيوية من البنية إذ تقول: كل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها (أو نفككها) إلى عناصرها المؤلفة منها، من دون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كانت البنيوية في أول ظهورها تهتم بجميع نواحي المعرفة الإنسانية ثم تبلورت في ميدان البحث اللغوي والنقد الأدبي وتعد الأسماء الآتية هم مؤسسي البنيوية في الحقول المذكورة:

ـ ففي مجال اللغة برز فريدنان دي سوسور الذي يعد الرائد الأول للبنيوية اللغوية الذي قال ببنيوية النظام اللغوي المتزامن، إذ إن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية Diachronie، وإن تاريخ الكلمة، مثلاً، لا يعرض معناها الحالي، ويكمن في وجود أصل النظام أو البنية، بالإضافة إلى وجود التاريخ، ومجموعة المعاني التي تؤلف نظاماً يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات، إذ إن هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظاماً متزامناً إذ إن هذه العلاقات مترابطة.

ـ وفي مجال علم الاجتماع برز كل من: كلود ليفي شتراوس ولوي إلتوسير اللذين قالا: إن جميع الأبحاث المتعلقة بالمجتمع، مهما اختلفت، تؤدي إلى بنيويات؛ وذلك أن المجموعات الاجتماعية تفرض نفسها من حيث إنها مجموع وهي منضبطة ذاتياً، وذلك للضوابط المفروضة من قبل الجماعة.

ـ وفي مجال علم النفس برز كل من ميشال فوكو وجاك لا كان اللذين وقفا ضد الاتجاه الفردي Test is Contest في مجال الإحساس والإدراك، وإن كانت نظرية الصيغة (أو الجشتلت) التي ولدت سنة ١٩١٢م تعد الشكل المعبر للبنيوية النفسية.

الأفكار والمعتقدات:

إن دراسة أي ظاهرة أو تحليلها من الوجهة البنيوية. يعني أن يباشر الدارس أو المحلل وضعها بحيثياتها وتفاصيلها وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره أو عقيدته الخاصة في هذا، أو تدخل عوامل خارجية (مثل حياة الكاتب، أو التاريخ) في بنيان النص. وكما يقول البنيويون: «نقطة الارتكاز هي الوثيقة لا الجوانب ولا الإطار Test is Contest وأيضاً: «البنية تكتفي بذاتها. ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها».

وكل ظاهرة ـ تبعاً للنظرية البنيوية ـ يمكن أن تشكل بنية في حد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية.. وهكذا.

● تتلاقى المواقف البنيوية عند مبادىء عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تندرج في المحصلات التالية:

ـ السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت في كل مؤسسة بشرية.

ـ القول بأن فكرة الكلية أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والمردُّ الذي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة.

ـ لئن سارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفنون، فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا، من خلالها، إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.

● في مجال النقد الأدبي، فإن النقد البنيوي له اتجاه خاص في دراسة الأثر الأدبي يتلخص في: أن الانفعال والأحكام الوجدانية عاجزة تماماً عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، لذا يجب أن تفحصه في ذاته، من أجل مضمونه، وسياقه، وترابطه العضوي، فهذا أمرٌ ضروري، لا بد منه لاكتشاف ما فيه من ملامح فنية مستقلة في وجودها عن كل ما يحيط بها من عوامل خارجية.

● إن البنيوية لم تلتزم حدودها، وآنست في نفسها القدرة على حل جميع المعضلات وتحليل كل الظواهر، حسب منهجها، وكان يخيل إلى البنيويين أن النص لا يحتاج إلا إلى تحليل بنيوي؛ كي تنفتح للناقد كل أبنية معانيه المبهمة أو المتوارية خلف نقاب السطح. في حين أن التحليل البنيوي ليس إلا تحليلاً لمستوى واحد من مستويات تحليل أي بنية رمزية، نصيّة كانت أم غير نصيّة. والأسس الفكرية والعقائدية

التي قامت عليها، كلها تعد علوماً مساعدة في تحليل البنية أو الظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية.

● لم تهتم البنيوية بالأسس العَقَديَّة والفكرية لأي ظاهرة إنسانية أو أخلاقية أو اجتماعية، ومن هنا يمكن تصنيفها مع المناهج(*) المادية(*) الإلحادية(*)، مثل مناهج الوضعية في البحث، وإن كانت هي نفسها ليست عقيدة، وإنما منهج وطريقة في البحث.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تعد الفلسفة(*) الوضعية لدى كونت، التي لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية ـ التي تقوم على الوقائع التجريبية ـ الأساس الفكري والعقدي عند البنيوية.

فهي تؤمن بالظاهرة على أنها بنية منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها.. وتسعى لتحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، وذلك لفهمها وإدراكها.. ومن هنا كانت أحكامها شكلية كما يقول منتقدوها، ولذا فإن البنيوية تقوم على فلسفة غير مقبولة من وجهة نظر تصورنا الفكري والعقدي.

أماكن الانتشار:

البنيوية منهج مستورد من الغرب، وتعد أوربا وأمريكا أماكن انتشارها، وأرضها الأصلية. وهي تنتشر ببطء في باقي بلاد العالم، ومنها البلاد العربية.

يتضح مما سبق:

أن البنيوية منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته الخاصة، ونقطة الارتكاز في هذا المنهج(*) هي الوثيقة، فالبنية، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها. وفي مجال النقد الأدبي، فإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، ولذا يجب فحصه في ذاته من أجل مضمونه وسياقه وترابطه العضوي، والبنيوية، بهذه المثابة، تجد أساسها في الفلسفة الوضعية لدى كونت، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية، ومن هنا كانت خطورتها.

مراجع للتوسع:

- **البنيوية**، تأليف جان بياجيه - ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري - منشورات عويدات - بيروت - باريس، ط٤، ١٩٨٥م. سلسلة زدني علماً.
- **المعجم الأدبي**، تأليف جبور عبدالنور - دار العلم للملايين - بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- **جريدة الحياة**، العددان (١٠٣٨٠ و ١٠٣٨١) ٢٦ و٢٧ ذو الحجة ١٤١١هـ مقال بعنوان: البنيوية كما يراها ثلاثة نقاد.

المراجع الأجنبية:

- 0. Ducrot. T. Todorov. et... qu'est ce que le Structuralism. Paris 1968.
- Z. S. Harris, Methods in Structural Linguistics, Chicago, 1951.

١٢٢ ـ السريالية

التعريف:

● السريالية «أي ما فوق الواقعية أو ما بعد الواقع» هي مذهب(*) أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية، وزعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأعظم اتساعاً، وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية، ويجب تحرير هذا الواقع وإطلاق مكبوته وتسجيله في الأدب والفن. وهي تسعى إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية. وهذه المضامين تستمد من الأحلام، سواء في اليقظة أو المنام، ومن تداعي الخواطر الذي لا يخضع لمنطق السبب والنتيجة، ومن هواجس عالم الوعي واللاوعي على السواء، بحيث تتجسد هذه الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية. وهكذا تعد السريالية اتجاهاً يهدف إلى إبراز التناقض في حياتنا أكثر من اهتمامه بالتأليف.

ـ يعتبر مسرح العبث الابن الشرعي للسريالية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أصابت الإنسان الأوربي صدمة هزت النفوس وبلبلت الأفهام، نتيجة للدمار الكامل وإزهاق الأرواح بلا حساب، فنشأت نزعة جارفة للتحلل من القيم الأخلاقية(*)، وتحرير الغرائز والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وامتدت هذه النزعة إلى الفن والأدب مما أدى إلى ظهور المذهب المعروف بالسريالية في فرنسا سنة ١٩٢٤ م التي بدأت بالسريالية النفسية، ثم دخلت السريالية مجالات الأدب والاجتماع والاقتصاد(*) والفن، ومن أبرز الشخصيات السريالية:

ـ أندريه بريتون ١٨٩٦ ـ ١٩٦٦م وهو عالم نفس وشاعر فرنسي يعده النقاد مؤسس السريالية.

ـ ثورنتون وأيلور وهو كاتب مسرحي، ألف مسرحية **جلد الإنسان بين الأسنان** سنة ١٩٤٢م، وهي مسرحية تجنح إلى الخيال والعنف الناتج عن اللاشعور عند شخصيات المسرحية.

ـ سلفادور دالي ولد سنة ١٩٠٤م وهو رسام إسباني، ويعد من أبرز دعاة السريالية، وقد أضاف إليها إضافات كثيرة أبرزها أسلوبه الذي تميز به الذي دعاه «النقد المبنى على الهلوسة» وكان يؤكد دائماً أنه أقرب إلى الجنون منه إلى الماشي نوماً، والمعرفة عنده تقوم على التداعي والتأويل.

الأفكار والمعتقدات:

● يمكن إجمال أفكار ومعتقدات السريالية فيما يلي:

ـ الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية: مثل الأحلام والأخيلة.

ـ الكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، والبعيدة عن رقابة العقل، بدعوى أن الكلمات في اللاوعي لا تمارس دور الشرطي في رقابته على الأفكار، ولهذا تنطلق هذه الأفكار نشيطة جديدة.

ـ إهمال المعتقدات والأديان(*) والقيم الأخلاقية(*) السائدة في المجتمع.

ـ التركيز على الجانب السياسي، والبحث عن برنامج وضعي (مادي ومحسوس)، يصلح لتطوير المفاهيم الاجتماعية، لذلك تودد السرياليون للحزب الشيوعي، وبذلوا جهوداً كبيرة من أجل توسيع مجال تطبيق المادية الجدلية الماركسية(*).

ـ الثورة لتغيير حياة الناس، وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القائم، وشملت الثورة ثورة على اللغة التقليدية، وإحداث لغة جديدة.

ـ تزيت السريالية بأزياء مختلفة، فتارة تظهر كمجموعة من السحرة، وتارة تبدو كعصابة من قطاع الطرق، وتظهر تارة أخرى كأعضاء في خلية ثورية، فهي حركة سرية هدفها تقويض الوضع الراهن.

ـ ويعد الغموض في التعبير الأدبي أو الفني في مجال الرسم، هدفاً ثابتاً للسرياليين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثرت السريالية بآراء فرويد عالم النفس اليهودي في تحليله للنفس الإنسانية، وخاصة تلك التي تتحدث عن اللاشعور والأحلام، والكبت ودعوته إلى تحرير الغرائز الإنسانية والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وإشباع الغرائز والرغبات إشباعاً حراً حتى لا تصاب بالأمراض النفسية كما يدَّعي. وهذه الآراء تتلاءم مع دعوتهم إلى التحلل الأخلاقي في المجتمع البشري.

● وكذلك تأثرت السريالية بالفكر الماركسي الشيوعي، ودعوته إلى الثورة(*) لتغيير المجتمع، واستخدام العنف في سبيل ذلك.. وبظهور المزاج الثوري حلت الفوضى السياسية والصراع الكامل محل النظام والانسجام.

● وقد تأثرت السريالية، أيضاً، بحركة سبقتها تدعى الدادية التي ولدت في زيورخ بسويسرا سنة ١٩١٦م. وهي حركة فوضوية تكفر بالقيم السائدة والمعتقدات والتقاليد الاجتماعية، وتدعو إلى العودة إلى البداية. ورائد هذه الحركة هو ترستان تزارا الذي يصفه كاتب أوربي بأنه «المروِّج للفوضوية الفنية والاجتماعية».

ولذا عد النقاد السريالية وريثة هذه الحركة الدادية في أفكارها وتوجهاتها وأسلوبها.

● **بداية السريالية ونهايتها:**

ـ بدأت السريالية بمجال النفس البشرية، ثم دخلت مجالات الأدب والفكر والسياسة والاجتماع والفن، ثم اقتحمت بشذوذها الثوري مجال العقيدة الدينية والتقاليد الاجتماعية واللغة، وأثارت جدالاً عنيفاً بين أقصى الكاثوليكية في الغرب وأقصى الشيوعية في الشرق.

ـ وأخذت السريالية في الانكماش والتقوقع بعد ربع قرن من نشوئها، وشعر دعاتها بعجزهم عن تحقيق أي هدف، وبعقم ثورتهم ضد القيم والمعتقدات الدينية، وإخفاقهم في إيجاد مسيحية(*) جديدة، تخلص الإنسان من عذابه وضياعه ـ حسب زعمهم ـ وتحول عددٌ منهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشيوعية والإلحاد، وجُنَّ بعضهم وأدخل المصحات العقلية والنفسية، وتحول البعض الآخر إلى العبثية في الأدب المعبر عن انعدام المعنى العام وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر.

ـ أما أفكارها ومبادئها فقد تبناها مذهب الحداثة الأدبي الفكري، إذ صبت جميع جداول السريالية في مستنقعه الكبير.

وهكذا انتهت السريالية، المعبرة عن فقدان الإنسان الغربي العقيدة الصحيحة، واعتماده على ضلالات فرويد النفسية في اللاشعور والأحلام. هذه الضلالات التي أدت إلى التحلل الأخلاقي وإطلاق الغرائز من عقالها، مما أودى بها بعد ربع قرن من نشوئها.

ويتضح مما سبق:

أن السريالية مذهب(*) أدبي فني فكري غير ملتزم بالأديان(*)، يهدف إلى التحلل

من واقع الحياة الواعية، والرنو إلى واقع آخر هو واقع اللاوعي أو اللاشعور المكبوت في النفس البشرية، بحيث يتم تسجيل هذا الواقع في الأدب والفن، من خلال الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية، والكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، وإهمال الأديان والمعتقدات والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، والتركيز على الجانب السياسي وإذكاء الثورة(*) لتغيير حياة الناس، وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القائم، وتقويض الوضع القائم في المجتمع. وكل تلك الخصائص والغايات تبرر مدى خطورة مثل هذا المذهب الأدبي على القيم الدينية.

مراجع للتوسع

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٥هـ.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر، دار الشعاع، الكويت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- **الأدب ومذاهبه**، د. محمد مندور.
- **السريالية**، إيف دوبليس (سلسلة زدني علماً).
- **الأدب الرمزي**، هنري بير.

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre litterature Etudiée dans le texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise Paris 1961.
- Segur (Nicola): Histoire de la litterature Européene 1959.

١٢٣ ـ الميتافيزيقية

التعريف:

الميتافيزيقية(*) اتجاه أدبي وفلسفي يبحث في ظواهر العالم بطريقة عقلية، وليست حدسية صوفية، ويمزج العقل بالعاطفة، ويبتدع أساليب أدبية تجمع بين المختلف والمؤتلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● جون دن ١٥٧٢ ـ ١٦٣١م الشاعر الإنجليزي الذي أسس المدرسة الميتافيزيقية في الشعر الإنجليزي، مع باقي الشعراء في القرن السابع عشر من أمثال، جون هيربرت، وهنري فون، وروبرت كرشوا وأندرو مارفيل وإبراهام كاولي، وهم الشعراء الذين ساروا على نهج جون دن في أسرار الوجود.

● جون درايدن: شاعر إنجليزي نقد جون دن، وقال إن شعره مفعم بالفلسفة العويصة الفهم... والشعر المرهف الرقيق لا يستطيع حمل الأفكار الفلسفية الثقيلة.

● هـ. ج. س. جريرسون: ناقد إنجليزي من الكلاسيكية الحديثة، أحيا المدرسة الميتافيزيقية في كتابه عن **الأشعار الميتافيزيقية** سنة ١٩٢١م.

● ت. س. إليوت ناقد وأديب إنجليزي، أحيا الميتافيزيقية بعد أن كادت تندثر في كتابه **الشعراء الميتافيزيقيون** ودراسة خاصة عن الشاعر الميتافيزيقي **أندرو مارفيل** سنة ١٩٢١م.

● وفي مجال الفلسفة هيجل وبرادلي وصمويل ألكسندر وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

● محاولة تفسير الظواهر الميتافيزيقية، بأساليب تجسيدية تقرب بينها وبين الظواهر الطبيعية كتشبيه الحب بعلم التجميع، وتشبيه الروح بقطرة الذل.

● إن الإنسان يستطيع أن يقترب من القوى الميتافيزيقية عندما يجدها متجسدة في أعمال مسرحية وشعرية وروائية.

● الميتافيزيقيا(*) في مجال الفلسفة تعتمد على العقل(*) في إنشاء نظرية إلٰهية ـ عن الوجود الإلهي ـ بديلة عن التثليث(*)، من ذلك فلسفة(*) هيجل **الروح المطلق**

وكلها مذاهب يعارضها التوحيد الخالص معارضته للصليبية نفسها.

- الشعر الميتافيزيقي يعد نموذجاً لتحليل الشعور الإنساني، وليس لتجسيده والبحث عن الفلسفة الكامنة وراء الحب بكل أنواعه، وليس تعبيراً عن التجربة النفسية التي يخوضها المحبون.
- تأكيد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية، والشعر هو خير أداة للتعبير عن هذه الدلالات عن طريق إثارة قوى التفكير والتأمل لدى الإنسان العادي.
- الأسلوب السهل والتعبير الجميل هو الوسيلة الوحيدة لنقل الأفكار العميقة إلى القراء والتأثير فيهم، وإن أدى إلى المبالغة الشعرية.
- يختلف الشعر الميتافيزيقي عن الشعر الصوفي الذي يدعو إلى وحدة الوجود، وإلى الحب الإلهي الذي يسمو على الحب المادي الفاني، والذي ينتهي بحدود الزمان والمكان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

يرى بعضهم أن العقائد الدينية النصرانية هي الخلفية الفكرية للمذهب الميتافيزيقي الأدبي.. ولعل عجز الإنسان عن فهم الأمور الغيبية في الحياة، دفعه إلى التعبير عن جميع الظواهر الغيبية مثل الروح والحياة، والقدر والموت.. عن طريق الشعر والرواية والمسرحية.. لعل الإنسان يستطيع التوصل إلى فهم كنه هذه الظواهر.

أماكن النفوذ والانتشار:

بدأ المذهب(*) الميتافيزيقي في إنجلترا... وإن كانت أفكاره أثرت تأثيراً كبيراً في أدباء الكلاسيكية الجديدة في أوربا كلها والعالم الغربي برمته.

ويتضح مما سبق:

أن الميتافيزيقية هي اتجاه أدبي، يبحث عن ظواهر العالم بطريقة عقلية ممزوجة بالعاطفة، من أجل الجمع بين كل ما هو مؤتلف ومختلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية، وإبرازه في أعمال مسرحية وشعرية وروائية تجسد الفلسفة الكامنة وراء الحب، بأسلوب سهل وتعبير سلس. ومع أن هذا الاتجاه يؤكد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية، إلا أنه يتبنى، كالخيال الصوفي الجامح، فكرة وحدة الوجود، ومن هنا كانت خطورة التعبيرات الأدبية في هذا الاتجاه على الشباب المسلم الذي يجب أن يعيها بدقة، ويعرف أبعادها قبل أن ينجرف مع تيارها

عندما يتعامل مع إفرازات هذا المذهب الأدبي.

مراجع للتوسع:

- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ نشر مكتبة مصر.
- **طبيعة الميتافيزيقا**، تأليف جماعة من الفلاسفة الإنجليز. (سلسلة زدني علماً).
- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال ـ دار العودة ـ بيروت.
- **الأدب المقارن**، ماريوس فرانسوا غويار (سلسلة زدني علماً).
- **فلاسفة إنسانيون**، كارل ياسبر (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre Litterature Etudiée dans le texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la Litterature Francais Paris 1916.
- De Segur (Nicola): Histoire de la Litterature Europièenne.

الفصل الثالث

من الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية

● مقدمة عامة ● الرأسمالية
● الشيوعية ● الداروينية

مقدمة عامة

الإنصاف صفة من صفات الكتابة العلمية المحايدة، ولذا فإن أي كاتب منصف متجرد عن الهوى، وخال من الغرض، لا يمكن أن يختار الكلمات التي توافق هواه فحسب، والعبارات التي تنتصر لفكرته أيا كانت، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المستشرقين الذين طالما نظروا إلى الإسلام نظرة غير منصفة، عندما فضلوا عليه النظريات الاقتصادية والسياسية الملحدة كالشيوعية أو غير الملحدة كالرأسمالية، أو التي نشأت في كنف الرأسمالية كالعلمانية أو حتى مجرد الحركات الاجتماعية كحركة تحرير المرأة أو تلك التي مهدت لذيوع الشيوعية ومحاربة القيم الدينية كالدارونية.

ومن منطق الإنصاف لا الإجحاف،، تعيد هذه المقدمة كفتي الميزان إلى الاعتدال، وتقدم للقارىء نبذة عما سيقرؤه من تلك النظريات التي شغلت العالم وسيطرت عليه ثم تهاوت، كالشيوعية والدارونية، أو كادت كالرأسمالية أو العلمانية.

● إن الشيوعية التي عالجناها هي مذهب(*) فكري يقوم على الإلحاد وينظر إلى المادة على أنها أساس لكل شيء، ويفسر التاريخ من خلال صراع الطبقات، ويدير الاقتصاد على أساس خرافات تنظر إلى الدين(*) باعتباره أفيون الشعوب، فهل نجحت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أم أنها كانت السبب الرئيس في تفكك الاتحاد السوفيتي؟ وما دامت الشيوعية قد انهارت أفلا يكون ذلك مدعاة لتمسك المسلم بعقيدته ودينه وعدم الاهتزاز أمام الأفكار الهدامة؟

● أما الرأسمالية التي تناولناها بعد ذلك، فهي نظام اقتصادي يقوم على فكرة تحقيق أقصى إشباع ممكن لحاجات الإنسان الأساسية والكمالية، معتمداً على سياسة

فصل الدين نهائيّاً عن الحياة، ولقد كانت الرأسمالية سبباً في إلحاق ويلات كثيرة بشتى دول العالم، نتيجة اعتمادها على المنفعة واللذة كمعيارين أساسيين لسعادة الإنسان، بصرف النظر عن العقائد والأديان(*)، وهو ما أدى إلى اهتزاز هذه النظرية، وقيام الدول التي كانت تأخذ بها إلى إعادة النظر فيها، بل إن بعض الدول الإسلامية قد هجرتها وتبنت نظرية إسلامية نابعة من عقيدتها، وهو ما يؤكد ضرورة العودة إلى عرين الدين.

ولما كانت الرأسمالية تفصل بين الدين والدولة فقد كان من المناسب معالجة موضوع العلمانية باعتباره دعوة إلى إقامة الحياة على العلم البحت، والعقل المجرد، مع فصل الدين كلية عن الدولة استناداً إلى فكرة نصرانية تقول إن المسيح، عليه الصلاة والسلام، قال: «أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله». وأياً ما كان الأمر فإن هذه النظرية بدأت تتهاوى تحت مطارق الشمول الإسلامي في الدول الإسلامية بوجه خاص، وبدأ الاتجاه من جديد صوب الإسلام الذي هو عقيدة وشريعة(*) ودين ودولة.

● أما الدارونية وهي مما عالجناه على هذا الصعيد، فهي فكرة علمية تنسب إلى شارلز دارون، صاحب نظرية النشوء والارتقاء المعروفة، التي حاول أن يزعزع بها جميع القيم الدينية في الشرق والغرب. وقد انهارت بدورها على أثر ظهور نظريات علمية أثبتت خطلها وفسادها.

ـ وبهذه الملامح نقدم لهذا الموضوع الذي سيستخلص منه القارىء أنه يسير على الطريق المستقيم في ظل دينه الحنيف، وأنه بالنأي عن هذه النظريات يحمي قيمه وعقيدته.

١٢٤ـ الرأسمالية

التعريف:

الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين(*) نهائيّاً عن الحياة. ولقد ذاق العالم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. ولا تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كانت أوربا محكومة بنظام الإمبراطورية الرومانية التي ورثها النظام الإقطاعي Feudal System.

● لقد ظهرت ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر الطبقة البورجوازية(*) Bourgeois تالية لمرحلة الإقطاع ومتداخلة معها.

● تلت مرحلةَ البورجوازية مرحلةُ الرأسمالية وذلك منذ بداية القرن السادس عشر ولكن بشكل متدرج.

● فقد ظهرت أولاً الدعوة إلى الحرية(*) Libération وكذلك الدعوة إلى إنشاء القوميات اللادينية.

● ظهر المذهب الحر (الطبيعي(*)) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا إذ ظهر الطبيعيون Les Phisiocrates ومن أشهر دعاة هذا المذهب:

ـ فرنسوا كنزني Francois Quensnay ١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م ولد في فرساي بفرنسا، وعمل طبيباً في بلاط لويس الخامس عشر، لكنه اهتم بالاقتصاد وأسس المذهب الطبيعي، فلقد نشر في سنة ١٧٥٦م مقالين عن الفلاحين وعن الجنوب، ثم أصدر في سنة ١٧٥٨م الجدول الاقتصادي Tableau Economique ، وشبَّه فيه تداول المال داخل الجماعة بالدورة الدموية. وقد قال ميرابو حينذاك عن هذا الجدول بأنه: «يوجد في العالم ثلاثة اختراعات عظيمة هي الكتابة والنقود والجدول الاقتصادي».

ـ جون لوك Jonn Locke ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م صاغ النظرية الطبيعية الحرة إذ

يقول عن الملكية الفردية: «وهذه الملكية حق من حقوق الطبيعة، وغريزة تنشأ مع نشأة الإنسان، فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة».

- ومن ممثلي هذا الاتجاه، أيضاً، تورجو Turgot وميرابو Mirabou وجان باتست ساي J.B.Say وباستيا.

● ظهر بعد ذلك المذهب(*) الكلاسيكي الذي تبلورت أفكاره على أيدي عدد من المفكرين من أبرزهم:

- آدم سميث A.Smith ١٧٢٣ - ١٧٩٠م وهو أشهر الكلاسيكيين على الإطلاق، ولد في مدينة كيركالدي في أسكوتلنده، ودرس الفلسفة(*)، وكان أستاذاً لعلم المنطق(*) في جامعة جلاسجو. سافر إلى فرنسا سنة ١٧٦٦م والتقى هناك بأصحاب المذهب الحر. وفي سنة ١٧٧٦م أصدر كتابه **بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم** هذا الكتاب الذي قال عنه أحد النقاد وهو أدمون برك: «إنه أعظم مؤلَّف خطه قلم إنسان».

- دافيد ريكاردو David Ricardo ١٧٧٢ - ١٨٢٣م قام بشرح قوانين توزيع الدخل في الاقتصاد(*) الرأسمالي، وله النظرية المعروفة باسم **قانون تناقص الغلة**. ويقال بأنه كان ذا اتجاه فلسفي ممتزج بالدوافع الأخلاقية لقوله: «إن أي عمل يعتبر منافياً للأخلاق ما لم يصدر عن شعور بالمحبة للآخرين».

- جون استيوارت مل J.Stuart Mill ١٨٠٦-١٨٧٣م يعدُّ حلقة اتصال بين المذهب الفردي والمذهب الاشتراكي(*) ، فقد نشر سنة ١٨٣٦م كتابه **مبادىء الاقتصاد السياسي**.

- اللورد كينز Keyns ١٨٨٣ - ١٩٤٦م صاحب النظرية التي عرفت باسمه التي تدور حول البطالة(*) والتشغيل، وقد تجاوزت غيرها من النظريات إذ يرجع إليه الفضل في تحقيق التشغيل الكامل للقوة العاملة في المجتمع الرأسمالي. وقد ذكر نظريته هذه ضمن كتابه **النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود** الذي نشره سنة ١٩٣٦ م.

- دافيد هيوم ١٧١١ - ١٧٧٦م صاحب نظرية النفعية Pragmatism التي وضعها بشكل متكامل والتي تقول بأن «الملكية الخاصة، تقليد اتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم».

- أدمون برك من المدافعين عن الملكية الخاصة على أساس النظرية التاريخية أو نظرية تقادم الملكية.

الأفكار والمعتقدات:

● **أسس الرأسمالية:**

ـ البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب، إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات، مثلاً.

ـ تقديس الملكية الفردية، وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها، وعدم الاعتداء عليها، وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها، وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

ـ المنافسة والمزاحمة في الأسواق Perfect Competition.

ـ نظام حرية الأسعار Price System ، وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب، واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها.

● **أشكال رأسمالية:**

ـ الرأسمالية **التجارية** التي ظهرت في القرن السادس عشر إثر إزالة الإقطاع، إذ أخذ التاجر يقوم بنقل المنتجات من مكان إلى آخر، حسب طلب السوق، فكان بذلك وسيطاً بين المنتج والمستهلك.

ـ الرأسمالية **الصناعية** التي ساعد على ظهورها تقدم الصناعة، وظهور الآلة البخارية التي اخترعها جيمس وات سنة ١٧٧٠م، والمغزل الآلي سنة ١٧٨٥م، مما أدى إلى قيام الثورة الصناعية في إنجلترا أولاً، وفي أوربا عامة إبان القرن التاسع عشر. وهذه الرأسمالية الصناعية تقوم على أساس الفصل بين رأس المال وبين العامل، أي بين الإنسان وبين الآلة.

ـ نظام الكارتل Cartel System الذي يعني اتفاق الشركات الكبيرة على اقتسام السوق العالمية فيما بينها، مما يعطيها فرصة احتكار(*) هذه الأسواق وابتزاز الأهالي بحرية تامة. وقد انتشر هذا المذهب في ألمانيا واليابان.

ـ نظام الترست Trust System والذي يعني تكون شركة من الشركات المتنافسة؛ لتكون أقدر في الإنتاج وأقوى في التحكم والسيطرة على السوق.

أفكار ومعتقدات أخرى:

● إن المذهب الطبيعي الذي هو أساس الرأسمالية إنما يدعو إلى أمور منها:

ـ الحياة الاقتصادية تخضع لنظام طبيعي ليس من وضع أحد، إذ يحقق بهذه

الصفة نمواً للحياة وتقدماً تلقائيّاً لها.

- إنه يدعو إلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وأن تقصر مهمتها على حماية الأفراد والأموال والمحافظة على الأمن والدفاع عن البلاد.

- الحرية الاقتصادية لكل فرد، إذ إن له الحق في ممارسة واختيار العمل الذي يلائمه. وقد عبروا عن ذلك بالمبدأ المشهور: «دعه يعمل دعه يمر» Laisser Fair, Laisser Passer.

- إن إيمان الرأسمالية بالحرية(*) الواسعة أدى إلى فوضى في الاعتقاد وفي السلوك، مما تولدت عنه هذه الصراعات الغريبة التي تجتاح العالم معبرة عن الضياع الفكري والخواء الروحي.

- إن انخفاض الأجور وشدة الطلب على الأيدي العاملة دفع الأسرة لأن يعمل كل أفرادها، مما أدى إلى تفكك عرى الأسرة وانحلال الروابط الاجتماعية فيما بينها.

- من أهم آراء آدم سميث أن نمو الحياة الاقتصادية وتقدمها وازدهارها إنما يتوقف على الحرية الاقتصادية، وتتمثل هذه الحرية في نظره فيما يلي:

- الحرية الفردية التي تتيح للإنسان حرية اختيار عمله الذي يتفق مع استعداداته، ويحقق له الدخل المطلوب.

- يرى الرأسماليون أن الحرية Liberation ضرورية للفرد من أجل تحقيق التوافق بينه وبين المجتمع، ولأنها قوة دافعة للإنتاج، لكونها حقاً إنسانياً يعبر عن الكرامة البشرية.

● **عيوب الرأسمالية:**

الرأسمالية نظام وضعي يقف على قدم المساواة مع الشيوعية وغيرها من النظم التي وضعها البشر، بعيداً عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده ولخلقه من بني الإنسان، ومن عيوبها:

- **الأنانية**: إذ يتحكم فرد أو أفراد قلائل في الأسواق؛ تحقيقاً لمصالحهم الذاتية، دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة.

- **الاحتكار**(*): إذ يقوم الشخص الرأسمالي باحتكار البضائع وتخزينها، حتى إذا ما فقدت من الأسواق نزل بها ليبيعها بسعر مضاعف يبتز به المستهلكين الضعفاء.

- لقد تطرفت الرأسمالية في تضخيم شأن الملكية الفردية، كما تطرفت الشيوعية في إلغاء هذه الملكية.

ـ **المزاحمة والمنافسة**: إن بنية الرأسمالية تجعل الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها.

ـ **ابتزاز الأيدي العاملة**: ذلك أن الرأسمالية تجعل الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب، مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يُستبدَل به غيره، ممن يأخذ أجراً أقل أو يؤدي عملاً أكثر أو خدمة أفضل.

ـ **البطالة**(*): وهي ظاهرة مألوفة في المجتمع الرأسمالي، وتكون شديدة البروز إذا كان الإنتاج أكثر من الاستهلاك، مما يدفع بصاحب العمل إلى الاستغناء عن الزيادة في هذه الأيدي التي تثقل كاهله.

ـ **الحياة المحمومة**: وذلك نتيجة للصراع القائم بين طبقتين إحداهما مبتزة يهمها جمع المال بكل السبل، وأخرى محروقة تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها، دون أن يشملها شيء من التراحم والتعاطف المتبادل.

ـ **الاستعمار**(*): ذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية، وبدافع البحث عن أسواق جديدة لتسويق المنتجات، تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعماراً اقتصاديّاً أولاً، وفكريّاً وسياسيّاً وثقافيّاً ثانياً، وذلك فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها.

ـ **الحروب والتدمير**: فلقد شهدت البشرية ألواناً عجيبة من القتل والتدمير؛ وذلك نتيجة طبيعية للاستعمار الذي أنزل بأمم الأرض أفظع الأهوال وأشرسها.

ـ الرأسماليون يعتمدون على مبدأ الديمقراطية في السياسة والحكم، وكثيراً ما تجنح الديمقراطية مع الأهواء بعيدة عن الحق والعدل والصواب، وكثيراً ما تستخدم لصالح طائفة الرأسماليين أو من يسمون، أيضاً، (أصحاب المكانة العالية).

ـ إن النظام الرأسمالي يقوم على أساس ربوي، ومعروف أن الربا هو جوهر العلل التي يعاني منها العالم أجمع.

ـ إن الرأسمالية تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي، وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية، داعية إلى الفصل بين الاقتصاد وبين الأخلاق.

ـ تعمد الرأسمالية إلى حرق البضائع الفائضة، أو تقذفها في البحر خوفاً من أن تتدنى الأسعار لكثرة العرض، وبينما هي تقدم على هذا الأمر تكون كثير من الشعوب أشدَ معاناة وشكوى من المجاعات التي تجتاحها.

ـ يقوم الرأسماليون بإنتاج المواد الكمالية، ويقيمون الدعايات الهائلة لها، دونما التفات إلى الحاجات الأساسية للمجتمع؛ ذلك أنهم يفتشون عن الربح والمكسب أولاً وآخراً.

ـ يقوم الرأسمالي في أحيان كثيرة بطرد العامل عندما يكبر، دون حفظ لشيخوخته، إلا أن أمراً كهذا أخذت تخف حدته في الآونة الأخيرة بسبب الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية، والقوانين والتشريعات التي سنتها الأمم لتنظيم العلاقة بين صاحب رأس المال والعامل.

● **الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية:**

ـ كانت إنجلترا حتى سنة ١٨٧٥ م من أكبر البلاد الرأسمالية تقدماً. ولكن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ظهرت كل من الولايات المتحدة وألمانيا، وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت اليابان.

ـ في عام ١٩٣٢ م باشرت الدولة تدخلها بشكل أكبر في إنجلترا، وفي الولايات المتحدة زاد تدخل الدولة ابتداء من سنة ١٩٣٣ م، وفي ألمانيا بدءًا من العهد الهتلري، وذلك لأجل المحافظة على استمرارية النظام الرأسمالي.

ـ لقد تمثل تدخل الدولة في المواصلات والتعليم ورعاية حقوق المواطنين وسن القوانين ذات الصبغة الاجتماعية، كالضمان الاجتماعي والشيخوخة والبطالة(*) والعجز والرعاية الصحية وتحسين الخدمات ورفع مستوى المعيشة.

ـ لقد توجهت الرأسمالية هذا التوجه الإصلاحي الجزئي؛ بسبب ظهور العمال قوة انتخابية في البلدان الديمقراطية؛ وبسبب لجان حقوق الإنسان، ولوقف المد الشيوعي الذي يتظاهر بنصرة العمال ويدعي الدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تقوم جذور الرأسمالية على شيء من فلسفة الرومان القديمة، يظهر ذلك في رغبتها في امتلاك القوة وبسط النفوذ والسيطرة.

● لقد تطورت متنقلة من الإقطاع إلى البروجوازية(*) إلى الرأسمالية، وخلال ذلك اكتسبت أفكاراً ومبادىء مختلفة تصب في تيار التوجه نحو تعزيز الملكية الفردية والدعوة إلى الحرية.

● قامت في الأصل على أفكار المذهب الحر والمذهب الكلاسيكي.

● إن الرأسمالية تناهض الدين(*)، متمردة على سلطان الكنيسة(*) أولاً، وعلى

قانون الأخلاق أخيراً.

● لا يهم الرأسمالية من القوانين الأخلاقية إلا ما يحقق لها المنفعة، ولاسيما الاقتصادية منها على وجه الخصوص.

● كان للأفكار والآراء التي تولدت نتيجة للثورة الصناعية في أوربا دور بارز في تحديد ملامح الرأسمالية.

● تدعو الرأسمالية إلى الحرية(*)، وتتبنى الدفاع عنها، لكن الحرية السياسية تحولت إلى حرية أخلاقية واجتماعية، ثم تحولت هذه بدورها إلى إباحية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● ازدهرت الرأسمالية في إنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية وفي معظم العالم الغربي.

● كثير من دول العالم تعيش في جو من التبعية إما للنظام الشيوعي وإما للنظام الرأسمالي، وتتفاوت هذه التبعية بين التدخل المباشر وبين الاعتماد عليهما في الشؤون السياسية والمواقف الدولية.

● وقف النظام الرأسمالي، مثله مثل النظام الشيوعي، إلى جانب إسرائيل دعماً وتأييداً بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويتضح مما سبق:

أن الرأسمالية مذهب(*) مادي جشع يغفل القيم الروحية في التعامل مع المال، مما يزيد الأغنياء غنى والفقراء فقراً. وتعمل أمريكا الآن باعتبارها زعيمة هذا المذهب(*) على ترقيع الرأسمالية في دول العالم الثالث، بعد أن انكشف عوارها ببعض الأفكار الاشتراكية(*)، محافظة على مواقعها الاقتصادية، وكي تبقى سوقاً للغرب الرأسمالي وعميلاً له في الإنتاج والاستهلاك والتوزيع. وما يراه البعض من أن الإسلام يقترب في نظامه الاقتصادي من الرأسمالية خطأ واضح يتجاهل عدداً من الاعتبارات:

● أن الإسلام نظام رباني يشمل أفضل ما في الأديان والمذاهب من إيجابيات، ويسلم مّما فيها من سلبيات، إذ إنه شريعة الفطرة تحلل ما يصلحها وتحرم ما يفسدها.

● أن الإسلام وجد وطبق قبل ظهور النظم الرأسمالية والاشتراكية، وهو نظام قائم بذاته، والرأسمالية تنادي بإبعاد الدين(*) عن الحياة، وهو أمر مخالف لفطرة الإنسان، كما تزن أقدار الناس بما يملكون من مال، والناس في الإسلام يتفاضلون بالتقوى.

● ترى الرأسمالية أن الخمر والمخدرات تلبي حاجات بعض أفراد المجتمع، وكذلك الأمر بالنسبة لخدمات راقصة الباليه، وممثلة المسرح، وأندية العراة، ومن ثم تسمح بها دون اعتبار لما تسببه من فساد، وهي أمور لا يقرها الضمير الإسلامي. وفي سبيل تنمية رأس المال تسلك كل الطرق دونما وازع أخلاقي مانع فالغاية عندهم دائماً تبرر الوسيلة.

● النواحي الاقتصادية في الإسلام مقيدة بالشرع وما أباحه أو حرمه، ولا يصح أن نعتبر الأشياء نافعة لمجرد وجود من يرغب في شرائها، بصرف النظر عن حقيقتها واستعمالها من حيث الضرر أو النفع.

● القول بأن الندرة النسبية هي أصل المشكلة الاقتصادية قول مخالف للواقع، فالمولى سبحانه وتعالى خلق الكون والإنسان والحياة وقدر الأقوات، بما يفي بحياة البشرية، وقدّر الأرزاق وأمر بالتكافل بين الغني والفقير.

● أدى النظام الرأسمالي إلى مساوىء وويلات، وأفرز ما يعانيه العالم من استعمار ومناطق نفوذ وغزو اقتصادي، ووضع معظم ثروات العالم في أيدي الاحتكارات(*) الرأسمالية وديون تراكمية.

مراجع للتوسع:

- **أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة**، تأليف أبي الأعلى المودودي - ترجمة محمد عاصم حداد - ط ٣ - ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م - مطبعة الأمان - لبنان.
- **المذاهب الاقتصادية الكبرى**، تأليف جورج سول - ترجمة راشد البراوي.
- **الأنظمة الاقتصادية في العالم**، د. أحمد شلبي - ط ١ - النهضة المصرية - ١٩٧٦م.
- **معركة الإسلامية والرأسمالية**، سيد قطب - ط ٢ - مطبعة دار الكتاب العربي - ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- **الاقتصاد في الإسلام**، حمزة الجميعي الدهومي - ط ١ - مطبعة التقدم بالقاهرة - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.
- **الاقتصاد الإسلامي، مفاهيم ومرتكزات**، د. محمد أحمد صقر - ط ١ - مطابع سجل العرب - نشر دار النهضة العربية بالقاهرة - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- **اقتصادنا**، محمد باقر الصدر - دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.
- **فلسفتنا**، محمد باقر الصدر - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان - ١٣٧٩هـ.

ـ الاقتصاد الإسلامي، المركز العالمي للأبحاث والاقتصاد ـ ط ١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
ـ حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ٢ ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
ـ حكم الإسلام في الرأسمالية، د. محمود الخالدي.

المراجع الأجنبية:

- D. Villey: A La Recherche d'une Doctrine Economiques, Ed.; Genen, Paris, 1967.
- J. Marchal: "Cours d'économie politique" paris 1956.
- J.M. Kenes, General Theory of Employment Interest and Money (Harcourt, Brace and Company, 1933).
- George N. Halm, Economic: A Comparative Analysis, Hotlt, Rinchart & Winston Ltd. New York.
- Gunnar Myrdal, Against The Stream, published by Pantheon press, Cambridge University Press 1972.
- Lord Bowdan and S.T.S Al - Hasani "The profit and the loss or a fair share of the proceeds. The Guradian, Thursday, June 5 - 1975.
- Abdul - Hamid Ahmad Abu Sulayman: The Theory of the Economics of Islam, Proceedings of the Third East Coast Regional Conference. Theme Contermporary Aspects of Economic and social Thinking in Islam, Moslem Students Association, Holiday Hills, April 12, 1968. PP. 26 - 83.
- Adam Smith, The Wealth of Nations.
- Encyclopaedia Britannica, Vol 2, P. 535, 1976.

١٢٥ ـ الشيوعية

التعريف:

الشيوعية مذهب(*) فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية(*) التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● وضعت أسسها الفكرية النظرية على يد كارل ماركس اليهودي الألماني ١٨١٨ ـ ١٨٨٣م وهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف مردخاي ماركس، وكارل ماركس شخص قصير النظر متقلب المزاج، حاقد على المجتمع، مادي النزعة، ومن مؤلفاته:

- **البيان الشيوعي** الذي صدر سنة ١٨٤٨م.
- **رأس المال** ظهر سنة ١٨٦٧م.

● ساعده في التنظير للمذهب فردريك إنجلز ١٨٢٠ ـ ١٨٩٥م وهو صديق كارل ماركس الحميم وقد ساعده في نشر المذهب كما أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات، ومن مؤلفاته:

- **أصل الأسرة.**
- **الثنائية في الطبيعة.**
- **الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلمية**(*).

● لينين: واسمه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، وهو قائد الثورة البلشفية الدامية في روسيا ١٩١٧م وديكتاتورها المرهوب، وهو قاسي القلب، مستبد

برأيه، حاقد على البشرية. ولد سنة ١٨٧٠م، ومات سنة ١٩٢٤م، وهناك دراسات تقول بأن لينين يهودي الأصل، وكان يحمل اسماً يهودياً، ثم تسمى باسمه الروسي الذي عرف به، مثله مثل تروتسكي في ذلك.

ـ ولينين هو الذي وضع الشيوعية موضع التنفيذ. وله كتب كثيرة وخطب ونشرات أهمها ما جمع فيما يسمى **مجموعة المؤلفات الكبرى**.

● ستالين: واسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفتش زوجا شفلي ١٨٧٩ ـ ١٩٥٤م وهو سكرتير الحزب الشيوعي ورئيسه بعد لينين، اشتهر بالقسوة والجبروت والطغيان والديكتاتورية وشدة الإصرار على رأيه، يعتمد في تصفية خصومه على القتل والنفي، كما أثبتت تصرفاته أنه مستعد للتضحية بالشعب كله في سبيل شخصه. وقد ناقشته زوجته مرة فقتلها.

● تروتسكي: ولد سنة ١٨٧٩م واغتيل سنة ١٩٤٠م بتدبير من ستالين، وهو يهودي واسمه الحقيقي بروشتاين. له مكانة مهمة في الحزب، وقد تولى الشؤون الخارجية بعد الثورة(*)، ثم أسندت إليه شؤون الحزب.. ثم فصل من الحزب بتهمة العمل ضد مصلحة الحزب؛ ليخلو الجو لستالين الذي دبر اغتياله للخلاص منه نهائياً.

الأفكار والمعتقدات:

● إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات، والقول بأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين(*)، الملكية الخاصة، عليهم من الله ما يستحقون.

● فسروا تاريخ البشرية بالصراع بين البورجوازية(*) والبروليتاريا(*) (الرأسماليين والفقراء)، وينتهي هذا الصراع حسب زعمهم بديكتاتورية البروليتاريا.

● يحاربون الأديان، ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب، وخادماً للرأسمالية والإمبريالية(*) والاستغلال، مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!!

● يحاربون الملكية الفردية، ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة.

● تتركز اهتماماتهم في كل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.

● إن كل تغيير في العالم في نظرهم إنما هو نتيجة حتمية(*) لتغيّر وسائل الإنتاج، وإن الفكر والحضارة والثقافة هي وليدة التطور الاقتصادي.

● يقولون بأن الأخلاق(*) نسبية، وهي انعكاس لآلة الإنتاج.

● يحكمون الشعوب بالحديد والنار ولا مجال لإعمال الفِكر، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

● يعتقدون بأنه لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير هذه الحياة الدنيا.

● يؤمنون بأزلية المادة، وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.

● يقولون بديكتاتورية الطبقة العاملة، ويبشرون بالحكومة العالمية.

● تؤمن الشيوعية بالصراع والعنف، وتسعى لإثارة الحقد والضغينة بين العمال وأصحاب الأعمال.

● الدولة هي الحزب(*) والحزب هو الدولة.

● تكون المكتب السياسي الأول للثورة(*) البلشفية(*) من سبعة أشخاص كلهم يهود إلا واحداً، وهذا يعكس مدى الارتباط بين الشيوعية واليهودية.

● تنكر الماركسية الروابط الأسرية، وترى فيها دعامة للمجتمع البرجوازي، وبالتالي لا بد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية.

● لا يحجمون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم، وهي أن يصبح العالم شيوعياً تحت سيطرتهم. قال لينين: «إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء، إنما الشيء المهم هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيّاً». وهذه القاعدة طبقوها في روسيا أيام الثورة وبعدها، وكذلك في الصين وغيرها، إذ أبيدت ملايين من البشر، كما أن اكتساحهم لأفغانستان بعد أن اكتسحوا الجمهوريات الإسلامية الأخرى كبُخارى وسمرقند وبلاد الشيشان والشركس، إنما ينضوي تحت تلك القاعدة الإجرامية.

● يهدمون المساجد، ويحولونها إلى دور ترفيه ومراكز للحزب، ويمنعون المسلم من إظهار شعائر دينه، أما اقتناء المصحف فهو جريمة يعاقب عليها بالسجن لمدة سنة كاملة.

● لقد كان توسعهم على حساب المسلمين، فكان أن احتلوا بلادهم وأفنوا شعوبهم وسرقوا ثرواتهم، واعتدوا على حرمة دينهم ومقدساتهم.

● يعتمدون على الغدر والخيانة والاغتيالات؛ لإزاحة الخصوم ولو كانوا من أعضاء الحزب.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لم تستطع الشيوعية إخفاء تواطئها مع اليهود وعملها لتحقيق أهدافهم، فقد صدر منذ الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:

ـ يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.

ـ الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين.

● يصرح ماركس بأنه اتصل بفيلسوف الصهيونية وواضع أساسها النظري وهو موشيه هيس أستاذ هرتزل الزعيم الصهيوني الشهير.

ـ جدُّ ماركس هو الحاخام اليهودي المشهور في الأوساط اليهودية مردخاي ماركس.

● تأثرت الماركسية إضافة إلى الفكر اليهودي بجملة من الأفكار والنظرات الإلحادية منها:

ـ مدرسة هيجل العقلية المثالية.

ـ مدرسة كونت الحسية الوضعية.

ـ مدرسة فيورباخ في الفلسفة(*) الإنسانية الطبيعية.

ـ مدرسة باكونين صاحب المذهب(*) الفوضوي المتخبط.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● حكمت الشيوعية عدة دول منها:

ـ الاتحاد السوفياتي، والصين، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبلغاريا، وبولندا، وألمانيا، ورومانيا، ويوغسلافيا، وألبانيا، وكوبا، وفيتنام.

ومعلوم أن دخول الشيوعية إلى هذه الدول كان بالقوة والنار والتسلط الاستعماري. ولذلك فإن جل شعوب هذه الدول أصبحت تتململ بعد أن عرفت الشيوعية على حقيقتها، وأنها ليست الفردوس الذي صور لهم، وبالتالي بدأت الانتفاضات والثورات تظهر هنا وهناك، كما حدث في بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، كما أنك لا تكاد تجد دولتين شيوعيتين في وئام دائم.

● أما في العالم الإسلامي فقد استفاد الشيوعيون من جهل بعض الحكام وحرصهم على تدعيم كراسيهم، ولو على حساب الدين(*)، إذ اكتسحت الشيوعية أفغانستان وشردت شعبها المسلم كما تحكمت في بعض الدول الإسلامية الأخرى بواسطة عملائها.

● تقوم الدول الشيوعية بتوزيع ملايين الكتيّبات والنشرات مجاناً في جميع أنحاء

العالم داعية إلى مذهبها.

● أسست الشيوعية أحزاباً لها في كل الدول العربية والإسلامية تقريباً، فنجد لها أحزاباً في مصر، وسورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن، وتونس وغيرها.

● إنهم يؤمنون بالأممية، ويسعون لتحقيق حلمهم بالحكومة العالمية التي يبشرون بها.

● **انهيار الماركسية:**

ـ انهارت الشيوعية في معاقلها بعد قرابة السبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي، وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوربا الشرقية، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه أن الكثير من المبادىء الماركسية لم تعد صالحة للبقاء، وليس بمقدورها أن تواجه مشكلات ومتطلبات العصر مما تسبب في تخلف البلدان التي تطبق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية. وهكذا يتراجع دعاة الفكر المادي الشيوعي عن تطبيقه؛ لعدم واقعيته وتخلفه عن متابعة التطور الصناعي والعلمي، وتسببه في تدهور الوضع الاقتصادي، وهدم العلاقات الاجتماعية، وإشاعة البؤس والحرمان والظلم والفساد، ومصادمة الفطرة ومصادرة الحريات ومحاربة الأديان(*). وقد تأكد بوضوح بعد التطبيق لهذه الفترة الطويلة أن من عيوب الماركسية أنها تمنع الملكية الفردية وتحاربها وتلغي الإرث الشرعي، وهذا مخالف للفطرة وطبائع الأشياء، ولا تعطي الحرية للفرد في العمل وناتج العمل، ولا تقيم العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وأن الشيوعي يعمل لتحقيق مصلحته ولو هدم مصالح الآخرين، وينحصر خوفه في حدود رقابة السلطة وسوط القانون، وأن الماركسية تهدم أساس المجتمع وهو الأسرة فتقضي بذلك على العلاقات الاجتماعية.

ـ اقتنع الجميع بأنها نظرية فاسدة يستحيل تطبيقها، إذ تحمل في ذاتها بذور فنائها. وقد ظهر لمن مارسوها عدم واقعيتها وعدم إمكانية تطبيقها، ومن أكبر ناقدي الماركسية من الماركسيين أنفسهم الفيلسوف الأمريكي أريخ مزوم في كتابه **المجتمع السليم**، ومن غير الماركسيين كارل بوبر صاحب كتاب **المجتمع المفتوح**، وغيرهما، ويجيء جورباتشوف في كتابه **البيروستريكا أو إعادة البناء** ليفضح عيوب تطبيق الشيوعية في الاتحاد السوفيتي.

وتبين بعد انهيارها أنها لم تفلح في القضاء على القوميات المتنافرة، بل زادتها اشتعالاً، ولم تسمح بقدر ولو ضئيل من الحرية، بل عمدت دائماً إلى سياسة الظلم والقمع والنفي والقتل وحولت أتباعها إلى قطيع من البشر. وهكذا باءت جميع نبوءات كارل ماركس بالفشل، وأصبح مصير النظرية إلى مزبلة التاريخ، ثم انتهى الأمر بتفكك الاتحاد السوفيتي ذاته، وأصبح اسمه مجرد أثر في تاريخ المذاهب الهدامة.

ويتضح مما سبق:

أن الشيوعية مذهب(*) إلحادي يعتبر أن الإنسان جاء إلى هذه الحياة بمحض المصادفة، وليس لوجوده غاية، وبذلك تصبح الحياة عبثاً لا طائل تحته، ويحرم معتنقها من سكينة النفس ونعيم الروح. ومن ثم فلا يمكن أن يجتمع الإسلام والماركسية في قلب رجل واحد؛ لأنهما متناقضان كل التناقض في العقيدة والفكر والمنهج(*) والسلوك.

مراجع للتوسع:

- **السرطان الأحمر**، د. عبد الله عزام.
- **بلشفة الإسلام**، د. صلاح الدين.
- **حقائق الشيوعية**، نهاد الغادري.
- **الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام**، د. عبد الجليل شلبي.
- **السراب الأكبر**، أسامة عبد الله الخياط.
- **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**، د. عبد الرحمٰن عميرة.
- **حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون**، عبد الحليم خفاجي.
- **لهذا نرفض الماركسية**، د. عبد الرحمٰن البيضاني.
- **الشيوعية وليدة الصهيونية**، أحمد عبد الغفور عطار.

١٢٦ـ الداروينية

التعريف:

تنتسب الحركة(*) الفكرية الداروينية إلى الباحث الإنجليزي شارلز داروين الذي نشر كتابه **أصل الأنواع** سنة ١٨٥٩م وطرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، وترك آثاراً سلبية على الفكر العالمي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● شارلز داروين: صاحب هذه المدرسة ولد في ١٢ فبراير ١٨٠٩م وهو باحث إنجليزي نشر في سنة ١٨٥٩ م كتابه **أصل الأنواع**، وقد ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء معتبراً أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين. وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها، مرحلة القرد، انتهاء بالإنسان، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان منتسباً إلى آدم وحواء ابتداء.

● آرثر كيت: دارويني متعصب، يعترف بأن هذه النظرية لا تزال حتى الآن بدون براهين، فيضطر إلى كتابتها من جديد وهو يقول: «إن نظرية النشوء والارتقاء ما زالت بدون براهين، وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق».

● جليان هكسلي: دارويني ملحد، ظهر في القرن العشرين، وهو الذي يقول عن النظرية:

ـ «هكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد للمخلوقات كما تقول الأديان(*)».

ـ «من المسلَّم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات، ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر».

ـ ويزعم أن الإنسان قد اختلق فكرة الله إبان عصر عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه، ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آنٍ واحد.

ـ يقول: «بعد نظرية داروين لم يبق الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً».

● ليكونت دي نوى: من أشهر التطوريين المحدثين، وهو في الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة.

● د. هـ. سكوت: دارويني شديد التصعب، يقول: «إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد».

● برتراند راسل: فيلسوف ملحد، يشيد بالأثر الدارويني مركزاً على الناحية الميكانيكية في النظرية، فيقول: «إن الذي فعله جاليليو ونيوتن من أجل الفلك فعله داروين من أجل علم الحياة».

الأفكار والمعتقدات:

● نظرية داروين: تدور هذه النظرية حول عدة أفكار وافتراضات هي:

- تفترض النظرية تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد.

- تتدرج هذه الكائنات من الأحط إلى الأرقى.

- الطبيعة(*) وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة لتصارع الكوارث وتتدرج في سلم الرقي، مما يؤدي إلى تحسن نوعي مستمر ينتج عنه أنواع راقية جديدة كالقرد، وأنواع أرقى تتجلى في الإنسان، بينما نجد أن الطبيعة قد سلبت تلك القدرة من الأنواع الضعيفة فتعثرت وسقطت وزالت. وقد استمد داروين نظريته هذه من قانون الانتقاء الطبيعي لمالتوس.

- الفروق الفردية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة.

- الطبيعة تعطي وتحرم بدون خطة مرسومة، بل خبط عشواء، وخط التطور ذاته متعرج ومضطرب لا يسير على قاعدة مطردة منطقية.

- النظرية في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد ما تكون عن النظريات الفلسفية.

- تقوم النظرية على أصلين كل منهما مستقل عن الآخر:

١ - المخلوقات الحية وجدت في مراحل تاريخية متدرجة ولم توجد دفعة واحدة، وهذا الأصل من الممكن البرهنة عليه.

٢ - هذه المخلوقات متسلسلة وراثيّاً ينتج بعضها عن بعض بطريقة التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة. وهذا الأصل لم يتمكنوا من البرهنة عليه حتى الآن لوجود حلقة أو حلقات مفقودة في سلسلة التطور الذي يزعمونه.

- تفترض النظرية أن كل مرحلة من مراحل التطور أعقبت التي قبلها بطريقة

حتمية[*]، أي أن العوامل الخارجية هي التي تحدد نوعية هذه المرحلة، أما خط سيرها ذاته بمراحله جميعها فهو خط مضطرب، لا يسعى إلى غاية مرسومة أو هدف بعيد؛ لأن الطبيعة التي أوجدته غير عاقلة ولا واعية، بل إنها تتخبط خبط عشواء.

الآثار التي تركتها النظرية:

ـ قبل ظهور النظرية كان الناس يدعون إلى حرية الاعتقاد بسبب الثورة[*] الفرنسية، ولكنهم بعدها أعلنوا إلحادهم الذي انتشر بطريقة عجيبة وانتقل من أوربا إلى بقاع العالم.

ـ لم يعد هناك أي معنى لمدلول كلمة: آدم، وحواء، الجنة، الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، الخطيئة (حسب اعتقاد النصارى بأن المسيح[*] قد صلب ليخلص البشرية من أغلال الخطيئة الموروثة التي ظلت ترزح تحتها من وقت آدم إلى حين صلبه).

ـ سيطرت الأفكار المادية[*] على عقول الطبقة المثقفة، وأوحت كذلك بمادية الإنسان وخضوعه لقوانين المادة.

ـ تخلت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخلياً تامّاً أو شبه تام.

ـ عبادة الطبيعة[*]، فقد قال داروين: «الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق». ولكن لم يبين ما هي الطبيعة وما الفرق بين الاعتقاد بوجود الله الخالق ووجود الطبيعة؟

وقال: إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت.

ـ لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرد نسباً، بل زعم أن الجد الحقيقي للإنسان هو خلية صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين.

ـ أهملت العلوم الغربية بجملتها فكرة الغائية[*] بحجة أنها لا تهم الباحث العلمي ولا تقع في دائرة علمه.

ـ استبد بالناس شعور باليأس والقنوط والضياع، وظهرت أجيال حائرة مضطربة ذات خواء روحي، حتى أن القرد ـ جدهم المزعوم ـ أسعد حالاً من كثير منهم.

ـ طغت على الحياة فوضى عقائدية، وأصبح هذا العصر عصر القلق والضياع.

● كانت نظرية داروين إيذاناً لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، ونظرية برجسون في الروحية الحديثة، ونظرية سارتر في الوجودية، ونظرية ماركس في المادية، وقد استفادت هذه النظريات جميعاً من الأساس الذي وضعه داروين واعتمدت عليه في

منطلقاتها وتفسيراتها للإنسان والحياة والسلوك.

● (فكرة التطور) أوحت بحيوانية الإنسان، و (تفسير عملية التطور) أوحت بماديته.

● نظرية التطور البيولوجية انتقلت لتكون فكرة فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء، تطور لا غاية له ولا حدود، وانعكس ذلك على الدين(*) والقيم والتقاليد، وساد الاعتقاد بأن كل عقيدة أو نظام أو خلق هو أفضل وأكمل من غيره ما دام تالياً له في الوجود الزمني.

● استمد ماركس من نظرية داروين مادية الإنسان، وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على (الغذاء والسكن والجنس)، مهملاً بذلك جميع العوامل الروحية لديه.

● استمد فرويد من نظرية داروين حيوانية الإنسان، فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة، وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب.

● استمد دور كايم من نظرية داروين حيوانية الإنسان وماديته وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي.

● استفاد برتراند راسل من ذلك بتفسيره لتطور الأخلاق(*) الذي تطور عنده من المحرم (التابو) إلى أخلاق الطاعة الإلٰهية، ومن ثم إلى أخلاق المجتمع العلمي.

● والتطور عند فرويد أصبح مفسِّراً للدين(*) تفسيراً جنسيّاً: «الدين هو الشعور بالندم من قتل الأولاد لأبيهم الذي حرمهم من الاستمتاع بأمهم ثم صار عبادة للأب، ثم عبادة الطوطم(*)، ثم عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وكل الأدوار تنبع وترتكز على عقدة أوديب».

● **دور اليهود والقوى الهدامة في نشر هذه النظرية:**

ـ لم يكن داروين يهوديّاً، بل كان نصرانيّاً، ولكن اليهود والقوى الهدامة وجدوا في هذه النظرية ضالتهم المنشودة، فعملوا على استغلالها لتحطيم القيم في حياة الناس.

ـ تقول بروتوكولات حكماء صهيون(*): «لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد».

● **نقدها:**

ـ نقدها آغاسيز في إنجلترا، وأوين في أمريكا: «إن الأفكار الداروينية مجرد خُرافة علمية، وأنها سوف تنسى بسرعة». ونقدها كذلك العالم الفلكي هرشل ومعظم أساتذة الجامعات في القرن الماضي.

ـ كريسي موريسون: «إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً، أعني عند الخلية».

ـ أنتوني ستاندن صاحب كتاب **العلم بقرة مقدسة** يناقش الحلقة المفقودة وهي ثغرة عجز الداروينيون عن سدها فيقول: «إنه لأقرب من الحقيقة أن تقول: إن جزءاً كبيراً من السلسلة مفقودة وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها».

ـ ستيوارت تشيس: «أيد علماء الأحياء جزئيّاً قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان، وأن الفكرة صحيحة في مجملها».

ـ أوستن كلارك: «لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أياً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيرها، إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة متميزة، لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة، وفي الشكل نفسه الذي تراه عليه الآن».

ـ أبطل باستور أسطورة التوالد الذاتي، وكانت أبحاثه ضربة قاسية لنظرية داروين.

● **الداروينية الحديثة:**

ـ اضطرب أصحاب الدراوينية الحديثة أمام النقد العلمي الذي وجه إلى النظرية، ولم يستطيعوا أمام ضعفها إلا أن يخرجوا بأفكار جديدة تدعيماً لها وتدليلاً على تعصبهم الشديد حيالها، فأجروا سلسلة من التبديلات منها:

ـ إقرارهم بأن قانون الارتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور واستبدلوا به قانوناً جديداً أسموه قانون التحولات المفاجئة أو الطفرات، وخرجوا بفكرة المصادفة.

ـ أرغموا على الاعتراف بأن هناك أصولاً عدة تفرعت عنها كل الأنواع، وليس أصلاً واحداً كما كان سائداً في الاعتقاد.

ـ أجبروا على الإقرار بتفرد الإنسان بيولوجياً على الرغم من التشابه الظاهري بينه وبين القرد، وهي النقطة التي سقط منها داروين ومعاصروه.

ـ كل ما جاء به أصحاب الداروينية الحديثة ما هو إلا أفكار ونظريات هزيلة أعجز من أن تستطيع تفسير النظام الحياتي والكوني الذي يسير بدقة متناهية بتدبير الحكيم (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد عرفت هذه الفكرة قبل داروين، وقد لاحظ العلماء أن الأنواع المتأخرة في الظهور أكثر رقياً من الأنواع المتقدمة ومن هؤلاء: رأي باكنسون، لينو.

ـ قالوا: «بأن التطور خطة مرسومة فيها رحمة للعالمين»، ولكن نظريتهم وصفت بأنها لاهوتية فنسيت داخل معامل الأحياء.

● استوحى داروين نظريته من علم دراسة السكان، ومن نظرية مالتوس بالذات، فقد استفاد من قانونه في الانتخاب أو الانتفاء الذي يدور حول إفناء الطبيعة للضعفاء لمصلحة الأقوياء.

● استفاد من أبحاث ليل الجيولوجية حيث تمكن من صياغة نظرية ميكانيكية للتطور.

● صادفت هذه النظرية جواً مناسباً إذ كان ميلادها بعد زوال سلطان الكنيسة والدين، وبعد الثورة(*) الفرنسية والثورة الصناعية، إذ كانت النفوس مهيأة لتفسير الحياة تفسيراً ماديّاً بحتاً، ومستعدة لتقبل أي طرح فكري يقودها إلى مزيد من الإلحاد والبعد عن التفسيرات اللاهوتية، مصيبة كانت أم مخطئة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الداروينية سنة ١٨٥٩ م، وانتشرت في أوربا، وانتقلت بعدها إلى جميع بقاع العالم، ولا تزال هذه النظرية تدرّس في كثير من الجامعات العالمية، كما أنها قد وجدت أتباعاً لها في العالم الإسلامي بين الذين تربوا تربية غربية، ودرسوا في جامعات أوربية وأمريكية.

● والواقع أن تأثير نظرية داروين قد شمل معظم بلدان العالم، كما شمل معظم فروع المعرفة الإنسانية من علمية وأدبية وغيرها. ولم يوجد في التاريخ البشري نظرية باطلة صبغت مناحي الفكر الغربي كما فعلت نظرية النشوء والارتقاء الداروينية.

ويتضح مما سبق:

أن نظرية داروين دخلت متحف النسيان بعد كشف النقاب عن قانون مندل الوراثي، واكتشاف وحدات الوراثة (الجينات(*)) باعتبارها الشفرة السرية للخلق، واعتبار أن الكروموسومات تحمل صفات الإنسان الكاملة وتحفظ الشبه الكامل للنوع.

ولذا يرى المنصفون من العلماء أن وجود تشابه بين الكائنات الحية دليل واضح ضد النظرية لأنه يوحي بأن الخالق واحد ولا يوحي بوحدة الأصل، والقرآن الكريم يقرر بأن مادة الخلق الأولى للكائنات هي الماء ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾. [الأنبياء: ٣٠].

وقد أثبت العلم القائم على التجربة بطلان النظرية بأدلة قاطعة وأنها ليست نظرية

علمية على الإطلاق.

والإسلام والأديان السماوية كافة تؤمن بوجود الله الخالق البارئ المدبر المصور الذي أحسن صنع كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من سلالة من طين ثم خلقه من نطفة في قرار مكين، والإنسان يبقى إنساناً بشكله وصفاته وعقله لا يتطور ولا يتحول ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

مراجع للتوسع:

- **أصل الأنواع**، تشارلز داروين - ترجمة إسماعيل مظهر - بيروت ١٩٧٣م.
- **سلسلة تراث الإنسانية**، مجموعة من الأساتذة - الهيئة العامة للكتاب مصر.
- **الطريق الطويل للإنسان**، روبرت ل. ليرمان - ترجمة ثابت جرجس بيروت - ١٩٧٣م.
- **معركة التقاليد**، محمد قطب - مصر.
- **العلم وأسراره وخفاياه**، هارولد شابلي وزميلاه - ترجمة الفندي وزميله - مصر ١٩٧١م.
- **تاريخ العالم**، جمع جون أ. هخامرتن - ترجمة إدارة الترجمة - مصر.
- مصير الإنسان، ليكونت دي نوي - ترجمة خليل الجر - المنشورات العربية.
- **الديناميكا الحرارية**، د. إبراهيم الشريف - مصر ١٩٧٠م.
- **العلم يدعو إلى الإيمان**، كريس موريسون - ترجمة محمود صالح الفلكي - مصر ١٩٦٢.
- **العلمانية**، سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي - مكة المكرمة ١٤٠٢/ ١٩٨٢م.
- **الإنسان والعلاقات البشرية**، ستيوارت تشيس - ترجمة أحمد حمودة مصر ١٩٥٥م.
- **معالم تاريخ الإنسانية**، هـ. ج. ويلز - ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد - القاهرة - ١٩٦٧م.
- **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها**، قيس القرطاس - بيروت - ١٣٩١هـ.
- **التطور والثبات**، محمد قطب.
- **اللامنتمي**، كولن ولسون - ترجمة أنيس زكي حسن - بيروت ١٩٥٨م.
- **أثر العلم في المجتمع**، برتراند راسل - ترجمة تمام حسان - مصر.
- **منازع الفكر الحديث**، تأليف حود - ترجمة عباس فضلي - العراق ١٣٧٥هـ.
- **الإنسان بين المادية والإسلام**، محمد قطب - مصر ١٩٥٧م.
- **العقل والدين**، وليم جيمس - ترجمة محمود حسب الله - مصر ١٣٦٨هـ.
- **العقل والمادة**، برتراند رسل - ترجمة أحمد إبراهيم الشريف - القاهرة - ١٩٧٥م.
- **مذهب النشوء والارتقاء**، منيرة علي القادياني - تقديم محمد البهي - مصر ١٣٩٥هـ.

- **بروتوكلات حكماء صهيون**، ترجمة محمد خليفة التونسي - مصر.
- **معالم التحليل النفسي**، سيجموند فرويد - ترجمة عثمان نجاتي القاهرة ١٩٦٦م.
- **ما أصل الإنسان**، موريس بوكاي (إصدار مكتب التربية العربية لدول الخليج).

خاتمة

بهذا الفصل نصل إلى ختام فصول **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** في طبعتها الثالثة. ونود في هذا المقام أن نشير لأمر جد مهم: إن توقف فصول الموسوعة وما حوته من حقائق ومعارف وأفكار، لا يعني بالضرورة كمال ما سقناه أو اكتماله، أو شموله لكل النحل والأحزاب والمذاهب التي يزخر بها عالمنا المعاصر، إذ تظل تلك في اتجاهاتها ومناهجها ودعواتها في تمدد وانكماش قد تصعب معهما المتابعة بل تستحيل. ومن ثم تتسم جميع الجهود المبذولة لتقديم وصف شمولي لهذه المذاهب والمدارس والفلسفات بالنقص والقصور وعدم الشمول. ونحن، وإن كنا قد توخينا الحرص على الدقة في التسجيل العددي في إطار الإيجاز المنشود للموسوعة، إلا أننا لم نقصد الكمال إذ يقود ذلك حتماً إلى توسع لا تحتمله هذه الموسوعة الميسرة المختصرة كما أسلفنا. هذا بالإضافة إلى يقيننا وقناعتنا بأن الكمال لرب الكمال وحده. وتبقى سائر الأعمال البشرية مشوبة بالنقص والخلل بدرجات متفاوتة.

ونضيف إلى ما سبق ما تؤكده جميع شواهد العصر، من استمرار توالد وجود هذه المذاهب والأحزاب والنحل ـ كماً ونوعاً وكيفاً ـ بسبب حركة الحياة البشرية على هذا الكوكب من جهة، واستمرار الخواء الروحي الناتج عن معاداة قيم السماء والإفراط في المادية واللهث وراء الحياة الفانية والهوى والغرائز من جهة أخرى. هذا الخواء الروحي الذي أفرز كل ما ذكرنا وما لم نذكر من نحل ضالة وأفكار هدّامة، مستمر في إفراز المزيد والمزيد ما لم يرجع الناس إلى الجادة، ويستنيروا بمنهج الله الخالق البارىء، الذي خلق الإنسان في هذا الكون لعبادته وأرسل الرسل لتقويمه وهدايته في الحال والمآل.. في الآخرة والأولى. هذا المنهج الذي كان في الأصل فحوى رسالات السماء كافة ـ قبل أن تعبث بها الأيدي وتنالها الأهواء ـ قد جاء كاملاً شاملاً محفوظاً من التحريف والتبديل في رسالة الإسلام الخاتمة الخالدة التي ننعم في ظلالها الوارفة، ونقطف ثمارها اليانعة.

نسأل الله لها الدوام والعز، ولنا وللناس كافة التوفيق للسير بمقتضاها لننعم بما فيها من خير وهداية ربانية يحتاجها الجميع.

القسم السادس

معجم المصطلحات

المقدمـة

بات من المتفق عليه بين الكثير من الباحثين والمفكرين أن أحد مظاهر أزمتنا الفكرية المعاصرة هو: اختلاط المفاهيم، واضطراب الدلالات، وتميع التصورات التي طالت ـ للأسف الشديد ـ الكثير من المصطلحات الشرعية التي أصبح يعبر عنها بالمفاهيم والعقائد البدعية أو الشركية أحيانًا. ومما زاد الطين بلة ظهور شرذمة من السوفسطائيين الجدد الذين سعوا جاهدين في إسقاط مصطلحات ومفاهيم بعض الفلسفات والمذاهب المنحرفة على مصطلحاتنا ومفاهيمنا الإسلامية، إما جهلاً منهم أو استلاباً لمضامينها الشرعية، كما فعل أسلافهم من الباطنية والزنادقة من قبل.

ومساهمة منا في إزالة التشويش والبلبلة عن بعض هذه المصطلحات، ومحاولة بعث معانيها الكلية، بإحياء مضامينها الشرعية، رأينا أن نلحق بهذه الطبعة من الموسوعة الميسرة معجمًا تعريفيًا حوى ما يقارب ٢٠٠ مصطلح متنوع، مما قد ورد ذكره داخل الموسوعة مشارًا إليه بالعلامة (*)، وهذه المصطلحات إما شرعية وسياسية واقتصادية، وإما فلسفية وصوفية ونصرانية ويهودية وديانات شرقية، أو مصطلحات تتعلق ببعض الفرق وأهل الأهواء من المنتسبين إلى الإسلام. ولم نكتف في هذا المعجم بالتعريف الحدي لهذه المصطلحات، بل حاولنا تتبع طرف من سيرة المصطلح من حيث نشأته وأهم مراحل تطوره، مع إيراد مفهوم أهل السنة والجماعة للمصطلح نفسه دون التوسع في إيراد الخلافات المذهبية، أو التعرض لأدلة وشبهات الخصوم حول المصطلح. وقد أخذنا في الاعتبار الاختصار والإيجاز قدر المستطاع، إلا ما رأينا أن الحاجة ماسة للتوسع اليسير فيه. مع العناية بالإشارة إلى مواضع الآيات القرآنية الكريمة والتخريج المختصر للأحاديث النبوية الشريفة في هامش المعجم.

ومما تجدر الإشارة إليه:

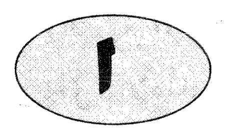
ـ أن المصطلحات التي تكرر ذكرها داخل المعجم، وقد تم تعريفها في مكان آخر، قد أشير إليها بالعلامة (*).

ـ تتم الإحالة إلى المصطلحات ذات العلاقة بكلمة «راجع» أو «انظر» في الغالب.

ـ نظرًا لاشتراك العديد من المصطلحات المذهبية، وبخاصة التي تمثل اتجاهًا واحدًا بشكل عام في عدد مشترك من المراجع، فقد اكتفينا بإضافة المراجع في نهاية المعجم وراعينا فيها تقسيم المراجع على حسب موضوعات المصطلحات الواردة في المعجم، مع الإشارة إلى بعضها أثناء البحث بخط غامق. وقد قام بإعداد هذا المعجم الأخ الأستاذ/ حمدي عبيد جزاه الله خيرًا. وقد اقتصر عملي على الإضافة أو الحذف أو بعض الاقتراحات المحددة لتحسين هذا المعجم. فجزى الله الأخ حمدي على ما بذل من جهد وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وختامًا نرجو أن نكون قد وفقنا في إضافة موسوعة أخرى مصغرة للألفاظ والمصطلحات إلى هذه الطبعة.

د. مانع بن حماد الجهني



الآب: من مصطلحات النصارى التي يُراد بها الله تعالى رب العالمين، فهو الإله* الذي يعطي ويحمي ويربي، وقد وضعه اليهود لما رأوا أن لفظة «ألوهيم» تدل على الله رب بني إسرائيل الذي إليه دعا إبراهيم وموسى الناس. وفي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد أرادوا أن يجعلوا شريعة التوراة* لهم وحدهم لا للأمم، والله لهم وحدهم لا للأمم، فصاغوا التوراة على هذا الرأي وتحدثوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فأطلقوا على الله تعالى الآب بالمعنى المجازي. يقول المفسر اليهودي موسى بن ميمون: «كل أسماء الله الواردة في الأسفار* المقدسة مأخوذة عن أعمال يقوم بها ما عدا اسم يهوه* . . .»، ولما ترجم الإنجيل* إلى اللغة اليونانية وضعت كلمة الآب العبرانية كما هي للدلالة على ذات الله، فإلى الله الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن* عند النصارى، ومن قبل أطلق لفظ الآب على كثير من الأرباب في الديانات الوثنية القديمة تقول دائرة المعارف الكتابية عن فكرة الإله الآب: «ولم تكن هذه الفكرة مجهولة تمامًا في الديانات الوثنية*، فاليونان والرومان عرفوا الآب زيوس أو جوبيتر باعتباره خالق الطبيعة* وحافظها، وعلى علاقة خاصة بالناس». والأصل في الإسلام أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية أي موقوفة على ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، ولا يجوز أن يشتق من أفعاله شيء من أسمائه وصفاته.

الإبداع: الإبداع هو الإيجاد المسبوق بعدم، ويقابله الصنع الذي هو الإيجاد من مادة سابقة، وعلى مثال سابق، ولذلك يخطىء من يصف الله تعالى من الفلاسفة بالصنع على أنه صانع الخلق، وبوجه عام فإن الإبداع هو القدرة على استحداث عمل أو فكر ما، أو ابتكار حلول جديدة لمشكلة ما على غير مثال سابق، وعُرِّف، أيضًا، بأنه أساليب جديدة للتعبير الفني. والإبداع يكون في العمل والتفكير والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، إلا أنه في التفكير العلماني يرتبط بالتخلي عن اتباع العقائد الدينية والهدي الرباني. وقد تأثر بذلك المستغربون من أبناء المسلمين فنادوا بنبذ الإسلام عقيدة ومنهاجًا شرطًا للإبداع والرقي. وفي الواقع أنه في ظل الإسلام لا تضاد بين الاتباع الصحيح والإبداع بل إن العلاقة بينهما

طردية، فلا إبداع بدون اتباع صحيح، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ذلك. ويرى دالاس أن العملية الإبداعية تمر بأربع مراحل: الإعداد وهو تكوين فكرة عامة عن المشكلة وما يرتبط بها من تصورات، والكمون حين يواصل الذهن مجهوده نحو الحل، والاستبصار أو الإلهام حين يصل الفرد إلى الحل بطريقة مفاجئة، والتحقيق وهي مرحلة اختبار الحل لتحديد مدى صحته أو خطئه. وقد توسع في استعمال مصطلح* الإبداع لنعت الأعمال الأدبية الفنية التي ينتجها الأدباء. وعلى هذا النحو يرى ابن رشيق ت ٤٦٣هـ أن الإبداع عبارة عن إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله في لفظ بديع. ويراه ابن أبي الأصبع ت ٦٥٤هـ بأن تكون مفردات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة المتضمنة بديعًا، بحيث يأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمله، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدًا من البديع، وما لم تكن كل كلمة على هذا النحو فليس ذاك بإبداع. وفي كثير من الأحيان تسمى بعض الأعمال إبداعية لمجرد مخالفتها لمألوف الناس من اعتقاد وعادات ومفاهيم دينية راسخة، وفي هذه الحالة يصبح الإبداع ابتداعًا* وشرًّا ينبغي رفضه.

الأبدال: جمع بدل، والأبدال إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، ولا يعرفهم عامة الناس، ويزعمون أن لهم اقتدارًا له أثره في حفظ نظام الكون، وسموا البدلاء؛ لأن البدل إذا ما فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته إذ لا يشك الرائي أنه البدل. كما زعموا أن لهم القدرة على التطور والتشكل في أشكال عديدة حتى أشكال بعض الحيوانات.

وترتيب الأبدال في اعتقادهم يأتي على ترتيب السموات السبع بحيث يحكم البدل الأول الإقليم الأول للسماء السابعة وهكذا. ويزعم غلاة المتصوفة أن طبقتهم تنحدر من القطب الأعظم فإذا مات قطب خلفه أحد الأبدال، ويرى بعضهم أن الأبدال في سوريا والشام، والنجباء* بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء* بخراسان، والأوتاد* بسائر الأرض، ويسمون في سوريا الرقباء، ويزعمون أن مقامهم مقام عال، فبتوسلهم وشفاعتهم يستنزل المطر ويستجلب النصر على العدو وتتقى النكبات العامة، وبهم يحفظ الله العالم

والكون، ويزعم الشعراني أنه بالإضافة إلى ما سبق تتنزل عليهم العلوم يوميًّا، استدلالاً بحديث منكر أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن طريق ثابت بن عباس الأحدب عن ابن مسعود مرفوعًا إلى النبي، ﷺ: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، يدفع الله بهم عن أهل الأرض البلاء، يقال لهم: الأبدال. . . الحديث»، قال العلماء: لم يصح في الأبدال حديث. ويوجد خلاف كبير بين الصوفية حول عدد الأبدال، فيرى البعض منهم أنهم أربعون، ويقول أبو طالب المكي في **قوت القلوب** إنهم ثلاثمائة، بينما يقول ابن عربي في **الفتوحات** إنهم سبعة. وإذا رجعنا إلى أصل الفكرة نرى أن ابن خلدون يؤكد أن فكرة الأبدال مأخوذة عن فكرة النقباء عند الشيعة* ولا يخفى ما في هذا الاعتقاد من الشرك والضلال، فالإسلام يرفض كل هذه الأقوال بل ويرفض فكرة الأبدال بهذا المعنى. وقد ورد عن الإمام أحمد ـ يرحمه الله تعالى ـ ما يصحح مفهوم هذه الفكرة إذ قال: «إن لله أبدالاً في الأرض، قيل: من هم: قال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أعرف لله أبدالاً» بمعنى أنه كلما مات منهم عالم أُبدل به آخر.

أبروشيات: تطلق الأبروشية على المنطقة التي يتولاها الأسقف* ويعتبر أهلها بالنسبة إليه رعيته. وهي في العادة مدينة بها عدد من الكنائس* يديرها كهنة* (رعاة) لخدمة أبناء الكنيسة.

الابن: أحد مصطلحات النصارى ويقصد به عندهم المسيح* عيسى ابن مريم، عليه السلام، وأقنوم* الابن عند النصارى القائلين بالتثليث* يعني أنه ابن الله تعالى الذي يحمل صفات الألوهية التي حلت في جسد بشري من تجسد الروح القدس* ومريم العذراء فصار جسدًا واحدًا وحدة ذاتية جوهرية، بزعم أنه أرسله الله ليحمل خطايا البشر من بني إسرائيل، وأنه قام من موته وصعد إلى السماء ليجلس على يمين الرب وأنه سيحاسب العباد يوم القيامة. وإلى الله الابن عندهم يكون الفداء ـ تعالى وتقدس عن الولد والشريك علوًّا كبيرًا ـ أما عند الموحدين منهم (آريوس وغيره) فإنها تفيد المعنى المجازي. وبهذا المعنى المجازي وردت في مزامير داود ٢/ ٧ «قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك» يشير إلى ما يشبه الحماية والرعاية والتبني على حد قول أندريه نايتون أستاذ مقارنة الأديان الفرنسي، كما ورد في

إنجيل يوحنا ٨/ ٤٤ من أن كل من يعمل عمل الشيطان من فساد وعصيان فهو ابن للشيطان لا على الحقيقة، ولكن على سبيل المجاز ولذلك يقول لليهود: «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تبتغون أن تعملوها». وقد وردت نصوص أخرى تعضد نفس المعنى مثل ما ورد في إنجيل لوقا من أن آدم ابن الله أي أن الله خلق آدم، وما ورد في رؤيا يوحنا ٢١/ ٧ «من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهًا، ويكون لي ابنًا». وايضًا، ما ورد على لسان المسيح في إنجيل متى ٥/ ٩ «طوبى لصانعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون»، بينما يشير جينيبر أستاذ اللاهوت الفرنسي إلى احتمال أن المسيح، عليه الصلاة والسلام، قدم نفسه لبني إسرائيل على أنه «عبدالله» وكلمة «عبد» تعني في العبرية «خادم» وأيضًا، تعني «طفل» مما أثار تلك البلبلة.

وقد استعار بولس هذه الفكرة وهذا المعتقد من ديانة متراس التي كانت منتشرة في عصره، كما استعـار فكرة اتصـال الإله* بالأرض عن طريق الكلمة The Logos أو ابن الإله The Son of God أو الروح القدس The Holy Ghost من الفلسفة اليونانية*. وفكرة ابن الإله كانت منتشرة بين المصريين القدماء، واليهود الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وامتلأت كتبهم بها، ودليل ذلك أن شمعون الساحر حسب بعض الروايات اللاهوتية كان يلقب نفسه في فلسطين بابن الله الذي له قوة الخلق، وقد شاعت هذه العقيدة، أيضاً، وانتشرت في فينيقيا وفلسطين في نهاية القرن الثاني الميلادي.

ويقول أصحاب كتاب **الأصول الوثنية للمسيحية** أندريه نايتون، إدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ: «فإن عبارة ابن الله كانت سببًا في هزيمة الديانة المسيحية* بين اليهود الذين اعتبروا هذه العبارة كفرًا* وتجديفًا، بينما كانت سببًا في انتشارها ـ أي المسيحية ـ بين الوثنيين* وعبدة الأصنام الذين كانوا يعايشون هذه الفكرة منذ فترات سحيقة، وخاصة بين وثنيي* البلدان الهلينية».

وأخيرًا فهذا نص قاطع ينقله برنابا في **إنجيله*** على لسان المسيح*، عليه الصلاة والسلام، يجتث جذور هذا البهتان والإفك العظيم، يقول المسيح «إني أشهد أمام السماء، أشهد كل ساكن على الأرض، أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر،

لأني بشرٌ مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر، عرضة للشقاء العام» الإصحاح ٩٤ : ١-٢. ويؤكد ذلك بقوله «إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد» **لوقا** ٤ : ٨٤.

ولذلك يدعوهم الله تعالى في كتابه الكريم - **القرآن العظيم** - إلى التوبة والاستغفار وعدم الغلو في الدين بافترائهم الكذب عليه - جل وعلا -، يقول تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة: ٧٤-٧٧].

الاتحاد: من العقائد الوثنية الدخيلة على عالمنا الإسلامي، إذ تلغي الفرق بين الخالق والمخلوق على اعتبار أنه لا موجود في الوجود إلاَّ الله - تعالى الله عن كفرهم - وتعتبر كتب «الفيدانت» المقدسة عند الهندوس من مصادرها الأولى. يقول الدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه **فصول في أديان الهند** عن غاية الفكر الهندي كما وضحتها «الفيدانت»:

الخطوة الأولى: أن تعرف الخالق بمعرفة مخلوقاته.

الخطوة الثانية: أن تميز بين الخالق وطبيعة الكون.

الخطوة الثالثة: أن ترى الوحدة بين الخالق وطبيعة الذرة التي خلق منها هذا الكون.

الخطوة الرابعة: وهي الغاية العظمى عند الهنادك، أن ترى أن ذرة التخليق تتلاشى في ذات الخالق، لأنها هي هيولى الكائنات، ومصيرها الاتحاد بعلة العلل. وفي العصر الحديث ظهر فيلسوف هندي من مشاهير شراح «الفيدانت» اسمه «شنكرجاريا» (٧٨٨-٨٢٠م) وروج لعقيدة الاتحاد ووحدة الوجود* بين الناس حتى ذاعت وانتشرت بين الهندوس والبوذيين والجينيين، ومن أقواله «إن الروح وبرهما* والكون شيء واحد، ولكن نحن فرقناهم وميزناهم لعدم معرفتنا بهم...» وبهذه الترهات قال نانك مؤسس السيخ.

وبعد ترجمة كتب «الفيدانت» في عهد المأمون انتقلت هذه العقيد الفاسدة إلى فلاسفة

المتصوفة ويؤكد شيخ مشايخ الطرق الصوفية السابق في مصر الدكتور أبو الوفا التفتازاني قول المستشرق جولد تسهير إن ابن عربي صاحب نظرية الاتحاد أسس طريقته في الهند في القرن السادس الهجري، ومع ذلك فقد اختلف فلاسفة الصوفية في صوره فمنهم من يراه:

ـ اتحاد ذاتين معنويًا مع تغايرهما ماديًا، بحيث لا تتحد عين إحداهما وصفاتها بعين الأخرى وصفاتها، بل يبقى الخالق خالقًا والمخلوق مخلوقًا، فكل منهما متميز عن الآخر وإن لم يكن منفصلاً عنه. ويوافق التلمساني قول يعقوبية النصارى من السودان والقبط* في قولهم إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، وهو الاتحاد الخاص وعليه لا يثبت التعدد بحال.

ـ الاتحاد العام الكامل بأن يصبح الله ـ تعالى عن قولهم ـ عين وجود المخلوقات من إنس وجن وشياطين ونجاسات وكلاب وخنازير، وإلا انتفى معنى الاتحاد بلا وسيط. ولا يتم ذلك إلا عن طريق الفناء* عن النفس والتجرد عن الحس. وهو ما يشبه قول ملكية النصارى في المسيح بأن اللاهوت والناسوت* صارا جوهرًا واحدًا له أقنومان*. وبه قال ابن عربي وابن سبعين، كما ينسب إلى أبي يزيد البسطامي.

ومذهب هؤلاء قريب من سلب وتعطيل الجهمية*، وقريب من الزندقة* الفلسفية، إذ اعتمادهم على مباحثها الكلامية، ومن الآثار السيئة لهذه النظرية أنها انبثقت عنها عدة نظريات مثل: نظرية الفناء*، ووحدة الأديان*، ووحدة الوجود* وعقيدة الإله* الإنساني، أو نظرية قدم النور المحمدي، على أنه أول خلق الله تعالى، بل أنه خُلق من نور الله تعالى وتجلى في الأنبياء قبله، فكان كل منهم محمدًا مع الاختلاف في الأسماء والألقاب. نعوذ بالله من مقالات أهل الأهواء والضلال، إذ ينبغي أن يتنزه الرب سبحانه وتعالى أن يجري اللسان في حقه بمثل هذه الترهات. ويورد الإمام أبو حامد الغزالي في نقض شبهات أهل الاتحاد ثلاثة احتمالات:

١ـ إما أن تظل كل ذات من الذاتين موجودة، وهذا لا يكون اتحادًا.

٢ـ وإما أن تفنى إحداهما وتبقى الأخرى وبالتالي لا يكون هناك اتحاد بين موجود ومعدوم.

٣ـ وإما أن يفنيا جميعًا وهذا يكون انعداماً لا اتحاداً.

الاجتهاد: يعرف الاجتهاد بأنه بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بالأحكام الشرعية

بطريقة الاستنباط. ومن هذا يتبين أنه لا يقوم به إلا من فهم خطاب العرب، ومعاني مفردات كلامهم، وأساليبهم في التعبير، بالإضافة إلى معرفته بالقرآن الكريم، إذ يرجع إليه كل دليل. وينبغي للمجتهد أن يعرف آياته جميعًا معرفة إجمالية، وأن يعرف آيات الأحكام معرفة تفصيلية، وكذلك ناسخه ومنسوخه، وأسباب نزول آياته المتعلقة بالأحكام. كما عليه أن يعرف السنة النبوية من حيث درجة صحتها وحال رواتها. ومدى عدالتهم وضبطهم وورعهم، وأن يفهم معانيها، وأن يعرف قواعد الترجيح فيما بينها، والناسخ والمنسوخ منها، ولا يشترط حفظها جميعًا، بل يكفيه حفظ أو معرفة مواضع أحاديث الأحكام منها. كما يجب عليه المعرفة بأصول الفقه*، إذ به يعرف أدلة الشرع، وترتيبها، وطرق استنباط الأحكام منها، وقواعد الترجيح بينها. وأن يكون عارفًا بمواضع الإجماع*، حتى يكون على بينة منه، وعارفًا بمقاصد الشريعة، وعلل الأحكام، ومصالح الناس، وأعرافهم، وعاداتهم. مع وجود الاستعداد الفطري عند المجتهد، بالإضافة إلى أن تتوافر لديه العقلية الفقهية.

والاجتهاد في الأحكام الشرعية لا يكون إلا في الأحكام التي ليس فيها دليل قطعي، أي التي وردت فيها نصوص ظنية الثبوت أو الدلالة، أو التي لم يرد نص من الشارع بشأنها. والاجتهاد بابه مفتوح، وباق إلى يوم القيامة، ولا يتقيد بزمان مخصوص، ولا بمكان دون مكان، بشرط أن تتوافر في الشخص أدوات الاجتهاد وشروطه، ولو في مسألة دون غيرها، أو في باب دون غيره. وذهب بعض أهل العلم بمنع التجزؤ في الاجتهاد، والقول الأول هو الراجح كما تدل عليه سير المجتهدين القدامى. وعليه فلا يجوز أن يخلو الزمان من مجتهد قائم يبين للناس أمور دينهم. ولذلك فهو واجب على من توافرت فيه شروطه، وتهيأت له أسبابه ووسائله، وليس للمجتهد أن يقلد غيره، بل عليه أن يعمل بما أدى إليه اجتهاده، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

الإجماع: أحد مصادر التشريع بعد القرآن والسنة، ويعني اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول* ﷺ، على حكم شرعي في واقعة معينة. ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله ﷺ: «**إن الله تعالى قد أجار أمتي**

من أن تجتمع على ضلالة»[1] .

وقد طبقه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حيث كانا إذا نزلت نازلة استدعى الخليفة من عرفوا بالتفقه في الدين* ، فيعرض عليهم الأمر، فإذا اتفقوا على رأي كان إجماعًا ملزمًا لمن بعدهم. وقد وقع اجتهادهم في مسائل عديدة مثل توريث الجدة الصحيحة السدس إذا انفردت، وإجماعهم على جمع القرآن في المصاحف.

وينقسم الإجماع إلى: **إجماع صريح**: وفيه يبدي المجتهدون آراءهم صراحة ثم يجمعون على رأي واحد، أو يقضي مجتهد في مسألة بحكم معين ويوافقه عليه باقي المجتهدين قولاً أو إفتاءً أو قضاءً. **وإجماع سكوتي**: وصورته أن يبدي المجتهد رأيه في مسألة ما، ويعرف هذا الرأي ويشتهر ويبلغ الآخرين فيسكتون ولا ينكرونه صراحة أو لا يوافقون عليه صراحة، ولا يكون ذلك إلا بشرط انتفاء الموانع المختلفة عنهم من خوف أو إكراه أو غيره. وقد اختلف العلماء في حجية هذا النوع إذ منعه المالكية والشافعية. وقال بظنيته بعض الشافعية والحنفية، والراجح أنه حجة قوية قاطعة إذ يحرم على المجتهد السكوت في موضع الحاجة، ولا سيما إذا كان الرأي باطلاً، وبه قال الحنابلة والحنفية.

بينما ينكر الإجماع بعض الشيعة* ، إذ يشترط الجعفرية منهم لوقوعه تحقق العلم بدخول شخص الإمام المعصوم ضمن المجمعين، أو بتحقق العلم بموافقته على ما أجمعوا عليه. ويرى الإباضية من الخوارج* الإجماع حجة ومصدرًا من مصادر الاستدلال عندهم، ولا يكون ذلك إلا بإجماع مجتهديهم وأهل الاستقامة منهم.

ومن الواضح أن وقوع الإجماع أكثر تيسيرًا في هذا العصر لتقدم الوسائل العلمية ووسائل الاتصال الحديثة.

أحاديث الآحاد: كل خبر لم تتوافر فيه شروط المتواتر* ، وقد ينفرد به واحد فيكون غريبًا* ، أو يعزز برواية اثنين فأكثر فيكون عزيزًا* ، أو يستفيض فيكون مشهورًا* ، إلا أن الحنفية يخرجون المشهور من الآحاد ويجعلونه في مرتبة أعلى منه.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٢) عن كعب بن عاصم وحسنه الألباني.

والصحيح أنه يجب العمل به متى توافرت فيه شروط القبول. واختلف العلماء في إفادته الظن أو القطع، والعمل به من عدمه على أقوال منها:

ـ يرى بعض الروافض* وبعض المعتزلة عدم وجوب العمل بحديث الآحاد لزعمهم إفادته الظن مطلقًا، وقد اختلفوا في ذلك، أيضًا، بين استحالته العقلية وبين عدم استحالته العقلية والشرعية، ورأى بعضهم التوقف لعدم ورود دليل قطعي يفيد العمل به.

ـ ذهب القاضي عبدالجبار المعتزلي ومن وافقه إلى أن خبر الآحاد إذا ورد بشرائطه فإنه يجوز العمل به وذلك في المسائل العملية، أما في المسائل الاعتقادية فقد اشترط موافقته للعقل*، ومع ذلك فإنه يرى العمل بموجب هذا الدليل العقلي لا بموجب الخبر نفسه. وإذا لم يؤيده الدليل العقلي أول الخبر أو رده على أن النبي* ﷺ، لم يقله.

ـ بينما يذهب أبو الحسن الأشعري والبيهقي ومن وافقهما من متكلمة الأشاعرة الأوائل إلى الاحتجاج والعمل بأحاديث الآحاد إذا صح وتقبلته الأمة بالقبول، لا فرق في ذلك بين مسائل الأحكام ومسائل الاعتقاد.

ـ أما إمام الحرمين أبو المعالي الجويني من متأخرة الأشاعرة فإنه يرى أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم بنفسها إلا إذا وافقها دليل عقليٌّ أو أيدتها معجزة أو قول مؤيد بمعجزة، أو تلقتها الأمة بالقبول، وأحيانًا يجزم بأن تلقي الأمة لها بالقبول لا يفيد العلم. كما يرى أنه إذا احتفت بها القرائن بالإضافة إلى صحتها فإنه يلحقها بالمتواتر في إفادتها العلم، بشرط عدم مخالفتها دلالة العقل، وإلا فإنه يتأولها أو يفوضها، سواءً أكان في الأحكام أو الاعتقادات. وأخيرًا فإن أهل السنة والجماعة* يرون أن أحاديث الآحاد تفيد العلم القطعي اليقيني كالمتواتر تمامًا، ولكن لا في نفسها بل بشرط أن تحتف بها القرائن. ومنها تلقي الأمة لها بالقبول تصديقًا أو عملاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري والأسفراييني وابن فورك» **مجموع الفتاوى** ١٨/ ٤١. ولا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام لتوافر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، إذ يقول الله تعالى:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. والطائفة تصدق على الرجل الواحد أو بالاثنين كما قال مجاهد والشافعي. وقد كان النبي*، ﷺ، يرسل الأفراد إلى الأمصار ليعلموا الناس أمور العقيدة والأحكام على حد سواء، مثلما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى أهل اليمن، ومصعب بن عمير إلى أهل المدينة، وبهذا القول قال أهل السنة والجماعة*.

الاحتكار: مصطلح اقتصادي يعني سيطرة منتج واحد، فردًا كان أو شركة، على إنتاج سلعة أو تسويقها بقصد تحقيق أقصى ربح ممكن، أو من باب التحكم بهذه السلعة لغرض غير إنساني، وكثيرًا ما يؤدي ذلك إلى استغلال المستهلك بفرض ثمن مرتفع لا يملك إلا قبوله. وقد ينشأ الاحتكار في صناعة من الصناعات لنمو أحد المشروعات نموًّا كبيرًا واستيلائه على المشروعات الأخرى بدمجها في المشروع الكبير، وهو ما يعرف باسم «الترست». وقد ينشأ الاحتكار في بلد معين أو في مجموعة من الدول، باتفاق بين المشروعات في صناعة معينة على تحديد الثمن أو تقسيم الأسواق فيما بينْهم، ويعرف ذلك باسم «الكارتل». وقد يكون الاحتكار احتكار شراء (طلب)، إذ يتآمر المحتكرون على بخس أثمان المواد الخام التي تنتجها البلاد النامية بخاصة. ويعرفه الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ بقوله: «كل ما أضر الناس حبسه فهو احتكار». ولذلك حرّمه الإسلام إذا توافرت في المحتكر ثلاثة شروط هي:

(أ) أن يكون الشيء المحتكر فاضلاً عن حاجته وحاجة من يعولهم سنة كاملة.

(ب) الانتظار حتى تغلو السلع ليبيعها بالثمن الفاحش لشدة الحاجة إليها.

(جـ) أن يكون الاحتكار في الوقت الذي يحتاج الناس فيه إلى المواد المحتكرة من الطعام والثياب وغيره مما يحتاج إليه الناس. وللدولة الحق في التدخل لمنعه تحقيقًا للمصلحة العامة.

الأخلاق: يعرفها علماء النفس بأنها: الفلسفة العملية التي تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني. وعليه فإنها تنقسم إلى أخلاق عملية تبحث في الجوانب الخلقية للفرد والجماعة في حياتهم المهنية والسياسية، وأخلاق نظرية تبحث في نظرية السلوك. وبالجملة

فإن الأخلاق في النظرية الغربية ما هي إلا ظواهر اجتماعية تملى على الأفراد من دون أن يكون لهم دخل في بنائها على أنها نتاج بيئتها وبنت عصرها. بينما يراها فريق من علماء التربية المسلمين انطلاقًا من المكانة السامية التي وضعها فيها الإسلام بأنها: ميثاق كامل يشمل كل أعمال الإنسان، وأنها القيم العليا التي يتقيد بها الإنسان في تصرفاته والتي يسعى لإقامة الحياة البشرية على أساسها، والتي لا يكون إنسانًا إلا بها، وبقدر ما يفقد منها يفقد من إنسانيته. وما بعث النبي*، ﷺ، إلا ليتمم صالح الأخلاق[1] التي هي جزء أصيل من الإسلام، فقوام الإسلام على العقيدة والشريعة* والأخلاق والمنهاج*، وغاية الأخلاق الأساسية هي بناء مفهوم التقوى في النفوس وهذا ما يجعل الخوف من الجليل أقوى من الخوف من القوانين، والسلطان للتنزيل لا للضمير، مع الاستعداد ليوم الرحيل حيث الجزاء. فجاءت الأخلاق بذلك منسجمة مع خصائص الإسلام من حيث الشمولية والتوازن مع الثبات والمرونة، وهو ما تفتقده النظرية الغربية حيث إن الأخلاق فيها بلا التزام ولا مسؤولية وبناء على هذا فإن الدين هو الذي يحدد معايير الأخلاق التي تأتي في صورة أوامر وزواجر من عند الله ليبين ما هو حسن منها وما هو قبيح، وما هو حلال وما هو حرام، وليس الضمير على قول الماديين.

قال ابن القيم «الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين» **مدارج السالكين ج ٢ ص ٣٠٧** .

وبظهور الاتجاهات والمدارس الفلسفية اختلف مفهوم الأخلاق، فمثلاً، ترى المدارس المثالية (أنصار مذهب* الحاسة الخلقية، والنزعة العقلية وفلسفة كانط والأفلاطونية الجديدة في كمبردج) أن الأخلاق: علم يضع القوانين التي ينبغي أن يسير بمقتضاها السلوك الإنساني بما يحقق ذاتية الإنسان بما هو إنسان، وبالتالي فإنها غاية لا وسيلة، متبعين في ذلك فلسفة سقراط وأفلاطون من فلاسفة اليونان. بينما ينكر دعاة الفلسفة الوضعية المنطقية (برتراند رسل، وأوجست كونت، ودوركايم، وليفي بريل) أن يكون لعلم الأخلاق أسس وقواعد نظرية، وإنما الأخلاق علم وضعي تجريبي يبحث الواقع المحسوس

---

(١) لحديث رواه الإمام أحمد في مسنده «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

الذي يعيشه الإنسان من عادات وتقاليد وشرائع، ولذلك فإن الأخلاق عندهم نسبية وليست مطلقة وتخضع لظروف المجتمع وأحواله، في الوقت الذي تنفي فيه النظرية المادية صلة الأخلاق بالدين، بزعم أنها عبارة عن استجابة النفس للبيئة مثلها مثل السياسة والقوانين التي تخضع للظروف والأحوال الاقتصادية والسياسية لكل مجتمع، وقد رتبوا على ذلك إقصاء الدين والاكتفاء برقابة الضمير الإنساني.

ومع زحف العلمانية على الحياة الأوربية أزيحت الأخلاق عن شتى مجالات الحياة، وما بقي منها فهو نفعي بحت، فالعلاقات الجنسية، مثلاً، قيل إنها مسألة بيولوجية لا علاقة لها بالأخلاق ولا يوجد لها ضابط، وبالتالي تم تفريغ الأخلاق من مضمونها حتى قيل إنها ليست إلا انعكاسات للأوضاع المادية والاقتصادية، وأنها من صنع العقل الجمعي، وأنها غير ثابتة بل تتغير على الدوام، على أنها نتاج البيئة، تختلف باختلاف الأمم والعصور ومتغيرات المجتمع. بينما في المجتمع الإسلامي فإن القيم الأخلاقية ثابتة؛ لأنها جزء من الإسلام على ما مر بيانه سواء كان المجتمع رعويًا أو زراعيًا أو صناعيًا.

إخوان الصفا:جماعة سرية باطنية* مزجت الفلسفة اليونانية* والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية في خليط متضارب، وبالتالي فهي أولى ثمار الحركة* الباطنية التي استغلت التشيُّع* والتصوُّف الفلسفي ستارًا لنشر رسائلهم وأفكارهم، وكان أول ظهورها في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

وقد ألفوا ما يقارب الخمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة عمليًا وعلميًا، وأفردوا لها فهرسًا وسموها **رسائل إخوان الصفا**، وهي تعتبر برنامج العمل السري الذي يستهدف القضاء على الإسلام ودولته لتأسيس دولتهم التي تضم شتى العقائد الوثنية* والمجوسية* والإباحية.

وكان للمذهب* الأفلاطوني الجديد تأثيره البالغ في هذه الرسائل، فقالوا بوحدة الوجود* على قول أفلوطين، وقالوا إن الإمام إلهي الذات وإنه معصوم، بينما لا يرى الإسلام معصومًا سوى الرسول محمد بن عبدالله، ﷺ، بما عصمه الله تعالى فيه. وأيضًا، دعوا إلى وحدة الأديان* وإلغاء التعصب للدين* على أنه لا حاجة للخاصة للشرائع، وإلى التحلل من الفرائض إلا في حق العامة. وقالوا إن العلم له باطن وظاهر، وغير ذلك مما يدل على انحرافهم وخروجهم على مفهوم الإسلام الأصيل، هدمًا لمفاهيم الإسلام الأساسية وهدمًا

للنبوة* وحربًا للإسلام وطعنًا في الصحابة.

وأهم أعلامهم: محمد بن مشير البستي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، ومحمد بن أحمد النهرجوري، والعوضي، وزبير بن رفاعة.

الأدفنتست «السبتيون»: انظر السبتيون

الإرادة الشرعية: عند أهل السنة والجماعة* عبارة عن الأمر والنهي الشرعي، وعلى ذلك يمكن فهم أن الله سبحانه وتعالى يحب فعل الطاعة من العبد ويرضى به ويريده منه شرعًا سواء وجد أو لم يوجد. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]. ويكره الكفر* والفسوق والعصيان ولا يريده وإنما أوجده بمقتضى إرادته الكونية*. ودخول الجنة والنار لا يكون إلا بناء على هذه الإرادة الشرعية فمن وافقها وعمل بشرع الله كان من أهل الجنة، ومن خالفها فهو من أهل النار. وعليه فإن الإرادة الشرعية والكونية تجتمعان في إيمان المؤمن وتفترقان في كفر* الكافر، فهو كافر بمشيئة الله وليس قهرًا من الله، بل هو مخالف لما أراد الله منه بإرادته الشرعية.

أما المعتزلة القدرية* فقد قصروا معنى الإرادة على الإرادة الشرعية فقط وأنكروا الإرادة الكونية، أنكروا أن يريد الله أفعال عباده من الكفار والعصاة، وأنكروا قدرته على خلق الشر، وما ذلك إلا لخلطهم بين المحبة والرضى الملازم للإرادة الشرعية وبين الإرادة الكونية التي لا يكون شيء في الأرض ولا في السموات بدونها ـ انظر القدرية، القضاء والقدر ـ.

الإرادة الكونية: الإرادة الكونية عند أهل السنة والجماعة*: هي التي تقع على أساسها كل الأفعال التي تحدث في الكون خيرها وشرها وما أحب الله منها وما أبغضه، وما مدحه وما ذمه. وهي الإرادة التي يسير بمقتضاها الكون حسب السنن الربانية، فخلق كلًّا لحكمة يعلمها، وقد يطلع بعض خلقه على بعضها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقصر الجبرية* معنى الإرادة والمشيئة على الإرادة الكونية فقط، وأنكروا الإرادة الشرعية* فألزموا العباد بأفعالهم ـ انظر الجبرية ـ.

الإرادية: منهج* فكري يؤكد على الإرادة وعلى أهمية الخيار الفردي في اتخاذ القرار (العامل الذاتي)، وأيضًا، في نشأة الأحكام الفكرية، وبالتالي فإنه يقلل من أثر العوامل الخارجية «العامل الموضوعي».

والإرادية نقيض الحتمية* التي تعتبر أن للعوامل الخارجية الدور الأساسي في التصرف الإنساني، وتستبعد الإرادة كعامل سببي في التجربة الفردية الاجتماعية. وتعد النظرة البراجماتية «الذرائعية» للمعرفة ظاهرة تخضع للعمل، وكذلك نظرتها للمفاهيم على أنها أدوات لتلبية الرغبات الإنسانية نظرة إرادية، وكذلك فإن فلسفة سارتر الوجودية فلسفة إرادية؛ لأنها تعلي من قيمة الإرادة الفردية في تحقيق ذاته وإشباع أقصى رغباته.

والإسلام في نظرته لهذا الأمر وسط بين النقيضين، إذ يعتبر الإنسان مسؤولاً عن أفعاله، ولكن لا ينكر تأثير المجتمع والقضايا التي تحيط بالإنسان لإجراء قدر* الله تعالى.

الأرستقراطية: كلمة يونانية تعني سلطة خواص الناس، وفي العلوم السياسية تعني الحكم بواسطة خير المواطنين لصالح الدولة، وهي بصفتها فكرة سياسية تدين في تكوينها لأفلوطين في كتابه **الجمهورية**، إذ كان يكره الحكم الديمقراطي، ويرغب أن يحكم البلاد طبقة من الأرستقراطيين، أو كما يسميهم «بالطبقة الذهبية». ولكن مفهوم أفلاطون للروح الأرستقراطية مفهوم قيمي لا طبقي. وقد صنفها أرسطو ضمن النظم السياسية وحددها بأنها سلطة الحكماء التي لا تلبث أن تنحط وتصبح أوليفارشية أي حكم بعض الأسر التي ترتكز تاريخيًا على الأراضي المملوكة والموروثة.

استثمار: مصطلح* اقتصادي يقصد به: توفير أدوات الإنتاج التي تستخدم بقصد إنتاج سلع الاستهلاك أو أدوات إنتاج جديدة، على أن الحافز على الاستثمار في ظل النظام الرأسمالي ينبثق من:

١ـ الأرباح التي يأمل أصحاب المشروع الحصول عليها.

٢ـ سعر الفائدة المبنية على تقدير أن نسبة الكسب المنتظر إلى نفقات الحصول على أدوات الإنتاج وصيانتها تكون أعلى من سعر الفائدة الجاري.

وهناك نوع من الاستثمار لا يكون معياره الأساسي الربح، كالذي تتولاه الدولة في ظل

النظام الاشتراكي أو بعض المشروعات التي تقوم بها الدولة في ظل النظام الرأسمالي. والاستثمار من وجهة النظر الإسلامية لابد أن يكون في مشروعات مباحة شرعًا، وتعود بالنفع المادي والمعنوي على المستفيد.

الاستحسان: اعتبره كثير من العلماء دليلاً من أدلة الأحكام، وأنكره بعضهم كالشافعية، ويعرف الاستحسان عند الإمام أحمد أنه عدول المجتهد بحكم المسألة عن نظيرها لدليل خاص من الكتاب والسنة. وصورته: أن تعرض للمجتهد مسألة يتنازعها قياسان الأول ظاهر جلي يقتضي حكمًا معينًا والثاني قياس خفي يقتضي حكمًا آخر، وقد قام في نفس المجتهد دليل يقتضي ترجيح القياس الثاني على القياس الأول والعدول عن مقتضى القياس الجلي إلى مقتضى القياس الخفي، هذا يسمى استحسانًا. أو إذا عرضت على المجتهد مسألة تندرج تحت قاعدة عامة أو أصل كلي، ووجد المجتهد دليلاً خاصًا يقتضي استثناءها من الأصل الكلي والعدول بها عن الحكم الثابت بنظائرها إلى حكم آخر، فإن هذا العدول يسمى استحسانًا. وقد أخذ به الإمام مالك والإمام أبو حنيفة على أنه يثبت بالاستناد إلى النص أو القياس* الخفي أو المصلحة الظاهرة أو العرف* أو الإجماع* أو الضرورة، وأنكر الإمام الشافعي منه ما لا يبنى على قياس (دليل) إذ لا ضابط له. والحاصل أنه لا خلاف بين القائلين بالاستجسان على رد هذا النوع؛ لأنه سيكون استحسانًا وتشريعًا بالهوى، ولأن الاستحسان عندهم لا يعدو أن يكون ترجيحًا لدليل على دليل آخر.

الاستعمار «الإمبريالية»: ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية ظهرت بظهور الإمبراطوريات منذ العصر القديم آشور وبابل وفارس.. وظهرت في أوربا في العصر الحديث بظهور القوميات وحركة الكشوف الجغرافية وقيام المذهب التجاري، متأثرة في أصولها الفكرية برواسب الفلسفة الأرسطية في العقلية الأوروبية، حيث نبرة استعلاء الجنس الآري وتميزه وأن من عداه فهو عبد وله عقلية العبيد، وينبغي أن يعامل بما تعامل به البهائم، وقد عبر عن هذه النظرة الشاذة المتطرفة رديارد كنج في العصر الحديث بقوله: إن غير الأوربي هو من السلالات الأدنى التي لا قبل لها بالقانون، فكل من لم يكن أبيض أو بريطانيًا فهو في مرتبة أدنى. وتتجسد الظاهرة الاستعمارية في قدوم موجات متتالية من سكان البلدان

الاستعمارية إلى المستعمرات قبل الاحتلال أو بعده بقصد الهيمنة على الحياة الاقتصادية والثقافية، واستغلال ثروات البلاد. وترافق هذه الظاهرة حملات عسكرية، ويأخذ الاستعمار أشكالاً عدة منها:

ـ الاستعمار الاستيطاني: وفيه يتم الاستيلاء على الأرض بمزاعم عديدة، منها أحقيتهم وملكيتهم لها أو بالشراء الصوري أو الحقيقي أو بالحرب، وعادة ما يتسم الاستعمار الاستيطاني بممارسة ضروب التمييز العنصري ضد أهل البلاد.

ـ الاستعمار الجديد: ويتمثل في فرض السيطرة الأجنبية سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا على دولة ما، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها، دون استخدام أساليب الاستعمار التقليدية، من خلال عقد اتفاقات ثنائية غير متكافئة، تحد من حريات الدول وتكبلها وتستغل مشكلاتها الاقتصادية والإدارية للتدخل في شؤونها، والضغط عليها من خلال القروض والمعونات المشروطة، وإقامة القواعد العسكرية، وإثارة الاضطرابات الداخلية سواء كانت طائفية أو عرقية أو إقليمية.

وعلى ذلك فإن في تسميته بالاستعمار مغالطة وتشويش على المعنى الحقيقي له فالأولى تسميته: استعبادًا لا استعمارًا.

الأسفار: وتسمى أسفار الأنبياء* الذين جاءوا من بعد موسى، عليه السلام، وكتبوا كتبًا (أسفارًا) تحوي تواريخ الأمة الإسرائيلية وبعض جيرانها، وتنبؤات عن المستقبل ووصايا وإرشادات، وتضم إلى أسفار التوارة* الخمسة، وتسمى جميعًا بالتوراة مجازًا. والأسفار غير مقدسة عند السامريين، ولا عند الصدوقيين من العبرانيين، وهي مقدسة عند الفريسيين اليهود فقط وعند النصارى.

وقد اختلف علماء اللاهوت اليهودي ونقاد الكتاب المقدس حول كُتّاب هذه الأسفار، كما اختلفوا حول وقت كتابتها، فقد دونت على مراحل مختلفة وظروف سياسية مضطربة قد تزيد على الألف عام، واختلفوا أيضًا في اللغة الأولى التي كُتبت بها، هل هي الآرامية أم العبرية القديمة. وتشير بعض الدراسات حول الأسفار المقدسة ـ للدكتور صابر طعيمة ـ إلى أنه اشترك علماء اللاهوت اليهودي ـ الماسوراتيين ـ وعلى رأسهم الحبر كبيا ت ١٣٥م في

ضبط نصوص أسفار العهد القديم* على مقتضى قواعد اللغة العبرية، وعلى ضوء هذا تم حرق وإتلاف كل الأسفار التي تخالف النسخة التي وضعها العلماء الماسوراتيون. وفي القرن التاسع الميلادي، وعلى ضوء نفس القواعد كتب ابن أشير ومعه آخرون نسخة محفوظة في المتحف البريطاني، ونسخة أخرى قيل إنها كتبت عام ٨٢٧م عُرفت بمخطوط القاهرة.

وفي الوقت نفسه كان ابن نفتالي يكتب نسخة عبرية أخرى عرفت بالبابلية، وتعد من أقدم المخطوطات على ضوء القواعد الماسوراتية، ويذكر، أيضًا، أن أول علاقة للكتاب المقدس ـ عند اليهود والنصارى ـ باللغة العربية كانت في الأندلس، إذ ترجمه من اللاتينية أسقف من أساقفة* إشبيلية عام ٧٥٠م على مراحل عدة. وفي عام ٨٩٢م قام رجل يدعى سعد جدوغان الفيومي بترجمة الأسفار الخمسة الأولى وبعض كتب العهد القديم* مستعينًا بالترجمة السبعينية اليونانية. وأول ما طبعت في باريس، وطبعت مرة أخرى عام ١٦٤٥م في لندن، وأيضًا، عام ١٦٥٧م ككتاب مكتمل بأسفاره المختلفة.

وحال هذه الأسفار مثل حال باقي كتب العهدين القديم* والجديد*، مشحونة بالغلط والتبديل والتحريف*، وإضافة المفاهيم الوثنية* لذات الله تعالى، والانتقاص من مقام الأنبياء*، عليهم الصلاة والسلام، بالإضافة إلى التناقض وعدم الدقة في التعبير، مما يفقدها مصداقية اتصالها بالوحي*، فضلاً عن أنها كتبت من ذاكرة الرجال بعد محنة أنطويوكس عام ١٦١ق.م، تيطس عام ٧٠م.

إسقاط التكاليف: اصطلاح باطني استخدمه غلاة الصوفية كأحد لوازم وآثار القول بوحدة الوجود*، قال به إخوان الصفا*، والهاشمية أتباع أبي هاشم محمد بن علي العباسي، من غلاة الشيعة* متأولين قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾[المائدة: ٩٣]، فقال: «إن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ». كما قال بعض غلاة الصوفية، واختلفت طوائف الصوفية في تقرير مبدأ إسقاط التكاليف، فذهب البعض منهم إلى أن العارف الواصل تسقط عنه التكاليف بفضل من الله ورحمة، فقد بلغ درجة استحق معها إعفاءه من مشقة هذه التكاليف إذ وصل إلى مقام الفناء* في الله، وهو الفتح وهو أعلى المقامات و«لا هجرة بعد

الفتح»[١]، فلا أجر ولا معنى للسير إلى الله، إذ ليس أكثر من الفناء في الله. يقول الشعراني: «سيدي شريف رضي الله عنه ورحمه، كان يأكل في نهار رمضان ويقول أنا معتوق وأعتقني ربي». ويقول بعضهم: إنما التكليف على الإنسان مادام عبدًا، فإذا ترقى في منزلة العبودية إلى منزلة الحرية سقط عنه التكليف، فلا يبقى عليه التكليف؛ لأن الحر لا تكليف عليه. بينما يرى الإمام الغزالي أن سقوط التكاليف عن الصوفي حالة من الشعور الجديد الذي به تزول مشقة العمل وتحل محلها حلاوة المذاق فتصير العبادة قرة عينه، وغذاء روحه بحيث لا يصبر عنها. ويقول: «والتكليف مرتفع عن الولي* بهذا المعنى، لا بمعنى أنه لا يصوم ولا يصلي ويشرب ويزني».

ويرى فريق آخر من جمهور الصوفية أن التكاليف لا تسقط بأي حال عن المكلف حتى لو بلغ درجة الوصول. ويرى الجنيد أن السارق والزاني ومرتكب المعاصي أفضل حالاً ممن يقول بإسقاط التكاليف. ولاشك أن هذا هو الحق، فلو سقطت التكاليف عن إنسان لكماله ووصوله لسقطت عن الأنبياء* والرسل* ، عليهم الصلاة والسلام، من باب أولى.

الأسقف: أصل كلمة الأسقف يونانية [أبيسكوبوس] ومعناها مشرف. وكانت تستخدم أحيانًا لدى الجماعات الوثنية كمرادف لكلمة إيبيمليتس أي مندوب أو وكيل، ولم يظهر النظام الأسقفي في عهد المسيح، عليه السلام، وإنما ظهر في القرن الثاني فيما بين عام ١٣٠-١٥٠م. والأسقف رتبة دينية عند النصارى فوق رتبة القسيس* ودون رتبة البطريرك* والمطران* . وتذكر **دائرة المعارف الكتابية** أنها استخدمت في الترجمة السبعينية بمعنى نظار أو رقباء أو وكلاء فيما يختص بالكنيسة* أو الجيوش. كما تشير الدائرة، أيضًا، إلى أن كلمة الأسقف قد استعملت في اللغة اليونانية الكلاسيكية إذ استخدمها هوميروس في الإلياذة* فيما يختص بالآلهة* . وفي أثينا كانت تطلق على حكام الولايات التي يفتحونها.

ويذكر عوض سمعان في كتابه **الكهنوت** نقلاً عن موسيهم في كتابه **تاريخ الكنيسة**: «بأنه بعد سنوات من وفاة الجيل الأول من رسل النصرانية، استحسن كثير من القسوس أن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٣) ومسلم (١٨٦٤).

يقيموا لهم رئيسًا مشهورًا بالرزانة والتقوى والفطنة؛ لكي يوزع عليهم أعمالهم، ويوحد صفوفهم، وقد أطلقوا على هذا الشخص وحده لقب الأسقف، واحتفظوا لأنفسهم بلقب القسوس، ومن ثم أصبح الأسقف هو رئيس القسوس الذي يقوم بتعيينهم في وظائفهم وصرف مرتباتهم وتأديبهم عند تقصيرهم». فيتضح من ذلك أنه لم يكن يفرق بين الأسقف والقسيس في العصور الأولى للنصرانية وهو ما أشار إليه الراهب الأرثوذكسي متى المسكين في كتابه **المواهب الكنسية** بقوله: «وبمرور الزمن صار من المحتم إقامة واحد من بين القسوس يتقدمهم، وصار هذا المتقدم له اختصاصات النظارة العليا، فاختص بلقب الأسقف دون غيره، ومن هنا بدأت كلمة أسقف تأخذ معنى مفضلاً عن القس، وبالتالي بدأت اختصاصات الأسقف تتميز عن اختصاصات القس باعتبار الأسقف رئيسًا على الكنيسة كلها ولكن في البدء لم يكن هناك تفريق بين كلمة القس وكلمة الأسقف في شيء» معتمدين على ما أكده المؤرخ الكاثوليكي جيروم ت ٤٢٠م بقوله «كان القسيس عند القدماء هو الأسقف، ولكن بالتدرج نبتت بذور النزاع بين القسوس، فوضعت مهمة القيادة في يد شخص واحد، دعي وحده الأسقف».

وقد استخدمت الكلمة نفسها في العهد الجديد مرة واحدة لتشير إلى المسيح* ، عليه الصلاة والسلام، نفسه «كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» ١ بط ٢: ٢٥.

وفي رسائل بولس تأتي الكلمة مرادفة للشيخ أو القسيس* ، يقول إكليمندس الروماني وإيريناوس وإمبروزيوس ويوحنا فم الذهب: «إن الشيوخ كانوا يسمون قديمًا أساقفة . . . والأساقفة شيوخًا»، ولكن هناك من يفرق بينهما مثل «هاتس» من أكسفورد، و «هارناك» من برلين على أساس أن الشيوخ مسؤولون عن تنفيذ القانون والنظام في الكنيسة، بينما مسؤولية الأساقفة رعاية الكنيسة والوعظ والعبادة. والواقع أن هذه التفرقة دخلت مؤخرًا في النظام الكهنوتي* للكنيسة* ، أما الأولى فكانت مرادفة للشيخ، إذ استقاها بولس مما هو موجود في المجامع اليهودية، بل قد أخذ بنفس الشروط الواجب توافرها في رئيس الشيوخ، وجعلها من واجبات الأسقف، مثل أن يكون أبو العائلة غير مرتبط بأعمال أخرى، له صيت حسن، بالإضافة إلى أن يكون قادرًا على التعليم وغير ذلك من الشروط.

الاشتراكية العلمية: مذهب* اقتصادي وسياسي نادي به ماركس في القرن التاسع عشر، ردًا على الاشتراكية التي سماها الخيالية والتي دعا إليها سان سيمون ولويس بلان وروبرت أدين وغيرهم، إذ إن الاشتراكية عنده ليست دعوة تقبل أو ترفض، إنما هي مرحلة حتمية* تؤول إليها الرأسمالية بناءً على تفاعل قوانين لا قبل للأفراد بمعارضتها أو الوقوف في طريقها. وهذا ما أثبت التاريخ بطلانه إذ إن هناك دولاً رأسمالية تنبأ ماركس بتحولها إلى الاشتراكية مثل بريطانيا، وقد خاب ظنه ولم تتحول، بل قد انهارت الاشتراكية وانحرفت عن مسارها في بلادها.

وقد بنى ماركس نظريته هذه بناءً على تفاعل قوانين سماها بالحتمية التي لا قبَل للأفراد بمعارضتها أو الوقوف في سبيلها. وتسمى الاشتراكية العلمية بالماركسية، أيضًا، وقد عارضتها الاشتراكية التطورية أو الديمقراطية وكذلك الاشتراكية النقابية والاشتراكية المسيحية.

الإشراق: مذهب* الإشراق هو جماع آراء وتيارات راجت في الديانات* القديمة الإغريقية والفارسية. ولذا فهو فرع من فروع الفلسفة اليونانية* والأفلاطونية الجديدة على وجه الخصوص. ويقوم في جملته على القول: بأن مصدر الكون هو: النور، فهو يعبر عن الله سبحانه وتعالى بالنور الأعلى، ويصف العوالم بأنها أنوار مستمدة من النور الأول والمعرفة الإنسانية في مفهوم الإشراقيين «إلهام» من العالم الأعلى، يصل بواسطة عقول الأفلاك، وهو ما يسمى بالكشف* أو الإشراق، أي ظهور الأنوار العقلية للنفوس بعد تجردها.

ولذلك فإن **المعجم الفلسفي** لجميل صليبا يعرف الإشراق بأنه «هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على النفس، عند تجردها من المواد الجسمية، ففيضان هذه الأنوار على النفس يسمى إشراقًا».

ولا يتحصل على ذلك الإشراق عندهم إلا من خلال البصيرة التي تنفرد عند الإشراقيين بمعرفة حقيقة الذات الإلهية، وحقائق الأسماء والصفات، وتعلق فعل الله تعالى بخلقه، وحقائق اليوم الآخر والروح والملائكة، إذ يرتفع الإشراقي إليها ويندمج فيها ويتفاعل معها تفاعلاً كاملاً، ولا يتم ذلك إلا بعد القضاء على الجانب المادي في الإنسان بما فيه العقل*

ومختلف الحواس، مع التسامي بالجانب الروحي والنفسي فيه عن طريق ما يسمى بالنرفانا* أو الفناء* . بينما البصيرة هذه ملكة من الملكات محدودة القدرة، قد تتأثر بالكثير من المؤثرات حولها، وبالتالي لا يصح الاعتماد عليها وحدها كمصدر من مصادر المعرفة. أما القضاء على الجانب المادي في الإنسان والتسامي بالجانب الروحي من خلال العزلة والخلوة والتخفف من الأكل والشرب فقد تكون مباحة، بشرط عدم التفريط في مطلوب من الدين ولا ارتكاب منهي عنه، أما إذا كانت ستؤدي إلى حرام أو عدم فعل المفروض واستبدال العبادات الشرعية بالعبادات والأذكار البدعية، كما عند الصوفية، فهو أمر مردود لقوله، ﷺ، «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[1]. ويأخذ الإشراق عند المتصوفة المنتسبين إلى الإسلام شكلاً آخر يتمثل في المعراج الصوفي بمقاماته المتعددة، وطريقه الطويل الذي لا يتم السير فيه إلا من خلال اتخاذ مرشد من الشيوخ يستسلم له استسلامًا تامًّا، إذ يأمره بالاقتصار على الفرائض والرواتب . . . وألا يفرق فكره بقراءة القرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ولا بكتب الحديث بل يجتهد ألا يخطر بباله سوى الله، إذ يجلس في مكانه خاليًا يردد لفظ الجلالة «الله» حتى يقف لسانه، ويكررها قلبه حتى تنمحي حروفها في قلبه فلا يبقى إلا معناها، وعند ذلك يتحقق له الإشراق.

بينما يقوم مذهب* شهاب الدين السهروردي ـ المقتول ردة ـ في الإشراق على أساس فكرة نور الأنوار المستمدة من الفكر الأفلاطوني متأثرًا بنظرية الصدور والفيوضات. وعلى ذلك يتضح أن للإشراق أصوله الفلسفية عند أفلاطون ـ رئيس الإشراقيين ـ وفيثاغورس من فلاسفة اليونان، إذ قررا أن النفس إذا صقلت بالرياضة وتطهرت من التعلق بالمحسوسات، استطاعت معرفة حقائق الأشياء. كما وُجدت النظرية الإشراقية عند البراهمة الهنود وعند كهنة قدماء المصريين، وتأثر بها القديس أوغسطين من النصارى.

وعن طريق أصحاب الحركات* الباطنية وغلاة الصوفية أمثال السهروردي وغيره، تسلل هذا المذهب إلى طوائف تنتسب إلى الإسلام.

وهناك فرق بين الإلهام والتحديث والرؤيا والكشف* ، كما وضحته النصوص من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الكتاب والسنة، مما يأتي متوافقًا معهما ويبين زيف ما وضعه الباطنيون والمتصوفون من قواعد للكشف* والإشراق. والنبي* ﷺ، الذي صعد إلى السموات العلى ورأى من آيات ربه ما رأى، قال عن نفسه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال عن نفسه فيما جاء به القرآن الكريم: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

الاصطلاح: ومنها المصطلح وهو إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين، وقيل هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقله عن موضعه الأول.

ويختلف مفهوم المصطلح الواحد من طائفة لأخرى ومن بلد إلى بلد ومن عصر إلى عصر ومن دين* ومذهب* إلى آخر، بل أحيانًا داخل المذهب أو الدين الواحد قد يتعدد مفهوم المصطلح الواحد، وذلك على ما مر وما سيأتي من مصطلحات متفقة في مسمياتها مختلفة في حدها ـ تفسيرها ومفهومها ـ فمثلاً العدل عند المعتزلة هو نفي القدر* ، بينما معناه مختلف تمامًا عند أهل السنة* ، وكذلك التوحيد والتنزيه* . . . ومن هذه المصطلحات ما يعرف حدها ومسماها بالشرع إذ تتعلق بها الأحكام مثل: الصلاة والزكاة والصيام والإيمان والإسلام والكفر وغير ذلك.

ومنها ما يعرف حدها باللغة كالشمس والقمر والسماء والأرض، ومنها ما لم يحدها الشرع بحد، وكذلك ليس لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة بل يختلف باختلاف عادات الناس ـ العرف ـ مثل البيع والنكاح والدرهم والدينار يقول ابن الجوزي في **الإيضاح لقوانين الاصطلاح** «إن لأرباب كل صناعة ألفاظًا يتداولونها بينهم في مجاراتهم، وقد وضعوها بإزاء مسميات يحتاجون إليها في محاوراتهم، فلا يقف غيرهم على موضوعها إلا بتوقيف منهم». وما انتهى عصر الصحابة والتابعين حتى ترجمت علوم اليونان وفلسفاتهم وعن طريقها دخل الكثير من المصطلحات الغريبة ذات المفاهيم الخاطئة والتي تلقفها أهل الأهواء من الفلاسفة والزنادقة* والباطنيين* تحت دعاوى التوفيق بين الفلسفة* والدين* كما فعل الكندي وإخوان الصفا* ومن تابعهما، وذلك لتفريغ المصطلحات الشرعية عن معانيها

التي بها قوام العقيدة والأحكام. وللأسف الشديد فقد تأثر كبار علماء الكلام بمناهجهم* بإيرادهم المصطلحات الموهمة للحق والباطل، ثم يخاطبون بها الناس، ويجعلون مراد الله ورسوله، ﷺ، من جنس ما أرادوا فحدث بذلك الإلحاد* والتحريف* من تبديل الأحكام والحقائق الشرعية بجلب الحقائق الفاسدة وتبريرها بالأسماء الشرعية؛ ليسارع المسلمون إلى تقبلها، والوقوع في شركها كتسمية الربا «قرضًا» وتسميته «ضمانًا» وتسميته «فائدة» ونحو ذلك، على حد قول الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **فقه النوازل** ١/ ١٥٦، ومن هنا اهتم العلماء بتحديد حدود ومسميات المصطلحات، وبخاصة الشرعية منها، وأفردوا لها المصنفات التي تعالج الألفاظ القرآنية والنبوية، والتي تبين حدود اضطلاحات الفنون والعلوم والآداب المختلفة. وبعد أن وضح شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **الرد على المنطقيين** أن حقيقة الحد ـ أي: حدود الألفاظ والأنواع ـ هي: بيان التعريف بالمسمى «المحدود» لتميزه عن غيره، وأن فائدته تنبيه المخاطب وتمييز المحدود مثل ما تفيد الأسماء وأن ذلك من جنس الترجمة بلفظ عن لفظ ويدخل في هذا الباب ذكر غريب القرآن والحديث وغيرهما، مخالفاً بذلك رأي أهل المنطق اليوناني من أنه يفيد تصوير المسمى «المحدود».

ثمّ يقرر شيخ الإسلام أن معرفة هذه الحدود فرض عين وأحيانًا فرض كفاية، فيقول «فإن من قرأ كتب النحو والطب أو غيرهما، لابد أن يعرف مراد أصحابها بتلك الأسماء، ويعرف مرادهم بالكلام المؤلف. وكذلك من قرأ كتب الفقه والكلام والفلسفة وغير ذلك. وهذه الحدود معرفتها من الدين، في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، ﷺ، ثم قد يكون معرفتها فرض عين، وقد تكون فرض كفاية. ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٩٧]، والذي أنزله على رسوله فيه ما قد يكون الاسم غريبًا بالنسبة إلى المستمع كلفظ «ضيزى» و «قسورة» و «عسعس» وأمثال ذلك . . . وبالجملة فالحاجة إلى معرفة هذه الحدود ماسة لكل أمة وفي كل لغة، فإن معرفتها من ضرورة التخاطب الذي هو النطق الذي لابد منه لبني آدم» ص ٤٩، ٥١. ولذا اهتم العلماء بوضع القواعد والضوابط الشرعية التي تمثل صورًا على الطريق، وذلك كالتالي:

أولاً: ما كان منها من ألفاظ الكتاب والسنة، لا يجوز التعبير عنها بألفاظ مبتدعة موهمة أو

ذات دلالات منحرفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «والأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة؛ لما فيها من لبس الحق بالباطل مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي تثبت معانيها، فإن كان مأثورًا حصلت به الألفة، وما كان معروفًا حصلت به المعرفة. . .» **درء تعارض العقل ١/ ٢٧١**.

ثانيًا: ما كان منها محدثًا، مع الأخذ في الاعتبار أن السلف لم يذموا المصطلحات الغريبة المحدثة لكونها محدثة، ولكن لاشتمالها على معانٍ مجملة، ولذلك يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أهمية الوقوف على معانيها فيقول: «ونحن نحتاج إلى معرفة اصطلاحهم وهذا جائز بل حسن، بل قد يجب أحيانًا. .» **بغية المرتاد** ص ٢٣٤ بل يضع في ذلك قاعدة كلية بقوله «ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم، ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى، فكل من شرح كلام غيره وفسره وبين تأويله فلابد له من معرفة حدود الأسماء التي فيه» **مجموع الفتاوى ٩/ ٦٦، ٦٧**.

ومع ذلك فإن هذه المصطلحات المحدثة لا تخلو من أحد الأمور التالية:

(أ) إما أن يكون اللفظ محدثًا ولكنه صحيح المعنى موافق للكتاب والسنة، وعندئذ فلا مانع من استعماله إذ لا مشاحة في الاصطلاح، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في حدود الضرورة، إذ لا تعلق لمسائل العقيدة ودلائلها على تلك المصطلحات المحدثة.

(ب) أو أن يكون المعنى باطلاً مخالفًا للكتاب والسنة واللفظ لا يدل عليه، ففي هذه الحالة لا يصح إضافته واستعمال المصطلح له.

(جـ) أما إذا كان المعنى صحيحًا واللفظ مبتدعًا لا يدل عليه وفيه تلبيس، إذ يحتمل حقًّا وباطلاً، فلا ينفى لعدم نفي ما به من حق، وكذلك لا يثبت لعدم إثبات ما به من باطل، وذلك حتى يتبين مراد المتكلم به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «ويجعلون ـ السلف والأئمة ـ العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعًا من إطلاق نفيها وإثباتها، لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل، فإنه إذا تبين المعنى أثبت حقه ونفي باطله، بخلاف كلام الله ورسوله، فإنه يجب قبوله وإن لم يفهم معناه، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه» **درء تعارض العقل والنقل ١/ ٧٥**، وقد فصَّل

الدكتور/ عبدالله الحوشاني هذه القواعد الأخيرة في كتابه **منهج ابن تيمية في الدعوة** ١/ ٧٤: ٨٠، كما أشار إليها الدكتور/ أحمد بن عبداللطيف في كتابه «**منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة** ١٢٥ ؛ ١٣٧.

أصول الفقه: هي مجموعة القواعد والأدلة الإجمالية التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الفقهية. فهو مجموعة القواعد والأصول التي يجب أن يلتزم بها الفقيه في استخراج الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، كطرق استخراج الأحكام من الألفاظ والمنهاج السليم في القياس* . . على وجه يسلم به المجتهد من الخطأ والعثار.

وكان هذا العلم معروفًا عند كبار الصحابة والتابعين، من أمثال عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وسعيد بن المسيب وعلقمة النخعي والشعبي والحسن البصري وغيرهم، رضي الله عنهم جميعًا، فكانوا على دراية بأصول هذا العلم وقواعده من معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والإجماع* والقياس .

وأول من دون هذا العلم وجمع قواعده وأصَّلها في مؤلف سماه (**الرسالة**) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي ـ يرحمه الله ـ المتوفى عام ٢٠٤ هـ جوابًا على رسالة للإمام عبدالرحمن بن مهدي.

وهناك أكثر من طريقة للكتابة في هذا العلم، فكتب فيه المتكلمون وألفوا فيه العديد من الكتب وأكثروا فيها من الفروض النظرية والمناحي الفلسفية، سواء كانوا ممن يمثلون مذاهب* الشافعية والمالكية والحنابلة أو المعتزلة وعلماء الجعفرية في أول تدوينهم لأصول الفقه. وقد جمع الرازي ما كتبوه بعد أن لخصه ونقحه في كتابه **المحصول**، والآمدي في كتابه **الإحكام في أصول الأحكام**.

وهناك طريقة المذهبية، واستعملها الحنفية، إذ يؤصلون القواعد الأصولية على ضوء الفروع الفقهية، ومن أشهر مؤلفاتهم في ذلك **أصول الفقه** للجصاص، ورسالة **تأسيس النظر** لعبيد الله بن عمر الدبوسي.

وهناك طريقة ثالثة للذين ألفوا في هذا العلم، دون الاعتماد على أي من الطريقتين السابقتين، إذ اعتمدوا على الأدلة وترجيح ما يرونه صوابًا دون التعصب لمذهب* معين.

وتمثل كتابات ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وكذلك **الموافقات في أصول الشريعة** لأبي إسحاق الشاطبي، وكتاب **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** للإمام محمد بن علي الشوكاني، أبرز كتابات أصحاب هذه الطريقة.

وعلم الأصول من العلوم الضرورية لكل مجتهد ومفت وكل طالب علم، فهو يعين على دراسة وفهم سائر العلوم الأخرى. والأصول المعتبرة عند أئمة السلف هي الأصول الشرعية التي دل عليها الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة، لا الأقوال الفلسفية ولا التخريجات الكلامية.

الأصولية: حركة* فكرية بروتستانتية "Fundamentalism" ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام ١٨٩٥م لتحيي من جديد أفكار أصحاب عقيدة المجيء الثاني للمسيح*، مجيئًا حقيقيًا حرفيًا. وقد ظهرت لهم كتيبات بعنوان الأصوليات دعوا فيها إلى: التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، والقول بألوهية المسيح*، وعصمة الكتاب المقدس عن الخطأ، ووجوب الأخذ به حرفيًا، وولادته، عليه الصلاة والسلام، من مريم، كما دعوا إلى الفدية عن الأعمال المنكرة، وإلى الإيمان بقيامة المسيح من بين الأموات بجسمه، وعودة تجسده ثانيًا، بالإضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت، وكذلك الدراسات التي تنتقده أو تناقض ما فيه ـ ولذلك عرفت بمذهب* العصمة الحرفية ـ كما ترفض الفصل بين الدين* والدولة ـ مما أدى إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي، والسعي إلى تكوين الأحزاب* السياسية للوصول إلى السلطة؛ بغية سن القوانين والشرائع المؤيدة لمذهبهم. ويمكن، أيضًا، إضافة اعتقادهم بالنبوءات الإنجيلية التي تقود حسب اعتقادهم إلى استيلاء اليهود على فلسطين والقدس شرطًا للعودة الثانية للمسيح*.

وبذلك تتعارض الأصولية مع الليبرالية أو الحداثة التي تسعى إلى قراءة النص وتفسيره على حسب الواقع. وللأصولية في الغرب تنظيماتها ومؤسساتها ووسائل إعلامها القوية التي تدعو إلى مبادئها. ومن أشهر مؤتمراتها ما عقد في عام ١٩٨٥م في مدينة بال بسويسرا. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية المركز الرئيس للاتجاهات الأصولية الإنجيلية التي

ينتمي إليها معظم رؤسائها.

وقد سبقت هذه الحركة في الغرب حركات أخرى عرفت بالأصولية أيضًا، وإن كانت أقل انتشارًا منها: methodism، وهي حركة* بروتستانتية نشأت في أكسفورد بريطانيا، على يد الأخوين جون، وشارلي وسلي عام ١٧٣٩م تحت اسم النادي المقدس "Holyclub"، للدعوة إلى التمسك الحرفي بالتعليمات المسيحية*، على أساس الإعلاء من نصوص العهد القديم* في مقابل التقليل من شأن تعاليم الكنيسة*. كما تدعو إلى اعتبار المسيحية* رسالة سماوية ونظام حياة، وقد اشتدت الدعوة إليها حتى وصل عدد أعضائها في بريطانيا في عام ١٩٥٧م إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ عضو. وأصبح لها رئيس ينتخب سنويًا، كما أصبح لها عدة تنظيمات إدارية هرمية، ومن ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح لها فيها شأن كبير. ومنها حزب Integrism السياسي الإسباني الذي تأسس في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي بعيدًا عن الكنيسة، للدعوة إلى الحفاظ على التقاليد الإسبانية، ومن ثم دخل هذا التيار المحافظ إلى الكنيسة الكاثوليكية؛ ليشكل تيارًا معارضًا لدعوات التجديد* في التعاليم الكنسية، وبخاصة ماله علاقة بالطقوس التعبدية.

وعبر وسائل الإعلام الغربية أسقط مصطلح الأصولية* ظلمًا وعدوانًا على تيار الصحوة الإسلامية الجارف في العالم الإسلامي؛ للحد من تدفق مسيرته، وللأسف الشديد تلقفه أذنابهم من المنتسبين إلى الإسلام للتحريض تارة والتشويش تارة أخرى على العاملين للإسلام.

هذا مع أن مصطلح* الأصولية في الإسلام مصطلح محمود غير مذموم، فهو يطلق على العالم بأصول الفقه* أو أصول الدين (علم العقيدة والتوحيد)، فيقال عالم أصولي كما يقال فقيه ومفسر ومحدث.

وعلى ذلك فالأصولية بمعنى العودة إلى الأصول ترادف السلفية*، وهي العودة إلى الأصول الصحيحة للإسلام، والاجتماع عليها والعمل بها والدعوة إليها، على ما كان عليه سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم.

ومن باب التحريض والتشويش أصبح يطلق عليهم «النصية»، «الحرفية»، «التطرف»، وفي الواقع أن هذه المعاني واللوازم للأصولية تلزمها بمعناها عند الغرب، فما نشأت عندهم

إلا تفسيرًا لأخطاء في تاريخ الكنيسة، وبالتالي فلا دخل لها، ولا وجه للتشابه بينها وبين الطوائف المنعوتة بها في بلاد المسلمين، إذ الاختلاف بيِّن بين الإسلام والنصرانية المحرفة، وهذا ما أكده المنصفون من علماء الغرب، والحق ما شهدت به الأعداء.

يقول المستشرق الروسي ميتالي نارومكسين: «إن مصطلح* الأصولية الإسلامية مصطلح أطلق في الغرب». وهو ما أكده جاك بيرك بقوله: «إن تعبير الأصولية آت من النزعات داخل الكنيسة»* . وأخيرًا يقول المستشرق الفرنسي دومينيك شوفاليين بعد أن أقر بأن التطرف ميز الحركة* الأصولية في الدين* النصراني بقوله: «إن الحركة الأصولية الإسلامية مختلفة تمامًا، ولا مجال للمقارنة بين الحركتين».

ومما تحسن الإشارة إليه أن هناك طائفة من الشيعة* الإمامية الاثني عشرية يطلق عليهم الأصولية وليست، أيضًا، على نفس المعنى الكنسي السابق، ولكنها تطلق مقابل الأخبارية من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، والأصوليون الشيعة هم الذين يأخذون بأدلة العقل* مثل: البراءة الأصلية والاستصحاب وغير ذلك، مقابل الأخبارية الذين يتقيدون بما ورد في الكتاب والسنة التي يرويها أئمتهم الاثنا عشر فقط.

ومن أهم رموز الأصوليين الشيعة: السيد دلدار علي، والطباطبائي، ومحسن الحكيم، والخوئي، وشريعت مداري والخميني.

وعمومًا فإن الأصولية بمعنى العودة إلى الأصول ظاهرة عالمية بين مختلف أصحاب الديانات، حتى غير السماوية منها، ويرجع بعض الباحثين ذلك إلى فشل النظريات الوضعية من مادية وغيرها.

الأقانيم: جمع أقنوم وهي كلمة سريانية معناها شخص أساسي أو شخص رئيس أو كيان ذاتي أو في الذات أو مبدأ الأشياء. وهي قريبة من الكلمة اليونانية Norms . والأقانيم عند النصارى هي الآب* والابن* والروح القدس* ، والرابطة التي تربط بينهم تسمى اللوغوس، أي الإله* باعتباره القانون الفعَّال الذي يقود العالم. والأقانيم فكرة وردت في الفلسفة اليونانية* تأثر بها يوحنا صاحب الإنجيل* وأحد طلاب مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي أخذت على عاتقها الجمع بين الفلسفة اليونانية والنصرانية* الجديدة كما هو واضح في إنجيله.

والأقانيم على مذهب* الأرثوذكس عبارة عن مراحل انقلب فيها الإله* إلى إنسان في زعمهم، واتخذ جسد إنسان فأصبح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. بينما هي على مذهب الكاثوليك والبروتستانت ذوات متميزة، لأن السيد المسيح على حسب كلام إثناسيوس «مساو للآب بحسب اللاهوت*، ودون الآب بحسب ناسوته»*، على أنه إله واحد في الجملة لا باختلاط الجوهر بل بوحدانية الأقنوم ـ تعالى وتقدس ربنا عن قول الكافرين علوًّا كبيرًا.

وقد أشار القرآن الكريم إلى كل من المذهبين* في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، وإلى مذهب* الأرثوذكس بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ . . .﴾ [المائدة: ٧٢]، وإلى مذهب الكاثوليك بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ . . .﴾ [المائدة: ٧٣].

ذهبت بعض فرق النصارى الأخرى إلى أن هذه الأقانيم* ما هي إلا صور مختلفة أعلن الله ـ تعالى سبحانه عن قولهم ـ بها عن نفسه للناس، وأن الابن ليس أزليًّا بل هو مخلوق منه. وذهب آريوس إلى أن الآب* أخرج الابن* من العدم بإرادته، كما ذهبت النسطورية إلى أن مريم لم تكن إلهًا وبذلك فإن ما يولد من الجسد لا يكون إلا جسدًا. وذهب آخرون أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجودًا خاصًّا، وأن للثلاثة معًا وجودًا رابعًا عامًّا، وتسمى هذه الفرقة أصحاب الرابوع. وتعتقد فرقة أخرى أن الروح القدس* منبثق من الآب* والابن* معًا لا من الآب وحده.

وهكذا يصدق على النصارى القول القائل: بأنه لو تناقش اثنان من النصارى في حقيقة عقيدة من عقائد دينهم لخرجوا بثلاثة آراء أو عقائد مختلفة.

الاقتصاد: يعرِّفه اقتصاديو القرن التاسع عشر: بالعلم الذي يبحث عن الأسباب المؤدية إلى الرفاه المادي وزيادة ثروة الشعوب، والذي يعالج مشكلتي الإنتاج والتوزيع. ويعرِّفه اقتصاديو القرن العشرين بالعلم الذي يدرس سلوك الإنسان في حله للمشكلة

الاقتصادية. وقد حدد القرآن الكريم مدلول كلمة الاقتصاد في أكثر من آية تحديدًا دقيقًا متوازناً يدل على التوسط بين الإسراف والتقتير مع التحذير من مخاطرهما، في الوقت الذي اعتني فيه بتوزيع الثروات وبيان أصحابها وغير ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقوله تعالى ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وانطلاقاً من هذه الأسس القرآنية الكريمة يعرف الدكتور محمد أحمد صقر الاقتصاد الإسلامي بأنه «العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة، لإنتاج أمثل ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات، لإشباع الحاجات الإنسانية ـ من متطلباتها المادية ـ التي تتسم بالوفرة والتنوع، في ظل إطار معين من القيم (الإسلامية) والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع. وهو، أيضًا، العلم الذي يبحث في الطريقة التي يوزع بها هذا الناتج الاقتصادي بين المشتركين في العملية الإنتاجية بصورة مباشرة (وغير المشتركين بصورة مباشرة في ظل الإطار الحضاري نفسه) **الاقتصاد الإسلامي مفاهيم ومرتكزات** ص٢٦ نقلاً عن **مبادىء الاقتصاد الإسلامي** للأستاذ/ محمود بن إبراهيم الخطيب ص١٣.

ويؤكد الأستاذ محمود بن إبراهيم الخطيب في كتابه **مبادىء الاقتصاد الإسلامي** أن ظهور الاقتصاد الإسلامي مرتبط بظهور الإسلام نفسه، إذ وضع الإسلام نظامًا شاملاً متكاملاً متوازنًا للحياة جمع فيها بين النواحي المادية والروحية التي تحض على تحكيم الأخلاق والقيم الإسلامية في النواحي الاقتصادية قبل تحكيم المادة، وعليه فإن دعوة الإسلام إلى الطيبات من الرزق تواكبها الدعوة إلى الطيب من الإنتاج، والطيب من الثمن، وذلك بعكس التشريعات الوضعية التي تستبعد ربط الأخلاق ـ راجع الأخلاق ـ والقيم بالاقتصاد.

وقديماً كُتب في قضايا الاقتصاد الإسلامي العديد من الدراسات، المبثوثة في ثنايا كتب الفقه مثل: كتاب **الكافي** في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبدالبر القرطبي، أو **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** في الفقه الحنفي للكاساني، ومنها كتاب **الأم** للإمام الشافعي وكتاب **المغني** في الفقه الحنبلي للموفق بن قدامة المقدسي، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الاقتصادية المتخصصة نذكر منها: كتاب الخراج لأبي يوسف، وكتاب الخراج

ليحيى بن آدم، وكتاب الأموال لأبي عبيدالقاسم بن سلام، وكتاب **الأموال** لابن زنجويه، هذا بالإضافة إلى مقدمة ابن خلدون التي يقول عنها الأستاذ الخطيب «مقدمة ابن خلدون التي ظهرت سنة ٨٧٤ هـ والتي سبقت آدم سميث (أبو الاقتصاد حسب الزعم الغربي) بخمسة قرون فقد وضع آدم سميث كتابه ثروة الأمم عام ١٧٧٦م، الذي يعد صورة مشوهة **لمقدمة ابن خلدون**، فقد بحث ابن خلدون، في مقومات الحضارة ونشوئها، وإنتاج الثروة وصور النشاط الاقتصادي المختلفة، ونظريات القيمة وتوزيع السكان، وأنه لا يختلف الكتابان إلا اختلافًا بيئيًا وزمنيًا. اهـ. من مبادىء الاقتصاد الإسلامي ص ١٥.

الاقتصاد الحر: هو النظام الاقتصادي القائم على الحرية* المطلقة والملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ومبدأ المنافسة والمبادرة الذاتية. وقد ارتبط هذا النظام ارتباطًا وثيقًا بنشوء الرأسمالية، وإن كان موجودًا قبلها، وهو المذهب* السائد في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. بينما الاقتصاد في الإسلام مبني على الحرية الاقتصادية المقيدة بحدود الحلال والحرام. على أن هذه القيود لا تتعلق بتحديد سقف أعلى للملكية، وإنما تتعلق بكيفية الحصول عليها، بالإضافة إلى اعتبار الملكية الاقتصادية المزدوجة. ولذا فهو وسط بين الرأسمالية حيث تطلقها للأفراد، وبين الاشتراكية حيث تسلبها، فالإسلام أقر الملكية الفردية وحق التصرف فيها والانتفاع بها، كما أقر الملكية العامة وأوجدها مثل المساجد والأوقاف المختلفة والحمى بالإضافة إلى الحاجات الأساسية من الماء والكلأ والنار، والزكاة والخراج والجزية والخمس من المغنم والركاز .. والركن الثالث للاقتصاد في الإسلام هو تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع المسلم، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا يؤدي الحرص على مصلحة الجماعة إلىٰ تضييع حق الفرد.

الأقطاب: أحد مراتب الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية ويعرِّفها مؤسس التيجانية: «أنها الخلافة عن الحق مطلقًا فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق [الله] إلا بحكم القطب».

ويرى السهروردي أن الأقطاب أو الأئمة هم الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود، وهم الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق.

ويزعم بعضهم أن عدد الأقطاب سبعة على عدد القارات السبع لحفظها، والقطب لا يقوم مقامه أحد، فهو الروح المصطفوي الذي يسري في الكون سريان الروح في الجسد. والأقطاب على نوعين:

١ـ نوع ظاهر مسؤول له مقاليد الأمور السياسية، فيصبح عصره نورانيًا أي عصر ازدهار وتقدم.

٢ـ نوع آخر خفي غير مسؤول، خامل الذكر ليس له أي تأثير في الشؤون الزمانية، وعند ذلك تخلو الأرض من التدبير الإلهي، وتغلب عليها الظلمات أي التأخر والانحطاط. ويستخلف القطب بدلاً [أحد الأبدال*] عنه حال موته. وأكبر الأقطاب «قطب الأقطاب» يعرف بالغوث الأكبر، والذي يعرفه ابن عربي بأنه عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل، عليه السلام، ويزيد القاشاني صاحب **معجم اصطلاحات الصوفية**: بأنه لا يكون إلا لورثة النبي*، ﷺ، حيث إن ختم الولاية* يكون باطن النبوة. ويدل هذا المعنى دلالة قوية على مذهب* متفلسفة الصوفية أو صوفية الفلاسفة بشأن الحقيقة المحمدية، باعتبار أن النبي محمد ﷺ عندهم هو المخلوق الأول الذي خلقه الله تعالى، وكان واسطة لكل ما في العالم من الكائنات الروحية والمادية والتي ما خلقت إلا لأجله في زعمهم. ويورد صاحب **ألفاظ الصوفية ومعانيها** بأن للغوث نائبين وهما مساعدا الغوث ونائباه في أمور الحكومة الباطنية، ولهما وجود فعلي في الدنيا، ولا يصح أن يعلم بهما أحد على الإطلاق، وهما اللذان يحفظ بهما الله عالم الغيب والشهادة.

ولا يخفى على العاقل ما في اعتقاداتهم هذه من الشرك والبهتان العظيم.

الأكليروس: هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس* النصرانية، ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي متأثرًا بالرتب الكهنوتية عند الجماعات الوثنية*، وكذلك بالنظم اليهودية، مستخدمًا نفس الألقاب والأسماء للرتب حسب لغاتها الأصلية مثل: بربسبيتروس أي شيخ، وأيبسكوس بمعنى مشرف، ودياكونوس أي خادم وهكذا، ثم ما لبثت أن تطورت هذه الألقاب في القرون التالية إلى أن أخذت الأسماء المعروفة مثل: قس* وأسقف* وشماس*.

وللكهنوت في الكنيسة* ثلاث درجات هي: الأسقف والقس والشماس، وهناك

درجات أخرى هي: المطران* والخوري والقمص والقارىء والراهب.

تتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنائس الأرثوذكسية في درجات النظام الكهنوتي، إلا أن البابا في الكنيسة الكاثوليكية يتمتع بسلطات أعلى من نظيره في الكنيسة الأرثوذكسية. أما البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام وهما: القس، الشماس. كما يرفضون تميز أشخاص معينين بسلطات خاصة، إذ يعتقدون أن الجميع عندهم متساوون في الحقوق، لأن المسيح* جعل الكل إخوة. كما يختلف رجال الأكليروس في الكنيسة الكاثوليكية عنهم في الكنيسة البروتستانتية، إذ يمتنع رجال الأكليروس في الكنيسة الكاثوليكية عن الحقوق الزوجية التي يترتب على مخالفتها العقوبات الصارمة، بينما لا تعترف الكنيسة البروتستانتية بذلك. أما في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية فيحظر على البطريرك والراهب فقط الزواج.

الإلحاد: هو إنكار وجود الله، أو الميل بنصوص الكتاب والسنة عن الحق الثابت لها، كالإلحاد في الآيات الشرعية مثل تسميته تعالى بما لا يليق كتسمية النصارى له أبًا*، أو تسمية الفلاسفة إياه بالعلة الفاعلة، ومن الإلحاد، أيضًا، تسمية بعض المخلوقين باسمه تعالى كتسمية اللات من الإله*، أو وصف الله تعالى بما يتنزه عنه كقول اليهود (الله فقير)، أو تعطيل* أسمائه وصفاته عن معانيها وجحد حقائقها كمن يجعل أسماءه تعالى علات محضة لا تدل على الكمال، أو تشبيه الخالق بالمخلوق ذاتًا وصفاتٍ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويأتي الإلحاد، أيضًا، بنسبة الآيات الكونية إلى غير خالقها سبحانه - الدهريون - كنسبة نزول المطر للنجم، مثلاً، أو التكذيب بالبعث والجنة والنار - الطبيعيون -، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط. فالإلحاد هو الكفر* بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد. ويمثل الإلحاد اليوم ظاهرة عالمية إذ ينص عليه في كل الدساتير الأوربية أو الأمريكية باسم «العلمانية» تارة أو «اللادينية» تارة أخرى، وأصبح له دول وحكومات تدافع عنه كما في دول أوربا الشرقية وروسيا والصين.

وأول ظهور للإلحاد بهذا المعنى كان في القرنين الأخيرين ردة فعل للفساد العقدي والأخلاقي للكنيسة* الأوربية وظهور المذهب* الرأسمالي واستغلاله لطبقة العمال وتأييد الكنيسة له باسم الدين*، وقد تلا ذلك ظهور المذاهب الإلحادية وبخاصة الشيوعية والتي زاد نفوذها بزيادة نفوذ العلم والظن بأن امتلاك أوربا لناصيته، وبروز الاتحاد السوفيتي قوة عظيمة كان نتيجة لتنحية الدين* ورفعه للإلحاد بديلاً له. وهذا ما سبب الكثير من الأمراض النفسية، وظهور الأنانية التي أثرت على الأسرة والمجتمع على حدٍ سواء، ومن آثار ذلك زيادة الإجرام السياسي وظهور القسوة في معاملة الشعوب، مع امتلاك الأسلحة الفتاكة والذرية واستخدامها دون رحمة ولا خوف من الجزاء، مما دفع الناس إلى العقد النفسية والأمراض العصبية والانحراف واللجوء إلى المخدرات والمسكرات.

الإله: الإله عند أهل السنة والجماعة* يعني المحبوب والمعبود بحق الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له، وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده رب العالمين صاحب الملك والأمر، صاحب الأسماء الحسنى، الموصوف بصفات الكمال العليا المعلومة معانيها كما أثبتها لنفسه من غير تحريف* أو تعطيل* أو تمثيل* أو تكييف*، وكل من صرف أيًا من ذلك لغيره ـ سبحانه وتعالى ـ فقد ألهّه.

بينما الإله عند بعض فرق أهل الكلام يعني أنه القادر على الاختراع والخلق، وفي ذلك قلب لحقيقة معنى توحيد الألوهية إلى معنى توحيد الربوبية.

وإله الفلاسفة جعلوه علة نهائية أو قوة كامنة غير عاقلة ليست له صلة بالعالم، ومنها الخلق الذي جعلوه للعقول والأفلاك التي فاضت عنه، كما نزهوه عن العلم بالجزئيات الكائنة. بينما الإله في المفهوم الأفلاطوني هو الصانع وليس الخالق، وبينهما فرق كبير فالخالق الذي يوجد الشيء من العدم، بينما الصانع هو الذي يصنع الشيء من المادة الموجودة على مثال سابق. وعليه فإنه على حسب هذا المفهوم فإن الإله لم يبدع خلق الكون بل نظمه وصوره على ما هو ثابت في عالم المثل الأزلي. ولذلك فإن الرب عند أرسطو

وأتباعه يسمىٰ عقلاً وجوهرًا، وأنه لا يعلم شيئًا سوى نفسه ولا يريد شيئًا، ولذا يسمونه بالمبدأ والعلة الأولى. والإله أو العقل* عند الرواقيين* هو النار المبثوثة في كل جزء من أجزاء العالم، فهي جوهر العالم ومنها خلقت جميع المخلوقات، وذلك متابعة لهيراقليطس.

ودعت الفلسفة الوجودية ـ اتباعًا لفلسفة أبيقور ـ إلى إنكار الآلهة والبعث، بل دعوا إلى تأليه الذات الإنسانية. بينما دعت الفلسفات* المادية* إلى تأليه الطبيعة* على أن المادة أصل كل شيء، إلا أن النظريات العلمية الحديثة وجهت ضربة قاصمة للماديين بإثباتها قابلية الذرة للتجزؤ وتحولها إلى طاقة.

والإله عند المجتمعات الوثنية* سواء اليونانية أو المصرية القديمة أو عند مجتمعات الهنود والصين والفرس آلهة وثنية* متعددة بتعدد وظائفها. فهناك إله الآلهة جوبيتر عند اليونان، وآمون عند المصريين، وبرهما* عند الهنود. وهناك آلهة الحب والجمال والخير والشر والقتال والشمس والخلق والمعرفة والصناعة، وقد جعلوا لهم أسماء وصفات بشرية من الأكل والشرب والغضب والألم والخيانة والحسد والحقد، كما ألهوا الملوك لاعتقاد أنهم من نسل الآلهة كما عند اليابانيين وغيرهم.

ولا ترتفع التصورات اليهودية بعد الانحراف عن التوحيد الصحيح عن تلك التصورات الوثنية*، فجعلوا العجل لهم إلهًا كما سوَّل لهم السامري، وشبهوا الله تعالى بصفات المخلوقين فنسبوا له الولد والجهل والحزن والخيانة والندم والبكاء والهزل واللعب. أما عند النصارى فانحرف تصورهم إلى التصورات الوثنية في البوذية والهندوسية، إذ جعلوا له ثلاث خصائص فهو الإله الأب* وهو الإله الابن* وهو الإله الروح القدس*، ونسبوا له الولد كفرًا وعدوانًا.

إلياذة: إحدى ملحمتي هوميروس وتقع في ٢٤ جزءًا تتناول حروب طروادة بين اليونان وطروادة، والخلاف بين أجاممنون قائد الحملة اليونانية، وأخيل أشجع أبطال اليونان، مما أدى إلى تدخل صديقه باتروكلوس الذي حارب بدلاً من أخيل، وارتدى درعه وقتل على يد هكتور. ثم يصفح أخيل عن قائد الحملة اليونانية، وينتقم من هكتور ويقتله، وتنتهي بانتصار اليونان على طروادة بعد دخولهم إليها بحيلة «حصان طروادة». وتعد الإلياذة والأوديسة* أشهر القصائد الملحمية التي أصبحت نموذجًا يحتذى به في الشعر الملحمي.

الإمبريالية: راجع الاستعمار

الأمم المتحدة: منظمة دولية أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية لتحل محل عصبة الأمم، ومقرها الدائم نيويورك منذ ١٩٥٢م، وتقوم فلسفتها على فكرة إقامة الحكومة العالمية التي سبق أن نادى بها فلاسفة اليونان القدامى، والتي تابعهم عليها إخوان الصفا والفارابي من الفلاسفة المسلمين، وقد عادت للظهور مرة أخرى في أدبيات الحركة الفكرية الغربية على أثر ظهور القوميات، وبرزت في شكل الكونسرت الأوربي الذي ظهر بعد مؤتمر شاتيون في فبراير ١٨١٤م، كما ظهرت الدعوة لإقامة الحكومة العالمية بشكل واضح في دعاوى البهائية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفشل عصبة الأمم في منع الحروب، تبنت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة إقامة تنظيم دولي جديد يعمل على حفظ السلام والأمن الدوليين، بالإضافة إلى تحقيق التعاون الدولي في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفق عدد من المبادىء منها:

١ـ المساواة بين الدول.

٢ـ تنفيذ الالتزامات الدولية.

٣ـ فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية.

٤ـ عدم استعمال القوة في العلاقات الدولية.

٥ـ الامتناع عن مساعدة أية دولة يتخذ إزاءها عمل من أعمال القمع.

والجدير بالذكر أنه قد وضع الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية ميثاق الأمم المتحدة في مؤتمر دومبارتين أوكس في سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٤٤م، إذ كان أول اجتماع دعت إليه في أول مارس عام ١٩٤٥م، وحضره مندوبو ٥١ دولة، وعقد في مدينة سان فرانسيسكو. والأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة هي:

الجمعية العامة: وتمثَّل فيها جميع الدول الأعضاء، وتعقد دورة سنوية تبدأ يوم الثالث من شهر سبتمبر، ولها أن تعقد دورات استثنائية عند الضرورة.

مجلس الأمن: الذي يتألف من خمسة أعضاء دائمين: الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، الصين، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، وعشرة أعضاء غير دائمين يتم اختيارهم مرة

كل عامين، ولكل عضو دائم حق الفيتو (الاعتراض) عند التصويت ليمنع المجلس من إصدار القرار، ولمجلس الأمن الحق في استعمال القوة مع أي دولة تعمل على تهديد السلم من وجهة نظره. وبقية الأجهزة هي:

الأمانة العامة، والمجلس الاقتصادي الاجتماعي، ومجلس الوصايا ومحكمة العدل الدولية. كما انبثق عن الأمم المتحدة عدد من المنظمات التي تعنى بالصحة والثقافة مثل: منظمة الصحة العالمية واليونسكو بالإضافة إلى ١٥٠ منظمة ولجنة وهيئة مبعثرة في جميع أنحاء العالم، تحت مسميات مختلفة. وتحسن الإشارة هنا إلى تغلغل اليهود والبهائيين في مختلف المناصب الحساسة لتلك المنظمات والهيئات التابعة، مما أفقد الأمم المتحدة ومنظماتها حيادها تجاه القضايا الإسلامية المختلفة، وما قضية فلسطين ولا البوسنة وكشمير عنا ببعيد، أضف إلى ذلك اكتشاف بؤر عديدة للفساد وتبديد الأموال داخل أروقة الأمم المتحدة، ولذلك يقول تشارلز ليشنتشتاين السفير الأمريكي الأسبق لدى المنظمة الدولية: إن الأمم المتحدة قطار يجري خارج نطاق السيطرة تماماً تقريباً.

الأمميون: هي الترجمة العربية للكلمة العبرية «الجويم» وهي أحد المصطلحات* التي يطلقها اليهود على غير اليهودي، وتعني عندهم الكفرة، والوثنيين*، والأنجاس، والحيوانات.

وقد صوَّر القرآن الكريم هذه التفرقة بقوله ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي أنهم غير ملزمين بأية شريعة في معاملة غيرهم، فلهم قتل غير اليهودي وسرقة ماله وانتهاك عرضه.

أمير المؤمنين: لقب للحاكم المسلم، وأول من لقب به عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، منعًا لتكرار كلمة خليفة، فقد كانوا ينادونه: خليفة خليفة رسول الله، ﷺ، وبقي لقب أمير المؤمنين سائدًا طوال عهد الأمويين. وفي الصدر الأول من أيام العباسيين، إذ كان يتولى الخلفاء بأنفسهم إمامة المسلمين، وحذا حذوهم الفاطميون.

وفي المغرب الإسلامي اتخذ لقب أمير المؤمنين بنو رستم وبنو حماد، والموحدون

وبنو حفص، والمرينيون وأشراف المغرب، وقد انتهى هذا اللقب شكلاً.

الأنثروبولوجيا «علم الإنسان»: ويدرس أصل النوع الإنساني وكل الظواهر المتعلقة به، كما يدرس الثقافة. وتنقسم الأنثروبولوجيا إلى فرعين كبيرين هما: الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الثقافية. وتشمل الأنثروبولوجيا الثقافية: الأركيولوجيا، وهي دراسة الثقافات البائدة، والأنثولوجيا التي تهتم بدراسة الأجناس البشرية سواء الموجودة الآن، أو التي اختفت من عهد قريب، كما تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية في المجتمع البدائي، وتنتهج في ذلك منهجًا تاريخيًا بقصد التعرف على نشأة الظاهرة أو النظام بتتبع المراحل المختلفة التي مر بها. بينما تتناول الأنثروبولوجيا الطبيعية: دراسة المشكلات الخاصة بالتطور الإنساني، والبانثولوجيا «علم الإنسان القديم» ودراسة الأجناس البشرية، وتكوين جسم الإنسان. ومع أن الإسلام دين العلم الصحيح ويشجع عليه، إلا أن من ضمن تفسيرات علم الأجناس ما يرفضه الإسلام مثل اعتقادهم أن التوحيد تطور عن أصول وثنية* ، واحتمال وجود أكثر من سلالة بشرية بدأت في مناطق ومراحل مختلفة، فالواضح إسلاميًا أن الأصل كان التوحيد ثم طرأ الشرك على المجتمعات، كما أن أصل الإنسان واحد كما بيَّن ذلك القرآن الكريم، يقول ابن عباس: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد ثم نشأ فيهم الشرك فبعث الله إليهم نوحًا»[(١)].

الإنجيل: كلمة معرَّبَة من الكلمة اليونانية* «إفاجيلويون» ومعناها البشارة بالخير أو بالخبر السار والمفرح، واللفظ الدال على الإنجيل gospel وهو في الإنجليزية القديمة goaspel أي أخبار طيبة. والإنجيل كتاب أنزله الله تعالى على عيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة يقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] وقد وردت كلمة إنجيل في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة. وبعد رفع المسيح* وضياع الإنجيل الرباني المنزَّل عليه كتبت أناجيل كثيرة زادت على المائة فاختارت الكنيسة* منها أربعة وهي المقصودة بكلمة الإنجيل عند النصارى* الآن. وهذه الأناجيل هي «متى،

(١) البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس.

ومرقس، ولوقا، ويوحنا» ويشير بولس الرجل الأول في النصرانية المحرفة بعد المسيح، عليه الصلاة والسلام، إلى أنه في العهود الأولى للنصرانية وجدت أناجيل كثيرة، ففي رسالته إلى أهل غلاطية الإصحاح ١/٦ : «إنني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر» بزعم أن ما يدعو إليه هو إنجيل المسيح!!! كما يطلق الإنجيل مجازًا على العهد الجديد* الذي يشتمل على هذه الأناجيل* والرسائل الملحقة به التي في قبولها خلاف كبير بين الكنائس* النصرانية.

تعرض الإنجيل (العهد الجديد) كما تعرض العهد القديم* للعديد من الدراسات النقدية من علماء اللاهوت النصارى، ومن علماء المسلمين على حد سواء، لتثبت الدراسات انقطاع أسانيده فضلاً عن وقوع كُتّابه في الكثير من التناقضات، بالإضافة إلى ركاكة الأسلوب، مما يفقد نصوصه مصداقية صلتها بالوحي*، وهذا ما يؤكد، أيضًا، عدم صلة أناجيل العهد الجديد الحالي بإنجيل عيسى، عليه الصلاة والسلام، وأنها عبارة عن آراء وأفكار كاتبيها مختلطة بما تبقى من الإنجيل الأول. يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]، على ما بينا في مبحث النصرانية من قبل. ويبقى الحكم والتفريق بين مافي الأناجيل من تحريف وتنزيل راجعًا إلى القرآن الكريم المحفوظ إلى يوم القيامة، المنزه عن التحريف والتبديل يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وعلى ذلك فكل ما وافق القرآن الكريم من نصوص الأناجيل والتوراة فذلك حق، وكل ما خالفها فذلك باطل وتحريف وتزييف. ويدلل الكثير من النقاد على أن أقرب هذه الأناجيل إلى إنجيل عيسى، عليه الصلاة والسلام، هو إنجيل برنابا الذي يرفضه النصارى.

أهل السنة والجماعة: أهل السنة والجماعة هم الذين على هدي الرسول، ﷺ، وأصحابه علمًا واعتقادًا وقولاً وعملاً وأدبًا وسلوكًا، وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، وعلى أئمتهم وأئمة الهُدى المتبعين لهم، وكل من سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل والسلوك إلى يوم

الدين، مثل الأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، وابن عيينة، والأوزاعي، وابن المبارك، وابن تيمية، وابن القيم ومن سار على دربهم، وهم الذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع في كل مكان وزمان، فهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة، قال ابن حزم في **الفصل** «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ـ ومن عداهم فأهل البدعة ـ فأهل الحق هم: الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم» ج ٢ ص ١١٣. كما يطلق عليهم السلف الصالح، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الاتباع، وأهل الجماعة، وبهذا المعنى الخاص فإن مصطلح أهل السنة والجماعة يرادف مصطلح السلفية* الذي نشأ عندما تنازعت الفرق الكلامية وأهل الأهواء مصطلح أهل السنة وتسموا بـ «الخلفية» فبرز مصطلح السلفية للتمييز والدلالة على المتمسكين بالأمر الأول ـ انظر السلفية ـ.

وبالمعنى العام يدخل في أهل السنة والجماعة كل من ليس برافضي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ «لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما معناه: لست رافضيًا» **مجموع الفتاوى** ٣/ ٣٥٦ ويزيد ـ يرحمه الله تعالى ـ الأمر تفصيلاً في **منهاج السنة النبوية** فيقول: «فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به: أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة» ٢/ ١٦٣، وبذلك يندرج تحت المعنى العام الأشاعرة والماتريدية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في **نقض التأسيس** عن الأشاعرة: «فإنهم أقرب أهل الكلام إلى السنة والجماعة، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم». فهم أهل السنة فيما وافقوهم فيه، وهو في الأوائل فيهم أكثر من متأخريهم، حيث خرج كثير منهم عن قول الأشعري نفسه إلى قول المعتزلة أو

الجهمية أو الفلاسفة على ما بينا في مبحث الأشاعرة بالموسوعة.

وقد ظهرت في العصر الحديث أقوال تشوش على حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة مثل: أنها فرقة من الفرق، أو مذهب* طارىء محدث نشأ خلال التاريخ الإسلامي كما يزعم الدكتور زكي نجيب محمود، والدكتور مصطفى الشكعة بقوله في إسلام بلا مذاهب «إن تسمية جمهرة المسلمين بأهل السنة متأخرة ترجع إلى القرن السابع الهجري» وقد تابعهم غيرهم في الزعم فقالوا بأن مؤسس مذهب أهل السنة والجماعة هو الإمام أحمد بن حنبل أو الإمام أبو الحسن الأشعري أو شيخ الإسلام ابن تيمية أو الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ يرحمهم الله جميعًا ورضي عنهم. والحق كما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية. أن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، وأنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، وإنما اشتهرت التسمية به عندما ظهر الابتداع، فأطلقت السنة مقابل البدعة، والجماعة مقابل الافتراق، وتكفير* المسلمين بالذنوب والخروج بالسيف على أئمتهم أئمة الحق. وهذه بعض آثار سلفية تدحض مزاعم المشوشين على تاريخ المصطلح. أخرج اللالكائي ت ٤١٨هـ بسنده: عن ابن عباس في **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمرة: ١٠٦] قال ابن عباس: «فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة» ١/ ٧٢ رقم ٧٥، وأورد عن أيوب السختياني ٦٨ـ١٣١هـ قوله: «إني أخبر بموت رجل من أهل السنة كأني أفقد بعض أعضائي» ١/ ٦٠ رقم ٢٩، وكذلك عن سفيان الثوري ت ١٦١هـ قوله: «استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء» ١/ ٦٤ رقم ٤٩ وقوله: «ما أقل أهل السنة والجماعة» ١/ ٦٤ رقم ٥٠ .

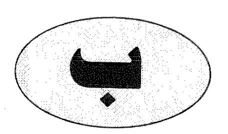
الأوتاد: مرتبة من المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، ويرى بعض أئمة الصوفية كابن عربي أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم، وهم أخص من الأبدال* ، والإمام أخص منهم، والقطب* أخص الجماعة.

ويرى الحكيم الترمذي أن الأوتاد واحد في اليمن، وواحد في الشام، وواحد في المشرق، وواحد في المغرب، والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أرجاء الدنيا، كدوران الفلق في أفق السماء. ويزعم بعضهم أنهم يمثلون عيسى وإدريس وموسى وهارون والخضر، عليهم الصلاة والسلام، على أنهم وزراء الغوث ومساعدوه في أمور الحكومة الباطنية، ويحفظ الله بهم الجهات الأربع: الجنوب والشمال والشرق والغرب.

الأوديسة: إحدى ملحمتي هوميروس (الأخرى الإلياذة*) والتي تحكي عن محاولة تليماخوس البحث عن أبيه أوديسيوس وعثوره عليه، ومحاولتهما الانتقام من الخُطَّاب الذين ضايقوا بيلوبا في غياب زوجها، ثم يسترد الأب حكمه ويعيش آمنًا في وطنه. وقد جاء فيها ذكر لشعب خرافي يسكن شمال أفريقيا، ويعيش على أكل زهور اللوتس التي تسبب النسيان والتراخي، فأكل جنود أوديسيوس هذا الطعام فنسوا أصدقاءهم وبلادهم مما اضطرهم إلى سحبهم إلى السفينة والعودة بهم إلى بلادهم. وعلى الرغم من أن الأوديسة والإلياذة هما عملان أدبيان رائعان إلا أنهما حوتا الكثير من الأساطير والخرافات المبنية على الشرك والوثنية*.

أيديولوجية: مصطلح لاتيني الأصل استخدمه لأول مرة الفيلسوف الفرنسي دي تراسي في مطلع القرن التاسع عشر بمعنى «علم الأفكار» بصفته مقابلاً للمحسوس وربما مناقض له ويراد به، أيضًا، العلم الذي يهتم بدراسة الأفكار والآراء والتصورات من حيث أصولها ونشأتها وخصائصها وأشكالها وقوانينها وعلاقاتها بالعلامات والألفاظ الدالة عليها. وعرفها بعض الباحثين: بأنها ما يذهب إليه الدين* في شؤون الوجود والكون والإنسان والحياة.

واستخدمه ماركس بمعنى مجموعة الأفكار والمعتقدات، دون الواقع الحي، التي تسود مجتمعًا ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القاهرة. وتطور مفهوم المصطلح على أيدي علماء الاجتماع بمفاهيم مختلفة، إلا أنه يمكن تعريف الأيدلوجية على أساس أنها نتاج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة* والمجتمع والفرد، مما يحدد موقفًا فكريًا وعمليًا معينًا لمعتنق هذا النسق الذي يربط ويكامل بين الأفكار في مختلف الميادين السياسية والأخلاقية* والفلسفية.



البابا: كلمة مشتقة من الكلمة القبطية بي أبا أي البابا أو الأب، هو الرئيس الأول في الديانة النصرانية الكاثوليكية، وكان في بادىء الأمر يسمونه البطريرك* ، وأول من تسمى بالبطريرك هو حنانيا تلميذ مرقس الإنجيلي، وكان الأساقفة* يدعون البطريرك* بالأب، تعظيمًا له، فاشتبه الأمر عليهم في العصور المتقدمة، وأرادوا أن يميزوا بين البطريرك والأسقف، فدعوا البطريرك بابا، ومعناه أبو الآباء. أول ظهور لهذا اللقب كان في مصر، ثم نقل إلى صاحب كرسي بطرس الرسول في روما، وفي سنة ١٠٨١م قرر المجتمع اللاتراني بأن مطران روما له السلطة التامة على سائر المطارنة، وهو وحده يحمل لقب البابا الذي معناه المطران العام وفي سنة ١٨٧٠م قرر المجمع الفاتيكاني عصمة البابا من الخطأ. ولا تعترف له طائفتا البروتستانت والأرثوذكس بمنصب البابوية ولا سلطته الروحية على سائر الكنائس.

الباطنية: هي تلك الفرقة المتسترة بالتشيُّع وحب آل البيت للوصول إلى الناس مع إبطان الكفر* المحض، وقد خلطت بين التصوف والفلسفة* ، وسميت بذلك؛ لأنها ترى أن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً. ويقصد بالظاهر ما جاء به محمد، ﷺ، ويسمى بالتنزيل، ويقصد بالباطن علم التأويل* الخاص بعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لب الدعوة عندهم، ولذلك فمن عرف عندهم معنى العبادة سقط عنه فرضها ـ راجع إسقاط التكاليف ـ.

يقول البغدادي في **الفرق بين الفرق** «ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين* الباطنية كانوا من أولاد المجوس* ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم . . . منهم من صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا* آيات القرآن وسنة النبي، * ﷺ، على موافقة أسسهم». ويقول «فقد ذهب أكثر المتكلمين إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس». ـ راجع المجوس ـ.

ويذكر بعض المؤرخين أن أقدم دعاة الباطنية هو ميمون بن ديصان اليهودي الذي أسلم عام ١٧٦هـ رغبة منه في إفساد عقيدة المسلمين، فجعل لكل آية تفسيرًا، ولكل حديث

تأويلاً، بل ذهب إلى أن الفرائض والسنن رموز وإشارات.

يقول الإمام الشاطبي في **الاعتصام**: «إن اعتماد فعل هذه الفرق على التأويل* إنما أرادوا به ضرب شوكة الإسلام في تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم» ج ٢ ص ٦٨. وأورد صاحب كتاب **المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة** ـ يوسف الصديق ـ أن الباطنية «كلمة حديثة من اليونانية eso أي (من الداخل)، وتدل على المذاهب أو المدارس الفكرية التي كانت عند الإغريق تبث المعرفة في حدود قلة من الطلاب وداخل هيئة سرية أو شبه سرية (فيثاغورس، مثلاً)».

البداء: هي إحدى العقائد التي وضعها أئمة الرافضة* لشيعتهم حتى لا يظهر على أئمتهم كذب أبدًا، وتعني تغيير الإرادة، وتبديل العزم تبعًا لتغير العلم. وهي بهذا المعنى إن نسبت إلى الله ـ تعالى ـ تؤدي إلى الكفر*، فهي عقيدة يهودية ضالة وردت في نص التوراة* المحرَّفة، وانتقلت إلى السبئية*، ثم أخذ بها المختار بن أبي عبيدالله الثقفي، ثم انتقلت إلى الشيعة*.

ويعدد الشهرستاني في **الملل والنحل** صور البداء كالآتي:

١ـ **البداء في العلم**، وهو أن يظهر له خلاف ما علم.

٢ـ **البداء في الأمر**، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك، ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة.

٣ـ **البداء في الإرادة**، وهو أن يظهر له الصواب على خلاف ما أراد وحكم.

البدعة: اختلف العلماء في تعريف البدعة اصطلاحًا إلى أقوال عديدة منها ما قاله الإمام الشاطبي ت ٧٩٠هـ في أن البدعة: «هي طريقة في الدين* مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه». وبهذا التعريف يمكن تقسيم البدعة إلى قسمين: قسم في العادات: كابتداع الآلات والمخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة إلا بنص.

وقسم آخر في الدين*: وقسمه العلماء تقسيمات مختلفة، فمنهم من قسمها إلى

واجب ومندوب ومباح ومكروه، ولا شك أن هذا باطل لمخالفته قول النبي،* ﷺ، «كل بدعة ضلالة»[1]، ومنهم من قسمها إلى عملية تتعلق بأعمال الجوارح، واعتقادية تتعلق بأعمال القلوب، وقد قسمها الإمام الشاطبي تقسيمًا يُعد جامعًا إلى:

بدعة حقيقية: وهي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع* ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل، مثل تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، واختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان، سواء بالزيادة أو بالنقص.

بدعة إضافية: وهي ما لها شائبتان إحداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة، والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية فهي سنة من وجه وبدعة من وجه آخر، مثل تخصيص أوقات بعينها لعبادة دون غيرها، مع أن تلك العبادة مندوبة في باقي الأوقات، كتخصيص يوم ما بكذا من الركعات على سبيل العادة.

وكان الجهل بأحكام الدين، واتباع الهوى، والتعصب للآراء والرجال، بالإضافة إلى التشبُّه بالكفار من أكبر أسباب انتشار البدع وظهورها. والبدع في الدين كلها مذمومة، وكلها حرام على القول الراجح لعموم قوله، ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»[2]، ولكنها تتفاوت في التحريم. فمنها ما هو كفر* متفق عليه، كبدع المنافقين وغلاة الجهمية* وبدعة العلمانية والديمقراطية وفصل الدين عن الدولة، ومنها ما هو كفر مختلف فيه، كبدع الخوارج* والقدرية*، ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، ومنها ما هو مكروه، وبالتالي فإن عقوبة البدعة تكون بحسب حكم البدعة.

كما يحسن التفريق هنا بين البدعة الشرعية والسنة الحسنة ـ البدعة اللغوية ـ حيث إن السنة الحسنة عبارة عمن بدأ عمل شيء ورد في الشرع في موقفٍ ما أو بلدٍ ما فتبعه الناس عليه على عكس البدعة التي هي أمر محدث في الدين يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، وأيضاً، بين البدعة والمعصية، فالمعصية أمر ورد في الدين وصفها بالسوء والذم والتحذير منها أما البدعة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٤٤) و أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم عن العرباض بن سارية وصححه الألباني صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٢) انظر المرجع السابق.

من هذا القبيل فلم ترد في النصوص في مقام الذم ولا المدح مع اقترانها بقصد التقرب إلى الله تعالى، مع الأخذ في الاعتبار أن البدعة يأثم صاحبها على حسبها مثل المعصية تمامًا، وكذلك فإن بين البدعة والمصلحة المرسلة* فرقاً، وهو أن البدعة أمر جديد في الدين* والدنيا لم يشرعه الله، عز وجل، ولم يكن المقتضي لها موجودًا في زمن رسول الله، ﷺ ، بينما المصلحة المرسلة هناك ضرورة اقتضتها للحفاظ على الضرورات الخمس (العقل* ، الدين، النفس، المال، العرض) أو إحداها، مثال ذلك جمع القرآن الكريم بعد موت معظم حفظة كتاب الله تعالى. وتختلف عنها البدعة في هذا الجانب في أن المقتضي للبدعة كان موجودًا في زمن النبي، ﷺ ، ومع ذلك لم يفعلها. ـ راجع المصلحة المرسلة ـ.

والمقصود بالبدعة عند النصارى كل ما استحدث من العقائد والأفعال والطقوس المخالفة لما عليه الفرقة ذاتها، ولذلك فإن كل فرقة من فرقهم ترمي غيرها بالابتداع إذا خالفتها في ذلك، وتسميها «هرطقة».

البراء: في المصطلح* الشرعي يعني: البعد عن الكفار، وترك مودتهم، والتخلص من مبادئهم وباطلهم، والإنذار لهم، ومقاطعتهم وبغضهم وبغض ما هم عليه من الكفر* والقبائح.

ويقتضي ذلك أمورًا منها:

ـ ترك اتباع أهوائهم ومتابعتهم في أي أمر من أمورهم.
ـ النهي عن التلقي عن الكفار في الرأي والمشورة، وعدم طاعتهم فيما يشيرون ويأمرون به.
ـ ترك الركون إلى الكفار والظالمين والطواغيت* والاطمئنان إليهم.
ـ ترك مودة أعداء الله ومحبتهم.
ـ ترك التشبه بالكفار في أفعالهم الظاهرة وفيما هو من خصائصهم؛ لأنها تورث نوعًا من المودة والمحبة الباطنة.

والبراء أحد لوازم ومقتضيات التوحيد، يقول ـ تعالى ـ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وهناك براء جزئي يكون للمبتدعة والعصاة كل حسب بدعته ومعصيته.

براهما: براهما اسم الإله* في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته الذي لا تدركه الحواس إنما يدركه العقل*، فهو في اعتقادهم مصدر الكائنات كلهاالذي لا حد له، وهو الأصل الأزلي المستقل، الذي منه يستمد العالم وجوده ومن معاني براهما عندهم رب الصلاة (أي الذي لا توجه الصلاة إلا إليه).

البراهمية: هي الاسم الآخر للهندوكية، وهي نسبة إلى براهما* الذي يمثل عند الهندوك القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرًا من العبادات: كقراءة الأدعية، وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين والبراهمية مشتقة من البراهما لتكون علمًا على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، ولذا لا يجوز ذبح الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم.

البرجوازية: كلمة فرنسية الأصل أطلقت هذه الكلمة أصلاً على سكان بعض المدن الفرنسية، ثم أطلقت بعد ذلك على كل طبقة اجتماعية ارتبطت تاريخيًا من حيث نشأتها بالمدن أو القرى الكبيرة ذات الأسواق التجارية. على أن طبقة البرجوازية متميزة عن طبقتي العمال والنبلاء؛ لأنها ترمز إلى طبقة التجار وأصحاب الأعمال والمحلات العامة، ولقد قاومت البرجوازية الإقطاع وأصحاب «الحق الإلهي» في أوربا، وقامت على أنقاضهما وازدهرت مع ازدياد التجارة الدولية بين الشرق والغرب، على إثر الحروب الصليبية، وأفادت من الثورة الصناعية في تسلم زمام القيادة السياسية والاقتصادية في فرنسا، ومنها انتقلت إلى أوربا وازدهرت في القرن التاسع عشر، وأسهمت في إفراز الدولة القومية الحديثة، والديمقراطية الليبرالية* والبرلمانية*، إلى حانب الفاشية والنازية والإمبريالية الحديثة، وتطلق في الاشتراكية على أصحاب الطبقة الرأسمالية التي تملك وسائل الإنتاج، التي هي عندهم في صراع دائم مع طبقة العمال ـ البروليتاريا*، وفي القرن العشرين أصبحت طرق الحياة البرجوازية المثل الأعلى لجميع الطبقات في كل أنحاء العالم. وتطلق البرجوازية أحيانًا على كل روح خالية من صفات الإقدام، وحب المخاطرة والعزة والأنفة. ولا مكان

للصراع في الإسلام بين الطبقات، ولا وجود فيه لصراع العنصريات والقوميات، إذ الصراع فيه منحصر بين الحق والباطل والإيمان والكفر، هذا في الوقت الذي لا ينكر فيه الإسلام وجود الطبقات والفوارق الاجتماعية التي تعيش في ظل منهج* سماوي ونظام متكامل من لدن حكيم عليم، متميز بربانية المصدر والوجهة والغاية، وإنسانية الشريعة*، إذ تخاطب الإنسان وتكرمه وتوائم وتلائم بين الجانب الروحي والمادي فيه، وتوازن بين الحقوق والواجبات، فهو منهج* ونظام وسطي يتميز بالوضوح التام في الأصول والمعتقدات، والشرائع والغايات والأهداف، وأيضًا، في المناهج والطرق، ذلك كله مع الثبات على الأصول والكليات، والأهداف والغايات والمرونة في الفروع والجزئيات والأساليب والوسائل، ولذلك فهو منهج ونظام شامل يحقق الإخاء والعدل والمساواة بين الملتزمين به في كل زمان ومكان.

برلمان: اصطلاح استعمل في اللغتين الفرنسية والإنجليزية في القرن الثالث عشر، للإشارة إلى أي اجتماع للمناقشة. والكلمة مشتقة من الفعل الفرنسي "Parler" بمعنى يتكلم، كما أطلق الاصطلاح على المكان الذي كان ينعقد فيه الاجتماع، وأطلقت كلمة «برلمان» في اللغة الإنجليزية على الهيئة التشريعية العليا التي تتكون من مجلس العموم ومجلس اللوردات، وبحكم نفوذ الإنجليز في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، انتقلت التسمية والنظام إلى مناطق كثيرة أخرى من العالم. ووظيفة البرلمان في النظم السياسية البرلمانية هي تشريع وإقرار القوانين والميزانية، ومراقبة نشاط السلطة التنفيذية ومنحها الثقة أو حجبها عنها، والبرلمان هيئة ينتخبها الشعب لتمارس الوظيفة التشريعية نيابة عنه، ويتكون من مجلس واحد أو مجلسين، بينما نجد في الإسلام أن السلطة التشريعية حق خالص لله جلا وعلا بما شرع في كتابه أو على لسان رسول الله، ﷺ، وفيما عدا ذلك فهو عفو منه سبحانه وتعالى غير نسيان. وبالتالي فإنه يجوز الاجتهاد فيه على ضوء ضوابطه المعروفة ـ راجع الاجتهاد ـ.

وعلى ذلك فالتشريع في الإسلام له صورتان وهما:

١ـ إيجاد شرع جديد ولا يكون إلا لله تعالى بما شرع في كتابه أو على لسان رسوله محمد، ﷺ.

٢ـ بيان حكم تقتضيه شريعة قائمة، وهذا ما يسمى بالتشريع ابتناء لا استقلالاً.

ومن صور هذا النوع الثاني ـ التشريع ابتناء ـ:

(أ) التشريعات واللوائح التنظيمية، وذلك لتنظيم أمور الجماعة وحمايتها وسد حاجتها، وذلك فيما ليس فيه نص شرعي، وبما لا يخالف نصوص الشرع.

(ب) التشريعات واللوائح التنفيذية، بهدف تنفيذ النصوص الشرعية على أكمل وجه، وهناك يكون الالتزام بنصوص الشرع ومقاصده.

(جـ) التشريعات واللوائح المستقلة، فيما لا نص فيه، وهو ما يطلق عليه حق أولي الأمر في تقييد المباح. على أنه ينبغي التفريق بين ما ورد إباحته بنص شرعي، وبين ما هو خاضع للإباحة الأصلية باعتبار أن الأصل في الأشياء الإباحة، فيجري التقييد فيما لم يرد بإباحته نص شرعي.

وعلى ذلك نعلم أن السيادة في الإسلام للقرآن لا للبرلمان، وأن الشريعة هي التي تصنع الأمة، وأن الأمة هي التي تقيم الشريعة بعكس النظم البرلمانية. وأول ظهور للبرلمان كان في القرن الثالث عشر الميلادي فيما عرف بالمجلس الإقطاعي المسمى بالمجلس الكبير، الذي مر بتطورات متتابعة حتى تحول إلى أحد مجالس البرلمان الإنجليزي (مجلس اللوردات) ثم انقسم بعد ذلك إلى مجلسين: مجلس اللوردات ومجلس العموم الذي يضم ممثلي الشعب ـ انظر الديمقراطية النيابية ـ.

بروتوكولات حكماء صهيون: جمع بروتوكول، وهي كلمة مستعملة في المصطلح الدبلوماسي للوثائق الرسمية أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة، ولكنها ليست معاهدة أو اتفاقًا رسميًّا، وإنما تعني أن هناك أمورًا قد تم عليها الاتفاق. **وبروتوكولات حكماء صهيون** اسم كتاب كثر حوله اللغط بين مشكك في صدق نسبته إلى اليهود، وبين مثبت لذلك. ويرى بعض المترجمين له ـ الدكتور إحسان حقي ـ أنها من صنع جماعة من اليهود، أو أنها من صنع وتأليف أحد اليهود الذي كتبها في صورة محاضرات أو بحوث، ثم تلقفها اليهود وتبنوها وصنعوا حولها الدعاية لترويجها، ولبثّ الرعب في قلوب مخالفيهم، إلا أنهم أحيانًا يتبرؤون منها. كما يعترض كذلك على صحة تسميتها بـ«بروتوكولات» لعدم مطابقتها للمعنى الدقيق للبروتوكولات، إذ وردت في الترجمة الفرنسية بعنوان «جلسات أو

اجتماعات»، بينما يرى الدكتور حسن ظاظا أنه لا يمكن تبرئة اليهود من البروتوكولات إلا من ناحية التبويب والصياغة فقط، حيث إنها أفكار يهودية مائة في المائة، وضعها وجهاء اليهود بلغات مختلفة خلال اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الصهيوني عام ١٨٩٥م، واستطاعت مخابرات قيصر روسيا الحصول عليها ثم تسلمها أحد مطارنة* الكنيسة* الروسية الأرثوذكسية، وترجمها إلى اللغة الروسية، ومن ثم بوبها ورتبها ووضع لها عنوانًا **حقيراً يريد أن يكون عظيمًا**. وظهرت الطبعات الأولية من هذا الكتاب في روسيا باللغة الروسية سنتي ١٩٠١، ١٩٠٥م بعد سرقته من أحد المحافل الماسونية في فرنسا، ثم اختفت بعد ذلك عن الأنظار. ويوجد منها نسخة في المتحف البريطاني في لندن تحت رقم ١٧/٣٩٣٦ منذ عام ١٩٠٦م، ثم عادت للظهور في طبعات كثيرة بعد انهيار القيصرية الروسية على أيدي البلاشفة الروس، الذين كان بينهم عدد كبير من اليهود ممن كانوا وراء هذا الانهيار الذي بات يهدد المدنية النصرانية*، وطبع الكتاب في لندن بعد ذلك بعنوان **الخطر اليهودي**.

وتحتوي هذه البروتوكولات على أربعة وعشرين بروتوكولاً، تتلخص في كيفية تدمير غير اليهود «الجويم» بنشر الرذائل والمنكرات بينهم، وإفساد الرأي العام من خلال افتعال الأزمات الاقتصادية والحروب الكونية، وإقامة المذاهب* والأفكار التي تمهد لإلغاء الديانات* غير اليهودية لإقامة مملكة اليهود العالمية، وتنصيب ملك اليهود المنتخب من الله في زعمهم.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية تحت عنوان **بروتوكولات حكماء صهيون** أكثر من مرة، ومن أشهرها ترجمة الأستاذ خليفة التونسي، والأستاذ عجاج نويهض والدكتور إحسان حقي.

البروليتارية: تعبير قانوني روماني يطلق على المواطن الذي ليست له صفة سوى إنجاب الذرية، وأطلقه المفكر الاشتراكي الخيالي سان سيمون على من لا يملكون نصيبًا من الثروة، ولا يتمتعون بأي ضمانات في الحياة. وقامت التنظيمات والنقابات البروليتارية رد فعل على ازدهار الطبقة البرجوازية* وبدعم من أصحاب النظريات الاشتراكية ـ راجع البرجوازية ـ وقد استخدمت النظرية الاشتراكية العلمية* «الماركسية» مفهوم البروليتاريا في إنشاء مجتمع الملكية

العامة اللاطبقي الذي ادعت إمكانية إنشائه، وكذبها الواقع والتاريخ في ذلك.

البطالة: مصطلح اقتصادي يعني تعطل الشخص عن العمل، وهناك أربعة أنواع من البطالة: موسمية وخصوصًا في الزراعة ـ وبطالة فنية تنشأ من إحلال الآلات محل الأيدي العاملة ـ وبطالة دورية ترجع إلى هبوط مستوى الطلب العام على السلع ـ وبطالة مقنعة، وفيها لا يكون الشخص عادة متعطلاً ولكن عمله لا يكون منتجًا إنتاجًا كافيًا، أو بحيث يقوم عدد من الأفراد بعمل يمكن أن يقوم به شخص واحد.

البطريرك: كلمة معرَّبة عن اليونانية معناها الأب الرئيس، ويطلقه النصارى على بعض الرؤساء الدينيين من القساوسة* والكهان* ويذكر عوض سمعان في كتابه **الكهنوت** ص ٣٣١، ٣٣٢ نقلاً عن **اللآلىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة** أن لفظ البطريك لم يعرف قبل القرن الثالث الميلادي، إذ انتخب أساقفة كل قطر رئيسًا لهم دعي «رئيس الأساقفة» وبعضهم سمى نفسه بطريركًا أي رئيس العشيرة، وهو نفس اللقب الذي كان يطلق على نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب قبل اليهودية، هذا في الوقت الذي دعا آخر نفسه بابا بدلاً من بطريركًا أي بمعنى أب الآباء مستعيرًا لها من اليهودية إذ كان داود النبي،* عليه الصلاة والسلام، يدعى رئيس الآباء ـ أعمال ٢ : ٩ ، وقد استحسن بعضهم لقب حبر أي عالم وهو ما كان يطلق من قبل على كبار العلماء الوثنيين* . والبطريركيات في الأصل ثلاث: الغربية وعلى رأسها أسقف* روما، وأنطاكية والإسكندرية، ويطلق اسم بطريرك في الكنيسة* الكاثوليكية تشريفًا على أربعة أساقفة: في الهند ولشبونة والبندقية والهند الغربية، وفي سنة ١٥٨٩م أنشئت بطريركية موسكو للكنيسة الأرثوذكسية الرومية، بينما أنشئت بطريركية الأقباط الأرثوذكس في العهود الأولى للنصرانية عام ٦٣م بمصر لتشمل مصر والسودان وأثيوبيا وجنوب أفريقيا. ويلقب البطريرك في مصر بصاحب الغبطة، والقداسة بابا* وبطريرك الإسكندرية.. وسائر أقاليم الكرازة المرقسية، وبينما يتصدر بابا روما المجمع المسكوني فإن بابا الإسكندرية ـ البطريرك ـ يحمل لقب قاضي المسكونة، في الوقت الذي كان يحمل فيه لقب القاضي بين البطاركة، وتعترف الكنيسة القبطية بثلاثة بطاركة فخريين بالإضافة إلى ما سبق وهم: بطاركة أورشليم وبغداد وأثيوبيا. ويشترط في البطريرك أن يكون حر المولد وابنا

لأم متوجة ـ أي لم تتزوج إلا مرة واحدة ـ صحيح البدن غير متزوج، وألا يقل عمره عن خمسين عامًا، وأضافوا أنه يجب أن يكون عالمًا وحياته بلا لوم، مستقيم الرأي، وأن يكون من ساكني الصحراء، وألا يكون أسقفًا، وهو الشرط الذي تشددت فيه الكنيسة القبطية منذ عهودها الأولى، بينما لم تتشدد في شرط الرهبانية* . ولذلك فقد انتخب أكثر من شماس* وقس* بطريركًا للكنيسة، وإذا المرشح لم يجز أية رتبة كنسية خلاف رتبة الرهبنة، فإنه يجب أن يمر ببقية الرتب الضرورية من شماس وقس وقمص ورئيس كهنة* قبل يوم رسامته، ولا يمر برتبة مساعد الشماس، ولا تجري رسامته أسقفًا*' وإن كان قبل أن يرسم قد حصل على رتبة الشماس أو القس فينبغي أن يرسم راهبًا وذلك بطقوس معينة على حسب قوانينهم الكنسية.

البلشفية: كانت البلشفية تعني في أول أمرها الأغلبية التي تقابل كلمة المنشفيك التي تعني الأقلية ـ بعد انقسام الحزب الاشتراكي الديمقراطي للعمال الروسي على نفسه سنة ١٩٠٣م ـ ولكنها تطورت وأصبحت بعد ذلك تعني الكراهية الموجهة ضد المجتمع البُرجوازي* ، وبصفة خاصة ضد الغرب الرأسمالي، وقد أصبحت أخيرًا مرادفة للشيوعية في استعمالها العام.

بوذا «غوتاما بوذا»: تعني عند البوذية العارف المستيقظ، والعالم المتنور أي بتكونات العالم وتقلباته ومباديه ومناحيه، والعارف بمنابع الآلام، والمستوعب منابت البؤس، والمكتشف مقاليد السرور، والذي استيقظ شعوره وتنورت بصيرته، وذلك بعد أن استمر سبع سنوات يجاهد نفسه بألوان من الرياضات النفسية القاسية، مما أهله للزعامة على أقرانه، وذلك بغية اكتشاف سر الكون ـ في زعمه ـ.

البيعة: عقد من العقود الشرعية، تعقد بين طرفين، كأن كل واحدٍ منهما قد باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، وطاعته، ودخيلة أمره.

ويراد بالبيعة أحد أمرين: أولهما: البيعة الكبرى الكلية العامة والتي لا تكون إلا لإمام المسلمين الأكبر الذي اجتمع عليه الناس كلهم، لاستيفاء شروط الإمامة أو لكفاءته أكثر من غيره أو لتغلبه. قال الإمام الشاطبي في **الاعتصام** «قيل ليحيى بن يحيى: البيعة مكروهة، قال: لا ، قيل له: فإن كانوا أئمة جور. فقال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان،

وبالسيف أخذ الملك، أخبرني بذلك مالك عنه أنه كتب إليه أمر له بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه» ج ٢ ص ١٢٨ ولا تكون إلا بمبايعة أهل الحل والعقد للمرشح للإمامة، وعليه فإن أداءها واجب على الأمة كافة، ويعد من نقضها باغيًا، والتارك لها من غير تأول يموت ميتة جاهلية*، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية[١].

وهذه البيعة لا تقبل التعدد بحال من الأحوال لقوله، ﷺ، «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[٢]، كما أن هذا النوع هو المقصود عند إطلاق لفظ «البيعة»، وعليه إجماع علماء المسلمين. وتنخرم هذه البيعة ويسقط واجب الطاعة إذا ما طرأ على الإمام الكفر* البواح الذي عندنا فيه من الله تعالى البرهان، أو طرأ عليه أمر يعجز معه عن القيام بأعبائها كالجنون ونحوه.

أما عند الشيعة* الإمامية فإنه لا بيعة إلا للقائم المنتظر ـ الغائب المنتظر ـ الذي يجددون له البيعة كل يوم بأدعية أصبحت كالورد لديهم منها «دعاء العهد» وفيه «اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهدًا أو عقدًا أو بيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبدًا». ودعاء آخر يردد بشكل يومي «اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة».

ثانيهما: والمقصود به مطلق العهد على الطاعة، ويطلق عليها بعض العلماء البيعة الصغرى الجزئية الخاصة، بينما يتحرز فريق آخر من هذا الإطلاق؛ لئلا يلتبس مع أمر البيعة الكبرى، ويضيع ما بين البيعتين من فوارق لا سيما مع ندرة العلماء المحققين، وغلبة الجهل وسيطرة الأهواء والتحزب والتعصب للأسماء والرايات، ولذلك يطلقون عليها: التعاقد أو التعاهد.

وللعلماء في هذا النوع من التحالف والعهد على طاعته تفصيل على النحو التالي:

١ ـ إذا كان موضوع التحالف مخالفًا للشرع كالتعاون، مثلاً، على غير ما أمر الله به أو التبديل لدين الله بما لُبِّس من الحق والباطل، وتكفير من عداهم من المسلمين والبراءة منهم وما يستتبع ذلك من لوازم، أو ظلمهم وأكل أموالهم بالباطل فإن هذا التعاهد «البيعة» باطل؛ لأن الوسائل لها حكم المقاصد يقول تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾

---

(١) لحديث النبي، ﷺ، «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم (١٨٥١).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٥٣).

[المائدة: ٢] ويقول، ﷺ: «من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرطه أوثق»(١).

قال ابن تيمية «ليس لأحد منهم أن يأخذ عهدًا بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله. . .» **مجموع الفتاوى** ج ٢٨ ص ١٦ وبطلان هذا النوع محل اتفاق بين العلماء.

٢ـ أن يكون العقد على أمر شرعي كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون العهد على طاعة من يرتضونه لعلمه أو كفايته، وهذه الحالة محل اجتهاد بين العلماء حيث إنها متفرعة أصلاً عن اجتهادهم حول مسألة مشروعية التحالف ـ انظر التنظيم ـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وإنما وقع النزاع في مؤاخاة يكون مقصودهما بها التعاون على البر والتقوى، بحيث تجمعهما طاعة الله، وتفرق بينهما معصية الله، كما يقولون: تجمعنا السنة وتفرقنا البدعة، فهذه التي وقع فيها النزاع:

ـ فأكثر العلماء لا يرونها استغناء بالمؤاخاة الإيمانية التي عقدها الله ورسوله، فإن تلك كافية محصلة لكل خير، فينبغي أن يجتهد في تحقيق أداء واجباتها. ومنهم من سوغها على الوجه المشروع إذا لم تشتمل على شيء من مخالفة الشريعة». **مجموع الفتاوى** ج ٣٠ ص ٩٦، وعليه فإن من العلماء من أنكرها: استغناءً بالمؤاخاة الإيمانية، ومنهم من رأى أن مشروعية الأحلاف منسوخة في الإسلام، وبالتالي قالوا بعدم جواز قيام الأحلاف وقد ردّ عليهم الإمام النووي ـ يرحمه الله تعالى ـ بقوله: «قال القاضي: قال الطبري: لا يجوز الحلف اليوم، فإن المذكور في الحديث، والموارثة به وبالمؤاخاة، كله منسوخ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]: وقال الحسن: كان التوارث بالحلف فنسخ بآية المواريث. قلت: أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء. وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم ينسخ، وهذا معنى قوله، ﷺ، «لا حلف في الإسلام»(٢)

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٤).

فالمراد به حلف التوارث. والحلف على ما منع الشرع منه. والله أعلم». شرح صحيح مسلم ج ١٦ ص ٨٢ .

ومن المعاصرين يرى الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد: أن البيعة في الإسلام واحدة من ذوي الشوكة (أهل الحل والعقد) لولي أمر المسلمين وسلطانهم، وأما ما دون ذلك من البيعات الطرقية والحزبية في بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة فكلها بيعات لا أصل لها في الشرع، لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله، ﷺ، ولا عمل صحابي ولا تابعي فهي بيعات مبتدعة* وكل بدعة ضلالة، وكل بيعة لا أصل لها في الشرع، فهي غير لازمة العهد فلا حرج ولا إثم في تركها ونكثها، بل الإثم في عقدها». **حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الإسلامية** ص ١٦٣ .

ـ وهناك من سوغها على غير أمر الإمامة العظمى سواءً كانت من الإمام لبعض الرعية أو بين الرعية بعضهم مع بعض، يورد على ذلك الدكتور/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق في كتابه **الغلو في الدين** عددًا من الأدلة منها:

(ا) ما ورد من أمر مبايعة النبي، ﷺ، لبعض أصحابه على أمر خاص. ومثال ذلك: يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه «بايعنا النبي، ﷺ، ألا ننتهب».

(ب) ومنها ما ورد من أمر مبايعة النبي، ﷺ، للنساء على ألا يشركن بالله شيئًا، ولا يسرقن ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، وألا يعصينه في معروف، قال ولي الله الدهلوي في شرح هذا الحديث فيه دليل على أن البيعة غير مقصورة على قبول الخلافة.

(جـ) ومنها ما وقع من المبايعة على أمر خاص من بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول الإمام مسلم باب استحباب مبايعة الجيش للإمام عند إرادة القتال:

عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال كما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت. فقال: لا أبايع على هذا أحدًا بعد رسول الله ﷺ.

٣ ـ ما وقع من أمر هذه المبايعة الخاصة من بعض السلف كأمر أبي حنيفة رضي الله عنه

مع فقيه مرو إبراهيم الصائغ الذي سأله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد أن اتفقا على فرضيته، قال له: مد إلي يدك أبايعك، قال الإمام أبو حنيفة: فأظلمت الدنيا بيني وبينه، ثم قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه. قال له ابن المبارك: إن قام به رجل وحده قتل، ولم يصلح للناس أمر، ولكن إن وجدنا عليه أعوانًا صالحين، ورجلاً يرأس عليهم، مأمونًا على دين الله لا يحول. «انظر الجصاص في **أحكام القرآن** ٢/ ٣٣ **الطبقات السنية في تراجم الحنفية** ١/ ٢٤٦». انظر كتاب **الغلو في الدين** فإنه مهم.

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية مشروعية هذا التعاهد بعد بيان حرمة التعاهد على الموالاة المطلقة بقوله «ولكن يحسن أن يقول لتلميذه عليك عهد الله وميثاقه، أن توالي من والى الله ورسوله، وتعادي من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإن كان الحق معي نصرت الحق، وإن كنت على الباطل لم تنصر الباطل، فمن التزم هذا كان من المجاهدين في سبيل الله تعالى» **مجموع الفتاوى**. ج ٢٨/ ٢٠-٢١.

وقد اشترط هذا الفريق الذي يرى مشروعية التعاهد على الطاعة الخاصة عدة شروط لوقوعها وهي:

١- أن يكون أصل التحالف على أمر شرعي.
٢- أن تكون الحاجة إلى التحالف قائمة.
٣- أن تكون غير ناقضة لبيعة الإمام الأعظم للمسلمين ولا يقصد منها منازعته.
٤- ألا ينتسب لغير شعار السنة والجماعة، ولا يتحزب على أصل بدعي يخالف منهجهم وألا يعقد الولاء والبراء على أساس هذا الانتساب.

كما فرقوا بين النوع الأول والثاني من أمر البيعة بفروق نجملها في الآتي:

١- أن البيعة الكبرى قد ورد الأمر بها والتحذير من نقضها أحاديث خاصة بها. أما البيعة الصغرى فالوفاء بها داخل تحت النصوص العامة التي تحض على مطلق الوفاء بالعهود.

٢- الطاعة في الأولى مطلقة ما أقام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. أما الثانية فإنها مقيدة فيما صفقت عليه اليد وتم عليه العقد.

٣ـ أداء البيعة الكبرى واجب، والتارك لها غيرَ متأول يموت ميتة جاهلية، أما الأخرى فأداؤها اجتهادي.

٤ـ يعقد البيعة الأولى أهل الحل والعقد في الأمة لمن استوفى شروطها، أما الأخرى فيعقدها فريق من المسلمين لمن يرتضونه لعلمه أو كفايته على عمل أو أكثر من أعمال الخير.

٥ـ تجب البيعة الكبرى ابتداءً بالشرع وتلزم المسلمين كافة، أما في الصغرى فإنه لا يلتزم بها إلا من دخل فيها، والتزم الطاعة في الحدود التي تم الاتفاق عليها.

ويرى الدكتور صلاح الصاوي في كتابه **الثوابت والمتغيرات** انطلاقًا من نظرته إلى أمر البيعة الصغرى بأنها من مظان الاجتهاد بين العلماء سواءً سميت بأمر البيعة الصغرى أو بالتعاقد على الخير والتزام الطاعة للقائم عليها، ويرى أنه يمكن تقييد هذا الفعل بزمن أو بلدٍ ما، وكذلك إمكانية التقايل منها عند الاقتضاء، كما يمكن الجمع بين أكثر من بيعتين لجماعتين إن لم يكن بينهما تعارض، ولم يؤد الجمع بينهما إلى الإضرار بإحداهما.

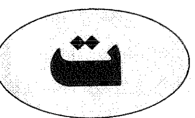
وقد غالت بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة في أمر هذا النوع من البيعة «الصغرى الجزئية» إذ أطلقت البيعة الصغرى على البيعة الكبرى، بزعم أنها جماعة المسلمين، وأميرها هو إمام المسلمين، ومنهم من أعطاها لمجهول العين والحال عن طريق وسائط، كما غالت فيها الطرق الصوفية من جعل المبايع تابعًا لشيخه في الحق والباطل، وفي نشر مذهبه وطريقته، والموالاة المطلقة له على ذلك.

يقول ابن تيمية في **جامع الرسائل** «وهذا الموضع غلط فيه كثير من الفقهاء بتحريم عقود وشروط لم يحرمها الله، كما كثر في الأول غلط كثير من العباد والعلماء بابتداع دين لم يشرعه الله، وإيجابه بالتعاقد عليه، حتى يوجبون طاعة شخص معين ميت أو حي من العلماء في كل شيء، ويحرمون طاعة غيره في كل شيء نازعه فيه، لمجرد عقد العامي الذي انتسب إلى هذا دون هذا» ج ٢ ص ٣١٧.

وأخيرًا يلفت إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ـ يرحمه الله ـ النظر في كتابه **غياث الأمم في التياث الظلم** إلى ما ابتليت به معظم ديار المسلمين في زماننا هذا، فيقول: «وقد قال

بعض العلماء: لو خلا الزمان عن السلطان فحق على قطان كل بلدة وسكان كل قرية أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجا ممن يلتزمون امتثال إشارته وأوامره، وينتهون عن مناهيه ومزاجره» ص ٣٨٨، ويقصد بذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجا العلماء.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلابد من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم به المطاع... وإذا لم يكونوا على شريعة منزلة من عند الله، فإما أن يكونوا على شريعة غير منزلة أو سياسة وضعها بعض المعظمين فيهم بنوع قدرة وعلم ونحو ذلك، وما بقدرة من هذه الأمور الجامعة أوجب التحالف بينهم فإنه لا ينتظم لهم أمر إلا بطاعة آمر متحالفين عليه، أو يأمرهم به من يطيعونه...» جامع الرسائل ج ٢ ص ٣٠٩.



التأويل: يأتي التأويل في كلام العرب بمعنى التفسير والمرجع والمصير، كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره، بينما يأتي في الاصطلاح* عند السلف حسبما ورد في القرآن الكريم على معنيين:

١ـ تفسير اللفظ وبيان معناه وشرحه، وهو معنى قول النبي*، ﷺ، لابن عباس رضي الله عنهما، : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»(١) وفي رواية «اللهم علمه الكتاب»(٢).

٢ـ بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أو الشيء، ووقوعه على ما هو عليه، ووجوده في الأمر نفسه، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

يقول الدكتور محمد السيد الجليند في **الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل** «إن كلمة التأويل كانت تستعمل على ألسنة اللغويين من رواة المحدثين حتى بداية القرن الخامس الهجري في معنى المرجع والمصير والعود، حيث لم يرد إلينا في المعاجم التي وضعت في هذه الفترة ما يخالف ذلك» ص ٣٠ .

وعلى هذا المعنى فإن تأويل الأمر يكون بعمل المأمور به، وتأويل النهي بترك المنهي عنه، وتأويل الخبر يفيد وجود حقيقة المخبر به فإن كان وعدًا فوقوع نفس الموعود به وإن كان وعيدًا فوقوع نفس المتوعد به، وعليه فإن ما أخبر به تعالى عن اليوم الآخر هو ما سيكون في اليوم الآخر نفسه، وكذلك تأويل ما أخبر به عن نفسه هو نفسه المقدسة تبارك وتعالى والموصوفة بصفاته العليا، وهذا النوع من التأويل ممدوح وغير مذموم، ولذلك يعرف بالتأويل الصحيح. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنا لا نذم كل ما يسمى تأويلاً مما فيه كفاية، وإنما نذم تحريف الكلم عن مواضعه، ومخالفة الكتاب والسنة، والقول في القرآن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٣٥) بسند صحيح. وفي رواية «اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥، ٢٧٥٦، ٧٢٧٠).

بالرأي». وقد وضع العلماء لهذا النوع شروطًا وضوابط يمكن إجمالها في الآتي:

ـ أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلاً للتأويل، ومحتملاً للمعنى الذي صرف إليه، لغة أو عرفًا أو شرعًا.

ـ أن تدل دلالة تركيب الكلام والسياق على ذلك التأويل واحتماله له.

ـ أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيرًا فيه.

وبناء عليه فإن قاعدة أهل السنة في الأسماء والصفات أنه يؤمن بها «من غير تحريف...» ولا يقال «من غير تأويل...» لأن المنفي والمذموم في القرآن الكريم على كل حال هو التحريف، يقول تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] ولم يقل يؤولون، وأصلهم في ذلك أن الألفاظ الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة أولى من إحداث ألفاظ أخرى؛ ولأن ما جاء به الشرع أشد وأقوى، كما يقول الشيخ محمد الصالح بن عثيمين ـ راجع الاصطلاح ـ.

ويعرّف التأويل عند المتأخرين من أهل الكلام والفلاسفة* بتعريفات شتى من أشملها وأدقها تعريف الآمدي، إذ يقول: «أما التأويل فهو: حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له» بمعنى أنه صرف للفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به أو متأخر عنه أو مطلق دليل. والتأويل بهذا المعنى لم يعرفه السلف الصالح ولا أهل اللغة الأوائل، بل لقد أطلق عليه العلماء اسم التأويل الفاسد أو المجازي أو تأويل التحريف* وأحيانًا يطلقون عليه الإلحاد*، وذلك في مقابل النوع الأول، ويرجح بعض الباحثين أن أسباب هذا النوع من التأويل في زعم المتكلمين والفلاسفة يرجع إلى توهمهم أن نصوص الصفات قد توهم ما لا يليق بالله تعالى من التجسيم والتشبيه*، وما هو من صفات المخلوقين بما يوجب الكفر* والضلال، أو لما ظنوه من مخالفتها للعقل*، أو أن هذه النصوص نفسها متعارضة ـ تعالى الله وتقدس أن يكون في كلامه تناقض أو تعارض ـ إنما التعارض والتناقض في عقولهم القاصرة وأصولهم الفاسدة التي دفعتهم إلى هذه التوهمات التي لم تطرأ على ذهن

الرسول* ، ﷺ ، وصحابته الكرام ، وفيهم من فيهم من النساء والعامة ، ممن قد يلتبس عليه الأمر ، ومع ذلك لم يؤولوها بل علموا معانيها وآمنوا بها وفوضوا أمر كيفيتها إلى الله تعالى ، وإن من لوازم هذا الاعتقاد الفاسد اتهام الله ورسوله بعدم البيان أو لرسوله والسلف الصالح بالجهل ـ والعياذ بالله تعالى ـ أو أنهم فهموا ولم يقوموا بواجب البيان والبلاغ ، وكل هذا من سبل الضلال والغواية .

والحقيقة كما يقول ابن القيم في **الصواعق المرسلة** أن كل طائفة ـ أي من أهل الأهواء ـ أصّلت أصولاً جعلتها نحلتها ومذهبها* ، وردت أو أولت كل ما خالفها من نصوص فيقول «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها ، فالمعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه ، والقواعد التي أصلتها ، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه وما خالفها فإن أمكنهم دفعه ، وإلا تأولوه» .

وتعد المعتزلة أول فرقة استخدمت التأويل في الأمة الإسلامية منهجاً عامًّا لتقرير أصولهم الفاسدة ولمواجهة خصومهم ، وفتحت بذلك باب شر فرّق شمل الأمة ، وذاعت وانتشرت بسببه التأويلات المتعسفة والممقوتة ، وكان وسيلة لأن يدخل من يشاء ما يشاء في دين الله تعالى .

وهناك نوع آخر من التأويل الفاسد يعرف بالتأويل الرمزي ، الذي يتأول أصحابه النصوص فيجعلونها رموزًا لحقائق باطنة ، وأصحاب هذا الاتجاه هم الفلاسفة والباطنية* وغلاة الشيعة* ، وعن طريق ابن سبأ ويهود حران وأنطاكية دخل هذا النوع من التأويل ، إذ عمد اليهود وبخاصة يهود الإسكندرية إلى تأويل نصوص التوراة* ، لجعلها مقبولة عند اليونانيين ، متأثرين في ذلك بشرح الفيثاغورسيين والأفلاطونيين والرواقيين* لقصص الميثالوجيا وعبادات الأسرار ، وعلى يد الفيلسوف اليهودي السكندري فيلون ٢٠ أو ١٠ ق . م . ـ ٤٥م أصبح التأويل عندهم مذهبًا* ومنهجًا* .

وفي النصرانية استخدم عدد كبير من آباء الكنيسة* منهج التأويل في تأويل النصوص ، ومن هؤلاء كليمنت الإسكندري ١٥٠ـ٢١٥م وأوريجون ١٨٥ـ٢٥٤م وأغسطين ٣٥٤ـ٤٣٠م ، ويوحنا الدمشقي ٧٠٠ـ٧٥٤م .

التثليث: أحد المعتقدات الدينية المعروفة عند قدماء المصريين وعند الهنود والصينيين والآشوريين والبابليين والفرس. وقد أقام بطليموس الأول - اليوناني - معبد السرابيوم ليعبد فيه ثالوث الأرباب المكون من أوزوريس وإيزيس وحورس على أنهم هيئات لإله* واحد.

ويرجح الدكتور محمد البهي في كتابه **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي** أن التثليث نشأ في النصرانية على يد بولس المتأثر بالفلسفة* الإغريقية، متأثرًا بفلسفة أفلاطون، إذ جعل المثل أصل الوجود، وهذا الوجود ما هو إلا ظلالها وشبيهًا بها، وهو ما قال به أفلوطين المصري فيما بعد.

ويعتقد البوذيون بأن الإله* فشنو* تجسد في صور متعاقبة، وأن بوذا* هو الصورة الثالثة له. يعتقد النصارى بأن الله - تعالى - ثلاثة أقانيم* وهي: الله الآب*، والله الابن* [الذي هو عيسى ابن مريم في زعمهم] والله الروح القدس*، وأنهم متساوون من حيث الأزلية، وجوهر الإلهية والقدرة. وعلى ذلك فإن التثليث موضع اتفاق بين الكنائس* كلها، ولكن موضع الخلاف هو العنصر الإلهي في المسيح*: أهو الجسد الذي تكوَّنَ من الروح القدس* ومن مريم والذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان ومشيئتان وقد أشار القرآن الكريم إلى كلا المذهبين بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وأشار إلى مذهب* الأرثوذكس بقوله - تعالى - ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأشار إلى مذهب الكاثوليك بقوله - تعالى - ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] ولم ترد كلمة التثليث في الكتاب المقدس. ويظن أن أول من استعملها ترتلبان في القرن الثاني الميلادي بعد أن بذر بولس بذورها الأولى بادعائه بنوة عيسى، عليه الصلاة والسلام، لله تعالى مما ترتب عليه القول بالطبيعة الثنائية لعيسى - اللاهوتية* والناسوتية* -، ثم أصَّلها أثناسيوس، واعتمدت في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وقد اكتملت أركان التثليث في مجمع القسطنطنية (٣٨١م) بادعاء ألوهية الروح القدس* ردًا على مقالة مكدنيوس. وبذلك صار التثليث قانونًا للإيمان عند النصارى.

قال ابن البطريق: «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين اجتمعوا في نيقية: الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب* الذي هو من الآب والابن* مسجود له وممجد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة وجوه وثلاثة خواص، وحْديةٌ في تثليث، وتثليث في وحْدية». وقد تصدى لدعوى التثليث الموحدون من النصارى على مر العصور.

(وسبق أن فُصِّل القولُ في تاريخ التحريف الذي لحق بالعقيدة النصرانية، من خلال المجامع المختلفة في مباحث النصرانية ومذاهبها الرئيسة الثلاثة بالموسوعة فليراجع).

والأدلة النقلية والعقلية من نصوص الكتاب والسنة متواترة على إبطال هذه العقيدة، بل ومن نصوص كتابهم المقدس ما يؤكد ذلك، منها: ما ورد في سفر* **أشعيا** إصحاح ٤٤ «أنا الأول، وأنا الآخر ولا إله غيري ... أنا الرب صانع الكل، ناشر السموات وحدي وباسط الأرض بنفسي».

وأيضًا، في الإصحاح ٤٥ من السفر نفسه «أنا الرب وليس آخر، ليس من دوني إله ... أنا الرب وليس آخر، أنا مبدع النور، وخالق الظلمة، ومجري السلام ... أنا صنعت الأرض وخلقت البشر عليها».

ومنها ما جاء في **إنجيل يوحنا** على لسان عيسى، عليه الصلاة والسلام، «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (١٧ : ٣)، وايضًا، ما جاء في إنجيل لوقا «إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد» (٤ : ٨)، وقال عن نفسه «أنتم تدعونني معلمًا وسيدًا، وحسنًا تقولون لأني أنا كذلك» **يوحنا** ١٣ : ١٣.

ولقد تنبأ المسيح، عليه الصلاة والسلام، بهؤلاء الذين سيؤلهونه على ما يذكر **إنجيل متى** ٧ : ٢١-٢٣ بقوله: «ليس كل من يقول يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين .. فحينئذ أصرح لهم أني لا أعرفكم قط. اذهبوا عني يافاعلي الإثم». يقول الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ونختم القول بما ذكرته **دائرة المعارف الأمريكية** عن التثليث بقولها «لقد بدأت عقيدة

التوحيد بداية مبكرة جدًا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ـ بل إن عقيدة التوحيد هي الأصل الذي انحرفت عنه البشرية إلى الوثنية ـ . . . إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول، فيما يختص بطبيعة الله. لقد كانت على العكس من ذلك انحرافًا عن هذا التعليم».

التجديد [١]: ويقصد به هنا تجديد الدين*، ويختلف تعريف التجديد في المصطلح* الإسلامي عن تعريفه في المفاهيم الغربية، وعند من تأثر بهم من المنتسبين للإسلام.

أولًا ـ التجديد في الاصطلاح الإسلامي: قائم على مفهوم حديث رسول الله، ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٢]، وعلى ذلك فإن التجديد هو: إحياء وبعث معالم الدين* العلمية بحفظ النصوص الصحيحة نقية، وتمييز ماهو من الدين مما هو ملتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع* النظرية والعملية والسلوكية، وبعث مناهج النظر والاستدلال لفهم النصوص على ما كان عليه السلف الصالح، وبعث معالمه العملية بالسعي لتقريب واقع المجتمع المسلم في كل عصر إلى المجتمع النموذجي الأول من خلال: وضع الحلول الإسلامية لكل طارىء، وجعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة، ووضع ضوابط لاقتباس النافع الصالح من كل حضارة، على ما أبانته نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

ثانيًا ـ التجديد في الاصطلاح الغربي: يعني وجهة نظر في الدين* مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، واعتبار أن الدين صحيح مادام لا يتعارض مع التطور.

وتعد حركات* التجديد والتطور والعصرانية الغربية إحياءً لفلسفة* الطبيعيين من فلاسفة اليونان وعودة إلى التراث الوثني* الفلسفي القديم، وردَّ فعل على تسلط الكنيسة* وموقفها الشديد من العلم ومكتشفاته الحديثة. وأول ظهور لهذه الدعوة كان في القرن التاسع

---

(١) ولخطورة هذا المصطلح سنفصل فيه القول على غير المعتاد.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٢) وغيرهما عن أبي هريرة، وقال الألباني حديث صحيح في صحيح الجامع (١٨٧٤).

عشر وأوائل القرن العشرين على يد أحبار اليهود في ألمانيا أولاً مثل: هولدهايم، وأبراهام جايجر، ثم بدأت في فرنسا على يد الراهب* الكاثوليكي الفرنسي لوايزي ١٨٥٧-١٩٤٠م، ومنها انتشرت إلى باقي دول أوربا وأمريكا، إذ تأسست لها الجمعيات*، وعقدت باسمها المؤتمرات، وأصدرت الصحف والنشرات التي تدعو لمبادئها. واتخذت حركات* التجديد الغربية سواءً اليهودية أو النصرانية الغربية (كاثوليك وبروتستانت) مظاهر عديدة مشتركة منها:

١- الدعوة لعدم الالتزام الحرفي بنصوص الكتاب المقدس، وإطلاق حرية الاختيار بينها وفقًا لما تمليه ظروف ومتغيرات العصر.

٢- أن الشريعة الإلهية موقوتة بظروفها التي ظهرت فيها، وأنها ليست دائمة، فلا يجب الالتزام بها، وينبغي إعادة تأويلها بإيجاد تشريعات بديلة.

٣- الدعوة إلى التفريق بين ما هو بشري وما هو غير بشري في حجية نصوص التعاليم الإلهية.

٤- أن الاكتشافات والمعارف الحديثة ما هي إلا أحد صور الوحي* المتطور.

٥- عدم القبول من الشريعة الموسوية إلا أحكامها الأخلاقية، ورفض كل ما لا يتلاءم مع أفكار وسلوك الحضارة المعاصرة، وتحويل الكنيسة* إلى مؤسسة اجتماعية.

٦- إخضاع نصوص الكتاب المقدس وقيمه للمنهج* النقدي التاريخي الذي انتهى إلى أن نصوص الكتاب المقدس بها الكثير من التناقضات والاختلافات في الأسلوب مما يدفع بعدم قدسيتها، ولذا ينبغي إعادة كتابتها على ضوء ما يثبته الحس والتجربة والعلوم العصرية، وهذا الذي أدى، أيضًا، إلى القول بنسبية الحقيقة.

٧- القول بنسبية الحقيقة الدينية، على أن المعرفة الدينية تبقى بالضرورة خاضعة للتحول الذي يحكم تجليات الحياة والفكر الإنساني.

٨- الضمير الإنساني وحده الحاكم على حقائق الدين*.

٩- تجديد صور وهيئات بعض العبادات مثل الصلاة، واستحداث طرق ووسائل جديدة لتأديتها لتتلاءم مع مفاهيم العصر.

ثالثاً - التجديد عند المعاصرين من المنتسبين للإسلام: بدأت الدعوة إلى تجديد

الدين* وفق المفهوم الغربي للتجديد، وذلك في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي مع خضوع العالم الإسلامي لسيطرة الغرب، على يد ثلة من أبناء المسلمين المتأثرين بالفلسفة* الغربية، واتخذت دعوتهم عددًا من الأسماء البراقة، مثل العصرانية أو التنوير* أو اليسار الإسلامي أحيانًا. وقد ظهرت لدعوتهم منابر صحفية ومراكز ثقافية، ومن أبرز ممثلي هذا التيار على تفاوت بينهم في تبني مبادىء هذه الدعوة: سيدأحمد خان ـ مؤسس جامعة عليكرة بالهند ـ وتلميذه: سيدأمير علي، والشيخ محمد عبده وتلميذه: قاسم أمين، محمد إقبال، عباس العقاد، والشيخ عبدالله العلايلي والدكتور حسن الترابي وراشد الغنوشي، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، وفهمي هويدي، والدكتور محمد سليم العوا، وغيرهم.

ويمكن تلخيص أهم أفكار ومبادىء بعض المغالين من أصحاب هذه الدعوة كالتالي:

١ - التجديد في أصول الدين *:

(أ) تجديد أصول الدين على ضوء الفلسفة الغربية المعاصرة، مما دفع بعضهم إلى القول بوحدة الوجود*.

(ب) نقض عقيدة البعث والحياة الآخرة على المفهوم الصحيح، والقول بأنها حالات نفسية تطورت من حالة إلى حالة أعلى، لا مكانان حسيان كما وصفهما القرآن الكريم.

(جـ) موافقة عقيدة الجهمية* والقدرية* والمعتزلة في القدر*، وأن الله ـ جل وعلا ـ لم يخلق أفعال العباد، وأنه لا يعلم الأشياء إلا إجمالاً.

(د) القول بأن النبوة* ملكة إنسانية وموهبة طبيعية، واستعداد فطري ينميه الفرد كما ينمي الشاعر مواهبه، أو أنهاحالة من الهوس يصاحبها توتر روحي يعرف بالوحي* على أنه مرحلة عليا من مراحل الإدراك والإحساس الغريزي التي توجد عند كل إنسان حي حتى عند الحيوانات والحشرات، مما أدى إلى قولهم بإنكار المعجزات.

(هـ) وأن الملائكة ما هم إلا قوى الخير داخل كل إنسان، وأن الشيطان يمثل قوى الشر.

(و) القول بتطور الإنسان على قول التطوريين، بداية من مرحلة الجماد ثم النبات ثم الحيوان، موافقة لنظرية دارون، بل قالوا أيضًا بتطور الأديان* تبعًا لتطور المجتمعات، وينادي بعضهم بوحدة الدين* الإلهي.

٢ - تجديد مناهج النظر والاستدلال، وتتمثل في:

(أ) دعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ويدَّعي حسين أحمد أمين كفرًا وزورًا أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قد حذف ٥٠٠ آية من القرآن الكريم.

(ب) استخدام مناهج* النقد العصرية لإعادة كتابة الأحاديث النبوية بما فيها الصحاح تقليدًا لرأي بعض المستشرقين أمثال جولدزيهر، إذ يرى الدكتور محمد عمارة وغيره أن المحدثين اهتموا فقط بدراسة الأسانيد، ولم يعتنوا بنقد متون الأحاديث، ويوافقه الشيخ محمد الغزالي في القول بقلة فقه علماء الحديث بالمرويات.

(جـ) تقسيم الأحاديث من حيث الحجية والإلزام - باعتبار بشرية الرسول،* ﷺ، إلى أحاديث تشريعية خاصة بأمور العبادات من صلاة وصيام تكون ملزمة، وأحاديث غير تشريعية خاصة بأمور تنظيم الدنيا وسياسات المجتمعات غير ملزمة، ولا تدخل في نطاق مهمة الرسول، لأنها خاصة بظروف عصره. كما يدعون إلى عدم الأخذ بأحاديث الآحاد*، حيث إن القرآن الكريم أولى بالاتباع، أو ما يوافقه فقط من السنة النبوية، ويصرح محمد النويهي بأن نصوص القرآن والسنة الخاصة بمسائل العقيدة والعبادة هي التي تقبل أما غيرها فتخضع للتعديل والإضافة والحذف. وتمثل هذه الدعوة اختراقاً للإسلام من العلمانية في ثوب جديد. وكان من آثار هذه الدعاوى ظهور طوائف تنكر السنة مثل برويز غلام أحمد - تلميذ سيد أحمد خان - وعليه دعوا إلى تعطيل معظم السنن بدعوى أن أغلبها روي بمقتضى السنة غير التشريعية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه: سيد أحمد خان وتلميذه: برويز غلام أحمد، وممن قال بالتفريق بين السنة التشريعية وغير التشريعية، الدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور محمد سليم العوا.

(د) تفسير القرآن الكريم بما يتوافق مع المعارف الغربية السائدة في العصر، ومن أشهر من قال بهذا المبدأ الشيخ محمد عبده ومحمد أسد، ومن معاصريهم من دعا إلى العمل بعكس القاعدة المشهورة في تفسير الآيات القرآنية من أن «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» إلى «العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ» ومن أبرزهم المستشار محمد سعيد العشماوي.

٣ - تجديد أصول الفقه*: على وصف أحد دعاتهم إلى أصول واسعة لفقه اجتهادي، لأنه كما

يقول الدكتور الترابي مطبوع بأثر الظروف التاريخية التي نشأ فيها، ومن أبرز هذه الأصول التي يدعو إلى تجديدها وتطويرها على نحو لم يقل به علماء الأمة الراسخون من السابقين أو المعاصرين:

(أ) الإجماع* : بأن يحل إجماع الأمة المسلمة أو الشعب المسلم، أي الاستفتاء، محل إجماع الصحابة أو علماء عصر من العصور باعتبار إجماعهم غير ملزم.

(ب) أمر الحاكم: حق الحاكم في الأمر بإنشاء الأحكام الشرعية.

(جـ) القياس* : بالدعوة إلى تبديل القياس الذي به ضوابط وقيود نص عليها الأصوليون إلى قياس واسع عفوي غير متقيد بتلك القواعد والضوابط.

(د) الاستصحاب: ويقصد به عندهم «الاستصحاب الواسع»، بحيث يتخلص من القيود والضوابط التي وضعها الأصوليون له.

(هـ) فتح باب الاجتهاد* لكل المسلمين، وإعادة تدوين كتب الفقه* على ضوء معارف العصر فيما يسميه الترابي الفقه الشعبي.

(و) القول بعدم النسخ في القرآن الكريم.

ومن أشهر من دعا إلى هذه المبادىء أو بعضها: محمد إقبال، والدكتور حسن الترابي، وراشد الغنوشي، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور جمال الدين عطية، وغيرهم.

٤ - التجديد في مفاهيم العبادات:

(أ) إن الجهاد* شرع فقط في حالة اعتداء الكافرين على المسلمين، وممن قال بهذا السيد أحمد خان، الشيخ محمد عبده، الدكتور محمد عمارة، محمد عابد الجابري، فهمي هويدي.

(ب) الدعوة لتقييد الطلاق، ورفض تعدد الزوجات، والدعوة لسفور المرأة، إذ ينكر حسين أحمد أمين مشروعية الحجاب مدعيًا أنه عادة فارسية تركية، وأن القرآن الكريم لم ينص على حرمة السفور، بينما يقصر الترابي الحجاب على زوجات النبي، ﷺ، فقط، على أن الحشمة هي المعيار على ما تحدده عادات وتقاليد المجتمعات. وممن صرح بذلك الدكتور محمد فتحي عثمان والدكتور محمد عمارة.

(جـ) عدم معاقبة المرتدين وإنكار حد الردة.

(د) جواز زواج المسلمة من اليهودي والنصراني، بل بالغ بعضهم مثل محمد على القادياني بجواز زواج المسلم من الهندوسية باعتبار أن لها ديانة وكتبًا مقدسة.

(هـ) إباحة الاختلاط بين الجنسين، وممن أباح ذلك الدكتور حسن الترابي.

(و) اعتبار أن الربا المحرم هو الذي يدفعه الفقير مقابل دينه، أما فوائد البنوك والفائدة البسيطة على المعاملات التجارية، وصناديق التوفير، فليست ربا، وينسب هذا الرأي إلى رواد المدرسية الإصلاحية «الشيخ محمد عبده».

(ز) رفض حدود رجم الزاني المحصن، وشرب الخمر، وعقوبة الحرابة، والسرقة.

(ح) القول بأن العقوبات المنصوصة ليست مقصودة بأعيانها حرفيًا، بل المقصود غاياتها، وعليه فإن كل ما يؤدي إلى القيام بالغاية والمقصود هو الوسيلة المطلوبة شرعًا. على ما صرح به الشيخ عبدالله العلايلي إذ لا ينفذ الحد إلا في حالة الإصرار أي المعاودة والتكرار، وقد قرر ذلك: أبو زيد الدمنهوري، مصطفى كمال المهدوي ـ الدكتور مصطفى محمود، حسين أحمد أمين.

(ط) القول بأن الخلافة* بالمفهوم الشرعي غير ملزمة، وكذلك القضاء، ووظائف الحكم، وكل الخطط السياسية لا شأن لكل هذا بالدين* . ويمكن أن تعتمد الحكومة على أي نظام سياسي سواء أكان ديمقراطيًا أو اشتراكيًا فاشيًا، محل الخلافة* ، إذ يرى محمد أحمد خلف الله أن نظام الحكم في الإسلام مصدره الاجتهاد* وليس بالنص.

(ي) أن أحكام الشريعة* غير ثابتة، بينما الثابت هو روح الدين، أي روح التشريع، وأي حكم أو وسيلة تحققه فإنها من أحكام الدين* ، وفي ذلك يقول الدكتور حسن حنفي إن العلمانية هي أساس الوحي* ، ويرى الدكتور محمد عمارة أن الدين مفاهيم ومثل عليا وأن الناس يحددون ويشرعون ويطورون حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك.

(ك) حقوق المرأة السياسية والاجتماعية تستوحى من البيئة الاجتماعية لا من النظريات الفقهية، وممن صرح بذلك الدكتور محمد فتحي عثمان، الدكتور محمد عمارة.

(ل) الدعوة إلى تقديم المصلحة على النص إذا اقتضى الأمر ذلك.

(م) القول بنسبية حقائق الدين على أنها تختلف باختلاف البيئات والمجتمعات.

(ن) إلغاء أحكام أهل الذمة على أنها كانت لظروف خاصة قد خلت بتطور العصر، فهم مواطنون لا ذميون على رأي فهمي هويدي.

(س) بالإضافة إلى تحريفهم للتاريخ الإسلامي باعتبار حروب الردة حروبًا سياسية، وأن الفتوحات الإسلامية ما كانت إلا غزوات استعمارية على قول أحمد أمين، وعبدالمنعم ماجد حسين، ولم تسلم غزوات الرسول،* ﷺ، من مقالات نفاقهم إذ يصفونها بأنها كانت تصفية للحسابات مع قريش، كما اتهموا صلاح الدين الأيوبي بأنه كان إقطاعيًا بارزًا حرّكه* الدافع القومي في حروبه.

(ع) أخيرًا عملوا على تمجيد وإحياء جميع العقائد الوثنية* والحركات المنحرفة من خوارج* ومعتزلة وباطنية*، على أنهم يمثلون الجناح اليساري في الإسلام، وأن ثوراتهم* كانت بسبب الظلم الاجتماعي، ولذلك يعلون من شأن دعاتها أمثال ابن عربي والحلاج والقاضي عبدالجبار بن أحمد المعتزلي وعمرو بن عبيد وحركة الزنج ودولتهم، وجمال الدين الأفغاني وتنظيماته* السرية، وكتبهم طافحة بذلك وزيادة.

التحريف: في المصطلح* الشرعي يعني العدول بالكلام عن وجهه، وصوابه إلى غيره، بمعنى تغيير معاني الكتاب والسنة إلى معان أخرى تدل عليها، كتبديل اللفظ بلفظ آخر، كقول بني إسرائيل: حنطة بدلاً من حطة، أو كالتحريف في المعنى، وكلا النوعين من أنواع التحريف الأصل فيهما اليهود ـ لعنهم الله تعالى ـ فقد حرفوا ألفاظ ومعاني التوراة، حتى اختصهم الله تعالى بهذه الصفة في مقام الذم دون غيرهم قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ . . . ﴾ الآية [المائدة: ١٣] ولذلك فإن التحريف مذموم مطلقًا.

وقد اتبع آثارهم في الأمة الإسلامية الرافضة* والجهمية* بتحريف نصوص الأسماء والصفات كالقول بأن معنى الاستواء في قوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه: ٥] هو الاستيلاء، والتحريف في هذا الباب يكون في النصوص، بينما التعطيل يكون في المعتقد، والتكييف والتمثيل يكونان في الصفات. ومن أنواع التحريف الآيات الكونية كالقول بأن الملائكة هم القوى الروحية، وأن الشياطين هي القوى الشريرة داخل الإنسان،

وغير ذلك على قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام قديمًا وحديثًا .

التحسين والتقبيح: في المصطلح الشرعي الحكم بحسن الشيء أو قبحه بناء على اعتبارات خاصة، ومصدر الحكم بالحسن أو بالقبح هو العقل* عند المعتزلة والإمامية والزيدية، ورتبوا على ذلك أن الإنسان مثاب على ما يفعله من حسنات ومعاقب على ما يقترفه من سيئات حتى دون إرسال الرسل* ، وأن للعقل الحكم النهائي في قبول ما ورد من أحاديث تحسن بعض الأشياء وتقبح بعضها أو ردها حسب ما يقتنع به العقل .

ويرى الأشاعرة أن الحسن ما طلبه الشرع، والقبيح ما منعه أو نهى عنه، أما الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة* ووافقهم عليه أبو منصور الماتريدي أنه مما لا شك فيه أن بعض الأمور يمكن للعقل* إدراك حسنها أو قبحها، وإن من الأمور ما لا يدرك حسنها وقبحها بالعقل، وأنه لا ثواب ولا عقاب إلا بالشرع إذ يثبت الحل والحرمة، وبهذا فصل بين الحسن والحل وبين القبح والحرمة. يقول ابن القيم «والحق الذي لا يجد التناقض إليه سبيلا، أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، كما أنها نافعة وضارة، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون العمل القبيح موجبًا للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع» مدارج السالكين ج١ ص ٢٧ .

تحضير الأرواح: أو سبرتزم بمعنى الاتصال بالعالم الروحي غير المنظور، اعتقادًا بأن الروح تبقى بعد الموت، وأن لها ـ في زعمهم ـ اتصالاً بالأحياء بواسطة فعل ـ مادة أو روحٍ ـ متمثلاً في ظواهر روحانية مختلفة من كشف وتخاطر وكلام ورؤية، أو في ظواهر أخرى فيزيقية مثل تحرك المنضدة أو الكتابة الآلية. ويعرف صاحب **كشف الظنون** بأن هذا العلم هو: استنزال الأرواح واستحضارها في قوالب الأشباح، ويقول إنه من فروع علم السحر، فتسخير الجن من غير تجسدها وحضورها عندك يسمى علم العزائم بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتها، أما حضور الجن عندك وتجسدها في حسك فيسمى علم الاستحضار، ولا يشترط فيه تحصيل مقاصدك بها. ولا يتم تحضير هذه الأرواح بزعمهم إلا من خلال وسيط ذي

مواصفات واستعدادات جسدية ونفسية خاصة، من خلال الاجتماع في مكان يسوده الظلام به غرفة خاصة معزولة لا يعرف ما يجري بداخلها، على أن يشهد العملية عدد يتراوح ما بين العشرة إلى الخمسة عشر شخصًا، ويشترط لنجاح الجلسة عندهم مواظبة نصف العدد على الحضور بصفة دائمة.

ويرجح الأستاذ محمد فريد وجدي في **دائرة معارف القرن العشرين** أن بداية تحضير الأرواح بهذا المعنى كان على إثر حادثة وقعت لأحد الأمريكان سنة ١٨٤٦م في نيويورك من اتصال بعض الأرواح به، ثم تكررت أكثر من مرة مع غيره، مما دفع العديد من الجمعيات* العلمية لدراسة هذه الظاهرة، وهذا ما أدى إلى انعقاد مؤتمر برشلونة سنة ١٩٣٥م. وعن طريق بعض الذين سافروا إلى الغرب وتأثروا بالروحية الحديثة تسللت هذه الجمعيات - تحضير الأرواح - إلى مصر والعالم الإسلامي، وقامت لها جمعيات تتبناها وتدافع عنها مثل «جمعية* الأهرام الروحية»، وقد أصبح لهم صوت يعبر عن أفكارهم - مجلة **عالم الروح**. ويرجح بعض الباحثين أن انتشارها كان رد فعل للمادية* والمذاهب الإلحادية* وتطرفها. وعلى كل فقد انخدع بها أعلام لهم مكانتهم العلمية والفكرية في زمنهم، أمثال: الأستاذ محمد فريد وجدي، والدكتور علي عبدالجليل راضي، والأستاذ أحمد فهمي أبو الخير، والقانوني الدكتور رؤوف عبيد، والشيخ الطنطاوي جوهري صاحب التفسير، والأستاذ حسن عبدالوهاب - قبل توبته وتخليه عن مبادئها.

والتعامل مع الأرواح بدعوى رجعة الروح إلى الحياة الدنيا وتجسدها مرة ثانية أمر ليس بالجديد، فقد كان معروفًا عند الأمم الوثنية* القديمة - قدماء المصريين، الصينيين، الهنود وغيرهم - وقد اشتهرت الصابئة باستخدام الروحانيات عن طريق تقديم الطقوس والابتهالات، والتقرب إليها بالقرابين، وتبخير البخور، كما يعتقد غلاة المتصوفة بهذه العقيدة فيما يعرف عندهم بالديوان الذي يجتمع كل أسبوع تحت رئاسة السيدة زينب، ويحضره جميع الأولياء* لمناقشة تدبير أمور الكون.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي وعلى ضوء فلسفتها نشأت حركة* الثيوصوفية.

والإسلام يقضي باستحالة تحضير الأرواح بعد مفارقتها للجسد في الحياة الدنيا،

فالأرواح بعد الموت لها ناموس خاص يخالف ناموس الدنيا، وفيه لا يكون لها ارتباط إلا بجسد صاحبها فقط، مثل ارتباط الروح بجسد النائم، تنتقل إليه سواء مما أعد لها من نعيم في الجنة إلى الجسد في القبر لرد سلام أو عرض أعمال ـ كما هو خاص بالنبي، * ﷺ، أو الصلاة كما للأنبياء، ومنها ما تتلظى في العذاب ثم ترجع إلى الجسد في البرزخ لتتلقى معه العذاب، أيضًا.

وعلى كل حال فإن الروح لا تفارق صاحبها كليًا في الحياة الدنيا، وقد فصل ابن قيم الجوزية في كتابه **الروح** وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الرابع من **مجموع الفتاوى** هذا الأمر تفصيلاً ينسف الأساس الذي قامت عليه هذه الفكرة الخبيثة التي يُراد بها تمييع عقيدة الإيمان بالغيب واليوم الآخر.

وبعدما بانت واتضحت هذه الحقيقة لبعض المخدوعين بها مثل الأستاذ حسن عبدالوهاب، سكرتير الجمعية قال: «ولقد ثبت لي أخيرًا ثبوتًا قاطعًا لا شك فيه أن الشخصيات التي تحضر في جلسات التحضير، وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب، إن هي إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون». وصدق الله تعالى إذ يقول واصفًا أصحاب هذه الأفكار الخبيثة: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

التشبيه: هو التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما سواء كانت التسوية فيما هو من خصائص المخلوق أو من خصائص الخالق، وفي كلتا الحالتين فإنه يضاد الكمال المقدس للرب جل وعلا. والتشبيه داءٌ سرى بين الأمم القديمة إذ شبهوا آلهتهم* بأوصاف وأشكال المخلوقات، وكان لطائفة (القراؤون) من اليهود نصيب من ذلك، بل وقع النصارى، أيضًا، في اعتقادهم بتجسد الإله* سبحانه في عيسى، عليه الصلاة والسلام.

وأول من قال بالتشبيه في الإسلام البيانية وهم من غلاة الروافض*، وأول من نشر التشبيه في الأمة هو هشام بن الحكم الرافضي ت ١٧٩هـ أو ١٩٠هـ، وإليه تنسب الهشامية من الروافض. وعلى كل فإن الرافضة أول من قالوا به، ومن قال بالتشبيه من أهل السنة* :

مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠ هـ وإبراهيم بن يحيى الأسلمي ت ١٨٤ هـ وغيرهما، وعلى ذلك فإن المشبهة على فريقين:

أحدهما: يشبه ذات الله تعالى بذات مخلوقاته كالهشامية والسبئة سواء في كل خصائصها أو بعضها.

ثانيهما: يشبه صفات رب العالمين بصفات غيره من المخلوقات مثل معتزلة البصرة، بل إن كل المؤولة أو المعطلة لأسماء الله تعالى وصفاته في الأصل مشبهة إذ سبق إلى تفكيرهم التشبيه مما دفعهم في زعمهم إلى التأويل* أو التعطيل*. والتعبير بلفظ عدم التمثيل* في أسماء الله تعالى وصفاته أولى وأدق من التعبير بلفظ التشبيه، إذ إن لفظ التشبيه لفظ مجمل يحتمل معنيين بينهما قدر مشترك وقدر مميز وهما:

١ـ الاتفاق في أصل المعنى ـ المطلق الكلي ـ.

٢ـ المماثلة في الواجبات والخصائص وهو أمر ممتنع في حق الله تعالى، إذ لا يلزم الاتفاق في أصل المعنى وقوع المماثلة في الواجبات والخصائص.

ولذلك لا يصح نفيه أو إثباته على الإطلاق بل لا بد من تقيده بما ورد في الكتاب والسنة.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين «فالتعبير بالتمثيل أولى لأمور:

أولاً ـ أنه موافق للفظ القرآني في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ [النحل: ٧٤] ولم يقل ليس كشبهه شيء، ولا قال فلا تضربوا لله الأشباه.

ثانيًا ـ أن التشبيه صار وصفًا يختلف الناس في فهمه فعند بعض الناس إثبات الصفات يسمى تشبيها، ويسمون من أثبت صفة لله مشبهًا، فتجد عند المعتزلة كما يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: وقالت المشبهة، ويقصد أهل السنة والجماعة*.

ثالثًا ـ أن نفي التشبيه على الإطلاق بين صفات الخالق والمخلوق لا يصح، لأنه ما من صفتين ثابتتين إلا وبينهما اشتراك في أصل المعنى، وهذا الاشتراك نوع من المشابهة، فالعلم، مثلاً: للإنسان علم، وللرب سبحانه علم. فاشتركا في أصل المعنى، لكن لا يستويان. أما التمثيل فيصح أن تنفيه نفيًا مطلقًا». **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**

ج ١ص ١٨٠.

التعددية: اتجاه فلسفي يرد الواقع إلى ماهيات متعددة لا ترجع إلى مبدأ واحد، ومن أمثلته المذهب* الذري عند ديمقراطيس ومذهب الذرات الروحية عند لينبتز، ويمثلها في الفلسفة* المعاصرة وليم جيمس وبرتراند راسل، والتعددية تقابل الوحدانية.

التعطيل: في المصطلح* الشرعي يعني نفي دلالة نصوص الكتاب والسنة عن المراد بهما، ويأتي التعطيل على ثلاثة أنواع: تعطيل الباري عن كماله المقدس بنفي صفاته أو أسمائه أو كليهما، ومن مقالاتهم المبتدعة في ذلك: إن الله تعالى ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا هو في جهة ولا مكان. ـ راجع موقف السلف من الاصطلاحات المحدثة في الاصطلاح ـ وأيضًا، قولهم بأنه، تعالى عن كفرهم، ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا فوق العرش ولا عليه. (انظر الجهمية)، أو تعطيل معاملته بترك عبادته أو عبادة غيره معه، أو تعطيل المصنوع عن صانعه كنسبة بعض خلقه أو كله لغيره، وهذه الأنواع كلها كفر بالله تعالى. وهناك نوع آخر يعرف بتعطيل التأويل وهو محل خلاف بين العلماء في تكفير صاحبه من عدمه حيث قد يكون قائله مبتدعًا غير كافر أو مبتدعًا كافراً على حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية. والتعطيل بوجه عام شرٌّ وبلاء إذ إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها وهو جحد لحقيقة الألوهية؛ لأن المعطل للأسماء والصفات منكر لمعانيها ومدلولاتها، ولا توجد الصفات بدون الذات، ولا الذات بدون الصفات كما اتفق عليه العقلاء. وأول من أظهر التعطيل في الإسلام الجعد بن درهم.

التعميد: فريضة مقدسة عند النصارى يتم فيها الغسل بالماء باسم الآب* والابن* والروح القدس*، لتطهير النفس ـ في زعمهم ـ من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح*، بعد اعترافهم جهارًا أمام الكنيسة* بإيمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس معبودهم الوحيد. واختلفت وجهات نظر النصارى في التعميد، فجعله بعضهم بالتغطيس الكامل ثلاث مرات، وأغلبهم يكتفي برش الماء على الوجه، وبعضهم جعله للكبار البالغين، وأغلبهم يوجب تعميد الأطفال وخصوصًا في اليوم الذي قبل عيد الفصح أو العنصرة. أما عند الضرورة فإنهم يعمدون الأطفال والفتيان في كل حين على حد سواء، ويسمى التعميد

بالاعتماد والاصطباغ والمعمودية. ويعد التعميد عند الصابئة أحد دعائم دينهم، ولا يكون إلا في الماء الحي الذي لا تتم الطقوس إلا به، ولا يكون إلا على أيدي رجال الدين، وأما أوقات التعميد عندهم فهي: في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد.

التفسير الاقتصادي للتاريخ: يعني إرجاع التغيرات الأساسية التي طرأت على التطور التاريخي والأحداث التي مر بها المجتمع الإنساني إلى تأثير التغيرات المادية والنوعية الحاصلة في قاعدته الاقتصادية بالدرجة الأولى، التي تنشأ لطبيعة علاقات الإنتاج بين الطبقات المتصارعة في المجتمع. وقد ارتبط التفسير الاقتصادي للتاريخ بالنظرة المادية للتاريخ* ، مع إغفال العوامل الأخرى. وعليه فإن **التفسير الإسلامي للتاريخ** يقوم على أساس أن الإنسان بمجموع حالاته هو صانع التاريخ لا بجانب واحد منه، سواء كان في حالات الهدى أو حالات الضلال، في حالات تفاعله مع الكون المادي بأفكاره وقيمه ومبادئه وضغوطه، أو بدافع من أحلامه ودوافعه الداخلية وتطلعاته، لذلك يستنكر على التفسير المادي الجاهلي أنه يركز على الجانب المادي فقط من الإنسان مع إغفاله الجانب الروحي.

كما يرى التفسير الإسلامي للتاريخ أن الصراع في المجتمعات الإيمانية بين الحق والباطل، وأما في المجتمعات الجاهلية* فالصراع يكون فيها بين الباطل وأهله. يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولذلك ينكر التفسير الإسلامي للتاريخ الحتميات* المادية* ، ويفسر أحداث التاريخ المختلفة بما فيها قيام الأمم والحضارات وسقوطها، حسب السنن الإلهية التي لا تحابي ولا تجامل، ومع ذلك يؤكد على أن تمكين العقيدة في القلوب يرفع الإنسان فوق الضغوط المادية والاقتصادية، فينجو من ثقلها ويصوغ حياته وفق عقيدته وقيمه، أما عند عدم تمكنها من القلوب فإن الإنسان يصارع الضغوط المادية فيصرعها وتصرعه، وعند عدم وجودها أصلاً فإن الإنسان يقع تحت الضغوط المادية ويصبح أسيرًا لها، هذا هو ما ركز عليه التفسير المادي* الجاهلي للتاريخ، وبذلك يتسم التفسير الإسلامي للتاريخ بالواقعية.

التفويض: يعرف بوجه عام بأنه رد كل ما عجز العقل* عن إدراكه أو الإحاطة به إلى الله عز وجل، إذ يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقصد به عند السلف تحديدًا تفويض العلم بكيفية ذات الله تعالى، وكيفية صفاته سبحانه وتعالى، وأيضًا، تفويض تفاصيل حكمته ـ سبحانه ـ من أوامره ونواهيه الشرعية إلى الله عز وجل، إذ لا يلزم عندهم من عدم العلم بها عدمها؛ لأن عدم العلم بالشيء ليس علمًا بعدمه، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية.

أما معناه عند الخلف ـ أهل الكلام قديمًا وحديثًا ـ فإنه تفويض معاني النصوص الشرعية الثابتة التي تعارض قواعدهم وعقائدهم، التي لم يجدوا لها تأويلاً* ولم يستطيعوا ردها، مع اعتقادهم أن ظاهر النص غير مراد.

وعلى هذا يتبين الفرق في معنى التفويض بين السلف والخلف، فالسلف يعلمون معاني النصوص ويؤمنون بها، إذ دل عليها ظاهر النص، وإنما يفوضون أمر الكيفية إلى الله تعالى على عكس الخلف، ويلخص الإمام مالك ـ يرحمه الله ـ منهج السلف في التفويض بإجابته لمن سأله عن الاستواء قائلاً: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب، وبذلك يتبين لنا خطأ من قال «إن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع. . .» إذ لم يعرف القول بالتفويض في القرون الثلاثة الأولى وإنما ظهر في القرن الرابع الهجري، ومن أوائل من قال به في بعض نصوص الصفات الاختيارية أبو منصور الماتريدي ـ يرحمه الله ـ (ت ٣٣٣هـ)، وأبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ (ت ٣٢٤هـ) في محاولة للتوسط بين منهج* السلف في إثبات النصوص وبين المنهج العقلي المستمد من الفلسفة* اليونانية الذي اعتمده المتكلمون وحسبوا قطعيته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وإنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر. .» «مجموع الفتاوى ٥/ ١٠٢٩».

وكان من أسباب انتشار تلك المقولة إطلاق دعوة إلزام العوام بالتفويض تحت دعوى الخوف على عقائد العوام مما أثر على تجهيلهم وصرفهم عن العلم بمعبودهم سبحانه وتعالى.

ولخطورة هذا المسلك في التعامل مع النصوص نبين شيئًا من لوازمه الخطيرة التي صرح بها بعض المتكلمين من أن الاعتقاد في ظاهر ما دلت عليه النصوص كفر* ، وبالتالي يلزم رد معاني الآيات الدالة على التدبر وإضاعة الاستفادة من آياته الكريمات التي هي هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، كما يلزم، أيضًا، عدم العمل بهذه النصوص أو التحاكم إليها، وفي القول بأن التفويض مذهب* السلف الصالح ذم للنبي،* ﷺ، وصحابته ـ رضي الله عنهم ـ واتهامهم بعدم معرفة معاني آيات وأحاديث الصفات. ويبطل ابن تيمية هذا الزعم في **أساس التقديس** بقوله «الدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول إن القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول،* ﷺ، وأصحابه، وفيه مدح من ذمهم الله تعالى من الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني. يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]».

وأخيرًا من لوازم هذا المسلك الخطير ـ التفويض ـ القدح في سلف الأمة الذين تكلموا في معاني نصوص الصفات واعتقدوا ظاهرها على الوجه اللائق بالله تعالى، مما يلزم معه إبطال الإجماع* من أصله. ويطلق أصحاب المقالات التفويض على بعض الأصناف الغالية من الروافض* يقول عبدالقادر البغدادي ـ يرحمه الله ـ في **الفرق بين الفرق**:

«أما المفوضة من الرافضة* فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمدًا ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره. . ثم فوض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب فهو المدبر الثاني.

وهذه الفرقة شر من المجوس* . . وشر من النصارى. . فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام، فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام» ص ٢٥١.

تقليد: قبول قول الآخر بلا حجة ولا دليل معتقدًا للحقيقة من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الآخر أو فعله قلادة في عنقه، فالأخذ بقول النبي* ﷺ أو بالإجماع* لا يسمى تقليدًا؛ لأن ذلك هو الدليل نفسه، ولم يخالف في جواز التقليد للعاجز عن الاجتهاد* والنظر إلا بعض القدرية* . وللعامي أن يستفتي من غلب على ظنه أنه من أهل

الفتوى، إذ لا يلزم سؤال عالم بعينه، ولا أن يتقيد بواحد معين إذ لا إلزام بلا ملزم شرعي، ولأن الشريعة الإسلامية* ـ نصوص القرآن والسنة ـ أكبر وأوسع من أي مذهب* كان.

وقد اختلف العلماء في حكم التقليد على ثلاثة أقوال: الأول: المنع مطلقًا إذ أوجبوا على كل مكلف الاجتهاد وتعلم وسائله وأدواته، والثاني: الجواز مطلقًا سواء كان قادرًا على الاجتهاد أم كان عاجزًا عنه، والثالث: التفصيل إذ الجواز في حق العاجز عن الاستدلال والاجتهاد والتحريم في حق المجتهد القادر وهو القول الراجح.

ويقول ابن القيم في أنواع التقليد التي يحرم العمل بها والافتاء بها :
أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه، اكتفاء بتقليد الآباء.
الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.
الثالث: التقليد بعد قيام الحجة، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد».

وقد ذم الله تعالى هذه الأنواع الثلاثة في أكثر من موضع من كتابه الكريم. وللأسف فإن التقليد يمثل الاتجاه السائد ليس بين أتباع الديانات* فحسب، بل بين أتباع الكثير من أئمة المذاهب الفقهية والمفكرين والأدباء والفلاسفة والسياسيين من حزبيين وغيرهم، ولكن المنهج* الأحمد في هذا المجال هو الإفادة من آراء السابقين، وأخذ الراجح منها والأقوى دليلاً، وعدم الجمود على رأي واحد بعينه، وترك ما ظهر ضعفه منها، وجعل الدليل من الكتاب والسنة هو الحكم في الأمور، والإضافة إليها في حدود النصوص، والقاعدة في ذلك أن «كل أهل العلم أقوالهم يحتج لها ولا يحتج بها إلا إذا حصل إجماع المسلمين» خصوصًا في المنهج* الإسلامي الذي لا يلزم أحدًا باتباع أحد غير الرسول* الكريم، ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين المهديين رضوان الله عليهم.

التَّقيَّة: عرفها الحافظ ابن حجر العسقلاني بأنها «الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير» وذلك خوفًا من وقوع ضرر هالك، فيظهر للمخالف اللين في الكلام والموهم بالمحبة ويضمر في قلبه خلافه، وأن يُعِّرض في كل ما يقول. ويعرفها الشيخ المفيد من الشيعة* بأنها «كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدنيا والدين».

والتقية عند أهل السنة* رخصة جائزة في حال الضرورة بالقول واللسان، وإن كانت العزيمة أعظم أجرًا عند الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وعلى هذا انعقد إجماع أهل السنة. يقول ابن المنذر «أجمعوا على أن من أكره على الكفر* حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر». ودليلهم على ذلك الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ وقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وللحد من الإسراف في العمل بالتقية وتطبيقاتها وضع علماء أهل السنة* للأخذ بها عدة ضوابط منها:

- إن كان المسلم بين قوم كفار يخاف على نفسه أو ماله فله أن يظهر الموالاة لهم، ورأى الإمام الشافعي أنه إن شابهت حالته بين المسلمين حالته بين الكفار حلت له التقية، ويقول ابن حزم: «لا فرق بين إكراه السلطان أو اللصوص، أو من ليس سلطانًا، كل ذلك سواء».

- العزيمة أفضل وأعظم أجرًا عند الله تعالى من الأخذ بالتقية، ويرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام.

- التقية جائزة باللسان فقط، أما أن يعود الضرر إلى الغير كالقتل والجرح والضرب والزنا وغصب الأموال والأعراض وشهادة الزور، فحرام وغير جائزة على الإطلاق، بل يلزم القود والضمان؛ لأنه أتى محرمًا عليه إتيانه كما قال ابن حزم في **المحلى**.

كما وضعوا للتقية باللسان ضوابط تفرق بين المكره وغير المكره ممن يعيش بين ظهراني المشركين مع العجز عن الهجرة*، فالأول له النطق بكلمة الكفر* إن اضطر إليها، أما الثاني فعليه إما أن يظهر دينه بينهم وإما أن يكتمه ولا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، وبالتالي لا يوافقهم على دينهم كله، وغايته أن يكون كمؤمن آل فرعون. قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا...﴾ الآية [النحل: ١٠٦].

ويرفض عامة الخوارج* وبخاصة الأزارقة التقية عمومًا سواءً كانت في القول أو في العمل. يقول نافع بن الأزرق: «التقية لا تحل...»، بينما غالت النجدات من الخوارج في الأخذ بها في القول والعمل، وإن أدى ذلك إلى قتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق، وتوسطت الصفرية والأباضية فأجازوا التقية في القول واللسان دون الفعل.

وأجاز بعض المعتزلة الأخذ بالتقية عند تحقق الخطر الهالك وتلف النفس. يقول أبو الهذيل العلاف: «إن المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه، فله أن يكذب ويكون وزره موضوعًا عنه».

أما التقية عند الشيعة* فهي ركن من أركان الدين* عندهم. يقول ابن بابويه: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»، بل قالوا إن جعفر بن محمد قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية من دين الله، ولا دين* لمن لا تقية له» **الكافي من الأصول** ٢/ ٢١٧، ٢١٩ . وهي بذلك ليست حالة طارئة كما عند أهل السنة وغيرهم من الفرق، ولكنها حالة مستمرة وإن لم يوجد ما يبررها، وتظل ملازمة للشيعي في ديار المسلمين التي يسميها بديار التقية أو دولة الباطل أو دولة الظالمين.

يقول ابن بابويه في **الاعتقادات**: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامة، وخالف الله ورسوله والأئمة».

وبذلك، وبناءً على ما سبق ذكره فإن التقية عند الشيعة لا تعدو أن تكون نوعًا من الكذب والنفاق الذي ينهى عنه الإسلام. ويرجع بعض الباحثين إلى أن هذه الفكرة ـ التقية ـ تسربت لبعض المسلمين عن طريق أهل الكتاب الذين برعوا في استخدامها فترات اضطهادهم، وبخاصة عند الفريسيين من اليهود، ويدلل على ذلك بما ورد في **التلمود** «على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينًا كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما»، و «غير مصرح لليهودي أن يوجه السلام إلى الكافر إلا إذا كان يخشى ضرره أو عداوته، والنفاق جائز، ولا بأس في ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودي من أذاه»، وأيضًا، ما ورد في **الإنجيل*** عندما أنكر بطرس تلميذ المسيح* الكبير المسيح ثلاث مرات، وبما قاله بولس في

رسالة كورنثوس ٩/ ١٩-٢٢: «إني إذ كنت حرًّا مع الجميع، استعبدت نفسي للجميع، لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس . . .».

التكفير: انظر الكفر

التكييف: في المصطلح الشرعي يعني حكاية كنه وحقيقة ما لا يعلمه إلا الله تعالى من المعاني، كأن يحكي حقيقة الذات الإلهية أو حقيقة صفاتها. وهذا من القول على الله تعالى بلا علم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] وعلى هذا فبين التكييف والتمثيل عموم وخصوص - انظر التمثيل . .

التلباثي: أحد الملكات النفسية التي تتجاوز ما تألفه الحواس الإنسانية وتعرف بالشعور عن بُعد، وقد يطلق عليها تراسل الأفكار أو البصر المغناطيسي.

وتعني هذه الملكة: أن أناسًا يستحضرون في أخلادهم سيرة إنسان بعيد بغير سبب يعلمونه، فإذا هو ماثل أمامهم ساعة استحضاره، أو يقلقون لغير سبب في لحظة من اللحظات، ثم يعلمون بعد ذلك أن إنسانًا عزيزًا عليهم كان يتألم. وقد أجرى كثير من العلماء تجارب على هذه الملكة، وعرض العقاد نماذج تمثل النزعات المختلفة لهؤلاء العلماء، وناقش هذه الآراء وفندها في كتابه (الله). والتلباثي إحدى صور الإلهام، وتعرف في الإسلام بمقام التحديث لما رواه البخاري ومسلم واللفظ له عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي، ﷺ، كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم»[(١)] ويقول الحافظ ابن حجر في **فتح الباري**: «ومن ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدث به غيره، وهو الذي ألهم بالصواب الذي يلقى على فيه»، وهو كرامة لعباد الله المتقين واستدراج لغيرهم، ومنه ما وقع لأبي بكر الصديق بإخبار زوجته بما في بطنها أنها أنثى، وكذلك قصة عمر بن الخطاب المشهورة عندما نادى يا سارية الجبل وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) عن أبي هريرة ومسلم (٢٣٩٨) عن عائشة.

يخطب يوم الجمعة في المدينة، فسمع سارية قوله أثناء قتاله مع أعدائه في العراق.

التمائم: تعاويذ يلبسها الإنسان أو يعلقها لاعتقاد أنها تدفع الآفات والمقادير وتطرد الشر وتحقق الشفاء من الأمراض، وقد استعملها المصريون القدماء والعبرانيون بوضع نصوص من التوراة* فيها، واستعملها النصارى* في القرن الرابع الميلادي بضم أشياء مقدسة عندهم إليها من الصلبان والنصوص الدينية، وتستعملها المجتمعات الوثنية* بوضع أسنان الحيوان أو الأحجار الكريمة وتنقش عليها رموز عجلات إله* الشمس والصليب المعقوف.

وقد عرفها العرب في الجاهلية* وذكروها في آدابهم، إلا أن الإسلام أبطلها وحرم التمائم الشركية أو التي تؤدي إلى الشرك مما فيه استغاثة واستعانة بغير الله تعالى، أما إذا كان المعلق قرآنًا ففيه ثلاثة أقوال: الجواز مطلقًا، أو المنع مطلقًا، أو الجواز بشرط أن يكون بعد نزول البلاء. أما قبله فلا تجوز، والراجح المنع مطلقًا، والله أعلم.

التمثيل: هو مساواة غير الله بالله في الذات والصفات أو العكس، كقياس ذات الله على ذات المخلوق، أو أن يجعل بعض صفات الخالق كبعض صفات المخلوق والعكس، أو أن يدخل الخالق والمخلوق تحت قاعدة كلية يستوي أفرادها مثل قولهم كل موجود فهو جسم أو كل من له صفة فهو مخلوق.

والتمثيل أخص من التكييف؛ لأنه تكييف مقيد بمماثلة. وتكمن خطورة هذا الأصل من أن تمثيل الخالق جل وعلا بالمخلوق يلزم منه أنه يجوز لأحد المثلين ما يجوز على الآخر، ويجب له ويمتنع عليه ما يجب ويمتنع على الآخر، أيضًا، وهذا مستحيل عقلاً وشرعًا، ويؤدي هذا الأصل إلى القول: بتأليه بعض البشر أو حلول* الله تعالى فيهم وادعاء غيبتهم وإنكار موتهم وإلا لقالوا بموت الإله* على حسب قانون التماثل السابق، وكذلك أدى إلى القول بنفي كل الأسماء والصفات أو بعضها للفرار من التمثيل على حسب ظنهم ـ راجع التعطيل*، الجهمية* ـ كما أدى إلى القول بالتأويل* لنفس الشبهة السابقة، وقد عصم الله أهل السنة والجماعة* من الزيغ والضلال حيث آمنوا بهذه الأسماء والصفات من غير تحريف* ولا تعطيل* ولا تكييف* ولا التمثيل الذي نفوه عن الله تعالى نفيًا مطلقًا لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] لأن الأصل عندهم أن الاتفاق في أصل المعنى لا يلزم منه وقوع المماثلة في الواجبات والخصائص ـ راجع التشبيه ـ.

التناسخ: من العقائد الفاسدة التي يقصد بها انتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي، إنسانًا كان أم حيوانًا، وذلك لمنح الروح الفرصة بعد الفرصة لكي تتطهر من أدرانها على أساس أن الحياة قصيرة ولابد من إعطاء الروح وقتًا كافيًا لكي تتحرر من أخطائها. ويعرف التناسخ بتجوال الروح، أو تكرار المولد.

ويرى فيثاغورس تناسخ الأرواح بين الإنسان والحيوان، وفي الديانات الهندية ـ الهندوسية والبوذية والجينية ـ أن الروح لا تُحاسَب بعد حياتها الأولى مباشرة إذ لا قيامة ولا حساب ولا جزاء في الآخرة، إذ لا دار إلا الدار الدنيا، أما القيامة فهي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر، إن خيرًا فخير بداخل الأجسام الإنسية المنعمة، وإن شرًا فشر بداخل الأجسام الرديئة من الكلاب والخنازير.

يعد قانون الجزاء الهندوسي (الكارما) هو الأساس الفلسفي الذي قامت عليه عقيدة التناسخ بزعم أن الرب والروح ومادة الخلق أزلية، وبالتالي فالروح على ذلك لا تفنى فناءً كاملاً، ولذلك يتم لها ما يسمى بتكرار المولد حتى تتطهر روح الإنسان وتنتهي رغباته عند ذاك، وعلى ذلك تتوقف حياة الإنسان المادية فيبقى الإنسان بعدها روحًا خالدًا متحدًا مع برهما. أما البوذية فتؤمن بالتناسخ، أيضًا، ولكن ليس بتناسخ الأرواح التي تنكر وجودها، ولكن بتناسخ الكرما التي اعتبرتها أساس كل شيء في الوجود، وعلى أساسها ينتقل الإنسان إلى حياة جديدة. وقد تأثر المانوية من المجوس* بعقيدة التناسخ، وكان من أكبر لوازمها عندهم الاعتقاد بعدم انقطاع النبوة* والرسالة*، فيعتقدون أنه إذا ما مات رسول حلت روحه في بدن آخر مختار لحمل الرسالة وتولي أدائها، وهذا ما ترك آثاره السيئة على الأمة الإسلامية فظهرت دعاوى النبوة المزعومة في التاريخ الإسلامي وبخاصة بين غلاة الشيعة ـ راجع المجوس ـ.

وأول من قال بتناسخ الأرواح بعد الإسلام السبئية* «أصحاب عبدالله بن سبأ» وذلك في محاولة منهم لتزييف المفاهيم الأساسية لحدود العلاقات بين الله تبارك وتعالى والنبي،* ﷺ،

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتبنى القول بهذه العقيدة الفرق الباطنية* من أمثال النصيرية والدروز، إلا أنه يقتصر على الأجسام الإنسية فقط عند الدروز، وكانت من أهم الآثار الاعتقادية لنظرية التناسخ القول بالحلول* .

التنجيم: المقصود به الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو نوعان:

١ـ علم التأثير: وهو ما يدَّعيه أهل التنجيم لمعرفة الغيب اعتمادًا على النظرية القائلة بتأثير النجوم في شؤون السفليات بما فيها الإنسان والحرب والسلم، والسعد والنحس. واختلط التنجيم في العصور الوسطى بعلمي الكيمياء القديمة والسحر، وانفصل عن علم الفلك بعد ظهور كوبرنيكوس.

ويدَّعي أصحاب معرفة حوادث المستقبل وكشف الطالع أن ما يحدث في الكون وما يجري للإنسان ذو اتصال سببي بحركات النجوم ومواقعها. ولهذا فهو ضرب من ضروب السحر وشعبة من شعب الكهانة* . ويقول رسول الله، ﷺ : «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد»[1] . وقد اشتهر به في القديم الصابئة عباد الكواكب الذين بنوا لها الهياكل وعبدوها وعظموها، وكذلك الفلاسفة الذين عدوا هذه الكواكب عقولاً فاضت عن العقل الفعال وهي تفيض على باقي المخلوقات. وقد تأثر بهذا النوع العرب بعد ترجمة المؤلفات الإغريقية اليونانية والهندية والفارسية الخاصة بهذا العلم، فضلاً عن الاعتقادات التي كانت شائعة بين عرب الجزيرة وأهل مصر والشام وشمال أفريقيا، وأصبح المنجمون مستشارين في بلاط بعض السلاطين. ومن أشهر من اشتغل به أبو معشر البلخي صاحب المصنفات العديدة في هذا الباب، وإلى اليوم ما زال للتنجيم رجاله ودعاته في الدول الأوربية والإسلامية على حد سواء، بل أصبح له اتحاد عالمي في باريس، وتخصص له بعض الصحف أبوابًا ثابتة يوميًا تحت عنوان «أنت والنجوم» أو «حظك اليوم»، وهذا النوع من التنجيم باطل، ويعد شركًا أكبر مُخرجًا من الملة* إن ادَّعى أن النجوم والكواكب فاعلة أو مؤثرة، وإن اعتقد أنها مقارنة للحوادث الأرضية لا تفارقها، فهو مشرك شركًا أصغر يخل

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٦) ومسلم (١٧٠٩).

بكمال التوحيد، لدعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب يقول تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] ويقول جل شأنه ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] ويقول سبحانه وتعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] بالإضافة إلى ما يتضمنه هذا التنجيم من تقديم أنواع العبادة المختلفة من دعاء وتعظيم ـ إلى النجوم مما يعد شركًا أكبر، يقول ابن تيمية مبينًا خطورة التنجيم والمنجمين «فإن هؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت بإجماع المسلمين، وثبت عن النبي، * ﷺ، برواية الصديق عنه أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1]، وأي منكرٍ أنكر من عمل هؤلاء الأخباث، سوس الملك، وأعداء الرسل، وأفراخ الصابئة عبَّاد الكواكب، فهل كانت بعثة الخليل، صلاة الله وسلامه عليه، إمام الحنفاء إلا إلى سلف هؤلاء، وهل عبدت الأوثان في غالب الأمر إلا من رأي هذا الصنف الخبيث، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله» **مجموع الفتاوى** ٣٥/ ١٩٥، ويعرف المشتغل به بـ «المنجم» و «الكاهن»* وأحيانًا يطلق عليه «عرَّاف».

٢ـ علم التسيير «علم الفلك»: أي كيف تسير النجوم والكواكب، فهو علم طبيعي ينظر في النجوم والكواكب من حيث مواضعها وحركاتها، بالإضافة إلى انتقال الشمس في البروج، أو يبحث في كسوف الشمس وخسوف القمر للاستدلال على اتجاه القبلة والأوقات والجهات الأصلية وهذا جائز شرعًا، ولا بأس به بل كثيرٌ منه نافع ووسيلة إلى معرفة العبادات ويهتدي بها المسافر، كما يحسب بها التقاويم ويعرف به بروج الشتاء والصيف، وهبوب

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رقم (١) وابن ماجة (٤٠٠٥) وأبو داود (٤٣١٧) والترمذي (٣٠٥٧) وغيرهم عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»، وإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب» قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (١/ ١٥٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة تحت رقم (٣٢٣٦) (٢/ ٣٦٧).

الرياح، وإصلاح الثمار، يقول تعالى ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، ويعرف المشتغل به باسم «الفلكي».

التنزيه: حقيقته عند أهل السنة والجماعة* أن ينفي عن الله ما لا يليق به شرعًا وعقلاً، كالولد والوالد والشريك والند، ونفي التمثيل* والتجسيم وغير ذلك مما نزه الله تعالى عنه نفسه في كتابه أو على لسان رسوله* ﷺ، وذلك لكماله في ذاته وصفاته وفي وحدانيته وقيوميته، ولغناه المطلق عن كل من سواه في الوقت الذي يحتاج إليه كل ما عداه. يقول تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول تعالى ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] ويقوم التنزيه عند أهل السنة والجماعة على أربعة أصول:

الأصل الأول: أن يكون التنزيه بلا تعطيل* للصفات الثبوتية، ولا يكون ذلك عند أهل السنة* إلا بإثبات الصفات الثابتة لله تعالى، والتنزيه فيها بنفي مماثلتها لصفات الخلق، بالإضافة إلى تنزيه الخالق جل وعلا عن صفات النقص ونفيها نفيًا مطلقًا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «فإن هذه النقائص يجب نفيها مطلقًا، وأما صفات الكمال فيجب نفي التشبيه* والتمثيل* فيها» **نقض التأسيس** ج ١ ص ٥٧.

الأصل الثاني: اتباع طريقة القرآن الكريم في الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات؛ لأن النفي كلما أجمل كان أدل على التنزيه من كل وجه كما قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]. وذلك عكس قاعدة الأشاعرة في التنزيه من التفصيل في النفي مع الإجمال في الإثبات على غير طريقة القرآن الكريم والسنة المطهرة في النفي والإثبات بالإضافة إلى أصلهم الثاني في التنزيه والمبني على أساس مخالفة الله تعالى للحوادث موافقة للمعتزلة مما استلزم ذلك منهم نفي بعض صفات الكمال الثابتة لله جل وعلا بالسمع ـ الشرع ـ والعقل معًا مثل ـ العلو وغيره ـ.

الأصل الثالث: إثبات كمال ضد ما ينفى وينزه الله عنه؛ لأن النفي المحض لا يكون كمالاً. يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفى تعالى عن نفسه النوم والنعاس لكمال حياته وقيوميته جل وعلا.

الأصل الرابع: اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في النفي إذ ينفي عنه تعالى كل ما ضاد صفات كماله واستلزم نقصًا أو عجزًا، كما ينفي عنه سبحانه كل ما نفاه عن نفسه تفصيلاً.

أما ما لم يرد في الكتاب والسنة من الاصطلاحات* الحادثة المتعلقة بالله جل وعلا والمتضمنة للحق والباطل في معناها فلا تنفى مطلقًا حتى يتبين وجه الحق منها فيقر ووجه الباطل فيها فينفى ـ راجع الاصطلاح ـ.

أما التنزيه عند المعتزلة فهو الإيمان بذات الله تعالى مجردة عن جميع الصفات بل وموصوفة بأنواع من السلوب التي تجعل وجود الله تعالى وجودًا ذهنيًا لا حقيقة له في الخارج أو مجردًا أشبه بالموجود الذي وصفه أرسطو.

التنظيم: هو تكوين يضم مجموعة من الناس من ذوي الاتجاه الواحد والنظرة المتماثلة والمبادىء المشتركة والهدف المتفق عليه والسعي على تنفيذه، ويرتبط أفراد التنظيم بعضهم ببعض بقواعد تنظيمية مقبولة ومتفق عليها تحدد علاقاتهم في اثناء العمل والنشاط كما تحدد أسلوبهم في تحقيق هدفهم.

ويأخذ التنظيم شكل حزب أو اتحاد أو هيئة أو جماعة أو جمعية* أو منظمة، على أن تتوافر عناصر التنظيم الرئيسية من:

١ـ أفراد ذوي اتجاه واحد.

٢ـ قاعدة تنظيمية يترابطون على أساسها.

٣ـ هدف مشترك يسعون لتحقيقه.

بعد سقوط الخلافة* الإسلامية، وانفراط عقد دولة الإسلام، واستبدال القوانين الوضعية* بالشريعة الإسلامية*، نشأت عدة تنظيمات إسلامية في شكل جمعيات* أو هيئات متعددة تسعى إلى سد حاجة المسلمين ورعاية شؤونهم، بالإضافة إلى تولي واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعددت وسائلها في الدعوة إلى الله جل وعلا بهدف السعي لإقامة دولة الإسلام، ومما تجدر الإشارة إليه أن أول هذه الجمعيات الحديثة ظهورًا

في الدول العربية كانت جمعية* الشبان المسلمين والتي أسسها الأستاذ السلفي/ محب الدين الخطيب الذي يصفه الشيخ/ على الطنطاوي في كتابه **طرق الدعوة إلى الإسلام** بقوله:

٤ـ «الدعوة عن طريق الصحف والمجلات... كما فعل (محب الدين الخطيب)، وهو أبو الحركة الإسلامية الجديدة في مصر، كان قلمه أول قلم دعا إليها، وكانت مطبعته (ومكتبته) السلفية أول مطبعة وقفت عليها وكانت مجلته «الفتح» أول مجلة إسلامية في مصر... وقد شاركه الأساتذة / محمود شاكر، وعبدالمنعم خلاف، وعبدالسلام هارون، والشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر، والشيخ أحمد تيمور» وقد تلاها العديد من الجمعيات التي أشير إلى بعضها في هذه الموسوعة*، وبالإشارة إلى ما مر بيانه عند معالجة مصطلح* البيعة* أن التحالف أو إنشاء التنظيمات بقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مظان الاجتهاد* بين العلماء، فمن العلماء من رأى عدم مشروعيتها اكتفاءً بجماعة المسلمين العامة ورابطة التآخي بينهم أو لدعوى نسخها، وكذلك لما قد يترتب عليها من تفريق لكلمة الأمة وظهور للحزبيات والعصبيات المنهي عنها، الأمر الذي ترتب عليه التهارج والتلاعن الذي أوجب الفشل وذهاب الريح وتسلط الأعداء على أمة الإسلام في فترات معينة من تاريخنا الإسلامي. ـ راجع البيعة ـ ومنهم من رأى مشروعية قيام الأحلاف حتى داخل الدولة الإسلامية شريطة عدم التحيز والانفصال عن جماعة المسلمين، بل هناك من أوجبها عند شغور الزمان من دولة الإسلام، وشرع مطاع من باب مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

يقول الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية** «باب الخلاصة: الخلاصة لأبحاث حكم الانتماء...

٥ ـ الانحياز والانفصال من فرد أو جماعة عن (جماعة المسلمين) (أهل السنة والجماعة)* بمخالفة شرعية في اعتقاد أو تعبد أو سلوك، مخترعة شعاراً أو أصولاً أو قواعد تجعلها قوانين للجماعة والمنتمين إليها، وتعقد الولاء* والبراء* عليها وعلى جماعتها، وعلى شعارها وحمله، أو بشيء من ذلك، فهذا انفصال عن جماعة المسلمين، تعتمده فرقة من الفرق البدعية تقترب من الصراط، وتبتعد بقدر ما لديها من مخالفة أو مخالفات» يشير فضيلته إلى ما أصّله الإمام الشاطبي من قاعدة كلية للحكم على تجمع ما أنه من الفرق الضالة

وذلك بمخالفته أهل السنة في أصل كلي، موافقًا بذلك بعض الفرق أو بدع جزئية متعددة فإنه يلحق بتلك الفرقة التي وافقها ـ انظر الخوارج ـ* ثم يقول:

٦ـ منابذة كل جماعة منحرفة عن الإسلام وإن أعلنته شعارًا كالقاديانية وغيرها.

أما أي جماعة خلطت عملاً صالحًا وآخر سيئًا فنواليها بقدر ما لديها من صلاح، ونتبرأ مما لديها من مخالفات، ولا يجوز بحال من الأحوال الانتماء إليها، ونعمل جاهدين إلى استصلاح حالها بدعوتها إلى راية التوحيد وترك التحزب...

٧ـ إذا تجاوزنا تشقيق جماعة المسلمين إلى أحزاب وجماعات، وانطلقنا من قاعدة التعاون والنصرة في الإسلام فاعلم أن الدعوة إلى الله بمفهومها العام، كما تكون من الفرد تكون بتعاون جماعة المسلمين، أو من شاء الله منهم... ويمكن تصنيفها حسب أحوال المسلمين اليوم كالتالي:

(أ) إذا كان المسلم في بلد إسلامي ولايته شرعية، والشريعة فيه قائمة، ودعوة التوحيد فيه ظاهرة، فأهله هم (جماعة المسلمين) في تلك البلاد، وعلى أهل العلم منهم واجب الدعوة والبلاغ، وألا يكونوا بمعزل عن واقع أمتهم... وليهبوا أفرادًا وجماعات كل بما يسر الله له، وما يكون الأصلح للأحوال، والأنفع للأمة، فجماعة للحسبة، وجماعة للدعوة والإرشاد، وأخرى لمتابعة الغزو الفكري وصده، وهكذا... سواء كانوا بذلك جماعة أو جماعات، أو أفردًا، ولكن ذلك مشروط ـ وايم الله ـ بألا يكون فيه تحيز وانفصال عن جماعتهم الأصل (جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة*) فلا يجوز لأحد بحال أن ينفصل وينحاز عن جماعة المسلمين هذه، بدعوة يعقد الولاء* والبراء* على ما انفصل فيها...» ص١٧٥، ١٨٧.

ومن العلماء من قال بمشروعية تلك التنظيمات قياسًا على جماعة السفر التي قال عنها النبي* ﷺ «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[١] سواءً أخذت هذه التنظيمات شكل

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٨) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قال الألباني: حديث صحيح انظر صحيح أبي داود (٢٢٧٢) وصحيح الجامع الصغير (٥٠٠) وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٢٢).

جمعية* أو هيئة أو منظمة أو جماعة بل ذهب بعضهم إلى القول بوجوبها، وبخاصة عند شغور الزمان من إمام مطاع وشرع متبع من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يقول إمام الحرمين الجويني في **غياث الأمم عن التياث الظلم** «ولو سعى عند شغور الزمان طوائف من ذوي النجدة والبأس في نفض طرق السعاة في الأرض بالفساد فهو من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . . وإذا لم يصادف الناس قوّامًا بأمورهم يلوذون به فيستحيل أن يؤمروا بالقعود عما يقتدرون عليه من دفع الفساد، فإنهم لو تقاعدوا عن الممكن عمّ الفساد البلاد والعباد» ص ٣٨٦-٣٨٧. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في **جامع الرسائل** «وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلابد من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم به المطاع. . . وإذا لم يكونوا على شريعة منزلة من عند الله، فإما أن يكونوا على شريعة غير منزلة أو سياسة وضعها بعض المعظمين فيهم بنوع قدرة وعلم ونحو ذلك، وما بقدرة من هذه الأمور الجامعة أوجب التحالف بينهم. . .» ج ٢ ص ٣٠٩ .

وقد سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: هل تعتبر قيام جماعات إسلامية في البلدان الإسلامية لاحتضان الشباب وتربيتهم على الإسلام من إيجابيات العصر؟

فأجاب قائلاً: «وجود هذه الجماعات الإسلامية فيه خير للمسلمين، ولكن عليها أن تجتهد في إيضاح الحق مع دليله، وألا تتنافر مع بعضها، وأن تجتهد بالتعاون فيما بينها، وأن تحب إحداها الأخرى، وتنصح لها وتنشر محاسنها، وتحرص على ترك ما يشوش بينها وبين غيرها، ولا مانع أن تكون هناك جماعات إذا كانت تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ». (**مجلة البحوث الإسلامية**) **العدد ٤٠** عام ١٤١٤هـ ص ١٥٢ .

ومن هذا يتبين أنهم قد اشترطوا لمشروعية قيام هذه التنظيمات شروطًا منها:

١- ألا تتحزب على أصل كلي أو بدع* جزئية كثيرة تخالف أصول أهل السنة والجماعة*.

٢- ألا تعقد ولاءها* وبراءها*، وتمتحن غيرها على أساس الانتساب إلى هذا الاجتماع.

٣- الانتماء إلى جماعة المسلمين بمفهومها الشامل.

يقول الدكتور صلاح الصاوي في **الثوابت والمتغيرات** «فكل جماعة تكرس لدى أفرادها مفهوم التمايز والانفصال وتزكي لديهم روح التشرذم والتهارج مع الآخرين، جماعة

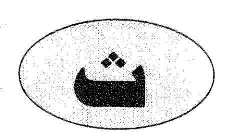
بدعية ضالة، لأن التزام الجماعة بمفهومها العام الشامل هو المخرج من الفتنة بنص الحديث. «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، حتى لو تميزت تنظيماتهم بأسماء لا تخرجهم عن شعار السنة والجماعة شريطة ألا يتعصب ولا يتحزب على هذا الاسم».

(ب) وقد انحرفت بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة بمخالفة شرط من هذه الشروط أو أكثر، فمنهم من خالفهم في أصول كلية مثل موافقتهم لمعتقدات الصوفية أو الروافض* من الشيعة* ، أو تكفير* عموم المسلمين وعقد الولاء* والبراء* على ذلك، أو وضع أصول وقواعد ما أنزل الله بها من سلطان وامتحان الناس بها، أو زعم أنها وحدها جماعة المسلمين، أو أنها الجماعة الأم التي يجب الانضواء تحت لوائها. يقول الدكتور يوسف القرضاوي في **فتاوى معاصرة** «وهناك على النقيض من هذه الفكرة فكرة أخرى: ترى العمل الجماعي فريضة وتحصر هذه الفريضة في جماعة معينة ترى أنها وحدها تمثل الحق الخالص، وما سواها هو الباطل ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. وبعبارة أخرى تصف هذه الفئة نفسها بأنها «جماعة المسلمين» وليست «جماعة من المسلمين» . . . ومن هؤلاء من يجعل الحق مع جماعته أو حزبه دون غيره، لمبررات موضوعية يسبغها على حزبه أو جماعته وحدها، وينفيها عن غيرها . . . وثمت آخرون يجعلون التقدم الزمني هو المعيار الأوحد، فمن سبق غيره فهو الجدير بأن يكون هو صاحب الحق، أو محتكر الحق والحقيقة. حتى زعم بعض الأحزاب في بعض البلاد الإسلامية أنه وحده يمثل الحق، لأنه الحزب الأول الذي أخذ زمام المبادرة، وكل حزب يشكل بعد ذلك يجب أن يلغي نفسه، ولا حق له في البقاء. . .» ص ٦٦٤، ٦٦٥.

التوراة: لفظة التوراة كلمة مستعربة عن أصلها العبري تورا، بمعنى القانون والتعليم والشريعة، وهي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى، عليه الصلاة والسلام، في طور سيناء، مشتملة على العقيدة والشريعة، كتب موسى منها ثلاث عشرة نسخة، وأعطى لكل سبط نسخة، ووضع نسخة في التابوت، وتطلق على الأسفار* الخمسة الأولى من العهد القديم («**سفر التكوين**» «**سفر الخليقة**»، و«**سفر الخروج**»، و«**سفر الأحبار**» «**سفر اللاويين**»، و«**سفر العدد**»، و«**سفر التثنية**»). وظلت التوراة على حالها مع بني إسرائيل إلى سنة

٥٨٦ ق. م. عندما هزم ملك بابل نبوخذ نصَّر بني إسرائيل، وساق الأعيان والوجهاء منهم إلى بابل، ظن علماؤهم أن ملكهم أوشك على الزوال، وأن النبي* المنتظر من آل إسماعيل على وشك الظهور، فعمدوا إلى تحريف التوراة بكتابتها من جديد، وجعلوا نصوص النبوءات عن النبي المنتظر من آل إسماعيل محتملة لمعنيين في نظر العوام: إما أن تدل على النبي المنتظر، وإما أن تدل على نبي يظهر من آل إسرائيل. وقد أعيدت كتابة التوراة في بابل تحت إشراف «عزرا» الورّاق المعروف في القرآن الكريم باسم «عزير»، وبعد أن حدث الخلاف بين عزرا واليهود السامريين عمد السامريون إلى تحريف* نصوص التوراة لاتهام العبرانيين بالتحريف، وسميت توراتهم بالسامرية على أن توراة عزرا سميت بالعبرانية.

وفي سنة ٢٨٥ـ٢٤٧ ق. م. في عهد بطليموس فيلادلفوس، وفي مدينة الإسكندرية ترجمت التوراة العبرانية (الأسفار* الخمسة) إلى اللغة اليونانية على يد سبعين عالمًا من علماء اليهود، وحدث بها تغيير لبعض معاني الآيات، وسميت بالتوراة السبعينية أو اليونانية، التي يقدمها النصارى على غيرها بعد اعتراف الرومان بالنصرانية سواء كانوا كاثوليك (ملكانية)، أو أرثوذكس (يعاقبة)، إلا أن البروتستانت أتباع مارتن لوثر رفضوا التوراة اليونانية واعتبروها مزيفة، ورجعوا إلى التوراة العبرانية. وتطلق التوراة مجازًا على العهد القديم* ، وتسمى في كتب العهدين باسم الناموس، وقد وردت كلمة التوراة في القرآن الكريم ١٨ مرة وتم تعريبها في عهد الرشيد على يد أحمد بن عبدالله بن سلام إلى العربية، وقيل غير ذلك.



الثنوية: مذهب* ديني فلسفي قديم يمثل أحد أطوار الديانة* المجوسية* ، شاع في بلاد فارس قبل النصرانية وبعدها، وانتسبت إليه فرق تحمل أسماء أصحابها، ومن أقدمها الزرادشتية والديصانية والمانوية والمزدكية.

وحاولت طائفة «المرقونية» المزج بين النصرانية والثنوية، ويقوم مذهب* الثنوية على أساس أن العالم مركب من أصلين قديمين أزليين وممتزجين هما: النور والظلمة، ويختلفان في الجوهر والطبع والصفات والفعل، فجوهر النور: الصفاء والنقاء والجمال، وجوهر الظلمة: القبح واللؤم. وفعل النور: الخير والصلاح، وفعل الظلمة: الشر والفساد والفوضى.

إلا أن طوائف الثنوية* تختلف في تقرير طريقة هذا الامتزاج، ولم يتأثر من المسلمين بالثنوية إلا قلة يسيرة اتهمت بالزندقة*.

الثورة: حركة* جماعية تضم مختلف عناصر الشعب أو الأمة، بما فيهم الدهماء والغوغاء في حركة خروج عن الأوضاع القائمة المضطربة والمنهارة. يطلق بعض الكتاب مصطلح الثورة للدلالة على:

١ـ تغييرات فجائية وجذرية، تتم في ظروف اجتماعية وسياسية معينة، أي عندما يتم تغيير الحكم القائم والنظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له بحكم آخر بصورة فجائية، وأحيانًا عنيفة، وهي بذلك وضع قانوني وسط بين الانقلاب والعصيان والتمرد من ناحية والحرب الأهلية من ناحية أخرى.

٢ـ تغييرات ذات طابع جذري غير سياسية حتى وإن تمت هذه التغييرات ببطء ودون عنف مثل الثورة العلمية والثورة الثقافية. وقد اهتم علماء السياسة والاجتماع بظاهرة الثورة وشرح مراحل العملية الثورية وأسبابها والنتائج التي تؤول إليها.

ويرى الأستاذ أنور الجندي أن مصطلح الثورة مصطلح غربي دخيل على المفاهيم الإسلامية التي تقر كلمة «الإصلاح»، كما تصور رسالات الأنبياء أنها دعوة إلى الإصلاح

وإلى تغيير الواقع الفاسد ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ . . . ﴾ الآية [هود: ٨٨] وقد أشار القرآن الكريم إلى التغيير ووضع قاعدته في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

وما كانت الثورات في العالم الإسلامي إلا تقليدًا للثورة الفرنسية وما تلاها من ثورات في أوربا في العصر الحديث، وبذلك كانت من دعائم التغريب والغزو الفكري. وأحيانًا يعبر السلف عن الفتنة بالثورة، مثل قولهم: الثورة على عثمان ويقصدون بها فتنة عثمان، رضي الله عنه، وكثيرًا ما يعبرون عنها بمصطلح الخروج مثل: خروج الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وخروج الزنج على الدولة العباسية، وخروج ابن الأشعث. وهكذا، إذن المصطلح* الشرعي للثورة هو الخروج سواءً أكان بحق أو بغير حق، وبما أن الخروج على الحكام أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر كما يقول ابن القيم، فقد وضع الشرع له شروطه وضوابطه ورتب على مخالفتها أحكامًا وتشريعات، ويستوي في ذلك من خرج بغير تأويل* كقُطّاع الطريق، أو من خرج بتأويل سائغ أو غير سائغ، أو كانت لهم شوكة وهم البغاة، أو من خرج بلا تأويل أو بتأويل باطل، مثل: الناكثون للعهد من ذميين ومستأمنين، والخارجون لمجرد العصبية الجاهلية. أو من منع حقًّا ثابتًا بلا تأويل لمجرد العناد والمكابرة وكذلك الأحزاب* السياسية العلمانية وغير المسلمة. فهؤلاء ليسوا بغاة ولكنهم من المرتدين فيقاتلون حتى يعودوا إلى الحق أو يتوبوا. على ما ذكر الدكتور عبدالله بن إبراهيم الطريقي في كتابه **مفهوم الطاعة والعصيان**.

وهناك نوع آخر يذكره لا خلاف عليه بين علماء المسلمين، وهو من خرج على الحاكم الكافر الكفر البواح الذي فيه من الله تعالى برهان لحديث عبادة بن الصامت « . . . إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»(١) وهذا يقدره العلماء أهل الاجتهاد في الدين والسياسة والأمور العسكرية. . ولا يترك للعواطف والحماسة ولا للآحاد لما يترتب عليه من المفاسد المتعلقة بمصير الأمة، وذلك بشرط أن يكون القصد منه إعلاء كلمة الله وإعزاز الدين وأهله، وأن تكون الراية بيد أهل الحق لا بيد المارقين، مع الأخذ في الاعتبار في ذلك كله أنه إذا كانت المصلحة راجحة رجحانًا ظاهرًا جاز الخروج أو وجب، وإلا فلا.

---

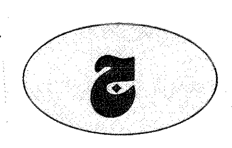
(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٤١) وأبو داود (٣٩٠٥) وغيرهما وصححه النووي في رياض الصالحين.

كما فرق الشارع بين أنواع المخروج عليهم: فإن كان مسلمًا عدلاً فتجب طاعته ومؤازرته وتعظيمه ولا يجوز الخروج عليه، ولا خذلانه ولا إهانته، وأما إن كان جائرًا أو فاسقًا أو ظالمًا أو مبتدعًا بدعة لا تخرجه من الإسلام فاختلف في حقه العلماء على أقوال كثيرة منها: جواز الخروج عليه إن لم تحدث فتنة، ومنهم من قال: لا يجوز الخروج مطلقًا. وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الفسق أو الظلم ليس من مسوغات الخروج على الحاكم لعموم قوله، ﷺ: «من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه»[١]. وقوله «.. اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»[٢]. ولا يعني الصبر عندهم عدم تقديم النصيحة ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال النووي في شرح صحيح مسلم «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين» ج ١٢ ص ٢٢٩. أما الأخير فقد سبقت الإشارة إليه وهو الحاكم الذي ظهر منه الكفر البواح الذي فيه من الله تعالى برهان فيجب الخروج عليه بعد مناصحته والإنكار عليه مع مراعاة الضوابط السابق ذكرها في حق الخارجين عليه وإلا فلا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣٥) ومسلم (١٨٤٩) عن ابن عباس.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٦) عن وائل.



الجاهلية: تعني فكرًا وأوضاعًا وحالات للفرد والمجتمع التي تشمل عقيدته وفكره ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية، وكل ما ينظم أمور حياته غير المنبثقة من كتاب الله وسنة نبيه، ﷺ، وبذلك فهي حالة ووصف يقابل وصف الإسلام.

وقد انقطعت الجاهلية العامة بمبعث النبي، ﷺ.

والجاهلية بمعناها الخاص غير مرتبطة بعصر من العصور أو بحقبة تاريخية معينة أو بلد ما، وإنما هي حالة تنسحب على كل من تلبَّسَ بها سواء كان فرداً أو مجتمعًا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما بعد مبعث النبي* ، ﷺ، فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي ديار الكفر، وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار إسلام» **اقتضاء الصراط المستقيم** ج ١ ص ٢٢٧ .

ولا يستلزم اتصاف من ثبت إسلامه بخصلة من خصال الجاهلية غير المكفرة، تكفيره* وخروجه من الإسلام، ولكنها في هذه الحالة تخل بكمال إيمانه كما ثبت ذلك في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا أن يستحل تلك الخصلة الجاهلية. وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم في أربعة مواضع مقيدة فيها مجال أو عمل مثل: «جاهلية الحكم والسلوك» في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، وجاهلية السلوك الاجتماعي ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وجاهلية السلوك الفردي ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ. . . ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، وجاهلية الروابط الاجتماعية ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]. وبالتالي لا يصح تجهيل مجتمعات المسلمين وإطلاق الحكم بتكفير أفرادها لتلبسهم بخصلة من خصالها.

جبرية: من الفرق الكلامية المنحرفة التي تقول بالجبر، بمعنى أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأن الله تعالى يخلق أفعالهم على الحقيقة، ولا دور لهم فيها، وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز. وأول من قال بهذه المقالة في الإسلام الجعد بن درهم، وأخذها

عن بيان بن سمعة اليهودي عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم زوج ابنته عن يهودي باليمن. وأول من أظهرها تلميذه الجهم بن صفوان بمدينة ترمذ في أوائل المائة الثانية للهجرة، ولذلك فإن الجهمية* أول من حمل لواء هذه الدعوة.

والجدير بالذكر هنا أن لفظ الجبر لفظ محدث لم يرد في النصوص الشرعية لما يتضمنه من معاني العجز، حيث إن العاجز هو الذي يجبره غيره، وتعالى الله وتقدس عن أن يجبر أحدًا وإنما خلق الله تعالى الفعل وجعل للعبد إرادة ومحبة واختيارًا جعلها الله تعالى مناط التكليف. وأما اللفظ الذي وردت به النصوص الشرعية فهو لفظ «الجبل» ودليل ذلك أن النبي، ﷺ، قال لأشج عبدالقيس «إن فيك لخلَّتين يحبهما الله: الحلم والحياء. قلت: قديمًا كان في أو حديثًا؟ قال: بل قديمًا قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلَّتين يحبهما الله ورسوله»[١].

ومن هذا يتضح أن بين لفظي الجبر والجبل فرق كبير من حيث المعنى، ومن حيث النهج السلفي العام في التعامل مع المصطلحات* ـ راجع الاصطلاح ـ فلفظ الجبل وردت به النصوص بينما لفظ الجبر لفظ محدث على حسب قاعدتهم في الألفاظ المحدثة.

قال ابن القيم في **التبيان** «والنبي*، ﷺ، أخبر بمثل ما أخبر به الرب تبارك وتعالى: أن العبد ميسر لما خلق له، لا مجبور، فالجبر لفظ بدعي، والتيسير لفظ القرآن والسنة...» ص٤١، ولهذا أنكر الأئمة على من قال «جبر الله العباد» كالثوري، والأوزاعي، والزبيدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وقالوا: الجبر لا يكون إلا من عاجز، كما يجبر الأب ابنته على خلاف مرادها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية الأمر الذي دعاهم إلى منع إطلاق الإثبات والنفي للجبر على حسب قاعدتهم في الألفاظ المحدثة.

ويرجع بعض الباحثين سبب انتشار القول بالجبر، إلى الصراع الشديد بين المعتزلة القائلة بخلق العباد لأفعالهم ـ راجع القدرية ـ وبين الزنادقة، وقد ظهرت هذه النزعات في عهد الصحابة ولكنهم استطاعوا بفضل الله وأدها في مهدها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٢٠٥ وأبو داود (٥٢٢٥) وابن أبي شيبة (٨: ٣٣٤، ١٢: ٢٠٢) وأبو نعيم في الحلية. والحديث في مسلم الإيمان (٢٥، ٢٦) بلفظ إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

وكما كان للقول بالجبر أنصاره في اليهودية والنصرانية والفرق الكلامية، فإنه ما زال له دعاته إلى يومنا هذا في شكل مدارس ومذاهب* كلامية وفلسفية معاصرة تركت آثارًا سيئة على واقع الأمة الإسلامية ومسيرتها الحضارية ـ انظر **القضاء والقدر** ـ.

ومما يجب التنبه إليه أن البعض يساوي بين الجبرية والحتمية*، والواقع أن بينهما فرقًا كبيرًا، فالجبرية ترد كل شيء إلى الله تعالى، بينما الحتمية ترد كل شيء إلى قانون الطبيعة*.

الجدل: انظر الديالكتيك

الجفر: أحد ركائز المعتقدات الباطنية*، إذ يطلق عندهم على علم من العلوم الغيبية المبنية على أسرار الحروف، ومنها يستدل على الحوادث المستقبلية حتى قيام الساعة ويدَّعي المشتغلون به كذبًا وبهتانًا أنه علم أسرَّه النبي*، ﷺ، إلى الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وأمره بتدوينه، فكتبه الإمام حروفًا متفرقة، أخذه جعفر الصادق عنه. والحق أن واضع هذا الكتاب هو هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية في عصره الذي ادعى روايته عن جعفر الصادق. وعلم الجفر في زعمهم يحيط بكل شيء، ويستدل منه على تفسير معاني القرآن على أساس باطن الكلمات والعبارات، لا على ظاهر معناها، وسمي الكتاب باسم الجفر على اسم جلد ولد الماعز ـ الجفر ـ ومن الافتراء ما يرويه الكليني عن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال «وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟ فقيل له: ما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل» هذا في الوقت الذي تبرأ فيه علي ابن أبي طالب أن يكون اختص هو أو أحد من ذريته بأي علم خاص. يروي البخاري «أنه قيل لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي، إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه، إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن. وما في هذه الصحيفة قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل (الدية)، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر»[١].

ومع ذلك يجعل الكليني الجفر في كتابه **أحد المصادر الأربعة الرئيسة للآثار عند الشيعة* الاثني عشرية**. والواقع أن عقيدة الجفر التي تقوم على حساب الحروف قد تسربت إلى الشيعة عن طريق اليهود وطريقتهم في حساب الجمّل، وإن كان أصلها يرجع إلى الفلسفة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

الفيثاغورسية في الأعداد وأول من قال بها الشيعة الخطابية كما يقرر ذلك الشيخ محمد أبو زهرة متابعًا للمقريزي في ذلك.

كما تعتقد بعض الطرق الصوفية وبخاصة الرفاعية في عقيدة الجفر. وعقيدة الجفر عقيدة باطلة؛ لأنها حسب قولهم من العلوم الغيبية التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، حتى إن رسوله ومصطفاه، ﷺ، أمره مولاه جل وعلا بتقرير ذلك بنفيه علم الغيب عن نفسه إلا بما يوحى إليه من ربه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ. . .﴾ الآية [الأعراف: ١٨٨]، فما بالك بغيره، ﷺ؟

جمعية: تعبير سياسي اجتماعي يطلق عادة على تجمع عدة أشخاص للدفاع عن مصالحهم المشتركة، أو تحقيق فكرة مشتركة ضمن حدود معينة وواضحة. ونصت بعض القوانين على استبعاد الربح ومبدأ المشاركة في تحديد اصطلاح الجمعية مثل القوانين الفرنسية والبلجيكية والإيطالية والإسبانية وغيرها من قوانين البلدان اللاتينية، وكذلك قانون الجمعيات الصادر في لبنان في عهد الدولة العثمانية في ٣ أغسطس ١٩٠٩م، إذ ورد في مادته الأولى: «الجمعية هي مجموع مؤلف من عدة أشخاص لتوحيد معلوماتهم أو مساعيهم بصورة دائمة والغرض لا يقصد به اقتسام الربح».

جمعية الاتحاد والترقي: جمعية* تركية نشأت في أوربا (يقال إنها تأسست عام ١٨٩٨م ـ ١٣١٦هـ تقريبًا) كحركة مناوئة لنظام الخلافة الإسلامية* العثمانية تحت ستار التجديد* والتحديث في الدولة العثمانية. وتكونت في البدء تحت اسم جمعية تركيا الفتاة (تأسست قبل عام ١٨٦٥م ـ ١٢٨٢هـ)، التي ركزت على النشاط الفكري، ثم تدرج العمل فيها، فكونت الجمعية خلايا سرية في الآستانة، حيث طاردهم رجال السلطان عبدالحميد، فنقلوا نشاطهم إلى باريس وسالونيك فانضم إلى صفوفهم العديد من يهود الدونمة، الذين أصبحوا من قيادات الحركة* بعد قيامهم بالانقلاب على الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م، وأعلنوا دستورًا جديدًا للبلاد، ثم ما لبثوا أن نحَّوا السلطان عن العرش، وفي عام ١٩٢٤م تم إلغاء الخلافة الإسلامية* وإعلان الطوارنية* كقومية تركية، وعملوا على التتريك ومعاداة العرب. ومن أشهر قادة الحركة*: طلعت، وجاويد، وجمال السفاح، وأنور، ونيازي، كما

انضم إليهم بعض العرب مثل: هادي العمري، وحقي العظم، وياسين الهاشمي، وطالب النقيب، وعزيز المصري، وعبدالرحمن الشهبندر، ويسلم الجزائري إلا أنهم سرعان ما خابت آمالهم نتيجة تبني قادة الحركة لتيار معاداة العرب فانفصلوا عنها. وقد كان للجمعية* فروعٌ في معظم الولايات العربية.

الجهاد: اسم جامع لسلوك كل سبب ووسيلة لإعلاء كلمة الدين* ومقاومة الأعداء والحذر والتحرز منهم. وعند الإطلاق يراد به قتال الكفار، وقد يراد به مقاومة الشر والسعي في إبطاله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصوره المختلفة، وعليه فإن الجهاد نوعان:

أولًا: جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم* وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية وتربيتهم العلمية والعملية، وهو أصل الجهاد وعليه يتأسس النوع الثاني.

ثانيًا: جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين، ومقاومتهم، وهو نوعان:

١ـ جهاد بالحجة والبرهان واللسان وهو خاص بالمنافقين والمتكلمين والمجادلين من أعداء الدين، وقد يكون بالمال والأقوال والأفعال، أو بالمباشرة وإعانة المباشرين، أو بالتحريض والتشجيع، كلٌّ بحسب قدرته واستطاعته إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦].

٢ـ جهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان وهو على أحوال:

(أ) إذا كان للمسلمين دار وسلطان ومنعة فإنه ينقسم إلى:

ـ جهاد ابتداء وطلب لتعقب الكفار في عقر دارهم لدعوتهم وهدايتهم إلى الإسلام، لا إلى القضاء عليهم، ولذا فإن لم يستجيبوا يقاتَلوا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وهذا النوع هو فرض كفاية، لا يقوم به آحاد المسلمين بل تقوم به الأمة، إلا إذا استنفر الإمام شخصًا بعينه أو أهل بلد بعينها، أو حضر المسلم عند تلاحم الصفوف، فإنه يصبح فرض عين عليه.

ـ جهاد دفاع: ويتعين بغلبة العدو على قطر من أقطار المسلمين، وحكمه فرض عين على المسلمين عمومًا حتى يندفع شر الأعداء، وهذا بإجماع* علماء المسلمين.

(ب) إذا لم يكن للمسلمين دار ولا سلطان ولا مَنعة فإنه يؤخذ بمراحل تشريع الجهاد التي

مرت بها سيرة النبي* ، ﷺ ، فيسلكون المسلك نفسه .

وبذلك يعلم أن الجهاد ليس مرادفًا للحرب والقتال، بل معناه أوسع وأعم، وأنه كحكم من الأحكام الشرعية يخضع لضوابط الشرع، وتحقيق شروطه . ومنها القدرة والاستطاعة .

أما عند الشيعة* الإمامية فيقول محمد جواد مغنية في كتابه **فقه الإمام جعفر الصادق** : «قسم الفقهاء ـ فقهاء الشيعة ـ الجهاد إلى نوعين: الأول جهاد الغزو في سبيل الله لنشر الإسلام . . . وهذا النوع من الجهاد لابد فيه من إذن الإمام، والثاني جهاد الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والمال والعرض. . . » وهذا الدفاع لا يشترط فيه إذن الإمام ولا نائبه الخاص أو العام، في الوقت الذي يسقط فيه الخميني الجهاد في غيبة الإمام، على أن للفقهاء الجامعين لشرائط الفتوى، القضاء وإجراء السياسات وسائر ما للإمام إلا البداءة بالجهاد .

هذا ولا معنى للجهاد وإقامة الحدود عند الجهمية* والجبرية*، إذ لا معنى للثواب والعقاب عندهم وقد تأثر بدعوتهما قطاعات كبيرة من الصوفية .

وفي العصر الحديث حرمت القاديانية والبهائية الجهاد. يقول ميرزا غلام أحمد: «اتركوا الآن فكرة الجهاد؛ لأن القتال للدين* قد حرم، وجاء الإمام والمسيح* ، ونزل نور من السماء، فلا جهاد، بل الذي يجاهد في سبيل الله الآن هو عدو الله ومنكر للنبي* . . . »، ويقول البهاء: «البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب» .

وقد تعرض مصطلح الجهاد كمصطلح شرعي نطقت به آيات الكتاب الكريم وأحاديث النبي* ، ﷺ، إلى ما تعرض إليه الكثير من المصطلحات الشرعية من محاولة تفريغ مضمونها وتحريف غاياتها نتيجة للغزو الفكري ـ راجع الاصطلاح ـ ولذلك فقد استبدل بمصطلح الجهاد هذه الألفاظ المستورده: الكفاح، والنضال، والمنهج الثوري والمنهج* الانقلابي . . . فليتنبه لذلك .

الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، قامت على البدع* الكلامية والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة*، متأثرة بعقائد وآراء اليهود والصابئة والمشركين والفلاسفة الضالين. وأول من قال بهذه العقيدة الفاسدة وإليه تنسب هو: الجهم

ابن صفوان، الذي أخذها عن الجعد بن درهم الذي أخذها عن أبان بن سمعان اليهودي. وأول ما ظهرت بدعتهم ظهرت في بلدة ترمذ بخراسان بلد الجهم بن صفوان، وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الجهمية إلى درجات ثلاث:

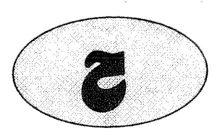
الأولى: وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وإن سموه بشيء من الأسماء الحسنى، قالوا: هي مجاز. ـ راجع التعطيل ـ .

الثانية: وهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى، لكنهم ينفون صفاته جل وعلا ولا يعني ذلك أنهم جبرية في القول بالقدر ـ راجع الجبرية ـ .

الثالثة: وهم الكثير من الفرق الكلامية وطائفة من أهل الحديث، كمحمد بن كلاب ومن اتبعه وأبي الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والتصوف، وهم يقرون بأسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته في الجملة، ولكنهم يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤولونها ـ راجع التأويل ـ.

وتتلخص آراء الجهمية العقدية في: إنكار جميع أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وجعلها جميعًا من باب المجاز، وفي القول بالإرجاء* في فعل الإنسان، وأن القرآن الكريم مخلوق، بالإضافة إلى نفي عذاب القبر والصراط والميزان ورؤية الله تعالى، والكثير من أمور اليوم الآخر. بالإضافة إلى قولهم إن الله ـ تعالى ـ في كل مكان، ومع كل أحد بذاته، وهو ما بنى عليه أهل الحلول* والاتحاد* مذهبهم*، ولا يزال لآرائهم وجود إذ تتبناها طوائف من العصريين الجدد، وتعمل على إحيائها تحت دعاوى وشعارات براقة.

جينات: جمع جينة، وهي الوحدة الأساسية التي جعلها الله ـ تعالى ـ سببًا لانتقال الصفات الوراثية في الكائنات الحية وتسمى المورثة. وهي عبارة عن أحماض نووية توجد على الصبغيات في ترتيب حلزوني وتتحكم في تكوين الصفات المورفولوجية النوعية، وذلك بضبط التفاعلات الكيميائية الحيوية، التي تتكاثر بصفة مستمرة. ولذلك يعارض علم الجينات فكرة نشوء الأجناس الجديدة من الأنواع المتطورة التي تقوم على أن الصفات الخاصة بكل جنس ثابتة وغير قابلة للنقص أو الزيادة، إذ أثبتت الجينات أن تغير تلك الصفات الوراثية تغيرًا جذريًا ينقلها إلى جنس جديد.



الحتمية التاريخية: مذهب* فلسفي مادي* سياسي قائم على القول بأن الحوادث التاريخية وجميع حوادث العالم، وبخاصة أفعال الإنسان، مرتبطة ببعضها بعضًا ارتباطًا محكمًا، وأن للعالم نظامًا كليًا دائمًا لا يشذ عنه شيء في الزمان ولا المكان، وأن كل شيء فيه ضروري. كما أنه من المحال أن يكون اطراد الأشياء ناشئًا عن المصادفة والاتفاق، فالطبيعة* مبرأة من كل إمكان خاص وجواز عام، وليس فيها ابتداء مطلق، ولا علة أولى، ولا طفرة، ولا معجزة*، بل حتمية* مطلقة، وبذلك أخفقت في التفسير الصحيح لتاريخ البشرية.

وكان هذا المفهوم الجبري* شائعًا في الفكر الشرقي القديم وفي الفكر اليوناني القديم، وبين الفلاسفة اللاهوتيين من النصارى «الأسقف* الفرنسي بوسويه» الذي قال: «إن الله هو الذي يتحكم بمجرى التاريخ مباشرة، وعبر مراسيم ربانية». ورينون نيبور الذي قال بدور العناية الإلهية في تحديد «بنية الوجود» ثم تطور هذا المفهوم إلى مفهوم الحتمية التاريخية، كما عرفته الأدبيات الفلسفية والسياسية في الأزمنة الحديثة، ومع بدايات عصر التنوير* الأوربي تبناه ماركس ودعا إليه. ومن ذلك يبدو مدى خطورة هذا المفهوم الذي يعني الإلغاء الكامل لكيان الإنسان الإيجابي وإرادته وفاعليته، بل وإلغاء القيم الأخلاقية كلها، مما يترتب عليه إلغاء المسؤولية التي يحملها الإنسان. بينما يتجلى المفهوم الإسلامي للحتمية في السنن الربانية غير القابلة للتبديل ولا التحويل، التي تحكم حياة البشر على الأرض، ولا تفرض سلوكًا قهريًا معينًا، وإنما تفرض نتائج حتمية على السلوك الذي يتخذه باختياره. مع العلم أن كل ما يجري في الكون هو بأمر الله ـ تعالى ـ ومشيئته، وعلمه المطلق.

الحديث الحسن: هو خبر الآحاد* الذي اتصل سنده براو عدل خف ضبطه من غير شذوذ ولا علة. وعلى ذلك يعد الحديث الحسن في مرتبة أقل من مرتبة الحديث الصحيح، وأعلى من الحديث الضعيف. وينقسم الحديث الحسن إلى نوعين: حسن لذاته وهو ما سبق تعريفه لتوافر جميع شروط حسنه فيه، ولا نتيجة شيء خارج عنه، ويرتقي إلى مرتبة الصحيح لغيره إذا روي من وجه آخر، أو عضد بعاضد. والحسن لغيره: وهو الحديث الذي أصله

ضعيف لوجود راو مستور، ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه، ولا متهمًا بالكذب في الحديث، ولا بسبب آخر مفسق، فإذا عضد بعاضد، براوية متابع أو شاهد صار حسنًا لغيره. ويحتج بالحديث الحسن بنوعيه ويعمل به، ومظان وجوده في كتب السنن والمسانيد، فلم يفرد له العلماء مصنفات خاصة كما أفردوا للصحيح* .

ويعد الإمام الترمذي أول من نشر وأذاع تقسيم الحديث إلى: صحيح وحسن وضعيف* ، حيث كان العلماء قبله يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف فقط. وينقسم الضعيف عندهم إلى نوعين: ضعيف ضعفًا لا يمتنع العمل به وهو الحسن في اصطلاح* الترمذي، وضعيف يجب تركه وهو الواهي.

الحديث الصحيح: الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى رسول* الله، ﷺ، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه، ولا يكون شاذًا ولا معللاً بعلة قادحة في صحته. ومظانه كتب الصحاح ومن أصحها صحيح البخاري وصحيح مسلم.

الحديث الضعيف: هو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح* ولا صفات الحسن* ، كأن يكون قد سقط من إسناده الصحابي (المرسل)* أو سقط من إسناده رجل أو ذكر رجل مبهم (المنقطع) أو سقط منه راويان بشرط التوالي (المعضل)، أو لم يصح سماع أحد رواته ممن عاصره ولقيه (مدلس)، أو اكتشف فيه علة تقدح في صحته وإن كان في الظاهر سليمًا من العلل (المعلل).

الحديث المتواتر: وهو ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه، على ألا يختل هذا الجمع في أي طبقة من طبقات السند. والمتواتر على نوعين: متواتر لفظي وهو الذي رواه جمع عن جمع مثله من أول السند ووسطه وآخره بلفظ واحد وصورة واحدة مثل حديث «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1]، والمتواتر المعنوي وهو ما اتفق رواته على معناه من غير مطابقة في اللفظ ومن أمثاله أحاديث رفع اليدين في الدعاء.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠) ومسلم (٣) عن أبي هريرة.

الحديث المرسل: أحد أقسام الحديث الضعيف، ويعرّف:

أولًا ـ عند المحدثين: هو ما رفعه التابعي إلى الرسول* ، ﷺ ، من قول أو فعل أو تقرير، صغيرًا كان التابعي أو كبيرًا، وقيده البعض بما يرفعه التابعي الكبير.

ثانيًا ـ عند الفقهاء والأصوليين: ما رفعه غير الصحابي إلى النبي*، ﷺ ، ويعد الحديث المرسل حُجة عند جماهير العلماء والمحدثين إذا جاء من وجه آخر صحيح مسندًا عن غير رجال الأول. واختلف العلماء في قبول مرسل التابعي إلى عدة أقوال منها:

١ـ أنه يحتج به مطلقًا، وهو قول الإمام أبي حنيفة والإمام مالك وقول للإمام أحمد.

٢ـ لا يحتج به مطلقًا، حكاه الإمام النووي عن جماهير المحدثين وعن الإمام الشافعي وكثير من الفقهاء والأصوليين.

٣ـ يحتج به إذا عضد بعاضد بأن يروى مرسلاً من وجه آخر أو مسندًا، أو يعمل به بعض الصحابة أو أكثر أهل العلم.

أما مراسيل صغار الصحابة فيما يروونه عن النبي*، ﷺ ، وهو ما يعرف بـ «مرسل الصحابي» مما لم يسمعوه أو يرووه بل نقلوه عن الصحابة عن النبي، ﷺ، فإنه عند أهل العلم في حكم الموصول، لأن الصحابة يروي بعضهم عن البعض وجهالتهم لا تضر.

الحديث المشهور: أولًا ـ عند علماء الحديث: هو ما اشترك في روايته ثلاثة أو أكثر عن شيخ، أو ماله طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم يبلغ حد التواتر.

ثانيًا ـ عند الفقهاء: يعرف المشهور باسم المستفيض، ومن الفقهاء من يغاير بينهما بأن يجعل المستفيض في ابتدائه وانتهائه سواء، والمشهور أعم منه، ومنهم من قال بالعكس.

ثالثًا: عند علماء الأصول: ما رواه من الصحابة عدد لم يبلغ حد التواتر* ثم تواتر بعدهم.

فمن المشهور ما هو صحيح* وحسن* وضعيف* تبعًا لحال رواته، وكذلك المستفيض حيث إن شهرته نسبية، فقد يكون الحديث مشهورًا عند علماء الحديث خاصة مثل حديث أنس بن مالك في الصحيح (أن رسول* الله، ﷺ ، قنت شهرًا بعد الركوع يدعو على رعل وذكوان)[1] ، أو مشهورًا عند الفقهاء مثل حديث «أبغض الحلال إلى الله

(١) أخرجه البخاري (١٠٠٣) عن أبي مجلز عن أنس بن مالك.

الطلاق»[١]، أو مشهوراً عند الأصوليين مثل «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٢]، أو مشهوراً على الألسن عند العوام «مداراة الناس صدقة»[٣]. ومنها ما هو مشهور عند العلماء بوجه عام والعوام، مثل حديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله»[٤]. ومثال المشهور الذي ليس له أصل «يوم صومكم يوم نحركم»[٥].

الحركة: في لغة السياسة هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها، بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، أو تحسينها جميعًا. وقد أصبحت كلمة الحركة تطلق الآن على كثير من التنظيمات* الاجتماعية والفكرية مثل الحركات الإسلامية، وحركات التحرير التي قامت في كثير من بلاد العالم.

حركة التنوير: هي تلك الحركة* الفلسفية التي برزت في ألمانيا أولاً باسم autklauun ، ثم انتقلت إلى فرنسا وإنجلترا وباقي دول أوربا على امتداد القرون: السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر مصاحبة لعصر النهضة الأوربية، وقد أخذت شكل الثورة على تقاليد الكنيسة؛ بسبب محاربتها العلم، مستخدمة العقل* والأساليب التجريبية في تغير نمط الحياة بما فيها من علم ودين* وأخلاق* وسياسة دون اعتبار للعادات والتقاليد، أو ما تراه السلطة السياسية بحجة الكشف عن الحقيقة وتأمين السعادة، وإعادة تشكيل المؤسسات على نحو يكون أشد قدرة على توفير التقدم الاجتماعي والانسجام. وكان تأثير الحضارة الإسلامية، وبخاصة كتب الفلسفة* والعلوم الرياضية والتطبيقية على العقلية الأوربية من

---

(١) (أبو داود ٢١٧٨) ابن ماجه (٢٠١٨) وغيرهما وضعفه الألباني ضعيف الجامع (٤٤).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ «وضع عن أمتي...» عن ثوبان قال الشيخ الألباني حديث صحيح. صحيح الجامع (٣٥١٥).
(٣) أخرجه ابن حبان والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان. ضعفه الشيخ الألباني السلسلة الضعيفة (٤٥٠٨).
(٤) أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠) عن ابن عمرو.
(٥) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٧٤) لا أصل له كما قال أحمد وغيره.

أهم أسباب تنور العقلية الأوربية وتسليحها بسلاح العلم والمعرفة مقابل نظريات الكنيسة* الجامدة، إذ تلقى قادة هذه الحركة* أمثال روجر بيكون صاحب المنهج* التجريبي في أوربا علومه في الأندلس، وكذلك علامة الغرب في علم الرياضيات ليونارد بيزانو تلقى علومه عن طريق المسلمين بالقسطنطينية وغيرها. بالإضافة إلى ما نقل عن طريق الحروب الصليبية وجزيرتي صقلية ومالطا من العلوم والمعارف الفكرية والحربية والتجارية والإدارية. وفي هذا يقول الدوميلي: «فقد كان لحركة نقل العلم العربي إلى العالم المسيحي أعمق الأثر، إذ تحقق هناك التطور الحاسم الذي كان لابد أن يعتمد عليه تجديد العلم الأوربي».

ويطلق التنوير على حسب تعريف الدكتور عبدالرحمن بن زيد الزنيدي: على الاتجاه الذي يتركز على المنهج التجريبي بصفته منهج* العلم الوحيد، مقرًّا ما يقره هذا المنهج كوجود الله ـ تعالى ـ مثلاً، ـ ولكن لا علاقة لله تعالى عندهم ولا لتعاليمه بالحياة الدنيا ـ وهو منهج نيوتن وجون لوك وغيرهما، ولكن بعد ذلك صارت تطلق على الفلسفات التي تحارب العالم الغيبي واصفة إياه بالظلام، ومن أشهر قادة هذه الحركة فولتير، وروسو، وهيوم. وفي العالم الإسلامي ظهرت دعاوى التنوير، وأصبح لها منابر ودعاة على الرغم من اختلاف الأسباب الداعية لذلك، انطلاقًا من التقليد والتبعية تارة، أو ردة فعل لبعض مظاهر الجمود لدى بعض من ينتسبون إلى الإسلام تارة أخرى، ومنشأ ذلك كله الجهل بحقيقة الإسلام، وقد سلكت دعاوى التنوير في العالم الإسلامي عدة مسالك:

أولًا: مسلك الدعوة الصارخة والفرض الحاكم للاندفاع في حاضرة العصر، والتضحية في سبيل ذلك بالدين* والتقاليد وبكل من يعارض هذا الاتجاه. وتم ذلك بقوة الحكم والتطبيق العملي، كما فعل أتاتورك وعبدالناصر وبورقيبة وأحزاب البعث وغيرهم، أو بانعكاسات دعوة بعض التغربيين من أبناء المسلمين أمثال الدكتور طه حسين والشيخ علي عبدالرازق وزكي نجيب محمود ومحمد أركون وصادق جلال العظم والدكتور فؤاد زكريا وغيرهم من الوضعيين واليساريين والوجوديين والليبراليين* .

ثانيًا: مسلك العصرنه العملية التخطيطية، وذلك بعصرنة شؤون وسياسات ونظم الدولة المختلفة، كلٌّ في مجاله، بما يعود على عصرنة حياة الناس في مختلف جوانبها.

ثالثاً: مسلك يرمي أصحابه إلى تطويع النصوص الشرعية ذات الدلالات الحاسمة على شخصية الأمة وتميزها ومفارقتها الشكلية والضمنية للأمم الكافرة، وبخاصة المتعلقة بمجالات الحكم والسياسة والاقتصاد والمرأة والقضاء وحد الردة، ومن أبرز سماتهم رفع رايات التعايش السلمي بين الأمم المسلمة والكافرة، والدعوة إلى أن الجهاد* في الإسلام إنما شرع للدفاع فقط، بل وصل الأمر ببعضهم إلى الدعوة إلى أخوة اليهود والنصارى للمسلمين، والتشكيك في كفرهم على أنهم أهل كتاب سابق، وكذلك إنكار حد الردة.

ويعد هذا المسلك أخطر من المسلكين السابقين، إذ يلبس أصحابه الذين كان لهم سابق فضل وجهاد ضد أهل القومية والمادية* والإلحاد*، مسوح أهل الإسلام في الوقت الذي يدعون فيه إلى العصرنه والتنوير تحت دعاوى تجديد الدين مستخدمين طاغوت* التحريف* ضد النصوص المخالفة لأهوائهم، كما سلط سلفهم من المعتزلة طاغوت التأويل تجاه نصوص الاعتقاد، وكما صنع الباطنية* تجاه نصوص الميعاد وغيرها، في محاولة لإيجاد نموذج ملفق للإسلام يجمع بين الإسلام وبعض مظاهر الجاهلية* الحديثة ـ راجع تجديد الدين ـ .

ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره، بأن يقيض لحمل هذا العلم من كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما قال، ﷺ،[(١)] وفي النهاية تبقى الحقيقة الناصعة أن الإسلام بمفهومه الصحيح أفضل منهج* للتنوير، إذ أخرج الناس من الظلمات إلى النور.

الحرية: حقيقة مفهوم الحرية عند المسلمين إنما هو تحرير الإنسان من أشكال العبودية لغير الله تعالى كافة، سواءً ما كان منها للشهوات أو للأهواء والمذاهب* والوثنيات* أو للأفكار التي تتعارض مع التوحيد الخالص لله تعالى، وذلك في إطار متوازن يجمع بين الحرية والمسؤولية، والحق والواجب كما يجمع بين الحقوق الفردية والجماعية. ومن هنا

(١) فيه الإشارة إلى حديث النبي، ﷺ، «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» رواه ابن عدي والعقيلي والخطيب وحسنه الحافظ العلائي ومال إلى تقويته الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٢٤٨.

جعل الإسلام الحرية أساس المسؤولية، ولذلك حرر الإنسان من الحتمية والجبرية الانهزامية واليأس والضعف، جاعلاً له إرادة واختياراً في حدود الحق والواجب، مرتبًا على تعديهما الحدود والتشريعات الرادعة حفاظًا على تلك الحرية التي هي مناط التكليف.

ويتجلى ذلك في رفع القيود والأغلال التي كبلت الإنسان في مختلف العصور والفلسفات من قيود العبودية والرق الفكري والجسدي، بالإضافة إلى قيود الجهل والخرافة، مرتفعًا به إلى أعلى مقامات الحرية والتكريم بأن جعله عبدًا خالصًا لله جل وعلا وحده لا شريك له، مستعليًا به فوق الأقليات الضيقة أو العنصرية البغيضة، إذ لا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى.

بينما نجد أن مفهوم الحرية في الفكر الغربي [Free-Liberty] يختلف تمامًا سواء كانت حرية نقابية [Freedom of assiclatijn] أو حرية جنيسة [Free Lave] أو حرية الإرادة [Free will] أو حتى أحرار الفكر [Free thinkers] أو إباحية [Libretinism] إذ تعني جميعًا «القدرة الذاتية على الاختيار دون أدنى جبر أو إكراه». وبمعنى آخر تعني «انسلاخ الفرد من كل ما تعارف عليه المجتمع من آداب وقوانين لتحقيق أقصى رغباته وشهواته دون قيد أو شرط أو إكراه من أي جهة كانت». وذلك دون أدنى اعتبار لحريات الآخرين. وتأتي الحرية عندهم في صور متعددة: ففي المفهوم السياسي هي ضد الاحتلال والاستعمار، وفي المفهوم الاجتماعي ضد الاستغلال والطغيان، وفي المفاهيم المادية والوجودية ضد القيود والضوابط أيًّا كانت، فهي حرية الفكر والبرهان العلمي، وعليه فإن الحرية الفكرية عندهم ضد الثوابت من العقائد والقيم إذا خالفت البرهان العلمي، ولذلك جاءت نظرية هيجل في التحول المطلق ضد نظرية الثبات المطلق الأرسطية، وضد تلك المفاهيم الأفلاطونية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، والتي تقضي بأن الأوصياء وحدهم هم الذين يجب أن يفكروا، أما العبيد فعليهم اتباع قادتهم مثل قطيع الغنم. هذه المفاهيم والنظريات التي أدت إلى الاستعلاء الكنسي والاستبداد الملكي والقول بأن «روما سادة وما حولها عبيد» جاءت نظرية هيجل لتحطمها، خاصة أنها صاحبت ظهور الثورة الصناعية مما جعل العقلية الأوربية تندفع نحو تحطيم كل الضوابط والقيود لكل ما هو ثابت ومطلق وروحي، والذي قاد في ظنهم إلى التخلف

والجمود. وفي الواقع أن هذه المفاهيم للحرية قد جرتهم من جديد لعبودية أشد، إذ استعبدتهم الشهوات، وسرت فيهم الشبهات، ونشأت بينهم مذاهب الشك الفلسفي واللاأدرية من جديد، وظهرت عدة أوثان عصرية دفعت بالإنسان الأوربي إلى الحياة البهيمية، مما أحدث عنده خواء روحيًا واضطراباً نفسيًا، تمثل في جماعات الهيبز وتزايد حالات الانتحار. ويمكن رد كلمة «الحرية» في تطورها الفلسفي إلى الثورة* الفرنسية التي قادها رجال المحافل الماسونية، وتمثل ذلك بعدة مراحل بدأت بفصل الدين* عن الدنيا، ثم بفصله عن العلم، ثم بفصل الدين عن الأخلاق*، من أجل تحطيم القيم والأخلاق، وتدمير قوى الأمم وشبابها ومقدراتها، لتحقيق الأهداف الصهيونية وتحرير اليهود من القيود المفروضة عليهم من المجتمعات الأوروبية، من حيث التعامل وإقامة العبادات وغير ذلك. يقول البروتوكول* الأول من بروتوكولات حكماء صهيون:

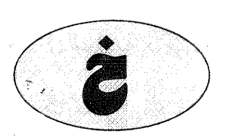
«كنا أول من نادى في جماهير الشعب بكلمة (الحرية ـ العدالة ـ المساواة)، وهي كلمات لم تزل تتردد إلى اليوم ويرددها من هم بالببغاوات أشبه، ينقضون على طعم الشَرَك من كل جو وسماء، فأفسدوا على العالم رفاهيته، كما أفسدوا على الفرد حريته الحقيقية، وكانت من قبل في حرز من عبث الدهما». ويقول: «كلمة حرية تجر الجماعات إلى مقاتلة كل قوة وسلطة، حتى إنها لتقاتل الله وتقاوم سننه في الطبيعة* . . .».

ويتبنى هذه المفاهيم للحرية للأسف الشديد بعض الذين يدَّعون التنور والعصرانية في مجتمعاتنا، متناسين أنه كان لهذه الدعوة في الغرب ما يبررها إلى حد ما، إذ عبودية الإنسان لتشريعات ومفاهيم الكنيسة* المتسلطة ورجالها واستبداد الملوك ورجال الإقطاع، بينما حرر الإسلام الإنسان من أشكال الرق كافة، ووصل به إلى مقام أرفع من مقام الحرية وهو مقام التكريم ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الآية [الإسراء: ٧٠] بما يقتضيه ذلك التكريم من احترام إنسانيته، ورعاية لحقوقه من قبل دولته ومجتمعه وأفراده.

الحلول: تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض بني الإنسان، وامتزاجه به امتزاجًا كاملاً في الطبيعة والمشيئة، بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية،

الاثنينية والتغاير في وحدة غير منفصلة بين ذاتين كانتا متميزتين، فصارتا متحدتين ومتجانستين وهو ما يعرف بالحلول السرياني. وقد عرفت هذه الفكرة في النصرانية بفكرة اتحاد* اللاهوت* بالناسوت* ، أو حلول اللاهوت في الناسوت، إذ يزعمون أن الله حل في المسيح* الإنسان؛ ليتكون المسيح الإله* من طبيعتين، وبهما تأثرت الصوفية. وأول من تأثر بها هو الحلاج الذي قتل بسبب قوله بالحلول على هذا المعنى، إذ قال عن نفسه «أنا الحق» مدعيًا. وقد تأثر بالفلسفة* الطبيعية عند اليونان كما تأثر بهذا الاعتقاد الغلاة من الشيعة* ، الذين يعتقدون بحلول الله ـ تعالى ـ في جعفر الصادق، وكذلك السبئية* والنصيرية الذين يدَّعون حلول الله ـ تعالى ـ في علي ـ رضي الله عنه ـ، وتأثرت به الباطنية* مثل الإسماعيلية الذين يعتقدون حلول الله ـ تعالى ـ في شخص الحاكم بأمر الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الحواريون: هم الذين خُلصُوا ونُقُّوا من كل عيب، وقيل في سبب تسمية أصحاب عيسى بالحواريين لأنهم كانوا قصارين يغسلون الثياب ويبيضونها، أو لأنهم كانوا خلصاءه وأنصاره، وقد تتلمذوا عليه وتعلموا منه، وانتشروا في القرى يبشرون بني إسرائيل بدعوته. وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم على هذا المعنى، وعددهم اثنا عشر على حسب رواية الأناجيل، ولكن النصارى يدّعون أن هؤلاء رسل* المسيح الذين اختارهم ليعاينوا حياته على الأرض ويروه بعد قيامته ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول روح القدس* عليهم.



الخبر : يعرف عند علماء الحديث كما يقول الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر : «الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث، فيطلقان على المرفوع، وعلى الموقوف، والمقطوع». وبذلك يشمل كل ما جاءِ عن الرسول*، ﷺ، وعن الصحابة والتابعين، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر ولا عكس. وقد يسمي المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار (أثرًا)، ويسمي فقهاء خراسان الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر.

الخلافة: مصطلح قرآني ورد بمعان متعددة، تتلخص في معنيين :

١ـ **خلافة كونية** : يشترك فيها الناس جميعًا لعبادة الله ـ تعالى ـ طواعية بالتزام هديه وطاعة أوامره، وينشأ عن ذلك ضبط السلوك الإنساني في علاقته مع الله والكون والمخلوقات من حوله، والإصلاح وإعمار الأرض. يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾ الآية [البقرة: ٣٠].

٢ـ **خلافة شرعية**: خاصة بالمؤمنين وحدهم سواء كانت (خلافة الأرض) على مستوى الأمم بوراثة الأمم الصالحة الأمم الكافرة بعد هلاكها، وقد انتهت هذه الخلافة إلى أمة النبي* ﷺ (أمة الدعوة). يقول تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ... ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٥]، أو خلافة الخلفاء على مستوى الأفراد من أتباع الأنبياء بعد انقضاء الأمة الصالحة، وهي خاصة بأمة الاستجابة من أمة النبي ﷺ. يقول تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ... ﴾ الآية [النور: ٥٥] وهي خلافة كسبية اختيارية يستطيع الإنسان الحصول عليها بالسعي إذا ما سلك إليها طريقها وقام بتكاليفها وحقق شروطها. وهي واجبة شرعًا لخلافة النبوة* وحراسة الدين*، بحفظه وإقامته وسياسة الدنيا به من إقامة العدل بين الناس، وإشاعة الأمن والاستقرار، وتهيئة ما يحتاجه الناس، واستثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية الرفاه الاقتصادي والعيش الكريم، وذلك لقول النبي، ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...»[1] الحديث.

---

(١) سبق تخريجه في مصطلح البدعة.

ولا تقوم هذه الخلافة إلا من خلال سلطة تنفيذية تستند إليها، وحكومة تقوم بتنفيذ متطلباتها، وقيادة تشرف عليها وتتحمل تكاليفها وأعباءها، يقول تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [ص: ٢٦]. ويقوم بها الأنبياء والرسل*، عليهم الصلاة والسلام، حال وجودهم، ويقوم بعدهم الخلفاء والأمراء الذين يقع عليهم الاختيار، من قبل أتباع الأنبياء من أهل الحل والعقد والعلماء وأهل الشورى، ثم يبايع جماهير المؤمنين على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، ما داموا ملتزمين بطاعة الله وتنفيذ شرعه. ولا يجوز الخروج على الخليفة المسلم أو عزله إلا لمبرر شرعي، مثل عجزه عن القيام بمهام الخلافة، أو ما يوجب اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين*، أو إصابته بجنون مطبق أو أسره بيد العدو على وجه لا يُرجى خلاصه، أو طروء الكفر* البواح الذي فيه من الله تعالى برهان. على أنه يجب مراعاة ضوابط المصلحة والمفسدة في كل ذلك. ويقول أهل السنة والجماعة بأن الخليفة من قريش إن توافرت شروطه، بينما يقرر ابن خلدون نظرية جديدة في عدم اشتراط القرشية المطلقة، واشتراط العصبية المطلقة بدلاً من ذلك، وذهب الخوارج* إلى أنها حق لكل عربي مسلم عدل، في الوقت الذي تكونت فيه عند الفلاسفة نظرية خاصة في ذلك متأثرة بفلسفة* اليونان، وبخاصة فلسفة أفلاطون في جمهوريته الفاضلة، والتي عبر عنها الفارابي في كتابه **آراء أهل المدينة الفاضلة** وإخوان الصفا في رسائلهم، ويتبنى المعتزلة وأتباعهم في العصر الحاضر القول بأنه يختار الأصلح دون التقيد بقرابة أو فرقة أو قبيلة. بينما الروافض* والشيعة* يقولون بأنها وراثية في آل بيت النبي، ﷺ.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت الخلافة بعد النبي، ﷺ، بصورها المختلفة، إذ انتشر الإسلام وقويت شوكة المسلمين في ظلها إلى أن انفرط عقد الخلافة ثم سقطت عام ١٩٢٤م على يد الكماليين الأتراك، بعد أن فقدت مقومات قيامها من الالتزام بالتوحيد الخالص لله تعالى، وطاعة أوامره، وانتشار البدع* والخرافات، وانحرافهم عن منهج* الله تعالى، وإدخال الكثير من النظم الغربية في أساليب الحكم والإدارة، فوقعت بذلك فريسة سهلة للقوى المتآمرة، وانفرطت إلى عدد من الدول المتعددة والمتناحرة.

ولن تعود الخلافة مرة أخرى إلا باتباع منهج* الأنبياء، فهو المنهج الوحيد المؤهل

لذلك بدليل قول النبي*، ﷺ: «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[(١)] وهو المنهج الذي وضحه الله تعالى بقوله ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقوله جل شأنه ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الخوارج: يعرفهم الشهرستاني بقوله: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيًا، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان».

وكان بعض السلف يسمي كل أصحاب الأهواء خوارج. والخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، إلا أنها انقسمت إلى عدة فرق تجاوزت العشرين فرقة، ولكن عدّ أهل المقالات كبار فرق الخوارج سبع فرق وهي: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والثعالبة، والعجاردة، والأباضية، والصفرية. ولم تتجاوز أصولها الأولى مسائل معدودة مثل: تكفير* مرتكب الكبيرة*، وبسبب وضعهم الدليل في غير مايدل عليه، فقد رتبوا على حكم تكفير مرتكب الكبيرة استحلال قتل المسلمين وفي ذلك يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «ذهبوا إلى الآيات التي أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»، ومن عقائدهم الأساسية وجوب الخروج على الأئمة المسلمين لارتكاب الفسق أو الظلم، وإنكار الشفاعة، وتكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم «عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وكل من رضي بالتحكيم»، وتكفير أصحاب الجمل بمن فيهم عائشة أم المؤمنين، وهذه المسائل على خلاف بينهم إلا في مسألتي تكفير مرتكب الكبيرة ومن رضي بالتحكيم وأهل الجمل، ومع ذلك لم يكن لهم كلام في مسائل القدر* والصفات والسمعيات.

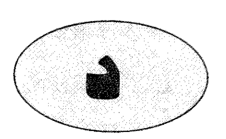
ولكن مع اختلاط الفرق وتجاري الأهواء بهم، ازدادت أصولهم وأصبحوا إحدى الفرق الكلامية إذ تأثروا بكلام الجهمية* في القرآن والرؤية، وبقول المعتزلة في الصفات، وخاضوا في مسائل القدر والسمعيات، وقالوا بعدم حجية خبر الآحاد* في العقائد على قول متأخري الأشاعرة والماتريدية بالإضافة إلى ردهم بعض الأحاديث التي يرون كفر راويها من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦).

الصحابة وما زعموا مخالفتها لكتاب الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في **الفرقان بين الحق والباطل**: وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه، لكن خرجوا عن السنة والجماعة، فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن، كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك»، كما قالوا بوجوب الخروج على الإمام الجائر، ولا يشترطون الإمامة في قريش ـ راجع الخلافة ـ. ومع هذا لم يحكم عليهم السلف بالكفر*، ولكن عدوهم من الفرق الهالكة الضالة النارية الاثنتين والسبعين التي أخبر عنها النبي* في حديث الافتراق المشهور. وفي زماننا هذا لم يعد لفرق الخوارج وجود سوى فرقة الأباضية، وتنتشر في سلطنة عُمان وجنوب ليبيا وبلاد المغرب العربي وزنجبار. كما تتبنى بعض أصولها بعض جماعات الغلو* المعاصرة المنتسبة لأهل السنة مثل جماعات التكفير والهجرة في مصر واليمن والأردن وباكستان وغيرها.

ومن المفيد هنا أن نذكر ما أصّله الإمام الشاطبي ـ يرحمه الله تعالى ـ من قاعدة كلية وأصل جامع في الحكم على تجمع معين بأنه ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة بقوله: «وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية وأهل السنة والجماعة*، في معنى كلي في الدين*، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات. . .» إلى قوله «ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة».



الديالكتيك (الجدل): طريقة في المناقشة والاستدلال، تختلف معانيها وأنواعها في المدارس الفلسفية والفكرية المختلفة. فعند سقراط تعني مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب، ولا يشترط أن يشترك فيها أكثر من شخص واحد، إذ يستطيع الشخص الواحد أن يلقي على نفسه السؤال ثم يجيب لنفسه عنه. أما عند أفلاطون فهي منهج* في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادىء الأولى والحقائق الأزلية.

أما عند أرسطو ومناطقة المسلمين فإنها تعبر عن قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات. وأطلق على طريقتهم في البرهنة على الميتافيزيقا* للتفريق بينها وبين المعرفة المستمدة من الظواهر.

ويعتبره كانط منطقيًا ظاهريًا في سفسطة* المصادرة على المطلوب وخداع الحواس، وانتقل به هيجل نقلة مختلفة عن سابقيه إذ لم يعده مجرد عملية استدلال، بل عده طريق سير لا في التدليل العقلي فقط، وإنما في تفسير التاريخ* والكون كله. ولذلك فإن الجدل عنده هو انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما، وهكذا حتى تصل إلى المطلق. وزعم أن هذه الطريقة هي نفسها طريقة التاريخ في سيره، واستعار ماركس المفهوم الجدلي لهيجل، ولكنه عكسه بأن جعل الحركة الجدلية تقوم أولاً بين أوضاع اقتصادية مادية قبل أن تكون منطقًا عقليًا، وعليه أقام نظريته المادية*.

والجدل عند علماء المسلمين هو المعرفة بالقواعد والحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه كما يقول ابن خلدون في مقدمته، أو كما يعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية «أن تقول كلامًا حقًّا يلزمك ويلزم المنازع لك أن يقوله، وإلا ظهر عناده وظلمه» **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ج ٢ ص ٤٣، وهو الجدال بالتي هي أحسن حسب الأمر القرآني لإقامة الحجة على المخالفين. على أن الجدل لا يكون وسيلة للدعوة،

وإنما هو فقط من باب دفع الصائل، وأحيانًا يكون الجدال واجبًا أو مستحبًا لمن يكون قادرًا عليه إحقاقًا للحق، وإقامة للحجة الإسلامية، وتبليغ رسالات الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد وضع له القرآن الكريم آدابًا وفصلها العلماء في كتب أدب المناظرة.

ديمقراطية نيابية: من مظاهر النظم الديمقراطية التي يمارس فيها الشعب مظاهر السيادة بواسطة مجلس منتخب من نواب من الشعب ـ راجع البرلمان ـ، وفيها يحتفظ الشعب بحق التدخل المباشر لممارسة بعض مظاهر السيادة عن طريق وسائل مختلفة أهمها:

١ـ حق الاقتراع الشعبي: بأن يقوم عدد من أفراد الشعب بوضع مشروع للقانون مجملاً أو مفصلاً، ثم يناقشه المجلس النيابي ويصوت عليه.

٢ـ حق الاستفتاء الشعبي: بأن يعرض القانون بعد إقرار البرلمان* له على الشعب ليقول كلمته فيه.

٣ـ حق الاعتراض الشعبي: وهو حق لعدد من الناخبين يحدده الدستور، للاعتراض في خلال مدة معينة من صدوره، ويترتب على ذلك عرضه على الشعب في استفتاء عام، فإن وافق عليه نُفذ وإلا بطل، وبه تأخذ معظم الدساتير المعاصرة.

ولا شك في أن النظم الديمقراطية أحد صور الشرك الحديثة في الطاعة والانقياد، أو في التشريع، إذ تلغي سيادة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وحقه في التشريع المطلق وفي توجيه الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييرًا أو وضعًا، وتجعلها من حقوق المخلوقين، والله تعالى يقول ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، ويقول تعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] وفي هذا يقول الدكتور صلاح الصاوي في **الثوابت والمتغيرات** «فإن هذا الأمر لا يكون إلا لله وحده، لا يشاركه فيه أحد، كما قال تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه النقطة تمثل مفترق الطرق بين المنهج* الإسلامي والمناهج العلمانية المعاصرة التي فصلت الدولة عن الدين*' ونقلت مصدرية الأحكام

والتشريعات إلى الأمة، تمارسها من خلال نوابها في المجالس النيابية، بحيث تستطيع بهذه السلطة أن تحل ما تشاء، وأن تحرم ما تشاء، لا سلطان عليها في ذلك لأحد، ولا رقابة عليها من أحد.

أما سلطة الأمة في الإسلام فهي تدور في فلك سيادة الشريعة، وليس لها ولو اجتمعت في صعيد واحد أن تحل شيئًا مما حرم الله، أو أن تحرم شيئًا مما أحل الله، أو أن تشرع شيئًا من الدين لم يأذن به الله» ص ٢٣٧ .

الدين: هو جملة المبادىء التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادًا أو عملاً.

في الاصطلاح العام: يعرف بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم للصلاح في الحال، والفلاح في المآل. وبهذا المعنى يختلف عن معنى الفلسفة* حيث إنها عمل إنساني يعتريه ما في طبيعة الإنسان من نقص وقابلية للتغير والتقلب بين الهدى والضلال.

وفي الاصطلاح الإسلامي الشرعي: التسليم والاستسلام لله تعالى وحده، وعبادته بما شرعه على لسان أنبيائه*، من العقائد والأحكام والآداب وكل شؤون المعاش. فهو منهج* للحياة، وهو ملة* الإسلام، ودين جميع الأنبياء والمرسلين* فالأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى، يقول تعالى ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ. . . ﴾ الآية [الشورى: ١٣].

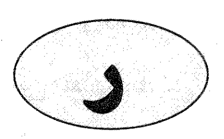
وهو الإسلام الرسالة الخاتمة التي لا يقبل الله تعالى غيرها، يقول تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقد ورد في القرآن الكريم بمعان عديدة منها: الخضوع والطاعة، والمذهب* والطريقة التي يسير عليها المرء نظريًا أو عمليًا، والملك والتصرف، والحكم والسلطان، فالكلمة تشير عند العرب إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له.

وفي الاصطلاح* الغربي: فإنه يختلف تمامًا عن معناه في الاصطلاح* الإسلامي، إذ يقوم المنهج* الغربي على إقصاء الدين عن مجالات التأثير الاجتماعي، بزعم أن الدين في تصورهم مرحلة زمنية في حياة الأمم تجاوزتها أوربا بفضل العلم ومعطيات العقل البشري.

ولهذا وصف القاموس الفرنسي رجل الدين بأنه لا يصلح لفهم أمور المعاش؛ بسبب انقطاعه عن صحبة الناس. ويؤكد ذلك بعض مفكري الغرب مثل جيبو بقوله: «إن الدين لا علاقة له بشؤون المعاش»، فيعرف الدين بأنه معنى جمع أو ربط ـ أي بمعنى ارتباط جماعة إنسانية بإله* أو آلهة. وتطرف بعضهم مثل فولتير وروسو بقولهم إن الدين من صنع الدهاة الماكرين من الكهنة* والقساوسة*، لعلاج أمراض المجتمع بكل حيلة.

وللحق فقد رد عليهم الكثير من علماء الغرب، ففي معجم **لاروس للقرن العشرين**: إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية . . . . . . وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية.

وعلى هذه المعاني السابقة سار التغريبيون من أبناء المسلمين، ونادوا بذلك في أدبياتهم ووسائل إعلامهم، متغافلين عن الفروق الجوهرية بين المعنى في الاصطلاحين الإسلامي والغربي، فالإسلام لم يعارض العلم وإنما حض عليه وفتح للمسلمين آفاق البحث، والقرآن الكريم هو المنطلق الحقيقي لظهور المنهج* العلمي التجريبي.



الرافضة: هي تلك الطائفة من الشيعة* التي تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة، بمن فيهم الشيخان ـ رضي الله عنهما ـ، على أن هذه الإمامة ركن من أركان الدين بنص النبي*، ﷺ، وأن الأنبياء والأئمة معصومون. ويشمل، أيضًا، كل من يقول بالبداء والرجعة* والغيبة والتولي والتبري إلا في حالة التقية*.

ويرجح العلماء سبب التسمية لرفضهم إمامة الشيخين وأكثر الصحابة، وقد أطلق عليهم هذا الاسم بعد رفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه؛ لعدم موافقته على أفكارهم، وكانت تسمى من قبل الخشبية والإمامية، ومن أشهر فرقهم الاثنا عشرية.

راهب: الراهب من النصارى هو ساكن الدير، والجمع رهبان، والرهبانية هي حياة جماعية تُقضى في أديرة خاصة لغرض ديني، أساسها نذر مثلث «الطاعة والفقر والتبتل». وتشمل النساء والرجال بزعم أن مؤسس الرهبنة هو المسيح*، عليه الصلاة والسلام، وهو زعم باطل نفاه الله تعالى عن نبيه* ورسوله* عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وأوضح أنه من جملة البدع التي ابتدعوها، ومع ذلك ما رعوها حق رعايتها. قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقد عرفت الديانات* الهندية [الهندوسية والبوذية والجينية] الرهبانية من قبل انطلاقاً من رؤيتهم، أن الدنيا هي مصدر الشر، بينما تنكرها السيخية، وتحث أتباعها على الاشتغال وكسب الرزق، وعرفها كذلك الرومان، إذ كانوا يرغمون العذارى على عدم الزواج لتكريسهن لخدمة النار المقدسة، كما كان لنظام الرهبنة وجود بين اليونانيين واليهود وقدماء المصريين، ولذا يرى بعض الباحثين أنه عن طريق هؤلاء أو بعضهم انتقلت الرهبنة إلى النصرانية، حيث بدأت في القرن الرابع الميلادي في صحراء مصر، ومنها انتقلت إلى فلسطين، ونصارى

الغرب. وتقتصر الرهبانية على الأرثوذكسية والكاثوليكية في الوقت الذي تحاربها البروتستانتية بشدة، وتسير الكنائس* الأرثوذكسية على نظام القديس باخوميوس «أبو الشركة» في مصر، أما رهبنة الغرب فمتنوعة ومتطورة، ولا يلزم الراهب أن يكون كاهنًا* والعكس بالعكس. وتشترط الكنيسة القبطية مرور ثلاث سنوات من الإعداد قبل منح رتبة الرهبنة، ثم يمر المرشح للرهبنة بطقوس معينة مثل انبطاحه على الأرض أمام رئيس الدير الذي يقرأ عليه صلاة التجنز. ويقص شعر رأسه على شكل صليب مرتديا أثناء ذلك ملابس معينة، لكل قطعة منها صلاة خاصة بها.

والإسلام ينكر الرهبانية لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ . . . ﴾ الآية [الحديد: ٢٧]، وفي الحديث «لا رهبانية في الإسلام»[١].

ربّي: أو رابي أورَبيِّ أو ربوني وجمعها رِبيون وفيها معنى التقدير والاحترام بين اليهود، وتعني في مخاطبتهم معلمًا دينيًا ممن يستنبطون الأحكام التشريعية من نصوص التوراة*، وورد بنفس المعنى في إنجيل* **يوحنا** ٢٠/١٦.

الرسول: هو من بعثه الله تعالى إلى قوم وأنزل عليه كتابًا أو لم ينزل عليه كتابا، ولكن أوحي إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله، على الراجح من أقوال العلماء. ومقام الرسالة فوق مقام النبوة*، فالرسل سفراء الله تعالى إلى خلقه، وهم حملة وحيه*، ومهمتهم الأولى البلاغ والبيان المبين للأوامر والنواهي والمعاني والعلوم، التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير لإقامة الحجة على الناس.

ومن أجّل مهماتهم إصلاح النفوس وتزكيتها بتعبيدها لله جل وعلا من خلال تقويم الفكر المعوج والعقائد الزائفة. ولذلك فإن الرسل هم ساسة أممهم في السلم والحرب، ويلون شؤون القضاء، ويقومون على رعاية مصالح الناس. قال الله تعالى: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقد ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًا* ورسولاً، وأشار

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة بنص «إن سياحة أمتي الجهاد . . . لا رهبانية في الإسلام»، وقد ورد في مسند الإمام أحمد في قوله ﷺ لعثمان بن مظعون «ياعثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا».

إلى أن هناك رسلاً لم يقصصهم على النبي، ﷺ . ومن أشهر الرسل على الإطلاق أولو العزم منهم، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلى الله وسلم عليهم جميعًا.

ومن لم يؤمن بالرسل على ما ذكر فقد ضل ضلالاً بعيدًا، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

والرسول في العقيدة النصرانية: هو أحد الرسل، وهم تلاميذ المسيح* الذين قاموا بنشر رسالته من بعده، فمنهم أربعة كتبوا الأناجيل* ـ في زعمهم ـ وخمسة كتبوا الرسائل كما يدعون، والباقون اقتصروا على التبشير ونشر الدعوة في أنحاء العالم، ومنهم: متى الذي سار إلى الحبشة، ومرقس الذي سار إلى مصر وإليه تنسب كنيستها* ، ويوحنا الذي سافر إلى الأناضول، وبولس الذي سافر إلى قبرص واليونان، وبطرس كبيرهم الذي سافر إلى روما وإليه تنسب كنيستها، وفيليبس الذي سافر إلى أفريقيا، وسمعان الذي سافر إلى فارس، وإندراوس الذي سافر إلى بيزنطة، وتوماس الذي سافر إلى الهند. هذا مع أن دعوة المسيح، عليه الصلاة والسلام، كما أكدها هو، هي دعوة محلية إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، يقول إنجيل* متى ١٠ : ٥، ٦ «إلى طرق الأمم لا تتجهوا، ومدن السامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحري إلى الخراف الضالة من آل بني إسرائيل».

الرواقية: مدرسة فلسفية يونانية أسسها زينون، ومنها انتقلت إلى روما في القرن الثاني قبل الميلاد، وترى أن ماهية الإنسان جزء من الوحدة الجامعة بين الله والطبيعة* ، وأن الكون تسري فيه روح كلية، وأن خالق هذا الكون ليس مفارقًا له، بل هو كامن فيه. وبهذا ترى أنها أول من وضعت بذور عقيدة وحدة الوجود* ، ولذلك كان للمدرسة الرواقية أكبر الأثر في انتقال هذه العقيدة إلى الصوفية والفلاسفة، كما دعت إلى تحكم الإرادة في الانفعالات الإنسانية من أجل تحقيق السعادة. وقد اجتذبت أعلامًا مثل سنكا وأبتكتاتوس وماركوس وأورليوس.

الروح القدس: يقصد به جبريل، عليه السلام، وهو ملك ذو رتبة رفيعة خلقه الله تعالى واتخذه رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيًا من خلقه، أو أمرًا كونيًا. وأصل

الكلمة في العبرانية «رواه» بمعنى الريح، ولذلك فإن الكلمة ـ الروح القدس ـ تأتي بمعان مجازية عديدة في التوراة* مثل: النسمة، التنفس، الشجاعة، القوة، الحكمة، نفس الإنسان، إذ تعوّد اليهود أن ينسبوا إلى الله تعالى ما كان يتعدى فهمهم، ويجهلون أسبابه الطبيعية، كقولهم في العاصفة غضب الله.

ويطلق على جبريل ـ الذي هو اسم عبري بمعنى رجل الله ـ عندهم في **التوراة** «روح الرب» كما في **سفر*** **أشعيا** ١١ : ٢ «ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب».

وقد ورد ذكر تسميته بالروح القدس في **سفر المزامير** ٥١ : ٩ـ١٠ «استر وجهك على خطاياي وامح كل آثامي . . . وروحك القدس لا تنزعه مني».

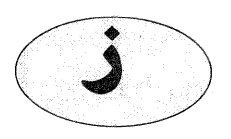
وللروح القدس في **الإنجيل*** معان عديدة بمثل ما جاء في **التوراة***: كالقدرة، والشجاعة ومنزل الوحي على الأنبياء* ، ومحرك الناس، وهاديهم، ومطهرهم، وهو ملاك الرب جبريل الذي بشر مريم بالمسيح*، عليه الصلاة والسلام، والذي سبق أن فسر لدانيال رؤياه والمذكور في المزامير بالروح القدس، ونتيجة لسوء الفهم تارة وللتحريف والتبديل الذي لحق بالأناجيل تارة أخرى اختلف النصارى حول حقيقة الروح القدس، فالموحدون منهم كآريوس ومقدنيوس ومن تبعهما قالوا بأنه مخلوق وليس بإله، بينما يراه المثلثون منهم أنه الأقنوم* الثالث الذي هو روح الله وحياته ـ انظر التثليث ـ قال ثيموثاوس بطريرك* كنيسة* الإسكندرية الذي تزعم القول بألوهيته في مجمع القسطنطنية الأول عام ٣٨١م «ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته . . .» وعلى ذلك تم الزيادة في قانون إيمانهم السابق إقراره في مجمع نيقية عام ٣٢٥م أن الروح القدس هو الرب المحيي المنبثق من: الآب* وحده، وله طبيعته وجوهره، وهو روح الله، وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة فيه على أن الله، تعالى عن قول الأرثوذكس، قبل التجسد كان يعرف بالآب وبعد التجسد عرف بالابن* وبعد القتل في زعمهم عرف بأقنوم الروح القدس. وبسبب الخلاف حول حقيقة الروح القدس حدث النزاع والشقاق الذي سبب الانفصال بين الكنيسة* الشرقية ـ القسطنطنية ـ التي ترى أن الروح القدس منبثق من الآب* وحده، وبين كنيسة روما الغربية التي تراه منبثقا عن الآب والابن معًا.

وهذا الأمر ـ أقنوم الروح القدس ـ ينكره أتباع شهود يهوه، إذ يعد عندهم ليس أكثر من قدرة الله التي يرسلها إلى المخلوقات لإتمام مقاصده.

ومن المفيد هنا أن نذكر رد شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي في كتابه **الأجوبة الفاخرة** على تلك الفرية «إن روح القدس عندهم هو حياة الله تعالى، وتجسد المسيح* منها يقتضي انقلاب الحقائق، فإن الحياة معنى من المعاني كالإرادة والعلم، وصيرورة الحياة جسدًا كصيرورة اللون رائحة والطعم حركة والأعراض أجسامًا، وذلك كله محال، فالقول بتجسيد الروح القدس محال...». كما جاء الروح في الإنجيل* بمعنى النبوة* بدليل ما جاء في الإصحاح الرابع من رسائل **يوحنا**..: «أيها الأحباب لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من عند الله؛ لأن الأنبياء الكذبة كثيرون. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد فهو من الله»، كما جاء عندهم بلفظ المعزي وروح الله وروح الحق. ويرجع بعض الباحثين السبب الرئيسي لتعدد هذه الأسماء إلى أن النساخ والكتاب والمترجمين للأناجيل* يعمدون إلى الأسماء الواردة ويترجمونها حسب ما تدل عليه بأكثر من لفظ، مما سبب لهم الحيرة والاضطراب، ولا يسلم نقاد الكتاب المقدس لهم نسبة الروح القدس، إلى المعزي والفارقليط، لا من ناحية سياق النصوص التي تؤكد على أنه ليس هو الروح القدس، الذي كان موجودًا وسبق أن نزل على المسيح* على حد زعمهم على شكل حمامة يوم العماد، أو على التلاميذ على شكل ألسنة النار، ولكنه معزٍّ آخر يأتي بعد انطلاق المسيح ويحمل نفس أوصافه البشرية من الكلام والسمع، وأنه سيخبرهم بما لم يحتملوه في عصر المسيح موضحًا أنه «يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» **يوحنا** ١٦: ٧ـ١٣. وفي هذه النصوص دلالة واضحة على تبشير المسيح*، عليه الصلاة والسلام، ببعثة نبينا* محمد، ﷺ، حيث ذكرت من أوصافه وأوصاف شريعته الكثير، على أنه المعزي أو الفارقليط. أما لفظة الروح القدس فيرى الدكتور موريس بوكاي أنها أقحمت على النص في **إنجيل* يوحنا**. «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب...» ١٤/ ٢٦.

ونزيد أنه في **الإنجيل** نفسه الإصحاح ١٥ الفقرة ٢٦ أقحمت، أيضًا، أنه منبثق من الآب* «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي». فإن كان الروح القدس منبثقًا من الآب وحده وبهذا الوضوح فلماذا عقد مجمع القسطنطنية الأول إذن ؟!!

وإذا انتقلنا إلى **القرآن الكريم** نجد أنه قد تحدث عن الروح القدس في أكثر من موضع موضحًا أنه جبريل أمين الوحي، مثبتًا أنه غير الله تعالى، لا يماثله ولا يشابهه، فالله تعالى وتنزه عن فساد معتقداتهم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ . . . ﴾ الآية [البقرة: ٨٧] ويقول تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] ويقول تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] وكما لم يترك القرآن الكريم بيان حقيقة الروح القدس للعقول* البشرية القاصرة، فإنه، أيضًا، قد وضح صفاته من أنه كريم جميل المنظر، بهي الصورة، كثير الخير، ذو قوة شديدة، يطيعه الملائكة المقربون في الملأ الأعلى، له القدرة على التشكل إذ ظهر للرسول، ﷺ، ومريم ابنة عمران على صورة إنسان كامل، وقد وضح القرآن الكريم أن من ضمن وظائفه، عليه السلام، تأييد الرسل، وحمايته لهم ولأتباعهم يقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] وكان جبريل يلقى الرسول ﷺ، في كل ليلة من رمضان ويدارسه فيها القرآن، بالإضافة إلى حب جبريل لعباد الله تعالى الطائعين وبغضه للعاصين منهم.



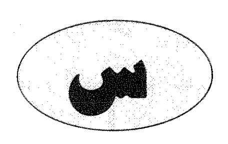
الزندقة: لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرِّب. وفي البداية كانت تطلق الزندقة على من يؤمن بكتاب المجوس* المقدس **الزندافست**، ومن ثم نسب إليه، ثم توسعوا في استعمالها على كل إنسان يتشكك في الدين*، أو يجحد شيئًا مما ورد فيه، أو يتهاون في أداء عباداته، أو يهزأ بها أو يتجرأ على المعاصي والمنكرات ويعلن بها، أو يقول بمقالة بعض الكفار ويؤمن ببعض عقائدهم، وقد عد الإمام الملطي فرق الزنادقة خمس فرق: المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعبدكية، والروحانية. ثم فشت الزندقة في النصارى حتى قال الجاحظ: إنا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى، واستخدم اللفظ في الإسلام بمعان متعددة، فبعضهم يطلقه على الثنوية* المجوس*، والبعض يطلقه على الدهرية أو من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، والفقهاء يطلقونه على المنافق الذي يبطن الكفر* ويظهر الإسلام، والبعض من علماء السلف يطلقه على الجهمية*، والإمام أحمد يطلقه على علماء المعتزلة، وقد يرمى صاحب المجون والفحش بالزندقة ـ انظر علم الكلام، المنطق ـ . ولا يوجد لفظ الزندقة هذا في **القرآن الكريم**، ولكن ورد في حديث عن رسول* الله ﷺ من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف، وهو في الزندقية والقدرية»[١].

وقد انتشرت حركة* الزندقة ـ المجوسية الأصل ـ في أول العصر العباسي، وقد تجلت في وضع الأحاديث المختلفة لإفساد الدين، وفي نظم الشعر* الذي فيه مجاهرة بالتهتك والخلاعة، وبغض العرب والنيل منهم، وفي الرفع من شأن العقل* وتقديمه على النقل، واستغلت لذلك الحركة الشعوبية*، كما تجلت في بعض الثورات* والتمردات على دولة الخلافة*، وقد حاربت دولة الخلافة كل من بلغتها أخباره في ذلك بشدة ومتابعة حتى قضت عليها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٣٧، الترمذي ٢١٥٢، ٢١٥٣ بلفظ آخر. وقال حديث حسن صحيح غريب وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٢٨٤، قال الألباني في حاشية مشكاة المصابيح سنده حسن.

ومن أهم عقائدهم وسماتهم: القول بالحلول* ، وتأليه البشر، وتشبيه* الله بخلقه، وإنكار النبوة* أو ادعاؤها، والقول بالتناسخ* وإنكار القيامة والجنة والنار، وجحد الواجبات، وقد كانت لهم آثار سيئة على الأمة الإسلامية فأشعلوا فيها نار الفتن والثورات* السياسية، كما فعلت القرامطة والإسماعيلية وغلاة الشيعة* والزيديه. والخوارج* وغيرهم.



السبئية: إحدى حلقات المؤامرة والكيد اليهودي للإسلام، والذي تولى كبر هذه المؤامرة عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء المتستر بالإسلام، في محاولة منه لتقويض أركانه، وتحريف أصوله، بعد أن هاجر من اليمن أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، إلى البصرة. ولما أخرج منها ألحق بالكوفة ثم بالشام فمصر لإثارته الفتن دائمًا بين المسلمين وطعنه في الولاة، فكان سببًا مباشرًا في مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبالجملة فإن السبئية كانت وراء الأحداث العظام التي حدثت في الإسلام مثل قتل الخليفة عثمان بن عفان بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك وقعة الجمل ومحاولات تحريف* أصول الدين بإشاعة عقيدة رجعة النبي*، ﷺ، كما سيرجع عيسى ابن مريم، عليه الصلاة و السلام، كما قالوا برفع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بعد وفاته كما رُفع إلياس، وبنوا على ذلك عقيدتهم في الرجعة. وبذلك فإن عبدالله بن سبأ أول من وضع لأهل هذه الملة* القول بالرجعة والغيبة والتناسخ*، بل هو أول من سن قول الشيعة في الإمامة، والتبرؤ من الخلفاء الراشدين قبل علي ولعنهم، إذ أشاع أن عليًا هو وصي النبي* محمد، ﷺ، وأن الخلفاء قبله انتزعوا حقه في الإمامة، لذا أظهر الطعن فيهم والتبرؤ منهم.

وهكذا استمرت محاولاته لتحريف أصول الدين، بادعائه النبوة، ثم الألوهية لشخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مما دعا عليًا رضي الله عنه، إلى تحريق أتباعه ونفيه إلى المدائن. وهناك استمرت معه أفكاره الخبيثة التي أخفاها إلى ما بعد مقتل علي بن أبي طالب ثم أخذ يجاهر بالدعوة إليها، فاستجاب لها مدَّعو التشيُّع من أهل العراق وغيرهم. ويطلق عليهم السبئية والكيسانية والمختارية. ومن آثار دعوة ابن سبأ والسبئية:

١ـ تكوين جمعيات* سرية يهودية باسم الإسلام تحت راية ابن سبأ مثل القرامطة.

٢ـ إظهار الحب والولاء* والمشايعة لعلي وأولاده، والانضمام إلى شيعته، وإظهار الحقد والبغض لأصحاب رسول* الله، ﷺ.

٣ـ تأليب الناس وتحريضهم على عثمان رضي الله عنه، وإحداث الفرقة والشقاق بين الأمة الواحدة.

٤- ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية* بين المسلمين، مثل قولهم بالوصية، والولاية، والعصمة، والرجعة، وعدم الموت وملك الأرض، والحلول والاتحاد، وتأليه الخلق، وجريان النبوة* بعد محمد، ونزول الوحي*، مما سبب نشوء فرق الانحراف من الشيخية* والرشتية والبابية والبهائية وغيرهم من داخل الروافض. وما زال لابن السوداء أعوان وأتباع إلى يومنا هذا يتبنون مذهبه وينشرون أفكاره.

السببية: مبدأ فطري غريزي يعني العلاقة بين السبب والمسبب، وألا يكون شيء إلا بتأثير من المسبب، يقصد بها عند أصحاب المذاهب* المادية*: القانون الذي يفسر ظواهر الطبيعة* بردها إلى الأسباب الظاهرة عندهم. وقد كان ذلك ذريعة لنفي الأسباب الغيبية على أن الكون ليس إلا مجموعة متحركة ذات نظام معين وتتحرك تحركًا ذاتيًا منبعثًا من قبل الطبائع الفاعلة المنفعلة، ولا دخل لله - تعالى عن قولهم - في حركتها! اتباعًا وإحياءً للتصور الأرسطي الذي يمكن فهمه باللجوء إلى السببية المعتمدة على أسس العلوم الطبيعية. وازداد هذا الاتجاه بعد اكتشاف نيوتن لقوانين الجاذبية الأرضية، وهو ما يسمى عندهم (قوانين الطبيعة). ومن الواضح أن السببية تقف عند المظاهر دون تجاوزها إلى حقيقة الأشياء أو ما وراءها. فهذه القوانين أوجدها الله الخالق سبحانه وتعالى، وقد اقتضت حكمته جل وعلا أن يجعل للأسباب تأثيرًا في مسبباتها وليس في ذلك تنقص للذات الإلهية، مادامت هذه الأسباب خاضعة لله تعالى خالقها ومسببها، وجارية بأمره، مؤثرة بمشيئته، وهو سبحانه وتعالى يسلبها متى شاء، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائها لآثارها. يقول ابن القيم «ليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب البتة إلا بانضمام سبب آخر، إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره في هذه الأسباب المشهودة بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية . . . وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسباب غير وطء الفحل، وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها» **الفوائد** ص ٨١ .

ويضيف ابن رجب الحنبلي قاعدة أخرى في فهم قانون السببية فيقول «ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده» **جامع العلوم والحكم** ص ٣١٧ .

ويضع ابن القيم قاعدة كلية في التعامل مع الأسباب فيقول «ودر معها حيث دارت، ناظرًا إلى من أزمتها بيديه. والتفت إليها التفات العبد المأمور إلى تنفيذ ما أمر به، والتحديق نحوه، وارعها حق رعايتها» **مدارج السالكين ج ٣ ص ٤٠٩** .

أما عن الدليل على إثبات الأسباب فيقول ابن القيم «لو تتبع ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن الكريم والسنة النبوية لزاد عن عشرة آلاف موضع بدون مبالغة». **ومن هذه الآيات التي ربط الله فيها بين الحوادث بالباء التي بمعنى السببية قوله تعالى:** ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ ﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله جل ثناؤه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وكذلك الآيات التي رتب فيها الله تعالى الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]. وأيضًا، كل موضع تضمن الشرط والجزاء يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وما إن تسرب ذلك المفهوم إلى العالم الإسلامي حتى تصدى له علماء الكلام من الأشاعرة بوجه خاص أمثال: الباقلاني، وأبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزالي، بنفي العلاقة بين العلة والمعلول، ورتبوا على ذلك إنكار تأثير الأسباب لمسبباتها، واعتبارها مجرد اقتران فقط بين شيئين واطراد بين حادثين، لا أثر لأحدهما على الآخر، وما فعلوا ذلك وقرروه إلا بغية تنزيه الباريء جل وعلا في أفعاله من أن يشاركه أحد، أو يستقل بالخلق والإيجاد غيره. ولذلك عد بعض الأشاعرة القول بالسببية أحد صنوف الشرك، وقد غاب عنهم أن إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها لا يستلزم خروج شيء عن قدرته تعالى، حيث إنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، ولأن تأثير السبب في مسببه ليس بذاته وإنما بما جعله الله فيه من قوة تأثير. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن قال إنه يفعل عندها لا بها، فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع». وكان من آثار هذا الإنكار انتشار التواكل والتخلف بين المسلمين مما سبب تسلط وسيادة الأمم الكافرة عليهم.

وقانون السببية في الفهم الإسلامي لا يقتصر على الحياة الدنيا فقط، بل إنه يرتبط بأمور الآخرة أيضًا، ، فهو أحد مظاهر عدل الله جل وعلا، قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

السبت: تعني كلمة السبت الاستراحة والسكن، والسبت يوم فرض الله تعالى على اليهود في شريعة موسى، عليه السلام، تقديسه والاستراحة فيه من أعمالهم، وبعد موت موسى نقضوا حرمته وانحرفوا في عقيدتهم، إذ ذكروا في **التوراة*** في سفر* **التكوين** ٢/ ٢-٣ وسفر **الخروج** ٢٠/ ١١ «إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح من عمله في اليوم السابع». وقد رد عليهم القرآن الكريم هذا الاعتقاد الباطل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، وقد وردت كلمة السبت في **القرآن الكريم** خمس مرات ومرة بلفظ «يسبتون» ومرة بلفظ «سبتهم». وفي سنة ٣٦٤م اجتمع مجمع لاودكيه وأصدر قرارًا يمنع فيه تعظيم السبت، وقد نقل النصارى قدسية يوم السبت إلى الأحد إذ يعتقدون أن المسيح* خلصهم من كل تعاليم الناموس الحرفية الظاهرية.

السبتيون «الأدفنتست»: وتسمى بالأدفنتست من أدفنتوس اللاتينية بمعنى «المجيء»، وهي جماعة نصرانية ترتكز عقيدتهم على المجيء الثاني للمسيح*، وتعتمد على تعاليم وليم ميلر ١٧٨٢- ١٨٤٩م الذي تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في عام ١٨٤٣م، ثم قال في عام ١٨٤٤م. ولما لم تتحقق النبوءة أعلنوا اعتقادهم برجوع المسيح المنظور في زمن غير محدد بعد قيامة الأموات وبداية العصر الألفي. ومن عقائدهم القول بقدسية السبت من غروب الجمعة إلى غروب السبت، واعترافهم بالسيدة آلن جولدهوايت نبية* ملهمة، كما يعتقدون بفناء الأشرار، وبعقائد أخرى تخالف النصرانية. ولهم أنشطة وفروع متعددة في مختلف دول العالم.

سفسطة: هو لفظ اصطلاحي* في علم المنطق* معرَّب عن اليونانية، وأصله سفسط بمعنى غالط وأتى بحكمة مضللة وكلام مموه. وأصله من الكلمة اليونانية «سوفيسطوس» الذي يدل بنوع خاص على معلم البيان.

والسفسطة: قياس مركب من الوهميات بغرض إفحام الخصم وإسكاته وإلزامه الحجة بالتمويه، وإليها تنسب فرقة السوفسطائية من قدماء فلاسفة اليونان قبل سقراط، إذ ينكرون المحسوسات والبدهيات، لأن الحقيقة عندهم ذاتية نسبية، وتختلف باختلاف الأفراد. أما من حيث النشأة، فقد نشأت السوفسطائية على أثر هزيمة اليونان للفرس، وشاع أمرها في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد بعدما شاع الجدل السياسي والقضائي في اليونان، مما دفع مجموعة من المثقفين لاستغلال مواهبهم في الخطابة والجدل ووسائل الإقناع والمغالطة ـ ولذلك عرفوا بالسوفسطائية ـ بغية الحصول على الأموال وقد حاربهم سقراط وأفلاطون، إذ كان لهما دور كبير في اختفاء السوفسطائيين في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. ويعد بروتاجوراس (٤٨٠ـ٤١٠ ق.م)، وجورجياس (٤٨٠ـ٣٧٥ ق.م) من أشهر السوفسطائيين.

السكر: مصطلح صوفي لم يستعمل شرعًا إلا في مقام الذم، وفي التعبير عن الحالات المذمومة كسكر الخمر، والهوى، والفواحش، وبالتالي فإنه لم يرد في القرآن والسنة المطهرة، ولا في كلام السلف الصالح إلا في هذا المقام. ويقصد به الصوفية أنه حالة من حالات الخشية من الله تعالى، يتم خلالها الاتصال به جل وعلا في زعمهم، على أنها أدنى من درجة الفناء* ، إذ يغيب العقل* عن شهود الوجود أو شهود ما سوى الله عز وجل، وفيها يستوي الألم واللذة، بل قد يقع في المكروه من حيث لا يدري نتيجة غيابه عن وجود الفكرة. وقد يتلفظ بألفاظ الكفر* ، وقد يقدم، أيضًا، الألم على اللذة، ويجد فيه ملذته، ويعقبه حالة صحو* يعود فيها الصوفي إلى عالم الحس.

وهذه الحالة لم تقع من المخلصين الكمَّل من عباد الله تعالى من الرسل* والأنبياء* والشهداء والصديقين والصحابة، رضي الله عنهم. قال ابن القيم في **مدارج السالكين** «وهذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن ولا في السنة، ولا العارفون من السلف بالسكر أصلاً، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين، وهو بئس الاصطلاح..» ٣/ ٣٠٥، وبالتالي فإنها أحد مظاهر تلبيس إبليس على المتصوفة وأشباههم.

السلفية[١] : نسبة إلى السلف؛ وهم القوم المتقدمون، وعكسها الخلف؛ وهم القوم المتأخرون، وفي الأمة الإسلامية هم المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أصحاب القرون المفضلة. ذكر السمعاني ت ٥٦٢ هـ في **الأنساب** «السلفي: بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سُمعت منهم» ٣/ ٢٧٣ . ولذلك أصبحت السلفية من حيث المصطلح علمًا على أصحاب منهج* الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ وكل من تبعهم من الأئمة الأربعة وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، والأوزاعي، وابن المبارك، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن. ويشمل من سار على طريقتهم مع تباين العصور وتفجر المشكلات والتحديات، مثل ابن تيمية وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهاب، وأغلب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية وشبه القارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا والشام . . . وكل من سار على دربهم ممن يأتي من بعدهم، عملاً بأمر الله تعالى ورسوله*، ﷺ، من الإيمان بعقيدتهم والالتزام بمنهجهم* وطريقتهم. يقول تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ . . .﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: (وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ . . .﴾ [لقمان: ١٥] قال ابن القيم: وكل من الصحابة منيب إلى الله. فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله» **إعلام الموقعين** ٤/ ١٦٨ وقوله ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[٢]، قال ابن مسعود «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم». وقال الإمام الأوزاعي ت ١٥٧هـ: « . . . اصبر نفسك على السنة. وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك» **شرح أصول اعتقاد أهل السنة** للألكائي ١/ ١٥٤ يقول أبو حنيفة «عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل

---

(١) نظرًا لأهمية الوقوف على معنى المصطلح وما يدل عليه سنفصل قليلاً فيه على غير المعتاد.

(٢) متفق عليه من رواية عمران بن الحصين رضي الله عنهما.

محدثة فإنها بدعة*» وغير ذلك من الأحاديث والآثار، وعلى ذلك فالسلفي هو كل من سلك سبيلهم ونهج نهجهم في التلقي والاستدلال والاعتقاد والأحكام وتابع سيرتهم في السلوك والسير إلى الله تعالى، وشعاره في ذلك كله «مالم يكن يومئذ دينًا فليس اليوم بدين».

أما من حيث المضمون فإن السلفية تمثل منهج* الإسلام الصحيح، والمحافظ على مضمونه في ذروته الشامخة وقمته الحضارية السامقة، الذي حافظ على التوحيد في جوهره النقي فمنع تردي العقيدة الإسلامية في أوحال الوثنية*، محاربًا النزعة الجبرية* التي ساهمت في ركود الهمم وإضعاف الإرادة الإنسانية، محافظًا على مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته ونظمه، معتمدًا على الكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح أمام محاولات التجزئة والبتر، والتأويلات الكلامية، والتخريجات الفلسفية، والتفسيرات الرمزية الباطنية* على مر العصور.

ولذلك كانت وما زالت السلفية تأخذ على عاتقها المحافظة على أصالة الأمة الإسلامية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها* ومنهاجها حتى لا تتميع ولا تهتز، وذلك بالالتزام بمناهج السلف في التلقي والاستدلال وفي التوحيد والاتباع والتزكية. فالسلفية منهج شامل صالح لكل زمان ومكان، وليست بمرحلة زمنية أو طور تاريخي انتهى، بل هي منهج يحمل في طياته الأصالة مع المعاصرة، والتقدم لا الرجوع إلى الوراء، ولذا فهي المنهج الوحيد المؤهل لعودة الإسلام إلى دنيا المسلمين. يقول الإمام مالك ـ يرحمه الله ـ: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

ويقول الأستاذ أنور الجندي في معرض حديثه عن مآثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية: «فإن السلفية هي الحركة* الكبرى التي جددت الدعوة الإسلامية، ولولاها لهان على الغرب أن يستعبد الشرق روحيًا إلى أبعد حد ...» ويقول، أيضًا: «إن حركة اليقظة الإسلامية التي دعت إلى أن الإسلام دين* ودولة، قامت على أساس القاعدة التي رسمتها الحركة السلفية، والتركيز الأساسي الذي بذلته في المحافظة على طريقة (الاتباع لا التقليد*)، ودعمت مقوماتها الراسخة الجامعة بين إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، والإيمان بالوحي* طريقًا لمعرفة عالم الغيب، مع استسلام الإنسان في شؤون معاشه لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل*، وتحرير العقول من الوثنيات*، وإصر الشرك ليتفرغ فيما يعود

على الإنسان بالنفع في ميادين العلوم، ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية».

والسلفية ترادف عدة أسماء شرعية أخرى منها: أهل السنة والجماعة*، وأهل الحديث، وأهل الأثر، والطائفة المنصورة، والفرقة الناجية. وكانت بداية ظهور هذا المصطلح* بعدما رفع أصحاب المذاهب* الكلامية مصطلح أهل السنة والجماعة في وجه المعتزلة، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان لابد من التمييز ووضع قواعد وأصول واضحة للسلفية لتمييزها عن مدعيها، إذ لا عبرة لمن عاش بين ظهراني السلف وخالف أصولهم ومنهجهم*، فلا تصح نسبته إليهم - راجع أهل السنة والجماعة - .

يذكر الدكتور مصطفى حلمي في كتابه **السلفية بين الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية** أن مصطلح السلفية له مدلوله الخاص من وجهة نظر الفلاسفة الغربيين، فقد ورد ذكره صراحة في كتاب توينبي عن تاريخ العالم بقوله: «وظهر فلاسفة سلفيون في القرن الثامن عشر الميلادي رد فعل على مآسي الثورة الفرنسية وآثارها المدمرة على الدين* والأخلاق* والمجتمع في أوربا...»، وتأثرت وجهة النظر هذه بنظرية أوجست كونت لتفسير التطور الفلسفي لمراحل التاريخ، التي تقضي بأن للتاريخ أدوارًا ثلاثة: قديمًا وأوسط وحديثًا، وأن المرحلة القادمة أرقى من المرحلة الحالية التي هي أرقى من سابقتها، وأن العودة إلى المرحلة السابقة تمثل الرجعية والتخلف - السلفية في نظرهم - وأن أرقى المراحل هي التي تمثل الوضعية العلمية.

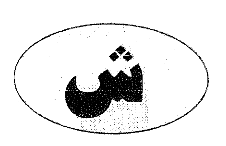
ومن العجيب أن أوجست كونت صاحب تلك النظرية تخلى عنها في نهاية حياته، وأراد أن يؤسس نوعًا من الدين* يقوم على عبادة «البشرية»، باعتبارها الكائن الأعظم، وعلى الرغم من ذلك فقد تأثر بنظريته هذه الكثير من الكُتَّاب والباحثين من أبناء المسلمين، سواء كان ذلك عن عمد في شكل غزو ثقافي للتشويه، أو بسبب القابلية للتغريب لفقدان الثقة بالنفس، واتباعًا لطريقة المستشرقين في تشويه صورة السلف في الأذهان، لعلمهم بصعوبة التغلب على الأمة الإسلامية مادامت متمسكة بمناهج* سلفها الصالح، فاستخدموا لذلك أكثر من وسيلة منها: التشويه لرموز الاتجاه والمعبرين عنه بوصمهم بالتشدد والرجعية والأصولية* والتخلف، وكذلك رميهم بالنصوصية، مع كيل المدح والإطراء لمخالفيهم،

وهو أسلوب قديم سبق أن مارسه أهل الأهواء والبدع ضد أهل السنة والجماعة، يقول الإمام أحمد ـ يرحمه الله تعالى ـ «وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال. . .» **كتاب السنة** ص ٤٠ . فسماهم المعطلة والمؤولة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة بالمشبهة لإثباتهم ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله، ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، مع أنهم من أشد الناس تعظيماً لله جل وعلا وصفاته سبحانه، ولذلك يقول نعيم بن حماد شيخ البخاري ت ٢٢٨هـ «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه». كما أطلق المعتزلة والقدرية نفاة القدر عليهم المجبرة، أما الرافضة فقالوا عنهم ناصبة لتقديمهم أبا بكر وعمر وعثمان علىٰ علي، رضي الله عنهم جميعًا، في الخلافة كما أطلقوا عليهم العامة والجمهور على أنهم هم الخاصة والمؤمنون، وعلى نفس المعنى أطلق المعتزلة والروافض والخوارج والأشاعرة والماتريدية على أهل السنة الحشوية والنابتة. أما المرجئة فقالوا عنهم شكاكًا لاستثنائهم في الإيمان على غير معنى شك مخافة واحتياطًا للعمل، ومن ضمن وسائلهم ابتداع نحل جديدة مثل القاديانية والبهائية، أو إحياء المذاهب* الفلسفية والكلامية المندثرة . . . وأحيانًا يعمدون إلى التشويش على مصطلح* السلفية نفسه في محاولة تحريف مضمونه. وأكتفي هنا بالإشارة إلى تفسير الطيب تزيني الطبقي المادي* للسلفية فيقول «وظهرت السلفية كأحد مظاهر النمو القومي العربي المعادي للتدخل الأجنبي الإقطاعي الرأسمالي الإمبريالي بشكليه القديم والحديث». ويقصد بذلك السلفية القومية حسب تقسيمه للسلفية. أما الدينية منها فعنها يقول «فهي رجعية جسدت مرحلة العقم الحضاري والتحول إلى علاقات بدائية». ويعرفها بأنها «دعوة أيديولوجية* رجعية للانكفاء إلى الأصول الدينية الأولى في صيغتها النصية المعتقدية»، ويحدد الدكتور محمد عمارة موقفه من السلفية والسلف من خلال تحديد موقفه من التراث، فيقول في كتابه **التراث والعقل والقومية** موافقًا الدكتور زكي نجيب محمود ـ فيما ذهب إليه في تعريف السلف فيقول «السلف هم أعلام عصر الخلق والإبداع* والازدهار الذي عرفته أمتنا ـ يقصد بهم المعتزلة ـ وبلورت فيه حضارتها القومية العقلانية المستنيرة قبل انحطاط عصر المماليك».

ويؤكد ذلك في **تحديات لها تاريخ** بقوله: «أما سلفية التيار العقلاني المستنير فهي لا تدعو للعودة إلى مجتمع السلف، لأنها تدرك استحالة ذلك، فضلاً عن خطر . . وضرره».
والسلفية عند هؤلاء مصطلح مطاط يتسع ليشمل كل من يدعو إلى الكتاب والسنة وضرورة الاحتكام إليهما، غير معتبرين الالتزام بفهم السلف ولا بمناهجهم العلمية والعملية، ولا مانع عندهم إذن من إدراج حتى جماعات التكفير وغيرها من الجماعات المنحرفة ضمن الاتجاهات السلفية!!!

والخلاصة فإن مصطلح* السلفية من وجهة نظر الفلاسفة الغربيين له مدلوله الخاص، ولا صلة له بمثيله عند المسلمين، لا من حيث المصطلح ولا من حيث المضمون. ولا يعني ذلك عدم الإفادة من معطيات الحضارات الأخرى سواء كانت العلمية أو التقنية أو الإدارية والتنظيمية ما لم تخالف أصلاً من أصول الشريعة* ، وذلك لأن المنهج* السلفي كما يدعو إلى الأصالة، فإنه يحمل طابع المعاصرة والسعي الدائم للتقدم، لا الرجوع إلى الوراء، والنظرة الشاملة الصحيحة لا المناهج الجزئية التي اصطنعها المسلمون في العصور المتأخرة، ولهذا كله رصيد في أصول ومناهج سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ في التعامل مع الحضارات الأخرى.

سيفا: أحد آلهة* الثالوث* الهندي (برهما* ، فشنو، سيفا*) والمستمد قوته وألوهيته من برهما. ـ حسب اعتقادهم الباطل ـ وسيفا كلمة حلت محل كلمة «ورترا» المستعملة في كتب **الفيدا** المقدسة، وكانت تطلق على الروح الموكلة بالرياح الثائرة والهوجاء، وذلك في الطور الثاني للديانة* الهندية القديمة «دور الكهنة البرهميين». وقد أطلقوا «سيفا» فيما بعد على القوة المستترة التي تذهب بالكائنات واحدًا بعد الآخر، أي المفني المعيد أو المحمول «كناية عن القوة المطورة»، ويمثل سيفا أحد خصائص برهما.



الشريعة الإسلامية: هي كل ما جاء به نبينا محمد، ﷺ، من الله عز وجل، سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل* البشري من رق الوثنية* والتقليد* والخرافات، أو ما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفوضى والاستبداد. كل هذا من خلال نظم وأحكام وقوانين تنتظم فيها كل نواحي المجتمع والحياة، سواء كانت أحكامًا عقائدية أو عملية أو أخلاقية* دون أن يتطرق إليها تحريف* أو يطرأ عليها تبديل. ولذلك فإن نصوصها ومصادرها تمتاز بالأصالة الباقية والخلود الأبدي. وبالجملة فإن الشريعة الإسلامية ما جاءت إلا لتربية الفرد الصالح والأمة الصالحة، محافظة على الضروريات الخمس «النفس والعقل والمال والدين* والعرض)، وعلى أساسها قامت أرقى دولة عرفتها البشرية، سواء في عهد النبوة* أو عهد الخلفاء الراشدين، واستمر العمل بها إلى أن أسقط الحكم بها في عهد بني عثمان عام ١٩٢٤م دون أن تحتاج إلى أن تستورد قوانين من الشرق أو الغرب، بل استفاد من نظمها وتشريعاتها الشرق والغرب.

وتتميز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية* بأنها إلهية المصدر ـ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـ بالإضافة إلى رعايتها مصالح البشر من خلال كفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتأمين تحسيناتهم، متبعة في ذلك التيسير والتسامح ورفع الحرج عن الناس.

كما أنها لا تباعد بين المادة والروح في أحكامها، ولا تفصل بين الدنيا والآخرة، بل تنظر إلى الحياة كوحدة واحدة متكاملة، تحقق العدل بين القريب والبعيد، والعدو والصديق، مع المحافظة على مرونة المصادر والأصول مما أكسبها صفة الخلود والاستمرار والاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية للأمة، بعكس نظرة القوانين الوضعية. وتمتاز الشريعة الإسلامية عن الفقه الإسلامي* بأنها تعني الدين المنزل من عند الله تعالى، بينما الفقه هو فهمنا لتلك الشريعة. والشريعة تحتوي، أيضًا، على الأحكام الاعتقادية والجوانب الأخلاقية وأخبار الأمم الماضية، والقواعد والأصول العامة التي تستمد منها الأحكام الاجتهادية. ولذلك فإن أحكامها صواب لا خطأ فيها. لكن الفقه يتعلق بجانب واحد منها

فيما يتعلق بفهم الأحكام. وأخيرًا فإن الشريعة تخاطب البشر كافة في كل زمان ومكان لثبوت وخلود أصولها، بينما الفقه يعالج مشكلات زمن أو مكان بعينه، وقد لا يصلح في غيره. وعلى ذلك فقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الشريعة إلى «شريعة منزلة وهي القرآن والسنة، وشريعة اجتهادية وهي ما توصل إليها عن طريق الاجتهاد، وشريعة محرمة وهي التي يظن أنها من الشرع وهي محض افتراءات»، **مجموع الفتاوى**، ١٩/ ٣٠٨.

كما تمتاز الشريعة الإسلامية على الشرائع الأخرى كافة بأن نصوصها ومصادرها تمتاز بالأصالة والخلود الأبدي، ولم تمتد يد التحريف والتبديل إليها، ولم لا وهي إلهية المصدر. وذلك على العكس من الشرائع الأخرى التي لا تخلو من إحدى ثلاث صور:

١ـ إما أن تكون نظامًا بشريًّا محضًا نتاجًا لتفكير عقلي فلسفي لفرد من الأفراد أو لمجموعة من الناس كالماركسية والرأسمالية. . .

٢ـ أو أن تكون نظامًا دينيًّا لا يعرف حقيقة مصدره كديانات* الهند المتعددة.

٣ـ أو أن تكون نظامًا دينيًّا شابه التحريف فأدخل فيه ما ليس منه، واختلط بأوهام البشر كاليهودية والنصرانية.

الشعر الحر: نوع من الشعر مقفى أو غير مقفى، متحرر من قيود العروض وقواعده التقليدية، وكثيرًا ما يتبدل فيه الجرس وبخاصة جرس الكلام العام بالوزن التوقيعي. وقد انتشر في العالم العربي في العقود الأخيرة، ومازال مثار جدل بين مؤيدين ومعارضين، وكان ظهوره تأثرًا بالشعر الغربي، وطلبًا للتخفف من قيود الشعر العربي.

الشعوبية: إحدى حلقات مسلسل المؤامرة والكيد للإسلام وأهله، متسترة أحيانًا بحب آل البيت والتشيُّع لهم، وأحيانًا بستار الأدب والفنون. وقد انتظمت في طياتها عدة دعوات هدامة من بينها الباطنية* والقرامطة والزندقة* والرافضة* والمجسمة والدهرية والثنوية* والجهمية* . . .

وتهدف في مجموعها إلى إذاعة موجة الإلحاد* التي ترمي إلى إنكار الأديان* كلها، ومن بينها الإسلام، وكان منهاج* عملها يقوم على أساس الزندقة الفكرية والانحلال الاجتماعي ومهاجمة القيم الأخلاقية* والسخرية بأصول الأديان والنظم الاجتماعية، وإثارة الجدل*

والشك* في تحريم الخمر وغيرها من المحرمات، وتارة بالهجوم على الثقافة العربية واللغة والأدب والتاريخ، والانتقاص من شأن العرب بهدف التشكيك في السواعد التي حملت الإسلام، ومحاولة إسقاطها وإسقاط قواعد الفكر الإسلامي معها. وتارة أخرى بإعلاء الشخصيات غير العربية في التاريخ الإسلامي سواء من الصحابة أو من غيرهم، واتخاذ حركة الترجمة والنشر وسيلة لإحياء المجوسية*، ونشر كتب المانوية والمزدكية والزنادقة، وكذلك إعلاء شأن الفلسفة اليونانية* والعقل الإنساني* على الوحي* الرباني، مما أوجد في المجتمع الإسلامي طبقة من المترفين والدعاة لإحياء المجوسية، وسادت ظاهرة النفاق، مما دفع أئمة السلف الصالح من أمثال الحسن البصري وتلميذه محمد بن سيرين والشعبي إلى مواجهتهم بقوة. وظهر خالد الدريوس وبرنامجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح، وأيضًا، سهل بن سلامة الأنصاري، كما قامت فرق من الحنابلة لنفس الأمر بعد ذلك. وكان للمعتزلة كذلك دور كبير في التصدي لفتنة الشعوبية، فألفوا في ذلك الكتب وأقاموا المناظرات معهم، وكانت هذه الفتنة أحد العوامل الرئيسة لنشأة علم الكلام* لاستخدامه في مواجهة الزنادقة.

أبرز دعاة الشعوبية: لقد حمل لواء هذه الدعوة كثيرون في مختلف الميادين، ومن أبرزهم: أبو نواس، إذ دعا الناس إلى الخمر، وحث الناس عليها مستترًا بالظرف، وبشار بن برد حامل لواء نشر الفساد الخلقي وإشاعة الفسوق بالنساء، وحمّاد عجرد، وإخوان الصفا*، إذ عارضوا الشريعة الإسلامية* بنظام جديد نظموه من خليط من الأفكار القديمة، مما حدا بهم إلى إنكار البعث، وفسروا الآخرة وأحوالها تفسيرًا باطنيًّا*، وابن الراوندي ومحمد بن زكريا الرازي، إذ أثاروا الشكوك حول مفهوم الإسلام وإنكار الوحي*، وعبيدالله بن ميمون القداح، إذ استخدم الباطن وسيلة لضرب الدين* وإنكار المفاهيم الأساسية للإسلام، وذلك من خلال تفسير القرآن الكريم تفسيرًا باطنيًّا فلسفيًّا، ومن أبرز سمات الأدب الشعوبي:

١ـ الإباحية ونشر الانحلال في مجال الشعر.

٢ـ انحراف الشعراء في أشعارهم إلى التغزل والمنادمة والإغراء بالخمر والحسيات، وكلها عوامل دخيلة على الأدب الإسلامي، بل هي من مخلفات المجوسية* الفارسية بمذاهبها

والمزدكية والمانوية. ومازال للشعوبية امتداد في الساحة العربية بين مدعي الثقافة من أدباء ومفكرين يعلون من شأنها وشأن دعاتها بالإضافة إلى إحياء تراثها.

الشك: يعرفه الجرجاني في **التعريفات** بأنه «التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر». ويعرفه إمام الحرمين الجويني بأنه «ما يقوى فيه اعتقادان».

والشك اتجاه فلسفي قديم نشأ في الفلسفة اليونانية* على يد بيرون ت ٢٧٥ ق.م صاحب مذهب* اللاأدرية* كرد فعل على فشل الفلسفة* الرواقية. إذ امتنع عن الحكم على الأشياء بالإيجاب أو النفي؛ لأن الأشياء مظاهر لا يدري حقيقتها غير معترف بقدرة الحواس أو العقل* أو أي من أدوات المعرفة على تحقيق اليقين. ولذلك يدعو بيرون إلى الوقوف على الحياد دون المبالاة بشيء، سعيًا وراء تحقيق الطمأنينة والسعادة. ولذا سمي شكه بالشك الأخلاقي، ثم تطور على يد السوفسطائيين أمثال بروتاجوراس وبورجياس ت ٣٨٠ ق.م. وغيرهما إلى القول باستحالة المعرفة وإنكار الحقائق المطلقة، وقالوا بإمكانية وجود الحقائق الجزئية المتعددة، وذلك على حسب تعدد الأفراد واختلاف الأحوال، إذ ردوها إلى الحس وحده.

وقد استخدموا الشك منهجًا* في الجدال* بغية تحصيل الأموال، ثم جاءت مدرسة أفلاطون ـ الأكاديمية الجديدة ـ من بعدهم لتضيف إلى مذهب الشك بُعدًا آخر، وذلك بأخذهم بمبدأ الاحتمال أو الترجيح فيه مع قولهم بإنكار وجود مقياس للحقائق، واستحالة المعرفة اليقينية الصادقة، ولكنهم مع ذلك لم يقطعوا بإنكار المعرفة، إذ قد تكون قضية ما عندهم أكثر احتمالاً من أخرى. ويعد أرقاسيلاس أول من قال به، إذ استخدمه منهجًا في الجدال لزعزعة اليقين عند الخصم.

ونلفت النظر هنا إلى أن كل هذه الأنواع من الشك (المطلق) يرفضها الإسلام، إذ قرر أن للأشياء وجودًا عينيًا مستقلاً عما في الذهن، ولا يقتصر كذلك على عالم الشهادة فقط، وإنما يجعل من ضمن أركان الإيمان التي لا يصح إلا بها الإيمان بعالم الغيب، وبالتالي فإن الإسلام أكد على إمكانية الوصول إلى المعرفة الإنسانية إذا ما سلك الإنسان سبيلها الصحيح.

وقد ذاع الشك في أوربا وانتشر رد فعل للكبت الديني بالمفهوم الكنسي الذي حجر

على العقل* ، وأيضًا، لفشل الفلسفات الحديثة في تأصيل مناهج* للوصول إلى اليقين.

وهناك أنواع أخرى من الشك المطلق، كالشك الإيماني الذي غرضه الإيمان وليس الإنكار، فهو يعتمد على الوحي* وحده، أو الكنيسة* وحدها منبعًا للمعرفة، في الوقت الذي يفقد فيه الثقة في العقل والحواس. فالوحي بالمفهوم الكنسي هو مصدر الفكر عنده، وتقوم فلسفة هذا النوع على أساس عقيدة الخطيئة عند النصارى التي ظلت ـ في زعمهم ـ مرتبطة بأولاد آدم، عليه الصلاة والسلام، بعد أن عصى أمر ربه، ولذلك فإن الإنسان في نظرهم ملوث فطريًا، وبذلك لا يستطيع أن يدرك الحقيقة على وجهها الصحيح. وبناءً على ذلك فإن على الإنسان أن يسلم للوحي* أو للكنيسة* فقط في الحصول على المعرفة.

ويرى الإسلام أن هذه العقيدة تناقض قانون الفطرة التي فطر الناس عليها. يقول ﷺ: «مامن مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]، وتناقض قانون الهداية من أن للإنسان إرادة واستعدادًا للخير والشر. يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقوله ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، كما تخالف قانون العدل الرباني، إذ يقول سبحانه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]. ويقرر الإسلام أن الوحي* طريق أصيل للمعرفة، ولكنه لا يلغي العقل* والحس وغيرهما بصفتها وسائل للمعرفة حسب مجالات عملها المحكومة بقانون عالم الشهادة.

وهناك شك المقلدة وهم الباطنية* الذين قالوا بأن المرء لا يخلق عارفًا، وإنما يكتسب المعرفة، ولا تحصل له بوسائلها المعروفة كالحس والعقل* ، وإنما مصدرها الإمام المعصوم الذي حل فيه الإله* ـ تعالى الله عن كفرهم ـ راجع الحلول.

أما النوع الثاني من الشك فهو الشك المنهجي أو التجريبي، ويسميه هيوم بالشك العلمي، ويعرفه الدكتور توفيق الطويل في **أسس الفلسفة*** بأنه «منهج يفرضه صاحبه بإرادته رغبة منه في امتحان معلوماته، واختبار معرفته، وتطهير عقله من كل ما يحويه من مغالطات وأضاليل. وهو يمكن صاحبه من البدء بدراسة موضوعه، وكأنه لا يعلم عنه شيئًا، فلا يتأثر

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩).

بالأخطاء المألوفة، أو المغالطات التي يتلقاها عن غيره من الناس أو يقرؤها في كتب الباحثين». والفرق بينه وبين الأنواع السابقة من الشك المطلق هو أن أصحاب الشك المنهجي يستخدمونه وسيلة لا غاية، كما أنه يقتصر عندهم على العلوم النظرية المكتسبة ولا علاقة له بالوحي* وأمور الإيمان. وقديمًا استخدمه سقراط وأرسطو في دحض شبهات منهج* الشك السوفسطائي من أجل تأكيد الحقيقة والوصول إلى المعرفة. كما استخدمه القديس أوغسطين ت ٤٣٠ م.

ويُعد أبو حامد الغزالي رائد هذا المنهج*، وإن ارتبط عند الغرب وأتباعهم بـ رينيه ديكارت. وفي هذا النوع من الشك يقول أرسطو: «إن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه، يشبهون الذين على غير هدى، فلا يعرفون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه». ويؤكد أبو حامد الغزالي عدم تطرق هذا النوع إلى الوحي وأصول الدين* بقوله: «لا يجوز أن يهجر كل حق سابق له خاطر مبطل، وإلا لزم هجر كثير من الحق كالقرآن والسنة والعقيدة». ويقول ديكارت: «إن حقائق الوحي* لا تُدرك إلا بمدد من السماء خارق للعادة».

وهذا النوع من الشك العلمي حض عليه الإسلام، إذ بيّن أن العلوم الصحيحة لا تقوم إلا على النظر والبرهان وعدم التقليد. يقول تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨] وقال جل شأنه: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

إلا أنه قد تطرف بعض المعتزلة أمثال أبي هاشم الجبائي ت ٣٢١هـ وأبي علي الجبائي ٣٠٣هـ ومن وافقهم من الأشاعرة بأن أوجبوا الشك الموجب للنظر بصفته أول واجب على المكلف حتى ولو كان معتقدًا للإسلام قبل بلوغه. على أن هذا الشك الغاية منه الحصول على اليقين. وخالفهم القاضي عبدالجبار المعتزلي في ذلك.

ولا شك أن الشك في أصل من أصول الدين كفر*، والحمد لله لم يتعرض الإسلام لأزمة الشك واللاأدرية لقيامه على اليقين والإيمان، وأوضح أن أول واجب على المكلف النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، وبذلك لا يصح تطبيق قاعدة الشك قبل اليقين في أمر العقيدة بالذات.

الشماس: كلمة معربة من الكلمة اليونانية «دياكونس» ومعناها الخادم، ويعبر عنها بنفس المعنى في اللغة السريانية بـ «مشمشونو»، والشماس درجة كهنوتية داخل الكنيسة* ترجع إلى عصر مبكر جدًا، يقول بولس لأهل فيلبي «إلى جميع القديسين الذين في فيلبي مع أساقفة* وشماسة» فيلبي ١ : ١. ولحامل هذه الدرجة واجبات معينة أهمها قراءة فصول الكتاب المقدس وخدمة المذبح، ولا يُشترط فيه سنٌ معينة.

كانت مهمة الشماس في بداية الأمر خدمة الأرامل «أعمال٦ : ١-٧». ولذلك فقد اشترطوا فيمن يتقلد هذه الدرجة شروطًا منها أن يكون محافظًا متزوجًا ولديه أولاد «تيموثاوس ٣: ١٢». وقد أحدثت له الكنيسة* القبطية* الأرثوذكسية مهمة الخدمة الاجتماعية والروحية والوعظ أحيانًا، كما جعلته مساعدًا للأسقف في الخدمة.

وكما يعمل الشماس بين الرجال، فإن الشماسة تعمل، أيضًا، بين النساء. وللشمامسة رئيس يعرف بـ «الأرشيدياكون» ومساعد يعرف بـ «الأيبودياكون». وعند الصابئة يعرف الشماس باسم «الحلالي» لديه مهام خاصة يقوم بها. ـ راجع مبحث الصابئة بالموسوعة ـ .

الشيخية: أحد إفرازات الشيعة* الاثني عشرية المنسوبة إلى زعيمها الباطني المدعو الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي البحراني المولود بإحدى قرى الأحساء في شهر رجب سنة ١١٦٦هـ والمتوفى في ١٢٤١هـ والمدفون بالبقيع. غير أن آخرين يرون بناءً على تقارير المستشرقين أن الشيخ الإحسائي لم يكن من الأحساء، وأنه لم يثبت ذلك تاريخيًا، وإنما كان قسًّا* غريبًا أرسل من إندونيسيا إلى الشرق حسب خطة مرسومة لإفساد عقيدة المسلمين وتغيير أحكام الدين*، فلم يجد إلا الشيعة الاثني عشرية بيئة صالحة لتحقيق أهدافه، وعلى كلٍّ تذكر كتب الشيعة وغيرهم أنه في الأربعين من عمره هاجر إلى كربلاء والنجف، وأخذ العلم عن السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء، ونال منهما الإجازة حتى أصبح من المجتهدين، وكانت له مؤلفات وأتباع من أشهرهم كاظم الرشتي. وأيا كان الأمر فإن للشيخية أفكارًا واعتقادات خارجة عن الإسلام منها:

اعتقادهم بحلول* الله ـ تعالى عن قولهم ـ في علي رضي الله عنه وأولاده، وأنهم مظاهر

الله، وأصحاب الصفات الإلهية، كما يعتقدون أن الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء* قبل النبي محمد، ﷺ، تجليًا ضعيفًا، ثم تجلت تجليًا في النبي* محمد، ﷺ، والأئمة الاثني عشر، وبعد فترة انقطاع تجلت في الشيخ أحمد الإحسائي ثم فيمن يأتي بعده من تلاميذه مثل كاظم الرشتي وأتباعه.

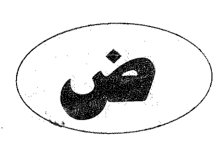
ولذلك يعتقد الشيخية في الإحسائي أنه مؤمن كامل، وباب من فيضان الإمام الغائب والأمة، وقد خلفه من بعده كاظم الرشتي، ثم المرزا علي محمد مؤسس البابية.

كما يعتقد الشيخية في الرجعة لا على اعتقاد الشيعة*، ولكن على أنها رجعة ظهور وتجلي الله - تعالى عن قولهم - تجليًا أقوى في الركن الرابع، وهو الشيخ الإحسائي ومن يأتي بعده، كما ينكرون المعاد والبعث الجسماني، ولذلك يعتقدون بعقيدة تناسخ الأرواح*. فالباب في رأيهم شخص حل فيه روح الباب، والمهدي شخص حل فيه روح المهدي، والإمام والنبي كذلك فهم مختلفون في الصورة متحدون في الحقيقة؛ لأن الله هو المتجلي في الجميع.

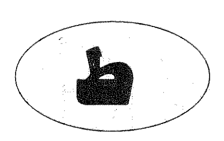
وبدأ ظهور الشيخية في بلاد العراق، ومنها انتشرت في شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت. ومما يجدر ذكره أن عامة الشيعة* الاثني عشرية في باكستان والهند يعتقدون نفس عقائد الشيخية. لهم مركز كبير في ملتان وكراتشي بباكستان، وبذلك تعد الشيخية النواة الأولى للبابية والبهائية.

الشيعة: اسم علم أطلق أولاً على معنى المناصرة والمتابعة. وفي بادىء الأمر لم يختص به أصحاب علي بن أبي طالب دون غيرهم، بل أطلق بمعناه هذا على كل من ناصر وشايع عليا ومعاوية رضي الله عنهما، ودليل ذلك ما جاء في صحيفة التحكيم «هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وشيعتهما... وأن عليا وشيعته رضوا بعبدالله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمرو بن العاص...» **مجموعة الوثائق السياسية** ص ٢٨١-٢٨٢ محمد حميد الله. وجاء في تاريخ اليعقوبي أن معاوية قال لبسر بن أرطاة حين وجهه إلى اليمن «امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة» ٢؛١٩٧ ثم تميز به من فضّل إمامة علي بن أبي طالب وبنيه على الخليفة عثمان بن عفان، ومن بعده من الأئمة، مع تفضيلهم إمامة أبي بكر الصديق

وعمر بن الخطاب، رضي الله، عن الجميع، وفي وقتها لم يكن الخلاف دينيًّا ولا النزاع قبليًّا فكان أبناء علي رضي الله عنهم يفدون إلى الحكام ويصلون خلفهم، ومع ذلك لم تتميز به طائفة مخصوصة بأصول تخالف بها جماعة المسلمين. إلا أن المفهوم تطور على أيدي بعض المتسترين بالإسلام من أمثال ابن سبأ اليهودي مؤجج نار الفتنة بين المسلمين ـ راجع السبئية ـ. وأصبح الاعتقاد بالنص والوصية في الإمامة معيار التمييز بين الشيعة وغيرهم من فرق الإسلام، مع القول بعصمة الأئمة وغير ذلك من العقائد الباطلة. فأصبحت الشيعة بذلك مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، أو لكل من يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية أوزرادشتية وهندوسية أو غيرها. وهكذا تطورت عقائدهم إلى حد إنكار الكثير من المسلمات والأسس التي قام عليها الإسلام. ولذلك أطلق عليهم علماء السلف روافض تمييزًا لهم عن الشيعة الأوائل. ومن أبرز سمات الشيعة بفرقهم أنهم من أسرع الناس سعيًا إلى الفتن في تاريخ الأمة قديمًا وحديثًا. ولذلك انقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة، من أشهرها الرافضة* الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية، والباطنية* بفرقها من إسماعيلية وغيرها.



الضمان الاجتماعي: نظام من الضمانات الاجتماعية ترعاه الحكومة ويرمي إلى حماية أصحاب الأجور وعائلاتهم من الضائقات الاقتصادية كما في حالات المرض والبطالة والعجز والشيخوخة، أو التعرض للإصابة أثناء مزاولة العمل. ويقوم على تشريعات تتبناها الدولة، ويعتمد في توفير المساعدات على صندوق يشارك في تمويله كل من الحكومة ورب العمل والعامل بنسب متفاوتة. نشأ هذا النظام في كنف الثورة الصناعية في أوربا، ثم تطور وأخذ أكثر من شكل. وقد سبق الإسلام هذه النظم في تشريعاتها من خلال فريضة الزكاة والصدقة وغيرها.



الطاغوت: للطاغوت عند السلف تعريفات عديدة منها قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان وقال جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما: الطواغيت: الكهنة، كانت تنزل عليهم الشياطين. وقال الإمام مالك، رضي الله عنه: الطاغوت: كل ما عبد غير الله، وقال ابن كثير: الطاغوت: الشيطان، وكل ما زينه من عبادة غير الله، قال ابن القيم: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

وبناءً عليه يقول الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على كتاب **فتح المجيد** «الذي يستخلص من كلام السلف، رضي الله عنهم: إن الطاغوت هو كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين* والطاعة لله ولرسوله، سواء كان ذلك من شياطين الجن أو شياطين الإنس، أو من الأشجار والأحجار وغيرهما. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين* الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، ليبطل بها شرائع الله* من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر، ونحو ذلك مما أخذت هذه القوانين تحلله وتحميه بنفوذها ومنفذيها. وهذه القوانين وواضعوها ومروجوها طواغيت. . .» ص ٢٤٣.

ويخرج من ذلك كل من عُبد من دون الله تعالى، وهو غير راض بذلك، كالأنبياء والصالحين لا يسمى طاغوتًا، وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعاهم إلى ذلك وزينه لهم من الجن والإنس.

الطبيعة: يطلقها الفلاسفة الغربيون وكثير من الكُتَّاب المحدثين، على مجموعة العناصر والعوالم الكونية التي يزعمون أنها تؤثر في بعضها تأثيرًا مستقلاً عن إرادة الخالق، سبحانه وتعالى، (انظر السببية) أو كما يزعم الملاحدة أنها هي وحدها الوجود، وهي وحدها المؤثر فيه، وليس لها خالق مدبر متصرف ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ـ. وقد تابعوا في ذلك الغنوصية* الفيثاغورسية، والنظريات الأفلاطونية الفيضية والإشراقية* في نظرتهم الوثنية* للطبيعة، وممن تأثر بالغنوصية الفيثاغورسية أصحاب عقيدة الجفر* وحساب

الجُمّل، الذين يعتقدون أن تفسير الطبيعة وأحداثها يعتمد على الحساب. وقد خاب هؤلاء وخسروا عندما زعموا أن بمقدورهم أن يصنعوا مثل الطبيعة لو توافرت لهم موادها الأولية، يقول تعالى ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٤] والطبيعة في مفهومها الإسلامي هي هذا الكون الفسيح بجزيئاته الصغيرة والكبيرة، وقد خلقها الله تعالى من العدم وما زال هو الذي يسيرها من خلال ما أودعه فيها من قوانين ونواميس خاصة بها، وأن ما يحدثه فيها من أحداث تخضع لمشيئته المطلقة، فلو أراد الله تعالى خرقها أو تعطيل مفعولها لفعل إذا شاء تعالى، ولذلك عاب الله تعالى على من نسب إلى الطبيعة قدرة مطلقة في تسيير أمور الكون، بل وصمه بالشرك، أيضًا، يقول تعالى في الحديث القدسي: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»(١). والطبيعة، كدأب أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى، لها أجل مسمى يقول تعالى ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] وأخيرًا يرشدنا المنهج الإسلامي في التعامل مع الطبيعة إلى التأمل والتدبر في عجيب صنع الله تعالى والذي يقود إلى زيادة الإيمان وقوة اليقين، كما يرشد إلى السعي في استعمارها واستثمار خيراتها، على أن الحياة الدنيا بما فيها الطبيعة ماهي إلا مزرعة للآخرة.

طوباوية «يوتوبيا»: كلمة يونانية معناها «لا مكان» جعلها توماس مور عنوانًا لكتابه الصادر عام ١٥١٦م، الذي صور فيه دولة مثلى تحقق السعادة للناس، وتمحو الشرور، ثم أصبحت الكلمة وصفًا لكل كتاب هذا مبحثه، وكل حالة غير واقعية فيها كثير من المثالية التي لا يمكن تحقيقها.

ومن أشهر هذه الكتب **الجمهورية** لأفلاطون، **مدينة الله** للقديس أوغسطين، **مدينة الشمس** لكلامبلانا ١٩٢٣م، **أطلنطي الجديدة** لفرنسيس بيكون ١٩٢٧م، **آراء أهل المدينة الفاضلة** للفارابي، **ويوتوبيا حديثة** لويلز.

طورانية: أو تورانية، حركة* قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين في أواخر القرن

(١) متفق عليه.

التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، كانت تستهدف تتريك العناصر العثمانية، واشتقت اسمها من «طوران» أو «توران» أي بلاد توره، باعتبار أنها مهد الشعوب التركية من شرقية وغربية.

والطورانية جزء من المؤامرة على دولة الخلافة*؛ لتفتيتها بعد تقسيمها إلى قوميات مختلفة على أساس عرقي، مثل الفرعونية والفينيقية تمهيدًا لإسقاطها، وقامت ردة فعل لدعوة قيام الجامعة الإسلامية التي كان يشجعها السلطان عبدالحميد بهدف تأكيد الصلات بين تركيا والدول الإسلامية، باعتبار أنها دولة الخلافة.

وبالتالي فإن الطورانية دعوة لتقليد دعاوى القومية التي نشطت في أوروبا في ذلك القرن، كما تبناها وأكدها أصحاب حركة الجامعة العثمانية (جماعة الاتحاد والترقي*) بعدما شكلوا حكومة قومية في الأناضول عام ١٩١٨م.

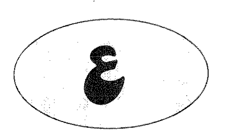
وتهدف الطورانية إلى تزكية النعرة القومية الطورانية بين الأتراك، دون غيرهم من المواطنين العثمانيين، وتحقيق سيادة العنصر التركي على غيره من العناصر المكونة للدولة. وفي بداية هذه الدعوة قبل الحرب العالمية الأولى استخدمت عدة وسائل لتحقيق أهدافها بتكوين جمعيات* ومنتديات مثل: «ترك أوجاغي» أي العائلة التركية، والتي تفرعت عنها جمعيات مختلفة تتعاون في تحقيق أهدافها، في تخليص اللغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية، والتنقيب عن ألفاظ تقوم مقامها من التركية القديمة، وهو ما تحقق على يد الكماليين. كما تهتم رابطة «ترك درنكي» بدراسة أحوال الشعوب التركية وتاريخها وبث الفكر القومي بالإشادة بعظماء الطورانيين في القديم والحديث، كما عنيت بالأناشيد والأغاني التي تمجدهم.

الطوطم: كلمة مشتقة من لغة الهنود الحمر ـ الأجبوا ـ في أمريكا الشمالية، ظهرت الكلمة لأول مرة عام ١٧٩١م في كتاب جون لوك **أسفار ورحلات**، ولم يتفق على تحديد معناها، كما لا توجد نظرية مقبولة تمامًا حتى الآن عن أصل تلك العقيدة، فأحيانًا يطلق الطوطم على اللقب الأسري، أو على حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية، وبخاصة أهالي أستراليا الأصليين، أو الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، ويعتبر صيده وأكل

لحمه محرمًا على أفرادها؛ لاعتقادهم أنهم انحدروا منه، وأنه حبرها المقدس أو أنه كان حليفًا أو حارسًا لجدها الأعلى، أو نحو ذلك. ولذلك يرسم أفراد العشيرة صورته على مساكنهم وأدواتهم، وراياتهم وأسلحتهم، والبعض يطبعه وشمًا على جسمه، اعتقادًا منهم أن من يحمل صورته ينصر في الحرب ويشفى من مرضه.

كما يحرم هذا النظام قيام صلات جنسية بين أفراده؛ لزعمهم بانحدارهم من طوطم واحد، وبعض العشائر تتخذ طواطمها من النباتات أو الكائنات المادية، أو حتى من الظاهرات الطبيعية، وهذا نادر، وقد تتخذ أكثر من طوطم، أيضًا. ولهذه العقيدة حتى الآن وجود بين القبائل الأسترالية الأصلية، وبين المجتمعات الوثنية* بماليزيا، وكذلك بين الهنود الحمر بالساحل الشمالي الغربي في أمريكا، وبين هنود جزر فانكوفر وجزر الملكة ماكلينان شارلوت.

ومما يذكر، أيضًا، أن هذا النظام الوثني كان معروفًا بين الشعوب القديمة ـ المصرية، والأثيوبية، والعربية، واليونانية، والرومانية ـ ويذكر بعض الباحثين أنه ما زالت إلى الآن توجد آثار منه في أوربا، والدليل على ذلك تسمية مدينة بيرن Berne في سويسرا، إذ تعظم الفيلة، وكلمة بيرن في الألمانية جمع «بير» بمعنى فيل.



العالمية: في الاصطلاح الحديث: مذهب* يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة. ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية؛ لإحلال السلام في العالم محل الخلاف.

وهذه دعوة باطلة من أساسها؛ لأنها تخالف سنة الله تعالى الكونية من حيث الصراع بين الحق والباطل، الخير والشر، حتى داخل أجسامنا، فهي قائمة بين كُرات الدم البيضاء والجراثيم والأمراض الغازية، فهذا الصراع هو سر من أسرار الحياة وناموس من نواميس الله في خلقه، يجري على قدر وينتهي إلى غاية ويسوقه تدبير من عليم حكيم، فهو خير في جملته بل سبيل إلى التقدم المادي والحضاري للأمم.

ويصرح الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **معجم المناهي اللفظية** أن العالمية مذهب* باطل «ينسف دين* الإسلام، بجمعه بين الحق والباطل، أي بين الإسلام والأديان كافة، وحقيقته هجمة شرسة على الإسلام. فكيف نقول عالمية الإسلام، فنخضع الإسلام لهذا المذهب* الفكري العدو الكاسر على الدين*؟ ألا فلنقل «الإسلام والعالمية» لنظهر فضل الإسلام، ونحط إلى القاع ما دونه من مذاهب ونِحَلٍ محاها الإسلام . . . كما أنه لا يجوز أن نقول: اعتزالية الإسلام، ولا: أشعرية الإسلام، ولا: جهمية الإسلام، فكذلك لا يجوز أن نقول: عالمية الإسلام، ديمقراطية الإسلام، اشتراكية الإسلام، وهكذا فليتنبه» ص ٣٧٠.

وللعالمية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية، وهي تحاول جميعًا الوصول إلى المذهب الواحد من خلال الدراسات الحديثة في الدين المقارن، والأدب المقارن، والقانون المقارن، وعلم اللغة المقارن، للوصول إلى الأصول الأساسية المشتركة حسب زعمهم، لتصبح الأرض وطنًا واحدًا يدين بدين* واحد ويتكلم بلغة واحدة، ويتذوق الفنون والآداب بذوق واحد مشترك.

والعالمية دعوة هدَّامة، وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية التي تتوسل إلى السيطرة على الأمم ببعض العصبيات على اختلافها، وقصدها هدم الفوارق وتمييع الخلافات في العقائد، وإزالة الحواجز بين الناس.

ولهذه الدعوة أصول في الفلسفة اليونانية* القديمة، إذ دعا إليها الرواقيون* والكلبيون في القرن الرابع قبل الميلاد، كما كانت دعوة هرقليطس، وبها قالت المانوية، والفارابي من الفلاسفة، وإليها يدعو البهائيون من خلال الدعوة لإقامة الحكومة العالمية، التي تتلاشى فيها العصبيات والحدود والديانات، وبها نادى نيكسون على أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية مؤهلة للقيام بهذا الدور، ومن قبله رشح تشرشل الأمم الشبعانة لقيادة هذه الحكومة، وهو الأمر الذي أكده البروتوكول الخامس من **بروتوكولات حكماء صهيون**.

ولعل قيام الأمم المتحدة خطوة على هذا الطريق، كما صرح بهذا الرأي مؤيدًا له الدكتور بطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة في كتابه **الحكومة العالمية** الصادر عام ١٩٦٢م، وأخيرًا تتبنى الدعوة إلى العالمية المنظمات الصهيونية والمسيحية* الإنجيلية ـ الأصولية* الإنجيلية ـ في الغرب، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي الأسبق ريجان والقسيس* مولر تيلر.

العرف: هو عادةُ جمهور قوم في قول أو عمل أو ترك، ومثاله تعارف الناس، مثلاً، في بعض المجتمعات أن المهر الذي يسمى للمرأة في عقد النكاح يكون ثلثاه معجلاً والثلث مؤجلاً إلى ما بعد الوفاة أو الطلاق، أو تعارف الناس على عقد الاستصناع.

والعرف ليس بدليل فقهي، ولكنه قد يرجع إلى دليل من أدلة الشرع المعتبرة، كالإجماع* والمصلحة المرسلة* والذرائع. وقد احتج الفقهاء به في مختلف العصور مما يدل على صحة اعتباره،

ويشترط للاحتجاج به أن يكون العرف صحيحًا، لا يخالف نصًّا شرعيًّا من كل وجهة مخالفة يترتب عليها إبطال العمل بالنص بالكلية، وأن يكون العرف مستفيضًا شائعًا بين أهله ومعمولاً به من منبعهم، وأن يكون حدوث العرف سابقًا على وقت التصرف ومستمرًّا إلى زمانه، وألا يوجد قول أو عمل يغير عكس مضمونه.

أما مجالات عمل العرف حسبما حددته له الشريعة الإسلامية* فمحصورة في أحد أمرين، كما يذكر ذلك الدكتور عمر سليمان الأشقر بقوله:

«الأول: تفسير النصوص التي وردت مطلقة، ولم يرد في الشرع ولا في اللغة ما يفسرها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا «كل اسم ليس له حد في اللغة ولا في الشرع فالمرجع فيه إلى العرف» . . . وقال الزركشي «العادة تحكم فيما لا ضابط له شرعًا» . . .

الثاني: الأحكام التي لم تأمر بها الشريعة، ولم تنه عنها، وهذا النوع ليس للشريعة غرض في فعلها على نحو معين، وإنما المراد فعلها على أي وجه كان هذا الفعل، وهذا يختلف باختلاف عوائد الناس وعرفهم». «**الأعراف البشرية** ص ٤١ : ٤٣. ومن العلماء من يفرق بين العادة والعرف، يقول الدكتور مصطفى الزرقا في **المدخل إلى الفقه الإسلامي**: «العادة أعم مطلقًا وأبدًا، والعرف أخص، إذ هو عادة مقيدة، فكل عرف هو عادة، وليس كل عادة عرفًا، لأن العادة قد تكون فردية أو مشتركة»، بينما يرى الدكتور عمر الأشقر أن الفقهاء يستعملون العادة والعرف استعمالاً واحدًا لا يفرقون بينهما، ولذلك يرى أن المسألة اصطلاحية ولا مشاحة في الاصطلاح* .

وقديمًا كان العرف هو الحاكم في المجتمعات، قبل تقنين القوانين الوضعية* التي استمدت بعض موادها من العرف. وللأسف الشديد فإنه إلى عهد قريب كان العرف مقدمًا في دساتير بعض الدول العربية على الشريعة الإسلامية* ، وكما كان العرف بالأمس يمثل حجر عثرة أمام شرائع الدين* والدعوة إلى الله تعالى، فإنه ما زال طاغوتًا* يصد عن سبيل الله تعالى، وقد قص علينا القرآن الكريم سيرة هذا الصراع المرير بين رسالات الأنبياء* وعوائد أقوامهم وأعرافهم في أكثر من موضع نكتفي منها بما قاله تعالى حاكيًا عن بعض هؤلاء بقوله جل شأنه ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ * ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٥].

العشاء الرباني «الأفخارستيا»: ويقال له: مائدة الرب أو شركة جسد الرب ودمه.

وهو من عقائد النصارى الأساسية، فهم يعتقدون أن المسيح* أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلى بستان جشيماني، ويسمون كأس الخمر التي تشرب في هذا العشاء «كأس الرب» أو كأس البركة، إذ يعتقدون أن من يأكل هذا العشاء في موعده كل سنة، فإن الخبز يتحول إلى لحم المسيح في لحومهم، والخمر يتحول إلى دم المسيح في دمائهم، فيحصل ـ في زعمهم ـ الاشتراك بين المسيحي والمسيح! يستدل النصارى على صحة دعواهم هذه بما ورد في **إنجيل*** **متى** ٢٦/٢٦ـ٢٨: وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا وكلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». ويستعمل الكاثوليك منهم الفطير بدلاً من الخبز المختمر، كما يختلف البروتستانت فيما بينهم في كيفية حضور المسيح لعشائهم الرباني.

عصر النهضة: اصطلاح* يقصد به الفترة التي اتسمت بنشاط علمي وثقافي ذي سمات عقلانية عرفت بحركة التنوير* أو العصرانية. وقد أطلق في البداية على الحركة* التي ظهرت بألمانيا في القرن الثامن عشر الميلادي، والتي استلهمت آراء كانت وليسنج، وامتد المصطلح* إلى إنجلترا في أيام لوك، ونيوتن، وهوبز، وأسكتلندا في أيام هيوم، وآدم سميث، وفرنسا في أيام مونتسيكو وفولتير، وديدرو وروسو. وتشمل حركة التنوير كذلك عصر بطرس الأكبر إمبراطور روسيا، وفريدرك الثاني ملك روسيا، والإمبراطور جوزيف الثاني. وقد وصلت حركة التنوير* إلى العالم العربي الإسلامي في بداية عصر النهضة الحديثة، وتمثلت في الكتابات الأولى في الأدب العربي والفكر الحديث بصفة عامة متبنية أفكار حركات التجديد* والتنوير* والمعاصرة في الغرب والمبنية على أساس الفلسفات الإلحادية* من الدعوة إلى نبذ الدين*، والتخلي عن قيمه شرطًا للنهضة ـ راجع التجديد وحركة التنوير ـ، مما دفع الكثير من العلماء والمفكرين المسلمين إلى التصدي لها وبيان عوارها.

العقل: هو الاستعداد الغريزي والملكة الناضجة لدى الإنسان. وقد يطلق ويراد به القوة الفطرية التي أودعها الله تعالى في الإنسان، وخلقه عليها، وقد يراد به العلوم الضرورية

والمسلمات العقلية. وقد كرم الإسلام العقل وأعلى مكانه، إذ جعله محل التكليف، ومناط الأمر والنهي، وبه يكون التمييز والتدبير.

وقد وردت مشتقات كلمة العقل في القرآن الكريم حوالي ٧٠ مرة كلها في مقام المدح والثناء، هذا غير الآيات الكثيرة التي تحض على النظر والتفكُّر والتدبر. أما محل العقل فهو القلب كما يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

وللعقل في الفلسفة* اليونانية إطلاقان: أحدهما يراد به عقل الإنسان، ذلك العرض القائم به، والآخر يراد به العقل المفارق للمادة، وهو جوهر قائم بنفسه لا يدركه الفناء، ومنه تفيض الصور إلى عالم الكون، ومنه يستمد العقل الإنساني المعرفة ويظلق عليه العقل الفعال. وأول من قال بذلك أرسطو على أنه الإله عز وجل، بينما يذهب بعض الفلاسفة المسلمين المنتسبين إلى الإسلام ومنهم الفارابي إلى أنه الروح الأمين أو الروح القدس*. ويرى الغزالي أنه المقصود من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]. وهناك عقول أخرى عدها الفلاسفة عشرة تتحرك في الأفلاك ويفسرها الفلاسفة بالملائكة. وهو كسابقه تفسير باطل لأن الأفلاك أشياء ذهنية ليس لها وجود في الأعيان.

أما إذا انتقلنا إلى الفلسفة* الحديثة فسنجد أن هناك ثلاثة اتجاهات أو مذاهب* تجاه العقل: فهناك المذهب العقلي الذي يعتبر أن العقل هو المحك والمقياس للحقائق ومنها حقائق الوحي*، وبالتالي فما لا يتماشى مع العقل ينبغي رفضه، وعلى ذلك سار إسبينوزا وشتراوس وغيرهما. ويقترب منه المذهب التجريبي أو الحسي الذي لا ينكر العقل وإنما ينكر أن يكون له مبادىء قبلية ـ فطرية ـ وإنما يستفيدها من الحس والتجربة. وعلى النقيض يأتي مذهب خوارق العادات الذي يجعل حقائق الوحي ليست في متناول العقل.

وقد وُجدت مثل هذه الأفكار تجاه العقل بين الفرق الإسلامية. فهناك الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المعتزلة والمتكلمين، يعتقدون أن العقل أصل الأدلة وأساسها؛ لأن دلالته يقينية، بينما دلالة الشرع ـ في زعمهم ـ ظنية. وقد رتبوا على ذلك عددًا من اللوازم من أهمها: أن يقدم العقل على النقل ـ الشرع ـ عند التعارض أو توهمه. وأيضًا، أن الثواب

والعقاب والحسن والقبح* مترتب على حكم العقل ـ راجع التحسين والتقبيح العقليين ـ، وكذلك أن حجة الله تعالى قائمة على الخلق بحكم العقل لا بالشرع. وقد رتبوا على ذلك أن أهل الفترة الذين بين رسولين، ولم تبلغهم الدعوة ومن شابههم، كفار مخلدون في النار، والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة تدحض كل هذه الأقوال، إذ يقول تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ [الأنعام: ٥٧]، لا للعقل، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] ولذلك فإن أكثر أهل السنة والجماعة* يقولون بأن أهل الفترة كفار في الدنيا حيث لا يدينون بأي دين* صحيح، ولكن لا نقطع بدخولهم النار، إذ يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وعلى نقيض الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المعتزلة تجاه العقل، يأتي أتباع أبي الحسن الأشعري الذين ينفون أن يكون للعقل شيء من الأحكام، إذ لا حكم عندهم إلا للشرع، أما المتأخرون منهم وبخاصة بعد أبي المعالي الجويني فقد تأثروا بالمعتزلة في تقديم العقل على الشرع.

وقد هدى الله تعالى أهل السنة والجماعة إلى أن يكونوا وسطًا بين الضلالتين ليكونوا ظاهرين على الحق، قائمين لله بالحجة على عباده إلى قيام الساعة، فأثبتوا أن للعقل مكانته وله فهمه وإدراكه الإجمالي، ولكنه تابع للشرع ولا يكون معتبرًا إلا إذا اهتدى بالشرع يفهمه ويرشد إلى العمل به، وأن الشرع معصوم والعقل غير معصوم، ولذلك فإن الشرع مقدم على العقل، إذ لا يعارض صريح العقل صحيح النقل، وأن معيار الصحة والفساد الشرع لا العقل، وأن للعقل إدراكًا مع إثباتهم لحسن الأشياء وقبحها، وبالتالي فإن الثواب والعقاب والوعد والوعيد مترتب على الشرع لا على العقل.

علم الكلام: علم حادث في الملة، كما يذكر ابن خلدون، وله عند أصحابه عدة تعريفات منها: أنه علم يبحث فيه عن أحوال الواجب (الله) وأحوال الممكن (ما سوى الله تعالى) من حيث المبدأ والمعاد. ومنها أنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع عقلي أو سمعي أو وجداني. وأيضًا، أنه «علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه».

والتعريف الأخير الذي قال به الآيجي يُعد من أقرب التعريفات إلى الواقع، فما قام علم

الكلام ووضعت أصوله وقواعده الأولى إلا في عهد المأمون، بعدما حدث الخلاف في تفاصيل العقائد بعد ترجمة كتب اليونان الفلسفية إلى اللغة العربية، مما دعا إلى الخصام ووقوع المناظرات والمجادلات ـ راجع الجدل ـ مع أصحاب العقائد الباطلة من مجوس* وصابئة ونصارى وفلاسفة، ومن تأثر بهم ـ الزنادقة ـ، حول ذات الله تعالى مما دفع المعتزلة وبخاصة البغداديين منهم إلى الاستعانة بتراث نصارى الشرق الملكانية والنسطورية، بالإضافة إلى التراث الفلسفي للرد عليهم ودحض شبهاتهم. ومن بعدهم استخدم الأشعري المنهج* نفسه في الرد على المعتزلة حتى أصبح في عهده الأداة الأساسية لإثبات عقائد أهل السنة* . وفي المراحل التالية تطور على يد أئمة المذاهب* الكلامية أمثال: الباقلاني والجويني والرازي، وبخاصة المتأخرين منهم كالبيضاوي والإيجي، وفي هذه المراحل الأخيرة اختلط بالمنطق* والفلسفة* حتى كاد لا يتميز عنهما إلا فيما اشتمل عليه من السمعيات، مع أن غاية كل منهما مختلفة، فالفلسفة* تبحث عن الحقيقة أيًّا كانت. أما علم الكلام فهو يدافع عن الحقيقة الدينية فقط.

ولكثرة مسائل علم الكلام المتعلقة بالله تعالى ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً أطلق خطأ على علم التوحيد، وبالتالي أصبح الفرق كبيرًا والبون شاسعًا بين المفهوم الكلامي للتوحيد الذي يقتصر على توحيد الربوبية وبين المفهوم السلفي الشامل للتوحيد.

وقد عدد العلماء وأهل الكلام أسبابًا واحتمالات متعددة لسبب تسميته بعلم الكلام، منها: لأنه يورث القدرة على الكلام في المجادلة عن العقائد، أو لأن أكثر المسائل التي تنازعوا فيها هي مسألة كلام الله تعالى، وقيل غير ذلك.

وقد ذم السلف الصالح علم الكلام والمشتغلين به على المعنى السابق المبتدع، إذ أدخل فيه من الدلائل والمسائل التي لم تأت في الكتاب والسنة، ولم يتكلم فيها الصحابة والتابعون يقول الإمام مالك ـ يرحمه الله تعالى ـ: «ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»، بالإضافة إلى أن الكلام بالمعنى السابق يورث الحيرة والشك* كما صرح بذلك أئمة المتكلمين بعد توبتهم، وأقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة بالله عري من الإيمان. كما قال غير واحد من السلف. قيل لأبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ : ما تقول فيما

أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: «مقالات الفلاسفة!! عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة».

يقول أبو يوسف: «من طلب الدين* بالكلام تزندق*». ويقول الإمام الشافعي -يرحمه الله تعالى-: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد» ويقول: «إذا سمعتم الرجل يقول الاسم غير المسمى، والشيء غير المشيء، فاشهد عليه بالزندقة». ويقول الإمام أحمد: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل». وأخرج الهروي في **ذم الكلام وأهله** عن إبراهيم الخواص أنه قال: «ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة إلا من قبل الكلام والجدال والمراء» -راجع الزندقة- . وقال، أيضًا: «قال رجل لبشر بن أبي سهل الأسفراييني: إنما أتعلم الكلام لأعرف به الدين. فغضب وقال: أو كان السلف من علمائنا كفارًا» **ذم الكلام وأهله** نقلاً عن **صون المنطق والكلام** للسيوطي ص ٧٦، ٧٧ .

ويحسن بنا أن نشير في نهاية هذا المقال إلى قاعدة مهمة في المذموم وغير المذموم من الكلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل* الذي أمر الله به ورسوله*، والاستدلال بما بينه الله ورسوله، ولا ذموا كلامًا هو حق، بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة، وهو المخالف للعقل*، أيضًا، وهو الباطل، فالكلام الذي ذمه السلف هو الباطل، وهو المخالف للشرع والعقل».

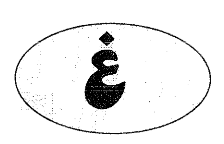
علم الإنسان: راجع الإنثروبولجيا

العهد القديم: تسميته وتسمية العهد الجديد اجتهادية أخذها النصارى من قول سفر* أرميا ٣١/ ٣١-٣٣ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل، رفع بيت يهوذا عهدًا جديدًا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم»، وما في **الرسالة العبرانية** ٨/ ٧-١٣ وآخر فقراتها «فإذا قال جديدًا عتق الأول». وكلمة العهد في التوراة تعني الوعد الصادق من الله تعالى للإنسان. والمقصود بالعهد القديم التوراة وملحقاتها من جميع الأسفار* المنسوبة للأنبياء* قبل عيسى، عليه الصلاة والسلام، وأولها سفر **التكوين**. واختلف في عددها بين طوائف اليهود والنصارى كما اختلفوا في قدسيتها إذ تعرضت للحرق والضياع أكثر من مرة، كما

مرت أسفار العهد القديم بمراحل عديدة من الحذف والإضافة من خلال المجامع المسكونية المختلفة، فلا يمكن القطع بصحة نسبتها إلى رسول* معين من رسل بني إسرائيل بما في ذلك الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، عليه السلام. وتعترف بذلك **دائرة المعارف اليهودية**، كما اعترف الفاتيكان* في مجمعه المسكوني الثاني ١٩٦٢/ ١٩٦٥م أن أسفار العهد القديم تحتوي على شوائب وشيء من البطلان، بل تقرر دائرة المعارف البريطانية مناقضة أسفار العهد القديم لأبسط بدهيات العلم.

وأما **العهد الجديد** فهو أناجيل* النصارى ورسائلهم للصلاة والمنسوبة إلى المسيح* عليه السلام، وتلاميذه، والتي لا تختلف من حيث اضطراب النص وانقطاع السند عن العهد القديم، ولا يوجد دليل علمي يؤكد نسبة الأناجيل إلى المسيح، بالإضافة إلى تعارض وتناقض آيات بعضها مع آيات البعض الآخر، بل مع أبسط قواعد العلم؛ لأن مضمونها من الذكريات الشخصية لكاتبيها ـ راجع الإنجيل ـ، أما الجزء الثاني منها فهو مشكوك في صحة نسبته إلى مؤلفيه عند أكثر الكنائس* النصرانية، فهي عبارة عن أسفار* تاريخية (**أعمال الرسل**) أسفار تعليمية (**رسائل بولس**) رسائل تربوية (**رؤيا يوحنا اللاهوتي**)، ولم يعترف بتلك الأسفار إلا في القرن الرابع الميلادي بعد اجتماع أكثر من مجمع مسكوني وبعد إدخال الحذف والإضافة عليها. ولذلك فإن العهد الجديد كتاب إغريقي، بينما التعاليم الأولى للمسيح كانت متداولة بلغة أرامية لغة أهل فلسطين. وقد ظهر أول نص منه مطبوع عام ١٥١٦م قدمه أرازموس.

يعد العهد الجديد مكملاً ومتممًا لشريعة **العهد القديم**، يحكي **إنجيل متى** في الإصحاح ٥/ ١٧ عن المسيح*، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل». وقد قامت فلسفة العهد الجديد على فكرة العودة الثانية للمسيح، والتي استمدت الرهبنة الأولى فلسفتها منها بالإضافة إلى أنه استمد جذوره من المذهب* الغنوصي* وشتى الفلسفات* والديانات* الوثنية* السائدة في عصور كاتبيه والسابقة عليها، أيضًا.



الغائية: الغائية مصطلح* فلسفي يعبر عن أحد الأفعال الأربعة للموجودات عند أرسطو، وفي المعجم الفلسفي مشتقة في اليونانية من اللفظين Telos أي نهاية و Logos أي عقل* ، فالعلة الغائية هي ما لأجله وجد الشيء. وتطلق على الحد النهائي المتوجه إليه الفعل. ولذلك فالغائية من المصطلحات المحدثة التي تستخدم عادة في المباحث الكلامية والفلسفية. وبوجه عام فإن الغائية عبارة عن الاتجاه الفكري القائل إن سلوك الإنسان والحوادث التاريخية والطبيعية* مرتبطة ببعضها ارتباط علة بغاية موجهة نحو تحقيق غايات معينة. ويعتبر أصحاب المنهج* العلمي أن الغائية عقبة في طريق العلم الذي ينظر إلى الظاهرة من حيث حقيقتها القائمة وعلاقتها بغيرها دون نظر إلى غايتها. ومع ذلك فقد أخذت بعض فروع العلم بالغائية كالبيولوجيا «علم الأحياء» وغيرها؛ لأهمية أن يكون لجهود الإنسان هدف ونتيجة تفيد البشرية.

ويرى النفعيون أن الخير في النظرية الغائية للأخلاق* يتغير بتغير ظروفه، وأنه مرهون بنتائجه. وهناك المذهب* الغائي الذي يعزو إلى الطبيعة* دورًا مهمًا في تفسير الكون وربط ظواهره بالعناية الإلهية، ويقابل هذا المذهب المذهب الميكانيكي*، كما أنه لمعرفة الغائية والوقوف على معناها ينبغي معرفة السببية* والوقوف على حقيقتها ـ راجع السببية ـ ، والحمد لله الذي ما جعل علينا في الدين* من حرج، فقد قرر جل شأنه الغاية التي من أجلها خلق الخلق في أوجز عبارة وأحسن بيان، بعيدًا عن تشقيقات الفلسفة، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، لا يخرج شيء عن قدرته ومشيئته جل شأنه ـ انظر الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ـ.

الغلو: مصطلح* شرعي ورد في نصوص الكتاب والسنة في سياق النهي والذم. ويعرفه العلماء بتعاريف متقاربة بمعنى «مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك»، وعلى أن الحد هو نهاية ما يجوز من المباح المأمور به وغير المأمور به كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

ويقابله في المعنى التنطع والتشدد والتعمق، كألفاظ وردت في الشرع، وأطلق السلف مصطلح أهل الأهواء على أهل الغلو. ويطلق الغرب والعلمانيون مصطلح التطرف على الغلو، والتعبير بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية كما وردت في الكتاب والسنة هو سبيل أهل السنة والجماعة* ؛ لما لها من دلالات ومعان لا توجد في غيرها ـ راجع الاصطلاح ـ.

والغلو قديم قدم الرسالات السماوية، فما أرسل نوح، عليه الصلاة والسلام، إلا لغلو قومه في بعض الصالحين. والأمر نفسه نشأ في الفلسفات* القديمة، وعند متبعيهم من أهل الفلسفة والكلام من المسلمين وغيرهم، بإعلائهم سلطة العقل* وجعله مصدرًا وحيدًا للمعرفة. وقد ظهر، أيضًا، الغلو في بني إسرائيل وبلغوا فيه مبلغًا كبيرًا، يقول تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. إلا أن النصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف الأخرى، ولذا خصهم الله تعالى في القرآن الكريم بالنهي عن الغلو في أكثر من موضع، وزاد غلوهم في العصور الأوربية الوسطى بادعائهم الحق الإلهي في الحكم وملكيتهم لصكوك الغفران ومعاداة العلم والعلماء، مما ترتب عليه ظهور حركات* التمرد والإلحاد*، وإحياء المذاهب* المادية* القديمة، وإعلاء سلطة العقل*.

وفي صدر الرسالة الخاتمة ظهرت بعض صور الغلو التي عالجها النبي*، ﷺ، وحذر منها بقوله: «وإياكم والغلو في الدين*، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[١] وقوله «هلك المتنطعون»[٢] قالها ثلاثًا.

ويعد الخوارج* أول تيارات الغلو ظهورًا في التاريخ الإسلامي، إذ غلوا في البراءة من الصحابة والتكفير* بالذنوب، وكذلك الروافض* غلوا في الولاء* لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وأولاده وذريته من بعده وادعوا عصمتهم.

وعلى ذلك فإن الغلو عند المسلمين وهو المقصود هنا له صورتان:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧) وابن خزيمة (٤/ ٢٨٦٧/ ٢٨٦٨) والنسائي (٥/ ٢٦٨) وغيرهم عن ابن عباس وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٥)، وابو داود (٤٦٠٨) وأحمد (١/ ٣٨٦) عن ابن مسعود.

١ - غلو اعتقادي: وهو ما يتعلق بكليات الشريعة وأمهات مسائلها، وهو محصور في أبواب العقائد. مثل: تنزيل أحدٍ منزلة الإله* أو تجويز الخروج عن شريعة النبي*، ﷺ، وكذلك الإلحاد* في أسماء الله تعالى وصفاته وآياته، أو وضع النبي فوق مكانه. ومن الغلو من يعد نفسه في مرتبة أعلى من النبوة أو ينكر الميعاد وأحواله، ومنه الغلو في الأئمة والعلماء، وادعاء العصمة لهم، والغلو في البراءة من المجتمع العامي وتكفير* أفراده واعتزالهم ولأصحاب الغلو الاعتقادي سمات وأوصاف من أهمها:

(أ) ما وضحه حديث النبي، ﷺ، لذي الخويصرة الذي اعترض على قسمة النبي، ﷺ، للغنائم إذ جاء فيه «إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»[1].

(ب) عدم فهم القرآن الكريم وتنزيلهم آيات الكفار على المؤمنين، واتباع المتشابه من الآيات.

(جـ) تكفير* أهل الإسلام بالذنوب مما يترتب عليه استحلال دمائهم وأموالهم واعتزال مساجدهم، ويظهر ذلك في الخوارج* والرافضة والمعتزلة والجهمية*.

٢ - غلو عملي: وهو ما يتعلق بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية*، هذا النوع محصور في جانب الفعل سواء كان باللسان أو بالجوارح، من أهم السمات العامة المميزة لأصحابه:

(أ) غلو متعلق بفقه النصوص بتفسيرها تفسيرًا متشددًا يصادم السمة العامة للشريعة ومقاصدها الأساسية، وأيضًا، تكلف التعمق في معاني التنزيل.

(ب) غلو متعلق بالأحكام بإلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل، أو تحريم الطيبات التي أباحها الله تعالى لعباده على وجه التعبد، مثل ترك الأكل أو بعضه وكذلك الشرب والنوم والنكاح، وهذا النوع بين عُبّاد الصوفية أظهر، أو ترك أنواعٍ من الحلال وتحريمها تدينًا.

(جـ) المواقف من الآخرين: إذ قد يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي لدرجة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٣) عن أبي سعيد الخدري.

العصمة أو موقف الذم الغالي لدرجة رميه بالكفر* والمروق من الدين* . كل هذا بغير أثارة من علم أو بينة من شرع، وإنما اتباعًا لهوى نفسه . ولا شك أن هناك أنواعًا من الغلو والتزمت والجمود ظهرت بين أفراد من المسلمين، ولكن وصمهم بالغلو يحتاج إلى عدلٍ وروية ويحتاج إلى وزن دقيق، وعدم التعميم في إطلاق لفظ الغلو على الأشخاص والهيئات، إلا إذا كان الأمر متعلقًا بأصل كلي ـ من أصول الاعتقاد ـ وإلا فليقيد الغلو بالعمل المقصود، ولربما التزم الإنسان أمرًا متشددًا بناءً على اجتهاد* سائغ هو أهل له، أو على تقليد* لعالم مجتهد موثوق في دينه ـ ولا يكون إلا للعامي ـ فلا يعد هذا ولا ذاك غلوًا، وأيضًا، يقول الأستاذ عبدالرحمن بن معلا اللويحق «والأخذ بالرأي الأشد من الآراء المختلفة لا يعد دليلاً على الغلو، إذ قد يكون الرأي الأشد هو الصواب، ولكن الغلو واقع من جهة أخرى، وذلك بأن يأخذ الإنسان برأي ثم يصم المخالفين بالمروق من الدين أو بالإعراض عن كتاب الله أو يجعل رأي مقلده بمنزلة رأي المعصوم وينتصر له بغير هدى من الله، فيدخل في الغلو، وبهذا يكون الغلو في الوسائل إلى إيصال القناعات، وليست القناعة نفسها من باب الغلو، وهذا الأمر كان معنى حاضرًا في أذهان السلف بدءًا من الصحابة فمن بعدهم. فقد كان عبدالله بن عمر متشددًا في فقهه ولم يكن يوسم بالغلو» ـ **الغلو في الدين** ص ٨٦ ـ.

الغنوصية: كلمة يونانية الأصل «غنوسيس» بمعنى المعرفة، غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيًا* : التوصل بنوع من الكشف* إلى المعارف العليا، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقًا مباشرًا بأن تلقى في النفس إلقاء، فلا تستند إلى الاستدلال أو البرهنة العقلية، وكان شعارها: بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان، أما معرفة الإله* فهي الغاية والنهاية، ولذلك سميت بالغنوصية.

والغنوصية حركة* وفلسفة* قديمة تمثل مزيجًا من العقائد اليونانية والإسرائيلية، بالإضافة إلى العقائد الفارسية الآرية، والكلدانية السامية مع غلبة الطابع الوثني* عليها، وتستمد الغنوصية أصولها الفلسفية من:

١ـ الأفكار القبالية «الكبالا»: التي تمثل الديانة* الشعبية الإسرائيلية بما فيها من سرية التعاليم والقول بإله* تصدر عنه الأرواح المدبرة للكون، واعتقاد عقيدة الجفر* وحساب الجمّل،

واعتبار الإنسان «العالم الأصغر» الذي جاء على صورة «العالم الأكبر».

٢ـ الأفلاطونية الحديثة: التي تمثلت في مذهب* الفيلسوف المصري أفلوطين ٢٠٤ـ٢٧٠م بما تمثله من نزعة توفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة، كما ظهرت في الهرمسية التي تقول بإلهين: الإله المثالي الذي لا يصدق عليه وصف، والآخر الخالق الصانع الذي خلق العالم فهو يتجلى فيه، ويرى الغنوصيون أن النفس هي طريق معرفة الله تعالى؛ لأنها في زعمهم بنت الله، وبذلك تتمكن النفس من الاتصال به والعودة إليه.

٣ـ الديانات والمذاهب الفارسية: وتمثلت في مانوية ماني في القرن الثالث الميلادي التي حاولت التوفيق بين المسيحية* والزرادشتية، وقالت بثنائية النور والظلمة كإلهين للخير والشر، وظهرت في المزدكية كإحدى فرق المانوية.

ويلاحظ أنه مع تعدد اتجاهات الغنوصية إلا أن جميع الغنوصية تؤمن بإله* مخلص يهبط من السماء لتخليص البشر من شرور الحياة، ثم يموت وينهض من الموت بعد أن يحيا حياة البشر، بالإضافة إلى الاعتقاد في الطقوس والأسرار وقدسية العدد سبعة (٧) الذي يمثل آخر الفيوضات المتمثلة في الكواكب السبعة التي تدير العالم وتؤثر فيه، وأهم الأفكار الرئيسية الأخرى للغنوصية هي:

١ـ الثنوية* الدقيقة: أي القول بوجود مبدأين هما الروح والمادة، وعلى أساس ما بينهما من نزاع تجري على أثره أحداث الكون في زعمهم، إذ المادة من مملكة الظلام بما فيها الجسد الإنساني والصادرة من الأيون الأول الصادر من الإله* والذي أراد أن يرجع إلى الإله ويطهر نفسه بالغنوص، فَطُرد من مكانه لتصدر عنه هذه الأيونات الشريرة التي سجنت النفوس «الروح» والصادرة من الإله، أيضًا، للخير مقابل الشر المطرود، ولذلك فهي في نزاع دائم معه للعودة إلى أصلها بالاتحاد* الجوهري مع ذات الإله* ـ تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيرًا.

٢ـ لما كانت الروح والمادة هما المبدآن الأعليان في تصوراتهم، فإن فكرة الخلق لا وجود لها في مذهبهم* وعليه يوافقون أفلاطون في القول بأن الإله صانع للعالم وليس بخالق له.

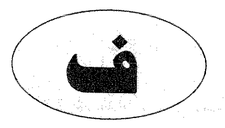
٣ـ ونتيجة للصراع بين النور والظلمة في العالم فإنه على الإنسان أن يسعى للخلاص من هذا العالم المادي الشرير ويتحد مع الإله اتحادًا جوهريًا.

٤ـ تجلي الألوهية (العرفان) لا يتم إلا من خلال صاحب وحي* أو مخلص، ولا يتم ذلك إلا بعدد قليل من المختارين، ومن الأرواح المصطفاة. ويطلقون عليهم طبقة الروحانيين، بينما المقابل لها وهم باقي البشر طبقة الهيولانيين أو النفسانيين، ولا يتم هذا العرفان ومشاهدة وتلقي نور البهاء المعقول (في زعمهم) إلا عن طريق الطقوس والاحتفالات والمراسم.

ومن الملاحظ أن الغنوصية استطاعت أن تتسرب إلى مختلف العقائد والأفكار، فتأثرت بها اليهودية أثناء النفي البابلي في بلاد فارس، وتبلورت في الغنوصية اليهودية فيما يطلق عليه بـ «الكبالا»، وبوجود بعض اليهود بالإسكندرية وفلسطين تأثرت بها النصرانية في مراحلها الأولى فكانت سببًا رئيسيًّا في التحريف والتبديل اللذين لحقا بها، ويظهر ذلك من خلال اعتقاد بعضهم بأن المسيح* هو أبرز صفات الغنوص. وممن تأثر بذلك يوحنا الإنجيلي وأرديمايوس، بل برز فيها فلاسفة غنوصيون مثل باسيلرس السوري وفالنتينوس المصري ومرقيون.

كما كان للغنوصية أثرها البالغ على بعض القبائل العربية قبل الإسلام، وبخاصة المجاورة لبلاد فارس، إذ تزندقت* قبيلة كندة وقالت بقول الغنوصية، وبعد الإسلام ظهر تيار الغنوصية نتيجة للاختلاط بالحضارة الفارسية. ويُعد مسيلمة المتنبيء الكذاب من أشهر رموزه، ولذا وضعه البيروني في نسق المتنبئين الغنوصيين. وممن تأثر بها، أيضًا، دعاة الدعوة الشعوبية* أمثال ابن المقفع، وأصحاب فلسفات الإشراق* والكشف* والاتحاد* والحلول* الصوفية . . . . ومما يذكر أن الدولة العباسية قد تصدت بقوة لهذا التيار الذي حاول أن يقوض أركان الدولة، ويفرق الأمة إلى عرب وفرس، وقضت على حركة* بابك الخرمي الغنوصية ـ راجع الشعوبية ـ.

وعلى الرغم من ذلك فإنه ما زال لأفكار التيارات الغنوصية وجود إلى الآن، إذ تتحين الفرص المناسبة دائمًا لتندس بين المسلمين في صور وأشكال مختلفة.



فائض القيمة: مقولة اقتصادية خضعت ومازالت تخضع للعديد من المناقشات بين مدارس الاقتصاد الحر والمدارس الماركسية بمختلف اتجاهاتها.

فالمدارس الأولى تعرف فائض القيمة بأنها زيادة قيمة الشيء مهما كانت الأسباب التي أدت إلى تلك الزيادة، أما بالنسبة للنشاط الاقتصادي فإن فائض القيمة يظهر عندما يكون سعر تكلفة العوامل المادية للإنتاج ـ أي المواد الأولية والمنشآت التقنية ـ أقل من القيمة التبادلية للإنتاج، وهذا ما يتمتع به المالك سواء كان شخصًا طبيعيًّا أو اعتباريًّا.

أما المدارس الماركسية فهي تعرف فائض القيمة بأنه الفرق بين قيمة العمل الذي يبذله العامل في إنتاج سلعة معينة، وفي الأجر الذي يحصل عليه مقابل هذا المجهود.

الفاتيكان: محل إقامة بابا* روما وتبلغ مساحته حوالي ١١٠ أفدانة وفي عام ١٨٧٠م أصبحت هذه الدولة جزءًا من إيطاليا، وبموجب اتفاقية لتران سنة ١٩٢٩م عين البابا حاكمًا عليها على سبيل التعويض. وقد تم توقيع وثيقة تاريخية بين إيطاليا والفاتيكان في عام ١٩٨٤م، تعترف إيطاليا بموجبها ولأول مرة بحق كل منهما أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة. ويضم الفاتيكان كاتدرائية القديس بطرس والقصور الفاتيكانية، حيث المكاتب والكنائس* والبلفدير. بالإضافة إلى عدة متاحف كبيرة وكنائس ضخمة، وخاصة كنيسة سيستين، وتعد مكتبة الفاتيكان المؤسسة في القرن الخامس عشر من أقدم مكتبات العالم. وتحتوي على خمسين ألف مخطوط، وفيها ما يقرب من أربعمائة ألف كتاب كثير منها نادر. والفاتيكان قلب الكنيسة الكاثوليكية ويديره كرادلة*، بينما يقوم على حراسته حرس سويسري.

الفردية «المذهب الفردي»: مذهب* فكري سياسي ينطلق من اعتبار الفرد وأعماله وآماله أساسًا في تفسير التاريخ والظواهر الاجتماعية، على أن الفرد هو أساس الواقع والقيم. وكان بروز هذا الاتجاه مساعدًا على التحرر من قبضة الكنيسة* وتحكمها بالفرد بشكل عام. وعلى الصعيد السياسي ينطوي هذا المذهب* على الاعتقاد بأن الهدف الرئيسي للمجتمع والدولة إنما هو الحفاظ على مصلحة الفرد وسعادته، وأن واجب الدولة هو

مساعدته على تحقيق ذاته وأقصى طاقاته. ولعل أقصى تطور مر به هذا المذهب السياسي هو ظهور نظام الاقتصاد الحر الذي ولد مع الثورة الصناعية والرأسمالية.

فشنو: أحد آلهة الثالوث الهندي (برهما* وسيفا* وفشنو) المستمد من برهما، ومعناها الداخل، فهو يمثل الموقف الأعلى للشمس ـ أي وقت الزوال ـ إذ تخترق أشعتها كل جسم بشري وتصل إلى أعمق جهاتها، يمثلونه بالحياة وسريانها في الأجسام، أي أنه القوة الحافظة والإله* الحامي للخليقة وسائسها المعمر في زعمهم. وبذلك يمثل فشنو عند الهندوس أحد خصائص برهما، كما يعتقدون أنه حل في كثيرين ممن وجدوا بعده. ومنهم راما وكرشنا، بل حتى بوذا* عند بعضهم، كما يعتقدون أنه سيظهر عند نهاية العالم باسم كلكي.

الفقه: استقر تعريف الفقه على أنه «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية»، سواء كانت هذه الأدلة ظنية أو قطعية. والفقه بهذا المعنى هو قانون الدولة العام ونظامها الروحي المدني المنظم لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وبغيره من الأفراد، بل وبمجتمعه الذي يعيش فيه، كما ينظم أمور الدولة في السلم والحرب، وعلاقتها بغيرها من الدول. والفقه يستمد أدلته من الشريعة الإسلامية*، كما يستمد منها قدسيته بحسب موافقته لها.
وقد مر الفقه الإسلامي بثلاثة أطوار رئيسة:

الطور الأول: (صدر الإسلام)، إذ أطلق على علم الدين* من حيث فهم الأحكام الشرعية سواء كانت اعتقادية أو عملية، كما أطلق على الأحكام الشرعية ذاتها، وأصبحت كلمة الفقهاء في الأحاديث وعلى ألسنة الصحابة والتابعين تشير إلى أصحاب البصيرة النافذة في دين الله تعالى. ويدل على ذلك قول النبي*، ﷺ، «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[١]، ويقول الحسن البصري «إنما الفقيه المعرض عن الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم». وقد ظل هذا المفهوم إلى عصر الإمام أبي حنيفة، إذ وضع ورقات في علم العقيدة باسم (الفقه الأكبر).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٥) ابن ماجه (٢٣٦٦) عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٧٦٥).

الطور الثاني: وفيه استبعد علم العقائد، وعرف الفقه في هذا الطور بأنه العلم بالأحكام الفرعية الشرعية سواء كانت مرتبطة بأفعال الجوارح أو أفعال القلوب ـ سوى العقائد ـ والمستمدة من الأدلة التفصيلية.

الطور الثالث: وفيه استبعد علم الأخلاق وأعمال القلوب، وأصبح يطلق على (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الأدلة التفصيلية) سواء كانت هذه الأدلة ظنية أو قطعية. وعلى هذا التعريف فإن الفقه الإسلامي يشتمل على جميع أقسام القانون الوضعي* سواءً أكان الخارجي (الدولي) منه أو الداخلي بفروعه المتعددة (الدستورية، أو الإدارية، أو الجنائية، أو المالية) أو كان قانونًا خاصًا ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم أو بينهم وبين الدولة. وقد ألف في كل هذه الفروع من القوانين فقهاء المسلمين على مر العصور، ووضعوا لهذه القوانين القواعد المستمدة من الشريعة الإسلامية* قبل ظهور هذه القوانين الوضعية* بمئات السنين، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يهتم فقهاء المسلمين في ذلك الوقت بتقسيم أبواب الفقه على أبواب القوانين الوضعية، لعدم الحاجة في نظرهم لذلك، إذ كان القضاء موحدًا وفيه يفصل الفقيه في كل نزاع يرفع إليه.

وتنقسم أبواب الفقه بأكثر من اعتبار، سواء أكان باعتبار أدلته أو موضوعاته أو حكمته. ويتميز الفقه الإسلامي عن القانون الوضعي بربطه الدائم بين الجزاء الدنيوي والأخروي من حيث الحكم التكليفي أهو حلال أم حرام، بالإضافة إلى تعرضه للأحكام الوضعية من حيث الصحة ونفاذ التصرف.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت دعوة إلى تطوير الفقه الإسلامي ـ راجع التجديد ـ ويعلق على هذا الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **معجم المناهي اللفظية** بقوله «الفقه الإسلامي ثابت لا يتطور؛ لأنه بنفسه يتلاقى مع جميع ظروف الحياة في الأزمان والأماكن كافة، وإنما يقال: الفقه الإسلامي والتطوير. وتلك الدعوة إلى تطوير الفقه الإسلامي حقيقتها خروج عليه فليتنبه». ص ٣٧١.

الفلسفة: كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا) بمعنى الإيثار وجعلها فيثاغورس بمعنى محبة، و(سوفيا) ومعناها الحكمة. والفيلسوف مشتق من الفلسفة بمعنى «مؤثر

الحكمة»، إلا أن المصطلح* تطور وأصبح يعني الحكمة، ومن ثم أصبح يطلق على الفيلسوف الحكيم. وقد أطلقت الفلسفة قديمًا على دراسة المبادىء الأولى، وتفسير المعرفة عقليًا، وكانت الغاية منها عند أصحابها البحث عن الحقيقة. والفلسفة عند أنصارها كما يعرفها د. توفيق الطويل هي «النظر العقلي المتحرر من كل قيد وسلطة تفرض عليه من الخارج، وقدرته على مسايرة منطقه إلى أقصى آحاده، وإذاعة آرائه بالغًا ما بلغ وجه التباين بينها وبين أوضاع العرف، وعقائد الدين*، ومقتضيات التقاليد، من غير أن تتصدى لمقاومتها أو التنكيل بها سلطة ما». والفيلسوف عند أرسطو أعلى درجة من النبي*؛ لأن النبي يدرك عن طريق المخيلة، بينما الفيلسوف يدرك عن طريق العقل* والتأمل. والمخيلة عندهم درجة أدنى من التأمل، وقد تابع الفارابي أرسطو في جعل الفيلسوف فوق النبي.

الفلسفة بهذا التعريف تصادم الحكمة التي تعني في المصطلح* الإسلامي السنة كما هو تعريف أكثر المحدثين والفقهاء، وبمعنى القضاء والعلم والإتقان، مع ضبط الأخلاق* والتحكم في أهواء النفس وكفها عن المحارم. والحكيم من يتصف بهذه الصفات: ولذلك فهي بهذا المعنى من أخطر الطواغيت* وأشدها شراسة في محاربة الإيمان والأديان*. مستخدمة المنطق* الذي يسهل تلبيسها على الناس باسم العقل والتأويل* والمجاز الذي يحرف به النصوص، مما جرت على المسلمين شيوع الفتن وانتشار الفرق وأهل الأهواء.

يقول الإمام الشافعي «ما جهل الناس واختلفوا إلا بتركهم مصطلح العرب وأخذهم بمصطلح أرسطو طاليس». وعلى الرغم من وجود الفلسفات في الحضارات المصرية والهندية والفارسية القديمة، فإنها اشتهرت في بلاد اليونان بل وأصبحت مقترنة بها، وما ذلك إلا لاهتمام فلاسفة اليونان بنقلها من تراث الشعوب الوثنية* وبقايا الديانات السماوية، مستفيدين من صحف إبراهيم وموسى، عليهما الصلاة والسلام، بعد انتصار اليونانيين على العبرانيين بعد السبي البابلي، وبما استفادوه من دين لقمان الحكيم، فجاءت خليطًا من نزعات التأليه وإثبات ربوبية الخالق جل وعلا، مشوبة بالوثنية، وعلى ذلك فإن الفلسفة اليونانية إحياء أكثر منها اختراعًا.

وقد مرت الفلسفة اليونانية بثلاث مراحل رئيسة بالنظر إلى موضوعات بحثها، وهي:

● مرحلة البحث في عالم الطبيعة* لمعرفة الأساس الذي عليه يطرأ تغير الأشياء إلى أضدادها. ويعبر عن هذه المرحلة طاليس (٦٢٤ـ٥٤٦ ق.م)، إنكسيمندريس (٦١٠ـ٥٤٧ ق.م)، إنكسيمانس (٥٨٨ـ٥٢٤ ق.م) وتابعهم هرقليطس (٥٤٠ـ٤٧٥ ق.م) وفيثاغورس (٥٧٢ـ٤٩٧ ق.م) والإيليون أمثال أكسانوفان (٥٧٠ـ٤٨٠ ق.م) وبار ميندس (٥٤٠.ـ؟) وزينون الإيلي (٤٩٠ـ٤٣٠ ق.م) وغيرهم.

● المرحلة الثانية: اهتمت الفلسفة فيها بالنظر والتأمل في جانبي التفكير والإرادة في الإنسان، مما سبب ظهور القضايا الأخلاقية*، والمنطقية* والنفسية على يد سقراط (٤٦٩ـ٣٩٩ ق.م) والسوفسطائيين أمثال بروتاجوراس (٤٨٠ـ٤١٠ ق.م) جورجياس (٤٨٠ـ٣٧٥ ق.م) على خلاف بينهما.

● المرحلة الثالثة: وكانت على يد ديمقراطيس (٤٧٠ـ٣٦١ ق.م) وأفلاطون (٤٢٧ـ٣٤٧ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ـ٣٢٢ ق.م)، وفيها استخدموا معارف من قبلهم ونظموها ووسعوا نطاقها.

وفي ظل هذه الفلسفة نشأت، أيضًا، ثلاث مدارس فلسفية رئيسة تختلف فيما بينها في الأصول، وهي:

ـ الدهريون: الذين جحدوا الخالق المدبر العالم القادر وهم الزنادقة*.

ـ الطبيعيون: الذين أكثروا من البحث في عالم الطبيعة* وعجائب الحيوان والنباتات، واهتموا بعلم التشريح فآمنوا بأن هناك إلهًا* خالقًا حكيمًا مطلعًا على غايات الأمور ومقاصدها، ولكنهم مع ذلك كانوا زنادقة أنكروا الحشر واليوم الآخر وأحواله، وانهمكوا في الملذات كالأنعام.

ـ الإلهيون: وهم الذين تصدوا للرد على كلتا المدرستين السابقتين، وأفاضوا في كشف فضائحهم، لكنه كان تألهًا مشوبًا بوثنية* مما استدعى كفرهم.

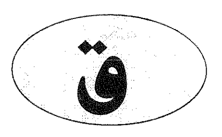
وقد سبق العرب فلاسفة الغرب في الاتصال بالفلسفة اليونانية، وقد تم ذلك في عهد الخليفة المأمون العباسي في القرن التاسع الميلادي، بينما بدأ هذا الاتصال عند الغرب في

القرنين الميلاديين الثاني عشر والثالث عشر، معتمدين على ما خلفه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام.

وقديمًا حاول فلاسفة النصارى التوفيق بين النصرانية والفلسفة، فجاءت النصرانية ديانة* محرفة ظهرت فيها العقائد والأفكار الوثنية الفلسفية، مثل فكرة اللوغو في أقنوم* الابن* وغيرها. راجع الابن، الأقانيم. وأشهر من قام بذلك كليمنت ١٥٠ـ٢١٧م وأوريجنس ١٨٥ـ٢٥٤م. وتعد رسائل بولس خير مثال على ذلك. ومن بين المنتسبين للإسلام من الفلاسفة من اقتفى أثرهم محاولاً التوفيق بين الإسلام والفلسفة، مما زاد من الفتن والفرقة بين المسلمين. وقد تصدى لهم العلماء بالحجة والبرهان. ومنهم علماء المعتزلة وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي والغزالي.

ويلخص ابن أبي العز شارح **الطحاوية** مذهب* الفلاسفة في خمسة أصول للدين* عندهم فيما يلي: أن الله سبحانه وتعالى موجود لا حقيقة له ولا ماهية، ولا يعلم الجزئيات بأعيانها ولكنه يعلمها إجماليًا، وبالتالي أنكروا خلق أفعال عباده. كما لا يؤمنون بكتبه، إذ إن الله عندهم لايتكلم ولا يكلم، وأن القرآن فيض فاض من العقل* الفعال على قلب بشر زكي النفس طاهر ـ تعالى الله عن وصفهم علوًّا كبيرًا ـ وأن الملائكة ليست ذوات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء، إنما هي عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان. والفلاسفة أشد الناس إنكارًا لليوم الآخر وأحداثه، وما الجنة والنار ـ عندهم ـ إلا أمثال مضروبة لتفهيم الناس العوام ولا حقيقة لها في الخارج.

وما زالت للفلسفة اليونانية روافد في جميع الفلسفات والدعوات الغربية القديمة والحديثة، بل تأثرت بها معظم الفرق الإسلامية الكلامية. ولم يظهر مصطلح* الفلسفة الإسلامية كمنهج علمي يدرس ضمن مناهج* العلوم الشرعية إلا على يد الشيخ مصطفى عبدالرازق ـ شيخ الأزهر ـ بصفته ردة فعل للهجوم الغربي على الإسلام، بحجة أنه يخلو من الفلسفة. والحق أن الفلسفة جسم غريب داخل كيان الإسلام، فليس في الإسلام فلسفة، ولا بين المسلمين فلاسفة بهذا المعنى المنحرف، وإنما في الإسلام علم محقق وعلماء محققون، ومن أشهر الفلاسفة المنتسبين للإسلام: الكندي، الفارابي، ابن سينا، وابن رشد.



القانون الكنسي: هو القانون الذي أخذت به الكنيسة* الكاثوليكية بعدما أصبحت قوة عالمية، وتجاوزت حدودها الحدود السياسية كافة. ويستمد هذا القانون أحكامه من الكتاب المقدس وأقوال القديسين وقرارات المجامع الدينية المختلفة، بالإضافة إلى المراسيم البابوية. وتم ترتيب وتبويب هذا القانون في القرن الحادي عشر، بعد المحاولات التي قام بها برخارد أسقف* ورمز، وأنسلم أسقف لوكا، وأيقو أسقف شارتر. ومن أهمها ما قام به جراشيان في القرن الثاني عشر، إذ وضع مشروعًا للقانون نسب إليه بل جعلته الكنيسة في مقدمة مجموع ما جمعته من القانون الكنسي. وينقسم مشروع جراشيان إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

القسم الأول: يتألف من مائة باب تعالج مصادر القانون الكنسي.

القسم الثاني: يشمل نحو ستة وثلاثين قضية مختارة مع مناقشتها على ضوء القانون الكنسي.

القسم الثالث: خمسة أبواب في العبادة والطقوس الكنسية.

ولذلك جعلته الكنيسة في مقدمة مجموع ما جمعته من القانون الكنسي.

والجدير بالذكر أن القانون الكنسي اقتفى أثر القانون الروماني في تطوره، وكان بمثابة رد فعل قوي لاستناد الإمبراطور على القانون الروماني، وحتى يكون للبابوية، أيضًا، قانون تستند إليه كما للإمبراطور قانونه.

ومن أشهر البابوات* الذين اهتموا بتنظيم القانون الكنسي وتبويبه، البابا إسكندر الثالث ١١٥٩ـ١١٨١م والبابا لوكيومس الثالث ١١٨١ـ١١٨٥م، والبابا جريجوري التاسع ١٢٢٧ـ١٢٤١م. ولتوسيع نفوذ البابوية وتقوية سلطتها تم تدريسه في الجامعات الأوربية الناشئة. وفي سنة ١٢١٩م حرمت دراسة القانون الروماني على رجال الدين في جامعة باريس، وأصبح بذلك للقانون الكنسي قضاته ومحاكمه البابوية التي انتشرت في مختلف

بلدان غرب أوربا لتستأنف أمامها القضايا المختلفة. وأصبح لهذه المحاكم حق النقض والإبرام، بل أصبحت تتبعها السجون الخاصة كقوة تنفيذية.

القبط «قبطي»: كلمة يونانية الأصل Elgyptos معناها سكان مصر، أي البلاد التي بها معبود في منف عاصمة مصر القديمة اسمه «بتاح BATA». وأطلق على البلاد بالكلمة الفرعونية "HA-KA-PATA" أي «بيت روح الإله بتاح ـ إله* الخلق»، وعنها أخذ الرومان اللفظ اللاتيني AEGYPTUS، وأخذ الفرنسيون لفظ EGYPT، وعند قدماء المصريين GYPT، ولما كان حرف (G) لا ينطق في العربية إلا معطشًا فقربه العرب إلى «قبط».

ويذهب فريق آخر من الباحثين إلى أنها نسبة إلى القبط بن حام بن نوح، عليه الصلاة والسلام، وفريق آخر يرجّح أن الأقباط دخلاء على أهل مصر، جلبهم الإسكندر الأكبر عبيدًا، حيث إن مفردات اللغة القبطية إغريقية الأصل. ويدلل أصحاب هذا الرأي على صحته بما ورد في وثائق البحر الميت عن بلاد القبط التي تقع بين النهرين ببابل، ومنهم من يقول: إنها نسبة إلى بلدة قفط من قرى صعيد مصر.

وكانت تطلق كلمة القبط أو الأقباط على نصارى مصر الأرثوذكس حتى القرن ١٨ الميلادي، وبعدما اعتنق عدد من الأقباط الأرثوذكس المذهب الكاثوليكي متأثرين بنشاط الإرساليات الأجنبية الكاثوليكية. وزاد عددهم فكونوا طائفة الأقباط الكاثوليك، ومن بعد تكونت طائفة الأقباط البروتستانت وأصبحت كلمة الأقباط تطلق بوجه عام على نصارى مصر.

ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى ما أورده قاموس الكتاب المقدس من أن المصريين القدماء قد أطلقوا على بلادهم عدة أسماء منها «كيمي» التي تعني الأرض السوداء، وأيضًا، الأرضين (مصر العليا والسفلى). أما في اللغة العربية فقد أطلق عليها اسم مصر حسبما ورد في القرآن الكريم، وهو قريب من الإطلاق العبري عليها «مصرايم».

وفي مطلع القرن العشرين نادى حبيب جرجس مدير كلية اللاهوت الإكليركية بالقومية القبطية لتكون وريثة للحضارة الفرعونية. وبذلك يُعد أول من استخدم مصطلح* الأمة القبطية، كما عمل على إحياء اللغة القبطية القديمة.

وإحياءً لتراث القبطية ابتدع النصارى برنامج اليوم القبطي، بالإضافة إلى تدريس اللغة القبطية في المدارس والمعاهد النصرانية المتخصصة في الداخل والخارج، واستخدامها في الصلوات والطقوس الكنسية، وتوزيع أشرطة التسجيل المسجل عليها تلك الترانيم باللغة نفسها، في الوقت الذي يعملون فيه على إصدار **قاموس التراجم القبطية**، وهكذا يسيرون جنبًا إلى جنب مع دعوات الحداثة والعامية، في مواجهة اللغة العربية، في محاولة لإضفاء الطابع النصراني على أرض مصر المسلمة.

القدرية: إحدى الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء الاعتقادية الخاطئة في مفهوم القدر*، إذ قالوا بإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم، وأنه ليس لله ـ تعالى عن قولهم ـ دخل في ذلك ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء. كما أنكروا علم الله تعالى السابق، وقد وجدت طائفة منهم تثبت العلم والكتابة وتنكر المشيئة.

والقول بالقدر سبق القول بالجبر*، على أن القدرية الأولى «الغالية» نشأت بالحجاز وتمثلت في نزعات فردية، ويعد سوسن أو سوسية النصراني البصري الذي أسلم ثم تنصر أول من أظهر مقولة القدرية، مما يؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين أن الجذور الفكرية للقدرية الأولى هم نساطرة أهل الكتاب الذين تأثروا بفلسفة* الأبيقوريين اليونان.

وعن سوسن أو سوسية أخذ معبد الجهني وغيلان الدمشقي القول بالقدر على النحو السابق بالإضافة إلى دعوته إلى نفي دخول الأعمال في مسمى الإيمان على قول المرجئة، وقال بقول الجهمية* في نفي الصفات وبخاصة صفة الاستواء، وكان لوجود بعض الصحابة مثل ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأنس بن مالك، وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم، رضي الله عنهم، أثره الفعال في إخماد فتنتهم وتحجيم دعوتهم، واستمر الأمر على شكل نزعات فردية إلى أن ظهرت المعتزلة وتبنت قول القدرية، ولذلك أطلق عليهم القدرية الثانية. وأظهر بعضهم القول بأن الله تعالى خلق كل أفعال الخير وأرادها، ولم يخلق أفعال الشر ولا أرادها، والحق الذي عليه أهل السنة* أن الله تعالى خالق كل شيء، ومنها أفعال العباد بخيرها وشرها كونًا، ويحب الخير منها ويريده شرعًا، ولا يرضى الكفر والشر من عباده شرعًا، أيضًا ـ راجع

الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وانظر القضاء والقدر ـ .

والجدير بالذكر هنا أن لفظ القدرية يطلق على نفاة القدر كما يطلق على مثبتي القدر ـ الجبرية* ـ ولكن شاع استعماله في النفاة أكثر. وجاء في الأثر عن ابن عمر أنه قال: «مجوس هذه الأمة القدرية، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم». ووجه الشبه بينهما أن المجوس اتخذوا إلهين والقدرية قد جعلوا للخلق، أيضًا، إلهين أحدهما خالق أفعال الخير «الله تعالى»، وخالق أفعال الشر «الإنسان في زعمهم».

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «سيكون في أمتي مسخ وخسف وهو في الزنديقية والقدرية»[١].

قسيس: كلمة يونانية «بزيسبينيروس» بمعنى شيخ، كذلك وهي معرّبة من الكلمة السريانية فشيشو. ويبدو أن أصل نشأتها يرجع إلى مجلس القدماء «سانهيدران» في المعبد اليهودي حيث كانوا يشكلون في أول الأمر مجلس الجماعة التي يدير أمورها في الواقع، وجمعها قسيسون وقساوسة. والقسيس رئيس النصارى في العلم، والمفتي في الدين، ومقيم الصلوات، ومرتبته بين الأسقف* والشماس*، والقس لا يستطيع منح الكهنوت وسر التثبيت ـ المسح بزيت الميرون ـ بعكس الأسقف، وكذلك القس قد يكون راعيًا في قرية أو حي، أما الأسقف فيرأس أبرشية مكونة من عدة كنائس* من عدد من المدن. بينما لا يعترف البروتستانت بالتفريق بين الأسقف والقسيس، استدلالاً بقول بولس لقساوسة كنيسة ميلتيس بعد أن استدعاهم «احترزوا لأنفسكم وبجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة «أعمال ٢٠/ ١٧ـ٢٨ لا يعترفون بسلطات القساوسة على الكنائس، إذ يعتبرون أن المسيح هو رأس الكنيسة أما القساوسة وغيرهم فهم أعضاء في الكنيسة مثل باقي النصارى. وقد ورد ذكر القسيسين مرة واحدة في **القرآن الكريم**.

القصيدة: قطعة من الشعر ذات وزن وقافية لا تقل عن سبعة أو عشرة أبيات، ولايتكرر فيها لفظ القافية إلا بعد عدة أبيات حسب التعريف التقليدي. وتتناول القصيدة في إطارها الجاهلي عدة موضوعات تبدأ بالبكاء على الأطلال والنسيب فوصف الصحراء والرحلة، وما

---

(١) سبق تخريجه في مصطلح الزندقة ص١٠٦٣ .

يعرض فيها من مشاهد الحيوان أو المدح أو الهجاء. ولكن بعض الشعراء كالصعاليك وابن ربيعة وابن الرومي والمعري، كانت أكثر قصائدهم ذات موضوع واحد، كما يتفاوت طول القصيدة حسب نفس الشاعر والموضوع المعالج.

وأما القصيدة في العصر الحديث فلم تعد تلتزم بما ذكر إلا نادرًا، وقلت الفروق بينها وبين النثر الفني.

القضاء والقدر: كلاهما من الألفاظ المشتركة ذات اللفظ الواحد، والمعاني الكثيرة في اللغة والشرع على حدٍّ سواء، ولم تذكر كلمة «القضاء» في **القرآن الكريم** بينما وردت مشتقاتها في آيات كثيرة تبلغ الستين آية تقريبًا، فقد وردت بمعنى الصنعة والتقدير ومنها قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، وبمعنى الحتم والأمر ومنها قوله تعالى ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ الآية [الإسراء: ٢٣] وغير ذلك حسبما ورد في **لسان العرب** لابن منظور مادة «قضى». وأما كلمة القدر فقد وردت في آيات ونصوص عديدة في **القرآن الكريم** والسنة النبوية المطهرة. ويشير ابن منظور، أيضًا، إلى المعاني التي وردت فيها مادة «قدر» فيذكر منها أنها أحيانًا تأتي بمعنى القضاء والحكم ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] أي الحكم وقال تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وبمعنى التقدير أي القسمة كما يقول تعالى ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وبمعنى الجعل ومنها قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وبمعنى العلم السابق ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وبمعنى العلم الأزلي والحتم اللازم ومنها قوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢]، ومنها قوله تعالى ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠] ...

ولم يرد في نصوص الكتاب والسنة ولا في أقوال السلف الصالح من أصحاب القرون الثلاثة الأولى اقتران لفظي القضاء والقدر، على المعنى المصطلح* عليه في كتب أهل المقالات وعلماء الكلام، والمتعلق بمناقشة أفعال العباد جبرًا* أو اختيارًا، وإنما استعملها علماء الكلام متأثرين بالفلسفة* اليونانية، بعد نقلها إلى اللغة العربية واستخدام قضاياها

المنطقية في مناقشة أهل الكتاب والفلاسفة والبعد عن دلالات الكتاب والسنة والواقع المحسوس في المناقشة. وأول من تكلم فيها معتزلة الكوفة، ثم نشأ القول بالجبر* على يد الجهم ابن صفوان للرد على القدرية* ـ راجع الجبرية ـ، ثم ظهر من بعدهما متكلمة الأشاعرة للرد على الفريقين، ومن ثم جاؤوا بقول جديد في المسألة اعتبروه حلاً وسطًا بين الفريقين سموه بالكسب وهو إلى الجبر أقرب. ولمقالات تلك الفرق تصدى علماء أهل السنة والجماعة* منذ أن ظهر بعضها في شكل نزعات فردية في عهد الصحابة، رضي الله عنهم، متأثرة بعقائد أهل الكتاب إلى أن تشكلت في شكل فرق عقائدية، مفندين شبهاتهم، مدحضين أقوالهم، على أن القدر أحد أركان الإيمان التي لا يصح إلا بها، إذ وردت النصوص في السنة النبوية تؤكد وجوب الإيمان به خيره وشره، حلوه ومره. والإيمان بالقدر من مستلزمات الإقرار بتوحيد الله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته، إذ وصف نفسه جل وعلا بالعلم والإرادة والقدرة على الخلق، وهو ما تقوم عليه عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر. روى اللالكائي في كتابه **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** بسنده عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده». ولذلك ورد ذكر القدر في **القرآن الكريم** داخلاً ضمن الآيات الدالة على توحيد الله جل وعلا.

وللإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة* أربع مراتب وأركان:

١ـ الإيمان بعلم الله تعالى الأزلي والموصوف به أولا، (علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم)، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]، وهذا العلم لا يحاسب الله العباد عليه بل يحاسبهم على علمه بما وقع منهم من أفعالهم باختيارهم، قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

٢ـ الإيمان بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ، قال تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. ويتبع هذه الكتابة كتابات وتقديرات أخرى منها التقدير اليومي، ومنها الكتابة والإنسان جنين في بطن

أمه، والتقدير السنوي في ليلة القدر، والتقدير اليومي بأن يفرج كربًا أو يميت أو يحيي. ولا يكون الحساب يوم القيامة إلا على ما كتبته الملائكة من أعمالهم في كتاب الأعمال الذي يوضع في موازينهم.

٣ـ الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، سواء كانت هذه الإرادة كونية* أو إرادة شرعية*، فلا يكون في الكون من شيء إلا بمشيئته وقدرته وإرادته سبحانه وتعالى.

٤ـ الإيمان بخلق أفعال العباد وقدرتهم ومشيئتهم خيرها وشرها، قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. ومما يجب معرفته والإيمان به أن للعباد قدرة ومشيئة، بها تقع أفعالهم، يقول تعالى ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والمقصود بالكسب كما يقول الأشاعرة هو الكسب من اقتران الإرادة البشرية بالفعل من غير أثر، فمشيئة الله تعالى فوق مشيئة العباد، إذ تنفذ فيهم من خلال ما يفعلون، وعليه فإن الجبر* والاختيار المطلق للعبد باطل؛ لأن الجبر* المطلق طعن في التشريع، وإنكار مشيئة الله طعن في التوحيد. كما يعتقد أهل السنة والجماعة* في هذا الباب أن الأخذ بالأسباب واجب، والاعتقاد فيها شرك، وأن العبد سواء كان فاعلاً أو منفعلاً فهو يفعل فعله ويخلق الله فيه ما أراد، ولا يظلم الله تعالى عباده أبدًا، بل لا يحاسبهم إلا على ما صدر منهم، ولو عذبهم ما كان ظالمًا لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم. والخوض في القدر بالعقل منهي عنه ومذموم، والله تعالى يقول ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

بينمايختلف مفهوم القضاء والقدر عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام من أمثال ابن سينا وغيره، إذ يعتقدون بعلم الله تعالى الإجمالي فقط، والذي لا يدخل تحت الزمان ولا يحيط بالجزئيات. كما يعتقد المجوس* أن الإنسان محدث أفعاله بدون قدرة الله تعالى، في الوقت الذي تقول فيه الصابئة بالجبر*، وقد تأثر بهم بعض أصحاب الكلام من الجهمية وغيرهم. وتقول الدهرية، أيضًا، بالجبر ولكنها تنسبه إلى الطبيعة* أو مركز الأفلاك، بينما يؤمن اليهود بمذهبين في القدر، فمثلاً، ينفيه الربانيون في الوقت الذي يقول فيه القراؤون بالجبر. وكذلك النصارى فالشرقيون منهم ـ المذاهب* الأرثوذكسية ـ يقولون بأن الإنسان مخيَّر، بينما يؤمن الغربيون ـ الكنيسة* الكاثوليكية والبروتستانتية ـ بالجبر. وقد تأثرت المعتزلة

بالنصارى الشرقيين والنساطرة في قولهم بحرية الإرادة، حتى أصبح لقبهم القدرية الثانية* .

وإذا انتقلنا إلى المذاهب* المادية* المعاصرة مع تعدد اتجاهاتها واختلاف فلسفاتها، نجد أنها تعلن الجبرية سواء نسبوها إلى الله تعالى أو نسبوها إلى الطبيعة* والأفلاك. بينما تتعرض المذاهب الليبرالية* إلى حرية الإنسان وأفعاله على النقيض من مذهب الجبرية والحتمية* . ومازال في عالمنا الإسلامي من تأثر بكلا القولين ويدعو إليهما سواء كان من خلال بعض الفرق الكلامية مثل المعتزلة ومن تأثر بهم من الروافض* والأشاعرة والماتريدية وغيرهم، أو من أصحاب المذاهب العلمانية ليبرالية* كانت أو اشتراكية* على أن الأصل في كل هذه المذاهب المخالفة يرجع إلى الديانات* والفلسفات القديمة، وبخاصة الفلسفة* اليونانية، إذ نشأ فيها القول بحرية الإرادة وحرية* الإنسان على قول الأبيقوريين* وأرسطو، والقول بالجبر وأن الإنسان مسيَّر على قول الرواقيين* .

القوانين الوضعية[1]: مجموعة القواعد التي تحكم الأقوال والأفعال والتصرفات الصادرة من الأفراد، وتحدد ما يترتب عليها من نتائج والتزامات، والإلزام بها طوعًا، انطلاقًا من أهواء ورغبات أو آراء وتصورات فرد أو طائفة من الناس. ولا يدخل ضمن موضوع بحثنا من هذه القوانين الوضعية: الترتيبات والتنظيمات الإدارية التي لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالاً؛ لأنه أحيانًا تكون هذه التنظيمات مستحبة أو واجبة بحسبها. وتقوم هذه القوانين الوضعية المستقاة من القوانين والتشريعات الرومانية والفرنسية والإنجليزية، المستمدة من العرف* والسوابق القضائية، على منافسة الشريعة الإسلامية*، إذ تخالفها في قاعدة الحكم وأصل التحاكم، بجعلهما حقين خالصين لغير الله تعالى فردًا كان أو جماعة، وإن وافقت أحيانًا بعض نصوصها الأحكام الشرعية.

وأوجه المخالفة في هذه القوانين الوضعية لأحكام الشريعة الإسلامية متعددة منها:

(أ) ما يختص بتحليل الحرام: كما هو شائع في الكثير من الدساتير والقوانين المعمول بها في معظم الدول الإسلامية. وهي أمور عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر: ما وضعته في

---

(١) نظرًا لخطورة المصطلح، وتعريفًا به وبتاريخه وحكم الشرع فيه سنركز فيه القول مع محاولة الإيجاز .

شأن الزنا الذي حرمته الشريعة ورتبت على تحقق وقوعه الحد الشرعي، بينما نصت تلك القوانين «لا يعاقب القانون على جريمة هتك العرض متى كانت الفتاة بالغة، وتم الفعل برضاها» وأيضًا، «للزوجة التي زنى زوجها في بيت الزوجية الحق في أن تزني مع من شاءت ولا تثريب عليها إن فعلت ذلك».

(ب) أو بتحريم الحلال: كترتيب بعض القوانين على من يتزوج بالثانية أو من يعدد الزوجات على ما أباحته النصوص القطعية للشريعة الإسلامية، بإلزامه بطلاق الثانية أو معاقبته.

(جـ) تارة تأتي المخالفة بالسكوت: عن عقوبة على أفعال حرمتها الشريعة الإسلامية* بل وجرمتها، أيضًا، ورتبت عليها عقوبات محددة مثل حكم المرتد، بينما لم تتعرض له القوانين الوضعية من قريب أو بعيد، بل دافعت عنه تحت ستار حرية* الفكر.

ولا ريب أن سن هذه القوانين والتحاكم إليها والرضى بها شرك أكبر؛ لأنه شرك في الطاعة والتشريع، يقول تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦] ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠] ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ... ﴾ الآية [الشورى: ٢١] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثير.

ومن أشهر هذه القوانين الوضعية: قانون حمورابي سادس ملوك بابل وأشهرهم ١٧٩٢-١٧٥٠ قبل الميلاد وقد وضعه في حوالي ثلاثمائة مادة، وقانون مانو نسبة إلى الملوك السبعة المؤلهين عند الهنود الذين حكموا - في زعمهم - العالم، ووضع في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد من ٢٦٨٥ بيتًا من الشعر، وقانون بوخوريس أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ٧١٨-٧١٢ قبل الميلاد، وقانون دراكون على اسم حاكم أثينا ٦٢١ قبل الميلاد، الذي قنن فيه الظلم الذي كان سائدًا من قبله، وقانون صولون الحاكم الذي تلاه في الحكم ٥٩٤ قبل الميلاد، إذ خفف من تلك الأحكام القاسية في قانون سلفه.

ومن أقدمها أيضًا: القانون الروماني الذي جمعه الإمبراطور جوستينيان سنة ٥٣٧م من القوانين الرومانية القديمة في مجموعة سماها البندكت بمعنى الحاوي الأوفى أو الديجت بمعنى المذهب* المختار، وقانون العرب في الجاهلية* السوالف، والقانون الكنسي* السائد في العصور الوسطى والمستقى من القانون الروماني المصبوغ بصبغة دينية. وفي مطلع القرن التاسع عشر وضع نابليون قانونه المعروف بقانون نابليون لفرنسا، الذي احتذت به باقي الدول الأوربية متأثرة في ذلك بالقانون الروماني.

ومن أشهر هذه القوانين في ديار الإسلام الياسق قانون التتار الذي وضعه جنكيز خان محتويًا على شرائع شتى؛ ليكون تشريعًا عامًّا يرجع له ويتحاكم إليه. ويُعد هذا أول ظهور رسمي لهذه القوانين الوضعية المستبدلة بالشريعة الإسلامية* ، لكنه سرعان مازال وذهب أثره؛ لرفض المسلمين التحاكم إليه والعمل به، وكذلك لدخول حكام التتار في الإسلام. وفي سنة ١٨٤٠م في عهد الدولة العثمانية صدر أول قانون للعقوبات في بلد إسلامي مستمدًّا أحكامه من القانون الجنائي الفرنسي، وألغى عقوبات التعزير والرجم للزاني المحصن، وقطع اليد في السرقة. ثم صدر بعده عدة قوانين للتجارة والأراضي وأصول المحاكمات التجارية، والتجارة البحرية، والفائدة القانونية.

وفي عام ١٨٧٦م صدر القانون المدني باسم مجلة الأحكام العدلية، مستقاة أحكامه من الفقه الحنفي. وفي سنة ١٧٩٨م أنشأ نابليون في مصر محكمة سماها محكمة القضايا في محاولة لإقصاء الشريعة* التي تقلصت أحكامها في عهد محمد علي، بإنشائه المجالس القضائية المحلية التي نازعت المحاكم الشرعية اختصاصاتها. وفي عهد أبنائه تم إقصاء الشريعة على مراحل متعددة، بدأت بإنشاء الخديوي سعيد محاكم تحكم بمقتضى القانون الهمايوني، ثم تتابع الأمر في عهد الخديوي إسماعيل، وبمشورة من الصليبي الأرمني نوبار باشا وزير الخارجية المصري أنشئت محاكم مصرية مختلطة تمتد ولاياتها إلى سائر المسائل المدنية والتجارية والجنائية. وتم تكليف المحامي الفرنسي مونوري بوضع قوانينها التي نقلها من القوانين الفرنسية، وصدر في عام ١٨٧٥م، وقد استمر العمل بها حتى عام ١٩٤٩م، عندما ألغيت المحاكم المختلطة بعد أن وضع الدكتور عبدالرازق السنهوري وآخرون مواد

القانون المدني للمحاكم الأهلية، مستمدًا مواده من أكثر من عشرين قانونًا وضعيًا، ثم تبعه عدد من القوانين الأخرى في عهد الخديوي توفيق الذي افتتح رسميًا المحاكم الجديدة في ٣١ ديسمبر عام ١٨٨٣م. وفي عام ١٩٥٦م ألغيت كل القوانين المتعلقة بترتيب المحاكم الشرعية والملية جميعًا، وتبعها في ذلك باقي الدول العربية والإسلامية خاصة بعد انهيار الخلافة* العثمانية عام ١٩٢٤م، وهكذا أقصيت الشريعة الإسلامية* واستبدل بها القانون الوضعي.

ولترسيخ العمل والتحاكم إلى القوانين الوضعية أنشئت كليات الحقوق، وزاد عدد البعثات إلى الدول الأوربية وبخاصة فرنسا، لإيجاد علماء وقضاة عارفين بها، فبرز عدد من هؤلاء ممن عملوا على تمرير هذه القوانين الوضعية، تحت دعاوى وألوان من المكر والخداع، بزعم أن الله ـ تعالى عن قولهم ـ أعطى للأمة أن تضع القوانين التي تشاء، ولو خالفت حكمه كما قال الدكتور السنهوري في رسالته **الخلافة**، بزعم أن هذه القوانين الوضعية لا تتعارض مع نصوص الشريعة الإسلامية، أو أنها من المصالح المرسلة* التي يجوز الاجتهاد* فيها لرعاية مصالح الناس. ولإثبات ذلك عقدت عدة مؤتمرات للتوفيق بين أحكام الشريعة الإسلامية* والقوانين الوضعية، منها ما عقد في لندن عام ١٩٥٠م وباريس ١٩٥١م، ودمشق ١٩٦١م، والقاهرة ١٩٦٧م.

ولعموم البلوى بهذه القوانين الوضعية، وتبصيرًا للمسلمين في حكمها وحدها، تصدى علماء المسلمين في مصر وغيرها لهذه القوانين وواضعيها ومروجيها والمتحاكمين بها وإليها، وقرروا أنه من الكفر* المبين تنزيل القانون اللعين منزلة شريعة رب العالمين، ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية في **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**:

«ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، وبين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله أو تماثلها وتشابهها، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية وإن كان معتقدًا أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل».

وقد وضعوا أصولاً وقواعد لمن لا ينطبق عليه الحكم بالكفر المُخرج عن الملة* عند العمل أو الحكم بهذه القوانين، وهذه القواعد بشكل عام هي:

١ـ أن يكون الحاكم بها والمتحاكم إليها ملتزمًا باطنًا بكل حكم وتشريع جاء عن الله ورسوله في كل الأحوال.

٢ـ أن يكون مقرًّا ومعترفًا بأنه بترك الحكم بما أنزل الله تعالى في قضية ما أو واقعة معينة يكون آثمًا، وأن حكمه خطأ وحكم الله هو الصواب.

٣ـ ألا يشكل حكمه حكمًا عامًّا أو شرعًا متبعًا، وإنما تكون المخالفة في وقائع الأعيان (القضايا المعينة التي لا عموم لها).

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين**: في معرض جوابه عن: «هل هناك فرق بين المسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي وبين المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًّا؟

فأجاب: نعم هناك فرق، فإن المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًّا لا يتأتى فيها التقسيم السابق ـ القسم الأول: نفي الإيمان عن من لم يحكم بما أنزل الله، والقسم الثاني: احتمال الكفر* والظلم والفسق حسب الحامل على عدم الحكم ـ وإنما هي من القسم الأول فقط». ج ٢ ص ١٤٤.

وكان من أبرز آثار استبدال القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية* ظهور طوائف من أهل الغلو* ـ جماعات التكفير والتوقف والتبين ـ لم تكتف بإطلاق أحكام التكفير بإطلاق ودون تفصيل على المتحاكمين بالقوانين الوضعية، بل أطلقت أحكام التكفير أو التوقف عن الحكم بالإسلام أو الكفر وبدون تفصيل، على المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات التي تتحاكم بالقوانين الوضعية، إذ زعموا أن الأصل في أهل هذه المجتمعات الكفر، وقد رتبوا على ذلك العديد من اللوازم، والأصل أن عدم الإنكار الظاهر باليد واللسان من المسلمين الذين يعيشون في هذه المجتمعات على الذين يحكمون هذه القوانين لا يعني مشايعة الذين يحكمون بالقوانين الوضعية، لأن الإنكار لا يقدر عليه كل أحد، ولا تكليف إلا بمستطاع، إذ يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦] ولابد من الرضى

والمتابعة لتحقيق مناط كفرهم* ، قال رسول* الله، ﷺ: «إنه يستعمل عليكم فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»[١] مع الأخذ في الاعتبار أن عدم الإنكار مع القدرة عليه ضعف في الدين* . كما ننبه إلى أن المتابعة للمشرعين من دون الله تعالى بالعمل الظاهر لا تكون كفرًا* مطلقًا، بل قد تكون معصية مع تحقق الإيمان وعدم انتفائه بالكلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم* أربابًا من دون الله «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقدوا بتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسول فهذا كفر. وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم. فكان من اتبع غيره في خلاف الدين* مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

الثـانـي: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب» **مجموع الفتاوى** ٧/ ٧٠.

قوانين منوسشتر: انظر منواسمرتي

القياس: أحد مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة والإجماع* ، ويعني إلحاق مسألة ليس عليها نص بمسألة ورد فيها نص لاشتراكهما في علة ذلك الحكم. ومن أمثلته: شرب الخمر واقعة ثبتت بالنص حكمها هو التحريم لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وعلة التحريم الإسكار، فكل نبيذ أو شراب توجد فيه هذه العلة يحكم عليه بحكم الخمر. وبالتالي يصبح محرمًا شرابه.

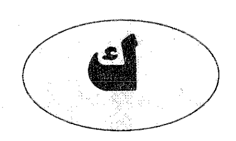
(١) أخرجه مسلم عن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة رضي الله عنها.

ويستدل العلماء على حجية القياس بنصوص من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله، ﷺ، للجارية الخثعمية التي سألته قائلة: «إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت. أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء[(١)]».

وقول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري، رضي الله عنهما، في كتابه «الفهم الفهم فيما أُدلي إليك مما ورد عليك مما ليس فيه قرآن ولا سنة، ثم قايس بين الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم انظر فيما ترى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق».

ولم يأخذ الظاهرية والجعفرية الشيعة* وبعض المعتزلة بالقياس على عكس رأي الجمهور.

(١) أخرجه البخاري (١٥١٣) عن ابن عباس، رضي الله عنهما.



كاردينال: عضو أعلى هيئة تساعد البابا* في إدارة الكنيسة* الكاثوليكية والمجلس الاستشاري، يلي البابا في مرتبته مباشرة، والكرادلة هم الذين يختار البابا من بينهم.

كاهن: كلمة كاهن تأتي في اللاتينية بمعنى المعبرون يرادفها في اللغة العبرية كلمة «كوهين» التي تدل على الشخص المخصص لتأدية الخدمات الكهنوتية وفق طقوس وملابس خاصة، ويبدأ الكاهن عمله وينتهي عند سن معينة، وليس للكاهن في اليهودية نصيب في الملك. وتذكر المصادر اليهودية أن موسى، عليه السلام، عين رتبة الكهنوت في ذرية هارون، إذ كانت لهم وجبات الذبائح اليومية والأسبوعية، وخدمة الاحتفالات والتطهير والمسح بدهن المسحة والاعتناء بالآنية والنار والأثاث، بالإضافة إلى حمل تابوت العهد، والقضاء في الدعاوى وتفسير الناموس للشعب، ولذلك فقد فرض على الكهان محظورات هي حلال لغيرهم من اليهود.

وفي الاصطلاح النصراني فإن الكاهن أحد رجال الأكليروس* ، وأصحاب الرتب الدينية، ويدخل في مسماه البابا* ، والبطاركة* ، والمطارنة* ، والأساقفة* ، والقساوسة* ، والشمامسة* . ويختلف البروتستانت مع الكاثوليك والأرثوذكس في ذلك، إذ يعتبرون أن جميع المؤمنين الحقيقيين بالمسيحية* يدعون كهنة بالمعنى الروحي، إذ لا يوجد كهنوت ولا كهنة بالمعنى الحرفي.

وفي الديانات القديمة لمصر والهند والصين كان للكهنة أثرهم البالغ في انحراف تلك الديانات إلى عبادة مظاهر الطبيعة، وتأليه الملوك والكهنة أحيانًا، وعلى أيديهم نشأت نظرية الظاهر والباطن في العقائد، إذ احتفظوا لأنفسهم ببعض العقائد أسراراً خاصة بهم، واستبدلوها بطقوس رمزية موهوا بها على الشعوب، كما يرجع إلى الكهنة اختراع عقيدة التقمص، لتحل فيهم وفيمن أرادوا من الملوك والأمراء أرواح الآلهة، وبسببهم نشأت القاعدة «الكاهن نائب الله، والملك ظل الله في الأرض» الأمر نفسه الذي أنشأ نظام الطبقات عند البراهمة وغيرهم.

ويراد بالكاهن في الاصطلاح* الإسلامي: الذي يدعي علم الغيب والإخبار عن المغيبات، ويطلق أحيانًا على العرّاف اسم الكاهن، كما يدخل فيه المنجم والرّمال ونحوهم.

ويعدد القاضي عياض أنواع الكهانة عند العرب فيقول: «كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب.

أحدها: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم باطل من حين بعث النبي*، ﷺ.

الثاني: أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده.

الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة. وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم، وإتيانهم والله أعلم». وذلك بقوله، ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد، ﷺ»(١) وفي رواية «فقد برىء مما أنزل على محمد، ﷺ»(٢) ـ راجع التنجيم ـ .

الكبائر: جمع كبيرة، وهي من أوائل القضايا التي أثارت جدلاً* كبيرًا بين الفرق الإسلامية منذ نشأتها، وذلك لرؤيتهم المختلفة لحقيقة الإيمان، ودخول العمل في مسمى الإيمان. ويجمل بنا أن نبدأ بتعريف الكبيرة عند السلف من الصحابة والتابعين، فإن مجمل النصوص الواردة عنهم تفيد بأن حد الكبيرة: كل ذنب توعد الله تعالى صاحبه بنار جهنم أو بالعذاب، أو ختم بالغضب أو اللعنة. أو هي الذنب الذي يوجب حدًّا من حدود الله تعالى، أو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٢٩) والحاكم ١/ ٨ وصححه على شرط الشيخين والبيهقي ٨/ ١٣٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٨١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٨)، أبو داود (٣٩٠٤)، الترمذي (١٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٨١٨).

الذي يوصف صاحبه بالعصيان. أو أن الكبيرة ترك كل فريضة مأمور بها على الفور.

وروي عن ابن عباس أن عدد الكبائر قد يصل إلى سبعين. ومرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة* مؤمن ناقص الإيمان تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة ـ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ـ وعلى ذلك فإنه غير مخلد في النار. وبالجملة فإن هناك أسبابًا عديدة لإسقاط العقوبة عن مرتكب الكبيرة منها: التوبة أو الاستغفار، والحسنات الماحية، وما يعمله الميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها، وشفاعة النبي، ﷺ، وما يحل به من مصائب يكفر بها خطاياه في الدنيا، وفتنة القبر وضغطته وأحواله. كما أن أهوال القيامة وكربها وشدائدها، بالإضافة إلى رحمة الله وعفوه، كل هذا وغيره مما قد يسقط العقوبة عن مرتكب الكبيرة. وعلى كل هذا دلت النصوص المستفيضة من الكتاب والسنة.

ووافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في تعريف حد الكبيرة، وحكم مرتكبها، وإن لم يتب منها. ويتفق الخوارج* مع المعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة في النار، على أنها تحبط ثواب طاعته، ولا تنفعه شفاعة النبي، ﷺ، ما لم يتب منها في الدنيا، ولكنهم اختلفوا في مسمى فاعل الكبيرة فسماه الخوارج كافرًا وسماه المعتزلة فاسقًا. أما المرجئة* فهم على النقيض من ذلك حيث إن مرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يضر إيمانه معصيته، بل قال غلاة المرجئة إنه لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد مهما ارتكب من ذنوب وخطايا.

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوة النبوة*، ولا هو مقدمة لها، غير مشترط فيها التحدي كالمعجزة*. والكرامة عبارة عن إكرام الله تعالى لولي* من أوليائه الصالحين من أتباع الرسل الملتزمين بأحكام الشرع، بما يظهره الله على يديه من أمور، لا يشترط فيها دائمًا أن تكون خارقة للسنن الكونية، أو خارجة عما يألفه الناس، وليس لها صور أو كيفية معينة. وبهذا المعنى تختلف عن المعجزة الخاصة بالرسل وعن الاستدراج الذي يكون للفاسق بما يظهره الله تعالى له معتقدًا أن هذه كرامة فيتمادى في غيّه آمنًا مكر الله تعالى.

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء*، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات*، وأنواع القدرة والتأثيرات. أما

الصوفية فإنهم يقسمون الكرامات إلى قسمين وهي: المشتهرة بين عامة الناس والمتمثلة في خرق الأمور العادية، وكرامات معنوية لأهل الخصوص من عباد الله والمتمثلة في التوفيق إلى حفظ الشريعة والاستقامة مع الله ظاهرًا وباطنًا، وغيرها من الأمور المعنوية، وهي أفضل من الحسبة، إذ لا يداخلها استدراج ولا مكر. واختلفت الصوفية في تحديد حال حدوث الكرامة إلى: طائفة ترى أنها لابد أن تحدث في حال السكر*، وهو مغلوب لا طاقة له على الادعاء، وأخرى ترى: أنها لابد أن تحدث في حال الصحو* والتمكن دون السكر، لأن الله جعل أولياءه أولياء للعالم وناط بهم الحل والعقد في زعمهم. وواضح ما في مفاهيم غلاة الصوفية حول الكرامة من فساد اعتقادهم في الأولياء* الذين يعتقدون تصرفهم في الكون بشكل أو بآخر.

كرشنا: من أبرز كهنة* الهنود، ولد حوالي سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد، وتربى عند نُسَّاك البراهمة* في زمن الطور الثاني من تطور الديانة* الهندية التي بعدت فيها عن التوحيد الخالص ونشأ فيها الثالوث* الهندي. وهو فيلسوف حازم قضى حياته في تهذيب معاصريه وإرشادهم، وبعد موته بزمن أراد أتباعه أن يجعلوا لتعاليمه زيادة نفوذ ومكانة، فربطوه بسبب مع الألوهية، وألبسوا حياته حللاً ضافية الذيول. ويعتقد بعضهم أنه قد حل فيه الإله* فشنو* أحد أقانيم* الثالوث الهندي.

الكشف: في المصطلح* الشرعي: هو كرامة* من الكرامات للمؤمن الصالح الملتزم بالكتاب والسنة غير المبتدع*، وعلى غير عادة مستمرة، وعرَّفها البعض بأنها حالة من الشفاف الروحي يصل إليها الإنسان الصالح المؤمن حقًّا، فينكشف له بها بعض أمور الغيب، والدليل قول النبي، ﷺ، في الصحيح «هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري»[١]. وكما حدث مع عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، فيما يعرف بمقام التحديث، يقول، ﷺ، كما في الصحيحين «لقد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»[٢] والكشف الحق هو الذي

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة (٧٤١).
(٢) يسبق تخريجه ص ١١٨ «مصطلح التلباثي».

لا يعارض الكتاب والسنة، إذ ضمن الله تعالى لهما العصمة ولم يضمنها لا للكشف ولا للإلهام ولا للرؤى والمشاهدة.

وفي المصطلح الصوفي: تعني رفع الحجب عن قلب الصوفي وبصره بعد اتحاده مع الله، ليعلم صاحب الكشف بعد ذلك كل ما يجري في الكون، أو أن يكشف للصوفي عن معان جديدة في القرآن والسنة والآثار فيما يعرف بعلم الحقيقة التي لا يعلمها علماء الشريعة أو علماء الظاهر. ويقول محمد بن محيي الدين نجا عن الكشف في اصطلاح أهل الحقيقة، هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجودًا وشهودًا. ويزعمون أنهم يتلقون الكشف عن الخضر، أو عن ملك الإلهام، أو أنهم يتلقونه عن الله تعالى رأسًا وبلا واسطة. ودرجات الكشف النهائية عندهم تتحقق بشهود أحدية الذات في صور الصفات، في مقام البقاء بعد الفناء*، والكشف بهذا المعنى الصوفي ما هو في الحقيقة إلا إيحاءات شيطانية ووساوس نفسية ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾الآية [الأنعام: ١٢١].

الكفر: يعرفه أبو محمد ابن حزم تعريفًا يعد جامعًا بقوله: «الكفر صفة من جحد شيئًا مما أوجب الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه. سواء كان ذلك بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما جميعًا، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان». **الإحكام في أصول الأحكام** ١/ ٤٥.

والكفر نقيض الإيمان، والإيمان عند أهل السنة والجماعة ذو شعب كما دل عليها حديث النبي، ﷺ، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان[١]، وكذلك فإن الكفر عندهم ذو شعب، أيضًا، يقول ابن القيم «الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر..» **الصلاة** ص ٥٣، قال محمد بن نصر المروزي «الكفر ضد الإيمان، إلا أن الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبما قال، فذلك ضد الإقرار بالله أو التصديق به وبما قال، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل». **تعظيم قدرة الصلاة** ٢/ ٥١٧.

---

(١) الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها...» أخرجه البخاري ١/ ٥١ ح ٩ ومسلم ١/ ٦٣ ح ٣٥.

وكما أن الكفر يكون أحيانًا بالقلب كالجحود والتكذيب والبغض لما جاء عن الله تعالى ورسوله، ﷺ، فإن الكفر، أيضًا، يكون باللسان أحيانًا، يقول ابن حزم: «لم يختلف أهل العلم بأن في القرآن التسمية بالكفر والحكم بالكفر قطعًا على من نطق بأقوال معروفة كقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ فعلم أن الكفر يكون كلامًا» **المحلى** ج ١٣ ص ٤٩٨.

ومن ذلك سب الله ورسوله أو الاستهزاء بالله ورسوله وشرعه وبما جاء به. ومن الكفر ماقد يكون بالأعمال سواء التي نص الشارع الحكيم أن تركها كفر مثل: الصلاة أو التولي والإعراض عن طاعة الله ورسوله يقول تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ .

وقد اصطلح أهل السنة والجماعة من استقراء النصوص على أن شعب الكفر المتعددة تقع تحت قسمين لا ثالث لهما:

ـ **كفر أكبر**: يناقض الإيمان وحقيقته ويوجب الخروج من الملة* والخلود في النار يقول تعالى ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣]، وهذا الكفر يأتي على خمسة أنواع:

١ـ **كفر التكذيب**: وهو اعتقاد كذب الرسل، وهو اعتقاد قليل في الكفار يقول تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٢ـ **كفر الإباء والاستكبار**: مثل كفر إبليس لعنه الله، فإنه جحد أمر الله تعالى وأنكره عنادًا واستكبارًا، وهذا حال كثير من الأمم حيث قالوا لرسلهم ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

٣ـ **كفر الإعراض**: بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول*، ﷺ، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إليه البتة.

٤ـ **كفر الشك**: بألا يجزم بصدق النبي، ﷺ، ولا كذبه، بل يشك في أمره.

٥ـ **كفر النفاق**: بأن يظهر بلسانه الإيمان، ويطوي بقلبه التكذيب.

ـ **كفر أصغر** ـ كفر دون كفر ـ لا ينافي أصل الإيمان ولا يذهب به بالكلية، إنما ينقص كماله

وفروعه، ويصير الموصوف به مذمومًا شرعًا وإن بقيت أحكام الإسلام تجري عليه لبقاء أصل الإيمان معه. وهذا النوع يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار، ويتناول جميع المعاصي؛ لأنها من خصال الكفر ومثال ذلك: قوله، ﷺ، «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[(١)] والمراد هنا: وقتاله كفر أصغر غير مخرج من الملة بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ . . . ﴾ الآية [الحجرات: ٩] فسماهم مؤمنين مع اقتتالهم. وهكذا مع باقي المعاصي والتي لم يشرع على ارتكابها حد الردة بل رتب عليها حدودًا مختلفة دون حد الردة. وعليه فإن **التكفير** حكم شرعي وهو حق لله تعالى ورسوله، ﷺ ، ولا يثبت إلا بنص صريح أو قياس على نص صحيح بشرط توافر الشروط وانتفاء الموانع، ويترتب على الحكم بالكفر المتلبس الكثير من اللوازم والآثار منها: إهدار دمه، وزوال عصمته على ماله وأولاده، والتفريق بينه وبين زوجته، وانقطاع الإرث بينهما كما لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولا يتحقق الحكم بالتكفير إلا بشرطين:

- أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر فاعله كفرًا مخرجًا عن الملة*.

- انطباق الحكم على من فعل ذلك بعينه، بحيث يكون عالمًا بذلك قاصدًا له، يقول، ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات»[(٢)] فلا يكفي الحكم على الظاهر دون معرفة قصد القائل أو الفاعل لعمل الكفر وإن كان الفعل في حد ذاته كفرًا، فإن كان جاهلاً أو متأولاً (راجع التأويل) أو مكرهًا لم يكفر بذلك. والقاعدة في ذلك: إنه من دخل في الإسلام بيقين فلا يخرج منه إلا بيقين. يقول ابن تيمية في **اقتضاء الصراط المستقيم** «ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان».

يقول الشوكاني في **السير الجرار** «لابد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارىء عقائد الشرك لا سيما مع الجهل

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٤٧٩ ح ٦٠٤٤.

(٢) متفق عليه من رواية أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.

بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه» ٤/ ٥٧٨ .

ولذلك يفرق أهل السنة بين تكفير المطلق وتكفير المعين، يقول ابن تيمية في **مجموع الفتاوى** «إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه» ج ١٢ ص ٤٨٧، ٤٨٨ . ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها». **الدرر السنية** ٨/ ٢٤٤ .

وقد انحرف عن مسلك أهل السنة والجماعة* في هذه المسألة فريقان:
ـ المرجئة* والجهمية* .
ـ الخوارج* والمعتزلة.

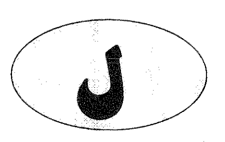
وذلك باعتقادهم أن الإيمان شيء واحد لا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص سواء كان الإيمان هو التصديق القلبي فقط كما هو عند غلاة المرجئة والجهمية، وبالتالي فإن الكفر عندهم هو التكذيب الاعتقادي فقط، الأمر الذي يعطل حد الردة ولا يجعل هناك كافرًا أبدًا.
أو أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان كما عند الخوارج والمعتزلة موافقة لأهل السنة في ذلك، ولكنهم خالفوهم في عدم التفاضل والزيادة والنقصان في الإيمان، وبالتالي فإنهم يعتقدون أنه إذا نقضت شعبة من شعب الإيمان زال الإيمان بالكلية عن صاحبه.

ومن جماعات الغلو* المعاصرة ـ التكفير والهجرة، والتوقف والتبين ـ ومن سلكت مسلكهم بحكمهم على مرتكبي الذنوب والمعاصي بالكفر المخرج من الملة، وعدهم عدم الحكم بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل كفرًا أكبر، وحكمهم على المحكومين بهذه القوانين كفارًا ودون تفصيل أيضًا، راجع القوانين الوضعية ـ بل جعلوا الانتساب لجماعتهم والهجرة* إليهم ومبايعة إميرهم هو العاصم الوحيد من الوقوع في الكفر. ـ راجع البيعة والتنظيم ـ .

الكنيسة: كلمة يونانية (Eclisia) بمعنى مجمع المواطنين في بلاد اليونان الذي كانت الحكومة تدعوهم إليه للتشريع أو لأمور أخرى، وفي النصرانية هي المكان الذي تؤدى فيه الطقوس الدينية عند النصارى. ويستدلون على هذا المعنى بما ورد في **إنجيل متى**: ١٦/١٨: «وأنا أقول لك، أيضًا، أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» وبه يستدل الكاثوليك على أنها الكنيسة التي يجب أن ينتمي إليها كل المسيحيين* ، وبهذا الأخير لا يسلم لهم البروتستانت ولا الأرثوذكس بذلك. كما لا يرى البروتستانت أن الكنيسة ليست هي البناء الذي يجتمع فيه للعبادة، وليست هي الطقوس والعقائد الدينية، وليست هي جماعة رجال الدين في أي طائفة من الطوائف المسيحية،* وإنما يطلق اسم الكنيسة على جميع المؤمنين المسيحيين أحياءً كانوا أو أمواتًا. وتمثل الكنيسة في زعمهم المسيح* وحياته، ولذا فإنهم يعتقدون وجوب تأسيسها في أي مكان يحلون فيه. وعلى هذا يستدلون، أيضًا، بما ورد في **إنجيل متى**: «وإن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه أحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك، وإن لم يسمع فخذ معك واحدًا أو اثنين. . .، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك وثنيًا»، وعلى هذا المعنى ظهرت أولاً. والكنيسة بهذا المعنى الأخير، أيضًا، مشتقة من الكلمة العبرية «كنيست» ومعناها جماعة من الناس تربطهم رابطة ما.

وعند هؤلاء تنقسم الكنيسة عادة إلى: الكنيسة المناضلة التي تعمل في هذا العالم، والكنيسة المعذبة المكونة من المؤمنين الذين يقاسون عذاب المطهر، والكنيسة المنتصرة وهي جماعة القديسين في السماء.

وفي الاستعمال الدارج تدل كلمة كنيسة على جماعة منظمة من المسيحيين* مهما اختلفت عقائدهم مثل الكنيسة الأرثوذكسية واللوثرية والإنجليزية والكنيسة الكاثوليكية، وتعد كل منها أنها وحدها «الكنيسة الحقة». وقد تعددت الكنائس بتعدد الفرق المسيحية* فوصل عددها إلى المئات.



اللاأدرية: مذهب* فلسفي قديم نشأ في اليونان على يد بيرون بعد انهيار مملكة الإسكندر الأكبر وانحطاطها، إذ بلغ فقد الإيمان بالحق والخير، وتبلبل الأفكار مداه، وفسدت الأخلاق* إلى حد بعيد، فانعزل عن الحياة وامتنع عن الحكم على الأشياء بالإيجاب أو النفي، على أن الأشياء مظاهر لا يدري حقيقتها، فاستدعاه ذلك إلى القول بالشك، وإنكار قدرة العقل البشري على إدراك المطلق أو معرفة ما يتعدى حدود الواقع بالتجربة اليومية والعلمية. وقد ضم إليه أنطوس والرازي العنادية ـ من السوفسطائيين* ـ أتباع جور جياس، وأتباع بروتاجورس.

وفي العصر الحديث عرف وانتشر هذا المذهب مع ظهور الثورة الصناعية والاكتشافات العلمية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوربا. ويعد المذهب الوضعي ومذهب كانط المعبرين الرئيسيين عن فلسفة اللاأدرية. وقد أخذ على هذا المذهب في مجال السياسة رؤيته التبريرية لما هو قائم ومعارضته أي تغير خارج المؤسسات، وأيضًا، نظرته الشكلية الجزئية إلى الواقع، وقصوره عن إدراك العوامل المحركة للتاريخ وتطور المجتمعات.

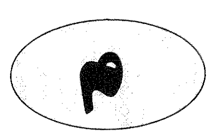
ولا شك أن الإسلام يرفض هذه المذاهب الإلحادية*، التي لا تعترف بوجود الله جل وعلا وما أخبر به من الأمور الغيبية، بل إنه جعل للعقل* مكانة عظيمة في حدود ما يمكن أن يصل إليه ـ راجع العقل ـ أما ما زاد على ذلك فقد كفاه الوحي* مؤنة التخمين والتخبط، فيترك علم ما لا يدريه إلى علم الذي يعلم كل شيء سبحانه وتعالى.

الليبرالية: مذهب* رأسمالي ينادي بالحرية* المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي. ففي الميدان السياسي وعلى النطاق الفردي: يؤكد هذا المذهب على القبول بأفكار الآخرين وأفعالهم ولو كانت متعارضة مع المذهب بشرط المعاملة بالمثل. وفي إطارها الفلسفي تعتمد الفلسفة* النفعية والعقلانية لتحقيق أهدافها.

وعلى النطاق الجماعي: هي النظام السياسي المبني على أساس فصل الدين* عن

الدولة، وعلى أساس التعددية* الأيديولوجية* والتنظيمية* الحزبية والنقابية، من خلال النظام البرلماني* الديمقراطي - راجع البرلمان والديمقراطية النيابية - بسلطاته الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية للحفاظ عليها، وقد كفلت حرية* الأفراد بما في ذلك حرية المعتقد، إلا أن الليبراليين في الغالب يتصرفون ضد الحرية لارتباط الليبرالية بالاستعمار*، وما يتضمن ذلك من استغلال واستعباد للشعوب المستعمرة.

والليبرالية الاقتصادية: تأخذ منبعها من المدرسة الطبيعية التي تؤكد على أنه يوجد نظام طبيعي يتحقق بواسطة مبادرات الإنسان الاقتصادي، والذي ينمو بشكل طبيعي نحو تلبية أقصى احتياجاته بأقل ما يمكن من النفقات. على أن تحقيق الحرية الاقتصادية يحقق النظام الطبيعي، وفي ذلك تدعو الليبرالية الاقتصادية إلى عدم تدخل الدولة في النظام الاقتصادي إلى أدنى حد ممكن. ومن أشهر من نادى بالليبرالية آدم سميث ومالتوس وريكاردو وجون ستيوارت مل.



المادية: هي النزعة القائلة بأن كل ما هو موجود مادي، أو يعتمد كلية في وجوده على المادة، بزعم أنها الحقيقة الوحيدة القادرة على تفسير الحياة والسلوك وتطورهما، وبالتالي فإن المفهوم المادي للكائنات الإنسانية والمخلوقات الحية هو أنها ليست كائنات ثنائية مركبة من جسم مادي، وروح لا مادية، وإنما هي جسمية في طبيعتها تتكون من جزيئات لا تقبل القسمة أو الفناء.

وما الفكر والروح إلا من وظائف المادة وصفة من صفاتها، وبذلك تتعارض مع المثالية التي تقول بأن الفكر هو جوهر الواقع ومصدر حقيقته، كما تتعارض مع الروحانية التي تعتبر الغائية* سببًا جوهريًا من أسباب الوجود. ولذلك فإن نظرتهم إلى الأخلاق* هي نظرة مادية نفعية بحتة، فكل ما يحقق المصلحة هو خلق فاضل، وكل ما لا يحققها هو خلق مرذول مستقبح.

أما نظرة المادية إلى العلم والمعرفة فلا تعترف المادية إلا بما تثبته التجربة فقط، وتنكر دور الوحي* والمعتقدات الدينية لدى الأمم والشعوب في التأثير على دور التاريخ، وإنما تفسر أسباب وجوده وتطوره بحركة المادة في الوجود - راجع التفسير المادي للتاريخ.

والنزعة المادية نزعة قديمة، متأصلة في عدد من الأمم والحضارات السابقة. فقد ظهرت في فلسفة الطبيعيين من اليونان، إذ حصروا أسباب الوجود في الماء والتراب والهواء والنار، مما مهد لظهور مذهب* الجواهر المفردة أو الذرات المادية غير المتناهية، التي ترد كل شيء في الوجود حتى الروح والعقل* إلى المادة، وقد قص علينا **القرآن الكريم** شيئًا من سيرة هؤلاء بعد أن سجل مقالات كفرهم سواءً كانوا أصحاب فلسفات إلحادية* بعيدة كل البعد عن معين الوحي*، أو كانوا أصحاب كتب سماوية حاد أصحابها عن منهج* الوحي، مثل أمة يهود ومن شابههم. قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وفي العصر الحديث نجد بصمات هذا المذهب واضحة في عقيدة الملاحدة* في

القرنين السابع عشر والثامن عشر من أمثال لا ميتري وماركس ونيتشة ودي هولباخ صاحب أحد المراجع الكلاسيكية للمادية «**نظام الطبيعة**». كما أفرزت عددًا من المذاهب الفلسفية والسياسية، مثل: الوضعية، والوجودية، والماركسية. . .، وعددًا آخر من النظريات مثل: الحتمية*، والمادية الجدلية*، والتحليل النفسي، والتطور، والميكيافيلية، والعلمانية.

ومن أبرز الآثار الفكرية للمادية على الأمم والمجتمعات ظهور اتجاهات تعلي من شأن الروح في مقابل المادة، مثل الثيوصوفية، والروحية الحديثة، وتحضير الأرواح* . . . .

وفي زمن الغربة، وعلى حين غفلة من المسلمين تسللت هذه الأفكار المادية الإلحادية وذاعت، وأصبح لها سدنتها وكهنتها*، يدعون إليها ليل نهار. فبرز المفكر الوضعي صاحب **خرافة الميتافيزيقا*** د. زكي نجيب محمود، بينما راح الدكتور عبدالرحمن بدوي ينشر الوجودية، بل زاد التبجح عن حده بأن أعلن بعضهم مرددًا مقالة الكفر، بأن الدين* أفيون الشعوب، وأن الله تعالى وتقدس خرافة.

المادية التاريخية «المفهوم المادي للتاريخ»: هي مفهوم مادي للتاريخ البشري، ومحاولة لتفسيره انطلاقًا من قوانين المادية الجدلية في دراسة وتفسير الحياة الاجتماعية وتطور المجتمعات، على أن الوضع المادي والاقتصادي هو الذي يكيف شكل الحياة البشرية في أي وقت من أوقاتها، وأي طور من أطوارها، ويزعم أنه سابق لها، لأن المادة عندهم تسبق الوعي، ولا يمكن للوعي أن يسبق المادة. وهذا الوضع المادي والاقتصادي في تطور دائم، ومن ثم فإن الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم، التي تنبثق عنه، في تطور دائم تبعًا لذلك. وقد استعمل هذا المفهوم لأول مرة من قبل فريدريك إنجلز، ثم تبناه كارل ماركس للتعبير عن مفهومها الجديد للعالم. وقد تعرضت المادية التاريخية للنقد لنزعتها الحتمية، وإخراج السنن الإلهية من التدخل في الكون، وتجاهلها لدور الوعي، وتأثيره في البنية التحتية وطبيعة الإنسان ـ راجع التفسير الإسلامي للتاريخ ضمن التفسير المادي للتاريخ ـ .

المادية الجدلية: تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان، يقوم على أساس مادي بحت، استخدمه ماركس وإنجلز في التحليل التاريخي، فهو أساس في

طريقة التفكير عند أنصار الاشتراكية والشيوعية. وتستمد المادية الجدلية أصولها من جدل* هيجل لكن بطريقة مادية* وليست مثالية، فبدلاً من أن تكون حركة السير من فكرة ونقيضها إلى نتيجة تعلوهما كما عند هيجل لدعم فكرة الألوهية والوحي* كمصدر للمعرفة، طبقت المادية الجدلية حركة السير على الأوضاع المادية الفعلية. فالأوضاع المادية لاتتبع الفكر ومنطقه، بل الفكرُ ومنطقه هما اللذان يتبعان الأوضاع المادية، فالتناقض لا يكون بين فكرتين ابتداءً، إنما يكون بين نظامين اجتماعيين يتولد عنهما ثالث. والحقيقة أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين المادية الجدلية والمادية التاريخية*، بحيث يصعب الفصل بينهما.

مارسيونية: نسبة إلى مارسيون ت ١٤٤ اعتبره النصارى مؤسس أول وأكبر بدعة* ناهضت الكاثوليكية، إذ اتصل بالغنوصية وتأثر بها كل التأثير، فقال بثنائية شبيهة بثنائيتها، وأنكر إله* العهد القديم، على أنه قاس وغير رحيم، وغالى في التقشف واتخذ له كنيسة* خاصة لم تلبث أن اجتذبت عددًا غير قليل من الاتباع، بل من المسيحيين* جميعًا، كما أثر في المانوية والتقى معها حتى اندمج مذهبه* فيها.

المجوس: كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، والديانة المجوسية ديانة وثنية* ثنوية* تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم الفاسد نتيجة لانتصار إله الخير على إله الشر. وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى أقوال عديدة، منها أنها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، أو أنه وصف لرجل انتسبت إليه المجوسية أو أنها نسبة لقبيلة من قبائل الفرس، أو أنها وصف لعبادة النار، ويذهب بعض الباحثين إلى أن المجوسية هي الزرادشتية، والحق أن المجوسية أسبق من الزرادشتية، وأن زرادشت حددها وأظهرها وزاد فيها في القرن الثالث الميلادي، ويذهب ابن خلدون إلى أن المجوسية هي الكيرمرثية نسبة إلى كيرمرث أحد أبناء آدم، عليه السلام، وقيل إنه آدم، عليه الصلاة والسلام، وقيل إنه أحد أبناء نوح، عليه الصلاة والسلام، وقيل غير ذلك.

كما اختلف أهل العلم في المجوس هل هم أهل كتاب ولهم رسول* ولكنهم بدلّوا وحرفوا أم لا؟ وذلك على قولين: ذهب الجمهور إلى أنهم ليسوا بأهل كتاب كما ذكر ابن

القيم وابن قدامة والقرطبي، وهو ما عليه أغلب السلف، وإنما يعاملون معاملاتهم فيما يتعلق بالجزية فقط.

ويقول الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل: «ومن المرجحات في كون المجوس ليسوا بأهل كتاب: قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧] وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] وكذلك في سورة المائدة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

فهذا دليل على أنهم ليسوا أهل كتاب؛ لأنه تعالى حين ذكر الذين يُجزون على إيمانهم وعملهم الصالح من هذه الأمم لم يذكر المجوس منهم.

وحينما ذكر أنه يفصل بينهم قرن المجوس والمشركين . . . لأنه تعالى عد الديانات ثم جاء بعدها المجوس والذين أشركوا، فلذلك فالأولى والأقرب أنهم ـ أي المجوس ـ يلحقون بالمشركين لا بالأمم الكتابية».

والقول الثاني: قال به بعض أهل العلم من أنهم أهل كتاب لكنهم بدلوا وحرفوا واستدلوا بما ورد في صحيح البخاري أن النبي، ﷺ، قال «سنوابهم سنة أهل الكتاب» كما استدلوا بأخذ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، الجزية منهم، واستدلوا بغير ذلك من الأدلة التي رد عليها الجمهور.

ويذكر الشهرستاني في **الملل والنحل** أنهم أصحاب شبهة كتاب، كما يذكر: أن مسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: إحداهما: بيان امتزاج النور بالظلمة.
الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادًا.

ومن الديانات الهندية انتقل إلى المجوس القول بتناسخ الأرواح* ، الذي أصبح من لوازمه عندهم الاعتقاد في عدم انقطاع النبوة* والرسالة* ـ راجع تناسخ الأرواح ـ.

ونتيجة لقرب بعض القبائل العربية من الدولة الساسانية الفارسية المجوسية التي ظلت قائمة في بلاد فارس حتى الفتح الإسلامي، أو نيتجة للاحتكاك المباشر من بعض هذه القبائل بالدولة الساسانية، فقد تعرفت على المجوسية وتأثرت بها، وبخاصة ما كان منها في البحرين، واليمن، وعمان، كما ظلت المجوسية منتشرة وبيوت النار قائمة في كرمان وسجستان وخراسان وجبال أذربيجان وأرمينية حتى الخلافة* العباسية، مما كان له أثره البالغ في ظهور الحركات* الباطنية وانطلاقها من هذه المناطق بالذات، إذ اعتنق عدد من الموالي الفرس الإسلام متسترين برداء التشيع وحب آل البيت، رغبة منهم في الكيد للإسلام. يقول فون كريمر «ومع أن كثيرين منهم كانوا يتظاهرون بالإسلام إلا أنهم كانوا في قرارة نفوسهم مخلصين لمعتقداتهم الدينية القديمة، وقبلوا الإسلام ظاهريًّا فقط مع تعلقهم بدين آبائهم».

وبتعدد مذاهب* المجوس (الزرادشتية والمانوية والمزدكية) تعددت آثارهم السيئة على الأمة الإسلامية وسيرتها الحضارية، فقد تشبعت السبأية بأفكارهم، وحاولت الخرمية البابكية تجديدها، كما ظهرت في آراء الحركات* الباطنية* كافة، حتى البابية والبهائية منها. ويلخص الدكتور يحيى هاشم في كتاب **عوامل وأهداف نشأة علم الكلام الآثار السيئة للمجوس** بقوله:
«كان تأثير المجوسية في غلاة الشيعة* بصفة خاصة، في عقائد الرجعة والتناسخ* والتنبؤ بالمستقبل، وادعاء النبوة* وادعاء الألوهية ـ ما يعرف بعقيدة التجسد أو الحلول* الإلهي في الجسد الإنساني، كما عند الدروز، وقديمًا عند السبئية*». ص ١٩٣.

المحق: أحد المصطلحات* الصوفية التي يعرفها الجرجاني في التعريفات بقوله: «فناء* وجود العبد في ذات الحق تعالى، كما أن المحو فناء أفعاله في فعل الحق، والطمس فناء الصفات في صفات الحق» ـ راجع الفناء ـ.

المحو: وعكسه الإثبات أحد المصطلحات الصوفية التي يعرفها الجرجاني: «بأنها رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر» ـ راجع السكر ـ.

مخضرم: اصطلاح يطلق على من شهد فترتين مختلفتين، فأطلق على الشعراء الذين

عاشوا في الجاهلية* والإسلام، والشعراء الذين شهدوا الدولتين الأموية والعباسية، ولكنه أشهر في الأولين. ومن الشعراء المخضرمين: لبيد وكعب بن زهير والحطيئة. ولذا يطلق لفظ المخضرم بوجه عام ويقصد به الشخص صاحب الخبرة الطويلة في موضوع ما.

المذهب: هو مجموعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها إنسان ما حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية.

المذهب الإرادي: الإرادية منهج فكري يؤكد على الإرادة وعلى أهمية الخيار الفردي في اتخاذ القرار «العامل الذاتي»، وبالتالي يقلل من أثر العوامل الخيارية «العامل الموضوعي».

والإرادية نقيض الحتمية* التي تعتبر أن للعوامل الخارجية الدور الأساسي في التصرف الإنساني، وتستبعد الإرادة من أن تكون عاملاً سببيًا في التجربة الفردية الاجتماعية.

وتعد النظرة البرجماتية «الذرائعية» للمعرفة كظاهرة تخضع للعمل، وكذلك نظرتها للمفاهيم كأدوات لتلبية الرغبات الإنسانية نظرة إرادية ومشجعة على تنمية الإرادة الفردية.

وقد حض الإسلام على أن يكون المسلم ذا إرادة مستقلة، لا تخضع إلا للتوجيه الرباني، والصالح من القول والعمل.

المذهب الاشتراكي: مذهب* اقتصادي وسياسي تبلور في أعقاب الثورة الصناعية، يعارض النظام الرأسمالي الذي يقوم على الملكية الفردية والمشروع الخاص، ويهدف إلى إشراك المجتمع في ملكية عوامل الإنتاج. وقد شهد القرن التاسع عشر عددًا ضخمًا من المفكرين الذين يصفون أنفسهم أو يصفهم غيرهم بالاشتراكية، ولا رابط بينهم إلا الضيق بالنظام الرأسمالي، والرغبة في إقامة مجتمع مغاير، ولكنهم يختلفون فيما عدا ذلك، فهذا يميل إلى التعاونية، وذاك يود اختفاء نظام الإرث، وثالث يرمي تبعة المظالم على النقود والربح، والرابع لا يرى خلاصًا إلا بإلغاء الملكية الفردية. ومن هؤلاء: سان سيمون، ولويس بلان، وروبرت أدين، وفوربيه، وماركس الذي انتقدهم ووصف أفكارهم بالاشتراكية الخيالية، وقدم مشروعًا للاشتراكية باسم الاشتراكية العلمية أو الماركسية. ولكن

ما لبث أن ظهرت تيارات معارضة لها مثل الاشتراكية التطورية أو الديمقراطية، وأيضًا، الاشتراكية النقابية.

المذهب الحسي: هو أحد المذاهب المادية* الإلحادية* التي تقوم على أن المعرفة الحقة هي المقصورة على ما يبدو للشعور بأعراض محسوسة، وأن ما يبدو محسوسًا وهم محض، حيث إن الحس في زعم أصحاب هذا المذهب هو المصدر الوحيد لجميع معارفنا، وأن الحواس هي التي تفصل في قيمة هذه المعارف. وهو أحد صور التجريبية ويقابل العقلانية، ومن أشهر القائلين به هوبز وكوندياك وهيوم.

المذهب الطبيعي: في الفلسفة* إحدى المحاولات التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي لتفسير نشأة الدين*، وترتبط خاصة باسم ماكس موللر الذي يرى أن الظواهر الطبيعية تدفع العقل البشري للتفكير في قوة اللامتناهي والإحساس بوجوده. على عكس مذهب إحياء المادة يحاول المذهب* الطبيعي استخراج الاعتقاد من الكائنات الخارقة للطبيعة*، ومن الأحاسيس التي تثيرها في النفس مظاهر الطبيعية المختلفة.

مذهب المشيئة الواحدة: قول ظهر في القرن السابع الميلادي، ذهب إلى أن المسيح* له طبيعتان تعملان بإرادة واحدة، فكان هذا الرأي حلاً وسطًا بين الأرثوذكسية والمونوفيزيتية، وقد أيده هرقليوس الأول لكنه لم يعمر طويلاً بعد أن استنكره مجمع القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م.

مذهب الميكانيكية: يفسر ظواهر الكون والحياة بالحركات الآلية التي تسير وفقًا لقوانين ضرورية. وهو يقابل المذهب الغائي*، ومذهب إحياء المادة؛ لأنه يستبعد تدخل أية قوة خارجية في حوادث الطبيعة*. وواضح أن هذا مذهب إلحادي* يكتفي بالظواهر ولا يتجاوزها إلى الأسباب التي هي من أمر الله، وتحت تصرفه سبحانه وتعالى.

المرجئة: هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء العقدية الخاطئة في مفهوم الإيمان، والتي لم يعد لها كيان واحد، إذ انتشرت مقالتهم في كثير من الفرق. فمنهم من يقول: إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط، وبعضهم يقصره

على قول اللسان، والبعض الآخر يكتفي في تعريفه بأنه التصديق، وغالى آخرون منهم فقالوا إنه المعرفة.

وأول من قال بالإرجاء ذر بن عبدالله المذحجي، ثم تابعه غيلان الدمشقي والجعد بن درهم. وقيل إنه الحسن بن محمد بن الحنفية، ولكنه ما أخر العمل عن الإيمان، ولكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر، وقيل إن أول من وضع الإرجاء هو أبو سلت السمان (ت ١٥٢هـ) والله أعلم. ويمكن إجمال الفرق المتأثرة بالإرجاء في التالي:

ـ من قال إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهم مرجئة الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه ـ يرحمهم الله تعالى ـ وبالتالي أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، مما أنشأ عندهم عدم القول بالزيادة والنقصان، وعدم الاستثناء في الإيمان، مع اعتبار الأوائل منهم لأهمية الأعمال، إذ عدوها من لوازم الإيمان، ورتبوا على الإخلال بها الوعيد، وعلى العمل بها الزيادة في الثواب، وذلك على عكس المتأخرين منهم الذين تساهلوا في لوازم دخول الأعمال في مسمى الإيمان من ولاء* وبراء* وتحقيق للوعيد وإنكار المنكر، وبالجملة فإن هذا النوع هو أخف أنواع الإرجاء.

ـ من قال إن الإيمان باللسان فقط وهم الكرامية، وبالتالي فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان مع قولهم إنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله تعالى به.

ـ من قال إن الإيمان هو التصديق، وهو أبو منصور الماتريدي ومن وافقه من الأشاعرة، وعليه فإن أبا طالب عم النبي* ، ﷺ ، عندهم يكون مؤمنًا كامل الإيمان!

ـ من غالى منهم وقال إنه المعرفة وهو قول الجهم بن صفوان ـ راجع الجهمية ـ ومن وافقه، ويلزم من قولهم هذا أن إبليس وفرعون ـ لعنهما الله تعالى ـ كانا مؤمنين كاملي الإيمان، وأن معنى الكفر* عندهم هو الجهل بالرب تعالى فقط، وهذا النوع أشد أنواع الإرجاء وأخطرها.

ـ أما أهل السنة والجماعة* فإن الإيمان عندهم تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ولا يخفى ما ولده الإرجاء من لوازم تركت آثارًا مدمرة على مسيرة الأمة الإسلامية ونهضتها الحضارية.

وقد أورد اللالكائي في **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: «اتقوا الإرجاء فإنه شعبة من النصرانية»، وقد ورد في رسائل **يعقوب** أنه قال لبولس ـ المؤسس الحقيقي للنصرانية المحرفة ـ حينما أراد أن يدعو إلى الاكتفاء بالإيمان وحده بدون الأعمال بزعم ترغيب الأمميين* في الدخول في النصرانية، فرد عليه يعقوب ـ أخو المسيح* حسب قول الأناجيل ـ «هل تريد أن تُعَلِّمَ أيها الإنسانُ الباطلَ، إن الإيمان بدون أعمال ميت، ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم إسحق ابنه على المذبح، فترى أن الإيمان عمل من أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان، وتمّ الكتاب القائل: فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا، ودعي خليل الله، ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» ٢: ٢١ـ٢٤، وعلى الرغم من هذا أصر بولس على دعواه وأخذ يدعو إلى الاكتفاء بالإيمان وحده دون الأعمال لتحقيق مسمى الإيمان فيقول في رسالته إلى أهل غلاطية: «آمنا نحن، أيضًا، بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما». غلاطية ٢: ٦ .

المسيح: معناه الصديق؛ وأصله في العبرانية «هاما شيح». وفي الآرامية ماشيح. وفي اليونانية «مسيح»، وهي الآن «مسيا» ومعناه المبارك. والمسح في كتابهم المقدس معناه صب الزيت أو الدهن على الشخص لتكريسه لخدمة دينية أو دنيوية. وكان اليهود يمسحون الكهنة* والملوك والأنبياء* لتخصيصهم لعملهم المهم، وهو دعوة الناس إلى الحق، وكانوا يسمون مسحاء كما في سفر **الملوك الأول** ١٦ـ٢٢، وكانت تمسح الأشياء بزيت لتخصيصها لخدمة الله، كما مسح يعقوب، عليه الصلاة والسلام، العمود في قرية بيت آيل أو الخيمة والأواني المقدسة، كما في سفر **التكوين** ٣١ـ٣٣ **والخروج** ٢٦ـ ٢٨ .

وأطلقه اليهود على كورش الوثني* عندما خلصهم من الأسر البابلي، كما أطلقه اليهود على النبي المنتظر عندهم، وقالوا إنه «المسيح» بالألف واللام ليوهموا الناس أنه آت منهم لا من بني إسماعيل، وظلوا ينتظرونه إلى زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، وعندما سئلوا عنه، هل هو المسيح قالوا لهم إنه ليس هو «المسيح» بل هو «مسيح» كسائر المسحاء. ومازال اليهود إلى اليوم ينتظرون مسيحهم الذي من نسل داود، عليه الصلاة والسلام، لابسًا تاجه

المرصع باليواقيت شاهرًا سيفه ليقيم لهم دولة تحكم العالم في فلسطين، بانيًا لهم في زعمهم هيكلهم المهدوم، ولذلك جعلوا لظهوره علامات منها تجمعهم في الأرض المقدسة ليحارب بهم مخالفيهم، وينتقم لهم منهم. وقد اختلف حاخامات اليهود في مدة حكم المسيح فمنهم من قال أربعين عامًا. ومنهم من قال سبعين. وقيل غير ذلك، يقول جوزيف باركلي في كتابه الأدب العبري: «إن قضية المسيح هي من أهم قضايا اليهود على الإطلاق» وعلى كلٍّ فما مسيح اليهود إلا المسيح الدجال الذي سيقتله عيسى ابن مريم في القدس كما نبأت به أحاديث المصطفى، ﷺ، من أنه سيظهر في آخر الزمان. وقد لقب عيسى ابن مريم بالمسيح لصدقه أو لأنه كان سائحًا في الأرض، أو لأنه يمسح المريض فيبرأ بإذن الله، أو لأن زكريا مسحه بزيت البركة. وقد لقب به في **القرآن الكريم** ١١ مرة منها ٣ مرات مقرونًا باسم عيسى، عليه الصلاة والسلام.

المسيحيون: أطلق هذا الاسم مسيحي Christian للدلالة على معتنقي عقيدة ألوهية المسيح التي أقرت في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وذلك في مقابل المسلمين ـ الموحدين من النصارى الأوائل ـ المنكرين لألوهية المسيح* المؤمنين بنبوته* وبشريته. وظهر لأول مرة في أنطاكية في القرن الثالث الميلادي في المجلس الذي عقد بمدينة نيس، أما إذا أرادوا منها أنهم أتباع المسيح فلم يكن أتباع المسيح، عليه الصلاة والسلام، يقال لهم مسيحيون بل هم أنصار وحواريون وتلاميذ مسلمون. فهذه النسبة للمسيح لا تصح؛ لأنهم لو كانوا مسيحيين حقًّا لآمنوا به بشرًا رسولاً، وآمنوا بمن بشر به من بعده. يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: معنى مسيحي نسبة إلى المسيح ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إليه، وهو بريء منهم، وقد كذبوا فإنه لم يقل لهم إنه ابن الله، ولكن قال عبدالله ورسوله. فالأولى أن يقال لهم نصارى كما سماهم الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣] **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** ٥/٤١٦. ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «هي نسبة يكذبها الواقع، لأنهم كفروا ببشارة المسيح، عليه الصلاة والسلام، بالإيمان بمحمد، ﷺ،

وكفرهم به كفر بعيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام». والشيء بالشيء يذكر فإن تسمية اليهود بالإسرائيليين لا تصح، يقول الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **معجم المناهي اللفظية** تحت مادة «إسرائيليون»: (للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رسالة باسم: «الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل» فيها تحقيق بالغ بأن «يهود» انفصلوا بكفرهم عن بني إسرائيل زمن بني إسرائيل، كانفصال إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، عن أبيه آزر، والكفر يقطع الموالاة بين المسلمين والكافرين، وكما في قصة نوح مع ابنه، ولهذا فإن الفضائل التي كانت لبني إسرائيل ليس ليهود منها شيء، ولهذا فإن إطلاق اسم بني إسرائيل على «يهود» يكسبهم فضائل ويحجب عنهم رذائل، فيزول التمييز بين بني إسرائيل وبين «يهود» المغضوب عليهم، الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة. كما لا يجوز إبدال اسم المسيحيين بالنصارى نسبة إلى أتباع المسيح، عليه الصلاة والسلام. . إن «يهود» علم على من لم يؤمن بموسى، عليه الصلاة والسلام، فأما من آمن به فهم «بنو إسرائيل» ولهذا فهم يشمئزون من تسميتهم بهذا «يهود») ص ٩٤٠ .

مشيخي: المشيخة نظام كنسي بروتستانتي ترتكز السلطة فيه على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الإكليروس* ويدير فيها الشيوخ شؤون الكنيسة* الروحية، بينما يهتم الأمناء والشماسة* بالأمور الزمنية.

وللطائفة المشيخية مجلس يسمى مجمعًا يليه السنودس، أما المجمع الأعلى فهو المرجع الأعلى في هذا التنظيم، وله سلطة الإشراف على الطائفة، ورئيس المجمع هو المدير العام. والكنائس* المشيخية وريثة النظم الكلفينية في العقيدة والنظام، فهي تنزع إلى الشكل البسيط من العبادة، وتعزف عن الطقوس المنمقة. وبالجملة فإن هذا النظام وسط بين النظام الكنسي الجمهوري والنظام الأسقفي* .

ومن عقائد الكنيسة المشيخية أن الكتاب المقدس هو المقياس الوحيد للإنسان، وأن هناك سرين فقط من الأسرار المقدسة هما: المعمودية* والعشاء الرباني* وفي القرن السادس عشر الميلادي قويت المشيخية في إنجلترا، وبوجه أخص في أسكتلندا وشمال إيرلندا، كما توجد عدة كنائس مشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية.

المصلحة المرسلة: هي المصلحة الحقيقية التي تحفظ النفس والدين* والعقل* والمال، إن لم يرد بها نص شرعي أي في الوقائع المسكوت عليها، وتكون لتحقيق مصلحة أو دفع مفسدة.

ولا تكون المصلحة المرسلة إلا في المعاملات، إذ إن العبادات توقيفية والزيادة عليها ابتداع في الدين ـ راجع البدعة ـ وقد وضع المالكية عدة شروط للعمل بالمصلحة المرسلة وهي:

أولاً: أن تكون ملائمة لمقاصد الشرع، فلا تخالف أصلاً من أصوله، ولا تنافي دليلاً من أدلة أحكامه.

ثانيًا: أن تكون معقولة بذاتها، بحيث تتقبلها العقول السليمة.

ثالثًا: أن يكون الأخذ بها لحفظ ضروري، أو لرفع حرج سواء لاحق للأمور الضرورية أو الأمور الحاجية. وأضاف الدكتور عبدالكريم زيدان في **الوجيز في أصول الفقه** شرطين آخرين وهما:

«أن تكون المصلحة التي تترتب على تشريع الحكم حقيقية لا وهمية. وأن تكون عامة لا خاصة». ص ٢٤٢.

ويذكر ابن القيم في **الطرق الحكمية** عدة أمثلة على المصالح المرسلة منها: «جمع صحف القرآن الكريم في مصحف واحد، وتضمين الصناع ما يهلك تحت أيديهم من أموال الناس، وقتل الجماعة بالواحد...» ص ١٤، أخذ بالمصالح المرسلة كل من المالكية والحنابلة والزيدية واعتبروها حجة شرعية ومصدرًا من مصادر التشريع، ويمكن ردها إلى مصلحة أقرها الشرع، بينما أنكرها الإمام الشافعي. وأخذ بها الغزالي بشرط أن تكون ضرورية قطعية كلية، وأدخلها الأحناف في الاستحسان.

المطران: هو رئيس ديني عند النصارى، وهو دون البطريرك* وفوق الأسقف*، يقول الفريد. ج. تبلر في **الكنائس القبطية القديمة** «يوجد تحت ولاية البطريرك القبطي أربعة مطارنة أو رؤساء أساقفة هم مطارنة الأسكندرية والمنوفية أو ممفيس وأورشليم والحبشة. ويتم رسامة ـ تعيين من خلال طقس معين ـ هؤلاء المطارنة بيد البطريرك» ج ٢ ص ٢٤٣.

المعجزة: أمر خارق للعادة يدعو إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة* ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول* من الله. وقد اختلفت معجزات الرسل حسب اختلاف أزمان بعثاتهم، وما تميز به من بعثوا إليهم من علم وإنجاز حضاري. فقد اشتهر المصريون في زمن موسى بالسحر فكانت إحدى معجزات موسى، عليه الصلاة والسلام، أن تفوق على أعظم السحرة، ومهر الرومان بالطب فكانت بعض معجزات عيسى، عليه الصلاة والسلام، إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، واشتهر العرب بالفصاحة والشعر فكان القرآن معجزة محمد، ﷺ ، مسكتًا لكل الفصحاء في كل زمان ومكان. وقد كانت المعجزات السابقة للقرآن وقتية يراها معاصروها فقط، أما القرآن الكريم فقد حفظه الله ليراه ويكتشف إعجازه كل من يرغب في البحث عن الحقيقة والهداية إلى قيام الساعة.

يضاف إلى ذلك معجزاته ونبوءاته، ﷺ ، المتعددة، منها ما ورد في القرآن الكريم على لسانه، ﷺ ، عن انتصار إمبراطورية الرومان خلال بضع سنين بعد هزيمتها على أيدي الفرس، أو انشقاق القمر له، وكذلك إسراؤه ومعراجه، ﷺ ، إلى السموات العلى، غير تسبيح الحصى بين يديه وتكثير الماء من بين أصابعه وغير ذلك رغم أنف صاحبي مقال «الإسلام» في **دائرة المعارف البريطانية**، ومقال «محمد» في دائرة المعارف الأمريكية اللذين حاولا التضليل تارة والتشويش أخرى بقصد الطعن في نبوته، ﷺ ، وذلك بادعاء أنه لم يكن له، ﷺ ، معجزة سوى القرآن الكريم فقط، أو بالخلط بين ما ثبت وما لم يثبت من معجزاته، ﷺ .

وقد تطلق المعجزة فيراد بها أي أمر خارق للعادة، وقد فرق علماء الإسلام بين أنواع الأمور الخارقة للعادة وأعطوها الأسماء الخاصة بها من معجزة وكرامة* واستدراج، وذلك بحسب من تصدر منه هذه الأمور الخارقة للعادة، أما عن الموقف من المعجزة، فقد وافق علماء الأشاعرة المعتزلة في القول بأن إثبات النبوات لا يكون إلا عن طريق المعجزة فقط، بينما يرى جمهور أهل السنة والجماعة أن دلائل النبوة كثيرة منها المعجزة.

معمدانيون: طائفة مسيحية* بروتستانتية يعتقد أتباعها بأن المعمودية* هي للمؤمنين فقط، وأنها تتم عن طريق التغطيس بالماء. وأسس جون سميث أول طائفة معمدانية إنجليزية بأمستردام ١٦٠٨م، وتأسست أول فرقة منهم في لندن ١٦١١م، وأسس أول كنيسة* معمدانية

أمريكية روجر وليامز ١٦٣٩م في مدينة بروفيدانس .

والكنائس المعمدانية كنائس جمهورية في نظامها، ولها مجامع عامة غير حاكمة، إلا أنه ظهرت في أواخر القرن السادس عشر طائفة تؤمن بنفس المعتقدات لكنها تقدس اليوم السابع على اعتبار أنه يوم السبت* .

وتشكلت أول كنيسة معمدانية سبتية في أمريكا سنة ١٦٧١م في ولاية رودآيلند، وأسس المعمدانيون السبتيون* الألمان بقيادة يوهان كزاد بايسل في مدينة أفرانا بولاية بنسلفانيا ٢٧٨ـ١٧٣٣م جمعية* دينية ذات نظم شبيهة بالرهبنة .

المفاصلة الشعورية: ويقصد بها العزلة القلبية، ويمكن تلخيص معناها في أن المقصود بها : إظهار ذلك الاعتقاد السائد في مجتمع ما لضرورة تلزم مراعاة ذلك، بغية عدم الإثارة ولفت الانتباه، مع مخالفة القلب لما عليه المجتمع من الاعتقاد والعمل . والأصل أن أمر العزلة الشرعية كما بينها العلماء أمر نسبي يختلف حكمها باختلاف الأزمان والأمكنة، بل الأشخاص أحيانًا، كما دلت على ذلك نصوص السنة المطهرة، يقول أبو حامد الغزالي ـ يرحمه الله تعالى ـ في كتابه **إحياء علوم الدين** «إياك أن تحكم مطلقًا على العزلة أو الخلطة بأن إحداهما أولى، إذ كل فصل، فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض . ولاحق في المفصل إلا التفصيل» ج ٢ص ٢٣٢ .

والعزلة القلبية أو المفاصلة الشعورية بالمعنى السابق ذكره تعد من صور التقية* المشروعة إذا التزمت شروطها ـ راجع التقية ـ وذلك بشرط ألا تكون تلك العزلة بسبب غير مشروع، وألا يترتب عليها تعطيل للواجبات الشرعية أو تضييع للحقوق . وقديمًا انحرفت الأباضية بالعزلة القلبية عن المفهوم السابق بيانه، وذلك بسبب عدم التزامهم بالشرط الأول، فقد طبقت مبدأ العزلة القلبية بين المسلمين في البصرة بأمر إمام دعوتهم زمن الخلافة الأموية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، نتيجة لاعتقادهم كفر مخالفيهم من المسلمين سواءً قالوا بأنه كفر نعمة أو كفر إشراك فالمحصلة واحدة في التزام ذلك المبدأ .

وفي العصر الحديث التزمت شرذمة من أهل الغلو ـ بعض جماعات التكفير والتوقف

والتبين ـ بهذا المفهوم المنحرف للعزلة القلبية، وقد زاد غلوهم، غلو الأباضية بزعمهم مكية المرحلة، وأن هذا العصر هو عصر استضعاف، قائلين بلوازم ذلك من الحكم بجاهلية المجتمعات جاهلية عامة ـ راجع الجاهلية ـ، وبالتالي اعتقدوا كفر أصحابها، أو التوقف فيهم، وعلى ذلك فإنهم يصلون خلف الأئمة من المسلمين شكلاً، مع إضمار نية الانفراد، وفي الوقت نفسه يحرصون على استمرار علاقاتهم الاجتماعية المختلفة مع المجتمع، مستبيحين في ذلك الكذب تقية في الظاهر مع مفاصلته في الباطن. وقد أوقعهم اعتقادهم هذا في عدة مخالفات شرعية، إذ كفروا من لم يقم الدليل الشرعي على كفره بالرغم من النهي الوارد عن ذلك، وهذا الأصل أصل باطل ببطلان الأصل الذي ألزمهم ذلك ألا وهو القول بمكية المرحلة، وبالإضافة إلى بطلانه فإنه يلزمهم بما يخرجهم هم أنفسهم من الدين* بالكلية إن التزموه: كترك الصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض وكذلك استحلال كل ما قد نزل تحريمه في العهد المدني.

والجدير بالذكر هنا التنويه إلى أن جماعة التكفير، أو كما تدعي هي جماعة المسلمين والمعروفة إعلاميًا بجماعة التكفير والهجرة، لم تقل بمبدأ المفاصلة الشعورية أو السلوكية، وإنما قالت بالمفاصلة الكاملة على قدر الطاقة، وجهد الاستطاعة، وذلك بما لا يضر هدفهم النهائي أو أهدافهم المرحلية. كما صرح بذلك أمير جماعتهم شكري مصطفى في كتابه **الخلافة** ـ انظر الهجرة ـ.

المفهوم المادي للتاريخ: راجع المادية التاريخية

المقال: فن من فنون التأليف الأدبي، يكتب نثرًا* ليعطي أفكار المؤلف ومشاعره في أي موضوع من الموضوعات، ويختلف المقال عن البحث أو الرسالة في كونه موضوعيًا بدرجة أقل، وشخصيًا بدرجة أكبر. استخدم مونتيني الكلمة لأول مرة في مقالاته في القرن الثامن عشر. ويرتبط المقال في الأدب العربي بتاريخ الصحافة وانتشار الصحف، إذ أخذ المقال الصحفي يعالج شتى الموضوعات السياسية والأدبية والاجتماعية والدينية.

ومن أبرز كُتّاب المقال الأوائل في الأدب العربي الحديث: محمد رشيد رضا، محمد فريد وجدي، محمد كرد علي، المازني، العقاد، طه حسين، وأما من المعاصرين فأكثر من أن يحصوا.

الملامتية: يقصد بهم في المصطلح* الصوفي: الذين لا يظهرون للخلق أعمالاً وأسرارًا بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم، وذلك بأن يظهروا ارتكاب المعاصي بحجة عدم لفت الأنظار إلى صلاحهم، بدعوى أن ذلك لن يؤثر على صلاحهم، لأن عروقهم قد تشربت الإخلاص وتحققت بالصدق، فأصبح يستوي المادح والذام لهم من الناس، مع عدم التفكر في اقتضاء ثواب العمل في الآخرة.

الملة: هي جملة الأصول والعقائد التي بلغها كل رسول* أو نبي* إلى قومه خاصة قبل بعثة النبي محمد، ﷺ، وبذلك تضاف إلى النبي والرسول الذي أملاها. قال تعالى ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

الفرق بين الدين* والملة: تطلق الملة على جملة أصول العقيدة، فلا يقال الإيمان بالله ملة مثلاً، ولكن الدين يصح إطلاقه على آحاد الأصول فيقال الإيمان بالله دين، وكذلك على الفروع مجازًا فيقال الصلاة دين.

ويتفقان في عدم الاختلاف في الأصول والأركان، حيث إن عقيدة الأنبياء واحدة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأيضًا، عدم النسخ لأي ركن من أركان الإيمان منذ أن بعث الله أول الرسل إلى خاتمهم، صلى الله عليهم جميعًا وسلم.

المنطق: هو علم بقوانين التفكير الكلية التي قد تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر، وموضوعه المعلومات التصورية والتصديقية، وغايته الإصابة في الفكر وحفظ الرأي عن الخطأ في النظر، والأمر ليس كذلك، فالمنطق علم وضعي اصطلاحي وليس من الأمور الحقيقية العلمية، بل هو من الأمور الحقيقية الفطرية التي تعلم بما فطر الله تعالى عليها بني آدم من أسباب الإدراك. وعلى ذلك لا يصلح أن يكون ميزانًا للعلوم العقلية، ولا أن يعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في الفكر، وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **الرد على المنطقيين** ص ٢٦، ٢٧. وعلى الرغم من بعض الجوانب الإيجابية في المنطق إلا أنه يصدق

أيضاً، قول ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ «هو مما لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد»، حيث إنه لو لم يترجمه المسلمون لكانوا في غنى عنه، كما استغنى عنه سلفهم الصالح. وأول من دوَّن المنطق وجمعه وهذب طرقه الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس معلم الإسكندر المقدوني، وقد كان قبل المسيح* بثلاثمائة سنة، وسمي بالمعلم الأول، وعلى يد أحد تلاميذ الأفلاطونية الحديثة فورفوريوس الصوري أضيفت إلى المنطق مقدمة سماها المدخل إلى المنطق وهي الكليات الخمس المعروفة بـ «إيساغوجي»، ومن الإسكندرية انتقل المنطق ضمن العلوم الفلسفية إلى الرها، ونصيبين، وحران وغيرهما، ثم هذب المنطق محمد بن محمد أبو نصر الفارابي ٣٣٩هـ المسمى بالمعلم الثاني. ويقال إن عبدالله بن المقفع أول من ترجم كتب المنطق الأرسطي، بما فيها مقدمة فورفوريوس، بأمر من الخليفة العباسي المنصور.

وقد أقام ابن تيمية منطقًا يستمد دعائمه من القرآن الكريم والسنة النبوية، قال عنه الأستاذ سامي النشار: «ولو أن الدراسات المنطقية سارت على ما سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بدلاً من الشروح والنقول، لكان لهذا المنطق الآن مكانة أخرى». وقد اختلف علماء الإسلام في المنطق وحكم تعلمه بين محبذ كأبي حامد الغزالي ـ يرحمه الله تعالى ـ الذي جعله أحد شروط الاجتهاد وقال: من لا علم له بالمنطق لا ثقة في علومه. وعلى العكس من ذلك يقول الإمام السيوطي في **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**: «وأخرج الهروي عن طريق عبدالرحمن بن مهدي قال: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عمر بن عبيد، لعن الله عمر، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام. ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل» ثم يعقب السيوطي بقوله: «هذا النص من مالك يصرح بالعلة في تحريم الكلام كما تقدم عن الشافعي، واعتمدها ابن الصلاح في المنطق، وكذا سائر أئمة المسلمين، والذين نصوا على تحريم علم الكلام، وعللوه بكون السلف لم يتكلموا فيه، فيخرج على أصولهم تحريم المنطق لوجود هذه العلة فيه» ص٣٠٣ ـ راجع علم الكلام ـ. ويفصّل ابن تيمية القول في المنطق وأهله فيقول: «وأما هو في نفسه ـ المنطق ـ فبعضه حق، وبعضه باطل، والحق الذي فيه كثير منه أو أكثره لا يحتاج إليه منه فأكثر الفطر السليمة تستقل به...». **مجموع الفتاوى ٩/ ٢٦٩**.

ويقول: «لهم في الطبيعيات كلام غالبه جيد، وهو كلام كثير واسع، ولهم عقول عرفوا بها ذلك، وهم يقصدون الحق، لا يظهر عليهم العناد، لكنهم جهال به ـ العلم الإلهي ـ إلى الغاية، ليس عندهم منه إلا قليل كثير الخطأ». **الرد على المنطقيين** ص١٤٣. ولا شك أن المنطق من طرق التفكير المفيدة، ولكنه محدود بحدود العقل البشري، وتطبيقه على الشرائع والمعتقدات استعمال له في غير محله، مما قد يقود إلى الضلال. ولذا فالأمور الشرعية تؤخذ من النصوص الشرعية فقط.

المنهج: هو الطريق أو مجموعة الأصول والقواعد التي يُجْتَمَعُ عليها لضبط الآراء والمسيرة ووضع الأحكام واتخاذ المواقف.

منواسمرتي «قوانين منوسشتر»: هي بعض ماتبقى من مجموعة الكتب الفقهية للديانة* الهندوسية المعروفة باسم دهرم شاسترا. ومعنى منواسمرتي أي شريعة منو أو مذكرات منو الذي اختلفت فيه أقوال الهندوس اختلافًا كثيرًا، ويشتمل كتابه هذا على ٢٦٩٤ بيتًا ضمنها الحديث عن خلق العالم وكيفية وجود الحياة في الكون وحدوث القيامة وفناء العالم نهائيًا، كما يتحدث عن أحكام النكاح وأقسامه، وأيضًا، لزوم الانقياد لأحكام الفيدانت والتحذير من الأعمال السيئة، كما يتحدث عن أحكام السلطان وقانون العقوبات، ولا ينسى أن يتحدث كذلك عن طبقات المجتمع الهندوسي ووظائفها، وكيفية الحصول على النرفانا* . وتعترف هذه المذكرات بألوهية برهما* وحده، وتعده موحد الكون ومعدمه، في حين لا تذكر الإلهين الآخرين فشنو* وسيفا* كما هو مذكور في كتب الفيدا المقدسة عند الهندوس. ولذلك يرجح بعض الباحثين أن هذه العقيدة ـ تأليه فشنو وسيفا ـ ظهرت في الدور الثاني للديانة* الهندوسية، وهو دور الكهنة* البراهميين ـ راجع الكاهن ـ.

موسوعة: يقصد بها دائرة معارف أو معلمة، وهي كل مؤلَّف يجمع بين دفتيه من الحقائق والمعلومات العامة بصورة مختصرة أو موسعة، إما في جميع ميادين المعرفة، وإما أن تشتمل على فرع من فروعها.

يذكر الدكتور بكر أبو زيد في هامش كتابه **فقه النوازل**: «أن اللفظ المعبر عن موضوع الموسوعة والمراد منها بوضوح وسلامة مبنى هو معلمة. أما لفظ الموسوعة فهو اصطلاح*

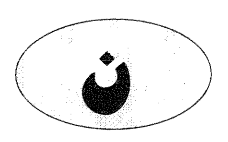
حادث قريب العهد في صدر القرن الثالث عشر»، وينقل عن **مجلة الأزهر**: «**لواء الإسلام** ١١٥٨/٢٦» عن سبب التسمية بالموسوعة قصة طريفة وقعت على لسان أحد الأعجميين فيقول: «لطاش كبرى زاده كتاب باسم: موضوعات العلوم، ولما كانت إحدى مكتبات القسطنطينية، تدون فهرسًا لمحتوياتها. أملى أحد موظفيها اسم هذا الكتاب على أحد موظفي المكتبة بلفظ «موضوعات» العلوم، لأن الأعاجم يلفظون: الضاد بقريب من لفظ: الظاء. فسمع الكاتب الضاد: سينًا. فكتب اسم الكتاب «**موسوعات العلوم**» وسمع... إبراهيم اليازجي صاحب مجلة «الضياء» باسم هذا الكتاب وموضوعه فخيل إليه أن كلمة «موسوعات» تؤدي معنى «دائرة معارف» فأعلن ذلك في مجلته. وأخذ به: أحمد زكي باشا وغيره. فشاعت كلمة موسوعة. وموسوعات. ولهذا النوع من الكتب. وهي تسمية مبنية على الخطأ كما رأيت وكان العلامة أحمد تيمور باشا. والكرملي، وغيرهما يرون تسمية دائرة المعارف باسم: معلمة لأنه أصح، وأرشق، وأدل على المراد منه... اهـ» ج ٢ ص ١/ ١٠٤، ١٠٥..

ميتافيزيقا: فرع من الفلسفة* يبحث عن الحقيقة الأولية للوجود، سماها أرسطو الفلسفة الأولى، وهي البحث في الوجود من حيث هو كذلك. وموضوعها هو ما يتجاوز الخبرة، كما يبحث في ماهية الإله* والعالم والإنسان، وفيما وراء الطبيعة والحس. هاجمتها المذاهب* التجريبية والمادية* الوضعية الحديثة.

وهي عند الكندي مبحث الربوبية والفلسفة* الأولى، وعند ابن سينا العلم الإلهي، وعند ديكارت المبادىء الأولى التي بها تفسر الوجود...، وأما كانت فيراها تحليلاً للقضايا العلمية ينتهي إلى المبادىء والمقولات التي لابد من فرضها لتفسير المعرفة.

وللإسلام نظرة واضحة وشمولية عن عالم الغيب ـ فيما وراء الحس ـ ومتسقة مع النتائج الصحيحة التي يسلم بها العقل السليم، ولا يوجد بها التناقضات التي وجدت في التعريف الفلسفي للميتافيزيقا. فالإسلام يرى أن وجود ما وراء الحس حق؛ لأنه يتمثل في الله سبحانه وتعالى، وما أخبر به من موجودات غير مرئية من خلال ما أخبر به تعالى في كتابه الكريم، أو أخبر به النبي* ، ﷺ. وليس هذا فحسب، بل يأمر البشر بأن يصدقوا بذلك

تصديقًا يقينيًّا، ويقيم لهم الدلائل التي تعينهم على الوصول في هذه الأمور إلى اليقين.
وبذلك يفرق الإسلام بين نوعين من المعرفة: نوع «فيما وراء الحس» لا تجدي فيه الحواس نفعًا، ونـوع آخر لا يصلح له إلا استعمال الحواس إلى جانب العقل* ، وهي «علوم الطبيعة»* .



الناسك: هو من يعيش وحده في خلوة خاصة تقشفًا. والنسَّاك معروفون في مختلف الديانات. والتنسُّك الوقتي من الأمور الشائعة التي تمهد لبعض المراسم الدينية، أما التنسُّك الدائم فكان منتشرًا كما في الرهبنة* المسيحية* القديمة. ومن أشهر النسَّاك آنذاك القديس أنطونيوس المصري والقديس شمعون العمودي، وهناك رهبنات يعيش أفرادها دائمًا نساكًا متوحدين مثل الكارثوسين. ـ راجع الرهبنة ـ.

الناسوت واللاهوت: يعبر هذان المصطلحان عن عقيدة أساسية في المسيحية* مؤداها أن للمسيح* طبيعتين: طبيعة إلهية (اللاهوت) وطبيعة إنسانية (الناسوت)، وأن الكلمة الإلهية (اللاهوت) اتحدت بجسم المسيح واختلطت بناسوته (الجزء الإنساني منه) وصار طبيعة واحدة، وأقنومًا* واحدًا هو الأقنوم الثاني من الثالوث* الأقدس عندهم. وقد عارض هذا الفهم كثير من المسيحيين في الماضي والحاضر. وهذا الفهم وما بُنِيَ عليه باطل من وجهة النظر الإسلامية ـ راجع الابن، التثليث ـ .

النبوة: منحة إلهية خلافًا لقول المعتزلة، إذ يوجبونها، ولا تنال بمجرد التشهي والرغبة، ولا بالمجاهدة والمعاناة، خلافًا لقول الفلاسفة. وقد دلت الآيات القرآنية على ذلك في أكثر من موضع، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [يوسف: ٦]، وقال تعالى ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ولا تكون إلا لرجل ذكر من الإنس خلافًا للأشاعرة وابن حزم، إذ يجوزون أن توجد النبوة في النساء.

واختلفت أقوال العلماء في تعريف النبي على أقوال أرجحها، أنه من أمره الله تعالى أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتابًا، أو يوحى إليه بشرع جديد ناسخ أو غير ناسخ.

وقد ذكر الله تعالى منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًا ورسولاً* ، وهناك من

أشار إليهم ولم يذكر أسماءهم، ولذلك فإن الإيمان بالأنبياء والرسل المذكورين بما فيهم خاتمهم محمد، ﷺ . أحد أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها. وقد ظهر في التاريخ الإسلامي متنبئون كذابون ابتداءً من مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي، حتى ميرزا غلام القادياني والباب والبهاء والمتأثرين بنظريات التناسخ والفيض* ووحدة الوجود* بدعوى أن مقام النبوة باقٍ والذي ختم نبوة التشريع فقط.

وقد تأثر بعض الصوفية بمقولات الفلاسفة من أن النبوة مكتسبة عن طريق الرياضة وتصفية القلب، مما دفع أبا حامد الغزالي إلى القول بأنها فيض ينزل على القلب مثل الذي فاض على الأنبياء من قبل، ولا يحصل هذا إلا عن طريق الرياضة وتصفية القلوب. بينما تأثر السهروردي ـ المقتول ردة ـ بقول الباطنية والقرامطة من أن النبوة فيض من العقل الفعال على نفس النبي، وأن ما يقع في نفسه من الصور ما هي إلا ملائكة الله تعالى، وأن ما يسمعه من الأصوات هو كلام الله تعالى، الأمر الذي دفع ـ السهروردي ـ إلى أن يقول: لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر.

والأنبياء في بني إسرائيل كثيرون، فهم قادة إسرائيل الدينيون ولكل منهم سفره* في العهد القديم* . والأصل أنه لا تثبت دعوى النبوة إلا بدليل من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وفي العهد الجديد يستخدم لفظ «النبوة» للدلالة على القول الصادق الذي يصدر في اعتقادهم عن الوحي* ، فكل من يأتي بأفعال وأقوال صادقة من وعاظهم يكون نبيًا، ولذلك يعتبرون سانت فنست فيرر والقديسة كاترين دي سانت أنبياء. والنبوة عند البروتستانت ضرورية، فهم يعتبرون أمانويل سويدنبرج ويوسف سميث مثالين للأنبياء في ضوء العقيدة البروتستانتية، بل كل رؤساء كنيسة المورمون يعتبرونهم أنبياء.

في الوقت الذي يقول فيه المجوس* بالنبوة إلا أنهم يحصرونها في الفرس فقط، كما يخلطونها بالشعوذة والسحر والدجل والوثنية* ، ومازالت لعقيدتهم في النبوة آثارها بين غلاة الشيعة* مدعي النبوة إلى اليوم ـ راجع التناسخ، المجوس ـ بينما ينكر الهندوس والبوذيون والجينيون النبوة والرسالة* ، إذ يعتقد الهندوس في عقيدة «الإفتار» وهي نزول الرب إلى

الأرض لإصلاح الناس على صورة البشر ـ تعالى الله وتقدس عن كفرهم ـ يقول كرشنا* «من أجل إنقاذ الأبرار وإفناء الأشرار ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدين أهبط بنفسي دورة بعد أخرى» وأصبح عدد الإفتارات على ذلك عند الهندوس أربعة وعشرين إفتارًا. وبالتالي فإنهم يؤمنون بألوهية كل مصلح ديني على أنه إفتارًا لله، بينما تأثر السيخ بعقيدة المسلمين في النبوة وبعثة الرسل من البشر، واستمر هذا الأمر عندهم من لدن نانك ١٤٦٩ـ ١٥٣٨م مؤسس السيخية حتى راجمه داس ١٥٦٣ـ١٦٠٦م، إذ أعلن ألوهية كل المصلحين السابقين.

ويحاول أصحاب الاتجاهات العقلية الحديثة، من العلمانيين والمتأثرين بالمذاهب الفلسفية الذين كتبوا في الإسلاميات، الطعن في مقام النبوة، وبخاصة نبوة النبي محمد ﷺ، بإضفاء بعض العبارات الخبيثة بدلاً من مقام النبوة مثل: العبقرية، والبطولة، وبأنه مصلح اجتماعي، ورسول* الحرية*، وداعية الثورة*، مما يختلف مع حقيقة الرسول المؤيد بالوحي، وذلك لسيرهم على مناهج الغرب في تحليل الشخصيات وتحديد مفاهيم البطولة وغيرها.

من المفيد هنا أن نسوق طرفًا من الأدلة الشرعية وكلام العلماء في كفر من ادعى النبوة أو الرسالة* بعد النبي محمد، ﷺ:

يقول الله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧] ويقول جل شأنه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١] ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ. . .﴾ الآية[الأنعام: ٩٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، ﷺ، أنه قال:

«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي»[(١)].

وعن ثوبان، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «إنه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[(٢)] يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الآية

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧١).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩) وأحمد (٥/ ٢٧٨).

«يقول تعالى لا أحد أظلم، ولا أعتى ولا أشد جرمًا ممن افترى على الله كذبًا، وتقول على الله، وزعم أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، فليس أحد أكبر جرمًا ولا أعظم ظلمًا من هذا» ج ٢ ص ٣٩٢.

يقول القاضي عياض في **الشفا بحقوق المصطفى** «من ادعى نبوة أحد مع نبينا، ﷺ، أو بعده كالعيسوية من اليهود . . . وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل*، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة عليّ في الرسالة . . . وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والرسالة . . . أو من ادّعى النبوة لنفسه، أو جوز اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها.

وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى* إليه، وإن لم يدع النبوة . . . فهؤلاء كلهم كفار* مكذبون للنبي، ﷺ، لأنه أخبر، ﷺ، أنه خاتم التبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل للناس كافة». ج ٢ ص ١٧٠-١٧١.

النثر: القول الصريح أو الكلام المباشر، ويكون النثر في لغة مكتوبة أو منطوقة منطويًا على معنى، وخاضعًا لأصول اللغة، دون أن يستعين بالبناء القائم على التفعيلة أو الوزن الموحد مما هو معروف في فن الشعر* أو النظم. كما يرتفع النثر الفني فوق مستوى الكتابة العادية باستخدام المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق وغيرها.

والنثر في الأدب هو الأسلوب المتبع في التعبير سواء كان النوع رواية أو قصة قصيرة أو مقالاً أو رسالة أو سيرة وتاريخًا أو موعظة أو خطبة. وتعد مؤلفات هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد من أقدم صور النثر، وفي الأدب العربي القديم تعد مؤلفات ابن المقفع وعبدالحميد الكاتب والجاحظ من أوائل صور النثر الفني وأجودها.

النجباء: إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، يرى البعض منهم أنهم في درجة أعلى من الصالحين، وأقل من النقباء*، وقيل عددهم أربعون وقيل ثلاثمائة، ويزعمون أن مهمتهم إصلاح شؤون السالكين وحمل أثقالهم، وأنهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير.

النرفانا: كلمة غامضة معناها النجاة، ويعنى بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها

أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة، إذ لم تعد في حاجة إلى تناسخ* جديد، وبذلك يحصل لها النجاة من الجولان وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى فيه. والنرفانا أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين. يقول كرشنا: «من يعرف ظهوري وأعمالي التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي».

ويذكر الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي في **فصول من أديان الهند** أنه من ثمرات «النرفانا» فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي «برم آتما»، ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصًا من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي، والنار هي إحدى مظاهر الألوهية «أكني» وهي بدورها تقرب إلى «برميشور» الذات العليا. ولا يتحصل على النرفانا عند البوذية إلا بعد اقتلاع الشهوة اقتلاعًا تامًّا. يقول بوذا في آخر دروسه «الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين* يحل له النرفانا» بل كان يحث أتباعه على تحصيلها حتى آخر لحظات حياته فيقول في آخر وصاياه «فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على النرفانا». أما الجينيون فيعتقدون أنه بحصول الأرواح على النرفانا تبلغ درجة الإله* وهذا الأمر يفسر انتشار الرهبنة* في هذه الديانات* . وقد تأثر غلاة المتصوفة أمثال: الحلاج وابن عربي ومن تابعهما بهذه العقيدة الوثنية* الباطلة، التي تلغي اليوم الآخر والثواب والعقاب بالإضافة إلى إلغاء توحيد الله جل وعلا، وقد أظهروا مقالات كفرهم بالقول بالفناء* والاتحاد* ووحدة الوجود* .

النسطورية: دعوة ظهرت في النصرانية في القرن الخامس الميلادي قال بها نسطوريوس بطريك القسطنطينية، حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله، على أنها ولدت فقط الإنسان الذي اتحد مع الأقنوم* الثاني الابن اتحادًا مجازيًّا لا حقيقيًّا فصار بمنزلة الابن، فعارضه كيرلس بطريرك* الإسكندرية ويوحنا بطريرك أنطاكية، وانعقد بسبب ذلك مجمع أفسس عام ٤٣١م، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن للمسيح* طبيعتين: إلهية، وإنسانية متحدتين في أقنوم واحد، وقوام إلهي واحد، ولذا نفي نسطوريوس وأقام في مصر ببلدة أخميم. وبعد اندثار المذهب بزمان دعا إلى إحيائه برصوما مطران* نصيبين في عهد قباذ

ابن فيروز ملك فارس، ولذلك سميت كنيسة* فارس بالنسطورية، كما يسمى النسطوريون في هذا العصر بالكلدان.

إلا أنهم في الأزمنة المتأخرة انحرفوا عن مقالة نسطور وقالوا بامتزاج اللاهوت* في الناسوت* كما يقول غيرهم في طبيعة المسيح* ، عليه الصلاة والسلام، وأن مريم والدة الإنسان والإله*. وإلى اليوم للنسطورية أتباع في إيران والعراق والهند، وطقوسها سريانية شرقية، ولا تختلف عن غيرها من الكنيستين* ، إلا أن أساقفتهم* يلتزمون التبتل والامتناع عن الزواج، وذلك منذ عام ١٨٣٠م.

نظام رياسي: نظام سياسي يقوم على حصر السلطة التنفيذية في يد رئيس الدولة ويقوم على الفصل التام بين السلطات، وأهم أركانه:

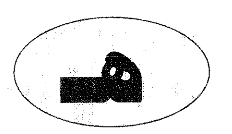
١ـ رئيس دولة منتخب يرأس الحكومة ويمارس سلطاته بنفسه.

٢ـ يختار رئيس وزرائه الذي يختار الوزراء، إذ يجب عليهم تنفيذ السياسة العامة التي يرسمها لهم.

٣ـ الفصل التام بين السلطات.

نشأ هذا النظام في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن معالمه تغيرت كثيرًا، كما طُبِّقَ في كثير من دول أمريكا اللاتينية وغيرها مع شيء من التحوير والتجاوزات في التطبيق العملي.

النقباء: إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، وهم في درجة أعلى من النجباء* وأقل من البدلاء «الأبدال»* . وقيل إن عددهم اثنا عشر نقيبًا في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد البروج الاثني عشر، وكل نقيب عالم بخاصية كل برج بما أودع الله فيه من أسرار. وقيل إن عددهم أربعون، ويوافق القاشاني ابن عربي في تعريفه بقوله «هم الذين تحققوا باسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السراء، وهم ثلاثمائة».

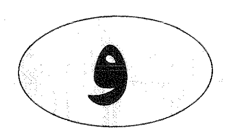


الهجرة: تعرف بمعان متعددة بعضها خاصة وأخرى شاملة، فبالمعنى الأول يعرفها ابن العربي بأنها «الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام». يقول الحافظ ابن حجر وقد وقعت في الإسلام على وجهين: الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. والثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان كما حدث بعد أن استقر النبي*، ﷺ، في المدينة المنورة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين». **فتح الباري** ج ١ص ١٦. ويجب هذا النوع من الهجرة لمن يقيم في دار الكفر ولا يستطيع إظهار دينه، ولا أن يتمم واجباته مع قدرته على الهجرة، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾ الآية [النساء: ٩٧]، وتسقط عن العاجز عنها لمرض أو إكراه معتبر على الإقامة أو للضعفاء من النساء والأولاد. وتستحب ولا تجب على من يقدر عليها، ولكنه يتمكن من إظهار دينه* وهو مقيم في دار الكفر.

والنوع الثاني من الهجرة: هو الهجرة الحقيقية والشاملة، ويعرفها الحافظ ابن حجر بأنها «ترك ما نهى الله عنه»، ويقول عنها ابن القيم «هذه هي الهجرة الحقيقية؛ لأن هجرة الجسد تابعة لها، فيهاجر فيها العبد من محبة غير الله إلى محبته ومن عبودية غير الله إلى عبوديته، وتشمل وتقوم على أمرين: هجران ما يكره مثل الهجرة من أرض البدعة* أو التي يغلب عليها الحرام الذي يلحقه منه أذى في دينه، إلى حيث تقام السنة وينتشر الحلال والأمن في البدن والدين، وإتيان ما يحبه ويرضاه».

أما مفهوم الهجرة عند بعض جماعات الغلو* (جماعة التكفير والهجرة) فإنه ينطلق من غلوهم في مفهوم المفاصلة الكاملة ـ العزلة الكاملة ـ الذي بنوه على اعتقادهم بمكية العصر، وبالتالي القول بجاهلية المجتمعات المسلمة وغيرها جاهلية عامة، مما ألزمهم القول بكفر أفرادها ووجوب البراءة منهم. وبناء على ذلك فإنهم يرون وجوب الهجرة على القادر عليها من المجتمعات المعاصرة، حيث إنها في اعتقادهم مجتمعات جاهلية وأهلها كفار، إلى

حيث لا سلطان للطاغوت على أرض المهجر. ومن لم يستطع فعليه اعتزال هذه المجتمعات ومفاصلتها مفاصلة كاملة قدر الاستطاعة، وذلك في التصور والاعتقاد، إذ يعتقدون كفر ماهم عليه، أو في العبادة أو السلوك باعتزال مساجدهم وشعائرهم، وعدم مشاركتهم في أعيادهم. والهجرة عندهم مرحلة انتقالية وضرورية للجهاد الذي لا يتم إلا بها. ولا يخفى ما في هذا القول من مظاهر الغلو الذي يلزمهم بما ألزم به أصحاب المفاصلة الشعورية ـ راجع المفاصلة الشعورية ـ وعلى كل فإن الهجرة بالمفهوم الشرعي باقية لا تنقطع ما تقبلت التوبة حتى تطلع الشمس من المغرب.



واحدية: وصف لكل فلسفة* تفسر الكون وظواهره بمبدأ واحد. ويختلف الفلاسفة في ماهية هذا المبدأ، فهو عند بعضهم المادة مثل الطبيعيين اليونانيين القدامى، إذ يردون العالم إلى عنصر مادي واحد، وعند آخرين العقل* أو الروح أو المثل، كما يسمى مذهب* وحدة الوجود* واحدية لعدم تفريقه بين الله والعالم، ومذهب هيجل مثال للواحدية الروحية.

وأما الإسلام كما هو معروف فيرد أصل الكون وظواهره إلى مبدأ الخلق، إذ خلق الله الواحد الأحد الكون ومن فيه في ستة أيام، وكان ومازال هو المصرف له والمهيمن عليه سبحانه وتعالى. ـ راجع السببية، والطبيعة ـ.

الوثنية: تطلق على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد، وتنسب إلى عبادة الوثن من أحجار وأصنام، وقد وصف اليونان القدماء «الإغريق» بالوثنية، كما وصفت بها المجتمعات العربية قبل الإسلام، مع الاختلاف في المدى والفهم، إذ كانت للوثنية اليونانية أيديولوجية* كاملة ولها فلاسفتها أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط مع ما عندهم من التنزيه* ، وشعراؤها أمثال سوفوكليس وغيره. وللعقائد الوثنية صور متعددة منها تأليه البشر فردًا كان أو أسرة أو جماعة كعبادة الملوك والأسر الحاكمة، كما كان عند قدماء المصريين والهنود، أو كعبادة الميكادو إمبراطور اليابان كما هو سائد في اليابان حتى الآن، وأيضًا، كعبادة الأنبياء* والأولياء* والقديسين والأبطال. ولذلك أمر الإسلام بعدم المبالغة في التعظيم والتكريم للأبطال والصالحين حتى الأنبياء، أيضًا، سدًا للذرائع، فقال، ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...»(١) وقوله، ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد...»(٢)، وقوله، ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا...»(٣).

وحدة الأديان: دعوة ماسونية تستغل المسلمين السذج في القضاء على الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٣) ومسلم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس، رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٢٦).

وإخضاع شعوبه، وتتخذ هذه الدعوة أسماء جذابة مثل: الدعوة للعالمية، أو التوفيق بين الإسلام والنصرانية، أو الدعوة إلى الإيمان الإبراهيمي، وأحيانًا تحت مسمى حوار الأديان. وتقوم فلسفة هذه الدعوة على زعم أن هناك قواعد مشتركة بين الإسلام والنصرانية، كالإيمان بالله وملائكته ورسله* واليوم الآخر، وتكريم أم المسيح* ، عليه الصلاة والسلام، وأن الخلاف بين الإسلام والنصرانية خلاف شكلي وليس بجوهري.

بدأت هذه الدعوة من جانب النصارى منذ أوائل هذا القرن الميلادي، وتبنتها الصهيونية العالمية من خلال عقد العديد من المؤتمرات بدعوى التقريب بين الإسلام والنصرانية، منها: ما عقد في بيروت عام ١٩٥٣م، والإسكندرية عام ١٩٥٤م، في كاتدرائية سان جون بنيويورك عام ١٩٨٤م. وفي العام نفسه عقد لقاء آخر في دير سانت كاترين بسيناء قامت بتمويله المنظمات الصهيونية في أمريكا وإسرائيل، وشاركت فيه عدة جنسيات تنتمي إلى الإسلام والنصرانية واليهودية والبوذية والبهائية وديانات* الهنود الحمر. وفي هذا اللقاء تم الكشف عن الأهداف الحقيقية لهذه الدعوة الخبيثة، والتي يمكن تلخيصها في الآتي: ضرورة استخدام هذه الدعوة لخدمة قضية السلام، ووقف الحرب بين المسلمين وإسرائيل، مستخدمة الضغط الشعبي (الدبلوماسية الشعبية) لتحقيق ذلك، ومحاولة إذابة الفوارق العقدية بين الإسلام والنصرانية، بعدما تحقق لليهود إزاحة النصرانية عن عقيدتها.

وقد تولت أمانة غير المسيحيين* بالفاتيكان* كبر الدعوة إلى الدين* الإبراهيمي بزعم مواجهة الإلحاد* والمادية* ، وبتأثير مباشر من الماسونية العالمية، وتأكيدًا لذلك أصدرت كتابًا يفصح عن هذه الرغبة عام ١٩٧٠م وهو نفس الأمر الذي أكده البابا يوحنا بولس الثاني في لقاء له بأتباع كنيسته في أنقرة بتركيا، وهو ما كرره أمام حشد غفير في الدار البيضاء بالمغرب في أغسطس عام ١٩٨٥م.

وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٨٦م أقيمت صلاة مشتركة شارك فيها بعض مدعي الإسلام بالإضافة إلى مجموعات من اليهود والبوذيين والنصارى اليهود وغيرهم، وكانت ضمن توصيات هذا اللقاء: إنشاء نادي الشباب المتدين الذي أقيم في صيف ١٩٨٧م، وكذلك إنشاء جمعية* «المؤمنون متحدون» التي أقيمت في إبريل ١٩٨٧م بحجة قطع الطريق على جماعات

الموحدين الذين علا صوتهم في أوربا وأمريكا بإنكار التثليث* ، ومن ضمن توصياته، أيضًا، الدعوة لإقامة معبد واحد للأديان (اليهودية والنصرانية والإسلام) في سيناء، بالإضافة إلى الدعوة للمساواة بين الأديان بما فيها البهائية والبوذية والماسونية والمؤمنون الأحرار، مع الدعوة لإقامة الصلاة المشتركة صلاة ـ روح القدس* ـ بصفتها ووقتها على حسب زعمهم، ووضع لوائح داخلية تسعى لإذابة الفوارق الدينية بين البشر، وأخيرًا اعتبار يوم صلاة البابا ٢٧ أكتوبر عيدًا لكل الأديان* ، وكذلك أول يناير.

وقد اتخذوا لهم راية وشعارًا مرسومًا عليها شعار الأمم المتحدة وقوس قزح وإشارة سبعة رمز النصر. ومن أهم مؤلفات أصحاب هذه الدعوة: **نحن جميعًا أبناء إبراهيم** صدر في ١٩٨٥م في باريس من تأليف سكرتارية الكنيسة* الكاثوليكية؛ للاتصال بالمسلمين بالتعاون مع المركز الوطني للتعليم الديني، وكتاب **توجيهات لإقامة الحوار بين المسيحيين والمسلمين** أصدره الفاتيكان عام ١٩٧٠م، وكتاب ميشال لولونغ **نعمة الله** وكتاب **ولاءان ورجاء واحد**، كما تحمس لها لويس ماسينيون وميشال حايك في كتابات عديدة، ومكسيم رودنسون في كتابه **العرب** الصادر في يناير عام ١٩٧٩م.

وتعتبر الفلسفة الهندية الجذور الأولى لعقيدة وحدة الأديان، يقول شانكرا «اعبد الله في أي معبد شئت أو اركع أمام أي إله بغير تفريق».

وقد وجدت هذه الدعوة الباطلة عند اليهودية والنصرانية وبعض الفلسفات اليونانية. كما وجدت عند الباطنية* وملاحدة الصوفية، قال الحلاج «واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام، وغير تلك الأديان، هي ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة، والمقصود منها لا يتغير، ولا يختلف» يقول ابن تيمية: «بل كان ابن سبعين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب* المسلمين». كما يذكر أن أكابر وزراء التتار كانوا يقولون بهذه الدعوة. وفي العصر الحديث دعت إليها البهائية، وقال بها الأفغاني والشيخ محمد عبده متأثرًا بالقس الإنجليزي إسحاق تيلور أثناء نفيه في بيروت عام (١٨٨٣م)، ومن سار على دربهما من العصرانيين اليوم ـ راجع التجديد ـ وقد دعا إلى هذه العقيدة مؤخرا الفيلسوف الفرنسي الذي

أعلن إسلامه مؤخرًا روجيه جارودي، ويتضح ذلك من رسالته المسماة بـ **وثيقة إشبيليا**.

والدعوة لوحدة الأديان على أساس من الدين* الإبراهيمي دعوة حق أريد بها باطل، فدين إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، هو الحنيفية السمحة، وعقيدته هي التوحيد لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، هو دين الإسلام الذي جاء به محمد، ﷺ، بينما هي عند النصارى اسم فقط، أما المضمون فيحتوي على مزيج من التثليث* وعبادة المسيح* من دون الله، والشرك بالله. يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وحدة الشهود: مصطلح* صوفي يعني حالة أو تجربة تصل بالصوفي العارف إلى مقام الشهود في نهاية طريق المعرفة، وذلك بشهود الله والتعرف إليه والانقطاع عمن سواه، بل وفقدان التمييز بين نفسه وبين ذات الله، وقد تصل به الحال إلى أن يرى وحدة الخالق والمخلوق ـ تعالى وتنزه ربنا جل وعلا عن إفكهم ـ ووحدة الشهود طابعها شخصي، ولا يصل إليها إلا الكُمَّل الأطهار، كما يقول المتصوفة. وهي بذلك تختلف عن وحدة الوجود، إذ تقوم على سريان الذات الإلهية في الوجود، وطابعها العموم. ووحدة الشهود تثبت الثنائية بين الخالق والمخلوق، فهي ترى الله في كل شيء مع مخالفته لكل شيء. ووحدة الشهود تمثل حالة بين الحلول* والاتحاد*، وعلى كل فإنها أحد المفاهيم التي أدخلها المتصوفة على الفكر الإسلامي مما يعكر صفو التوحيد الخالص.

وحدة الوجود: عقيدة إلحادية* هندية كما قال بها فلاسفة اليونان القدماء، وتبعهم عليها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة وغلاة الصوفية. تقوم هذه المقولة على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر، فالعالم بما فيه إنما هو التجلي الإلهي الدائم الذي كان ولا يزال، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات، فكل شيء هو الله واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات، وهي بذلك امتداد لعقيدة الحلول* وصور مهذبة للإلحاد* كما يقول شوبنهور.

وبها قال هيراقليطس وتبعه الرواقيون على أساس اعتقادهم في اللوغس أو العقل الكلي

أو الإله* أو الحقيقة الأزلية المنبثة في دقائق العالم ومجمل الوجود، أما أصحاب الأفلاطونية المحدثة فقالوا به بناءً على نظريتهم في الفيض* الإلهي.

وقيل إن أول من حاول البحث عن أصل هذا الوجود ومن أين جاء وإلى أين ينتهي هو الفيلسوف اليوناني طاليس ٥٨٥ ق.م إلى أن وصل في النهاية إلى أن الماء أصل كل شيء، وأن كل الأشياء مليئة بالآلهة. وعلى هذا كان قول الفلاسفة اليونانيين حتى أرسطو، وإليه ذهبت الهندوسية. وقد تأثر بعقيدة وحدة الوجود الفلاسفة من أمثال برونو وأسبينوزا، ومن غلاة الصوفية أمثال الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم، متأثرين بعقائد البراهمية والبوذية واليهودية والنصرانية المحرفة، وأقوال فلاسفة اليونان في هذا الجانب بالإضافة إلى عدد من العوامل الداخلية مثل: بعض الأصول المنحرفة للتشيع، وفلسفة الفارابي وابن سينا، وكذلك بعض النظريات المنحرفة للمتصوفة الأوائل بالإضافة إلى بعض أصول مصطلحات علماء الكلام مثل الوحدة والكثرة والذات. وإن أخطر ما تصل إليه هذه العقيدة القول بوحدة الأديان*، وإسقاط التكاليف*، وما يترتب عليها من تدمير للمسؤولية الفردية، والالتزام الأخلاقي، انطلاقًا من فكرة الجبر*، والقول بعقيدة النور المحمدي والحقيقة المحمدية والإنسان الكامل. وبالتالي يُعلم فساد المصطلحات* التي تقول: الكل في واحد والواحد في الكل، أو تقول لا موجود إلا الله وأن جميع الممكنات مظاهر له. وقد رويت عن بعض المتصوفة أقوال في هذا الصدد تشعر بالكفر* والغثيان معًا، كما تلزم هذه العقيدة الفاسدة في وحدة الوجود القول بروحانية الجزاء والقول بالحقيقة التي تسري فيها الذات الإلهية.

الوحي: هو إعلام الله تعالى نبيه بحكم شرعي ونحوه، بواسطة أو بغير واسطة. وقد أوضح القرآن الكريم والسنة النبوية مقامات الوحي على أنه تارة يُقذَف في روع النبي شيء لا يمتري فيه أنه من الله عز وجل، كما كان يحدث مع النبي*، ﷺ، وتارة يكون بالتكليم من وراء حجاب كما كلم الله موسى، عليه الصلاة والسلام، أو كما حدث للنبي، ﷺ، في ليلة الإسراء والمعراج، وأخرى بنزول أمين الوحي جبريل، كما كان يحدث للنبي، ﷺ، أو كنزول الملائكة على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قبل النبي، ﷺ، سواء كان في صورة بشرية أو في صورته الحقيقية، وهو أشد أنواع الوحي. وقد تكون بالرؤيا المنامية التي يراها

النبي ويوقن أنها وحي من الله تعالى كما في حال إبراهيم حين ابتلاه الله بذبح ولده إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام. إلا أنه في **العهد القديم*** زادوا أن الموحى إليه يرى ذات الرب حين الوحي في صورة شخص كما في (سفر **التثنية** ٣٣ـ١٠١)، والمدقق يرى أن هذه الصورة أكثر صور الوحي لأغلب الأنبياء سواء في **العهد القديم*** **أو الجديد*** ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ.

وفي **العهد القديم** صور أخرى للوحي إذ نص على أن الوحي يسمع من خلال نار أو نور يظهر في السماء، أو من خلال أمور وأصوات مزعجة كشدة ريح وزلزلة وعواصف وزوابع، يسمع بعدها صوت الوحي، أو بحلول* القوة الإلهية في الشخص الموحى إليه سواء بطريقة إرادية أو غير إرادية، ولذلك يدعي النصارى أن مقام النبوة* مستمر في بعض زعمائهم، وتارة يكون الوحي بأن ينادى عليه أكثر من مرة ولا يعرف مصدر النداء سواء كان من الله أم من الملك. وقد نص **القرآن الكريم** على هذه الطريقة الأخيرة من الوحي، بل وذكر أن الله يوحي إلى النحل، أيضًا، ولكنه سكت عن الكيفية. فينبغي لذلك الإيمان بأن الكيفية مخالفة للحوادث ولائقة بذات الله الكريمة.

ويعترض مكذبو الرسل على الصور الصحيحة من الوحي، التي دلت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، ويدّعون أن الوحي هو نوع من الصرع أو الاتصال بالشياطين، وقد كذبوا في دعْواهم، فالذي يصيبه الصرع يصفر لونه ويخف وزنه وعندما يفيق من غيبوبته لا يدري ولا يذكر شيئًا مما خاطب به الشيطان الحاضرين على لسانه. وأما اتصال الملك بالرسول* فكان يسبب له نماءً في جسمه وإشراقًا في وجهه، ولا يسمع الجالسون كلامه وإنما يسمعون دويًّا كدوي النحل عند رأسه، ويقوم الرسول وقد وعى كل ما أخبر به الملك.

وزعم البراهمة وبعض الفلاسفة المنتسبين للإسلام أن العقل* يغني عن الوحي، وأن بإمكانه أن يصل إلى مستويات رفيعة من الحقائق الدينية المنزلة بمفرده، وعلى النقيض ظن البعض أن الوحي يلغي دور العقل تمامًا. والصحيح أن الوحي الإلهي هو الذي يوجه العقل إلى النظر والتدبر في الكون، ويحثه على النظر في العلوم المنزلة ليستوثق من صحة نسبتها إلى الله تعالى، فإذا صحت النسبة إليه تعالى فعليه أن يستوعبها ويفهمها ويتدبرها، ثم يجتهد

في التطبيق والتنفيذ، فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله فهو كضوء الشمس مع العين، فلا ينتفع الإنسان بعينيه إذا عاش في الظلمة.

وهناك من يرى أن الوحي نوع من الكشف* أو الفيض*، يقول أبو حامد الغزالي في كتابه **الكشف والتبيين** «المدرك الثاني: الوحي للأنبياء* والإلهام للأولياء*، ولا تظن أن معرفة النبي، ﷺ، لأمور الآخرة ولأمور الدنيا تقليد* لجبريل، فإن التقليد ـ التلقي عن طريق الوحي ـ ليس بمعرفة صحيحة، والنبي، ﷺ، حاشاه من ذلك، بل قد انكشفت له الأشياء وشاهدها بنور البصيرة، كما شاهد المحسوسات بالعين الظاهرة».

الولاء: مفهومه في الشرع هو النصرة والتحالف والحب والطاعة وإلقاء مقاليد الأمور لمن له الولاء، ويكون للمؤمنين والكافرين. فإن كان الأول فهو المأمور به شرعًا لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ـ٥٦]، وإن كان الثاني فهو المنهي عنه شرعًا والمتوعد عليه لما فيه من المحادة لله والرسول، يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وبالتالي فإنه أحد لوازم ومقتضيات شهادة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول* الله»، إذ يكون الحب والنصر والقرب لمن يلتزم بها، والتبرؤ ممن لم يلتزم بها على حسب درجته، إذ يكون له الولاء من جهة والبراء من جهة أخرى، مع عدم إقراره على ذنبه أو بدعته، مع نصحه عليها، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض اللمم لا ينقص حقه في الولاية، وهذا كله يعرف بالولاء والبراء* الجزئي، أو يكون له الولاء المطلق ولا يكون كل هذا إلا للمسلم، وهذا هو حد الموالاة الذي يجب أن يقف عنده المسلم ولا يتجاوزه مع المخالف (الكافر) من أجل الحفاظ على دينه وأمانته، هو الحد الذي لا يفهم منه الموافقة على دينهم والرضى عن كفرهم، فمن دخل في طاعة الكفار وأظهر موافقته على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة للمسلمين، ورفع علاقته مع الكافرين على علاقته بالمسلمين، وضحى بالثانية من أجل الأولى، فقد صار منهم وارتد عن دينه وكان من أشد الناس عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، إلا أن يكون مكرهًا.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تطالب المسلم بقطع موادته للكفار ووجوب معاداتهم في الدين* . ويخالف منهج* أهل السنة والجماعة* في ذلك كل من الخوارج* والمرجئة* بجعلهم الولاء درجة واحدة لا تتجزأ، إذ يعتقدون عدم تجزؤ الإيمان الذي يعتبر الولاء أحد لوازمه، وهم في ذلك على طرفي نقيض، فعند الخوارج أن كل من ارتكب كبيرة* أو ذنبًا بطلت ولايته من كل وجه، ووجب التبرؤ منه ومعاداته، وقد رتبوا على ذلك عددًا من اللوازم مثل تكفيره* واستحلال دمه.

أما عند المرجئة فإن كل من صدق بقلبه، أو صدق بقلبه وأقر بلسانه فهو المؤمن الكامل الذي تجب ولايته ولاءً كاملاً وإن ارتكب الكبائر ولم يؤد الشعائر. كما يخالف منهج أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء السالف ذكره كل من علق ولاية المسلم أو توقف فيها حتى يتبين من إسلامه أو يعرف مافي قلبه واعتقاده عما تجب به ولايته، إذ يرى أهل السنة أنه تجب ولايته بمجرد إسلامه وإظهاره شعائره وعلى قدر التزامه بها على مامر بيانه.

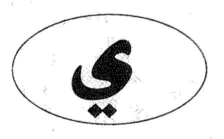
الولي: في الاصطلاح الشرعي: هو العالم بالله تعالى المواظب على طاعته، مع كمال المحبة والرضى لما يحب ويرضى، والسخط والبغض لما يسخط ويبغض. وهو المحب الموالي لأوليائه والمبغض والمعادي لأعدائه، وهو أحد خُلَّص المؤمنين، وقد وضَّح كتاب الله تعالى خصائص هؤلاء الأولياء بقوله ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ويشترط لذلك البلوغ والعقل* فلا ولاية لمن لم يبلغ ولا للمجنون.

وعند الصوفية: هو من تولاه الحق سبحانه بظهور أسمائه وصفاته عليه علمًا وعينًا وحالاً، وأثره لذة وتصرف فلا يرى في نظره غير الفاعل الحقيقي (الله تعالى). والولي عندهم، أيضًا، هو من تولاه الله بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف.

كما يعتقد الغلاة منهم أن للأولياء أربعة مقامات: فمنهم من يقوم في عالم مقام الأولياء، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل* ، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي العزم،

ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي الاصطفاء، بل قالوا، أيضًا، إن مقام الولي فوق مقام النبوة* . ونسب لأبي اليزيد البسطامي قوله «خضنا بحورًا، وقف الأنبياء بسواحلها»، وقال، أيضًا، «أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه». وقال بعضهم: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول* ودون الولي، لأن مقام النبوة* ينقطع بانقطاع الحياة الدنيا، بينما مقام الولي عندهم لا ينقطع أبدًا، ولا يُحَدُّ بالزمان ولا بالمكان. وفُضل الولي على النبي عندهم بالعلم، فالنبي يعلم علم الشريعة ـ أي علم التنزيل ـ الظاهر، بينما الولي يعلم علم الحقيقة أي علم التأويل الباطن. وأيضًا، الرسول* والنبي يستمدان العلم من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته، ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة، لكن الولي يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك، أي من الله تعالى مباشرة، نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

بل جعلوا خاتم الأولياء هو منبع العلوم ومصدر الفيض* لجميع الأنبياء والرسل، كما نص على ذلك ابن عربي في فصوصه. وأول من ذكر ذلك الحكيم الترمذي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهو لفظ باطل لا أصل له، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم العشرة المبشرون بالجنة، رضي الله عنهم أجمعين، وخاتم الأولياء في الحقيقة هو آخر مؤمن تقي يكون في الناس».



يهوه: أحد أسماء الله تعالى في التوراة* ويترجم بالعربية بمعنى كلمة «الرب»، وتكرر وروده في كتابهم المقدس ٦٨٣٣ مرة، وتكرر ذكره في **الأسفار العبرانية ٦٩٦١ مرة، وقد ورد في التوراة** أن الله تعالى قال لموسى: «هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، أرسلني إليكم...»، **خروج ٣: ٨٥١٣**، وورد بلفظ «أهوه» وتنطق أحيانًا جيوفاه أو يهوفا، وهو مشتق من اللفظ العبراني «هيه» أو «هوه» الذي يفيد الوجود فـ يهوه تعني الكائن، أو واجب الوجود غير المتغير الأزلي الذي أعلن ذاته وصفاته، أو الذي كان، وتترجم إلى العربية بالرب أو الله.

وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد خاف أحبار اليهود من تدنيس اسم يهوه، فمنعوا لذلك الشعب من النطق به، وأصبح غير مسموح التلفظ به إلا لرئيس الكهنة* فقط عند تلاوة الصلاة وإعطاء البركة في الهيكل، واستعاضوا عنه بأسماء أخرى أهمها «أدوناي» أي الرب والسيد.

اليوجا: كلمة سنكسريتية مشتقة من كلمة «يوج» التي تؤدي إلى معنى الاتحاد* في اللغة العربية، واليوجا في الأصل أحد الطقوس الهندوكية، والبعض يرجعها إلى أنها فرعونية الأصل، وتعد إحدى الدعوات الهدامة الوافدة والمستمدة فلسفتها من تعاليم بوذا* والنرفانا* والأفكار الغامضة، وأيضًا، من تراث الغنوصية القديم. كل ذلك بدعوى الوصول إلى الصفاء العام من خلال السيطرة على البدن والتخلص من أوهام العالم الحسي، ليتم الاتحاد بروح الكون الذي من خلاله يحصل الصفاء العام، وذلك من خلال حركات جسدية معينة.

وحديثًا تستخدمها الماسونية والمهاريشية في الدعوة إلى باطلهم، إذ تنشرها في الغرب تحت دعاوى أنها تساعد على تحسين الفكر والتركيز الذهني، والدعوة إلى المحبة والسلام بين البشر، من دون التعصب لدين* أو جنس أو لغة مما جعلها تتعدى الحدود والجنسيات.

ويقسم علماء اليوجا فلسفتها إلى عدة أقسام تتفق مع حاجات الناس في زعمهم، فمن

يرد أن يصل بقوة إرادته التي تكشف الروح حتى ترفع عنها الحجب، فعليه بـ «راجا يوجا»، ومن يمل إلى العمل والنشاط ينجذب نحو «كارما يوجا»، والذي يحاول دراسة الكون ومعرفة أسراره فعليه بـ«جنانا يوجا»، ومن سمت طبيعته فإنه يفضل أن يتقدم في معرفة الله تعالى والاتحاد* به من خلال «بها كتي يوجا».

وأخيرًا يقول الدكتور أحمد شلبي في كتاب **اليهودية** كاشفًا الستار عن حقيقة اليوجا: «ومن الجمعيات* السرية ذات الصلة بالصهيونية منظمة اليوجا، هي منظمة تدعي أنها تباشر ألوانًا من الرياضة البدنية والتدريبات الجسمانية ... وهي تبدأ باسم اليوجا ثم تتجه لنشر سمومها بين الأعضاء ... وأهم ما تعنى به محاربة الأديان* وتوجيه الشباب للتحلل من التزاماتها والعمل على ما يسمونه بالرباط الإنساني، ويصلون بذلك إلى الدفاع عن اليهودية باسم الإنسانية ...».

مراجع أساسية

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ كتب السنة النبوية المطهرة .
٣ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .
٤ـ ضعيف الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .
٥ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط . الثالثة ١٤٠٣هـ .
٦ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط . الرابعة ١٣٩٨هـ
٧ـ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٢هـ .
٨ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
٩ـ لسان العرب ـ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ـ المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف ـ القاهرة .

مراجع عامة

١٠ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم ـ مطابع الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ ١٣٧٢هـ .
١١ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ إشراف محمد شفيق غربال ـ دار الشعب مؤسسة فرانكلين .
١٢ـ موسوعة المورد ـ دائرة معارف إنجليزية عربية مصورة ـ منير البعلبكي ـ دار العلم للملايين بيروت ـ ١٩٨٠م .

١٣ـ الموسوعة الثقافية ـ مديرة التحرير/ فايزة حكيم رزق الله ـ دار الشعب ـ مصر .
١٤ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .
١٥ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ مجموعة من المستشرقين ـ ترجمة/ أحمد شنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس ـ دار المعرفة ـ بيروت .
١٦ـ دائرة المعارف ـ القاموس العام لكل فن ومطلب ـ المعلم بطرس البستاني ـ دار المعرفة ـ بيروت .
١٧ـ القاموس الإسلامي . أحمد عطية الله ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ١٣٨٣هـ .
١٨ـ دائرة المعارف البريطانية بين الجهل والتضليل . د . ملك غلام مرتضى ـ ملك سنز ـ لاهور ـ باكستان .

مراجع مصطلحات علم التوحيد وعلم الكلام والفرق الإسلامية

١٩ـ الدين الشيخ محمد عبدالله دراز ـ دار القلم ـ الكويت ـ ١٤٠٢هـ .
٢٠ـ الدين المقارن . بحث في سائر الديانات العالمية ـ أبو الفيض محمود الفيومي الحسني ـ مكتبة نهضة مصر .
٢١ـ المصطلحات الأربعة في القرآن ـ الشيخ أبو الأعلى المودودي ـ تعريب محمد كاظم ـ دار القلم الكويت ١٣٩٧هـ . .
٢٢ـ الوحدانية ـ د . بركات عبدالفتاح دويدار ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .
٢٣ـ الرسل والرسالات د . عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ عمان الأردن ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
٢٤ـ منهج أهل السنة والجماعة ـ الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ـ دار الثريا ـ الرياض ١٤١٥هـ .
٢٥ـ مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة ـ د . ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض .
٢٦ـ أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ـ محمد عبدالهادي المصري ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٩٨٨م .

٢٧ـ وسطية أهل السنة بين الفرق ـ د. محمد باكريم محمد باعبدالله ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض ١٩٩٤م.
٢٨ـ المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ د. إبراهيم البريكان ـ دار السنة ـ الخبر ١٩٩٢م.
٢٩ـ المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان جمعة ضميرية ـ مكتبة السوادي ـ جدة ـ ١٩٩٣م.
٣٠ـ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ـ عثمان علي حسن ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣١ـ مقالات الإسلاميين ـ أبو الحسن الأشعري ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٩م.
٣٢ـ الملل والنحل ـ للشهرستاني وعلى هامشه الفصل في الملل والنحل لابن حزم ـ مكتبة شباب الأزهر ـ القاهرة.
٣٣ـ الفرق بين الفرق ـ عبدالقادر بن طاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة صبيح القاهرة.
٣٤ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي ـ تحقيق يمان بن سعد الدين المياديني ـ رعاوي للنشر ـ الدمام ـ ١٩٩٤م.
٣٥ـ التعريفات ـ الشريف علي بن محمد الجرجاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٦ـ بغية المرتاد ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق موسى بن سليمان الدويش ـ العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ١٩٨٤م.
٣٧ـ منهاج السنة ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام ـ الرياض ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٨ـ درء تعارض العقل والنقل ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام ـ الرياض ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٩ـ خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان ـ الملك صديق حسن خان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٤م.
٤٠ـ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ـ د. أحمد محمد أحمد جلي ـ مركز مؤسسة

الملك فيصل للبحوث والدراسات ـ الرياض عام ١٩٨٨م.
٤١ـ دراسات في الفرق ـ د. صابر طعيمة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ١٩٨٧م.
٤٢ـ التآلف بين الفرق الإسلامية ـ الأستاذ؛ محمد حمزة دار قتيبة ـ دمشق ١٩٨٥م.
٤٣ـ تيارات الفكر الإسلامي ـ د. محمد عمارة ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٩٩١م.
٤٤ـ مقدمة في الأهواء والافتراق ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٤هـ.
٤٥ـ مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٤٦ـ موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ـ د. عبدالمنعم الحفني ـ دار الرشاد ـ القاهرة ١٩٩٣م.
٤٧ـ فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام. د. غالب بن إبراهيم العواجي ـ مكتبة لبنة ـ دمنهور ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٤٨ـ الخوارج ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٦هـ.
٤٩ـ الشيعة والسنة ـ إحسان إلهي ظهير ـ دارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ ١٩٧٤م.
٥٠ـ الشيعة والتشيع: إحسان إلهي ظهير ـ دارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ ١٩٧٤م.
٥١ـ أصول مذهب الشيعة ـ د. ناصر بن عبدالله القفاري ـ بدون ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٤م.
٥٢ـ صراع الإسلام والوثنية ـ عبدالله علي القصيمي ـ بدون ـ ١٩٨٢م.
٥٣ـ الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ـ د. محمد أحمد الخطيب ـ مكتبة الأقصى عمان الأردن.
٥٤ـ الإيمان ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ
٥٥ـ زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ـ د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد ـ مكتبة دار القلم والكتاب ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.
٥٦ـ حقيقة الإيمان ـ محمد عبدالهادي المصري ـ دار الفرقان ـ القاهرة ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٥٧ـ آراء المعتزلة الأصولية ـ د. علي بن سعد بن صالح الطويحي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٠٩هـ.

٥٨ـ الحكمة والتعليل في أحكام الله تعالى ـ د. محمد ربيع بن هادي المدخلي ـ مكتبة لبنة ـ دمنهور ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٩ـ الغائية عند الأشاعرة ـ نوران الجزيري ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة١٩٩٣م.

٦٠ـ الفوائد ـ ابن قيم الجوزية ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

٦١ـ حاشية على شرح أم البراهين ـ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ـ البابلي الحلبي ـ القاهرة١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

٦٢ـ مصادر المعرفة في الفكر الفلسفي والديني ـ د. عبدالرحمن الزنيدي ـ مكتبة المؤيد ـ الرياض ـ ١٩٩٢م.

٦٣ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتنزيل ـ ابن قيم الجوزية ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٦٤ـ القضاء والقدر في الإسلام ـ د. فاروق الدسوقي ـ دار الدعوة الإسكندرية.

٦٥ـ منة الرحمن في نصيحة الإخوان ـ د. ياسر بن حسين برهامي ـ دار الإيمان ـ الإسكندرية.

٦٦ـ مسألة القضاء والقدر ـ نشأتها لدى الفلاسفة والمتكلمين ـ عبدالحليم محمد قنبس ـ خالد عبدالرحمن العلا ـ دار الكاتب العربي ـ دمشق.

٦٧ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق د. علي الدخيل الله ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٤٠٨هـ.

٦٨ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق د. عواد عبدالله المعتق ـ الفرزدق التجارية ـ الرياض ١٤٠٨هـ.

٦٩ـ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً ـ د. سليمان بن صالح الغصن ـ دار العاصمة ـ الرياض ١٤١٦هـ.

٧٠ـ منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة ـ خالد بن عبداللطيف بن محمد نور ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٧١ـ الماتريدية دراسة وتقويماً ـ أحمد عوض الله الحربي ـ دار العاصمة ـ الرياض ١٤١٣هـ.

٧٢ـ أساس التقديس ـ الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين ـ تحقيق د. أحمد حجازي السقا ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

٧٣ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني ـ تحقيق ـ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٤ـ ذم التأويل ـ الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي ـ حققه وخرج أحاديثه بدر بن عبدالله البدر ـ الدار السلفية ـ الكويت ١٩٨٦م.

٧٥ـ التأويل وخطورته وآثاره ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ عمان الأردن ـ ١٩٩٢م.

٧٦ـ العقيدة في الله. د. عمر سليمان الأشقر دار النفائس عمان الأردن ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

٧٧ـ منهج التأويل الصوفي ـ د. نظلة الجبوري ـ مكتبة ابن تيمية ـ المحرق ـ البحرين.

٧٨ـ مذهب التفويض في نصوص الصفات ـ أحمد بن عبدالرحمن القاضي ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.

٧٩ـ تحفة الإخوان في صفات الرحمن ـ أبو الهمام د. محمد بن محمد عبدالعليم ـ مكتبة الصحوة الإسلامية ـ المنيا.

٨٠ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ جامعة الإمام ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ.

٨١ـ ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ـ د. عبدالله القرني ـ دار الوطن ـ الرياض.

٨٢ـ براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة ـ د. عبدالله شاكر محمد الجندي ـ إدارة الدعوة والإعلام ـ لجنة البحث العلمي ـ جماعة أنصار السنة المحمدية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٣ـ نواقض الإيمان القولية والعملية ـ د. عبدالعزيز بن عبدالله العبد اللطيف ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ

٨٤ـ فتنة التكفير ـ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني مع تعليقات الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٧هـ.

٨٥ـ نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابطها عند السلف د. محمد بن عبدالله بن علي الوهيبي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ

٨٦ـ الولاء والبراء في الإسلام ـ د. محمد بن سعيد القحطاني ـ دار طيبة ـ مكة المكرمة ـ الرياض ١٤١٢هـ.

٨٧ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ لأبي القاسم اللالكائي ـ تحقيق أحمد سعد حمدان ـ دار طيبة ـ الرياض.

٨٨ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ لابن أبي العز الحنفي ـ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي.

٨٩ـ القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ـ د. إبراهيم بن محمد بن عبدالله البريكان ـ دار الهجرة ـ الرياض ١٩٨٤م.

٩٠ـ الأصول العلمية للدعوة السلفية ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية للطباعة والنشر ـ الكويت ـ ١٤٠٢هـ

٩١ـ قواعد المنهج السلفي ـ د. مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية.

٩٢ـ السلفية في العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ـ د. مصطفى حلمي. دار الدعوة الإسكندرية.

٩٣ـ انتصار المنهج السلفي ـ المستشار عبدالحليم الجندي ـ دار المعارف ـ مصر.

٩٤ـ محاضرات في السلفية د. علاء الدين بن أحمد بكر ـ دار فجر للتراث ـ شبين الكوم ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٥ـ المفهوم السلفي للعمل السياسي ـ أبو زيد مصطفى ـ دار السلام ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ.

٩٦ـ السلفيون والأئمة الأربعة ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية ـ الكويت ـ ١٩٨٤م.

٩٧ـ لا دفاعًا عن السلفية ـ الشيخ محمد إبراهيم شقرة ـ دار فوز للطباعة والنشر ـ الأحساء ـ ١٩٩٢م.

٩٨ـ نظرات في كتاب السلفية ـ لمحمد سعيد رمضان البوطي ـ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١١هـ.

٩٩ـ أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة ـ أنور الجندي ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

١٠٠ـ فقه الواقع عند أهل السنة والجماعة ـ صالح بن عبدالله العصيمي ـ المؤتمن للنشر ١٤١٣هـ.

١٠١ـ الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة ـ د. مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية.
١٠٢ـ رسالة تحكيم القوانين ـ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ مطابع دار الثقافة ـ مكة المكرمة ـ ١٣٨٠هـ.
١٠٣ـ الحاكمية في تفسير أضواء البيان ـ د. عبدالرحمن السديس ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ.
١٠٤ـ إن الله هو الحكم ـ محمد شاكر الشريف ـ دار الوطن ـ الرياض.
١٠٥ـ تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ـ د. صلاح الصاوي ـ دار الإعلام الدولي ـ القاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٠٦ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار الدعوة ـ الكويت ١٤٠٦هـ.
١٠٧ـ نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية ـ د. صلاح الصاوي ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ.
١٠٨ـ القوانين الإسلامية لا للقوانين الوضعية ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار الدعوة ـ الكويت ١٤٠٦هـ.
١٠٩ـ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عبدالكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١١٠ـ محاضرات في الشريعة الإسلامية: فقهها، ومصادرها ـ الشيخ عبدالله ناصح علوان ـ مكتبة السلام.
١١١ـ المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ إعداد أشرف عبدالمقصود عبدالرحيم ـ دار عالم الكتب ـ الرياض.
١١٢ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ دار السلام ـ الرياض ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م
١١٣ـ الإسلاميون وسراب الديمقراطية ـ عبدالغني بن محمد بن عبدالكريم الرحال ـ المؤتمن للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.
١١٤ـ الخلافة الإسلامية ونظم الحكم المعاصرة دراسة مقارنة ـ د. جمال المراكبي ـ لجنة البحث العلمي ـ جماعة أنصار السنة المحمدية ـ مصر.

١١٥ـ مقالات وفتاوى متنوعة ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ دار أولي النهى ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٦ـ الخلافة في الأرض ـ أحمد حسن فرحات ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ١٩٨٦م.

١١٧ـ أصول الدعوة ـ د. عبدالكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١١٨ـ نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ـ د. مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية.

١١٩ـ الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ـ عبدالله بن عمر بن سلمان الدميجي ـ دار طيبة ـ ١٩٨٧م.

١٢٠ـ منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ـ د. يحيى إسماعيل ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ١٤٠٩هـ.

١٢١ـ الحكومة العالمية ـ د. بطرس غالي ـ دار المعارف ـ القاهرة.

١٢٢ـ الحكم بما أنزل الله وأهل الغلو ـ محمد سرور بن نايف زين العابدين ـ دار الأرقم للنشر والتوزيع ـ برمنجهام ـ ١٤٠٧هـ.

١٢٣ـ التكفير والهجرة وجهاً لوجه ـ رجب مختار مدكور ـ مكتبة الدين القيم ـ القاهرة ـ ١٤٠٥هـ.

١٢٤ـ الإيمان حقيقته، أركانه، نواقضه ـ د. محمد نعيم ياسين ـ دار الإيمان الإسكندرية.

١٢٥ـ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.

١٢٦ـ شبهات حول التكفير ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٦هـ.

١٢٧ـ التكفير، جذوره، أسبابه د. نعمان بن عبدالرزاق السامرائي ـ دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٦م.

١٢٨ـ العذر بالجهل ـ أحمد فريد ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية.

١٢٩ـ سعة رحمة رب العالمين ـ سيد بن سعدالدين الغباشي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ.

١٣٠ـ حكم الجهل بمسائل الاعتقاد ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ.

١٣١ـ الحكم وقضية تكفير المسلم ـ سالم البهنساوي ـ دار البحوث العلمية، الكويت، مكتبة البشير.

١٣٢ـ حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الإسلامية ـ د. بكر بن عبدالله أبو زيد ـ مكتبة ابن الجوزي.

١٣٣ـ مجلة البحوث الإسلامية ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد ـ العدد ٤٠ سنة ١٤١٤هـ.

١٣٤ـ مشروعية العمل الجماعي ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٣٥ـ الغياثي ـ غياث الأمم في التياث الظلم ـ إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ـ تحقيق د. عبدالعظيم الديب ـ إدارة الشؤون الدينية ـ قطر ـ ١٤٠٠هـ.

١٣٦ـ ابن تيمية والعمل الجماعي ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية ـ الكويت.

١٣٧ـ بين الدعوة الفردية والدعوة الجماعية في الإسلام ـ الشيخ عبدالله ناصح علوان ـ دار السلام ـ القاهرة.

١٣٨ـ فتاوى إسلامية معاصرة ـ الدكتور يوسف القرضاوي ـ دار الوفاء ـ المنصورة.

١٣٩ـ طرق الدعوة إلى الإسلام ـ الشيخ علي الطنطاوي ـ مكتبة المنارة ـ جدة.

١٤٠ـ الأحزاب السياسية في الإسلام ـ صفي الرحمن المباركفوري ـ دار الصحوة ـ القاهرة ـ ١٤٠٧هـ.

١٤١ـ ذكرياتي مع جماعة المسلمين ـ عبدالرحمن أبو الخير ـ دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ١٩٨٠م.

١٤٢ـ البيعة في النظام السياسي الإسلامي وتطبيقاتها في الحياة السياسية المعاصرة ـ عبدالرحمن أحمد صديق ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٣ـ جامع الرسائل ـ ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ مطبعة المدني ـ جدة.

مراجع المصطلحات الفلسفية والثقافية

١٤٤ـ معجم الفلاسفة ـ إعداد جورج طرابيشي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان .
١٤٥ـ المعجم الفلسفي ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ بدون
١٤٦ـ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية الفرنسية والإنجليزية واللاتينية . د . جميل صليبا ـ دار الكتاب اللبناني بيروت ـ ١٩٨٢م .
١٤٧ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ نقلها عن الإنجليزية ـ فؤاد كامل جلال العشري عبدالرشيد صادق .
١٤٨ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ د . يوسف كرم ـ دار القلم ـ بيروت .
١٤٩ـ قصة الفلسفة ـ ويل ديورانت ـ ترجمة أحمد الشيباني ـ دار القارىء العربي ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م .
١٥٠ـ أسس الفلسفة ـ د . توفيق الطويل ـ مكتبة النهضة مصر ـ القاهرة .
١٥١ـ المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ـ يوسف الصديق ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ ١٩٨٠م .
١٥٢ـ تاريخ الفكر الأوربي الحديث ـ رونالد سترومبرج ـ ترجمة أحمد الشيباني ـ دار القارىء العربي ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م .
١٥٣ـ الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ـ د . محمد البهي ـ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٣م .
١٥٤ـ نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ـ د . راجح الكردي ـ مكتبة المؤيد ـ الرياض ١٩٩٢م .
١٥٥ـ قضايا معاصرة في ضوء الإسلام ـ د . حلمي عبدالمنعم صابر ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ١٩٩٦م .
١٥٦ـ الإسلام والعلم التجريبي ـ د . فاروق الدسوقي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
١٥٧ـ الفلسفة وأثرها في أصول الدين ـ «مقال» محمد رشاد خليل ـ مجلة كلية أصول الدين ـ

جامعة الإمام ـ الرياض العدد العاشر .
١٥٨ ـ الماسونية في ميزان الإسلام . «مبحث اليوجا» ـ د . عبدالله عبدالحميد سمك ـ رسالة ماجستير مخطوط .
١٥٩ ـ الرد على المنطقيين ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إشراف وتحقيق عبدالصمد شرف الدين الكبتي ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان ـ ١٩٧٦م .
١٦٠ ـ تسهيل المنطق ـ د . عبدالكريم بن مراد الأثري ـ مطابع سجل العرب .
١٦١ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .
١٦٢ ـ أدب البحث والمناظرة ـ القسم الأول والثاني ـ مقترحات منطقية الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .
١٦٣ ـ صون منطوق الكلام عن المنطق وعلم الكلام ـ جلال الدين السيوطي ـ ويليه مختصر السيوطي لنصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
١٦٤ ـ جاهلية القرن العشرين ـ محمد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت .
١٦٥ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ـ على بخيت الزهراني ـ دار الرسالة للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة .
١٦٦ ـ مذاهب فكرية معاصرة ـ محمد قطب ـ دار الشروق بيروت ـ ١٩٧٥م .
١٦٧ ـ العلمانية ـ نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ـ د . سفر الحوالي ـ دار مكة للطباعة والنشر ـ ١٤٠٢هـ .
١٦٨ ـ العلمانية وأثرها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ـ عبدالكريم مشهداني ـ المكتبة الدولية ـ الرياض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
١٦٩ ـ السلطان عبدالحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ـ محمد قربان ينازملا ـ مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
١٧٠ ـ حقيقة الفكر الإسلامي ـ د . عبدالرحمن الزنيدي ـ دار المسلم ـ الرياض ١٤١٥هـ

١٧١ـ الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ـ د. محمود عثمان ـ الدار الإسلامية للطباعة والنشر ـ ١٩٨٨م.

١٧٢ـ موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ـ د. أحمد العوايشة ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن ١٤٠٢هـ.

١٧٣ـ الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الرياض.

١٧٤ـ الحرية والديمقراطية ـ حافظ صالح ـ دار الفتح ـ بيشاور ـ باكستان ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٥ـ معلمة الإسلام ـ أنور الجندي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٧٦ـ فلسفة الأخلاق نشأتها ـ تطورها ـ د. توفيق الطويل ـ دار النهضة العربية ١٩٧٦م.

١٧٧ـ جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة ـ محمد العربي الخطابي ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ المغرب ١٩٩٣م.

١٧٨ـ مفهوم تجديد الدين ـ بسطامي محمد سعيد ـ دار الدعوة. الكويت ١٤٠٥هـ.

١٧٩ـ مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين ـ د. محمود الطحان ـ مكتبة التراث ـ الكويت ـ ١٤٠٥هـ.

١٨٠ـ غزو من الداخل ـ جمال سلطان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٩٩١م.

١٨١ـ ثقافة الضرار ـ جمال سلطان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.

١٨٢ـ تجديد الفكر الإسلامي ـ جمال سلطان ـ دار الوطن ـ الرياض.

١٨٣ـ التجديد في الإسلام ـ المنتدى الإسلامي ـ لندن ١٤١٠هـ.

١٨٤ـ العصرانية في حياتنا الاجتماعية ـ د. عبدالرحمن الزنيدي ـ دار المسلم ـ الرياض.

١٨٥ـ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ـ محمد حامد الناصر ـ مكتبة الكوثر ـ الرياض ـ ١٩٩٦م ـ ١٤١٧هـ.

١٨٦ـ العصريون معتزلة اليوم ـ يوسف كمال ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ـ ١٩٩٠م.

١٨٧ـ المعتزلة بين القديم والحديث ـ محمد العبدة طارق عبدالحليم ـ دار الأرقم برمنجهام ١٩٨٧م.

١٨٨ـ دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ـ مصطفى فوزي غزال ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٩٨٣م.

١٨٩ـ محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة ـ سليمان بن صالح الخراشي ـ دار الجواب ـ الرياض ـ ١٩٩٣م.

١٩٠ـ منهج المدرسة العقلية في التفسير ـ د. فهد بن سليمان الرومي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣١٤هـ.

١٩١ـ تجديد الفكر الإسلامي ـ د. حسن الترابي ـ الدار السعودية للنشر ـ ١٩٨٧م.

١٩٢ـ تجديد أصول الفقه ـ د. حسن الترابي ـ دار الفكر ـ الخرطوم ـ ١٤٠٠هـ.

١٩٣ـ مواطنون لاذميون ـ فهمي هويدي ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

١٩٤ـ دليل المسلم الحزين ـ حسين أحمد أمين ـ دار الشروق ـ ١٤٠٥هـ.

١٩٥ـ التراث والتجديد ـ د. حسن حنفي ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م.

١٩٦ـ التراث في ضوء العقل ـ د. محمد عماره ـ دار الوحدة ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.

١٩٧ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ـ الشيخ محمد الغزالي ـ دار الشروق ـ بيروت ١٤٠٩هـ.

١٩٨ـ الصهيونية المسيحية ـ محمد السماك ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ١٩٩٣م.

١٩٩ـ الأصولية الإنجيلية ـ صالح بن عبدالله الهذلول ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.

٢٠٠ـ الأصولية الإسلامية ـ د. حسن حنفي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة.

٢٠١ـ الأصولية في العالم الغربي ـ ريتشارد هربدكميجان ـ ترجمة وتعليق عبدالوارث سعيد ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ١٤٠٩هـ.

٢٠٢ـ الغلو في الدين ـ عبدالرحمن بن معلا اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٩٢م.

٢٠٣ـ الغلو ـ عبدالله بن سلوم السامرائي ـ دار واسط للنشر ـ بغداد ـ العراق.

٢٠٤ـ حركة الغلو وأصولها الفارسية ـ نظلة الجبوري ـ مكتبة ابن تيمية ـ المحرق ـ البحرين ـ ١٩٨٩م.

٢٠٥ـ حركات الغلو والتطرف في الإسلام ـ د. أحمد عبدالقادر الشاذلي ـ الدار المصرية للكتاب ـ القاهرة.

٢٠٦ـ فقه النوازل «مبحث المواضعة في الاصطلاح» الجزء الأول ـ د. بكر بن عبدالله أبو زيد ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٩٩٥م.

٢٠٧ـ منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ـ د. عبدالله الحوشاني ـ مركز الدراسات والإعلام ـ دار إشبيليا ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.

٢٠٨ـ منهج إمام الحرمين في العقيدة. د. أحمد بن عبداللطيف العبد اللطيف ـ مركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث ـ الرياض ـ ١٩٩٥م.

٢٠٩ـ خفايا الطائفة البهائية: د. أحمد عوف ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.

٢١٠ـ البهائية والنظام العالمي الجديد ـ المحامي أحمد وليد سراج ـ دار طلاس ـ دمشق.

٢١١ـ الإسلام والحضارة الغربية ـ د. محمد محمد حسين ـ دار الرسالة ـ مكة المكرمة ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م.

٢١٢ـ الروحية الحديثة دعوة هدامة «تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية» د. محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٦م.

٢١٣ـ تحضير الأرواح بين الحقيقة والخداع ـ د. محمد أحمد الخطيب ـ مكتبة الأقصى ـ عمان الأردن.

٢١٤ـ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ـ الجزء الأول ـ كتاب الله ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢١٥ـ الموسوعة السياسية ـ عبدالوهاب الكيالي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.

٢١٦ـ معجم العلوم الاجتماعية ـ إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥م.

٢١٧ـ المعجم الاقتصادي الإسلامي. د. أحمد الشرباصي ـ دار الجليل ـ الأردن ـ ١٩٨١م.

٢١٨ـ من مبادىء الاقتصاد الإسلامي. محمود بن إبراهيم الخطيب ـ بدون ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢١٩ـ الموجز في الاقتصاد الإسلامي. د. محمد شوقي الفنجري ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة.

٢٢٠ـ النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة ـ د. حسن عبدالحميد ـ دار الرشيد ـ الرياض ـ ١٤١٠هـ.

٢٢١ـ الملكية في الشريعة الإسلامية ـ د. عبدالسلام العبادي ـ عمان ١٣٩٧هـ.

مراجع في مصطلحات الصوفية والتصوف

٢٢٢ـ معجم ألفاظ الصوفية ـ د. حسن الشرقاوي ـ مؤسسة مختار ـ مصر ـ ١٩٨٧م.

٢٢٣ـ معجم مصطلحات التصوف ـ كمال الدين القاشاني ـ تحقيق د. محمد كمال جعفر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨١م.

٢٢٤ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ مكتبة ابن تيمية الكويت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٢٥ـ فلسفة وحدة الوجود: أصولها وفترتها الإسلامية د. نظلة الجبوري ـ مكتبة ابن تيمية ـ المحرق ـ البحرين ١٤٠٩هـ.

٢٢٦ـ إبطال وحدة الوجود والرد على من قال بها ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق وتخريج وتعليق ـ محمد بن حمود النجدي ـ لجنة البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت ـ ١٩٩٢م.

٢٢٧ـ مدارج السالكين تحقيق محمد حامد الفقي دار الكاتب العربي ـ بيروت ١٣٩٢هـ.

٢٢٨ـ وسائل الاتصال عند الصوفية ـ سارة بنت عبدالمحسن ـ دار المنارة ـ جدة.

٢٢٩ـ دراسات في التصوف ـ إحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور.

٢٣٠ـ ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق قطر الولي على حديث الولي الشوكاني ـ د. إبراهيم هلال ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

٢٣١ـ الصوفية ـ محمد العبدة طارق عبدالحليم ـ دار الأرقم ـ برمنجهام.

٢٣٢ـ التصوف بين الدين والفلسفة ـ د. إبراهيم هلال ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.

٢٣٣ـ الله توحيد وليس وحدة ـ د. محمد البلتاجي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.

٢٣٤ـ إلى التصوف عباد الله ـ الشيخ أبو بكر الجزائري ـ مكتبة البخاري للنشر والتوزيع ـ بريدة ـ القصيم.

٢٣٥ـ أبو حامد الغزالي والتصوف ـ عبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة ـ الرياض .
٢٣٦ـ الرفاعية ـ عبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة ـ الرياض .
٢٣٧ـ التيجانية ـ د . علي بن محمد الدخيل الله ـ دار طيبة ـ الرياض .
٢٣٨ـ التيارات الوافدة ـ أنور الجندي ـ دار الصحوة ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م .
٢٣٩ـ مجموع الرسائل والمسائل . شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ مطبعة المدني ـ جدة .

مراجع مصطلحات مصطلح الحديث والفقه وأصوله

٢٤٠ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ـ الحافظ ابن كثير ـ شرح العلامة أحمد محمد شاكر ـ تعليق المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ تحقيق علي بن حسن عبدالحميد ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ .
٢٤١ـ تيسير مصطلح الحديث ـ د . محمود الطحان ـ دار التراث العربي ـ القاهرة ـ ١٩٨١م .
٢٤٢ـ السنة قبل التدوين ـ د . محمد عجاج الخطيب ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٢٤٣ـ دراسات في الحديث النبوي ـ د . مصطفى الأعظمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
٢٤٤ـ الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ الدار السلفية ـ الكويت .
٢٤٥ـ حجية السنة ـ د . عبدالغني عبدالخالق ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
٢٤٦ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ مصطفى السباعي ـ مكتبة العروبة ـ القاهرة ـ ١٣٨٠هـ .
٢٤٧ـ الموسوعة الفقهية ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٨هـ .
٢٤٨ـ دراسات فقهية ـ د . نزيه حماد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٢٤٩ـ معجم لغة الفقهاء ـ د . محمد رواس قلعجي ـ د . حامد صادق قنبي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ١٩٨٨م .

٢٥٠ـ الجهاد ورد كيد المعتدين ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ دار ابن القيم ـ الدمام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٥١ـ الجهاد في سبيل الله ـ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ لجنة شباب فلسطين ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض.

٢٥٢ـ افتراءات حول غايات الجهاد ـ د. محمد نعيم ياسين ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٥٣ـ تحصيل الزاد في تحقيق الجهاد ـ د. سعيد عبدالعظيم ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية

٢٥٤ـ أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ـ د. علي بن نفيع العلياني ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ.

٢٥٥ـ مرحلية تشريع الجهاد ـ د. محمد بن أحمد إسماعيل المقدم (محاضرة مسجد الفتح الإسكندرية) «شريط كاست».

٢٥٦ـ المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ـ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ إعداد أبي عبدالله بن إبراهيم آل البليطيح ـ الوايلي ـ دار المنار ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ.

٢٥٧ـ مفهوم الطاعة والعصيان ـ د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ.

٢٥٨ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الشهير بابن القيم الجوزية ـ تحقيق عبدالرحمن الوكيل ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٩م.

٢٥٩ـ القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ـ الإمام محمد علي الشوكاني ـ تحقيق الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ دار القلم ـ الكويت ١٣٩٦هـ.

٢٦٠ـ الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ محمد شاكر الشريف ـ دار الأندلس ـ جدة ـ ١٤٠٨هـ.

٢٦١ـ بدعة التعصب المذهبي ـ محمد عيد العباسي ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٦٢ـ تعريف الراغب بحقيقة المذهبية والمذاهب ـ محمد عيد عباسي ـ المكتبة الإسلامية

عمان ـ الأردن ـ ١٤١٠هـ.
٢٦٣ـ الأعراف البشرية ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ عمان ـ الأردن.
٢٦٤ـ البدعة أسبابها ومضارها ـ الشيخ محمود شلتوت تحقيق على حسن عبدالحميد ـ مكتبة ابن الجوزي ـ الإحساء ١٩٨٨م.
٢٦٥ـ الاعتصام ـ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٦٦ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ـ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ تحقيق د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

مراجع مصطلحات اليهودية والنصرانية والديانات الشرقية

٢٦٧ـ الكتاب المقدس دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ـ بيروت.
٢٦٨ـ قاموس الكتاب المقدس نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ـ إصدار مجمع كنائس الشرق الأدنى ـ بيروت.
٢٦٩ـ دائرة المعارف الكتابية د. القس صموئيل حبيب د. القس فايز فارس، القس منيس عبدالنور دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٨٨م.
٢٧٠ـ علم اللاهوت الكتابي القس منيس عبدالنور ـ دار الثقافة ـ القاهرة.
٢٧١ـ اليهودية الدكتور أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.
٢٧٢ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٧٣ـ المسيح المنتظر وتعاليم التلمود الدكتور محمد علي البار ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ـ ١٩٨٧م.
٢٧٤ـ الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ـ الدكتور محمد علي البار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ١٩٩٠م.
٢٧٥ـ النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ لواء أحمد عبدالوهاب ـ مكتبة وهبة

ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م.
٢٧٦ـ عصمة الأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ د. محمود ماضي ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية.
٢٧٧ـ الروح القدس وجبريل في اليهودية والنصرانية والإسلام ـ د. عمر الداعوق ـ مقال مجلة الدراسات الإسلامية والعربية ـ الإمارات ـ دبي العدد العاشر ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٧٨ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية «رؤية نقدية» ـ د. عبدالوهاب المسيري مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٤١٥هـ.
٢٧٩ـ أسماء الله في الكتاب المقدس ـ القس منيس عبدالنور ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٧٩م.
٢٨٠ـ المسيحية وتطورها ـ شارل جينيبر ـ ترجمة د. عبدالحليم محمود ـ دار المعارف ـ القاهرة.
٢٨١ـ الكهنوت ـ عوض سمعان ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٧٩م.
٢٨٢ـ تفسير العهد الجديد ـ د. وليم باركلي نقله إلى العربية القس فهيم عزيز ـ دار الثقافة ١٩٨٦م.
٢٨٣ـ الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ـ القس الدكتور فهيم عزيز ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٨٠م.
٢٨٤ـ الأصول الوثنية للمسيحية ـ أندريه غايتون إدوغارويند كارل غوستايونغ ـ ترجمة سميرة عزمي الزين ـ سلسلة من أجل الحقيقة ـ المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ـ ١٩٩١م.
٢٨٥ـ بولس وتحريف المسيحية ـ أندريه غايتون إدوغارويند كارل غوستايونغ ـ ترجمة سميرة عزمي الزين ـ سلسلة من أجل الحقيقة ـ المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ـ ١٩٩١م.
٢٨٦ـ دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة الآب جان كبي ـ دار المشرق بيروت ـ ١٩٩٤م.
٢٨٧ـ تاريخ الكنيسة ـ جون لوريمر ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٠م.
٢٨٨ـ تاريخ الأقباط زكي شنودة ـ مطبعة التقدم ـ القاهرة.
٢٨٩ـ الكنائس القبطية القديمة في مصر ألفريد ج بتلر ـ ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٣م.

٢٩٠ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ مطبعة المدني ـ القاهرة .

٢٩١ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ابن القيم الجوزية ـ تحقيق محمد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة .

٢٩٢ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن قيم الجوزية ـ اعتنى به د. أحمد حجازي السقا ـ المكتبة القيمة القاهرة ١٣٩٩هـ .

٢٩٣ـ شفاء الغليل لما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ـ أبو المعالي إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني ـ تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر .

٢٩٤ـ المسيحية ـ د. أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م .

٢٩٥ـ الكنيسة القبطية ـ فكرها ومنهجها د. عبدالعزيز النغيمشي ـ رسالة ماجستير مخطوط .

٢٩٦ـ تاريخ أوربا في العصور الوسطى د. السيد عبدالفتاح الباز ـ مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٩٧ـ موقف الإسلام والكنيسة من العلم د. عبدالله المشوي ـ مكتبة المنار ـ الأردن ١٩٨٢م .

٢٩٨ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ـ القرافي ـ تحقيق د. بكر عوض ـ القاهرة ـ ١٩٨٦م .

٢٩٩ـ الإنجيل دراسة وتحليل ـ د. محمد شلبي شتيوي ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٣٠٠ـ تاريخ الإنجيل والكنيسة ـ أحمد إدريس ـ دار حراء ـ مكة المكرمة .

٣٠١ـ إظهار الحق ـ الشيخ رحمت الله الهندى ـ تحقيق د. محمد أحمد محمد عبدالقادر الملكاوي ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية للإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض .

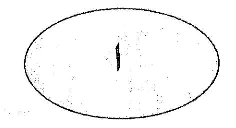
٣٠٢ـ محاضرات في النصرانية ـ الشيخ مجمد أبو زهرة ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية للإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض .

٣٠٣ـ مقارنة بين الأناجيل الأربعة ـ د. محمد علي الخولي ـ دار الفلاح للنشر والتوزيع ـ صويلح ـ الأردن ـ ١٩٩٣م .

٣٠٤ـ اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ـ لواء. أحمد

عبدالوهاب ـ مكتبة وهبة القاهرة.
٣٠٥ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية ـ لواء. أحمد عبدالوهاب ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.
٣٠٦ـ الأقانيم ـ د. أحمد حجازي السقا ـ دار الأنصار ـ القاهرة.
٣٠٧ـ التثليث ـ مفهومه ـ تطوره ـ د. محمد رجب شتيوي ـ «مقال» مجلة الشريعة العدد الخامس السنة الثالثة ـ ١٤٠٦هـ.
٣٠٨ـ العقائد الوثنية في النصرانية ـ الشيخ محمد طاهر التنير ـ تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي ـ دار الصحوة ـ ١٤١٠هـ.
٣٠٩ـ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ـ د. عبدالراضي بن محمد عبدالمحسن ـ مكتبة التربية الإسلامية ـ الجيزة ـ ١٩٩٢م.
٣١٠ـ سلسلة التنوير الإسلامي رقم ٢ ـ مركز التنوير الإسلامي ـ أبو إسلام أحمد عبدالله ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م.
٣١١ـ شهود يهوه ـ التطرف المسيحي في مصر أبو إسلام أحمد عبدالله ـ بيت الحكمة ـ ١٩٩١م.
٣١٢ـ شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكية وقاعة التلمود اليهودي د. حسين عمر حمادة ـ دار قتيبة ـ دار الوثائق ـ بيروت ـ دمشق ١٩٩٠م.
٣١٣ـ أديان الهند ـ د. أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة العربية القاهرة.
٣١٤ـ الأديان القديمة في المشرق ـ د. رؤوف شلبي ـ دار الشروق ـ بيروت.
٣١٥ـ أديان الهند ـ د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ مخطوط.
٣١٦ـ غلاة الشيعة مبحث الزرادشتية ـ محمد علي الزعبي ـ بدون ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٣١٧ـ المدخل لدراسة الأديان ـ العميد عبدالرزاق الأسود ـ دار المسيرة ـ الدار العربية للموسوعات ـ بيروت.

فهرس المحتويات الألفبائي[١]



المصطلح **الصفحة**

(١) المصطلحات ذات البنط الكبير تمثل المداخل الرئيسة للموسوعة، تمييزًا لها عن مداخل المعجم.

ب

ت

ث

ج

ح

ض

ط

ع

م

ن

فهــرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

فهـــرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة